
KÖPRÜLÜ KÜT.
84

المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان

تفسير مهايمي

٨٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انار بكلامه قلوب اولي الالباب ليبصروا به مع عقولهم
طريق الصواب يفصل لها ظاهره من الاقوال والاعمال وباطنه من
الاعتقادات والاخلاق والمقامات والاحوال فيحل عنها قيود النقايص
لتسرع الى غاية الكمال وجعل شمسه بحيث يحملها ابصارهم بان حجبها بظلال
من الكلمات والآيات وكانت غيوثا ممطرة تخرج ما فيها كالنبات من
جمعها لما في الملك والملكوت بفتح ابواب الرحمة فينفجر بها ينابيع الاسرار
ثم تصير بحارا من الانوار ممتلئة بانواع الجواهر الكبار من حامها نال الكبريت
الاحمر من المعارف المقلبة الى نفائس الصفات واستخرج الياقوت
الاحمر من معرفة ذاته سبحانه والاكهب من معرفة صفاته الكاملات والاصفر
من معرفة افعاله في الكائنات والدر الازهر من التزكية والتحلية
التي هي الصراط المستقيم والزبرجد الاخضر من معرفة احوال السعداء والاشقيا
يوم رجوعهم الى العزيز الحكيم ومن ساح بسواحلها التقط العنبر والعود
من معرفة احراقه الفجار بالنار ذات الوقود يصعد منه دخان الخوف
الى القلوب فيستريح بالرغبة في علام الغيوب ومن تغلغل في جزايرها
استخرج من حيواناتها ترياق الحجج والبينات لدفع سموم الشبه المهلكات
والمسك الاذفر من معرفة الاحكام الفرعية الناشر طيب الذكر في
الامصار والفلوات والصلوة على المخصوص على الكتب واجلاها
واجمعها واحلاها المعجز لمن بلغ في البلاغة غايتها من العداوة منتهاها

خاضها

ممن اجتمع ببلاده اكثر من حصى البطحاء ورمال الدهناء وتفرق في الآفاق
منهم ومن ساير الفضلاء حتى اعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة
بالسيوف فاحتملوا بذلك المنهج فلم يعارض الى مدة ثمانمائة واحدى وثلثين
من الهجرة الا معارضة ركيكة هي ضحكة للناظرين ومنهم من تعلل بانه سحر مبين
مع ان المعجزة القولية لا مجال لتوهم السحر فيها ولا سبيل لاشتباه ابهامه
انها في جمع وجوه الهداية بلغت اقصى الغاية واشارت الى ما لا يتناهى من
فوائد العلوم المهمة في باب الديانة فاقامت من الحجج ودفع الشبه ما عجز عنه
اهل الملل والفلسفة وقد اعترف بفضله من تعتد به منهم وشهد له كتب من
تقدم من المرسلين ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء امته كانبياء
بني اسرائيل في فتح ابواب اليقين ونصب كل سلطان مبين وكثر اولياء
امته بالكرامات التي هي كمعجزات الاولين وقد اعطي منها ما سبق به السابقين
كخروج الماء من الاصابع اغرب من خروجه من الحجر وشق البحر دون شق
القمر والبراق الرافع الى ما فوق السماوات بليلة من الرجوع قبل الفجر اجل
من ريح غدوها شهر ورواحها شهر وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصى و
حنين الجذع اتم من الاحياء محمد سيد الرسل المخصوص باكمل السبل واقومها
الاسهل الاجمل لذلك كان صلى الله عليه وسلم ناسخ الملل وفاتح الدول صلى
الله عليه وعلى آله الذين فاقوا ساير الامم بما استنبطوا من الكتاب والسنة
من العلوم المهمة التي اناروا بها قلوب العالمين وزينوا بها السن العالمين
وقووا بها اعضاء العابدين صلوة تتوالى ابد الآبدين وسلم تسليما كثيرا
وبعد فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمثهن انس
قبلي ولا جان ولم يكن لي ان امسهن اذ لا يمسهن الا المطهرون وانا غريق
بحر خطيئة يهلك فيه الاكثرون ولكن الله سبحانه من علي بالتيسير في خطبهن الخطير
بمحض فضله اذ هو بكل فضل جدير وعلى كل شيء قدير فامكنني ان ابرز من

قبلي

خند ومن يرى بمرايا جمالهن صور الاعجاز من بدايع ربط كلماته وترتيب
اياته من بعد ما كان يعد من قبيل الالغاز فيظهر انها جامع الكلمات ولوامع
الايات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن محكماته فكل كلمة سلطان دارمها وكل
اية برهان جارمها وان ما تكرر فيها من التكرار نمى قصور الانظار العاجزة
عن الاستكمال ولا بعثه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة ونفي الادلة
القوية وكشف الشبه المدلهمة ماخوذة من تلك العبارات من غير تاويل
ولا تطويل في اختيار المقدمات ولا ابعاد في اعتبار المناسبات مع وفاء
بالاغراض وشفاء للامراض بما فيها من اغذية طيبة لا تعقب اختلالا ولا
ملالا وادوية حلوة جامعة للمنافع حالا ومالا وثمرات اشجار اصولها ثابتة
وفروعها في السماء تؤتي اكلها كل حين لطوائف العلماء لا مقطوعة ولا ممنوعة
ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
تجري من تحتها انهار من الانوار المتضمنة للاسرار بل تخرج فيها بحار الظاهر
والباطن يلتقيان بالتوفيق وان كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان
في التحقيق يخرج منهما من لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ و
المرجان لتحلية السن اهلها والاذهان وتجري فيها اعلام العلوم برياح
الفهوم مملوة بامتعة الاصول المقررة لتحصيل ارباح الفروع المكثرة
او لجلب خيول الحجج القاطعة واقبال البينات الساطعة لقتال اعداء
الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التي هي عندهم اعلى حصن حصين تجعلها
قاعا صفصفا بعد استنزال من كان بها في عز متين وسلخ جلودهم التي تجلدوا
بها على مناوءة كل سلطان مبين من براهين اليقين حتى يصير اسودهم مترددا
خاسئين وتسود منهم الوجوه في نار التيه خالدين ويصير اهل الحق
في نعيم التحقيق لا يمسهم فيه نصب تغير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بيضاء
لذة للشاربين عين اليقين يصحبون بها لايات الافاق في الانفس التي تجلي

الله لها لا مل حق اليقين مع اني لم اغمض عما زمهم ولم اشق غبارهم ولم
اقتف اثارهم وبضاعتي علوى واعمالي مزجاة واستار الجهل والكسل
على مرخاة ولكن الله غالب على امره يمن على من يشاء فوفق فذه تفضل
علي من موجبات شكره ان يحرر في ما يتميز به لباب كتابه من قشره ويسر لي
الاطلاع على بعض ما خفي من سره لذلك سميته تيسير الرحمن وتبيين المنان
بعض ما يشير الى اعجاز القران نسأله من فضله ان يزيدنا بصيرة باسراره
وغوصا في غماره ويوفقنا لاقتفاء اثاره واقتباس انواره والقيام بشكره
والتحفظ عن قهره ومكره وان ينفعني بكتابي والطالبين ويجعلهم فيه راغبين
ويرحمني واياهم ومن دعا لي منهم وتقبل في دعوته برحمته انه ارحم الراحمين
ولنقدم امورا **الاول** اتفقت الملل على انه تعالى متكلم مخبر طالب ولا يصير
متكلما الا بقيام صفته به اذ لو صار بخلقه في غيره لصار بخلق السواد اسود و
ليست صفته هذه العبارات التي هي اعراض غير قارة مولفة منه اذ ليس
محلا للحوادث وهي غير العلم اذ لا طلب به وغير الارادة اذ لا اخبار
بها وليس الطلب نفس الارادة اذ قد يطلب من الشخص ما لا يريد منه
لاظهار عصيانه وليس بمجرد الصيغة وليس الاخبار نفس العلم اذ قد يخبر
بخلاف ما يعلم ولا شك في اخبار وطلب نفسيين بلا سامع اذا فضل التعليق
به وقت وجوده ولا كذب في التعبير بالماضي عند اعتبار زمن الاخبار
ولا تعدد في هذه الصفة وان تعلقت بما لا يتناهى فلا تاليف ولا ترتيب ولكن
نفس المنقسم الى الاخبار والطلب اذ ليسا من جزئياته بل من متعلقاته
وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب وان كانت التلاوة والحفظ والكتابة
وان اريد بها الحاصل بالمصدر حادثة والقران اسم لذلك المعنى ولهذه
العبارات بالاشتراك والاول كلام الله بمعنى انه صفته والثاني بمعنى انه
ليس من صنيع غيره والمطلق على العبارات كلي ينطبق على الكل والبعض

وهو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدى بسورة منه فيعجز اهل
عصره ومن بعدهم عنه لانه اعلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفته لاساليبهم ثم اكمل
معنى جمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوايد مهمة في الفاظ قليلة قريبة الفهم
بعيدة الغور يشهد لها العلوم ويستشهد بها وتشتمل على اصول مسايلها مع
دلايلها ورفع الشبه عنها لا يتماسه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماته وترتيب
اياته الذي يفتقر فيه الى تامل كامل وتدبر تام من ذي علوم كثيرة وباعتبار اشتمالها
بالنزول وعدم الارتباط في الظاهر مع اعتبار المعاني الحقيقية والمجازية و
الاشارات من جهة الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها او
ضمها الى الاحاديث النبوية او القواعد العقلية او الفوايد الكشفية الثاني
الانزال الايواء او التحويل من علو الى سفل كانزال الجيش او المطر ولما كان
بالحركة وليست لصفة الا بتبعية الموصوف اذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى
القايم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلا بد من التجوز بان يقال ظهر ذلك
المعنى في القلم الاعلى بلبسه الحقايق المجردة للحروف ثم ازداد ظهورها باللوح المحفوظ
ثم لم يزل يزداد حتى وصل الى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه او يقال
وصف بوصف حامله باعتبار حمله نفس المعنى او الصور المحفوظة او المكتوبة
او باعتبار قيام الالفاظ به ولو عند الاداء الى المنزل عليه والسر في انزال
العبارات جذب القاصرين بما يناسبهم من الاصوات والحروف منها الى
ما يناسبه من معانيها وحقايقها كفعلنا بالحيوانات العجم نخاطبهم بما يناسبهم لكن
هذا المنزل لما كان معجزا ظهرت به عظمته وكان اشد للجذب الى الكمالات
باستفادة الاعتقادات والاحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا
يتناهى الثالث الاستنباط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فسر
القران برايه فليتبوا مقعده من النار قال الامام حجة الاسلام في الاحياء
تحريم الكلم بغير المسموع باطل اذ لا يصادف السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا في بعض الايات والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافا لا يمكن فيه الجمع فيمتنع سماع الكل من رسول الله صلى الله عليه وسلم



لابن عباس صح

والاخبار والاثار تدل على اتساع معانيه قال صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه
في الدين وعلمه التاويل ولو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص وقال عز وجل لعلمه
الذين يستنبطونه منهم وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها
وقال علي عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليتدبر القران وقال
بعض العلماء لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال اخر القران
يحوي سبعة وسبعين الف علم ومايتي علم اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع و
في القران اشارة الى مجامع العلوم وكل ما اشكل على النظار ففي القران رموز
اليه فالنهي اما عن التاويل على وفق ما له من الراي الذي لولاه لم يلح له كمن يلتبس
على خصمه بالتمسك باية على تصحيح مدعاه مع علمه بانه ليس بمراد وقد يكون له غرض
صحيح يتمسك عليه باية يعلم انه ليس المراد منها كمن يدعو الى مجاهدة النفس فيتمسك
بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى نفسه وقد يكون الاية محتملة فيميل
فهمه الى ما يوافق غرضه واما عن التسارع الى الباطن قبل احكام الظاهر فانه
كالبلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه وقال شارح
التاويلات اجمعوا على استخراج معانيه بالراي واختلفوا في التوفيق بينه وبين
الحديث فقيل التفسير بيان سبب النزول والتاويل بيان ما يحتمله اللفظ وقد
جعل الله القران اصلا لجميع ما يحتاج اليه وليس كله منصوصا فلا بد من الاستخراج
بالراي بالعرض على الاصول وقيل التفسير بيان حقيقة اللفظ اذا علمت
والتاويل صرف اللفظ المحتمل الى وجه بعينه لموافقته للاصول فلو قطع منه كان
تفسيرا بالراي وقال الشيخ ابو منصور التفسير هو القطع فان كان ثمة
دليل قطعي صح والا حرم لما فيه من الشهادة على الله بما لا يؤمن فيه الكذب
والتاويل بيان عاقبة الاحتمال بغالب الراي بلا قطع وقيل باتحاد التفسير
والتاويل فالذي بالراي هو الصادر عن العقل دون العرض على الاصول منزلة

محكمة او خبر متواتر او اجماع فالسلف انما فسروا القران بدليل اذنوا بالعمل لمثله بالغ الاجتهاد وقيل التفسير بالاجتهاد والعرض على الاصول تفسير بالرای لكنه نوعان مذموم يتشهد فيه على الله بكونه خطا ومحمود يعتقد فيه حقيته بغالب الرای مع احتمال الخطاء وقيل المذموم جعل الرای عيارا لما جاء به القران فيفسر على وفقه تقريرا له وترك ظاهر القران والمحمود جعل الرای تابعا لدلالة القران وقيل النهی تفسير المتشابه لانه غلو فيما لا يحتاج اليه واما المحتاج اليه فتفسيره بالرای مامور به هذا حاصل كلامه **اقول** لك ان تحمل النهی على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم وله فوائد لا تحصی والممنوع حمله على ظاهره او على ما يهواه **الكلام فی الاستعاذة** ليست من القران بل مقدمة القراءة اوجبها ابن عطاء لكل قراءة واشهر عباراتها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العوذ الالتجاء او الاعتصام او التحصن او الاستعانة والباء للالصاق ای الصق التجائی بحفظ الله او اعتصامی بقوته او تحصنی بمنعه او استعانتی بفضله ولك تبديل الصلة والشيطان من الشطن وهو البعد لبعده عن الله او الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله اذا بعد من اجله او من الشيط وهو البطلان او الهلاك او الاحراق لانه باطل فی نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا راه يتقرب الى ربه والمستعاذ منه وسواسه واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه ذاته شر يستعاذ منه والرجيم من الرجم وهو الرمی بالحجارة لانه يرمی بالسب والشهب وقيل على وجوده ورؤيته جم غفير من الانبياء والاولياء صورته وسماعهم صوته والآثار والاخبار وما له من الافعال كمسه مجنونا بخنق الرقی وقد علم من سنة الله تعالى انه لا يفعل شيا الا بسبب يخصه ولهذا اذا استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم ان سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد وكذا اسباب استنارة





القلب واسوداده يتبع فيه الافكار والاذكار يستبصر فيها تارة ويتحير اخرى فالمبصر ملك خلق لافاضة النافع فی العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق بعد ذلك واختلف فی حقيقته فقيل مجرد يتصرف بالتعلق ويدرك بالة هی كوة الاثير واول به خلقه من نار ويتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليس التجرد اخص صفاته بل هو القيومية وقيل القوة المتوهمة او المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية وقيل جسم ناری والصحيح انه من العناصر لكن الغالب عليه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج ولا يجب رؤية الكثيف اذا لم يتلون ولا يمنع نفوذه بطريق الضوء ولا قدرة اللطيف على الافعال لو لم يرق قوامه بل النار والريح اقوى ولا تشكل الجسم بالاشكال المختلفة كما فی السحرة ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما ناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه اذا راه القلب من الوجه الذی يلی الملكوت عند اشرافه على باطن سر القلب والصورة فيه تابعة للصفة فيری الشيطان فی صورة كلب او خنزير او ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذی يلی عالم الملك فانه كثيرا ما يحصل لخلل الدماغ والاول يختص بالكمل ولا يخل وجود الشيطان الوثوق بالمعجزات لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية الى وجوه الخير المحض فی العموم والشيطان وان دعا الى الخير فليفوت خيرا اعظم او جر شرا لا يفی به ومن عداوته حمله العوام على التفكر فی ذات الله وصفاته واسرار النبوة والامور الاخروية وافضائه بهم الى الكفر مع قيام البراهين القاطعة عليها وانه يعدهم الامان من عذاب الله والياس من ثوابه من غير شبهة فضلا عن حجة وكفى دليلا فيه خلق الله العقل فی الانسان لتشوقه بالثواب وتنجيه عن العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم وانه يعد على عبادة الاوثان بالتقرب الى الله ويخوف من قهره فی ترك عبادتها ويامرهم بالاخلاص فيها ويغرق المصلی فی بحر الرياء والعجب ويخفيه الافعال وعدد الركعات ويوقعه فی تحسين النية ومخارج الحروف ويذهب به الى مهمات لا تخطر

يبالي في غيرها ولا يفتح ابدا ويخوف بالفقر في اعطاء الزكوات ويحث على
الانفاق في المحرمات ويجعل حصر اللذات في الشهوات والجاه والعجز والذلة
عند عدم امضاء الغضب ويرى التعب في عبادة الله ويسهل على الكفار
تحمل المشاق في عبادة الاوثان ويمنع عن القتل في سبيل الله ويحث الكفار
على قتل انفسهم عند الاوثان وقتل من يدعوهم الى الاسلام ويدعو من له ازواج
وجوار معطرة مزينة الى زنا من ليس لها ذلك ويامر الامراء بالظلم في الاموال
مع وفور مالهم ويقتل الانفس بادنى مخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقبل الدفع
يندفع بادنى من القتل وله ابواب يطول شرحها وضرر عداوته انه اتفقت الملة
والفلاسفة على ان من فسد اعتقاده خلد في العذاب او عمله عذب بحسبه
وينقسم الى عقلي وخيالي وحسي ومن الناس من منع الاخيرين لتوقفهما على الآلات
جسمانية والموت قطع علاقتها ولا دليل على امتناع تعلقها بابدان تركبت من
الاجزاء الاصلية من ابدانهم او بجزء منها للادراك او بجسم آخر ومنهم من اجاز
الخيالي باحد الوجهين الاخيرين كما في النوم الا انه يزول بالتيقظ ولا يتوقف تألم
النفس على السبب الخارجي وقال الفارابي وابن سينا العقل وان لم يوجب
الحسي فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف في مبادي الافعال لانه ينفع الاكثر
وهو انما تم بالاعتقاد الجازم بالايقاع والايقاع مقتض لازدياد النفع و
اتفق الفلاسفة على العقلي وجعلوه اكمل من الحسي والخيالي وقالوا
كمال النفس ان فات لنقصان غريزتها فلا عذاب كالصبي والمجنون
او لوجود ضد في القوة النظرية يصير صورة ملازمة تتعذب بها من شعورها
بنقصها واشتياقها الى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات الآلة وعدم اشتغالها
بشيء آخر وما دامت في جلباب البدن تعتقد في نقصاناتها انها كمالات
فاذا ارتفع ظهر النقص واشتاقت الى الكمالات ولا يصل اليها فتقع في النار
الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا معذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه

او في القوة العملية تألمت بحسبه والقائل بالخيالي قال يظهر له في صور النار
والحيات والعقارب لكنها يزول لانها انما حصلت من ركون النفس الى
البدن ويزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق
عندنا واما العالمة البريئة عن الهيئات الفاسدة فتلتذ بكمالاتها ابدا لتخلصها
الى عالم القدس وترقيها الى اعلى عليين فهو كالمؤمن التقي عندنا لكنه مبني على امتناع
اعادة البدن والحق اعادته فيجوز العقلي بوجه آخر والحسي والخيالي فهذا
راي من يعتد به من اهل النظر والكشف من المليين والفلاسفة وثمة جماعة ليسوا
في شيء منهما يدعون فناء النفس وامتناع اعادتها من غير شبهة فضلا عن حجة وربما يروج
بعضهم بنسبته الى معروف بدقائق العلوم كافلاطون وارسطو ولا شاهد لهم
من تصنيف او خط ولا برهان عليه والانبياء والاولياء والعلماء اولى
بالتقليد منهم ومن اين تنصيص في حقهم برهان ضروري لا يتطرق اليه الغلط مع
وقوعه لهؤلاء مع غزارة علومهم وطول نظرهم فاذا عرفته فعليك باجتناب
هذا الخطر العظيم ثم ان العبد لا يشتغل بمقاومة الشيطان لمعارضة الوهم والخيال
العقل في جذب سائر القوى الى عالم السفل فلا بد له ان يستعين بمن سلطه عليه
ليبلوه ايرجع اليه وقد جرت سنته باعاذة من استعاذ به قال الامام
حجة الاسلام في منهاجه انه كلب سلطه الله عليك والاشتغال بمعالجته صعب
مضيع للوقت وربما تظفر بك فيعقرك والرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك
اولى فان رأيته يغلب فهو ابتلاء من الله ليرى صدق مجاهدتك وقهره في ثلثة
امور ان تعرف حيلة فان اللص اذا علم احساس صاحب البيت به يفر وان
تستخف بدعوته فانه كلب نابح ان اقبلت عليه لج والا سكت فاذا اعرضت
عنه فاحذر من همته وان تدوم بذكر الله بقلبك ولسانك اذ هو في جنب
الشيطان كالاكلة في جنب الانسان على ما في الحديث وقال في احيائه انما
يندفع الشيطان باستقرار الذكر في القلب بعد عمارته بالتقوى وتطهيره عن

الصفات الردية اذ هو كلب جايع لاينزجر بمجرد اخسائه اذ كان من يدى
الزاجر لحم او خبز فالشهوة اذا غلبت القلب رفعت الذكر الى الحواشي والشيطان
يمكن من سويدائه وطرد الشيطان لقلوب المنفس ليس للشهوات بل
لجلوس الغفلة ثم اذا عاد الى الذكر خنس ثم ان اجل ما يلقي الشيطان وسوسته
عند قراءة القران لكونه اجل المعارف والمواعظ الصارفة للعبد الى
مولاه والاستعاذة طهور عن موانع الاستغراق فمنها سورة الفاتحة
لها اسماء تدل على شرفها فمنها فاتحة الكتاب لافتتاح قرائته وكتابته بها لان
تسميتها وحمدها مبداء كل امر ذي بال تحاميا عن البتر لان وجود كل شيء
بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره بشكره بل هو مستزيد ومنها الفاتحة
لفتحها خزائن العلوم فبسم الله اشارة الى ذاته واسمائه التي فوق الالوف
وجميع العلوم بمعرفته وعبادته والرحمن والرحيم الى ظهوراته بالوجود وصفات
الكمال ومنتهى العلوم الوصول الى ذلك بار الالصاق الى التخلق بها والحمد
والحمد الى شكر نعمه التي ذكر من جملتها الاطباء في بدن الانسان خمسة الاف
منافع ومنافع من قطرة في البحر وفي ذلك معرفة النفس التي بها معرفة الكل ورب
رب العالمين الى اصناف الموجودات من العقول والنفوس والاجسام
والاعراض والرحمن الرحيم الى التخلص من الافات والفوز بالخيرات و
هو اعظم مقاصد العلم ومالك يوم الدين الى المعاد وبقاء النفوس وسعادة
بعضها وشقاوة بعضها وخراب العالم الاعلى والاسفل والنفخ في الصور و
الوقوف في العرصات والحسنات والميزان ودخول الجنة والنار والشفاعة
وغير ذلك ولاجل ذلك علم الاعتقادات والاعمال واياك نعبد الى انواع
العبادات القلبية والقالبية وهي المقصودة من خلق العقلاء واياك نستعين
الى انها لا تحصل الا بالاستعانة منه واهدنا الصراط المستقيم الى الاستدلال و
التصفية وصراط الذين انعمت عليهم الى النبوة والولاية والاعتقادات الصحيحة

والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة وغير المغضوب عليهم ولا الضالين
الى الكفار والفساق والاعمال الفاسدة والاخلاق الردية والاعتقادات
الباطلة ومنها سورة الحمد لابتدائها بخصها بلفظه واشتمال حمدها على سائر محامد
القران ومنها سورة الشكر لان الحمد راس الشكر وقد جمعت وجوهه من
المحبة بالجنان والثناء باللسان والخدمة بالاركان ومنها سورة المنة لقوله
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومنها المثاني لتكررها في اكثر
الصلوات او لانها تضم بسورة في اكثر الركعات او لتكرار نزولها لانها نزلت
بمكة حين فرض الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة لدلالتها على انه رب
الجهات كلها وقد اختار افضلها فله الحمد كيف وهي جهة الامن فهو الرحمن باعطاء
الامان وفيها مقام ابرهيم فهو الرحيم بالاطلاع على الخلة الابرهيمية وهو مالك يوم
الدين بقطع النزاع في القبلة يوم القيمة وهو المقصود دون الجهة فيجب امتثال
امره في كل وقت دون تخصيص الجهة من عند انفسنا بعد نسخ الاول وهو
المستعان في الزام الخصوم في الدنيا فيطلب منه الهداية بتوجه الباطن اليه
عند توجه الظاهر اليها اذ هو صراط المنعم عليهم بالرجوع اليه عند النظر
الى خلقه غير المغضوب عليهم بعبادة الخلق دونه ولا الضالين بعبادة الهياكل
او لانها استثنيت من كتب الاولين لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما انزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور مثل الفاتحة ومنها
سورة الكنز لقول علي عليه السلام نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش
اي من اسرار المعارف المحيطة بمعرفة الذات والاسماء والافعال والمعاد
والصراط المستقيم والجزاء والمحاجة والاحكام فالله اسم جامع للذات
والاسماء واشار بباء الالصاق الى ان وجودات الاشياء قائمة بقيام
الاجساد بالارواح فهو سر وجودها وليس بطريق الايجاب بل لانه رحم
بافاضة الوجود والكمالات الذاتية وهو اشارة الى افعاله واشار

ومنها القران العظيم صح

المعبود

الی سرها بانه انما فعل ما فعل لکمال ذاته المقتضی للحمد لان من شان الکامل
التکمیل ولا استکمال له فی ذلک لانه رب الکل فهو مفیض للکمالات علیها ولو
کان مستکملا لکان مستفیضا منها واشار الی ان حمده محیط بلامی الاستغراق
والاختصاص لانه المفیض علی الکل ما استحقوا به الحمد فهو اولی بذلک الحمد
وهو المطلع للحامد المفیض علیه قدرة الحمد فهو الحامد والمحمود فی الکل بالحقیقة
ثم اشار الی سر حمده بانه ربی الکل تربیة رحمة بان خلقه علی ما ینبغی ثم افاض
ما یحتاج الیه فی بقائه وما یفید سایر الکمالات التی لا یتناهی واشار الی المعاد
بمالک یوم الدین والی احاطة مالکیته باضافتها الی الیوم المحیط بهم والی سر ترتیبه
علی الرحمن الرحیم اذ لا یتم الرحمة علی المظلوم بدون ذلک ولا تتم النعمة
باعطاء ملک الابد علی کلمة او عمل بدون ذلک ثم اشار الی الصراط المستقیم
فاشار الی التحلیة بالعبادة والی التزکیة بالاستعانة والی احاطتهما بالتخصیص
والی سره بالشکر المشار الیه بالحمد والصبر المشار الیه بالعبادة ثم اشار الی کمال
العبادة بالدعاء الذی هو مخها لتضمنها التضرع والابتهال الذی هو روح العبودیة
واشار الی الجزاء بالانعام والغضب واشار الی احاطته بحصوله لکل سالک
طریق بهدایة او ضلال والی سر ترتیبه علی العبادة والاستعانة فان الربوبیة
والعبودیة انما یتم منهما بذلک والی الحاجة بانه مبدا الکل بالاتفاق فلا بد من
دلیل لتقابل استقلال الواسطة ولا شبهة له فی ذلک فضلا عن حجة والی احاطتها
بتعمیم الحمد والربوبیة والی سرها بتعمیم الرحمة المقتضیة شکرها بنسبة النعم الیه
لا الی الغیر کیف والواسطة مرحوم فلا یستقل بدون الراحم والی الاحکام بالعبادة
والی احاطتها باطلاقها للتعمیم مع الاختصاص به والی سرها بالاستقامة
الدالة علی التزکی وهو لباب عقیدة التوحید ومنها سورة تعلیم المسئلة
والدعاء لان السؤال فیها بعد الثناء والعبادة والدعاء فیها بما هو اهم الامور
وهو الهدایة للصراط المستقیم الذی هو سبب الانعام الابدی المبعد عن الغضب

الاستعانة

والضلال



والضلال ومنها سورة المناجاة لان المصلی یناجی الرب بحبیبه الرب
علی ما فی حدیث القسمة ومنها سورة التفویض لما فیها من الاستعانة ومنها
سورة الوافیة لاشتراط ابقائها فی کل رکعة او لوفائها بمعراج الصلوة فاشار
بالباء الی انه اظهر الاشیاء اذ به ظهرت الموجودات لکنه ظهوره خفی اذ
عمت رحمته بافاضة الوجود وسایر الکمالات حتی استحق جمیع المحامد لانه
ربی الکل بما ینبغی اولا فی وجوده ثم اعطی کلا ما ینبغی فی بقائه ولیست تلک
الکمالات لذوات الموجودات لانه قادر علیها باذهابها لکنه یعظم عوضا لمن
عبده واستعان به ولم یرها کمالا لانه بل رآه ناقصا فلا یطلب الکمالات
بالهدایة والاستقامة والانعام ویخاف البقاء فی النقص والعود الیه
فیتعوذ من الغضب والضلال او لوفائها بالترتیب الکامل لانه ذکر الله
واستدل علیه برحمته الموجبة لحمده المطلع علی کماله فی تربیته کل شیء بما
یلیق به اولا فی افاضة الوجود والصفات وثانیا باسباب البقاء وسایر
الکمالات وخوف عن سوء العاقبة المذهبة لها لیکون داعیا الی تصحیح
الاعتقادات وتحسین الاخلاق والافعال فلذلک عقبه بالعبادة و
اراه قاصرا فی ذلک محتاجا الی الاستعانة ورتب علی ذلک الهدایة بالاستقامة
والانعام المطلوب بالذات والمزیج عن الغضب والضلال المهروب
عنه بالذات بعد ذلک ومنها سورة الشفاء والشافیة لقوله صلی الله
علیه وسلم فاتحة الکتاب شفاء من کل داء وروی من السم لان نور اسم
الله یذهب بالظلمة التی هی منشاء اسباب الداء ورحمته تنافی آفة الداء
وحمده یجلب الشفاء والاقرار بربوبیته یقتضی التربیة التی بها یکمل الشفاء و
بالرحمة یقتضی کمال الافعال المرتبة علی کمال الصحة وبمالکیته لیوم الدین قهر
اسباب الداء والجزاء علی الحمد بالشفاء وبطلب الهدایة ازالة امراض
القلب الموجبة امراض البدن وباستقامته استقامة احوال البدن الذی هو

مطيه القلب وبالانعام بستدعي اللطف بالاسماع بالجزاءات بتبعيه الشفاء ويدفع الغضب والضلال ازالة اصول اسباب الداء ومنها سورة الرقية لان صحابيا مر بمصروع فقرأ عليه سبع السورة فبرا ومنها ام الكتاب وام القرآن لرواية الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ولاشتمالها على علم الشريعة الكلفات اصولها وفروعها والطريقة معاملات القلوب والحقيقة مكاشفات الارواح فمن الاصول معرفة الله بانه الذي قامت به الموجودات قيام الاجساد بالارواح ومعرفة وجوده بانه الذي رجح من رحمته احد طرفي الممكنات ومعرفة صفاته بانها الكمالات الموجبة للحمد والتنزيه تقتضي الحيوة والعلم والارادة والقدرة والجزاء والسمع والبصر لاقوال المكلفين وافعالهم والكلام الذي به التكليف ومعرفة اسمائه بانها الوسائط التربية له بينه وبين خلقه فيها يغني ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بانه رب كل ما عداه ومعرفة استحقاقه للعبادة بانه المنعم المتفضل المرجع اليه ومعرفة افتقار العبد اليه ابتداء بانه الرب ووسطا بانه الرحمن الرحيم وانتهاء بانه مالك يوم الدين ومعرفة النبوة والولاية والايمان بالانعام ومعرفة الكفر والبدعة والفسق بالغضب والضلال ومعرفة السعادة والشقاوة بذلك ايضا ومعرفة الفضل والعدل بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين ومعرفة الحكمة بترتب الانعام على الهداية والاستعانة وترتبهما على العبادة والاستعانة ومعرفة القضاء والقدر بالعبادة والاستعانة اذ لو لم يقدر خلاف ما كلف لم يكن للاستعانة كثير معنى ومعرفة المبدأ ببسم الله والمعاد بمالك يوم الدين والانعام والغضب ومن الفروع معرفة العبادات بنعبد والمعاملات والمناكحات والحكومات بنستعين لان الهوى معارض للعقل فيها والواجب والمندوب والمباح والصحيح بالهداية والحرام والمكروه والفاسد بالغضب وماخذهما من الامر والنهي بالعبادة والغضب وما يترتب عليهما من الوعد والوعيد بالانعام والغضب ومن علم الطريقة معرفة كمال النظرية

والعملية بالصراط المستقيم ونقصانهما بالغضب والضلال ومعرفة ما يجب رعايته في البداية بالعبادة وفي الوسط بالاستعانة وفي النهاية بالاستقامة ومعرفة اوصاف النفس بالغضب والضلال لانحرافها عن الاستقامة ومعرفة اوصاف القلب بالاستقامة والهداية ومعرفة التخلية بالعبادة التي هي ضدهما وعن الغضب برحمة الله لانه لا ينبغي لمن يرجو رحمته ان يغضب على من رحمه وعن الهوى بالاستقامة اذ هي مضلة عنها ومن فروع التخلية الحسد والخلوص عنه بالحمد لله رب العالمين لدلالته على رضاه باعطاء العالمين والحسد ضده والبخل والخلوص عنه برب العالمين اذ لا يبخل بما ليس له والعجب والخلوص عنه بالاستعانة والكبر والخلوص عنه بالعبادة والكفر والبدعة والخلوص عنهما بالاحتراز عن الضلالة ولا بد في التحلية من التوسط في الاخلاق كالتعفف والشجاعة والسخاء وفي الاعتقادات ان لا يميل الى التعطيل والتشبيه وفي الاعمال ان لا تقصر ولا تترهب اشار الى الجمع بالصراط المستقيم ومن الزهد والمحبة والشوق بالحمد لانه يرى منه اللذائذ دون الاسباب فيزهدها ويحبه ويشتاق اليه ومن الافتقار اليه بالاستعانة وطلب الهداية ومن التذلل فيه بالعبادة ومن معرفة عزة الربوبية وذل البشرية برب العالمين واياك نعبد ولا بد في التحلية من المعرفة بالباء المشعرة بالاتصال الروحاني به المفيد لها ومن الذكر باسمائه ومن الشكر بالحمد ومن الرجاء بالرحمة ومن الخوف بمالك يوم الدين والغضب ومن الغضب ومن الاخلاص باياك ومن الدعاء باهدنا ومن الاقتداء بالارواح الطيبة بصراط الذين انعمت عليهم ومن الاستعانة بهاتين نعبد ونستعين ومن التحرز من صحبة الارواح الخبيثة بغير المغضوب عليهم ولا الضالين ومن علم المكاشفة معرفة سر الربوبية بالحمد لله لانه انما رجع حمد الكل اليه لقيام وجوده به وتدل عليه باء البسملة ومعرفة تجلي الجلال بمالك يوم الدين والغضب والجمال بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين والانعام والكمال بالحمد لله رب العالمين الى يوم الدين ومعرفة انواع الاسماء

بالعبادة والاستعانة والتخلية بالهداية والاستقامة والتحلية بالانعام ولا بد في التخلية من الخلوص عن الشهوة
صح

بالحمد والاستعانة

باختلاف المذكور فيها ومعرفة النفس بالضلال والقلب بالاستعانة والروح
بالهداية والسر والخفي بالاستقامة والانعام ومعرفة سر النبوة بالحمد لله الى الرحيم
والانعام والوحي بالبار لانه من اتصال بعض الارواح ببعض الى ان يصل
الى الحق ومعرفة الفرق بين النبوة والولاية بالتابع والمتبوع في صراط الذين
ومعرفة الاحوال والمقامات باياك والهداية والاستقامة والانعام ومنها
علم اليقين بالغيبة الى مالك يوم الدين وعين اليقين باياك وحق اليقين بالرحمة
والهداية والانعام والاستقامة ومعرفة سر القضاء والقدر بالرحيم المخصص
بقدر الاستعدادات ومعرفة اسرار العبادة بترتيبها على الاسماء واسرار
المعاملات بترتيب الهداية على الاستعانة واسرار الامور الاخروية بالانعام
على المستقيم والغضب على الغير ومعرفة تسخر عالم الشهادة لعالم الغيب
بالاستعانة ومعرفة فناء ما سوى الله فيه بمالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار ومعرفة بقائه بالاستعانة والانعام ومعرفة الدنيا بسم الله
اذ هو المبدأ ومعرفة الاخرة بالحمد لله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
ومنها سورة الاساس لانها ركن الصلوة التي هي اساس الخيرات لانها
تنهى عن الفحشاء والمنكر وتوصل الى مقام المناجاة والمشاهدة او لتاسيس
الافعال فيها على الاسماء والحمد عليها والعبادة على المالكية والهداية
على الاستعانة والجزاء على الهداية والاستقامة وضدهما ومنها سورة
الصلوة لانها ركنها في كل ركعة للماموم والامام لما روى الدارقطني انه صلى
الله عليه وسلم صلى بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة فلما انصرف اقبل
علينا بوجهه الكريم فقال ما لي انازع القرآن لا تقرؤوا شيئا من القرآن اذا جهرت
الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها واما قوله عز وجل وانصتوا فالمراد
عن غير ام القرآن للاتفاق على وجوب القراءة على مصل يسمعه من غير
امامه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الله تعالى قال قسمت الصلوة اي السورة التي هي اعظم اركان الصلوة
بيني وبين عبدي نصفين اي قسمين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله ذكرني عبدي اي الذكر الجامع لذاتي واسمائي وصفاتي وافعالي
واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي اي بالحمد الجامع
لمحامد الكل للكل واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي اي بنسبة
ايجاد الكل اليّ على ما ينبغي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي
اي افردني بالعظمة اذ لا ملك يومئذ لغيري اصلا واذا قال اياك نعبد يقول
الله عبدني عبدي بعبادة الكل على اتم وجوه الاخلاص واذا قال واياك
نستعين قال هذا بيني وبين عبدي اي جامع لحق العبودية من الاستعانة
وحق الربوبية من الاعانة واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل اي هذه الامور طلب الهداية والاستقامة والانعام والاحتراز من
الغضب والضلال اعظم حقوق العبودية قام بها العبد على نهج التذلل
الذي هو روح العبودية فحقيق ان الزم بحق الربوبية من اعطائه كل ما سأله
كأنه استوجبه ثم البسملة تناسب الطهر لرفع نور الله ظلمة الحدث والرحمة
فيها الاستقبال لان رحمة الايجاد بتوجه الحق للاشياء وتوجهها اليه وتوجه
البدن الى مبدأ ترابه الغالب عليه من الكعبة فتوجب توجه روحه الى مبدأه
والحمد القيام لاشعاره بقيام الخلق بالحق حتى رجعت محامدهم اليه ورب
العالمين الركوع لشموله الرب والعبد شموله الركوع معنى القيام والقعود
والرحمة بعده الاعتدال لانها للبقاء المستلزم للاعتدال المنافي للاختلال
ومالك يوم الدين السجود لان الكل في غاية التذلل له يومئذ واياك نعبد
القعدة بين السجدتين لان العبادة سبب التقرب وقد كمل بالسجود والمتقرب
مستحق للجلوس المعقب واياك نستعين السجدة الثانية للدلالة على انه

العبادة انما هو بعونه وهو بالاستعانة منه وهي توجب التذلل له فهذا
القرب يوجب مزيد التذلل له وهو بالسجدة بعد السجدة واهدنا الصراط
المستقيم تعدل التشهد لاشارتها الى اكرام المستقيم وصراط الذين انعمت
عليهم قراءة التشهد لانها تحف في المتحف منعم عليه وغير المغضوب عليهم ولا
الضالين السلام ومنها سورة النور لاشتمالها على نور الذات والاسماء
والصفات والافعال والعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة و
الانعام والتنزه عن ظلمة الغضب والضلال وافاضتها الانوار على المصلي
فافهم والله الموفق والملهم بسم الله الرحمن الرحيم بعض اية من
النمل وليست من القران في براءة اجماعا فيهما ونفى مالك وقدماء الحنفية
قرآنيتها ومتاخروهم كونها من السور على الصحيح من المذهب واتحد راي
الشافعي انها من الفاتحة واصح قوليه من غيرها واول الآخر بانها غير تامة
في الغير استدل النفاة برواية عن انس رضي الله عنه صليت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمن وكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله وفي
اخرى وانهم لا يذكرون بسم الله وفي اخرى ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله
وفي اخرى فلم يجهر احد منهم ببسم الله وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله وعن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله اثنى على عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي وعنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون اية وفي الكوثر
انها ثلاث ايات والعدد يكمل بدون التسمية وبانها لو كانت من الفاتحة
لم يكن انعمت عليهم اية فيكون لله اربع ونصف وللعبد اثنان ونصف

قال القاضي الباقلاني لا بعد ان يستحق المثبت لانها ان تواترت
امتنع الخلاف والا لم تكن القران حجة قطعية وساغ دعوى الشيعة بالتغير فيه
واستدل جاعلها من القران لا السور برواية ابي سلمة انه صلى الله عليه وسلم
كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية فاصلة وقال ابرهيم بن يزيد لعمرو بن
دينار ان الفضل الرقاشي يزعم ان بسم الله ليست من القران فقال سبحان
الله ما اجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم علم ان تلك
السورة ختمت وفتحت غيرها وعن طلحة بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب
الله وعن ابي بن كعب انه قال صلى الله عليه وسلم اية آية اعظم في كتاب
الله قال بسم الله الرحمن الرحيم وقد اجمعوا على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى
واتفقوا على كتبها بخط المصحف ولم يكتبوا آمين ولا اسماء السور واستدل
الشافعي برواية لام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب
فعد بسم الله الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم
آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط
المستقيم آية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
آية وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ولابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ربه
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله
حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال
مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا

الفضل

علم

الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وعنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث اصحابه فدخل رجل فافتتح الصلوة فتعوذ وقال الحمد لله رب
العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال للرجل قطعت على نفسك
الصلوة اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد من تركها آية منه ومن
ترك آية منه فقد قطع عليه الصلوة وعنه انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة
الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وعن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم
وربما يسئل عن الجهر فقال لا ادري وروى البيهقي عن ابي هريرة قال
كان صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى
الجهر بها عن عمر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وتواتر الجهر بها عن علي
عليه السلام والجواب عن شبه النفاة ان روايات انس وابي هريرة
متعارضة والتضعيف في المعنى واشارت عائشة الى السورة وتقديمها
على غيرها والكتبة بخط القران مع الاجماع على ان ما بين الدفتين قران
تغني عن التواتر النقلي لكن عدمه اورث شبهة منعت التكفير ولم يظهر
دليل كونها من سائر السور وان ظهر على انها من القران ثم نقول
الباء للالصاق تشعر باتصال العبد بربه وتواضعها الخطي بان الاتصال
بالرب يوجب مزيد التواضع له وان كان به الارتفاع على ما سواه وانكسارها
بانه انما يتصل به المنكسر قلبه وجعل النقطة تحتها بانه يجعل كل ما سواه تحت قدمه
وروحها بان معنة التوحيد وفتحها الفم بانه يفتح ابواب العلوم والفوائد
سيما عند اشتغاله بمحامده او قراءة كتابه بعد التخلص من الشيطان ويتعلق
بالحمد اي ملتبسا باسمه الطاهر في الحمد او مطلقا او باعوذ ان قرا البسملة بانه
لا يستقل بالالتجاء اليه او بمحذوف تحسينا للبشر الى ان الاتصال به تفيد تخفيف



المؤمن فعل لانه الاصل في التعلق ولموافقته اياك نعبد للبشر الى احداثه الا
به ليعترف بالتقصير في الماضي وقصد التلافي في المستقبل او اسم ليشعر بهجة
حالة الذكر والغفلة من جنس الابتداء ليناسب بدايته تعالى او ما جعلت التسمية
مبدأ له كالقراءة ليشعر بدوام ملابسته مؤخر ليشعر بتقديم اسم الله تعظيما له وحصرا
ردا على القائل باسم اللات والعزى او مقدم ليشعر بان الاهم التلبس باسمه مع عدم
المبالاة بالقائل والاسم لفظ مستقل الدلالة لا يقتضي بنيته زمنا والمسمى المدلول
والتسمية الوضع او الذكر فتغاير الاسم المسمى الا في نحو زيد مرفوع او الاسم
المدلول المطابقي والمسمى الذات من حيث هي او باعتبار ما صدق عليها
والتسمية اللفظ فيتحد الاسم والمسمى وقد يوخذ المدلول اعم من المطابقي فيعتبر
في اسماء الصفات ما يقصد من المعاني التضمنية فيتحدان في اسماء الذوات
ويتغايران في اسماء الافعال ويتوسطان في اسماء الصفات فمن راى حدوث
اسماء الله قال بالاول ومن راى قدمها بالثاني ومن راى الفصل بالثالث فعلى
تقدير المغايرة يكون اقحام الاسم للكناية والاتصال اما بذاته تعالى او للتمييز
عن القسم وعلى تقدير الاتحاد يكون الاتصال بالذات باعتبار المعاني التي بها
تعلق العالم به لغناه عن العالمين بدونها ثم ان كان من السمو اشار الى سمو حال
من اتصل به او من السمة اشعر بظهور سمات اسمائه وصفاته فيه والاله اسم
لذات المعبود فهو وان لوحظ فيه المعنى لم يقصد فلذلك لا يوصف به ثم غلب
على المعبود بحق بطريق الكلية ثم حذفت همزته وعوضت بحرف التعريف وقطعت
همزته في النداء لتمحض التعويض فخص بالفرد المستحق لها اتفاقا فلذلك افاد استثناؤه
التوحيد قال الامام الرازي الاله هو الموجود الازلي الابدي الواجب
لذاته المنزه عما لا يليق به الموجد لغيره والله علم للفرد الموجود من هذا المفهوم
الكلي قائم مقام الاشارة فان كانت الاشارة الى الذات اشارة الى الصفات
تناولها والا فلا وقال الامام حجة الاسلام في المقصد الاقصى الله اسم للموجود

الحق الجامع للصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود
الحقيقي وَالاشبه انه جار مجرى الاعلام وتبعه البوني وقال الشيخ محيي الدين
العربي في شرحه لاسماء الله تعالى الله الذي له القدرة والاختراع والخلق والامر
جامع الذات والصفات والافعال انتهى وقيل الاصل فيه سار الغيبة
ثم زيد لام الملك لمالكيته ثم حرف التعريف تفخيما وقيل الهمزة لظهور الذات
ظهور الالف بها لذلك استخلف عليها دائما والهاء لاضمارها اشارة الى
انه الظاهر الباطن وَاللام الاولى لتعريفه بالظهور والثانية اشارة الى
لطفه بالبطون بعد كمال الظهور وَالمشهور انه علم جامد للفرد الموجود من واجب
الوجود وهو قول اكثر المحققين كالخليل وسيبويه والشافعي وابي حنيفة والحليمي
والخطابي وامام الحرمين والغزالي وكيف لا يوضع لاجل الاشياء اسم يشار
به اليه اشارة معنوية يميزه عما عداه وَلابد لثبوت الآله وَاله وَاله على
اصالة الهمزة لجواز كونها مشتقة من الله ولما قطعت همزته في النداء اشبهت الاصلية
فاتى بها فيها واعتبرها سعة العبادة التي يستحقها ويتعرف لاجلها ثم ان جعل
علما للذات مع الصفات تعلق حمده بالكل وَاستعاذته بالذات مع صفة
القهر للعدو واللطف بالمستعيذ وَتلبس القراءة بنور الكل وَان جعل للذات
محضة انما كان جامعا لان كمالات الصفات من لوازم كمالات الذات
واستعاذته بالذات كافية في قهر العدو ولطف المستعيذ لانهما من لوازم
الذات والبيت قراءة بالذات طرفها حجب الافعال والصفات وَالرحمة
رقة القلب وعطفه ويراد في حق الله تعالى غايته من ايصال الخير ودفع الشر
وَتنقسم الى ذاتية عامة افاضة الوجود وَخاصة تخصيص بعض العبد للتقرب
اليه وهما المرتبان على اسم الله وَوصفية عامة افاضة ما يليق من الاعراض
وخاصة ما يتفضل به البعض على البعض وهما المرتبان على اسم الرب قيل
الوجود كله خير والشر هو العدم او عدم كمال لموجود كالفقر والموت والجهل

خ
المرتبه

ويطلق على سببه مجازا كالبرد والافعال المذمومة والاخلاق الردية
والالام والغموم فالبرد من حيث هو كيفية وبالقياس الى سببه
ليس بشر وانما عرض له من حيث افساده امزجة الثمار فالشر بالذات
فقد الثمار كمالاتها وَالظلم والزنا ليسا بشر من حيث صدورهما عن
الغضبية والشهوية وانما عرض لهما بالقياس الى المظلوم والى السياسة
المدنية او الى النفس الناطقة الضعيفة عن ضبط القوتين وَالاخلاق و
الالام ليست بشرور من حيث هي ادراكات الامور انما هي شرور بالنظر
الى فقدان احد تلك الاشياء كماله فهو الشر بالذات قال الامام حجة الاسلام
في المقصد الاقصى انما اراد الخير لذاته والشر للخير في ضمنه لذلك قال
سبقت رحمتي غضبي فان خطر لك شر لا ترى تحته خيرا او امكان تحصيل ذلك
الخير بدون ذلك الشر فاتهم عقلك فليس كل محال يدرك استحالته بالبديهة او
بالنظر القريب ثم رحمة الله اكمل لانه جواد يعطي ما ينبغي لا لعوض كالثواب والثناء
ولا لغرض كازالة الرقة وحب المال والعبد لا يخلو عن احدهما مع انه انما
يعطي بداعية من الله فهو الراحم بالحقيقة ثم انما ينتفع بعطاياه اذا سلم الله قواه
على ان عطاءه يوجب التذلل له وهو ذلة والذل لله عزة ثم اشتق منها صيغتا
مبالغة وهما الرحمن الرحيم الاول ابلغ لكثرة حروفه لخص بالله لا بطريق العلمية
لجريانه وصفا فكفر من اطلقه على غير الله ومبالغته اما بالكمية لكثرة افراد الرحمة
الايجادية حتى يدخل فيه الشرور ربما من حيث يتضمنها اللطف او افراد المرحوم
او بالكيفية بتخصيصه بالجلائل المستمرة وَتقديم اسم الله لكونه علما ثم الرحمن لانه
مثله في الاختصاص وَالرحيم ان خص بالرحمة الخاصة ففيه ترق او بالدقائق فتتميم
وهو تخصيص بعد التعميم فيهما وَان عم فهو تتميم من وجه ترق من وجه وهو تعميم بعد
التخصيص وَذكرهما بعد اسم الله ان تناول الاسماء للتفصيل بعد الاجمال مع
التخصيص بعد التعميم ثم مع كونهما للمبالغة بولغ فيهما بالتجوز باطلاق السبب



اريد بها نه ملكا سبق ه

على المسبب او الملزوم على اللازم ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتعلق الاستعاذة
بالرحمن على تقدير كونه لكثرة الرحمة الايجادية انه وان اوجد العدو من رحمته
به وسلطه من رحمته بالتسلط فمن رحمته على المستعيذ ان يلطف به بقهر عدوه
ومنع تسلطه عنه وعلى اعتبار كونه للطف في ضمن القهر ان يلطف بالمستعيذ
بتوفيقه لمجاهدة من ابتلي به وعلى تقدير كونه لكثرة افراد المرحوم ان من
عمت رحمته الكل حتى امهل الشيطان حقه ان يرحم المستعيذ بدفع شر عدوه
عنه وعلى تقدير كونه لجلائل النعم ان حقه ان يجعل رحمته للمستعيذ بقهر عدوه
بالكلية واثابته على مجاهدته وعلى تقدير كونه لاستمرار النعم ان حقه ان يبقي على
المستعيذ ما انعم عليه من العبادة واما تعلقها بالرحيم على تقدير خصوصه بالرحمة
الخاصة ان حقه ان يخص المستعيذ بتلك الرحمة بدفع شر العدو عنه او
بالدقائق ان من حقه ان يعيذه من وسواسه وعلى تقدير عمومه ان حقه ان لا
يخلي المستعيذ عن رحمة تمنعه عما استعاذ منه واما تعلق الحمد به فظاهر الا
على ايجاد الشرور فهو انه يرفع بها الدرجات اذ ينال بها الصبر الذي لا نهاية
لاجره واما تعلق القراءة فيرجى بتعلق الرحمن افاضة انواع الرحمة او جلائلها
على القاري وبتعلق الرحيم يرجى خصائصها او دقائقها وتقديم الاستعاذة
على التسمية مع انها لاشتمالها على البداية بالبداية اولى ليلا شعار بانه لابد
من رفع الحجب التي اعظمها الشيطان اولا ومن تطهير القلب عن كدوراته
لتنزيل الذكر به او بانه لما استعاذ به اطلع على عجزه الكلي فتعلق بالجامع ليلطف
به ويقهر عدوه ثم طلب الرحيم اللطيف ليحفظ عن شر العدو ثم تحصيل الكمالات
له او بانه بالاسم الاول سلط الشيطان بقهره ونبه على التعوذ عنه بلطفه او
سلطه لتكميل ثوابه ان جاهده وعقابه ان اهمله وبالثاني ان يطلب اللطف
الخفي بالمجاهدة وبالثالث بالكفاية عنه واما ترتب الحمد على التسمية مع انه
ايضا ثناء فلانه لما ذكر الكامل بذاته وصفاته وافعاله عقبها بالحمد ليكون على

حقه رر

الجمع



الجمع بعد معرفة المحمود وجهات حمده وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم ان
الاولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها او خاصها بحسب
الاستعداد الحاصل بالتعلق **الحمد لله** الحمد ذكر اللسان بكمال ذي علم
وهو ما يرفع حال الشيء ذاتيا كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه
عن النقائص او وصفيا ككون صفاته كاملة واجبة او فعليا ككون افعاله
مشتملة على حكمة واكثر تعظيماله اثره على المدح الذي هو ذكر اللسان كمال الشيء
ذا علم اولا لان الكمال الذي لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالا مطلقا ويقابله الذم
وعلى الشكر وهو مقابلة الانعام بالتعظيم ذكرا باللسان او اعتقادا او خدمة
مع صرف النعم الى ما انعم لاجله لانه وان عم جهات الشاكر قصر عن احاطة
كمالات المشكور اذ لا تعلق له للازمة ويقابله الكفران وعلى الثناء الذي
هو ذكر الاوصاف كمالات او نقائص ولام الحمد للجنس والجارة للاختصاص
فتخص حقيقة الحمد به فيدخل فيه حمد الحق لنفسه وحمده للخلق بانهم مظاهر ذاته او
اسمائه او صفاته او افعاله وحمد الخلق للحق وحمد الخلق للخلق بما اطلع الله بعضهم
عليه او افاض على بعضهم من صور كمالاته او اثارها ولا يرجع اليه المذام اذ لا ذم
في الافاضة وانما هو في الاتصاف بالمذموم على انه افاض الجزئيات والشرور
لعوارض تقتضيه الحكمة فهي برعايتها محمودة هناك ايضا وللقصد الى تعميمه لم
ينسبه الى حامد فلا نقول حمدت او احمد لا لبيان انه كان الاصل عدل عنه
للدلالة على التعميم والثبات وحمد الشاهد نفسه انما قبح لما فيه من تهمة الكذب
والكبر بغير الحق وتزكية النفس مع ما فيه من ذل العبودية وعيوب وافات
وكماله من غيره لذلك قبح له التكبر ولا يتصور شيء من ذلك في حق الله تعالى
فلا يقبح منه مع ان فيه تنبيها على عجزهم عن حمده الا ان يقلدوه اجمالا فيحمدوه
به تقربا اليه لينالوا به الدرجات والكمالات او لانهم لما عجزوا عن شكره لامتناع
احاطتهم بنعمه حمد عنهم ليغفر عليهم نعمه ويزيدهم من فضله وذلك ان النعم وهي

ونقابلها خ

ما تطلب وهو ثمرة حقيقته هي السعادة الابدية وما يوصل اليها من فضائل النفس
ومرجعها الى الايمان المنقسم الى اعتقاد واقرار وعمل وحسن خلق فلا يقدم
على مقتضى شهوة او غضب الا بمراعاة العدل وفضائل البدن المتممة لها وهي
الصحة والقوة والجمال وطول العمر ومتممها اربعة خارجة هي المال والاصل
والجاه وكرم العشيرة ولا ينفع الا باسباب يجمع بينها وبين الفضائل النفسية
ثم الهداية معرفة طريق الخير والشر بالعقل والشرع وثمرة المجاهدة تؤدي تشرف
في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ومن الرشد الباعث الى جهة السعادة
ومن التسديد تيسير الحركة الى صوب الصواب في اسرع الاوقات لمساعدة
الاسباب ومن التاييد تقوية امره بالتبصرة من داخل ومساعدة الاسباب
من خارج فهذه ستة عشر اولها الصحة ولا يمكن استقصاء اسبابها فمنها
الاكل وهو لكونه فعلا حركة يفتقر الى جسم ذي قدرة وارادة وعلم فلنذكر اسبابه
فالنبات بما فيه من قوة جذب الغذاء بعروقه اكمل من الجماد لكنه يعجز عن طلب
البعيد اذ لا طلب معرفة له ولا انتقال فاعطي الحيوان الحواس واولها اللمس
ليحس بنار وسيف فيهرب لكن المقتصر عليه كالدود يعجز عن الهرب عما بعد وطلبه
فخلق الشم لادراك الرائحة فربما يطوف الجوانب ولا يعثر على الغذاء فخلق البصر
ليدرك البعيد وجهته لكن لا يدرك المحجوب فيعجز عن الهرب الا بعد قرب العدو
فخلق السمع وخلق لمعرفة الغائبات الكلام المنظم من الحروف ثم خلق الذوق
لمعرفة حال الغذاء الواصل ثم الحس المشترك ليتأدى اليه المحسوسات ليدرك
المرارة والصفرة مما اكله مرة من المتصف بهما ثم خلق الشهوة للحركة الى الملائم
والكراهة للهرب عن الضد والغضب لدفع ما يضر لئلا يوخذ عنه ما حصله
من الغذاء والباعث الديني لمعرفة العواقب والرجل آلة للطلب والهرب
واليد للاخذ والفم لايصال الطعام الى المعدة والطاحنة وهي اللحيان
المركب عليهما الاسنان ليسهل ابتلاعه واللسان ليحركه ويذوقه وينطق واللعاب

لتعجنه والمري والحنجرة ليدفعه الى المعدة التي لا بد منها فتنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبخ
وتنضغط حتى ينقلب الطعام فيهوي الى المعدة ثم يطبخ فيها الى ان يتشابه اجزاؤه
كماء الشعير من حرارة الكبد والطحال والرئة ثم ينتقل من مجاري العروق الى
الكبد فيصير كالدم فيتولد منه سوداء كالدردي تجذبها الطحال من عنقه الممدود
والصفراء كالرغوة تجذبها المرارة كذلك فيصفي الدم مع زيادة رقة ورطوبة
لما فيها من مائية تجذبها الكليتان بعد الطلوع من عروق دقيقة ثم ينقسم العروق الى
البدن حتى تصير شعرية ثم تقذف المرارة بقية اخرى الى الامعاء ليحصل به رطوبة مزلقة
لثقل الطعام وفي الامعاء لدغ للدفع والطحال يحيل فضلته فيحصل فيها حموضة وقبض
ثم يرسل منها الى فم المعدة ليحرك الشهوة ويخرج الباقي مع الثقل واما الكلية
فتغتذي بما في تلك المائية من دم ويرسل الباقي الى المثانة ثم لا بد مما كوله من اصل
يحفظه لئلا يتلف فيبقى جائعا فلا بد من تتمته ليعم حاجاتك فخلق فيه قوة التغذية
ولا بد لها من ماء ممزوج بتراب وهواء ولا بد للهواء من ريح تحركها بعنف
حتى ينفذ فيها فينفع الازدواج بين الثلث ولا بد من حرارة الربيع او الصيف
اذ يضره البرد المفرط ثم الماء يحتاج في انسياقه الى ارض الزراعة الى بحار
وانهار وعيون وسواقي ثم لا بد ترفع الى الاراضي المرتفعة فخلق الغيوم وسلط
عليها الرياح وخلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدريجا لئلا يغرق البلاد
ولا بد للحرارة في وقت الحاجة من تسخير الشمس تسخن الارض وقتا دون وقت
ثم النبات ان ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فلا بد من
رطوبة تنضجها فسخر القمر وكذا كل كوكب في السماء مسخر لفائدة ثم ذلك الا بحركات
الافلاك وهي بالملائكة فمنهم ارضية وكلهم الله بك فلا يتغذى جزء من بدنك الا
بسبع ملائكة فاكثر لان معنى الغذاء قيام جزء من الطعام مقام ما تلف فلا بد من
ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم او العظم اذ لا يتحرك بنفسه وثان يمسكه
وثالث يخلع عنه صورة الدم ورابع يكسوه صورة اللحم او العظم وخامس يدفع

الفاضل وسادس يلحق الجنس الى الجنس وسابع يعطي المقادير بلا تشوه
الصورة وبعض الاجزاء كالعين والقلب يحتاج الى اكثر من مائة ملك وبعدهم
ملكة السماء وبعدهم حملة العرش ثم ان الله تعالى ربط قوام الاعضاء وقواها
ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الى القلب يسري في جميع البدن بالعروق
الضوارب وهو الروح الحيواني وهو كنار السراج والقلب مسرجة والدم
الاسود فتيلة والغذاء زيته والحيوة ضوءه وهو غير الروح الالهي والمنعم
بالكل هو الله لا شريك له فهو المشكور دون الوسائط فمن راى للوزير والوكيل
دخلا في انعام الملك لم يتم له شكره وانما يتم لمن يراهما كالقلم والكاغذ وكذا سائر
الاسباب سخرها الله تعالى حتى ان من اوصل نعمة الملك فهو مضطر بما سلط عليه
من الارادة والقى في قلبه ان في اعطائك له نفعا فينبغي ان يكون فرحك بالمنعم
لترقي الى درجة القرب منه والاستدلال به على عنايته ليرجى ثوابه ثم انه ينبغي
ان يقصد به الحمد ويضمره للكافة ويظهر شكره باللسان والجوارح باستعمالها في
طاعته فمن استعملها في معصيته فقد كفر بانعمه ثم لا ينبغي ان يرى الشكر من نفسه بل
من ربه فهو الشاكر وما وقفت دونها فهو الكفور ونسبته الى الاول محبة والى ضاحك
رضى والى الثاني كرامة والى صاحبه لعنة فاشار الى السعادة الاخروية بالانعام
والى الفضائل النفسية بالتربية والى الفضائل البدنية والخارجية بالرحمة والى الاسباب
الجامعة بالعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والى جر المنافع
ودفع المضار بالشهوية والغضبية بالرحمة والى التعديل بمالك يوم الدين والى الملكوت
واعطاء القوى بالتربية والى ارتباط كل من العلوية والسفلية بالاخر وربط البدن
والقوى بالبدن برب العالمين والى ان المنعم بالكل هو الله بالحمد لله والى المحبة والرضا
بالانعام والى الكرامة واللعنة بالغضب وقدم الحمد في مقاصد الكتاب للاشعار
بانه اعظم مقاصد انزال الكتب وارسال الرسل وتكليف العباد وخلقهم وانه
مقدمة كل خير ومنتهاه ولا مرام قال اللعين ولا تجد اكثرهم شاكرين واقسم الله تعالى

والمشكور يخص الحمد من كل وجه كمن من نعل علي يديه ما تعلق به الحكمة فانها فهو الشاكر صح



لاسيما بالمزيد فقال لئن شكرتم لازيدنكم وقدم المبتدا لانه اسم يعد معرفة
المنعم في التسمية مع ان تاخره يشعر بانه المرجع ولا حاجة الى تقديم الخبر
للاختصاص لحصوله من لامي التعريف والجر واظهر اسم الله بعد ذكره للاشعار
بان اقتضاء الحمد باعتبار ظهوره وحذف الخبر واقيم الظرف مقامه فكانه
جمع بين الحذف والذكر المتنافيين ثم ان قدر فعلا دل على التجدد والاسمية
على الثبوت ففيه ايهام الجمع منهما من وجه آخر وان قدر اسما ففيه ايهام الجمع
بين المثلين لانه مشعر بالثبوت المحض من غير تجدد فكانهما ثبوتان وذكر المسند اليه
لانه الاصل مع التلذذ بذكره بكونه ناشيا من النعم منشا للمزيد مع تلذذ بذكر
المنعم ففيه ايهام الجمع بين المثلين من وجه آخر رب العالمين الرب المالك
فلا نعتق عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالانعام فله الحمد من جهة استيلائه
وتفضله او السيد الذي علت رتبته فله اعلى المحامد لعلوه وباعلائه العبد بانعامه
عليهم او الخالق فله اتم المحامد على كمال افعاله وصفاته التي توقف عليها وانعامه
قبل الاستحقاق او المربي وهو المصلح او المدبر بتبليغ الشيء اعلى مراتبه كجعل النطفة
علقة ثم مضغة ثم اعضاء مختلفة ثم افاضة الروح عليها واعطاء كل عضو قوة تليق
به ثم تكميله بالشريعة والطريقة والحقيقة فله اجمع المحامد والعالم ما يعلم به الخالق من
المحدثات جمع ليشير الى توحيده وعموم قبضه واستيلائه جمع العقلاء ليشير الى انهم
المقصودون بالذات ثم انه اضاف الحمد اولا الى الذات الجامعة للكمالات ثم
الى الربوبية التي بظهور نور الوجود ثم الى الصفات الظاهرة في المظاهر بصورها
او آثارها لما رتب عليها من الجزاء وفي رب العالمين باعتبار اشارته الى ما
ذكر ايجاز وايراده بعد الاسم الجامع اطناب ففيه ايهام الجمع بين الضدين وهو
كالخاص بعد العام والرحيم خاص بعد الرحمن ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه
صفة موضحة باعتبار ان العوام انما يعرفون الله بالعالمين ومادحة باعتبار
ان الخواص انما يعرفون الاشياء به ففيه مع جعل المعرف معرفا ايهام الجمع بين

المعنى الحقيقي والمجازي للوصف ثم ان العالمين معرف بلله في حق العوام فهو اعرف
وقد عرف بلام التعريف ففيه ايهام تحصيل الحاصل ثم ان من الاسمآء علة الحمد
والحمد علة ظهورها لانه يلي للحمد ففيه ايهام علية الشئ لما هو معلوله وفي الاضافة
تعظيم المضاف بان له الاستيلاء على الكل والمضاف اليه بان له هذا الرب
الكامل النزهة والمهابة لايليق بغيره والعالمين جمع عالم وهو جمع في المعنى فهو مع كونه
نوعه اشارة الى جمع الجمع الرحمن الرحيم قد مر ان رحمن التسمية ذا ايتان
وهاتان وصفيتان وقيل هناك لتسكين هيبة الله وهنا لترجية العابدين
المخوفين بمالك يوم الدين اذ لابد للعبادة الشاقة من فائدة الرجاء وتابع
الخوف احديهما لتسكين هيبة العوام وترجيتهم والاخرى للخواص ويمكن ان يشار
بذلك الى انهما كما وقع بهما الابتداء يقع بهما الانتهاء فتعذيب الكفار رحمة
للابرار بالانتقام من اعدائهم واعطائهم منازلهم من النار واقدامهم منازلهم
من الجنة او الى انهما كانتا مبدأ للحمد العامة للعام والخاصة للخاص فهما منتهاه
كذلك او الى ان الحمد وان كمل فلا يكافي النعم السابقة عامة او خاصة فلا يوجب
المزيد الا بجعل الرحمن اياه موجبا له العامة للمزيد العام والخاصة للخاص او
الى انه كما انقسمت رحمة الدنيا الى عامة ايجادية وخاصة تفضيلية تنقسم رحمة الآخرة
الى عامة نجاتية وخاصة تقريبية او الى انه تعالى كما رحم اولا بذكر اسمائه رحمة
عامة او خاصة رحم ثانيا بالعبادة العامة او الخاصة او الى ان العامة الدنيوية
انما نشأت الجنة لوقوعها بين الجلال والجمال والاخروية وقعت بين الجمالين او
الى ان الرحمة علة بلا واسطة الا ان يكون الخاصة واسطة للعامة وللعبادة
بواسطة مالك يوم الدين العامة للعامة والخاصة للخاصة والحمد ثم تقربا
اذ هو المقصود من العبادة المقصودة من خلق المكلفين المقصودين من
خلق العالم مالك يوم الدين بالالف عاصم والكسائي والباقون بغيرها
والمادة للربط والشد فمالك الشئ من اشتد ارتباطه به بان يستقل بالتصرف

فيه لو كمل رايه ولم يتعلق به حق الغير بعينه فالوكيل والولي ليسا بمالكين لعدم استقلالهما
والصبي والمجنون ما كان امتنع تصرفهما لقصور رايهما والراهن مالك امتنع تصرفه
لتعلق حق المرتهن بعينه بخلاف الموجر لان حق المستاجر انما تعلق بالنفع والملك
من اشتد ارتباط الخلق به بقدرته على حفظ مصالحهم ودفع مفاسدهم ونفوذ
امره ونهيه فيهم ثم منهم من اختار المالك لانه يعم تعلقه بالناس وغيرهم وكماله
قدرته على المملوك لتمكنه من بيعه وهبته ومزيد علوه على العبد فوق نسبته
لامتناع خروج العبد من ملك السيد وعدم وجوب رعاية العبد على السيد
ووجوب خدمة العبد له وعدم استقلال العبد بدون اذنه والعبد يطمع
في المولى والملك في الرعية والملك عدل وانصاف وهيبة وسياسة والعبد
يرجو من مولاه العفو والنزهة ولمولاه عليه رفق ورحمة ونحن الى العفو والنزهة
والرفق والرحمة احوج منا الى الهيبة والسياسة والعدل والانصاف و
الملك اذا عرض عليه العسكر رد الضعفاء والمالك يعين عبده المريض وحروف
المالك اكثر فيكثر ثوابه ورد بان الملك انما امتنع تعلقه بغير الناس لعدم
تعلقهم بامره ونهيه والائمة كسليمن عليه السلام وبان للملك استيلاء على الاحرار
والعبيد والعلو على الحرائر وان لم يكن له عبد ويمكن للرعية الخروج عن ولاية
الملك اذا لم يعم ولايته وقد عمت هنا اذا اضيف الى الكل ويمكن للعبد الجزئي
الخروج عن ملكه بالهرب الى دار الاسلام بل يمكنه قهر مولاه واسترقاقه اينما
كان والعبد يطلب النفقة والكسوة من سيده وهو اشد من رعاية الرعية
وتجب عليهم امتثال امر الملك وهو خدمة ويستقل العبد بالاكتساب والاتهاب
ولا يستقل الرعية باخذ الحقوق في مكان الفتن ولا باقامة الحدود والاقتصاص
والمولى يطمع في احوال العبد ويعدل بين عبيده وينصف منهم وله عليهم
هيبة وسياسة ويرجى من الملك العفو والنزهة وله رفق ورحمة في ضعفاء
الرعية ونحن في التمدن احوج من الهيبة والسياسة وهو يعطي الضعفاء من

ماله الصدقة وتخلص الرعية من الاعداء والثواب انما يكثر بكثرة الحروف
لو لم يكن الاقل اشرف منه ومنهم من اختار الملك لان كل ملك مالك ولا امر
الملك ينفذ على المالك بلا عكس فيهما وسياسة الملك اقوى والف مالك لا تقاوم
ملكا ومالك الملك اكثر وتكثر ملاك بلد دون ملكه والرب بمعنى المالك فيتكرر
والملك من جملة الاسماء التسعة والتسعين وليس فيها المالك نعم فيها مالك
الملك وقد تمدح به في القران دون مالك الملك بالكسر والملك هو المذكور
في اخر القران والختم انما يكون بالاشرف وتجب على الكل طاعة الملك لا المالك
الا على عبده ورد بان الملك انما يعم المالك لو لم يضف الى الكل والامر
انما ينفذ في مالك لم يشمل ملكه وسياسة المالك لكونها عن مضمونه اقوى وانما
تفاوت الملك لمن لم يعم ملكه واطلاق المالك على من قل ملكه لا يجعله ادنى مطلقا
بل اذا كان كذلك وانما تكثر ملاك البلد حيث لم يشمل ملك الواحد ولا باس
بذكر الخاص بعد العام وليس كل ما في الاسماء التسعة والتسعين اعلى من كل ما
خرج منها وذكر مالك الملك يستلزم ذكر المالك لانه اذا ذكر المقيد كان المطلق
مذكورا في ضمنه والتمدح بمالك الملك تمدح بمالك الملك اذا عم بالطريق الاولى
وذكر الملك في اخر القران انما يفيد الشرف لو لم يكن في تخصيصه فائدة اخرى
مع ان رتب السور غير منزل واذا عم ملك المالك وجب على الكل طاعته
ولو صحت الادلة كان لكل ترجيح من وجه واليوم ما بين طلوع الفجر الصادق
الى غروب الشمس وقد يراد به مجرد الوقت ويوم الدين يوم القيمة ما بين النفخة
الثانية الى استقرار اهل الجنة والنار فيهما والدين الملة اي ظهور نفع ملة
الاسلام او حقيتها للكل او الانقياد اي انقياد الكل لله او الجزاء او القضاء
او الحساب او السياسة واللام على الاول للعهد وعلى البواقي للاستغراق
اذ لا يعهد بما تقدمه وما تشتهر في الملة فان اريد غيرها فتقديرية او تجوز فان
كانت الاضافة بمعنى اللام واريد باليوم ما فيه فمجاز وان كان بمعنى

في فهو ظرف للمالكية وقد قصد احاطتها فكانها ظرف لظرفها ثم الاضافة
بمعنى في اما على معنى مالك الامر كله يوم الجزاء فالامر ان كان موجودا
دخل في الكل فقد اضيف ظاهرا او باطنا جميعا واما على معنى مالك اليوم المحيط
بما فيه فيجعل كناية عن مالكية ما فيه لان الغالب ان المظروف ملك مالك
الظرف ثم اضافة المالك للاختصاص فهو اشارة الى انه وان وقع في
ذلك اليوم امور كثيرة فالمقصود منها الدين وقد فهم ذلك من تخصيص هذا
الاسم من بين سائر اسماء يوم القيمة ففيه اجتماع المثلين بل ثلثة ثم اضافة المالك
الى اليوم لتعظيم المضاف بظهور احاطة مالكيته او المضاف اليه بانه بلغ في
كمال رفع اللبس بحيث لم يبق فيه وهم شركة الغير ثم اضافة اليوم يتضمن
تعظيم اليوم ففيه تعظيمان فهو ايضا يوهم اجتماع المثلين من جهة اخرى ثم
ان اريد بالدين الاسلام ففيه تعظيم المضاف اليه بان له يوما خاصا يظهر
فيه كمال نفعه وان اريد غيره ففيه تعظيم المضاف اليه بانه الذي يعتد به دون
ما تقدمه ثم المالك مضاف الى المستقبل فان اريد به الاستمرار مع العدم في
الماضي والحال وان قصد به الماضي والاين مستقبل ففيه جمع بين الماضي و
المستقبل وهما ضدان في الظاهر ومثلان في الحقيقة اذ المراد باسم الفاعل
الماضي والمستقبل ايضا ثم مالك صفة توضح اذ تظهر به حقية الالهية لانه يرفع
توهم عجزه او جهله او رضاه بالقبيح او صفة مدح علل به الحمد لانه انما يتم
بالجزاء على الابتلاء والاخذ من الظالم فكانه علة لنفسه وترتب مالك يوم الدين
على الرحيم لان الرحمة الخاصة بالحقيقة هي السعادة الابدية التي تكون يوم
الدين وعلى الرحمن بواسطة لان العام انما هو ثوابه لا صلاح باطنهم وظاهرهم
ليرحموا بهذه السعادة ان تاثروا بها فكانت رحمة عامة موصلة الى الخاصة
لمن تاثر وقد قصد في حق من لم يتاثر ايضا وعلى الربوبية بواسطتها لانها
انما يتم بالاصلاح المذكور يفضي الى السعادة الابدية فالاصلاح رحمانية والا

الى السعادة رحيمية وعلى بسم الله بواسطة الثلثة لان الهيبة انما تظهر بهذه
التربية التي انما تتم بالرحمتين اللتين تمامهما بالجزاء ووجه استحقاق الحمد على صفة
المالكية انه يظهر به فضل الخالق باعطائه على كلمة واحدة او عمل ساعة ما لا نهاية له
من الثواب الابدي وعدله اذ لم يجاوز في الجزاء ما ناسب الافعال والاعتقادات
وحكمته بالتفرقة بين المحسن والمسيء بالانعام الصرف والانتقام الصرف والجزاء
مصلح للظاهر والباطن دافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه
تم التمدح وقيل حمد اولا باعتبار الالهية المقتضية للوجود ثم بالربوبية
المقتضية للاعراض ثم بالرحمانية المقتضية اسباب المعاش ثم بالرحيمية المقتضية
اسباب انتظام المعاد ثم بالجزاء المرتب على اخلاصه او الاخلال به وقيل
في ايراد الاسماء الخمسة في الفاتحة ان العبادة مقتضى الالهية والاستعانة
مقتضى الربوبية وطلب الهداية مقتضى الرحمانية والاستقامة مقتضى الرحيمية
والانعام مقتضى المالكية عند الاستقامة كما ان الغضب مقتضاها عند الاخلال
بها ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ايا ضمير منفصل منصوب المحل واللواحق
لبيان حاله ولا محل لها عند سيبويه والفارسي وضمائر معه اضيف اليها عند
الخليل والاخفش والمازني وعند الفراء هي الضمائر وايا اعتماد وعند
الزجاج والسيرافي ونقله ابن عصفور عن الخليل اسم ظاهر بمعنى النفس وعند
سائر الكوفيين الضمير المجموع والعبادة تذلل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه
تخرج التسخيري والسجود والقيام والاختيار لنوع تعظيم والاستعانة طلب المعونة
ما فيه استطاعة قدرة على الفعل او تيسر له او ترغيبها اليه او حثا عليه والسر
في العبادة وجوه الاول انه تعالى لكمال ذاته وصفاته وافعاله يقتضي ان
يتذلل له من لا يخلو عن نقص لغاية تعظيمه رعاية للحكمة الواضعة كل شيء موضعه
والثاني انه تعالى منعم على الانسان بغاية الانعام اذ جعله مختصر الحضرة الالهية
بما افاض عليه من الوجود والحيوة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر



والكلام ومختصر العالم لانه بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كالعناصر
وبالتركب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتخيل والتوهم
والتلذذ والتألم كالحيوان وبالمراة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك
وباجتماع الحكم فيه كاللوح المحفوظ وبما تثبت بكلامه صور الاشياء في القلوب
كالقلم الاعلى فلا بد ان يشكره بصرف نعمه الى ما خلقها من اجله وقد اعطى
العقل للمعرفة والالات الجسمانية لتكشف الجوارح بهذه العبادة الحافظة
للمعرفة بتهيئة لتكميل ملكية بمساعدة اعمال البدن اعمال القلب لارتباط بينهما
فالانسان مخلوق للمعرفة والعبادة فلو اخل بشيء منهما لم يكن انسانا بالحقيقة ولما
عارض العقل في ذلك الوهم والخيال ايد بالشرع فلو فقد عجز العقل عن ادراك
اكثر العلوم فالعقل بصر والشرع شعاع الثالث ان الانسان يفتقر في تعيشه
الى معاونة ومعاملة لا يتم الا بالعدل ولا يتفق عليه ما لم يعلم كونه من الله تعالى
ولا يتم الا برجاء الثواب وخوف العقاب ولا يتم ان الا بما يذكر الاله على
الشكر والذكر القلبي انما يتم بافعال الجوارح الرابع ان الكمال الانساني
ان يتجلى مرآة قلبه فيحاذي شطر الحق ويلحق بافق الملئكة والاتراكم الخبث على
مرآة القلب باتباع الشهوات المظلمة فيلحق بافق البهائم ولا يتجلى الا بالمجاهدة
وهي بالعبادة القامعة ظلمات الاشرة التي هي امراض القلب المولمة عند مفارقة
البدن فالعبادات ادونها تنور القلب بالمشاهدة وتشرف اللسان بالذكر
وتزين الاعضاء بالخدمة وهي وان كانت تذللا في الظاهر فباطنها عز وتجمل
ويكفي في ذلك انها اشتغال بالحق وفيه كمال لذة العارفين به تقر اعينهم وتسر
قلوبهم وتريح ارواحهم والسر في الاستعانة من وجوه الاول ان العبادة
وان كانت كسبا للعبد فهي بخواطر لا يشعر بها العبد قبل وقوعها فهي باحداث
الله تعالى وكذا العلم بنفعها وضرها ولا يلجئ الى الفعل ما لم يكن راسخا ولا قدرة
للعبد في ذلك فهو بعون الله وانما هي في الغالب للمستعين به الثاني ان العقل

يختار الاصلح في العواقب وان كان فيه مشقة ومؤنة في الحال والهوى يؤثر
ما يدفع الاذى في الحال ويعمى عليه العواقب فيتنازعان ويكون الترجيح غالبا
لجند الهوى لسبقه واستيلائه بمملكة القلب فلا يمكن ازعاجه الا بعون الله
الثالث العبادة لا تتيسر الا بدفع العوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس
ودفع العوارض الرزق والاخطار والمصائب وانواع القضاء ودفع
القوادح الرياء والعجب وغيرهما وتحقيق البواعث الخوف والرجاء وكل ذلك
عقبة مخافة ولا يتيسر قطعها الا بعون الله وتوفيقه وقدم العبادة لانها وسيلة
والاستعانة حاجة على ان اهم ما يستعان له اتمام العبادة واتمام الشيء يشبه
عواقبه فاتم سببه مقامه وفيه اشارة الى انه انما يعين العابد اذا استعان به
وانه لا بد من الاستعانة به فيها وفي جميع الاحوال وترتب العبادة على مالك يوم
الدين لانها ان كانت لطلب الثواب والهرب من العقاب فلا تكونان الا يومئذ
وان كانت لمشاهدة الرب فلا تتم الا هناك وترتب الاستعانة عليه لانها اما
لخوف تلف الثواب او انقلابه سببا للعقاب او لخوف الحجاب ولو
بالعبادة عن المعبود وانما يتم رفعه يومئذ وعلى الرحمن الرحيم بواسطة لانها
شكر النعم السابقة ليصيرها سببا للمزيد الى الابد وذلك بالاعانة المستمرة الى ذلك
اليوم وعلى رب العالمين بواسطة الكل لان الربوبية تستحق العبادة سيما اذا
رحم سيما اذا رتب عليه الجزاء والاعانة حق الربوبية نظرا الى رحمته بالمستعان
به خوفا من تلف النظام يومئذ وعلى الله بواسطة الكل لانه انما يستحقهما لاجل
الربوبية وسواهما ثم بما بعدهما وتقديم اياك للتنبيه على عظمة الله ليعبد على الحشمة
فلا يلتفت يمينا ولا شمالا وكان الابتداء بذكر المعبود اولى من الابتداء بصفة
العبد وهي العبادة والاستعانة وكتقدم الواجب على الممكن وليسهل بمعرفته
تحمل اثقال العبادة ويستعد لها بالبصيرة فلا ياخذه الكسل والغفلة او ليفيد
الاختصاص لاختصاصه بغاية العظمة وكمال القدرة والانعام التام والجود

العام وانما خاطبه بعد الغيبة لانه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد
ذكرها فكان في حكم الغائب قبل ذكرها والمشاهد بعدها ولانه كان اولا ذكرا
منكرا ثم صار واصلا ولان الثناء محبة وهي في الغيبة آكد والعبادة خدمة وهي
في الحضور اتم وتوهم نعبد للجمع ان قرأ في الصلوة جماعة وان قرأ فيها منفردا
فمعه الملئكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره سعيا في حقه او دلالة على انه
واحد من العباد تنبيها لئلا يتوهم ادعاء التفرد بها واستقصارا لذكر عبادته وحده
من غير ان يضمها الى عبادة اخيه او ليورد العبادات موردا واحدا لئلا
يتنوع قبولا وردا او ليشعر بتعظيم نفسه عند التذلل له لئلا تستنكف عنها
وتجري في نحوه نستعين بعض هذه الوجوه وفصلت الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع
لان ما قبلها يتعلق بالله وهذه بالعبد او لكمال الاتصال لانها كبيان لما تقدم لان الثناء
ايضا عبادة وكذا جملة اهدنا عن نستعين لان طلب الهداية استعانة مع ان
جملة اهدنا انشائية وجملة نستعين خبرية وكلاهما متردد بين كمال الانقطاع
وكمال الاتصال وكرر اياك لئلا يتوهم انه يستعين بالعبادة بل بمجرد الفضل
الالهي ولم يقل لك نعبد لئلا يتوهم انها تفيده شيئا ولم يقل بك نستعين لئلا يتوهم
جعله آلة متوسطة بينه وبين ... ولم يقل لا نعبد الا اياك مع انه مصرح بالنفي
اشعارا بعلة الالتفات بالمنفي مع انه ايجاز وانفصال الضمير اطناب
فيتوهم الجمع بينهما ولم يقل عبادي لك اشعارا بوقوع العزة فيها ولا اياك عبدت
لئلا يتوهم الفراغ عنها ولم تؤكد العبادة اشعارا بضعفها ولا المسند اليه اشعارا
بنقص عبادتهم حتى يجوز ان يتوهم فيهم انهم ليسوا بعابدين وكذا الفعل اشعارا
بانهم وان قصروا في العبادة لا يعبدون غيره ثم الاستعانة تذلل كالعبادة
فيتوهم اجتماع المثلين وطلب الهداية ايضا استعانة ولم يذكر اشياء من المتعلقات
ولا من التعليلات ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن او ليجعل كناية عن
اي متعلق فرضا ولم يقل اعنا كما قال اهدنا ليشعر ان الحاجة بالحقيقة طلب الهداية

وذكر الاستعانة كالاستجازة في طلب الحاجة اولا. اهدنا الصراط المستقيم
الهداية الدلالة وتذكر الاستعانة بلطف اما بالهام كمص الثدي والتبكي
بالبكاء او بافاضة المشاعر الظاهرة والباطنة او ببديهة العقل او الدلائل
النظرية او بارسال الرسل وهي اما عامة تعريف طريق الخير والشر وهو اما
ببيان شرح ما جاؤا به بحيث لا يتطرق اليه الاحتمال ويدخل فيه الابتلاء
واما توفيق وهو الاخذ والتمسك بهدى الانبياء الذي يوصل الى السعادة
الابدية والاصطفاء اما الى الجنة واما الى الحق واما خاصة اشراق نور
في عالم النبوة او الولاية تكشف عين الاشياء على ما هي عليه اما من الله قل ان
هدى الله هو الهدى او الى الله اني ذاهب الى ربي سيهدين او بالله لولا
الله ما اهتدينا او اخص ما يمد به العبد حالا فحالا ويعدى بالى اذا اريد
الايصال الى الطريق وباللام اذا اريد وصف الطريق وبنفسه اذا اريد
تيسيره فيه الى ان يقطعه ويصل الى المقصود والصراط الطريق الواضح واصله
السين سمي به لانه يسترط السابلة اي يبتلعهم وكانه يشير الى انه من عظمته
انه بحيث لا يظهر لسالكه وان بلغوا المبلغ الاقصى بذل وسعهم فيه والمستقيم
ما لا يميل الى جانب وهو ان ياخذ بالاوساط في الاعتقاد بان لا يقول بنفي
الصفات ولا باثباتها على نهج التشبيه ولا بالجبر والتفويض ولا بنفي الرؤية
ولا بثبوتها على وجه التشبيه برؤية الاجسام والاعراض ولا بنفي الكلام النفسي
ولا يجعله نفس العبارات الحادثة وفي الاخلاق بتهذيب الناطقة
عن الجربزة استعمال الكلام فيما لا ينبغي والغباوة تعطيله وتهذيب
الشهوة مبدأ جذب المنافع ودفع المضار عن الخلاعة الوقوع في
ازدياد اللذات على ما ينبغي والخمود السكون عما رخص فيه شرعا وعقلا
لتحصيل العفة صرف الشهوة الى مقتضى الناطقة ليسلم عن عبادة الهوى
وتهذيب الغضبية مبدأ الاقدام على الاهوال والتسلط والترفع عن

التهور

التهور الاقدام على ما لا ينبغي والجبن الخوف عما ينبغي لتحصيل الشجاعة انقياد
الغضبية للناطقة ليكون اقدامها واحجامها على حسب الروية من غير اضطراب
والمطلوب تكثير الادلة او امتثال جميع اوامره ونواهيه عز وجل او تمييز الطرق
الموصلة اليه او تحصيل الفضائل او الرتب العالية او الثبات على ما هو عليه من حملتها
الدعاء بذلك لانه الحكمة التي هي خروج النفس من القوة الى كمالها الممكن علما وعملا
لا تخص اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا من فضائل الدين على ما اتفقت الملة والفلسفة
عليه وللدعاء تاثير تواتر عن الانبياء والاولياء والحكماء حتى قيل الدعاء لاستجلاب
المطالب كالفكر لاستجلاب العلوم واورد صيغة الامر للاشعار بجزم الطلب
واظهار الرغبة وليس بامر حقيقي لانه تذلل وكان من تذكير الساهي وحمل البخيل
على الجود لان الحكمة قد تقتضي منع الطالب اذا لم يتذلل ولا ينافي الرضا بالقضاء
لانه قد يكون رضى الله في وقوعه بعد التذلل والجزم في طلبه ويجوز ان يشترط وقوعه
في علم الله ولم يجعله ماضيا لانه يشعر بالتحقق المنافي للابتهال والتضرع واورد
اهدنا لانه تعلق الجمع من يستحق الاجابة ولا يليق بالكريم رد البعض او لانه لما ذكر
حمدهم وعبادتهم واستعانتهم دعا لهم ولم يقل واياك نستهدي لان ظاهره يحتمل
الكذب ولم يعتبر ذلك فيما تقدم لتلبسه بهما ولم يقل ارشدنا لان الرشد فوق
الهداية فكانه اعترف بالقصور عن غاية الكمال وان طلب الاستزادة او المراتب
العالية ولم يقدم المفعول قصدا الى التخصيص لان الاضافة البيانية انما يليق بها لتلبس
فيه الموصوف بغيره والاستعانة انما هي وصف الصراط المستعار من الطريق المحسوس
الموصوف بصفة ترشيحا ولم يقل بنون التاكيد لان كامل الرحمة لا يحتاج الى تاكيد
طلبها منه على انه كرر الصراط ثلث مرات بابداله الصراط وغير المغضوب عليهم وقدم
الهداية على الاستعانة لان الهداية استعانة خاصة وعلى العبادة بواسطتها لانها
تفيد الهداية اذا تمكنت بالمجاهدة المفتقرة الى الاستعانة وعلى مالك يوم الدين
بواسطتهما لانه انما يكمل نفعها يومئذ بواسطة العبادة الكاملة بالاعانة وعلى الرحمن

استعانة

بواسطة الثلثة لانه رحم بالهداية العامة والخاصة بواسطة العبادة والا
من خوف يوم الدين وعلى رب العالمين بواسطة الاربعة لانه انما ربى
بالهداية بواسطة رحمته بالعبادة والاستعانة من خوف الجزاء وعلى الله
بواسطة الجميع لانه لا علقة له بالعالم سوى الربوبية فاذا تعلق رحمة وكل رحمة
باصلاح الاعتقادات والاخلاق والاعمال من التخويف بالجزاء الداعي
الى العبادة والاستعانة صراط الذين انعمت عليهم قد مر ان النعمة
ما يطلب ويؤثر والحقيقية هي السعادة الابدية والمجازية ما يوصل الى الثاني
والمنعم عليهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون فالنبي انسان كمله
الله تعالى بلا واسطة تربية بشر بل بنفث روح القدس فهو في القوة النظرية
الجلي فيها صور الاشياء بحيث لا تتطرق اليها الغلط والعملية جعلت ملكة
تسدده بها على اعمال صالحة منزهة عن اللذات البدنية مرغبة في اللذات
الروحية ثم بعثه لتكميل الخلق فيهما وصدقه بمعجزة امر يخرق العادة المشهورة
يظهر من نفس خيرة يدعو الى الخوارق مقرونا بدعوى النبوة وعلى وفقها
يتحدى به من غلب عليهم نوعه ويتعذر معارضته فالامر يعم القول والفعل والترك
كالقران واجراء الماء من الاصابع وترك الطعام مدة مديدة والتقييد
بالمشهورة لانه يعتاد ظهور الخارق من الانبياء والاولياء لكنه نادر
وبالنفس الخيرة للتحرز عن خوارق المتألة لان دلالة الخارق في حقه معارضة
بما تقطع ببطلان دعواه وبالدعوة الى الخوارق عن السحر اذ لا يتاتى للساحر
الدعوة اليها عادة وهو وان خرج بقيد خيرة النفس الا ان شرها ربما لا يظهر
بخلاف المتألة وباقتران دعوى النبوة عن الكرامات وبكونها على وفقها
عمن يقول آية نبوتي ان ينطق هذا الحائط فنطق بانه كذاب وبالتحدي عن
الارهاص وبتعذر المعارضة عما يستعان فيه بخواص الاشياء وبغلبة النوع
كالسحر والطب والفصاحة في عهد موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام اذ لا عبرة

يتحدى الغير وقد يزاد فيه ان يكون في زمن التكليف احترازا من خوارق
الاخرة واشراط الساعة ولا حاجة الى ذلك لخروجها بما مر وقد جرت
سنة الله بخلق العلم الضروري فيمن شاهدها او سمعها بالتواتر بصدق
من ظهرت على يديه وكانت كتصريح النص بنبوته قال الراغب
لكل نبي آيتان عقلية يعرفها البصراء كالانوار الرائعة عليهم والاخلاق الكريمة
والعلوم الزاهرة بان يكون كلامهم راجحا وبان يشفي السامعين
احوال لا يطلب معها بصير معجزة الاعتدادا والثانية معجزة لا بد للقاصر عن
ادراك الفرق بين كلام الله والبشر من طلبها وقال بعض المحققين العاصي
يستدل بالمعجزات على الاعتقادات الغائبة والاعمال الصالحة والكامل
يستدل بكمالهما في شخص على صدقه ووجوب اتباعه اذ الامراض الروحانية
غالبة على الاكثر لنقصانهم في القوتين فاذا راينا من يعالجها ويكمل النفوس
علمنا انه طبيب حاذق ونبي صادق ثم النبوة تعاضد العقل فيما يستقل
كوجود الباري وتبدو ما لا يستقل كالكلام والرؤية والمعاد الجسماني
وبيان تفاصيل الثواب والعقاب على الاعمال وبيان حال افعال
يحسن تارة ويقبح اخرى على ان الاكتساب بالعقل لا يتاتى الا خلاص صناع
النظر ويفوت اكتساب المعاش والصديق من احترز عن الكذب و
المعاريض الا عند الضرورة واخلص فلا يمازجه حظ النفس ولم يتردد
في عزمه واستوى سره وعلانيته وكان له غايات مقامات الدين والشهيد
من تحقق بالمشاهدة قلبه والصالح من طهر ظاهره عن المعاصي وباطنه من الاعتقادات
الفاسدة والاخلاق الردية ويشملهم اسم الولي وهو المقبل على الله بكل
حال وقد يكون له كرامة امر خارق للعادة خال عن دعوى النبوة مقرون
بالتزام متابعته تخرج بالخلو المعجزة وبالالتزام الاستدراج وهو كذلك تكذب
الكذاب كصيرورة العين الصحيحة عوراء بدعوة مسيلمة لتصحيح العوراء

احدهما ظ

تخليصا

ويسمى اهانة وما وقع مخلصا للمؤمنين ويسمى معونة ولا كرامة بدون الايمان
ومتابعة الشريعة فاذا رأيت من يصدر عنه الخوارق غير مستقيم فذا من
تعلقه بالشيطان فانه يعطي الخبيث الخوارق كما يعطيها الله الطاهر بالهام
او من الملئكة قال الامام حجة الاسلام في منهاجه من نعم الله عليهم ان يثني
عليهم ويحبهم ويتوكل امرهم ويتكفل برزقهم ويكفيهم عن اعدائهم ويكون انيسهم
ويعز نفوسهم فلا يرضون بخدمة الملوك لهم ويرفع هممهم عن التلطخ بقاذورات
الدنيا وينور قلوبهم فينكشف لهم من علوم لا يصل غيرهم الى بعضها الا بجهد جهيد
في عمر مديد ويشرح صدورهم فلا يضيق بمحن الدنيا ومصائبها ومؤن الناس
ومكائدهم ويجعل لهم مهابة في قلوب الجبابرة ويجبل الناس على حبهم ويبارك
في كلامهم وانفاسهم وافعالهم واماكنهم ومن صحبهم او رآهم ويسخر لهم البر
والبحر يسيرون في الهواء ويمشون في الماء ويقطعون الارض في اقل
من ساعة ويسخر لهم الحيوانات ويملكهم مفاتيح الارض فحيث ضربوا ايديهم فلهم
فيه كنز وارجلهم فلهم فيه عين وايما نزلوا فلهم فيه مائدة ان شاؤوا ويجعل لهم
جاها عنده يستنجح بهم الحاجات ويجيب دعوتهم ولو اشاروا الى الجبل لزال
ثم يهون عليهم سكرات الموت ويثبتهم على الايمان ويرسل اليهم الروح والريحان
بالبشرى والامان ويخلدهم في الجنان ويعظم ملائكة السموات ارواحهم و
الناس جنائزهم ويزدحمون في الصلوة عليهم ويؤمنهم فتنة القبر ويوسعها
لهم وينورها ويؤنس ارواحهم فيجعلها في اجواف طيور خضر ويحشرهم في
عز وكرامة من حلل وتاج وبراق ويبيض وجوههم ويؤمنهم من اهوال القيمة
ويعطي كتبهم بايمانهم وييسر حسابهم ومنهم لا يحاسب ويثقل ميزانهم ومنهم من
لا يوقف للوزن ويوردهم الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوزهم الصراط
وينجيهم من النار ومنهم لا يسمع حسيسها ويخذله ويشفعهم كالانبياء ويعطيهم
ملك الابد ويحل لهم الرضوان الاكبر ويلقون رب العالمين ملاً مع ما بين

في بحث الحمد وكذا الصراط يشير الى ان المنعم عليهم بما انعم عليهم بالسعادة الاخروية
او وسائلها يسلكهم الصراط المستقيم ثم الابدال اطناب وحذف العامل ايجاز
ففيه ابهام الجمع بين النقيضين وحذف المفعول ايضا ايجاز ففيه ايهام الجمع
بين المثلين ثم انه تخصيص بعد التعميم ان اريد المستقيم في الملة لان هذا في اعلى
مراتب الاستقامة لاختصاصه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وان اريد كامل الاستقامة فهو تفصيل للمجمل ثم انه جمع فيه بين فعل العبد
اي الاستقامة وفعل الرب اي الانعام واضافة الصراط تتضمن تعظيم المضاف
بانه لا يسلكه احد الا انعم عليه او المضاف اليه بانهم الذين يطلب من الله التوفيق
ولم يقل من انعمت عليهم لاحتمال ان يكون نكرة موصوفة فلا يفيد العلم بكونهم
معروفين بالانعام عليهم لكنه شرط طلب المتابعة لامتناع طلب متابعة المجهول
حاله واسند الانعام الى الذات اشعارا بكماله وخاطب ليلا يرجع الى الغيبة
بعد الحضور فانه قصور ولم يقدم عليهم لان التخصيص مانع لطلب المثل وجعله
ماضيا ليلا يتوهم انه مشكوك فيه شك المستقبل وحذف مفعول الانعام
ليشمل الدنيوية والاخروية او ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن وقابل بين
الانعام والغضب والضلال لانهما سببا الانتقام فكانهما نقيضه وجعل الواحد
مقابل الاثنين اشعارا بغلبته لان الرحمة سابقة وسائر تمام تحقيقه غير المغضوب
عليهم ولا الضالين الغضب كيفية نفسانية يغلي منها دم القلب فيخرج النفس عنه دفعا
للمكروه وفيه السببية واول في حق الله تعالى بالانتقام او ارادته وقال
الامام حجة الاسلام هو نسبة مشية الله الى من استوقف لهم اسباب الحكمة
دون غاياتها ومبداه الكفران ويترتب عليه اللعن والمذمة ويقابله الرضا
نسبة مشيته الى من استعمل اسباب الحكمة لاتمامها ومبداه الشكر ويترتب
عليه الثناء والعطاء والضلال سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب اما لغفلة
كايثار اللذات الحسية على الروحانية ايثار الصبي اللعب على السلطنة او

لغرور سكون النفس الى ما تهواه لشبهة ككون النقد خيرا من النسيئة والدنيا نقد
وهو غلط فان العشرة النسيئة خير من النقد الواحد عند التيقن والآخرة يتيقن
عند البصراء من الانبياء والاولياء والعلماء وعلى القاصرين تقليدهم كما ان
على المريض تقليد الطبيب وان كان شكا فالمريض يتيقن بشاعة الدواء ويشك
في الشفاء أو لغلبة هوى عليه لضيق صدره عن الجزم وشرحه المشرق فان استمر عليه
اورثه رينا ثم غشاوة ثم طبعا ثم ختما ثم قفلا ثم موت القلب فلا تنفعه الآيات
والنذر وفي عكسه ان صبر على اقتراف الحسنة اورثه حسنا ثم انشراح صدره ثم
تصير ممتحنا للتقوى ثم ينزل سكينة تترى فان انتهت صارت عصمة وفسر البيضاوي
المغضوب عليهم بالعصاة والضالين بالجاهلين بالله لان المنعم عليه من جمع بين معرفة
الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من اخل باحدهما فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
وبالعقل جاهل ضال أو قول المغضوب عليه المعاند في الكفر والمتعمد في المعاصي
والضال الواقع في الكفر تقليدا او تقصيرا في النظر وفي المعاصي عمدا على كرم الله
وعفوه أو المغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطي اعم منه ومن المعفو عنه
وهذا اقرب حذرا عن متابعتهم لانها كمتابعة اعداء الملوك يجعل التابع في حكم
المتبوع وابتدأ باسم الله وحمده وانتهى بذم الغضب والضلال لان مطلع
الخيرات الاقبال على الله وتمامها بالسلامة عن الغضب والضلال وفيه اشارة
الى سبق الرحمة ثم ان جعل غير بدلا فكان الداعي راى قصور نفسه عن سلوك
صراط المنعم عليهم بالجمع بينهما كما لا فهو طلب الجمع بين سلوك طريق المنعم عليهم والسلامة
عن طريق غيرهم اذ قد يعطيان خوارق تشبه انها نعم وكرامات ولفظ غير يشعر
بالمغايرة الكلية وزيادة لا مشعرة بان المطلوب الاخلاء عنه سواء قارنه
الغضب ام لا ثم انه نسب الانعام الى الحق لانه تفضل به دون الغضب فانه
بسبب فعل المغضوب عليه فهو كالفاعل الحقيقي له على ان نسبة الغضب الى الله
يؤيس من رحمته ولم نقل غير الذين غضبت عليهم لانه محض الاخراج عن المعلوم

والمقصود التعميم ولم يقل غير مغضوب لئلا يتوهم اختصاص الهرب من
قوم دون قوم ثم المغضوب عليهم مجاز مرسل تجوزه تابع لتجوز الغضب
ان اريد المنتقم عنهم ثم الاصل ان يجعل المغضوب عليهم في مقابلة المنعم عليهم
والضالون في مقابلة الهداة لكن لما جعل المنعم عليهم مراده بطلب صراطهم
قابل المنعم عليهم بهما مقدما لما يقابل الصريح أو تقابل المنعم عليه لما كان من الجامع
بين النعمتين قوبل بهما وقدم الاهم وهو من استولى عليه الغضب بحيث لا يرجى
انفكاكه عنه بناء على انه الكافر ثم تمم بتابعه والفاسق ولم يقل ولا المضلين
لان الاضلال وان كان من الله لكنه بعد اختيارهم فهو اولى بنسبته اليهم
آمين ليست من القرآن وفاقا لم يكتبه الاولون في مصاحفهم بمعنى استجب
او كذلك افعل او قاصدين نحوك او عاجزين عن بلوغ الثناء عليك او
راجين اجابة الدعوة او متفئلين بها عن سائر الاشياء الى الله وهو اصل كل خير
وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من الآفات سلمنا الله عنها بمحض فضله ومنه
انه ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين **سورة البقرة**
سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع اذ حيوة القتيل ليست من ذاته
والا لحيي كل قتيل ولا بضربه ببعض البقرة عليه والا لحصلت مني ضرب وعلى
قدرته لانه احيي بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده وعلى حكمته لانه اشار
بذلك الى احياء القلب بذبح النفس الامارة المظلمة له وعلى النبوة لكونها
معجزة وفيها اشارة الى وجوب طاعة الانبياء من غير تفتيش لتقليل المؤنة
ولا تبع الفضيحة التي وقعت للقائلين اتتخذنا هزوا وعلى الاستقامة لان طلب
الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شقوة وعلى ان المجاهدة تفيد الهداية وعلى شرائط
ذلك بكونها في غير زمن الشيخوخة ولا في زمن سكر الشباب لغلبة العقل المحار
للهوى مع التزين بصفرة الصلاح وهي التي تسر الناظرين وعلى المعاد بعود
الحيوة الى القتيل وسائر ما في السورة متممات ومقدمات لهذه الامور بسم الله

الذي تجلى بذاته وصفاته في كتابه الشامل على بيان كمالاته الرحمن بنفي الريب
عنه بجعله معجزا للكل الرحيم بجعله هدى للمتقين الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى اي الاصل اللازم للمستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه
ما في الكتب الالهية مع دفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالاعجاز وتصديق
الكتب الالهية قبله وكشوف الاولياء بعده بل انما يعرف صدقها لجمعه به و الادلة
القطعية فلما تخلو عن معارضة ومناقضة او نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب
تحتمل التحريف وقد رفعت من هذا الكتاب بما ذكر مع كمال هدايته لما لا يتناهى
من المطالب العلمية والعملية او على لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب لان فيه
ادلة قاطعة مؤيدة بما ذكر مع رفع ما يوقع في الريب حتى تفيد الهداية الكاملة
او انه لطف مفيد للكمالات لانه افاد بالفاظ قليلة ما لا يتناهى من العلوم
مؤكدة بنفي الريب وتكميل الهداية او اساس لب للمطالب العالية لان فيه
الادلة الاولية التي لا ريب فيها مع انتاجها اكثر الغوامض التي هي المطالب
العالية او غير ذلك مما يناسب المقام للمتقين المتقي من وقى نفسه عما يضرها
في الآخرة من اعتقاد وخلق وعمل كملت هدايتهم لانهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر
ولم يقصروا فيه ولا الجوارح ولم يتركوا الاخلاق المهذبة وغيرهم يتمسكون
بالشبهات الداعية الى التعطيل والتقصير والترك اما الاعتقادات فلانهم
الذين يؤمنون بالغيب الايمان هو التصديق لما علم بالضرورة كونه من دين
محمد صلى الله عليه وسلم عدي بالباء لتضمنه معنى الوثوق والاعتراف والغيب
ما خرج عن ادراك الحواس الظاهرة والباطنة كالصانع والملائكة واليوم الآخر
والقدر والكتب والرسل من حيث اضافتهما الى الله اعتبر ليتبين اختصاص المكلف
والهداية في ذلك الاطلاع على حقائق وتفاصيل من ذلك واما الاعمال
فلانهم الذين يقيمون الصلوة اي يحفظونها من كل خلل في عمل القلب واللسان
والجوارح فريضة او بعضا او سنة او شرطا او ادبا بكل حال يهتدون فيها الا

كدلالة الطهر عن الحدث والخبث على التطهر عن علائق الحوادث من جهة
جهلها بمناسب الحق المنزه فيصلح لخدمته وتوجه الظاهر الى القبلة التي هي منشأه
على توجه الباطن الى جناب الحق الذي هو منشؤه ويؤيده شغل اللسان بدعاء
الاستفتاح ودلالة القيام على الاستقامة والتكبير على استصغار ما سوى الله
للاعراض عنه ويؤيده رفع اليدين ودلالة الثناء باللسان الذي هو ترجمان
القلب على ميله بالكلية اليه ويؤيده الخطاب والتخصيص بالعبادة والاستعانة
والتضرع اليه بهما وبسؤال الهداية وبالتعوذ من طريق اهل الغضب والضلالة
ودلالة الركوع على الانكسار لعظمته والاعتدال على الاستقامة فيه والسجود
على التذلل بعد الانكسار والجلوس على التقرب بالسجود والسجود الثاني على
رفع التكبر بالتقرب واما الاخلاق فلانهم الذين مما رزقناهم ينفقون
الرزق ما ساقه الله الى الحيوان لينتفع به ونسبته الى عظمته ليدل على عظم فيضه
تسهيلا للانفاق منه ويدخل فيه انفاق المال تطهيرا للشهوية عن البخل وتحصيلا
للسخاء ببذل الزكوة والفطرة و صدقة التطوع والوقف وبناء المساجد
والمدارس والقناطر وفي الحج والجهاد واشار الى منع الاسراف في الانفاق
على النفس والاهل وغيرهما بمن التبعيضية وبذل الروح في سبيل الله تطهيرا
للغضبية عن الجبن وتحصيلا للشجاعة فاستكمل بذلك القوتان بعد استكمال
الحكمية بتمامه وكيف لا يكون هذا الكتاب هدى الى ما لا يتناهى وهو يوجب
الايمان بكل ما انزل اليك منه ومن السنة وبما انزل على الانبياء من كتبهم و
سننهم من قبلك فلا شك ان الذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك احاطوا بالهدايات كلها كيف وقد دل هذا الكتاب بمزيد
تفصيل وتحقيق للامور الاخروية فلا شك انهم بالآخرة هم يوقنون
فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان اولئك مستولون
على هدى عظيم من ربهم الذي ربى الامم كلها بتلك الهدايات

بالايمان بها اجمالا بل لما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها وليست
شاملة على ما فيه فلا شك ان اولئك هم المفلحون بالهداية كلها بل
لا هداية لهم اصلا لان الكفر بهذا الكتاب يستلزم الكفر بها على انه
ضلال لا يوازيه تلك الهدايات ان الذين كفروا بهذا الكتاب لم
يكن كفرهم لشبهة عرضت لهم في اعجازه بعد النظر فيه بل لتركهم النظر او لعنادهم
ولا يكادون ينظرون او يتركون العناد وان صرفتهم من ذلك وعرفوا
صدقك بل سواء عليهم انذاك وعدمه بحيث يشك فيهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لانهم سواء ظهر لهم الدليل ام لا لا يؤمنون والكفر انكار
شيء مما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم بان لا ينقاد له عرف
حقيته او اعترف بها ثم اشار الى ان الدلائل وان كانت قطعية فانما تفيد
من فتح الله عليه باب النظر وهؤلاء ختم الله على قلوبهم اى جعلها كالمستوثقة
بالختم فلا يستدلون بانفسهم وعلى سمعهم فلا يسمعون الى المستدلين لان الله ختم على
سمعهم فلا يبالون بكمالات المستدلين اذا لو بسا اذ على ابصارهم
غشاوة فليس لهم ان يعتذروا بعدم اطلاعهم على حقيته بل لهم عذاب
عظيم لان ذلك كان من تقصيرهم وعنادهم وكان من وجه كثرهم ثم ان
الختم والغشاوة لم يكونا لخفاء الاعجاز لانه ختم عليهم وغشي بالنسبة الى اظهر
الاشياء وهو الله تعالى وحكمته المقتضية للجزاء وان ادعى بعضهم ظهورهما
له ومن ذلك ان من الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين بهما
في الباطن مع غاية وضوحهما ثم من شدة ختمهم وغشاوتهم انهم يتمنون انه
لو تحقق الله والجزاء لتمسكنا عليه بايماننا في الظاهر كما نتمسك به على المؤمنين
في حقن الدماء والاموال فهم في زعمهم يخادعون الله والذين امنوا وما
يخدعون الا انفسهم لان الله اعلى من ان تخدع ويظهره على المؤمنين وان
اجروهم مجرى انفسهم ونفع خداعهم بانفسهم اذ يرونها ذلك كمال رأيهم

مع تركهم النظر بالكلية وما يشعرون بخداعهم لانفسهم مع غاية ظهوره وانما
لا يظهر لهم اذ في قلوبهم مرض من تفريطهم في القوة الحكمية فيما يقويه من دين
وافراطهم في الشهوة والقران وان كان شفاء الا انهم لما ابغضوه لم
يستعملوا النظر فيه فزادهم الله مرضا بافراط الغضبية وعلم النظر لو صلح
عذرا في عدم الايمان فليس بعذر في التكذيب فلا محالة لهم عذاب اليم بما
كانوا يكذبون لانه تكذيب بلا دليل مع الدليل على صدقه وهو الاعجاز و
لعدم شعورهم بالمرض اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض من افراطكم
في الشهوية والغضبية وتفريطكم في الحكمة بترك الانقياد للشرائع التي بها انتظام
امر الدارين وتحقق الانسانية قالوا انما نحن مصلحون اى مقصودون على
الصلاح لانا نرجع الامر الى ما كان عليه في الازمنة الماضية الا انهم هم المفسدون
لان ذلك الامر كان فسادا مستمرا ازاله الله ببعثة الرسل فلما استرجعوه كانوا
مفسدين بعد الاصلاح وهو اتم من ترك المستمر ولكن لا يشعرون من مرض
قلوبهم انه مخل بنظام امر الدارين وبتحقق الانسانية مع ظهوره واذا قيل
لهم امنوا كما امن الناس الذين قصدوا اصلاح نظام الدارين وتحقق
الانسانية اذ به الانقياد لقواعد العدل التي بها الانتظام والتحقق
قالوا انؤمن كما امن السفهاء الذين من سخافة رأيهم لم يستوفوا فوائد
الشهوة والغضبية الا انهم هم السفهاء بترك تعديلهما واتباعهما للحكمة
وهو اتم استيفاء لمن تأمل حق التأمل ولكن لا يعلمون لتركهم التأمل بالكلية
ثم اشار الى ان قولهم انؤمن كما امن السفهاء ليس بطريق التصريح بل مقتضى
عباراتهم وذلك انهم اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بالجملة الفعلية
الماضية من غير تأكيد لعلمهم بتبين لهم له عن سفاهتهم اذ يحقنون بمجرد ذلك
دماءهم واموالهم مع ظهور افسادهم واذا خلوا اى مضوا خالين عن
حضور مؤمن معهم الى شياطينهم اى الى الذين ماثلوا الشياطين في التمرد

قالوا إنا وان اظهرنا الايمان لهم حينا مستمرون على الكفر معكم في اعلى مراتبه فاكد والهم بالجملة الاسمية لاعتقادهم كانهم بحيث لا يقبلون منهم ذلك القول مع اظهارهم الايمان من غير تاكيد ومع ذلك يعتقدون فيهم انهم يعترضون عليهم بلسان الحال مالكم تظهرون الايمان لهم فيقولون إنما نحن مستهزؤن اى مستخفون بهم لاغرارهم بمجرد قولنا المخالف لفعلنا فقال عز وجل ان كان المؤمنون محل استهزائهم حينا مع غاية جهلهم فهم محل استهزاء الله علام الغيوب استهزاء مستمرا بتجديد الامثال اذ الله يستهزئ بهم بحقن دمائهم واموالهم ليزدادوا نفاقا فيزدادوا عذابا هو اشد ايلاما من ذهاب الاموال والديار المولم ايام الحيوة الدنيا ويدل عليه انه يمدهم بالنعم مستغرقين في طغيانهم مجاوزة الحد في الضلال يعمهون اى يترددون مع حدوث الدلائل يوما فيوما فهذا دليل على مزيد عذابهم الذى هو اشد وجوه الاستخفاف ويستفتح لهم في النار بابا الى الجنة كلما صاروا اليه سد عليهم وكيف لا يستهزئ بهم وهم اسفه الناس معاملة معه اذ اولئك الذين اشتروا اى استبدلوا الضلالة النفاق بالهدى اى الايمان الذى انطق الله به السنتهم وفيه ربح الدارين وفى الضلالة خسرانهما فان لم يكن خسران الدنيا فما ربحت تجارتهم اى ما كانت سبب ربح الدنيا وقد خسروا الاخرة اذ ضيعوا راس مالها وهو الهدى لانهم ما كانوا مهتدين بمجرد النطق بالايمان وان كان هدى في نفسه كيف وقد استبدلوه بتكذيب الباطن فلم يبق لهم شيئا وقد خسروا سعادة الابد التى استبدلوها بسعادة التى كانت عين الخسران العظيم فكيف اذا لم تحصل ايضا واى سفه اعظم من ذلك مثلهم اى صفتهم العجيبة الشأن في اشتراء الضلالة المظلمة بالهدى المنير كمثل الذى استوقد نارا اى طلب الوقود ليرتفع به النار لمزيد الانارة اذا ادعوا لانفسهم قوة الايمان الذى هو في الانارة

المعنوية مثل النار في الحسية او اشد فلما اضاءت النار ما حوله اى حول المستوقد فابصر ما فيه اطفاء النار على ظن انه لم يبق له اليها حاجة كذلك اطفاء هؤلاء مصباح الايمان من باطنهم على ظن انه لا يحتاج اليه الآن في حقن الاموال والديار مما حول النفس وقد حصل كالابصار للمستوقد فلما ماتوا ذهب الله بنورهم اى نفاية من حقن الاموال والديار وتركهم في ظلمات ظلمة الكفر وظلمة اهوال القيمة وظلمة غضب الله وعقابه بحيث لا يعقبها نور اذ لا يبصرون خلاصهم عنها فهذا مثلهم لو سمعوا لكنهم صم ولو سمعوا لم ينطقوا بما ينيله من الايمان الخالص لهم لانهم بكم والبكم قد يفرق بالبصر بين النفع والضر وهؤلاء لا يفرقون بين حسن الايمان وقبح النفاق لانهم عمي فهم وان امكنهم الاقالة لا يرجعون عن ضلالتهم الى هدايتهم او مثلهم في اشتراء الضلالة بالهدى كصيب من السماء اى كمثل مستبدل مكان مطر كثير من السماء وهو نظير الاسلام الذى هو مكان مطر العلوم النافعة بمكان لا مطر فيه وهو نظير الكفر الذى ليس في مكانه مطر علم نافع استبدلوا مكان الصيب لما فيه من اذيات اذ فيه ظلمات ورعد هو الصوت المسموع من السحاب باصطكاك او خرق وبرق ما يخرج منه من الاجزاء المحترقة الدخانية التى فيها دسمية بالمحرق ولا شئ من ذلك في مكان لا صيب فيه كذلك في الاسلام اذيات مطاعن الجهال والجهاد والهجرة من الاهل والاموال ورعد الوعيد على المعاصي وبرق الدلائل المانعة من استيفاء الشهوات وامضاء الغضب بل كما ان اهل مكان المطر يجعلون اصابعهم اى اناملهم في صماخ آذانهم خوفا من تاثير اصوات الصواعق جمع صاعقة نار تنزل من السحاب يجعلونها فيها حذر الموت من تاثيرها فكذلك هؤلاء يجعلون اصابعهم في آذانهم من سماع الوعيد لئلا يلجئهم الى اخلاص الايمان الذى يرونه موتا بفوات

ظلمة تسابع القطر وظلمة الغمام وظلمة الليل

ما ألفوه من دين آبائهم ومؤلاء وانهربوا من سماع الوعيد فلا ينفعهم
اذ الله محيط بالكافرين يحيط بهم قهره اينما هربوا ثم انه كما يخاف الهاربون
من المطر لاجل البرق اذ يكاد البرق يخطف اى يعمي ابصارهم كذلك
مؤلاء يخافون من برق الدلايل ان يخطف ابصار شبهاتهم وكما ان الهاربين
من المطر كلما اضاء العالم بالبرق لهم مشوا فيه كذلك هؤلاء المنافقون اذا
راوا غلبة نور الاسلام مشوا فيه وكما ان الهاربين اذا اظلم العالم عليهم
بذهاب البرق قاموا كذلك هؤلاء اذا طرت لهم اذية قاموا في كفرهم
ظاهرين به فهذا مثلهم لكنهم لا يسمعونه ولا يبصرون ما فيه لذهاب سمعهم وابصارهم
الباطنة ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم الظاهرة ايضا كما لو شاء
لذهب بسمع الجاعلين اصابعهم في آذانهم من الصواعق وابصار الخائفين
من البرق بل لو شاء لذهب بهما من غير صاعقة ولا برق ان الله على كل شيء
قدير فلا يحتاج الى سبب ولا يمنعه مانع ثم اشار بان هذا تمثيل لا يفيد
علما فلا يعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالاسلام له والانقياد
لاحكامه فقال يا ايها الناس اى من نسي الاصل الذي يتمسك به
في مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف اعبدوا ربكم فان
مقتضى حقيقة الرب ان يكون معبودا وحقيقة العبد ان يكون عابدا
سيما اذا انعم عليه باجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه اذ هو الذي
خلقكم والذين من قبلكم من مقدمات وجودكم فهذا الخلق يقتضي اجل وجوه
الشكر وهو العبادة لعلكم تتقون سخط تركم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم
وانعامه لكم شكر اجل نعمه ثم التمثيل مقلوب عليكم على ابلغ الوجوه وهو ان ما
جعلتموه مشبها به للتهرب عن الاسلام اولى بان يكون من اسبابه باعتبار
ذاته ومبداه ومنتهاه وما يحصل منه اذ هو الذي جعل لكم الارض فراشا
وطاء فرشكم عليها بان جعل بعض اجزائها بارزا عن الماء مع اقتضاء طبعه

الاحاطة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتقعدوا وتناموا عليها كالفراش
والسماء بناء اى سقفا مرفوعا تستظلون به عن اشعة انوار الملائكة العلوية
وانزل من السماء اى من بعض اوضاع السماء في حركاتها ماء لانبات النبات
الحامل مواد الثمرات فاخرج به من الثمرات اذ جعل في الماء قوة فاعلة
وفي الارض قابلة تتولد من اجتماعهما انواع النبات والثمار ليكون رزقا لكم
فكما تفرد بهذه الانعامات افردوه بالعبادة فلا تجعلوا لله اندادا اى
امثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الالهية والصفات الكمالية
وانتم تعلمون انه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء والارض ولا انزل الماء و
لا اخرج الثمرات وهذا من الاسلام الذي تشبيه المطر مع لواحقه ولم يمنع
طاعة الغير اذ هي امتثال امر من له الامر كالرسول والحاكم بخلاف العبادة
فانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولما كانت العبادة مقتضى
ذات الرب والعبد ومقتضى انعامه عليه لم يكن بتعينها في الحكمة ولما كانت
امتثال الامر وهو اما بالكتاب او بالسنة او بالاجماع او بالقياس واصل
الكل الكتاب لم يكن منه بد ولما لم يتم شانه العظيم الا بنفي الريب عنه نفى عنه
باعجازه فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يشير الى انه لا ينبغي ان
يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة فان فرض فلا ينبغي ان يدوم لوجود ما
يزيله لحقه المحض فان دام فلا ينبغي ان يحيط بالجوانب احاطة الظرف بالمظروف
لظهور محاسنه فان كان فغايته ان يكون نوعا او فردا منه فان كنتم فيه مع انا
جعلناه معجزا حال نزهته في الانزال فحال الاجتماع اشد اعجازا او دل اعجازه
على انه من مقام عظمتنا ولا بعد لكون المنزل عليه عبدا منسوبا الينا لغاية
كماله فان كنتم في ريب منه فاتوا بسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلث
آيات من سور المدينة لاحتوائها على علوم واحكام احتواء السور على ما فيها
من مثله اى مما مماثله بعض المماثلة وادعوا شهداءكم اى من يشهد لكم فالغا

لنفسه أن يشهد بما يظهر اختلاله من دون الله اى مجاوزين شهادته التى ما لى
بها العاجز ان كنتم صادقين فى ان للريب دخلا فيه فان لم تفعلوا اى لم
تاتوا بعد هذه المبالغة فى التحدى مع كثرتكم واشتهادكم بالفصاحة والبلاغة
وتهالككم على العناد ولن تفعلوا والا لاشتهر لان الطاعنين فيه اكثر ودواعيهم
الى التشهير اوفر فمتنع خفاء المعارضة عادة وقد الجاءتم الى جلاء الوطن
وبذل المهج ظهر عنادكم مع الله ورسوله فاتقوا النار التى هى اثر غضب
الله وقودها اى ما تتقد به ابتداء الناس والحجارة مع انهما سببا انطفاء نيران
الدنيا وذلك من غاية شدة حرارتها ولا يتراخى التعذيب بها عن موتكم لانها
اعدت اى هيئت للكافرين اى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم
لانه غضب عليهم فى الازل لتحققهم به وبشر اى اخبر خبرا يغير بشرة الوجه وغلب
فى الخير حتى عد وقوعه فى الشر تهكما الذين آمنوا بالكتاب المعجز وعملوا
الصالحات التى امرها سواء اخذ فروعه من السنة والاجماع والقياس
ان لهم جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة المأوى ودار الخلد
ودار السلام ودار المقامة وعليين بجنات معارفهم من الكتاب
تجرى من تحتها اى تحت اشجارها الانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع بما
اجروا من انهار الحكمة الى السنتهم ثم الى العالم كلما رزقوا منها اى من تلك
الجنات من ثمرة رزقا حقيقيا حسيا او عقليا او خياليا قالوا هذا الجزاء
الذى رزقنا من قبل من المقامات والاحوال التى هى ثمرات الايمان
والاعمال ولما كان لكل عمل ثمرات متشابهة تفضل بعضها بعضا اتوا به
متشابها يشبه بعضها بعضا فى الصورة مع التفاوت فى اللذة ولهم فيها
على ما تخلقوا باخلاق الله فى الكتاب ازواج مطهرة عن الاخلاق الردية
وهم فيها خالدون لغلبة الروحانية على اجسامهم وبقاء هيئات الايمان
والاعمال على ارواحهم وقلوبهم ولما ذكر النحل والنمل لبيان عظمة عنايته

باحقر الاشياء حتى الهم الاول طريق تحصيل العسل والثانى تسارة سليمن عليه السلام
وذكر الذباب والعنكبوت لتحقير الاصنام مرهبا لهم حتى كانهم قالوا لو دل
اعجازه على انه كلام الله دل ذكرها على انه ليس بكلامه اذ لا يليق بعظمته
رد الله عليهم ان الله لا يستحيى اى لا يترك ترك المستحيى اذ هو لازم الحياء
الذى هو انقباض النفس عن القبح مخافة الذم ان يضرب مثلا ما اى يجعل شيئا
ما مثلا لاخر او جاريا مجراه بعوضة فما فوقها فى الصغر مثلا لاحقر الاشياء اذ
لا ذم فى ذلك اذ الواجب فيه ان يكون على وفق الممثل من جهة التمثيل
الذى يبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس تخليصا للعقل عن منازعة الوهم
لكن السامعون قسمان مؤمنون تعرض لهم طرحهم على وفق العقل وكفار لا تعرض
تقولهم طرحهم على خلافه عنادا فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق اى الثابت الذى
لا يمكن تبديله اذ لا يمكن بيان خسة الشئ بتمثيله باعظم الاشياء من ربهم اى الذى
رباهم بما بين لهم من مراتب الاشياء ليضعوا كل شئ فى مرتبته واما الذين كفروا
فيقولون مع علمهم بحقيته ماذا اراد الله مع غاية عظمته بهذا مثلا اى يجعل
هذا الحقير مثلا مع انه لا يناسب عظمته يضل به مع كونه سبب الهداية كثيرا
يرى تمثيل احقر الاشياء لبيان حقارته بالشئ المعظم واشار بقوله كثيرا الى انه
لا يغتر بكثرتهم حتى يحمل قولهم على الصواب فيعتبر ذمهم ويهدى به كثيرا يعرفهم
حقارة بعض الاشياء ليجتنبوه فضلا عن ان يعبدوه وليس بطريق التحكم
لانه ما يضل به الا الفاسقين اى الخارجين عن حد العقل لما مر وعن حد
الشرع لانهم الذين ينقضون عهد الله فى التورية ان يتبعوا امر محمد صلى الله عليه
وسلم وينصروه استعار لابطاله النقض اذ شبهه بالحبل لربطه احد المتعاهدين
بالاخر كقوى الحبل من بعد ميثاقه اى من بعد تحقق ما يقع به الوثاقة من
المعجزات التى تكفى فى الالزام لولا العهد ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
وهى وصلة الرسل ان لا نفرقوا بتصديق البعض وتكذيب البعض ويفسدون

فى الارض بتعويق الناس عن الايمان وحثهم على القتال حفظا على الرئيس
ولكن اولئك هم الخاسرون اذ خسروا ديارهم واموالهم والعقل وفوائد
الكتاب والاخرة ثم اشار الى ان الكفر بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه
بطريق التمثيل باحقر الاشياء لئلا تعبد وعظمة عنايته باحقرها للحث على
عبادته كفر بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على ان فيه تكذيب الله
وتكذيب ما ثبت من كمال معرفته فانكر الحالة التى تقع عليها الكفر ليكون انكاره
بطريق الاولى فقال كيف تكفرون بالله فى الجملة سيما لبيانه حقارة بعض الاشياء
لئلا تعبد وعظم عنايته باحقر الاشياء للحث على عبادته وقد عظمت عنايته
بكم اذ كنتم امواتا اجساما لا حيوة فيها عناصر واغذية او نطفا او مضغا
ثم امواتا بالجهل فاحياكم بنفخ الارواح فيكم وانزال الكتاب عليكم ثم يميتكم
باذهاب صفات نفوسكم بمقتضى الكتاب وبالموت الطبيعى لا لاعدامكم بل
لينقلكم الى دار اكمل من داركم ثم يحييكم بصفاته بمقتضى الكتاب وبالنشر
ولا يكون كالاحياء الاول مع الحجاب ثم اليه ترجعون بالبقاء به بعد الفناء
بمقتضى الكتاب وفى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى والعدو ولا
يترك ذلك لانه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد ان يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها
من اجله ام لا اذ هو الذى خلق لكم اى قدر لنفعكم ما فى الارض جميعا
حتى السموم والقاذورات اذ ينتفع بها فى بعض الادوية وقد خلق فيكم اسرار
جميعها ثم استوى اى توجه الى السماء لتضمنها اسباب تحصيلها فسويهن
سبع سموات اى جعلهن سبع سموات معتدلة لا عوج فيها ولا فطور ليحصل
من اوضاع كواكبها السيارة الاشياء المتكونة فى الارض وخلق فيكم اسرارها
ايضا وانما خص السبع لغلبة تعلق الآثار السفلية بكواكبها وليس فى الاية نفى
الزائد وذلك لعلمه بربط كل شئ بسببه اذ هو بكل شئ عليم فيعلم ما فيها فيسهل
عليه جمع اسرارها فى الانسان ويعلم اجزاء الميت فيسهل عليه جمعها لاعادته





ويعلم مقدار ما تقتضى كل عمل من الجزاء فهذا كالملجئ الى ترك الكفر ولو فى ضمن
الكفر بهذا الكتاب ثم اشار الى انه انما خلق له ما فى الارض جميعا وسوى
السموات السبع لانه جامع لاسرار الله واسرار العالم صالح لخلافته عليهم
واذكر لمنكر ذلك اذ قال ربك اى وقت قول ربك اظهارا لفضل
آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة اصلا للملئكة وهم اجسام لطيفة
خيرة قادرة على التشكل باشكال مختلفة عند جمهور المتكلمين وجواهر مجردة خيرة
مخالفة للنفوس الناطقة بعضها مدبرة خيالية عند الفلاسفة انى جاعل فى
الارض خلفه التى هى محل الكون والفساد فهى محل التصرف من عناصرها
ومن الروح السماوى خليفة ثنا عليهم والهاء للمبالغة قالوا اتجعل فيها
لعمارتها واصلاحها من يفسد فيها لكونه من العناصر المختلفة الداعية الى اللذات
السفلية ويسفك الدماء اذ فيه قوة غضبية من النار ونحن وان لم تكن
لنا جمعية نسبح بحمدك على كمالاتها ونقدس اى ننزه صفاتك فنقول انها
مستحقة لك دون غيرك قال انى اعلم من قصور تسبيحكم وتقديسكم وعدم
صلاحيتكم للخلافة على الكل وانتقاض ظهور اسمائى اللطيفة والقهرية ما لا تعلمون
ولما لم يكن للخليفة بد من علم حقائق المستخلف والمستخلف عليه ليتوثب بها فيها
على اكمل الوجوه علم آدم بخلق علم ضرورى فيه الاسماء كلها اى الالفاظ
الدالة على الحقائق اذ هى اقل ما يفيد التميز بينها ثم عرضهم اى المسميات
على الملئكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اى ما بل مرادها
حتى يصح دعويكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم ودعويكم انكم
تسبحون الله على الاطلاق اى بجميع اسمائه وتقدسونه بها قالوا سبحانك اى
ننزهك تنزيها عن ان نعترض علمك او نشارك فيه او نعبث فى فعلك وانما سألنا
استفسارا واسترشادا لانه لا علم لنا الا ما علمتنا وانما لم تعلمنا ابتداء اذ
انك انت العليم بان حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة وقد جعلت الوسائط

مع تقدسك على الافعال ابتداء لانك انت الحكيم. قال يا آدم انبئهم وان كنت
دونهم في التجرد الذي به الاطلاع باسمائهم اي باسماء المسميات المعروضة عليهم
فانبئهم بجميعها. فلما انبأهم باسمائهم مع فواتها للحصر من غير غلط فيها. قال الم اقل
لكم اني اعلم. ما لا تعلمون قاصدا به اني اعلم غيب السموات. اي العالم
العلوي مع كونكم منه. وغيب الارض. اي العالم السفلي مع ظهوره للحس
في كل منهما من الخفايا ما لا يبلغه علمكم بادنى وجوه التميز مع كمال تجردكم. واعلم
ما تبدون. من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والحكمة تقتضي
ايجاده ليظهر اثر الاسم القهار والغفار ونحوهما. وما كنتم تكتمون. من كونكم
احق بالخلافة منه ثم الهمهم الاعتذار لما قالوا فيه والتذلل لما راوا فيه من عظم
القدرة وباهر الآيات. و اذكر لذلك اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.
بجعله قبلة بسجود تحية اكراما له واستلزم امر الملائكة امر من دونهم من الجن
سيما من لحق بهم كابليس. فسجدوا. اي المامورون بالسجود. الا ابليس ابى.
اي امتنع عن السجود. وانما امتنع لانه استكبر. وادى استكباره الى
انكار وجوبه لذلك كان من الكافرين. بالله لانكار وجوب امتثال امر
قطعي من اوامره وفيه اشارة الى انه اذا كان انكار واجب كفرا بالله
فكيف لا يكون انكار واجبات القرآن كلها كفرا به ثم اشار الى ان ترك
امتثال الامر من غير انكار الوجوب كان سبب هبوط آدم الى متاعب الدنيا
الباقية في نسله الى يوم القيمة. و ذلك انا ندناه اكراما اذ قلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك تكميلا لاكرامك واكرام محبوبتك دار كرامتنا الجنة. و
اكملنا استلذاذهما عليها اذ قلنا كلا منها. اي من نعيمها. رغدا. اي واسعا
كثيرا حيث شئتما. اي من اي مكان شئتما. و من اكرامنا اياهما انا لم نكلفهما
بشيء سوى ان قلنا. لا تقربا. فضلا عن تناول شيء منها فضلا عن الاكل اذ التقرب
من الشيء ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل. هذه

الشجرة. من بين الاشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة او الكرمة او التينة.
فتكونا من الظالمين. انفسهم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب و
العتاب وكان هذا مدخلا للشيطان. فازلهما. اي اصدر زلتهما الشيطان
عنها. اي عن تلك الشجرة. فاخرجهما مما كانا فيه. من الكرامات قيل اتى
باب الجنة فمنعته الخزنة فجاء الحية فسالها الدخول فادخلته بين فكيه
آدم فقال هل ادلك على شجرة الخلد فلم يقبل فقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت منه المعصية من آدم قبل
النبوة بنسيان جزم النهي بتغرير ابليس وانسائه قوله فتكونا من الظالمين.
وقلنا. لاسباطه نهينا عن حق. اهبطوا. من دار كرامتنا الى دار الابتلاء
واولها العداوة المضرة في الدنيا والدين اذ. بعضكم لبعض عدو. يعاديكم
ابليس بالاضلال والحية باللدغ. و. لا رجوع لكم الى الجنة عن قرب اذ.
لكم في الارض مستقر. اي مدة استقرار تتوقع في الامل. ومتاع. يتمتع في
الشهوات وينسى نعيم الجنة. الى حين. اي القيمة على ظهرها او في بطنها و
لما لم يكن معصية آدم كفرا وكان معنيا به الهمه الله كلمات. فتلقى. اي
تقبل آدم من. الهام ربه كلمات. هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا و
ترحمنا لنكونن من الخاسرين فاستغفر عنها وتاب عن امثالها. فتاب الله
عليه. اي قبل توبته بان لم يمكنه اتيان مثل ذلك الذنب لافراط رحمته به
انه هو التواب الرحيم. ومع فضل رحمته به لم يرفعه الى الجنة في الحال
بل قلنا اهبطوا. اي استقروا مكان الهبوط منها. اي من اثر تلك المعصية.
جميعا. مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لان المقصود بالذات من الاسباط
الى دار الابتلاء بالتكليف. فاما ياتينكم مني هدى. اي فان تحقق لكم اتيان
هدى علمتم بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية انه مني. فمن تبع
هداي. اي ذلك الهدى بعدما علم كونه هدى في نفسه لا يصح نسبته الى غيري.

فلا خوف عليهم بكونه تلبيسا مني او من فعل الشيطان او من الاطلاع
على بعض الامور السموية والارضية اذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة
ولا هم يحزنون لما فاتهم من الدنيا بعده والذين كفروا اي انكروا
ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة لكونه هدى في نفسه
وكذبوا باياتنا الواقع صدقها في القلوب بالضرورة فلا يرفعون الى الجنة
ولا يتركون في محل الهبوط المذكور بل يهبطون عنه الى اسفل سافلين اذ اولئك
اصحاب النار لا انتقال لهم عنها كاهل الاسباط الاول بل هم فيها خالدون
اذ لا يتم الابتلاء الا بابعاد العذاب الخالد ولا يتم الا بالابقاء به يا بني
اسرائيل اي ولد صفوة الله او عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم
وعهده اذكروا نعمتي التي انعمت على اسلافكم وكانت في معنى الانعام عليكم
من لدن آدم بقبول توبته الى زمن موسى بفلق البحر لكم واغراق اعدائكم
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى عليكم وانزال التورية فانها كرامات
مثل كرامة آدم باسجاد الملئكة له وادخاله الجنة واوفوا بعهدي
بالايمان بكل هدى تحقق مجيئه مني سيما هدى محمد صلى الله عليه وسلم الماخوذ
فيه ميثاق الانبياء عليهم السلام فانه ليس باقل من عهد آدم في الشجرة
وما اخذ عليه في ذريته بعد الهبوط اوف بعهدكم بازالة الحزن والخوف
وتكفير السيئات وتضعيف الحسنات ورفع الآصار والاغلال
ولا تخافوا فوات جاهكم ورياستكم بل اياي فارهبون في كل ما تاتون
وتذرون والرهبة خوف مع تحرز ثم اشار الى انه لو لم ياخذ عليكم
العهد بالايمان به لوجب عليكم ايضا ولذلك آمنوا بما انزلت اي بما
علمتم انزاله مني باعجازه وعلمتم كونه هدى بكونه مصدقا لما معكم في القصص
والاعتقادات والنسخ ليس بتكذيب بل بيان لانتهاء الحكم بانتهاء مصلحته
التي شرع لها ولا تكونوا اول كافر به اي بالايمان بآيات التورية الدالة

على وجوب اتباع محمد ثمنا قليلا اي حظا من الرشوة لتزدادوا بذلك تمالك
ملك الانام وان لم تخافوا ذهاب الآخرة لاعتقادكم انه لن تمسكم النار الا
اياما معدودات فلا تامنوا غضبي في استبدال آياتي واياي فاتقون
في استبدالها مع عظمها بالثمن القليل ولا تلبسوا على عوامكم الحق من دلائل
تلك الآيات بالباطل من تاويلكم حيث لا تغيرون الفاظ التورية ولا تكتموا
الحق من الفاظ التورية او تاويلها وانتم تعلمون اي عن تعمد منكم لا اخطاء
في الاجتهاد فيرجى عفوه ولا يكفيكم العمل بالمنسوخ من التورية وان لم تغيروا
ولم تلبسوا فيه ولم تكتموه بل اقيموا الصلوة واتوا الزكوة بمقتضى هذا الكتاب
واعملوا بفضائله وان لم تكن ناسخة لما في كتابكم لذلك اركعوا مع الراكعين
اي صلوا بالجماعة اذ فضلت على صلوة الفذ في هذه الملة بسبع وعشرين درجة
فاتوا فضائل هذا الكتاب سيما التي بها تظاهر النفوس على الخيرات ثم اشار
الى انهم لا ياتون باصل اعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائله فضلا عن فضائل
كتابكم فقال اتامرون الناس بالبر وهو التوسع في الخيرات ومراعاة الاقارب
وحسن معاملة الناس وتنسون انفسكم تتركونها ترك المنسي فلا تاتون
بشيء من الخيرات فضلا عن الفضائل وانتم تتلون الكتاب اي التورية
تحثكم ان تسبقوا الناس بالعمل بما فيه ليقتدي الناس بكم ويعتمدوا على اقوالكم
ارضيتم بهلاك انفسكم مع صلاح غيركم افلا تعقلون والعقل في اللغة
الحبس سمي به الادراك الانساني لمنعه عن القبائح وليس المراد منع الواعظ
اذا لم يتعظ بل حثه على تزكية النفس وتكميلها اولا واستعينوا على البر ان
شق عليكم بالصبر عن الشهوات المانعة عنه واستعينوا على هذا الصبر باقامة
الصلوة الجاذبة الى الله تعالى ولكن الاستعانة بها شاقة انها لكبيرة اي
شاقة في نفسها تقتضي الصبر على الطاعات الا على الخاشعين اي الخائفين الساكنين
الى الله فانها لا تشق عليهم فلا يشق الاستعانة بها في حثهم على الصبر عن الشهوات

لذلك كانت في حقهم نهي عن الفحشاء والمنكر كيف وهي في حقهم قرة اعينهم
بمشاهدتهم الحق فان لم يشاهدوه فلا اقل من ان يكونوا هم الذين يظنون
اي يعتقدون اعتقادا راجحا انهم ملاقوا ربهم فيشاهدهم وان لم يكونوا
على هذا الاعتقاد فلا اقل من ان يعتقدوا انهم اليه راجعون فيتوقعون
في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ حتى ينقص الشهوات عندهم فاي
استعانة للصبر فوقها اعظم منها في حقهم ثم اشار الى انه اذا شق عليهم الصبر
استعانوا بالشكر الموجب للمحبة المفيدة للذة التي هي اكمل من لذات سائر
المشتهيات فقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ليحثكم ان
تشكروها باعمال البر بمقدار ما انعمت به عليكم وانى فضلتكم على العالمين
اي عالمي زمانكم بتكثير الانبياء والملوك العدول والعلماء العاملين فيكم ليحثكم
ان تفضلوا الخلائق بفضائل الاعمال واذا عسر عليكم الصبر والشكر استعيذوا
بالخوف واتقوا اذا تركتم البر بانفسكم اكتفاء بامر غيركم يوما لا تجزي نفس
اتت بالبر المامور به شفاعة في حق الآمر به ولا يؤخذ منها عدل اي لا يقبل
من النفس الآتية بالبر فدية تماثل نفس المفدي عنه لو وجد عندها او من
النفس الآمرة فدية عن نفسها ولا هم ينصرون بدفع العذاب عنهم قهرا
فالآية الكريمة نفت دفع العذاب عنهم من كل وجه لانه اما بالقهر وهو النصر
ام لا فاما مجانا وهو الشفاعة ام لا فاما باداء ما كان عليه وهو الاجزاء واما
باعطاء البدل وهو الفدية ولا متمسك للمعتزلة في الآية على نفي الشفاعة
لاختصاصها بمن لا بر له وهو الكافر واذكروا من جملة تلك النعم اذ نجيناكم
اي وقت انجائنا اياكم من اشد عذاب آل اي اهل فرعون هو لقب
من ملك العمالقة ككسرى وقيصر والنجاشي لمن ملك الفرس والروم والحبشة
والمراد مصعب بن قابوس او مصعب بن ريان او وليد بن مصعب
كان بعد فرعون يوسف الريان بن الوليد باكثر من اربعمائة سنة

يسومونكم اي يبغونكم سوء العذاب اي افظعه وهو انهم يذبحون ابناءكم
اي يكثرون ذبح ذكور اولادكم ويستحيون نساءكم اي يتركونهن احياء
يستفرشهن اعداؤكم وفي ذلكم المذكور بلاء امتحان من ربكم بتسليطهم
عليكم عظيم ليكون انجاؤكم بعدها اعظم نعمة ولتعلموا ان من صبر على اشد
البلاء نال اعظم الجزاء سيما في دار الآخرة ثم هذا الانجاء يقتضي من الشكر
ما يقتضيه كل عبادة شاقة وقد تحمل اوائلكم منه المشاق من اعدائهم
فما لكم لا تحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم في هذه الشريعة واذكروا
لمعرفة عظم نعمة التنجية حتى افردت بالذكر بعد التعميم اذ فرقنا اي فصلنا
بكم اي بسبب وصولكم البحر حين امر موسى عليه السلام ان يسري بكم فوصلتم
اليه والماء في غاية الزيادة ورأيتم فرعون خلفكم فقلتم يا موسى اين ما وعدتنا
هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا
فاوحى الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق وارسل اليه الريح و
الشمس حتى يبس فخضتم فيه كل فرقة في سكة فانجيناكم من آل فرعون و
من كل شبهة في وجود الصانع الحكيم القدير او في نبوة موسى فوصل فرعون
فاقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقنا آل فرعون لئلا يبقى لكم خوف
منه ولا حزن من خروجكم من دياركم فملكناكم ديارهم واموالهم ولم
نترك لكم شكا في ذلك اذ اغرقناهم وانتم تنظرون وكان اغراق عدوكم
بنظركم اعظم نعمة عليكم يوجب اعظم شكر ليحثكم ان تخوضوا بحر عبادته
في سكك انواعها وتغرقوا اعداءها في بحر التزكية بنظركم الحافظ من
تلبيس انفسكم ثم اشار الى انه انجاهم من جريمة اتخاذهم العجل وقد
اخذ بما دونه آل فرعون فقال واذكروا اذ واعدنا موسى بعد
هلاك فرعون انزال الكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون بعد ثلاثين
ليلة يقومها ويصومها نهارها فلما تمت انكر رائحة فمه فتسوك فقالت الملائكة

كنا نشم منك رائحة المسك ابطلتها بالسواك فامرها بصوم عشر اخر فتم
اربعين ليلة فجاء جبرئيل على فرس الحيوة لا يصيب شيئا الا حيي
ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامري وكان منافقا من قوم يعبدون
البقر قال ان له شانا فاخذ قبضة من تربة حافره وكان بنو اسرائيل
استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا حين ارادوا الخروج من مصر بعلة
عرس فقال لهم السامري ان الحلي المستعارة لا يحل لكم فادفنوها بحفرة حتى
يرجع موسى فيرى فيها رايه فلما اجتمعت صاغها السامري عجلا في ثلثة
ايام ثم القى فيه القبضة التي اخذها من تراب حافر فرس جبرئيل فاخرج
عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون وخار خورة فقال السامري
هذا الهكم واله موسى تركه ههنا وخرج يطلبه ولذلك تاخر فشككتم في امره
ثم اتخذتم العجل الها من بعده اي من بعد خروج موسى الزاجر عن
عبادة فرعون والاوثان وانتم ظالمون مثل ظلم آل فرعون بل اشد
لانه بعد الايمان ثم عفونا عنكم اي تجاوزنا عن مؤاخذتكم من بعد ذلك
الاتخاذ بعد الايمان لعلكم تشكرون عفونا بتحمل المشاق في عبادتنا و
قد خففنا اكثرها في هذه الشريعة فما لكم تعرضون عنها واذكروا اذ آتينا
موسى الكتاب الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون والفرقان
اي الفارق بين المحق والمبطل لعلكم تهتدون لما هو شكر المحق ومن تلك
الهداية التوبة بقتل الانفس حدا على اتخاذ العجل فاذكروا اذ قال موسى
لقومه من افراط شفقته عليهم يا قوم ان من شفقتي عليكم ان اخلصكم من عقوبة
ظلمكم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الذي هو ابعد من فرعون
عن الالهية فتوبوا الى بارئكم الذي خلقكم برآء من الشرك والمعاصي
ويرجى توبتكم عن هذا الظلم الذي لا ينجي منه عن قلوبكم لافراطكم
اياه فاقتلوا انفسكم لانه وان كان شرا عند انفسكم لكن ذلكم خير لكم

عند بارئكم اذ براكم عن جريمة التي يخلدكم في النار فعلتم فتاب
عليكم اي قبل توبتكم وان كان جريمتكم اعظم لكفركم بعد الايمان انه
هو التواب اي المبالغ في قبول التوبة حتى انه قبلها على عمل اهلك بما دونه
آل فرعون وانما تاب عليكم لانه الرحيم اذ رحم على تعذيب ساعة
بكرامة الابد ونجاكم من الهداية الفارقة بين المحق والمبطل قد اخذتموها فانكم
لا تنجون بمجرد القول ولا بالاعمال السهلة من هذه الشريعة مع وفور فضلها
ثم اشار الى انهم لم يؤمنوا بهدى موسى وفرقانه بعد سماعه من الله بلا واسطة
لشبهة واهية من احتمال كونه من الشيطان واستحقوا بذلك ما هو اشد من القتل
فقال واذ قلتم يا موسى حين اختار سبعين من خياركم يامر الله ليعتذروا
اليه من عبادة العجل فامرهم بالصوم والتطهر فلما دنا من طور سيناء وقع عمود
الغمام فدخله وادخلهم وخروا له سجدا فسمعوه يكلم موسى فلما فرغ وانكشف
الغمام قالوا لن نؤمن لك اي لقولك انه مسموع من الله حتى نرى الله
جهرة رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر فغضب الله عليكم عن قولكم لن
نؤمن لك لا عن طلب رؤيتكم اياه اذ لا يستحيل كرؤيته اياه فاخذتكم الصاعقة
نار من السماء وانتم تنظرون اليها ولا يمكنكم الفرار عنها فاحرقتكم فدعا موسى
وبكى وتضرع وقال يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل وقد اهلكت خيارهم
ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم الحقيقي لا السكتة لعلكم تشكرون
نعمة الانجاء من الهلاك بعد تحققه وهو فوق الانجاء السابق ولكنكم لم تشكروها
كما لم تشكروا نظائرها اذ ظللنا عليكم الغمام في التيه انجاء من حر الشمس
بدعوة موسى عليه السلام اذ شكوتم اليه فارسل غماما ابيض وهذا اعظم اذ
كان حال الغضب الموجب كونكم في التيه وزدناكم انعاما فيه اذ انزلنا
عليكم المن الترنجبين وقلتم لموسى قد قتلنا حلاوته فادع لنا ربك ان
يطعمنا اللحم فانزلنا عليكم السلوى السماني او طائر يشبهه ولم يكن معه كلفة ولا

مؤنة شكر بل فعلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروه ولا تستبدلوه
فانه مناف للشكر وما ظلمونا بالكفران وان كان مانعا من فيضاننا الذي
من حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران المانع من الفيض عليهم
الذي لا مؤنة معه ولا حساب ولا عذاب فعادتكم الكفران فلذلك
كفرتم بنعمة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تاتوا باعمال الشكر على دينه
وان كانت اخف مما في دينكم ثم اشار الى انهم لم يشكروا نعما لا تمل
ولا يتكلف فيها بترك الادخار والاستبدال اذ في وجوه الشكر الذي
كلفوا به من السجود وطلب المغفرة مرة مع ما وعدوا عليه من عموم المغفرة
ومزيد الثواب فقال واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اريحا او ايليا
او بيت المقدس فكلوا منها اي من مطاعمها حيث شئتم من اي مكان
او زمان شئتم رغدا اي اكلا واسعا يكفيكم من الشكر عليه
اقل شيء ادخلوا الباب سجدا جمع ساجد وقولوا اطلبوا بعموم
المغفرة حطة اي حط عنا خطايانا نغفر لكم خطاياكم كلها ولا نقتصر
عليه بل سنزيد المحسنين ثوابا فوق ثواب غيرهم فبدل الذين
ظلموا الاستغفار بالسخرية كفرا اذ قالوا قولا غير الذي قيل لهم لفظا
ومعنى وهو حطا سمقاثا اي حنطة حمرا فانزلنا على الذين ظلموا دون
غيرهم رجزا ما يتقى منه والمراد الطاعون من اعظم الاماكن السماء
بما كانوا يفسقون يخرجون عن امر الله خروجا فاحشا فهذه
عادتهم في كفران نعم الله وتبديل اوامره لذلك كفروا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وغيروا نعته ثم اشار الى ان النعم الالهية لعلم تكن
في حقهم سبب الكفر فلا اقل من ان يكون سبب التفرقة فقال واذ
استسقى موسى اي دعا بالسقي لقومه اذ عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر وكانا من الجنة حملهما آدم فتوارثهما الانبياء

عليهم السلام حتى وصلا الى شعيب فاعطاهما موسى عليه السلام وكان مكعبا ينبع من
كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول ولا يبعد من الله ان يجعل
الحجر جاذبا للهواء مقلبا لها بقوة تبريد ماء فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
عدد قبائلهم قد علم كل قبيلة اناس مشربهم المعين اذ لا يجتمعون على مشرب
واحد فلم يجتمعوا في حبوة موسى الجامع لهم على مشرب واحد فكيف يجتمعون
بعده على شريعة واحدة فقيل لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء
حال كونهما من رزق الله فلا تستعينوا به على معصيته بل اجعلوه عونا على
طاعته واستدلوا به على عناية بكم ولا تعثوا اي لا تفسدوا افسادا ساريا
في الارض حال كونكم مفسدين بالتفرقة فلا تزيدوا عليها فعلم ان نعم الله لم تزل
في حقهم سببا لمزيد فسادهم لذلك زادوا فسادا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم اشار الى ان النعم المذكورة انما كانت في حقهم اسباب الكفر او التفرقة لكونها
امورا سماوية فشقت عليهم لميلهم الى الامور الارضية فقال واذ قلتم يا موسى
نادوه باسمه لقلة ادبهم لن نصبر على طعام واحد وهو المن والسلوى لكونه
سماويا فادع لنا اي للتيسير لنا ربك يخرج لنا اي لاطعامنا مما تنبت الارض
اي بعض نبات الارض من بقلها المنتفع بنفسه من غير انتظار شيء من حب
او ثمرة وقثائها الثمرة المنتفع بطراوتها وفومها اي حنطتها الحبة المنتفع بلبها
وعدسها الحبة المعينة في اكل الخبز من الحنطة وبصلها المشابه للاصول المعين
فيه ايضا قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اي تطلبون ادنى
الاشياء قدرا ونفعا ولذة بدل اعلاها ولذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة و
شريعتهم بهذه الشريعة اهبطوا مصرا اي انزلوا بلدا فان لكم فيه ما سألتم من
غير دعاء احد ولا يليق لي ان ادعو لتنزلكم ولما مالوا الى الادنى ضربت عليهم
الذلة والمسكنة اي جعلت كالقبة المضروبة عليهم في الاحاطة بهم فلا يكاد ذمي
يهوديا الا ذليلا في نفسه او فيما يظهر من حاله مخافة ان يتزاد في الجزية وفيه

اشارة الى انهم ليس لهم اذلال هذا اللين اصلا. وَلبِسَتْ ظُلُمهم محمود انقيد
رضى الله بل بَاؤُا ارجعوا الى ذلة انفسهم ملتبسين بِغَضَبٍ عظيمٍ مِنَ اللهِ لتسلط
قهره ومنع لطفه ولذلك سلط عليهم الكفر ومنعهم الايمان ولبس بهم ذا ستبدالهم
الطعام المملّ لهم بل ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ التى من جملتها المن
والسلوى وَلكفرهم كانوا يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم
السلام مع علمهم انه بِغَيْرِ الْحَقِّ اى الموجب له الثابت شرعا وكذلك بالايات
الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم قتله ذٰلِكَ الكفر والاجتراء على قتل
الانبياء بِمَا عَصَوْا فان المعاصى تجرّ الى الكفر لا لانهم اصرّوا على صغائر او الكبائر
كبائر على الندور وَلكن لانهم كَانُوا يَعْتَدُونَ اى يتجاوزن الى الاصرار على
الكبائر وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاصرارهم على اخذ الرشوة ثم اشار الى
ان الاصرار على الكبائر وان كان يجرّ الى الكفر فالايمان بالله واليوم الآخر
يمحو كل ما مضى من ذلك والعمل الصالح يزيل الخوف والحزن فقال اِنَّ الَّذِينَ
اٰمَنُوا باللسان دون القلب وان خادعوا الله والمؤمنين وَالَّذِينَ هَادُوا
وان كثرت قبايحهم وَالنَّصَارٰى وان قالوا بالالهية المسيح وَالصَّابِئِينَ
وان عبدوا الكواكب مَنْ اٰمَنَ منهم مخلصا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ الذى لا
يتم الايمان بالله بدونه اذ به الايمان بدوام ربوبيته لهم وعموم قدرته وحكمته
وعدله واما الايمان بالكتب والرسل والملئكة فلازم للايمانين اذ لا يعرفان
الا بهذه الامور فلم يصرح به لقوة دلالة الايمانين عليه وَعَمِلَ صَالِحًا ولابد
فيه من الاخذ بالناسخ وترك المنسوخ فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ الكامل الذى لو استمروا على
الايمان والعمل الصالح من وقت مولدهم عِنْدَ رَبِّهِمْ الذى يربى لهم ايمان
اقل المدة وعمله فيبلغه مبلغ ما كان مدة العمر كله وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من تاثير
الكفر السابق فى نقص الاجر لان العمل اللاحق جبر هذا الايمان وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
لفوات العمل فى الكفر لان هذا العمل استدرك ما فاته ثم اشار الى انهم لا

يعملون ذلك العمل بالم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
اى عهدكم الدينى بتحمل الاحكام الشاقة من التورية فابيتم فشددنا عليكم
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ اى رفع جبرئيل بامرنا جبلا قلعه على قدر عسكركم فوق
رؤسكم قائلا خُذُوا مَا اٰتَيْنَاكُمْ من التكاليف التى هى بالحقيقة عطاءنا بِقُوَّةٍ
تتحملون بها مشاق اكتساب الدنيا ولذلك لا تجرون الى الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم الا بالقتل والاسر والاجلاء وَلا تقتصروا على ظاهر العمل بل
اذْكُرُوا مَا فِيهِ من الاسرار والفوائد لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اى رجاء ان تبلغوا بذكرها
مرتبة التقى ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اى اعرضتم عن ظاهره وباطنه مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ التشديد
البليغ فلذلك تعرضون عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ
بهداية العقل وَرَحْمَتُهُ بمحمد صلى الله عليه وسلم لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ بالحبط والضلال
اى لمضى حكم خسرانكم بالموت على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكيف تستبعدون
مضى حكم خسارتكم على ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد حضر من اعرض
عما هو ادنى منه بكثير وهو انه وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا بالصيد مِنْكُمْ فِى السَّبْتِ
الذى امرتم فيه بالتجرد للعبادة وكانوا بايلة قرب الساحل فاذا كان يوم
السبت اجتمعت الحيتان مخرجة خراطيمها هناك واذا مضى تفرقت فقال
لهم الشيطان انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال الى حفر الحياض
حول البحر وشرع الانهار منه اليه فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا الانهار ليقبل
الموج بالحيتان الى الحياض فاذا كان يوم الاحد اخذوها وهكذا ادت
بهم الحال الى زمان يصطادونها يوم السبت واصرّوا عليه فَقُلْنَا لَهُمْ على
لسان داود كُونُوا قِرَدَةً سود الوجوه خَاسِئِينَ مهانين وكذلك قلبت
بواطن هؤلاء واسودّت وهانت على الله لاصطيادهم حيتان الدنيا
فى ايام المحاكمة فَجَعَلْنَاهَا اى تلك العقوبة نَكَالًا عبرة لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا
اى للقرى القريبة منها والبعيدة عنها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ الذين يسمعونها الى

يوم القيمة فلو صح دعويهم التقوى لانفسهم لاعتبروا بذلك حالهم في ترك
متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى ان اعراضهم عن امر الله لم يتأخر
الى عصر المعتدين في السبت بل كان في عصر موسى مرارا في امر واحد قصدوا
ذلك وان تعلق اخرا فقال وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ حين قتل رجل منهم ابن
عمه ثم اصبح يدعي على الناس بالقتل فجحدوا فسألوه ان يدعو الله ليبين لهم
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً تضربون ببعضها الميت فيحيي فيخبر من قتله
قَالُوا استهزاء بمحاورتهم أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا تجيب سؤالنا عن القاتل بذبح البقرة
قَالَ أَعُوذُ امتنع بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ بالجواب على خلاف السؤال
وبالاستهزاء في طلب القصاص فلما علموا انه عزم من الله وارادوا التخلص
باستقصائها باوصاف لا يوجد بقرة تتصف بها اصلا قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اي ما حالها التي جعلت فيها هذه الخاصية تصيرها ماهيتها ممتازة
عن سائر ماهيات البقور قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ ليست هذه الخاصية فيها باعتبار
خصوص ماهية او صفة سوى كمال السن إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ اي مسنة قطعت
سنها وَلَا بِكْرٌ فتية ولا تميل الى احد الجانبين بل عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ اي متوسط
بين المذكور ولا تنظروا الى الخواص بل الى امر من يوجدها بمحض مشيئته
فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا كما ان الكمال يكون بالسن يكون باللون ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا حتى نعلم انه كمال ام لا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا
اي شديد صفرتها وهو اكمل الالوان اذ به تَسُرُّ النَّاظِرِينَ اي تعجبهم والسرور
في الاصل لذة في القلب تحدث عند حصول نفع او توقعه قَالُوا انه وان كان
كمالا لكنه كمال مشترك فيه لا يصلح مرجحا لايجاد هذه الخاصية ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اي ماهيتها المشخصة التي رجحت فيها ايجاد هذه الخاصية على الخصوص
إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا اذ ليس في شيء مما ذكرت ما يرجح ايجادها فيه على الخصوص
وَإِنَّا اذا وجدنا ذلك المرجح إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ بالاطلاع على مبدأ هذه

ولما بعثك قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ المرجح عزتها في ذاتها وسلامتها عن العيوب إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ اي غير مذللة تُثِيرُ الْأَرْضَ اي يقلبها للزراعة وَلَا عاملة تَسْقِي
الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ عن العيوب لَا شِيَةَ فِيهَا لا يخالط لونها شيء من الالوان الاجنبية
قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ بالسبب الثابت لايجاد هذه الخاصية بحيث لا يتردد
فيها فَذَبَحُوهَا بعدما اشتروها بملء مسكها ذهبا ولكن على سبيل الاكراه لارادة
الدفع عنه اذ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ لخوف الفضيحة في ظهور القاتل ولغلاء الثمن
روي ان شيخا صالحا كانت له عجلة اتى بها غيضة وقال اللهم استودعتكها لابني
حتى يكبر وكانت وجدت بهذه الصفات فساوموها اليتيم وكان يراجع امه و
يقول لا ابيع حتى تراجعني فلم يزل يساومونه ويراجعها حتى اشتروها بالثمن المذكور
وكانت البقرة يومئذ بثلاثة دنانير ثم اشار الى ان اعراضهم لما ذكر انما كان
اخرا واما اولا فقد كانوا مستبعدين ان يكون له وحي يطلعه على الغيب
فقال وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ اي تدافعتم فِيهَا لاستبعادكم ان يوحى الى
موسى في ذلك وَاللَّهُ مُخْرِجٌ عن قلوبكم مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من امر القاتل وانه لو سماه
موسى لكذبوه فَقُلْنَا اذبحوا البقرة وَاضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا فان الله يحييه عند ذلك
لا به كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ عند نفخ الصور لا به ولا بسبب آخر يؤثر في
ذلك وَانما فعل ذلك لانه يُرِيكُمْ آيَاتِهِ الدالة على قدرته على الاشياء بغير سبب
مؤثر لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ كمال قدرته ثُمَّ انه يقدر على خلاف مقتضى السبب فانه
قَسَتْ اي تصلبت قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ الاحياء الدال على الاحياء الاخرى
الموجب للخوف الملين للقلوب لقبول المعجزات فَهِيَ في الصلابة كَالْحِجَارَةِ
لا كالحديد الذي يلين بالنار اذ لا تلين بنار التخويف أَوْ هي أَشَدُّ قَسْوَةً من
الحجارة فلا تكون مشبهة بها كيف وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ كالجبال لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ بان ينقلب بعض اجزائها ماء ثم يجذب الهواء من الجوانب
ويقلبها بقوة تبريدها ماء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ بمدافعة الماء من خلله فَيَخْرُجُ

منه الماء وإن منها لما يهبط ينزل من الجبل من خشية الله اي من الريح العاصفة
الموجبة خشية الله بالقهر عندها وقلوبكم لا تذوب ولا تنشق لدخول
الوعظ فيها ولا تنزل عن كبرها وتعديها بالمصائب وليس اراءة الله اياكم الآيات
او لا لغفلة لعدم نفعها لكم اذ ما الله بغافل عما تعملون من ازدياد التعدي
والتكبر عند ازدياد الآيات والزواجر أ تعلمون هذه القساوة منهم
وازدياد التعدي والتكبر ومع ذلك ترونهم الدلائل وتزجرونهم بالمواعظ
فتطمعون ان يؤمنوا لكم اي لدلائلكم وزواجركم ولا وجه للطمع فيهم بعد
ما ثبت من عادات اسلافهم انه قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله من
التورية يدل على صدق نبيكم وصحة دينكم ثم يحرفونه بتغيير اللفظ وبالتأويل
الفاسد من بعد ما عقلوه اي فهموه فهما ساعده عقلهم فأتوا بلفظ مغاير من
كل وجه او معنى ليس له اصلا وهم يعلمون ما في تحريفه من شدة غضب الله ثم
ثم اشار الى ان التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم والا فهم المبالغون
في الكتمان ويشددون على من اظهر وذلك ان فريقا منهم اذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا اي صدقنا نبيكم في الباطن لانه مذكور في كتابنا لكن لا نترك
في الظاهر دين آبائنا خوفا من اقاربنا واكابرنا ولا نترك التمسك بالتورية
واذا خلا بعضهم الى بعض فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن
المؤمنين قالوا اي الكاتمون للمظهرين أتحدثونهم اي المؤمنين بما فتح الله
عليكم من خزائن علمه ليحاجوكم به عند ربكم اي ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم
عند ربكم أتلقنونهم الحجة عليكم أفلا تعقلون فقال تعالى أيزعمون انهم لو كتموا
لم يكن لكم عليهم حجة ولا لله أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فله ان يحتج بنفسه ويظهرها للمؤمنين ليحتجوا به عليهم ثم اشار الى ان تحريفهم
لا يتم على المؤمنين بل على من كان منهم اميا فقال ومنهم اميون اي باقون
على ما ولدتهم امهاتهم لا يعلمون الكتاب الا اماني اي احاديث [illegible]

المحرفون في انفسهم بهذه الاماني الكاذبة ولا يتخلصون بذلك عن الكفر
لانهم يعلمون انهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم وان هم الا
يظنون اي ما يبلغ اعتقادهم الاحد الظن الراجح اذ يظنون انهم
لا يجترئون على تحريف كتاب الله فيقلدونهم ويتركون الادلة القاطعة للمؤمنين
لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم
يقولون هذا اي المنزل من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا اي ليأخذوا
من الاميين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون اي فلهم الويل الزائد على عذاب الاميين من
جهتين ليستا فيهم من جهة كتابتهم للمحرف ومن جهة اكتساب الرشى عليه ثم اشار
الى انهم انما احتملوا الويل من الجهتين لاعتقادهم انه وان كثرت جناياتهم
فلا يعذبون الا قليلا وذلك انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
اربعين عدد ايام عبادة العجل او سبعة لان مدة الدنيا عندهم سبعة آلاف
سنة يعذبون يوما لكل الف سنة قل اتخذتم عند الله عهدا من كتابه بذلك
فلن يخلف الله عهده ام لم تتخذوه ولكن تقولون على الله ما لا تعلمون
صدقه من الخبر المروي عن يعقوب عليه السلام ان الله عهد اليه ان لا يعذب
بنيه الا تحلة القسم فان صح عنه فالمراد اولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتملة
على مؤمن وكافر قال عز وجل ليس كما تقولون بلى من كسب سيئة ولو صغيرة
ودون تحريف الكتاب واخذ الرشوة ولكن استباحها حتى احاطت
به خطيئته بان صارت كفرا محيطا لاعماله وانتم باعتقاد تقليل مدة
العذاب في معنى المستبيحين وقد كفرتم بالدليل القاطع من هذا الكتاب
فاولئك اصحاب النار اي ملازموها لا كما قالوا من ايام معدودات
بل هم فيها خالدون كيف وهم في مقابلة المؤمنين الصالحين والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فكما يدوم

جزاء احد الفريقين يدوم جزاء الآخر اذ لا يتم نظام العالم الا بوعد الثواب
الدائم والعقاب الدائم ولا يتم الا بالابقاء ابدا ثم اشار الى ان في كتابكم
ما يكاد ينفي كون العذاب اياما معدودات فانه اخذ فيه مواثيق كثيرة
يبعد ان يكون العذاب على نقض جميعها مدة يسيرة سيما اذا بولغ في
توثيقها سيما اذا صار النقض عادة فقال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
على التوحيد في العبادة فقلنا بطريق الاخبار الذي يرى المؤمن فيه الخلف
تكذيبا لا تعبدون الا الله وقلنا بالوالدين احسانا بحذف العامل اي
احسنوا وهو نوع من المجاز المفيد للمبالغة وذي القربى المشاركين لهما في
القرابة واليتامى محل الشفقة للضعف والمساكين محلها للفقر وقولوا للناس
حسنا اكتفى في الاجانب بالاحسان القولي لانه لا يتيسر الفعلي في حق العامة
قدم حق الآدمي على حقه سوى التوحيد لانه اشد فالنقض فيه اصعب ثم
قال واقيموا الصلوة العبادة الشاملة للقلب واللسان والجوارح و
آتوا الزكوة المحسنة للاخلاق ثم توليتم عن هذه المواثيق كلها الا قليلا
منكم فكيف يكون العذاب على نقض جميعها اياما معدودة كيف وانتم
معرضون اي عادتكم الاعراض ولو قالوا اكثر هذه امور سهلة لا يقتضي
طول مدة العذاب على نقضها اجيبوا بانكم تخلفون بمواثيق لا تهون الامر
فيها بل تقرب من التوحيد وذلك اذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
اي لا يريق بعضكم دم بعض فيفضي الى اراقة دم نفسه قصاصا او الى العذاب
الاخروي الذي هو اشد منه بكثير ولا تخرجون انفسكم من دياركم لا يخرج
بعضكم بعضا من داره ولو باساءة جواره لانه يفضي الى اخراج المخرج من
الجنة اوردهما بطريق الخبر كالتوحيد فيما تقدم ليعلم انهما قريبان منه ثم
اقررتم اي اعترفتم بالتزام هذين الميثاقين وانتم تشهدون به الآن
ايضا ان نقضتموهما ثم بعد هذا الاقرار والشهادة انتم هؤلاء اي

المشار اليهم بالقرب لدناءة حالكم تنقضون الميثاقين الواردين بطريق الخبر
فتشبه التكذيب اذ تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
ولا يختص ذلك بالقاتل والمخرج بل يعم المظاهر وانتم تظاهرون عليهم اي
يعين بعضكم بعضا على القتل والاخراج بالاثم والعدوان اي بما هو معصية
في نفسه وتعد على اخيه وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل والاجلاء وقد
اخذ عليكم الميثاق ايضا بان كل اسير وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه بما قام
من ثمنه واعتقوه فلم ينقضوا هذا الميثاق وهو قوله وان ياتوكم اسارى
تفادوهم ولذلك لم يذكره في المواثيق المنقوضة اولا فقيل لهم كيف تقاتلونهم
وتفدونهم قالوا نفديهم لانا امرنا بذلك ونقاتلهم حياء ان يذل حلفاؤنا فقيل
وهو اي الشأن محرم عليكم اخراجهم والقتل اولى والمعاونة على القتل قتل
وعلى الاخراج اخراج افتعملون ببعض المواثيق وتنقضون البعض فتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض اي تفعلون فعله فما جزاء من يفعل ذلك
سيما منكم الا خزي هو ذل تستحيي منه في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء
بني النضير ونفيهم لاستهانتهم بمواثيق الله دون مواثيق حلفائهم ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب لا الى عذاب معين مدة معلومة لكثرة ما نقضوا
من مواثيق الله المؤكدة مع كونها معظمة في نفسها حتى انه لو ترك هذه المبالغة
في شأنهم توهم فيه الغفلة وما الله بغافل عما تعملون وكيف لا يردون في الآخرة
الى اشد العذاب ولم يتركوا لانفسهم منها شيئا اذ اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة حيث آثروا امر حلفائهم على امر الله فلم يتركوا شيئا من
خير الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب لانه خير اخروي فلا يحصل لهم باجنبية
الهي ولا هم ينصرون بدفعه فهذا ثم اشار الى انه لو هان عليهم العذاب بالقتل
والاخراج والمعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الايمان بالرسل الذي هو كمراله

التوحيد وعلى قتلهم نعاك ولقد آتينا موسى الكتاب المشتمل على المواعين
كلها وأكدها الايمان بالرسل الذين يأتون بعده وقفينا من بعده بالرسل
فكذبتم البعض وقتلتم البعض وان زعمتم انهم لم يكونوا اولي معجزات قاهرة
لقد آتينا عيسى بن مريم البينات الظاهرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص ونحو كآيات موسى او اجل وايدناه المعجزات الفعلية اذ
ايدناه بروح القدس بتغليب ملكيته على بشريته افتعضتم الميثاق في حقهم بلا
سبب سوى مخالفة اهويتكم افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
ففريقا كذبتم كمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام وفريقا تقتلون كشعيا
وزكريا ويحيى عليهم السلام زيادة على التكذيب وانما قال تقتلون لانهم يجددون
قصده لو وجدوا الآن وقالوا في الاعتذار انا فعلنا بهم ذلك لانه لم يظهر
لنا صدقهم قلوبنا غلف اي كأنها مغشاة بالغلاف قال تعالى ليس لذلك
بل لانهم لعنهم الله بكفرهم فكان كفرهم غلا فالهم كدره الله باللعن فقليلا ما يؤمنون
حتى بموسى الذي زعموا الايمان به وكيف يهون عذابهم على تكذيبهم هذا النبي
لهم ان على تكذيب من سبق وقد كملت معرفتهم به وعنادهم معه وحسدهم
عليه وذلك انهم لما جاءهم كتاب علموا انه من عند الله لاعجازه وقد
تأكد بكونه مصدق لما معهم من كتاب الله من غير ان يكون للمنزل عليه به
خبر قبل نزوله ولا وجه لتكذيبهم اياه اذ كانوا من قبل معترفين بنبوته وفضله
على سائر الانبياء اذ كانوا يستفتحون يطلبون النصر به على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا قبل مجيئه بما ذكر في كتابهم ونعته بمعجزات سيما القولية المصدقة
لما معهم كفروا به عنادا او حسدا فكيف في حقهم العذاب ويجعل اياما معدودات
فلعنة الله على الكافرين كلهم سيما من كفر عنادا وحسدا فانهم بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله اي بئس ما باعوا به حظ انفسهم الاخروي في
باعوه بالكفر بما انزل الله لاريب فيه بغيا عنادا واسع الله كما مر ان ينزل

الله من وحيه الذي هو من فضله على من يشاء من عباده سيما من رآه اهلا له
دونهم فعاندوا الله فباؤوا بغضب عظيم من الله على عنادهم معه وتحكمهم
عليه على غضب على كفرهم بآياته ورسله ونقضهم مواثيقه فكيف يكون عذابهم
مبينا او اياما معدودة كيف وقد اذلوا بالقتل والتكذيب من اخبرهم الله
بالتصديق فلا جرم يكون للكافرين عذاب مهين لا يتبدل بالاعزاز بعد
ايام معدودة ولا بالتخفيف ويدل على ان كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم انما كان
لحسدهم على انزال الكتاب على غيرهم من انهم اذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
اي بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا احترازا عن المنزل على غيرهم
كأنه انزال الله على الغير وحسدا للمنزل عليه ويكفرون بما وراءه مع
تحقق الموجب للايمان فيه وهو انه الحق في نفسه وكونه مصدقا لما معهم من
الكتاب الذي يؤمنون به قل ان صح ايمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق
الايمان بكل نبي فما لكم لا تؤمنون بالانبياء وان منعكم التمسك بالتوراة
عن الايمان بنبي لنسخه بعض احكامها فلم تقتلون انبياء الله بغير حق من
قبل ان كنتم مؤمنين اي ان صح دعواكم فعلم انكم لا تؤمنون بها ايضا ثم
اشار الى ان كفرهم لم يتأخر الى عصر الانبياء الذين قتلوهم بل كفروا في عصر موسى
بما هو اشد منه وذلك انه لقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على تخصيص
الله بالالهية والعبادة ثم اتخذتم العجل الها معبودا من بعده اي من بعد
تغربها عنكم ولا بعد منكم اذ انتم ظالمون اي عادتكم الظلم كقولكم سمعنا
وعصينا حين رفع عليكم الطور وذلك اذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة تحملون به الميثاق واسمعوا كل ما نقول لكم
لئلا يفوتكم شيء من ذلك قالوا سمعنا وعصينا وانما قالوا عصينا في تلك
الحالة لانهم اشربوا اي تداخلهم حب العجل تداخل الشراب في اعماق البدن
فاستقر في قلوبهم العجل بكفرهم قل ان كان فوقكم عصينا واشراب العجل

صادرا عن امر ايمانكم بئسما يأمركم به ايمانكم من هذه القبائح وغيرها مما ذكرنا
إن كنتم مؤمنين اى ان صدقتم فى دعوى الايمان بالتورية قل ان كان كفركم
بما وراء التورية لزعمكم انه لم ينزل بعدها كتاب لكانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة وان كانت لكم الدار الآخرة عند الله سيما اذا كانت خالصة
بمعنى اختصاصكم بارتفاع الدرجات منها بل من دون الناس اى مجاوزة عنهم
لكان الموت احب اليكم وان علمتم انه يحصل لكم بالحيوة اعمال رافعة للدرجات
الا انه يتاخر بها الوصول الى المحبوب وبالموت يحصل بسرعة والانقطاع
عن المحبوب اشد وان علم انه يحصل بعد مدة الحمل فلم تحقق عندكم فتمنوا الموت
إن كنتم صادقين فى هذه الدعوى وحصل لكم متمناكم لانه موعود به عند التمنى
قال صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما
بقى على وجه الارض يهودى ولن يتمنوه ابدا اى ما داموا فى مدة الحيوة
لعلمهم انه يحصل به متمناهم واذا حصل جاءهم الله بما قدمت ايديهم اى
انفسهم اطلق على العامل آلة اكبر الاعمال مجازا وهو من الاخبار بالغيب اذ
لو تمنوه بالقلب لاظهروه باللسان دفعا للمقالة ولو اظهروه لاشتهر وكيف لا
يجازيهم مع ظلمهم والله عليم بالظالمين ثم وان لم يتمنوه يميتهم الله ثم
يجزيهم وأشار الى ان تمنى الموت لا يصير محبوبا لهم وان تركوا طبعهم فقال
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى نوع من الحيوة المتطاولة مع الرفاهية
وزاد حرصهم على الكل حتى على من لا يعرف الآخرة من الذين اشركوا وقد
بلغ من حرصهم انه يود احدهم لو يعمر الف سنة وان علموا انه لا يبقى
للمسن شئ من القوى ولا ينتفع بعيشه لكنهم يتباعدون بذلك من العذاب
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر اى وما التعمير بمبعد من العذاب
وان بلغ ان يعمر مدة الدنيا لانها وان طالت فهى قريبة وهو يزداد بالتاخير
معصية فلا يفيد تبعيدا وانما المبعد الحقيقى ما يبعد تحقيقا والله بصير بما يعملون

فلا يخفف عنهم بل يزيدهم بزيادتهم اعماله ولو قالوا لا نكفر بما وراء التورية
لانه نزل على غيرنا بل لانه ينزل به عدونا وهو جبريل كما قالوا لعمر حين دخل مدراسهم
فقالوا اما صاحب محمد الذى يأتيه بالوحى فقال جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف قل ان جبريل لا يعاديكم
بل تعادونه لانه انزل القرآن على غيركم من كان عدوا لجبريل لذلك فلا
وجه لعداوته فانه نزله على قلبك باذن الله لا بالاستقلال من نفسه لانه
رسول الله فلا يفعل الا بامره واظهاره اسرار اليهود بامر الله ايضا لا بعداوته
على انه لو كان عدوا فلا وجه لترك الايمان بالمنزل لكونه مصدقا لما بين يديه
لو رده رد لما بين يديه وهدى اكمل من هداه ولكن ردوه لكونه وبشرى
للمؤمنين ولو آمنوا لدخلوا فى تلك البشرى ايضا فلا وجه لعداوته على ان
عداوته لنزله من فضله على غيرهم من كان عدوا لله لانزاله فضله على من لا يشاء
او لامر آخر وملائكته الذين ليسوا برسل ورسله الذين ليسوا بملائكة فانه ايضا
من عداوته لان عداوة المحبوب عداوة المحب وجبريل وميكائيل الجامعين
بين الملكية والرسالة فانه اولى بان يكون عداوتهما عداوة الله فمن عادى
الله بذاته وعادى مولاه من خاص احبائه فعداوة الله منعكسة عليه فان
الله عدو للكافرين بوجه من الوجوه فكيف لا يعادى من جميع الوجوه
كلها وعداوة جبريل لانزال القرآن على غيرهم عين عداوتنا لانا المنزلون بالحقيقة
لقد انزلنا اليك آيات اى معجزات لا قدرة لغيرنا عليه وليست للاضلال
لكونها بينات واضحة الهداية لموافقة كتب الاوائل والعقل وما يكفر بها الا
الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى العقل والنقل أينكرون فسقهم وكلما
عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم عهد بنو قريظة والنضير الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوه ولم يفسقوا بمجرد نقض العهد
بل بكفرهم ايضا اذ اكثرهم لا يؤمنون بكتابهم ايضا فى الحقيقة ويدل عليه انه

لما جاءهم رسول علموا مجيئه من عند الله بمعجزاته مع انه مصدق لما معهم ومقتضاه ان يزدادوا ايمانا بكتابهم ويؤمنوا به وهم قد عكسوا الامر اذ نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله الذي يعرفون بحقيته كانهم جعلوه وراء ظهورهم لا يلتفتون حتى صاروا كانهم لا يعلمون فاختاروا الجهل المطلق على علم الكتاب الالهي ولم يقتصروا على ذلك النبذ بل اتبعوا ما تتلو الشياطين اي كتب السحر التي تتلوها شياطين الجن والانس يفترون على ملك سليمان انه حصل له بهذا العلم وسخر به الانس والجن والريح فكذبهم الله عز وجل بان اكثر اعماله كفر وما كفر سليمان قط لا عترافكم بنبوته ووجوب عصمة الانبياء من الكفر ولكن الشياطين من بطلانهم في انفسهم كفروا اي مضوا على كفرهم ولذلك يعلمون الناس السحر وما اقتصروا على سحر الشياطين الذي خالطه الكفر غيره بل اتبعوا ايضا ما هو محض الكفر وما انزل على الملكين النازلين ببابل من ارض الكوفة هاروت وماروت ابتلاء من الله للناس بتعليم السحر ليميزوا بينه وبين المعجزة وما يقصدان بذلك اضلال الناس وتكفيرهم بل ما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء من الله فلا تكفر باعتقاد تاثير الكواكب او الشياطين او بعبادتهم ولا كفر في تعليم ما يؤدي الى الكفر ولا في تعلمه كان يقول المعلم اذا عبد الكوكب الفلاني او الشيطان الفلاني حصل كذا فيتعلمه وانما يكفر من عبدهما او اعتقد تاثيرهما فيتعلمون منهما ما غايته اضرار الناس اذ من جملته علم ما يفرقون به بين المرء وزوجه مما يفضي الى قطع النسب الموجب تخرب العالم واشار الى ان من الكفر في السحر اعتقاد الضرر بدون اذن الله فقال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ولو لم يكن فيه كفر ولا في العمل به ولا في اعتقاد تاثير الكواكب او الشياطين كان حق العاقل ان يتعوذ منه اذ يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لا كالفلسفة التي يضر تارة وينفع اخرى وليس اختيارهم اياه من جهلهم بضرره

فوالله لقد علموا لمن اشتراه اي اخذ السحر بدل كتاب الله فاثره عليه ما له في الآخرة من خلاق اي نصيب ولا يقتصر في حقه على قطع النصيب بل لبئس ما شروا به انفسهم اي بئسما باعوا به حظهم الاخروي حتى كانهم اتلفوا انفسهم لو كانوا يعلمون ان لهم بدل السعادة الابدية الشقاوة الابدية لكنهم يزعمون انه منقطع عذابهم تمسكا بمفترياتهم انهم لن تمسهم النار الا اياما معدودة ولو انهم آمنوا بكتابهم وبما امر الايمان به مما نزل بعده واتقوا عن متابعة المنسوخ بعد نزول الناسخ ومتابعة كتب السحر لمثوبة ما من عند الله خير من الدنيا وما فيها فضلا عن رئاستهم وما يحصل لهم من السحر لكنهم انما يعلمون ذلك لو كانوا يعلمون الحقائق ثم اشار الى انهم اعتادوا التلبيس في الكلام وما يشبه السحر فهم جامعون بين السحر وما يشبهه اذ يقولون راعنا يوهمون انهم يطلقونه بمعنى ارقبنا اطلاق المؤمنين ويقصدون معنى الاحمق اسم فاعل من الرعونة منادى نكرة فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وان لم تقصدوا به المعنى الباطل اذ يصير ذريعة للمبطلين وكما ان الايمان يقتضي ترك السحر يقتضي ترك التلبيس وان لم يقصد المؤمن وقولوا بدله انظرنا اذا خاطبكم الرسول لتفهموا كلامه واسمعوا سماعا لا تحتاجون معه الى شيء من ذلك وللكافرين الذين آذوه بهذا التلبيس عذاب اليم اشد ايذاء لهم من هذه المخاطبة ثم اشار الى ان اهل الكتاب انما خاطبوكم بذلك ليوهموا الناس مخالفتكم المنافية للانزال عليكم لانه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فاذا عجزوا عن منع الله عن الانزال قصدوا هذا الايهام ولا يتم لهم الا بمنع الانزال لكن لا يتاتى لهم المنع اذ الله يختص برحمته من يشاء بل ربما يرحم غيرهم باكمل ما رحمهم كيف والله ذو الفضل العظيم ومن الفضل النسخ وشوهوا بانه انها التعبد بالقراءة او الحكم او كليهما فاتانا ما ننسخ من آية او ننسها اي نؤخرها ونبعدها عن الذكر فلا يسبق اليه لفظها ولا معناها نات بخير منها اي اسهل في العمل واوفق

لمصلحة الفاعل او العصر او اكثر في الاجر او مثلها اى يكون المتأخر في
عصره مثل المتقدم في عصره في الاسعد المذكورة واذا فعلنا ذلك بآيات
الكتاب المعجز فلا بعد ان نفعل مثله بغيره ولعدم فهم فضل الناسخ او مثليته
لغيرهم لا تعادون له ولا تبادرون فيه بل التخفيف او رعاية المصلحة او اعطاء
الفاضل للفاضل ولا بعد من الله ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر
على التخفيف ورعاية المصالح واعطاء كل ذي حق حقه ولا بعد منه تفضيل
الامم بعضها على بعض ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فكما فضل
السموات على الارض فضل بعض عباده وبعض احكامه على بعض وان لم
تعادوا الله في تفضيله وما لكم من دون الله من ولي يجري اموركم على الاكمل ما
يعطيكم واصلح ولا نصير يدفع عنكم النقائص والمفاسد تستقرون على حكم
الله في كل عصر أم لا بل تريدون ان تسألوا رسولكم تبديل حكم الله كما سئل
موسى من قبل في امر البقرة المطلقة ان يبدلها بالمعينة بالقيود الصعبة
وفيه رد على اليهود بانه لا نسخ في حكم الله على ان سؤالا يرون تبديل الناسخ
بالمنسوخ كفرا ومن يتبدل الكفر بالايمان فانه وان ظن انه اهتدى فقد
ضل سواء السبيل اذ لم يبق هدى بعد النسخ ثم ان اهل الكتاب يعلمون
بوقوع النسخ في دينهم في امر البقرة وان شبهتهم واهية ولكن ود كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم بالقاء الشبه من بعد ايمانكم كفارا كما كفروا حسدا لا
موجب له من قبلكم بل من عند انفسهم ولا من بقاء شبهة عندهم بل من بعد
ما تبين لهم الحق فاعفوا اى تجاوزوا عن الالتفات الى قولهم وشبههم
واصفحوا اعرضوا عن قتالهم حتى يأتي الله بامره بالقتال ولم يؤخره لعجزه
ان الله على كل شيء قدير لكن لحكمة لئلا يقال اذا غلب عن قلة واسم عليه
انه انما يغلب بقوة سحره واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ليكون جهادا
على انفسكم بدل الجهاد عليهم واجعلوهما على وفق الناسخ الجزء دون المنسوخ

وما تقدموا لانفسكم من خير وان خالف المنسوخ تجدوه عند الله وان
سعد المتعبد بالمنسوخ ان الله بما تعملون بصير فيقبل من عمل بالناسخ ويرد
من عمل بالمنسوخ على عكس ما عنده لعدم ابصاره ثم قال ومن هذا القول منهم كما
قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لا يدخل
الجنة الا يهودي وقالت النصارى لا يدخلها الا نصراني قال عز وجل تلك امانيهم
اى اراداتهم التي تمنوها على الله قل هاتوا برهانكم عليه من نص او عقل ان كنتم
صادقين في هذا القول بلى لا نص عليه ولا عقل بل على ان من اسلم وجهه
لله اى جعله منقادا لآياته واحكامه في كل عصر وهو محسن للنظر فيها والعمل
بمقتضاها فله اجره عند ربه وان لم يكن عند سلبا ولا خوف عليهم من فوات
سؤال ولا هم يحزنون من التردد من قولهم وكيف لا يطلب البرهان منهم
وقد ضلل كل فرقة صاحبتها اذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء من
الدين والهداية بل على محض الضلال في الاعتقاد والعمل وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء ولا ترجيح لفرقة باختصاصها بالعلم اذ هم باجمعهم
يتلون الكتاب وترجيح عالم على آخر انما يكون بالدليل ولا دليل لهم بل كذلك
قال الذين لا يعلمون من جهال الامم فلو جاز تقليد احدهم لجاز تقليد
احد القدماء لانهم انما قالوا مثل قولهم بلا فرق فان اصروا على قولهم بلا دليل
ولم يبالوا للدليل على خلافه فالله يحكم بينهم يوم القيمة بما يجازيهم فيما كانوا
فيه يختلفون اى يجازي كلا على وفق اعتقاده وعمله وكيف يؤخذ بقولهم
وهم بمنع النسخ اظلم الناس ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يصلي فيها
بمقتضى الناسخ ليتضمن ذكر الله بجميع الاجزاء من القلب واللسان والجوارح
وكانه يمنع ان يذكر فيها اسمه واذا منع لم يهتم بعمارتها فكانما سعى في خرابها
لكنه انما يتاتى لو سلطوا عليها والله تعالى لا يسلطهم بل اولئك ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين من المؤمنين اذ ليس لهم بعد الاسلام دخولها

الا باذن المؤمنين ولم يقتصر على ذلك بل لهم في الدنيا خزي قتل واسر و
جزية لاهانتهم بالناسخ الفاضل ولهم في الآخرة عذاب عظيم ثم اشار
الى انهم وان منعوا الناس عن الصلوة في المسجد الحرام والاقصى فقد
جعل الله لكم الارض كلها مسجدا فقال ولله المشرق والمغرب اى
الارض كلها فاينما تولوا اى وليتم وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته
التي امرها للتوجه اليها في الصلوة وانما جعل جميع الارض مسجدا لكم لسعة
رحمته بكم وعلمه بمصالحكم ان الله واسع عليم ولعلمه بمصالحكم لا يمنعكم ثواب
العمل على الناسخ لان منع الله اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم العمل
بالمنسوخ اما عن قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرضونه او عن قولهم ولا
اعتماد عليهم اذ صاروا مشركين وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه من ان
يجانس شيئا والولد من جنس الوالد ابدا فلو فرض له مجانس فليس مما
في السموات والارض بل له ما في السموات والارض ملكا على ان ولده
يجب ان يكون خارجا عن العبودية ومملوكا كل له قانتون ولا شبهة
لهم في ولادة عيسى بلا اب ولا في علم عزير بالتورية بلا تعليم اذ من بديع
السموات والارض فلا بعد ان يوجد بلا اب ويعلم بلا واسطة لكن
كما انه لا احتاج في ايجاد الاشياء الى مادة ومدة بل واذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون والولد من الحادث المقتضية تجعل بعض ما حصل
بالامر ولدا دون البعض تحكم محض وقال الذين لا يعلمون لما رأوا
بعض الانبياء اى بحكم وآخر بخلافه ولكل آية تصدقه لولا يكلمنا الله
بان الحق ما اتى به فلان او لولا تأتينا آية ملجئة بان الحق حكم فلان ومنشأ
هذا جهلهم بانهم لم يبلغوا رتبة المكالمة مع الله لاختصاصها بالملئكة والانبياء
ويجوز تعدد احكام الله بحسب الاشخاص او الازمنة فبقى الاشتباه
على سواء مع كونهم من اهل الكتاب كما بقي على المشركين من قبلهم فكما قال

سواء كذلك قال الذين من قبلهم بلا تفاوت بل مثل قولهم وان كان هؤلاء
من اهل العلم دون من قبلهم لكن تشابهت قلوبهم بالكفر فصاروا امثالهم
في الجهل فانكروا الآيات الدالة على حقية كل من الناسخ والمنسوخ في عصره
لكن قد بينا الآيات الرافعة لشبهة امتناع تعدد حكم الله بحسب الاشخاص
والازمنة بتعدد المصالح لقوم يوقنون ثم انهم يريدون في الآيات البلوغ
الى صلاحية الانذار والتبشير وقد وجد في آيات محمد صلى الله عليه
وسلم كما قال انا ارسلناك بالحق بالدلائل الثابتة التي لا تتزلزل بشبهة
بشيرا ونذيرا ولا يضر في صحتها انكار هؤلاء لها لانه عن عناد كانهم اختاروا
لانفسهم الجحيم ولا تسأل عن انكار المعاندين اصحاب الجحيم ولو قيل ان صلحت
آياتك للتبشير والانذار لقبلها اهل العلم وان عاند فيها الجهال لكن اليهود والنصارى
لا يقبلونها قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى فيقبلوا آياتك لانهم
لاشتهارهم بالعلم يريدون ان يكونوا متبوعين على الاطلاق فلا يرضون عنك
وان بلغت ما بلغت حتى تتبع ملتهم قل لا يتبع رسول الا الهدى وان هدى
الله في كل عصر هو الهدى الذي جاء به رسول ذلك العصر دون غيره وان كان
قبل النسخ هدى فانه يصير بعده هوى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك
من العلم القطعي بان هدى هذا العصر ما جئت به لا غير ما لك من الله من
ولي ينفعك ولا نصير يدفع عنك العذاب حتى موسى وعيسى باتباعك ملتهما
على ان اهل الكتاب قسمان قسم هم الذين آتيناهم الكتاب بالحقيقة وهم
الذين يتلونه حق تلاوته من غير تحريف لفظا او معنى اولئك يؤمنون به
اى بمحمد صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكمال آياته وصلوحها للتبشير والانذار و
من يكفر به وهو القسم الآخر فاولئك هم الخاسرون للايمان بمحمد وكتابه جميعا
وللآخرة ولكل فضيلة حصلوها وان حصلوا الرياسة فيضيعونها مع سائر اموالهم
وديارهم يا بني اسرائيل الزاعمين استحقاق مطلق المتبوعية حتى لاكمل الرسل

صلى الله عليه وسلم اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم حتى اذ عينتم هذا الاستحقاق
من ذلك وان اني فضلتكم على العالمين اى عالمي زمانكم فليس مقتضى تلك
النعمة وذلك التفضيل ان تنكروا على آباتى ورسلى وتكفروا اى بالكفر
بهما واتقوا اى ذلك يوما لا تجزي نفس فضلتم من نسبتكم اليها عن نفس
تبعتها اذا انكرت على آياتى فكفرت بها وبرسلي شيئا ولا يقبل منها عدل فدية
لو فاد وكم باعمالهم الصالحة او بانفسهم ولا تنفعها شفاعة منها وان نفعت فى
حق الاجانب ولا هم ينصرون بدفع العذاب قهرا من قوة نسبتهم اليهم او بغيرها
وكيف تستحقون متبوعية اكمل الرسل وليس فيكم من يستحق متبوعية العوام لظلمكم
واذكروا اذ ابتلى ابرهيم ربه اى كلفه بكلمات اى بمعان الثار والهجرة وذبح
الولد والختان او الشمس والقمر والكواكب او عشر في براءة التائبون
العابدون الآية وعشر في المؤمنين قد افلح المؤمنون الآيات وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات الآية وقيل خمس في الراس قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في البدن قلم الاظفار
ونتف الآباط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء فاتمهن اى احسن
الصبر او النظر او العمل قال انى جاعلك للناس اماما اى قدوة لمن بعدك
فى هذه الكلمات وغيرها قال ومن ذريتي اماما فى كل عصر قال فى بعض
الاعصار لا يبقى منهم الا ظالم ولا ينال عهدى بالامامة الظالمين وقد تحقق ظلمكم
بتحريف التورية وقتل الانبياء واتخاذ العجل وغير ذلك وان قالوا لا نريد
المتبوعية لكن احكام الله لا تتعدد فلا بد من الرجوع الى احكام التورية اجيبوا
بان التورية قد نسخت احكام ملة ابرهيم فلم لا يكون لمن بعدها نسخ احكامها
فاذكروا اذ جعلنا البيت الكعبة مثابة للناس موضع ثواب لهم بالحج فى
دين ابرهيم ثم نسخ فى دينكم وجعلناه لذلك امنا لئلا يوذى فيه الحجاج و
جعلناه فى دينه قبلة اذ قلنا اتخذوا من مقام ابرهيم وهو الحجر الذى

فيه اثر اصابع رجليه مصلى وليس بقبلة فى دينكم وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل
ان طهرا بيتى من الانجاس للطائفين اى الزائرين حوله وليس فى دينكم
والعاكفين والركع ولا ركوع فى دينكم السجود فقد نسختم من دينه ودين
اولاده هذه الامور وكيف لا يكون محل الحج فى عهد ابرهيم واولاده
وقد دعا بذلك ابرهيم فاذكروا اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا
امنا اى ذا امن لئلا ينقطع عنه الحجاج وارزق اهله من الثمرات
لئلا يضطروا الى نهب الحجاج وخص بدعاء الرزق من امن منهم بالله واليوم
الآخر لئلا يعمه الكفار فيضعوا فيه او حوله الاحجار قال لا امنع من الفريقين
بما يكون ملجئا الى الايمان بل ارزق المؤمنين ومن كفر لكن من كفر فامتعه
بالامن والثمرات قليلا اى ايام حيوته ثم اضطره الى عذاب النار
ولا اخفف عنه بتعميره بل يكون بئس المصير مصيره لانه الحد فى بيتى فاضاعف
عذابه وكيف ينكرون كونه محل الحج والقبلة وقد دعا بذلك ابرهيم ايماء تارة
وتصريحا اخرى فاذكروا اذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل
اى بنيان اساسه بما يرفعه قائلين ربنا تقبل منا هذا البناء الذى بنيناه
للحج والتوجه اليه فى الصلوة انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا فهذا ايماء
واصرح منه قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك بان نقصد بالحج والتوجه اليك
عبادتك لا عبادته ومن ذريتنا امة مسلمة لك واصرح من ذلك
قوله وارنا مناسكنا اى متعبداتنا فى الحج باسرارها وتب علينا فيما سهونا من
المناسك او اسرارها انك انت التواب الرحيم وكيف ينكرون بعثة محمد
صلى الله عليه وسلم ناسخا لما نسختم من ملته وقد قال ابرهيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وليس فيهم غير محمد صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آياتك الدالة على تعظيمك
وتعظيم رسولك وبيتك ويعلمهم الكتاب اى العلم الظاهر لئلا يضلوا بالباطن
لو تجرد والحكمة اى الباطن المطلع لهم على اسرار الحج والتوجه اليه فى الصلوة

ويذكيهم عن سوء الاعتقاد فيما بعد من افعاله عن العقل ومن الانجاس
بافعال الكفرة فانه مذكور فيه ذلك انك انت العزيز الغالب بتيسيرها مع
الاسرار الحكيم في تخصيص افعالها بمن يستحقه فيكفي في محمد صلى الله عليه
وسلم هذا المقدار فلا يحتاج معه الى تعين اسمه ومبعثه وزمانه ثم اشار الى ان
محمدا صلى الله عليه وسلم لما كان مبينا لآيات البيت واسرار المناسك كانت
ملته ملة ابرهيم وانما نسخت في حق اليهود لقصورهم لانهم اهل الظاهر المحض فلما
جاء اهل الكمال الجامعون بين الظاهر والباطن عاد ذلك المنسوخ فالميل
عنه ميل عن الكمال الذي في ملة ابرهيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم بعد حصول
الاستعداد لها الا من سفه نفسه اي جهل كمال استعداده ما المقتضي للتقيد
باكمل الملل وهي ملة ابراهيم كيف ولقد اصطفيناه في الدنيا بالرسالة والنبوة
والولاية والامامة وتكثير الانبياء من نسله واعطاء الخلة واظهار المناسك
واسرارها عليه وجعل بيته امنا ذا ايات بينات الى يوم القيمة وانه في
الآخرة وان قطعت نبوته ورسالته وامامته لمن الصالحين لولايته الخاصة
التي هي افضل من النبوة والرسالة وان كانتا افضل من ولاية من تخص
وليا وقد حصلت له هذه الكمالات بمجرد اسلامه اذ قال له ربه بالوحي
الظاهر او الخفي اسلم قال اسلمت لرب العالمين فاسلم بجميع اسمائه واحكامها
في كل عصر فجذبه ربه بجميعها اليه وبقي اثره في اولاده الى ان كمل مع كمالات
اخر في محمد صلى الله عليه وسلم و ذلك لانه وصى بها ابرهيم بنيه اسمعيل و
وامه بنت وثمان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون والتوصية التقدم الى
الغير بقول فيه صلاح وقربة و وصى بها يعقوب ابن ابنه بنيه ايضا
روبيل وشمعون ولاوى ويهودا وسيخر وزبولون ودوان ونفتالى
وكذا داد واوشر وبنيامين ويوسف قائلين يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
اي الاسلام الذي لا يبقى غيره معه دينا ولا يقبل اعتقاد وعمل يخالفه

فلا تموتن اي لا تكونن قبل الموت على حالة وان فنيتم في الله او بقيتم به الا
وانتم مسلمون لا تدعون الالهية لانفسكم ولا تعتقدونها لمخلوق باعتبار الذات
او باعتبار صفات الكمال او استحقاق العبادة له ولم يوص في التزام احكام
اليهودية او النصرانية او احكام ملته بل تركها على الانقياد لرسول كل زمان
على انه لم يوص هو ولا يعقوب بعبادة عزير وعيسى اكنتم غائبين غيبة مطلقة
بان لم يصل اليكم قصة وصية يعقوب بنيه ام كنتم شهداء حاضرين اذ بين لكم
في كتابكم قصة وصيته اذ حضر يعقوب الموت فوصى بنيه بعبادة الله وترك
عبادة الغير اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك اي اسلافك لا من اشرك منهم بل ابرهيم واسمعيل واسحق ولما اوهم
تكثير الاضافة التعدد ازالوه فقالوا الها واحدا ولم نتقيد بملة نبي دون
آخر بل قالوا نحن له مسلمون منقادون لاحكامه في كل عصر يأتي بها رسول
ذلك العصر وانتم يا اهل الكتاب وان كنتم من اولادهم فليس فيكم من ذلك
شيء فكأنها تلك امة جماعة قد خلت مضت مع وصاياهم واثارهم في حقكم لها
ما كسبت من الاعتقادات والاعمال والاخلاق ولكم ما كسبتم مما لم ترثوا
منهم و لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذ لا تسألون عما كانوا يعملون لو عملوا السيئات
فكذا لا ينفعكم حسناتهم اذا لم تكونوا على وصاياهم واثارهم ثم اشار الى انهم
لا يعترفون بكمال ملة ابرهيم بل كادوا يجعلونها ضلالا وقالوا كونوا هودا او
نصارى تهتدوا لان الهداية منحصرة فيها قل لا انحصار للهداية فيهما بل نتبع
ملة ابرهيم فانها اكمل من اليهودية والنصرانية سيما التي اليوم لكونه حنيفا مائلا
سوى الله اليه وانتم تميلون الى عزير والمسيح وما كان من المشركين باعتقاد
استحقاقهما للعبادة فان قالوا لو جعلتم اليهودية والنصرانية شركا كنتم كافرين
بما اوتي موسى وعيسى قولوا ما كفرنا بشيء يجب الايمان به بل آمنا بالله المستلزم
للايمان بجميع الرسل ولكن نقدم الافضل ونقدم من تبعه بفضل تبعيته فنقول

اياته واحكامه المستلزم للايمان بجميع

آمنا بجميع ما انزل الينا من الايات والاحكام التي هي غاية الكمال وما انزل الى
ابرهيم مما يشبه هذا الكمال والى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من
متابع او كالتابع لهذا الكمال وما اوتى موسى وعيسى فهما وان فضلا بعض
من تقدم فما اوتيا الا بمقدار استعداد امتهما فهو دون ما تقدم فاخرناهما
لكن لكنا لما جعلنا الايمان بهما مستقلا وكذلك آمنا بجميع ما اوتى النبيون من
ربهم وان كان فيه تفاوت ولكن لا نفرق بين احد منهم بالايمان بالبعض دون
البعض كيف ونحن له مسلمون منقادون بجميع احكامه في الاعصار وان
تفاوتت فضلا بتفاوت الامم فان آمنوا اى اليهود والنصارى الحاضرون
للهداية في ملتهم بمثل ما آمنتم به من المتقدم والمتأخر والمعاصر لهم فقد اهتدوا
اى صدق عليهم لفظ الهداية وان لم تحصر فيهم وان تولوا عنهم وان وافقوا موسى
وعيسى في الظاهر فانما هم بالحقيقة في شقاق خلاف معهما فان حاجوا او قاتلوك
على ذلك او غيره فسيكفيكهم الله وهو السميع لا قوال الفريقين العليم بمن هو
على الحق منهما وقد بينه لنا بيانا واضحا حتى صار صبغة لقلوبنا صبغة الله اى
صبغ قلوبنا بالهداية والبيان صبغة كاملة لا يرتفع بمجاز الشبه ولا تغلب صبغة
غيره عليه كيف ومن احسن من الله صبغة وكيف يذهب عنا صبغته ونحن نؤكدها
اذ نحن له عابدون والعبادة تزيل رين القلب فينطبع فيها صورة الهداية بمزيد
وضوح قل اتحاجوننا في دين الله انه لا يتعدد ولا يبعد اذ هو ربنا وربكم
وله باختلاف نسبه اسماء مختلفة تقتضي احكاما مختلفة عند ظهور سلطنتها ولذلك
يكون لنا اعمالنا التي نعملها على وفق امره الآن ولكم اعمالكم التي عملتموها على
وفق امره حين امرتم بها واما الآن فلا يحصل لكم اجرها ويحصل لنا اذ نحن
له مخلصون العمل باتباع امره وانتم تتبعون اهواءكم بعد نسخ امره اتقولون
ديننا اكمل من دين ابرهيم واولاده ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب كانوا هودا او نصارى

لان دين الله لا يتبدل قل انتم اعلم ام الله الذي حكى لكم في كتابكم ان في دينه
وجوب الحج وكون الكعبة قبلة ووجوب الركوع في الصلوة وقد حج دينه
بكثير الانبياء من اولاده وذكره في كتابكم ايضا وذكر ايضا حقية دين الملة
وانها توافق في الاكثر ملة ابرهيم لكنكم تكتمون هذه الشهادات كلها ومن اظلم
ممن كتم شهادة واحدة صحت عنده انها من الله بل زدتم على الكتمان بالتحريف
وما الله بغافل عما تعملون من كتمانكم وتحريفكم ولا يمنع اعمال اسلافكم من مجازاتكم
على وفق اعمالكم تلك امة قد خلت باعمالها لم تترك لكم من اعمالهم شيئا لها جزاء ما
كسبت من الصالحات ولكم جزاء ما كسبتم من الطالحات وكيف يكون لكم جزاء
اعمالهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون والجزاء انما يكون عقيب السؤال وسؤال
الشخص عن عمل الغير غير معقول في العدل ولما كانت ملة الخليل عليه السلام اكمل
كانت قبلتها اكمل فلا ينكر التحول اليها الا سفيه كما قال سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها بعد الكعبة والنسخ انما يكون بالحق قل
لله المشرق والمغرب اى الجهات كلها فله ان يولي عباده الى اى جهة شاء
لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة بينهما مع اجتماع الخلائق الى جهة
واحدة ليتفق بواطنهم في استفاضة الانوار وله اثر عظيم لذلك شرعت الجماعة
في الصلوة ليتفق اهل محلة ووجبت في الجمعة ليتفق اهل بلد ووجب الحج ليتفق اهل
الآفاق ولا تتأتى تعيين الجهة الا بامر سماوى فخص ابراهيم عليه السلام باكمل الجهات
وهي الكعبة لانها المبدأ الترابى للانسان اذ بسطت الارض من تحتها فاذا توجه
اليه الظاهر توجه الباطن الى مبدأ جناب الحق وقد كان فيها اللذة المحمدية التي
اجابت الحق من الارض وما قابلها من السماء اذ قال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين ثم جعلت لليهود صخرة بيت المقدس لانها معرج بعض
الانبياء الى السماء فالتوجه اليها مشعر بمعراج الصلوة ثم جعلتا لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليكون جامعا فجعلت له الكعبة اولا لكمال نشأته ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق

معراجه ليزداد عروجا حين يحول الى المدينة فصلى اليها ستة عشر شهرا
يتالف بها اليهود ثم عاد الى الكعبة لان النهاية هي الرجوع الى البداية وكانت
غاية الكمال لان توجه الظاهر اليها لما استلزم توجه الباطن الى الحق لم يكن
ثمة مسافة والمعراج يشعر بالمسافة وهي انما تعتبر في حق البعداء ولذلك
قال عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اى الى اقرب الطرف ودلك
لقربكم من الله بكمال الاعتدال في الاعتقاد والاخلاق والاعمال ثم اشار
بانا كما جعلناكم معتدلين لتقربنا جعلناكم معتدلين لتكميل العدالة فقال وكذلك
جعلناكم امة وسطا معتدلة في الاعتقادات والاخلاق والاعمال لتكونوا
شهداء على الناس لكمال عدالتكم لعدم ميلكم الى طرف مع ان هذا الاعتدال
بعد التزكية والتصفية تفضي الى كشف الامور على ما هي عليه اذا لم تختل بالرياضة
المزاج فلم تفض الى الجنون ويكون الرسول عليكم شهيدا اذا انكر المشهود
عليهم ان تكون لكم هذه الرتبة فيبينها لهم الرسول بان الشاهد عند الحاكم
ثم قال اعتذارا عن الانتقال من الكامل الى الناقص في النسخ وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اى بيت المقدس بعد الكعبة التي هي اكمل منها الا
لنعلم من يتبع الرسول اى ليميز بمقتضى علمنا باليهود من يتبع الرسول منهم لرؤيته
تابعة ممن ينقلب على عقبيه فزعم انه صلى الله عليه وسلم يتبعهم وان كانت لكبيرة
اى وان تلك القبلة كانت ثقيلة على ارباب النظر لما فيها من الانتقال
من الاعلى الى الاسفل الا على الذين هدى الله للحكمة الالهية في تاليف
اليهود فان هذا مما يجبر نقصانها ولما كان هذا كمالا في حق الرسول صلى الله
عليه وسلم دون الصحابة توهموا اضاعة صلوة من صلى اليها فازاله الله عنهم
بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اى اعمالكم التي عملتموها بمقتضى ايمانكم بالله
انقياد الامر فانه اتم في العبودية من اتباع ما يطابق العقل اذ فيه انقياد
والله تعالى مكمل لمنقاده نقص الجهة ان الله بالناس لرؤف رحيم ثم اشار

الى ان الله تعالى وان كمل اجر المتوجهين الى الصخرة من فضله لامتثالهم
لكنها لما كانت دون الكعبة الكاملة بالذات ان يوقر بالجهة الكاملة ليكمل
اجره باعتبار الذات وباعتبار الفضل من امتثال الامر فقال قد نرى
تقلب وجهك في السماء تنتظر الوحي الامر بالكعبة فلنولينك قبلة ترضاها
وان كملت العبودية في الصخرة نراعي رضاك باعطاء الكامل بالذات فول
وجهك شطر المسجد الحرام الذي يحرم للكامل النظر الى غير الله ولا نخص ذلك
بك لغاية كمالك بل يكون لاتباعك بتبعيتك حتى قيل لهم وحيثما كنتم من
المراتب فولوا وجوهكم شطره فانكم تنالون بتبعيته من الكمال ما لم ينله من هو افضل
منكم من قدماء الانبياء وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اى
توجه هذه الامة الى الكعبة وان كانت دون الانبياء المتوجهين الى الصخرة
هو الحق الذي جاءهم من ربهم الذي رباهم باعطاء هذه الفضيلة بتبعية اكمل
الرسل لكنهم يكتمون فضائل هذه الامة ويحرفون الكلم عن مواضعه في نعوت محمد
صلى الله عليه وسلم وما الله بغافل عما يعملون ثم اشار الى ان هذه الاية لكونها من
اخبار الغيب عما في الغوامض من كتبهم موجبة لمتابعة قبلتك ولكن لئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اذ يريدون ان يصيروك متبوعين
لا تابعين ولكن ما انت بتابع قبلتهم الآن وان تبعتها اولا لانك رجعت الى
كمال مبداك في منتهاك وما لا يتبعون الدلائل لانه ما بعضهم بتابع قبلة بعض و
ان كان له دليل من نص كتبهم لكنه لم يبق دليلا بعد ما نسخ بل صار هوى ولئن
اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم بان قبلتهم نسخت بما هي اكمل منها نسخا
مؤبدا انك اذا لمن الظالمين بترجيح الادنى على الاعلى مخالفا لامر الله الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه اى اتباعك قبلتهم بعد نسخها ظلم معرفة لا التباس
فيها كما يعرفون ابناءهم من غير لبس اذ لا يخفى عليهم جواز النسخ وان فريقا
منهم ليكتمون الحق من جواز النسخ وهم يعلمون حقيته وان الكعبة اعلى من الصخرة

وان كانت معراج بعض الانبياء فان سلم علوها فاتباع امر الله من الحق الاتي
ربك دون اتباع مقتضى ذوات الاشياء على خلاف امره فلا تكونن
من الممترين من هذه الشبهة فقد دفعت بالكلية ويدل على ان الواجب متابعة
امر الله لا غير انه ولكل وجهة هو موليها اي لكل مصلٍّ من عباد الامم جهة هو
مولٍّ وجهه اليها امتثالا لامر الله اذ هو الخير عند تعارضه مع الفضل الذاتي
فاستبقوا الخيرات اي فبادروا الى تحصيل الخيرات من امتثال امر الله المفيد
للسعادات الابدية اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي ففي اي جهة تكونوا من
الجهات المأمورة يأت بكم الله الى مقام قربه ولا تستبعد ذلك في الجهات
الناقصة ان الله على كل شيء قدير ثم اشار الى انه تعالى وان اتى الى مقام قربه
بكل متوجه الى جهة امر بها فلا تتوجه الى اي جهة شئت مما امر به الاولون اذ لم يبق
جهة بل ومن حيث خرجت اي ومن اي مقام اولئك الانبياء خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام لانها الجهة الجامعة لفضائلها وانه للحق من ربك
الجامع فيه فوائد سائر الجهات بل لم تبق جهات في حق احد يأتي به الى مقام
قربه اذ صارت منهية وما الله بغافل عما تعملون من الاعمال المخالفة لامر
الحاضر بموافقتها لما مضى من امره ثم اشار الى انكم كيف لا تؤمرون بجهة الكعبة
مع انكم على ملة ابرهيم فلو خالفتم قبلته لالزمكم الناس بمخالفتكم ملته فقال ومن حيث
خرجت عن كمال عهدة خلة ابرهيم فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم من مراتبكم فولوا وجوهكم شطره بمتابعة نبيكم لئلا يكون للناس عليكم
حجة بمخالفة ملة ابرهيم الا الذين ظلموا منهم فانهم لا يحتجون عليكم بذلك اذ
يزعمون انها ليست قبلة بل قبلة الصخرة لكونه يهوديا او نصرانيا في زعمهم
فلا تخشوهم ان تقولوا خالفتم ملة ابرهيم لان هذا القول منهم يخالف ما تواتر
من قبلة ابرهيم واخشوني فلا تخالفوا امري بطعنهم ترجيحا له على امري و
لو صح قولهم انها ليست قبلة ابرهيم فانما امرتكم بها لاتم نعمتي عليكم بالتوجه

الى اكمل الجهات المتضمنة للآيات البينات والامن ولعلكم تهتدون
للصراط المستقيم بالتوجه اليها لاستلزامه التوجه الى الباطن فيهتدون هداية
كاملة كما ارسلنا فيكم رسولا اي كهدايتكم بارسالنا من مقام عظمتنا فيكم
ايها الكمل رسولا كاملا منكم يتلو عليكم آياتنا المنسوبة الى عظمتنا مما يدل
على ذاتنا وصفاتنا وافعالنا واسرارها ويزكيكم اي يزكي نفوسكم باعتقاداتها
واخلاقها واعمالها ويعلمكم الكتاب الجامع للعلوم الظاهرة والحكمة التي
يتوسل بها الى الحقائق ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالنظر والاستدلال ونقل
سائر الكتب الالهية فالكعبة تتضمن هذه الاشياء لمن كوشف بحقيقتها وهي
انما تحصل بالتوجه الى الله والاستغراق في ذكره فاذكروني اذكركم باعطاء
هذه الامور واشكروا لي لازيدكم منها ولا تكفرون بدعوى الكمال لانفسكم
اذا حصلت لكم تلك الاشياء ثم اشار الى ان الذكر والشكر وترك الكفران
انما يتم بالصبر والصلوة اللذين هما مقتضى الايمان فقال يا ايها الذين آمنوا استعينوا
لتحصيل تلك الامور بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والصلوة الجامعة
لطاعة القلب واللسان والجوارح الناهية عن الفحشاء والمنكر بل الصبر
كاف في ذلك بل في تحصيل جميع الكمالات ان الله الجامع للكمالات
مع الصابرين ولما كان معهم واجلهم الصابرون في الجهاد والله تعالى منجح
للكمالات التي من جملتها الحيوة قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله من الصابرين
على الجهاد اي هم اموات بل هم احياء اموات لا يحصل لهم الترقي في الكمالات
بل احياء يحصل لهم الترقي فيها ولكن لا تشعرون بحيوتهم اذ لم يظهر منها
شيء في ابدانهم وان حفظ بعضها عن التلف واذا كان في القتل في سبيل الله
اتم وجوه الحيوة وهي نتيجة الصبر فلا يخلو عن افادة حيوة في اي شيء كان لذلك
لنبلونكم لننظر هل تصبرون بشيء من الخوف من عدو لننظر هل تصبرون معه على
الاسلام والجوع لننظر هل تصبرون على ملازمة الاسلام ونقص من الاموال

بايجاب الزكوة والانفس بايجاب الجهاد يسطر هل تصبرون عليهما ام تزيدون
من اجلهما والثمرات بموت الاولاد وانقطاع التجارات يسطر هل تصبرون
ام تجعلون ذلك من شوم الاسلام وتكفرون وقدم الخوف المفوت للحيوة
في الحال ثم الجوع المفوت بعد حين ثم الاموال المفضية الى الجوع ثم الجهاد
المحتمل للافضاء الى الموت ثم الثمرات لانه في معنى موتهم بانقطاع نسلهم او اموالهم
وبشر الصابرين عليها بان الله معهم سيما الذين اذا اصابتهم مصيبة مما ذكر
قالوا انا لله اي عبيد له فلا ينبغي ان نخاف غيره لان سيدنا غالب على الكل اذ
نبالي بالجوع لان رزق العبد على سيده فان منع وقتا فلا بد ان يعود اليه واموالنا
وانفسنا وثمراتنا ملك له فله ان يتصرف فيها بما يشاء وانا اليه راجعون فيجعل
لنا عنده ما فوته علينا اولئك عليهم صلوات من ربهم اي انواع الرحمة الخاصة
التي لا نبالي معها بالمصيبة في الآخرة ورحمة عظيمة في الدنيا عوض مصيبته كيف
واولئك هم المهتدون بوفاء حق الربوبية والعبودية فلا بد ان يوفي الله عليهم
صلوته ورحمته ثم اشار الى ان من المصائب التي لا بد من الصبر عليها مصائب الطعن
في الدين كطعن اليهود وغيرهم في السعي بين الصفا والمروة اذ كان اهل الجاهلية
يسعون بينهما ويمسحون بصنمين كانا عليهما اساف على الصفا ونائلة على
المروة فلما جاء الاسلام كسرا فقال الطاعنون هولاء يعظمون مكانهما فقال
ان الصفا والمروة من شعائر الله اي اعلام متعبداته والسعي بينهما من جملة
التعبدات للتحقق بصفاته السبع بعد التخلق بها بالطواف في حق الكامل والناقص
يتشبه به ولا يبالي بمطاعن الاعداء في اقامة العبادات فمن حج اي قصد
البيت من عرفة او اعتمر فقصده من الميقات او ادنى الحل فلا جناح اي لا
ضيق عليه من مطاعن الاعداء في ان يطوف بهما اي يسعى بينهما تأكيدا للطواف
كيف ومن تطوع خيرا اي اطاع الله بنافلة فان الله شاكر فكيف لا يشكره
في الواجبات وكيف يبالي مع شكره بمطاعن اعدائه عليم بمقاصد الاعداء

فيجازيهم وكفى به مكافاة ثم اشار الى انهم انما خافوا طعن اليهود لان عادتهم
كتمان الحق فهم يكتمون السعي بين الصفا والمروة في دين ابرهيم فيقولون يعظمون
مكان الصنمين ويفعلون الجاهلية ولكن لم يبق لهما تعظيم بعد كسرهما وانما هو
تعظيم ما عظم الله على لسان ابرهيم بل الطاعنون مطعونون ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات الدالة على شعائر الله وغيرها والهدى من بعد ما بيناه للناس
من غير الناس اذ جعلناه في الكتاب بتواتر فلا يمكن اخفاؤه فيسعون
في اخفاء المتواتر اولئك يلعنهم الله اي يطردهم عن رحمته لسدهم طريقها
ويلعنهم اللاعنون من الملئكة والناس والحيوانات والجمادات لان كتمانهم
سبب خراب العالم الا الذين تابوا من القاء الشبه مبالغة في الكتمان واصلحوا
بازالتها عن قلوب من القوها اليهم وبينوا ما كتموا فاولئك وان بقي في الضلال
من اضلوهم اتوب عليهم اي اخرجهم عن اللعنة وذلك لاني انا التواب
الرحيم ان الذين كفروا بكتمان سواء عليهم وماتوا وهم كفار بعد بلوغ البيان
او قبله اولئك عليهم لعنة الله لاختيارهم تقليد الكاتمين مع علمهم بكذبهم وصدق
الانبياء ولعنة الملئكة والناس اجمعين فاذا لعن المكتوم عليهم بكفرهم فكيف لا يلعن
الكاتمون اذا اصروا عليه لكنهم بمجرد التوبة يخرجون عن الخلود والمكتوم عليهم اذا
لم يتوبوا يبقون خالدين فيها اي في اللعنة فلا يتبدل عليهم بوجه من الوجوه
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ساعة مع العود الى
التشديد عقيبها اذ التخفيف والانظار نوع اخراج عن اللعنة وانما لعن
المكتوم عليهم لعلمهم ان خالق المعجزات واحد اذ الهكم اله واحد فالذي
اظهر المعجزات على يدي من آمن به الكاتمون هو الذي اظهر المعجزات على يدي
من كفر به المكتوم عليهم بتلبيس الكاتمين وليس الانحصار في وحدانيته من حيث
انه الاله الاعظم ودونه آلهة صغار يقدرون على المعجزات بل لا اله الا هو
ولا يبعد عليه ارشاد المتاخرين بارسال رسول لانه الرحمن الرحيم وارشادهم

رحمة عامة والارسال خاصة بمن لم يؤمن فقد اخرج نفسه عن رحمة الرحمانية
فيلحقه اللعنة من الله ومن خاص عباده من الملائكة والناس الخواص بتبعيته و
العوام لانهم يتعذبون بسببهم او يتأذون بعذابهم وكيف يشك وجود الله وتوحيده
ورحمانيته ورحيميته وقد دل عليها دلائل العلويات والسفليات وعوارضهما
والمتوسطات ان في خلق السموات والارض اى العلويات والسفليات
واختلاف الليل والنهار من عوارض حركات السموات بالكواكب والشمس
ثم قدم من المتوسطات الماء لكونه مبدأ الاحياء وابتدأ منه بالبحر الذى هو الاصل
واعتبر من عوارضه تحريكه للفلك فقال والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
اذ هو كتحريك السموات للشمس المبدأ لاختلاف الليل والنهار ثم ذكر ماء السماء
الحاصل من بخار البحر ومن عوارضه احياء الارض وبث الدواب فقال
وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل
دابة ثم ذكر الهواء وتحريكها للسحاب كتحريك البحر للفلك فقال وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات اى دلالات على كل ما ذكر
لقوم يعقلون اى يستعملون العقل اما دلالة السماء والارض على وجود الاله
فلانهما حادثان لان لهما اجزاء يفتقران اليها فلا بد لهما من محدث يعين بعض
اجزائهما والا دخله التركيب الحادث والقديم لا يكون محلا للحوادث والمحدث
لا بد ان يكون قديما قطعا للتسلسل وعلى التوحيد فلان اله السموات لو
كان غير اله الارض لم يرتبط منافع احدهما بالآخر وعلى الرحمن فلانه تعالى
جعل فى الارض موادا قابلة للصور المختلفة وافاضها واحدة بعد اخرى بتحريك
السموات واما دلالة اختلاف الليل والنهار على وجود الاله فلحدوثهما
من حركات السموات ولا بد لها من محرك فان كان حادثا فلا بد له من
محدث وعلى التوحيد فلان اله الليل لو كان غير اله النهار لامكن لكل
واحد ان ياتى باسوله فى وقت اتيان الآخر باسوله فيلزم اجتماعهما وهو محال



فان امتنع لزم عجز احدهما او كليهما وعلى الرحمن فلان الاعتدال الذى به
انتظام امر الحيوانات انما يكون من تعاقبهما اذ دوام الليل مبرد للعالم فى الغاية
ودوام النهار مسخن له فى الغاية واما دلالة الفلك على وجود الاله فلانها اثقل
من الماء فحقها الرسوب فيه فامساكها فوق الماء من الله ودخول الهواء فيها
وان كان من الاسباب فلا يتم عند امتلاء الفلك بالامتعة الكثيرة اذ يقل الهواء
جدا فيضعف اثره فى امساكها مع ثقلها جدا فلا ينبغى ان ينسب الا الى
الله تعالى من اول الامر وعلى التوحيد فلان اله الفلك لو كان غير اله البحر لربما
منع احدهما الآخر من التصرف فى ملكه وهو يفضى الى اختلاف نظام العالم لاختلال
المنافع المنوطة بالفلك وعلى الرحمن فلانه رحم المسافرين بالتجارة والمسافر
اليهم بالامتعة التى يحتاجون اليها واما دلالة انزال الماء على وجود الاله فلانه
اثقل من الهواء فوجوده فى مركزه لا يكون الا من الله وعلى التوحيد فلان اله
الماء لو كان غير اله الهواء لمنع من التصرف فى ملكه وعلى الرحمن فلانه احيى به
الارض معاشا للحيوانات وبث به الدواب تكميلا لمنافع الانسان واما
دلالة تصريف الرياح على وجود الاله فلانها حادثة تحدث مدة مرة وتسكن
اخرى وقد يعدم الكل فلا بد من محدث فان كان حادثا افتقر الى قديم وعلى
التوحيد فلانه لو كان لكل ريح اله لامكن للكل ان ياتى بماله فيلزم اجتماع الرياح
المختلفة وهو مخل بالنظام وعلى الرحمن فلانها تحرك الفلك والسحب وتنمى
الاشجار والثمار واما دلالة السحاب على وجود الاله فلانه لو كان ثقيلا لنزل
او خفيفا لصعد لكنه يصعد تارة وينزل اخرى فهو من الله تعالى وعلى التوحيد
فلان اله سحاب لو كان غير اله السحاب الآخر لامكن كل واحد ان يجعل
سحابه فى مكان سحاب الآخر فيلزم تداخل الاجسام او العجز وعلى الرحمن
فلان منها الامطار وله وجوه اخر من الدلالات وفوائد غير محصورة فتعنيا بما
ذكرنا ثم ان الله سبحانه انما اظهر هذه الآيات الدالة على وجوده وتوحيده

ورحمة لبعضه الخلق بالمحبة والعبادة وَلكنّ مِنَ النّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ
اى مجاوزين الله أَندَادًا امثالا مع ان الآيات منعت من ان يكون له ند واحد
فضلا عن جماعتها يسوون بينهم وبين الله اذ يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ ولبس حبهم من
ايمانهم بالله حتى نفيدهم عند اذ مقتضى الايمان تفضيل حبه على حب كل ما سواه وَ
الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لانهم يعلمون ان جميع الكمالات له ومنه والواسطة
انما يكون سببا ولا منة له كالقلم والمداد فى اعطاء الملك وانما اتخذوها ليستمدوا
منها اذ يرون فيها قوة الامداد وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا باتخاذهم اندادا
اذ يَرَوْنَ الْعَذَابَ من أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ليس لغيره قوة الامداد اصلا
وان كانت فلما يستمد منه باتخاذه ندا لان الله تعالى يغار من ذلك فلو رأوا
الآن ما يرونه حينئذ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ من شدة غيرته لتبرؤا منهم الآن
لكنهم انما يرون ذلك حين يرون العذاب فيتبرؤن من محبة الانداد اذ تَبَرَّأَ
الَّذِينَ اتُّبِعُوا فلا يتحملون من عذابهم شيئا وَ لكن رَأَوُا الْعَذَابَ من جهة اضلالهم
ايضا وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ اى اسباب الخلاص منه فلا يكون تبرؤهم من
اسبابه وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا تمنيا لمكافاتهم فى التبرى منهم لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ لو وقع عليهم ما يشقهم وان امكننا تحملا كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ولكن لا يفيدهم التمنى
بل يزيدهم تحسرا ولا يكتفى بهذا التحسر بل كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ كلها حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ ولا ينقطع تحسرهم لانه بانقطاع العذاب وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
ثم اشار الى انه ليس مقتضى محبة الله ترك الطيبات فضلا عن تحريمها فقال يَا أَيُّهَا
النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ اى بعض ما فيها وهو ما لم يرد الشرع بتحريمه حَلَالًا لا ليس
فيه حرمة غصب او رشوة طَيِّبًا لا شبهة فيه وَلَا تَتَّبِعُوا بالتحريم خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ يجركم الى الكفر بالتحريم وقد عمت عداوته فى كل شئ لانه إِنَّمَا
يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ فى الاعمال وَالْفَحْشَاءِ فى الاخلاق وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
فى الاعتقادات او نقال انما يامركم بالسوء فى ترك الطيبات اذ فيه ترك الشكر

وَالْفَحْشَاءِ فى تحريمها وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ من انه حرمها على احبابه
واباحها للعوام وَانما يامرهم الشيطان بذلك بما زينها من كونها من دين آبائهم
فيرونها ارجح من شرع الله حتى إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ واتبعوه
قَالُوا لا نؤمن به ولا نتبعه بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ايتبعون آباءهم وَلَوْ
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا من الحسن والقبح وَلَا يَهْتَدُونَ للوصول الى شئ
منهما اذا جهلوه ثم اشار الى انه انما تاتى لهم اتباع ما انزل الله لو سمعوه سماع
الانسان المدرك لما فى الكلام من المنافع والمضار باكتساب المحاسن والقبائح
وَلكن مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فى فهم ما انزل الله كَمَثَلِ الحيوان الَّذِي يَنْعِقُ يصوت بِمَا لَا يَسْمَعُ
اى لا يدرك من سماعه إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً اى الا انه يدعوه الى فعل كذا ويطلب
اقباله عليه ولا يفهم وراء ذلك شيئا فهم بالنسبة الى سماع الفهم صُمٌّ والى النطق
بمقتضاه لو سمعوا بُكْمٌ وذلك لانهم بالنظر الى حقيقة الامر عُمْيٌ والتعقل فرع منه
الا سواد فاذا فقد وما فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ مقاصد المنزل ثم اشار الى انه ليس
مقتضى الايمان والمحبة ترك الطيبات بل اكلها مع شكر الله عليها فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ اذ مقتضى الايمان ابلاغ حكمة الله غايتها
فما خلق للاكل غايته الاكل وَاشْكُرُوا لِلَّهِ فيه من حيث بل خصوه به إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فلا تروا منة المتوسط اذ هو كالقلم والمداد ثم اشار الى
انه انما يقطع محبته اكل ما حرم وهو إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ لانها خبيثة بنزع
الروح منها بلا مطهر من الذبح باسم تحقيقا او تقديرا فيتعلق ارواحكم
بالخبيث فتخبث فينقطع عنها محبة الله وَانما ابيح منه السمك لان اصله الماء
المطهر فكما لا يؤثر فيه النجاسة لا يؤثر نزع الروح فيما حصل منه والجراد لانه
حصل من غير تولد ولا خبث فى ذاته كسائر الحشرات وَالدَّمَ لانه متعلق
الروح بذاته فلا يقبل التطهر وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ لان خبث اخلاقه وروحه انما كان
من تعلقها بالجثة فكان خبيثا بذاته يؤثر خبثه فى اخلاق الآكل وَمَا أُهِلَّ بِهِ

لغير الله لانه زاد خبثه ولا رخصة في اكل شي منها وان زعم الآكل انه يبقى بمحبته
ولا يؤثر فيه خبثها وانما يحل للمضطر فمن اضطر غير باغ اى خارج على الامام
ولا عاد متعد بقطع الطريق ونحوه فاكله فلا اثم عليه وان بقيت حرمته لانه اذا
تناوله حال الاضطرار لا يؤثر فيه الخبث لانه كاره بالطبع ان الله غفور
ساتر لخبثه في حقه رحيم برعاية حق ابقائه ثم اشار الى ان الله تعالى حرم الرشى
اشد من تحريم ما ذكر لانه حرمها للمضطر وغيره سيما التى تؤخذ بدل كتمان ما انزل
الله فقال ان الذين يكتمون ما انزل الله لا من اسرار العلوم التى لا تبلغها فهوم
العامة بل مما جعله من الكتاب لتعميم الهداية به ويشترون به ثمنا قليلا من الرشى
اولئك ما يأكلون اكلا مستقرا في بطونهم الا النار فلا يجدون منها راحة في الباطن
ولا من سماع كلام الله بالتخفيف حال التعذيب اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا من جهة كون التعذيب للتزكية اذ لا يزكيهم ليدخلوا الجنة طاهرين من الغواشى
الظلمانية كيف ولهم عذاب اليم من كل جهة في كل وقت اذ اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا ضلال انفسهم وغيرهم من الكتمان و
التحريف بالاهداء والعذاب بالمغفرة اى اسبابه باسبابها فما اصبرهم على
النار اذ تحقق الاسباب بمنزلة تحقق المسبب ذلك اى تنزيل تحقق الاسباب
منزلة تحقق المسبب بان الله نزل الكتاب بالحق اى الجد لا بمجرد التخويف و
ان الذين اختلفوا في الكتاب هل هو لمجرد التخويف او على الجد لفي شقاق
اى خلاف مع مراد الله بعيد عن موافقته هذا في حق المتردد فكيف في حق
من جزم بذلك واجترأ لاجله على تحريفه فقد تحققت فيه عداوة الله وهي اجل
اسباب النار وان قالوا ما اشترينا الضلالة بالهدى ولا العذاب بالمغفرة
بل نحن اهل البر لصحة قبلتنا اجيبوا بانه ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب اى ليس الثبات على ما قبل النسخ بعد ما تحقق نسخه بالتحويل من المشرق
الى المغرب وبالعكس مع ترك ما لا يقبل النسخ من الايمان ولكن البر ايمان من

آمن بالله ومنكم من اتخذ العجل وقال اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقال عزير
ابن الله او المسيح ابن الله واكثر اليهود مجسمون واليوم الآخر ومنكم من يقول
لن تمسنا النار الا اياما معدودة والملئكة ومنكم من يقول جبريل عدونا
والكتاب والنبيين وانتم لا تؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنكم من كذب
عيسى وقتل شعيا وزكريا ويحيى هذا في باب الاعتقاد واما الاعمال فالبر
بر من آتى المال غالبا على حبه اياه لترجيحه جانب الله على جانب هواه ذوى
القربى ليكون صدقة وصلة واليتامى الصغار الذين مات آباؤهم لاحتياجهم
مع عجزهم عن الكسب والسؤال والمساكين من اسكنهم الحاجة وابن السبيل
اى المسافرين وان كان لهم مال في اوطانهم والسائلين وان لم يعرف
بواطن احوالهم يكتفى فيها بظواهرها وفي الرقاب لانهم وان لم يحتاجوا الى
النفقة يحتاجون الى تخليصهم عن الرق فهذه حقوق الخلق قدمها لانها اشد
ثم ذكر حقوق الله تعالى فقال واقام الصلوة الشاغلة جميع الاجزاء بالعبادة
وانتم لا تقيمونها على الكمال الذى في هذا الدين وآتى الزكوة اداء لحق
الله وان كفى بدونها حوائج المذكورين وانتم تاخذون الرشى هذا ما يلزم
الله الناس من غير التزام منهم واما ما التزموه من التزام فالبر الموفون
بعهدهم اذا عاهدوا اى اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا وفوا
واذا ائتمنوا ادوا ومنكم من لا يؤدى الامانة ولو دينارا ما لم يدم على طلبه صاحبه
وخص الله الصابرين باكمل البر اذ صبروا في البأساء شدة الفقر والضراء
المرض وحين البأس القتال وانتم لم تصبروا عن الرشى ولا على طعام واحد
وقلتم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وانما تم لهم البر اذ
اولئك الذين صدقوا في الاعتقاد واولئك هم المتقون في الاخلاق و
الاعمال فتم برهم في الظاهر والباطن ولم يصح لكم اعتقاد ولا خلق ولا عمل
ثم اشار الى ان من البر القصاص الذى لا يقول به النصارى فقال يا ايها

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص • اى فرض عليكم اقامة القود بالتسوية • فى
القتلى فيقتل الحر بالحر • اى بقتله للحر ويدخل فيه الانثى الحرة لاستوائهما فى الحرية •
والعبد بالعبد • وبالحر بطريق الاولى لا الحر به لعدم الاستواء بالحرية ولا
بالانسانية لانه ملحق بالحيوانات باعتبار كونه محل التصرف ولا بالاسلام لعدم
كماله فيه لبقاء اثار الكفر وهو الرق • والانثى بالانثى • وبالذكر بطريق الاولى وقتل
الذكر بها ليس الا للاستواء بالحرية والانسانية والاسلام فلم يعتبر نقيصة الانوثة
فجعلت الذكورة فى الرجل كسائر الفضائل ولم يعتبر سائر الفضائل لئلا يؤدى
الى سد باب القصاص ومنهم من اعتبر المساواة انه لا يقتل المسلم بالكافر
لان العبد المؤمن خير من المشرك فاذا لم يقتل الحر فبالكافر اولى • فمن عفى
له من اخيه شئ • بان عفا بعض الاولياء حقه او جزأ من حقه • فاتباع
بالمعروف • اى فالواجب على ولى الدم طلب الدية بالطريق المعروف من غير
استزادة واستعجال • واداء اليه باحسان • اى والواجب على الجانى اداء
الدية من غير بخس ولا مماطلة • ذلك • المذكور من القصاص والدية عند العفو •
تخفيف من ربكم • باسقاط القصاص بعد العفو وقد الزم القصاص
اليهود • ورحمة • بايجاب القصاص قبله بعد ان الزم العفو النصارى •
فمن اعتدى بعد ذلك • المذكور بان قتل جماعة لقتل الواحد واحدا او
قتل بعد العفو وماطل فى اداء الدية او بخس فيها • فله عذاب اليم • فى
الآخرة • وانما كان القصاص برا مع كونه اتلافا للجانى اذ • ولكم فى القصاص
حيوة • للقاتل والمقتول بالزجر عن القتل وللقاتل فى الاخرة ولا قاربه
بالاقتصار عليه تدركونها • يا اولى الالباب • بامل النظر فى البواطن
دون المقتصرين على الظواهر الذين لا يدركون فيه سوى الاتلاف شرع
لكم • لعلكم تتقون • اى رجاء تحفظكم عن الافراط فى الغضبية وعن غضب
الله على عدم تبيانه بلا موجب ثم اشار الى ان من البر الوصية واخرها عن

القصاص لانها من اسباب بقاء الحيوة والقصاص كنفسها • كتب عليكم •
اى فرض عليكم وكان قبل آية الميراث فلما نزلت نسخ شرعيتها فى حق الوارث
ووجوبها فى حق الكل ولم تقل يا ايها الذين آمنوا لانها من مقتضيات
طبع الانسان فلا تتوقف على الايمان • اذا حضر احدكم الموت • اى ظهرت
اماراته • ان ترك خيرا • مالا فاضلا عن مؤن تجهيزه وديونه • الوصية للوالدين
والاقربين • اى ممن وجد منهم ولم يكونوا يرثونهم • بالمعروف • فلا يفضل الغنى
على الفقير واذا اوصى صار ذلك • حقا • لازما تقريره • على المتقين • وان لم يبال
له الفاسقون فليس لاحد تغييره • فمن بدله • اى غيره من الاولياء والاوصياء
والشهود • بعد ما سمعه • من المحتضر وان لم يكن بشهود • فانما اثمه على الذين يبدلونه •
لا على من حكم بقولهم • ان الله سميع • لاقوال المبدلين • عليم • بمقاصدهم فلو قصدوا
بالتبديل خيرا فلا اثم عليه كما قال • فمن خاف من موص جنفا • غلطا • فاصلح بينهم • اى
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع • فلا اثم عليه • لانه بدل الباطل بالحق بل
يرجى غفران ذنب الموصى • ان الله غفور رحيم • ثم اشار الى ان من البر الذى
يتضمنه الايمان الصيام الذى فيه قتل النفس واحياء الروح فقال • يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام • وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مدة
معلومة • كما كتب على الذين من قبلكم • اى على الامم من تحريم الطعام والشراب
والجماع بعد عشاء الآخرة • لعلكم تتقون • المعاصى التى منشاؤها الشهوات اذ
يكسرها الصيام لكنها جعلت فى حقكم • اياما معدودات • عاشوراء وثلاثة ايام من
كل شهر والامم مختلفة فى الايام ووجوب الاداء يختص بالصحيح المقيم • فمن كان
منكم مريضا • يضره الصوم • او • راكبا • على • ظهر • سفر • فشق عليه الصوم فافطر •
فعدة • اى فالواجب عدد ايام الافطار • من ايام اخر • غير العدد ذات
المذكورة • وعلى • المفطرين • الذين يطيقونه • اى الصوم اذا افطروا • فدية •
هى • طعام مسكين • مد عند الحجازيين ونصف صاع من بر او صاع من غيره عند

اوانما جنفا جم

نساوی ایام مع

رمهار الحجاز

العراقيين لانه اذا اعطاه كان ممسكا عنه فكان كالصيام فمن تطوع اي
زاد في الفدية تطوعا ليزداد خيرا فهو خير له من الاقتصار على ما اوجبه
الصوم وان تصوموا خير لكم من الفدية وان زيد فيها ان كنتم تعلمون
فضيلة الصوم وفوائده وهذا كان في اول الاسلام اذ لم يعتادوا الصوم
ثم اشار الى نسخ صيام تلك الايام بصيام رمضان ونسخ الفدية على المطيقين
بالقضاء فذكر فضيلة هذه الايام اولا ليعلم انها خير من المنسوخة فقال شهر
رمضان هو الذي انزل فيه القرآن في ليلة القدر منه من اللوح المحفوظ
الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض وذلك لانه الشهر التاسع من شهر المحرم
ليشعر بحركة الكامل من العالم السفلي الى العلوي بصعوده سماء بعد سماء الى ان
بلغ التاسع وهو العرش المجيد الذي فوقه اللوح المحفوظ المشتمل على القرآن
فيكاشف به هدى للناس في نفسه من اعجازه وبينات اي شواهد من
الهدى اي الدلايل القطعية والفرقان رفع الشبه فاذا كوشف بالقرآن ظهر
له اخلاق الله التي يتجلى بها فيه ومن جملتها الصوم اذ هو تخلق بالصمدية لانه استغناء
عن الطعام والشراب والنكاح فمن شهد اي علم منكم الشهر باستكمال شعبان
او برؤية عدل الهلال فليصمه فهذا ناسخ لما ذكر اولا لكن بقي منه حكم المريض
والمسافر فقال ومن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر
اي لا من رمضان آخر وانما ابقى ذلك لانه يريد الله بكم اليسر وهو وان ولى
عليكم الشهر لا يريد بكم العسر اذ في التوالي لا يختلف العادة والافطار في
كل شهر بل في سنة واحدة مرة ولتكملوا العدة فيكمل اثرها بالتصفية
ولمزيد التصفية امركم الله به ولتكبروا الله بما هو مدح بعد استكمالها ليلة
العيد ويومها شكرا على ما هداكم بمزيد التصفية وايضا خفف عليكم اذ كانت
سبعة وثلثين يوما بثلثين لعلكم تشكرون بهذا التخفيف فينجبر الشكر ما نقص من
تلك الايام بالاجر ثم اشار الى ان هجران العالم السفلي وان افاد التقرب

بالاصعاد الى سماء بعد سماء فليس بشرط فيه فقال واذا سألك عبادي عني
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فاني قريب الى ما هم واسمعهم
ما ينفثون به الي فاقربهم اذ اجيب دعوة الداع منهم بلبيك او باعطاء
المسؤل اذا دعان من غير تاخير وهو من خواص التقرب لكنه مشروط باجابتهم
لي واتيانهم لي فليستجيبوا لي فيما ادعوهم الى عبادتي وليؤمنوا بي فيصحح
الاعتقاد واذا اجابوني وآمنوا بي لعلهم يرشدون لما يرشد له الصاعدون
الى السموات ثم اشار الى ان التقرب الى الله لا ينافي التلذذ بغيره ولو كان
بالصوم الذي هو الامساك عن المشتهيات فخص ذلك بوقت الامساك
لا دائما فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث هو الافصاح عما يجب ان يكنى
عنه كلفظ النيك وان اوجب لكم الميل الكلي الى نسائكم فانه بالليل كالطعام
والشراب وانما ابيح مع ما فيه من مزيد الميل الى غير الله لصعوبة الصبر عند
المعانقة اذ هن لباس لكم وانتم لباس لهن اذ يشتمل كل واحد صاحبه
اشتمال الثوب وكان حقه ان يمنع منه بعد العشاء الآخرة لقربه من الصوم
كما كان في اول الاسلام ولكن علم الله انكم كنتم تختانون اي تفعلون خفية
فعل الخائن فتظلمون انفسكم بتعريضها للعقاب ونقص حظها من الثواب
باشر عمر رضي الله عنه بعد العشاء فندم واعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام
رجال واعترفوا بمثله ندموا عليه فتاب عليكم قبل توبتكم وعفا عنكم جاوز عنكم
تحريمه بل كراهيته فالآن باشروهن اي الزقوا بشرتكم ببشرتهن وهو كناية عن
الجماع وابتغوا لا لابطال الميل الكلي اليهن تحصيل ما كتب الله لكم من الولد
لا لقضاء الشهوة وكذلك كلوا واشربوا بعد العشاء الآخرة وان قرب من
وقت الصوم جوز جميع ذلك حتى يتبين لكم ابتداء ضوء الصبح في ظلمة الليل
كانما يتميز لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر الصادق الذي
لا يعقب نوره ظلمة ثم اتموا الصيام اي صوم كل يوم الى الليل اي الى

غروب الشمس من ذلك اليوم مع ظهور الظلمة من قبل المشرق لا الى غيبوبة
الشفق لان ابتدا والظهور موجب للتخلق باخلاقه وابتدآء البطون راد
الى عالم السفل ثم اشار الى انه وان احل لكم ليلة الصيام الرفث لم يبح
مع الاعتكاف فقال ولا تباشروهن وانتم عاكفون وان خرجتم عن
المساجد فانتم فى حكم المستقر فى المساجد والصائم قد خرج عن الصوم
بالليل ثم قال ان لم تنهوا اصحابها يكفيكم فيها ان تلك حدود الله الحاجزة
بين ما احل وحرم فلا تقربوها لئلا يدعوكم الى تخطيها كذلك اى مثل ذلك
البيان الرافع للشبهة يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون اى يتحفظون
عن غضبه ثم اشار الى ان المقصود من الصوم الكف عن الشهوات المباحة
والمحرمة يجب الصوم عنها ابدا واجلها حقوق الخلق فقال ولا تاكلوا
اموالكم اى بعضكم مال بعض بل يجب عليه حفظ ماله كانه مال نفسه ولا يجوز
بذلك اكله كانه مشترك بينكم سيما بالباطل اى بالطريق الذى لم يشرعه الله فانه
لا يجوز لاحد فى مال نفسه فكيف فى مال الغير وتدلوا بها اى ولا تتوسلوا بتلك
الاموال الى الحكام بجعل بعضها رشوة لهم لتاكلوا بواسطة حكمهم فريقا
طائفة عظيمة من اموال الناس من غير ان تخرج عن اضافتها اليهم لكونهم
مالكين لها بالاثم بواسطة حكمهم الفاسد فانه لا يفيد الحل ولا تشترط فى
هذا علم من تاكلون ماله بل يحرم عليكم اذا اكلتموه وانتم تعلمون انه ليس
لكم بخلاف ما اذا اخذه المورث ولا علم للوارث به فانه لا يأثم باكله
الوارث لكن اذا علم وجب عليه رد بدله ثم اشار الى ان من اخذ مال
الغير لا يبقى عليه وبقى ظلمة الاثم كالقمر ياخذ نور الشمس فلا يبقى عليه ويعود
مظلما فقال يسئلونك عن الاهلة روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن
غنم قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم لا يزال يزيد حتى
يمتلى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل بعد الاشارة بالنهب على كل ماله

الغير الى الجواب الحقيقى انه يبتدى محاذاته للشمس فاذا حاذاها طرف منه
استنار ذلك الطرف ثم تزداد المحاذاة والاستنارة حتى اذا تمت بالمقابلة
امتلأ ثم تنقص المحاذاة والاستنارة حتى اذا حصل الاجتماع اظلم بالكلية
لكن لم يصرح به لانه اشتغال بعلم الهيئة التى لا ينتفع به فى الدين وصرح بالاسلوب
الحكيم اشعارا بان الاولى السؤال عن الحكم فيه فقال هى اى الزيادات و
النقائص مواقيت للناس لا بل اوقات خاصة لآجال الناس و
تعليقاتهم فى الايمان والنذور من غير افتقار الى حفظ الحساب ومراجعة
المنجم الفاسق بما يحكم على الاشياء باختلاف القرانات فانه لكثرة خطاه
فيها يدعى علم الغيب وان اصاب فى الحساب والحج والصوم لان مراجعة
المنجم فيهما اشد ثم اشار الى ان سؤالكم بما يتعلق بعلم الهيئة على اعتقاد انه
علم نافع كاعتقاد اهل الجاهلية البر فى اتيان المحرم البيوت من ظهورها
الا ان يكون من الحمس كنانة او قريش والى ان اكل مال الغير من غير الوجه
المشروع فى البيع كدخول الدار من ظهرها وان استحسنه الراغبون فى الدنيا
لجعلهم ذلك برا فقال وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كان الرجل
منهم اذا احرم لم يدخل دارا ولا حائطا من بابه بل ينقب فى ظهر بيته او يتخذ
سلما يصعد وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولكن
البر من اتقى ما حرم الله فى الاحرام واموال الناس واتوا البيوت من
ابوابها فانه لا كراهة فيها فضلا عن الحرمة بل يحرم مراعاة اهل الجاهلية
وكلوا من اموال الناس من الوجوه المشروعة واتقوا الله فى شرع الاحكام
او تغييرها لعلكم تفلحون بكل بر وما يترتب عليه ثم اشار الى ان دخول
بيوت الدين من ابوابها انما يتم برفع الشبهات التى تدخل البيوت من
ظهورها وسواها انما يتم بقتال الكفار باقامة الحجج مرة والسيف اخرى فقال وقاتلوا
بالسيف فى سبيل الله الذين يقاتلونكم دون الشيوخ والنساء والصبيان

ولا تعتدوا بالمثلة والمفاجاة من غير دعوة وقتل المعاهد إن الله لا يحب
المعتدين وليس من الاعتداء قتلهم في الحرم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي ابصرتموهم
من حل وحرم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم من حل وحرم وجاز الاخراج اتفاقا
دليل جواز القتل لان الاخراج فتنة اي محنة يفتتن بها الانسان والفتنة أشد
اصعب من القتل لدوام تعبها ثم الكفر وان امرتم بالقتال في الحرم ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام لان حرمته لذاته وحرمة ساير الحرم من اجله حتى يقاتلوكم فيه فإن
قاتلوكم فيه فلا تفترون الى الفرار عن الحرم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين
فيه اذ لا حرمة لهم لهتكهم حرمة المسجد الحرام فإن انتهوا عن الكفر بعد القتل
لم يطالبوا به فإن الله غفور رحيم وان كان حق الآدمي لئلا يكون مانعا
من الاسلام لكنه لم يرحمهم حال الكفر فقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد
كفر ولا شبهة ويكون الدين كله لله اي يصير الاعمال لله بلا عائق لكنه يرحمهم
بمجرد انتهائهم حتى انه يغضب من اجلهم على من ظلمهم لذلك فقال فإن انتهوا فلا
عدوان إلا على الظالمين اي فلا سبيل الا على من قتلهم ولو قصاصا ثم اشار
الى انهم كما تقاتلون عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فيه تقاتلون في الشهر الحرام
اذا قاتلوا فيه فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام اي بهتك حرمته بهتكهم حرمته
والحرمات قصاص اي متساوية فلا يفضل شهر حرام على آخر بحيث يمتنع
هتك حرمته لهتكهم حرمة ما دونه على انا لا نهتك حرمة الشهر والمسجد الحرام
والحرم بل نهتك حرمة من هتك حرمة احدها فمن اعتدى عليكم وهتك
فيه حرمة مكان او زمان فاعتدوا عليه لا على الزمان والمكان بمثل ما اعتدى
عليكم لا بازيد منه واتقوا الله في هتك حرمة الشهر والمسجد والحرم بدون
هتكهم وفي زيادة الاعتداء وان خفتم غلبتهم في المستقبل فالله يكفيكم واعلموا
أن الله مع المتقين وليس من الاعتداء الاستعانة على الكفار بمن لا تقاتلو
بانفسهم بل يستعينوا عليهم ولو بالاستيجار وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا

بترك الانفاق المفضي الى غلبتهم انفسكم في التهلكة كأنكم بأيديكم القابضة عن
الانفاق تفضون بها إلى التهلكة وأحسنوا الظن بربكم في الانفاق بانه يعوضه
عليكم في الدنيا والآخرة إن الله يحب المحسنين الظن به ومن احبه الله لا يفوته
شيء وأتموا ولو بالقتال في الشهر الحرام فانه ليس من الاعتداء بل يكاد يكون
من الواجبات لتوقف الواجب عليهما الحج والعمرة اي اعمالهما بعد احرامهما
اذ وجباته لله فمن عاق عنهما عاق الله عن حقوقه وذلك لان البيت لكونه اول
متعبد لله نازل منزلة بيت الملك الذي يقصده الزوار من بعد وهو الاحرام
يجتمعون للزيارة على فناء حريمه وهو الوقوف بعرفة في الحج وكذا اكثر اعماله و
يفترقون تارة وهو العمرة فيطوفون حوله على عدد صفاته السبع التي يتخلق بها
المتقربون اليه ويسعون لتاكيده النازل منزلة التحقق بها ويحلقون بقطع علائق
ما سواه فإن أحصرتم اي فان حبسكم العدو ولم يمكنكم قتالهم او تركهم فاردتم
التحلل فما استيسر من الهدي اي فالواجب ما تيسر من ذبح بدنة او بقرة او
شاة لان الابتلاء بالاحصار من خباثة النفس ولا يمكن افناؤها اختيارا
فافني ما يناسبها من الحيوانات ولا تحلقوا رءوسكم للتحلل حتى يبلغ الهدي
محله اي حتى تعلموا بلوغ الهدي بذبحه من الحرم ان امكن ايصاله اليه والا فحيث
احصر على ما نقله الماوردي عن جميع اصحابنا البصريين وذكر ان الشيخ ابا حامد
نقله عن نص الشافعي قال ومن اصحابنا البغداديين من جوز نحره في الحل
وان قدر على ايصاله الى الحرم انتهى وهذا هو المشهور في المتأخرين وتاويل الآية
حينئذ حتى يذبح الهدي فيستقر في محله وذلك لان الهدي يقوم مقام الاعمال
السابقة على الحلق واذا لم يجز الحلق قبل البدل فقبل المبدل اولى بالامتناع
الا لضرورة مع فدية فمن كان منكم مريضا يتضرر بالشعر أو به أذى من رأسه
من قمل او صداع ففدية من صيام ثلاثة ايام لانه تعدى على الاحرام والطواف
والسعي فيصوم لكل تعد يوما أو صدقة ثلاثة آصع يتصدق بها على ستة

مساكين زيدت على قوت اليوم لانها اخف على النفس من الصوم وقد تمكث
الجنابة او نسك وهو ذبح بدنة او بقرة او شاة وهو لكماله لم يتعدد فاذا
امنتم اى كنتم آمنين اول الامر او صرتم بعد الاحصار فمن تمتع اى استباحة
محظورات الاحرام بالعمرة اى بالفراغ من اعمال العمرة الى الحج اى الى وقت
الاحرام بالحج فما استيسر من الهدى فالواجب عليه اما هو الجزاء الكامل لانه
احيى النفس فلا بد من قتل بدلها فمن لم يجد هديا فصيام ثلثة ايام فى
الحج اى بعد الفراغ من اعماله والاولى سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه جبرا
للنقص فى اعماله الثلثة الوقوف والطواف والحلق وسبعة اذا رجعتم
الى اوطانكم اتقاء للصفات السبع التى تخلق او تحقق بها بعد الرد الى عالم السفل
تلك عشرة كاملة فى العوض من الهدى لانه يجبر نقص هو بدل لا يخاف معه
الاختلال فى حق الكامل ذلك اى وجوب دم التمتع لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام اى لم يكن وطنه دون مسافة القصر من الحرم لان من دونها فى
حكم القرب من الله فالله تعالى يجبره بفضله واتقوا الله فى الجناية على احرامه
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن جنى على احرامه اكثر من شدة عقاب الملوك
على من اساء الادب بحضرته وكيف لا يعظم الجناية على افعال الحج وهى معظمة
معظم لها اوقاتها اذ الحج اوقات اعماله اشهر معلومات بكثرة الفضائل عند
اهل الحقائق شوال يطلع على افعال الحق وذو القعدة على صفاته وذو الحجة
على ذاته والمراد عشرها الاول نزل منزلة الكل لغاية فضله فمن فرض
اى اوجب على نفسه فيهن الحج باحرامه ولو بنية النفل فلا رفث اى فمقتضى
احرامه ان لا يوجد جماع ولا فسوق بارتكاب لمحظورات الاحرام وغيرها
ولا جدال اى مماراة احد من الرفقة والخدام فى الحج اى فى ايامه بل ينبغى ان
يوجد فيها كل خير مع خيرات الحج وما تفعلوا من خير ولو ادنى يعلمه الله فيعظم
الجزاء عليه بانضمامها الى خيرات الحج و ليس من الخيرات ترك الزاد وان اشعر

الاحرام قبل



بالتوكل بل تزودوا اتقاء السؤال فانه خير من التوكل فان خير الزاد اى
زاد الآخرة الذى يترك له زاد الدنيا عند تاركه التقوى فانها خير من
الاعمال النافلة بل لا ينفع عمل بدونها وهى ينفع بدون الاعمال واتقون
يا اولى الالباب اى اهل الحقائق الباطنة فان كل باطن يخالف التقوى
مردود وكيف تمنعون من التزود ولا تمنعون التجارة اذ ليس عليكم جناح
ضيق فى ان تبتغوا فضلا من ربكم من الربح ليربح قلوبكم عن اهتمام الرزق
لعبادته ومعرفته واقصدوا لعبادته ومعرفته الاجتماع بعرفات فاذا
افضتم من عرفات اى دفعتم منها بكثرة دفع الماء عند صبه فاذكروا الله
عند المشعر الحرام اى فصلوا المغرب والعشاء جمعا لتذكروا الله بالجمع
بين الظاهر والباطن لاطلاعكم على ذلك عند الوصول الى مبادى حرمة
المشعر الحرام وهو جبل قزح او ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى محسر
واذكروه كما هداكم بدلائل الكتاب والكشف والعقل وان كنتم من قبله
اى وانكم كنتم من قبل ان هداكم الله بذلك لمن الضالين باعتقاد الالهية
المظاهر والالهية من ذكر الله حتى فنى فيه او بقى به ثم افيضوا من حيث افاض
الناس اى افيضوا من المشعر الحرام الذى افاض منه الحمس الذين زعموا
انهم الناس فلم يخرجوا منه الى عرفة لبقية اعمال الحج طواف الركن والسعى
والحلق والرمى واستغفروا الله عند الزهو اليها عما سلف ان الله
غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم اى فرغتم من اعمال الحج فاذكروا
الله بما دبابكم بها ولا تعجبوا بما حصل لكم من الكمال كذكركم آباءكم اذ منوا
عليكم بالتربية او كذكر قوم اشد ذكرا لله منكم لآبائكم لان منة الله بالابداء
والتوفيق والتعريف اجل من كل منة واقصدوه بذكره دون غيره
لئلا تجعلوه واسطة فمن الناس اى الذين نسوا حق عظمته من يقول
ربنا آتنا مرغوباتنا فى الدنيا لا نطلب غيرها فهذا وان ذكر الله ما له

في الآخرة من خلاق اي نصيب على ما ذكره لانه استغنى بنصيبه في الدنيا
بتخصيص دعائه به ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة صحة وكفافا
وتوفيقا وفي الآخرة حسنة ثوابا ورحمة وقنا عذاب النار بالعفو
والمغفرة اولئك وان اساؤا الادب معه بتبسطه لهم نصيب من
حسنات الدنيا والآخرة مما كسبوا من هذا الدعاء وسائر الاعمال يحاسبها
الله في اسرع الاوقات ليوصلها اليهم بسرعة والله سريع الحساب و
اما من دعا الله لذاته ولم يطلب منه سواه فلا حساب لعطائه واذكروا الله
لذاته لا لطلب شيء منه فان لم يتيسر ايام عمركم فلا اقل من ان تذكروه
لذاته في ايام معدودات هي ايام التشريق بالتكبير ادبار الصلوات
وعند ذبح القرابين ورمي الجمار والسر في الرمي الاستهانة بالشيطان
بذكر الله وتعظيمه والجمرات الثلث بمنزلة مداخله من القوة النظرية و
الشهوية والغضبية وايام التشريق بمنزلة مراتب النفس الامارة و
اللوامة والمطمئنة ورمي جمرة العقبة يوم العيد لتزكية الامارة لتعود
الى الفطرة وامرها اتم تقدم والتزكية انما تكون بذكر الله فاذكروه في هذه
الايام سيما الاوليين فمن تعجل في يومين اي نفر في اليوم الثاني بعد رمي
الجمار قبل الغروب فلا اثم عليه بترك مبيت ليلة الثالث بمنى ورميه اذ
لا يحتاج الى تزكية المطمئنة ومن تأخر فلا اثم عليه وان زاد عملا يشبه
زيادة ركن في الصلوة لانه احتاط بتزكية النفس المطمئنة احترازا من
تلبيس الامارة بانها صارت مطمئنة لكنه لمن اتقى اي اتى بجميع واتقوا الله
ان تدعوا لانفسكم كمالا بهذه التزكية واعلموا انكم اليه تحشرون فلو ادعيتم
الكمال لانفسكم كنتم مدعين مشاركته في الكمالات فيكون حشركم اليه حشر من
ادعى الشركة معه ثم اشار الى انه لا يغتر باظهار النفس الكمال لها للروح بل لا
تبالغ في تزكيتها وتوليها امرها فتظهر عداوتها الكامنة وتفسد عليها عملها



الى الله وتهلك اعمالها واحوالها ومقاماتها حتى تصير لا تبالي بالله وترد
الى جهنم البعد والفراق فتستقر فيها فتصير كالاخنس بن شريق اذ قال تعالى
في حقه ومن الناس من يعجبك قوله اي يعظم في نفسك لحلاوته وفصاحته
في الدنيا التي هي مبلغ علمه ولحفظها على نفسه يظهر محبته لك ويشهد الله على ما
في قلبه من الايمان بك والمحبة لك لئلا يتفرس فيه الكفر والعداوة وهو
الد الخصام اي اشدهم في العداوة اذ لا اثر في العداوة الظاهرة بعد تبديه
وذلك اذا تولى صارت له قوة استيلاء على تقيف سعى في الارض
ليفسد فيها بالقتل والاسر والنهب ويهلك الحرث اي الزرع بالاحراق
والنسل المواشي الناتجة فيفعل ما لا يفعله مؤمن او محب لله ورسوله والله لا
يحب الفساد كيف ولم يبال بالله حتى اذا قيل له اتق الله في الفساد وترك
اخذته العزة اي غلبته عزته فمنعته عن قبول قول الناصح وامرته بالاثم واذا
لم يكفه النصح بتقوى الله فحسبه اي كافيه جهنم اذا استقر فيها ابدا ولبئس
المهاد اي الفراش الذي يستقر عليه بدل فرش عزته ثم اشار الى ان التزكية
انما تتم ببيع النفس لطلب مرضاة الله فقال ومن الناس من يشري نفسه
اي يبيعها حتى كانه ينساها ابتغاء اي طلب مرضات الله لا لحظ من حظوظها
فيعبده لذاته لا للدنيا ولا للآخرة والله رؤف بالعباد الذين محضوا
عبادته فلم يكونوا اجراء بل يرحمهم باعطاء حظوظهم في الدنيا والآخرة اذ
يتلذذون بها فوق تلذذ اهل الدنيا بدنياهم واهل الجنة بجنتهم وكثيرا ما يفيض
عليهم حظوظها ثم اشار الى ان بيع النفس ابتغاء مرضاة الله انما يتم بالانقياد
لله ظاهرا وباطنا ولا يتم مع طلب حظوظ النفس لانه يعارض فيه ارادته بارادة
الحق فقال يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم فان مقتضى الايمان الانقياد
بالكلية فان لم يتم فلا بد من الدخول فيه فادخلوا فيه كافة ولا مانع من الدخول
فيه سوى اتباع خطوات الشيطان لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه

وان جاءكم بلذات دنيوية او اخروية يفوت عليكم لذات اهل الله ثم انه
لكم عدو مبين فان زللتم باتباع خطوات العدو من بعد ما جاءتكم البينات
على عداوته وعلى عظم لذات اهل الله ثم اهل الجنة واعتمدتم على حلمه وكرمه
وجوده فاعلموا ان الله عزيز حكيم فاذا اخللتم بمقتضى عزته بترك الانقياد
له فلا بد ان يفعل بكم ما يقتضيه حكمته من الفرق بين من قام بمقتضى عزته
ومن اخل بها وكما انه جواد كريم لطيف فهو مانع منتقم شديد العقاب ثم اشار
الى انه لا يكفي في الدخول في السلم الانقياد الظاهر مع انكار الباطن فانه مكر
مع من يطلع على مكر الخلائق ولا يطلعون على مكره فقال هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله بقهره مخفيا له في ظلل من الغمام اى السحاب الابيض الموهم كونه
ماطرا اخفاء بمثل النفاق والملائكة الذين لا يبصرون بالقهر الذى لا شعور
به اصلا بخلاف الذى في الغمام ولا وجه لانتظارهم اذ قضي الامر في حق
المنافقين بذلك والانتظار مشعر بالتردد وكيف يتردد فيه والى الله ترجع
الامور فاذا لم ينقادوا باطنا يكون رجوعهم اليه رجوع العبد الآبق على
الملك اذا رد عليه قهرا ثم اشار الى انه لا ينبغي لمن لا ينقاد لله ان يغتر بما يظهر
عليه من الخوارق فقال سل بني اسرائيل كم آتيناهم على رؤس مبانيهم على خلاف
شريعتهم من آية بينة فصرفوها وهي نعم الله الى معاصيه فاهلكناهم وهكذا
من يبدل نعمة الله بمعصيته اشتد غضبه عليه من بعد ما جاءته فان الله
شديد العقاب ثم اشار الى ان الخوارق لم تقارن بالانقياد لله لم تدل
على القرب من الله بل على البعد منه حتى يكتسب بها الدنيا فيشبه الكفرة
اذ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا كيف ويكون سبب ازدرائه بالمؤمنين
فيشبه الكفرة اذ يسخرون من الذين آمنوا بما فاقوا عليهم بامور الدنيا كذلك
اهل الخوارق يسخرون من العوام بما فاقوا عليهم بالخوارق بل على المتقين
الذين لا خوارق لهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة وان لم يعرفوا بالخوارق





في الدنيا بل رزقهم الخوارق كرزق الكفرة الاموال والله يرزق من يشاء
بغير حساب لمجرد التقوى ادل على القرب من الخوارق ثم اشار الى انهم
كيف عظموا بالخوارق انفسهم ولم يعظموا الانبياء بمعجزاتهم التي هي اعظم الخوارق
مع اقترانها بالدعوة العامة الى الخيرات كلها بل كانت سبب تفرقهم لتظهر ما على
يد غيرهم وذلك انه كان الناس امة واحدة متفقين على الاسلام فيما بين
آدم وادريس وعلى الكفر فيما بينه وبين نوح فبعث الله النبيين بالمعجزات
القاهرة والبراهين القاطعة مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم اذ بعثهم مبشرين
لمن آمن واطاع ومنذرين لمن كفر وعصى وانزل معهم الكتاب الجامع لما
يحتاجون اليه في باب الدين على الاستقامة والهداية التامة التي لا يحتاج الكامل
معها الى خارق لكونه ملتبسا بالحق من جميع الوجوه ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه من الاعتقادات والاعمال ومعجزاتهم مؤيدة له وما اختلف فيه مع كونه
رافعا للاختلاف الا الذين اوتوه اى علموه ولم يكن اختلافهم لالتباس
عليه من جهته بل من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل الواضحة بحيث يكون الشبه
بازائها شبهة في مقابلة البديهيات فكان اختلافهم بغيا بينهم حسدا وقع بينهم
لكنه لم يبق شبهة في حق من آمن فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من
الحق اى للحق الذى اختلفوا فيه باذنه بتيسيره لا لمراجعتهم المختلفين ولا بعد مع
اقامته الدلائل الواضحة والله يهدي من يشاء بغير دليل ظاهر ولا معلم بشري
الى صراط مستقيم كذلك خوارق اهل الضلال سبب الالتباس عليهم وقد يهدي
الله المؤمنين فيميزوا بين المعجزات والكرامات وبين سائر الخوارق ولو قيل
كيف يتميز المحق والمبطل مع انه يعطى الخوارق والشبه اجيب بان الالتباس
ضعيف اذ المعجزة غير مقدورة للبشر مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم
لكن قد يبتلى الضعفاء بالباساء والضراء في الاسلام اذ لولاه لاتفق الكل
على الحق لانه طالبه ولا مانع عنه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير ابتلاء في تميز

المعجزات والدلائل عن الخوارق والشبه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اى من غير ان يأتكم الشأن العجيب الذى
كان للماضين قبلكم فكان سنة الله التى لا تتبدل مستهم البأساء اصابهم الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة وزلزلوا ازعجوا من خوف العدو حتى
يقول الرسول الداعى الى الصبر الواعد بالنصر والذين آمنوا معه متى نصر
الله استبطاء له فيقال لهم ألا إن نصر الله قريب فكذا التميز بين المعجزات
وسائر الخوارق وبين الدلائل والشبه قريب وان استبعده البعض ثم اشار
الى ان السؤال المذكور فى وضوح الرد كالسؤال عما ينفقون فقال يسألونك
ماذا ينفقون يستصعبونه مع وضوحه قل الالتباس فى المصرف اكثر فحقكم
ان تسألوا عنه اولا فاجابوا بان ما انفقتم من خير فيه اشارة الى ان كل خير صالح
للانفاق فللوالدين قبل غيرهما ليكون اداء لحق تربيتهما مع كونه صلة وصدقة
والاقربين بعدهما ليكون صلة وصدقة واليتامى بعدهم لان فيهم الفقر مع العجز
والمساكين بعدهم لاحتياجهم وابن السبيل بعدهم لانه كالفقير بغيبة ماله ثم صرح
بجواب اصل السؤال تنبيها على غباوتهم مع مزيد تعميم فقال وما تفعلوا من
خير فان الله به عليم فيجازيكم عليه فيه اشارة الى ان ما يأتى به صاحب المعجزة
خير فى نفسه فلو لم يتميز المعجزة عن سائر الخوارق فعليكم ان تفعلوا ما هو الخير
بكل حال ولو قالوا ان امر الشبه صعب لا يكاد يسهل اجيبوا انما صعب لكراهتكم
حلها لما فوتكم من الدين المألوف فيكون حلها على نفسكم بمنزلة القتل لها فالكره فى
حلها كالكره فى الجهاد اذ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم ومنه الجهاد اذ به ظهور الاسلام وتيسر اعماله بلا مانع وحل
الشبه اذ به الوصول الى الحق المفيد للسعادة الابدية المنجى عن الشقاوة السرمدية
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو ترك الجهاد القالع للاسلام المانع
من المانع من اعماله وحب الملة الباطلة المفوتة للسعادة الابدية المفضية

الى الشقاوة الابدية ثم قال والله يعلم وانتم لا تعلمون فما اشتبه عليكم
فعليكم بكتاب الله وسنة رسوله ثم اشار الى ان مما اشتبه عليهم امر
قتالهم فى الشهر الحرام مع قوة شبهة حرمته وهو ايضا سهل الرد فهم يسألونك
عن الشهر الحرام ايحرم ام لا فيقول انه حرام فيسألونك عن قتال فيه
قل قتال فيه كبير من المعاصى الكبائر كيف وهو صد عن سبيل الله اى عن
التجارة التى جعلها الله سبيل الرزق لعباده ولو استبيح هذا القتال فهو
كفر به وصد عن المسجد الحرام اذا قتل الحجاج الخارجون فى الشهر
الحرام فهذا وجه تحريم القتال فى هذا الشهر ولكن اخراج اهله اى اخراجهم
اهل المسجد وهم النبى والمؤمنون منه اكبر عند الله جرما من قتلهم اياهم
لان الاخراج فتنة والفتنة اكبر من القتل فقد فعلوا بكم فى المسجد الحرام
ما هو اكبر من القتل فيه وحرمة المسجد كحرمة الشهر على ان قتلهم لكم ليس كقتلكم
لهم لانكم تقتلونهم دفعا عن انفسكم ويمكن ان يؤمنوا فيفوزوا بخير الدارين
وهم يقاتلونكم لطلب الردة بل لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
ان استطاعوا اى قدروا على ردتكم وهى اضر من القتل الذى يدفعونه
لان غاية القتل الموت وهو حاصل للمرتد وان لم يقتل وانما كانت الردة
اضر لانه من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم اى تلفت جميع مساعيهم النافعة لهم فى الدنيا اذ يرتفع الامان
عن اموالهم واهليهم والآخرة اذ يسقط ثوابهم ولا يقتصر عليه بل
اولئك اصحاب النار وهى اشد من القتل سيما اذ هم فيها خالدون ان
الذين آمنوا بحرمة الشهر فى نفسه وجواز قتال المخرجين اهل المسجد الحرام
منه والذين هاجروا اذ اخرجوا من المسجد الحرام وجاهدوا فى سبيل
الله ولو فى الشهر الحرام للدفع عن انفسهم او لدعوة الاسلام المفيد لهم
فى الدارين اولئك وان باشروا القتال فى الشهر الحرام يرجون رحمت

الله على ايمانهم و بحسناتهم وجهادهم للدفع او لايمان المقتول و الله غفور لهتكهم حرمة الشهر رحيم بما رخص في القتال مع قيام دليل الحرمة ومما ابيح عليهم اثم الخمر لانها تقوى وتفرح ويؤدى سكرها الى التشاتم والتضارب والتقاتل واثم الميسر لانه يحصل لواحد الا ويضيعه على آخر فهم يسئلونك عن الخمر والميسر اباحتان لمنافعهما ام محرمان لمفاسدهما قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس يرون بينهما معارضة فيستشكلون وليس بمشكل مع ظهور رجحان جانب الاثم اذ اثمهما اكبر من نفعهما لان الضرر الاخروى لا يحتمل للنفع الدنيوى بل يراه نفعا من نفى ذلك الضرر ويسئلونك ماذا ينفقون فان رجحان الامر الاخروى وانما منع النفع الدنيوى للضرر الاخروى قل العفو اى الفاضل الذى يمكن التجاوز عنه لعدم الاحتياج اليه كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فلا تتركون لذائذ الباقى للفانى ويسئلونك عن اليتامى بان الضرر الاخروى اذا كان مانعا من النفع الدنيوى ففى اكل مالهم ضرر اخروى ولا يؤمن منه اوجب التحرز عنهم وهو مضيع لهم قل لا ضرر اخروى في اصلاحهم بل اصلاح لهم خير دنيوى لهم واخروى لكم وخطر اكل مالهم ليس بمانع من مخالطتهم بل ان تخالطوهم فاخوانكم ولا باس بمخالطة الاخوان اذا لم يكن على وجه الافساد والله يعلم المفسد من المصلح ويجزى في الجزاء فاحذروا عن الافساد ولا تتركوا الاصلاح فان تركه يشق عليهم ولو شاء الله لاعنتكم اى لشق عليكم بما تشقون عليهم ولا يمنعه من ذلك شئ ان الله عزيز غالب على ما اراد حكيم وقد اقتضت حكمته ذلك فلا يتركه ثم اشار الى ان الخطر الاخروى وان امر بتحمله في امر اليتامى لا يجوز تحمله في مناكحة اهل الشرك فقال ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بنكاح الامة المفضى الى رقية الولد ولأمة مؤمنة خير من مشركة فان

على النفع الدنيوى يقتضى اتفاق الجمع [illegible] الامر الدنيوى للنفع الاخروى صح



نقصان الرقية فيها مجبور بالايمان الذى هو اجل كمالات الانسان ولو اعجبتكم بسائر الفضائل فان نقصان الكفر لا ينجبر بها ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بفوت الكفو ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم بكثرة الفضائل فان ذهاب الكفاءة بالكفر غير مجبور بشئ منها واشار الى وجه الحظر بقوله اولئك يدعون الى اسباب النار ويؤثر قولهم لافراط المحبة بينهم والله يمنع مناكحتهم وامر بمناكحة الارقاء يدعوا الى اسباب الجنة واسباب المغفرة المنجية من النار وتيسير ذلك باذنه بتوفيقه ويبين آياته للناس ليتذكروا لا على القطع بل بطريق الرجاء لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض هل يجب ابعادهن عن مكان الفراش للخطر في الاجتماع قل لا خطر في ذلك بعينه اذ هو اذى يأباه الطبع السليم وغايته اعتزال النساء فاعتزلوا النساء في المحيض في محل الحيض اى الفرج والخطر في ذلك لا تقربوهن بمباشرة حريم الفرج وهو ما بين السرة والركبة حتى يطهرن اى يحصل لهن النقاء عن الدم بل حتى يغتسلن فاذا تطهرن اى اغتسلن فأتوهن اى ابيح لكم اتيانهن من حيث امركم الله اى من القبل الذى اباحه الله لكم ولو بدلوا اتيتم قبل التطهر او في غير المأتى فان التوبة طهر ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين لانهم يرجعون اليه ويناسبونه في التنزه وانما امركم باتيان القبل لان الحراثة انما تكون من جانب اذ نساؤكم حرث لكم تلقون في ارحامهن بذر الولد وهو النطفة وموضع انبات البذر القبل لا يمنع اتيان الدبر من جهته فأتوا حرثكم انى شئتم اى من اى جهة شئتم فلا تبالوا بقول اليهود ان من جامع في القبل من جهة الدبر كان الولد احول وقدموا على الاتيان قصد طلب الولد فانه يفيد الثواب لانفسكم واتقوا الله ان تضيعوا بذره بوضعه فيما لا يحل واعلموا انكم ملاقوه فيسألكم عن بذره وبشر المؤمنين الواضعين بذره في محل امره بما يجازيهم على تعبيرهم

للعالم ثم اشار الى ان قضاء الشهوة لا يمنع من ثواب الخير كما انه لا يمنع ثوابه
نقض العهد اليمين فقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا بينكم
لاجل يمينكم به على ان لا تبروا او على ان تفعلوا فعلا محرما او على ان لا تدخلوا
فى الاصلاح ان تبروا وتتقوا الفعل المحرم وتصلحوا بين الناس فانقضوا
ايمانكم وكفروا عنها يحصل لكم اجر الخير والله سميع لاعتذاركم عن يمينه
اذا نقضتموه لتعظيم امره عليم بانكم قصدتم به تعظيم امره لا هتك حرمته فلا
يؤاخذكم بتلك اليمين بعد التكفير كما انه لا يؤاخذكم الله باللغو بالكلام الذى
لم تقصدوا بايمانكم وان دخل فى ايمانكم بلا قصد ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
من هتك حرمته بنقض اليمين المقصودة او جعلها وسيلة الى اكتساب
حرام وانما لا يؤاخذكم باللغو مع قلة تباليكم اذ الله غفور حليم ثم اشار
الى انه كما لا يؤاخذ بنقض اليمين اذا نقضت للبر والتقوى والاصلاح و
كفرت لا يؤاخذ بيمين المولى وهو من حلف لا يجامع امراته فوق اربعة
اشهر او مطلقا اذا كفر فقال للذين يؤلون اى يحلفون للامتناع من
نسائهم تربص اربعة اشهر اى انتظار نسائهم مضى اربعة اشهر اذ لا
يحتملن الصبر فوق ذلك فان فاءوا اى رجعوا اليهن بالجماع منقضوا اليمين
وكفروا عنها فان الله غفور لحنثه رحيم على النساء بما رخص لهم فى الحنث
وان عزموا الطلاق اى حققوا موجبه وهو ترك الفئ كانهم قصدوه جزما
فان الله سميع لقصدهم عليم بما يجب عليهم من تطليقها بانفسهم او على لسان
الحاكم والمطلقات ولو موليات ينتظرن المدة المذكورة وفى معناهن
المفارقات حال الحياة بردة او خيار اذا كن من ذوات الاقراء
مدخولات غير حاملة يتربصن بانفسهن اى ينتظرن بحمل انفسهن عليه
قدر ثلثة قروء اى مضى ثلثة اطهار بجميع الحيض فيها فى ارحامهن اجتماعا
كاملا وهن ينقلن الى الحيض لان هذا الانتقال يدل على براءة الرحم

بحسب الغالب اذ حيض الحامل نادر فلو كثر فلا يكاد يخفى الحمل يعد هذا العدد
بعدد الطلقات توسيعا لمدة الرجعة على من راعى حقها لعله يذهب عن
قلبه فى مدة العدة ما كره فيراجعها وعلى من استكمل ليذوق وبال فراقه
لو عاد بعد العدتين ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن
من الحيض والولد استعجالا للعدة او ابطالا لحق الزوج فى الرجعة ان كن
يؤمن بالله اى جرين على مقتضى الايمان به المخوف من ذاته واليوم الاخر
المخوف من جزائه وبعولتهن اى ازواجهن احق بردهن اى الى النكاح والرجعة
اليهن ان كان الطلاق رجعيا فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا
بالرجعة اصلاحا لا اضرارا والاصلاح انما يتم باداء كل حق الآخر اذ لهن على
الرجال من المهر والكفاف وترك الاضرار مثل الذى عليهن بالمعروف
للرجال من الاطاعة والتعفف وحفظ البيت وليس لهن التحكم على الرجال
والاعراض بزوجة اخرى او بالتسري اذ للرجال عليهن درجة والله عزيز قادر
عن انتقام من منع حق صاحبه حكيم ينتقم منه بمقتضى حكمته الطلاق اى التطليق
الذى يستحق الزوج الرد فى عدته مرتان فى كل مرة له الرد والتطليق فان
رد فامساك بمعروف اى فالواجب امساكها باقامة حقوق الزوجية
ولا يجوز اضرارها بذلك بتطويل العدة او طلق فالواجب تسريح باحسان
لا ياخذ منها شيئا وذلك لانه لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا من
المهر والنفقة فضلا عن سائر اموالها فى كل وقت الا وقت ان يخافا ان لا
يقيما حدود الله اى حقوق الزوجية ثم هذا الخوف يجب ان يكون بحيث لو
رفع الى الحكام يقع فى قلوبهم فان خفتم ايها الحكام لو رفع امرهما اليكم
ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما اى لا حرج على المراة فى الاعطاء وعلى
الزوج فى الاخذ فيما افتدت به نفسها عن ضرره ولو زائدا على قدر المهر والنفقة
ولا يكون حينئذ تسريحا باحسان بل خلعا تلك الاحكام حدود الله فلا

تعتدوها فلا يحل للزوج ان يأخذه ان اختص به خوف عدم اقامة الحدود
ولا للمرأة ان اختص بها ذلك ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
فى الاخذ والاعطاء وان صح عقد الخلع واذ اخرناه بعد المرتين بين الامساك
والتسريح فان طلقها فلا تحل له برجعة ولا نكاح جديد من بعد لانه قطع
محبتها عن نفسه وقلبه وروحه فلم يبق له علقة يمكنه جذبها بها حتى تنكح زوجا غيره
اى حتى تذوق وطى زوج آخر بنكاح صحيح وذلك لئلا يكثر الطلاق والتطليق والعود
مع انها لما نكحت زوجا آخر ووطئها صارت كانها لم تكن امرأة الاول اصلا
فكانه لم يكن بينهما محبة انقطعت فيحتاج وصلها الى علقة بل صارت لا تعرفه ولا
يعرفها على ان القطع اذا كان من البعض كان كقطع الشجرة لا من اصلها فيمكن
عودها وان كان من الاصل فلا يعود الا بغرس جديد وجعل الى غارس
آخر لئلا يكون القاطع غارسا من اخرى فيلزمه السفه فان طلقها الزوج الثانى
فلا جناح عليهما اى الزوج الاول والمرأة ان يتراجعا الى الزواج بتجديد النكاح
ان ظنا اى ان اعتقدا اعتقادا راجحا اذ لا يمكن الجزم بالامور المستقبلة
ان يقيما حدود الله اى حقوق الزوجية وتلك اى اصابة الزوج الثانى
وتطليقه وظنهما اقامة حقوق الزوجية حدود الله يبينها لقوم يعلمون ان من
قطعت محبته يحتاج فى تجديدها الى حيلة واذا طلقتم النساء ايها الازواج
الثوانى فبلغن اجلهن فبلغ انتظارهن ما يقرب آخر مدتهن فانتم كالازواج
الاولين فامسكوهن بمعروف اى بقصد اقامة حقوق الزواج او سرحوهن
بمعروف اى اتركوهن مسرحات من غير قصد العضل ولا تمسكوهن ضرارا
بهن بتطويل العدة لتعتدوا عليهن بجعلها كالمعلقة ومن يفعل ذلك وهو وان
ظلمها فى الظاهر فقد ظلم نفسه بالحقيقة لانه يعطيها اعماله الصالحة او تحمل اعمالها
الطالحة ويحبس فى النار حبسها فى العدة ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى عبثا
التى بينها بانه من قيد دوم حبسكم فى النار واذكروا نعمت الله عليكم اذ جعلهن



بايديكم ولو جعلكم بايديهن لاضررن بكم فلا تتوسلوا بنعمته الى معصيته واذكروا
ما انزل عليكم من الكتاب اى العلم الظاهر والحكمة اى الباطن لاصلاح
شانكم اذ يعظكم به فلا تفسدوا عليكم ما اصلح الله لكم بآياته وظواهر علومه وبواطنها
وزواجره واتقوا الله فى افساد ما اصلح بذلك واعلموا ان الله بكل شىء
من اصلاحكم وافسادكم عليم وكفى بعلم الملك القدير العدل الحكيم زاجرا عن
مخالفته ثم اشار الى انه كما لا يجوز اضرارهن بالامساك عند تقارب انقضاء العدة
لا يجوز اضرارهن بعد انقضائها بمنع التزوج فقال واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى فبلغ انتظارهن آخر اجلهن فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن ايها الازواج
ان ينكحن ازواجهن اى من ارادوا من الازواج اذ لم يبق لكم زوجية بهن
بل صار غيركم اولى بهن لاضافة منكم اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى بطريق
النكاح ذلك النهى عن العضل يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله بعبوديته وعدله
وحكمته واليوم الآخر يوم جزائه ذلكم ازكى لكم لنفوسكم من الميل اليهن واطهر
لقلوبكم من وسوسة الشيطان والله يعلم ما فى العضل من ضرركم وانتم لا تعلمون
ما على اهل العضل من الشدة عنده والوالدات ولو مطلقات مأمورات
ان يرضعن اولادهن ولو فى بيوت المطلقين اذا لم يكن لهن الحضانة
لعدم اهليتهن وان خيف ميلهم اليهن سيما بطول المساكنة لكونها حولين كاملين
تحمل ذلك لحفظ الاولاد عن التلف ومنع المدة غاية لمن اراد ان يتم
الرضاعة فلا تحتمل اسكانهن فى بيوت المطلقين اكثر من ذلك والمولود
وان كان للوالدة على المولود له اجرتها ولم يقل على الوالد ليشعر بانه ينسب اليه
لا اليها ولذلك كان عليه مؤنته لا عليها واجرة المثل فى ذلك رزقهن طعامهن
وكسوتهن بالمعروف بما يراه الحاكم سدا اذا كان الوالد موسرا اذ لا تكلف
نفس الا وسعها وحينئذ يصبر على الوالدة ولو معسرة لا تضار والدة
بولدها بمنع ارضاعه ولو عند اعسار الاب ولا مولود له بولده عند

يساره وان كان لها الحضانة فذهبت به الى بيتها عند المفارقة اذ ليس
عليها مؤنة ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ اى وجب على الصبى اذا ورث
مال ابيه اجرة المرضعة ولوامه ايضا اذا احتاج الصبى الى الرضاع ﴿فان
ارادا﴾ اى الابوان ﴿فصالا﴾ فطاما صادرا ﴿عن تراض منهما﴾ لا لكراهة احدهما
للآخر ﴿و﴾ لا عسر الانفاق ولا تعب التربية بل ﴿عن تشاور﴾ وهو استخراج الرأى
﴿فلا جناح عليهما﴾ فى منع من رضاع واجرة ﴿وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم﴾ من غير امهاتهم لكراهة ظهرت فيهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ ولو بعد
استيجار من قبله ﴿اذا سلمتم﴾ اليهن ﴿ما آتيتم﴾ اى سميتم لهن من الاجر ﴿بالمعروف﴾
اى بالوجه المستحسن شرعا بخلاف ما اذا كانت الاجارة فاسدة فانه يجب
فيه اجرة المثل لمدة الرضاع ﴿واتقوا الله﴾ فى الميل الى المرضعات اذا
كن مطلقات او اجنبيات وفى منع شئ من حقوقهن عند ارادة الاسترضاع
من غيرهن ﴿واعلموا ان الله بما تعملون بصير﴾ وان لم يبصره غيركم ولما ذكر
عدة المفارقة حال الحيوة وحكمها فى الارضاع فى اثناء العدة وبعدها
عقبها بعدة المتوفى عنها زوجها فقال ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن﴾ اى تنتظر ازواجهم بعدهم ﴿بانفسهن﴾ اى تحملها على الصبر
﴿اربعة اشهر وعشرا﴾ اى مضيها لئلا يتعارض فى قلبها حب المتوفى وحب
الجديد فاخذ مدة صبرها وهو اربعة اشهر وزيد عليه العشر اذ بذلك ينقطع
صبرها فتميل الى الجديد ميلا كليا فينقطع عن قلبها حب المتوفى على انه
يظهر فى حق المدخول بها حركة الحمل اذ يكون بعد اربعة اشهر لكنها بقدر ضعيفة
ويتقوى بمضى عشر آخر ولم يكتف بالاقراء الدالة على عدمه منها بخلاف
الفراق الاختيارى شاهد عدمه مع شهادة الاقراء فيه شاهدان وههنا
واحد وعدم الحركة بهذه المدة يقوى شهادة الاول فيكون كالشاهد مع
اليمين ﴿فاذا بلغن اجلهن﴾ اى بلغ انتظارهن آخر عدتهن ﴿فلا جناح عليكم﴾

حال القراءة لان الفراق لجنون

يا اولياء المتوفى ﴿فيما فعلن فى﴾ حق ﴿انفسهن﴾ من التزويج قبل الحول ﴿بالمعروف﴾
بالوجه المشروع من حضور الولى والشهود ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم
على لومكم اياهن على الامر المشروع ﴿و﴾ كما لا جناح عليهن فى التزوج بعدها ﴿لا جناح
عليكم﴾ ايها المخاطبون ﴿فيما عرضتم به﴾ اى اوردتموه بطريق التعريض وهو ايهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا ﴿من خطبة النساء﴾ بان يقول لها انك
جميلة او صالحة او رب راغب فيك ومن يجد مثلك ﴿او﴾ فيما ﴿اكننتم﴾ اى
اضمرتم من نكاحهن ﴿فى انفسكم﴾ وان كان حقه التحريم فضلا عن التعريض
باللسان لكن اباحه الله لكم اذ ﴿علم الله انكم ستذكرونهن﴾ من عدم صبركم
عنهن فلا تتعدوا ما اباح لكم الى ما وراءه ﴿ولكن لا تواعدوهن﴾ حال العدة ﴿ولو
سرا الا ان تقولوا﴾ بطريق التعريض ﴿قولا معروفا﴾ يدل على النكاح لا السفاح
ولا باستعجال النكاح فانه زيادة اباحة لانه يخاف سبق الغير عند كمال العدة
بخطبتها ﴿ولا تعزموا﴾ لا تقصدوا جزما حال العدة ﴿عقدة النكاح﴾ بعد العدة
لانه يعقد منه تحرك من الجانبين بحيث لا يطاق معه الصبر الى انقضاء
العدة ﴿حتى يبلغ الكتاب﴾ اى ما قدرت من العدة ﴿اجله﴾ آخره ﴿واعلموا
ان الله يعلم ما فى انفسكم﴾ من الميل اليهن قبل الاجل ﴿فاحذروه واعلموا
ان الله غفور﴾ ذلك الميل اذا لم يتعد لعزم عقدة النكاح لانه ﴿حليم لا جناح﴾
لا ضيق ﴿عليكم﴾ من لزوم المهر عليكم ولا على نسائكم من لزوم العدة عليهن
او الاضرار بهن ﴿ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة﴾
اى قبل الوطى وقبل فرض المهر واما اذا طلق بعد الوطى قبل الفرض يلزم مهر
المثل وبعد الوطى والفرض يلزم المسمى ﴿و﴾ حيث لا مهر عليكم ﴿متعوهن﴾ جبرا
لوحشة الفراق وهى مفوضة الى رأى الحاكم ينظر فى حال المطلق ﴿على الموسع
قدره﴾ اى يجب على الموسر قدر ما يليق بيساره ﴿وعلى المقتر قدره﴾ اى وعلى
المقتر قدر ما يليق باعساره ﴿متاعا بالمعروف﴾ اى بالوجه المستحسن فلا يزاد

ح

الى نصف مهر المثل ولا تنقص الى ما لا يعتد به حقا اى ثبت ذلك ثبوتا مستقرا
على المحسنين اى الناظرين الى الله فلا يليق بهم ايحاش خلعة بالكلية وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن اى قبل الوطى وقد فرضتم لهن فى العقد او بعده فريضة
ولو اقل من مهر المثل فنصف ما فرضتم اى فالواجب نصف المسمى الا
ان يعفون فلا شئ على المطلقين او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى
الزوج المالك عقدة النكاح عن استرداد النصف فانه لكونه مالكا للنكاح يستحق
ردحة مع حقها وان تعفوا عن استرداد النصف اقرب للتقوى ليكون
جبرا للاساءة اذ النصف الآخر انما هو لتحقق نصف موجبه اذ موجبه العقد والوطى
وقد تحقق العقد ولا تنسوا الفضل اى التفضل بالزيادة لتذهب بالوحشة
بينكم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع تفضلكم ثم اشار الى ان اساءة التطليق
وان لم تكن بدعة وادى فيها المتعة او المهر لا تذهب الا باكتساب الحسنات
سيما الصلوة لا كيف كانت بل المحافظة فقال حافظوا على الصلوات برعاية
فرائضها وسننها واوقاتها و لا يكفى المحافظة على صلوة ما بل لا بد من المحافظة على
الصلوة الوسطى وهى الصبح الواقعة بين خلال الليل والنهار المشهودة للملائكة
النازلين والصاعدين وقيل العصر لقوله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقوموا لله قانتين خاشعين او ذاكرين
له وهذه المحافظة فى غير شدة الخوف فان خفتم واستحوذ خوفكم فرجالا او ركبانا
اى فصلوا راجلين او راكبين فيعفى عن كثرة الافعال واتمام الركوع والسجود
واستقبال القبلة فاذا امنتم اى زال خوفكم ولو فى اثناء الصلوة فاذكروا
الله فصلوا ذاكرين كما علمكم من فرائضها وسننها ما لم تكونوا تعلمون مما فاتكم
اسرارا وعلوما ولما ذكر متعة المطلقات وما يرتفع به اساءة الطلاق
بالكلية اشار الى متعة المتوفين فقال والذين يتوفون منكم ويذرون
اى يتركون ازواجا الزمهم الله وصية لازواجهم ان يمتعوهن بالنفقة و



الكسوة متاعا ممتدا الى آخر الحول غير اخراج اى غير مخرجات من مساكن
الفراق وكان هذا فى اول الاسلام ثم سقطت النفقة والكسوة بتوريثها الربع
او الثمن والحول باربعة اشهر وعشر وبقى لها السكنى لكنها كانت فى اول الاسلام
الى سنة وكانت على سبيل الخيار لها فان خرجن فلا جناح عليكم يا اولياء الميت
فيما فعلن فى معاش انفسهن من كسب معروف جائز شرعا والله عزيز غالب
على مجازاة ما فعلن من غير المعروف بفعله لانه حكيم ثم الزمهن ملازمة السكنى
اربعة اشهر وعشرا وذلك لانه لم يكن من عادتهن ملازمة البيوت ثم الزمهن
محافظة علم ماء الرجل ثم اشار الى انه كما يكون للمتوفى عنها زوجها متاع نفقة و
سكنى مع اخذها كل المهر يكون للمطلقات بعد الفرض والمسيس ايضا فقال
وللمطلقات غيرها طلقت قبل المسيس بعد الفرض لانه لما نقص الفرض فى حقها لم تستحق
الزيادة متاع بالمعروف جبرا لوحشة الفراق والمهر حق بضعها حقا على المتقين
اى ثبت ثبوتا مستقرا على من يتقى البقاء على الاساءة كذلك اى مثل ذلك البيان
الشافى يبين الله لكم فى جميع المواضع آياته الدالة على احكامه الحكيمة لعلكم
تعقلون تستعملون عقولكم لاستنباط وجه الحكمة ثم اشار الى انكم لو منعتم
المهر والنفقة بعد ما امر الله بهما لم يبعد ان يسلبكم الاموال والحيوة التى تجمع
لها وان اعطيتم لم يبعد ان يعوضها لكم بل لا يبعد منه تعويض الحيوة بعد عوضها
نوعا غير محسوس فقال الم تر ايها المنكر لذلك الى اهل داوردان الذين خرجوا
من ديارهم اذ وقع بها الطاعون الى واد افيح وهم الوف ثلثة او اربعة
او عشرة او بضعة وثلثون او اربعون او سبعون حذر الموت فقال لهم الله
موتوا فماتوا فبليت اجسادهم وعريت عظامهم ثم احياهم اذ مر بهم حزقيل
اذ ناداهم ملك من اسفل الوادى وآخر من اعلاه ان موتوا ابن بوذى فجعل
يتفكر فيهم فاوحى الله اليه تريد ان اريك آية قال نعم وقيل دعا ان يحييهم فاحياهم
ليستوفوا آجالهم تفضلا عليهم وعلى من بلغهم خبرهم ليعتبروا فيفوزوا ان الله

لذو فضل على الناس يتفضل عليهم ليشكروه ولكن اكثر الناس لا يشكرون
ثم اشار الى انه لا بعد من الله ان يأمركم باعطاء المهر والمتعة وقد امركم ببذل
المهج اذ قال لكم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان انكرتم امره او قصدتم عصيانه
ان الله سميع لانكاركم وقصدكم عليم بمقتضاهما من الجزاء ثم اشار الى ان بذل
المهج والحقوق ليس اتلافا للنفوس والاموال بل تعويض بما هو اجل فقال من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا على سبيل الاخلاص امتثالا لامره لا
لحاجته بل لتضعيفه بمقتضى عظمته فيضاعفه له بتكثير فوائد الجنة والاموال في
الآخرة او في الدنيا ايضا اضعافا كثيرة ولا بعد ان يقبض عمن لا يقرضه ويبسط
لمن يقرضه اذ والله يقبض ويبسط ولو لم يعدكم الاضعاف لوجب عليكم امتثال امره
اذ اليه ترجعون وكيف ينكر بسط الله وقبضه وهو يعطي النفر الملك ويسلبه من
اهله ويقوي الضعفاء من الجمع القليل ويضعف الاقوياء من الجمع الكثير الم تر الى
الملأ من بني اسرائيل الذين كمل شرفهم في عهد موسى ثم زال ثم عاد من بعد موسى
اذ قالوا لنبي لهم هو اشمويل بن بالي او ابن ملقايا او شمعون بن صفية حين
ظهرت العمالقة قوم جالوت على كثير من ارضهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
غلاما واخذوا التورية ابعث لنا ملكا اقم لنا اميرا نقاتل معه تحت رايته في
سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا اي هل قرب
ترككم القتال ان فرض عليكم قالوا وما لنا ان لا نقاتل اي اي شيء عرض لنا يكون
سبب ان لا نقاتل في سبيل الله وقد تحقق فينا موجبه اذ اخرجنا من ديارنا و
افردنا من ابنائنا فلما كتب عليهم القتال بعد الحاحهم في طلبه تولوا اعرضوا
عنه جبنا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر ولم يجعل الله المتولين جبناء الا
لعلمه بظلمهم اذ والله عليم بالظالمين ويدل على ظلمهم اعتراضهم على نبيهم في تعيينه
بامر الله الملك الذي طلبوا تعيينه اذ قال لهم نبيهم الذي عرفوا صدقه بالمعجزات
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فاعترضوا عليه بل على الله اذ قالوا انى يكون

له الملك علينا وهو من اولاد بنيامين ونحن لكوننا من اولاد يهودا احق
بالملك منه وغير المستحق ربما يصيرها ملكا بسعة المال لكنه لم يؤت سعة من المال
قال ان الله اصطفاه عليكم ولا يتوقف اصطفاؤه على ارث او مال
وليس بطريق التحكم بل لانه زاده بسطة في العلم اي علم المملكة والجسم فجعله
عظيم الجسم مهيبا جميل الصورة وان كان لا يشترط شيء من ذلك في حق الله اذ
الله يؤتي ملكه من يشاء ولا يمكن التضييق عليه اذ الله واسع لكنه لا يتحكم لانه عليم
ومن ظلمهم انهم لم يسكتوا الى البيان من نبيهم بل طلبوا منه الآية حتى قال لهم نبيهم
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت صندوق التورية فيه سكينة من ربكم اي سكون
نفوس بني اسرائيل يتفوقون به على الحرب وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون فلما فسدوا غلب عليه
عمالقة وكان عندهم الى ان اصابهم الدواهي فتشاءموا بالتابوت فاخرجوه
الى الصحراء فاخذته الملائكة فيأتيكم تحمله الملائكة بين السماء والارض وانتم
تنظرون فتضعه بين يدي طالوت ان في ذلك لآية لكم على ملكه وعلى صدق
لكنها انما تتم دلالتها عندكم ان كنتم مؤمنين بآيات الله وانبيائه ولما اعترضوا
على نبيهم فيما سألوه وسألوا منه الآية عليه ابتلاهم الله فيما سألوه من النهر بعطشهم
فلما فصل طالوت نفسه عن البلد بالجنود اي معهم وكانوا ثمانين الفا من الشبان
الفارغين عن التجارة والدهقنة وغيرهما قال ان الله مبتليكم اي معاملكم معاملة
المختبر بنهر سألتموه لخروجكم وقت القيظ فمن شرب منه فليس مني اي من اشياعي
الذين يقاتلون معي ومن لم يطعمه اي لم يذقه فانه مني وليس مني من الشاربين
احد الا من اغترف غرفة واحدة بيده الواحدة فانه لا يخرج بذلك عن كونه مني
لانه في معنى من لم يذقه فشربوا منه الى حد الارتواء الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر
عدد اهل بدر اقتصروا على الغرفة فكفتهم للشرب والاداوة ومن لم يقتصر غلبه
العطش واسودت شفته فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه

فصل ان النهر للابتلاء قالوا اى المفرطون فى الشرب لا طاقة لنا اليوم قبل رؤية جالوت وجنوده بجالوت وجنوده اذ سلب الله شجاعتهم قال الذين اغترفوا غرفة بايديهم لا نبالى لهم مع امر الله على انا ان قتلنا بعثنا الله اذ كانوا يظنون انهم ملاقوا الله مع انا نرجو نصره لمتابعتنا امره اذ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة اى كثر غلبة الجماعة القليلة على الجماعة الكثيرة لا لافراط قوة القليلة بل مع ضعفهم باذن الله اى تيسيره ويرجى ذلك للصابرين اذ الله مع الصابرين اى كما لم يجبنوا عند مجاوزة النهر لم يجبنوا لرؤية جالوت وجنوده ولم يعجبوا بشجاعتهم ايضا بل لما برزوا اى ظهروا لجالوت وجنوده اذ دنوا منه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا فى قتالهم فلا نجزع للجراحات طلبوه اولا لانه ملاك الامر وثبت اقدامنا فى مكان الحرب فلا نهرب منه وهو سبب للصبر ثم طلبوا النصر المرتب عليها فقالوا وانصرنا لا نا مؤمنون بك على القوم الكافرين فهزموهم اى هزم اولئك القليلون اولئك الكثيرين باذن الله اذ شجع القليلين وجبن الكثيرين وقتل داود الذى كان اضعف عسكر الضعفاء جالوت الذى هو رأس الاقوياء روى انه تعالى اوحى الى اشمويل ان جالوت يقتله اصغر اولاد ايشى وكان مع اولاده السبع فى عسكر طالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته فى الطريق ثلثة احجار انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله فحصل به من الشجاعة العظيمة التى قوى بها جماعة الضعفاء المحصورين وضعف جماعة الاقوياء الغير المحصورين ولم تقتصر فى حقه عليها بل آتاه الله مع ذلك الملك الذى استولى به على الاقوياء والضعفاء والحكمة التى لا نسبة لخير الملك الى خيرها الكثير ومع ذلك علمه مما يشاء من اسرار العلوم ولما قوى الله من لا رضعفاء واعطى بعضهم الملك والحكمة من سائر العلوم ليدفع فساد الاقوياء بالسيف والشبهات وشر العشرة اذ لولا دفع الله الناس بعضهم من اهل الشر ببعض من اهل الخير لفسدت الارض اى مضى فسادها

اقتضى صح

على القوم الكافرين ك

سبعة [illegible]

ولم

---

بعد الى صلاح فهو وان قهر الجمهور لم يقصد به عموم القهر بل دفع عموم الفساد للاوقات كيف وانما يترك من لا يعم فضله ولكن الله ذو فضل على العالمين ولذلك انما قهر بعد اظهار الايات على السن الرسل وقد اراد الآن ازالة الفساد العام ايضا بارسالك مع الآيات تلك المذكورات من اماتة الالوف واحيائهم وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجالوت وقتل داود واتيانه وتمليكه آيات الله اذ هى اخبار غيوب تدل على كمال قدرته وحكمته ولطفه نتلوها عليك بالحق الثابت عند اهل الكتاب والتواريخ وانك لمن المرسلين بتلك الآيات وآيات اخر تفوق آيات الاولين ثم اشار الى انه تعالى وان كان ذا فضل عام على الناس لم يكن دافعا للفساد من اصله لانه اوجب التفاوت فى الناس حتى الرسل الذين لهم غاية الكمال الانسانى اذ تلك الرسل خرقيل واشمويل وموسى وهرون وداود ومحمد عليهم السلام ليسوا بالسوية بل فضلنا بعضهم على بعض اذ منهم من كلم الله كموسى عليه السلام بلا واسطة ورفع بعضهم درجات كداود اذ آتاه الله النبوة والرسالة والخلافة والملك والحكمة فلا بعد ان يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم درجات كتكليمه ليلة المعراج ورؤيته وتقربه قاب قوسين وتعميم دعوته وتعظيم آياته وحجته وتكثيرهما وتكثير فضائله العلمية والعملية ولا يمتنع التفضيل على موسى وداود اذ آتينا عيسى بن مريم البينات التى هى اكمل من آيات موسى وداود كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وقد آتيناه مع الآيات الفعلية الآيات القولية ايضا اذ ايدناه بروح القدس ولا يدل اختلاف اهل الكتاب فى عيسى بعد اتفاقهم على موسى وداود على نقص عيسى اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة بل عن عناد محض قدره الله عليهم ليهلكهم اذ بالغوا فيه حتى اقتتلوا ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اى من بعد ايمانهم بموسى وداود وغيرهما لا لآيات ظهرت عليهم من بعد ما جاءتهم البينات على يدى عيسى ومحمد عليهما السلام اكمل من آياتهم فكان

جزء ٣٠

حقهم الاتفاق عليهما ولكن اختلفوا ولم تقتصر هذا الاختلاف فى حقهما بل وقع
فى حق الاولين فمنهم من آمن بموسى وداود وغيرهما اذ آمن بعيسى ومحمد عليهم السلام
ومنهم من كفر بالكل ولم تقتصروا على الاختلاف بطريق التردد فيهما اذ لم يرد بهم
الله الى ذلك لعدم كونهما محل التردد بل ردتهم الى الجزم بالكفر لافراط عنادهم ولو
شاء الله ما اقتتلوا مع علمهم بانهم على الباطل ولكن الله ردّ عنادهم الى الجزم بالكفر
لانه يفعل ما يريد ولا يريد الا مقتضى استعداد المحل ولذلك اوقع التفاوت
بين الناس ثم اشار الى ان الله تعالى وان خلق الناس متفاوتين فلا تنافى عمومهم
تفضله اذ جعلهم قابلين لتحصيل الفضائل وهيّأ لهم اسبابه كالمال ينفق فى
سبيل الله فيشترى به فى الدنيا فضيلة السخاء وفى الآخرة رضوانه وجنته ويحصل
به خلة الفقراء وشفاعة الاولياء منهم فقال يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما
رزقناكم لتشتروا منا الرضوان والجنة وتحصلوا خلة فقرائنا وشفاعة اوليائنا
من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه للرضوان والجنة فيشترى الجنة والرضوان ولا
خلة تتسامح بينهما ولا شفاعة تخلص من النار ولم يمنع فضله الكافرين بابطال
القابلية او بعدم تهيئة الاسباب لهم بل الكافرون هم الظالمون بابطال القابلية
وصرف الاسباب الى امور الدنيا بشرى امتعتها وتحصيل خلتها والتوسل
الى شفاعة خواص الملوك اليهم وبالجملة صرفوا المال فى غير مصرفه ثم اشار الى
ان ظلمهم لا يختص بذلك بل وقع فى حق الله من جهات كثيرة اذ منهم من ينكر
وجوده ومنهم من ينكر توحيده ومنهم من يقول بحلوله او اتحاده ومنهم من <من>
ينكر كمال علمه ومنهم من ينكر كمال قدرته فى صفات الكمال واستحقاق العبادة
لكنه هو الله الواجب الوجود الذى له الوجود الحقيقى لا لغيره لا يشاركه فى
صفات كماله ولا فى استحقاق العبادة غيره اذ لا اله الا هو وكيف
يستحقها غيره وهو ميت لذاته اذ هو الحى لذاته وحيوة الغير من ظهور حيوته
فيه بل الغير معدوم فى ذاته اذ هو القيوم القائم بذاته المقوم لكل ما عداه

فوجود الكل من ظهور وجوده فيه ومن كمال حيوته وقيوميته انه لا تأخذه سنة
فتقدم مقدم النوم ولا نوم حال يعرض للحيوان من استرخاء دماغه من رطوبات
الابخرة متصاعدة تمنع الحواس الظاهرة عن الاحساس فهما منقصان للحيوة
منافيان للقيومية لانهما من التغيرات المنافية لوجوب الوجود الذى للقيوم ونفى
النوم اولا التزاما ثم صريحا ليدل كمال نفيه على ثبوت كمال ما ينافيه ومن كمال قيوميته
اختصاصه بملك العلويات والسفليات المشار اليه بقوله له ما فى السموات من الملئكة
والشمس والقمر والكواكب وما فى الارض من الاصنام وغيرها حتى انه لا حكم
لغيره بطريق الشفاعة بدفع ما يريد بل من افراط هيبته من ذا من الملئكة والانبياء
فضلا عن الاصنام الذى يشفع عنده فضلا عن ان تقاومه او تناسبه الا باذنه
تحقيقا للعبودية على ان الشفيع انما يشفع بعد ان يعلم ذنب المشفوع له لكنه لا يعلم
الا باطلاع الله اياه وهو بذاته يعلم ما بين ايديهم اى ما قدموه من الطاعات
والمعاصى وما خلفهم اى ما اخروه منها ولا يحيطون بشئ من علمه الذى به معا خفيه
الا بما شاء ومجرد اطلاعهم لا يمكنهم من الشفاعة اذ احاط ملكه بالكل لانه وسع
كرسيه الذى به تصرفه فى العالم مما دون العرش السموات والارض فله ان يتصرف
كيف شاء بلا معارض فلا يمكن الشفيع ان يشفع بدون اذن مالكه ومالك المشفوع
له وكذلك احاطت قدرته حتى انه لا يؤده لا يثقله حفظهما اى السموات و
الارض فلا يمكن للشفيع مقاومته ولا ان يحفظ عليه ما يريد اهلاكه او تعذيبه وفيه
اشارة الى انه لا يفتقر الى شريك ولا ولد وكيف يشق عليه وهو العلى الذى لا ارتبة
فوق رتبته العظيم الذى لا عظمة لغيره اذا اعتبر معه ولعلوه وعظمته لا يحله
الحوادث ولا يحلها ولا يتحد بها وكيف لا يكون انكار هذه الامور اعظم ظلم منهم
مع انها تكاد تكون ضرورية حتى انه لا اكراه على العقول فى التزامها بل فى جميع امور
هذا الدين لانها مشاهدة للدلائل ان لم تنبها لغضب او عناد وقد تظاهرت دلائله
حتى انه قد تبين بهذه الآية وامثالها الرشد منحصرا فى هذا الدين متميزا من الغى

فى سائر الاديان ثم ان لم يبق معه شبهة الا من جهة تسويل شيطان يامره
بالطغيان على الله او وهم او خيال يطغى على العقل فمن يكفر بالطاغوت
اى بجميع ما يدعو الى الطغيان ويؤمن بالله الذى يدعو اليه العقل السليم و
الكشف المستقيم فقد استمسك بالعروة الوثقى بالحجة القوية لا انفصام لا
انقطاع لها بشبهة فان عرضت استعان عليها بالله والله سميع بدعوة من
يستعين به عليم بما يقلع الشبهة من قلبه الله ولى الذين آمنوا اذا توجهوا عند
توارد الشبهات على قلوبهم يخرجهم من الظلمات اى ظلمات الشبهات الى
النور نور الدلائل المفيدة لليقين الماحى للشبهات بالكلية والذين كفروا انما تبقى
شبهاتهم لرجوعهم فى دفعها الى شياطين الانس والجن فهؤلاء اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور اى نور الدلائل القطعية الى الظلمات اى ظلمات الشبهات
اولئك برجعتهم الطاغوت واتباعهم الشبهات دون الانبياء والاولياء
والعلماء والدلائل القطعية اصحاب النار هم فيها وان كانوا مجتهدين مع
المعاندين خالدون الم تر الى اخراج الطاغوت نمرود الذى حاج ابرهيم
ابرهيم صح
اى جادله فى ربه من نور نسبة الاحياء والاماتة اليه فى ظلمات نسبتهما الى نفسه
واستعان الطاغوت على هذا الاخراج ان آتاه الله الملك الذى اقل شكره
ان يعترف به اذ قال ابرهيم حين سأله من ربك الذى تدعونا اليه وذلك
حين اخرجه من السجن للاحراق ربى الذى يحيى ويميت وانت عاجز عنهما
فلا تستحق الربوبية قال لست بعاجز بل انا احيى بمباشرة المرأة وأميت
بالقتل قال اريد الاحياء والاماتة بنفخ الروح واخراجه وانت عاجز عن
تحريك بعض الاجسام المتحركة الى جهة بتحويلها الى اخرى مع ان اصل التحريك
من آثار القدرة فاذا عجزت عن اثر من آثارها مع وجود مثله فانت عنها فى
غاية العجز فان الله يأتى بالشمس بتحريك فلكها على خلاف حركته الخاصة من المشرق
الى المغرب فأت بها بتحريك فلكها على حركته الخاصة من المغرب الى المشرق

ان قدرت على هذا وهذه فبهت الذى كفر اى غلب بالحجة من ثبت كفره لكنه
لم يخرج من ظلمته لاصراره على العناد الذى هو اجلى وجوه الظلم والله لا يهدى
بالحجج والدلائل القوم الظالمين بالعناد او الم تر الى كالذى اى مثل عزير بن شرحيا
او ارميا بن خلقيا المخرج من الظلمات الى النور بطريق لا نظير له حين مر
على قرية هى بيت المقدس وهى خاوية اى حيطانها ساقطة على عروشها اى
سقوفها لسقوطها اولا حين خربها بختنصر قال استعظاما لقدرة المحيى واستقصارا
لنفسه عن معرفة كيفية الاحياء انى يحيى هذه الله بعد موتها اى كيف يعمر الله
هذه القرية بعد خرابها فكان منه كما لو وقع فى الظلمات فاراه الدليل على الاحياء
الحقيقى فى نفسه مبالغة فى قلع الشبهة اخراجا له منها الى النور فاماته الله وتركه ميتا
مائة عام ليندرس بالكلية ثم بعثه اى احياه ببعث روحه الى بدنه وبعض اجزائه
الى بعض بعد تفرقها ولما التبس عليه امر الموت بالنوم سأله عن مقداره ليعلمه
ان اللبث فى النوم لا يمكن هذه المدة وذلك انه قال له كم لبثت وكان قد مات
ضحى وبعث بعد المائة قبل غروب الشمس قال قبل النظر الى الشمس لبثت يوما
ثم التفت فراى بقيته فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فان ترددت
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير اذ لو لم يكونا معادين لكانا
بطول النهار متغيرين ولو امكن بقاؤهما على حالهما انظر الى حمارك اى كيف
صار عظاما ولا يتصور فى يوم واحد فاعدنا لك الكل ليكون لك آية على البعث
ولنجعلك آية للناس على البعث وان لم يشاهدوا اعادتك ولا اعادة
طعامك وشرابك وحمارك ولو اردت معرفة كيفية الاحياء انظر الى العظام
اى عظام الحمار كيف ننشزها اى نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه ثم نكسوها
لحما فلما تبين له اعادته مع طعامه وشرابه وحماره بعد التلف الكلى وظهر له
كيفية الاحياء قال اعلم ان الله على كل شئ قدير مخرج من الظلمات الى النور
واذكر لتتميم قصة المار على القرية فى الاخراج من الظلمات الى النور بالاحياء

قصة ابرهيم عليه السلام اذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال
مع علمه بانه اكمل الناس ايمانا ليظهر عرضه فى الجواب فيعلمه السامعون أتشك
فى قدرتى على الاحياء وعدى به ولم تؤمن به قال بلى آمنت ولكن سألت
ليطمئن قلبى برؤية الاحياء فوق طمانينته بالوحى والاستدلال قال ان اردت
الطمانينة فخذ اربعة اى اربعة افراد من الطير اى من اجناس الطير الذى
هو اعلى من الحيوانات الارضية والمائية فصرهن اى اضممهن اليك لتتاملها
فلا تلتبس عليك بعد الاحياء ثم اذبحهن وجزئهن واجعل على كل جبل
بحضرتك وكانت اربعة او سبعة منهن جزءا ثم ادعهن بتعالين يأتينك سعيا
اى مسرعات فاخذ طاوسا وديكا وغرابا وحمامة او نسرا فذبحهن ونتف ريشهن
وامسك رؤسهن وخلط سائر اجزائهن ووزعها على الجبال ثم ناداهن فجعل
كل جزء يطير الى الآخر حتى صرن احياء ثم اقبلن على رؤسهن فانضممن اليها وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه بقتل حب الشهوات والزخارف
الطاوسية والصولة الديكية والخسة والامنية الغرابية ومسارعة الهوى الحمامية
والاقبال على القوى البدنية بقتلها ومزجها لينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات حتى
دعاهن بداعية العقل والشرع واعلم ان الله عزيز لا يعجزه مراد حكيم لا يحيى
قبل النفخة فى ستر العادة لئلا يكون الجاء الى الايمان بالبعث وانما اراكه لسبق
ايمانك الذى قصدت الطمانينة فيه ثم اشار الى ان مثل الاحياء كما تخرج عن ظلمات
الاعتقادات الى نورها تخرج عن ظلمات الاخلاق والاعمال الى نورها اذ
بعتقدانه كما يحصل الاحياء بطريق الانبات يحصل الجزاء بطريق الانبات ايضا
حتى ان الاعمال المالية كذلك فقال مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل
حبة القيت فى الارض ثم انبتت ساقا ثم انشعب سبع شعب خرج من كل شعبة سنبلة
فصارت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اى عدد كثير من الحبات وهذا
فى الذرة والدخن كثير وفى البر فى الاراضى المغلة فالمال حبة وسبيل الله ارض

المزدعة وخروج الساق وتربيته الشعب على عدد صفات السبع والسنابل على تلك
الصفات فى العبد والحبات آثار ذلك التجلى فى العبد والله يضاعف من التضعيف
او اكثر منه لمن يشاء بحسب النيات والاستعدادات والا بعد من فضله اذ الله
واسع لا تضيق عليه ما يتفضل به لكن لا يتسع فى حق الكل لانه عليم بالنيات و
الاستعدادات ولو قيل اذا كان الانفاق كالقاء البذر وهو محل الآفات الكثيرة
فهو تضييع للحاضر لامر مشكوك اجيب بان آفات الانفاق ليست سماوية بل من
المنفق فعليه ان يحفظ نفسه من المن والاذى والرياء الذين ينفقون اموالهم فى سبيل
الله لا فى سبيل غيره كالرياء ثم لا يتبعون اى لا يعقبون ما انفقوا منا ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه ولا اذى ان يتطاول عليه بالانعام لهم اجرهم
المضاعف عند ربهم اذ بنى لهم الصدقة ولا خوف عليهم من الآفة السماوية
فى الاستقبال ولا هم يحزنون لها فى الحال وانما منع تبعيتهما لان منع الصدقة مع
عدمهما خير من الصدقة مع احدهما اذ قول معروف اى رد جميل للسائل و
مغفرة تنالها من الله بذلك القول خير من صدقة يتبعها اذى اذ لا يحصل للصدقة
ثواب ولا به مغفرة ويحصل اثم الاذى والمن قريب منه وان لم يحصل به اثم والله
غنى عن طلب صدقة لعبده مع الاذى لهم او المن عليهم حليم لمن اعطاها بدونهما
ولو قيل كيف يكون منع الصدقة مع عدم الاذى خيرا من الصدقة معهما مع ان ثواب
الصدقة اعظم فلو لم يمح سيئة الاذى فلا اقل ان يبقى فى نفسه حسنة اذ لا يمحوها
السيئة الفرعية اجيب بانه يبطلها ما دونها فضلا عنها يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فانهما اساءتان تنافيان الاحسان المعتبر فى الصدقة
والمنافى يبطل كالرياء فيصير المان والموذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يقبل
لانه كالذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر اذ مقتضى هذا الايمان العمل لله وطلب
اجر الآخرة وليس هذا من الصدقة الممثلة بالبذر المنبت سبع سنابل فمثله اى هذا
المنفق رياء كمثل من التى بذره على صفوان من الحجر الذى عليه اذ عليه تراب وهو

انما ينبت لو دام مع سبب النبات وهو الماء لكن لا يدوم معه فاذا التي عليه البذر
فاصابه وابل لم يبق عليه تراب ولا بذر فتركه صلدا املس لا شيء عليه فالمرائي لم يلق
البذر في سبيل الله وان توهم انه سبيله نظرا الى المصرف وكان سبيل الشيطان الذي
لبس عليه والمان والموذي قد انتقلا من سبيل الله اليه فاذا زاله بوابل العدل الالهي
فكما لا يقدر الزارعون على الصفوان على تحصيل الغلة قليلها وكثيرها لا يقدرون
اي المرائي والمان والموذي على تحصيل شيء مما كسبوا اي من ثواب ما عملوا
اذ لم ينظروا الى الثواب الاخروي والله لا يهدي القوم الكافرين الى تحصيل
الثواب الاخروي فكذا من اشبههم ثم اشار الى ان الزرع ليس مثال كل صدقة
مقبولة ايضا بل منها ما يمثل بغيرها فقال ومثل الذين ينفقون اموالهم لا رئاء ولا
الاخروي بل ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم في محبته بقطع محبة ما سواه
فهي في تضعيف مراتب القرب كمثل غارس جنة اي بستان بربوة اي موضع
مرتفع بان عظم عليه الفيض الالهي وتضاعف قربه فصار كانه اصابها وابل
فآتت اكلها ضعفين فان لم يعظم فلا بد من فيض ما كما ان الجنة ان لم يصبها وابل
فطل وليس التفاوت بالتحكم بل بحسب حال العمل فانه تفاوت وان قصد به رضى
الله وتثبيت النفس بل هو اشد تفاوتا من الذي طلب به الاجر والله بما تعملون
بصير ولو قيل ينبغي ان لا يبطل بالمن والاذى ما قصد به طلب رضى الله وتثبيت
النفس اذ ليس مثاله الزرع اصلا حتى يكون كالزرع على الصفوان بل مثاله الجنة
بالربوة التي لا تضيع بوابل ولا بطل اجيب بانه كما انقلب المثال في حق المان
والموذي من الزرع المنبت سبع سنابل الى الزرع على الصفوان انقلب ههنا
الى البستان المحترق ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب مماثلا لان
للمراتب الشريفة تجري من تحتها الانهار هو مثال ازدياد الشرف بالتزين
بالمعارف وتحصيلها له فيها من كل الثمرات هو مثال فوائد القرب واصابه
الكبر هو مثال العجز عن اكتساب ما زاد عليها من الدرجات العالية وله ذرية

ولا لاجر الدنيوي صح

ضعفاء هو مثال شدة احتياجه اليها فليست مما لا يبالي بالنزول عنها واحتراقها
فاصابها اعصار اي ريح هو مثال المن والاذى فيه نار هو مثال غضب الله
فاحترقت كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم الآيات لتعتبروا بظواهرها
لعلكم تتفكرون في اسرارها ثم اشار الى انه انما يمثل بالزرع المنبت سبع سنابل او
بالجنة بربوة ما انفق من الجيد فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى الايمان الانفاق
من الجيد فيما يطلب به رضى الله وتثبيت النفس انفقوا من طيبات اي
جيدات ما كسبتم بتجارة او صناعة ومما اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من
الارض من الحبوب والثمار والمعدنيات ولو وقع الردي في مخرجكم من غير
قصد او اختلط فربما رجي فيه القبول ولكن لا تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث
وحده منه تنفقون اي تخصونه بالانفاق منه ولو كان لكم دين على احد فاعطا
نه لستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه بالمسامحة عليه واعلموا انكم انما تأخذونه
عند حاجتكم وان الله غني وكيف يقبل الردي وهو ذم والله حميد من
كل وجه وكيف يقبله الله والانفاق بامر الشيطان اذ الشيطان يعدكم الفقر
في الانفاق وان اصررتم على الانفاق يأمركم بالفحشاء اي بغاية القبح وهو
قصد الردي وكذلك يأمركم بسائر انواع الفحشاء من الرياء والانفاق
في المعاصي من غير تذكر للفقر فيها بل يوهم فيها تحصيل الجاه الجاذب للاموال
والله يعدكم بالانفاق سيما من الجيد مغفرة منه للذنوب حتى يسقط البليات
التي من اجلها في الدارين وفضلا بتعويض الاضعاف او تعظيم الدرجات
ولا يتوهم عليه اخلاف الوعد لانه انما يكون بالضيق والله واسع وانما يضيق
على من ضيق لانه عليم باستعداده ثم اشار الى انه انما لا يغتر بوعد الشيطان
ويوقن بوعد الله من آتاه الله الحكمة لكنه عز وجل انما يؤتي الحكمة وهي
اتقان العلم والعمل من يشاء لا كل احد كيف ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا اذ بها انتظام امر الدارين فيكون مرجعهما لا مثلهما لكمال قوتيه النظرية

والعلية وما ينذكر عوايل وعد الشيطان وفوايد وعد الله وجوباحتى يحاب
الاول ويلازم الثاني الا اولوا الالباب اى الاسرار ثم اشار الى ان
من دواعى التذكر فى غيرهم النظر الى علم الله فقال وما انفقتم من نفقة اونذرتم
من نذر يؤدى الى الانفاق فان الله يعلمه فلا حجة للعوام بانهم لم يكن لهم
ما يتذكر به من الاطلاع على الاسرار ويجب على الكل الاكتفاء به وبالجملة
ما للظالمين وهو من لا يكتفى بعلم الله او ينفق من الردى او بمن او يؤذى
من انصار حجج تنصرهم ثم اشار الى ان اظهار الصدقات لا ينافى
الاكتفاء بعلم الله اذ يكفى ترك المبالاة لنظر الخلق بل ان تبدوا اى
تظهروا الصدقات غير مبالين بعلم الخلق فنعما هى اى فنعم شيئا هى احسن
من كل وجه ولانه يجمع المستحقين ويرفع التهمة ويدعوله كل من يسمع من محتاج
وغيره ويفيد اتباع الناس اياه وان تخفوها محافظة الريا وستر العار الفقراء
ومع ذلك تؤتوها الفقراء اى جميع المستحقين فهو خير لكم لا يتعدا كم الى الاتباع
لما حصل لكم من الاخلاص الذى عجزتم عنه مع الابداء وسترتم عار الفقراء
يكفر عنكم من سيئاتكم ولا يضركم التهمة اذ الله بما تعملون خبير فربما يزيل عنكم
التهمة وان ابقاها فلا يضركم وعن ابن عباس صدقة السر فى التطوع
تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا ثم اشار الى انك وان بينت لهم فوايد الصدقتين
ودرجاتهما فليس لك ايصالهم اليها اذ ليس عليك هديهم ايصالهم الى الله
والى درجات قربه ولكن الله يهدى عقيب بيانك لجريان سنته بخلق
الاشياء عقيب اسبابها لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الاختيار من يشاء
بخلق الهداية فى قلبه ومن ان ما تنفقوا من خير صدقة او صلة او غيرهما فلا
نفسكم بالحقيقة لان المنفق عليه انما تقضى بها حاجة الفانية ويحصل لكم بها
الثواب الابدى وليس ما ينفق لطلب الاجر نفقة يعتد بها بل ما تنفقون نفقة

كاملة الا ما تنفق ابتغاء وجه الله اذ يحصل بها القرب من الله ولا نسبة للاجر
الى القرب وليس مانع من الاجر بل ما تنفقون من خير ابتغاء وجه الله يوف
اليكم بنوايه من القرب والثواب الاخروى والدنيوى وبالجملة انتم لا تظلمون
فى المعاملة مع الله سيما اذا كان عطاؤكم للفقراء اى المحتاجين الى النفقة ليتقووا
على العبادة لانهم الذين احصروا اى حبسهم قصد العبادة فى سبيل الله
حتى انهم لا يستطيعون من فرط اشتغالهم بالعبادة اى ذهابا فى الارض
لاكتساب او سؤال ولتركهم اياهما مع قيامهم بالعبادة يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء لا من اتساعهم فى الماكل والملابس بل من امتناعهم
التعفف عن السؤال مع عدم الاكتساب تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال فان سألوا على الندور لا يسألون الناس الحافا الحاحا
بالملازمة ولا يختص هؤلاء بالانفاق عليهم بل ما تنفقوا من خير ولو على
الملحين وعلى من لم يتحقق فقرهم او لم يشتد حاجتهم فان الله يجازيكم
عليه بقدر استحقاقكم اذ هو به عليم ثم اشار الى انه كما لا يختص الانفاق
بالكامل من المستحقين لا يختص بالكامل من الاوقات والاحوال بل الذين
ينفقون اموالهم بالليل وان عسر فيه اجتماع المستحقين والنهار وان خيف
فيه الريا سرا ولو فى الليل وعلانية ولو فى النهار فلهم اجرهم الكامل مما يستحقونه
لكونه عند ربهم الذى يربى صدقتهم فيهما ولا خوف عليهم من التشبه بفعل
المرائى فى النهار مع الجهر ولا من عدم استيعاب المستحقين او من التهمة فى الليل
مع السر ولا هم يحزنون لما يحصل لهم من النقص الضرورى بهذه العوارض
ثم اشار الى ان الخوف والحزن لا يندفعان بالانفاق من مال الربوا فى سبيل
الله اذ لا يملكه صاحبه وان حصله بالمبايعة لانه خبط فيها بالتعويض من غير
عوض فى الواقع فالبيع مقابلة عين او منفعة فلا بد فيه من تحقق العوضين لجميع
اجزائهما حالا او مالا ولا تحقق لبعض اجزاء احد العوضين فى الربوا لانه بيع نقد

القرب م

نزلت فى اصحاب الصفة م

بنقد او مطعوم بمطعوم الى اجل او بيع احدهما بجنسه مع زيادة والمقابلة
فى غير الجنس يقع بمجموع الآخر لا باعتبار الاجزاء وفى الجنس باعتبار الاجزاء
فلا يبقى للزائد مقابل لكنه عفى عنه فى غير الربويات لقلة الحاجة اليها فلا يعد
تضييقا كليا والفاضل فى الربويين المختلفين باعتبار الاجل خارج عن
مقابلة المجموع لانه لولا الاجل لم يوخذ الفاضل فهذا خبط فى المعاملة لكن
كان مآلهم الى الخبط كما قال الذين يأكلون الربوا لا يقومون من قبورهم
الا كما يقوم المصروع الذى يتخبطه الشيطان اى يوقعه فى الخبط ويضرب
على غير اتساق من المس اى من مس الشيطان اياه على ما يزعمون ان اختلاط
العقل انما يكون من مسه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم بل لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوا فاثقلها ذلك القيام المخبط
بانهم ضموا الى قبح المعاملة قبح الكفر حتى قالوا او لا انما الربوا مثل البيع فى تحصيل
الربح ثم جعلوا المشبه به مشبها للمبالغة فقالوا انما البيع مثل الربوا فجعلوا
الربوا اصلا يقاس به البيع وهو قياس باطل لانهم ردوا به النص اذ احل
الله البيع وحرم الربوا فكانوا محللين لما حرمه الله بقياسهم مع ظهور الفرق اذ
ليس فى البيع اعتبار مقابلة مع عدمها فى الواقع بخلاف الربوا لكنهم لا يواخذون
به قبل النص فمن جاءه موعظة اى زجر من ربه فانتهى اى تبع نهيه فله ما سلف
لا يسترد منه ما اخذ لانه كالمجتهد المخطى وامره الى الله ان شاء اخذه لظهور
الفرق وان شاء عفى عنه لان الفرق وان ظهر لارباب النظر يجوز ان يخفى على
العوام ومن عاد الى تحليل الربوا بعد النص فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لكفرهم بالنص وردهم اياه بقياسهم الفاسد بعد ظهور فساده ثم اشار
الى ان الربوا كما يتضمن الضرر الاخروى فهو ضرر دنيوى والصدقة كما تتضمن النفع
الدنيوى ايضا اذ يمحق الله الربوا اى يذهب بركته ويهلك المال الذى يقع فيه
ويربى الصدقات وانما يمحق الربوا لان صاحبه ان استحله فكافر والا فاثيم

احد العوضين للمجموع

والله لا يحب كل كفار اثيم وانما يربى الصدقات لانه نتيجة الايمان و
الاعمال الصالحة ان الذين آمنوا فرجح ايمانهم امر الله بالانفاق على حبهم
للمال وعملوا الصالحات المنتجة محاسن الاخلاق التى من جملتها الجود واقاموا
الصلوة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر التى من جملتها الاخلاق الذميمة التى من
جملتها الشح وآتوا الزكوة التى هى اجل اسباب فضيلة الجود لهم اجرهم الكامل
من كل وجه لكونه عند ربهم فيكمل فى الدنيا والآخرة ولا خوف عليهم من
منع الاجر الدنيوى من الاخروى ولا هم يحزنون من نقص الاجر الاخروى
بالدنيوى ثم اشار الى انه انما يمحق الربوا لغضبه على صاحبها لابطاله حكمة الله
فى خلق الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فى ابطال حكمته فانه
مقتضى الايمان به وذروا ما بقى من الربوا على الغرماء فانه اقل مقتضى
التقوى بل مقتضى الايمان فتركه ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا بترك
ما بقى كنتم متهاونين بامره ومن تهاون بامر ملك حاربه فاذنوا اى اعلموا
بحرب عظيم من الله ورسوله التابع له حربا وصلحا وان تبتم من الارباء
واعتقاد حله فلكم رؤس اصول اموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا
تظلمون بالنقص والمطل هذا اذا كان المديون موسرا وان كان ذو
عسرة بالكل او البعض فنظرة اى فالواجب امهال بقدر ما اعسر الى ميسرة
بذلك القدر وان تصدقوا بابراء قدر ما اعسر خير لكم لانه ربما لا يحصل
البدل فى الحال فياخذ ما يساويه فى الآخرة والصدقة تتضاعف الاضعاف
المتكثرة ان كنتم تعلمون بحقائق الاعمال ثم اشار الى ان الداين ان لم
يتصدق فحقه ان لا يضيق على المديون باستيفاء جميع حقه واولى ان
حق المديون ان يوفى حق الداين لئلا يستوفى منه الباقى بالفانى فقال
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت فان استوفى
الداين حقه بالتضييق على المديون استوفى الله منه حقوقه بالتضييق

وان سامحه فالله اولى بالمسامحة والمديون ان لم يوف حق الدائن مع
قدرته على الاداء استوفى الله منه حقه واما من لا قدرة فرجى ان يعفو
الله عنه ويرضى خصمه بعوض من عنده فان زعم الدائن انه بالاستيفاء غير
ظالم او زعم المديون ان اعطاء الباقى بالفانى ظلم قيل وهم لا يظلمون اما
الدائن فلان الله باستيفاء حقه منه غير ظالم واما المديون فلانه انما استوفى
حقه الباقى بالفانى لتقصيره بالاداء ولا سبيل الى تعطيل الحقوق فى العدل
الالهى ثم اشار الى ان استيفاء الحقوق فى الدنيا انما يتيسر بالكتابة سيما فى
الديون المؤجلة لغلبة النسيان بعد طول المدة فقال يا ايها الذين آمنوا
مقتضى ايمانكم الداعى الى الايفاء والاستيفاء بلا زيادة وبلا نقص للولى
والوصى والوكيل انكم اذا تداينتم بدين وان قل سيما اذا كان الى اجل
مسمى بالايام والشهور لا الحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه استحبابا و
ليكتب مبالغة فى قطع النزاع بينكم كاتب متوسط لا يميل الى جانب لانه متصف
بالعدل ولا يأب اى ولا يمتنع كاتب من ان يكتب كما علمه الله من شرط
الاقرار والدعوى وليس هذا مما يتسامح فيه بل هو كالواجب فليكتب وليملل
المديون الذى عليه الحق على الكاتب لانه المقر المشهود عليه وليتق الكاتب
الله ربه الذى رباه بتعليم الكتابة والعبارة ان يغير على المملى بالزيادة
عليه او بالنقص فى مال صاحبه ولا يبخس اى لا ينقص منه اى مما يمليه
شيئا من صفات الدين وشرط الاقرار والدعوى هذا اذا كان المديون
رشيدا قويا فى نفسه مستطيعا على الاملاء فان كان المديون الذى عليه
الحق سفيها ناقص العقل او ضعيفا لمرض او هرم يشق عليه الاملاء
او لا يستطيع ان يمل هو لجهله باللغة او بالشرع فليملل وليه اى من
يقوم مقامه من قيم او مترجم فانه وان لم يكن له نيابة الاقرار فله نيابة املاء
الكتابة ثم يراجع الصاحب ان امكن والا فالولى ملتبسا بالعدل لا يميل

الى المديون ولا الى الدائن ثم اشار الى ان الكتابة وان روعى فيها ما ذكر
لا يؤمن معها النزاع فلا بد لقطعه من الاستشهاد فقال واستشهدوا انما
شهيدين لان ولاية الشاهد ضعيفة فلا بد من تقويتها من رجالكم المسلمين
اذ لا ولاية للمرأة وان صلحت للتقوية ولا عدالة للكافر فان لم يكونا اى
الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فانهما تقومان مقام الرجل فى تقوية
ولاية الشاهد الرجل لكنه تختص بالاموال بشرط ان يكون الكل ممن ترضون
من الشهداء لاتصافهم بالاسلام والعدالة وعدم العداوة والغفلة
والتهمة وانما اشترط مع ذلك فى المرأة التعدد كراهة ان تضل احديهما
لقصور عقلها فتذكر عند التعدد احديهما الاخرى الضالة ثم اشار الى
انه وان ندب الاستشهاد حرم على الشهود الاباء فقال ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا لاقامة الشهادة اذ به يبلغ الحق جزما وكان بترك الاستشهاد
محتملا ثم اشار الى انه لا يتيسر الشهادة للشهداء بعد طول المدة الا بالكتابة
فقال ولا تسأموا اى لا تملوا ايها الشهداء ان تكتبوه اى الحق الذى تحملتم
الشهادة فيه صغيرا كان او كبيرا وان كان مؤجلا اكتبوه الى اجله ذلكم
اى المذكور من الكتابة اقسط اى اكثر قسطا من الاجر للشهداء عند
الله لانهم اعانوا المتداينين بتحمل الشهادة والكتابة واقوم اعون للشهادة
اى لاقامتها اذ بها يتم الاعتماد على الحفظ وادنى اى اقرب فى ان لا ترتابوا
اى لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله بتشكيك احد المتداينين الا ان
تكون تجارة حاضرة حالة تديرونها تجرون ادارتها بينكم فيصعب
عليكم كتابتها مع قلة الحاجة اليها فليس عليكم جناح فى ان لا تكتبوها
وان كان قد يقع فيها النزاع فذلك نادر ولكن اشهدوا استحبابا
اذا تبايعتم شيئا خطيرا وان كان العوضان مقبوضين مبالغة فى قطع النزاع
ولا يضار كاتب بمنع جعله ولا شهيد بمنع مؤنة مجيئه من مسافة وان

تفعلوا الضرار فانه فسوق خروج عن طاعة الله ضار بكم واتقوا
الله ان يأخذ باقيكم بفانيكم ويعذبكم بالخروج عن طاعته وكيف تخرجون
عن طاعة الله ويعلمكم الله مصالحكم فان لم تعلموا وجه المصلحة فيه فيكفي فيها
كونه من الله والله بكل شيء عليم ثم اشار الى انه انما يكتب اذا تيسر فان لم
يتيسر فالاولى الارتهان فقال وان كنتم راكبين على سفر ولم تجدوا كاتبا
وان وجدتم الشهود فرهان اى فالذى يستوثق به رهن مقبوضة الرامن
سدا اذا لم يأمن البعض لبعض بلا وثيقة فان امن بعضكم بعضا و
استغنى عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن دينه الذى جعل الدائن امانته
وليتق الله ربه فى منع حقوق عبيده ولا تكتموا ايها الشهود سيما عند عدم
الكتابة الشهادة ومن يكتمها كانت معصيته اعظم من معاصى اللسان
والجوارح المؤثرة فى القلب بواسطتها فانه اثم قلبه بلا واسطة لان الكتمان
نعله والله بما تعملون بقلوبكم والسنتكم وجوارحكم عليم وان لم يعلم الناس
بعضها ولا يبعد على الله تاثيم القلب اذ لله ما فى السموات وما فى الارض
والقلب من جملة ما فيها وخواطره وان كانت من غير اختياره فله افعال
اختيارية بعضها يتوقف تمامه على فعل اللسان او الجوارح وبعضها لا
يتوقف كالنفاق والكتمان والحسد وان تبدوا اى تظهروا ما فى انفسكم
من الافعال الاختيارية باللسان او الجوارح او تخفوه يحاسبكم
به الله فيغفر لمن يشاء فى غير الكفر ويعذب من يشاء فيما ابدى او خفى
ما لا يتوقف تمامه على فعل اللسان والجوارح ولا يبعد على الله تعذيب
الخلق وان كان بمجرده اذ الله على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبه بما
يضاده بقدرته على ايجاد ضده مع تجرده ولما كان لله ان يغفر ويعذب
لم يكن بد من اعلام ما يعذب عليه والتكليف به اذ بدونه يكون من
تكليف الغافل واعلام الكل بلا واسطة يكاد يكون ملجئا الى الايمان

تقبضها



فلا بد من واسطة هو الرسول ولا بد من ايمانه اولا ليتبعه المرسل اليه لذلك
امن الرسول بما انزل اليه من التكليف من ربه بمقتضى ربوبيته والمؤمنون
امنوا بذلك المنزل بتبعيته واصل التكاليف الايمان واصله الايمان بالمكلف
ثم بالوسائط على ترتيبها لذلك كل امن بالله المكلف وملئكته الاتين بالتكليف
منه الى عباده وكتبه المشتملة على تفصيل ذلك التكليف ورسله الواصل
اليهم التكليف اولا ثم اشار الى ان اختلاف الكتب والرسل فى بعض الفروع
لا يوجب التفريق لذلك قالوا لا نفرق بين احد من رسله بالايمان بالبعض
والكفر بالبعض لاتحاد موجب الايمان وهو ظهور المعجزة بلا معارضة ما يكذبها
من دعوى المحال وخيانة النفس ثم اشار الى المقصود من التكليف وهو
قبوله اعتقادا وعملا فقال وقالوا سمعنا واطعنا ولما علموا انهم لا يخلون
عن تقصير فيهما وان الرب يغفر لمن يشاء قالوا غفرانك ربنا وكيف لا
نستغفرك واليك المصير اى مصيرنا بعد الموت وهذا ايمان باليوم الاخر
وقد كان هو الموجب الكلى اولا لكن لما اشبه العلة الغائية اخره فى الوجود
تاخرها ثم اشار الى ان طلبهم الغفران لم يكن لان الله كلفهم بما لا طاقة
لهم اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل قصروا بترك ما يطيقونه من الطاعات
او فعل ما يطيقون تركه من المعاصى اذ علموا ان كل نفس لها ما كسبت
من الطاعات وعليها ما اكتسبت من المعاصى اورد الاكتساب ههنا
لان النفس تشتهيه وتنجذب اليه بعينه لها اعمال بخلاف الخير ولما علموا
ان الخطاء والنسيان وان كانا غير مقدورين فينشأ عما تفريط وقلة
مبالاة قالوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا امرك ونهيك او اخطأنا
بالتباس المأمور بالمنهى او بالعكس ولما علموا ان فى المقدور ما يصعب على
النفس كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب وغيره
وصرف ربع المال فى الزكوة قالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى عبأ

نفيلا حبس صاحبه فى مكانه كما حملته على الذين من قبلنا من الامم السابقة
ولما فرغوا عن الدعاء فى رفع شدايد التكليف دعوا فى رفع شدايد البليات
فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من بليات الدنيا والآخرة ولما علموا
انها بسبب الذنوب قالوا واعف عنا امح عنا ذنوبنا فلا ترسل علينا بلية
فى الدنيا ولا فى الآخرة واغفر لنا استر لنا ذنوبنا فلا تفضحنا بها فانها من
اشد البلايا ثم قالوا وارحمنا تفضل علينا بالرحمة مع كوننا مقصرين من بين
عبادك من هو اشد تقصيرا منا وهم الكفار وقد والیناک بالایمان
فاذن انت مولينا ولا بد لمولاك من ان تميزه عن الاعداء واولاه
النصر عليهم فانصرنا لانا مؤمنون بك على القوم الكافرين الذين هم اعداؤك
ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد واله اجمعين سورة ال عمران سميت بها لان
اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وامها نزلت فيها مالم ينزل
فى غيرها اذ هى بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء
نبينا صلى الله عليه وسلم وجعله متبوعا لكل محب لله ومحبوب له وتسمى الزهراء
لانها كشفت عما التبس على اهل الكتابين من شان عيسى عليه السلام والامان
لان من تمسك بما فيها امن من الغلط فى شانه والكنز لتضمنها الاسرار العيسوية
والمجادلة لنزول نيف وثمانين آية منها فى مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم
نصارى نجران اذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا منهم
وفيهم العاقب والسيد فكلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول
صلى الله عليه وسلم اسلما قالا اسلمنا قبلك قال كذبتما قد منعكما من الاسلام
دعاركما لله ولدا وعبادتكما الصليب فقالا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال
صلى الله عليه وسلم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شىء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك

شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء
قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى
فى الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان
عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذى كما يغذى
الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فانزل الله تصديقه بضعا وثمانين آية من صدر آل عمران وتسمى سورة
الاستغفار لما فيها من قوله والمستغفرين بالاسحار وطيبة لجمعها اصناف
الطيبين فى قوله الصابرين والصادقين الى آخره بسم الله الجامع
للكمالات اللطفية والقهرية اذ لطف بعيسى قوما فآمنوا برسالته وقهر به قوما
كذبوه او جعلوه الها او ولده الرحمن بافاضة الحيوة وافادة العام وارسال
الرسل وانزال الكتب الرحيم بافاضة العلم والتوفيق للايمان بالكل والعمل
بالمتأخر الم الله لا اله الا هو الحى القيوم اى الآله اللازم الوجود لذاته
المنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها والاتحاد بها هو الله اذ الآله
من له غاية الكمال والآلهان ان يكون كل عالى الها للسافل ومن لا يلزمه الوجود
لذاته كان ناقصا اذ اصله العدم الذى هو غاية النقص وحلول الحوادث
يوجب التغير وليس من غاية كمال الى غاية كمال لان المتساويين لا يعلو احدهما
الآخر فضلا عن غاية العلو عليه فلا تعدد لغاية الكمال فلذلك لم يتعدد الآله
ولو كان من نقص لزم ان لا يكون الها قبله ولو كان الى نقص لزم ان لا يبقى
الها بعده والحلول ان كان حلول المظروف لزم كونه محاطا وهو نقص
ولو كان حلول العرض او الصورة افتقر الى المحل الحادث وهو انقص من
الافتقار الى القديم وفى الاتحاد ان لم يبق احدهما لزم اتحاد الموجود بالمعدوم
وان لم يبقيا لزم فناء القديم ولغاية كماله اقتضى صفات الكمال التى اولها الحيوة
رتبة لتوقف العلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام عليها ولما كان

وحده كاملا بالذات كانت كمالات سائر الاشياء مستفادة منه فكان نفوسها
وعيسى لم يكن واجب الوجود اذ لم يوجد قبل امه ولا في غاية الكمال اذ الله
اكمل منه ولا منزها عن الحلول في الحوادث اذ كان في السموات والارض
ولا عن حلول الحوادث فيه اذ كان اكلا شاربا ولا حيا لذاته لقابليته الموت
ولا قيوما للكل لاعدامه اذ كان قبله اشياء او الازلي اللطيف المنان هو الله اذ
لا بد للحوادث من مبدا اذ لا وجود لها من ذواتها ويجب ان لا يكون
لذلك المبدا ابتداء اذ لا بد من الرجوع الى من له الوجود والكمالات لذاته
ويجب ان لا يشارك في كمالاته لان الكمالات بالذات يجب ان يكون في
الغاية والا لجاز ان يكون فوقه ذات يقتضي كمالات فائقة فيلزم جواز ان
يكون كل عالي الها بالنسبة الى السافل ولا بد ان يكون لطيفا اذ الكثافة من
التركب المسبوق بالاجزاء ولا بد ان يكون منانا بافاضة الكمال لانه لما لم يكن
لغيره بالذات فلو لم يفض لم يحصل له كمال اصلا ثم من بافاضة الحيوة التي توقف
عليها سائر الكمالات بعدما اتصف بها لذاته وبافاضتها صار قيوما لها لان
الحيوة مقومة للاشياء ومفيضها اولى بالتقويم ولم يكن عيسى ازليا لكونه مولودا
ولا لطيفا لظهور الكثافة في جسمه ولا منانا على الكل لسبق كثير من الاشياء عليه
او الاتم ذاته ولطفه ومجده هو الله لاختصاصه بصفات الكمال بحيث لا يشاركه
فيها وافاضة الحيوة التي هي اصل الالطاف لتوقف الانتفاع بسائرها عليها
وانما افاضها لكونه حيا لذاته واختصاصه بالقيومية بحيث لم يظهر بها في غيره
وعيسى لم يتم ذاته بالاختصاص بصفات الكمال ولا لطفه بافاضة الحيوة على
العموم ولا قيوميته اذ لم يكن قائما بذاته مستقلا بها لعدم وجوب وجوده او
الاحد الذي له ملك الكل هو الله اذ لا اله الا هو وقد ملك حيوة الكل لانها
من فيضه لكونه حيا لذاته بل وجود الكل وسائر صفاتهم مفاض منه لكونه قيوما للكل
وعيسى ليس باحد لتركبه ولم يملك حيوة الكل ولا وجوده او غير ذلك

مما يناسب المقام ثم اشار الى ان القيومية اما بظهور اثار الاسماء والصفات الالهية
او بظهور صورها بحسب تفاوت المظاهر والمظهر الكامل يقتضي ظهور صورها
لذلك نزل عليك يا اكمل المظاهر الكتاب الذي هو صورة كلامه المفيد كمال
الحيوة وقوام المعاش والمعاد مع التفرقة بالتنزيل نجما بعد نجم للاشعار بانه وان
كان صورة صفة قديمة فهو حادث لكن ليس كالحوادث التي هي اثار بل ملتبس
بالحق مناسب لصفة كماله ولذلك كان معجزا ولاعجازه كان مصدقا لما بين
يديه اي ظهر بها صدق الكتب السالفة وانما كان كذلك لانه انزل التورية والانجيل
من قبل وانما انزلا دفعة لانهما كانا هدى للناس هداية عامة تحصل بدفعة
بخلاف الخاصة فانها انما تحصل بدفعات كشفا بعد كشف وانزل الفرقان
اي اقامة الدلائل ورفع الشبه في الكتب السالفة وفي هذا الكتاب معا لكنه ايضا
دفعي لاجتماعها في طور العقل بخلاف المعاني الكشفية التي فوق طور العقل فانها
ليست دفعية لانها امور غير متناهية فمن هنا كان احياء محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء
المعنوي اتم من احياء عيسى عليه السلام الاحياء المعنوي وكذا الحسي لان تكلم
الحصى اعظم من احياء الموتى فلو كان عيسى بذلك الها فمحمد صلى الله عليه وسلم
اولى بها لكنه تبرا بالعبودية فعيسى اولى بها ولافادته الهداية الخاصة مع اقامة
الدلائل ورفع الشبه كان كل آيات منه معجزة فكان الكفر بها اشد من الكفر
بالكتب السالفة لذلك قال ان الذين كفروا بآيات الله التي هي آيات من جهات
شتى لهم عذاب شديد فوق عذاب من كفر بالتورية والانجيل لانه ظهر فيها كمال
عزته فالكافر بها مستهين بعزته ولم يبطل بذلك عزته بل صار حجة لقهره كما
قال والله عزيز ذو انتقام وانما كان هذا الكتاب معجزا مفيدا للهداية الخاصة
مع اقامة الدلائل ورفع الشبه لان الله تعالى لم يخف عليه وجوه الاعجاز التي يعجز
بها اهل الارض اهل الظاهر واهل السماء اهل الكشف كما قال ان الله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء ولذلك جمع فيه العلوم الظاهرة والباطنة

التي لا تتناهى من باب المعاملة والمكاشفة ويدل على عدم خفاء شيء عليه انه
هو الذي يصوركم في الارحام صورا جامعة للاسرار الارضية والسماوية
تارة وغير جامعة اخرى كيف يشاء وقد جعل آيات كتابه صورا جامعة
لمعاني صفة كلامه في ارحام الالفاظ وصور في ارحام المعاني معاني اخر وسلم
جزاء الكمال العيسوي ان بلغ هذا الحد لم يدل على الالهية اذ غايته انه صورت
الكمالات في رحمه كما انه صور جامعا في رحم امه وقد شاركه كثير من الانسان
في ذلك وكما لا يدل التصوير في الارحام الحسية جامعا على الالهية لم يدل في
الارحام المعنوية على ذلك بل كمال هذا التصوير انما يدل على ان الله هو الجامع
للكمالات لا اله الا هو كيف وليس لغيره جمعيته لانه راعى عزته في ظهوره فلم
يظهر على ما هو عليه في شيء بل ظهر في كل شيء بقدر استعداده رعاية للحكمة فهو
العزيز الحكيم ويدل على كمال عزته وحكمته انه هو الذي انزل عليك يا مظهر
العزة والحكمة الالهية الكتاب الجامع الذي لا تبلغ جمعيته مع اختصاره
الا بجعل بعض الفاظه محتملا لوجوه كثيرة لكنه لعزته جعلها بحيث يفضي
الى احتمالات توقع في الضلال لكن جعل للتحفظ عنها الفاظا لا تحتمل الا
وجها واحدا فكان منه آيات محكمات لا تحتمل الا وجها واحدا هن
ام الكتاب اي الاصل الذي هو مرجع معانيه عند الاشكال فيها
واخر متشابهات تحتمل وجوها بعضها من العلوم الخفية وبعضها كفر
وبدعة وتميزان بالرد الى المحكمات وفيه رد على نصارى نجران اذ
تعلقوا بقوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه فدخلوا في جملة فاما
الذين في قلوبهم زيغ ميل الى كفر او بدعة فيتبعون ما تشابه منه اي
الوجه الذي يتشابه فيه الحق والباطل ابتغاء الفتنة اي طلب الايقاع
في الكفر او البدعة او ايهام التناقض وابتغاء حصر تأويله فيما يناسب
رأيهم الفاسد وما يعلم تأويله على سبيل الحصر الا الله والراسخون

في العلم لما رأوا الوجوه الكثيرة في تأويله وما يؤدي منها الى الكفر او البدعة
او التناقض لم يروا الحصر فيها ولم يروا حصره فيما لا يؤدي الى المحذور
بل يقولون آمنا به على ما اراد من تلك الوجوه او غيرها ولا محذور فيها اذ
كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا العزيز الحكيم فلا يبعد ان يرد البعض
الى البعض ولا يمكن رد المحكم الى المتشابه اذ لا يحتمل الا وجها واحدا وما
يذكر الوجوه الكثيرة مميزة من المحذور الا اولوا الالباب اي بواطن العلوم
ومع ذلك يخافون من كثرتها الوقوع في المحذور فيقولون ربنا لا تزغ قلوبنا
لا تملها الى محذور بعد اذ هديتنا بان لها التأويلات الصحيحة الموافقة للمحكمات
وهب لنا من لدنك رحمة نطلع بها على ما عندك من تأويلاتها الكثيرة سالمة
عن المحذور انك انت الوهاب اي المبالغ في الهبة حتى انك تهب ما عندك
من اسرار كتابك بعض خواص عبادك ولا يعسر عليك جمع تأويلاتها في
قلوب عبادك مع انها مجتمعة عندك كما انك تجمع المتفرقات يوم القيمة
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه فيمكنك جمعها في قلوب بعض
عبادك مع نفي الريب عنها كيف وقد وعدت بذلك اذ قلت والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويهدي اليه من ينيب كما وعدت بالحشر ان
الله لا يخلف الميعاد ولخطر الضلال في تأويلها منع السلف عن الخوض
فيه ولكون الله تعالى واهبا لبعض عباده اسرار تأويلها الصحيح رخص
الخلف في الخوض فيه ثم اشار الى ان الهبة المعتبرة هي هبة مثل الاسرار
دون الاموال والاولاد بل هي مع الكفر سبب مزيد العذاب والى ان
المتمسك بالمتشابه كالمتمسك بقياس امر الاخرة على امر الدنيا في افادة
الاموال والاولاد فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولا (دهم)
من الله شيئا وان اغنت المؤمنين اذا صرفوا الاموال في سبيل الله
والاولاد الى عبادته واولئك اي الكفار واموالهم واولادهم هم

وقود النار وكيف تنفعهم سناك ولم تنفع آل فرعون في الدنيا فلم تمنعهم
من الغرق بل كانت سبب مزيد عذابهم فسنته كفرة العصر فيها كدأب
آل فرعون والذين من قبلهم وان لم تكن سبب اصل العذاب لكن سبب
مزيده لانهم كذبوا بآياتنا فصرفوها في غير مصادفها فاجتمعت عليهم معاصي
الكفر ومعاصي صرف النعم الى غير مصادفها فاخذهم الله بذنوبهم وان رحمهم
بالاموال والاولاد اذ الله كما هو الرحمن الرحيم فهو ايضا شديد العقاب
ولو قالوا انما اخذ الله آل فرعون ومن قبلهم لعدم تدينهم بدين ونحن
متدينون بدين موسى قل للذين كفروا بهذا الدين كفركم به ككفر آل
فرعون بموسى وقد فعل بقريش لكفرهم به ما رايتم فسيفعل بكم ما فعل بهم ستغلبون
كما غلبوا وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر و
سيفعل بكم ما فعل بآل فرعون آخرا وهو انكم تحشرون الى جهنم ولا تتخلصون
بايام قلائل بل مهدت لكم الى الابد كما مهدت لهم وبئس المهاد لكم كما انها
بئس المهاد لهم اذ كان كفركم بآية محمد صلى الله عليه وسلم ككفرهم بآيات موسى
قد كان لكم آية كآياتهم في فئتين فرقتين التقتا للحرب ولا تتصور السحر بعد اللقاء
للحرب ولا يتصور السحر بعد الا للقاء اتفاقا كيف وفئة منهما تقاتل في سبيل الله
وهي ابعد من السحر واخرى كافرة هي ان تكون ساحرة اقرب من ان تكون
مسحورة وتلك الآية ان المشركين وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا مع مائة فرس
يرونهم اي المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلثة عشر مع فرسين وسبعين بعيرا وستة ادرع
وثمانية سيوف مثليهم اي مثلي المشركين لا بطريق التخيل بل رأي العين والله
يؤيد بنصره من يشاء من غير احتياج الى ارادة ذلك لكنه اراه ليكون عبرة
ان في ذلك التكثير والتقليل وغلبة القليل مع عدم العدة على الكثير شاكي
السلاح لعبرة لاولي الابصار لكن يمنع من الابصار الاخذ بالشهوات اذ
زين للناس فرجح عندنفوسهم على مقتضى العقل من الابصار حب الشهوات

اي الميل الى اخذها لتخمرها مع الجهل بعواقبها من النساء اذ يحصل منهن تمام
اللذات والنفس تدعي فيهن العاقبة الحميدة من تحصيل البنين لقيامهم
مقامه من بعده ولحبهم بقاء انفسهم ونسائهم وبنيهم يحبون تحصيل القناطير
الاموال الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض المقنطرة المضعفة فوق الاضعاف
من الذهب والفضة ولمحافظة الاموال عن الاعداء يحبون تحصيل الخيل
المسومة اي بارعة الجمال اذ هي اهيب ولاكلها اذ هي اموال يحبون تحصيل اموال
النامية من الانعام الابل والبقر والغنم ولغذاء الانفس والخيل والانعام
يحبون تحصيل الحرث ثم اشار تعالى الى غلط النفس في ترجيح ميلها اليها
على مقتضى العقل من الابصار بان ذلك متاع الحيوة الدنيا الخسيسة الفانية والله
عنده للناظرين في آياته حسن المآب الذي لا غاية لشرفه وبقائه وكثيرا ما يكون
لصاحب الشهوات شر المآب بفوت اللذات الى ابد الآباد قل أؤنبئكم بخير
من ذلكم الذي ملتم اليه في اللذة الحسية حاصل للذين اتقوا الله فيظروا في آياته
ولم ينهمكوا في شهواتهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار في باب المطعوم
والمشروب ولا حاجة لهم الى الاموال والاولاد والخيول والانعام و
الحرث لكونهم خالدين فيها ولهم بدل نساء الدنيا ازواج مطهرة عن الخبث
في البدن والخلق مما لا تخلو عنه نساء الدنيا غالبا ويحصل لهم مع هذه اللذات
الجسمانية لذة روحانية هي رضوان عظيم من الله وانما رضي عنهم اذ الله
بصير بالعباد الذين يتقونه مع مبالغتهم في عبادته لانهم الذين يقولون ربنا
اننا آمنا فان لم يكن لنا عبادة اخرى مقبولة فالايمان وحده سبب جواز
المغفرة فاغفر لنا ذنوبنا فان لم تغفر فعذبنا بمصائب الدنيا وقنا عذاب
النار وليس هذا لانهماكهم في الشهوات المانعة عن الطاعات الموقعة في المعاصي
لكونهم الصابرين على الطاعات وعن المعاصي وليس صبرهم بطريق الرياء
لكونهم الصادقين ولا يتركون النوافل خوف الرياء لكونهم القانتين و

لا يشعرون على الطاعات البدنية ولا يفعلونها لتحصيل الاموال لكونهم المتقين
منه في سبيله ولا يعجبون باعمالهم بل يرون فيها التقصير لكونهم المستغفرين
سيما بالاسحار جمع سحر آخر الليل وهو لكونه وقت عموم الغفلة اقرب الى
القبول والاجابة فيكمل المعاملة مع الله اما بمنع النفس من الرذائل
وحثها على الفضائل وهو الصبر او بعمل اللسان وهو الصدق او الجوارح وهي
الصلوة والصوم والحج او تفريق المال في سبيل الخير واما طلب وهو الاستغفار
وتوسيط الواو للدلالة على استقلال كل واحد من هذه الامور ثم اشار الى
انه كيف لا يرضى عن مولاه وقد شهدوا بتوحيده اذ شهد الله انه لا اله الا هو
اى دل دلالة قطعية على انه لا موجود حقيقي سوى ذاته فوجودات الاشياء
ظلال وجوده وصفاتها كمالها ظلال صفاته وافعالها آثار ارادته وقدرته
وان لم يصلوا اليه وصلوا الى توحيد الملئكة واولى العلم اذ شهدت الملئكة
واولوا العلم اذ رأوا ذلك حال اهتدائهم لانه شهد الله بذلك قائما بالقسط
من غير ميل ولا يرون في ذلك ظهور الالهية منهم اذ لا اله الا هو كيف ولم
يظهر في شيء على ما هو عليه في نفسه لانه العزيز بل بحسب استعداد المحل لانه الحكيم
واذا لم يكن من حصل له التجلي الشهودي آلهة تعين ان يقال ان الدين
عند تجلي الله الاسلام الذي هو الانقياد لله باقرار ربوبيته وعبودية
ما سواه فبطل بذلك الهية عيسى وابنيته وابنية العزير ولو قيل لو شهد
اهل العلم بالتوحيد لم يقل اهل الكتاب بالهية عيسى ولا بثالث ثلثة اجيب
بانهم لم يتفقوا عليه فلم يكن مقتضى علمهم لكنهم اختلفوا الى قائل بثالث ثلثة وقائل
بالحلول وقائل بالاتحاد وقائل بالرسالة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
في عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم من الكتاب ومن دلائل العقل بان الدين
هو التوحيد ولم يكن اختلافهم لشبهة تعتبر عندهم بل بغيا حصلت من
مجادلة وقعت بينهم فانتهت الى الكفر بآيات الله الدالة على التوحيد ومن

يكفر بآيات الله بشبهات قابلها الله بتلك الآيات فحاسبها هل ترجح عليها
ام ترجح الآيات وهو وان طال على الخلق لا يطول على الله فان الله سريع
الحساب وقد اتيت بآيات لا يقابلها شبهة اصلا فان حاجوك جادلوك
بعد ما ظهرت تلك الآيات فقل لم يبق بيني وبينكم مجادلة لاني اسلمت وجهي
لله انقدت للآيات المنزلة علي وعليكم ومن اتبعن وان لم يتبع اهل ملتكم
ما انبعثه انبياؤكم وقد اتبع اهل ملتي آياتي وآيات انبيائكم فليس فينا من
يتبع مجادلتكم الباطلة وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين عند تساوي
آياتك في الظهور لقريش ااسلمتم لآياتي التي هي اجل من آيات انبيائكم فان
اسلموا فقد اهتدوا هدى لا يعرضه شبهة من شبهاتهم لاتفاق آياتي وآياتهم على
نصحه وان تولوا عن هداك واصروا على القول بالهية عيسى او بكونه ثالث
ثلثة فانما عليك البلاغ اى تبليغ دلائل الاسلام ودفع الشبهة عنه لا الاكراه عليه
اذا عاندوك وهم وان عموا في عنادهم لم يبصرا بهم ولو تم تلبيسهم على بعض
العامة لم يتم على الله اذ الله بصير بالعباد ثم اشار الى انه كما امر بتبليغ الدلائل
امر بتبليغ ما ترتب عليه فقال ان الذين يكفرون بآيات الله التي يعلمون انه لا
يقدر عليها الا الله ولا يقتصرون على الكفر بها بل مع ذلك يقتلون النبيين
الذين ظهرت على ايديهم وقد آمنوا بمن ظهرت على ايديهم امثالها فهم يقتلونهم
مع علمهم انهم يقتلونهم بغير حق اذ لم يدعوا محالا ولم يظهر منهم خيانة بنفس
تدل على انه سحر مع خروجه عن معتادة البشر وان زعموا انهم انما قتلوهم
لكذبهم في دعوة النبوة فما لهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط على انهم من جملة
هو ام الناس فنعلم ان بغيهم انما هو على القسط الذي انزله الله فبغيهم على الله
فبشرهم بما يبشر به الكافرون بالله وجميع انبيائه بعذاب اليم وان زعموا انهم
ليسوا مثلهم لتمسكهم بدين عيسى او موسى وقيامهم باعماله فقل اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا فلا يحقن بها دماؤهم واموالهم واولادهم

وان حقن بها من المنافق والمراى والآخرة فلا يخفف بها عنهم العذاب
فضلا عن النجاة وان زعموا ان من تمسكوا به منه يشفع لهم او يحتج لهم فما لهم
ما لهم من ناصرين ثم اشار الى انه كيف لا يحبط اعمالهم وهم لا يقتصرون على الكفر
بكتابك بل يكفرون بكتابهم اذ لا يرون اعتقاده ولا وجوب العمل باحكامه
فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اى
يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التورية ليحكم بما يقطع النزاع بينهم في ان
ابرهيم عليه السلام هل كان يهوديا ام لا وهل عندهم الرجم ام لا فيقرون بانه
كتاب الله النازل لقطع النزاع ثم يتولى فريق منهم ولا يقتصرون على التولي
في محل النزاع بل هم معرضون اى مستمرون عليه اتخذوه عادة ذلك الاستمرار
على الاعراض لتساهلهم بامر الدين وتهاونهم به بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات قلائل والاهتمام بامرها يمان والعمل انما يكون باعتقاد
دوامه او طول مدته وليس ذلك لنص وجدوه في كتابهم بل غرهم ما وقع
الخلل في دينهم ما كانوا يفترون من ان الله وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم واذا اغتروا بهذا المفترى في الدنيا
فكيف يصنعون لفضيحتهم عليه اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه لنفضحهم
في الاولين والآخرين ولا نقتصر على تلك الفضيحة بل وفيت كل نفس
جزاء ما كسبت وهم وان تمسكوا بهذا المفترى لا يظلمون في توفية الجزاء
لظهور كونه مفترى اذ يرفع الاهتمام بامر الشرايع بالكلية ويوجب التهاون
بها ثم اشار الى انهم انما لا ينقادون لحكم الله في كتابه الذي يعترفون بصدقه
لدلالته على انتقال الملك والنبوة منهم اليك وهم يريدون ان تنتقل اليهم
قل لا اخاطبكم في ذلك فضلا عن الله بل اقول اللهم مالك الملك
اى المتصرف في الملك الظاهر والباطن وهو النبوة لا تصرف في اعطائهما
وسلبهما لغيرك بل تؤتى الملك من تشاء ولو من الاميين وتنزع الملك

ممن تشاء ولو من اهل الكتاب ولا يبعد منك ذلك لان ايتاء الملك
اعزاز ونزعه اذلال وانت تعز من تشاء وتذل من تشاء لكنك
لا تفعل ذلك على سبيل التحكم اذ بيدك الخير الذي هو الحكمة فلا تفعل
خلاف مقتضاها وان لم يجب عليك بل انك على كل شيء قدير ولا يبعد
منك قلب الاعزاز اذلالا وبالعكس لانك تقلب بعض اجزاء الليل
المظلمة باجزاء النهار المنيرة وبالعكس اذ تولج الليل في النهار وتولج
النهار في الليل ولو قيل لا قلب هناك لان الزمان امر متوهم فلا شك انك
تخرج الحي من الميت اى الحيوان من النطفة وتخرج الميت من الحي اى النطفة
من الحيوان واعطاء الملك والنبوة رزق وانت ترزق من تشاء بغير
حساب فغاية امر النبوة انها فضيلة بلا نهاية ثم اشار الى انه لما كان
من شان الله قلب المنير بالمظلم والحي بالميت وهو بالمصاحبة اوجب
ترك تلك المصاحبة فقال لا يتخذ المؤمنون اولو الانوار الاحياء الكافرين
اولى الظلمات الاموات سيما اولياء من دون اى مجاوزين موالاة
المؤمنين الذين فيهم سبب ازدياد النور والحيوة او الجبر لما نقص بصحبة الكفار
ومن يفعل ذلك في وقت من الاوقات فليس من الله اى من موالاة الله
المفيض الحيوة والانوار في شيء الا وقت ان تتقوا منهم تقاة اى تخافوا منهم
محذورا فاظهروا معهم الموالاة لدفعها ويحذركم الله في موالاتهم بالباطن نفسه التي
هي اولى بالخوف لانهم انما يؤذون بتمكينه ويعجزون بتعجيزه وان اثر اذاهم
منقطع والخوف من الله لا ينقطع اذ الى الله المصير قل كيف لا تخافون
منه مع شمول علمه وقدرته ان تخفوا ما في صدوركم من موالاة الاعداء او
تبدوه اذا ظهر انكم لو لم توالوهم بالظاهر خيفة منهم يعلمه الله وان اخفيتم علينا
في الاخفاء والاظهار كيف وهو يعلم جميع ما في السموات وما في الارض والله
على كل شيء قدير فيقدر على ما لا يقدرون عليه وهم انما يقدرون باقداره على

كلّ صح

الاعداء صح

امور معدودة ويعجزون عنها بتجربة ولا يعجز الله تعالى فليس ترك المجازاة
للعجز بل لانه اخرها الى يوم القيمة فيجازيكم بعد اعلامكم يوم تجد كل نفس جميع
ما عملت من خير محضرا بصورة تناسبها ومثبتات في بدنها او نفسها او قلبها او درو
او في صحف الملئكة وكفى بذلك تذللا مع انه يجازي عليها بمقتضى فضله وجوده
الكامل وتجد ما عملت من سوء ايضا محضرا بحيث تتألم بمجرد حضوره حتى انها
تود لو ان بينها وبينه اي عملها السوء امدا بعيدا لا يصل احدهما الى الآخر
ثم انه تعالى يجازي بمقتضى قدرته وغضبه ولذلك يحذركم الله نفسه ولا ينافي
ذلك رأفته ورحمته لانه انما حذرهم برأفته اذ الله رؤف بالعباد يرحمهم اذا
خافوه فاذا لم يخافوه فكأنما اخرجوا انفسهم من دائرة رحمته ورأفته ولو قالوا
انما نحبهم لكونهم عباد الله لمحبتهم محبة الله ولا يحذرنا الله على محبته ومحبة ما يحبه
لاجله قل انما يفيد لكم محبتكم لله اذا احبكم عليها ومن محبتكم اولياءه الذين استعملهم
اعمالا يحبها واجلهم انا ان كنتم تحبون الله تميلون اليه لرؤية الكمال الحقيقي
فيه فاتبعوني في اعمال المحبوبة له الكاشفة عن جماله وترك الاعمال المكروهة
له الحاجبة عنه يحببكم الله يقربكم من جناب قربه ويدنيكم في جوار قدسه ويكشف
الحجب عن قلوبكم ويغفر لكم ذنوبكم الحاجبة عنه من افراط محبته لكم اذ لا يبالي
لذنوب المحبوب كيف والله غفور رحيم لمن لم يكمل محبته له ثم قال قل لا تغتروا
بغرارة على مجرد المحبة منكم بل اطيعوا الله الذي تدعون محبته فان المحب لمن يحب
مطيع واطيعوا الرسول الذي هو محبوبه فان المحب كما يطيع المحبوب يطيع محبوب
المحبوب فان تولوا زاعمين انه لا حاجة للمحب الى اطاعتهما فلا يحبهم الله لانهم
كفروا بانكار وجوب اطاعتهما والكفر عداوة منافية للمحبة فان الله لا يحب الكافرين
ثم اشار الى انه لا بعد ان يجعل الله بعض عبيده محبوبا له بحيث يحب من يتبعه
ويطيعه ويبغض من خالفه وعصاه فذلك من سنته فيما مضى ان الله اصطفى
آدم فاحب من سجد له من الملئكة وابغض من لم يسجد له وهو ابليس ومن عصاه

تبلغها

يحبها ويحببونكم اعمالا

ومن قابيل ونوحا فنجى من تبعه في السفينة واغرق من عصاه حتى ابنه
كنعان وآل ابرهيم اذ جعل منهم موسى جاوز بمن اتبعه البحر واغرق من
عصاه وآل عمران على العالمين اذ جعل منهم عيسى ابرأ من اتبعه من العمى
والبرص وجعل من خالفه خنازير ثم ان اصطفاء الله آل ابرهيم وآل
عمران انما كان لكونهم ذرية وورثت الاصطفاء بعضها من بعض ولا بعد
اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة ابرهيم مع كونه من ذريته وقد اصطفى
آل عمران لدعوة امرأته لذريتها بمجرد القبول والاعاذة من الشيطان اذ
الله سميع عليم بمن يستحق اجابة الدعوة اذ قالت امرأة عمران حنة بنت
فاقوذا حين حملت بعد ما امسك عنها الولد حتى اسنت فبينا هي تحت ظل شجرة
ابصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس رب اني نذرت لك ما في بطني محررا خالصا لخدمته
لا اشغله بشيء من اموري فتقبل مني انك انت السميع العليم فقال لها زوجها
ما صنعت ارأيت ان كان في بطنك شيء لا يصلح لذلك فلما وضعتها اي الانثى
التي حملتها قالت تحزنا وتحسرا او اعتذارا رب اني وضعتها انثى وكنت رجوت
ان يكون ذكرا فانما تحسرت او اعتذرت قدرها والله اعلم بما وضعت اي
بعظم شأنها وضعت لا يحيط به علم غيره وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي
وهبت اذ فضلت كثيرا من كمل الاولياء من الرجال وقالت جبرا لما توهمت
من النقصان اني سميتها مريم اي العابدة والخادمة ليطابق اسمها فعلها
ثم طلبت عصمتها في ذلك الفعل وغيره فقالت واني اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم اي المطرود لمخالفتك فلا تجعل عليها وعلى ذريتها
له سلطانا يكون سببا لطردهما فتقبلها ربها بسبب تحريرها وتسميتها واستعاذتها
بقبول حسن بجعلها فوق كثير من الاولياء وانبتها نباتا حسنا بجعل ذريتها
من كبار الانبياء ومن كمال تربيتها انها كفلها زكريا حين حملتها حنة الى المسجد

بلغ

ووضعتها عند الاحبار وكانوا سبعة وعشرين وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها اذ كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا احق
بها عندي خالتها وهي ايشاع بنت فاقوذا فابوا الا القرعة وانطلقوا الى نهر
فالقوا فيها اقلامهم على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها فطفى قلم
زكريا ورسب اقلامهم فبنى لها بيتا وجعل لها سبعة ابواب يغلق عليها اذا
خرج عنها فصارت في صغرها بحيث كلما دخل عليها زكريا المحراب اي
الغرفة التي بنى لها وجد عندها رزقا فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء قال يا مريم انى لك اي من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه
والابواب مغلقة قالت هو من عند الله ينزله من الجنة ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب ولا يكون ذلك على العمل المخصوص فهو منه تفضل على هذا اصطفاء
آل عمران ثم نبوة عيسى عليه السلام ثم اشار الى ما حصل لزكريا من تربيتها
ورؤية كمالها فانه لما راى رزق مريم قال ان الذي قدر على ان ياتي بفاكهة في غير
اوانها بلا سبب لقادر على ان يهب لي ولدا في غير اوانه بلا سبب يعتد به او يصلحني
وزوجتي للولادة هنالك دعا زكريا ربه لربيته بابقاء علمه ونبوته بعده قال
رب هب لي من ابنا لحالي من لدنك بغير سبب يعتد به ذرية طيبة طاهرة
من اعمال الغير الصالحة ومن اخلاق الردية انك سميع الدعاء فاجابه الله تعالى
فارسل اليه الملائكة فنادته الملائكة جبريل واتباعه وهو قائم في مناجاة الله
فلا دخل للشيطان في ذلك الوقت اذ كان يصلي وسوا انما ينتهز وقت الغفلة
وليست وقت الغفلة والوسوسة في حق الانبياء سيما وقد كان في المحراب اي
المسجد فكانت صلوة كاملة ان الله يبشرك على السنتنا بيحيى اي المسمى به لانه
يحيى ذكره وعلمه وعمله فلا ينقطع بموته شيء من ذلك بل يكمل به امر عيسى الذي
طلب منه ابن دونه كرامة امه اذ يكون مصدقا بعيسى الذي حصل بكلمة من الله
بلا واسطة اب فيصير معينا لكلمة الله وانما يكمل به امر عيسى لانه يكون سيدا

فكذا تفضل صح

مجب



تبعه قومه وكيف لا وهو يكون حصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات
بحيث لا يهم بمعصية اصلا ولغاية كماله يكون نبيا ولا شك في نبوته اذ يكون
من الصالحين فلا يتوهم فيه الدعوى الكاذبة قال زكريا رب انى كيف يكون
يحصل لي غلام وقد بلغني الكبر ادركني الكبر الكامل المانع من الولادة بتسع
وتسعون سنة فهل ارد الى الشباب وامراتي عاقر مستمرة على العقر
لم تلد في شبابها فكيف بعد ما كبرت وبلغت ثمانا وتسعين سنة قال جبريل كذلك
يكون الولد على الحال التي انت وزوجك عليها فلا تلد بعده لان الله
لا يحتاج الى سبب بل الله يفعل ما يشاء قال زكريا رب اجعل لي آية علامة
اعرف بها الحمل لاستقبله بالبشاشة والشكر واستريح من مشقة الانتظار
قال الله على لسان جبريل آيتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام لا تقدر
على مكالمتهم مع قدرتك على تسبيح الله وذكره لا لاستغراقك بالله لانك تشتغل
بهم الا انك لا تكلمهم الا رمزا بنحو يد او راس واذكر ربك كثيرا لتستفيض
منه انوار فتفيضها على ولدك وسبح لتتنزه عن اخلاق الردية وقت ظهور
النفس بالعشي من العصر الى الغروب والابكار من الفجر الى الضحى ثم اشار الى ان
اصطفاء مريم فقال واذ قالت الملائكة يا مريم فيه اشارة الى جواز تكليم الملائكة
الولي وخارق النبي في دعوى النبوة ان الله اصطفيك بالتفضيل على نساء
العالمين وفيهن وليات يا مريم اقنتي اعبدي شكرا لربك على اصطفائه و
اسجدي اكثري له السجود بتكثير الصلوة لتزدادي قربا بغاية التذلل له واركعي
مع الراكعين وصلي بالجماعة لينضم انكسارهم لعظمته الى انكسارك فتزدادي
قربا واشار بتقديم السجود وتاخير الركوع مع الراكعين الى ان الركوع وان
كان اقل افادة للتقرب فهو اذا كان مع الراكعين اكثر افادة له من السجود
حال الانفراد ثم اشار الى ان كرامات مريم صارت آية لنبينا صلى الله عليه وسلم
اذ ذلك من انباء الغيب لا يذكره اليهود لانكارهم فضلها ولا النصارى

بالتقرب والمحبة وطهرك
عن الرذائل ليدوم مناسبتك
له الجاذبة الى الله واصطفيك
صح

لدلالته على عبوديتها وهم يزعمون ربوبيتها نوحيه اليك مطابقا لما في كتابهم
مع اخفائهم اياه بل لا تعلم ما يظهرونه اذ لم تسمع من احدهم شيئا وهم معترفون
بذلك فلم يبق الا الوحي او تكون لديهم وما كنت لديهم معاينا لتعلمهم اذ
يلقون في النهر اقلامهم ليعلموا ايهم تخرج قرعته فهو يكفل مريم كيف وما
كنت لديهم في ابتداء شأن هذه القرعة اذ يختصمون في كفالتها فمن اين لك الاطلاع
بجميع احوالها الا بالوحي ولا يبعد الوحي اليك وقد اوحي الى مريم وليست نبية
اذ قالت الملئكة يا مريم ازالة لغمها من تهمة الولادة بلا اب ان الله يبشرك
بولد يحصل بكلمة منه بلا واسطة اب اسمه الذي يميزه لقبا المسيح وعلما عيسى
وصفة ابن مريم اذ لا اب له ولو كان له الهية او ابنية لكان في اسمائه ما يدل
على ذلك ولا يكون مذللا بنسبته الى الام بل يكون وجيها في اهل الدنيا يعظمونه
غاية التعظيم و اهل الآخرة كيف وهو من المقربين ويدل على قربه ظهور
الارهاصات عليه قبل النبوة اذ يكلم الناس كلام الانبياء وهو في المهد
ويستمر عليه الى ان يصير كهلا فلا يتوهم فيه انه كان في حال الصبي من الشيطان
لانه استمر الى حال كمال العقل وكيف يتوهم وهو من الصالحين والشيطان
انما يداخل الفساق قالت مخاطبة لله الذي بعث اليها الملئكة كانها شاهدته
رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال لها جبريل كذلك اى على الحالة
التي انت عليها من عدم مس البشر اذ الله يخلق ما يشاء ولا يحتاج الى سبب
بل اذا قضى امرا اى حكم بايجاد شيء فانما يقول له كن فيكون من غير توسط
حادث ويدفع عنك التهمة بما يظهر عليه من الكمالات اذ يعلمه بلا واسطة
معلم من البشر الكتاب والحكمة اى العلم الظاهر والباطن ويكملها فيه اذ
يعلمه التورية المشتملة على الظواهر والانجيل المشتمل على البواطن وكيف
يبقى التهمة ويجعله رسولا الى بني اسرائيل الذين يعلمون انه يجب ان يكون كاملا
وولد الزنا ناقص وله معجزات قاهرة اذ يتحداهم اني قد جئتكم بآية قاهرة

تعلمون بالضرورة كونها من ربكم لعجزكم عنها وهي اني اخلق لكم اى لاعجازكم
صورة من الطين كهيئة كصورة الطير فانفخ فيه اى فيما اخلق فيكون اى يصير
طيرا حقيقة ذا حيوة باذن الله بامره لا باستقلال مني وابرئ الاكمه الممسوح
والابرص الذي لا يقبل الدواء بمجرد الدعاء وافعل ما هو ابلغ من ذلك
وهو اني احيي الموتى باذن الله لا باستقلال مني نفيا لتوهم الالهية فهذه معجزات
قاهرة فعلية ومعجزاتي القولية اني انبئكم اخبركم بما تاكلون وما تدخرون لا
ولادكم او للمستقبل فتتركونه في بيوتكم ان في ذلك لآية دالة لكم على صدقي
ان كنتم مؤمنين مصدقين بآيات الله فانها لم تتفق فيما مضى على ذلك وليست
معجزاتي لاضلالكم حتى تشكوا فيها بل لاهدائكم اذ كنت مصدقا لما بين يدي
من التورية المشهودة بالاهداء ولكني نسخت بعض احكامها لاني جئتكم لاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم فيها لظلمكم كاكل الشحوم والثروب ولحوم الابل و
العمل في السبت وليس ذلك من الاضلال لاني جئتكم بآية تدل على وجه
تحريمها في ذلك العصر وتحليلها في هذا العصر من ربكم فاتقوا الله في تحريم ما احل
ولو بعد التحريم واطيعون في تحليل ما حرم في ذلك العصر لدلالة معجزاتي
على صدقي ولم يظهر لي من خيانة النفس ما يشكك في تلك المعجزات اذ ادعوكم
الى عبادة الله ان الله هو ربي وان تجلى في هذه الامور فانا عبده كما
انكم عبيده وهو ربكم فاعبدوه بمقتضى امره في كل عصر هذا المذكور من
تحليل الشيء في عصر وتحريمه في آخر بمقتضى مصالح الازمنة صراط مستقيم
لايصال الحكمة غايتها في اقرب المسافات ولو وصلت على خلافه بعدت
المسافة ولما رأوه بنسخ بعض احكام التورية كفروا به فلما احس عيسى اى
ادرك ادراك المحسوسات منهم الكفر عند اظهارهم اياه بايذائهم له قال
مع ما له من معجزة الاحياء الذي القدرة عليه بالاستقلال قدرة على الاماتة
بلا آلة مختبرا ايمان المخلصين ولذلك لم يكتف بنصر الله من انصاري اى من

الجمع الذين هم النصارى ولا يعتبر كثرة الموحدين لانهم يضمون انفسهم الى الله
في نصره الكافي وحده قال الحواريون اي المنسوبون الى الحوار وهو
البياض لاستنارة قلوبهم نحن انصارك لانا انصار الله وناصرك
ناصره لانك داع اليه بامره وكيف لا ننصر الله وقد آمنا بالله ومقتضاه
نصره والانقياد لاوامره فانقدنا لاوامره التي بلغتها منه واشهد ايها الداعي
الى الايمان المبلغ للاحكام لننقاد لها بانا مسلمون منقادون من كل وجه
الظاهر والباطن ثم اشهدوا الله الآمر بما انزل من الايمان به وباوامره
المقتضي لاتباع رسوله في العمل بمقتضاها فقالوا ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاشهدناك على ما نحن عليه لتصدقنا في دعواه فاكتبنا جزاء على شهادتنا
اياك مع الشاهدين على ايمان الخلائق وكفرهم واعمالهم الظاهرة و
الباطنة بالكشف عن بواطنهم بزيادة انارة قلوبنا فوق انارتها للايمان
والانقياد للاحكام او مع الشاهدين للحقائق ولما قصدوا ايذا عيسى
عليه السلام وخافوا من اسود دعوته وقتاله حاربه مكروا ووكلوا عليه من يغتاله
ومكر الله بالقاء شبهه على بعضهم وجعله بحيث لا يصلون اليه ابدا وجعلهم
مضرورين باتباعه دائما وسلط عليهم من نصرهم به وذلك اذ الله خير
الماكرين اذ قال الله يا عيسى اعلاما له بمكره بالاعداء وتخليصه عن مكرهم
اني متوفيك اي آخذ بكليتك ولا ادع لك شهوة طعام ولا شراب تحتاج
الى مساكنة الارض لاني رافعك الي اي الى سمائي وانما ارفعك لاني
مطهرك من الذين اي من جهة الذين كفروا فلا يصل اليك من اذاهم شيء
ولما اجعلك فوق اهل الارض فاني جاعل الذين اتبعوك من المسلمين
والنصارى فوق الذين كفروا بك من اليهود يغلبونهم الى يوم القيامة بل
لم يبق لليهود بعد ذلك ملك ودولة ثم لا اقتصر في حقهم على ذلك بل الي
مرجعكم للتحاكم فاحكم لقطع النزاع بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الايمان والكفر

وغيرهما فاما الذين كفروا بك فانهم وان آمنوا بموسى وسائر الانبياء فاعذبهم
عذابا شديدا كعذاب من كفر بالكل في الدنيا بالقتل والاسر والجزية والآخرة
بالنار والحيات والعقارب وضرب الزبانية والسلاسل والاغلال وغير
ذلك وهم وان آمنوا بالانبياء الماضين ما لهم احد منهم من ناصرين بالشفاعة
او الاحتجاج او الدفع قهرا واما الذين آمنوا بك بل بكل من اتاهم وعملوا
الصالحات وان كان فيهما ما نسخ بعض احكام التورية فنوفيهم اجورهم مثل
اجر من عمل بما في التورية قبل النسخ والله لا يحب الظالمين بمنع النسخ او بالقول
بالهية عيسى او ابنيته او بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون
منكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ظالما بعد ظهور آياته التي من جملتها ذلك
المذكور لانا نتلوه عليك من غير ان يكون لك اطلاع سابق عليه مع انه
من الآيات المعجزة بذاتها وبجمعها وجه الحكمة لانها من الذكر الحكيم المفيد
شرف القائل به لتعلقه بوجه الحكمة وكيف لا يكون القائل بابنية عيسى ظالما لجعله
فوق آدم لتولده بلا اب مع انه دون آدم ان مثل عيسى اي شانه العجيب
الموهم ابنيته مطابقا لما عند الله كمثل آدم في الحدوث بلا اب بل دونه لان
الله تعالى خلقه من تراب محدث بلا ابوين ثم قال له اي لتكوينه انسانا
بنفخ الروح فيه كن انسانا حيا وامر بتحقيق التكوين فيكون هذا هو المثل
الحق الثابت الذي لا يقبل التاويل جاء من ربك الذي رباك بالاطلاع
على الحقائق فلا تكن من الممترين بما ورد في الانجيل من اطلاق لفظ الاب على
الله فانه اطلاق مجازي لانه لما حدث منه كان كابيه واذا ظهر لك الحق
من ربك بلسان التام فمن حاجك جادلك فيه لاثبات ابنيته بطريق الاحتمال
من بعد ما جاءك من العلم القطعي الموجب لتاويله فقل لم يكن بيننا وبينكم
مناظرة ولكن ندفع عنادكم بطريق المباهلة تعالوا مسلما بالعزم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم اعزه

ولا نعطي العامل بما نسخ
منها شيئا بعد النسخ
لانه ظالم صح

أعزة أملا والصقهم بقلبه ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم ويدع
نفسه ايضا ثم نبتهل نتضرع الى الله في دعاء اللعنة فنجعل لعنة الله على الكاذبين
منا ومنكم ليهلكهم الله وينجي الصادقين فلا يبقى العناد الباقي عليكم بعد اتفاق
الدلائل العقلية والنقلية روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ الآية على وفد نجران
ودعاهم الى المباهلة فقالوا حتى ننظر فخلوا فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى
فقال لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم
نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم اذا انا دعوت
فامّنوا فقال لهم اسقفهم يا معشر النصارى اني ارى وجوها لو سألوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ان هذا اي خلق عيسى بامر
الله لا بمجامعة مريم لهو القصص الحق وكيف يجامعها ولا جزء له ينفصل
بمجامعة اذ ما من اله الا الله وكما لا يتعدد افراده لا يتعدد اجزاؤه و
الا لوجب اتصاف كل جزء منه بالكمالات الموجبة للالهية وذلك الجزء ولو كان
له جزء لم يتذلل بمجامعة امرأة ارضية لانه ان الله لهو العزيز ولو اشتهى
ذلك لمنعته حكمته لانه الحكيم فحكمته تحفظ عليه عزته فان تولوا اعرضوا عن القول
بعبودية عيسى عليه السلام فهم مفسدون اعتقادهم واعتقاد غيرهم في الله فلا
ينفعهم فان الله عليم بالمفسدين يجازيهم بمقدار افسادهم قل يا اهل الكتاب
المطلعين على الاعتقادات الصائبة لا وجه لاعراضكم عن القول بعبودية عيسى
عليه السلام تعالوا الى كلمة سواء اي قول معتدل لا يميل الى التعطيل ولا الى
الشرك فنتفق عليها بيننا وبينكم وهي ان لا نعبد الا الله اي لا نرى غيره
مستحقا للعبادة فنعبده ولا نشرك به شيئا في كمال صفاته الذي به الالهية ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا آلهة صغارا مع علمنا بكونهم في الكمال من دون الله

والالهية انما هي بغاية الكمال فان تولوا عن منع الكلمة السواء المتفق عليها
فقولوا خرجتم من دين الله الذي هو الاسلام ولكن اشهدوا بانا مسلمون
ليكون شهادتكم سبب نجاتنا وهلاككم ولو قالوا لا نخالفك في منع الكلمة
ولكنك تزعم انك على ملة ابرهيم وتخالف اليهود والنصارى وكان ابرهيم
يهوديا او نصرانيا فقال تعالى لهم يا اهل الكتاب الذين حجتهم ان لا ينطقوا
بما لا علم لهم لم تحاجون تجادلون في ابرهيم انه كان احد الفريقين ولا شك
ان اليهودية بعد انزال التورية والنصرانية بعد انزال الانجيل وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده التورية بعده بالف سنة والانجيل بالفي
سنة أتجعلونه على شريعة كانت بعده بهذه المدة افلا تعقلون ها انتم هؤلاء
اي تنبهوا ايها المشار اليهم بالاشارة القريبة لزيادة عقولهم حاججتم فيما
لكم به علم من امر محمد صلى الله عليه وسلم اذ له ذكر في كتابكم فامكنكم تغييره لفظا
او معنى فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم من امر ابرهيم اذ لا ذكر له في كتابكم
فلا يمكنكم فيه التغيير والله يعلم فيبينه لنبيه وان لم يعلمكم لذلك انتم لا تعلمون
وان كنتم منتسبين اليه ما كان ابرهيم لو كان على شريعة التورية والانجيل
يهوديا ولا نصرانيا اي معتقدا اعتقادهم اليوم في عزير وعيسى ولكن كان
حنيفا مائلا عن الاعتقادات الفاسدة مسلما منقادا للاعتقادات الصحيحة
ولو كان له شيء من اعتقاداتهم اليوم فلا شك انه ما كان من المشركين بالقول
بابنية عزير وعيسى او بالهيتهم ثم ما زعمتم انكم اولى به لان شريعتكم كانت موافقة
لشريعة التورية والانجيل ممنوع بل ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه
قبل نزول التورية والانجيل اذ لم يتغير عليهم شيء من شريعته وهذا النبي
الناسخ لما نسخ التورية والانجيل من شريعته والذين آمنوا به فعملوا بشريعته
الموافقة لشريعة ابرهيم ثم قال ولو كنتم موالين له بالعمل بشريعته وكانت منسوخة
بهذه الشريعة لم تفدكم موالاته اذ لا يواليكم الله اذ الله ولي المؤمنين ثم اشار

تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ها حرف تنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وجملة اخرى مبينة للجملة الاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم

الی ان اهل الکتاب انما ادعوا یهودیة ابرهیم او نصرانیته لانکم تزعمون انکم علی
ملته فارادوا ان یلزموکم الیهودیة او النصرانیة لانه ودّت طائفة
من اهل الکتاب الذین حبهم محبة الاسدآء لو یضلونکم بالقاء شبهة یهودیة او
نصرانیة واذا لم یتم بینه اضلالهم فی هذه الدعوی وما یضلون الا انفسهم وما
یشعرون انه یعود اضلالهم الی انفسهم اذا عجزوا عن اثبات هذه المقدمة
ثم قال انکم انما تدعون الناس الی الیهودیة والنصرانیة لظهور الایات علی یدی
موسی وعیسی یا اهل الکتاب المؤمنین بآیات موسی وعیسی لم تکفرون بآیات
الله الظاهرة علی یدی محمد صلی الله علیه وسلم مع انها اجل من آیاتهما وانتم
تشهدون آیاته وقد سمعتم آیات موسی وعیسی والمشهود اولی بالترجیح من
المسموع ثم اشار الی ان هذه الایات لو لم تکن اجل فلا یکون اقل الا من
تلبیسکم یا اهل الکتاب لم تلبسون الحق بالباطل فتجعلون تکلیم الحصی وشق
القمر من السحر دون احیاء الموتی وشق البحر وقد صدقه کتابکم لکنکم تکتمون الحق
الثابت فی کتبکم وانتم تعلمون ما هو مراده وان غیرتموه بتأویلکم الفاسد
ومن تلبیسهم الحق بالباطل انه قالت طائفة من اهل الکتاب اثنا عشر من
یهود خیبر آمنوا بالذی انزل علی الذین آمنوا من نسخ التوریة وجه النهار اوله
واکفروا آخره فقولوا نظرنا فی کتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذی
فی کتابنا لعلهم ای اصحاب محمد یرجعون عن دینه اذ یتوهمون انهم بعد
ترک العناد انما رجعوا لانهم علی الحق ومن کتمانهم الحق انهم قالوا لا تؤمنوا لا
تظهروا تصدیقکم بمحمد لکونه فی کتابکم الا لمن تبع دینکم ای لمن علمتم استقراره
علی الیهودیة قل کانکم تهدون الناس بالیهودیة لکنها لم تبق هدی بعد مجیء محمد
صلی الله علیه وسلم ان الهدی هدی الله ولیس هدی الله بعد مجیئه صلی
الله علیه وسلم بمقتضی التوریة التی حصرتم هدی الله فیها الا هداه لکنکم تکتمون
انه هدی الله بعد مجیئه کما ان التوریة هداه قبل مجیئه کراهة ان یؤتی احد



من هدی الله مثل ما اوتیتم فضلا عن الفاضل فی التقرب من الله وافادة
الثواب او کرامة اظهار ان یحاجوکم ای یغلبوکم بالحجة عند ربکم فانکم
تکرهون ظهور ذلک لما فیه من ذهاب ریاستکم ورشاکم قل ان الاخفاء
ینفعکم لو کان الفضل بیدکم لکن الفضل بید الله ولا یمکنکم منعه فانه مع منعکم
ایاه یؤتیه من یشاء کیف ومنعکم تضییق علیه ولا یمکن اذ الله واسع وان
امکنکم التضییق فهو علیم بدفعه عن نفسه ثم ان اخفاءکم فضل المؤمنین انما
یتأتی لو ساووکم فی الفضل او نقصوا لکن الله یختص برحمته من یشاء فیزیده
فضلا علیکم کیف وفضله لیس منحصرا فیما اعطاکم اذ الله ذو الفضل العظیم
ثم اشار الی انه لا یبعد منهم التلبیس وقد ظهرت فیهم الخیانة فی اقل شیء ویبعد
من مؤمنیهم وقد ظهرت فیهم الامانة فی شیء عظیم فقال ومن اهل الکتاب عبد
الله بن سلام اودعه قرشی الفا ومائتی اوقیة من الذهب فاداه الیه من ان
تأمنه بقنطار مال منضد بعضه علی بعض یؤده الیک وان لم تطالبه فیبعد
منه التلبیس لان امانته مع الخلق یدل علی امانته مع الله فلا یفتری علیه انه ذکر
فی کتابه نعت رسول الله صلی الله علیه وسلم ومنهم فنحاص بن عازورا استودعه
قرشی دینارا فلم یؤده الیه من ان تأمنه بدینار لا یؤده الیک لکونه فی
غایة الخیانة بحیث یخون فی کل حین الا ما دمت علیه ای علی رأسه قائما بالمطالبة
والترافع واقامة البینة فلا یبعد منه الخیانة مع الله بکتمان امره باظهاره طمعا
فی ابقاء الریاسة والرشی علیه ذلک الدلیل علی خیانتهم مع الله انهم یبعدون
عن الخیانة مع الخلق اذا ظهرت بالافتراء علی الله لان اعتقادهم بانهم قالوا
لیس علینا فی مال الامیین الذین لیسوا من اهل الکتاب سبیل الی ذم وعقاب
فهم یخونون مع الخلق ویقولون فی الاعتقاد رعنة علی الله الکذب فیخونونه
ایضا وهم یعلمون انه کذب محض لیس لهم فیه نص قطعی ولا ظنی متنا ولا دلالة
بل بلی النص الالهی ان من اوفی بعهده اوفی الله عهده ومن نقض عهده نقض

الله عهده واداء الامانة من وفاء العهد بل من التقوى وقد نص على ان من
اتقى فان الله يحب المتقين فلو لم يكن عليهم سبيل لكان حقهم ان يستأثروا محبة الله
على كل شيء ثم اشار الى انهم متى يبالون بعهد الناس ولم يبالوا بعهد الله اذ يستنكثونه
وكيف يتقون عهد الله في امانات الخلق ولم يتقوه في امانته وهو وجوب تعظيمه
اذ يهتكونه بالايمان الكاذبة فقال ان الذين يشترون بعهد الله اي ياخذون
بدله بتغييره وايمانهم اي وباَيمانهم الكاذبة يبدلونها فياخذون ثمنا قليلا
شيئا حقيرا من الدنيا الحقيرة التي لا نسبة لجميعها الى ادنى ما فوتوه اولئك
لا خلاق لا نصيب ثواب لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يرضيهم ولا ينظر
اليهم نظر الرضا يوم القيمة ولا يزكيهم عما يوجب العقاب ولهم عذاب اليم
بالنار والتوبيخ ونظر الغضب والهيئات الظلمانية وذلك انهم انما اخذوه
بعدم رؤيتهم في الوفاء بعهده ورعاية تعظيمه نصيبا من ثواب الآخرة ولا من
مكالمة الله بما يرضيهم ولا نظره بالرضا اليهم ولم يريدوا التزكية عن موجب
العذاب وكيف لا يكون كذلك وان منهم لفريقا لا يقتصرون على تغيير العهد
بمجرد التأويل بل يلوون يحرفون السنتهم فيظهرون اكاذيبهم ملتبسة بالكتاب
لتحسبوه اي لتتوهموا انه من الكتاب اي من الفاظ الكتاب وما هو من الكتاب
لفظا ولا تأويلا ولا يقتصرون على الايهام بل يصرحون اذ يقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله منصوصا ولا استنباطا وبالجملة لا يبالون بالله
اذ يقولون على الله الكذب في كتابه وغيره وهم يعلمون انهم يكذبون ثم انهم
كما كذبوا على الله كذبوا على رسله اذ زعموا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فرد
الله عليهم بانه ما كان يصح من الله الذي لا يعطي رتبة النبوة الا لمن علم انه
يقوم بحقها ان يجمع هذه الفضائل لبشر مع بقاء بشريته التي لا بد من بقائها
ان يؤتيه الله الكتاب اي علم الاعتقادات والاخلاق والحكم الشرعية
والنبوة ليدعو الى الله ثم يقول للناس الذين بعثه الله اليهم ليدعو الى عبادته



وحده كونوا عبادا لي فاتخذوني ربا من دون الله لان ذلك استنقاص
له ولكن يستكملهم اذ يقول لهم كونوا ربانيين منتسبين الى الرب بالتخلق
باخلاقه او بالتحقق بها او بالفناء فيه والبقاء به بما كنتم تعلمون الكتاب الناس
فان ثواب تعليمه تنير قلوبكم فتبدل اخلاقها وتنزل بها نور التجلي الشهودي وبما
كنتم تدرسون تقرؤن فانه يجركم الى الله تعالى وهذا لو كان التعليم والقراءة
لله تعالى وحده ولا يامركم ايها المامورون بالربانية بما هو في غاية النقص
ان تتخذوا الملئكة والنبيين الذين هم وسائط ما بينكم وبين الله اربابا اي مستنزلا
لكم عن عبادة الله الى عبادتهم على انه رد الى الشرك الذي جئنا لمحوه ايامركم بالكفر
اي بالعود اليه بعد اذ انتم مسلمون اي بعد استقراركم على الاسلام الذي
تحملوا فيه المتاعب الكثيرة ثم ذكر انهم كما قالوا على الله ورسله ما لم يقولوه كذبوا
على الله ورسله ما بالغوا في الامر بالايمان من امر كل رسول جديد مؤكدا بالايمان
به والنصرة له فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين العهد الوثيق من كل نبي صادق
ان يقولوا لامتهم على لسانه لما آتيتكم من كتاب وحكمة اي ان الذي آتيتكم من
الكتاب واسراره فانما آتيتكم لتعرفوا طريق الهداية وتجعلوه اصلا ترجعون
اليه اذا اشكل عليكم الامر فاذا جعلتموه اصلا ثم جاءكم رسول بالمعجزات
مصدق لما معكم وان كان ناسخا لبعض احكامكم مما دلت الحكمة على اقتضاء
الزمان ذلك لتؤمنن به لانه اجتمع فيه شاهدان المعجزة والهداية ولا تقتصروا
على الايمان بل لتنصرنه ايضا مبالغة في تشهير امره ثم بالغ الله على الانبياء بمراجعة
اقوامهم اذ قال أأقررتم اي هل اخذتم اقراركم بقبوله واخذتم على
ذلكم اصري اي عهدي الثقيل قالوا اقررنا اي اخذنا اقرارهم مع المبالغة
قال فاشهدوا احفظوا شهادتكم عليهم لتلزموهم اذا انكروا وان لم يحتج الى
شهادتكم سوى المبالغة ولا تخافوا فيها الفوت اذ انا معكم من الشاهدين و
اذا بالغ الله تعالى هذه المبالغة في اخذ الانبياء ميثاق اقوامهم على هذا النهج

البليغ فمن تولى اعرض عن هذا العهد فلم يؤمن بالرسول المذكور ولم ينصره بعد
ذلك وان كانوا من اهل الكتاب فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن
دائرة اهله بالحقيقة فلا عبرة بشهادتهم ولا باخبارهم فان قالوا هذا الرسول ليس
مصدقا لهم لانهم دعوا الى ربوبية انفسهم قيل لهم أيطلب هذا نبيا من الناس
اتخاذهم اربابا وهذا دين المشركين افغير دين الله الذي هو التوحيد يبغون
يطلبون لاتباعهم وليس هذا مقتضى كمالهم في التجلي الشهودي اذ له اسلم من في
السموات من اهل الفناء والبقاء والارض من عوام المؤمنين والكفار طوعا
ان كان من اهل البقاء او مؤمنا وكرها ان كان من اهل الفناء او جهد كافرا فلا
يدعي الالهية الا له لا لنفسه كيف واليه ترجعون في التوحيد فلا مساغ لغيره
في دعوى الالهية اصلا ولو قالوا انهم يطلبون ترك اليهودية والنصرانية غير دين
الله قل لهم آمنا بالله ويهود هذا الزمان ونصاراه اشركوا به وما انزل علينا وان
كان فيه ما ينسخ بعض احكام التورية والانجيل فهو يوافق ما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط فلو اهل نسخنا للتورية والانجيل لاهل نسخكم
لما انزل على هؤلاء ومع ذلك ايضا صدقنا ما اوتي موسى وعيسى والنبيون و
ان اختلفت شرايعهم لكونها من ربهم الذي ربى كلا بما هو مصلحته وهم وان
تفاوتت شرايعهم كمالا ونقصانا لا نفرق بين احد منهم بالايمان بالبعض والكفر
بالبعض لان التفاوت فيها بتفاوت استعدادات الامم ولا يجعل بعضهم اربابا
وبعضهم عبيدا بل نحن له مسلمون هذا هو الاسلام الذي هو الانقياد لربوبية
الله واوامره في كل عصر ومن يبتغ يطلب غير الاسلام دينا فاتخذ البعض
اربابا وصدق البعض دون البعض وآمن بالمنسوخ دون الناسخ فلن يقبل
منه اذ لم ينقد لامر الله في عصره وان انقاد لما امر به من قبله ولا يحصل له ثواب
من عمل بالدين المنسوخ قبل نسخه بل هو في الآخرة من الخاسرين للاجر
على الناسخ والمنسوخ جميعا ولاجر ما صح من الاعتقادات والاعمال والاخلاق



لان الكفر محيط للكل وكيف لا يكونون خاسرين وقد خسروا وجوه الهداية
في الدنيا اذ كيف يهدي الله قوما كفروا بالرسول بعد مجيئه بعد ايمانهم به قبل مجيئه
اذ رأوه في كتبهم وليس هذا الكفر مجرد نقضهم الميثاق بالايمان بكل رسول
يأتيهم مصدقا لما معهم بل مع ذلك شهدوا ان هذا الرسول حق وهو وان
لم يعين زمانه ومكانه وقبيلته وساير مشخصاته تمكنهم اذ جاءهم البينات التي
آمنوا بمثلها او بما دونها لموسى وعيسى فظلموا الحجة الثابت ببيناته وتصديق الكتب
السماوية والله لا يهدي القوم الظالمين فلا يجازيهم جزاء اهل الهداية وان
اسندوا بالايمان ببعض ما في كتبهم بل اولئك جزاؤهم جزاء الظالمين بالكفر الكلي
وهو ان عليهم لعنة الله الذي بعث الرسل واعطاهم البينات وامر بالايمان
بكل رسول جاءهم بالبينات مصدقا لما معهم ونص على الرسول والملائكة الذين
جاؤا بالرسالة او شهدوا بها والناس اجمعين من المؤمنين الذين آذوهم والكافرين
الذين وقعوا في الكفر بسببهم يتسلطون عليهم مجتمعين في اللعنة خالدين فيها لا تنقص
عنهم اصلا لذلك لا يخفف عنهم العذاب بان آمنوا ببعض ما في كتبهم ولا هم ينظرون
لتنفعهم اثواب ذلك البعض لو حصل ثوابه الا الذين تابوا فانهم لا يبقون في
اللعنة ولو من بعد ذلك الكفر بعد الايمان واصلحوا عقايد من اضلوهم بازالة
الشبهات عنهم فان الله غفور رحيم لانه لما سقطت التبعات عن المضلين
سقطت عن المضلين ايضا اذ كانوا سبب اسقاطها ايضا ان الذين كفروا
بعد ايمانهم فيه اشارة الى ان اضلال الكافر الاصلي ساقط بالتوبة وان مات
المضل كافرا ثم ازدادوا كفرا باضلال غيرهم لن تقبل في حق من اضلوهم
توبتهم اذ لم يزيلوا شبهاتهم واولئك بترك شبهاتهم هم الضالون وفيه اشارة الى
انهم اذا لم يمكنهم ازالتها بالموت او بالغيبة البعيدة يرجى عفوها وكيف تقبل توبتهم
ولا يفي باضلالهم حسناتهم لو مات المضلون كفارا ان الذين كفروا باضلالهم
وماتوا وهم كفار لتركهم الشبهات عليهم فلن يقبل من احدهم فضلا عن جميعهم

وكذا لو تجده وانفقه به
ولو اعطوا ثوابه لم ينتفعوا به

جزء ٣

ملء الارض ذهبا لو تصدق به المضل واعطى المضل عوضا عن اضلاله فانه
لا ينتفع به اذ اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين من ثواب يدفعه
او وجاهة وشفاعة ثم اشار الى ان انفاق المال وان لم ينفع فداء للكافر فهو في
نفسه شريف اذ لن تنالوا البر اي بر الله رحمته ورضوانه حتى تنفقوا
في سبيله مما تحبون بعض محبوباتكم من المال او الجاه او النفس وليس المطلوب
انفاق النصف او الثلث او الربع بل ما تنفقوا من شيء حقيرا وعظيم فان الله به
عليم يجازيكم بقدره وانما كان انفاق المحبوب سبب نيل البر لان ترك المحبوب من
اجله من اسباب التقرب اليه لذلك تقرب يعقوب عليه السلام بترك احب
الطعام اذ كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وهو لحم
الابل ولبنه فدل هذا على انه كل الطعام الحلال في دين محمد صلى الله عليه وسلم
كان حلا لبني اسرائيل في عهد ابرهيم وبنيه قبل ظلمهم ولم يحرم عليهم بعد ظلمهم الا
ما حرم اسرائيل وهو يعقوب على نفسه بنذره فكان تحريم يعقوب من قبل ان تنزل
التورية ولم يكن تحريم ابرهيم كما قالت اليهود واعترضوا بذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابرهيم وكان لا يأكل لحوم الابل والبانها
وانت تأكلها فقال عليه السلام كان ذلك حلا لابرهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم
كان حراما على نوح وابرهيم حتى انتهى الينا قل ان كنتم تموهون فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين في انها كانت محرمة في دين ابرهيم وان التورية لم ينسخ شيئا
من احكامه فاذا لم تأتوها علم انكم تفترون على الله بانه قال بامتناع النسخ مع انه
لا يمتنع عقلا فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي ظهور نسخ التورية
احكام ملة ابرهيم فاولئك هم الظالمون بالتحكم على الله ومنعه من رعاية مصالح
الازمنة واذا كانت التورية ناسخة بعض احكام ملة ابرهيم قل صدق الله فيما
ذكر في هذا الكتاب من جواز النسخ وانه نسخ به ما نسخ التورية من احكام ملة
ابرهيم فاتبعوا ملة ابرهيم وهو مقتضى امتناع النسخ ايضا كيف وليس في ملته

ما في يهودية اليوم ونصرانيته من الاعتقادات الفاسدة اذ كان حنيفا مائلا
عن الاعتقادات الفاسدة كيف وفي يهودية اليوم ونصرانيته شرك اثبات
الولد والالهية عيسى وما كان من المشركين وكيف تزعمون انكم على ملة ابرهيم
وقد كانت قبلته الكعبة بل قبلة آدم وكيف تنكرون نسخ التورية احكام ملة
ابرهيم وقد نسخ القبلة بصخرة بيت المقدس ان اول بيت وضع للناس اي
لتوجههم اليه في الصلوة ليجتمع قلوبهم في تلك الجهة مع تفرقهم في العالم للذي ببكة
اي مكة لان الارض دحيت من تحتها فهي مبدأ الجسم الترابي فتوجه البدن
توجه الروح الى مبدأه واعتبار المبدأية يقتضي الاولية ولم تكن الصخرة قبلة
ابرهيم ومن قبله اتفاقا ولدحو الارض من تحتها كان مباركا لان بركات الارض
انما خرجت ببسطها فكانت في الاصل تحتها للمتوجه اليها البركات المعنوية ولكون
التوجه اليها توجها الى الله كانت هدى للعالمين كيف وقد كوشف بالتوجه اليها
في الصلوة وبالطواف حولها الحقائق الالهية والكونية فيه آيات بينات
رمي الطير اصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتعجيل عقوبة من عاداه واجابة
دعاء من دعا تحت ميزابه واذعان النفوس لتوقيره من غير زاجر ومن
اعظمها النازل منزلة الكل مقام ابرهيم الحجر الذي قام عليه عند رفعه قواعد
البيت كلما علا الجدار ارتفع الحجر في الهواء ثم لين تغرقت فيه قدماه كأنهما في
طين فبقي اثره الى يوم القيمة ومن آياته ان من دخله كان آمنا من نهب العرب
وقتالهم وقد امن صيده واشجاره وكيف تنكرون كون الحج من دين ابرهيم
وقد نسخته التورية فنسخ نسخها هذا الكتاب فقال ولله اي ويجب للتقرب الى
الله على الناس حج البيت اي قصد زيارته من عرفات لنزوله منزلة بيت
الله لو كان له مكان ولكن انما يجب على من استطاع اليه سبيلا اي قدر على الذهاب
اليه والرجوع الى بيته بوجدان الزاد والراحلة مع نفقة عياله ومن كفر بفرضية
الحج فلا يبالي به كما لم يبال بفرضه وسوى بعدم المبالاة لغناه على الاطلاق

فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب الزاعمين انهم يؤمنون بجميع آيات
الله لم تكفرون بآيات الله في بيته وآيات التوحيد الدالة على وجوب الحج
في ملة ابراهيم وآيات محمد صلى الله عليه وسلم ولا تقتصرون على الكفر بها بل
تحرفونها لفظا او معنى والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم لا تقتصرون
على انكار فرضية الحج بل مع ذلك تصدون الناس عن سبيل الله الذي جعله
سبيلا لابراهيم ومحمد عليهما السلام وقومهما فتمنعون عن الحج من آمن تبغونها
بالقاء الشبهات عوجا لئلا يبقى المؤمن به على ايمانه وانتم شهداء انهم على الحق
بنصوص كتابكم لكنكم تحرفونها وما الله بغافل عما تعملون من تحريفها والقاء الشبه
على من يأخذ بمقتضاها يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تقلدوا احدا ولو
اهل الكتاب لانكم ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب بحسن اعتقادكم
فيهم لكونهم اهل الكتاب يردوكم بعد ايمانكم بالتوحيد والنبوة كافرين الكفر الذي
كنتم عليه من الشرك وانكار النبوة اذ يرضون بالرد اليه دون البقاء على التوحيد
والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف تكفرون بالله لقلة علمهم وانتم
تتلى عليكم آيات الله التي هي اجل من الآيات المتلوة عليهم وان لم تدركوا
اعجازها فارجعوا الى رسوله اذ فيكم رسوله ومن لم يجد رسوله يكفيه الاعتصام
فانه من يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم في ادراك اعجاز آيات
الله ورفع الشبه ثم اشار الى انه انما يتم ادراك الحج ورفع الشبه بكمال التقوى
المفيد تزكية النفوس وتصفية القلوب فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته باستفراغ الوسع في القيام بالواجبات والمستحبات واجتناب
المحرمات والمكاره ولا تغفلوا عن الشبهات فانه يخاف فيها الموت على الكفر
ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقد دفعت شبهاتكم ثم انه يقع في التزكية والتصفية
انواع الخلل كانحراف المزاج وتلبيس الشيطان ولرفعها اعتصموا بحبل الله جميعا
اي بكتابه في اعمال التصفية والتزكية وفي المكاشفات ثم الاعتصام بالكتاب

انما يتم بالاجتماع على طلب الحق لا بالجدل الباطل الداعي الى الافتراق ولذلك
لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم بتأليف قلوبكم لتجتمعوا على طلب الحق اذ كنتم اعداء
فقلبت عداوتكم بالمحبة فالف بين قلوبكم وازال افتراقكم المثبت لاموركم فاصبحتم
صرتم بنعمته اخوانا متحابين في الله مجتمعين على الحرب متعاونين على البر و
التقوى وكنتم بتلك العداوة على شفا اي طرف حفرة من النار بالقتال و
النهب والاسر فانقذكم منها قيل كان الاوس والخزرج اخوين وقع بين اولادهما
العداوة والحروب مائة وعشرين سنة ثم دفعت بالاسلام كذلك اي مثل ذلك
البيان يبين الله لكم آياته في كل مكان لانقاذكم من الضلال فيه لعلكم تهتدون
لرشدكم الديني والدنيوي ثم اشار الى انه كما انقذكم من النار والضلال بارسال
الرسل وانزال الآيات فليكن فيكم من ينقذ اخوانه فقال ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير اي الايمان ويأمرون بالمعروف بكل معروف من واجب ومندوب تقربهم
الى الجنة وتبعدهم من النار وينهون عن المنكر عن كل منكر من حرام ومكروه تقربهم
الى النار وتبعدهم من الجنة واولئك الداعون الآمرون الناهون هم المفلحون
الفائزون باجر اعمالهم واعمال من تبعهم ولا تكونوا كالذين فرقوا انفسهم واخوانهم
من الناس لانهم تفرقوا بالمجادلة الباطلة واختلفوا في الاعتقادات الواجبة من
بعد ما جاءهم البينات القاطعة التي لا يتبعونها في باب الاعتقادات واولئك
وان زعموا ان اختلافهم وقع عن اجتهادهم لهم عذاب عظيم فوق عذاب
المعاصي الفرعية لانهم اتبعوا الشبهات وتركوا قواطع الادلة التي لا محل للاجتهاد
في مقابلتها يوم تبيض وجوه لاتباعها الادلة القاطعة التي هي الانوار الساطعة
وتسود وجوه لاتباعها الشبهات المظلمة ليستدل بذلك على ايمانهم وكفرهم
ليجازى كل بمقتضى حالة فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم باتباع
الشبهات في باب الاعتقادات بعد موجب ايمانكم من الدلائل القاطعة فانتم
وان اخترتم ذلك عن اجتهاد فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اذ لا يعذر

بالاجتهاد ولانه اقتصّ الا دلّة القاطعة فى مقابلة شبهها وَاَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللّٰهِ لاتباعهم اَدلّة القاطعة التى اقامها يرحم من اتبعها رحمة
مؤبّدة لذلك هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ المذكورات واجبة الاعتقاد لانها آيَاتُ
اللّٰهِ لا بمجرد التخويف بل نَتْلُوهَا من مقام عظمتنا المقتضية كمال الصدق عَلَيْكَ
يا اكمل الرسل فلا نترك عليك ما فيه نقيصة الكذب بمجرد التخويف بل بِالْحَقِّ الثابت
وكيف يكون بمجرد التخويف وهو ظلم بالتسوية بين المحسن والمسئ وليس من المظالم
الجزئية بل الكلية وَمَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وهو وان كان متصرفا فى ملكه اذ لله
مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ ولكن إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ وهو حكيم يرى مخالفة
الحكمة ظلما لما فيه من وضع الشئ فى غير موضعه فلا يفعل خلاف الحكمة بمقتضى السنّة
وكيف لا تبيض وجوهكم ولا تخلدون فى رحمة الله ولا تفلحون وقد كُنْتُمْ خَيْرَ
كلّ أُمَّةٍ كانها اُخْرِجَتْ استثنيت من الناس لِلنَّاسِ لانتظام امورهم تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ فتكملونهم وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فتدفعون عنهم النقائص وقد كملتم
فى انفسكم اذ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وبمجرده كنتم خيرا من اهل الكتاب اذ وَلَوْ اٰمَنَ
اَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وان لم يتعد خيرهم الى غيرهم اذ لم يأمروا بالمعروف
وينهوا عن المنكر ولعلهم بخيريّة مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ كعبد الله بن سلام ولا ينافى
ذلك كفر ما كثر منهم اذ وَاَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ فى الفرعيات فلا يبعد فسقهم
فى الاعتقادات لغلبة الهوى فى حقهم على مقتضى علمهم لذلك يتصدون اضراركم
لكن لَنْ يَضُرُّوكُمْ لكونكم خير خلق الله فيعينكم الله إِلَّا اَذًى باللسان وَاِنْ يُقَاتِلُوكُمْ
بالسيف او المناظرة يُوَلُّوكُمُ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ اى لا يكون لهم الكرّة عليكم
ابدا وكذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر ولمكابرتهم مع الله العزيز
ومع اعزّة عباده من خيار المؤمنين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ جعلت عليهم كالقبّة المضروبة فى الاحاطة اَيْنَمَا ثُقِفُوا فى اى مكان وجدوا
بحيث لا يمكنهم السكون منه اِلَّا معتصمين بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ وهو الايمان بالله فى الظاهر

وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ اى او بعقد ذمّة او هدنة او امان من الناس وَ هو لا يفيدهم
عند الله لانهم بَاؤُوا رجعوا من الايمان برسوله قبل مجيئه بعد مجيئه فالتبسوا
بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ولا يمكنهم العود الى عزّتهم لانهم ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ المستلزمة
للذلّة ذٰلِكَ اى ضرب الذلة والمسكنة والغضب بِاَنَّهُمْ استكبروا على الله
اذ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وزادوا عليه اذ عاندوا مع الله حتى كانوا
يَقْتُلُونَ الْاَنْبِيَاءَ عالمين بانه بِغَيْرِ حَقٍّ موجب ظنّى ولا قطعى ذٰلِكَ الكفر وقتل
الانبياء بِمَا عَصَوْا وليس كمعاصى الجمهور لانهم كَانُوا يَعْتَدُونَ يجاوزون الى حدّ
الى الغاية فغضب الله عليهم فجرّهم الى الكفر ثم انهم وان كانوا فيهم الا عند المنع
للغضب لَيْسُوا سَوَاءً مستوين حتى لا يعتدّ بايمان من آمن منهم ويحمل على النفاق
بل مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ الذى شأنه النشر فاذا لم يعمّ فلا بدّ من نوع منه تأثّر به
اُمَّةٌ قَائِمَةٌ بما فى التورية على اكمل الوجه حتى تدينوا بدين محمد صلى الله عليه وسلم
الناسخ لبعض احكامها يَتْلُونَ اٰيَاتِ اللّٰهِ المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم اٰنَاءَ
سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَهُمْ يصلّون صلوة التهجد يَسْجُدُونَ فيها وان لم تكن فى دين
اليهود فتعبّدهم مزيد تقرّب وقت عموم الغفلة فهذا يدلّ على انهم يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ
فينقادون لجميع آياته وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فيجانبون الغفلة ثم لا يقتصر خيراتهم على انفسهم
بل يتعدّى الى العموم ولذلك يَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ولا يطلبون
الرياسة لانهم يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وطالب الرياسة يمنع سواه ولا يمكنه
المسارعة فى الخيرات فى عموم الاوقات وان صحت المسارعة الى الخيرات فلا
يظهر عليهم اثرها وقد ظهر على هؤلاء فعلم ان اُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وانما ميز
بينهم وبين اخوانهم حيث غضب على اخوانهم وجعل هؤلاء من المصلحين لانهم
مسارعون فى الخيرات كيف وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ بفعل الاخوان
وَاللّٰهُ وان غضب على اخوانهم جعلهم من الصالحين لتقويهم لانه عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ واذا
كانت التقوى كافية فى ذلك فالمسارعة الى الخيرات زيادة على الكفاية وكو

قيل كيف غضب على احبائهم وقد انعم عليهم بالاموال والاولاد اجيب بانهما ليسا
من الانعام في حق الكفار في الآخرة اذ لا يدفعان غضبه عليهم فقيل ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وان كان التصدق
بالاموال يطفئ غضب الرب في حق المؤمنين ويعزون بموت اولادهم او استغفارهم
واولئك اي الكفار واموالهم واولادهم اصحاب النار ملازمون لها يزدادون
بها عذابا ولو كانت مغنية لم يثبت لهم ما يشاع بها اذ هم فيها خالدون ولا ينفعهم
التصدق بها لخبثها اذ مثل ما ينفقون مع ان الغالب انهم ينفقونه في استجلاب
فوائد هذه الحيوة الدنيا من طلب الثناء او دفع البليات فان كان للآخرة فهي
حرث اصابه الكفر ومثله في اهلاك ما اصابه كمثل ريح فيها صر برودة شديدة
اصابت حرث قوم فاهلكته فكذا ريح الكفر اذا اصابت حرث انفاق قوم ظلموا
انفسهم فاهلكته فصار الظلم ريحا لحصوله من هوى النفس ذات برودة شديدة
لكونه ظلم الكفر الذي هو الموت المعنوي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم بارسال ريح
من عنده ولكن كانوا انفسهم يظلمون بارسال ريح الظلم الكفري على حرثهم الاخروي
ثم اشار الى ان الكفر لما كان ريحا مهلكة حرث اعمال اربابه فلا يبعد منه اهلاك
حرث اعمال من صحبهم سيما من احبهم فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ترك صحبتهم
فان لم تتركوها فعليكم ان لا تتخذوا بطانة محبة باطنة معرفة للاسرار من دونكم
اي مجاوزة بطانة المؤمنين وكيف لا يؤثر ريح كفرهم في حرثكم وهم لا يألونكم
خبالا لا يقصرون في افساد عقائدكم لاحباط اعمالكم ولا يبعد منهم لانهم ودوا
ما عنتم اي تمنوا ما يهلككم فضلا عن اعمالكم ويدل على هذا التمني انه قد بدت
البغضاء ظهر البغض الباطن حتى خرج من افواههم اذ لا يتمالكون انفسهم من
افراط بغضهم وان قصدوا مراعاتكم وهذا يدل على ان ما تخفي صدورهم اكبر
مما ظهر قد بينا لكم الآيات الدالة على سوء اتخاذكم اياهم بطانة لتمتنعوا منها
ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء اي تنبهوا ايها الحمقى المشار اليهم بالاشارة القريبة

تحبونهم ولا يحبونكم لعدم محبتهم كاف في عدم اتخاذهم بطانة لو لم يظهر بغضهم
وليس فيكم ما يوجب بغضهم لكم لانكم تؤمنون بالكتاب كله فلا تنكرون كتابهم
شيئا واذا لقوكم بعد ظهور البغضاء من افواههم خافوا ان تقطعوا مودتكم فلا تصل
اليهم اسراركم لذلك قالوا آمنا بكتابكم وبنبيكم سرا ولا نظهره خوفا من قومنا
ولكنه ايمان نفاق معكم لانهم اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ان لا
يجدوا الى التشفي منكم سبيلا قل زادكم الله غيظا بزيادة ظهورنا موتوا بغيظكم ان
الله عليم بذات الصدور فكيف لا يعلم عضكم الانامل فان لم تطلعوا منهم على هذا
الغيظ لكونه في خلوتهم فلا بد ان تطلعوا منهم على انهم ان تمسسكم حسنة بظهوركم على
العدو ونيلكم الغنيمة وخصب معاشكم وتتابع الناس في دينكم تسؤهم وان تصبكم
سيئة باصابة العدو منكم او اختلاف بينكم او جدب او بلية يفرحوا بها واذا استغنيتم
عن موالاتهم فغاية ما يكون منهم انهم يودونكم وان تصبروا على ايذائهم وتتقوا الله
في موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون من الكيد محيط لا يمكنه ان يصل
اليكم واذكر لهم في دفع الله كيد اعدائهم عنهم يوم احد اذ غدوت خرجت
بالغدوة من اهلك حجرة عائشة رضي الله عنها فتركت الاستراحة في وقتها
لاهتمامك لقتال العدو باحد تبوئ تنزل المؤمنين وكانوا زهاء الف مقاعد
اماكن للقتال فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا
واولادنا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وكان هذا كيدا منه والله سميع لقوله عليم بكيده
الذي كاد يهلك بعض المؤمنين اذ همت قصدت طائفتان بنو سلمة وبنو حارثة
منكم ان تفشلا تجبنا فتختلفا مع ابن ابي ولكن عصمهما الله اذ الله وليهما فلما
توكلا عليه وعلى الله لا على قوة النفس او المدد فليتوكل المؤمنون فلا يخافوا
قوة الاعداء وعدتهم وكثرة عددهم وكيف لا يتوكلون على الله ولقد نصركم الله
لما توكلتم عليه ببدر موضع بين مكة والمدينة او بئر منه وانتم اذلة لا قوة لكم ولا
عدة ولا كثرة اذ كنتم ثلثمائة وثلثة عشر مع فرسين وثمانية سيوف وستة ادرع

فاتقوا الله ان توالوا اعداءه عن ذلة او قلة لعلكم تشكرون تنبيه واعزازه
لكم ونصره لكم ودفعه اعداءكم كما فعل ببدر اذ تقول للمؤمنين تنبيه لتقليلهم
بوعد النصر الن يكفيكم ان يمدكم ربكم لتقويتكم ونصركم ودفع اعدائكم بثلثة
الاف من الملئكة منزلين من سمائه لقتال اعدائه وجعل عدد المدد ثلثة
اضعاف عدد الكفار كما انهم ثلثة اضعاف عدد المسلمين بلى يكفيكم ولكنه
يزيدكم ان تصبروا على قتالهم وتتقوا الفرار عنهم ويأتوكم من فورهم اى ساعتهم
هذا فلا تنزعجوا بمفاجاتهم يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين معلمين
بانهم ملئكة لا بشر ليزدادوا قوة واعداؤكم خوفا وجعل الزيادة ضعف عدد
الكفار مع انهم لو كانوا ضعف عدد المسلمين لوجب على المسلمين قتالهم فكيف
اذا انعكس الامر ولا ينافي هذا ما مر من رؤيتهم المسلمين ضعفهم لانه يميز عنهم
الملئكة وما جعله الله اى هذا الامداد الا بشرى تقوية لكم وما جعله الا لتطمئن
تسكن قلوبكم به فلا تجزع من رؤية كثرة عددهم وقوتهم ولم يكن اليه حاجة لانه ما
النصر ولو مع الامداد الا من عند الله وحده العزيز الغالب على الاسباب
بحيث يمكنه التاثير على خلافها الحكيم في استعمالها وقد اقتضت حكمته ان نصركم
مع قلتكم وذلتكم المذكورين اى من ليقطع طرفا من الذين اى من جملة الذين كفروا
لا انتقاصا لكفرهم بتضعيفهم بعد قوتهم او يكبتهم اى يخزيهم فينقلبوا خائبين منقطعي
الامال لكن ليس لك من الامر اى امرهم من القطع او الاكبات شيء جزما بل
هو في مشية الله فله ان يفعل احدهما او يتوب عليهم بتوفيقهم للايمان او يعذبهم
لاصرارهم بعد رؤية منع الاية ولا بعد فانهم ظالمون لاصرارهم على العناد
ثم اشار الى ان ظلمهم وان كان سبب العقاب فلله ان يزيله او يديمه كيف ولله
ما في السموات وما في الارض وهو من جملة ما فيهما يغفر لمن يشاء بازالة الظلم
ويعذب من يشاء بادامته ولا بعد في ان يغفر للظالم اذا تاب اذ الله غفور
رحيم ومع غفرانه ورحمته له تشتد في حق الظالم بالكفر او بموالاة الكفار او تضييع

سائر الحقوق حتى حق الجمادات يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم ترك الظلم ولو
على الجمادات لا تاكلوا الربوا فتظلموا الاموال بجعلها مقابلة لما لا وجود له فان
رجوتم الرحمة والغفران في اليسير فلا تاكلوها اضعافا مضاعفة زيادات مكررة
واتقوا الله ان لم تخافوا سطوتها لعلكم تفلحون باداء حقوقكم وصونكم عن اعدائكم
كما ضيعتم حقوق الاشياء واتقوا في اكلها اضعافا مضاعفة الافضاء الى الكفر الذي
يوجب لكم النار التي اعدت للكافرين ولو لم يكن للاموال حقوق اطيعوا الله
والرسول في ترك الربوا لعلكم ترحمون بالتفضل عليكم فوق حقوقكم فضلا عن
الصيانة التي هي من حقوقكم ثم اشار الى ان النار المعدة للكافرين كما تخاف
على اكل الربوا اضعافا مضاعفة تخاف على كل مصر على المعاصي فقال وسارعوا
الى اسباب مغفرة فانها وان كانت من ربكم من غير تاثير الاسباب فهي سنته
جارية بالفعل عندها وهي الاستغفار والندم والعزم على ان لا يعود ولا يتم الا
بالمسارعة الى اسباب جنة هي الاعمال الصالحة لانها تمحو المعاصي اذ يدخل
صاحبها في سعة الرحمة لذلك عرضها السموات والارض لو وضع بعضها بجنب
بعض فهي من اسباب الصيانة عن الاعداء والبليات بل اسباب المغفرة ايضا
اسباب الجنة لان المغفور لاحق بالمتقين والجنة اعدت للمتقين لان المسارع
الى اسباب المغفرة ينظر الى الله كنظر المتقين الذين ينفقون اموالهم ابتغاء محبتها
في السراء والضراء اى فيما يجلب مسرة للمؤمن او يدفع مضرة عنه ابتغاء تضييعها
تهذيبا للشهوية والكاظمين اى الكافين الغيظ عن امضائه مع القدرة عليه ابتغاء
التعدي الى وراحته والعافين عن الناس ما يغيظ لئلا يهيج تهذيبا للغضبية
فانهم اعد لهم الجنة لانهم محسنون اثروا جناب الحق على شهوتهم وغضبهم والله
يحب المحسنين لانهم لا ينظرون الى ما سواه فضلا عن محبته وتقرب منهم في النظر
الى الله المسارعون الى المغفرة وهم الذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بليغة في القبح متعدية
او ظلموا انفسهم بغير المتعدي ذكروا الله فانهم المحسنين من وجه لكن راوا معاصيهم

حجابا فاستغفروا لذنوبهم وانما استغفروا لعلمهم انه ومن يغفر الذنوب برفع حجابها
الا الله وخافوا استحكام الحجاب بالاصرار لذلك لم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون انه ذنب بخلاف ما لو لم يعلموا لانهم عوام او لكونه في محل الاجتهاد
فانه لا يخاف حجابيتها عليهم اذا لم يقصروا اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
ستر لذنوبهم ليصيروا محسنين و اذا صاروا محسنين فجزاؤهم جنات جزاء
على مشاهدتهم اياه تجري من تحتها الانهار جزاء على اجرائهم انهار المعارف
في قلوبهم لمسارعتهم في رفع الحجب عنها خالدين فيها لبقاء احسانهم دائما فهذا
اجر المسارعين الى المغفرة وفوقه اجر المسارعين الى الجنة وهم العاملون
ولذلك قال ونعم اجر العاملين لذلك اتسع جنتهم الى ان صار عرضها السموات
والارض ثم اشار الى انكم لو اصررتم على المعاصي ولم تبادروا الى الاستغفار
فلا تقصروا في حقكم على ابقاء الحجاب بينكم وبين ربكم الموجب للعذاب الاخروي
بل قد خلت مضت من قبلكم سنن اي من انواع المواخذة والبلايا بسبب ما في
حق المكذبين الذين يتخذون منهم بطانة ليحفظوا من اذياتهم فلا تنجون عن سنة
الله التي عليهم لتحققكم بهم فسيروا في الارض التي فيها ديارهم الخربة واثارهم
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقيسوا عليها عاقبة اللاحقين بهم هذا
المذكور بيان للناس الذين نسوا مواخذتهم فاتخذوهم بطانة للتحفظ عنهم و
نسوا اما على اللاحقين بهم من مواخذة الله وهدى الى التحفظ عنهم بالتوكل على
الله وموعظة تخويف نافع للمتقين الذين لهم التحفظ الكلي الذي لا يتم الا بالتحفظ
عن الله بل بطانتهم من الخوف ولا خوف منهم في الواقع وانما هو من وهنكم
ولا تهنوا لا تضعفوا في انفسكم لتفتقروا الى اتخاذهم بطانة ومنشاء الضعف
الحزن من اذياتهم ولا تحزنوا اذ لا يصل اذياتهم الى اتلافكم بل هم التالفون
وانتم الاعلون اي الاغلبون لكن انما تغلبون ان كنتم مؤمنين مخلصين لانه
انما وعد النصر للمؤمنين ولا تضعفوا عن الجهاد بمس القرح فانه ان يمسسكم

قرح يوم احد فقد مس القوم العدو يوم بدر قرح مثله ولم يضعفوا ولم يجبنوا
فانتم اولى لانكم موعودون بالنصر دونهم والمس مرة لا يدل عليه في كل مرة اذ تلك
الايام اي ايام النصر نداولها اي نصرفها فنجعلها دولة لطائفة مرة ولاخرى
اخرى فنقسمها بين الناس لئلا يجبنوا وليعلم الله الذين آمنوا اي وليميز الثابتين
على الايمان في علم الله عما سواهم اذ لو دام النصر للمؤمنين لكان ملجئا للناس الى
اعتقاد حقيتهم ويتخذ منكم شهداء ولو دام النصر للمؤمنين لقل الشهداء منهم
لكن الله تعالى يريد تكثيرهم لانه يحبهم لكونهم مظلومين والله لا يحب الظالمين
فيجعل محبته لهم لو لم يظلموا للمظلومين مع محبته لهم لايمانهم وليمحص الله
اي يطهر الذين امنوا بالشهادة عن معاصيهم ويمحق الكافرين بالقتال اذ لو دام
النصر للمؤمنين لدام صلحهم معهم فكانوا باقين اضعفتم عن اعمال الجنة ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما يعلم الله اي ولم يتميز في علم الله الذين جاهدوا منكم ممن علم
ضعفهم عن الجهاد ويعلم الصابرين على الشدائد حفظا للايمان ممن يجزع
فينقلب وكيف ضعفتم الان ولقد كنتم تمنون الموت على الشهادة من قبل
ان تلقوه اي اسبابه فقد رأيتموه اي متمناكم وانتم تنظرون شدائده فتضعفون
ثم اشار الى قتل محمد صلى الله عليه وسلم وموته ليس من اسباب الضعف بل هو كالقرح
فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والرسل منهم من مات ومنهم من
قتل فلا منافاة بين الرسالة والقتل والموت بل الضعف عن الجهاد حينئذ مشعر
بالردة أتؤمنون به في حال حيوته فان مات او قتل انقلبتم اي ارتددتم كانكم
انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بابطال دينه فانه
سيظهره على يدي من شكره وسيجزي الله بالنصر والغلبة في الدنيا والثواب
والرضوان في الاخرة الشاكرين نعمة الاسلام بالجهاد دفعه روي انه لما رمى
عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج
وجهه ذب مصعب بن عمير وكان صاحب رايته فقتله ابن قمئة وهو يرى انه

قتل محمد فقال قد قتلت محمدا وصرخ ابليس الا ان محمدا قد قتل فقال المنافقون
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من
ابي سفين فقال انس بن النضر ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقولون وابرأ منهم وسل سيفه وقاتل فقتل فكان من الشاكرين ثم اشار الى ان
قتل محمد صلى الله عليه وسلم او موته كما لا يكون سببا للردة لا يكون سببا للهزيمة
فقال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وما ياذن الا عند انتهاء الاجل
لانه كتب عمر الانسان كتابا مؤجلا اي منتهيا الى اجل ولا يغير ما كتب بموت
رسول او قتله وليس مسقطا لثواب دنيوي ولا اخروي بل من يرد ثواب
الدنيا وهو النصر او الغنيمة نؤته منها اذ وعدنا بها المؤمنين ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وكيف لا وقد شكر نعمة الاسلام وسنجزي الشاكرين ثم ان قتل
نبي لو كان موجبا للوهن لحصل للعلماء بالله العاملين من القدماء وكأين
من نبي اي كثير من الانبياء قتلوا حين قاتل معه ربيون اي المنسوبون
الى الرب من العلماء العاملين كثير لا يخلو عمن يطلع على موجب الوهن
لو خفي على القليل كيف ولم يحصل لهم تردد فما وهنوا لما اصابهم في
سبيل الله من القرح الظاهر مع الباطن بموت الرسول وما ضعفوا لانهم
لو ضعفوا لاستكانوا ولكنهم ما استكانوا للاعداء بل صبروا على قتالهم والله
يحب الصابرين على قتال اعدائه سيما اذا قتل نبيهم لانه اشق وما كان قولهم
مثل قول المنافقين والضعفاء والمعجبين بقولهم بل ما كان قولهم الا ان
قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فاضافوا الذنوب الى انفسهم والاستغفار لها لما
علموا انها سبب الهزيمة والمصائب ولم ينفروا على نسبة الصغائر الى انفسهم
بل قالوا واسرافنا في امرنا في قتال اعدائك وقالوا ثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين لئلا نتهموا بنصرة قتل الانبياء فآتاهم الله ثواب الدنيا

من الثناء الحسن والنصر والغنيمة لو رجعوا احياء وحسن ثواب الآخرة
اتم مما يثبت به القاعدين لانهم محسنون بالنظر الى الله والله يحب المحسنين و
محبته سبب كل فضيلة وحسن ثم اشار الى ان علماء العصر من اهل الكتاب
ليسوا كقدمائهم حتى يؤخذ بقولهم بل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب فتسمعوا قولهم يردوكم الى الشرك على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
لدين الاسلام ودين اهل الكتاب حين كان حقا ومحبة الله ورضوانه وثوابه
الدنيوي والاخروي فلا تعتقدوا انهم يوالونكم كما توالونهم بل الله مولاكم فاسمعوا
له كيف وهو اذا سمعتم له خير الناصرين وهو ينصركم بغير قتال سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب بعد غلبتهم وذلك ان ابا سفين لما رجع ندم ببعض الطريق
فعزم ان يعود على المسلمين ليستأصلهم فالقى الله الرعب في قلبه لغضبه عليهم بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به اي بكونه الها ومتصفا بصفاته او مستحقا للعبادة سلطانا حجة
قاطعة تبنى عليها الاعتقادات ولا يكتفى في حقهم بهذا القدر بل مأواهم النار لظلمهم
بالشرك وبئس مثوى الظالمين النار ثم اجاب عن هزيمة احد وعن جبر النصر
وذلك انه صلى الله عليه وسلم اقام الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير على جبل
عينين وجعله على يساره واحدا خلفه واستقبل المدينة وقال لهم احموا ظهورنا
فان رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا فاقبل المشركون
فرشق الرماة خيولهم بالنبل وضربوهم بالسيف حتى قتلوا منهم اثنين وعشرين فولوا
مدبرين فقال بعض الرماة انهزم القوم فما مقامنا فاقبلوا على الغنيمة وقال
بعضهم لا نجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير في نفر
اقل من عشرة فحمل عليهم خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل فقتلوهم واقبلوا على
المسلمين فاختلطوا على غير شعار فجعل يقتل بعضهم بعضا فقتل سبعون من
المسلمين وارجف بان محمدا قد قتل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ورائهم الى عباد الله فانا رسول الله من يكر فله الجنة فاجتمع اليه ثلثون رجلا

نحوه حتى كشفوا عنه المشركين فلما رجعوا قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا
وقد وعدنا النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده ان ينصركم اذ تحسونهم تبطلون
حسهم بقتلهم باذنه حيث دفعتهم الرماة وضربوهم حتى اذا فشلتم ضعفتم عقلا او
ملتم الى الغنيمة وتنازعتم في الامر في الاقامة بالمركز وعصيتم امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان لا تشاركونا في الغنيمة من بعد ما اريكم ما تحبون من النصر انقسمتم
قسمين منكم من يريد الدنيا الغنيمة فترك المركز ومنكم من يريد الآخرة فثبت فيه
ثم صرفكم كفكم عنهم بالهزيمة ليبتليكم ببلاء الهزيمة ولقد عفا عنكم اذ لم يستأصلكم بعد
مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين لذلك تفضل
بالعفو اذ تصعدون تبعدون في الفرار ولا تلوون لا تلتفتون بالوقوف
على احد والرسول يدعوكم الى عباد الله في اخراكم ساقتكم فاثابكم جازاكم الله
على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من القتل والجرح وظفر المشركين والارجاف
بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك لتتمرنوا على الصبر لكيلا تحزنوا ابدا
بعد على ما فاتكم من المنافع ولا ما اصابكم من المضار والله خبير بما تعملون ثم كان
عاقبته تمام ايضا النصر اذ انزل عليكم من بعد الغم الكثير وتحقق سلامة الرسول صلى
الله عليه وسلم امنة مع بقاء الحرب نعاسا نوما يغشى يغلب طائفة منكم هم المخلصون
كانت تسقط سيوفهم من ايديهم فياخذونها مرة بعد اخرى وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم اوقعتهم في الهموم انفسهم اذ يظنون بالله غير الحق اى خلاف الوعد
ظن الملة الجاهلية يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا من الامر من امر
النصر الذى وعدته من شيء قل ان الامر امر النصر كله لله اى لحزب الله اذ لا عبرة
بالوسط بل لا ينافيه الهزيمة في الاول ايضا والنصر لا يوجب سلامة الكل وهم يعلمون
ذلك لكنهم لا يعتقدون نصركم امركم في الآخر وان رأوا انعكاسكم لذلك يخفون في
انفسهم عند قولك الامر كله لله ما لا يبدون لك وسواهم يقولون في انفسهم لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا فكانهم يزعمون انهم لو اتبعهم المقتولون فلم يخرجوا مع



رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا قل لو كنتم في بيوتكم وبعضكم المقتولون
فلم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبتوا في ديارهم بل لبرز لخرج
الذين كتب عليهم القتل في مكان كذا ووقت كذا فانه يقع في قلوبهم الخروج الى
مضاجعهم مكان قتلهم في زمانه اذ لا يقع خلاف القدر المحتوم والحكمة تقتضي
هذا التقدير ليصيروا شهداء فيطهروا وليبتلي الله ليمتحن اى يفعل فعل الممتحن
ليستخرج ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ليجعله حجة عليكم وليمحص وليظهر
للخلق ما في قلوبكم التي تتقلب من الايمان الى النفاق ولا يبعد على الله اذ الله
عليم بذات الصدور اى الضمائر الملازمة لها ثم اشار الى ان الانهزام الذي
كان في الوسط لم يكن من الله تعالى ابتداء على خلاف ما وعد من النصر بل من الشيطان
فقال ان الذين تولوا انهزموا منكم مع علمهم بان الانهزام يوم التقى الجمعان
اى جمع المسلمين وجمع المشركين من الكبائر انما استزلهم الشيطان حملهم على
الزلة تمكن منه مع وعد النصر ببعض ما كسبوا اى شوم بعض اكسابهم كترك المركز
والميل الى الغنيمة مع النهي عنه فمنعوا التأييد وقوة القلب ولقد عفا الله عنهم
لندمهم واخلاص توبتهم في الآخرة كما في الدنيا اذ لم يستأصلهم ان الله غفور
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب فيغفر له ثم اشار الى ان استزلال شياطين
الانس كاستزلال شياطين الجن فقال يا ايها الذين آمنوا الايمان ينافي الشيطنة
لذلك لا تكونوا كالذين كفروا فلحقوا بالشياطين وقالوا لاخوانهم استزلالا لهم
عن امر المعاش والمعاد اذا ضربوا سافروا في الارض للتجارة فاصيبوا بغرق
او قتل لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ولا يفيد لهم فانما تقولونه ليجعل الله ذلك
القول حسرة في قلوبهم اى القائلين والسفر والغزو ليسا من اسباب الموت
بل يوجد بعض اسبابه هناك كما يوجد البعض في دار الاقامة والكل عند الله
على انه لا اثر للاسباب وانما الله هو الذي يحيي ويميت بالحقيقة والله بما تعملون
ايها المؤمنون في زعمهم من مشابهتهم في هذا القول بصير اذ تنسبون الفعل

او كانوا غزى فاصيبوا باصطدام صح

الآخر

الى الاسباب حقيقة ثم اشار الى ان الموت في سبيل الله ليس مما يوجب
الحسرة بل مما يوجب الفرح وذلك لانكم ولئن قتلتم في سبيل الله او متم من غير
قتال بعد الخروج له لمغفرة من الله لذنوبكم التي لو لم تغفر عظمت عليكم حسرة
ورحمة لو فاتتكم عظمت حسرة ايضا خير مما يجمعون اذ لا يندفع تلك الحسرة باموال
الدنيا كلها بل ترك الجهاد هو الموجب للحسرة وذلك لانكم لئن متم او قتلتم لا
في سبيله لالى الله تحشرون فترون من غضبه عليكم مع رضاه عمن قتل او مات
في سبيله ما يوجب عليكم اعظم وجوه الحسرة وقدم القتل اولا لانه اعظم للاجر واخره
ثانيا لانه امر عارض والموت حتف الانف لا بد منه وكيف يكون الحشر الى الله
لمن مات او قتل وقد حشر من جاهد في سبيله من غير موت ولا قتل وكيف لا يغفر
الميت والمقتول في سبيله وقد غفر للمجاهد ورحم بدونهما فبما رحمة من الله
اي فبشيء حصل بالحشر الى الله من التخلق باخلاقه لا بطريق الاتصاف بصفات
الالهية حقيقة بل برحمة عظيمة من الله مفيدة للاتصاف بما يناسب صفاته التي
من جملتها الغفران والحلم لنت لهم اي للذين تولوا عنك وانت تدعوهم و
للقائلين لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا ومن مقتضى الرحمة جمعهم ولو كنت فظا سيء الخلق غليظ القلب قاسيه
لا نفضوا تفرقوا فلم تجمعوا من حولك فلا يتم دعوتك وكمالك في العفو فاعف
عنهم كما عفا الله عنهم واستغفر لهم لئلا ينقص بها رتبتهم في الاخرة وشاورهم
في الامر لتتودد اليهم ويتثبتوا على رايهم ولا يعترضوا عليك ولا تبالغ في
المشورة بل اعزم على امر فاذا عزمت فبذلك اعتراض فتوكل على الله
في امضاء ما عزمت ان الله يحب المتوكلين فيصلح شانهم ويهديهم الى الصواب
وكيف يلتفت الى الاعتراض بعد التوكل على الله مع انه ان ينصركم الله وهو
ناصر للمتوكل عليه اذا صدق في توكله فلا غالب عليكم بل يكون الغلبة لكم وان
يخذلكم ولا يبعد خذلانه لمن توكل على رايه وقوته فمن ذا الذي ينصركم من قوتكم

اللين
صح



وراءكم من بعده اي بعد خذلانه وعلى الله لا على الاراء والقوى فليتوكل المؤمنون
الذين يعلمون انه لا تاثير لشيء دونه ولما كان النصر بالايمان والتوكل على الله و
بعد من الخائن ولا يتصور ممن نباه الله للحقائق قال وما كان لنبي ان يغل
اي يخون في غنيمة كما قال المنافقون في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها وكما ظن الرماة يوم احد فقالوا نخشى ان يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وكيف يكون ذلك من شان من رفع
الله قدره وهو موجب للاذلال لان من يغلل يأت بما غل حاملا له على ظهره
ليفتضح في المحشر يوم القيمة ثم لا تقتصر على ذلك الاذلال بل يجازى على غلة
جزاء كاملا اذ توفى كل نفس جزاء ما كسبت فلا ينقص من حق من غل لانه حق
الخلق وهم لا يظلمون بابطال حقوقهم بالعفو عمن غل عليهم ولو قيل انه تعالى يرضي
خصومه اولياءه بتعويض من عنده تعالى اولياؤه هم الذين اتبعوا رضوانه
افيغل وليه فمن اتبع رضوان الله يكون كمن باء اي كالغال الذي رجع بسخط
من الله والسخط على اهل الغلول اشد اذ مأويه جهنم وانما يعوض لاوليائه
لان لهم الى ربهم المصير وهؤلاء مصيرهم جهنم وبئس المصير وانما كان السخط على
قوم اشد منه على غيرهم اذ هم درجات متفاوتون عند الله والغال ادنى درجة
والنبي اعلى درجة فكيف يجعل الله في اعلى الدرجات من عمل عمل ادناها والله
بصير بما يعملون ثم اشار الى انه كيف يكون الرسول غالا وقد من الله ببعثته
فكيف يمن ببعث الخائن فقال لقد من الله على المؤمنين وان كان سبب تعذيب
الكافرين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي منتسبا الى جميع احيائهم قبل الا
بني تغلب ليكون رحيما عليهم وهو منا في الغلول يتلو عليهم اياته ولا يظهر الا على
بدون الكامل ولا يتلو ما لم يؤمر بالتكميل ولا يتصور كون الكامل المكمل غالا ويزكيهم
وتزكية الغير بعد تزكية النفس ومما يزكى عنه الغلول ويعلمهم الكتاب والحكمة
العلم الظاهر والباطن وهو من دلائل كمال النفس المنافي للغلول وكيف لا يكون

ونعم المصير
صح
شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب اذ هم ذو درجات
ما

بعثه منة وقد هداهم في القوة النظرية والعملية وان كانوا من قبل اي وانهم
كانوا من قبل بعثه لفي ضلال مبين ظاهر اينكرون منة الله في بعثه ويزعمون
انكم قتلتم بسببه وذلك انكم لما اصابتكم مصيبة باحد فقتل منكم سبعون قد اصبتم
مثليها ببدر اذ قتلتم من المشركين سبعين واسرتم سبعين قلتم انى من اين لنا
هذا الواقع ونحن مسلمون ورسول الله فينا قل هو من عند انفسكم اذ اخذتم
فدآء سبعين من اسرآء بدر برايكم فتركتم قتلهم الذي هو الاصوب فقتل منكم سبعون
ان الله على كل شيء قدير فكما قدر على مجازاة الكفار يوم بدر قدر على مجازاتكم
يوم احد ثم قال وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله بمجازيكم على فرادكم
يوم الزحف في الدنيا ليسقط عنكم عذاب الآخرة وليعلم المؤمنين وليميزهم
من الناس على وفق علمه بهم وليعلم الذين نافقوا وان يميزوا اذ قيل لهم تعالوا
قاتلوا في سبيل الله مباشرة او ادفعوا العدو بتكثير سوادكم قالوا لو نعلم انه يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم لكنه ليس الا القاء النفس في التهلكة هم بهذا القول
للكفر يومئذ في الظاهر قبل هذه المصيبة اقرب منهم للايمان في الظاهر مع
انه لا ايمان لهم في الباطن اصلا اذ يقولون بافواههم من كلمتي الشهادة ما ليس
في قلوبهم ولو لم يظهر امارات الكفر عليهم في الظاهر فلا يبعد ايمانهم في الظاهر والله
اعلم بما يكتمون وهو انما يتبع علمه وقد ظهر من امارات الكفر عليهم لانهم الذين
قالوا لاخوانهم اي من اجل اقاربهم من قتلى احد وقد صدق هذه الامارات
فعلهم اذ قعدوا لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل كانكم تزعمون انهم
لو اطاعوكم دفعتم الموت عنهم فادرؤوا ادفعوا عن انفسكم الموت فانها اقرب
اليكم من انفسهم ان كنتم صادقين في انكم تقدرون على دفع اسبابه ثم اشار الى
ان قتلكم باحد لو لم يكن من اخذكم الفدآء من اسرآء بدر ولا من ميلكم الى الغنيمة
على خلاف امر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من فراركم بل بسبب امر الرسول صلى
الله عليه وسلم فلا نقص في المنة ببعثه صلى الله عليه وسلم اذ به صار الشهدآء في حكم

الاحيآء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا تعطلت ارواحهم
بل احيآء فوق احيآء الدنيا لانهم مقربون عند ربهم اذ بذلوا له ارواحهم
لا بمعنى بقآء ارواحهم ورجوعها اليه لمشاركة ارواح غيرهم في ذلك بل بمعنى
انهم يرزقون رزق الاحيآء لا بطريق التخيل الذي لسائر اهل البرزخ بل
بطريق التحقيق كما روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح
الشهدآء في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى
قناديل معلقة تحت العرش وهو اجل من رزق احيآء الدنيا اذ لا يخلون من
غم وتعب وهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من غير تعب وكسب بل من فضله
الذي لا يخاف فيه سلبه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم اي ويطلبون البشارة
من الله بشهادة من بقي من اخوانهم في الدنيا من خلفهم فتنغصت عليهم لذاتهم
اذ لا يخلو عن خوف الآخرة وقد علموا في حق الشهدآء ان لا خوف عليهم من
عقوبة الآخرة بعد الشهادة ولا هم يحزنون بما فاتهم من لذات الدنيا بل
يستبشرون بنعمة عظيمة من الله من ثوابه وفضل من قربه وكيف لا يكون
لهم ذلك وان الله لا يضيع اجر عوام المؤمنين فكيف يضيع اجر الشهدآء
وقد اختاروا احباب الله على انفسهم ثم اشار الى من بالغ في ترجيح جنابه
ايمانه فقال الذين استجابوا دعوة الله ورسوله الى الخروج في طلب ابي سفيان
وقومه مرتجعين لله والرسول على انفسهم لانهم اجابوهما من بعد ما اصابهم
القرح اذ قصدوا العود اليهم لاستيصالهم حين بلغوا الروحاء فقال بعضهم
لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا
فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج
في طلبه ارهابا له فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمرآء الاسد فمر به معبد
الخزاعي وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك
ثم خرج فلقي ابا سفيان بالروحاء فقال ما ورآءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه

يطلبكم في جمع لم ار مثلهم يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلفا
عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان ترحل
حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم قال
فاني والله انهاك عن ذلك فالقى الله الرعب في قلوبهم فرجعوا للذين احسنوا
نظروا الى الله تعالى لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان منهم واتقوا انتساب
الخلق اليهم اجر عظيم لا ينقص عن اجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهو لا
هم الذين قال لهم الناس اي الركب المستقبل لهم ان الناس ابا سفين و
اصحابه قد جمعوا انفسهم وقصدوا لكم اي لاستيصالكم فاخشوهم ولا تخلصون منهم
الا بالرجوع الى دينهم فزادهم قولهم ايمانا بان الله هو الناصر القاهر المحيي المميت
وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله من غير عدة لنا ولا عدد وكيف لا يكفينا وقد
وكلناه ونعم الوكيل فارعب الله عدوهم فانقلبوا رجعوا من حمراء الاسد
بنعمة من الله هي الغلبة وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب في الدين
وفضل من ربح تجارتهم في الطريق لم يمسسهم سوء اذ لم يلقوا عدوا وانما كان لهم
ذلك لانهم اتبعوا رضوان الله فارضاهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه والله
ذو فضل عظيم فلا ينحصر فضله فيما اعطاهم ثم اشار الى انه لما كان منشا منع
الفضائل فلا مانع منه سوى الشيطان فقال انما ذلكم اي القائل ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم هو الشيطان جاء يخوفكم وهو انما يخوف اولياءه من
غير الله فلا تخافوهم وان رايتم لهم قوة وعدة وعددا وخافون ان
توافقوا اعدائي فتروا قوتهم دون قوتي ان كنتم مؤمنين بعظم شاني وعموم
قدرتي ونفاذه دون قوتهم ولا يحزنك فضلا عن الخوف معاونة المنافقين
الكفار لا لحمية دينهم بل لانهم الذين يسارعون في اظهار الكفر لصعوبة اخفائه
عليهم انهم وان كانوا اعداء من داخل لن يضروا اولياء الله لانهم يحميهم
الله فلو اضروهم لاضروا الله بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم ان يعجزوه شيئا

بل يريد الله ان يضرهم الضرر الكلي وهو ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة مع
غاية سعة رحمته ولا يبالي لما جعل لهم في الدنيا من حسن الدار والاموال ولا يشفق
على حرمانهم بل لهم مع ايمانهم الظاهر عذاب عظيم اعظم من عذاب من
يظهر كفره ثم اشار الى انه كما لا يضر المنافقون اولياء الله لا يضر المرتدون دين
الله فقال ان الذين اشتروا اي استبدلوا الكفر بالايمان عنده وهم مزية المسلمين
باحد لن يضروا دين الله الذي يريد مع ايقاع الهزيمة تارة والنصر اخرى اظهاره
فلو اضروه لاضروا الله في ارادته شيئا وانما يضرون انفسهم في الدارين اذ لهم
عذاب اليم بذهاب امالهم وظهور دين اعدائهم وشوكتهم في الدنيا ورؤية
درجات اعدائهم وشدة عذاب انفسهم في الاخرة ونقضهم ممدود بما لا ينحصر
الى يوم القيمة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم في الدارين وقد املى
لهم فقال لا يحسبن الذين كفروا من المرتدين وغيرهم انما نملي لهم اي ان الاملاء
لهم خير لانفسهم بل هو سبب مزيد عذابهم لانه انما نملي لهم ليزدادوا اثما
فيزدادوا عذابا فكانه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد تنجز من عذابهم
انهم بالاثم مهانون وان لم يبالوا به في الدنيا لكن يبالون له اذ لهم عذاب مهين
في اسفل دركات النار ثم اشار الى ان مزية المسلمين ليس من اسائتهم حتى يكون
عذابا مهينا لهم بل بسبب كمالهم اذ تميزوا بها عن المنافقين فقال ما كان الله ليذر
ليترك المؤمنين على ما انتم عليه من الالتباس بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم حتى يميز
المنافق الخبيث من المؤمن الطيب ولا يميز الا بعد الابتلاء لانه ما كان الله ليطلعكم
على ما في قلوب الخلق من الايمان والكفر لانه اطلاع على الغيب اذ لا يصير الكل
مجتبى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء باطلاعه عليه ليدل على اجتبائه ليقتدي
به غيره فامنوا بالله الذي يميز بينهما في الدنيا ليدل على تميزه بينهما في الاخرة ورسله
الذين اجتباهم للاقتداء بهم في الاعتقادات والاعمال وليس ذلك على سبيل
الغيب بل ان تؤمنوا فتصححوا الاعتقادات وتتقوا فتصلحوا الاعمال فلكم لا نفع

لكن لا يمكن اضراره في ارادته

عنه لكم اجر عظيم كفى به مميزا عن المنافقين لو لم يكن لهم مع فواته عذاب عظيم ثم
اشار الى ان حسبان الكفار املاءهم خيرا كحسبان البخلاء ابقاء اموالهم خيرا
من انفاقها في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله لينفقوا
في سبيله اذ جعله من فضله زائدا على قدر حاجاتهم هو خيرا لهم ينتفعون
به في المستقبل او اولادهم من بعدهم بل هو وان انتفعوا به او اولادهم
شر لهم لا يوازيه خيره لو حصل لانه سيطوقون ما بخلوا به اي يلزمون
وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل يصور مالهم بصورة شجاع يجعل في اعناقهم
يوم القيمة وهم وان لم ينفقوه في سبيل الله فهو راجع اليه اذ لله ميراث السموات
والارض اي يصير املاك اهلها بعد فنائهم الى خالص ملكه كما يصير مال المورث
ملك الوارث وكذلك يرث حيوتهم وان لم يبتذلوا في سبيله ثم ان له ان يتلفه عليهم
او على اولادهم لانه مقتضى فعالهم والله بما تعملون خبير وانما رأوا البخل خيرا
لانهم رأوا الانفاق اتلافا بلا عوض بل هو تضعيف كما قال من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان الله
فقير يستقرض منا فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
استهزاء بكلامه بحمله على خلاف مراده لانه اراد انه ليس باتلاف بل هو تعويض
كتعويض المستقرض محمولا على الاستقراض للحاجة مع انه لا دلالة للفظ
الاستقراض عليه لكن لما كثر وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامي له عرفا سنكتب
ما قالوا بطريق الاستهزاء بكلامه الهاتك حرمته وحرمة المتكلم به بحيث يبطل البتة
او تكلمه وهو في معنى القتل ولذلك عقبه بقوله وقتلهم الانبياء مع علمهم انه
بغير حق كما ان هذا التأويل ايضا بغير حق وانما نكتب ذلك ليكون حجة لنا في تعذيبهم
اذ نقول لهم ذوقوا عذاب الحريق اي ادركوه ادراك اللسان بالذوق
للمطعومات يوصل اثرها الى باطنها فاذا نسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم ذلك
بما قدمت ايديكم من هتككم حرمة الله وحرمة كلامه وانبيائه المبلغين له واي ظلم



اشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة في الظلم بل ثبت انكم المبالغون فيه وان
الله ليس بظلام للعبيد ولو قالوا ما بالغنا في الظلم بقتل الانبياء بغير حق بل انما
قتلنا الكذابين اجيبوا بانكم اعترفتم بكونهم انبياء لانكم الذين قالوا في الاعتذار
عن ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول
اي لمدعي الرسالة وان جاء بمعجزات ظاهرة حتى ياتينا بهذه المعجزة المعينة بقربان
تاكله النار النازلة من السماء عليه قل مقتضى هذا القول بعد تساوي
المعجزات في الدلالة على صدق من ظهرت على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزة
سواء اتى بمعجزات اخر ام لا لكن قد جاءكم رسل كثيرون من قبلي بالبينات
القاهرة وبالذي قلتم فكذبتموهم بل لو لم تكذبوهم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في انا
ما قتلنا الا الكذابين وانما كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزة المعينة فان كذبوك
بعد بطلان عذرهم المذكور فقد كذب رسل من قبلك من غير عذر في التكذيب
لانهم جاءوا بالبينات اي المعجزات العقلية والزبر اي صحف كتب الانبياء
السابقين عليهم من غير تعلم منهم والكتاب المنير المزيل شبهات اهل الكتب
السابقة ولو قيل ان كان الله مضاعفا للقرض اضعافا كثيرة فما لنا لا نجدها مع
كثرتها اجيب بانكم انما لا تجدونها لانها مما لا ينقطع من غاية كثرتها والامور الدنيوية
منقطعة اذ كل نفس ذائقة الموت فلو حصل لكم فيها بعض الاضعاف فلا يوفى
فيها وانما توفون اجوركم يوم القيمة على ان الاجور انما تتم بالابعاد من
النار وادخال الجنة بل ذلك جميع الاجر فمن زحزح ابعد عن النار التي هي
مجمع الآفات والشرور وادخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز
بكل هيئة سنية ونعمة سنية ثم ان الاضعاف لو تمت في الدنيا لكانت سبب
مزيد الغرور المتضمن ضرر الآخرة كيف وما الحيوة الدنيا وان خلت عن تلك
الاضعاف الا متاع الغرور ولدفع الغرور لتبلون في اموالكم باذهابها
وانفسكم باماتتها وقتلها ولتسمعن عند الابتلاء في الاموال والانفس

من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كان حقهم ان يثنوا ان الابتلاء لدفع
الغرور لكنهم ساووا المشركين اذ تسمعون منهم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
بان دينكم لو كان حقا لما ذهبت اموالكم ولا قتلت انفسكم وان تصبروا عند
الابتلاء وسماع الاذيات وتتقوا تدارك الدين عند ذلك فان ذلك من عزم
الامور اى من الامور التى جزم الله بالامر بها ثم اشار الى ان اذى اهل
الكتاب اعظم من اذى المشركين لانهم يعرفون ما فى كتابهم وقد منعوا كتمانه فضلا
عن التغيير فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه اى الكتاب
للناس وان لم يسألوهم ولا تكتمونه ان سألوهم فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم
لا ينظرون اليه البتة بل غيروه واشتروا به ثمنا قليلا من الدنيا الذى هو سبب العذاب
الخالد فبئس ما يشترون بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه وراء ظهورهم ثم اشار الى انهم لا يكونون
مع ذلك بل يفرحون به فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا من اشتراء القليل بتغيير
كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب حزن كيف ولا يحبون ظهوره لانه يوجب الذم
بل يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من وفاء الميثاق من عدم تغيير ولا كتمان فلا تحسبن
انه يدوم حمدهم بل يظهر سرهم فيذمون فان لم يظهر فلا تحسبنهم بمفازة اى بنجاة
من العذاب ولا ينتفعون بفرحهم وحمدهم فى الدنيا حين يكون لهم عذاب
اليم ولا مانع منه اذ لله ملك السموات والارض فله تسليط ما شاء منهما عليهم
لتعذيبهم وله ان يعذبهم كيف يشاء بغير تسليط شئ اذ والله على كل شئ قدير
ثم اشار الى ان حكمته فى ترتيب الاشياء على اسبابها والى ان للاعمال آثارا توجب
الجزاء فقال ان فى خلق السموات والارض ابتداء من غير سبب واختلاف الليل
والنهار مسببين عن حركات الكواكب بتبعية حركات الافلاك وافادتهما الاظلام
والاضاءة لآيات على القدرة والحكمة وآثار الاعمال لاولى الالباب اهل البواطن
بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر اذ هم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم فلا يخلو حال من احوالهم من ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤدى فى تصفية

استبدلوا به

اى ايجادها



الباطن ولم يمنعهم القعود ولا الاضطجاع عن خدمة الله وان منعا خدام الملوك
عن خدمتهم ويعينهم فى ذلك انهم يتفكرون اولا فى حكم خلق السموات اذ جعلها
متحركة تختلف بها اوضاع كواكبها صعودا وهبوطا واستقامة ورجوعا والارض
اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون والفساد لتكميل المعادن والنبات والحيوانات
والانسان من آثار الاوضاع السماوية مع ما فيها من انواع الحكم فيقولون ربنا
ما خلقت هذا باطلا خاليا عن الحكمة سبحانك من ان تراعى الحكمة فى اجزاء العالم ولا
تراعيها فى سر انسان فقد خلقت فيه الصعود والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت
لروحه وقلبه ونفسه من اعماله هيئات مختلفة وآثارا متنوعة وجعلت لبدنه ما يستكمل به
الحكمة فيستوجب الثواب او يبطلها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون فى استكمالها
فقنا بفضلك عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته بابطال انسانيته
اذ جعلته شرا من البهائم والنباتات والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا
وما للظالمين من انصار فلا تنصرهم برد انسانيتهم بتربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا
عمن سواك ربنا اننا ليس تقصيرنا من جهلنا بل علمنا الحكمة من جهتك اذ سمعنا مناديا
داعيا اليها وهو الرسول ينادى للايمان الذى هو رأس الحكمة يأمرنا ان آمنوا بربكم الذى
يربيكم لتكميل انسانيتكم بالايمان والاعمال فآمنا طلبا للتربية به وبالاعمال ربنا ولكن
صعب علينا الوفاء بمقتضى الايمان واتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى
والمكاره فاغفر لنا ذنوبنا فلا تفضحنا بها وكفر عنا سيئاتنا اى المكاره فلا تعاقبنا
عليها ولا تجعلها سبب المعاصى ولا تجعل المعاصى سبب الكفر وتوفنا مع الابرار ثم قالوا
ربنا انا وان لم نستوجب على الايمان والاعمال شيئا من الثواب اذ يكفى فى الايمان
النجاة من العذاب الخالد وفى الاعمال كونها شكرا النعم السابقة ولكن آتنا ما وعدتنا
على رسلك ولا تخزنا بافساد ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق عليه الموعود
من الثواب بل يلحقنا وعيد العقاب يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ميعاد الثواب
والعقاب ولما دعوا الله تعالى عن كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة فاستجاب

هذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او الهما لانها بمعنى المخلوق م ف

معناه من تخلده فى النار فقد فضحته قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وفى الذين آمنوا معه من يدخل النار م معالم

مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب م ف

لهم ربهم جميع دعواتهم بكلمة واحدة وهي أني لا أضيع عمل عامل منكم لا تسئلن الا
الوفاة على الايمان وتكفير السيئات واعطاء الموعود واشار الى انه كيف يضيعه
مع انه يلحق الناقص بالكامل حتى يسوي بين كل عامل من ذكر او انثى بسريان النور
من الكاملين الى الناقصين اذ بعضكم من بعض في اتمام الاجر وان كان الكامل
يعطي من الفضل ما لا يعطي الناقص ثم اعمال الناقصين ان لم تكن مكفرة بانفسها
فاعمال الكاملين لا بد وان تكون مكفرة بانفسها فالذين هاجروا لتكميل ايمانهم فانهم
وان اخرجوا من ديارهم فاخراجهم لما كان بسبب ايمانهم واختاروه كانت هجرتهم
اختيارية فلا شك انهم اوذوا في سبيلي فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم وقد زادوا

ولم تكن اختيارية صح

على تحمله اذ قاتلوا وكان قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم اعظم وجوهه اذ قتلوا فهذه
كلها دليل كمال الايمان المكفر اعمال صاحبه السيئات لذلك لأكفرن عنهم سيئاتهم
فيستنير قلوبهم بحيث يسري منها النور الى قلوب الناقصين ولو لم يكمل هذا النور
فلا شك ان نور الاعمال يكمل فيهم لذلك لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
اذ صارت قلوبهم باعمالهم بساتين الاحوال والمقامات تجري من تحتها انهار
المعارف فلا بد وان تجري منها انهار الانوار الى قلوب اتباعهم كيف ولا يكون
بقدر الاعمال اذ تكون ثوابا من عند الله فيعظم بقدر عظمته وكيف لا يكون ثوابه
نورا والله عنده حسن الثواب ولكل حسن نور ولو قال قائل لو كانت الحكمة في
خلق السموات والارض الدلالة الداعية الى الايمان والتقوى لكان كل من
كفر في اسوء الاحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن في احسنها لاتمامه الحكمة لكن
كثيرا ما ترى الامر بالعكس نقال له لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بالتصرف
فيها والاستيلاء عليها فانه ليس من محاسن الاحوال في حقهم بل هو مكر عليهم اذ هو
متاع قليل يترتب عليه الاستقرار بجهنم اذ يمتعون ايام الحيوة ثم مأويهم جهنم وبئس
المهاد وقد افضى اليه متاعهم فهو بئس المتاع وما ترى من سوء حال المؤمنين فليس
بسوء في الحقيقة اذ لم يترتب على معاصيهم لكن الذين اتقوا ربهم تصيبهم السوء لتكميل

جزائهم على صبرهم اذ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من
عند الله واذا كان هذا نزلا فلهم درجات فوق ذلك بمجرد التقوى وما عند
الله خير للابرار العاملين مع التقوى ومن اعمال البر الصبر فلهم عليه درجات
كثيرة وسببه الابتلاء فليس بسوء في الحقيقة ولو قيل لو كانت الحكمة الدلالات
الداعية الى الايمان الذي يدعون اليه لكان اهل الكتاب اولى بها فقيل
انما تكون اولى بها من رجح جانب الله على جانب سواه لا بالعكس وان من
اهل الكتاب لمن يؤمن بالله فيرجح جانبه على سواه ولذلك يصدق ما انزل
اليكم وليس ذلك منه كفرا بكتابه بل يصدق ايضا ما انزل اليهم ويدل على اخلاصهم
كونهم خاشعين لله وانما خالفوا سائر اهل الكتاب لانهم يرجحون جانب الرشوة
وسواه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ولا يضرهم ترك ذلك الثمن اذ اولئك لهم
بدله اجرهم الكامل عند ربهم على الايمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك
الثمن القليل ولا يتأخر اجرهم الى مدة مديدة تورث لاجله الرشى الحالة لان الله
يسرع حسابهم لايصال اجورهم سريعا ان الله سريع الحساب ثم قال يا ايها الذين
آمنوا مقتضى ايمانكم الوقوف على حقائق الاشياء على ما هي عليه ولا يحصل بتقليد
العلماء وان سبقوا وبلغوا ما بلغوا لاختلافهم ولذلك يحتاج الى التفكر والمناظرة
والنظر في شرائط الاستدلال بحيث يرتبط المدلول بدليله وترك التعصب
والتمسك بالشبهات لذلك اصبروا في التفكر وصابروا في المناظرة ورابطوا
المدلولات بالدلائل واتقوا الله ان تتعصبوا وتتمسكوا بالشبهات لعلكم
تفلحون بالاطلاع على حقائق الاشياء تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله اجمعين

## سورة النساء

سميت بها لان ما نزل منها في احكامهن اكثر مما نزل في غيرها بسم الله
المتجلي بجمعيته في النفس الواحدة الرحمن بخلق زوجها منها وبث الرجال و
النساء منهما لعمارة العالم الرحيم بما امر من التقوى في رعاية حقوقه وحقوق

سوال

خلقه يا ايها الناس اى يا من ينبغى التقوى التى هى حق الربوبية والتربية سيما فى الا
التى ربّاكم بها سيما اذا قطعتم به الارحام اتقوا ربكم الذى رباكم بالتمدن وبين
الاجتماع مع ابناء الجنس اذ هو الذى اوجد فيكم ما يوجب الايتلاف بينكم على
اكمل الوجوه اذ جعلكم راجعين الى اصل واحد اذ خلقكم من نفس واحدة
هى آدم ولا ينافيه احتياجكم الى الابوين لانه خلق منها من ضلعها الايسر بعد
انتزاعها منه فى النوم زوجها لذلك كان فيها اعوجاج وضعف وميل الجزء الى
كله لذلك غلبت شهوتها وفيه ميل اليها ميل الكل الى جزئه وبث اى نشر منهما
رجالا كثيرا ونساء ثم من الرجال والنساء رجالا اخر ونساء اخر وهلم جرا
الى يوم القيمة ولم يصف النساء بالكثرة للدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع
مشاركة رجلين فى امراة مع جواز اشتراك امراتين فى رجل ووجه الاتقاء
فى ذلك ان من قدر على اخراج افراد غير محصورة من امر واحد يقدر على اخراج
معان غير محصورة من فعل واحد منها ما يدل على الكمال والاستقامة ومنها
ما يدل على الاعوجاج والنقص ثم اشار الى انه لو لم يتق من جهة التربية لانها
جهة اللطف فلا بد ان يتقى من جهة الالهية فقال واتقوا الله لكمال حكمته وقدرته
وعظمته التى تعرفت بقلوبكم اذ هو الذى تسائلون اى يسال بعضكم بعضا به
وبالارحام فيقول انشدك بالله والارحام اذ تعرفت ايضا عظمتها منه على
قراءة الجر بحذف المعطوف من الاصل والمعطوف عليه من الفرع وعلى قراءة
النصب واتقوا الارحام ان تقطعوها وليس التخويف من قطيعتها تخويفا من لوم
الخلق فقط بل من الله تعالى ايضا ان الله كان عليكم رقيبا ينظر هل تقطعون
الرحم الذى جعله من الرحمن ام لا ثم اشار الى ان اجل ما يوجد فيه تقوى
الله على قطيعة الرحم اموال اليتامى الذين لا يخاف من دعاويهم تشنيعا
فقال واتوا اليتامى جمع يتيم صغيرات والد من اليتم وهو الانفراد اذ من الهم
بابنائه فى الصغر وردها بتى عند البلوغ ولا تتبدلوا بان تعطوا الخبيث الردى

تهم

تنفقهم وكسوتهم

من اموالكم بالطيب الجيد من اموالهم ولا تاكلوا اموالهم بضمها الى اموالكم للتوسعة
انه كان حوبا ذنبا يوجب ضيقا فى الآخرة كبيرا لا يوازى الضيق الدنيوى وان خفتم
ان لا تقسطوا لا تعدلوا فى اليتامى لكثرة عيالكم المحوجة الى اخذ شىء من اموالهم
فلا تكثروه بكثرة النكاح فانكحوا ما طاب لكم اى لنفوسكم من جهة الجمال او الحسب او
العقل او الصلاح من النساء معتبرين على سبيل الحصر فى هذه الاقسام مثنى
وثلاث ورباع اى ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ذكر المكرر لئلا يكون كتقسيم
الالف الى درهمين ولم يذكر او للدلالة على ان الكل مخير فى احد الاقسام بحيث اذا
اختار واحد قسما تعين على الجميع الاخذ به وفهم من الحصر فى الاقسام انه لا يجوز جمع
خمسة هذا اذا لم تخافوا الجور فان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق الايتام والنساء
لعدم الف القناعة فواحدة اى فاختاروا للنكاح واحدة او للتسرى ما ملكت
ايمانكم لقلة مؤنتهن وليس هذا مشروطا بالخوف بحيث لولاه وجبت الزيادة لان
الغرض منع الزيادة عنده لا وجوبها عند عدمه ذلك العدد من الازواج
للمانع والاقتصار على واحدة او على التسرى ادنى ان لا تعولوا اقرب
من ان لا تكثر عيالكم فيمكن معه القناعة بحيث لا يضطر الى الجور فى اموال اليتامى
واتوا النساء صدقاتهن مهورهن فانهن كالايتام نحلة عطاء غير مسترد
بحيلة تلجئهن الى الرد فان طبن رضين لكم اى لجلب مودتكم بالعفو عن شىء
منه نفسا لا لحياء عرض لهن منكم او من غيركم فكلوه هنيئا سائغا مريئا محمود
العاقبة وكانوا يتاثمون من ذلك لما توهموا انه اخذ البضع بلا عوض وقد
وقد اسقطته بعد تملكهن اياه ولا اثم فى اسقاطهن من قلة عقلهن كالايتام لانهن لا
كالرجال فى التصرفات والتبرعات فى المال المعطى عن رضى النفس وان كان
حلالا للمعطى له ولا تؤتوا السفهاء من ازواجكم واولادكم وغيرهم اموالكم مخافة
ان ينفقوها فى معاصى الله مع انها التى جعل الله لكم قياما اى سبب استطاعة على
طاعته ولكن ارزقوهم اطعموهم بقدر الحاجة فيها واكسوهم بما يليق بهم وقولوا لهم

قولا معروفا مثل ان يقولوا ان الذى عندى سوالكم احفظه عليكم اذا رايت
رشدكم اعطيكم وكيف تعطونهم اموالكم وقد قيل لكم انكم اذا اردتم رد
اموال اليتامى اليهم وابتلوا اليتامى اختبروا بان تكلوا اليهم مقدمات العقد
قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح صاروا بالغين بالاحتلام او استكمال خمس
عشرة سنة فان آنستم ابصرتم منهم رشدا صلاحا فى الدين واهتداء الى حفظ
المال فادفعوا اليهم اموالهم بلا مطل واذا منعتم ان تدفعوا اليهم اموالهم
قبل الاختبار مخافة اكلهم اسرافا فبالاولى ان لا تأكلوها اسرافا ولا تبادروا
باكلها بدارا كراهة ان يكبروا فيأخذوا اموالهم واما الاكل بغير اسراف ففيه
تفصيل من كان غنيا فليستعفف عن اكلها بالكلية ومن كان فقيرا يمنعه
اشتغاله بمال اليتيم عن الكسب واهماله يفضى الى تلفه عليه فليأكل بالمعروف بقدر
حاجته واجرة سعيه وكما لا تتلفونها عليهم لا تتلفونها على انفسكم بترك الاشهاد
بل فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اذ لا تصدقون فى الدفع اليهم بعد
البلوغ وان صدقتم فى دفع قدر النفقة قبله ثم انكم وان حاسبتموهم واخذتم
اقرارهم لا يكفيكم عند الله بل كفى بالله حسيبا ثم اشار الى ان السفهاء وان
لم يدفع اليهم اموالهم فلهم نصيب من التركة اذ يستوى فى الارث الكامل والناقص
اذ للرجال نصيب مما ترك الوالدان وان لم يناسبوا الوالدة اذ ليس بالمناسبة
بل بالقرابة ولذلك يكون لهم نصيب مما ترك الاقربون والقرابة كما توجد فى
الكامل توجد فى الناقص ولذلك يكون للنساء نصيب مما ترك الوالدان
وان قصرت عن مناسبة الوالد كيف ولا يمنع نقصها ان ترث مما ترك الاقربون
وليس لحمل الكل ونكاية العدو وان كان اكتساب المال لذلك لانه انما يتصور
فى المال الكثير وههنا لا عبرة بالكثرة بل مما قل منه او كثر على انه لو كان كذلك
لكان بمقدار ما يحتاج اليه فى المعنى لكن ليس كذلك بل يأخذن نصيبا مفروضا
روى انه اتت امراة اوس بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته



واخذ ابنا عمه سويد وعرفجة جميع ماله فقالت مات وترك مالا حسنا وله ثلث
بنات وانا امرأته ليس عندى ما اطعمهن واكسوهن فدعاهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله لا يركبن فرسا ولا ينكين عدوا ولا يحملن كلا
فانزل الله تعالى هذه الآية فقال لهما لا تفرقا شيئا من ماله فان الله جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى انظر فانزل الله تعالى يوصيكم الله الآية فارسل اليهما فاعطى الزوجة
الثمن والبنات الثلثين والباقى لهما وانما اجمل اولا لانه اراد اثبات ما نفوه وانما
قال نصيبا مفروضا لئلا يعمل باطلاقه ولم يقل للرجال والنساء نصيب لئلا يتوهم
انهن انما يرثن مع الرجال لا منفردات ثم اشار الى انه وان كان لهما نصيب
فللمريض ان ينقص منه بالوصية بل يندب له ذلك سيما فى حق الحاضرين سيما اولى
القربى فقال واذا حضر القسمة اى وقت قربها اولوا القربى الذين لا ارث
لهم قدمهم لان اعطائهم صدقة وصلة واليتامى الضعفاء بفقد الآباء والمساكين
الضعفاء بفقد ما يكفيهم من المال فارزقوهم منه اعطوهم بعضه وحمل على اقل من
النصف لئلا يساووا من عظم فرضه فيكون كانه قطع نصيبه بالكلية وقولوا لهم
قولا معروفا مثل استقلال عطائكم والدعاء لهم وترك المن عليهم وليخش الذين
حضروا المريض ان يقولوا له ما يبطل حقوق الورثة وان كانوا اقوياء فى انفسهم
اجانب للحاضرين وليس للحاضرين اولاد او لهم اولاد اقوياء فليفرضوا انهم
لو ماتوا وتركوا من خلفهم ذرية ضعافا هل خافوا عليهم الضياع ام لا فليفرضوا
مثل ذلك فى ورثة المريض وان لم تتقوا احدا من الورثة لومة او شتمة فليتقوا الله
وليس هذا منعا عن قول الحق بل ليقولوا قولا سديدا لا ابطال الحقوق ولا منع
الوصية ولا يأمروا بتضييع الورثة واذا منع المريض من التصرف فى ماله لحق
الورثة ولو اقوياء والحاضرون من امره بالتضييع فالآكلون اولى بذلك ان الذين
يأكلون من الحكام او الاوصياء او الورثة اموال اليتامى ظلما ولو بوصية الميت
على سبيل الاسراف بخلاف اكل الفقير الناظر فى ماله بقدر اجرته انما يأكلون

اقرباءهم

ما ينقلب في بطونهم نارًا عقلية او خيالية يعذبون بها في قبورهم وسيصلون
في القيمة ظاهرا وباطنا سعيرا ولما حذر من الظلم في اكل اموال اليتامى اشار
الى العدل في قسمته وقدم ميراث الاولاد لانهم قائمون مقامه من بعده كانهم
عينه فقال يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم باعتبار اسمه الجامع لجمعه وجوه الحكمة
البالغة في اولادكم لمزيد رحمته عليكم للذكر مثل حظ الانثيين اى للابن مع البنتين
مثل نصيبهما ولابن الابن مع بنتى الابن مثل نصيبهما وكذا في السافلين لانه لو
كمل نصيبها مع انها قليلة العقل كثيرة الشهوة لا تلقيه في الشهوات اسرافا ولانها
تنفق على نفسها وهو على نفسه وزوجته ولم تقل للانثيين مثل حظ الذكر ولا للانثى
نصف حظ الذكر تفضيلا للذكر ولم تقل للذكر مثلا نصيب الانثى لان المثل في المقدار
لا يتعدد الا بتعدد الاشخاص ولم يعتبر ههنا مقدار اذا كانوا ذكورا واناثا وان
كان ذكرا اخذ الكل لانه ضعف نصيب البنت الواحدة المنفردة فان كن نساء محضة
فانهن وان كن فوق اثنتين لا يحزن الكل رعاية للنقص الذاتى فلهن ثلثا ما
ترك فكما ياخذ الواحدة الثلث مع اخيها تاخذه مع اختها ولسن دون الاخوات
في القرابة وقد جعلنا الثلثين لاثنتين منهن فالبنات اولى وان كانت واحدة
فلا يكون لها الثلث فيكون نصيبها بلا شريك كنصيبها معه فلها النصف اى نصف
ما ترك ولم يكمل لها لانها ناقصة ولذلك لم يجعل لها الثلثان اللذان هما نصيب
الابن وذكر بعد ميراث الاولاد ميراث الوالدين لانهم مثلهم في الجزئية فقال
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد لانه ان ابنا اخذ
نصيب الاب لعقبه في العصوبة التى هى اصل الاب فشارك الاب الام في
الثلث الذى لها في الاصل وان كانت بنتا قدمت بنصفها واخذ الاب السدس
بالعصوبة وشارك الام في ثلثها لئلا ينحط الذكر عن درجة الانثى فان لم يكن
له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث والباقى للاب للذكر مثل حظ الانثيين لكن
فرد لها الثلث تنزيلا لها منزلة البنت مع الابن لا منفردة حطا لها عن درجتها

---

لقيام البنت مقام الميت في الجملة مقدار اذا انفردت الام عن كثرة الاخوة والاخوات
فان كان له معها اخوة او اخوات متعددة فلامه السدس لان الواحد منهم اذا
كان من جهة الام اخذ السدس فاذا تعدد واشاركوا الام في ثلثها مع ذلك ولو كانوا
من جهة الاب والابوين فهم اولى بالنقص من جهتها والفروض المذكورة انما تعطى
اصحابها من بعد وصية لا مرجوع عنها بل يوصى بها او دين لانه يقدم على الوصية فكيف
لا تقدم على الفروض ثم اشار الى ان ترتيب الورثة لم يفوض الى رايكم لتقطعوا
من ايهم انفع لكم فقال اباؤكم وابناؤكم لا تدرون في اغلب الاحوال ايهم اقرب
لكم نفعا فاعتبرت قوة القرابة فصارت فريضة من الله بمقتضى علمه بالمراتب و
حكمته في الترتيب ان الله كان عليما حكيما ولما فرغ عن ميراث النسب المتحقق فيه
الجزئية شرع في ميراث السبب وقدمه على النسب الذى لا جزئية فيه لانها بالواسطة
فقال ولكم نصف ما ترك ازواجكم جعل ارث السبب نصف ارث النسب ان
لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن جعله شريكا في نصيب ذى
السبب لانه في الاصل حائز فكمل نصيبه بشركته وهذا ايضا طامع نقصان النصيب
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ليكون للانثى نصف
حظ الذكر ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم تشريكا للولد
في نصف نصيبهن مع قلته وهذا ايضا مع غاية قلته من بعد وصية توصون
بها او دين ولما فرغ عن ميراث من ورث بنفسه شرع في ميراث من ورث بالواسطة
فقال وان كان رجل يورث كلالة اى من غير جهة الاب والفرع او امراة تورث
كذلك صرح بها اشعارا بانه كما يستوى بالنظر الى الماخوذ منه يستوى بالنظر الى الاخذ
لان جهة الاخذ جهة الانثى فلو يعج الاخ بذكورته رجحت الانثى طرفها المناسبة وله
اخ من الام او اخت من الام فلكل واحد منهما السدس الذى هو اقل نصيب
الام التى اخذا بواسطتها فان كانوا اى اولاد الام اكثر من ذلك فهم شركاء في
الثلث الذى هو اعظم نصيب الام واما الاخ والاخت من الاب او الابوين فسياتى

حكمهما في آخر السورة من بعد وصية يوصى بها او دين ولما قل نصيبهم تهمنا
قال غير مضار لوارث آخر ولو بوصية الميت لكون المذكور وصية من الله
ولا تكون الا بمقتضى علمه وحكمته اذ والله عليم حليم فلا تخالف بالرأي الفاسد ثم اشار
الى ان الاحكام المذكورة لو لم تكن على مقتضى العلم والحكمة لم يجز تغييرها اذ تلك الاحكام
حدود الله واقل ما فيها ان مراعيها مطيع لله ورسوله ومغيرها عاص ومن يطع
الله ورسوله فانه وان نقص حظه الدنيوي يدخله بدله جنات تجري من تحتها الانهار
ولو حصل له حظه لم يبق عليه وهذا باق لكونهم خالدين فيها ولو بقي فهو حقير وذلك
الفوز العظيم الذي لم يسبق لوجب ايثاره على الحقير الباقي ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده فانه وان وجد شهوته وجاهه في الدنيا يدخله نارا يحول
بينه وبين مشتهيه ولا يبقى له ما حصل ويبقى عذابه اذ يصير خالدا فيها ولو بقي لا
يوازي عذابه شهوته وجاهه اذ له عذاب مهين ولما فرغ عن احكام الموتى
حسا شرع في احكام الموتى معنى فقال واللاتي يأتين الفاحشة الخصلة البليغة
في القبح وهي الزنا حال كونهن من نسائكم ايها المسلمون فاستشهدوا عليهن فاطلبوا
من القاذفين اربعة منكم اي من المسلمين فان شهدوا فامسكوهن احبسوهن
حبس الميت في البيوت ليحبسن عن الزنا حتى يتوفاهن الموت اي يستوفي
ارواحهن ملك الموت او يجعل الله لهن سبيلا وهو رجم المحصنة وجلد غيرها مع
تغريب عام فكان الحبس في اول الاسلام لكثرة الزنا وافضاء الرجم الى الارتداد ثم
نسخ واللذان يأتيانها اي الفاحشة وهي اللواط منكم ايها المسلمون فآذوهما
بالتعيير والجلد فان تابا قبل ايذائهما واصلحا بالقرائن فاعرضوا عنهما بالاغماض
والستر ان الله كان توابا رحيما وقد نسخ ايضا ثم ان الله تعالى وان كان توابا رحيما
فلم يلتزم قبول كل توبة بل انما التوبة التي كاد قبولها يجب على الله هي الحاصلة للذين
يعملون السوء فاحشة او غيرها بجهالة بغيرهما ولو اعتمادا على كرم ربه وعفوه
ثم لا يصرون عليه بل يتوبون من قريب قبل ان يصير دينا على قلبهم فاولئك وان

كثرت سيئاتهم وعادوا الى المعاصي والتوبة يتوب الله عليهم في كل مرة لعلمه بانه
اتى بالذنب لجهالة دعته الى ترجيح سواه على عقله واقتضاء حكمته قبول عذر من صدق
في اعتذاره وكان الله عليما حكيما ولو لم يكن عن جهالة او لم يتب عن قريب فهي
جائزة القبول ما لم يؤخر الى وقت العجز وهو وقت حضور الموت وذلك لانه ليست
التوبة حاصلة للذين يعملون السيئات المعاصي الفرعية ويصرون عليها حتى اذا
حضر احدهم الموت المعجز عن العود الى مثلها قال اني تبت الآن فان قبول
التوبة حينئذ ممتنع بمقتضى الحكمة لكنه في المعاصي الفرعية واما الاعتقادات فيجوز
التوبة عنها ما لم يكاشف عن عالم الآخرة بالغرغرة او الموت فلا توبة لاهل الغرغرة
ولا الذين يموتون وهم كفار لانهم بمجرد الموت يعاينون العذاب اذ اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما يصلون اليه بمجرد الموت ويكاشف لهم عنه عند الغرغرة و
لو لم يكن معدا لهم لربما جاز توبتهم بعد الموت ايضا ولما فرغ عن بيان حكم الفواحش
التي اعترفوا بها شرع في بيان الفواحش التي لم يعترفوا بها وهي انهم كانوا اذا مات احدهم
وله عصبة القى ثوبه على امرأته او خبائها فيصير احق بها في زعمهم فيزوجها بلا صداق
لزعمه ان صداق الميت صداقه او يزوجها من غيره ويأخذ صداقها او يمنعها من التزوج
لتفتدي بما ورثت او تموت هي فيرثها فقال يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء من ميتكم انفسها او صداقها او فداءها او مالها بموتها كرها حال كونها كارهة
وهو تضييق على الاجنبيات وقد منعتم من التضييق على ازواجكم اذ قيل
لكم لا تعضلوهن اي لا تمنعوهن الحقوق حتى تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن في المهور والنفقات ليخلصن به عنكم الا ان يأتين بفاحشة
زنا او نشوزا او سوء خلق مبينة لا متوهمة فيحل للزوج ان يسألها الخلع ولكن
بعد حسن عشرة لذلك قيل لكم وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال
في الاجمال في القول حتى لا يكونوا سبب الزنا بتركهن او سبب النشوز او سوء الخلق فلا
يحل لكم حينئذ فان كرهتموهن فلا تلجئوهن الى الخلع ولا تعضلوهن بل اصبروا

عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة وكانوا اذا
ارادا احدهم نكاح جديدة بهتا امراته بزنا او سوء خلق او نشوز حتى يلجئها الى
الافتداء ليصرفه فى تزوج الجديدة او مهرها او نفقتها فقال وان اردتم استبدال
زوج جديدة مكان زوج تطلقونها اذ يتعذر الجمع او يتعسر وآتيتم احديهن اى
احدى نسوتكم التى تريدون تطليقها ونكاح جديدة مكانها قنطارا اما لا كثرا مركوما
بعضه على بعض فى مهرها ونفقتها فلا تاخذوا منه شيئا ليصير مهر الجديدة او نفقتها
او مؤنة تزوجها سيما بالبهتان عليها ايحل لكم وانتم تاخذونه باستيفاء عليها بهتانا
لم ينشأ عن ظن ولكن انتم فيه اثما مبينا فكيف يحل لكم شئ انتم فى سبب تحصيله وسبب
البهتان وكيف تاخذونه وقد تقرر اذ افضى اى وصل بعضكم الى بعض فاخذ عوضه
وقد اخذن منكم بقول العاقد قد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال
من امساك بمعروف او تسريح باحسان ميثاقا عهدا وثيقا غليظا مؤكدا مزيد
تاكيد يعسر معه نقضه كالثوب الغليظ يعسر شقه ثم اشار الى انه انما يحل المراة الموردة
طوعا اذا لم تكن امراة احد الاصول فقال ولا تنكحوا اى ولا تطاوا بنكاح او ملك
يمين ما نكح وطى باحد الوجهين آباؤكم احد اصولكم من النساء وان لم يكن امهاتكم
وكذا ان لم تنزوجوهم لاختلاف الدين فانهن محرمات عليكم الا ما قد سلف فانها
غير محرمة عليكم بمعنى انكم لا تواخذون بها وان لم تفرقوا انه كان فاحشة خصلة قبيحة
جدا لانه تشبه نكاح الامهات ولذلك كان مقتا اى اشد بغض عند الله وعند ذوى
المروات حتى سموا ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا كيف وقد ساء سبيلا الى هتك
حرمة الاب ولما حرمت ازواج الاصول لما فيه من هتك حرمتهم حرمت بطريق
الاولى عليكم امهاتكم اى وطى اصولكم لانه امتهانه واستهانة الاصول قبحه وبناتكم
فروعكم لانهن كالاصول فى الجزئية واخواتكم من اب او ام او منهما لانهن بعض
اجزاء الاصول فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصول وعماتكم لانهن فروع اصل
الاب وبنات الاخ لانهن فروع فروع الاصل وجزء الجزء جزء فهتكهن هتك بعض

فهتكهن هتك بعض اجزاء
اصل الاب وخالاتكم
لانهن فروع اصل الام



اجزاء الاصل وبنات الاخت لذلك وامهاتكم اللاتى ارضعنكم لان الرضاع جزء
منها وقد صار من الرضيع فصار كانه جزء سا فاشبهت اصله واخواتكم من الرضاعة
لانها جزء ما اشبهت اصله فاشبهت جزء اصله فاشار بلفظ الامهات والاخوات
الى اعتبار جهات قرابة المرضعة وامهات نسائكم اصول ازواجكم لانهن اصول
فروعكم تحقيقا او تقديرا فهن كاجزاء اجزائكم وربائبكم اى فروع ازواجكم لانهن
يشبهن البنات اذ اللاتى فى حجوركم كالبنات الا انه انما يتحقق الشبه اذا كن من
نسائكم اللاتى دخلتم بهن لانهن حينئذ بنات موطوآتكم كبنات الصلب فان
لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم لان كونهن فى حجوركم حينئذ لكون الاجنبيات
فيها وحلائل ابنائكم موطوآت فروعكم بنكاح او ملك يمين لانهم اشبهوا الاصول
فى الجزئية فاشبه ازواجهم بازواجهم وقيدهم بكونهم الذين من اصلابكم احترازا عن
زوجة المتبنى وزوجة ابن المراة وحرم عليكم ان تجمعوا بين الاختين فى الوطى
بنكاح او ملك يمين لما فيه من قطيعة الرحم وفى معناهما كل امراتين ايتهما فرضت
ذكرا كان بينهما محرمية الا ما قد سلف فانه معفو عنه وان لم يفرق ان الله كان غفورا
رحيما وحرمت عليكم المحصنات المزوجات من الغير من النساء حرائر او اماء لئلا
يختلط المياه فيضيع النسب الا ما ملكت ايمانكم بالسبى عن ازواج الكفار فانه يرفع
نكاحهن ويعقد الحل بعد الاستبراء ولو لم تعقلوا معانى حرمتهن فلا تستبعدوا من الزوا
كتاب الله فانه يجب متابعته عليكم ولا ضرورة لكم فى استباحتهن ابدا لانه احل
لكم ما وراء ذلكم المذكور لفظا او معنى وان كان فيهن نوع جزئية للاصول لو اعتبر
لسد باب النكاح وخص من ذلك نكاح المطلقة ثلثا قبل التحليل ونكاح الملاعنة
والمعتدات والمشركات وذوات الاحرام وليس حلهن بطريق الهبة بل بطريق
ان تبتغوا تطلبوا باموالكم تصرفونها فى مهورهن تحقيقا او تقديرا او ثمنهن او اجورهن
حين جازت المتعة محصنين متحفظين عن اللوم والعقاب بنكاح او متعة حين
جازت او ملك يمين غير مسافحين اى زانين فانه وان طلب بالمال يحرم لعدم

الجزء الخامس

تعيين المدة بخلاف المتعة فما استمتعتم به منهن اى فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن
نكاح المتعة فآتوهن اجورهن فانه انما يلزم بالجماع بخلاف المهر فانه يجب نصفه
قبل الوطي بالفراق حال الحيوة وانما يجب المسمى اذا كان فريضة والا لزم اجرة
المثل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الزيادة على المسمى او النقصان منه
من بعد الفريضة فانه يجوز فيه التغير بالتراضي ان الله كان عليما حكيما في تجويز المتعة
حين الحاجة وتحريمها بعد انقطاعها لانه يلتبس بالزنا في نظر العامة ويفضي الى
اختلاط المياه قال الشافعي رضي الله عنه لا اعلم شيئا احل ثم حرم ثم احل
ثم حرم غير المتعة ونقل ابو عبيدة الاجماع على نسخها ثم اشار الى ما يستباح للضرورة
كنكاح المتعة لكنها ضرورة مستمرة لا تنقطع بكثرة الاسلام فقال ومن لم يستطع لم يجد
منكم ايها الاحرار بخلاف العبيد ان يحصل طولا غنى يمكنه به ان ينكح المحصنات
الحرائر المتعففات بخلاف الزواني اذ لا عبرة بهن المؤمنات اذ لا عبرة بالكوافر
فمما ملكت ايمانكم اى فله ان ينكح بعض ما يملكه ايمان اخوانكم من فتياتكم امائكم حال
الرق المؤمنات لا الكتابية لانه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر بل عار الكفر اشد
لذلك جوز بعض اصحابنا نكاح الامة مع القدرة على نكاح الحرة الكتابية ويخاف
فيه مخالطة الكفار وسؤالاتهم وهو اشد من خوف رق الولد ولا يشترط الاطلاع
على بواطنهن بل يكتفى بظاهر ايمانهن وان كن مكرهات كما لا يشترط الاطلاع على
بواطن ايمان الحرائر والاحرار بل الله اعلم بايمانكم ويحتمل عار الرق للضرورة
اذ بعضكم من بعض في الرجوع الى آدم عليه السلام والرق عارض لكن لا يبطل
حق المالك فانكحوهن باذن اهلهن لا استقلالا وآتوهن باذنهم اجورهن
وان لم تتم بالمعروف بلا مطل وضرر اذ كن محصنات متعففات ويكفي في ذلك
كونهن في الظاهر غير مسافحات زانيات بكل من دعاهن ولا متخذات اخدان
اخلاء يختص بهم في الزنا فلو كن احدى هاتين فلكم المناقشة في اداء مهورهن
ليقيدن نفوسهن فاذا احصن اى ظهر احصانهن وادى مهورهن فان اتين



بفاحشة زنا فعليهن الآن ما كان عليهن قبل النكاح وقبل اداء المهر وهو نصف
ما على المحصنات الحرائر من العذاب وهو خمسون جلدة لا الرجم ولا استرداد
المهر لانهن من اهل المهانة فلا يفيد فيهم المبالغة في الزجر ولمهانتهن خص ذلك
اى اباحة نكاحهن لمن خشي خاف العنت المشقة في التحفظ من الزنا منكم ايها
الاحرار وان تصبروا على تحمل تلك المشقة خير لكم والله غفور لما يخطر في قلوبهم
من دواعي الزنا رحيم باعطائكم الاجر على الصبر مع تلك الخواطر يريد الله بتحريم
ما حرم من النساء وتحليل ما احل بالشرائط ليبين لكم مقتضى حكمته وليست مما يختلف
باختلاف الامم والازمنة فهو يريد بيانها ان يهديكم سنن طرق الانبياء الذين
من قبلكم ويتوب عليكم بالرد الى وجه الحكمة فيما اخطاتموه فيه وكيف يتركهم
على الخطاء والله عليم بخطائكم حكيم لا يرضى بترك الخطاء والله يريد ان يتوب
عليكم يمنعكم ان ترثوا النساء كرها وان تنكحوا ما نكح آباؤكم وان تجمعوا ليردكم الى
مقتضى الحكمة ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن مقتضى الحكمة ميلا
عظيما بالكره ومنك حرمة الآباء وافساد ذات البين ولو قيل انه قد امركم
بالميل في نكاح بنات العمات والخالات وانهن فروع اصولكم قيل يريد الله بانه
ان يخفف عنكم بالرخصة فيما بعد فيه الاصل والفرع جميعا لئلا ينسد باب النكاح
اذ لو اعتبر لوجب منع الانسان من شهواته وخلق الانسان ضعيفا ولضعفه
قد جوز له الامة ثم اشار الى ان من ميل متبعي الشهوات التصرف في الاموال بالطرق
الباطل كالربوا فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم التحفظ من الباطل في كل
شيء لا تأكلوا اموالكم لا يأكل بعضكم اموال بعض ولو بينكم لا يخرج عنكم بالباطل
من طرق التصرفات وكلها باطلة الا ان تكون تجارة معاوضة محضة كالبيع
والاجارة او غير محضة كالنكاح اخروية كالصدقة او دنيوية صدرت عن تراض
من جانب الآخذ والمأخوذ منه منكم ايها الاحرار ولا تقتلوا بتضييع المال فتطاير
وامّا الزنا فلانه قتل معنوي للاولاد بابطال نسبهم وقتل لانفسكم اذ لا عقب لكم

بين الاختين
صح

بقوم معاشكم إن الله بهذه التكليفات كان بكم رحيماً إذ لا تعود إلى عباده ومن
يفعل ذلك أي يأكل مال الغير عدواناً أي بطريق باطل تعدى فيه ما كلف الله به و
ظلماً بوضعه في غير موضعه فقد خالف الله فما أمرهن إتمام الحكمة فسوف نصليه ناراً
وإن لم يخل بشيء من عبادتنا لكنه أخل بأمرنا ونهينا وإن كان لنفعه ولا يمنع من ذلك
كمال رحمته بل كان ذلك على الله يسيراً ثم أشار إلى أن رحمته لا تقتضي ترك صاحب
الكبائر بل التجاوز عن صاحب الصغائر إذا اجتنب الكبائر فقال إن تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه وهي التي رتب عليها الحد أو وعد عليها صريحاً وقد قيل أكبر الكبائر
الشرك بالله وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما أوساط وعن النبي صلى الله عليه
وسلم إنها سبع الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل
مال اليتيم والزنا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين نكفر عنكم سيئاتكم ومن كمال
رحمتنا ندخلكم مع اجترائكم علينا بالصغائر مدخلاً كريماً وقيل من عنّ له أمران
ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكب لما استحق
من الثواب على اجتناب الأكبر ثم أشار إلى أن رؤية الشخص فضل أعماله وحسناته
ذنوبه مما يخل باجتناب الكبائر فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض بسبب
ترجيح الحسنات أو حط السيئات كما قال له الرجال إنا لنرجو أن يفضلنا الله على
النساء بالحسنات في الآخرة كما فضلنا بالميراث فقالت النساء إنا نرجو أن يكون
وزرنا نصف وزر الرجال كما أن لنا نصف ميراثهم بل للرجال نصيب مما اكتسبوا
من حسناتهم لا ضعفه كالسيئات وللنساء نصيب مما اكتسبن من سيئاتهن لا نصفه
كالحسنات فإن ترجيح أحد الجانبين دون الآخر تحكم محض ولكن اسألوا الله من
فضله أن يضاعف حسناتكم وينقص بل يمحو سيئاتكم وليس ذلك بطريق التحكم بل إن
الله كان بكل شيء عليماً فيتفضل على من هو مستعد للتفضل عليه ثم أشار إلى أن إعطاء
الفضل لا ينافي نصيب الاكتساب فإن اكتساب الحسنات والسيئات كاكتساب
الأموال يكون لكل مكتسب نصيب منها ومع ذلك لكلٍّ من الأموال جعلنا من

فضلنا موالي ولاة لم يكتسبوه بل حصل لهم مما ترك الوالدان ومما ترك الأقربون
ومما ترك الذين عقدت أيمانكم فقلتم دمي دمك وحربي حربك وسلمك سلمي
ترثني وأرثك وتعقل عني وأعقل عنك فآتوهم نصيبهم وهو السدس حفظاً
لاحفظ عليكم ما وعدتكم من إعطاء الفضل بالسؤال وكان هذا في أول الإسلام
طلباً للتقوية بكثرة المخالفين فلما قوي الإسلام نسخ بقوله وأولو الأرحام بعضهم
أولى ببعض إن الله كان على كل شيء شهيداً انظر من يعني بحقه فيعني له بفضله ثم أشار
إلى أن تفضيل الرجال على النساء ليس لتفضلهم في الآخرة بل لأن لهم ولاية
على النساء فقال الرجال قوامون أي لهم المبالغة في القيام بمصالح النساء و
تأديبهن فلهم ولاية على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض أي بسبب تفضيل الله
بعض خلقه على بعض بكمال العقل ومزيد القوة والكامل بنفسه له حق الولاية على
الناقص وبما كذلك بما أنفقوا من أموالهم في مهورهن ونفقاتهن فصرن كالأرقاء
الذين لا يملكون وإن ملكهم السيد لكن لما لم يحقق الرق اقتصر عن نقص الحظ
ولكنهم في معنى السادات وجبت عليهن طاعتهم كما يجب على العبد طاعة
السادات فالصالحات من النساء قانتات مطيعات للأزواج ومن
طاعتهن أنهن حافظات للغيب لما غاب عن أزواجهن من أموالهم وفروجهن
مستغنيات بما حفظ الله أي بحفظ مخافة أن تغلب عليهن نفوسهن وإن يلعن
من الصلاح ما يلعن ومن قوامية الرجال أن اللاتي تخافون نشوزهن العلاقة
نشوزهن عصيانهن فعظوهن خوفوهن بالعقل كما يتقي الله واعلمي أن طاعتك
لي فرض عليك وإذا لم يرعن اهجروهن في المضاجع أي ولوهن ظهوركم
أو اعتزلوهن في فراش آخر وإذا لم يرعن بذلك اضربوهن ضرباً غير مبرح
فإن أطعنكم في أثناء هذه الأفعال فلا تبغوا عليهن سبيلاً لتأذيتها ولا للطلاق
ولا تغتروا بعلوكم إن الله كان علياً كبيراً وإن خفتم أيها الحكام شقاق بينهما
مخالفة مفرقة بينهما واشتبه عليكم أنه من جهته أو جهتها ولا يفعل الزوج الصلح

لايمانكم

ولا الصفح ولا الفرقة ولا يؤدي المرارة الحق ولا الفدية فابعثوا حكمًا من اهله
اقاربه اذ هم اعلم ببواطن الاحوال وحكمًا من اهلها لئلا يميل الاول الى جانبه
وهذا على سبيل الاستحباب فيجوز من الاجانب ان يريدا اي الحكمان اصلاحًا
يوفق الله يوقع الله الوفاق بينهما ويستقلان بذلك ويتوكلان في الخلع والطلاق
ويجب عليهما ان يخلوا ويستكشفا عن مقتضى الحال فيعرفا ان رغبته في الاقامة
او المفارقة ان الله كان عليمًا خبيرًا ببواطن الحكمين وبواطنهما ان قصدا افساد
يجازيهما عليه والانجاز بهما على الاصلاح ثم اشار الى ان الفضل الاخروي
ليس بهذه القوامية ولا بسائر الفضائل الدنيوية بل بعبادة الله مع توحيده و
بالاحسان الى خلقه فقال واعبدوا الله فان عبادتكم اياه تقربكم اليه وشرط
تقربكم اليه ان لا تشركوا به شيئا من الشرك الجلي والخفي للنفس وشهواتها وما يتوسل
به اليها من المال والجاه هذا مع الله واما مع الخلق فاحسنوا بالوالدين احسانا
يفي بحق تربيتهما فانه شكر لهما يدعو الى شكر الله المقرب اليه مع ما فيه من صلة اقرب
الاقارب الموجب وصلتها لوصلة الله وقطعها لقطعه وبذي القربى الاقارب
ليكون صلة مقربة اليه واليتامى والمساكين ترحما عليهم مستوجبا لرحمته تعالى
والجار ذي القربى الذي قربت داره والجار الجنب الذي بعدت داره
لان لها قربا حسيا فاشبها ذوي القربى والصاحب في الخيرات بالجنب فانه كالجار
وابن السبيل المسافر فانه كاليتيم لانقطاعه عن اهله وما ملكت ايمانكم فانهم
كالمساكين اذ لا يملكون شيئا وكيف يكون الفضائل الدنيوية بدون عبادة الله
والاحسان الى خلقه فضائل اخروية مفيدة للتقرب اليه موجبة لرحمته وهي موجبة
للخيلاء والفخر ولا يتم الا بالبخل والانفاق رياء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يانف عن عبادة الله فخورا لا يبالي بخلقه ولا يحسنون الى الخلق لانهم
الذين يبخلون ولا يكونون سبب الاحسان ايضا اذ يامرون الناس بالبخل
ويبالغون فيه حتى انهم يكتمون ما اتاهم الله من فضله يكنزون بكونه من فضله اذ



ينسبونه الى اكسابهم واعتدنا للكافرين المستهينين بنسبة الفضل الى غيرنا
عذابا مهينا والذين لا يبخلون منهم انما ينفقون اموالهم رئاء الناس
فلا يقبل احسانهم لان رياءهم يدل على تفضيلهم الخلق على الله ورؤيتهم
على ثوابه وهو دليل انهم لا يؤمنون بالله الذي يتقرب اليه ولا باليوم
الاخر الذي هو يوم الجزاء وكيف يتقرب بهذا الاحسان من الله وهو
متقرب الى الشيطان ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا
عليهم اي اي ضرر من فوات تعظيم الخلق او فوات حطام من جهتهم
يغلب عليهم لو آمنوا بالله فلم يرجحوا الخلق عليه واليوم الاخر فلم يرجحوا
تعظيمهم وحطامهم على ثوابه وانفقوا مما رزقهم الله طلبا لرضاه واجر
آخرته واي فائدة لهم في علم الخلق وكان الله بهم عليما واي ضرر في فوات
تعظيم الخلق وفوات حطامهم مع ايثار الله تعالى ثوابهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة في محل الغضب بالافراط في التعذيب ولكنه يفرط في محل الرضا
فانه وان تك ذرتهم حسنة يضاعفها ويؤت زيادة على الاضعاف من
لدنه مما يناسب عظمته اجرا عظيما ولو كان امرا بمن حياء الناس او تاركين
للايمان بالله ورسوله من ذلك فكيف حالهم في الحياء اذا جئنا من كل
امة بشهيد يشهد عليها من الاولين والاخرين بقبائحهم وجئنا بك اذا
كذبت الامم الشهداء على هؤلاء الشهداء شهيدا بتكذيبهم وتصديقهم يومئذ
يود من افراط الحياء الذين كفروا حياء من قومهم ولم يستحيوا من الله
بعد ارسال الرسول بامرهم بالحياء منه فلم يستحيوا منه ولا من الرسول
اذ وعصوا الرسول الذي هو اولى بالاحتشام والحياء منه دون سائر الناس
الذين هم كالانعام لو يصاروا ترابا بحيث تسوى بهم الارض لكان اتم غيبة
من الهوان الذي يلحقهم من فضائحهم كيف ولا يكتمون الله حديثا من
احاديث انفسهم فضلا عن ظواهر افعالهم ثم اشار الى ان مما يستحي

من الله الصلوة حال الغفلة والجنابة والحدث فقال يا أيها الذين آمنوا
مقتضى إيمانكم الحياء من الله ومن الحياء منه أن لا تقربوا الصلوة وأنتم
سكارى لا تعلمون ما تخاطبونه والحياء من الله يوجب ترك ذلك حتى
تعلموا ما تقولون نزلت فيمن تقدم ثملا حين لم يحرم الخمر فقرأ أعبد ما
تعبدون ولا تقربوا الصلوة ولا مواضعها من المسجد الذي بني لها
جنبا إلا عابري سبيل مارين بلا لبث وتأويله بالمسافر يوجب التكرار
حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو راكبين على ظهر سفر جنبا أو محدثين
جاء أحد منكم من الغائط وفي معناه خروج شيء من أحد السبيلين أو لامستم
النساء أو لمستم بدليل لمستم في قراءة أخرى والمراد لمس البشرتين إذ
هو سبب الخروج فلم تجدوا ماء أي لم تتمكنوا من استعماله فلا تستحيوا من الله بل
اعتذروا إليه بمزيد التذلل فتيمموا اقصدوا صعيدا ترابا ذا غبار وإن فسر
بما على وجه يتعدى به لقوله منه في المائدة طيبا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم
إذ تذليل الرأس إفراط وتذليل الرجلين تفريط إن الله كان عفوا مجاوزا
عنكم ترك الحياء في الصلوة جنبا أو محدثين غفورا ساترا قبح جنابتكم وحدثكم
ثم أشار إلى ترك أهل الكتاب الحياء من الله وجه فقال ألم تر ألم تعلم يقينا
كأنه رأى العين بالنظر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ليدعوهم إلى الإيمان
المستوجب للحياء من الله ومن الناس كيف لا يستحيون من الله إذ يشترون
الضلالة يستبدلون الدنيا المضلة بهدى الله ويريدون من عدم حيائهم
من الناس أن تضلوا السبيل من قولهم بعد ما أراه الله إياكم والله أعلم بأعدائكم
ادرتهم إذ الله أعلم بأعدائكم فلا يتأتى أن يعلمكم لئلا يؤثر لهم فيكم ولو لم يعلمكم
كفى بالله وليا يلي أمركم فلا يؤثر فيكم تلبيسهم وكفى بالله دليكم أو قائلكم كفى بالله
نصيرا ولا يكفيهم ولاية الغير ولا نصره لأنهم من الذين هادوا أي المشهورين
بالتقدم في العلم مع تلبيسهم إذ يحرفون الكلم بصرفه عن مواضعه بالتأويل الباطل

أو تغيير اللفظ ويقولون استخفافا بالنبي فيوهموا أنه لو كان نبيا لم يستخف به
سمعنا قولك وعصينا أمرك ويقولون أبلغ من ذلك ومن اسمع غير مسمع
منك ويقولون أبلغ من ذلك ومن راعنا يريدون اسم فاعل من الرعونة
ومن الحماقة ويحتملون أنا أردنا ارعنا بسمعك أي اصرف سمعك إلى كلامنا
يقصدون ليا صرفا للكلام من وجه إلى وجه بألسنتهم مع استمرارهم على الوجه
الفاسد بالقلوب ويقصدون بذلك طعنا في الدين إذ يقولون لأصحابه نحن
نشتمه ولا يعرفهم ولو كان نبيا لعرفهم لكنهم علموا نبوته وعلموا أنهم قالوا سمعنا وأطعنا
واسمع منا بنهايتنا لنزيلها وانظرنا بدل راعنا المحتمل للمعنى الفاسد لكان خيرا
لهم في الدنيا بحقن أموالهم ودمائهم وعلو رتبتهم بإحاطة الكتب السماوية وفي الآخرة
بضعف الثواب وأقوم أعدل ولكن لعنهم الله طردهم عن رحمته فمنعهم من
التكلم بما يوجبها بكفرهم ببعض ما في كتبهم وإن ادعوا الإيمان بها فلا يؤمنون بما
فيها إلا قليلا ومنها وإن سويتهم دون ما خالفها يا أيها الذين أوتوا الكتاب
يؤمنوا به نظرا إلى معجزات من أتى به آمنوا بما نزلنا بالغا في إعجازه بتنزيله
مفرقا لعجز الكل عن الإتيان بمفرقاته مع تضمنه وجها آخر من الإعجاز ومن
كونه مصدقا لما معكم وإن جعلتموه ملتبسا بالتحريف من قبل أن نطمس وجوها
نمحو تخطيط صورها فنردها على أدبارها إذ يرى دما جزاء على التحريف لبعض الكتاب
أو نفعل بهم أبلغ من ذلك وهو أن نلعنهم أي نطردهم عن الإنسانية بالمسخ الكلي
جزاء على اعتدائهم بترك الإيمان بما هو معجز في نفسه مع إيمانهم بما ليس بمعجز
كما لعنا أصحاب السبت بالمسخ الكلي جزاء على اعتدائهم على السبت الذي
هو دون هذا الكتاب المعجز وكان أمر الله مفعولا لو اتفقوا على ترك
الإيمان به ومن لم يفعل به ذلك في الدنيا مع إصراره على ترك الإيمان به فلا بد
أن يفعل به في الآخرة بشركه إذ صرف الكلم عن مواضعه ثم نسبه إلى الله فكأنه
جعل نفسه القائلة به إلها ونسب خلق المعجزات التي ظهرت على يد رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى غير الله مع انها لا تاتى الا ممن يكمل قدرته وليس الا الاله
ان الله لا يغفر ان يشرك به كما لا يغفر ملوك الدنيا من شرك بهم فى ملكهم ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فجاز ان يغفر لكم رشاكم لو آمنتم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وتحريفكم لو رجعتم الى المنزل وكيف يغفر للمشرك ومن يشرك بالله فقد
افترى اى قصد اثما عظيما يقتضى الحكمة التعذيب عليه باعظم الوجوه وهو التخليد
فى النار ثم اشار الى انهم انما يجترئون بالتحريف وترك الايمان بالكتاب المبالغ
فى اعجازه لزعمهم ان سيئاتهم مكفرة فقال الم تر الى الذين يزكون يطهرون
من عند انفسهم من غير نص الهى انفسهم عن الذنوب اذ يزعمون ان اعمالهم
بالليل مكفرة بالنهار وبالنهار مكفرة بالليل وليس لهم ذلك بل الله يزكى بالتنصيص
من يشاء وقد نص على انهم لا يظلمون فتيلا مقدار فتيل وهو اسم لما فى شق النواة
والقطمير للقشرة التى على النواة والنقير للنقطة التى على ظهر النواة وهو انما يدل
على انهم لا يزاد عذابهم على قدر استحقاقهم لكنهم قالوا ما يخالف هذا النص و
نسبوه الى الله افتراء على الله انظر كيف يفترون يتعمدون على الله الكذب
وكفى به اى بافترائهم على الله اثما مبينا لكونهم غير مزكين اجترؤا ايضا على عبادة
الاصنام وترجيح دين عبدتهم على دين الموحدين انتصابذلك فقال الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الداعى الى ترجيح اهله لا الى الكفر يؤمنون بالجبت
والطاغوت يؤمنون بالجبت الاوثان والطاغوت الشيطان الداعى الى
الطغيان المتعلق بالاوثان ويقولون للذين كفروا اشركوا بالله هؤلاء
اهدى من الذين آمنوا بالله وحده سبيلا نزلت فى حيى بن اخطب وكعب
بن الاشرف خرجا فى جماعة الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اقرب الى محمد منكم الينا لانكم اهل الكتاب
فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك
تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد

فقال كعب اعرض على دينك فقال نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف
ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين
آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودينه الحديث فقال كعب
انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد اولئك الذين لعنهم الله بكفرهم بمحمد وكتابه
وجرهم الى عبادة الاصنام وترجيح الشرك على التوحيد ولم يدفع عنهم لعنة
الله قراءتهم لانه من يلعن الله فلن تجد له نصيرا يدفع عنهم لعنة الله الهم
نصيب من الذين يأمرونهم بعبادة الجبت والطاغوت ام لهم نصيب
من الملك يحفظونه بعبادتهما ولو كان لهم ذلك لافسدوا دينهم ودنياهم
فاذا لا يؤتون الناس كلهم نقيرا واحدا وهو ما يواذى نقرة ظهر النواة
كانهم لما كان لهم نصيب من الكتاب لم يعطوا الناس شيئا من الارشاد
مخافة ان ينقطع عنهم الرشى ايجادبون الناس على ما آتاهم الله من فضله
محاربة الملوك ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وهو النبوة و
الرشد فيتمنون زواله مع ان الفضل الموروث لا يحسد عليه غالبا وفضل محمد
صلى الله عليه وسلم موروث فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد
صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة اى العلم الظاهر والباطن ولو علموا
انهم لا يحسدون ابناء الكتاب والحكمة بل تملكه علينا المبطل لرياستنا ورشانا
فقد آتيناهم ملكا عظيما ليتقووا باصلاح العالم كله وكذلك آتينا محمدا صلى الله
عليه وسلم الكل علم بذلك اليهود كلهم وان اختلفوا فمنهم من آمن به فادعن
لعلمه ومنهم من بالغ فى العناد حتى صد الناس عنه فكان عناده للعلم عنادا
لمنزله موجبا لغضبه المسعر جهنم عليهم وكفى بجهنم سعيرا مسعودة عليهم ان لم
يعذبوا فى الدنيا وكيف لا وهى لكل كافر ان الذين كفروا بآياتنا بتحريف او
تكذيب للبعض لاستلزامه تكذيب الكل وان لم يصدروا الغير سوف نصليهم نارا
ولا صلى الا بتسعيرها وكيف لا يكفيهم وهم يتألمون بها دائما لانهم كلما نضجت

جلودهم احترقت احتراقا تاما بدلناهم جلودا غيرها جعلنا جلودهم المحترقة غير
محترقة كانا بدلنا بها جلودا اخر ليذوقوا ليحسوا بعد الاحتراق المانع من
الاحساس العذاب فيدوم لهم ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد من
جعل المحترق غير المحترق او غيره حكيما في هذا التبديل اذ لا يتم تخليد العذاب
الموعود على الكفر الذي لا يخرجون عنه بالعذاب المنقطع وعد الابد من
ايفائه على انه لو جاز كون الوعيد تخويفا لجاز كون الوعد ترغيبا وليس كذلك
بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم بمقتضى الوعد الذي لا مدخل
للخلف فيه وفاقا جنات تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت نارهم
انهار الدم خالدين فيها ابدا خلودهم بتجديد الجلود وهذا وان كان كافيا
في المقابلة تفضل عليهم فيكون لهم فيها ازواج مطهرة تتميما للتلذذ بالجنات
والانهار وندخلهم ظلا ظليلا لا ينسخه الشمس لئلا ينقص الحرارة شيئا من لذاتهم
كما لا ينقص الاحتراق شيئا من آلامهم ثم اشار الى ان ما يوجب ادخال الجنات
والازواج المطهرة والظل الظليل رد الامانات واقامة العدل فقال
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها اذ فيه ادخال السرور
في قلوبهم وايصال محبوبهم اليهم واطفاء حرارة قلوبهم واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل لانه وان كان فيه ادخال الغم في قلوب الظلمة وقطع
محبوبهم عنهم اطفاء نار الفتنة التي بينهم وبين الظلمة ان الله نعما يعظكم اي يخوفكم
عن ضد ذلك به اي بهذا الامر المتضمن للنهي عن الضد ان الله كان سميعا
لاقوالكم في الامانات والاحكام بصيرا بافعالكم فيها فان سمع ورأى خيرا
جازاكم عليه خير الجزاء وان سمع ورأى شرا جازاكم عليه حقا لنفسه ورأى حق
الخلق ولما امر الحكام بالعدل امر الرعية بقوله فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى
ايمانكم قبول العدل اطيعوا الله الذي اسس قواعد العدل واطيعوا الرسول
الذي بينها واولي الامر منكم الحكام وان كانوا منكم لا يظهر لهم مزيد فضل عليكم

وايقاد نار غضبهم فيه
ادخال السرور على قلوب
المظلومين وايصال محبوبهم
اليهم

لتأمرهم بالعدل فان تنازعتم انتم واولو الامر في شيء من الاحكام فردوه
الى كتاب الله والى سنة الرسول لا الى ما تهوون ولا الى ما يهواه الحكام ان
كنتم تؤمنون بالله الواضع لقواعد العدل واليوم الآخر الذي يجازى فيه
الموافق والمخالف لتلك القواعد ذلك خير لكم ولحكامكم وان رأيتموه شرا
في الحال فذلك احسن تأويلا عاقبة لكم ولهم ثم اشار الى ان الطاعة لله و
الطاعة للرسول واولي الامر انما التحاكم اليهم لا الى من يدعو الى الطغيان فانه من
علامات الكفر فقال الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك ومقتضى ذلك الانقياد لقواعد المنزل اليك والمنزل من
قبلك بالتحاكم اليه يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت اي الداعي الى الطغيان
بالحكم على خلاف قواعد المنزل اليك والمنزل من قبلك وقد امروا في جميع تلك
الكتب ان يكفروا به لانه يحكم على خلاف ما انزل الله في كتبه فيعصونه ويطيعون
الشيطان اذ يريد الشيطان من الجن والانس ان يضلهم ضلالا بعيدا
عن اديان جميع الرسل المنسوخ والناسخ جميعا نزلت في منافق خاصم يهوديا
فدعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي ولا يجور والمنافق الى
كعب بن الاشرف من شيطان اليهود لعلمه انه يرتشي ثم انهما تحاكما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر رضي الله
عنه فقال له اليهودي قضى لي محمد فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اهكذا قال نعم
قال مكانكما حتى اخرج اليكما فاخذ سيفه فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي
لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق وتدل على بعد ضلالهم انهم اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله في
الكتب التي تدعون الايمان بها والى الرسول العالم بها رأيت المنافقين يصدون
يمنعون خصومهم فيبعدونهم عنك صدودا بليغا ليتمكنوا مما يريدونه بالرشوة
ولكن دفعوا عن انفسهم ضرر ما يصيبهم في التحاكم اليك فكيف يدفعون ما يصيبهم

في التحاكم الى غيرك بل غايتهم انهم اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم
الى غيرك وعدم الرضا بحكمك كقتل عمر المنافق تكلفوا اعتذارا كاذبا ثم جاؤك
يحلفون بالله كذبا ان اردنا بذلك التحاكم الا احسانا من الخصم الى صاحبنا و
توفيقا بالصلح بيننا وبينه اولئك البعداء عن مقام الارادة وان ذكروها
لكن في قلوبهم ان يميل من يتحاكمون اليه الى جانبهم بالرشوة وهم الذين يعلم الله ما في
قلوبهم من النفاق والميل الى الباطل فيهم وان ظهر اسلامهم واظهروا عذرهم
بحلفهم فاعرض عنهم اذا طلبوا القصاص وعظهم خوفهم من ان يجري عليهم احكام
الكفر وقل لهم ما يؤثر في انفسهم قولا بليغا في التأثير ليصيروا مجروحين بعد ما صار
صاحبهم مقتولا وكيف لا يكون ترك الرضا بحكمه دليل النفاق وهو مشعر بعدم وجوب
طاعته وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فطاعته واجبة
وانكارها موجب للكفر ثم اشار الى انه لغاية عظم هذا الكفر لا ينبغي لهم ان يعتمدوا
على استغفارهم بل لا بد لهم من طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا ينبغي لهم ان ييأسوا وان بلغ ذنبهم ما بلغ بل يجب ان يعتقدوا ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم بهذا الظلم العظيم غاية العظم جاؤك لطلب الاستغفار منك
مع استغفارهم فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول فكان استغفاره صلى
الله عليه وسلم شفاعة لقبول استغفارهم لوجدوا لعلموا الله توابا قابلا لتوبتهم
رحيما متفضلا عليهم بالرحمة وراء قبول التوبة لكنهم لا يبالون لاستغفارك و
يستمرون على عدم رضاهم بحكمك فلا ايمان لهم في الحال وربك لا يؤمنون
في الاستقبال حتى يحكموك يجعلوك الحاكم لا غيرك فيما شجر اختلط بينهم ليصفى
قلوبهم ثم لا يجدوا في انفسهم اي باطنهم حرجا ضيقا مما قضيت من كراهتهم بحكمك
ويسلموا ينقادوا لحكمك تسليما فالنفاق انما يندفع بالكلية حينئذ والا بقي منه بقية
في قلوبهم تجرهم الى استكماله فيما بعد لرسوخه في قلوبهم غاية الرسوخ ثم اشار الى ان
التسليم الكلي انما يكون بالاذعان لامر قتل الانفس اولامر الخروج من الديار

ما اردنا صح

اي هم

تاما صح

ولكن لو انا كتبنا عليهم جازمين ان اقتلوا انفسكم او امرناهم بما تقرب منه
وهو ان اخرجوا من دياركم ما فعلوه بل نافق من لا نافق اليوم الا قليل منهم
لكمال اخلاصهم واذعانهم ولذلك لا نامرهم الا ما يسهل عليهم ومع ذلك
يحرجون لمخالفة اهويتهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يخوفون بالامر عن تركه
لكان خيرا لهم من حصول اهويتهم لانه سبب فوات الباقي الشريف بالفاني
الخسيس واشد تثبيتا لدينهم ودنياهم اذ يخاف من متابعة الهوى الجر الى
الكفر والحاكم اذا مال الى الرشوة ربما يكون الخصم اكثر اعطاء لها ولا يقتصر
في حقهم على حفظ الباقي من ثواب سائر الاعمال بل واذا لآتيناهم مما يناسب
عظمتنا اجرا عظيما في الدنيا والآخرة ولهديناهم صراطا مستقيما يكون سببا
لعظم الاجر من وجه كثرة ثم اشار الى انه يحصل لهم مع الاجر مراتب القرب
فقال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم بالقرب منه
من النبيين الذين انبأهم الله اكمل الاعتقادات والاحكام وامرهم بانبائها
الخلق كلا بمقدار استعداده وهذا لمن جاوز حد الكمال الى التكميل و
الصديقين الذين كملت مطابقة علمهم لتلك الاعتقادات والاحكام لمشاهدتهم
لها في مشكاة النبوة عن قرب وكملت مطابقة اعمالهم الظاهرة والباطنة لها
وهذا لمن كان في اعلى مراتب الكمال ولم يبلغ حد التكميل والشهداء الذين
شاهدوا الحقائق عن بعد وهذا لمن كان في اوسط درجات الكمال والصالحين
الذين صلحت اعتقاداتهم واعمالهم لافادة النجاة وهذا لعامة اهل الطاعة
وحسن اولئك رفيقا في قطع منازل مزيد القرب من الله ذلك الرفق هو الفضل
من الله بعد انقطاع اسباب العمل وكفى بالله عليما بمقدار هذا الفضل لا يعلمه
غيره لانه امر غير متناه فلا يصل اليه علم الخلائق المتناهي ثم اشار الى ان اجل
الطاعات الموجبة مرافقة المذكورين الجهاد الذي هو قتل النفس والخروج
عن الديار الى مكان الاعداء وعدم التحرز عن القاء النفس في التهلكة فقال

ه صح

عن ظ

من لدنا صح

قال عكرمة النبيون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون ابو بكر رضي الله عنه والشهداء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والصالحون الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين معالم

يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم جهاد الاعداء وقد صعوا وقاية ابدانكم وخذوا
حذركم اى ما تحترزون به المطاعن من الدروع والتروس والاسلحة فانفروا
اخرجوا ثبات متفرقين سرية بعد سرية اظهارا للجراءة او انفروا جميعا ايقاعا
للمهابة بتكثير السواد ومبالغة فى التحرز عن الخطر وان منكم يا جماعة المبالغين
فى التحرز لمن والله ليبطئن ليتاخرن عن الخروج مع الجماعة ايضا زيادة
على هذا التحرز لنفاقه فان اصابتكم مصيبة قتل او هزيمة قال معجبا برايه قد انعم
الله على بهذا الراى اذ لم يصبنى ما اصابهم اذ لم اكن معهم شهيدا حاضر الحرب
ولئن اصابكم فضل فتح وغنيمة من الله ليقولن تحسرا على رايه تعجب لا يعارضه
فتح ما حصل لاخوانه لانه لا يعتقد بمودتهم بل يرى كان لم يكن بينكم وبينه
مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز بالغنيمة واسم الشجاعة فوزا عظيما فهولاء انما
يقاتلون فى سبيل الغنيمة ويرونها كل الفوز فاذا فقدوه ما داوه فى حقهم الكذبة
فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن
يقاتل فى سبيل الله فيقتل فيتحقق بيعه او يغلب فانه وان لم يود المبيع الى الله
لكنه لما قصده صار كالمودى فسوف نؤتيه على قصد بذل مهجته فى سبيل
الله اجرا عظيما لا نسبة لاجر الدنيا وحيوتها ولا لاجر اكثر الاعمال اليهم ثم
اشار الى ان الله تعالى لو لم يعدكم الاجر العظيم لوجب عليكم القتال فقال وما لكم
لا تقاتلون فى سبيل الله ومن يقصد سبب التقرب وهو اجل من جميع الاجور و
فى استخلاص المستضعفين الذين هم كانفسكم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لضعفهم عن الهجرة من الرجال الضعفاء بالمرض والهرم والنساء والولدان
الذين يقولون من ايذاء اهل مكة واذلالهم اياهم ربنا اخرجنا من هذه
القرية وان كانت اشرف البقاع الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا
يحفظ علينا ديننا واجعل لنا من لدنك نصيرا يدفع عنا اذيات اعدائنا
الذين امنوا لاقتضاء ايمانهم سلوك سبيل الله وحفظ والرحم على اهله يقاتلون

صح



والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الله صح

فى سبيل الطاغوت الشيطان الامر بغاية الطغيان كايذاء المستضعفين
من المؤمنين وقتال اقويائهم محبة للشيطان فقاتلوا يا احباء الله اولياء
الشيطان الذين يعادون الله لعداوته ولا تبالوا لكيده وان بالغ فى الكيد
لاوليائه ان كيد الشيطان كان ضعيفا لا نسبة له الى كيد الله لكم ثم اشار الى انهم
لم يكونوا يبالون لهم زمان ضعف حالهم فلما قويت حالهم ضعفوا فقال الم تر الى
الذين قيل لهم عند استيذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال قبل الهجرة
وهم بمكة كفوا ايديكم عن القتال فانكم لم تؤمروا به لضعفكم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فانه جهاد اكبر فلما كتب عليهم القتال حين قوى حالهم اذا فريق منهم
لرؤية ضعفهم الان ولم يروه قبل ذلك يخشون الناس فى القتال كخشية
الله فى تركه فيترددون بينهما او اشد خشية فيرجحون تركه وقالوا معترضين
على الله ربنا لم كتبت علينا القتال مع انا ضعفاء وان رايت قوتنا تزداد
يوما فيوما لولا اخرتنا الى اجل قريب يكمل فيه قوتنا قل لكم قوة كافية ولكنكم
تخافون فوات متاع الدنيا مع انه لا ينبغى ان يبالى به عند امر الله بالقتال
اذ متاع الدنيا قليل مع انه يحصل بدله الحيوة الاخروية والاخرة خير لمن
اتقى الله فرجح خشيته على خشية الناس ولا تظلمون لا تنقصون من اجوركم
ولا من اعماركم ومتاعكم فتيلا مقدار شق النواة ولا يتوقف موتكم عند الاجل
على القتل بل اينما تكونوا اى فى مكان تكونوا عند الاجل يدرككم الموت ولو كنتم
فى بروج حصون مشيدة مرفوعة مستحكمة لا يصل اليها القاتل الانسانى لكنها
لا تمنع القاتل الالهى وان انكرتموه اذ لا تنسبون اليه الشرور وانما تنسبون
اليه الخير وذلك لانهم ان تصبهم حسنة كخصب يقولوا هذه من عند الله اى
من قبله وان تصبهم سيئة كقحط يقولوا هذه من عندك بشومك قالت اليهود
منذ دخل المدينة نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا قل كل من الحسنة والسيئة من
عند الله ايجادا اذ الاله واحد فيجب ان يتحد فاعل الخير والشر وقد علموا

اى صح

متقدم

ذلك فما لِ هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم مؤمنون بوحدة الصانع لا يكادون
يفقهون حديثا ينطقونه فلا يعلمون ما فيه من نقض الاقرار بوحدة الصانع و
لو زعموا انما نظر في الاسباب نقول ما اصابك من حسنة فمن الله ابتداءً
اذ الطاعات لا تكافي نعم الوجود فكيف تقتضي الزيادة وما اصابك من سيئة
فمن شؤم معاصي نفسك لا من شؤم معاصي الغير اذ هو خلاف مقتضى العدل
الالهي ولو اثر شؤم احد في غيره فمن اين تتصور لك الشؤم وقد ارسلناك
نافعا للناس اذ جعلناك رسولا داعيا في العموم الى الخيرات فانت
منشأ كل خير ورحمة وان انكروا رسالتك وزعموا ان السيئة من شؤم
افترائك على الله كفى بالله شهيدا بصدقك اذ صدقك باظهار المعجزات
على يديك واذا ثبتت رسالتك فاليمن في طاعتك والشؤم في مخالفتك
لان من يطع الرسول فقد اطاع الله واطاعة الله لليمن ومن تولى كان
لرمي الشؤمية ما لا تقدر على دفعها فانت وان ارسلت لعموم الرحمة فما ارسلناك
عليهم حفيظا عن المعاصي المستلزمة للشؤم ويقولون اي المنافقون لدفع
شؤمهم من هذا الوجه الحاصل منا طاعة وهم انما يقولونه اذا كانوا عندك
فاذا برزوا خرجوا من عندك بيّت اي فعلت على اخفاء منك طائفة منهم
غير الذي تقول ولا تقتصر على مخالفة القول بالقول او باضمار الخلاف والله
يكتب يثبت ما يبيتون ليؤثر شؤمها فيهم واذا نسب الله اليهم الشؤم وينسبونه
اليك فاعرض عنهم فلا تبال لنسبتهم وتوكل في دفعها على الله لئلا يتهمك
بها في قلوب الخلائق وكفى بالله وكيلا في دفعها وان بالغوا في اشاعتها
اينكرون نبوتك وينسبون اليك الافتراء على المستلزم للشؤم فلا يتدبرون
القرآن ليعرفوا اعجازه الذي لا دخل للسحر فيه من موافقته للعلوم واشتماله
على فوائدها وكمال حججه وبلاغته العليا وموافقة احكامه للحكمة واخباره الماضية
لكتب الاولين والمستقبلة للواقع ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

صح

كثيرا من مخالفة العلوم الكثيرة ومخالفة فوائدها لها والتناقض فيها وبلوغ
بعض حججه حد التمام دون البعض وموافقة بعض احكامه للحكمة دون البعض
وبعض اخباره الماضية لكتب الاولين دون البعض وبعض اخباره المستقبلة
للواقع دون البعض ولو وجدوا فيه اختلافا لافشوه لما علم من عادتهم
انهم اذا جاءهم من سرايا الرسول امر من الامن او الخوف تحدثوا به حتى
اذاعوا به اي افشوه وكان مفسدة لهم ولو ردوه الى راي الرسول والى
كبار الصحابة اولي الامر منهم لعلمه اي التدبير فيه المجتهدون الذين يستنبطونه
منهم اي يستخرجونه استخراج النبط وهو الماء من البئر فلو وجدوا في القرآن ما
يوهم الاختلاف لوجب عليهم استفسار الرسول والعلماء الذين هم اولوا
الامر ليعلمه المجتهدون في استنباط وجوه التوفيق ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بارسال الرسول وخلق اولي الامر المستنبطين للتدابير ووجوه
التوفيق لاتبعتم الشيطان من عجزكم مع كثرة المخالفين وحيرتكم في مواضع توهم
الاختلاف الا قليلا فيتحملون اذيات الكفار ويفوضون في مواضع التوهم
الامر الى الله ولم ياخذوا بالاوهام الفاسدة واذا عجزوا عن معارضة القرآن
بما يلزمهم من كثرة الاختلاف ولم يظهر عجزهم عن القتال مع ان في تركه متابعة
الاكثرين للشيطان فقاتل في سبيل الله وان لم يساعدك احد اذ لا تكلف الا
نفسك ولكن حرض المؤمنين رغبهم فاحملهم على القتال عسى الله ان يعجزهم
كما اعجزهم بالقرآن بان يكف يمنع عن التاثير باس شدة الذين كفروا مع نفاستهم
في انفسها ولو بقي لها اثر في انفسها لم يبق مع باس الله اذ الله اشد باسا
صولة ولا يبعد ان تشتد باسه عليهم وقد استحقوا اشد العذاب ومن اشد
تنكيلا تعذيبا ثم اشار الى ان التحريض على القتال شفاعة في تكفير الكبائر ورفع
الدرجات فقال من يشفع شفاعة حسنة كحمل المؤمن على قتال الكفار يكن له
نصيب منها اذ يحصل له مثل اجر المجاهد ومن يشفع شفاعة سيئة كحمل الكفار على

الكفرة خ

فسألة المؤمنين يكن له كفل منها اى يحصل له مثل وزر من عمل بها وكان الله
على كل شيء مقيتا معطيا قوت كل واحد من العامل والحامل على العمل
من الاجر او الوزر من غير ان ينقص من اجر صاحبه او وزره شيئا ثم
اشار الى انه كما يكون للشفيع نصيب من شفاعته يكون للمحيي نصيب من تحيته
لانه يتوسل بها الى المودة كالشفيع لنفسه فقال واذا حييتم اى اذا سلّم
عليكم فدعى لسلامة حياتكم وصفاتكم التي بها كمال الحيوة بتحية فقيل السلام
عليكم فحيوا باحسن منها بان تقولوا وعليك السلام ورحمة الله ولو قال
بها المسلم زيد بركاته او ردوها فقولوا مثل ما قال اداء لحقه فانه محسوب
عليكم لو لم تردوه وان زدتم حوسب في اجركم ان الله كان ناظرا على كل
شيء حسيبا معطيا للجزاء بحسب الحقوق والزيادات اذ تقتضيه كمال
جوده لكمال ذاته وصفاته لانه الله الجامع للكمالات بحيث لا يشاركه فيها
اذ لا اله الا هو وكماله تقتضي تكميل الاشياء بظهوره فيها ولا يتم الا بظهور
جمعيته ولا تظهر الا يوم القيمة لغاية سعته دون الدنيا لضيقها لكن القيمة مرتبة
على الدنيا والبرزخ فوالله ليجمعنكم في الدنيا والبرزخ الى يوم القيمة المقتضي
لظهور جمعيته لذلك لا ريب فيه وهو وان لم ينته الى حد الايجاب وجب
اخبار الله عنه لانه ومن اصدق من الله حديثا لانه عبارة كلامه الذاتي
لا دخل للكذب فيه لانه نقص وعجز وان دلت الدلائل على صدقه فكذبه
ممكن اذا لم ينظر اليها ولما كان الامر الاخروي مرتبا على الدنيا لم يخل عن
مظهر كامل كالرسول والولي واكمل مظاهره اكمل الرسل واكمل الامم في المظهرية
امته فحقكم ان تكونوا اعلم من في الارض لانكم شهداء الله في ارضه فما عرض
لكم اذ افترقتم في حق المنافقين فئتين وكان حقكم الاجتماع على نفاقهم اذ
الله اركسهم ردهم الى الكفر منكوسين بما كسبوا من لحوقهم بالكفار وهم الذين
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة

فلم يزالوا يخلون مرحلة بعد اخرى حتى لحقوا المشركين اتريدون بالقول
على الاسلام ان تهدوا من اضل الله ولو فرض انكم تهدون على خلاف
مراده لم يكن لكم سبيل الى هدايتهم لانه من يضلل الله مع كمال جوده فلن تجد له
سبيلا الى الهداية والا لوجده الله فهداه بمقتضى كمال جوده وكيف يكون لهم
اليها سبيل وقد ارادوا عموم الضلالة لانهم ودوا لو تكفرون احق كفرهم
كما كفروا اي مثل كفرهم بعد الايمان فتكونون سواء لا تعارضون ولا تقاتلون
واذا كانوا يودون كفركم فلا تتخذوا منهم اولياء لئلا يفضي الى كفركم وان
اظهروا لكم الايمان طلبا لموالاتكم حتى يهاجروا من دار الكفر في سبيل الله
لا في سبيل الشيطان لقتال المسلمين فان تولوا عن الهجرة فهم وان اظهروا
لكم الاسلام مع قدرتهم على الهجرة فافعلوا بهم ما تفعلون بالكفار لانه زال
عنهم حكم النفاق بلحوق دار الكفر فخذوهم اى اسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
في دار الكفر او خارجين عنها لا للهجرة الى دار الاسلام ولا تتخذوا منهم وليا
وان اظهروا لكم موالاتهم ولا نصيرا وان زعموا انهم يدفعون عنكم الكفار ثم
استثنى عن اسر المرتدين وقتلهم بقوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق عهد بهدنة او امان لئلا يفضي الى قتال من وصلوا اليهم فيفضي الى نقض
الميثاق كخزاعة واسلم وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر
الاسلمي وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه
فله من الجوار مثل ماله او يصلون الى قوم لا عهد لهم ولكن جاؤكم تاركين للقتال
مع قومهم عليه لانه حصرت ضاقت صدورهم لرؤيتهم عجزهم عن ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم من اجلكم وهم بنو مدلج فمنع من قتال من وصل اليهم لانه
يفضي الى قتالهم المظهر لقوتهم الخفية وذلك لكونهم اقوياء في انفسهم بحيث
لو شاء الله لسلطهم عليكم ولو شاء لقاتلوكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم بعد لحوق
المرتدين بهم وتقويتهم لهم فلم يقاتلوكم وان ظهرت لهم بعض القوة ولم يعتنى

متقاتلا بل القوا اليكم السلم الانقياد الذي كانوا عليه قبل ظهور القوة لهم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا في الاسر والقتل اذ لا ضرر منهم في الاسلام لا في
الحال ولا في الاستقبال وقتالهم نظر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر
في الاستقبال وقتالهم بظهر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر في الاستقبال
المشار اليهم بقوله ستجدون اقواما آخرين هم اسد وغطفان وبنو عبد الدار
يريدون باظهار الاسلام لكم ان يامنوكم على انفسهم وباظهار الكفران يامنوا
قومهم وليس اظهارهم الكفر لمحض التقية بل انما يظهرون الاسلام لذلك لانهم
كلما ردوا الى الفتنة الارتداد اركسوا اي ردوا منكوسين فيها كان الرجل
منهم يقول له قومه بماذا اسلمت فيقول آمنت بهذا العقرب والخنفساء فان
لم يعتزلوكم لم يتركوا الطعن فيكم فيهم وان يلقوا اليكم السلم الانقياد فزعموا
انا على دينكم ويكفوا ايديهم عنكم فلم يقاتلوكم فخذوهم اي ايسروهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم وجدتموهم في داركم او دارهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حجة واضحة من جهة طعنهم فلا يعبأ بدعوتهم الاسلام ولا بالقاء الصلح
ولا بكف الايدي لان الطعن ضرر ناجز وانقيادهم لمحض العجز فيتوقع منهم
الضرر في المستقبل اذا تقووا ثم اشار الى ان المؤمن لا يجوز قتله الا ظهور
الحجة عليه من الطعن او اللحوق بدار الحرب مع القدرة على الهجرة ولولا ذلك
ما كان يصح لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا قتلا خطأ وهو ما لا يضامه القصد الى الفعل
او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم
في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يفعل غير المكلف ومن قتل مؤمنا خطأ باحد
هذه الوجوه فهو وان عفي عنه لكنه لا يخلو عن تقصير في حق الله ولا يهدر دم المؤمن
بالكلية فتحرير رقبة مؤمنة اي فالواجب عليه طلق الله اعتاق نفس محكوم عليها بالاسلام
ولو صغيرة ليعتق الله عنها بكل جزء منها جزءا منه من النار وحق ورثته دية مسلمة
مؤداة الى اهله اي ورثته يقتسمونها اقتسام الميراث تجب على عاقلة القاتل

وهم عصبته غير الاصول والفروع لانه لما عفي عن القاتل فلا وجه للاخذ منه
واصوله وفروعه اجزاؤه فالاخذ منهم اخذ منه ولا وجه لاهدار دم المؤمن
فتوخذ من عاقلته الذين يرثونه باقوى الجهات وهي العصبية لان الغرم
بالغنم فان لم يكن له عاقلة او كانوا فقراء فعلى بيت المال فان لم يكن ففي مال القاتل
الا ان يصدقوا اي يعفو الورثة هذا اذا كانت الورثة مسلمين فان كان المقتول
خطأ من قوم عدو لكم اي محاربين وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة لحق الله و
ان لم يكن هدر الدم دية ساقطة اذ لا حق للحربي وان كان المقتول خطأ
من قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق عهد من هدنة او امان فدية مسلمة الى اهله
اذ هم كالمسلمين في الحقوق بل يتقدم حقهم على حق الله لذلك اخر قوله وتحرير رقبة
مؤمنة فمن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين بحيث
لو صام تسعة وخمسين وتعمد بافطار يوم استانف الجميع لان الخطأ انما نشأ
من كدورة النفس وهذا القدر يزيلها فيفيد التزكية وكانت توبة من الله ماحية
لاثر خطائه بالكلية وكان الله عليما بمقدار كدورة هذا الخطأ العظيم حكيما
في دواء ازالتها واذا كان للخطأ هذه الكدورة مع العفو عنه فاين كدورة
العمد ومن يقتل مؤمنا متعمدا بفعل يقتل غالبا قصده والشخص فجزاؤه ليس
ما ذكر ولا شيء آخر من شدائد الدنيا بل جهنم لا مدة يسيرة بل طويلة تحبث تعالى مجازا
انه كان خالدا فيها كيف وقد غضب الله عليه اذ قتل وليه عمدا واثر غضبه اللعنة
لذلك لعنه ابعده عن الرحمة فلا يكاد يصل اليها الا بعد مدة طويلة جدا ولم يقتصر
في حقه على جميع ذلك بل اعد له وراء ذلك عذابا عظيما فوق عذاب سائر الكبائر
سوى الشرك وللاحتراز عن قتل المسلم عمدا لا تقتل كل من توهم فيه الكفر كما قال
يا ايها الذين آمنوا ليس مقتضى ايمانكم قتل من توهمتم كفره بمجرد كونه في دار الكفر
من غير لحوق بهم بعد الايمان ولا طعن في الدين لذلك اذا ضربتم ذهبتم في سبيل
الله للغزو في ارض العدو فتبينوا حال من تقاتلونه فمن تحققتم كفره فقاتلوه ومن

تصحيح ايمانه فان كونه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اى الانقياد لدعوتكم فقال لا اله
الا الله او سلم عليكم بتحية الاسلام لست مؤمنا فى الباطن وانما قلته باللسان
لطلب الامان تبتغون تطلبون بقتاله عرض الحيوة الدنيا اى ماله الذى هو سريع النفاد
مع انه لا اضطرار لكم اليه فعند الله لكم مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله مع عدم
اطلاعكم على البواطن ولو جوز قتله لكنتم جائزى القتل اول ما دخلتم فى الاسلام
اذ كذلك كنتم لا يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم من قبل اى من قبل ظهور علامات
اخلاصكم فمن الله عليكم بحقن دمائكم واموالكم فافعلوا بالداخلين فى الاسلام
مثل ما فعل الله بكم فتبينوا حاله بالتوقف الى ظهور علامة الكفر عليه بالرجوع اليهم
او الطعن فى دينكم ان الله كان بما تعملون خبيرا هل تعملونه للاسلام او لاجل المال
روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا فبقى مرداس
ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجاها لغنمه الى عاقول من الجبل وصعد ولما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
بن زيد واستاق غنمه فنزلت وفيه دليل على ان المجتهد يخطئ وان خطاءه معفو عنه
ثم اشار الى ان وجوب الاحتياط لا ينتهى الى ترجيح ترك الجهاد فقال لا يستوى
القاعدون عن الجهاد من المؤمنين غير اولى الضرر كالعمى والعرج والفقر فانهم
اذا قصدوا الجهاد على تقدير السلامة ساووا المجاهدين بالنية ولا يعتد بزيادة
اجر العمل لهم لعظم امر النية والمجاهدون فى سبيل الله لا فى سبيل الشيطان ولا رياء
وطمعا فى الغنائم باموالهم التى ينفقونها على انفسهم فى الجهاد وعلى مجاهد آخر
وانفسهم وان انفق عليهم غيرهم اذا لم يكن عندهم مال وليس نفى التسوية لتفضيل
القاعدين لاحتياطهم بل لانه فضل الله المجاهدين لانهم رجحوا اجابته باموالهم
وانفسهم التى هى اعز عليهم من كل شئ على القاعدين غير اولى الضرر درجة فى
القرب ممن رجحوا اجابته ولكن كلا وعد الله الحسنى الجنة ولكن ليس فيها بالسوية
اذ فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما فوق اجر الايمان وسائر الاعمال

حال كونه درجات منه من منازل الجنة اشير اليها بقوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا مخمصة الى قوله كتب لهم ومغفرة لذنوبهم كلها غير حقوق المسلمين
ورحمة فوق الاجر ودرجاته بل درجة القرب المستحقة للجهاد كيف وكان الله
غفورا رحيما لمن لم يجاهد فى سبيله بماله ونفسه فكيف لا يغفر للمجاهد بهما ولا
يرحمه ولما اوهم ما فهم مما تقدم من تساوى القاعدين اولى الضرر والمجاهدين
ان من قعد عن الجهاد لكونه فى دار الكفر محسوب منهم وان عجز عن اظهار دينه
فان لم يحسب فلا اقل من ان يحسب من القاعدين غير اولى الضرر الموعود
لهم الحسنى ازيل ذلك الوهم بانهم بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم
مع امكان الخروج عنه صاروا ظالمين مستحقين لتوبيخ الملائكة بل لعذاب جهنم
فقال ان الذين توفيهم الملائكة ظالمى انفسهم بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه
اظهار دينهم مع القدرة عليها قالوا فيم كنتم اى فى اى شئ من امر دينكم كنتم
قالوا كنا عاجزين عن اظهار الدين اذ كنا مستضعفين فى الارض ارض
الاعداء قالوا لم يلجئكم الاعداء الى مساكنة ديارهم الم تكن ارض الله التى يمكن
فيها اظهار دينه واسعة فتهاجروا من مكان الاستضعاف للسكون فيها فاذا
اختاروا مكان الاستضعاف فاولئك مأويهم جهنم لانهم الذين ضعفوا انفسهم
وساءت مصيرا بدل المصير الى دار الهجرة فهى واجبة على كل من لا يمكنه اظهار
الدين بمكان الى مكان يمكنه فيه الا المستضعفين من الرجال لعمى او عرج او مرض
او فقر والنساء والولدان فانهم معذورون فى تركها لانهم لا يستطيعون حيلة
فى الخروج ولا يهتدون سبيلا لا يعرفون طريق الهجرة فاولئك عسى الله ان
يعفو عنهم فيه اشعار بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر حقه ان يترصد
الفرصة وتعلق بها قلبه وان الصبى اذا قدر فلا محيص له عنه وان قوامهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم ثم اكد الاطماع لئلا ييأسوا فقال وكان الله عفوا غفورا ثم
اشار الى انه ليس فى حكم الاستضعاف خوف عدم الادراك فى الطريق او الوصول

الى مكان العدو او ضيق الرزق في المهاجر اليه او بطلان الاجر بالموت في
طريق الشيطان ليس بموعود بهذه الاشياء في الارض مراغما طريقا يراغم فيه انوف
اعدائه القاصدين ادراكه لانه ليس واحدا بل كثيرا وسعة من الرزق ومن يخرج
من بيته بخلاف من نوى الهجرة ولم يخرج مهاجرا متجردا للهجرة الى الله الى مكان
امر الله به ورسوله مكان رسوله ثم يدركه الموت في الطريق فلا يخاف فوات اجره
وغفران ذنبه فقد وقع ثبت اجره الكامل لانه نوى مع الشروع في العمل ولا تقصير
منه في عدم اتمامه فكانه وجب على الله وغفر ذنبه ورحم غفران الوصل الى دار الهجرة
ورحمه اذ كان الله غفورا رحيما قيل لما سمع جندب بن ضمرة الآية وهو شيخ كبير مريض
قال ما انا ممن استثناه الله لاني اجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة والبعد
منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على السرير حتى اتوا به التنعيم
فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع به رسولك ثم مات فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وافى المدينة
لكان اتم واوفى اجرا وقال المشركون ما ادرك ما طلب فانزل الله هذه الآية ثم اشار
الى ان من السعة في حق المهاجرين بل في حق كل مسافر قصر الصلوة فقال واذا ضربتم
سرتم ممتدين السير في الارض مسافة الذهاب مرحلتين فليس عليكم جناح اثم في ان تقصروا
تنقصوا شيئا من ركعات الصلوة ركعتين من الرباعية ان خفتم من اتمامها ان
يفتنكم يغتالكم الذين كفروا الا انهم وان رعوا حرمة حرم مكة والاشهر الحرم لا يراعون
حرمة الصلوة لعداوتكم ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا فاصل القصر مشروط بهذا
الخوف ثم اسقط هذا الشرط واعتبر مشقة السفر لما روى مسلم عن يعلى بن امية قلت لعمر بن
الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد
امن الناس فقال عجبت مما عجبت فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته اي رخصته ثم ذكر سائر تخفيفات الصلوة
لخوف العدو فقال واذا كنت ايها الكامل الذي تتهم فيه انه لا ياخذ بالتخفيفات فيهم



في جمع العدو فاقمت لهم اي لاصحابك الذين يحتاجون الى التخفيفات الصلوة بالجماعة
التي لو فوا اجرها تحمل مشاقها ولا تخاف من النقائص معها فلتقم في الركعة الاولى
طائفة منهم معك ويكون الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم التي لا تشغلهم
عن الصلوة ولا تؤذي الجار لانه اقرب الى الاحتياط فاذا سجدوا سجدتي
الركعة الاولى فارقوك واتموا صلوتهم وتقوم الى الثانية منتظرا فاذا فرغوا فليكونوا
يحرسونكم من ورائكم واذا احرست الاولى لتأت طائفة اخرى وهم الذين لم يصلوا
ركعتهم الاولى معك وانت في الثانية فاذا جلست منتظرا قاموا الى ثانيتهم واتموها
ثم جلسوا ليسلموا معك وليأخذوا ايضا في الثانية حذرهم تيقظهم لان العدو
يتوهمون في الاولى كون المسلمين قائمين في الحرب فاذا قاموا الى الثانية ظهر لهم
انهم في الصلوة وجعله كالآلة فامر بأخذه وعطف عليه واسلحتهم ود اي تمنى
الذين كفروا لو تغفلون منكم غرة اذ تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم اي حوائجكم
التي بها بلاغكم فيميلون اي يشدون عليكم ميلة واحدة فيقتلونكم روي ان
المشركين لما رأوا المسلمين يصلون ندموا الا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم
فان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وامهاتهم اي العصر فاذا قاموا
اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلم بالآية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر يثقل معه حمل السلاح او كنتم مرضى يثقل عليكم حمله ان تضعوا اسلحتكم
ولكن خذوا حذركم لئلا يهجم عليكم العدو وان كان المتوكل على الله لا يبالي
بهم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فلا بعد ان يهينهم بنصر اعدائهم عليهم من
غير حمل السلاح فاذا قضيتم اتممتم الصلوة صلوة الخوف فاذكروا الله جبرا
لنقائصها استحبابا والاولى على هيئة الصلوة قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا
اطمأننتم سكنت قلوبكم بالامن ولو في اثناء هذه الصلوة فاقيموا الصلوة كاملة
وانما ابيح فيها النقص مع الخوف رعاية لاوقاتها ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا اي واجبة في اوقاتها لا يجوز اخراجها عنها وان لزمها

فليصلوا ركعتهم الاولى معك صح

تقابض في رعايتها ولا تهنوا لا تضعفوا ومن شغلكم بالصلوة في ابتغاء القوم اي
طلب الكفار بالقتال مخافة كثرة الافعال اذ رخص لكم فيها ولا عذر من جهتها
فلو اعتذر ثم فانما هو من جهة تالمكم لكن ان تكونوا تالمون فلا ينبغي ان توهنكم
كالم يوهنهم فانهم يالمون لا دون تالمكم بل كما تالمون على انه لا تخفف لالمهم والمكم
مخفف اذ ترجون من الله من التقرب منه واستحقاق الدرجات من جنابه
واظهار دينه ما لا يرجون وكان الله عليما بانكم لا تضعفون معهم ان تصبرتم حكيما
في امركم بترك الوهن معهم ثم امر بترك الوهن في الانتصاف من الظالم للمظلوم
فقال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بطريق التسوية بينهم ولم
يكلفك اطلاع على الواقع بل بما اراك الله وان لم تفعل فلا تعكس ولا تكن للخائنين
اي للذب عنهم خصيما مع البرآء وان هممت به استغفر الله لان همك بالمعصية معصية
ان الله كان غفورا رحيما روي ان طعمة بن ابيرق سرق درع جاره قتادة بن النعمان
وكانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى داره ثم خبأها
عند زيد بن السمين اليهودي والتمست الدرع من طعمة فحلف بالله ما له بها من علم فقال
اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال دفعها
الي طعمة فجاء قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فانزل الله تبع الآية ثم قال
ولا تجادل اعتمادا على غفران الله ورحمته عن الذين يختانون يتعمدون الخيانة
فيظلمون انفسهم للستر عليهم لان الله لا يريد سترهم ان الله لا يحب من كان
خوانا مبالغا في الخيانة بالتعمد اثيما بالحلف الكاذب ورمي البريء يستخفون يستترون
بها من الناس الذين لا نسبة لهم الى عظمة الله ولا يستخفون من الله فلا
يستحيون منه مع جلالة قدره ولا يمكنهم الاستتار منه اذ هو معهم بعلمه اذ يبيتون
يدبرون ما لا يرضى من القول الكاذب ورمي البريء وشهادة الزور وكان
الله بما تعملون محيطا فيمكنه ان يفضحكم بظواهركم وبواطنكم بين الخلق الذين كنتم تستخفون

من اقل قليل منهم ها انتم هؤلاء اي تنبهوا ايها المشار اليهم بالاشارة القريبة بان سترهم
عليهم لا يمنع من فضيحة الله اياهم لان غايتكم انكم جادلتم عنهم للستر عليهم فانما تكون سائرة
في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم ليدفع فضيحته بمقتضى علمه المحيط الذي يظهر به
يوم القيمة بين الاولين والآخرين ايكون هناك من يستر عليهم ام يكون عليهم وكيلا
يدفع عنهم ثم اشار الى ان المعاصي لا تستر بالمجادلة بل بالاستغفار فقال ومن يعمل
سوءا معصية يسوء بها غيره او يظلم نفسه يخصها ثم يستغفر الله بطلب سترها من
الله يجد الله غفورا مبالغا في الستر رحيما بالمحو ثم اشار الى ان المجادلة لو سترت
فلا ستر اذا رمي بها بريئا عنها فقال ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فيجوز ان يستره
الله عليه ولو بالمجادلة وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة سهوا او اثما عمدا
ثم يرم به بريئا فلا يليق بعدل الله تعالى ستره فقد احتمل بهتانا على صاحبه واثما صار
خطيئته به عمدا فلا بد في مقتضى العدل الالهي ان يكون مبينا لحاله ولو في النعمة
ولولا فضل الله عليك بالهداية الكاملة ورحمته بالعصمة التامة لهمت طائفة منهم
ان يضلوك اي لضللت اذا قصدت قصدا كليا طائفة عظيمة ممن يدعي محبتك
ان يضلوك برمي البريء والمجادلة عن الخائن وما يضلون بهذا الهم الا انفسهم
باعتقادهم انهم يتمكنون من اضلالك مع ما عليك من الفضل والرحمة وكيف
يضرونك بمثل هذه الكبائر وما يضرونك من تحصيل شيء لكن من الصغائر كيف
وقد انزل الله عليك لارشاد الخلائق الى يوم القيمة الكتاب والحكمة العلم
الظاهر والاسرار الباطنة وعلمك من المغيبات ما لم تكن تعلم بالاكتساب ولا
بالمجاهدة وذلك لانه كان فضل الله عليك عظيما اذ جعل رسالتك ونبوتك وولايتك
فوق ما للغير فكيف يتمكنون من اغوائك بمثل هذه الامور الشنيعة ثم اشار الى ان
منشا اجتماعهم على هم اضلالك انما كان نجويهم فقال لا خير في كثير من نجويهم بل في
شيء منها الا في نجوى من امر بخفية عن الحاضرين بصدقة لتعظيمها بستر
عار المتصدق عليه او معروف لئلا يانف المأمور عن قبوله لو جهر به او اصلاح

بين الناس بما لو ظهر او لا دبما لم يتم قيل في الحصر الخير اما جسماني وهو في
الامر بالصدقة او روحاني وهو في الامر بالمعروف واما دفع وهو في الاصلاح
ويمكن ان يقال الخير اما نفع متعد من المأمور وهو الصدقة او لازم له وهو
المعروف او دفع ضرر لازم او متعد وهو الاصلاح وانما يتم خيرها لو ابتغى بها رضى
الله تعالى فان ومن يفعل ذلك ابتغاء طلب مرضات الله وجه رضوانه
فسوف نؤتيه اجرا عظيما يساوي اجر الفاعل او فوقه وكيف لا يعظم وهو يقابل
عذاب مشاقة الله التي اوعد على ما دونها بغاية الشدة وهي مشاقة الرسول
بل مخالفة المؤمنين فقيل ومن يشاقق الرسول اي يصير في شق ويجعله في آخر
من بعد ما تبين له الهدى في شق الرسول دون ما اختاره وكذا من يتبع غير سبيل
المؤمنين الذين اجمعوا عليه نوله نجعله واليا مرجحا ما تولى من المشاقة ومتابعة
غير سبيلهم فنزينه عليه تزيين الكفر على الكفرة ليكون دليلا على شدة العقوبة في
الآخرة ونصله جهنم تطبيقا للدليل على المدلول وساءت مصيرا وان توهم
المزين له انه يحسن مصيره وفي الآية دليل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
الوعيد الشديد على مشاقة الرسول ومخالفة الاجماع فهو اما لحرمة احدهما وهو باطل
اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد اذ لا دخل لاكل الخبز
فيه او بحرمة الجمع بينهما وهو ايضا باطل لان مشاقة الرسول حرام وان لم ينضم اليها
غيرها او لحرمة كل واحد منهما وهو المطلوب ثم اشار الى ان وعيد مشاقة الرسول
جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو مستلزم للشرك
بالله اذ خلق المعجزات لا يكون الا لكامل القدرة ولا يكون الا الاله فاذا نفاها
عن الله فقد اثبت له شريكا ان الله لا يغفر ان يشرك به ومخالفة الاجماع يجوز ان
يكون مغفورة لانه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اذ لا ينتهي الى الشرك وكيف
يغفر ان يشرك به وهو اعظم وجوه الضلال فان ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
فترك جزائه يستلزم التسوية بينه وبين الهداية الكاملة وكيف لا يكون ضلالا بعيدا

مع انهم ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا اما لفظا كصور الاسماء
الالهية او الملائكة او الجنة او مشايخهم وهي مؤنثة لفظا واما معنى لان معبوداتهم
منفعلة عن الله تعالى لحدوثها ثم ان الملائكة وارواح مشايخهم لا تتعلق بتلك
الصور ولا يظهر بها الاسماء الالهية ظهورا كاملا وانما تتعلق بها الشياطين وتظهر
لهم وان يدعون الا شيطانا يتكلم بالسرية معهم ويتراءى لهم ولا يتقرب بعبادته
الى الله لكونه مريدا اي خارجا عن طاعته بحيث لعنه الله ابعده عن رحمته فاراد
ابعاد من ابعد بسببه وقال حين ابعد لاتخذن من عبادك الذين ابعدني
بسببهم نصيبا مفروضا مقدرا من عبادتهم بان يعبدوا غيرك او يراؤوا فيها او
يعجبوا بها او يتلفوها في المظالم او يحبطوها بالكفر بعدها ولاضلنهم بايهام ان في
عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره فما يعبد فيها غيره ولامنينهم بنيل
الاجر منك على عبادة الاصنام او بانكار البعث والجزاء او بانه يحصل لهم احسن
وجوه الجزاء او بطول بقائهم في الدنيا ليؤثروها على الآخرة وبالحث على المعاصي
وتسويف التوبة ولآمرنهم على خلاف امرك اضلالا لهم بانه امرك وايقاعا لهم
في امنية الثواب عليه فليبتكن فليشقن آذان الانعام البحائر والسوائب ليحرموها
بعد ما احللتها لهم ولآمرنهم بتغيير مقتضى العقل الذي فطر الله عليه الخلق وبتغيير
ظاهر الخلقة بالوشم والوصل والخصي وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال
فليغيرن خلق الله باحد من الوجوه التي فيها سوالاتي ومن يتخذ الشيطان وليا
بان يتابع ما يدعو اليه من دون الله اي مجاوزا ولايته بترك ما يدعو اليه فقد خسر خسرانا
مبينا اذ لم يجد ما وعد ولا ما وعد الشيطان لان غاية امر الشيطان انه يعدهم
وعدا ليس بيده ولكنه يمنيهم انهم ينالونه من الله وانما ينالونه لو صدق وما
يعدهم الشيطان الا غرورا ايهام نفع مما ليس فيه سوى الضرر اولئك البعداء عن
عن وعد الله مأواهم جهنم بوعيده ووعيده وان كان قد يتخلف في حق غيرهم فهم لا
يجدون عنها محيصا معدلا وكيف لا يكون خسرانهم مبينا وقد خسروا الجنة الموعودة

للمؤمنين العاملين للصالحات اذ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
وكفى بقوا بها اخرانا لو لم يجر من تحتها الانهار لكنها تجري من تحتها الانهار وايضا لو لم تأبد
ولكنها تأبد اذ يكونون خالدين فيها وليس كوعد الشيطان الذي هو غرور بل وعد الله
حقا وكيف لا يكون وعده حقا ومن اصدق من الله قيلا لانه دال على المعنى النفسي
الذي لا يتصور فيه نقيصة الكذب واذا صدق وعد الله صح انه ليس الامر بامانيكم
ايها المشركون لانه لا جنة ولا نار فان كنا كنا احسن حالا ولا اماني اهل الكتاب
انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وانه لن تمسنا النار الا اياما
معدودة اذ ليس في كتبهم ذلك بل الذي فيها من يعمل سوءا يجز به وقد حرفوا كتاب الله
وغيره وانعت رسوله وكذبوا باياته ولا يجد له من دون الله من الانبياء والاولياء
وليا يشفع درجة فيرفع عنه السوء ولا نصيرا يدفع عنه السوء ومن يعمل من الصالحات
وان لم يستوعبها من ذكر او انثى اي كاملا او ناقصا وهو مؤمن بجميع الكتب والرسل
فاولئك لعلو رتبتهم بالايمان الصحيح وبعض الاعمال الصالحة يدخلون الجنة المناسبة
لعلوهم وان لم يكونوا هودا او نصارى ولا يظلمون لا ينقصون نقيرا مقدار نقرة
ظهر النواة فضلا عن ابطال الاجر بالكلية ولو قالوا كيف لا ينقص اجركم عن اجرنا
وديننا سابق وكذا نبينا رد عليهم بانه لا فضل للسبق بل للحسن ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله فانقاد لجميع اوامره واياته وهو محسن ناظر الى الله
لا الى دين سبق اليه بامره ولو اعتبرتم سبق دينكم فدين ابراهيم اسبق والمسلم قد اتبع
ملة ابراهيم حنيفا مائلا عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة التي لكم وقد اشتهر بالفضل
اذ اتخذ الله ابراهيم خليلا لانه تحلت صفاته بصفاته التي ناسبها مناسبة تامة بقدر
الطاقة البشرية والدين المحمدية اشتمل على ملته وزيادات شريفة ولا باس بنسخها
بعض الاحكام اذ لله ما في السموات وما في الارض فله ان يتصرف فيها بما شاء وكونه
داعي مصالح اهل كل عصر وان لم يدركوها اذ كان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك
في النساء كيف نورثهن مع انا قد نشأنا لم نورث الا من شهد القتال وحاز الغنيمة

وقد ورثوا من ملة ابراهيم فكيف نخالفها قل الله يفتيكم فيهن في صحف ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام ويفتيكم ايضا ما يتلى عليكم من الله في الكتاب في يتامى النساء اللاتي
من احوج الى المال من الرجال وان كنتم لا تؤتونهن بالنظر الى حاجتهن ولا الى ما كتب
لهن ولا تراعون في ذلك مصالحكم اذ ترغبون في ان تنكحوهن لتاكلوا اموالهن
ويفتيكم ايضا في المستضعفين من الولدان الذين هم احوج الى المال لعجزهم عن الاكتساب
اذ تمنعون حقوقهم لعدم شهودهم القتال ويفتيكم ان عليكم ان تقوموا لليتامى
من النساء والولدان بالقسط فلا تجعلوا حظهم دون حظ الكبار وما تفعلوا
من خير سيما في حق الضعفاء من حفظ اموالهم والقيام بتدبيرهم فان الله كان
به عليما يفعل بكم خيرا مما فعلتم بهم وان امرأة اي وان خافت امرأة مخالفتكم
امر الله بابقاء حقوقها بان خافت من بعلها زوجها نشوزا تجافيا عنها ومنعا
لحقوقها او اعراضا تطليقا فلا جناح لا اثم عليهما وان اعانة على مخالفة امر الله
ان يصلحا بما يجمع بينهما صلحا بحط شيء من المهر او النفقة او هبة شيء من مالها او
قسمها وكيف يكون عليهما جناح والصلح خير من الفرقة التي يلتزمها تحرزا عن حقوقها
ومن الخصومة وسوء العشرة وانما صار خيرا مع كرهها ومخالفته لامر الله لانه
احضرت الانفس الشح فلا يكاد المرأة تسمح بالنشوز والاعراض ولا الرجل
في امساكها مع القيام بحقوقها وان تحسنوا وان رخص لكم فيه لكن ان تحسنوا العشرة
وتتقوا مخالفة امر الله فان الله كان بما تعملون من تحمل المشاق من اجله فيعظم اجركم
وانما رخص في الصلح بعدما امر بالقسط لما علم انكم لن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء بحيث لا يقع ميل الى احدهن يدعو الى منع حقوق الاخرى ولو حرصتم
بالغتم لان الميل يقع بلا اختيار في القلب لكنكم مختارون في تنفيذه فلا تميلوا عن
امرأة كل الميل فتتركوا المستطاع من القسط فتذروها تتركوها كالمعلقة بين
السماء والارض لا تكون في احدى الجهتين لا ذات بعل ولا مطلقة وان تصلحوا
نفوسكم بمنعها ما تميل اليه ولا اقل من ان تتقوا نقص شيء من حقوقها مع عدم الميل

فان الله كان غفورا لمبلكم رحيما باتابتكم وان يتفرقا اختارا الفرقة يغن الله
كلا من الزوج والزوجة بامرأة اخرى وزوج آخر من سعته اى سعة جوده وكان
الله واسعا فى الجود وانما نقص عمن نقص لانه كان حكيما وكيف لا يكون واسعا
ولله ما فى السموات وما فى الارض فله ان يعطى ما شاء منهما لمن شاء من عبيده و
لكن بمقتضى الحكمة لقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فعلموا سعة رحمتنا
المجرئة لهم على المعاصى واياكم وان كنتم امة مرحومة ان اتقوا الله فان الحكمة لا تتم
الا بتقواه وليس المراد ان حكمة الله لا تتم بدون تقواكم فانكم ان تكفروا فان لله
ما فى السموات وما فى الارض تتم حكمته فيهما وكان الله غنيا فى اتمام حكمته بتقواكم ام لا
وانما امركم بالتقوى مع غناه فى اتمام حكمته عنكم لانه اراد افاضة الكمال عليكم من
كل جانب اذ لله ما فى السموات وما فى الارض ينفع من يشاء منهما ويضر من يشاء
بما يشاء منهما فاذا امر عباده بامر فيفعلوه سخرهما لهم فانتفعوا بكل شئ منهما ولم
يضرهم شئ منهما اذ يصير وكيله وكفى بالله وكيلا ولكون امره اياكم بعبادته مع غناه
عنها وعنكم لافاضة الكمالات عليكم عن استعدادكم لها بالعبادة فاذا تركتموها
ان يشأ يذهبكم اذ لا يظهر فيكم كماله الذى خلقكم ليظهر ما فيكم ايها الناس الذين
نسوا سر خلقتهم ويأت بآخرين لانه وان كان غنيا عن اظهار كماله فانه لغاية
كماله شأنه التكميل ولا مانع له من تنفيذ المشيئة اذ كان الله على ذلك قديرا ولا شغلكم
عن عبادته اشتغالكم بطلب الدنيا لشدة حاجتكم اليها فان من كان يريد ثواب
الدنيا فانه يحصل له من عبادة الله كثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
وغاية طلب العابد الدعاء والاولى الاكتفاء بعلمه اذ كان الله سميعا للدعاء من يطيعه بصيرا
بحال من يكتفى بعلمه ثم اشار الى انهما انما يحصلان للمستقيم على امر الله اذ يتم له جميع حاجته
فقال يا ايها الذين آمنوا بمقتضى ايمانكم المبالغة فى القيام بالقسط كونوا قوامين بالقسط
بالعدل والاستقامة اذ به انتظام امر الدارين الموجب لثوابهما ومن اشده
القيام بالشهادة على وجهها فكونوا شهداء مقيمين للشهادة مؤدين لها لله

عن تقواكم حيث اتمتم حكمته

ولو كانت على انفسكم فاقروا بالحق عليها او الوالدين اى الاصول والاقربين
الاولاد والاخوة وغيرهم ان يكن من تشهدون عليه غنيا تخافون منعه ما كان
يعطيكم واضراره بكم او فقيرا ترحمون عليه بترك الشهادة عليه او تخافون
من الشهادة عليه ان يلجئكم الى ان تعطوه ما يكفيه فالله اولى بهما من المشهود عليه
فاذا نظر اليه جعل الشهادة صلاحا لهما وكذا اذا نظرتم اليه جعلها صلاحا لكم فلا تتبعوا
الهوى ارادة ان تعدلوا عن امر الله الذى هو مصلح اموركم وامور المشهود عليهم
لو نظرتم ونظروا اليه وان تلووا تحرفوا السنتكم عن الشهادة على وجهها او تعرضوا
عنها بكتمها فان الله كان بما تعملون خبيرا فلا يبعد ان يوقع بكم المكروه ويبطل عليكم
المطلوب مع ما يجازيكم عليه فى الآخرة ثم اشار الى ان اقامة العدل والشهادة
لله تكميل للايمان بالله والرسول والكتاب فقال يا ايها الذين آمنوا بمقتضى
ايمانكم ترجيح جانب من آمنتم به والتعظيم لرسوله والعمل بمقتضى كتابه آمنوا بالله
اكملوا ايمانكم به باقامة العدل الذى فيه ترجيح جانبه ورسوله الذى بعثه لاقامة
العدل والكتاب الذى نزل لتقرير قواعد العدل واحدة بعد اخرى على رسوله
لتأسيسها على اكمل الوجوه واحسنها والكتاب الذى من قبل لتقرير قواعد
عدل زمانه وكماله انما يكون برعاية مصالح كل زمان ثم اشار الى ان ترك العدل
والشهادة لله يشبه الكفر بجميع ما يجب الايمان به فيشبه الضلال البعيد فقال
ومن يكفر بالله الآمر بالعدل وملائكته الآتية به من عند الله وكتبه الموضوعة
لتقرير قواعده ورسله المبينين لها واليوم الآخر الموضوع للجزاء على اقامته
وتركه فقد ضل ضلالا بعيدا اما الكفر بالله فظاهر واما بالملائكة فلانهم المقربون
اليه واما بالكتب فلانها الهادية اليه واما بالرسل فلانهم الداعون اليه واما باليوم
الآخر فلان فيه نفع اقامته وضرر تركه فاذا انكر لزم انكار النفع الحقيقى والضرر
الحقيقى الضلال البعيد ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنه وبالكتب كفر بمظاهر صفة
كلامه وبالرسل كفر باتم مظاهر ظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله

صح

ثم الكفر بالملٰئكة يدعو الى الايمان بالشياطين وبكتب الله الى الايمان بكتب
الكفرة وبالرسل الى تقليد الآباء وباليوم الآخر الى الاجتراء على القبائح
وكل ذلك ضلال بعيد ثم أشار الى ان الكفر لما كان ضلالا بعيدا لم يفد
الايمان السابق عليه ولو مكررا مدة ولا مغفرة فقال إن الذين آمنوا بموسى
عليه السلام ثم كفروا بعبادة العجل ثم آمنوا عند عوده ثم كفروا بعيسى عليه
السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم لبعدهم
ادنى فوائد الايمان لايمانهم السابق ولو مكررا ولا ليهديهم سبيلا الى التخفيف وان
نفعا على الايمان بموسى اذ الكفر اللاحق ناسخ للايمان السابق ولا ينفع تكراره
سيما اذا عورض بمثله الكفر وكيف ينفع السابق ولا ينفع المقارن في حق
المنافقين بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ويدل على مقارنة ايمانهم للكفر
ترجيحهم جانب الكفرة في المحبة اذ هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين اي متجاوزين موالاة المؤمنين فان زعموا انهم انما يوالونهم تقية من
اذلالهم تعالى لهم أيبتغون أي يطلبون عندهم العزة مع انها ليست عندهم
فإن العزة لله جميعا وهم اعداؤه فلا يعطيهم منها شيئا ولو كانت لهم وجب
على المؤمنين الصبر على الذلة بمقتضى الايمان كيف وقد نزل عليكم في الكتاب
الذي تدعون الايمان به أي ان الشأن اذا سمعتم آيات الله من ذلك
الكتاب الذي او غيره يكفر بها و لا سيما اذا كانت يستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم مع الكافرين سيما المستهزئين فضلا عن موالاتهم حتى يخوضوا في حديث غيره
لان قعودكم معهم يدل على رضاكم بالكفر بها والاستهزاء بها انكم اذا اي اذا رضيتم
بكفرهم واستهزائهم مثلهم فاجتماعكم بهم ههنا سبب اجتماعكم في جهنم ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وكيف لا تجتمعون بهم واقل احوالهم
انهم لم يرجحوا الكفر على الايمان بل يترددون في الترجيح بينهما اذ هم الذين يتربصون
ينتظرون وقوع امر من الغنيمة او الهزيمة بكم فان كان لكم فتح ولا يكون معه ضعفكم

الا من الله ولا دخل لمعونتهم فيه قالوا لكم ألم نكن معكم فلنا دخل في فتحكم
لنا شركة في غنيمتكم وإن كان للكافرين نصيب من الفتح لئلا يلحقهم دوام
الفتح للمؤمنين الى الايمان قالوا لهم ألم نستحوذ أي لم نستول عليكم فأمكننا قتلكم
ولكنا لم نقتلكم ومنعنا المؤمنين ان يقتلوكم ألم نمنعكم من المؤمنين فهذا دليل
على ان التردد في قلوبهم لا يزول بهذه الدلائل فالله يحكم بينكم بازالة ترددكم يوم
القيامة وليس باعطاء الحجة لهم لانه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
بالحجة في الدنيا ولا في الآخرة ثم قال إن المنافقين من ترددهم في ترجيح احد
الجانبين على الآخر مع وضوح دلائل ترجيح الايمان وفقد دليل على ترجيح
الكفر يخادعون الله يريدون مخادعته بان يدعوا لانفسهم ارجح الجانبين
اذ ارادوا رجحان احدهما عنده وهو خادعهم بالحقيقة اذ لا يريهم الا رجحه مع
وضوح دلائله ومن مخادعته لهم انه لا يمكنهم من اتمام الصلوة حتى انهم إذا
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى لا يهتمون لاتمامها بل لا يريدون الصلوة الحقيقة
وانما يراؤون الناس ولذلك لا يذكرون الله فيها ليتقربوا اليه الا قليلا
ليسمع الناس فيوهمهم انهم يتقربون اليه ولو اكثروا ذكره لم يتأت لهم
الاخلاص لانه يرجح جانب الايمان وليسوا مرجحين احد الجانبين لكونهم
مذبذبين مضطربين اضطرابا تاما بين ذلك اي ترجيح احدهما بحيث لا يميلون
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن من خداع الله بهم اذ لم يهدهم احد السبيلين
ومع ذلك لا ظلم من جهته اذ لا استعداد لهم فيكون لهم سبيل الى الهداية
فان من يضلل الله فلن تجد له سبيلا فهذا دليل التردد وما سبق دليل
ترجيحهم لجانب الكفر على الايمان يا أيها الذين آمنوا اقل ما تقتضيه ايمانكم ترجيحه
على الكفر وترك التردد فاني يكون لكم ترجيح الكفر لا تتخذوا الكافرين أولياء
من دون المؤمنين اذ يصير دليلا على ترجيح جانب الكفر أتريدون أن تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا حجة ظاهرة على كفركم تبيح اموالكم ودماءكم ولا يفيدكم

التردد تخفيف العذاب فضلا عن النجاة • إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار • ولا تخفيف فيها ولا نجاة لأهلها • ولا يفيدهم الجهل برجحان أحد
الجانبين لظهور حجج الإيمان مع أنه لا حجة في جانب الكفر أصلا فلذلك
لن تجد لهم نصيرا • من الحجج وغيرها • إلا الذين تابوا • من النفاق • وهي إنما
تتم إذا أصلحوا • ما أفسدوا من اعتقادات المسلمين وأحوالهم • وهي إنما
تتم إذا اعتصموا بالله • بترك موالاة الكفار • وهي إنما تتيسر إذا • أخلصوا دينهم
لله • فلم يبق لهم فيه تردد • فأولئك • لعلو رتبتهم بهذه الأمور لا يكونون في درك
من النار فضلا عن الأسفل بل • مع المؤمنين • المستمرين على الإيمان بلا نفاق
إلى الجنات • وسوف يؤت الله المؤمنين • المستمرين على الإيمان • أجرا عظيما •
فوق أجر من تاب عن النفاق ويحتمل أن يقال وسوف يؤتي الله المؤمنين
بعد إدخال الجنات أجرا عظيما يشاركهم فيه التائبون عن النفاق ثم
أشار إلى أنه إنما استثنى التائبين من المنافقين مع كونهم مخادعين لله مستحقين
لعذاب أشد من عذاب الكفار لأن الله تعالى لا يعذب أحدا ليشتفي به
غيظا أو يدفع به ضرا أو يجر نفعا بل إنما يعذب من يعذبه لأنه حصل له
مرض من جهله بالمنعم وعدم شكره له فإذا شكر المنعم وآمن به زال سببه • ما يفعل
الله • من جر نفع له أو دفع ضر عنه • بعذابكم • الذي كان يعذبكم به لعدم شكركم و
إيمانكم • إن شكرتم وآمنتم • كيف • ومقتضى جوده الإنعام على من عرف قدر
النعم وأقر بالمنعم إذ • كان الله شاكرا • مجازيا على الشكر بالمزيد • عليما • باستعمال نعمه
للإنعام عليه فلا يبعد عليه أن يلحق التائب من الكفر والنفاق بالمستمر على الإيمان
والأعمال الصالحة وإنما يعذب من لا يشكره لأنه كالشاكي عنه ولا يحب الشكاية
عن مخلوق فكيف عن نفسه فإنه • لا يحب الله الجهر • الظهور • بالسوء • القبيح من
الغير سيما إذا ظهر • من القول • وهو الشكاية • إلا • قول • من ظلم • بذلك السوء
تظلم به فإنه يحبه حتى إنه يجيب دعاه • وكان الله سميعا • للدعاء • عليما • بما يستحقه

جزء ٦

الظالم لو لم يدع المظلوم ثم أشار إلى أنه وإن أحب الشكاية فهو أشد حبا
للإحسان إلى المسيء والعفو عنه فقال • إن تبدوا خيرا • تظهروا إحسانا إلى
المسيء قدمه لأنه أعلى • أو تخفوه • أي الخير وهو الإحسان إلى المسيء ووسطه
لأنه أوسط • أو تعفوا عن سوء • وهو أدنى لكنه مع دناءته يفيد المناسبة مع الله
الموجبة لشدة محبته من حيث العفو مع القدرة • فإن الله كان عفوا قديرا •
ثم أشار إلى أن الكفر بالله أشد من ترك شكره ومن الشكاية عنه فالتعذيب
عليه أولى • إن الذين يكفرون بالله • المنعم فضلا عن الاعتراف بنعمه والشكر •
ورسله • الذين هم أعظم وجوه نعمه مع أن فيه شكاية عن الله بأنه لم يهد طريقا إلى
معرفته وعبادته • ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله • بأنهم كذبوا على الله
فهم أهل الشكاية وإنما أعطاهم الله المعجزات امتحانا للخلق مع أنه لم يجعل عليه
دليلا فهو مشكو عنه بتصديقهم بالمعجزات • ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض •
فيشكون عن الله تسويته بين الصادق والكاذب في إظهار المعجزة على يديه
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا • كأنهم يزعمون أن تصديق الكل
إفراط وتكذيب الكل تفريط وخير الأمور أوساطها وهو إنما يصدق حيث
يكون وسط وطرفاه وههنا لما ساوى المعجزة والدعوة إلى الحق والقيام
بالخيرات في أنفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل بل بالله إذ يعتقد فيه أنه
صدق الكاذب بخلق المعجزات • أولئك هم الكافرون حقا • لسبهم يتهمون
بالله بتصديق الكاذبين وبالرسل بأنه لا يميز صادقهم عن كاذبهم فهو أزيد
من الشكاية • وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا • ثم أشار إلى أن الإيمان
بواحد من الرسل إيمان بالكل والإيمان لهم إيمان بالله فلكل واحد من الإيمانين
تأثير آخر فقال • والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم • وإن كان
الإيمان بواحد إيمانا بالكل لأن الكفر بواحد كفر بالكل • أولئك سوف يؤتيهم
أجورهم • متعددة • ويديم لهم المغفرة والرحمة إذ • كان الله غفورا رحيما • وزعموا

ان ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض لظهور الفرق اذ سمعوا الله يكلم موسى
فكانهم راوا نزول كتابه من السماء ولم يروا ذلك في هذا الكتاب من هنا
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا يرون نزوله من السماء ولا حاجة
لهم الى طلب ذلك بعد روية اعجازه المؤكد بالتفرق لكن عادتهم انهم لا يرون
اية الا سألوا اكبر منها فقد سألوا موسى حين سمعوا الله يكلمه فنزل منزلة رؤيتهم
نزوله من السماء اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله المتكلم جهرة رؤية ظاهرة فانا
لا نؤمن بسماع كلامه ولا بنزول الكتاب المشتمل عليه فاخذتهم الصاعقة النار
النازلة من السماء بظلمهم بانهم لا يرون اية الا يطلبون اكبر منها حتى يروا
ملجئة الى الايمان بحيث لا يبقى لايمان معها فلا يكادون يؤمنون ايمانا يعتد به
اصلا ولا يبعد منهم الكفر بعد روية الايات فانهم راوا ايات موسى ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل القاطعة على نفي الشرك ثم تابوا عنه
فعفونا عن ذلك ثم انهم لم ينقادوا الاوامر موسى و ان راوا اتينا موسى
سلطانا مبينا استيلاء ظاهرا على اهلاك من خالفه و بالغوا في عدم الانقياد
لها حتى رفعنا فوقهم الطور ليتحملوا التكليف بميثاقهم بما كلفهم بعهد وثيق ومع
ذلك لم يأتوا باسهل الاوامر اذ قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا يزحفون
استاههم فاخذتهم الصاعقة ولم يأتوا باسهل منه اذ قلنا لهم لا تعدوا في السبت
وهو مع كونه اهون الامور اخذنا منهم فيه ميثاقا غليظا فاعتدوا فيه فمسخوا
قردة والذي فعلنا بهم فبما نقضهم ميثاقهم بالمخالفة وكفرهم مع ذلك بايات الله
الظاهرة على ايدي بعض الانبياء وقتلهم مع ذلك الانبياء مع علمهم انه بغير حق
ولكن سترعنهم بسبب قولهم قلوبنا غلف محجوبة لا يظهر لها الايات ولم يكن ذلك
لعدم ظهورها بل طبع الله عليها بكفرهم فمنعها التدبر فيها فلا يؤمنون بما يرون
الايمان به الا قليلا اي ايمانا ضعيفا لاجرائهم على تحريفه وكتمانه ولو لم يكن
كثرة عدم ايمانهم بالشريعة موجبة طبع فلا شك انه طبع على قلوبهم بكفرهم بالانجيل

بالكلمة ولا يقتصر عليه بل مع قولهم الذي يفترون به على مريم بعد ظهور كراماتها وارها
صات ولدها ومعجزاته بهتانا عظيما وهم لا ينكرون هذا الكفر بل يفتخرون
بهذا الكفر وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فيفتخرون بقتله وبالا
برسالته ولا يصح لهم ذلك الفخر لانهم ما قتلوه ولا متمسك لهم فيما اشتهر من صلبهم
اياه لانهم ما صلبوه ولكن قتلوا وصلبوا من القي عليه شبهه اذ شبه لهم وذلك
ان رهطا من اليهود سبوه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فقال للحواريين ان الله يرفعني فرفعه فدخل طيطانوس اليهودي بيتا هو
فيه فلم يجده فالقي عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وذلك من معجزات عيسى
عليه السلام لاضلال اعدائه ويدل على هذا التشبه اختلافهم اذ قال بعضهم ان
كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال قوم من النصارى صلب الناسوت ورفع اللاهوت الى السماء لما سمع
قوله ولم يرتفع الشبه بدليل قطعي في جانب بل ان الذين اختلفوا فيه لفي شك
منه ما لهم به اي بما قالوه من علم اي متمسك الا اتباع الظن ولم يكن لهم في اختلافهم
قدر مشترك اتفقوا عليه من انهم قتلوه لانهم ما قتلوه يقينا بل اليقين انما هو في انه
رفعه الله اليه لما سمع منه ولا بعد رفعه على الله اذ كان الله عزيزا لا يغلب
على ما يريده وقد اقتضت الحكمة رفعه فلا بد ان يرفعه لكونه حكيما وهو حفظ التقوية
دين محمد صلى الله عليه وسلم حين انتهائه الى غاية الضعف بظهور الدجال فيقتله
ثم اشار الى ان من كان يفتخر بقتله سيتذلل له قبل موته فقال وان اي وما احد
من اهل الكتاب الا والله ليؤمنن به بعيسى قبل موته اذ تكاشف بصدقه ولا يفيد
هذا الايمان الا دفع العداوة المانعة من قبول الشهادة لذلك يوم القيامة يكون عليهم
شهيدا فبظلم اي فيشهد بظلم من الذين هادوا اي قبل من كفر به فوارث الظلم عنهم
وهو الذي من اجله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم على من قبلهم فنسخ تحريمها على
من آمن به منهم وليشهد ايضا بصدهم عن سبيل الله كثيرا بكفرهم به وبمحمد صلى الله

عليه وسلم وبمن قبلهم من الانبياء ويشهد على اخذهم الربوا وقد نهوا عنه
وعلى اكلهم اموال الناس بالباطل من طرق المعاملة والرشوة فيعذب الله
الامور اسلافهم الذين لم يدركوه واعتدنا للكافرين به وراء العذاب على
هذه الامور منهم عذابا اليما سيما اذا اضموا اليه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
لكن الراسخون في العلم منهم اي من اهل الكتاب الذين جروا على مقتضى
رسوخهم والمؤمنون من الاميين اللاحقين بهم في الرسوخ بصحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك لاطلاعهم على
كمالات المنزل عليك وانه صدق ما انزل من قبلك فلا بد من الايمان به ايضا
ولا سيما المقيمين الصلوة فانهم يكاشفون باسرار اعجاز هذا الكتاب وغرايب
حكمه وهم المؤتون الزكوة اي مزكية انفسهم كيف وهم المؤمنون بالله واليوم الآخر
عن مشاهدة قلبية اولئك وان زعم هؤلاء انهم انما آمنوا بالكل من عدم رسوخهم
فلا يجدون اجر المجتهدين سنؤتيهم اجرا عظيما فوق ما توهم هؤلاء لانفسهم وقد
تحقق لهم العذاب فوق ما يتوهمون لاولئك اذ اجرهم ينفعه وعلمهم لم ينفعه
عنهم ثم اشار الى ان الراسخين انما آمنوا بما انزل اليك لانهم احاطوا علما بالمنزل
على الانبياء السابقين فوجدوه مثله فقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده في تنزيه الحق وتوحيده وكما اوحينا الى ابراهيم في التخلق
بالصفات الالهية واسمعيل في التحقق بما يناسبها واسحق في لطف الاشياء
به في الظهور في كل شيء بصورته ويعقوب في التدبير بمقتضى الشرع والنصر في تحصيل
الكمالات والاسباط كيوسف في تنوير القوة الخيالية للمكشوفات الصورية و
عيسى في التأثير بالله في الاشياء وايوب في استخراج اسرار الاشياء و
يونس في استنارة النفس بنور الحق وهرون في الامانة وسليمن في الظهور
بالرحمن ولا بعد في ذلك اذ آتينا داود زبورا جمعنا فيه هذه الامور من
الحكمة وفصل الخطاب فيكفيهم مطالعته وقد طالعوا كتبا آتيناها ورسلا قد

قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وربما يحصل لهم بالالهام
بلا مطالعة ولا بعد اذ كلم الله موسى تكليما وقد طالعوا كتابه ايضا على انه
لا حاجة الى هذه الاحاطة في الايمان بل يكفيهم كونه صالحا للتبشير والانذار فيكون
كما آتينا رسلا مبشرين ومنذرين وتم بالزام الحجة لانه انما ارسل لئلا يكون
للناس الذين نسوا مقتضى الربوبية والعبودية عند معاقبتهم وتفويت
الثواب عليهم على الله الذي لا الزام لاحد عليه لكن الجهال يحتجون عليه بالغفلة
فاراد ان لا يكون حجة بعد ارسال الرسل المزيلين للغفلة وكان الله
عزيزا غالبا على دفعهم بوجوه كثيرة ولكن لكونه حكيما دفعهم باوضح الطرق في
الالزام وان قالوا نحن الراسخون ولا نرى ما اوحي اليك كالذي اوحي الى من
قبلك اجيبوا بانهم يرون ذلك ولا يشهدون للعناد ولكن الله يشهد باعجازه
بما انزل اليك فان اعجازه يدل على انه انزله بعلمه المحيط الذي لا يصل اليه
علوم الخلائق والملائكة يشهدون عند من يكاشفون له ولو لم تسمعوا شهاداتهم
لانكم محجوبون وكفى بالله شهيدا باعجازه لهم حتى لم ياتوا بمثله على السنة غيرك
ان الذين كفروا مع اطلاعهم على اعجازه من رسوخهم ولم يقتصروا على الكفر
بانفسهم بل صدوا الخلائق عن الايمان به وسوسوا لانفسهم وغيرهم عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اعظم من ضلال الجهال الذين لا خبر لهم بتلك
الكتب لانه يمكن لهم حصول هداية يعقبها مغفرة وهؤلاء لا يرجى لهم ان الذين
كفروا والكفر لا يغفر وظلموا الخلائق باضلالهم وظلم الغير لا يغفر لم يكن الله ليغفر لهم
كيف والمغفرة فرع الهداية ولا كان الله ليهديهم طريقا من طرق الآخرة الا
طريق جهنم لا طريق الخروج عنها فيبقون خالدين فيها ابدا وكان ذلك في حق
الراسخين المعاندين مع الله على الله يسيرا ايسر من ان يفعل بالمعتذرين
بجهلهم اذ لا عذر لهم يا ايها الناس الذين نسوا ان الواجب النظر الى الدلائل
لا تقليد الراسخين اذا عاندوا قد جاءكم الرسول بمعجزات آمن لما دونها

الراسخين بانبيائهم وعاندوه ولا وجه لعنادهم لانه جاء بالحق بالدين الصواب
الذي يجب قبوله بدون المعجزات وقد علم بها انه من ربكم فآمنوا واقصدوا
خيرا لكم من تقليد المعاندين وان كانوا راسخين ولا تخافوا التلبيس منه في
اظهار المعجزات على يدي الكاذب لانه اما لتحصيل خير من جر نفع او دفع ضر
واستحالة ذلك في حقه فانكم ان تكفروا فهو غني عن الكل فلو فرض له حاجة الى شيء
فلا يحتاج اليكم فان لله ما في السموات والارض واما للجهل بقبحه واما للعبث
لكنهما لا يتصوران في حق الله اذ كان الله عليما حكيما فتعين ان اظهارهما
لتحصيل الخير لكم لا غير ان آمنتم وتحصيل الضرر لكم ان كفرتم اذ لا يتصور العكس
من الحكيم وكيف تقلدون هؤلاء لرسوخهم وقد ادى بهم رسوخهم الى الغلو
الذي حقكم ان تنهوهم عنه لا ان تقلدوهم فيه فقولوا لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم بتعظيم عيسى فوق حقه ولو بالعزم في تعظيمه لا تقولوا على الله الا الحق
فلا تنسبوا اليه شريكا او ولدا انما المسيح اسمه عيسى لا الله ابن مريم لا ابن الله
وبالنظر الى معجزاته هو رسول الله والى ولادته من غرائب كلمته لا جزؤه
القاها اوصل صورتها الى مريم هذا من جهة تكون جسده ومن جهة تكون
روحه غايته انه روح وصل منه لا من سائر العقول والسموات فلو قلتم انه الله
او ابنه كنتم كافرين بالله فآمنوا بالله وليس هذا مانعا من الايمان به فآمنوا
بكونه من رسله ولكن لا تقولوا الاقانيم اي الجواهر ثلثة اقنوم الاب وهو الذات
واقنوم الكلمة وهو العلم واقنوم الحيوة وهو روح القدس ولو قلتم بها
انتهوا عن القول بحلول بعضها في عيسى واتحاده به فاقصدوا خيرا لكم وهو
انه اله متصف بالكمالات ظهر ظهور الصورة بالمرآة في عيسى ولا تقولوا
بالحلول المخل بالالهية لجعله الاله تابعا للغير وهو ينافي وجوب الوجود ولا بالاتحاد
لانه اذا اتحد بالمخلوق لا يبقى الهية ويتكثر بتكثر المتحد به انما الله اله واحد
ولا بالابنية المستلزمة للتشبيه بالحيوانات سبحانه ان يكون له ولد ولو فرض لم

لكن



لكن من جملة ما في السموات وما في الارض اذ له ما في السموات وما في الارض
ملكا ولا يتصور كون الولد ملكا للوالد ثم هو مشعر بالحاجة ولا حاجة لله اذ كفى بالله
وكيلا في القيام بجميع الشؤن ولو قالوا نحن لا نغلو في ديننا ولكنكم تنقصون
حق عيسى اذ تجعلونه عبد الله مع انه كان يفعل افعال الله من الاحياء والابراء
اجيبوا بان هذا لو كان نقصا لكان عيسى مستنكفا منه لكن لن يستنكف اي لن
يأنف ولن يتعظم المسيح من ان يكون عبدا لله ولا من هو اقوى منه في فعل
الخوارق وهم الملائكة المقربون من ان يكونوا مع غاية علو رتبتهم عبيد الله
كيف وقد علموا انه من يستنكف من ملك او جن او انس عن عبادته او
اوامره ونواهيه ويستكبر عن عبوديته فسيحشرهم اي المستنكفين وغيرهم اليه
جميعا فيرى كل ما يفعل به وبمخالفه من اعزاز واذلال فيزداد المعزز سرورا
بعزته وذله مخالفه ويزداد المذل حزنا بذلته وعزه مخالفه فاما الذين آمنوا
فلم يستكبروا عن عبوديته وعملوا الصالحات فلم يستنكفوا عن عبادته فيوفيهم
اجورهم على ما تحملوا الذلة فيه لتنقلب عزة ويزيدهم على اجورهم شيئا عظيما من
فضله المضاف الى عظمته مبالغة في اعزازهم واما الذين استنكفوا عن
عبادته واستكبروا عن عبوديته فيعذبهم عذابا اليما يذلهم به اشد من التذلل
بالعبادة والعبودية ولا يجدون لهم من دون الله وليا يعزهم ولا نصيرا
يدفع عنهم ذلتهم هؤلاء علموا ان في الاستنكاف كمال الذلة التي يهربون عنها
وفي الانقياد كمال العزة التي يطلبونها وانتم تريدون كمال العزة في الاستنكاف
وكمال الذلة في الانقياد مع انكم تدعون انكم راسخون وادى بكم رسوخكم الى القول
بان التعزز عزة والتذلل ذلة مع انهما انما يكونان من اعزاز الله واذلاله ثم
اشار الى انه انما يأخذ العوام بقول الراسخين فيما لم يظهر لهم برهان قطعي على
خلافه فقال لهم يا ايها الناس الذين نسوا البرهان القطعي من عقولكم
قد جاءكم برهان من ربكم الذي ربي بالدلائل النقلية مقتضى عقولكم

روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت
مرقا

فاتيد مها وليس من المقدمات الخفية لكن لما خفيت عليكم لعدم التفاتكم اليها
انزلنا اليكم من مقام عظمتنا نوراً مبيناً من المقدمات البديهية لاما تشبهها
من الكواذب حتى ظهر لكم بذلك كفر الراسخين من غلوهم حتى صاروا محل
غضبهم لمكابرتهم مع القطعيات فى حق الله تعالى فاما الذين آمنوا بالله فلم
ينقصوا شيئاً من حقه باثبات الشريك والولد واعتصموا به اى ببرهانه ونوره
فسيدخلهم فى رحمة منه مع تركه الراسخين من هؤلاء فى غضبه ولو نجاتهم لان
غلطهم من اجتهادهم فيدخل هؤلاء فى فضل منه يتفضلون به على الراسخين
من هؤلاء فى زعمهم كيف وقد ضلوا وهؤلاء يهديهم هدايته توصلهم اليه الى
مقام قربه اذ يسلكهم بتمسكهم بالبرهان والنور المبين صراطاً مستقيماً مع اضلاله
الراسخين فى زعمهم من غلوهم ومن هداية الله لمن تبع برهانه ونوره الاطلاع
على احكام المواريث التى حار فيها عقول الخلائق فهم يستفتونك فى المواريث
سيما ميراث الكلالة قل الله لا من يزعمون رسوخهم يفتيكم ايها الحيارى فى
المواريث سيما فى الكلالة وهو من لا ولد له ولا والد وله اخوة او اخوات او
كلاهما فيقول ان امرؤ هلك تحقق موته ليس له ولد ولا والد ولم يذكر لظهور
حجبه للاخوة لانه اقرب حائز والولد قد لا يكون حائزا كالبنت ولا حجب
ظاهراً لان الاخوة ليست مدلية به والام لا حيازة لها وله اخت من
الابوين ثم من الاب فلها نصف ما ترك تنزيلا لفرع اصله منزلة فرعه عند
عدمه وهو اى المرء يرثها اى الاخت حائزا ان هلكت ولم يكن لها ولد
لانه فرع اصلها فنزل منزلة فرعه الحائز عند عدمه لانه ذكر والاصل فيه الحيازة
وان كان لها بنات اخذ الباقى وان كان لها ابن حجب بالكلية فان كانتا اى
الوارثتان من اولاد الابوين او الاب اختين اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
اذ لا حيازة لهما وكذا ما فوق الاثنتين اذ لا مزيد لهن على بنات الصلب
وان كانوا اى الوارثون من اولاد الابوين او الاب اخوة ذكره ليعلم

ان الوراثة للاخوة لا للذكورية ولم يقل واخوات ليعلم ان التفضيل ليس
من جهة الاخوة بل من جهة اجتماعهم رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
كاجتماعهم فى اولاد الصلب يبين الله لكم منه الامور وان كانت دنيوية
كراهة ان تضلوا فيها فكيف يترك بيان الامور الاخروية التى الضلال فيها
اشد والله بكل شىء عليم فلا يبين الا بمقتضى ما احاط به علمه الكامل فلا يوجد
فى مقابلة بيانه بيان غيره وان زعم انه راسخ تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمد وآله اجمعين

## سورة المائدة

سميت بها لان قصتها اعجب ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة
ولطف عظيم على من آمن وعنف شديد على من كفر فهو اعظم دواعى قبول
التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الايمانى بين الله وبين عبيده
بسم الله الجامع بين اللطف والعنف فى احكامه التى كلف عباده
بها بمقتضى اسمائه وصفاته الرحمن بجعلها مناط مصالح العباد فى معاشهم
ومعادهم الرحيم بجعلها قاعدة محبة من اتصال ايمانى بينه وبينهم يا ايها الذين
آمنوا مقتضى ايمانكم الذى هو الاتصال المعنوى لكم بالله تقويته باحكامه التى
تقويه تقوية العقود الحسية للاتصال الحسى اوفوا بالعقود كملوا القيام
بالاحكام التى تقوى الاتصال الايمانى بالانقياد لها سيما لما لا يعقل الجمهور
معناها كتحليل الانعام بذبحها احلت لكم بهيمة الانعام اى ما لا يعقل من
الحيوان فاشار الى سر تحليلها بان نفوسها لما ابهم عليها عواقب الامور قيدتها
بالنفوس الانسانية انعام عليها الا ما يتلى عليكم تحريمه او اعتبار قول من
يحرمه اى الرسول وانما احل لكم غير المستثنى مطلقا حال كونكم غير محلى الصيد
اى غير صائدين او داعين للصيد او دالين عليه او من يصاد له فكل ذلك تحليل
للصيد وانما استثنى هذا من غير المستثنى للكل اذ انتم حرم وانما يتم انقيادكم
اذا انقدتم لها من غير تعقل المعنى فعلم ان الله يحكم ما يريد وان كان لا يريد

شيئا الا وفيه الحكمة البالغة كما يأتي في مواضع الاستثناء يا ايها الذين آمنوا
لما اقتضى ايمانكم تحريم الصيد عليكم لقصدكم شعائر الله فاقتضاؤه تحريم قتل الناس
فيها بطريق الاولى لا تحلوا شعائر الله الاماكن التي هي اعلام النسك فلا تقتلوا
فيها ولا الشهر الحرام لانه من الازمنة كالشعائر من الامكنة وكيف تستحلون
منسك حرمة كشعائر مع انه حرم منسك حرمة الهدي اليها بل حرمة ما ظن كونه هديا
اليها لا تحلوا الهدي ولا القلائد اي التي قلدت بالنعل او لحاء الشجر ليعلم كونها
هديا وكيف تستحلون القتل فيها وتحرم قتل من قصدها ولم يصل اليها لا تحلوا
قتل آمين قاصدين البيت الحرام للزيارة وان لم يكن فيه منسك حرمة ولكن
لكونهم يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا فحقكم ان تعينوهم لا ان تقتلوهم
وانما قلنا ان تحريم الصيد لحرمة البيت لانه ابيح لكم بعد الاحرام واذا حللتم
فاصطادوا ولا يرتفع تحريم قتلهم بكونهم اهل الحرب لكم لا يجرمنكم لا يحملنكم على
الجريمة شنآن شدة عداوة قوم وان كانت ناشئة من ان صدوكم عن المسجد
الحرام على ان تعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم بالصد وتعاونوا على
البر والتقوى اذ قصدوهما ولا تعاونوا بانالهم على الاثم بصدهم وان كان
بطريق العدوان المماثل لعدوانهم واتقوا الله في ايذاء قاصدي فضله ورضوانه
وان آذوكم على ذلك ان الله شديد العقاب لو اعتديتم عليهم بمثل ما اعتدوا
عليكم حين قصدوا طلب فضله ورضوانه والجمهور على انها نسخت بقوله انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبالاجماع على حل
قتال الكفار في الاشهر الحرم والسر فيه انه فعل بهم ذلك اولا لعلهم يتركون
العناد فلما لم يتركوه بالكلية امر المسلمين بكفاتهم ولما وصف الله تعالى
ذاته بانه شديد العقاب عقبه بذكر ما استثنى من المحرمات اشارة الى انها
تستحق عليها تلك الشدة فقال حرمت عليكم الميتة اي ما فقد الروح بغير سبب
خارجي لانها تخبث بمفارقته من غير مطهر من ذكر اسم الله تحقيقا او تقديرا

كاسلام الذابح والدم لانه متعلق الروح بلا واسطة فاشبه النجس بالذات
لا يؤثر فيه المطهر ولحم الخنزير لانه تنجس في حيوته بصفاته الذميمة وهي
وان زالت بالموت فهو متنجس ولم يقبل التطهير ولانه لما كان نجسا حال
الحيوة والموت اشبه النجس بالذات فكانه زيد تنجسه بالموت وانما ذكر اللحم
اشارة الى انه وان لم يكن موصوفا في الحيوة بالصفات المنجسة لروحه كان
متنجسا بنجاسة روحه ثم بزوال الروح وما اهل لغير الله به فانه ان ذكر
معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وان لم يذكر
فقد زيد في تنجيسه والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق فانها وان ذكر اسم الله في
خنقها عارضه سريان خباثة الخانق اليها مع تنجسها بالموت والموقوذة اي المضروبة
بخشب فانه وان ذكر الضارب فيها اسم الله فهو اشد خباثة من الخانق وكيف
لا يؤثر خباثتهما والمتردية اي التي بنفسها من علو ولو اعلاها
انسان ذكر اسم الله عليها فخباثة اعدائه سارية فيها كيف والنطيحة
وان ارسل انسان الناطح بذكر اسم الله لانه لما لم يكن بطريق الصيد المشروع
لم يخل من خباثة وما اكل السبع فانه وان اشبه الصيد لكنه لما اكله قصد بذلك
نفسه فسرت خباثته فيها الا ما ذكيتم من هذه المذكورات بحيث ينسب موتها
الى الذبح دون غيره فانه يحقق فيه المطهر ولا يؤثر فيه السابق لان اللاحق ينسخه
بل هو واقع قبل تأثير السابق اذ لا يتم التأثير الا بالموت وحرم بالاستثناء
ما ذبح على النصب وان لم يسمع فيه اهلال لغير الله وزعم صاحبه انه ذبح
لله فلا يسمع منه وحرم ان تستقسموا اي تأخذوا القسمة من الجزور ونحوه
بالازلام الاقداح فانه وان خلا عن الخباثة المذكورة لكن ذلكم فسق خروج
عن الاخذ بالطريقة المشروعة لما فيه من جهل الثمن والمثمن اليوم لظهور الاسرار
الالهية في دينكم فيه يئس الذين كفروا من تغيير دينكم والطعن عليه الا بطريق العناد
فلا تخشوهم ان يعاندوكم واخشون في خشيتكم اياهم مع نهيي عن خشيتهم

وكيف تحشونهم مع أني اليوم أكملت لكم دينكم بإظهار ستة الأسرار وأتممت
عليكم نعمتي بتطييب المأكولات لتطييب الأعمال ورضيت لكم الإسلام دينا
بتكميل أعمالهم بتطييب ما يستعان به عليها لكن تحريم المذكورات إنما هو حالة
السعة فمن اضطر إلى تناول محرم لوقوعه في مخمصة مجاعة غير متجانف متعرض
لإثم بالأكل فوق الضرورة أو بعصيان في السفر فإنه لا يؤاخذ به فإن الله
غفور لتناوله الحرام رحيم بإعطاء الرخصة فيه يسألونك إذا حرمت
هذه الأشياء ماذا أحل لهم من بهيمة الأنعام فإنه لم يبق لنا منها شيء قل
أحل لكم الطيبات التي طهرت بالذبح الشرعي وأحل لكم مقتول ما علمتم من
الجوارح أي جوارح السباع والطير مكلبين مضرين لها لا إذا قتلت بأنفسها
تعلمونهن أن يستشلي إذا أشليت وينزجر إذا زجرت ويجيب عند الدعوة
ولا ينفر عند الإرادة فيصير كأنها وكلاؤكم لتعلمهن مما علمكم الله ويدل على
توكلهن إمساكهن عليكم فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه تحقيقا
أو تقديرا فإنه يتنزل منزلة ذكر من له واتقوا الله أن تأكلوا مما فقد شرط من
الشرائط استعجالا إليها إن الله سريع الحساب أي المجازاة على كل جل
ودق وكيف تسارعون إلى محرماته وقد وسع لكم في المباحات لأنه
اليوم أحل لكم الطيبات من الذبائح والصيد وما أشبه الطيبات
إذ طعام الذين أوتوا الكتاب أي ذبائحهم وصيدهم حل لكم وإن لم
يعتقد بذكرهم اسم الله لكنهم لما ذكروه أشبه ما يعتقد بذكره وإنما أبيح لكم بمجرد
هذا الشبه إذ طعامكم حل لهم فلو استخبثتم طعامهم ربما عاندوا فاستخبثوا طعا
ولا عبرة باستخباث المشركين طعامنا إذ ليس لهم ما يوجب الشبه بالطيب ولا
بدونه فإنه أقل ما يفيد الحل ولما اعتبر هذا الشبه في باب الطعام اعتبر في باب
النكاح فأحل لكم المحصنات الحرائر من المؤمنات بلا شرط بخلاف الإماء
والمحصنات الحرائر فلا يصح نكاح الأمة الكتابية بحال إذ لا تحتمل عار الكفر

أحل

لكم

مع عار الرق على أنه يؤدي إلى استرقاق الكافر ولد المسلم من الذين أوتوا
الكتاب ممن آمن أول آبائها بذلك الكتاب من قبلكم ويحتمل كفرهن
لأنه إنما لم يحتمل كفر غيرهم لأنهم يدعون إلى النار وهؤلاء لما اعترفوا بأصل
النبوة ولا شبهة لهم في نفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن حجة ضعفت
دعوتهم إليها فلم يعتد بها على أن الرجل مستول على المرأة فلا يؤثر فيه تأثير
الرجل فلذلك لم يصح تزويج المسلمة بالكتابي على أن فيه إذلالا للمسلمة فلا يحتمل
وتذلل الكتابية لا ينفي مهرها بل إنما يرفع الذمة إذا آتيتموهن أجورهن
مهورهن بل شغل الذمة بحق الآدمي من شغلها بحق الله ولو بالزنا وليس هذا
بطريق الإجارة فلا يحل إلا إذا كنتم محصنين عافين النكاح غير مسافحين
زانين من غير تخصيص فإن إعطاء الأجر لا يفيد الحل وليس هذا لعدم
التخصيص لقطعه النسب بل لا متخذي أخدان أيضا لتوقف النسب على
العقد ولا يحصل بمجرد التخصيص وهؤلاء وإن أشبهوا المؤمنين في حل
الطعام والنكاح لا يشبهونهم في قبول الأعمال لأن من يكفر بالإيمان أي
ينكر وجوب الإيمان بشيء مما يجب الإيمان به فقد حبط عمله ولا يفيد اعتبار
عند أهل ملتهم إذ هو في الآخرة من الخاسرين ولما فرغ عن تطييب الطعام
والنكاح أشار إلى تطييب البدن عن آثار ما من الأحداث فقال يا أيها
الذين آمنوا مقتضى إيمانكم أن تناسبوا ربكم في الطهارة فكما تنزه عن الحدوث
فلا بد لكم من التنزه عن الحدث لكنه مما يعسر التحفظ عليه في جميع الأوقات
فلا بد منه إذا قمتم متوجهين إلى الصلاة التي هي عبادة بدنية يتيسر فيها التحفظ
عليها بخلاف الزكاة والحج والصوم فإن كنتم محدثين صحيحين مقيمين بدليل
وإن كنتم جنبا الخ فاغسلوا والغسل إمرار الماء وجوهكم الوجه ما بين
منابت شعر الرأس غالبا إلى منتهى الذقن طولا ومن الأذن عرضا فيجب
غسل جميعه وظاهر اللحية النازلة لدخوله في المواجهة المفهومة منه ويجب

أشد

الى الاذن

غسل منبت الحنيت من لحية الرجل ومنبت لحية غيره مطلقا وتفهم منه النية
عرفا اى لاستباحة الصلوة كما اذا قيل رأيت الامير فقم اى لتعظيمه على انه عبادة
لا تحصل بدون النية ولا يصلح معناها للصلوة بدونها لان الحدث امر معنوى
لا يحصل التطهر عنه بدون قصد وانما وجب غسله لان فيه اكثر الحواس الظاهرة
التى ينتفع بالمحسوسات بواسطتها فلا بد من تطهيره عند ظهور آثار حدثت عنها
ولسبق الاحساس على العمل قدم ما فيه اكثر الحواس الظاهرة اى غير السمع ثم امر
بتطهير الآلة الفاعلة للافعال التى منها تلك الآثار فقال وايديكم وهى من رؤس
الاصابع الى الكتف اسقطها وراء المرافق اذ جعلها غاية بقوله الى المرافق
فبقيت داخلة وذلك لان العمل بالاصابع يحتاج الى تحريك الكتف التى لا تتحرك
غالبا الا بتحريك المرافق ثم امر بمسح الرأس فقال وامسحوا برؤسكم والمسح
الاصابة والباء للالصاق اى الصقوا المسح بالراس فيكفى فيه اقل ما ينطلق
عليه اسم الالصاق وايجاب مسح جميع الوجه فى التيمم لكونه بدلا من غسل جميعه
وانما امر بمسحه لانه جامع للحواس الباطنة فاشبه جامع الحواس الظاهرة و
اخره عن غسل اليدين لانه مخزن الصور المدركة بالحواس الظاهرة من اعماله
وغيرها ولم يأمر بغسله لانه يضر بصاحب الشعر ولا بد منه فى الزينة سيما
للمرأة فخفف بالمسح ثم اوجب غسل آلة السعى المشابهة آلة العمل فقال وارجلكم
اى اغسلوها وهو على قراءة النصب وهى على قراءة نافع وابن عامر وحفص
والكسائى ويعقوب ظاهر وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل
الصحابة والتحديد بقوله الى الكعبين اذ المسح غير محدود وفائدة التنبيه
على منع الاسراف فيغسلهما غسلا يشبه المسح ولما كانت حركتها توجب حركة جميع
البدن اقتصر على ادنى الغايات لئلا يبطل فائدة تخصيص الاعضاء وفى الفصل
بين المغسولات بالممسوح ايماء الى وجوب الترتيب والترفيه ما اشرنا اليه وان
كنتم جنبا بخروج منى او التقاء ختانين صحيحين مغيبين فاطهروا اى بالغوا فى تطهير

البدن لانه تلذذ به الجميع تلذذا اغرقه فى غير الله فاثر فيه بالحدث وان كنتم
مرضى يخافون من استعمال الماء بطوء البرء او شينا فاحشا على عضو
ظاهر او جنبا راكبين على ظهر سفر او محدثين مرضى او مسافرين بان جاء احد
منكم من الغائط اى رجع من مكان البراز وفى معناه كل خارج عن احد
السبيلين او نقض تحت المعدة مع سد المعتاد او لامستم النساء اى
لمستموهن او لمسنكم فانه اقيم مقام خروج الخارج لانه سببه فلم تجدوا ماء فى السفر
وفى معناه تعذر استعماله بعذر فى السفر او مرض او برد فى الحضر فتيمموا اقصدوا
صعيدا طيبا ترابا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وايديكم بايصال شئ منه اليهما
تذليلا للعضوين الشريفين وتذليل الرأس افراط وتذليل الرجل تفريط وانما
رخص لكم فى التيمم لانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ضيق فى تحصيل الماء
ولا انتقاركم فى الحدث مانعا عن الصلوة ولكن يريد ليطهركم ليجعلكم فى حكم
الطاهرين بالتذلل بالتراب فانه لما دفع التكبر فكانما دفع الحدث الذى
ينشاء عن امثاله وليتم نعمته عليكم بتمكينكم من عبادته بكل حال حتى حال الحدث
لعلكم تشكرون تمام النعم فتستمدون النعم الاخروية واذكروا مع تمام النعمة
نعمة الله عليكم بتطييب الماكول والمنكوح والبدن عن الحدث لتزدادوا شكرا
فتزدادوا نعما وميثاقه بالاعمال الظاهرة والباطنة التى ضمنها ميثاقه عهده
الوثيق الذى واثقكم به اكده عليكم بقوله اذ قلتم لرسوله النازل منزلته سمعنا و
اطعنا حين بايعوه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره واتقوا
الله ان تنقضوا شيئا من عهوده ولو بالقلب ان الله عليم بذات الصدور بالضمائر
المخصوصة ثم اشار الى ان الوفاء بالميثاق انما يكون بالاستقامة فقال يا ايها الذين
آمنوا مقتضى ايمانكم الاستقامة كونوا قوامين مبالغين فى الاستقامة باذلين جهدكم
فيها لله وهى انما يتم بالنظر فى حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا شهداء بالقسط
بالعدل لا تتركوه لمحبة احد واشار الى ان رعايته فى حق الاعداء اشد فقال

ولا يجرمنكم شنآن لا يحملنكم شدة عداوة قوم على ان لا تعدلوا في حقهم فانا لا
نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق انفسكم في الاستقامة اعدلوا هو اقرب
للتقوى اي لحفظ الانفس ان يتجاوز حد استقامتها وان لم تتقوا الاعداء
في حقوقهم واتقوا الله ان تبطلوا حقوقه او حقوق عباده ولو بطريق توهمون
فيه العدل ان الله خبير بما تعملون ثم انه ان لم يحصل لكم فائدة في الاستقامة ولا
في العدل سيما في حق الاعداء كفاكم ما وعده من المغفرة والاجر العظيم عليهما اوقد
وعده عليها دونهما فانه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وان لم يبلغوا
حد الاستقامة وكمال العدل المغفرة والاجر العظيم ووعده صدق فلا شك انه
يحصل لهم مغفرة واجر عظيم ولو لم تعتقدوا وجوب الاستقامة والعدل و
لو في حق الاعداء اذ تقيسونهم على اهل الحرب كنتم في حكم اهل الحرب لكفركم
بآيات الله وتكذيبكم بها يا ايها الذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم وهي اشد من مقاساة شدائد الاستقامة والعدل ومما حصل من ايلامكم
للاعداء ثم اشار الى ان الله تعالى لو لم يعدكم المغفرة والاجر العظيم على الاستقامة
والعدل والمعاقبة على تركهما لزمكم القيام بهما شكرا له على حفظ اياكم عن
اعدائكم فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ملازمة شكره على نعمه اذكروا نعمة
الله عليكم في حفظه اياكم عن اعدائكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم ليقتلو
عند اشتغالكم بصلوة العصر بعدما رأوكم تصلون صلوة الظهر فقدموا الآلة
انكبوا عليكم فكف ايديهم عنكم اذ انزل عليكم صلوة الخوف واتقوا الله عند
رؤية رخصته ان تتركوا شيئا من الاستقامة المأمورة ترخصا من عند انفسكم
فاقل ما فيه خوف تسليط الاعداء وعلى الله فليتوكل المؤمنون اذا خافوا
في الاستقامة او العدل احدا فانه الكافي لمن توكل عليه ومن مستقيم على مقتضى
الايمان ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اشد مما اخذ عليكم اذ امرهم
ان يسيروا الى اريحا من ارض الشام لقتال الكنعانيين واخراجهم ولغاية

الاعداء بل من حيث ما فيه من توفية حقوقهم



شدة وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يتكفلون عنهم بالوفاء اذ كان لا يمكن الوفاء به الا بالتوكل
الكامل على الله وقال الله لهم اني معكم فلا يغلبونكم وان بلغوا من العظمة
والقوة ما بلغوا لو توكلتم علي وانتم مؤمنون مستقيمون فانه يحصل لكم النصر عليهم
مع ما وعدكم على الايمان والطاعات لئن اقمتم الصلوة الجامعة عبادة
الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان وآتيتم الزكوة المطهرة من حب
ما سوى الله واقمتم جميع الاوامر والنواهي في كل عصر بمقتضاه اذ آمنتم برسلي ودللتم
على كمال الايمان بهم اذ عزرتموهم بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط و
المكره وحملتم سمعكم وطاعتكم في الاموال والانفس اذ اقرضتم الله اموالكم
وانفسكم قرضا حسنا لا تطلبون فيه بعد دينويا من رياء وسمعة لاكفرن
لامحون عنكم سيئاتكم معاصيكم وهذا دون وعد المغفرة الكلية على مجرد
الايمان والاعمال الصالحة ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وهذا
دون وعد الاجر العظيم على مجردهما فمن كفر بوعد الله النصر المستلزم للكفر
برسله بعد ذلك اي بعد قول الله اني معكم منكم ايها الذين لم تزالوا يرون
آيات الله المتوالية فغاية الموعود وليس بعجب فقد ضل سواء السبيل
الموصل اليه والى كل مطلب عال ضلالا يوجب ملازمة الجحيم فسار موسى بهم
فلما دنا من ارضهم بعث النقباء يتجسسون ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا
اجساما عظاما فهابوهم فحدثوا قومهم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فنقضوا
الميثاق فبما اي فبشيء عظيم صدر منهم من نقضهم ميثاقهم المؤكد الموعود عليه
النصر والمغفرة والاجر لعناهم ابعدناهم عن رحمتنا فضلا عن وصول الموعود
من اثرها ابقاؤهم في التيه ويدل على لعننا اياهم انا جعلنا قلوبهم قاسية لا
تلين للجهاد برؤية الآيات والآفات الدالة على غضب الله عليهم وبقيت
تلك القساوة واللعنة في ذريتهم لذلك يحرفون الكلم كلام الله في التورية بصرف
الفاظه او معانيه عن مواضعه بمقتضى كمال الحكمة بحيث يعرف المأمور التغير

صغائركم

بمجرد اللفظ واجترؤا على ذلك لانهم نسوا او ان حفظوا الفاظها ونسوا
معانيها حظا كاملا مما ذكروا به من زواجر التوراة ولا تزال تطلع على خاينة
خصلة منسوبة الى الخيانة وراء التحريف تجدد منهم يتفق عليها جميعهم الا
قليلا منهم وهم المؤمنون واذ اكثر الخائنون منهم وقل امناءهم فلو نسبت الخيانة
اليهم ونفيتها عن القليلين لا يبعد منهم ان ينعكس فاعف عنهم ما غيروا واترك نعتك
واصفح عما غيروا من احكام الله تكن محسنا الى من اساء اليك والى الله
ان الله يحب المحسنين سيما الى المسيئين ولو الى الله ورسوله ونسخ باية السيف بعد
ما علم انهم لا يتركون اساءتهم بالاحسان وخيف ضررهم ثم اشار الى ان نقض
الميثاق قد اثر في النصارى اكثر مما في اليهود بخلاف زيادة تاثيره فيكم فقال
ومن الذين قالوا انا نصارى وان لم ينصروا عيسى بعد اخذ الميثاق به عنهم اخذنا
ميثاقهم ان يحفظوا دينه مع كثرة متشابهات كتابه وزجرناهم بانواع المواعظ
فنسوا حظا مما ذكروا به فاختلفوا نسطورية ويعقوبية وملكانية فكفر بعضهم بعضا
فاغرينا بينهم العداوة في الظاهر والبغضاء في الباطن فيحصل لهم مع لعنة الله
لعن بعضهم بعضا وفسقت قلوبهم فلا تلين للانقياد الى يوم القيمة يعذبون
بالقتل والاسر ونهب الاموال فهذا اثر نقضهم في الدنيا ولا تقتصر عليه بل سوف
ينبئهم الله في الآخرة وكفى به لو لم يعذبهم بما كانوا يصنعون من القاء الشبهات
والتمثال على الباطل فلو نقضتم الميثاق كان عليكم ان يصيبكم في الدنيا مثل ما
اصاب احد الفريقين وفي الآخرة بملازمة عذاب النار ولو زعموا ان
احدا من الفرق لا يقدر على ازالة شبهة الفرقة الاخرى قال لهم يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا لاقامة الحجج وازالة الشبه مما خفي عليكم او ظهر لكم ولكنكم تخفونه لئلا
تلزموا به فانا كم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب مما فيه حجة او يرفع شبهة
ومقصوده بذلك اظهار الحق لا كشف فضايحكم لذلك يعفو عن كثير ولو لم يكن
ما يبينه من مخفياتكم يوجب قبوله لانه قد جاءكم من الله نور من الادلة القطعية





العقلية وكتاب مبين لتلك الادلة تاييدا لها باعجازه وليس من ضلال
الشيطان اذ يهدي به الله من اتبع رضوانه طلب الاعتقادات والاعمال
والاخلاق والاحوال التي فيها رضاه كما لها في نفسها سبل السلام اي سلامتها
عن شوائب الكفر والبدعة ويخرجهم من الظلمات الشبه الى النور نور الدلائل
القطعية باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم فلا تميل في تلك الابواب الى افراط
ولا تفريط ثم اشار الى افراط بعض النصارى في حق عيسى وتفريطهم في حق
الله فقال ان الله هو المسيح مع ان المسيح هو ابن مريم والله ليس ابن
مريم قل لو كان عيسى متحدا بالله لكان واجب الوجود لذاته لكنه ممكن وكل ممكن
داخل تحت قدرة الله تعالى فمن يملك يقدر ان يدفع من الله اي من مرادات
الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح من جهة كونه ابن مريم ومن ساوى فيها
امه ومن في الارض ومن يقدر على اهلاكهم جميعا فضلا عن آحادهم وكذا
من جهة روحه لان غايتها انها سماوية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
فكل ذلك محل تصرفه بالايجاد والافناء فالله تعالى قادر على افنائها كما هو قادر
على ايجادها ولكنه يخلق ما يشاء مما له ضد فيفنيه به وما لا ضد له فلا يفنيه عادة
لجريان سنته انه لا يفعل شيئا بلا سبب لكن لا لنافي قدرته والله على كل شيء قدير
ثم اشار الى انهم كما افرطوا في حق عيسى افرط البعض الآخر منهم في حقه باثبات
البنوة واليهود في حق عزير باثبات البنوة وافرطوا في حق انفسهم والكل فرطوا
في حق الله تعالى فقال وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله لانا اتباع
ابنيه عزير وعيسى بالحقيقة والتابع في حكم المتبوع وان لم نكن ابناءه فلا اقل من
انا احباؤه لانا احباء ابنيه المحبوبين له ومحبوب المحبوب سيما اذا كان ابنا
محبوب للمحب قل ان الابن والمحبوب لا يعذبه الوالد والمحب فلم يعذبكم بالاسر
والقتل والمسخ والنار وان زعمتم اياما معدودة وليس من الابتلاء اذ المحبوب
لا يبتلى فهو يعذبكم على ان تابع الابن لا يكون في حكمه كيف وابنية الله خروج من

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى اتخذ بلا موت الله فكانهم قالوا صح

البشرية ولستم بخارجين عنها بل انتم بشر وغاية ما يمكنكم من الانتقال عنها الانتقال
الى الملكية وهي الصاحبة الخلقة فانتم ممن خلق وانبية الله خروج من الخلقة
بالكلية والمخلوق محل مشيته فلا تعين في حقكم الغفران الذي يتعين في حق الابن
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكيف تخرجون عن مشيته مع دخولكم
في ملكه اذ لله ملك السموات والارض وما بينهما ولا تعز عليه تنفيذ مشيته بعد
كما تعسر على بعض الملوك اذ اليه المصير اى مصير الكل ثم اشار الى انه لا عذر لهم
في عجزهم عن رد متشابهات كتابهم الى محكم من اختلافهم في كيفية الرد فقال يا
اهل الكتاب العاجزين عن رد متشابهاته الى محكمه قد جاءكم رسولنا
لردها ولا تعذرون في اختلافكم في كيفية الرد لانه يبين لكم كيفيته وانما
يرجى قبول عذركم لو بقيتم على فترة من الرسل لكن الله ازال عذركم بارساله
كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في اخذ احد الطرفين وترك
الآخر فان اعتذرتم الآن لم يقبل منكم فقد جاءكم بشير ونذير بل لو لم يرسل
اليكم كان له ازالة عذركم اذ لا يتعين لازالته ارسال الرسل والله على كل شيء قدير
لكنه لما كان قاطعا للعذر من اصله باوضح الطرق اختاره ثم اشار الى ان تفريطهم
في حقه مع حثه اياهم على شكر الله ليسارعوا الى امتثال امره فقال واذ قال موسى
لقومه يا قوم ما لكم تفرطون في امر الله ولو لم يفرط في حقكم اذكروا نعمة الله عليكم فوق
نعم من سواكم اذ جعل فيكم انبياء هم اكمل الخلائق ومكملوهم وجعلكم اى بعضكم
الذين يجعلون البافين في حكم الملوك فكانه جعل جميعكم ملوكا ينفذون احكامهم
وآتاكم من الفضائل والعلوم ما لم يؤت احدا من العالمين من اهل عصركم
فتقتضي هذه النعم المبادرة الى امتثال اوامر المنعم شكرا له ليزيدكم نعمة يا قوم
ادعوكم الى ما يستزيدون به النعم ادخلوا الارض ارض اريحا المقدسة بمساكنة
من مضى من الانبياء وقد تلوثت الآن بمساكنة الاعداء من جبابرة الكنعانيين
فاراد تطهيرها باخراجهم واسكانكم لانها التي كتب قدر الله مصيرورتها لكم لو قاتلتم

من فيها وقد امركم بذلك امرا جازما لانه لا تردوا الا ترجعوا عن امره فترجعوا
عن منزلة قربه على ادباركم ظهوركم فيلحقكم غضبه فتنقلبوا فترجعوا خاسرين
لا يبقى لكم ملك ولا علم ولا عمل قالوا يا موسى ناداه باسمه استهانة له ان فيها قوما
جبارين متغلبين ليس لنا مقاومتهم وانما وعدنا الله النصر لن ندخلها
وان حصل لنا فيها ما حصل من المزية حتى يخرجوا منها لرعب يقع في قلوبهم
من غير قتال منا فان يخرجوا منها لذلك الرعب فانا داخلون لا نبالي
بتغلبهم بعد ذلك قال رجلان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من الذين
يخافون الخسران على مخالفة امر الله وترك الامر بالمعروف ولذلك انعم
الله عليهما ادخلوا متحرسين عليهم الباب فانه مخوف لهم فاذا دخلتموه
بامر الله بعد وعده النصر لكم فانكم مع غاية ضعفكم غالبون عليهم مع غاية
قوتهم وعلى الله لا على قوة انفسكم فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته
ووعده النصر قالوا يا موسى انا وان وعدنا النصر وامرنا بالتوكل على الله
وجزمت بغلبتنا عليهم لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فان كان لربك قدرة
على تضعيفهم وتقويتنا ولك اعتماد على تقويته اياك فاذهب انت وربك
فقاتلا فانكما يكفيان في قتالهم ولا حاجة لربك بنا فلا ندخل قريتهم ولا نقرب
منها بل انا ههنا اى في مكاننا بعيدا عنهم قاعدون قال رب اني لا املك
احدا الزمه قتالهم الا نفسي واخي ومن يواصلني ويوافقني كهرون ويوشع
وكالب ويجاهد بنا غيرهم فافرق فاحكم بما يميز بين المحق والمبطل فيفرق
بيننا وبين القوم الفاسقين الخارجين عن امرك قال فرقي ان اضلهم
ظاهرا كما ضلوا باطنا واخرجهم عما آتيتهم من فوائد علمهم وفضائلهم وملكهم كما
خرجوا عن امري حتى اخرجهم عن ارضهم الموعودة لهم فانها محرمة عليهم اربعين
سنة اربع عشرات اكمل اعداد الافراد المكررة تكرارا يبلغ عدده العشرة
لاشتماله على واحد واثنين وثلثة واربعة ضالين خارجين عن ملكهم وعن

بالنبوة المستلزمة لسائر النعم صح

الملك الموعود لهم اذ يتيهون يترددون في الارض التي اختاروا القعود
فيها عن ارضهم وارض عدوهم وهي ستة فراسخ يسيرون فيها من الصباح
الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا منه لا لذة ولا فرح لهم وان كان الغمام
من الشمس يظلهم وعمود من النور يضيء لهم بالليل ومعاشهم من المن والسلوى
وماؤهم من الحجر الذي يحملونه واذا اراهم في التيه لا يلتذون بشيء مما ذكر
فلا تأس لا تحزن على القوم الفاسقين الخارجين عن امرنا وامرك
فلا تشفع لهم وكان معهم موسى وهرون ويوشع وكالب غير انهم لا يتعذبون
بل يتلذذون ولكن بفراقهم وامات فيه هرون ثم موسى والنقباء غير
يوشع وكالب ثم دخل يوشع اريحا بثلثة اشهر ولا يبعد وقوع تارك امر الله
في التيه مع انه وقع لممتثل امره لا عن التشهي ومن القاتل من ابني آدم
فقتل اخاه ظلما منه ثم صار اضل من الغراب في دفنه واتل عليهم نبأ ابني
آدم هابيل وقابيل لتنبيه بالحق اي الواقع في كتب الاولين من غير نظر
فيها ولا سماع من اهلها اذ قربا قربانا ما يتقرب به الى الله ليدل قبوله بنزول
نار تأكله على استحقاق توأمة قابيل التي اراد تزوجها هابيل اذ اوحى الله
ان زوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط قابيل اذ كانت توأمته اجمل
فقال آدم قربا قربانا فمن ايكما يقبل تزوجها منه فتقبل من احدهما وهو هابيل
قرب حملا سمينا ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل قرب اردأ قمح قال
لاقتلنك على قبول قربانك الذي يتوسل الى تزوج توأمتي قال عدم قبول
قربانك كان من قبلك اذ لم تتق الله فلم ترض بحكمه ولم تخلص النية انما يتقبل
الله من المتقين والله لئن بسطت مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك دفعا اني وان لم اكن في الدفع ظالما اخاف الله
ان يكره هتك بنيانه الجامع ليظهر فيه من حيث كونه رب العالمين
ولو لم اخف الله لم اكن لاقتلك دفعا اني اريد ان تبوء ترجع الى الله

متلبسا باثمي اذ تحمل عليك لظلمك علي وليس لك حسنة واثمك الذي لا تحمله
وان قتلك دفعا فتكون بالاثمين من اصحاب النار اخذا منها مكاني و
مكانك وليس ذلك لارادتي شقاوتك بل لوقوعه من ظلمك اذ وذلك جزاء
الظالمين فلم يتأثر بهذه الكلمات فطوعت زينت له نفسه الامارة بالسوء
قتل اخيه الذي حقه ان يحفظ من كل من قصده بسوء بالتحمل على نفسه فقتله
عند عقبة حراء او بموضع المسجد الاعظم بالبصرة فاصبح من الخاسرين دينا
اذ صار كافرا حاملا للدماء الى يوم القيمة ودنيا اذ صار مطرودا مبغوضا للخلائق
يحمله في جراب على ظهره اربعين يوما حتى اروح ولا يدري ما يصنع به من افراط
حيرته فبعث ارسل الله غرابا فجاء يبحث يحفر بمنقاره ورجله متعمدا في الارض
ليريه اي الغراب القاتل اخاه كيف يواري يستر سوءة جسد اخيه الميت
فانه يستقبح ان يرى قال يا ويلتا يا هلكتي احضري اذ صرت اضل من الغراب
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب الذي هو اخس الحيوانات في القدرة
على تحصيل معرفة المواراة مع اني احوج اليه فأواري سوءة اخي فعلم انه
صار اجهل من الحيوانات العجم فاصبح من النادمين بكونه ادنى منها واضل
من اجل ذلك المصير الى ادنى من الحيوانات العجم واضل منها وخسران
الدارين والذهاب بالاثمين كتبنا على بني اسرائيل الذين لا يبالون لزاجر
ومرغب لم يبلغ الغاية انه من قتل نفسا بغير قتل نفس او بغير فساد يسري
ضرره في الارض كقطع الطريق وزنا المحصن والشرك فكأنما قتل الناس جميعا
اي اثم اثم من قتل الجميع كقابيل وان لم يسن القتل ومن احياها عفى عنها
القتل فكأنما احيى الناس جميعا اي تصدق عليهم بالحيوة لو امكنه ولم يكن هذا
المكتوب مما تركناه ولم نوصله اليهم بل والله لقد جاءتهم رسلنا لا بمجرد الدعوى
بل بالبينات ثم اي بعد مجيئهم ان كثيرا منهم بعد ذلك الزجر المسموع من رسلنا
في الارض بالفساد والقتل لمسرفون فحصل لهم اثم قتل الناس جميعا

جيما مرادا غير متناهية ولا اثم في قتلهم لانهم اصل الفساد الذين اشتأتهم
لانه انما جزاء الذين يقطعون الطريق كانهم يحاربون الله ورسوله لانهما
يأمران باصلاح الارض وهؤلاء يسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
من غير قطع ولا صلب ان افردوا القتل او يصلبوا بعد القتل وقيل
احياء ان قتلوا واخذوا المال او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي من
جانبين مختلفين ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض بحيث
لا يستقرون بمكان ان اقتصروا على التخويف فالتقسيم ذلك الجزاء ليس
بجزائهم بالحقيقة بل هو غايته انه لهم خزي هوان وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم هو جزاؤهم بالحقيقة لكنه لما سقط بحدود الدنيا اذا اقيمت
سمي بجزائهم وحصر فيه وجعل جزاء جميعهم الا الذين تابوا من قطع الطريق
من قبل ان تقدروا عليهم فان ذلك يسقط حدودهم والعذاب الاخروي
ايضا وان ترددتم في ذلك لعظم جرمهم فاعلموا ان الله غفور رحيم
لكن لا يسقط حق الخلق فيقتلون قصاصا ويغرمون المال هذا اذا كانوا
مسلمين واما المشركون فاذا آمنوا وتابوا عن القطع قبل القدرة عليهم
سقط عنهم الجميع فاذا كان هذا جزاء قاطع طريق الدنيا فقاطع طريق الآخرة
جزاؤه اقطع لانه المحارب الحقيقي لله ورسوله من كل وجه بل من عصى الله
في خاصة نفسه ففيه نوع محاربة لله ورسوله يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم
اتقاء محاربته ولو بمعاص تخصكم اتقوا الله ان تضيعوا احدا من حقوقه
فانه قاطع لمحبته موجب لمحاربته ولا يتم الا بوسيلة محبته ولذلك ابتغوا اليه
الوسيلة من الاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة
ولا تتم الا بمجاهدة النفس ولذلك جاهدوا انفسكم مستقرين في سبيله لا بطرق
الرهبانية لعلكم تفلحون راجين فلاحكم ولا فلاح بالمال ولا يصلح للوسيلة
الى الله تعالى حتى انه لا يفيد النجاة ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض

السارق اذا

من الاموال وغيرها جميعا ومثله معه ما معه جاؤا به ليفتدوا به ويتخلصوا
من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولا يفديهم تخفيفا بل لهم عذاب اليم
كان لهم قبل الفداء ولم يكن فداؤهم لنيل الفلاح بل غايتهم انهم يريدون ان
يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها بهذا السبب ولا بغيره وليس لهم
سبب من الاسباب ينفعه حينا من الاحيان بل لهم عذاب مقيم دائم وليس
هذا لهوان المال بحيث يهون العذاب على قاطع الطريق لاجله فانه يقطع
فيه اشرف اعضاء السارق وان كان دون قاطع الطريق في القوة والسارقة
وان كانت اضعف منه يستحقان قطع الكف فاقطعوا ايديهما اي الكف من
يمينهما اطلق عليها اليد لقيامها بمنافعها وجمع لان اليمين لقوتها قائم مقام
اليدين وانما امر بقطعها جزاء بما كسبا بقطع الآلة الكاسبة نكالا عقوبة
من الله على فعل السرقة المنهي عنه من جهة لا في مقابلة اتلاف المال فانه غير
السرقة فلذلك لا يسقط بعفو المالك بخلاف العفو عن المال ولا يبالي فيه
لعزة السارق والله عزيز لا يبالي مع عزته الموجبة لامتثال امره عزة من
دونه وكيف يخالف امره وهو حكيم يختل امر نظام العالم بمخالفة امره اذ فيه
نفع عام للخلائق ولا يفيد في مقابلته ضرر السارق على ان له فيه نفعا لانه
يكون سببا للتوبة فمن تاب رجع الى الله ولو من بعد ظلمه مثل هذا الظلم
العظيم واصلح بالخروج عن التبعات فان الله يتوب عليه يرجع عليه بالتوفيق
للخيرات ان الله غفور رحيم ولا يستبعد من الله تعالى ذلك اذ له التصرف
الكامل في الكل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يتصرف فيهما بالاصلاح
والخذلان لانه لارادة ظهوره بالجلال والجمال على وجه الكمال يعذب من
يشاء ويغفر لمن يشاء ولا مانع له من الظهور بالجمال بعد الظهور بالجلال و
بالعكس اذ الله على كل شيء قدير ثم اشار الى ان المذكور في حق السعاة
بالفساد في الارض وفي معناهم الزناة وفي حق السراق حدود الله وحق

الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقيمها من غير مبالاة بكفر من يسارع الى الكفر
بها فقال يا ايها الرسول الذي شأنه القيام بامر المرسل من غير مبالاة احد
لا يحزنك الذين يسارعون الى الوقوع في الكفر بما تقيم من الحدود من
المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم وليست متعلق الايمان ولم تؤمن
قلوبهم وهي متعلقة الايمان فغايتهم انهم يكفرون باللسان ايضا ولا تبال
مع سبق كفرهم من الذين اي من عوام الذين هادوا روي ان شريفين محصنين
زنيا فكرهوا رجمهما فارسلوا مع رهط الى قريظة ليسألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنهما وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم اي تسخيم الوجه بالفحم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فجعل صلى الله عليه وسلم عبد الله بن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى
ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه
وحلاله وحرامه فهل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه
قال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر صلى الله عليه وسلم برجمهما
فرجما عند باب المسجد وكيف يحزنك قولهم وغايتهم انهم سماعون للكذب
للحكم الكذب ممن يقرب منكم فان ترددوا في قولهم لظهور العداوة بينك
وبينهم فهم سماعون لقوم آخرين اي لقول قوم آخرين لا يتهمون فيهم
عداوتك لانهم لم يأتوك فلا يعلمون انهم من شدة عداوتهم يحرفون الكلم
كلم التورية في الاحكام من بعد مواضعه كما فعلوا في نعوتك يقولون لمن
ارسلوه اليك من عوامهم ان اوتيتم هذا الذي نقول لكم فخذوه اي فاقبلوه
وان لم تؤتوه فاحذروا من قبوله وقد ظهر كذبهم من قول عبد الله بن صوريا
فكان حقهم الرجوع عنه بعد ظهوره لكن اراد الله فتنتهم بالتعذيب الابدي
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا في دفعها وهي انما تندفع
بطهارة القلب في الدنيا ولكن اولئك البعداء في الضلال بعد ظهور كذبهم

الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فكيف تندفع عنهم فتنة الله بالتعذيب الابدي
بل لهم في الدنيا خزي من ان يأخذ الجزية صاغرين لاستكبارهم على الله
ولهم في الآخرة عذاب عظيم وكيف لا يعظم عذابهم وهم سماعون للكذب
بعد ظهور كذبه مع انهم قد علموا من المخبرين انهم اكالون للسحت على تحريف
الكتاب فان جاؤك اي السماعون للكذب من اكلة السحت فاحكم بينهم
ان شئت لانهم اتخذوك حكما او اعرض عنهم لانهم يسارعون الى الكفر
بحكمك وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بنسبة الجهل اليك وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي في كتابهم وكتابك لا بما سمعوا من الكذب
من اكلة السحت ولا تبغ تهمتهم لكن لان الله تعالى يرفعها عنك ان الله يحب
المقسطين وهذا التخيير في اهل الحرب واما اهل الذمة فيجب الحكم لالتزامهم
احكامنا وكيف يحكمونك يجعلونك الحاكم في حد الزاني المحصن وعندهم
لا عندك التورية فيها لا في غيرها حكم الله بالعدل ثم كيف يتولون عن
حكمك من بعد ذلك بما نفيا ذلك المشعر بتجويزهم النسخ واذا لم ينقادوا
بحكم التورية ولا بحكمك علم انه ما اولئك بالمؤمنين بالتورية ولا بك لان
عدم انقيادهم لم يكن مع الاقرار بحكمهما بل مع الانكار لما في التورية ايضا
ولا وجه له لانه انما ينكر الشيء اما لانه لم ينزل من الله او لانه لا دليل فيه او
لوجود الشبهة او لمخالفة جمهور العلماء او لاختصاصه بطائفة دون اخرى ولم
يكن في التورية شيء من ذلك انا انزلنا التورية فيها هدى ذكر الدلائل
ونور رفع الشبه يحكم بها النبيون الذين هم اعقل الناس الذين اسلموا
انقادوا الحكم التورية لا الذين حرفوا بعض احكامها للذين هادوا لا لمن يأتي
بعدهم ولم يختص به الانبياء بل يحكم به الربانيون اي الاولياء والاحبار
اي العلماء ولم يكن حكمهم بما حرفوه بل بما استحفظوا امروا بحفظه عن التحريف
لكونه من كتاب الله وكيف يحرفونه وكانوا مانعين من التحريف اذ كانوا

عليه شهداء فان انكرتم ما اتفق عليه سؤالا من خشية الناس فلا تخشوا
الناس واخشون وليس خشية الناس الا من فوات الدنيا لا تشتروا
لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا لتحكموا بالمحرف على انه حكم الله ومن لم يحكم
بما انزل الله وحكم بالمحرف على انه الذي انزله الله فاولئك هم الكافرون
وقد حكموا بخلاف ما انزل الله اذ اخذوا بقتل واحد من بني النضير على بني
النضير على بني قريظة دية اثنين ومن كقتل اثنين بواحد وفقأ عينين من
بني قريظة لعين من بني النضير وقد كتبنا عليهم فيها في التورية ان النفس بالنفس
فديتها دية الواحد والعين بالعين ولا ثاني في الانف ولذلك اخذوا
الانف بالانف مع اثباته في الاذن والسن اخذوا الاذن بالاذن
والسن بالسن ولم يوسعوا الجروح قصاص على ان الفضل غير منضبط
بالنسب بل فضل الفاضل معفو عنه كانه متصدق به فمن تصدق به يعني
عن الجاني فهو كفارة له اي لذنوب المجني عليه كما محى ذنوب الجاني
في حق نفسه فهذا ما انزل الله ومن لم يحكم بما انزل الله بل اخذ الزائد من
المفضول للفاضل فاولئك وان راعوا الفضل هم الظالمون لانهم حكموا
بخلاف حكم العدل وقفينا جعلنا الظالمين غالبا على آثارهم لئلا يتبع تلك
الآثار الظالمة بعيسى لا على انه آية يحكم بخلاف حكم الله بل على انه من ابن
مريم وهو وان نسخ بعض احكام التورية كان مصدقا لما بين يديه اي
للحكم السابق عليه من التورية بانه حكم الله في ذلك العصر وانما لم يحكم بما فيها
لانا آتيناه الانجيل وهو مثل التورية من حيث ما فيه هدى ونور ولم يكن
نسخه تكذيبا لها بل كان مصدقا لما بين يديه للحكم الذي نزل قبله من حيث انه
كان حكما قبله من التورية حين لم ينسخ لم يبق حكما حين نسخ وكان هدى الى
مصالح اهل كل زمان علم به ان المصلحة كانت في زمن موسى الحكم بما في التورية
وفي زمن عيسى الحكم بما في الانجيل هذا باعتبار المعاش وكان اختلاف

الجروح على المفضول بل قالوا صح

الله

الحكم موعظة نافعة للمتقين بان امر الدنيا ينعكس في الآخرة بمقتضى اختلاف
الزمان كما اختلف الاحكام في الدنيا باختلاف الازمنة ولم يكن الحكم بالانجيل
مخصوصا بعيسى بل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه لا بما في التورية وان
تساويا في الهدى ولكنه لم يبق هدى بعد النسخ حتى صار الحاكم به حاكما
بخلاف ما انزل الله ومن لم يحكم بما انزل الله على رسوله فانهم وان حكموا بما
انزل على من قبله فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن حكم الله اذ لا عبرة
بالمنسوخ ثم اشار الى ان الانجيل وان نسخ التورية فهو منسوخ بكتابك
كالتورية في بعض الاحكام التي لم تنسخ في الانجيل فقال وانزلنا من مقام
عظمتنا اليك يا اكمل الرسل الكتاب الكامل الذي لا يستحق غيره ان يسمى
كتابا بالحق بالحكم الثابت الذي لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيمة لاشتماله
على مصالح زمانك ومصالح الازمنة الآتية الى يوم القيمة ولكن لم يبطل مصالح
مصالح التورية والانجيل فيما تقدم بل مصدقا لما بين يديه من مصالح الكتاب
السابق عليه ولم يعلم صدق هذا الكتاب من موافقة تلك الكتب حتى يدل
نسخه لها على كذبه بل كان مهيمنا عليه شاهدا على صدقه لاعجازه وذلها
واذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيمة ولم يبق مصالح الكتاب من مصالح في هذا العصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اليك لا تتبع ما في كتبهم اذ صارت بعد النسخ اهواءهم
اهواءهم تنصرفك عما جاءك من الحق الذي لا ينسخ وانما صارت الآن
اهواءهم اذ لكل من اهل عصر جعلنا منكم شرعة طريقة موصلة الى الله ومنهاجا
طريقا واضحا الى مصالحهم وليس هذا بطريق البداء بل بطريق الابتلاء فانه
لو شاء الله لجعلكم يا اهل العصر امة واحدة متفقة على ملة ولكن جعلكم امما
مختلفة ليبلوكم من الشرائع المختلفة هل تتركون ما الفتم منها لما احدث بعدها
ام لا ولم يفعل ذلك بطريق التحكم بل راعى فيها مصالح الازمنة فاستبقوا
فابتدروا الشرائع الخيرات بلا تردد من جهة ترك المألوفات ولا تحسر

فی ترک المألوفة من حیث اختصاصها بالایصال الی الله تعالی دون المتجددة
بل الی الله مرجعکم جمیعا لا یصال الشرایع کلها الیه ما دامت باقیة وانتم وان
جهلتم فوایدتلک الشرایع الآن فاذا رجعتم الی الله فینبئکم بما کنتم فیه تختلفون
ای بفوائد کل شریعة فی عصرها وبتحمل بعضها اکمل من بعض حتی تکون
غایة الکمال لک امرک ان احکم بینهم بما انزل الله الیک وان خالف ما الفوه
ولیقول لک لا تتبع اهواءهم اذ لم یبق لها کمال بعد ظهور شرعک ولغلبة الاهواء
الفاسدة التی لا توافق ما انزل الیک ولا ما انزل الیهم احذرهم ان یفتنوک
بالاطماع فی ایمان اتباعهم فیصرفوک عن بعض ما انزل الله الیک فی کتابک و
کتابهم فی الحکم لاجلهم علی خصمائهم علی خلاف المنزل روی ان بعض احبارهم
قالوا اذهبوا بنا الی محمد لعلنا نفتنه عن دینه فاتوه فقالوا یا محمد انا احبار
الیهود وانا ان اتبعناک اتبعک الیهود وان بیننا وبین قومنا خصومة فنحاکم
الیک فتقضی لنا علیهم فنصدقک فانزل الله تعالی الآیة فان تولوا عن الایمان
لتولیک عن فتنتهم فاعلم انما یرید الله ان یصیبهم بالاهلاک الکلی ببعض ذنوبهم
وهو ان یفتنوک عن بعض ما انزل الله ولاهلاکهم دینهم بتحریف کتابهم ان
کثیرا من الناس وان لم یحرفوا کتابهم لفاسقون خارجون عن حکمه کتفضیلهم
بنی النضیر علی بنی قریظة فی باب القتل وسواء فی طلب الحکم منک مثلهم ایفتنوک
عن بعض ما انزل الله افحکم الجاهلیة یبغون منک کانهم یرونه احسن الاحکام
ومن احسن من الله حکما وان خالف اهواء المحکوم علیه لکنه احسن لقوم یوقنون
ینظرون بنظر الیقین الی العواقب یا ایها الذین آمنوا اذا کان تودد اهل الکتاب
لرسول الله صلی الله علیه وسلم لقصد افتتانه عن بعض ما انزل الله مع غایة کماله
فکیف حال من یتودد الیهم من المؤمنین لا تتخذوا الیهود والنصاری اولیاء
کیف وهی بالموافقة من کل وجه فلا یکون مع مخالفة الدین الموجبة اشد العداوة
لذلک بعضهم اولیاء بعض للموافقة من جمیع الوجوه ومن یتولهم منکم فانه وان

زعم انه مخالف لهم فی الدین فهو بدلالة الحال منهم لدلالتها علی کمال الموافقة الا ان
یکون تولیهم للاستهزاء بما یسمع منهم لانهم ظالمون بالتحریف فلو لم یحرفوا فالموالون
لهم ظالمون بموالاتهم بعد النهی عنها فلیسوا بقابلین للهدایة ان الله لا یهدی القوم
الظالمین واذا بطل عذر الاستهزاء فی موالاتهم وهو السلامة من شرهم عند غلبتهم
فتری الذین فی قلوبهم مرض شک فی وعد الله لاظهار دینه یسارعون فیهم
فی مودتهم دفعا لشرهم عند غلبتهم من غیر نظر فیما یلحقهم من الضرر فی دین الله و
الفضیحة بالنفاق یقولون فی عذرهم نخشی ان تصیبنا دائرة من الفلک فیکون
الدولة لهم فنحن نتحفظ عن شرهم ولا یتفکرون فی ان الدائرة ربما تصیب موالیهم
من اهل الکتاب فعسی الله قریب رجاء ان یأتی بالفتح النصر للمؤمنین
علی اهل الکتاب او امر من عنده ای وباتیهم بآفة سماویة تهلکهم فیصبحوا
ای المنافقون علی ما اسروا فی انفسهم من الشک فی ظهور الاسلام نادمین
لافتضاحهم بالنفاق مع الفریقین وذلک لانه یقول الذین آمنوا للیهود عند
تباعد المنافقین عنهم اهؤلاء الذین اقسموا بالله جهد ایمانهم انهم لمعکم وقد تباعدوا
عنکم فیظهر انهم لم یکونوا مع المؤمنین ولا مع الیهود فتحقق انه حبطت اعمالهم من
ترددهم فی دین الاسلام ودین الیهود جمیعا فاصبحوا خاسرین فی الدنیا اذ ظهر
نفاقهم عند الکل وفی الآخرة اذ لم یبق لهم ثواب لا علی تقدیر صحة دین الاسلام ولا
علی تقدیر صحة دین الیهود ثم اشار الی انه تعالی کما لا یهلک هذا الدین بدائرة لا یهلکه
بارتداد طائفة فضلا عن النفاق فقال یا ایها الذین آمنوا من یرتد منکم عن دینه
لم یکن ارتداده سبب هلاک هذا الدین فسوف یأتی الله لاظهاره بقوم من
اهل الکمال یحبهم فیقبل بسبب محبة الله ثناؤه ورضاه وتوفیقه وانعامه
ویحبونه اذ یرون کمالاتهم منه ومعنی محبة العبد ایثاره جنابه علی ما سواه والمسارعة
الی طاعته وطلب مرضاته وفیه اشارة الی ان من ارتد فانما ارتد لبغض الله ایاه
لمحبته ما سواه اذلة علی المؤمنین الذین یتذللون لله من فرط محبتهم له فیحبون

محبته ويتذللون لهم أعزة على الكافرين المستكبرين على الله كسرا لتكبرهم الذي
هو سبب عداوتهم لله ويبالغون في كسره عليهم إذ يجاهدون في سبيل الله فيضربون
رقابهم ويأسرون أهليهم وأولادهم وينهبون أموالهم ولا يخافون لومة لائم
في الجهاد بأنه إلقاء النفس في التهلكة أو قطع رحم الآباء والأولاد والأقارب
والمرتدون يتذللون عند الغريبين ويجتنبون عن الجهاد ويخافون لوم الكفرة
ذلك المذكور من حب الله إياهم وحبهم وذلتهم للمؤمنين وعزتهم على الكافرين وجهادهم
في سبيل الله وعدم مبالاتهم للوم اللائم فضل الله الذي فضل به أولياءه أما
المحبتان فظاهر وكذا العزة على الكفار والجهاد وأما الذلة على المؤمنين فلأنه
تواضع موجب للرفع وأما عدم خوف الملامة فلما فيه من تحقيق المودة مع الله
يؤتيه من يشاء ممن يريد به مزيد الإكرام من سعة جوده كيف والله واسع الجود
لكنه لا يجود بهذه الفضائل على كل أحد لأنه عليم وقد علم أن هؤلاء أحق
بالمزيد ولما نهى عن موالاة اليهود والنصارى أشار إلى من يتعين للموالاة
فقال إنما وليكم الله المفيض عليكم كل خير ورسوله الذي هو واسطة الفيض
والذين آمنوا المعينون في موالاة الله ورسوله بأفعالهم لأنهم الذين
يقيمون الصلوة التي هي أجمع العبادات البدنية ويؤتون الزكوة الغا
محبة المال الجالب للشهوات وهم راكعون متذللون غير معجبين فإن يتولهم
توحشهم ممن يواليهم بالعون في موالاة الله ورسوله ولا ينبغي ممن يواليهم أن يخاف
شر الغرباء فإن من يتول الله المفيض للقوة والنصر ورسوله المستفيض منه لهما
والذين آمنوا الموعود لهم بهما كان من حزب الله وإن صار مغلوبا أحيانا فغاية
الغلبة له فإن حزب الله هم الغالبون في العاقبة ثم أشار إلى أن موالاة
غيرهم إن كان لجلب نفع فضررها أعظم وإن كان لدفع ضر فالضرر الحاصل بها لا
يفي بالمدفوع فقال يا أيها الذين آمنوا مقتضى إيمانكم حفظ تعظيم دينكم ولا تحفظ
في موالاة غير من ذكر لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم الذي هو رأس مال الكمالات

الذي به انتظام معاشكم ومعادكم وهو مناط سعادتكم الأبدية وسبب قربكم من
ربكم وهو واصلة هزوا أي استخفافا ولعبا أي الاستخفاف به حتى لعبوا بعقول
أهله لعبا وذلك مما يخاف سرايته إلى من يواليهم لكونه من الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم مع أن الواجب أن لا يبالى بهم لأن وجوده منهم ومن
الكفار بالسوية من حيث إنه لا يستند إلى دليل ومع ذلك يخاف سرايته
إلى من يواليهم من العوام فلا تتخذوهم أولياء وإن اعتقدتم أنكم لا تتأثرون
بهم اتقوا الله أن يؤثر فيكم بموالاتهم التي نهى عنها إن كنتم مؤمنين بأن مخالفته
موجبة لتأثيرها بضرر وإن كان مما لا ينبغي أن يؤثر في العقلاء كما أنكم إذا ناديتم
إلى الصلوة التي هي أكمل القربات بندائها داعيتم فيه المعاني الشريفة من تعظيم
الله باعتبار ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومن ذكر توحيده باعتبار
ذاته وباعتبار عدم مغايرة أسمائه وصفاته ومن تعظيم رسوله باعتبار
قيامه بمصالح المعاش والمعاد ومن الصلوة من حيث هي وصلة ما بين
العبد وبين الله ومن حيث إفادتها معالي الدرجات ومن تعظيم مقصد
وهو الفلاح في الظاهر والباطن وما هو غاية مقصده من القرب من
الله باعتبار عظمة ظاهره وباطنه ومن الوصول إلى توحيده الحقيقي اتخذوها
هزوا ولعبا يقولون من أين لك صياح كصياح العير ذلك الاستهزاء
بمثل هذه الأمور بأنهم قوم لا يعقلون فكيف يبالى له وإن كان من أهل
الكتاب قل يا أهل الكتاب العالمين بالنقائص والكمالات التي يستحق
على نقصها وفقدها الاستهزاء هل تنقمون تعيبون بالاستهزاء منا النقص
فينا وكمالا فيكم قد فاتنا إلا أن آمنا بالله وهو رأس الكمالات وما أنزل
إلينا وهو أصل الاعتقادات والأعمال والأخلاق والأحوال والمقامات
وما أنزل من قبل وهو يشهد لما أنزل علينا فجعلتم لهذه الأمور نقائص
موجبة للاستهزاء وأن أكثركم فاسقون خارجون عن جميع ما ذكر كدعوة

الولد والاتحاد بعيسى او كونه ثالث ثلثة وكفركم بما انزل الينا ونحن نعلم بما انزل اليكم فجعلتم هذه الامور كالات يستهزئ من اتصف بها ممن فاته وهذا الا بالحقيقة منقلب عليكم قل هل انبئكم بشر من ذلك الانتقام الذى لنا ان ننتقم به منكم وان انتقمتم به منا مثوبة انما لنا منكم ثوابنا عند الله غير قابل للقلب علينا مثوبة من لعنه الله ابعده من رحمته منكم ولم يقتصر عليه بل غضب مع ذلك عليه فاعد له العذاب الشديد الخالد ولم يقتصر بل عذبهم فى الدنيا ايضا بالمسخ اذ جعل منهم القردة والخنازير وهم اصحاب السبت والمائدة وجعل منهم عبد الطاغوت عباد العجل فنحن ان كنا شرا بما ذكرتم فلا شك ان اولئك البعداء فى مراتب الشر شر مكانا منزلة منا كيف وهم اضل عن سواء السبيل الموصل الى الخير وعلامات كمال شرهم وضلالهم انهم اذا جاؤكم قالوا امنا اظهارا للايمان اول النهار والكفر اخره للتشكيك على المسلمين وقد دخلوا بالكفر من قصد التشكيك على المسلمين وهم قد خرجوا به مستمرين عليه فان كان هذا الدين باطلا عندهم فما لهم يلبسون على المسلمين وهذا الشر والضلال مما يدل عليه ظاهرهم والله اعلم بما كانوا يكتمون مما يوجب نجاة وهم نهاية الشر والضلال ومن دلائل الشر والضلال فيهم انك ترى كثيرا منهم يسارعون من غير مبالاة من الله ولا من الناس مستغرقين فى الاثم المعصية المخصوصة بانفسهم ولا يقتصرون عليه بل يسارعون فى العدوان الظلم الضار لا لانفسهم ولا جل غيرهم من اكلهم السحت الرشوة لبئس ما كانوا يعملون من الجمع بين الكفر والتلبيس على المؤمنين وبين المعاصى المخصوصة والمظالم لاجل انفسهم ومن اجل من اكلوا منهم الرشوة ولا يختص هذا بجهالهم وحكامهم وابناء الدنيا منهم بل شاركهم فيها زهادهم وعلماؤهم فان لم يفعلوا بانفسهم فهلا ينهونهم مع قدرتهم عليه لولا هلا ينهاهم الربانيون الزهاد

والاحبار العلماء عن افعالهم الظاهرة مثل قولهم الاثم كدعوى الولد والاتحاد او بثالث ثلثة واظهار الايمان بطريق المكر وتحريف الكتاب والاستهزاء بالدين واكلهم السحت الرشوة المفسدة امر العالم كله لبئس ما كانوا يصنعون من ترجيحهم وتعليمهم لغير دين ولم يقتصروا فى ذلك على السكوت بل قال فنحاص بن عازوراء بحضور جماعة رضوا بقوله فكانه قالت اليهود كلهم ولا يصح فى حق الله تعالى حقيقة ولا مجازا يد الله مغلولة وارادوا مقبوضة حين قبض الله عليهم الرزق قال الله عز وجل فى الرد عليهم غلت ايديهم حقيقة فى الاخرة ومجازا فى الدنيا لاتصافهم بغاية البخل ولعنوا ابعدوا عن الرحمة فلا يوفقون للتوبة بما قالوا من الكلم الشنيعة التى لا تصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا اذ لا بخل من جنابه اصلا بل يداه اسماؤه المتقابلة فى الفيض مبسوطتان بانواع العطايا المختلفة وللتقابل بين اسمائه حصل التقابل بين الحوادث حتى صار عطاء قوم خزيا لاخرين ومن لا يبالى بهم بل ينفق كيف يشاء فيصير الخير فى حق قوم شرا فى حق اخرين ولذلك ليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك من جوامع الخيرات طغيانا عدوانا على الناس وكفرا فى انفسهم بعد كفرهم وطغيانهم بالتحريف واخذ الرشوة اولا ولا يختص هذا بكتابك بل القينا بينهم باختلافهم فى كتابهم العداوة فى الظاهر والبغضاء فى الباطن ولم يرتفعا بكتابك الاتى لرفعهما بل استمر مع الزيادة الى يوم القيمة لكن لم يؤثر فيكم مع الزيادة وقد اثر فيما بينهم بل وبينها كلما اوقدوا نارا فى قلوب الخلق من الغضب للحرب اطفاها الله باخلافك ولا يستطيعون برؤية اطفاء الله نارهم بل لا يزالون يسعون فى الارض فسادا بالقاء الشبه ولكن لا يؤثر سعيهم والله لا يحب المفسدين ولذلك ضيق عليهم فضيق الرزق عليهم ليس من بخل الله بل من كفرهم ومسارعتهم الى الكبائر ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا مباشرة الكبائر لكفرنا عنهم سياتهم صغائرهم فلا يبقى لهم معصية

عليهم

طغيان

يكون سببا لضيق الرزق عليهم ولادخلناهم في غاية السعة كانهم الان في
جنات النعيم وسندخلهم فيها بلا عذاب وسنا بمجرد الايمان وترك الكبائر
ولو انهم مع ذلك اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم فعملوا
بجميع ما فيها مما لم ينسخ لاكلوا من ثمار ربما تنبتهم ما ينشر عليهم من فوقهم وما يلتقطون
من تحت ارجلهم من غاية كثرتها ومن الرزق المعنوي الهامات السماوية
من فوقهم واجود الاعمال الصالحة من تحت ارجلهم منكا لو اتفقوا على اقامتها
لكنهم لا يتفقون بل غاية تهم انه وجد منهم امة طايفة مقتصدة غير غالية ولا مقصرة
وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كثرت هذه الطايفة ايضا لحصل
ذلك ايضا لكن كثير منهم ساء ما يعملون فضلا عن مجرد الايمان واجتناب الكبائر
فضلا عن اقامة الكتب الالهية ولكثرة مساوي الاكثرين مع عجز الامة المقتصد
عن ارشادهم احتيج الى ارسال الرسول اليهم يا ايها الرسول الذي ارسل لبيان
المساوي لتجتنب بلغ ما انزل اليك من ربك مما يفصل مساويهم وان لم
تفعل ما تؤمر به من تبليغ الجميع ستر البعض مساويهم فما بلغت رسالته اي
شيئا مما ارسلت به ولا تخفهم في تبليغ مساويهم اذ الله يعصمك من الناس من
اساءة الناس اليك بل يهديهم طرق الاساءة اليك ان الله لا يهدي القوم
الكافرين طرق الاساءة اليك ثم امره بتبليغ ما سواشد عليهم من بيان مساويهم
فقال قل يا اهل الكتاب الزاعمين انهم الكاملون في امر الدين المكملون فيه
الناس لستم على شيء فضلا عن الكمال والتكميل ولا يحصلان لكم حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم من ساير الكتب السماوية فتعملوا بكل
ما فيها وتكملوا الناس بها ولكنكم كافرون باكثر ما انزل اليكم فلستم على شيء مما فخرتم
فضلا مما لم تقيموه وليزيدن كون اقامة ما كانوا يقيمونه من التورية بسبب هذا
القول فانه ليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك فضلا عن مثل هذا
القول طغيانا على كتابهم بالتحريف وكفرا بما فيه من نعوتك واذا بالغت

في تبليغ ما انزل اليك فرايت مزيد طغيانهم وكفرهم فلا تاس فلا تحزن على القوم
الكافرين لغاية خبثهم في ذواتهم وانما يحزن على ما كان قابلا لازالة الخبث عنه
وليس ارسالك لازالة ما لا يمكن ازالته بل لما امتنع بسوء اختيارهم مع انه
ممكن في ذاته كما قال ان الذين امنوا باللسان والذين هادوا وان كان
لهم ما ذكر من القبايح والصابئون كذلك وان كانوا اضل منهم والنصارى
وان قال منهم ان الله هو المسيح او انه ثالث ثلثة من امن بالله منهم بقلبه واليوم
الاخر الداعي للايمان بالله ودل عليه بان عمل صالحا بمقتضى الكتب الالهية فلا
خوف عليهم من كفرهم ومساويهم السابقة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الاعمال
الصالحة حال الكفر فانه يبدل الله سيئاتهم حسنات ويدل على قابليتهم
لازالة الخبث عنهم اعطاؤهم الميثاق بذلك لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
بازالته ويدل على ان امتناعهم من سوء اختيارهم انا ارسلنا اليهم رسلا كثيرين
كل واحد منهم اعقل اهل زمانه واولى باتباع قوله فمن غلبة خبثهم لم يقبلوا قول احد
منهم لانهم كانوا يدعون الى ترجيح امر العقل والشرع على الهوى الغالب عليهم
بل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم مع ان وضع الرسالة الدعوة الى مخالفة
لترجيح العقل والشرع فريقا كذبوا مع ظهور دلايل صدقهم وفريقا يقتلون بعد
التكذيب بسبب دعوتهم الى مخالفة هويهم وانما اجترؤا على ذلك لانهم حسبوا
ان لا تكون فتنة في تكذيبهم وقتلهم اي ابتلاء بتعذيب مع انهم قد راوا اثار المكذبين
قبلهم وسمعوا اخبارهم فعموا وصموا من غاية خبثهم ثم بعد هذا العمى والصمم تاب
الله عليهم بالتوفيق للايمان بعيسى فابصرهم اياته الفعلية واسمعهم اياته القولية ثم
بعد هذا الابصار والاسماع والتوفيق للايمان بعيسى عموا عن رؤية المعجزات
لمحمد صلى الله عليه وسلم وصموا عن معجزاته القولية لا جميعهم اذ امن النجاشي
واصحابه بل كثير منهم وهم وان لبسوا على العامة بانضمامهم مع عيسى لا يمكنهم التلبيس
على الله اذ الله بصير بما يعملون ثم اشار الى ان عميهم وصممهم كان قبل مجيء محمد

وان قالوا انه من حيث ناسوته ابن مريم فنعوا عانى عيسى من امارات الحدوث وصموا عن مقالاته اذ قال المسيح

صلى الله عليه وسلم بما قالوا فى عيسى عليه السلام لقد كفر الذين قالوا ان الله اتحد لاهوته بناسوت عيسى فكانهم قالوا هو المسيح يا بنى اسرائيل اى اولاد المسمى بالعابد لله اعبدوا الله ولم يقل اعبدونى ثم صرح بقوله ربى تعالمادة نوتم الاتحاد ولو بقيت الربوبية مع الاتحاد فلابد من الفرق بين الربوبيتين لكنه نفى الفرق بقوله وربكم ولو صح هذا الاتحاد فى حق عيسى لصح فى حق غيره وقت اتحاده به ومن شرك وقد قال عيسى عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ولا يحرم على من قال بامر حلته وان حرم فلا يجعل ماواه النار وقد قال ماويه النار كيف والشرك اعظم وجوه الظلم وقد ثبت بقول عيسى الذى قالوا به فنه وما للظالمين من انصار فلا ينصرهم عيسى ولا غيره ولا حجة ولا شبهة يعتد بها ثم اشار الى من شركه اظهر فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والباقيان عيسى ومريم او احد الاقانيم اى الجواهر الثلثة الحيوة والعلم وروح القدس وما من اله فى نص الانجيل والتورية وجميع الكتب السماوية ودلايل العقل والكشف الا اله واحد لا يتعدد افرادا ولا اجزاء وان لم ينتهوا عما يقولون بعد ظهور الدلايل القطعية متمسكين بمتشابهات الانجيل ليمسن الذين كفروا منهم بالدلايل القطعية عذاب اليم وان تمسكوا بالمتشابهات مثل عذاب من لا يتمسك بشئ افلا يتوبون الى الله بالقطعيات فلا يتوبون عن التمسك بالمتشابهات بردها الى مراد الله اذا عجزوا عن ردها الى المحكمات ويستغفرونه التمسك بالمتشابهات فى مقابلة القطعيات وهم وان الفوها حتى صارت هيئة راسخة لقلوبهم فلا بعد من الله سترها بمحوها عن القلوب اذ الله غفور بل رحيم بتبديل ظلمتها بنور الصواب ثم اشار الى بطلان التمسك بمعجزاته او كرامات امه على الهيتهما بل غايتهما الدلالة على نبوته وولايتها فقال ما المسيح المعلوم حدوثه

من انه ابن مريم بالخوارق الظاهرة على يديه الا رسول قد خلت مضت من قبله الرسل اولوا الخوارق الظاهرة وامه بخوارقها صديقة ولو استدل بخوارقهما على الهيتهما عورض بانهما كانا ياكلان الطعام عن احتياجهما اليه انظر كيف نبين لهم الآيات على توحيد الله وبطلان الاتحاد والهية عيسى وامه وبطلان شبهاتهم ثم انظر انى يؤفكون يصرفون الى الاصرار على التمسك بالشبهات الظاهرة البطلان قل اتعبدون المسيح وامه مع انهما عندكم من جملة من من دون الله والالهية للادنى ولو جعلتموها لمن يملك ضرا او نفعا فهما من جملة ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا بل غايتهما شفاعة من عبدهما او شكاية من لم يعبدهما والله هو السميع لشفاعتهما او شكايتهما العليم بما يستحق الاجابة من الشفاعة والشكاية ولو جعلتموهما مالكى النفع والضر فهو غلو قل يا اهل الكتاب الذين هم ميزان العدل لا تغلوا فى تعظيم عيسى وامه فتدخلوا فى دينكم اعتقادا غير الحق بلا دليل عليه مع تظاهر الادلة على خلافه ولا تتبعوا تقليدا اهواء قوم تمسكوا بخوارقهما على الهيتهما فان نظر الى سبعهم بغاياتهم انهم قد ضلوا من قبل والى كثرة اتباعهم بغايتهم انهم اضلوا كثيرا والى تمسكهم بمتشابهات الانجيل بغايتهم انهم ضلوا عن سواء السبيل اذ لم يردوها الى المحكمات وكيف لا يتركون الغلو وقد وجدوا ثمرته اللعن لعن الذين كفروا وان كانوا من بنى اسرائيل على لسان من هو دون محمد صلى الله عليه وسلم داود قال فى حق اهل ايلة لما اصطادوا فى السبت اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة و عيسى ابن مريم قال فى اصحاب المائدة اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا خنازير ولم يكن كفرهم مثل غلوهم ولا مبداه مثل مبداهم من ترك القطعيات للمتشابهات بل كان ذلك الكفر بما عصوا بصيد السمك فى السبت و التكبر على الفقراء المشاركين فى اكل المائدة وبما افضى عصيانهم الى الكفر

ثم للتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب رح

لانهم كانوا يعتدون وسواهم كانوا لا يتناهون اذا نهوا عن منكر فعلوه فلم يواخذوا به فلا يزالون يفعلونه مع النهي لبئس ما كانوا يفعلون من تكرير المنكر مع النهي وليس كالغلو لشبهة واهية مع الدلايل القاطعة على خلافه ثم الانهماك انما هو بموالاة الناس وهم انما يتولون من هم اشد غلوا ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا وقد غلوا في تعظيم الاصنام فهذا التولي ادعى الى الغلو من عصيانهم الى الكفر لبئس ما قدمت لهم انفسهم بعصيان الاولين بسبب سخط الله وهذا كانه عين ان سخط الله عليهم ومسخهم عذاب دنيوي منقطع وفي العذاب هم خالدون كيف وقد والوا اعداء من زعموا الايمان بهم ليعادوا من يؤمن بهم ولو كانوا يؤمنون بالله الذي يشرك به اعداؤه والنبي اي عيسى الذي يكفر به الاعداء وما انزل اليه من حجج عليه ما القوا عليه اباءهم ما اتخذوهم اولياء فيعادوا لاجلهم اولياءهم فهم وان ادعوا الايمان بهم ليسوا بمؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عما ادعوه وبنا ذكرهم اليهود في ترك الموالاة لعداوة المؤمنين لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا لايمانهم بعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام اليهود ولتوحيدهم واقرارهم بنبوة الانبياء والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا النصارى لايمانهم بعيسى وانما يعادونهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك يسمون الكفار سيما الذين قالوا لعوامهم تقية انا نصارى مع تصديقهم واقرارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وهم النجاشي واصحابه فانهم على صرف المودة معهم ذلك الصفاء في المودة بان منهم قسيسين يعلمون كمال امر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم ورهبانا لا يريدون لانفسهم مالا ولا جاها وقد ارتاضوا بحيث حسنت اخلاقهم وانهم لا يستكبرون على احاد الناس فكيف على ارباب المعجزات والعلم بكمال النبي مع

لايمانهم
صح



جزء ٧

الآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر ابن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن

عدم الصارف عن الميل اليه من العناد والاستكبار موجب لكمال الميل اليه وهو المودة ولكمال قسيسيتهم ورهبانيتهم ومودتهم للكمالات اذا سمعوا ما انزل من الحضرة الجامعة الالهية الى الرسول الجامع من الكلام الجامع بحار العلوم الحقيقية مع التبشير والانذار بالوجوه الكثيرة الجامعة ترى اعينهم تفيض تنصب من الدمع الحاصل من اجتماع حرارة الحب والخوف مع برد اليقين مما عرفوا من الحق من كتابهم فوجدوه افضل منه واكمل يقولون من عدم استكبارهم ربنا امنا بك وبما انزلت مما تجليت فيه بذاتك واسمائك وصفاتك وافعالك على اكمل الوجوه فاكتبنا مع الشاهدين لتجلياتك فيه من امة محمد صلى الله عليه وسلم وما لنا لا نؤمن بالله الذي ظهر في العالم وفي الانسان وما جاءنا من الحق المجالي الكاملة كانها عين الحق ولا نطمع في الرئاسة والجاه المانعين عنه بل نطمع بما يوجبه الايمان من ان يدخلنا ربنا الذي رباناً بالقسيسية والرهبانية منازل قربه مع القوم الصالحين التابعين للقطعيات دون الشبهات الواهية كمتشابهات الكتب السماوية فاثابهم الله بما قالوا فضلا عن مساعيهم الباطنة في تدبر كتابه واعمالهم المرتبة عليه جنات من كليات فوائد هذا الكتاب تجري من تحتها الانهار من جزئيات تلك الفوائد خالدين فيها لا تعرض لهم فيها شبهة تخرجهم عنها لاختصاصها باهل الحجاب وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون كتاب الله كانهم يسمعونه من الله ثم يجازون بالجنة الحسية بعد الموت والذين كفروا استروا عظمة هذا الكتاب وكذبوا باياتنا منه ومن ساير المعجزات اولئك وان بلغوا حد القسيسية والرهبانية اصحاب الجحيم لا يزالون في حرارة الشبهات الى ان يموتوا فيصيروا الى الجحيم الاخروي ثم اشار الى ان من اسباب كفرهم وتكذيبهم ان تعسر

على انفسهم بتحليل شيء حرم في كتابهم فنسخ تحريمه حتى انهم لو اسلموا ان من
اسباب كفرهم وتكذيبهم لا بزال تحريمه من انفسهم فقال يا ايها الذين امنوا
مقتضى ايمانكم ان لا تغيروا شيئا من احكام دينكم وان كان مغيرا لما تقدم من
الاديان لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي الاشياء التي ليس فيها
حق الغير وهي من جنس ما احل الله ولو بالنسخ فان تحريمها كفر بآيات الله
وتكذيب بها ولا تعتدوا بمجاوزة الحلال الى الحرام فاحذروا الشبهات
فانه وان لم يكن تكذيبا وكفرا فهو خروج عن محبة الله ان الله لا يحب المعتدين
ومن الاعتداء الذي يكرهه الله كراهة تناول ما نسخ تحريمه نظرا الى حرمته
السابقة فلا تكرهوا ذلك بل كلوا مما رزقكم الله ليتم اعتقادكم بكونه حلالا
طيبا لا يشوبه حرمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ان تعارضوه في احكامه
ولو بكراهة من انفسكم ويمكن ان يقال لما مدح الترهب نهى عن الافراط
فيه بتحريم اللذائذ من المباحات الشرعية واشار الى انه اعتداء على النفس
والاصل بمنع الحقوق وانه كما لا يجوز الاعتداء في الزهد لا يجوز في الترفه
فلا يفرط في اكل المباحات وان كان حلالا بلا شبهة وامر بتقوى الله
في وضع قواعد تخالف قواعد الشرع بل غايته ما يجوز اخذ معان من علم
الشريعة مؤكدة بمقتضاها ثم اشار الى ان تحريم الحلال باليمين ليس بكفر
بل لا يؤاخذكم الله باللغو اي بفعل شيء وقع بلا قصد في ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بفعل شيء علقتم الايمان به تعليقا ناشئا
عن قصد منكم ومع ذلك مؤاخذته ليست بمجازمة بحيث لا يمكن دفعها
فكفارته اي فالخصلة الماحية لاثمه اطعام عشرة مساكين بتمليك كل
مسكين مدا وعند ابي حنيفة نصف صاع لانه بمنزلة الامساك عن الطعام
عشرة ايام العدد الكامل الكاسر للنفس المجترئة على الله من اوسط ما
تطعمون اهليكم لا من اجود ما تطعمونهم فضلا عما تخصونه بانفسكم ولا

من اردإ ما تطعمونهم فضلا عن الذي تعطونه السائل او كسوتهم اي
كل مسكين ثوبا واحدا ازارا او رداء او قميصا او سراويل او عمامة
او كساء او نحو ذلك اذ تجزي لستر العورة ستر المعصية او تحرير رقبة
اذ فيه فك رقبة من الاثم وشرط الشافعي فيها الايمان قياسا على كفارة
القتل فمن لم يجد شيئا منها فصيام ثلثة ايام لانه لما كان ميسرا بنفسه اكتفى
فيه باقل الجمع ذلك وان قل كفارة ايمانكم التي اجترأتم بها على الله اذا
حلفتم ونقضتم اليمين ويجوز عند ارادته واحفظوا ايمانكم عن الحنث
اذا لم يكن ما حلفتم عليه خيرا لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم كذلك
مثل هذا البيان الكامل يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون
نعمه بصرفها الى ما خلقت له ومن جملتها صرف اللسان الذي خلق لذكر
الله وتعظيمه الى ذلك فاذا فات صرف ما ملكه الى ما يجره ليقوم مقام
الشكر باللسان اذ يتم تعظيمه واذا لم يجد كسر سوى النفس من اجله
فانه ايضا من تعظيمه فافهم ثم اشار الى سائر ما يهتك حرمة الله وحرمة
مظاهره الكاملة مما يكثر فيه الحلف والى ما نسخ تحليله بتحريمه او اشبه الحلال
فقال يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم حفظ تعظيم الله وتعظيم انفسكم وحفظ
حرماته انما الخمر وان حل في بعض الملل مقدار ما لا يسكر منها والميسر القمار
وان اشبه المسابقة والمناضلة والانصاب الاصنام المنصوبة
للعبادة وان اشبهت المحاريب التي جعلت علامة للقبلة والازلام
القداح وان اشبهت القرعة رجس خبث لان الخمر تضييع عزة الانسان
بنذلله لما هو دني منه والازلام تضييع العلم للجهل بالتمني والتمني فاستنطاقها
من عمل الشيطان اي تزيينه فان زين لكم فاجتنبوه لعلكم تفلحون بنجاة
ان تنالوا الطيبات الحقيقية وانما زينها الشيطان لجنسها وان كان في
منافع فهو لا يريد ذلك بل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء

والمضاربة والمقاتلة في الخمر والميسر عند السكر وضياع المال وربما يقامر
الرجل باهله وولده فاذا اخذ الخصم وقعت العداوة بينهما ابدا ولا
اقل من ان يوقع بينكم البغضاء القاطعة للتعاون الذي لا بد للانسان
منه في تعيشه في الخمر والميسر ويصدكم يبعدكم عن ذكر الله اذ يغلب السرور
والطرب على النفوس والاستغراق في الملاذ الجسمانية فيلهي عن ذكر الله
والميسر ان كان صاحبه غالبا انشرحت نفوسه ومنعه حب الغلبة والقهر
عن ذكر الله وان كان مغلوبا فما حصل من الانقباض والاحتيال الى
ان يصير غالبا لا يخطر بباله ذكر الله وعن الصلوة الجامعة اذ كان لجميع
الاعضاء واذا كان فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية فهل انتم منتهون
عنهما ام مصرون على ما انتم عليه واطيعوا الله واطيعوا الرسول في نهيهما و
ان كان غير معقول واحذروا مخالفتهما وان كانت جامعة للمنافع خالية
عن المضار فان توليتم اعرضتم عن اطاعتهما وعن حذر المخالفة فلا يشق على
الرسول عنادكم حتى لا تبالوا له فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي ما
كلف غير تبليغكم الذي لا تعتريه شبهة وانما بقي لاه من ارسله ولما نزل تحريم
الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف حال اخواننا ماتوا وهم يشربون الخمر
ويأكلون الميسر فنزل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات المأمور
بها في عصرهم جناح حرج فيما طعموا مما حرم بعد اكلهم اذا ما اتقوا ما حرم
عليهم قبل اكلهم وآمنوا بان لله ان يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء وعملوا
الصالحات بعد اكله فلم يتركوا ذكر الله والصلوة ولم يقع بينهم العداوة
والبغضاء ثم اتقوا تضييع الاعمال بالرياء والعجب وآمنوا اتوا بمقتضاه
من الاخلاص وذكر المنة ثم اتقوا عن نسبة تلك الاعمال الى انفسهم و
احسنوا بنسبتها الى الله تعالى فلم تنشأ لهم من ماكول لهم شيء من المفاسد
فلا حرج لهم في ماكول لهم بل صاروا محبوبين لكونهم محسنين والله يحب المحسنين



ولما فرغ عن ذكر ما تقرر تحليله بعد التحريم او تحريمه بعد التحليل ذكر
ما يحرم تارة لعارض ويحل اخرى لزواله فقال يا ايها الذين آمنوا
مقتضى ايمانكم تحريم ما حرم ولو بعارض سيما اذا اشتد فيه الابتلاء
ليبلونكم الله بشيء من الصيد وانتم محرمون وذلك عام الحديبية
كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم تناله ايديكم لتأخذوه ورماحكم
لتطعنوه وانما ابتلاكم بهذه المحنة ليعلم الله من يخافه بالغيب
ليتميز عندكم من علم الله انه يخافه مع غيبته لقوة ايمانه ممن لا يخافه
واذا جعل الله هذا مميزا بين الخائف وغيره فمن اعتدى بالصيد
بعد ذلك التميز فله عذاب اليم بسبب مثل من لا يخافه ثم اشار الى
مبدأ الابتلاء ومنتهاه فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم التذلل
سيما حال الاحرام لا تقتلوا الصيد لانه تجبر وانتم حرم في غاية التذلل
ومن قتله منكم ايها المحرمون متعمدا ذاكرا الاحرام فجزاء مثل ما قتل من
النعم اي فعليه بطريق الجزاء اعطاء مثل ما قتله من الصيد حال كون المثل
من النعم باعتبار الهيئة عند الشافعي والقيمة عند ابي حنيفة يحكم به
بمماثلته مجتهدان ذوا عدل منكم ايها المسلمون حال كونه هديا بالغ
الكعبة واصلا الى الحرم او عليه كفارة طعام مساكين يشتري بقيمة
مثل النعم يعطي كل مسكين مدا او عليه عدل مثل عدد امداد ذلك
الطعام صياما ليذوق هاتك حرمة الله وبال سوء عاقبة امره من هتك
حرمة الله بعد اعلامه عفا الله عما سلف من قتل الصيد قبل الاعلام
ومن عاد الى القتل بعد الجزاء فينتقم الله منه بطلب الجزاء في الدنيا و
المعاقبة في الآخرة وكيف يترك ذلك والله عزيز ومقتضى عزته الانتقام
من هاتك حرمته فهو لا محالة ذو انتقام وكيف يترك الانتقام ممن اعتدى
من غير ضرورة اذ وسع في الماكولات احل لكم صيد البحر اذ ليس فيه

البحر المنافي للتذلل الاحرامي وأحل لكم طعامه وهو ما قذفه البحر او
نضب عنه وانما لم يكن فيه بحيرا اذ جعل متاعا لكم ايها المحرمون وللسيارة
اي ولمن يسير من مكان الى مكان وحرم عليكم صيد البر وان لم
تصطادوه اذا اصيد لكم لان فيه مزيد التجبر ما دمتم حرما فلو ترك
الصايد عنده الى تحليلكم يحل لكم واتقوا الله في تحليل ما حرم وتحريم
ما احل بالتلبيس الذي اليه تحشرون ولا يمكن التلبيس عليه وانما
حرم الصيد على المحرم لانه قصد الكعبة التي حرم صيد حرمها فجعل
كالواصل اليه وانما حرم صيد حرمها لانه جعل الله الكعبة مثال بيت
الملك لا يتعرض لما فيه والله تعالى لما تنزه عن المكان والزايرون
لا بد لهم من مكان يختص بالزيارة فجعل لهم الكعبة البيت الحرام لله اذ
جعله قياما اي مقام زيارة الله والتوجه اليه في عبادته للناس المتفرقين
في العالم ليحصل لهم الاجتماع الموجب للتآلف الذي يحتاجون
اليه في تمدنهم الذي به كمال معاشهم ومعادهم لاحتياجهم الى المعاونة
فيهما فسرت الحرمة الى مكان القاصد كيف وقد سرت الى زمان
القصد اذ جعل الشهر الحرام قياما للناس اي زمان قصدهم
للزيارة يحرم فيه القتال ليحصل فيه التآلف وجعل الهدي ايضا
قياما اي سبب قصد الزيارة اذ يامنون بسوقه الى البيت على انفسهم
والقلائد فانهم اذا قلدوا انفسهم لحي شجر عند الاحرام امنوا لذلك
ليجتمعوا كل سنة عند بيته ويتوجهوا اليه كل يوم مرات فيجتمعوا في التوجه
ليعلموا ان الله به ربط الكل بعضه ببعض كما ربط امر العالم الكبير وهو
لا يتاتى الا بالعلم بكل جزء منه فهو يدل على انه يعلم ما في السموات وما
في الارض وقد راعى الى ذلك مصالح معاشكم ومعادكم ولا يتاتى
الا بعلم ما غاب ليعلموا ان الله بكل شيء عليم وقد كثر الحرمات بحرمة بيت

واحد وشدد في امر الجزاء ليعلموا شدة عقابه لكنكم اذا سئلتم عن ذلك
اعلموا ان الله شديد العقاب سيما اذا قصد ثم ابطال حكمة الربط
والتمدن لانه يشبه تفريق المملكة على الملك ولا تغتروا بعدم معاقبته
بعض المفرقين في الحال بل اعلموا ان الله غفور رحيم فاخر العقاب
ليتوبوا فيغفر لهم ويرحمهم ولا تغتروا بمغفرته ورحمته بعد ارسال الرسل
بالانذار ولم تكذبوا بعدم حصول المنذر به في الحال اذ ليس بيدهم ولم
يجعل عليهم تحصيله بل ما على الرسول الا البلاغ المبين بل هي بيد الله
اخره ليكثر معاصيهم ولا يخفى عليه اذ الله يعلم ما تبدون وما تكتمون
وكيف يترك مقتضى علمه وفيه سوية بين الخبيث والطيب قل انه وان
كان غفورا رحيما فانه لا يستوي عنده الخبيث والطيب بل لا بد ان
يرجح الطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث بحيث توهمك ترجيحه عند الله
فلا يرجح عنده ما ليس براجح في نفس الامر فاتقوا الله ان تغتروا بكثرة
الخبيث او بمغفرته ورحمته يا اولي الالباب اي المطلعين على الحقايق
فانها تابى التسوية فان حصلت المغفرة والرحمة لاربابها فلا فلاح لهم فاتركوا
تتبع الجهة لعلكم تفلحون بمنازل القرب الذي للطيبين عند الله ولما
سمعوا ذلك وقد خفي خبث بعض الاشياء وطيبه فاكثروا السؤال عن
الاشياء قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم اعتبار ما اعتبره
الله لظهوره لا ما لم يعتبره لخفائه لكنه اذا ظهر صار معتبرا لا تسألوا
عن اشياء اي وجه خبثها وطيبها ان تبد تظهر لكم اي فتقوموا باجتنابها
تسؤكم للحرج فيه والسؤال وقت الوحي موجب لاظهارها وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ولم يمنعكم عن السؤال عنها ليؤاخذكم
على غفلة بل لانه عفا الله عنها ولا يستبعد من الله اذ الله غفور للخبث
الظاهر حليم لمن اراد مؤاخذته بها لا يعاجله بها وقد وجبت الحكمة

فی عفوه اذ الحرج فیه انما یفضی الی اعظم وجوه الجنت قد سألها قوم من
قبلکم ثم لما اوقعهم فی الحرج اصبحوا بها کافرین لذلک قال صلی الله علیه
وسلم ان اعظم المسلمین جرما من سأل عن شیء لم یحرم فحرم لاجل
مسألته وذلک لانه صار سببا لکفر البعض ولما کان التحریم بالسؤال بهذه
المثابة فکیف حال التحریم بالاستقلال ما جعل الله من شیء محرم بتحریم اهل
الجاهلیة من بحیرة وهی الناقة التی نتجت خمسة ابطن آخرها ذکر وبحروا
ای شقوا اذنها فخلی سبیلها لا ترکب ولا تحلب وقاسوه علی عتق الانسان
مع ظهور الفرق لما فی عتق الانسان من تملیک التصرفات ولا تصرف للحیوانات
العجم ولا سائبة وهی الناقة المخلاة بنذر اذ لا یعقد نذر ما لیس بعبادة
ولا وصیلة وهی الشاة التی قالوا فیها انها اذا ولدت انثی فهی لهم وان
ولدت ذکرا فلاصنامهم وان ولدتهما وصلت الانثی اخاها فلا یذبح
لاجلها ولا حام وهی التی اذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن لم یمنع
من ماء ولا مرعی ویحرم ظهره لانه حماه والاول کالعتق بلا نذر والثانی
کالعتق بالنذر والثالث شبیه بما یشبه العتق والرابع ملک النفس بلا
تملیک ولا معنی للتملیک بالحیوانات العجم فهذه الامور غیر معقولة
ظاهرا وباطنا فلا یفعله الحکیم ولکن الذین کفروا یفترون علی الله
الکذب بتحریمها واکثرهم لا یعقلون معنی التحلیل والتحریم فضلا عما
لاجله التحریم والتحلیل وانما یقلدون قدماءهم واذا قیل لهم اترکوا
تقلید القدماء المفترین علی الله الکذب تعالوا الی ما انزل الله من کتابه
ولو لم تجدوا فیه تعالوا الی الرسول قالوا لافراط جهلهم وانهماکهم فی
التقلید لا حاجة بنا الی کتاب الله والی رسوله بل حسبنا ما وجدنا علیه
آباءنا یقلدون آباءهم اولو کان آباؤهم لا یعلمون شیئا من التحلیل
والتحریم وما لاجله بانفسهم ولا یهتدون لبیان من یبین لهم من الانبیاء

والعلماء یا ایها الذین آمنوا مقتضی ایمانکم اصلاح انفسکم واخوانکم ما امکن
علیکم ای الزموا ان تصلحوا انفسکم باتباع الدلائل من کتاب الله وسنة رسوله
والقولیات المؤیدة بها ودعوة الاخوان الی ذلک باقامة الحجج ودفع الشبه
وامرهم بالمعروف ونهیهم عن المنکر بما امکن لا یضرکم من ضل فقال حسبنا ما
وجدنا علیه آباءنا او اخذ بشبهة او عاند فی قول او فعل اذا اهتدیتم بدعائکم
الی ما انزل الله والی الرسول واقامة الحجج ورفع الشبه عنهم وامرهم بالمعروف و
نهیهم عن المنکر بما امکن من القول والفعل لا تقصروا فی ذلک الی الله مرجعکم
جمیعا فینبئکم بما کنتم تعملون من التقصیر او الایفاء قولا وفعلا فی حق انفسکم
او غیرکم وکیف تقصروا فی اقامة حجج الدین ورفع الشبه عنه ولا تقصروا فی اقامة الحجج
علی الاموال یا ایها الذین آمنوا مقتضی ایمانکم حفظ اموال اخوانکم عند
اوصیائهم بالشهود وحفظ الشهود من موافقتهم للاوصیاء لتشهدوا آخر شهادة
بینکم ای شهادة ما یجری بینکم وبین الاوصیاء ولقطع النزاع بینکم اذا حضر
قرب احدکم الموت فاوصی الی احد ان یشهد حین الوصیة فیه اشارة الی
ان الشهادة علی قول الموصی وحده او الوصی وحده غیر تامة اثنان ذوا
صاحبا عدل لا عدول الکفار فی اعتقادهم بل منکم ایها المسلمون او آخران
من غیرکم من اهل الذمة وکان هذا فی اول الاسلام لقلة المسلمین ثم نسخ کتحریم
الشهر الحرام وقتال آمین البیت الحرام والصفح من اهل التحریف ولا یعم
الاحوال کالاول بل یخص بالسفر کما قال ان انتم ضربتم سافرتم فامتد
سفرکم فی الارض بحیث بعدتم عن بلاد المسلمین فاصابتکم مصیبة ای
مرض الموت فخفتم علی الاموال والودائع والدیون فاذا کان الشاهدان
من اهل الذمة تحبسونهما ای توقفونهما عند المنبر من بعد الصلوة التی
تعظمونها وهی العصر فیقسمان بالله لا بشیء آخر تعظمونه ان ارتبتم شککتم
فی شهادتهما لعدم اسلامهما فیقولان فی القسم لا نشتری به ای بقسمنا ثمنا

للمشهود عليه ولو كان ذا قربى وكما لا نشهد بالزور لا نكتم شهادة الله
التى اعلمنا بها وامرنا باقامتها انا اذا اى اذا شهدنا بالزور او كتمنا
شهادة الله لمن الآثمين اى لمعدودين من المستقرين فى الاثم فان عثر
اى اطلع على انهما اى الشاهدين استحقا اثما استوجبا اثما بتزوير او كتمان
فآخران فشاهدان آخران على الاثم يقومان مقامهما لكونهما من اهل
الذمة وفيه اشارة الى اعتبار شاهد مع يمين المدعى لانه يقوم مقام
الشاهد معه وسيصرح به فى آخر الآية يشهدان من جهة الورثة الذين
استحق اى جنى عليهم وان قرئ على بناء الفاعل ففاعله القسم فيقبل
شهادتهما لانهما الاوليان اذ لم يظهر استحقاقهما الاثم لكونهما من اهل
الذمة فيقسمان بالله لشهادتنا من جهة الورثة احق من شهادتهما
من جهة الموصى وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق ادنى تجاوز بصيرورة
شهادتنا احق من شهادة من افرط فى التجاوز انا اذا لمن الظالمين
اى المبطلين حق الموصى بالكلية ذلك الاقسام بعد الصلوة المعظمة
عندهم وان لم يرفع الريبة الكلية عنهم لعدم اسلامهم لكنه ادنى اى
اقرب ان يأتوا بالشهادة على وجهها الواجب اما لان يخافوا من
الله او يخافوا الفضيحة من شهادة آخرين مع يمينهما او يخافوا الفضيحة
ان ترد ايمان على المدعى مع شاهد بعد ايمانهم منهم واتقوا الله ان
يفضحكم او يعذبكم ان شهدتم لا على وجهها او تكتموا شهادة الله واسمعوا
امره بالتقوى واداء الشهادة على وجهها ونهيه عن كتمانها والا
كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين الى حجة تدفع عنهم الفضيحة
او العقوبة روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بداء وكانا نصرانيين
خرجا للتجارة الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم

الذين اى من
صح

لكن م

يخبرهما بها ثم اوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا
منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال فضة منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى
سبيلهما قال تميم فلما اسلمت تأثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر
واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم
به على اهل دينه فحلف فنزلت فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة
السهميان وحلفا فنزعت خمسمائة درهم من عدى بشهادة واحد ويمين
المدعى ولو يهدى الفاسقين اليوم الى ما يدفع تهمتهم فلا يهديهم يوم يجمع
الله الرسل لالزام الكفرة فيقول ماذا اجبتم اى ماذا اجابكم من ارسلتم
اليه قالوا تحيرا من هيبته لا علم لنا وان علمنا ظاهر ما قالوا لا نعلم ما فى قلوبهم
لانه غيب وانت مخصوص باحاطة المغيبات انك انت علام الغيوب
ولم يكن تحير الرسل لغضب الله عليهم بل مع تلطفه بهم اذ قال الله يوم جمعه
للرسل يا عيسى ابن مريم ناداه باسم امه لان النسبة اليها تشعر بالرحمة اذكر
نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك قويتك بروح القدس اى
بجعل روحك طاهرة من العلائق الظلمانية بحيث يعلم انه ليس بواسطة
البشر فيشهد براءتك وبراءة امك ومن ذلك التأييد قويت نفسك
الناطقة لذلك تكلم الناس فى المهد وكهلا اى فى اضعف الاحوال
واقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه وقد تكلمت ببراءة امك واذ ذكر نعمتى
من ذلك التأييد ايضا اذ علمتك الكتاب ظاهر العلم الذى يكتب
والحكمة باطنه الذى لا يكتب بل يختص به اهله وكملتهما فيك اذ علمتك
التوراة الشاملة على الظواهر والانجيل المطلع على البواطن واذ ذكر

ما اثرت بذلک التأیید اذ تخلق تقدر من الطین صورة کهیئة کصورة
الطیر لامع النهی عن التصویر بل باذنی فتنفخ فیها ای فی تلک الهیئة فتکون
طیرا لحصول الروح من نفختک فیها باذنی وکما اثرت بافاضة الروح
اثرت بافاضة الصحة اذ تبرئ الاکمه والابرص وهو مع کونه دون الا[illegible]
کان باذنی فیکون الاحیاء باذنی بطریق الاولی ثم اشار الی تأثیره فی اعا(?)
المعدوم فقال واذ تخرج الموتی من القبور احیاء باذنی فهذا مما فعل
به من جر المنافع ثم اشار الی ما دفع عنه من المضار فقال واذ کففت
منعت بنی اسرائیل عنک الیهود حین هموا بقتلک لا لذنبک بل اذ جئتهم
بالبینات التی توجب انقیادهم لک لتعالیها عن قوی البشر فلا نوهم فیها
السحر فقال الذین کفروا وامضوا علی کفرهم منهم ان هذا الا سحر مبین ظاهر
لا یلتبس بالمعجزات فهذه کلها نعم لازمة ثم اشار الی المتعدیة فقال واذ کر
نعمتی علیک بالتکمیل اذ اوحیت بطریق الالهام الی الحواریین ان
آمنوا بی وبرسولی عن دعوتک لیحصل لک رتبة التکمیل وثواب رشدهم
قالوا آمنا واکدوا ایمانهم بقولهم واشهد لنؤدیها عند ربک باننا مسلمون
منقادون لکل ما تدعونا الیه ثم اذکر ما قدرنا به ایمانهم واسلامهم من الانعام
بالمائدة مع ما فیها من النعمة الدنیویة اذ قال الحواریون یا عیسی بن مریم
ذکره باسمه ونسبه الی امه لئلا یتوهم انهم اعتقدوا الهیته او ولدیته
یستقل بانزال المائدة هل یستطیع ای یجیب دعوتک ربک اذا دعوته
ان ینزل علینا مائدة من السماء الذی یتوهم فیها انها لیست محل الکون و
الفساد قال اتقوا الله ان توقفوا ایمانکم علی رؤیتها ان کنتم مؤمنین
بی وبرسالتی قالوا آمنا لکنا نرید ان نأکل منها من غیر کلفة تشغلنا عن
عبادة الله وتطمئن قلوبنا فلا یعتریها شبهة لا یؤمن ورودها لو لا مثل
هذه الآیة ونعلم ان قد صدقتنا فیما تعدنا من نعم الجنة مع انها سماویة



حزب
بمقتضى تلك الجمعة والتربية صح

ونکون علیها علی مثلها من موائد الجنة من الشاهدین ای فی حکم من شاهد
بالبصر لا من سمعها بالخبر قال عیسی بن مریم نسبه الی امه لیدل علی مزید تذلله
اللهم ربنا ای یا الله المطلوب لکل مهم الجامع للکمالات الربی ربانا بها انزل
علینا مائدة من السماء التی فیها ما تعد من نعیم الجنة تکون لنا عیدا سرورا
لاولنا الذین یدرکون نهارا وآخرنا الذین یسمعون بها فیعتقدون فی دینهم وآیة منک
علی کمال قدرتک وصدق وعدک وتصدیقک بای وارزقنا النعم [illegible]
الموعودة وانت خیر الرازقین اذ تعطی المزید من یشکر بنعمتک قال الله
انی منزلها علیکم اجابة لدعوتکم بی مستدعیة مزید شکر وایمان فمن یکفر
بی وبرسولی بعد ای بعد انزالها المفید للعلم الضروری بی وبرسولی منکم
ایها المنعمون بها فانی اعذبه عذابا نوعا منه لا اعذبه ای بذلک النوع
احدا من العالمین ومن مسخهم خنازیر روی انها نزلت سفرة حمراء بین
غمامتین وهم ینظرون الیها حتی سقط بین ایدیهم فقام عیسی علیه السلام و
توضأ وصلی وبکی ثم کشف المندیل وقال بسم الله خیر الرازقین فاذا سمکة
مشویة بلا فلوس ولا شوک تسیل دسما وعلی راسها ملح وعند ذنبها خل
وحولها من الوان البقول ما عدا الکراث واذا خمسة ارغفة علی احدها
زیتون وعلی الثانی عسل وعلی الثالث سمن وعلی الرابع جبن وعلی
الخامس قدید فقال شمعون یا روح الله امن طعام الدنیا او من طعام
الآخرة قال لیس منهما ولکن اخترعه الله بقدرته کلوا ما سألتم واشکروا
یمددکم الله ویزدکم من فضله فلم یاکل منها زمن ولا مریض الا عوفی ولا فقیر
الا استغنی فلبثت اربعین صباحا تنزل ضحی فاذا نزلت اجتمع الاغنیاء والفقراء
والصغار والکبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة یوکل منها حتی اذا فاء
الفیء طارت صعدا وکانت تنزل غبا ثم اوحی الله تعالی الی عیسی علیه السلام اجعل
مائدتی للفقراء دون الاغنیاء فعظم ذلک علی الاغنیاء حتی شکوا وشککوا الناس

فيها فمسخ منهم ثلثمائة وثلثة وثلثون رجلا باتوا على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا
خنازير فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا ثم اشار الى انهم كما هلكوا بالتفريط في شكر
تلك النعمة هلكوا في اشد منها في الافراط في حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال
واذ قال الله يا عيسى بن مريم اشار بنسبته الى نفي الالهية وباضافته الى امه
الى نفي ولدية له ء انت ايها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد قلت للناس
بعد ذلك اتخذوني وامي الهين لانا بمكان من دون الله اي قربه
نقربكم اليه قال سبحانك اي نسبحك تنزيهك الكامل ما يكون لي ما تصور من
بعد بعثتي لهداية الخلق ان اقول في حق نفسي ما ليس لي بحق اي ما استقر
في قلوب العقلاء عدم استحقاقي له مما يضلهم ان كنت قلته فقد علمته
قبل ان اقول فكيف ارسلت للهداية من علمته مضلا لانك تعلم ما في
نفسي اي حقيقتي ولا اعلم ما في نفسك حتى ما يتعلق بنفسي من علمك تحقيقا
انك انت علام الغيوب فتعلم ما غاب عني من صفات نفسي وضمائرها
لكن لو كانت في ما كنت مرسلي فدل ارسالك على اني ما قلت لهم الا
ما امرتني به ان اقول لهم اعبدوا الله لا مقيدا باعتبار ظهوره في
مظهري بل باعتبار كونه ربي وربكم ولا اتوجه على ما احدثوا بعدي لاني
انما كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم تاتي لي نهيهم عما اشاهد فيهم مما لا ينبغي
فلما رفعتني فصرت كانك توفيتني كنت انت الرقيب اي الناظر عليهم وكذا
قبل ذلك اذ انت على كل شيء شهيد ان تعذبهم بما شهدت فيهم من اتخاذ
اباي وامي الهين فانهم وان خرجوا عن خالص عبوديتك بالشرك عبادك
فلك ان تتصرف فيهم بما شئت ولو لم يفعلوا ذلك ايضا ولا يمنعك من
اتخذوه شريكا من ذلك وان تغفر لهم فليس من عجزك ولا من سفهك
بل من عزتك ان لا تبالي بمعاصيهم ومن حكمتك ان لا تعاقب من توسل
اليك بعبادة الغير او عبدك بمظهرك في كل حال فانك انت العزيز

الحكيم فالعزة والحكمة كما تقتضي العذاب باعتبار كذلك تدفعه باعتبار آخر
فلذلك لم تعتبر في التعذيب بل انما اعتبرت العبودية قال الله الغفران
وان لم يبطل عزتي ولا حكمتي لكن سبق وعدي بانه هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم فلو فعلت بالكاذبين مثله لم يظهر نفع صدقهم وذلك النفع انه يكون
لهم جنات من غرس صدقهم تجري من تحتها الانهار كما جرى لهم من صدقهم
انهار المعارف والاعمال الصالحة ولا تختص لهم ذلك بيوم دون يوم
بل يكونون خالدين فيها ابدا لانهم رضي الله عنهم لصدقهم ورضوا عنه تحقيقا
لصدقهم فلم يسخطوا القضاء في الدنيا وكيف يسقط التعذيب عن غيرهم وهو
موجب لدخول تلك الجنات مع ان ذلك الفوز العظيم الذي لا ينال له
اهل التكذيب سيما اذا كانوا سعاة بالفساد بل مقتضى قواعد الملك الانتقام
منهم والانعام على اهل الصدق لله ملك السموات والارض وما
فيهن وهو لا يبعد منه ادامتهما على اهل الرضى الكلي والسخط الكلي وهو على
كل شيء قدير تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله وصحبه اجمعين

## سورة الانعام

سميت بها لان اكثر احكامها وجهالة المشركين فيها وفي التقرب بها الى اصنامهم
مذكورة فيها وقد اشتملت على اكثر جهالاتهم وبه ظهر مناسبتها بسم الله
الجامع للكمالات المستوجبة للمحامد من الذاتية والوصفية والفعلية
الرحمن بايجاد السموات والارض والظلمات الحسية التي تتوقف
عليها بعض المنافع والعقلية التي هي سبب عمارة العالم السفلي بحجبها عن الذات
الالهية والصفات الرحيم بايجاد النور الكاشف عنهما وعن ايصال المكونات
اليهما الحمد لله اي جميع المحامد ما حمد به نفسه او خلقه او حمده به الخلق بهم
او بعضهم مخصوص به لانه الذي خلق اي قدر بمقدار تقتضيه الحكمة بحيث
يستوجب الحمد السموات التي هي باوضاعها وحركاتها اسباب الكائنات

العاسد التي هي مظاهر الكمالات الالهية وجمعها ليشعر بغاية كثرتها بحيث يكون لامر واحد اسباب كثيرة فلا ينقطع بانقطاع سبب معين **وَالأَرْضَ** المشتملة على قوابل الكون والفساد التي هي المسببات ووحدها ليشير الى ان في قوابلها ما يقبل مع وحدة الصور الكثيرة من اختلاف الاسباب **وَجَعَلَ** اوجد من غير تقدير اذ لا مقدار لهما في ذاتهما **الظُّلُمَاتِ** الحسية وهي ظلال الاجسام الكثيفة الساترة عن المحسوسات والمعنوية الوهمية والخيالية الحاجبة عن المعقولات لتوقف بعض المنافع على ذلك ومنها استتار الحق بالصفات الجلالية بل بتجليه بها وجمعها ليشعر بكثرتها كيف ومنها الشبهات الحاجبة عن ادراك الصواب وبرفعها يظهر فضل مدركه وجعلها بازاء السموات ليشعر بان بعض اسبابها مما يحجب عن المسبب **وَالنُّورَ** وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ووحده مع كثرة انواعه لان المراد ما يوجب ظهوره في المظاهر او يوصل الى توحيده واخرهما عن ذكر السموات والارض لانهما سببا الادراك وامتناعه وبهما فرع المدرك والمدرك **ثُمَّ** تصار انعامه بذلك سبب العدول عنه الى غيره او التسوية بينه وبين غيره لاستعظامهم بعض ما انعم به او احتجابهم به عن المنعم اذ **الَّذِينَ كَفَرُوا** اي علم كفرهم وان انكروه وثبت في الازل ستروا المنعم مع غاية ظهوره او عبدوا مظاهره على اعتقاد كمال ظهوره فيها وهو اعتقاد النقص بالنظر الى ما هو كماله فهو ستر بالحقيقة **بِرَبِّهِمْ** الذي رباهم بهذه النعم ليلازموا بابه وعبادته ولا ينظروا الى غيره **يَعْدِلُونَ** يميلون عنه الى عبادة بعض ما انعم او يسوون بينه وبين ما انعم في اعتقاد الالهية او استحقاق العبادة ويتجدد ذلك منهم حتى في حال تعظيمهم للحق لانهم لا يعظمونه بحيث لا يشاركه الغير ولا يتوجهون اليه بحيث يخلون عن كل ما سواه ثم اشار الى انه وان توهم نسبة سائر النعم الى غير الله فلا توهم نسبة



نعمة خلق الانسان الذي هو المظهر الجامع الى غيره لقصوده مع امتناع كون القاصر موجدا للكامل فقال **هُوَ الَّذِي** علم بحيث لا يعارضه وهم المخبيه في العقول انه **خَلَقَكُمْ** خاطبهم ليشير الى اعزازهم بخطابه الازلي مع كونهم **مِنْ طِينٍ** في غاية الهوان ولا شعور له فهو غاية الانعام الموجب غاية ذم من مال عنه او سوى بينه وبين غيره والطين هو التراب الممزوج بالماء فهم مخلوقون من الارض مع اثر سماوي **ثُمَّ** اي بعد ما تم خلقكم **قَضَى** قدر وكتب في جباههم **أَجَلًا** هو اجل الموت وهو ايضا اثر سماوي لكونه من الزمان الذي هو مقدار اسرع الحركات السماوية ونكره لابهامه وانما قدره لينتقل من دار النقص الى دار الكمال ليكون اجمع ولذلك علي اجل النعمة المشار اليه بقوله **وَأَجَلٌ مُسَمًّى** معين في حق الكل **عِنْدَهُ** لا يعلمه غيره لانه ان قرب تعطلت الامور وان بعد لم يلتفت اليه ولم يذكر ههنا قضى لانه لم يكتب في الجباه لعدم اختصاصه بأربابها وجعله جملة اسمية للدلالة على ثبوته في العقول اذ بدونه يلزم العبث في خلقها وتفهيم الخطاب الازلي وفي الاجلين اقوال انتهاء حيوة وابتداء حيوة او ابتداء موت وانتهاء موت او ابتداء موت وابتداء حيوة او انتهاء موت وهذا اظهر **ثُمَّ** اي بعد انعامه عليكم بخلقكم واعزازكم بخطابه مع غاية هوان اصلكم وبعد العلم بانتقالكم الى داره والى حكمه **أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ** تابتون على الشك والمجادلة بتجديد الامثال وكيف تمترون فيه **وَهُوَ اللَّهُ** اي الظاهر بذاته وصفاته **فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ** ليراها بمرايا مفصلا ثم ظهر فيكم مجملا ليشاهدها كما كان يشاهدها في نفسه فكل ما فيكم ظهوراته التي يشاهدها فهو **يَعْلَمُ سِرَّكُمْ** مظهر باطنه **وَجَهْرَكُمْ** مظهر ظاهره وكما يعلم ما فيكم باعتبار المظهرية **يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** باعتبار حقائقكم التي يختلف بها الظهور الواحد وهو جهة الجزاء اذ هي جهة الاعراض عن آيات الله **وَ**كذلك **مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ**

حيوة وانتهاء م

ربهم الا كانوا عنها معرضين فلا يستدلون بها عليه والاعراض عن دلالتها
تكذيب للحق الناطق بالدعوة اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فمن عمى ان
الآيات كمالات الحق ظهرت بتلك المظاهر لتعبد فيها وهذا استهزاء به
اذ قالوا بظهور الالهية فيها فكأنهم جعلوها من الحوادث فهذا الاعراض
والتكذيب والاستهزاء بها انباء مرجعها انباء الاستهزاء فان لم يظهر في دار
الابتلاء فلا بد من ظهورها في دار الجزاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به
يستهزءون وقد جاء المستهزئين قبلهم انباء وهم الم يروا الم يعلموا علما يشبه
الرؤية بالبصر لما سمعوا بالتواتر من اتيان المستهزئين الاولين انباء وهم مرارا
كثيرة كم اهلكنا اى كثيرا من اهلكنا بحيث افاد تجربة واستقرار عادة من
قبلهم من اهل قرن زمان وكانهم لم يبالوا لذلك لما رأوا من تمكين الله
فتوهموا انه مناف للاهلاك ومن توسيع الرزق عليهم فتوهموا انه مناف
للتضييق بالانتقام منهم على انهم يتوهمون ان اهلاك من تقدم انما كان
لدائرة فلكية لا للذنب صدر منهم فرد الله عليهم بقوله مكناهم لم يقل لهم
للقطع بعدم انتفاعهم بخلاف المخاطبين اذ يتوقع لهم النفع قبل اهلاكهم
في الارض فيه اشارة الى ان التمكين في السموات هو الذى يمكن جعله
منافيا للاهلاك ما لم نمكن لكم فلم يمنع تمكينهم من اهلاكهم وارسلنا هو
ابلغ من انزلنا في الدلالة على الكثرة السماء المطر عليهم مدرارا مغزارا
وجعلنا في وقت او مكان لا مطر فيه الانهار تجرى من تحتهم فهذه التوسعة
لم تناف تضييقهم بالعذاب بل صارت ذنوبهم بعدها لكسب الاهلاك
الكلى فاهلكناهم وقد ترتب على ذنوبهم فكان بذنوبهم اذ ترتب الشئ على
سببه هو الاصل وانما اهلكناهم في الدنيا على ذنوبهم مع انها ليست دار
الجزاء ليكون عبرة لمن بعدهم اذ انشأنا من بعدهم قرنا خلقنا فيه اناسا
آخرين فلا نايح فيه يمنع من المبالاة بالهلاك للعود عن قريب ولكن اساء

هؤلاء



هؤلاء المنشؤن من بعدهم الاعتبار بحيث لو نزلنا من مقام عظمتنا على
سبيل التنجيم الذى هو اتم في الاعجاز عليك ايها الحريص في نفسه الداعى الى
الخيرات في العموم كتابا عظيم الشان في الالفاظ والمعاني في قرطاس
رأوا نزوله من السماء فلمسوه بايديهم التى هى اعدل الاعضاء اللامسة
مع انه لا دخل للسحر في هذه القوة لقال الذين كفروا مضوا على كفرهم بانكار
امكان الارسال والمعجزات ان اى ليس هذا المعظم بهذه الوجوه الدالة
على انه لا يكون الا من الله الا سحر مبين لنفسه لا يحتاج الى بيان وقالوا لما
كان المعجزة من المحالات الصريحة فلا دليل على النبوة سوى شهادة الملك
لولا انزل عليه ملك يشهد بصدقه ولو انزلنا ملكا فلو نزلناه بالصورة
الملكوتية لقضى الامر انقطع امر التكليف اذ لا ينفع الايمان بعد انكشاف
عالم الملكوت ثم ان لم نقض لا ينظرون لا يمهلون اذ الامهال للنظر فان
المعجزة وان افادت علما ضروريا لا تخلو عن خفاء يحتاج الى ادنى نظر ولا
خفاء مع انكشاف عالم الملكوت فلا وجه للامهال للنظر ولم يقبل الايمان
معه فلا بد من المؤاخذة عقيبه ولو جعلناه ملكا بحيث تراه في عالم الشهادة
لجعلناه رجلا اى على صورته ليدركه اهل عالم الشهادة ولو جعلناه رجلا
للبسنا عليهم من استحالة ارساله شاهدا ما يلبسون على انفسهم ومقلديهم
من استحالة ارسال البشر ولو لم يكن شئ من الامرين فلا وجه لانزاله ايضا
لانهم لما ردوا المعجزة من المحالات في انزال الملك غايته انه من المعجزات
كان طلبهم ذلك استهزاء فهم مستحقون بذلك الاستهزاء من الله وقد فعل الله
ذلك بمن قبلهم لانه لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق احاط من الجوانب
بالذين سخروا منهم لا بالرسل ما اى الاستهزاء الذى كانوا به يستهزءون اذا
هلكوا في الدنيا على اقبح الوجوه ثم ردوا الى افظع العذاب ابد الآبدين وجعل
الرسل في اعلى منازل القرب من رب العالمين فان انكروا انه حاق بهم ما

مثل

كانوا به يستهزؤون قل ان لم تصدقوه بما تواتر ولم تكتفوا بما رأيتم في مكان
لعدم دلالته على استمرار تلك السنة ولو ابصرتم الكل في مكانكم نسبتموه
الى السحر فالآن سيروا سيرا ممتدا في اطراف الارض ثم بعد تحملكم مشاق
السير المذهبة رعونة النفس انظروا الى آثارهم الدالة على انه حاق بهم ما كانوا
به يستهزؤون لتعلموا كيف كان عاقبة المكذبين تضمن تكذيبهم الاستهزاء فكان
عاقبتهم استهزاء الله بهم فان زعموا انه لا دلالة فيها على انها كانت لتكذيبهم
اذ ليس بمعصية يعاقب بها صاحبها بمثل تلك العقوبة قل اي معصية
اعظم من التكذيب والقول بانكار الرسالة والمعجزة وفيه تعجيز الله عن
اقامة الدليل على صدق من ارسلهم وانكار رحمته وعدله وحكمته فان
انكروا قدرته على المعجزة سلهم لمن ما في السموات والارض فان قالوا هو لله
لكن المعجزات ليست من فعله حتى تدل على تصديقه قل هي لله بضاعته لانها اما
عين فعله او فعل من اعطاه القدرة عليها لكنه لا يعطي احدا قدرة تفضي
الى العجز عن شيء سيما تصديق الرسل الذين تقتضي الحكمة ارسالهم لانه من
الرحمة قد كتب على نفسه الرحمة وكماله في اذ بدونه تضيع مشاق المعارف
الالهية والاعمال الصالحة وتضيع المظالم ولا جزاء في دار الدنيا لانه موضع
التكليف ودار التكليف لا يكون دار الجزاء لان مشاهدته مانعة من
التكليف فلذلك حلف ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة واذا خلق
فهو لا ريب فيه ولا يعرف الا بارسال الرسول فلا يكون تكذيبه الا بسبب
خسران ما يحمد على معارفه واعماله الصالحة على السنتهم الذين خسروا
انفسهم فوتوا عليها ما وعد الله والزموها قهره وغضبه الذي ظهرت
آثار ذلك على بعضهم في الدنيا فهم لا يؤمنون وكيف يرتاب في يوم الجزاء
والدنيا ان صلحت له فانما تصلح جزاء لمن يتلذذ بغير الله واما من كان
تلذذه بالله لا بنفسه بل له وهو ما سكن اليه في الليل والنهار اي حال السكر

المكذبين صح

الجزاء



والصحو فلا بد له من جزاء غير لذات الدنيا ولا يكفي تلذذه بالله في الدنيا
لانه ممزوج بالم شوقه وهو السميع لا مثنية العليم لجنسه فلا يمحض تلذذه
الا برؤيته ومكالمته ولا يتم الا يوم القيمة ولا يبعد اعطاؤه الجزاء على الاعمال
الغير المنحصرة لغير المنحصرين لانحصار الكل له لانه من جملة ما سكن اي
دخل في الليل والنهار الحاصرين وهو السميع لنيات العاملين العليم
باعمالهم ومقاديرها ولا يبعد احياؤه للجمادات من ابدان الاموات
لانها وان كانت دون الحيوان والنبات الساكنين بالليل المتحركين بالنهار
لكن الكل من مظاهره حتى ان له ما سكن في الليل والنهار من الجمادات
فكما قبل ظهوره فله قبول ظهور حيوته وظهور سمعه لاستماع خطابه وظهور علمه
لادراك اعماله وجزائها فلا ينبغي ان يرتاب في يوم الجزاء لهذين الامرين ثم
انه كما لا يكفي نعم الدنيا لجزاء من سكن الى الله فلا يلتذ بغيره لا يكفي آفاتها لجزاء
من اشرك به وان كان مرغوبا للجمهور حتى لاموا تركه الانبياء لما فيه من ترك
متابعة الآباء قل بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح اغير الله
الذي له الكمالات بالذات اتخذ وليا مع انه لا كمال له في ذاته اعجز
فاطر السموات والارض من غير مثال سابق فكمالاتهما منه وقد اشتملتا
على آيات ومنافع كثيرة انعم بها على الخلائق على ان الولي انما يتخذ
لانعامه او الحاجة اليه وهو كاف فيهما لانه يطعم ويحصل مقدماته وما
يترتب عليه ولا حاجة له ولا انعام عليه ولا يطلب العوض لانه لا يطعم فيجب
اتخاذه وليا معبودا شكرا على انعامه وكفاية الحوائج بلا عوض وكيف
لا يعاقب على ذلك وفيه مخالفة امره قل اني امرت ان اكون اول
من اسلم لاصير متبوعا للباقين فهم مأمورون بالاسلام ومخالفة نهيه
اذ قد نهيت عن الشرك صريحا بعد النهي في ضمن الامر واكد ذلك تأكيدا بقوله
ولا تكونن من المشركين ونهي المتبوع نهي للتابعين والامر والنهي من الحكيم

تخذ صح

التهديد سيما للمتبوع لا يكون للعبث فاقل ما فيه الخوف حتى للمتبوع قل اني
اخاف ان عصيت بمخالفة امر او نهي ولو فيما دون الشرك ربي الذي رباني
فبلغني رتبة المتبوعية فان عصيانه اخوف عذاب يوم عظيم يظهر فيه عظمة
القهر الالهي وان كان فيما دون الشرك الآفات الدنيوية لكنه لاختصاصه
بالتعذيب يخاف عذابه لانه موضوع له بل صار لعمومه بحيث من يصرف
العذاب عنه يومئذ فقد رحمه بعظيم عنايته كيف وذلك الفوز المبين
الذي يفوق الفوز بدخول الجنة اذ فوتها اهون من مقاساته فاذا عظم فوز
النجاة يومئذ من عذاب ما دون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه
عمل ولا شفاعة بل الآفة الدنيوية لا تندفع بمعالجة ولا قوة ولي الا باذن الله
وذلك لانه ان يمسسك الله بضر ولو دنيويا فلا كاشف له من دواء ولا
موالاة ذي قوة بل لا يكشفه اذ اكشفه عقيب الدواء والرقي والبخورات
الاسواء اذ ليس لغيره قدرة تعارضه ولذلك كثيرا ما لا يفعله ويفعل عقيب
دعوته اكثر ما يفعل عقيبها وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير فيقدر
على اتمامه وان اراد الغير قطعه والاكثر ما يتمه بالشكر فان ابى فليعوضه باجل
منه والاكثر ما يقطعه بالكفر فان اتم فللاستدراج ولو فرض لغيره قدرة مستقلة
فليس له معارضة الله تعالى اذ هو القاهر فوق عباده فان شاء امضى
تاثيرهم وان شاء قطع وليس على سبيل التحكم بل هو الحكيم فلا يمضي الا حيث
لا يضر بالآخرة الا في حق المستدرج الخبير بمن يحتاج الى الواسطة ومن
لا يحتاج اليها فمن استغنى بالله اغناه ومن توسل بوسائط الخير انتفع بها
والا اضر بالآخرة وكانهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف هذا العذاب
الا عن قولك لا نثبت الا بشاهد عظيم قل اي شيء اكبر شهادة بحيث لا
يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره قل الله اكبر
شهادة اذ لا احتمال للكذب في قوله اصلا وهو شهيد مبالغ في الشهادة

على نبوته بحيث يقطع النزاع بيني وبينكم اذ شهد بالقول في الكتب التي
انزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على يدي من المعجزات واعطاني المعجزة
القولية التي لا مجال لتوهم السحر فيها اذ اوحي الي هذا القرآن الجامع للعلوم
التي يحتاج اليها في المعارف والشرائع في الفاظ يسيرة في اقصى مراتب الحسن
والبلاغة لانذركم به يا من بلغوا الغاية القصوى في باب البلاغة ومن بلغ من
عقلاء العالمين وفضلائهم اذ يعرفون اعجازه فيبقى في قلوبهم صدقه ولما كانت
الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم واشار الى انه لا شاهد لهم من
الدلائل العقلية والكشفية للرسل والانبياء وانما هو اتفاق لهم فقال ائنكم من غير
اصل لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل انه وان كثر الشهداء منكم عليه
حتى تواتر لا اشهد لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة
ولا مشاهدة هنا ولا دليل بل اشهد على توحيده قل انما هو اله واحد
لا يشاركه في الالهية ولا صفات كماله وانني بريء مما تشركون من عبادتكم
لها واعتقادكم استحقاقها لها وكانهم اعترضوا على شهادة الله في كتب الاولين
بانكار جمهور اهل الكتاب اياه فاجيبوا بانه انكار لما عرفوه كما اعترف به من
آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا بعد منهم لذلك سترها لم يظهر
في العموم ولا تحريفه فقيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه لانه ذكر فيه نعته
وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان نعتين بعض المعجزات
فبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه في الولد بانه يمكن ان يكون غيره ولدته امراته
او يكون من الحجر مع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والجحود فهو كما
يعرفون ابناءهم في ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن فانكاره خسران لما
عرفوه ولما امروا بالتدين به الذين خسروا انفسهم بتفويتها او توهم من
الكتاب وما امروا به فهم لا يؤمنون وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم
خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم يحرفون كتاب الله لفظا او معنى فيفترون

والاولياء

والتفضيلية

على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم ومن معجزات محمد صلى الله
عليه وسلم وكتابه وقد يسترون بعض ما في كتابهم وسوا ايضا تكذيب فعلوا جميع
ذلك لانه لا يتاتي لهم ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بدون احد هذين
الامرين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته لانهم بالتحريف
يدعون الالهية انفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل
وينسبون ايجادها الى غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلت
كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح انه لا يفلح الظالمون وفيه اشارة الى ان مدعي
الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا فلا يكون سببا
لصلاح العالم ولا محلا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة
الله بنسبة ظلم الافتراء على الله وتكذيب آياته اليه اشار الى جواب اعتراض
الله على شهادة المشركين ان مع الله آلهة اخرى ثم بالكذب على انفسهم بانكار
شهادتهم وسوا ايضا ظلم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم
الاولون في الشرك ايضا فقال ويوم نحشرهم اي لا يفلحون في الدنيا بانقطاع
الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم ويوم نحشرهم اي الانس والجن والشياطين
والملائكة جميعا ليفتضح من لا يفلح من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون
بكمال العزة ثم نقول للذين اشركوا مضوا على الشرك بان ماتوا عليه وهم
الشاهدون ان مع الله آلهة اخرى وكذا المفترون على الله بالتحريف و
المكذبون باياته بجعلها للغير اين شركاؤكم الذين جعلتموهم شركاءنا وهم شركاء
في العبودية الذين كنتم تزعمون من عند انفسكم بلا دليل عقلي ولا نقلي
ولا كشفي فصدقتم بذلك فعل الهتين في المملكة بجعلها لغير من هي له فيتحيرون
ثم لم تكن فتنتهم اي جواب ما اعترض به على فتنتهم التي هي شهادتهم ان مع
الله آلهة اخرى الا ان قالوا معتذرين عنها بنفيها مؤكدا بالقسم بالاسم
الجامع لنسبة الربوبية اليه لا الى ما سواه والله ربنا ما كنا مشركين فكان

هذا العذر ذنبا آخر مؤكدا لافترائهم بالشرك الذي نفوه انظر كيف كذبوا مع
علام الغيوب بعد كشف الغطاء عنه بحضرة من لا يحصر من الشهود فزادوا
به صدا على انفسهم ولم يجدوا عنه تقصيا لانه ضل عنهم ما كانوا يفترون من
كونهم شركاء يشفعون لهم عند الله ويقربونهم اليه زلفى وهذا من عدم فلاحهم
بافتضاحهم بافترائهم بالشرك الذي اعتذروا عنه بكذب آخر مؤكد ومنشا
ذلك عدم فلاحهم في الدنيا بتدبر ما يسمعون منك من كلام الله المرشد لهم
اذ منهم من يستمع بقصد سماع القرآن ناظرا اليك الى وجهك الذي يعرف
من له ادنى بصيرة انه ليس بوجه كذاب ولكن لا يتدبرونه حتى يطلع على اعجازه
ويعترفه بالارشاد لانا جعلنا على بواطن قلوبهم اكنة حجبا من التعصب لدين
الآباء وحب الرياسة والمال تمنعهم من ان يفقهوه يفهموا ببواطن قلوبهم بواطنه
التي بها اعجازه وارشاده باقامة الدلائل ورفع الشبه بل التاثير ورفع الوصول
وطريق وصول المسموعات الاذان وقد جعلنا في آذانهم التي هي طريق
الوصول الى بواطن القلوب وقرا ثقلا مانعا من الوصول اليها لمعارضة
مطالبهم المذكورة لذوقا لا يحض هذا منهم بالقرآن لرؤيتهم قصورا فيه بل ان
يروا بالاعين كل آية بحيث لا يخرج عنها شيء مما يمكن ظهوره على يدي البشر
ما يدل على صدق الرسول كانه مشاهد لا يؤمنوا بها وحملوها على السحر
وقد بالغوا في انكار المعجزة القولية التي لا يتوهم فيها السحر حتى اذا جاؤك
يا من سرى نوره الى بواطن من ياتيك فلا يسري منك نور اليهم لانهم
يجادلونك فيبطلون استعدادهم لقبول النور منك ولما لم يمكنهم القول
بانه سحر يقول الذين كفروا ستروا اعجازه من كل وجه حتى من وجه اشتماله
على اخبار الغيب ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم التي سطروها وهم
لرؤيتهم حلاوة نظمه فوق نثرهم وشعرهم مع متانة معانيه يعرفون ان التدبر
فيه يفيد المطلع على اعجازه فيخافون تاثيره في قلوب الخلائق لذلك

اي ناج

ينهون عنه عن قراءته واستماعه لئلا تدعوهم الى التدبر فيه فيفسد عليهم اغراضهم
الفاسدة ويخافون على انفسهم فساد تلك الاغراض بقوة تاثيره لذلك
ينأون يبعدون عنه يريدون اهلاكه ولكن لا يحصل لهم هذا المطلوب
لان الله متم نوره ومظهر دينه فينعكس عليهم مرادهم فهم ان يهلكون الا انفسهم
بابطال نظريتهم وعمليتهم في الدنيا واستحقاق العذاب الشديد الخالد
في الآخرة بل هم هالكون الآن لتحقق اسبابه فيهم وما يشعرون لحجابهم
بعلائق بدنهم ولو شعروا لكانوا كالواقفين على النار ولو ترى ايها الناظر كيف
بعد ما ابتلوا به اذ وقفوا على النار قبل دخولها لعظم عليك امرهم وكيف
حالهم بعد دخولها فقالوا يا ليتنا طلبا لتمني المحال نرد من دار الآخرة
مع ما فيها من سعة الرحمة لتضيعهم استعداد تحصيلها الى الدنيا لتحصيل استعدادها
بتكميل النظرية والعملية ومع ذلك لا نكذب بآيات ربنا لئلا يسقط ما حصل
من الاستعداد ومع ذلك نكون من المؤمنين بكل ما يجب الايمان به من
الملئكة والكتب والرسل واليوم الآخر وان لم يظهر لنا لكل واحد منها آية تظهر
على يديه لئلا نصير مكذبين للآيات الظاهرة على يدي من امرنا بالايمان
بهم وانما ينفعهم الرد الذي يتمنونه لو كان تعذيبهم من خارج وليس كذلك
بل بدا لهم بالصور القبيحة ما كانوا يخفون من قبل من الصفات الذميمة
فيعذبون بتلك الصور ايضا عند الرد عذابا لا يظهر عليهم معه خفة ما اسقط
عنهم بالرد من العذاب الخارجي ولو ردوا مع خفاء تلك الصفات فيهم
ولا بد منها اذ لا تكليف بدونها لعادوا فاعلين لما نهوا عنه لغلبة تلك الصفات
على عقولهم المانعة عنه ولا يمنعهم عن العود وعدهم انهم لكاذبون لان
تلك الصفات تدعوهم الى الخلف في الوعد ولا مانع منه وكيف لا يعودون
وهم يعدون ما رأوه من البعث والوقوف على النار من اضغاث احلام
النائم وقعت في اثناء الحيوة الواحدة لذلك قالوا ان هي اي ليست الحيوة



حتى يكون ذلك الوقوف على
النار امرا حقيقيا وانما رؤي
حال تجرد الروح بطريق الرؤيا
ثم تعلق بطريق التناسخ
صح

التي يتوهم فيها البعث والتي يتوهم فيها الرد الا حيوتنا الدنيا الاولى وان متنا
ورددنا بطريق التناسخ وما نحن بمبعوثين ولو ترى الذين ردوا بعد ما
وقفوا على النار فقالوا انه رؤيا باطلة اذ وقفوا على ربهم فاطلعوا بالاطلاع
عليه انها امر حقيقي بعد البعث الحقيقي قال لهم تهكما بهم وردا لما يتوهمون
عند الرد أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا الكاشف لنا عن حقيقته قال
لو رددتم عن هذا المقام احتجبتم وكفرتم كما جرب منكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ولم يرفع عنهم لقاء الله العذاب وان اختص باهل الحجاب
لانه قد خسر النور الذي يمكن به رؤية الله الذين كذبوا بلقاء الله فحصلت
لهم ظلمة التكذيب ولم يزالوا في ظلمته حتى اذا جاءتهم الساعة الكاشفة عن نور
الله بغتة قبل ان يألفوا بنوره ليمكنهم رؤيته قالوا عند عماهم بفجاءة النور بعد
طول مدة الظلمة يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي في الدنيا اذ لم نكتسب من الاعتقادات
والاخلاق والاعمال ما ينور الارواح ويؤنسها بنور الحق ولو اطاقوا النظر
لمنعهم حجب المعاصي ولو لم تحجب فانما يراه من يكون قائما وهم يكونون راكعين
اذ يحملون اوزارهم اثقال معاصيهم على ظهورهم بل ينكسون لها الا ساء
ما يزرون وكيف لا يسوء الاوزار وقد سار جميع ما يعمل للحيوة الدنيا مما ليس
بزهد ولا عبادة فانه ما الحيوة الدنيا اي اعمالها الا لعب اشتغال بالامور
الخسيسة ولهو وللدار الآخرة اي اعمالها خير اي اتم لذة في الدنيا
للذين يتقون وان شقت على المشتغلين بلعب الدنيا ولهوها واللذات
الاخروية المناسبة للذات الدنيا خير لهم ايضا فضلا عن الروحانية ليؤثرون
الادنى الفاني على الاعلى الباقي الحاصل في الحال لاسل الكمال افلا تعقلون
وانما يؤثرون الدنيا لانهم لا يلتذون لذة المتقين لانهم لا يستعملون العقول
استعمالهم اياها في امور الدنيا حتى لا يصدقون الرسول الذي لا يعرف وقوعها
بدونه وان حسنها العقل ودل على صدق الرسول ولعدم استعمالهم اياه في

عنه صلى الله عليه وسلم الموجب لتحقق الآخرة مع وجوده عندهم كان
يحزنه صلى الله عليه وسلم ذلك فقال قد نعلم انه اى الشأن ليحزنك الذى
يقولون فيك من انك كاذب او ساحر او شاعر او مجنون وكان لا ينبغى
ان يحزنك تكذيبهم فانهم لا يكذبونك فيما تخبر عن امور الدنيا لعلمهم بصدقك
مع انك لم تعط المعجزات الا ليصدقوك فيها ولكن الظالمين بتكذيبك
فيما اعطيت من المعجزات ليصدقوك فيه بآيات الله يجحدون فلا بد
ان يزيل حزنك باهلاكهم لهذا الظلم العظيم فى حق آياته وليس امهالهم
لاهمالهم بل لجريان سنته تعالى بتحقق صبر الرسل وشكرهم ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا بانواع اخر ولم يزل صبرهم
حتى اتاهم نصرنا فشكروا فاعطوا مع اجر الرسالة اجر الصبر والشكر وكلما
طال الصبر كثر الاجر وعظم الشكر وعظم وزر العدو واشتد عقابه ولا مبدل
لكلمات الله من نصر الرسل واعطائهم اجر تبليغ الرسالة والصبر والشكر
وقهر الظلمة والمستهزئين ولقد جاءك جميع ذلك من نبإ المرسلين ليعلم
من سنة الله التى لا تتبدل لتحزنك كالمنافى له وان كان الشأن كبر ثقل
عليك لمزيد شفقتك اعراضهم فلا ينبغى ان يكبر عليك مع مبالغتك فى
تبليغ الرسالة واظهار المعجزات واقامة الحجج ودفع الشبه وان لم تبلغ الى حد
الالجاء المانع من التكليف اذ لا يفيد معه الايمان وهم انما يعرضون لعدم
ما يلجئهم الى الايمان فان استطعت ان تبتغى نفقا سربا فى الارض او سلما
فى السماء فتاتيهم من تحت الارض او من فوق السماء بآية ليست مما بين
السماء والارض فافعل لكن لم يجعل الله لك تلك الاستطاعة اذ يصير
الايمان ضروريا غير نافع فان نفع كان موجبا لاجتماع الناس على الهدى
لكنه شاء بمقتضى جلاله وجماله اظهار غاية قهره وغاية لطفه فلا تكونن من
الجاهلين بما يقتضيه الصفات الالهية بل بما تقتضيه عموم المملكة ثم انه لا وجه

ولو شاء الله لجمعهم على الهدى



لان يكبر عليك اعراضهم لان غايتك انك داع والداعى انما يستجيب الذين
يسمعون وانما يسمع الاحياء وهؤلاء وان كانوا احياء بالحيوة الظاهرة اموات
بالنسبة الى الانسانية لموت قلوبهم بسموم الاعتقادات الفاسدة والاخلاق
الردية والموتى انما يسمعون حيث يبعثهم الله باحياء قلوبهم بموت الاعتقادات
الفاسدة والاخلاق الردية ولا يتصور الا بالموت الطبيعى الذى لا يكون
بعده عود الى التكليف الذى فيه الاجابة بل يبعثون منه فى البرزخ ثم اليه
يرجعون بعدما كانوا عنه معرضين فيستجيبون حين لا ينفعهم الاستجابة وقيل
على موت قلوبهم انهم قالوا للآيات التى لا يمكن معارضتها انها ليست من الله
اذ لا الجاء فيها لولا نزل عليه آية ملجئة لنعلم انها من ربه قل ان الله لا ينزل
الآية الملجئة لان المقصود من انزالها طلب الايمان النافع ولا ينفع
معها وليس ذلك من عجزه بل مع انه قادر على ان ينزل آية تلجئهم و
لكن لا ينزل ما يخل بفائدة الايمان ولكن اكثرهم لا يعلمون انها مخلة بفائدة
الايمان فيطلبونها ويوقفون عليها الايمان ولا ينافى القول بموت قلوبكم
ما ترى فيكم من الحيوة فانه ما من دابة مستقرة فى الارض لا ترتفع عنها ولا
طائر يرتفع عنها اذ يطير بجناحيه الا امم امثالكم فى الحيوانية بلا انسانية
فمن خلا منكم عن علم وعمل فكالدابة ومن تحلى بهما فكالطائر وانما صورناه
بالصورة البشرية لانه ما فرطنا فى الكتاب اى لوح القضاء من شئ ناقص
او كامل من كل نوع وفعلنا تابع له لكنهم مع نقصهم اعطيناهم من العقل
ما لو استعملوه لكملوا فلذلك كلفوا ثم الى ربهم يحشرون ليسألوا هل استعملوا
ام لا والذين كذبوا بآياتنا فانهم وان شاركوا الحيوانات فى السمع والا
فى النطق والعقل فهم فى سماع آياتنا صم وفى الاعتراف بحقيتها بكم ومع وجود
نور العقل فهم فى الظلمات لعدم استنارة نظرهم وعلمهم بنور الشرع
و[illegible] الامور وان كانت اسباب الهداية فلا يؤثر بل المؤثر المشيئة الالهية

من يشاء الله يضلله فلا يعارضه اسباب الهداية ومن يشاء يجعله على
صراط مستقيم عند وجود الاسباب او بلا اسبابها قل لبيان ان الصراط المستقيم ان
اصله التوحيد اذ الشرك افراط بلا حاجة والتعطيل تفريط مخل بالحاجة
أرأيتكم اي اخبروني ما فائدة الشرك هل هي في حال الرخاء الذي لا تبالون
فيه بشيء او في حال الشدة فيبين ان اتاكم اعظم وجوهها الذي هو عذاب
الله او مقدمته اذ اتتكم الساعة وانما اعتبر اعظم وجوه الشدة اذ لا
حاجة في الادنى الى الشرك بلا نزاع أغير الله تدعون تخصون الغير بالدعوة
ان كنتم صادقين في رفع تلك الشدة به لم تدعونه بل لا تدعونه مع الله
ايضا بل اياه تدعون تخصونه بالدعوة وليست دعوتكم ملزمة للاجابة حتى
ينهدم فيها الشرك بل هو على اختياره فيكشف ما تدعون اليه ان شاء واذا لم
يكشف لا تدعون غيره بل تنسون ما تشركون ولما كانت الفائدة العائدة
في اتخاذ الاله الالتجاء اليه في الشدائد ولقد ارسلنا بهذه الفائدة الى امم
مختلفة لاتفاقهم على الاعتراف بها من قبلك لتتبعهم امتك لو اخذوا
بها فاخذوا عليها فلم يبالوا لها لكونهم في الرخاء فاخذناهم بالبأساء الشدائد
الخارجة والضراء الشدائد الداخلة لعلهم يتضرعون الى الله تعالى بحسن
الدعوة بالكلية لكنهم لم يبالوا بما لم يستأصلهم وكان حقهم ان يبالوا بالشدائد
الخارجة فضلا عن الداخلة فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فهلا تضرعوا
حين مجيء بأسنا مؤكدا للدلالة المعجزات ولكن قست قلوبهم فلم يكن فيها
لين موجب للتضرع ولولا انهم لم تعودوا الى التوحيد الضلالة زين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشرك فلا يتبع عندهم حتى لا تحملوا مجيء البأس
عليه فلما لم ينفعهم البأساء التضرع الداعي الى التوحيد رفعه الله عنهم حتى نسوه
فلما نسوا ما ذكروا به العذاب الاخروي من البأساء التي لم يستأصلهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من مطالبهم ورغائبهم استدراجا لهم بان ذلك

وتحسبهم لو لم ياخذوا بها صح

البأس لو كان على الشرك لم يكن معه هذا الفتح ولم يزل ذلك حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من مطالبهم ورغائبهم من الشرك فتاكد عندهم تاكد وتزين عندهم تزين
اخذناهم بالعذاب المستأصل بغتة فجاءة بلا تقدم منذر اذ لم يتقدمهم في
المرة الاولى فاذا هم مبلسون قانطون اذ لو انقطع صار كالاول فاستمر
عليهم وان انتقلوا من نوع منه الى آخر ولما كان عذابهم مستأصلا صغارهم
وكبارهم فقطع دابر نسل القوم الذين ظلموا وان لم يكن ظالما لانهم لو كبروا
توارثوا الظلم من آبائهم والحمد لله على اهلاك الظالمين واهلاك نسلهم
بتبعيتهم رب العالمين اذ ربي الباقين بالعدل من غير تشويش ظالم وهم
المقصودون من العالم فكانما ربي الكل وان زعموا انا نلتجي اليهم في بعض الشدائد
فنتشرف باسمائهم ويخبروننا ببعض المغيبات والمعالجات قل لا دلالة لالتجائكم
على آلهيتها حتى يصح الشرك وانما اعتبرنا الالتجاء لكم اذ تعترفون به والذي انما
تدفع اذيات الشياطين وهي التي تخبر بعض المغيبات التي تشهدها
والمعالجات ولا آلهية بذلك بل بعموم القدرة والعلم وليس لها ذلك
أرأيتم اي اخبروني ان اخذ الله سمعكم وابصاركم فاذهبهما بالكلية بحيث لا يكون
فيهما مجال للادوية وختم على قلوبكم فمنعها العلوم بالكلية بحيث لا مجال فيه
للادوية ايضا من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك المأخوذ والشياطين انما
يدفع اذياتها او تعلم الادوية ولا تعد ما ذهب الله منها بالكلية انظر كيف
نصرف الآيات نوردها بطرق مختلفة ثم اي بعد رؤيتهم تصريفنا الآيات
هم يصدفون يعرضون ويستمرون عليه بتجدد امثال فلا يتأملون فيها
عنادا وحسدا وكبرا او للاعتقاد بجهلهم قل للمعرضين عنها بعد تصريفنا
اياها لا لاخذنا ذلك أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله المستأصل لكم بغتة فجاءة من
غير تقديم ما يشعر به اذ لم تقدما تقدم او جهرة بتقديمه مبالغة في ازاحة العذر هل
يظلم فيه احد منكم لا بل لا يهلك الا القوم الظالمون بالاعراض عما صرف الله

على اعراضكم صح

له من الايات وكيف يعم الكل مع انه منذر به على السن الرسل وما نرسل
المرسلين الا مبشرين لاهل الايمان والاعمال الصالحة ومنذرين لاهل
الكفر والمعاصي وتصدقهم بالمعجزات فلا بد ان يصدقوا فبشروا وانذروا
فمن آمن واصلح الاعمال والاخلاق فهم اهل البشارة فلا خوف عليهم
من ذلك العذاب قبل نزوله ولا هم يحزنون عند نزوله والذين كذبوا
بآياتنا المصرفة فلم يؤمنوا ولم يصلحوا بها الاعمال والاخلاق يمسهم العذاب
النازل بعد ما انذر به لا بطريق الاتفاق بل بما كانوا يفسقون عن امر
الله في ترك الايمان ومباشرة الاعمال الصالحة واكتساب الاخلاق الردية
ولئن قيل لو اختص بالمنذر به لكان المنذرون اصحاب خزائن العذاب
ولو لم يكونوا اصحابها فلا اقل من ان يكون لهم اطلاع على الغيب الكلي
فان لم يعلموه فلا اقل من ان يكونوا ملئكة ينزلونه على من شاؤا او يصرفونه
عمن شاؤا واولى الناس بذلك اكملهم قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
اخص من اشاء بفتح خزانة العذاب عليه ولا اعلم الغيب كله وان علمت
ان كل كافر معذب ابدا ولا اقول لكم اني ملك انزل العذاب على من
اشاء واصرفه عمن اشاء ان اتبع فيما اقول لكم الا ما يوحى الي من الغيب اذ
يكشف لي عن الملئكة فيخبروني فان انكروا كشف الملئكة عليك قل هل
يستوي الاعمى والبصير في المشاهدات الظاهرة فكذا في مشاهدة الملئكة
لا تنكرون الفرق بينهما بالنسبة الى الامور الباطنة مع ظهوره في الظاهر افلا
تتفكرون ولكنهم انما يتفكرون لو علموا انهم عماة واما من اعتقد انه بصير فلا يمكن
ارشاده ابدا ومن علم انه اعمى لا يمكنه ان يهتدي بنفسه بل يحتاج الى الانذار
لذلك قال وانذر به الذين يعلمون انهم عماة فهم يخافون ان يحشروا الى ربهم
قبل ان يسمعوا من بصراء الوحي فاذا سمعوا بذلك يتقنوا به يتقن الاعمى
الظاهر بقول من يعتمد عليه من بصراء الظاهر ويخافون ايضا انهم اذا حشروا



ليس لهم من دونه ولي من الالهة بخلاف المشرك فانه ينكر الحشر ويزعم انه لو حشر
فله ولي يدفع عنه العذاب ولا شفيع من الانبياء والاولياء كاهل الكتاب
فهذان لا ينفعان الانداد كما لا ينفع الجازم بعدم الحشر لعلهم يتقون الاعمال
الفاسدة والاعمال الصالحة والاخلاق الردية فلا يسفرون على مقتضى
عماهم ولا تطرد البصراء بقول العماة الذين يزعمون انهم بصراء وانما البصراء هم
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اذ يرونه في تصريفهما يريدون
وجهه اي رؤيته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والعماة لكونهم ارباب
شرف ومال يكرهون مجالستهم لقلة شرفهم ومالهم فقال تعالى لاشرف الناس
ما عليك من حسابهم من شيء اي ما يعود عليك من نقصهم في الشرف والمال
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ما يعود عليهم من كمالك في الشرف
والمال من شيء فاذا لم يلحقك نقصهم ولم يأخذوا كمالك بسلبه عنك فلا وجه
لطردهم فتطردهم بلا سبب فتكون من الظالمين بطرد البصراء لقول العماة ومن
غاية عماهم انهم كما يكرهون مشاركتهم في المجلس كرهوا مشاركتهم في نفس الايمان
وذلك من ابتلاء الله تعالى كما قال وكذلك اي وكما فتناهم في مجالستهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي هو منبع بحار الحقيقة الابدية المشتملة على جواهر
الحكم يموج بها على كل احد كذلك فتنا بعضهم وهم الشرفاء ببعض وهم الاخساء
بامتناننا عليهم بالايمان ليقولوا اي الشرفاء اهؤلاء الاخساء من الله عليهم
بشرف الايمان تخصيصا لهم من بيننا طائفة الشرفاء مع ان الشرفاء اولى بكل
شرف فلو كان شرفا لانعكس الامر فقال تعالى انما مننا عليهم بنعمة الايمان
لانا علمنا انهم يعرفون قدر منح النعم فيشكرونها حق شكرها والشرفاء لا يعرفون
قدرها فلا يشكرونها اليس الله باعلم بالشاكرين فيمنعهم النعمة او يعطيها غيرهم
وكيف تطرد هؤلاء الخواص وليس لك طرد عوام المؤمنين وان كانوا عصاة
بل اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فانه وان كان فيهم عصاة فقل سلام

عليكم اكراما لهم على الايمان وايمانا لهم من تشكك جرمهم على المعاصي بل قيل لهم
كتب اوجب ربكم وان لم يجب عليه شيء على نفسه الرحمة لكل مؤمن تاب عن
المعاصي الفرعية فقال انه اي الشأن من عمل منكم ايها المؤمنون اذ لا توبة
للكافر عن المعاصي الفرعية مع بقاء كفره سوءا بجهالة غفلة عن الله لا طريق
الجراءة عليه فانه يخاف معه الدين وفقنه المانع من التوبة او من قبولها
لكونها غير مستجمعة للشرائط ثم بعد الغفلة الداعية للسوء تاب من بعده ولو
بمدة مديدة واصلح ما افسده من حقوق الناس ومن حقوق الله التي لا تسقط
بمجرد الاستغفار فانه غفور لذلك السوء رحيم بابداله حسنة وكما فصلنا من
الاية بذكر القيود كذلك نفصل الايات ليستبين سبيل المؤمنين فيجرينا فيه
ولتستبين سبيل المجرمين فيجتنب مضاده فان زعموا انه لا ضير في سبيلهم
قل كفى بغاية التذلل لمن لا يخلو عن ذله ضيرا فان العقل والشرع تطابقا
على كونه ضيرا اما العقل فظاهر واما الشرع فلورود النهي عنه اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون اي تدعونهم آلهة مع اعترافكم بانهم من دون الله والدون
لا يكون الها ولا مستحقا للعبادة لانها لما كانت غاية التذلل اختصت بمن له
غاية العلو فان زعموا انه لا يخالف العقل لاطباق من مضى من العقلاء عليه
والواجب اتباعهم قل انما الواجب اتباع الامر الالهي فان لم يوجد فاتباع
العقل وهم قد خالفوا الامرين لاتباع اهوائهم لا اتبع اهواءكم وهم وان اتفقوا
على كونه هداية عن الضلال قد ضللت اذا بمخالفة الامر الالهي والعقل
جميعا وما انا من المهتدين باعتبار الدليل الكشفي ايضا لان ظهور الحق
ليس باعتبار الالهية وما سوى ذلك الاعتبار لا يوجب استحقاق العبادة والعباد
فيها وان رجعت الى الحق فقد تضمنت اعتقاد نقص في الحق لانه لا يعبد في
المظهر ما لم يعتقد كمال ظهوره فيه وجعل ذلك كمال الحق عين اعتقاد النقص
فيه وفيه اشارة الى ان كيف اطرد الذين يدعون ربهم وهم بذلك في غاية الشرف



اذ يتقربون به الى من له غاية العلو للذين يدعون من دون الله وهم في غاية
الذلة ومن ذلتهم انهم مع كونهم عقلاء يتذللون لا سوتهم التي هي دون العقل
على ان الشرف انما هو للحسن والضعة للقبح ولا اقبح من الضلال الذي هو ترجيح
الاهواء على العقول وليس من ترجيح الكشوف على العقول ولا يقابل بهذا الشرف
والدناءة ما هو من سعة المال والجاه وعدمهما لانهما عارضان خارجيان
والاولان ذاتيان وان زعموا ان اباءهم كوشفوا بما تبعناهم فيه فرجحوه على
ما عقلوه قل ان صح قولكم والكشف الصحيح ما لا يكذبه العقل وقد كذب كشفهم
وكشفي مصدق به او بالمعجزات اني على بينة لا يمكن التشكيك فيها لكونها من
ربي وكذبتم به تقليدا للاباء بلا بينة من العقل ولا من المعجزات ولا ترجعون
عنه الى التصديق ما لم تلجأوا اليه بالعذاب لكنه موخر فكانكم تستعجلونه ما
عندي ما تستعجلون به اذ لو كان عندي لكنت انا الحاكم لكنه ان الحكم الا لله
وقد حكم بتاخيره لكنه محقق الوقوع لانه يقص الحق فلا بد من تعذيب العاصي
واثابة المطيع كيف وفعلهما بمقتضى الفصل بينهما وهو خير الفاصلين فان قالوا
نجوز ان يفوض اليك الحكم ليصدقوك وقد قصد تصديقك قل كفى في تصديقي
اظهار المعجزات على يدي والتفويض الى يبطل فائدة التكليف الذي بعثت
لاجله فانه لو ان عندي ما تستعجلون به مع حرصي على تصديقكم اياي وقد
وقفتموه على ذلك لقضي الامر لتم امره قاطعا للنزاع بيني وبينكم من غير ان
يفيدكم تصديقكم شيئا لوقوعه بعد زمان التكليف واذا اخر فقد يرجع البعض
الى التصديق بعد معاينته او يحدث من نسل البعض من يصدق قبلها و
الظالمون لا يتوبون بل يزداد عليهم شدة اذ الله اعلم بالظالمين وان قالوا
لو كشفت لاطلعت على الغيوب كلها واخبرت عن وقت العذاب بعينه قل انما
كوشفت بما فتح الله علي ولا يطلع على كله الا من عنده مفاتح الغيب لكنه
مخصوص بالله اذ وعنده مفاتح الغيب اي في علمه استعدادات حقائق الاشياء

التي يفتح الله بها خزائن اسمائه وصفاته فيخرج ما فيها بالقوة من الظهور بصورها
او آثارها الى الفعل وقد اختصت به بحيث لا يعلمها على التفصيل التام
الا هو ولا ينحصر علمه في ذلك بل يعلم ما اخرج من خزائنه فافاضه على ما في البر
والبحر من الاجناس والانواع ولا ينحصر علمه في الكليات والجزئيات
التي لا تتغير بل ما تسقط من ورقة الا يعلمها وكيف لا وقد اوجد ما بعده
ما قدرها فما من حبة تحدث منها النبات والثمار ولو في ظلمات الطبقة
السابعة من الارض ولا رطب تتبدل صوره المختلفة ولا يابس تلزم صورة
واحدة الا في كتاب هو لوح القدر مبين لما في العلم الاعلى الآخذ من
العلم الآلهي فهو سابق عليها وعلم في الازل حدوث ما يحدث من اصولها
وتغيرها بتغير من القوابل فلا يتغير علمه وانما يتغير اضافة المعلوم بالمضي والحال
والاستقبال خص فيه البعض بذاته وبالبعض الآخر خواصه وبالبعض الآخر
العوام لكن لم يطلعهم على تفاصيل الجزئيات باسرها وان بلغوا من القرب
ما بلغوا ولما كان علمه تابعا للمعلومات من الحقائق واستعداداتها كان حكمه
التابع له تابعا لها فتأخر العذاب الى يوم القيمة لاقتضاء استعدادهم ذلك
وان تحقق من اسبابه الوفاة والبعث بعد اكتساب المعاصي من غير عجز
منه ولا جهل اذ هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم كسبتم بالنهار قبله ثم
يبعثكم فيه في النهار بعده لا للجزاء اذ لم يجئ وقته الذي اقتضى استعدادهم
وقوعه فيه بل ليقضى اجل مسمى اي ثم مقدار حيوة لكل احد لاقتضاء استعدادهم
تاخيره عنه ثم اليه مرجعكم بالموت ثانيا وفيه يقتضي استعدادهم تحسين ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون مبالغة في عدله وفعله وان كان تابعا للاستعداد فليس للاستعداد
او للحقائق التي لها الاستعداد قهر على الله تعالى بل هو القاهر لانه فوق عباده
ولا قهر للدون سيما اذا كان عبدا او من احواله فتبعيته فعله للاستعداد كتبعيته
للسبب ولذلك يرسل عليكم حفظة وان امكنه الحفظ بدونهم فلا يزال يحفظه

حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وليس توفيهم بتقصير من الحفظة بل هم
لا يفرطون كما لا يفرط الرسل ثم التوفي ليس ابطالا للحفظ بل رفع درجة اذ ردوا
الى الله وهو اولى بالحفظ لانه مولاهم لكن هذا الحفظ مقيد بعدم ابطال حكمة العدل
الذي هو مقتضى صفته الحق الا له الحكم ولذلك لم يؤخر عذابهم عن وقت اقتضاء
استعدادهم بل اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله
حساب عن حساب ولا يحتاج الى الفكرة والروية وعقد يد ودفتر ولو انكروا
كونه اولى بالحفظ قل فلم تخصونه بالالتجاء اليه عند الشدائد من ينجيكم من ظلمات
شدائد البر بخوف العدو والحرب و ضلال الطريق والبحر بخوف الغرق والعدو
والضلال وسكون الريح فلولا انه المنجي فلم تدعونه تضرعا عابدين لا له بحيث
للعبودية وخفية تحقيقا للاخلاص وتعدونه الشكر موكدا بالقسم اذ تقولون
لئن انجانا من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين باعتقاد انك المخصوص
بكل انعام والثناء عليك وصرف اعضائنا الى ما امرتنا به فان زعموا انهم
وان خصوا الله بالدعوة لكن ينفعهم عباده من عبدوه من قبل فانهم شفعوا
عنده حين دعوه قل الله من غير شفاعة احد ولا عون ينجيكم منها ومن تلك
الشدة ومن كل كرب تتوجهون اليه او الى غيره او لا تتوجهون فيه الى احد
ثم انتم بعد النجاة عنها الموعود فيها بالشكر وعدا وثيقا بالقسم تشركون حتى انكم
تنسبون النجاة الحاصلة بعد تخصيصه بالدعوة الى شفاعة الشريك فتجعلون الشرك
مكان الشكر قل للمشركين بعد النجاة الموعود فيها بالشكر انما اشركتم لا منكم من
الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشاء الخوف وهو القدرة الالهية
على انواع الشدائد من الجهات كلها اذ هو القادر على ان يبعث عليكم سيما اذا
بدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك عذابا اعظم من تلك الشدة من فوقكم كالمطر
النار والحجارة او اسقاط الكسف او من تحت ارجلكم كالخسف والطوفان
او هما بين السماء والارض مثل ان تقوى اعداءكم حتى يلبسكم يخلطكم شيعا

حسابهم وسوابع

فرقا مختلفين في الضلالة ويذيق بعضكم بأس بعض شدة بعض من قتله او قبيلة العدو
ولعدم الشعار انظر ايها العاقل كيف نصرف الايات نرددها على وجوه
شتى لعلهم يفقهون اى فعل من يرجو فهمهم لبعضها الداعي الى رجوعهم للحق ولكن
لم يفقهوه بل كذب به قومك الذين عرفوا صدقك فيما بينهم فلم يتصور منك
الكذب على الله مع تصديقه اياك بالمعجزات وليس تكذيبهم لظهور امارات
الكذب عليه بل من لو لم يكن معه المعجزات لعلم اولوا البصائر انه من الحق لا يتعداه
الى غيره فان قالوا لم تظهر حقيته لنا قل لهم بعد ظهور حقيته في نفسه وتأكدها بتعريف
الايات المعجزة وسائر المعجزات لم يبق الا ان الجئكم الى التصديق لكني
لست عليكم بوكيل الجئكم الى التصديق به وانما يلجئكم اليه العذاب الموعود
عليه لكنه لم يستقر بقلوبكم قبل وقوعه مع كثرة الدلائل عليه ووضوحه في نفسه
لكن لكل نبإ خبر مستقر وقت استقرار لصدقه او كذبه وسوف تعلمون
انه لم يستقر بقلوبكم مع كثرة دلائل استقراره بتصريف الايات الظاهر حقيتها
مع اعجازها وتصديق سائر المعجزات ومن اسباب عدم استقرار انباء القران
بالقلوب مجالسة الخائضين فيه بالطعن ولذلك اذا رايت ايها المؤمن
الذين يخوضون بالطعن والاستهزاء في اياتنا المنسوبة الى مقام عظمتنا فحقها
ان تعظم بما ناسب عظمتنا فاعرض عنهم بترك مصاحبتهم ومجالستهم لئلا يقع
شيء من مطاعنهم بقلبك ولا يحضره الرد لاختصاصه ببعض الاسوة او لتصوره
على ان حضور المنكر اذا لم يقدر على دفعه مشاركة لصاحبه حتى يخوضوا في
حديث غيره اى في غير الخوض في اياتنا واما ينسينك الشيطان اى
وان يمسك الامر بالاعراض بان يتهيا وقت الغفلة التي لا بد من وقوعها
فجلست معهم فلا تواخذ به لكن اذا ذكرت فلا تقعد فلا تدم قعودك
بعد الذكرى المخرجة لفعلك عن حكم النسيان معهم لظلمهم بالطعن في الكلام
المعجز بما يتوهمون فيه من النقائص واللحن وعدم الارتباط او بالحشو و

الكار



الكفار مع ان الواجب عليهم عند رؤية عجزهم عن مثله لفظا ومعنى فمن قدر
على مثل لفظه كان باعتبار المعنى ركيكا ومن قدر على مثل معانيه الظاهرة
كان باعتبار اللفظ ركيكا الرجوع الى علمائه فالقعود معهم قعود مع القوم
الظالمين الذين من ركن اليهم مسته النار وما على الذين يتقون يوزرون
على التحفظ من شبهاتهم من حسابهم اى خسرانهم بالخوض من شيء ولكن امروا
بالاعراض عنهم ليكون ذكرى لضعفاء المسلمين لعلهم يتقون يبلغون مبلغ
المتقين من شبهاتهم بالجلوس مع علمائه بل لهم وكيف يصح صحبة الطاعنين ولا
يصح صحبة من لا يطعن ولكن اتخذ اعمال الدنيا دينه ولذلك وذر الذين
اتخذوا اعمال الدنيا دينهم واعتقدوا انها نهاية السعادات وكان لعبا
ولهوا لان اعمال الدنيا لا تخرج عنهما فمن صحبهم مال الى طبعهم فلا يتامل في ايات
الله ولا يلتفت الى اعمالها وذلك لانهم غرتهم الحيوة الدنيا وظنوا ان السعادة
كلها في لذاتها فتعين عن ورثها وذكر به اى بهما نهاهم من اراد الميل اليها او الى اهلها
بانه سبب ان تبسل تسلم الى الهلاك نفس بما كسبت بهذا الغرور من
انكار الاخرة فصارت ليس لها من دون الله ولي يقربها منه ولا شفيع
يدفع عنها العذاب وان تعدل اى تفد بمقابلة كل عدل اى كل نوع من
انواع الفداء لا يوخذ لا يقبل منها لبعدهم عن مقام الفداء اذ اولئك
البعداء عن السعادة الحقيقية لاغترارهم بسعادة الدنيا التي غايتها اللعب
واللهو هم الذين ابسلوا سلموا للهلاك بحيث لا يعارضه شيء بما كسبوا بهذا
الاغترار من انكار الاخرة والانهماك في الشهوات المحرمة لهم شراب من
حميم جزاء على الاشربة المحرمة وعذاب اليم بما تلذذوا بالشهوات المحرمة
لا وحدها بل بما كانوا يكفرون بالاخرة وان زعموا ان لذات الدنيا مع اغترارهم
بها ولو افضى الى انكار الاخرة انما يضر من لم يتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا
قل ندعوا من دون الله ليكون وليا وشفيعا لا يضر معه لذات الدنيا ولا

انكار الاخرة مالا ينفعنا ولا يضرنا في امر الدنيا ونرد في امر الاخرة على
اعقابنا بعد اذ هدانا الله للاقبال اليها فنصير كالمستمر على الضلال بل كا
استهوته استمالته عن الطريق الواضح الشياطين اي الغيلان تتبعهم وسير
سيرا ممتدا في الارض حتى يخرج من العمران لا يدري مقصده لكونه
حيران فكذا من اتخذ من دونه وليا او شفيعا يذهب به وليه وشفيعه
الى مهالكه ضلاله لا يدري مقصده الذي هو سائر اليه من امر الاخرة واشد
ذلك الضلال ما كان مع وجود من يهديه سيما اذا تعدد كالمستهوي المذكور
اذا كان له اصحاب يدعونه الى الهدى الطريق الواضح يقولون له ائتنا وهو لا
يسمع لهم فكذلك يدعونا الله واياته فان زعموا ان ما هم عليه هدى جمهور العقلاء
قل ان هدى الله الذي ارسل به رسله هو الهدى فان زعموا ان مشايخهم اتوا
يهديهم من الله كالانبياء فقل لهم مشايخكم امروكم بالشرك وامرنا لنسلم
لرب العالمين فاي الامرين احق النسبة اليه بل غاية مشايخكم انهم امروكم
بالاسلام لله باعتبار بعض مظاهره والرسل لو اعتبروا المظاهر فلا يخصون
مظهرا من مظهر فاي الامرين اتم وايضا امرنا ان اقيموا الصلوة وهي العبادة
الشاملة لانواع التذلل لله بجميع اجزاء الانسان وليست عندكم فكفى بها
فضلا وامرنا ان اتقوه ومشايخكم يامرونكم بتقوى الاصنام والشياطين
ولا وجه لذلك اذ لا حشر اليها بل هو الذي اليه تحشرون وكيف لا يكون اليه
الحشر وهو النهاية وقد كان منه البداية اذ هو الذي خلق السموات والارض
كيف وفيه ظهور الحق ومن سنة الله ترجيح جانبه في كل شيء لذلك كان خلقه
السموات والارض بالحق وكيف لا يتعلق الحشر اليه ويوم يقول للمحشور
كن فيكون قوله الحق اذ لا بعثه للعبث فلا بد ان يقول الحق في شان المحق
والمبطل ولا يقتصر على القول اذ له الملك فلا بد وان يفعل بالمطيع والعاصي
فعل الملوك لمن يطيعهم او يعصيهم وهو وان كان له دائما فانما نظر اختصاصه

الذي
صح امر

يوم ينفخ في الصور لان جميع الارواح فيه لا يكون الا للمتفرد بالملك ولا يفعل
بمقتضى الملك على سبيل التحكم بل يراعي العلم اذ هو عالم الغيب والشهادة
وليس ذلك ان يعذب او يرحم من علم انه يعذبه او يرحمه على التحكم اذ هو
الحكيم وليس المراد احكام الفعل بل رعاية الحكم الباطنة اذ هو الخبير واذكر
لمن اتخذ دينه لعبا ولهوا وانكر الضلال فيه وانكر كون من كان عليه كالذي
استهوته الشياطين وزعم ان هدى الله ما كان عليه القدماء اذ قال ابراهيم
الذي يزعمون انهم على دينه ويفتخرون به لابيه منكرا عليه وهم ينكرون انكارك
على ابائك ولا ينكرون الملقب آزر معناه المعوج او المخطي واسمه تارخ
اتتخذ اصناما صورا مصنوعة كصور لعب الصبيان المسماة باسماء الملوك
والمشايخ تعلم مثله في حق الله ثم جعلتموه جدا فاتخذتموه الهة وليس هذا
القول مني بطريق الهزل بل اني اريك وقومك وان كان منهم حذاق في
بامر الدنيا غرقى مستمرين في بحر ضلال مبين باعتقاد الهيتها او اتصافها
بصفاته او استحقاقها للعبادة لحلول الحق او ظهوره بالالهية فيها او لكونها
مظاهر كاملة لها ومخصوصة بمظهريته لان الالهية توجب الوجود بالذات
وهي ممكنة مصنوعة واني لها الاتصاف بصفاته وهي عاجزة عن النفع والضر
خالية عن الحس والسمع والبصر والعبادة غاية التذلل فلا يستحقها من لا
يخلو عن هذه الوجوه من الذلة وانما يستحقها من كان في غاية العلو وحلول
الحق فيها ان كان حلول المظروف في الظرف فهو من خواص الاجسام
وان كان حلول العرض في الجواهر او حلول الصورة في المادة فهو حلول
افتقار ينافي وجوب الوجود ولا ظهور للحق بالالهية التي هي وجوب الوجود
واين كمال المظهرية مع النقائص المذكورة واين الاختصاص ولا وجود
لشيء بدون ظهوره فيه وكما اريناه ابراهيم وجه الضلال في اتخاذ الاصنام
الهة باعتبار صورها واجسامها كذلك نري ابراهيم ملكوت السموات و

سبيل صح
انكاره على ابيه صح
بصفا

الارض ليعلم ان شيئا من روحانيات الافلاك والكواكب والمشايخ والشبا
لا يصلح للالهية وليكون من الموقنين بالتوحيد بالاستدلال بالادلة الكثيرة
وبالسماع من تلك الارواح ولما راى الملكوت وايقن ان شيئا منها لا يصلح للالهية
اراد الرد على قومه في اعتقاد الهيتها لحسنها باعتبار افتقارها في افعالها
الى اجسام لها ذات الافول وان كانت علوية وكذا في اعتقاد الهية تلك
الاجسام كما رد عليهم في اعتقاد الهية الاصنام فاستظهر الكواكب التي
كانوا يعبدونها فلما جن اظلم عليه الليل راى كوكبا الزهرة او المشتري قال
لقومه ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم اولا ثم ابطال قولهم بالاستدلال
لانه اقرب لرجوع الخصم هذا ربي فلما افل ومن دناءته في الالهية بل تمنع
من الميل الى صاحبها فضلا عن اتخاذه الها او معبودا فضلا عما يفتقر
اليه قال لا احب الآفلين ثم استظهر نورا اعلى منه فلما راى القمر بازغا مبتدئا
في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال محو ذاته بعظمة عين الضلال اذ لا
يكون عظمة مطلقة والاله لا بد وان يكون عظمة مطلقة فلا يصلح للالهية
فضلا عن المفتقر اليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين بجعل
العظمة القاصرة مطلقة كاملة فاستظهر نورا في غاية العظمة فلما راى الشمس
بازغة قال هذا لم يؤنثه لئلا يعارض عظمته نقص الانوثة ولو غير حقيقية وهي
وان كانت في الواقع لم يات بها لفظا قصدا بذلك مساعدة الخصم اولا
ربي هذا اكبر والالهية لا تجاوز الاكبر فلما افلت قال ليس باكبر على
الاطلاق بل لا يمكن جعله شريكا لما هو اكبر بالاطلاق يا قوم اني بريء مما
تشركون اني بعدما تبت وجهت وجهي اي وجه قلبي وروحي في المحبة والعبادة
بل جعلته مسلما للذي فطر السموات والارض وارواحها ليست فاطرة
لها لانها لا ينفعلان الا بهما حنيفا مائلا عن الالتفات اليهما والى ارواحهما
وان كان فيهما ما هو من اسباب الحوادث اذ لا اثر للاسباب وانما هو بالله معها





لا بها ولا يفتقر اليها بل جرت سنته بذلك وما انا من المشركين بان الاثر لما ظهر منه
فيهما او في اسبابهما وحاجه ارادوا مغالبته بالحجة قومه اي القائمون على العناد
وزعموا ان الآثار الارضية منتسبة الى حركات الكواكب واوضاعها لاختلافها
باختلافها فهي المؤثرة فيها وان كانت لامكانها مفتقرة الى الله تعالى قال اتحاجوني
في توحيد الله وقد هدان لاقامة الحجج ودفع الشبه على نفي الهية ما سواه وقد ثبت
انها ناقصة في ذواتها فكمالاتها من غيرها ولا الهية للناقص بالذات لان كماله لا
يكون مطلقا ولا اخاف الضرر على نفسي من تاثير ما تشركون به لان تاثيرهم من
كمالاتهم وهي لهم من ربي فلا يؤثرون الا ان يشاء ربي ان يجعل لهم شيئا من
التاثير لكنه لا يشاء في شاني لانه وسع ربي كل شيء علما فعلم انه لو وجد التاثير
فيهم بما يضرون به من بعثه لتوحيده صار محجوجا اتنكرون هذه الامور مع
وضوحها فلا تتذكرون في هذه الامور التي لا يحتاج فيها الى تعمق وكيف اخاف
عند التوحيد ضرر تاثير ما اشركتم اي جعلتموه ايها المحدثون من عند انفسكم
شريكا في غاية الضعف لمالكه الذي في غاية القوة من افراط جهلكم ولا تخافون
ضرر تاثير الله فيكم من جهة انكم اشركتم بالله المالك القوي ما اي مملوكا ضعيفا
باستقلال منكم اذ لم ينزل به عليكم سلطانا حجة مع انه انما يفوض جعل المملوك
شريك المالك بجعله اياه شريكه فان كان لهذا المملوك الضعيف تاثير بالضرر
لمن انكر شركه ولمالكه القوي تاثير بالضرر لمن انكر توحيده فاي الفريقين المشرك
الآمن من تاثير الله او الموحد الآمن من تاثير الشركاء احق بالامن لكن انما تسمعون
هذا ان كنتم تعلمون مقدار تاثير الله وتاثير الشركاء وانهم لا يؤثرون الا بتاثير
الله وانه لا يمكنهم من التاثير فيمن تغار عليهم له ثم اشار الى ان الاحقية
انما تعتبر حيث كان للجانب الآخر احتمال مرجوح ولا احتمال ههنا اذ الذين
آمنوا بالله فعرفوا انه المالك القوي ولم يلبسوا لم يخلطوا ايمانهم بظلم شرك من
اعتقاد تاثير الغير وان كان سببا اولئك الكاملون في رتبة الايمان لهم الامن

وان قالوا اذا امرت باقتداء الانبياء السابقين فليس علينا الاقتداء بك بل
عليك الاقتداء بنا قل انما امرت بالاقتداء بالانبياء في الاعتقادات لا بكل من
ينسب اليهم من الجهال الكفار بهم في الحقيقة بل بالله وما قدروا الله حق قدره ما عرفوه
بالمقدار الذي يليق به من المعرفة على قدر الطاقة البشرية اذ لا يمكن معرفة الا ما
عرف به نفسه وتعريفه انما هو بانزال كتابه وهم ينكرون انزاله اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء اذ لا يطيق البشر حمل كلامه قاله مالك بن الصيف حين اغضبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل
تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وانت الحبر السمين قل من انزل الكتاب اي
التورية الذي يعترفون بحقيته وتدعون الايمان به لكونه جاء به موسى صاحب
المعجزات القاهرة اطاق تحمله عند ظهوره بصور الحروف والكلمات مع انه
لو لم يات به موسى لم يمكن تكذيبه لكونه نورا يكشف الحقائق بالدلائل وهدى
برفع اللبس والشبهات للناس الذين غرضهم في فطرتهم التميز ورفع الشبهات
لكنهم نسوا ذلك فلذلك كم تجعلونه قراطيس دفاتر وكيف ينكرونها وانتم
تبدونها ولا يبعد منكم الانكار مع ذلك اذ تخفون كثيرا مما دل على بعث محمد
صلى الله عليه وسلم ولكن لم يتم لكم اخفاؤها اذ علمتم من اسرار التورية على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم فكيف تخفون عليه ما هو
ظاهر التورية فان يشكوا حرف الناقص قل منزل التورية على البشر الله
ليشد معهم الناقص ثم ان زعموا انا اردنا ما انزل الله بعد موسى على بشر
من شيء ذرهم لانهم في خوضهم اباطيلهم يلعبون بلا دليل وكيف ينكرون
انزال هذا الكتاب بعد موسى وهذا كتاب لغاية عظمته اولى ان يقال
انه انزلناه من مقام عظمتنا لانه مبارك يشتمل على ما لا يتناهى من الفوائد
في الفاظ يسيرة ولا يمكن لمخلوق ان ياتي بمثله ولا مانع فيه من تكذيبه ما ثبت
نبوة اذ هو مصدق الذي بين يديه انزل تكميلا لما فيه ولتنذر ام القرى

اصل مكة يقصدها الناس لان الارض التي خلقوا منها دحيت من تحتها فهم
يميلون اليها بالطبع وقد تاكد بالامر الالهي بالحج ولذلك كان انذارها انذار
من حولها من اطراف الارض ولا يضر انكار بعضهم له لانهم لا ينكرونه لنقص
فيه بل لعدم ايمانهم بالاخرة اذ يزعمون انه لن تمسنا النار الا اياما معدودة
والذين يؤمنون منهم بالاخرة يؤمنون به ولايمانهم بها هم على صلوتهم يحافظون
وغيرهم وان صلوا احيانا فلا يحافظون عليها وهو يدل على انهم لا يؤمنون
بالاخرة وانما يدعون الايمان بكتابهم تحصيلا للجاه والرشي به وهو وان كان
ظلما فلا يبعد ممن لا يؤمن بالقران فانه اظلم لانه اما يهودي يحرف التورية
لفظا او معنى فيفتري على الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه يجعل
قوله قول الله او غيره فاما ان يدعي النبوة كذبا كمسيلمة من بني حنيفة اذ قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء فهذا تنبيه على الافتراء في دعوى النبوة ومن ينكر اعجاز
القران حتى قال سانزل مثل ما انزل الله مع انه قد عرف اعجازه فكانه ادعى
لنفسه قدرة الله فكانه ادعى لنفسه ولا يجترى على هذه الوجوه من الظلم من
يؤمن بالاخرة فيعلم ما للظالمين فيها ولو ترى ايها الرائي اذ الظالمون وان
لم يكونوا اظلم في غمرات سكرات الموت قبل البرزخ والقيمة وما فيها من البلاء
وساير وجوه العذاب لثقل عليك الامر فكيف يكون على صاحبه والملئكة
باسطوا ايديهم كالمتقاضي الملظ وهو شدة مع شدة السكرات قولهم اخرجوا
انفسكم تغليظا وتعنيفا شدة اخرى وغاية شدايده عند قولهم اليوم قبل
البرزخ والقيمة تجزون عذاب الهون اي المتضمن للاهانة بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كالتحريف ودعوى النبوة الكاذبة وهي جراءة على الله
متضمنة للاستهانة به وكنتم في اعراضكم عن رؤية اعجاز اياته تستكبرون
حتى قال بعضكم سانزل مثل ما انزل الله واول ذلك انه يسلب منكم الاستكبار
واسبابه اذ قال والله لقد جئتمونا فلا يبقى لكم استكبار عند وصولكم الى من له

من جانب الله لاعتنائه بهم ومن جانب الشركاء لحفظ اياهم من نائرهم وكيف
لا يعتنى بهم وهم مهتدون لاعمال واعتقادات يوجب اعتناءه بهم واما
المشرك فلا يقدر شريكه على دفع غضب الله عنهم ولا على شفاعتهم عنده لمن لا
يرتضيه وتلك الدلائل المشار اليها فى قوله اتتخذ اصناما الهة الى مهنا
حجتنا التى لا يمكن يرا اعتراض عليها اتيناها بلا واسطة معلم من البشر ابرهيم
ليغلب ويصح على قومه الكفرين ولا يبعد ذلك اذ نرفع درجات من نشاء
بالحجج فوق رفعها بالسيف لانه انما يؤثر فى ظواهر البعض والحجج فى بواطن الكل
وليست مبنية على سبيل التحكم بل على نهج الحكمة ان ربك حكيم برفع درجة
من استعد لرفعها لانه عليم بالاستعدادات ووهبنا له اى لابرهيم مبالغة
فى رفع درجاته اسحق من صلبه ويعقوب من صلب ابنه لتكمل درجته والد
فازداد كماله درجة جده لاختصاصهما بالهداية اذ كلا هدينا ولم يلحقه
نقص من جهة ابيه اذ نوحا هدينا من قبل من اجداده فسلم نزله فضله مما بعدا
من لحوق نقص بابر اباءه به ولم نزل نرفع درجاته بعد ذلك اذ هدينا
من ذريته داود الجامع بين النبوة والخلافة الكاملة بالتنصيص عليهما وسليمن
وارث كماله المكمل له فهذان من ارباب الشكر وهدينا من ارباب الصبر
ايوب وارباهما يوسف وموسى وهرون وكما جزينا ابرهيم بالمبالغة فى
رفع درجاته لاحسانه ومن ترجيح جانب الحق على ما سواه كذلك نجزى المحسنين
بالمبالغة فى رفع درجاتهم وزكريا صاحب العبادات الكثيرة ويحيى صاحب
العصمة وعيسى والياس اللاحقين بافق الملئكة كل من الصالحين من اهل
الولاية النبوة واسمعيل وعاء الكمال المحمدى ولذلك لم يذكر مع اسحق لانه
من وجه فى معنى الاب واليسع اللاحق به فى كونه من الاخيار ويونس الذى
قال صلى الله عليه وسلم فيه من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ولوطا الذى
قال صلى الله عليه وسلم فيه رحم الله اخى لوطا الحديث الدال على شدة امر الهه بالملئكة



على مخالفين ذكره فى ذريته لكونه ابن اخيه فهو بمنزلة ابنه وكلا فضلنا على العالمين
فلحق فضلهم بجدهم ابرهيم وهدينا من اباءهم فلحقهم فضلهم فلحق ابرهيم من حسنين
وذرياتهم فلحقهم فضلهم فلحق ابرهيم بواسطتهم واخوانهم فلحقهم الفضل من جهة الحاقهم
وابرهيم من جهة الذرية بالذات وجهة الحاشية بالواسطة ومع ما هديناهم للحجج
اجتبيناهم بالنبوة وهديناهم بالولاية النبوية الى صراط مستقيم فى الاعتقادات
والاخلاق والاعمال فحصلت لهم منه الفضائل ايضا ولحقت بابرهيم فازداد
ارتفاع درجاته ذلك الهدى الذى كان عليه هؤلاء هدى رهبان الكفرة هدى
الله ولا يختص بهم بل يهدى به من يشاء من عباده من ابناءهم وكيف يكون
هدى الرهبان هدى الله وهؤلاء مع عظمتهم لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا
يعملون حال هدايتهم فكيف يبقى لهم الهدى معه وكيف يحصل لصاحبه نعم يحصل
له بعض الخوارق استدراجا ولم يكن المذكورون من اهل الاستدراج
لظهور كونهم من اهل الهداية اذ اولئك الذين اتيناهم الكتاب المؤسس
على قواعد الهداية التى يعرف كونها هداية بالنظر الى ذاتها والحكم على وفقه
اذ لو خالفوه لظهر ضلالهم ومع ذلك اتيناهم النبوة لتصديق معجزاتها كتابهم
وحكمهم ليقتدى بهم الناس فان يكفر بها بكتابهم وحكمهم ونبوتهم هؤلاء فليدل
ذلك على بطلانها فقد وكلنا بها قوما ينشرون حقيتها ويرفعون شبهاتهم عن
يقين حصل لهم اذ ليسوا بها بكافرين فلم يبق عليهم حجاب الكفر الساتر عن حقيتها
والمظلم بايقاع الشبهات بل ادى بهم نور الايمان الى الكشف عنها وكيف لا يمكن
بيان حقيتها ورفع الشبهات عنها مع ان اولئك هم الذين هدى الله لاقامة الحجج
ورفع الشبه وهم وان تنبوا هدى مشايخهم الى الكشف فبهديهم اقتده باعتبار
سبق زمانهم لا بعد قدمائهم اذ لا حجة عليه وهؤلاء لهم مع كشفهم حجج فان زعموا
انهم انما لا يقتدون بهم لانهم يلزمهم الاقتداء بك قل لا اسألكم عليه اجرا من
مال او جاه او مدح ولا يلزمكم فيه دناءة ان هو الا ذكرى تنزف وموعظة للعالمين

الكبرياء المطلقة وحلف على ذلك تنزيلا لهم منزلة المنكرين لسبق انكارهم كانهم
مستمرون عليه ولم يبق لكم ما يكون لمرتبة الملوك عند الوصول اليهم من كثرة
الاتباع لكونكم فرادى ليس معكم من يتبعكم اذ هو مقتضى الاعادة لتعودوا
كما خلقناكم اول مرة فلا يبقى لكم الجاه الذي هو من اسباب الاستكبار
لانما هو منشاؤه وهو المال او الحرافة اذ تركتم ما خولناكم اي فضلناكم به فلم
يحملوه معكم ولا قدمتموه لتجدوه عندنا بل جعلتموه وراء ظهوركم وكما لم يبق
لكم الجاه ومبداه من جهة انفسكم لم يبق لكم من جهة متبوعيكم اذ ما نرى معكم
شفعاءكم الذين اعتقدتم شفاعتهم على تقدير البعث وطول مدة العذاب
وهم الانبياء والملائكة او الاصنام وكيف يكونون شفعاء عندنا وقد زعمتم
انهم مع دخولهم فيكم ايها الخلق ادخلتموهم شركاء والشرك من اسباب العداوة
وهم وان لم يعادونا عاديتموهم والله لقد تقطع الوصل بينكم ولم تنقطع ما
كانوا يشفعون لكم لانه ضل اي ضاع فبعد عنكم ما كنتم تزعمون من انهم شفعاء
على كل ما يصدر منكم من شرك او انكار لليوم الاخر او نبوة نبي وكيف انكرتم
اليوم الاخر وقد ظهر من دلائله ما اشار اليه قوله تعالى ان الله فالق الحب
بالنبات والنوى بالشجر والنبات والشجر حيان والحب والنوى ميتان
فهو يخرج الحي من الميت اما من كله كالحب او جزئه كعجب الذنب الذي هو
كنوى التمر وبالعكس مخرج الميت كالبيض من الحي كالطير لم يعطفه على يخرج
لانه بيان الفالق ولا يصلح هذا لبيانيته فعطفه عليه ذلكم الفالق هو الله
لا الطبيعة ولا الماء والهواء فانى فكيف تؤفكون تصرفون عنه الى الطبيعة
وغيرها نفيا للبعث اذ ليس للانسان مدة الطبيعة والالم نزل تنبت ولا تأخذ
في الاحياء الى الشق بل هو انارة الروح كفلق الاصباح والله تعالى فالق
الاصباح وتركه مدة معلومة كالسكون بالليل والله تعالى جعل الليل سكنا
ولا يستبعد ذلك بطول مدة السكون لانه تعالى جعل الشمس والقمر



سائرين بسير يحسب حسبانا فكذا جعل للقيمة حسبانا يعلمه هو ولا يطلع عليه
المنجمون وكيف لا يكون كذلك مع ان ذلك تقدير العزيز الغالب على امره
فلا يفعل ما يفعل بطريق الايجاب وان دعى فيه الحكمة لانه يقدر بتقدير العليم فقد
علم الحكمة في البعث وكيف ينكر النبوة التي هي اصل الهداية الى ذلك وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في حال ظلمات ضلالات طرق البر والبحر فكيف لا
يجعل الانبياء هداة طرق المعاش والمعاد في ظلمات الضلال فيهما اعظم قد فصلنا
بينا فصلا فصلا الايات على قدرة الله وحكمته واليوم الاخر والنبوة
لقوم يعلمون وجه الاستدلال بها وانما خلقت للاستدلال وكيف تكذبون
الانبياء اذا اخبروكم ان الله يعيد كل واحد منكم من بدنه او جزئه وليس
بابعد من ابتداء خلقكم اذ هو الذي انشاكم من نفس واحدة ولا يستبعد
اختلاف مدة اللبث في القبر فانه كاختلاف مدة الحيوة الدنيوية فمستقر
ومستودع اي فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستقر في اقرب مدة
كانه مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكره لان انشاءهم من
نفس واحدة امر دقيق يحتاج الى استعمال فطنة به ثم قرنه بمثال وهو
اخراج الانواع المختلفة من اصل واحد فلا يبعد اخراج اشخاص كثيرة من
نوع من نفس واحدة فقال وهو الذي انزل من السماء التي يكون الفيض
بواسطتها دون الفيض بدون واسطة في الجمعية ماء واحدا بالنوع فاخرجنا
به لم يقل فاخرج به لئلا يتوهم انه اخرج السماء بواسطة الماء نبات كل شيء
اي كل نوع من انواع النامي فان قيل اختلف هذه الانواع لاختلاف الاصول
قلنا تلك الاصول بعيدة والقريب متحد لانا انزلنا الماء فاخرجنا منه
اي من كل شيء خضرا ثم نخرج منه ما يعود الى الاصل او يتضمنه فان كان
حبا نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل
من الواحد الكثير اذ يصير متراكبا متراكما بعضه على بعض مثل سنابل البر

والشعير والذرة وان كان نوى يجعل خضره نخلا مثلا ويحصل من النخل طلع
يتضمن النوى واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير مما يتضمنه
اذ يكون من طلعها ثمرها قنوان عذوق دانية ملتفة يقرب بعضها من بعض
ولا يخص هذا بنوع يخالف الاصول بل قد اخرجنا جنات من كرم اعناب
واخرجنا من اغصان الزيتون والرمان الزيتون والرمان شجرهما مشتبها
لاصولهما وليسا ذلك الاصل بعينه لكونه غير متشابه اي ملتبس كيف ولا يشتبه
احوال الشيء الواحد انظروا الى ثمره كيف يكون طعمه ولونه اذا اثمر والى ينعه
اي نضجه كيف يكون طعمه ولونه حينئذ ان في ذلكم ايها البصراء لآيات على
امكان انشائكم من نفوسكم وابدانكم وعلى البعث بانزال المطر من العرش ثم انبات
الاجساد كالنبات ثم جعلها خضرة بالحيوة ثم تصوير الاعمال بصور كثمرة وافيا
اسود زاينة ونعز يعها واعطا ثم مشتبهة في الصورة غير متشابهة في اللذة
جزاء عليها لقوم يؤمنون باختصاص الله بالتاثير دون الاسباب وبانه
فاعل مختار وانه قادر على كل شيء وباليوم الآخر بهذه الدلائل المقنعة المؤيدة
بالدلائل القطعية من النقل المتواتر عن الانبياء عليهم السلام وهؤلاء نفوا
عموم القدرة يعني قدرته على الاعادة وزادوا على اعتبار تاثير الاسباب
والتولد بالايجاب اذ جعلوا لله شركاء الجن اي جعلوا الجن الذين هم دون
الملئكة والانس شركاء لله حتى عبدوا الاصنام لتعلقها بها وعلموا انها
حادثة اذ خلقهم وقد جعلوا الله كساير الخلق بل دون المبدعات اذ جعلوه
كالحيوانات والنباتات حتى خرقوا اشتقوا اذ انه يحتمل جعل له بنين ولم يقتصروا
عليهم بل زادوا انتقاصا حتى اثبتوا له بنات ولا شبهة لهم في ذلك مع انه لا يجوز
ان يعتقد فيه بغير علم سبحانه تنزه تنزهه الذي لا يكون لغيره كيف وقد تعالى
عن الكل بتعاليه عما يصفون من اوصاف الحوادث الخسيسة من المشاركة
والتوليد وكيف يكون له ولد وهو من خواص الاجسام القابلة للكون

بهما

والفساد التي دون الاجسام المبدعة وهو فوق المبدعات اذ هو بديع اي
مبدع السموات والارض ثم ان سلم انه لا يختص بها اني يكون له ولد ولا يحصل
الابن من متجانسين ولا مجانس له لذلك لم تكن له صاحبة مع انها لا يصح كونها
قديمة لنقصها بالانوثة ولا حادثة اذ لا يجانسها الحوادث وان سلم ان له
صاحبة قديمة تجانسه فكيف يجانسه الولد وهو حادث فهو مخلوق له لامتناع
حدوث شيء بدونه فثبت انه خلق كل شيء فلو جاز ان يكون احد المخلوقات
ولدا له لجاز في الكل وان سلم تخصيصه البعض بالولدية فلا بد ان يتصف
بصفاته التي منها عموم العلم لكن هو بكل شيء لا غيره فلو اتصف به الولد لكان محيطا
بالوالد علما لكن جلاله يأبى ان يصير محاطا لمن حدث ثم اشار الى ان الشرك
ونسبة الولد الى الله ينافي الايمان به اذ ذلكم البعيد تنزهه عن مراتب من يشارك
او ينسب اليه الولاد هو الله يجب الايمان به لانه ربكم لا رب لكم سواه
لانه لا اله الا هو فهو الذي خلقكم وخلق النعم التي ربكم بها اذ هو خالق كل
شيء وانما ربكم بها لتعبدوه فاعبدوه ولا عبادة الا بالايمان به وحده
اذ لا يستحقها غيره بانعامه عليكم ولو وكالة عنه اذ هو على كل شيء وكيل
متول بحفظه وتدبيره غالب عليه لا اثر لغيره وان كان سببا ولكنه ينسب اليه
لانه مدرك بالابصار والله تعالى لا تدركه قبل كشف الحجب الابصار فلا ينسب
اليه الامور ولكن يجب ان ينسب اليه لان الغير لا يدرك دقائق الاشياء
والفعل الاختياري فرع الادراك وهو يدرك الدقائق حتى الابصار
ولا يدل عدم ادراك الابصار اياه على عدمه بل خفائه اذ هو اللطيف
واللطيف هو المدرك فهو الخبير فهو كالروح الذي لا يدركه الابصار وهو يدرك
الكل فتنسب اليه افعال الانسان لا الى شيء آخر منه ثم اشار الى ان عدم
ادراك الابصار اياه ليس عذرا في نسبة الافعال الى الغير المدرك بالابصار
حتى يجعل مستحقا للعبادة لانه قد جاءكم بدل الابصار الظاهرة بصائر

ع

باطنة هي اقوى من الابصار الظاهرة لكونها من ربكم بدليل اعجازها وتسبيب
الجزم بنفعه او دفع ضر عنها حتى تنهم فيها بل ذلك في حق انفسكم فمن ابصر فلنفسه
يصل به الى ربه والى ما يشتهيه عنده ومن عمي فعليها اذ يحجب عن ربه ويحال
بينه وبين ما يشتهيه والى لا ابعث جزمنا نفعكم ودفع مضاركم وما انا عليكم بحفيظ
لهما بل هو مفوض الى اختياركم وكما صرفنا الايات في هذا الموضع كذلك
نصرف سائر الايات نوردها على وجوه كثيرة في ساير المواضع لتكمل الحجة على
المخالفين وليقولوا في ردها ما تقويها وهو قولهم درست اليهود فتعلمت منهم
فهذا وان كان طعنا في رسالته دليل صدقها في نفسها وقد دفع اعجازها
مطاعنهم وكيف يكون من مدارستهم وقد فصلنا فيه ما اجمل في كتبهم ولنبينه
اي مادارسناه لقوم يعلمون ما في كتبهم من الاجمال وما فيه من التفصيل
وانك وان لم تكن حفيظا عليهم وهم وان دام عماهم لا تترك تبليغ الرسالة
اليهم بل اتبع ما اوحي اليك من تبليغ الرسالة التي هي الايات المصرفة مبالغة في
الزام الحجة مع افادة البصاير والبيان التام لما اجمل في كتب الاولين مما يدل
على انها من ربك الذي رباك تربية لا تتاتى من غيره لاختصاصها بمن له
رتبة الالهية التي لا مشاركة فيها اذ لا اله الا هو واذا اصروا مع ذلك
على الشرك عن عماهم فلا تحزن عليهم بل اعرض عن المشركين اذ اراد الله
بقاءهم على الشرك والعمى مع هذه البصاير لاقتضاء استعدادهم ذلك
وان لم يكن موجبا اذ لو شاء الله مع هذا الاستعداد ما اشركوا ولكن جرت
سنته برعاية الاستعدادات وهم وان لهم استعداد الايمان في فطرتهم فقد
ابطلوه وانت وان كنت داعيا الى اصلاح الاستعداد الفطري ما جعلناك
متوليا عليهم لتكون حفيظا لمصالحهم حتى تكون مصلحا لاستعدادهم الفطري
وما انت عليهم بنفسك بوكيل تدبر عليهم امورهم او تغيرهم من استعداد
الى آخر بل هو مفوض الى الله تعالى يفعل بهم بمقتضى استعدادهم الطبيعي

وان ح

كان ح



لهم من غير تغيير له بل هو مفوض الى اختيارهم وكيف يكون لك تغيير استعدادهم
وغاية ما تقدر عليه تقبيح اعمالهم لكنهم يزدادون بذلك قبحا لذلك لا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله وان علموا ان سبهم لا يقابل بسب الله
لكنهم لعدوانهم يعتدون على الله فيسبونه عدوا بغير علم منهم بقبح هذه المقابلة
اذ زين لهم ولا بعد لانه كما زينا لهم هذا القبح بمقتضى استعدادهم كذلك
زينا لكل امة من السراق وقطاع الطريق والزناة وغيرهم عملهم وان داموا
فيها من قطع الاطراف والرجم وليس في سبهم ترك انعامه عليهم امهالا لهم بل
امهال ليزدادوا اثما مع توالي النعم عليهم ثم الى ربهم الذي رباهم بانعامه مع سبهم
اياه مرجعهم وليس للعبث فينبئهم بما كانوا يعملون قولا وفعلا بصرف نعمه الى معاصيه
وسب المنعم من اجل من لا ينقص منه انعام اصلا وكانهم زعموا ان كفرهم
الذي بلغوا فيه الى سب الله تعالى ليس من سوء استعدادهم بل لعدم مجيء آية
اقترحوها حتى اقسموا بالله جهد ايمانهم اي اوثقها الذي بذلوا في توثيقها طاقتهم
لئن جاءتهم آية من الايات المقترحة ليؤمنن بها قل انما يصح اقتراح الايات
علي لو كانت مفوضة الي آتي بها عن اختياري لكن لا دلالة فيها اذن على
تصديق الله لي انما الآيات عند الله وانما يظهرها بسؤالي لو علم انكم تؤمنون
بها او اراد تعجيل اخذكم لكن لا يعجل اخذا مني وقد علم انكم لا تؤمنون وما يشعركم
ايها السامعون انها اذا جاءت يؤمنون بها بانفسهم وانما تبرءه من يؤمن
وصولا لا يؤمنون وكيف يؤمنون لرؤية الآية المقترحة ونقلب افئدتهم العازمة
على الايمان بتاكيد القسم بانه انما يخاف من الجزاء عليه لو نبت الجزاء وابصارهم
بان هذه الآية لا تعظم بل هي كالاولى التي لم يؤمنوا بها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا
به اي بمثلها مع وقوعه اول مرة لا توهم فيها تعود عادة جديدة خارقة للسابقة
ولا بد لهم من هذا التوهم لانا نذرهم في طغيانهم على الآيات بايراد الشبهات
عليها يعمهون يترددون لها مع جزمهم عقلا لهم بعدم وقوعها ولتركنا اياهم في طغيانهم

فيها ح

تعزره خ

يجهلون لو جمعنا عليهم الآيات القاهرة المقترحة بالتصديق حتى لو أننا نزلنا
إليهم الملائكة شهودا على صدقك وكلمهم الموتى بذلك وبأحوال الآخرة التي لا يمكن
اطلاعهم عليها وحشرنا عليهم كل شيء من الحيوانات والنباتات والجمادات قبلا
كفلاء بصدقك ما كانوا ليؤمنوا بالمجموع من الآيات القاهرة في حال من الأحوال
إلا في حال أن يشاء الله منهم الإيمان على خلاف مقتضى استعدادهم وقد جرت
سنته بعدم مخالفته ولكن أكثرهم يجهلون فيتوهمون أنها تتعلق بالأشياء بلا اعتبار
استعداد وأنها تجعل العبد مجبورا في أفعاله فلا وجه لتعذيبه عليها فيجترئون على
الكفر والمعاصي مع أنه يجوز أن يكون تعلقها بالتعذيب كذلك والأفعال علامة
لا سببه وإن سمي جزاء لتشبيه العلامة بالسبب وكيف يتوهمون الجبر في كفرهم مع ظهور
استعداده من عداوتهم المانعة من الانقياد للآيات القاهرة الداعية إلى
إلقاء الشبهات فيها وفي الآيات المقترحة لو أتى بها بالإحالة بأبواب السحر
أو بخرق عادة جديدة مع جزم العقل بعدم الاحتمالين في الواقع وإن جاز
وجودهما بمعنى أنه لا يلزم منه محال وهو أيضا من فعلنا بمقتضى استعداد
النبوة فجرت بذلك سنتنا ولذلك كما جعلنا سواك من شياطين الإنس الملقاة
الشبهات ظاهرا وشياطينهم من الجن الملقين لها باطنا أعداء لك يريدون
دفع أمرك بها كذلك جعلنا لكل نبي عدوا ليظهر بجهاده لهم حجته ويدفع شبهاتهم
ولئلا يتوهم أنه يخص ساعد الكل ليأكلوا أموال الناس أو يترأسوا عليهم أو
أنه نزل عليه الشياطين فجعلنا شياطين الإنس والجن أعداءه ولا يمنع
ذلك من ظهوره إذ غايتهم أنه يوحي بعضهم إلى بعض زخرف أي مموه القول
غرورا للضعفاء لأن الله جعلهم أهل الحجاب وكذا العاذرين لتعذيبهم بمقتضى
استعدادهم ولو شاء ربك أن لا يقهرهم مع اقتضاء استعدادهم إياه ما
فعلوه وإن كان مقتضى استعدادهم لأنه من علامات القهر فلو لم يرد قهرهم
لم يظهر عليهم علامته فذرهم وما يفترون على الله تعالى من أنه جبر عليهم بالكفر



من غير استعداد منهم ليفتروا بذلك ولا يهتموا للتفصي عن وجه الغرور و
لتصغى إليه أي إلى مزخرفهم أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة لمساعدته
لهم على أموالهم وليرضوه رضاء المؤمنين بالآخرة بالدلائل القطعية إذ يسقط
عنهم التكاليف الشاقة وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من شبهات أخر
من ذلك المزخرف ومن الجراءة على الكفر والمعاصي وإن أنكروا كونه مزخرفا
وطلبوا فيه التحكيم إلى نقادهم قل أأتحاكم إلى نقادكم فيما بين الله لي أنه مزخرف
أفغير الله أبتغي حكما ليحكم عليه ولم يترك لي ولا لكم ريبة في كلامه إذ هو الذي
أنزل إليكم الكتاب مفصلا فيه الحقائق والأحكام مع دلائلها ورفع الشبه
عنها وإن شككت في إنزاله مع إعجازه فانظر إلى ما شهد الله تعالى في كتب الأولين
وراجع أهلها إذ الذين آتيناهم الكتاب يعلمون من وعد الله فيه بإنزاله أنه
منزل من ربك وليس فيه ما يريبهم لكونه ملتبسا بالحق في نفسه فإذا اجتمعت
فيه هذه الأمور فلا تكونن من الممترين حتى يحتاج فيه إلى التحكيم وكيف يكون
منزلا من غيره وقد تمت فيه كلمة ربك التي أنزلها في كتب الأولين لمزيد التفصيل
والاستدلال ورفع الشبه صدقا في الاعتقادات والأخبار وعدلا في
الأحكام وإن نسخ بعض ما في كتبهم ولئن فقد داعي فيه من الاعتدال بحيث
لا مبدل لكلماته من تلك الجهة ولا من جهة الصدق والإعجاز ولو فرض
مبدل في طريق الوصول إليك فلا يترك بحاله إذ هو السميع لما بلغه المبدل
العليم بما يدفعه من أول الأمر فلا يمكنه ثم أشار إلى أنه لا وجه للتحكيم في كلمات
الله التي تمت صدقا وعدلا بحيث لا مبدل لها إلا من أغرق فكره في الأمور
الأرضية وإن كثروا أفعالا وإن تطع أكثر من في الأرض فإنهم وإن
حصلوا لأنفسهم وأتباعهم الأموال والجاه يضلوك عن سبيل الله الذي
هو اتباع البراهين القاطعة من العقل المؤيد بالنقل إذ لا يدركونها إن يتبعون
في الأمور الإلهية إلا الظن فيتخذون الشياطين إذ أظهر شيء من آثارهم

الآية وان هم في باب الاحكام الا يخرصون يقولون بالتخمين الوهمي كجعلهم
علة حل الحيوانات قتل الله اياها ومقتضاها عدم حل ما قتلوه وهو خلاف
ما هم عليه ولكن لا شعور لهم بذلك ولا يبالي مع قول الله لغو لهم كيف وترك
قول الجمهور للواحد ان ربك هو اعلم من الجمهور فيعلم من لا يزال يضل عن
سبيله وان كثروا فمنع اتباعهم وهو اعلم بالمهتدين اي المستمرين على الهداية
وان قلوا فامر باتباعهم واذا منعتم اقتداء الضالين فلا تعتبروا بتعليلهم الحل
بقتل الله حتى تحرموا بمقتضاها ما ذبحتموه واذا امرتم باقتداء المهتدين فاعتبروا
تعليلهم الحل بذكر اسم الله عند الذبح فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عند ذبحه
لدفعه تنجس الموت اياه المانع من الاكل ولا تحتاجون الى معرفة هدايتهم
بل يكفيكم اقتداء من عرفتم هدايته بظهور الآيات ان كنتم بآياته مؤمنين وما
لكم اي اي شيء عرض لكم من قطع او ظن من تعليلهم الحل بقتل الله فصار
دليلا ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد علمتم الغاء الشارع هذه العلة بالنص
اذ فصل لكم جميع ما حرم عليكم في جميع الاوقات الا وقت ما اضطررتم اي اضطررتم
اليه فصار حصرا لما يوجب الالغاء ما لم يدخل فيه وكيف يأخذون باعتبار
العامة وان كثيرا ليضلون في التعليل اذ يأخذونه باهوائهم من غير ان
ينظروا الى وجه كونه علة لانهم يأخذونه بغير علم يوجب عنادا ذلك التعليل
اذ لم يبلغوا حد ان ربك هو اعلم بالمعتدين والاعتداء كما يحصل بالقبح
الظاهر الذي يستقبحه العامة يحصل بالقبح الباطن الذي لا يعرفه العامة بدون
تعريف الشرع وذروا ظاهر الاثم وباطنه كاكل ما مات حتف انفه او ذبح على
النصب ان الذين يكسبون الاثم فانه وان لم يظهر لهم قبحه سيجزون بما كانوا يقترفون
يكتسبون من الهيئة الذميمة الموجبة للعذاب ظاهرا وباطنا عند انكشاف الحجاب
عنها ولا تأكلوا شيئا مما لم يذكر اسم الله عند ذبحه تحقيقا ولا تقديرا كالمؤمن المتعمد
تركه لقيام ايمانه مقام ذكره على انه ذاكر لقلبه فهو اولى من الناسي الذي لم يذكر

يذكر مع غفلة قلبه عن اسم الله بالكلية وانه وان لم يظهر اثمه عندكم لفسق خروج
عن الحسن الى القبح بتناول ما تنجس بالموت بلا مانع عن تأثيره وان الشياطين
ليوحون يوسوسون بما يلقون الى اوليائهم بان ذكر اسم الله لو كان مبيحا
لكفى ذكره عند الاكل ليجادلوكم على الغاء تعليل الحل بذكر اسم الله عند الذبح
وهي مجادلة باطلة لان المقارن مانع من التأثير بخلاف المتأخر عن الملاقي
فانه لا يرفعه بعد استقراره وان اطعتموهم في تحليل ما حرمه الله او تحريم ما احل
انكم لمشركون لهم مع الله فيما يختص به من التحليل والتحريم وليس اطاعة
الرسول في ذلك كاطاعتهم لانه دون اطاعة من كوشف عن حكم الله كاطاعة
المحجوب وتردون من كان ميتا بالجهل فاحييناه بالعلم من غير تعلم من البشر
وجعلنا له نورا من الكشف النبوي يكشف عن الاعتقادات الصائبة
والاخلاق الفاضلة والاحكام الحكيمة بحيث يمشي به في كمل الناس لا
يمكنهم ان يعترضوا عليه كمن مثله صفته الغرق في بحر الظلمات ظلمة الجهل
والحجاب والعناد ليس بخارج منها بالارشاد وابصار الصراط المستقيم
اذ زين له ذلك وزين لامثل الحجاب اتباع مثله ولا عجب اذ كذلك زين
للكافرين ما كانوا يعملون من القبائح التي زينها لهم كبراؤهم بالتلبيس عليهم و
كما جعلنا بمكة كبراء قريش ليمكروا على اتباعهم في تزيين الباطل وستر الحق
كذلك جعلنا في كل قرية ارسلنا اليها الرسل اكابر مجرميها ليمكروا فيها على
اتباعهم بالتلبيس ليتركوا متابعة الرسل وقصدوا بذلك اضرارهم وما يمكرون
بمكرهم الا انفسهم وكانهم ما يمكرون الا بانفسهم وهم وان كانوا احذاقا بمكرهم
ما يشعرون بما يعود الى انفسهم التي هي اقرب اليهم من كل شيء وهو دليل كونهم
في الظلمات غير خارجين منها ومن مكرهم العائد الى انفسهم مع عدم شعورهم
وان قرب من الاوليات انهم اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى من
الوحي والمعجزات المصدقة له مثل ما اوتي رسل الله بل نحن اولى منهم لشرفنا

الله
فقال الله تعالى أعلم حيث أي بالمكان الذي يجعل فيه رسالاته وهم الشرفاء
بالفضائل النفسية بحيث لا يدرك غاية فضائلهم سواه دون شرفاء المال و
الجاه سيما إذا اتصفوا برذيلة الكبر والمكر تلبس أحد الشرفين بالآخر سيصيب
الذين أجرموا صغار عند الله الذي نازعوه في كبره لرد آياته ورسالاته
واعترضوا عليه في تخصيصه الرسالة بغيرهم وعذاب شديد بما كانوا يمكرون أضرارا
بالأنبياء فلم يفترسوا هم بهذا العذاب الشديد وأما غيرهم فمن يرد الله أن يهديه
يشرح يوسع صدره بتصقيله بنور الهداية فيتسع اتساع المرآة لظهور السموات
وما دونها للإسلام أي لانطباع عقائده فيظهر لهم هذا المكر الذي هو أوهن
من بيت العنكبوت ومن يرد أن يضله فلا يؤثر فيه مثل هذا المكر مع بقاء قلبه
بحاله بل لا بد من تغلب اليقين عليه ومن تغلب الهوى على صدره يجعل صدره
ضيقا لا يتسع للاعتقادات الصائبة في الله والأمور الأخروية وهو إن اتسع
للأمور الدنيوية فلا يتسع للاعتقادات الإلهية والأمور الأخروية لكونه
حرجا شديد الضيق بالنظر إليها وذلك لكونها مانعة من الشهوات التي اتسع
لها فيثقل عليه تركها كأنما يصعد يتكلف الصعود في جهة السماء وطبعه يهبط
إلى الأرض فلذلك لوقوع رجس الشهوات عليهم كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون في الاعتقادات والأخلاق وكيف لا يضيق صدورهم
عن هذا الدين وهذا الدين صراط ربك فلا يكون سهلا مع كونه مستقيما
لا ميل فيه إلى إفراط أو تفريط في الاعتقادات والأخلاق أو الأعمال
فلا عوض له فضيق القلب بسلوكه إلا أن ينشرح بنور الله قد فصلنا الآيات
لقوم يذكرون ثم أشار إلى فائدة سلوك هذا الصراط مع ما فيه من هذا الضيق
فقال لهم أي لأهل هذا الصراط لا لغيرهم دار السلام أي السلامة عن كل ذم
تمكنهم في مقام القرب عند ربهم بسلوك صراطه الذي سلموا به عن رذيلتي
الإفراط والتفريط وهو وليهم في إمرارهم على صراط الآخرة للوصول إلى دار

السلام بما كانوا يعملون بسلوك صراطه في الدنيا ثم أشار إلى ضرر رجس الشهوات
التي هي أصل المكر فقال ويوم نحشرهم أي الماكرين والممكورين جميعا
ليسمع بعضهم كلام البعض وما يخاطب به يا معشر الجن خصهم بالنداء لأنهم
الأصل في المكر قد استكثرتم استتبعتم بالمكر كثيرا من الإنس الذين أنتم أعداؤهم
عداوة ظاهرة وقال أولياؤهم مطيعوهم من الإنس ربنا أي من ربانا
بالشهوات إنها أصل المكر إذ بها استمتع بعضنا ببعض نصحونا بإيثار الشهوات
الحاضرة على اللذات الغائبة وبرزوا لنا فيها أمورا شائقة اعتقدنا بذلك
آلهتهم فاستمتع كل واحد بالآخر ولم يكن المانع من الاستمتاع حاضرا إذ لم تعاقبنا
في الحال بل أجلت لنا أجلا لنتنبه فيه ونتوب فلم نتنبه ولم نتب فلم نزل نستمتع
حتى بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا للمعاقبة قال إذا بلغتم أجل المعاقبة فلا توبة
النار الحائلة بينكم وبين ما تشتهون مثواكم منزلكم الجامع بينكم ليزداد ألمكم
بالاجتماع كما ازداد تنعمكم به خالدين فيها كما قد لكم إمالتكم الخلود في الشهوات
فلم ينظروا في عواقبها إلا وقت ما شاء الله أن ينقلكم منها إلى الزمهرير انتقالكم
من شهوة إلى أخرى إن ربك حكيم يعاقب على كل شهوة بما يناسبها عليم بتلك
المناسبات ولا يختص هذا بالجن والإنس بل كذلك نولي نقرن بعض الظالمين
بعضا سواء كانوا من جنس وجنسين في النار ليزدادوا عذابا بالمقارنة بما
كانوا يكسبون من مزيد المعاصي بالمقارنة يا معشر الجن والإنس كيف اغتررتم
بمكر الاستمتاع بعدما بينه الرسل ألم يأتكم رسل منكم تعرفون صدقهم ونصحهم يقصون
عليكم آياتي الموجبة لموالاتي المانعة من استمتاعكم وينذرونكم على ترك الموالاة
وعلى استمتاعكم لقاء يومكم هذا قالوا قصروا وأنذروا شهدنا بذلك على أنفسنا
ولكن صعب علينا تركها لتنجزها وتأخر عاقبتها وغرتهم الحياة الدنيا الحاجبة عن
عواقبها حتى أنكروا الآخرة وشهدوا على أنفسهم بعد شهادة جوارحهم أنهم كانوا
كافرين بها ذلك التخاطب لأجل أن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بالتخليد في

النار بظلم ولو في زعمهم ولذلك لم يعذب قرية واهلها غافلون عن سبب
التعذيب لئلا ينسبوا اليه الظلم عند ذلك وللاحتراز عن الظلم يكون لكل
من عامل خير او شر درجات من الثواب والعقاب مأخوذة مما عملوا ولا يظلم
بنقص الثواب او زيادة العقاب لا عمدا ولا سهوا لانه ما ربك بغافل عما
تعملون ما مقداره ومقدار ما يترتب عليه وربك وان كان يعطي الدرجات
بحسب الاعمال الغني عن التعذيب فيجوز ان ينقص منه او يعفو عنه ذو الرحمة
فيجوز ان يزيد في الثواب ولا ينافي عفوه اقتضاء جلاله التعذيب لانه ان
يشاء يذهبكم في الآخرة ايضا ويستخلف من بعدكم ما يشاء ليعصوا فيعذبهم
كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ذهب بهم ثم بذنبهم لكنه لم يفعل لئلا يخالف
وعده ان ما توعدون من العذاب لآت مع غناه وربك ورحمته وما انتم
بمعجزين له بهذه الكلمات لانه يعمل بمقتضى اسمائه كلها فيخص البعض بالتعذيب
والبعض بالعفو قل للمعتذرين على غناه ورحمته حتى تركوا عبادته وعبدوا
الاصنام يا قوم اعملوا الاعمال الخسيسة من عبادة من سوى ربكم على مكانتكم
من مذهبكم الشريفة على خلاف مقتضاها اني عامل عبادة الله مع غناه لاحتياجي
اليها في استكمال ربي من القرب الله في الدار التي تعقب هذه الدار بنيت
لعبدة الله دون غيرهم وانتم ان لم تعلموها الآن فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار هل يكون للعدل الذي يضع العبادة في موضعها او للظالم
بوضعها في غير موضعها انه لا يفلح الظالمون ومن ظلمهم المانع من الفلاح ترجيحهم
جانب الاصنام على جانب الله بعد تشريكهم اياه فيما اختص بخلقه اذ جعلوا
لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا يصرفونها الى المساكين والضيفان
وللاصنامهم نصيبا يصرفونه الى النسك والسدنة فقالوا هذا مستقر لله
بزعمهم الآن من غير استقرار له في المستقبل لعارض وهذا لشركائنا ومن مستقر
لهم بل يستقر لهم بالبسط لهم ايضا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله عند نمائه او

سقوطه فنماء ما لله او هلاك ما هو منه وما كان لله فهو يصل الى شركائهم عند نمائه او سقوطه
فنماء للاصنام او هلاك مالها وعللوا ذلك بان الله غني وهي محتاجة ساء ما يحكمون
من ترجيح جانب الاصنام على جانب الله بعلة تقتضي ترجيح جانب الله لالهيته وعدم
صلاحيتهم للالهية مع الحاجة لكن زين لهم ذلك القبيح وكذلك زين لكثير من المشركين
مع وفور عقلهم في الامور الدنيوية ما هو اشد قباحة منه في باب القربان قتل
اولادهم للاصنام شركاؤهم من الشياطين لكن ايهم ليردوهم يهلكوهم بالشرك
والقتل وليلبسوا عليهم دينهم بدين ابرهيم في ذبح اسمعيل عليهما السلام ولا ينبغي
ان يحزن على هلاكهم لانه بمشيئة الله ولو شاء الله عدم اهلاكهم ما فعلوه مع ظهور
قبحه وكونه افتراء على الله في جعله دين ابرهيم عليه السلام فذرهم وما يفترون بعد
بيان ذلك لهم وما ظهر منه افتراؤهم ما ناقضوا فيه اذ قالوا هذه انعام وحرث
اي وقف والوقف مما ترك اصله ويوخذ نفعه وهم يقولون لا يطعمها الا من
نشاء بزعمهم فيحجرون باكل الموقوف ويدخلونه تحت تصرفهم بعد اخراجهم اياه
عنه بالوقف وقالوا ما هو اقبح منه اذ لا معنى له والتناقض انما يقبح بالنظر الى اجتماع
النقيضين لا بالنظر الى ذات كل واحد منهما وهي هذه انعام اي البحيرة والوصيلة
والسائبة والحامي محرمة حرمت ظهورها دون ركوبها مع ان التحريم هو منع المحرم عن
التصرف وذلك مختص بالانسان فلا وجه لاخراج غيره عن الملك وقالوا ما هو
اشد من ذلك وهو هذه انعام يتقرب بها الى الاصنام ليقربونا الى الله وهو مع ارادة
هذا التقرب اليه لا يذكرون اسم الله عليها عند ذبحها لئلا يشاركها الله
فيها ويزعمون انه امرهم بذلك افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون على الله
باسوء الوجوه ثم اشار الى افتراء آخر فيه صريح التحكم فقال وقالوا ما في بطون
هذه الانعام الثلثة من الاجنة ان خرج حية فهي خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا اي اناثنا وان اعطاه ذكورنا وان يكن ما في بطونها ميتة
فهم اي الذكور والاناث فيه اي في حملها شركاء سيجزيهم وصفهم بالتحليل

الولدهم

رجحانهم

والتحريم على سبيل التحكم ونسبته الى الله تعالى انه حكيم لا يتحكم عليهم بما في التحليل
والتحريم استقلالا من دعوى الالهية وافتراء على الله من الظلم العظيم وكيف
لا يكون منع الافتراآت نزيينا من الشركاء بطريق المكر مع ظهور قبحها اذ قد
خسر الذين قتلوا اولادهم اما الدنيا فلانهم قتلوهم سفها اذ اتلفوهم
بلا نفع حاضر واما الاخرة فلانهم قتلوهم بغير علم بنفع اخروي بل مع ظهور ضرر
الافتراء على الله وكذا الذين حرموا ما رزقهم الله اما الدنيا فلانهم ضيعوا انفسهم
المنافع التي خلقها الله لاجلها واما الاخرة فلعدم علمهم بنفع فيها بل مع ظهور ضرر
الافتراء اذ كان التحريم افتراء على الله فهم وان كانوا عقلاء مهتدين في امور
الدنيا قد ضلوا في هذين الامرين اذ لم يراعوا فيهما الدنيا ولا الاخرة وما كانوا
مهتدين فيما اشتدوا من امور الدنيا ايضا لانها لم يقصد لذاتها بل ليكون مزرعة
الاخرة وقد ضيعوا على انفسهم كونها مزرعة وان عملوا اما سوء مزرعة احرقوها
بكفرهم فلم يكن منها لهم هدى اصلا ثم اشار الى انهم كيف يهتدون مع افترائهم
على المنعم بانواع النعم بالتحريم الذي يبطل انعامه وحكمته فيه وهو اعتبار الاحوال
الاخروية بها فقال وهو الذي انعم عليكم بانواع النعم لتعتبروا بها نعم الاخرة
فتجتهدوا لها اذ انشاء من الكروم وغيرها جنات تدل على الجنات جنات
معروشات مسموكات بما عملتم لها من ما عمدتم وغيرها ليعلم ان فيها درجات
رفيعة للعاملين لها وغير معروشات حصلت بغير تعب ليعلم ان فيها درجات
تحصل بفضل الله بلا تعب لكنها لا تخلو عن دنو والنخل المثمر لما هو فاكهة وقوت
ليعلم انه لا بد من اصل هو الايمان المثمر لفاكهة القرب وقوت النجاة والزرع
المحصل لانواع القوت ليعلم ان النجاة انما تحصل بالاعمال مختلفا اكله اي كل
واحد من النخل طلعا وبسرا وتمرا ورطبا ومن الزرع بحسب طبايعه ليعلم تفاوت
مراتب القرب والنجاة بحسب كمال الاعتقادات والاعمال ونقصهما والزيتون
والرمان متشابها في اللون والشكل وغير متشابه في الطعم ليعلم تفاوت درجات

المومنين العاملين بحسب تفاوت اذواقهم في الدنيا والذوق الظاهر لما كان سبب
الذوق الباطن لم يتم الاعتبار الا باكل تلك الثمار لذلك قال كلوا من ثمره
اذا اثمر وان لم يبلغ حد الحصاد ولم يعط منه حقه ولا تبطلوا معنى المزرعة
فيها بجعلها لمحض الشهوات بل اتوا حقه وهو العشر ونصفه يوم حصاده
لانه نماؤه ولا ينتظر له حلول تحصل نماؤه ولا تسرفوا في اكلها بما يبطل الانتفاع
الشهوات معنى المزرعة كيف والمقصود منها اكتساب محبة الله تعالى لكنها
لا تحصل مع الاسراف انه لا يحب المسرفين وكيف يحب المسرفين في الشهوات
وهم لا يحملون التكاليف التي يتوسل بها الى بساط القرب وقد انشاء من
الانعام حمولة تحمل اثقالكم لتعلموا ان جوابيكم لتحمل اثقال التكاليف وفرشا
بسطا لتعلموا ان جوابيكم صالحة لتجعل بساط الاعمال الصالحة الموصلة الى
بساط القرب عند الله واذا اشكلتم منع النعم مع استكمال منافعها باكل الذي
يدل على اباحته اغافكم على هاتين الغايتين الموقتتين لها مدة حيوتها وابدا
الذبح لا يمتد مع ان فايدتها اجل وهي حفظ الروح واستزادة القوة في
الطاعة والجهاد كلوا مما رزقكم الله لحفظ الروح واستزادة القوة ولا تتبعوا
خطوات الشيطان من تحجير اعظم وجوه الايذاء لادنى المنافع ومنع ادنا ما
لاعظم المنافع انه لكم عدو مبين يمنعكم مما يحفظ روحكم ويزيد قوتكم ويدعوكم
الى الافتراء على الله ان تنسبوه الى امره او الى دعوى الالهية لكم ان استقللتم
به وقد ظهرت عداوته في تخبطهم في القول بتحريمها فاتفقوا على اباحة زوجي
الضأن والمعز واختلفوا في زوجي الابل والبقر هل فبعضهم حرم الذكور
على الاناث وبعضهم على الذكور وبعضهم الاناث على الذكور وبعضهم
على الاناث وبعضهم ما في البطون على الاناث ان خرج حيا ولا دليل
لواحد منهم بل لا شبهة فرد الله تعالى عليهم وامرهم ان ياكلوا ثمانية ازواج
اي اصناف كل صنف زوج ما يجاذبه من نوعه واعتبار الزوجية يدل على

ان ذبح احد الزوجين بمنزلة ذبح الآخر ونص على تحليل المتفق عليه بقوله
من الضأن اثنين الذكر والانثى ومن المعز اثنين ليعلم ان المختلف فيه
كذلك بل اذا اكل المتفق عليه مع قلة المشقة عليه لعدم كونه حمولة فالحمولة اولى
وفي تقديم المعز اشارة الى اولوية اكله لعدم الانتفاع بوبره ليدل على
اولوية اكل البقر قل لتحريمهما آالذكرين حرم على الذكور والاناث ام
الانثيين مع ان تحريم احد الصنفين يستلزم تحريم الآخر على الآخر اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين من المعز والضأن مع انه لا يصلح علة للتحريم وفاقا
مهنا فكذا في الابل والبقر نبئوني بعلم دليل نقلي من كتب اوائل الرسل وعقلي
في الفرق بين هذين النوعين والنوعين الآخرين ان كنتم صادقين في ذلك
ثم صرح بالمختلف فيه فقال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فان قالوا بتحريم
البعض قل آالذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
اعلمتم ذلك بدليل ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله اي امركم امرا مؤكدا بهذا
التحكم لا يليق بالحكيم واذا لم يكن عندكم دليل ولا مشاهدة كنتم مفترين على الله
وزدتم عليه باضلال عباده بغير شبهة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل
الناس بغير علم واقل ما فيها الضلال ان الله لا يهدي القوم الظالمين فكيف
من زاد على الظلم بوجهين كل واحد يوجب الاظلمية استقلالا فان زعموا
انك حرمت علينا اشياء خلقها الله رزقا لنا قل ان التحريم ليس مبني الا بالوحي الي
مع انه لا يحكم به اذ لا اجد الآن فيما اوحي الي محرما مما يحلونه على طاعم من ذكر
او انثى لا على مستدل ومقاود يطعمه استقلالا لا لمشتبها الا ان يكون ميتة
والموت سبب الفساد فهو منجس الا ان يمنع من تأثيره مانع من ذكر اسم الله
او كونه من الماء او غيرهما او دما مسفوحا سائلا لا كبدا او طحالا لانه اول ما
يتعلق به الروح فيتبعه بالموت في النجاسة الذاتية التي لا تقبل التطهير او لحم خنزير
فانه رجس في حياته لكونه منتصرا على اكل النجاسات او فسقا خارجا عن

الدين الذي هو كالطهرة المطهرة اهل صوت فيه باسم لغير الله به اي بسبب ذبحه
فانه وان قرن به اسم الله لا يؤثر في التطهير وهذا لا ينافي كونه رزقا لانه
رزق للمضطر فمن اضطر غير باغ تناول الاثام ولا عاد بتعدي المعصية فاكل فان
ربك غفور لاثمه رحيم باباحته مع قيام دليل التحريم فان اعترض على الحصر
المذكور بان الله تعالى حرم في التوراة اشياء غيرها اجيب بانه مخصوص باليهود
كما قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي اصبع من دابة او طير
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما من الشرائح او
الحوايا الامعاء والمصارين او ما اختلط بعظم من المخ ذلك اي تحريم تلك
الاطايب عليهم جزيناهم ببغيهم ولم يكن لغيرهم ذلك البغي فلا وجه لتحريمها
عليهم مع كونها اطايب في انفسها وانا لصادقون في تخصيص التحريم بهم لبغيهم
فان كذبوك في التخصيص وزعموا ان تحريم الله لا ينسخ فقل ربكم ذو رحمة
واسعة فيجوز ان يرحم هذه الامة بتحليل ما حرم على من قبلهم ولا ينافي سعة
رحمته تحريمها على اهل البغي كما لا ينافي رحمته بانه اذ لا يرد بأسه يوم القيامة
مع تضاعف رحمته فيه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا في رد البأس
عنهم ما يبطل شركهم من وصف الفاعل لو شاء الله ما اشركنا ولا حرمنا من شيء
اذ لو كان بمشيئة الغير فهو الغالب لكثرة المذكورين ولو كان بمشيئته فلا تعذب
عليه فقال تعالى هذا منقوض لانهم كما كذبوا بالعذاب بهذه الشبهة كذلك
كذب الذين من قبلهم بالعذاب فاصروا عليه حتى ذاقوا بأسنا فلو صح هذا
الدليل لم يكونوا ليذوقوه فان لم يكتفوا بالنقض وطلبوا الحل قل الشبهة مانع
من العذاب لو كانت قاصرة لكنها تابعة لاختيارنا هل عندكم من علم بان مشيئته
قاصرة فتخرجوه لنا لتخرج عن القول بانها ليست تابعة لاختيارنا فان زعمتم ان اختيارنا
بمشيئته ولا بد ان يكون قاصرة قلنا ان تتبعون في جعل هذه المشيئة قاصرة
الا الظن بل هي تابعة لاستعدادات حقائقنا وان زعمتم انها ايضا بجعله

ولا اباؤنا
صح

لما قلنا ان انتم الا تخرصون بان الاستعداد ذاتي مجعول مع انها صفات
الامور العدمية وان زعمتم ان مشية الله انما كانت فهي قاصرة وان الاستعداد ذاتي
لو اعتبرت في امور وجودية فلا على تصوره وهي ان العذاب والثواب
متعلقان ابتداء كالعمل لها ولا علة لتعذيبها لكن اعمالها علامات كالمرض للموت
واما الثاني فلو شاء ان لا يعذب احدا لهداكم اجمعين اذ لا حكمة في خلق
الضلال سوى اظهار الجلال بالتعذيب قل لليهود المكذبين للتخصيص هلم
اي احضروا شهداءكم علماء التورية الذين يشهدون ان الله حرم هذا على
جميع الامم من غير تخصيص ولا سبب بغي فان شهدوا انه في التورية فلا تشهد
معهم لما علمت من افترائهم على الله وتحريفهم لكتبه على وفق اهوائهم ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا الظاهرة على يدي عيسى وبين يديك واهواء الذين
لا يؤمنون بالاخرة اذ يقولون لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولا
يؤمنون بالله ايضا اذ هم بربهم يعدلون غيرا اذ يجعلون ابنه والابن يعدل
الاب قل للذين يشهدون ان الله حرم المذكورات على الكل تعالوا
ابتوا المقام العالي من الانصاف اتل ما حرم ربكم على الكل بحيث لا يقبل
النسخ عليكم في منسوخ التورية الشرك اذ نهاكم عنه فعزم ان لا تشركوا به شيئا
وعقوق الوالدين اذ امركم ان تحسنوا بالوالدين احسانا كاملا لكونهما
المبدا القريب لا يشارك فيهما فالاحسان اليهما كالاحسان الى انفسكم
بترك الشرك في المبدا الاعلى وقتل الاولاد اذ عزم ان لا تقتلوا اولادكم
الذين بنوع الاحسان منهم اليكم اذ اكبروا ولو من وجود املاق اي فقر
فان قتلهم من اجله ليس بعذر اذ نحن نرزقكم مع فقركم واياهم والزنا لانها
فاحشة اذ قد عزم عليكم ان لا تقربوا الفواحش القبائح سواء كان لها صورة
ظاهرة ام لا كما قال ما ظهر منها وما بطن فانه في معنى قتل الولد لتغير النسب
عليه وان نسب الى الزوج في الظاهر في صورة الزنا الباطن ومن قتل بغير حق

علة فلله الحجة البالغة
بحكم هذا لا تخلوا اما ان يدل على عدم
تصور العذاب على الشرك او
على عدم وقوعه وكلاهما باطلان
اما الاول صح

اذ لا جرم للصبي وقد حرم اذ عزم ان لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها
لا بمآثمها واثامها الا بالحق كالقصاص والرجم وافرادها اشعارا باستقلالها بالحرمة
فكيف اذا انضم اليه قطع الرحم وعدم الشفقة بتضمن ذلكم وصيكم به لعلكم
تعقلون فالشرك وعقوق الوالدين وقتل الاولاد للفقر منشاؤه الجهل بما في
الشرك من اهانة المنعم بالالحاد وبما في الاساءة الى سببه من مقابلة الاحسان
بالاساءة وقربان الفواحش من متابعة الهوى والقتل من متابعة الغضب
وكلها اضداد العقل وحرم اكل مال اليتيم لانه بمنزلة قتله لعجزه عن تحصيل معاشه
فعزم ان لا تقربوا مال اليتيم اذ هو حماه ومقدمته الا بالتي هي احسن اي بطريقة
الحفظ والانماء فاحسنوا اليه بذلك حتى يبلغ اشده اي قوته التي تقدر بها على
حفظه واستنمائه كيف وقد حرم في حق الجميع التطفيف اذ عزم ان اوفوا الكيل
والميزان بالقسط العدل لا على سبيل التحقيق الذي يصعب رعايته اذ لا نكلف
نفسا الا وسعها وكما حرم عليكم ترك العدل فيه حرم تركه في القول اذ عزم انه
اذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول فيه ذا قربى واذا وجب رعاية حق خصم
ذي القربى فرعاية حق الله اولى ولذلك حرم نقض عهد الله وعزم ان بعهد
الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون بانكم كنتم ايتاما فلو لم يوص الحكام
بحفظ اموالكم واستنمائها لاهلكتم ولو لم يوف لكم الكيل والميزان لخسرتم ولو لم
يقبل الحق فيكم لظلمتم ولو نقض عهدكم لغضبتم فما ترضون في حق انفسكم فافعلوه
في حق الغير واكمل عهوده الابقاء بقواعد هذا الدين وقد حرم على اهل كل عصر
مخالفة قواعد دين ذلك العصر اذا تحقق كونه دينا بالاستقامة واشار الى ذلك
بقوله وان اي ولان هذا الدين المحمدي صراطي المنسوب الي لكونه مستقيما
فاتبعوه اذ لم يختلف به الاديان في وجوب متابعة المستقيم من دين كل عصر
ولا تتبعوا السبل وان كان فيها ما هو مستقيم في عصره لكنه قد زالت استقامته
فتفرق بكم عن الله لابعادها عن سبيله في الحال ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون

الكفر والضلال لمتابعة السبل المنسوخة جعلنا منه الوصايا مفتتح
التورية ثم آتينا موسى الكتاب التورية تماما بسائر الاحكام على النهج الذى
احسن رعاية مصالح زمانه وتفصيلا لكل شىء من الحقايق الالهية و
الملكوتية والامور الاخروية وهدى باقامة الدلايل ورفع الشبه ورحمة
بافاضة الفوايد الكشفية لعلهم اى اهل الكتاب بلقاء ربهم يؤمنون
اذ يعلمون من الدلايل العقلية استحسان ذلك ومن رفع شبههم استقباح
رفع الموانع ومن الدلايل النقلية وجوب ذلك ويتأكد بالقواعد الكشفية
ان ذلك مقتضى جلاله وجماله ثم اشار الى ان التورية وان كانت تماما على
النهج الاحسن فالقرآن اتم منه واذ يد حسنا فهو اولى بالمتابعة فقال وهذا اى
القرآن كتاب عظيم الشأن انزلناه من مقام عظمتنا لانه مبارك اكثر خيرا
من التورية فاتبعوه واتقوا متابعة غيره لكونه منسوخا به لعلكم ترحمون
فيه اشارة الى انه لا رحمة بمتابعة المنسوخ وان آمن صاحبها بلقاء ربه على انه
لو لم يكن اتم من التورية لاقتضت الحكمة انزاله كراهة أن تقولوا يوم القيمة
انما انزل الكتاب الجامع للاحكام والحقايق والدلايل ورفع الشبه والفوايد
الكشفية على طائفتين اليهود والنصارى من قبلنا وقد غيروا فيه بطول
المدة وإن الشأن كنا عن دراستهم لغافلين لبعدهم عنا وكونه غير لغتنا
وقد صعب على اهل لغتنا الفصيحة الانتقال الى لغتهم الثقيلة فهذا وان لم يكن
عذرا انزلناه بجعله بلسانكم مبالغة فى الزام الحجة عليكم وعلى سائر الامم اذ
يسهل عليهم الانتقال الى لغتكم الفصيحة او كراهة أن تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا لمزيد ذكائنا وجدنا فى العمل اهدى منهم وان لم يكن كتابنا
اهدى من كتابهم فازيل هذا العذر بانزال كتاب اهدى من كتابهم فقد
جاءكم كتاب معجز فهو بينة على نفسه بانه من ربكم ولا يتوهم فيه السحر لانه هدى
باقامة الدلايل ورفع الشبه ورحمة بافاضة الفوايد الكشفية واذا كان معجزا

اى وان
صح

آنا م



مفيدا للهدى والرحمة فالكفر به اعظم ظلما من الكفر بما هو مجرد هدى ورحمة فمن
اظلم ممن كذب بآيات الله وان لم يكن تكذيبه عن معرفة اعجازه لانه
صدف اعرض عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا التى لو لم يصدفوا
عنها لعرفوا اعجازها سوء العذاب الذى يكون للمكذب بعد معرفة الاعجاز
بما كانوا يصدفون اذ قصدوا بذلك ان لا يعرفوا اعجازه ليلزمهم الايمان
به فكانوا فى حكم من عرف سر اعجازه ثم كذب به واذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب
المعجز الذى لا احتمال للسحر فيه مع اشتماله على الادلة ورفع الشبه وافاضة
للفوايد الكشفية اتم مما فى سائر الكتب هل ينظرون ينتظرون للايمان الا ان يأتيهم
الملئكة بالوحى او بالشهادة على صدق الكتاب او يأتى ربك اى ظهوره للانصار
مصدقا للكتاب او يأتى بعض آيات ربك اى دلايل القيمة الدالة على الله
وصفاته وافعاله فى الاخرة ولما سبق ما فى انزال الملئكة من قضاء الامر وعدم
الانظار وظهور الرب استلم يتعرض للكلام فيه وانما تعرض لظهور بعض
الآيات فقال يوم يأتى بعض آيات ربك فضلا عن كلها لا ينفع نفسا ايمانها
وخيرها الذى اوقفهما عليه اذ لم تكن آمنت من قبل وقت التكليف قبل كشف
الحجب او لم تكن كسبت فى حال ايمانها خيرا وان كسبت فى حال الكفر فان زعموا
انا ننتظر ذلك وان كان فيهما فلت قل انتظروا استهزاء انا منتظرون تحقيقا
ثم اشار الى انهم لا يتركون الانتظار ما لم يجتمعوا على كتابك لكنهم كيف يجتمعون
على كتابك مع تفرقهم فى دينهم فقال ان الذين فرقوا دينهم مع وحدته فى نفسه
وكانوا شيعا مختلفة كارباب المذاهب المختلفة يكفر بعضهم بعضا لست منهم اى من
امكان جمعهم على كتابك فى شىء وان بالغت فى اقامة الدلايل ورفع الشبه انما
امرهم فى الجمع مفوض الى الله لكنه يتركهم فى الفرقة التى استعدوا لها باختلاف
استعداداتهم التى اقتضوها منتظرين عواقبها على سبيل الاستهزاء ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون ويجازيهم على ذلك بما يماثل فعله ويزيد تضاعيف الحسنات فيجزى

على الابرين اذ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها في الحسن كمن اهدى الى
سلطان عنقود عنب فعطيه ما يليق بسلطنته لا بقيمة العنقود ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها في القبح فمن كفر خلد في النار فانه ليس اقبح من كفره
كمن اساء الى سلطان بقصد قتله ومن فعل معصية عذب بقدرها
كمن اساء الى احاد الرعية وهم وان راوا قبح العذاب اشد من قبح افعالهم
لا يظلمون بالزيادة على قدر الاستحقاق فان زعموا ان الحسنة دين اهل
الكتاب لاعترافك بان كتابهم منزل والسيئة دينك لانكارهم على ان
دين الله لا يتعدد لان الحق واحد قل لا تنظر فيه الى انكار احد او اقراره
بل الى الاستقامة والاعوجاج انني هداني ربي كما هداهم الى صراط مستقيم
كصراطهم بل اكمل منه لكونه دينا قيما اي قائما بكل اعتقاد صحيح واحكامه اتم فائدة
واكثر ثمرة من احكامهم والحق انما لا يتعدد في الاعتقادات دون الاحكام
التابعة بمصالح الازمنة والامم فهو وان خالف دينهم في بعض الفروع و
اعتقادهم في العزير والمسيح فقد وافق ملة ابرهيم المتفق على صحتها لكونه
حنيفا مائلا عن هذه الاديان الباطلة وما كان من المشركين باعتقاد ابنية عزير
والمسيح فان زعموا انك تصلي الى الكعبة وتطوف بها وتذبح لها الهدايا
فعل المشركين باصنامهم على انك لا تخلو عن شرك اذ ترغب الى اصلاح
معاشك ومعادك قل ان صلوتي الى الكعبة ونسكي طوافي وذبحي
للهدايا لله لا للكعبة اذ لا اعتقد غيره وعابد الصنم يعتقده وتخصيص الكعبة
لانه لما تنزه عن المكان ولم يكن للظاهرية بد من التوجه الى مكان جعل اول بيت
وضع لعباده بمنزلة مكانه فكانه جعل كدار السلطان يتوجه اليها المحتاجون
ويطوفون حولها ويأتون بالهدايا ومحياي ومماتي اي ما افعله للحيوة فلا
افعله لذاتها بل للاستعانة على عبادته وما افعله لمماتي فلا افعله لطلب الجنة
او للهرب من النار بل لمحض الله والتقرب اليه فجمع ما يتوهم فيه الشرك كان

لله ولا نافي حصول اسبابها لكونها من رب العالمين ولكن لا شريك له في الطلب
فلا اطلب معه غيره وليس ذلك من رأيي حتى اكون عابده بل بذلك امرت
وكيف اكون مشركا وانا اول المسلمين الذي يقتدي به الموحدون
فان زعموا انك تعبد الكعبة بالصلوة والطواف والذبح ولكن نستتر
بهذه العبادات قل اغير الله ابغي ربا حتى اصير في غاية الدناءة لان
العبودية دناءة وهي للعباد غاية الدناءة اذ هو رب كل شيء فيلزم ان
اكون عبد العبيد ولا يحمل الكعبة مني هذه الدناءة اذ لا تكسب كل نفس
الا عليها وان تحمل شيء دناءة الاخر ولا يحمل وزره وعبادة الغير وزر
ولا تزر لا تحمل نفس وازرة ثقيلة بالاثم كالرضى بكونها معبودة من دون الله
وزر اي اثم نفس اخرى ثم انه ليس مجرد حمل بل الى ربكم مرجعكم فلو عبدتم
هذه المظاهر على زعم ظهور الالهية مع اختلافها كنتم قائلين باختلاف في
ذاته فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان اعتبرتم كمال المظهرية فهو لكم اذ هو الذي
جعلكم خلائف الارض تتصرفون في الارض التي هي المحل الكامل للتصرف فيه
بوجوه مختلفة نيابة عن ذاته وجميع صفاته واسمائه ومع ذلك ليس هو كمال
المظهرية على الاطلاق اذ رفع بعضكم فوق بعض درجات يرتفع بعضهم
على بعض بدرجة والمرفوع عليه يرتفع على المرتفع باخرى فان فرض جامع
للدرجات فلا يكون ايضا الها لان رفع درجاته ليس ذاتي بل عارض
ليبلوكم فيما آتاكم هل تشكرون فيه ام لا فان لم يشكروه سلبت منكم درجاتكم
بالمعاقبة ان ربك سريع العقاب فلا تبقى درجاتكم مدة يتوهم فيها كونها
ذاتية لكم وان شكرتم ستر نقائصكم ورفع درجاتكم اذ انه لغفور رحيم
فليست درجاتكم ذاتية حتى يدل على الالهية لحدوثها بعد العدم تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله اجمعين **سورة الاعراف** سميت بها لانها من المنازل

جزى الله نبينا محمدا ما هو اهله

الرفيعة لاهل الكمال المنيضين على سائر الطوائف فشأنها اولى بالاعتبار
من سائر الشؤون المذكورة في هذه السورة بسم الله الجامع
للكمالات التي تجلى بها في هذا الكتاب لتوسيع صدر رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتباعه الرحمن بانذار الكل المنجي عن المكاره وتذكيرهم الموصل
الى المحبوبات الرحيم بتخصيص فائدتهما بالمؤمنين المص اي احسن لآلي
المكارم الصافية او اعلى لطف معد للصعود او اكمل لامع مفيد للصفاء
او اعز لب ممجد صادق كتاب انزل اليك لتحليتهم بتلك اللآلي او للتلطف
عليهم بما يعدهم للصعود او لانارتهم بما يكشف لهم عن المنافع والمضار
الحقيقية او لاعزازهم بلب الصدق بما يرون من الاعجاز فلا يكن في صدرك
حرج منه من حزن من لا يتحلى او لا يتلطف ولا يستنير او لا يتعزز اذ لم تنزل
لالتزامهم ذلك بل لتنذر به من لا يتصف بما ذكر وتذكر به فوائد هذه الاحوال
ذكرى نافعة للمؤمنين المصدقين بهذه الاوصاف وفوائدها واي حرج لك
فيه وليس عليك الا ان تقول اتبعوا للوصول الى هذه الامور العالية
ما انزل لتحصيلها اليكم ايها القاصرون بانفسكم من ربكم الاعلى الذي
رباكم بتنزيل هذه الامور العالية ولا تبطلوا هذه التربية بمتابعة من دونه
لا تتبعوا من دونه فان اقل ما فيها ترك الاعلى للادنى اولياء مع انهم اعداء
لو تذكرتم تنزلهم اياكم من الاعلى الى الاسفل لكن قليلا من التذكر ما تذكرون
كيف وليس اقتصارا على التنزل بل اهلاك كلي بمجرى السنة المستمرة اذ كم اي
كثيرا من قرية اهلكناها باتباعهم اولياء من دونه مع ترك متابعة ما انزل الله
ولم يكن من قبيل الابتلاء الذي يظهر علامته قبله غالبا بل كان فجاءة فجاءها بأسنا
عذابنا بياتا بائتين يعني امس ليلا او هم قائلون نائمون نهارا اجراء على غفلتهم
مع خفاء البرهان تارة وظهوره اخرى ويدل على انه ليس للابتلاء الذي
يعم المؤمن والكافر انهم ارادوا دفعه بحجة لكن لم يجدوها فما كان دعويهم حجتهم

التي يدعون التمسك بها لدفعه اذ جاءهم بأسنا الذي لا يقبل دفعه عذرا الا ان
قالوا ما يلزمهم انا كنا ظالمين بترك متابعة ما انزل الله بمتابعة من دونه و
اتخاذهم اولياء مع كونهم اعداء ومع اعترافهم بالظلم لما كانت المؤاخذة
مجازاة من غير سؤال يظهر به تفاصيل ما يستحقونه فيظهر به كمال العذاب
قال فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن لعدم وفائهم بمقتضيات
ما جرى المرسلين ولقصورهم عن الاحاطة فلنقصن عليهم بعلم لم
يحصل لهم لغيبتهم عن امور وما كنا غائبين عن شيء من الاشياء ولم
نقتصر على علمنا بل نبينا لهم بالوزن اعمالهم ومقاديرها على ما هي عليه اذ
الوزن وان كان اليوم لا يخلو عن تفاوت يومئذ الحق المطابق
للواقع بلا تفاوت وكان مقدار الجزاء مرتبا عليه فمن ثقلت موازينه
كلها لجميع اعماله مقدار عند الله من القبول فاولئك هم المفلحون بكل ما
ذكر من التحلي والصعود والاستنارة والتعزز ومن خفت موازينه
اذ لم يكن بشيء من اعماله مقدار من القبول عند الله فاولئك الذين
خسروا تلك الاعمال وان كان لها مقدار في انفسها عندهم وكان بها كمال
انفسهم فكانهم خسروا انفسهم اذ احبطت بما كانوا بآياتنا يظلمون
كانها اخذت بالمظالم وكيف لا يتبعون ما انزل اليكم مما يثقل موازينكم
ولقد مكناكم من التصرفات في الارض نيابة عنا لتلحقوا بنا بمتابعة
ما انزلنا عليكم وجعلنا لكم فيها معايش لتشكروها بصرفها الى ما خلقت
له لتحصلوا معايش السعادات الابدية بمتابعة ما انزلنا اليكم وترك
متابعة من دوننا لكنكم قليلا من الشكر ما تشكرون وكيف تتبعون
من دونه وهو بالمتابعة اولى وكيف تتخذون من دونه اولياء تسجدون
له وهو بل من هو اعلى منه بالساجدية اولى من المسجودية لانه لقد خلقناكم
مثل ما خلقناهم ثم صورناكم بالصورة الجامعة لاسرار الحق والخلق دونهم ثم

اذ كان صح

خصصناكم بروح كامل من اجله قلنا للملائكة الذين هم اعلى من جميعكم
اسجدوا لآدم تعرفوا رتبته فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين اذ
راى لنفسه رتبة المسجودية قال يا ابليس ليست لك تلك الرتبة ما منعك
من السجود لآدم فاخترت ان لا تسجد ترجيحا لمنعه على امري اذ امرتك
قال منعني علو رتبتي اذ انا خير منه لان عنصري اعلى من عنصره اذ خلقتني من نار
مركزها يلي فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب وخلقته من طين ممزوج
من تراب وماء مركزهما دون مركز النار قال اعتبرت العنصر دون الروح
فاهبط منها اي من رتبة الملكية الى رتبة العناصر فما يكون لك ان تتكبر
بفضل العنصر الاعلى فيها اي رتبة الملكية التي دون رتبة الانسانية فاخرج
من الملكية التي كنت طمعتها انك من الصاغرين من اهل العناصر الذين
لا كمال روحاني لهم قال انظرني الى يوم يبعثون فلا تميتني لاصغرهم بان
يتخذوني وذريتي اولياء من دونك قال انك من المنظرين لتزداد اثما
فتزداد بعدا قال اذا نظرتني لذلك فبما اغويتني اي فبحق اغوائك اياي
لاجلهم لاقعدن مترصدا لهم صراطك المستقيم الذي شرعت لهم ليسلكوه
فيصلوا الى المراتب العالية من التخلي والصعود والاستنارة والتعزز وغير
ذلك مما خلقتهم من اجله فافسد عليهم الاعتقادات والاخلاق ثم لآتينهم
لافساد اعمالهم من بين ايديهم لانكار اجرها ومن خلفهم للتشويق الى الدنيا
وعن ايمانهم بمنع الاعمال الصالحة التي يحتاج فيها الى قوة الروح على النفس
وعن شمائلهم للحث على الاعمال الصالحة بضعف الروح وبالجملة لا تجد
اكثرهم شاكرين صارفين نعمك الى ما خلقتها من اجله قال اخرج منها من الرتبة
التي اخرجتك منها مذؤما بهم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك مدحورا
مطرودا من الجهتين لمن تبعك منهم بجعله من اتباعك في الذم والطرد
لاملأن جهنم منكم اجمعين بلعن بعضكم بعضا ثم اشار الى ان اهل لمن هنا.

ابليس



ابليس من غير اتخاذه وليا الخروج من الجنة وان دخلها بلا عمل و
ذلك ان الله تعالى قال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة المشتملة على
المراتب العلية من التخلي والصعود والاستنارة والتعزز جامعا بينها
وبين المراتب الحيوانية فكلا من حيث اي من كل مكان شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة الدنية من بين الاشجار الفانية للحصر فضلا عن ان تنتفعا بشيء
منها فضلا عن الاكل فتكونا بمجرد قربانها من الظالمين المضيعين لما
حصل من تلك المراتب المستحقين للهتك والعذاب فوسوس مخيلا
النفع لهما الشيطان ليهتكا حرمة الله فيهتك ليبدي يظهر لهما ما ووري
ستر عنهما فلم ير احدهما من الآخر من سوآتهما عوراتهما وقال في تخييل النفع
لهما كما يخيل لكم الآن في عبادته من التقرب الى الله والشفاعة عنده
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة البعيدة مراتب كما لا نهاها عن الاحاطة الا
كراهة ان تكونا ملكين لا يشتغلان عنه بطعام وقد اراد شغلكما به العباد
لكمالية او كراهة ان تكونا من الخالدين في الجنة وقد اراد اخراجكما
عنها وقاسمهما ورا ما بعدهما اني لكما لمن الناصحين في هذا الامر وان
كنت عدوكما في سائر الامور فدلاهما نزلهما عن عقلهما بغرور بما غرهما من
القسم اذ ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها
بدت ظهرت قبل الفراغ من الاكل لهما سوآتهما وطفقا اخذا يخصفان
يلزقان عليهما من ورق الجنة ورقا فوق ورق وناداهما ربهما توبيخا الم
انهكما عن قربان تلكما الشجرة البعيدة عن توهم النفع واقل لكما ان الشيطن
لكما في كل شيء عدو مبين وان اظهر لكما النصح وقاسمكما عليه فلم تتبعا قولي واتبعتما
قالا ربنا ظلمنا اضررنا انفسنا بمتابعته وترك متابعتك وان لم تغفر لنا بمحو
هذه المعصية وترحمنا بالعود الى اللطف لنكونن من الخاسرين بخسر جميع ما
حصل لنا من الكمالات قال انكم وان غفر لكم ورحمتم فلا بد من ان لمعصيتكم

بلا نزاع — براح

حرمتهما

واقلها الهبوط اهبطوا من المراتب العالية والعداوة لابنائكم قول العدو
بعضكم لبعض عدو ويمتد ذلك مدة مديدة اذ لكم في الارض مستقر وينسيكم
تلك المراتب العالية لتشغلكم بالامور الجسمانية اذ لكم متاع الى حين كانهم
حينئذ قالوا اما نصل بعد تلك المدة الى الجنة قال فيها تحيون مدة وفيها
تموتون فتلبثون في البرزخ اطول من الاول ومنها تخرجون فتبقون
في مقامات القيمة مدة ثم منكم من يصل الى الجنة ومنكم من يهبط الى اسفل
سافلين ثم اشار الى انه كما ان للمعصية ذلك تراث فللتوبة ايضا اثر واقله
ستر العورة بعد ابدائها فقال يا بني آدم يا اولاد من هتك حرمته بابداء
عورته قد جعلنا لكم لتوبته اذ انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم بستر عوراتكم
وزدنا عليه ريشا لباسا تكون زينة فهذا ساتر الظاهر وزينته ولباس
التقوى ساتر عيوب الباطن وزينته ذلك خير لان الظاهر محل نظر الخلق
والباطن محل نظر الحق والعيوب الباطنة افحش من العورات الظاهرة
ذلك اي لباس التقوى من آيات الله دلائل مشاهدة القلب لله لعلهم
يذكرون بهذه المشاهدة مشاهدة الاخرة يا بني آدم الذي فتنه الشيطان
بهتك لباس التقوى لا يفتننكم الشيطان بهتك لباس التقوى فيخرجكم
من نظر الله بالرحمة اليكم كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما بنزع لباس
التقوى لباسهما الظاهر ليريهما سوآتهما الظاهرة الدالة على السوأة الباطنة
وقد سهل عليه الفتنة وعسر عليكم التحفظ انه يراكم هو وقبيله من حيث اي
من مكان لا ترونهم فيه وانما يحفظ عنه بعنة سريان المانع من اتباع ولي
من دون الله انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون يوهمونهم
انهم يحصلون لهم التحلي والصعود والاستنارة والتعزز ويبرؤن عنهم
القبائح باعذار كاذبة مثل انهم اذا فعلوا فعلة فاحشة اي متناهية في القبح
ككشف العورة في الطواف وعبادة الاصنام قالوا في الاعتذار وجدنا

عليها آباءنا وهم لغاية كمالهم لا يصدر عنهم فعل شنيع الا بامر الله اذ الله امرنا
بها قل يحسنون الظن بآبائكم وتسيئون بامر الله ان الله لا يامر بالفحشاء
وان كان قد يامر بما لا يدرك العقلاء حسنه أتقولون من حسن ظنكم بآبائكم
على الله ما لا تعلمون من نسبة القبائح اليه قل كيف يامر بالفحشاء مع انه لا
يامر بما فيه افراط او تفريط انما امر ربي بالقسط العدل الاوسط ومنه
الامر بالتوجه الى القبلة فان ترك التوجه اليها تفريط في العبادة لا يتم معه
توجه الباطن الى الحق وعبادة القبلة افراط كعبادة الاصنام فقال
اقيموا وجوهكم الى القبلة عند كل مسجد سجود ولا تدعوا القبلة دعاءكم
للاصنام بل ادعوه مخلصين له الدين عن مشاركة القبلة وغيرها لانه
استحق عبادتكم ببدايته اياكم ولا يسعكم تركها اذ اليه عودكم فانه كما بدأكم
تعودون وليس العود اليه كمالا بكل حال بل فريقا هدى فيكون عودهم عود
الطالب الى المطلوب وفريقا حق عليهم الضلالة فيكون عودهم عود الهارب
الى المهروب عنه وقد يحق هرب هؤلاء انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله وان كانوا يحسبون انهم بذلك مهتدون يتوصلون به الى الله ويستشفعون
اليه ولا يعلمون ان ذلك لا ينافي من اعداء الله اصلا ومما حسبوا فيه انهم
مهتدون بمتابعة الشيطان تركهم التزين والتلذذ مع العبادة فطافوا عراة
وتركوا اللحم والدسم مع الاحرام فقال يا بني آدم الذين خلق لهم الزينة والملذات
خذوا زينتكم من اللباس عند كل مسجد اي صلوة وطواف فان من الفحش
الفواحش ترك هذا التزين سيما في العبادة وهي اوقات التزين وكلوا واشربوا
ايام الحج سيما على العبادة ولا تسرفوا اسرافا يوجب انهماككم في الشهوات و
يشغل عن العبادة انه لا يحب المسرفين لذلك فان زعموا ان التزين والتلذذ
ينافيان التذلل الذي هو العبادة فيحرمان معها قل من حرم زينة الله التي اخرج
الذين خلقهم لعبادته فقد اخرجها لهم ليتزينوا بها حال العبادة فعل عبد الملوك

لعبادة ح

اذا احضروا اخذ منه ولا منافي ذلك تذللهم له و الطيبات من الرزق
التي خلقها لتطيب قلوب عباده ليشكروه والشكر عبادة فلا منافي التلذذ
العبادة بل يكون داعية اليها فان زعموا ان الزين والتلذذ من طيب
الحيوة الدنيا ولا تطيب بها المؤمنون قل هي مخلوقة للذين آمنوا في الحيوة
الدنيا ليتعلموا بها لذات الاخرة فيرغبوا فيها مزيد رغبة لكن شاركهم الكفرة
فيها لئلا يكون هذا الفرق ملجئا لهم الى الايمان فاذا ذهب هذا المعنى
تصير خالصة لهم يوم القيمة فلو حرمت على المؤمنين لكانت مخلوقة للكافرين
وهو خلاف مقتضى الحكمة واذا خلقت للمؤمنين فاولى اوقات الانتفاع
بها وقت جريانهم على مقتضى الايمان وهو العبادة والتقوى لكن من غير
انهماك في الشهوات كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون الحكمة في خلق
الاشياء واستعمال الاشياء على نهج ينفع ولا يضر فان زعموا انه يخاف
من التلذذ والزين الوقوع في الكبر والانهماك في الشهوات فيحرمان على
اهل العبادة قل انهما من المنافع الخالصة في انفسها والافضاء احتمال
غير محقق فاذا افضى فالحرام هو المفضي اليه بالذات لانه انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها كالكبر والانهماك في الشهوات وما بطن كالاسراف المفضي اليهما غالبا
الا ما لا يفضي غالبا ولكن اذا افضى حرم لانه حرم الاثم كالانهماك في الشهوات
والبغي كالكبر الصائل للخلق فان كل ما يضر هو حرام اذا كان بغير الحق واما اذا
كان بالحق فانه وان كان ضارا في الظاهر فهو نافع بالحقيقة فلا يحرم وتحريم
ما لا يحرم الله اشراك وقد حرم ان تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا مع
ان تلك الامور الاعتقادية لا يصح الاعتقاد بها الا ببرهان قاطع والخوارق
لا تدل على الهيتها فضلا عن ان يكون برهانا هذا اذا كان باستقلال والا
فهو افتراء على الله وقد حرم عليكم ان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولا يدل
وقوع هذه الامور من بعض الامم مع تأخر اهلاكهم على جوازها اذ الاهلاك

مهال

انما يكون بعد تحقق الجرم وهو بالامهال مدة يمكن فيها التأمل والاعتذار ولذا
كان لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم ولم يتأملوا فيها ولم يعتذروا لا يستأخرون
ساعة للتأمل والاعتذار ولا يستقدمون باستعجال العذاب استهزاء
فان زعموا ان العقلاء يحترزون المخوفات وان بعد احتمالها قيل لهم
نزول ذلك الاحتمال بالرسل يا بني آدم الذي جعله الله رسولا فلا يبعد
ان يجعل في اولاده الرسل اما يأتينكم رسل اي ان تحقق اتيان رسل
منكم تعرفون صدقهم ودياناتهم يقصون عليكم آياتي اي يتبعون بعضها
بعضا مما يفيد ما يخاف منه وما لا يخاف وما يصلح مزيل الخوف وما لا يصلح
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم من الاحتمالات ولا هم يحزنون من
مخالفة من يعتقد فيه كمال العقل وكيف يدعون الاحتراز عن المحتملات
البعيدة ولا يبالون باشد المخوفات من الكفر والتكذيب والاستكبار
اذ الذين كفروا مع دلالة الآيات على انه اشد المخوفات ولكنهم كذبوا
بآياتنا ولم يكن ذلك لتوقيتهم النقص فيها بل لانهم استكبروا عنها فزعموا
ان الآيات شبهات وما هم عليه صريح العقل اولئك البعداء عن مقتضى
صريح العقل اصحاب النار ولا يخرجهم عقلهم منها بل هم فيها خالدون
كيف وهم اظلم الناس في التحليل والتحريم لانهم ان نسبوهما الى الله تعالى
من غير سماع منه ولا من واحد من رسله او ممن سمع منهم كانوا مفترين على
الله وان نسبوهما الى عقولهم كانوا محتجين بها على آيات الله مكذبين بالآيات
من اجلها فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم
بزعمهم في ترك الاحتراز عن الاحتمالات البعيدة ينالهم نصيبهم من الكتاب اي
مما كتب عليهم من البلايا التي لا احتمال لزوال الخوف عنها كعبادة غير الله
على ظن انهم شفعاء مما توهموا من المخوفات البعيدة الاحتمال ويستمرون عليها
حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي الملائكة لقبض ارواحهم قالوا اينما كنتم

تدعون من دون الله ليكونوا لكم شفعاء مما احتمله عقولكم فلا نراهم يخلصونكم
مما يخفف عليكم من هذه الشدائد قالوا ضلوا عنا فلم يخلصونا من شيء من
الموهوم ولا من المحقق واعترفوا ان ذلك كان عين المخوف حتى اذ شهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين فلم يفدهم الاعتراف بالكفر بل قال لهم ادخلوا
في جملة امم قد خلت مضت قائلة بهذه الاقوال من قبلكم فتبعتموهم من الجن
والانس فاتبعوهم في النار من غير ان يفيدوكم شيئا بل كلما دخلت امة لعنت
اختها التي كانت على ملتها حتى اذا اداركوا تلاحقوا فيها جميعا مجتمعين على
العداوة بعد الصداقة وقالت اخراهم اي الاتباع لاولاهم ربنا هؤلاء
الذين اضلونا بتكلمهم بهذه الكلمات قبلنا فآتهم عذابا لاضلالهم ايانا
ضعفا بغير عذاب ضلالهم اليه فاجعل لهم نصيبا من النار حتى نتخلص
قال تعالى بل لكل ضعف للاولى بالضلال والاضلال وللاخرى بالضلال
وتقليد اهل الضلال مع وجود الهادين بالبراهين القاطعة ولكن
لا تعلمون ما يستحقه كل فرقة وقالت اولاهم ردا لاخراهم التخلص انما يكون
بالفضل واذا اضللتم وقلدتم الضالين فما كان لكم علينا من فضل فلم يحكم
الى اتباعنا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من القبائح الظاهرة للمحتملات
البعيدة المرفوعة على السنة الرسل وكيف يتخلصون من النار وهي محيطة بعالم
العناصر فلا يتخلص منها الا بفتح ابواب السماء بل بدخول الجنة التي فوق الكرسي
الذي فوق السموات اذ هو انتهاء السموات وليس شيء منهما لهؤلاء ان الذين
كذبوا باياتنا التي هي طرق الجنة واستكبروا عنها وهو موجب للرد الى اسفل
سافلين لا تفتح لهم ابواب السماء وان فتحت لا يدخلون الجنة لان تكذيبهم
ان لم يسد عليهم طرقها فلا اقل من التضييق فلا يدخلونها حتى يلج يدخل
الجمل الذي هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في التضييق في سم اي ثقبة
ابرة هي مدخل الخياط ما يخاط به ولا يختص هذا اي عدم الفتح والدخول

بالمكذبين المستكبرين بل كذلك نجزي المجرمين بالكفر كالمشرك والجاحد وان
لم تبلغهم الرسالة فلم يكذبوا ولم يستكبروا ولا يقتصر في حقهم على ذلك بل يحيط
بهم النار حتى يكون لهم من جهنم مهاد فراش من تحتهم ومن فوقهم غواش
اغطية اذ احاطت بهم الخطيئة ولا يختص بالاظلمين بل كذلك نجزي الظالمين
بالكفر بعد بلوغ الرسالة اليهم ثم اشار الى ان فتح ابواب السماء وتوسيع ابواب
الجنة لا تتوقف على افعال شاقة حتى يكون لها الشاركهما نوع من العذر فقال
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وليس المراد الاحاطة التي يعجز عنها الطاقة
غالبا اذ لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك وان بعدوا الآن عن الجنة
وحالت بينهم السموات اصحاب الجنة وايمانهم واعمالهم وان كانت منه يسيرة
هم فيها خالدون فلا يكون بينهم بعدية الاكتساب ولا بقدر الاعمال ولا يكون
بينهم ما يكون بين اهل النار من العداوة بل قد نزعنا ما في صدورهم من
غل وان كان بعضهم ادنى من بعض اذ لا يرون دنوهم حيث تجري من تحتهم
الانهار ويشكرون كمالهم حتى قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لاكتساب
هذا العلو بارسال الرسل والتوفيق للعمل وكيف يعلون على الغير لو رادوا
انفسهم لانهم يرون قصورهم حيث يقولون ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله ويرون من غاية قصورهم انهم لم يقدروا على استفاضة كمالاتهم من الله
بلا واسطة الرسل فقالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاستفاضوا منه
الكمالات فافاضوها علينا ولما رأوا دنو انفسهم واعمالهم نودوا من جهة
الله ان اي انه تلكم الجنة العظيمة اورثتموها من الذين عملوا لها الاعمال
الشاقة فاستكبروا بها حتى انكروا على الرسل الذين جاءوا بالحنيفية السمحة بما كنتم
تعملون من الاعمال التي استحقرتموها فكان تذللكم اكثر من تذللهم مع انقيادكم
لله وآياته ورسله فرفعكم الله اليها ثم اشار الى ان اهل الجنة وان نزع عنهم
الغل يتعلون مع اهل النار فعل اهل الغل من زيادة التحسير فقال ونادى

اصحاب الجنة الوارثون لها من اهل النار اصحاب النار الذين ورثوها
من اهل الجنة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من المراتب العالية على الايمان
وان قصرت اعمالنا لعدم استكبارنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من تنزلكم الى
اسفل سافلين لاستكباركم على الآيات والرسل وان كانت اعمالكم شاقة ومن
اعلاء من لم يستكبر الدرجات التي توقعتم لانفسكم على اعمالكم الشاقة حقا قالوا نعم
وان كان فيه شماتة لكنهم خافوا من الانكار زيادة النكال فاذن نادى مؤذن
هو اسرافيل بينهم يسمعهم زيادة في شماتة احدى الفريقين وندامة الاخرى ان
لعنة الله اي ابعاده عن رحمته مستقرة على الظالمين بابطال حكمته في خلق
العقلاء للمعرفة وعمارة الدارين بحيث لا يحجبهم شيء عن شيء وهم ابعدوا
انفسهم وغيرهم عن ذلك اذ هم الذين يصدون انفسهم وغيرهم عن ذلك
اذ هم الذين سبيل الله الذي نبه على السنة رسله لمعرفته وعمارة الدارين
فاستكبروا عليهم وزعموا ان عمارة الدارين حجاب عن الله ويبغونها عوجا
بتغيير اعتقادات والاحكام الحكمية لهم وهم بعد ايضا وقد ازدادوا
ابعادا بانكار المنتهى اذ هم بالآخرة كافرون وانما يرهبون للتلذذ في التجرد
لله وتحصيل الخوارق والانتفاع به عند التناسخ الذي يزعمونه ثم اشار
الى انه وان سمع كل فريق كلام الآخر من مكانه فلا يصل شيء من آثار احد
المكانين الى الآخر اذ بينهما حجاب هو السور المضروب بينهما ولم يصل اثر
النار الى اهل الجنة قبل دخولها وان كانوا خلف الحجاب اذ على الاعراف
وهو المكان المرتفع رجال كمل يفيضون على كل واحد بسجيته اذ يعرفون
كلا بسيماهم بعلاماتهم الدالة على قدر ما يستحقونه وتأثرهم بالقول لذلك نادوا
من بصر اصحاب الجنة ان سلام عليكم ليسلموا عن الخوف قبل دخولها
اذ لم يدخلوها وهم يطمعون دخولها اذ لم يسلبوا الانوار ولكن لا يخلو
عن خوف سيما اذا صرفت ابصارهم تلقاء جهة اصحاب النار قالوا

نشد خوفهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين هذا ما يقولون لاهل الجنة
واما قولهم لاهل النار فهو انه نادى اصحاب الاعراف رجالا من كبار
اهل النار يعرفونهم بسيماهم التي تدل على اعيانهم وان تغيرت صورهم قالوا
ما اغنى عنكم جمعكم للاموال التي يدفع بها الآفات وما كنتم تستكبرون من الاتباع
التي يستعان بهم في دفعها اهؤلاء الضعفاء من المؤمنين الذين اقسمتم انهم كانوا
لم ينلهم الله برحمة منه في الدنيا بكثرة الاموال والاتباع لا ينالهم الله برحمة برفع
درجاتهم في الآخرة فقد قيل لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
خوف من اعطى الاموال والاتباع وحزنه في الدنيا ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة بعدما اقسموا انهم لا ينالهم الله برحمة هذه لكن لهم بعد التكبر عليهم
ان افيضوا علينا شيئا من الماء الذي رحمكم الله به ليسكن حرارة النار والعطش
او شيئا مما رزقكم الله من الاطعمة والفواكه قالوا ان افاضتهما لا ينفعكم ان الله
حرمهما على الكافرين لانه انعم عليهم في الدنيا فلم يشكروه فمنعهم نعمه في الآخرة
وذلك لانه انما انعم عليهم ليتدينوا بدينه في الاعتقادات والاعمال وهم الذين
اتخذوا دينهم في الاعتقاد لهوا اشتغالا بغير الله ولعبا بتصوير الاصنام بصور
اسمائه او ملائكته او اوليائه ومع ذلك لم يعملوا للآخرة اذ غرتهم الحيوة الدنيا
فاذا لم يعملوا للآخرة فاليوم ننسيهم نتركهم ترك المنسي فلا نرحمهم بما نرحم به من عمل
للآخرة الكاشفة عن سر اعتقادات والاعمال والامور الاخروية كما نسوا لقاء
يومهم هذا ولا نقتصر عليه بل نجزيهم ما كانوا بآياتنا يجحدون ولم يكن جحودهم
لاشكال بقي عليهم بل والله لقد جئناهم من مقام عظمتنا بكتاب عظيم فصلناه
بتآليفه الاعتقادات والاحكام والامور الاخروية تفصيلا مبنيا على
علم يقيني لكونه هدى باقامة الدلائل ودفع الشبه ورحمة ليسر الى الامور الكشفية
وهو نافع لقوم يؤمنون يفيدهم ما لا يتناهى من الفوائد هل ينظرون بعد هذا
الكتاب الا تأويله اي مآل ما به امره لظهوره ما نطق به لكن لا يفيدهم ذلك

الانتظار لانه يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه تركه ترك المنسي من قبل
حين كان ينفعهم الذكر علمنا الآن انه قد جاءت رسل ربنا بالحق بما هو
واقع من الاعتقادات والوعد والوعيد فهل لنا من شفعاء ان يكونوا
فيشفعوا لنا او نرد الى مكان العمل فنعمل غير الذي كنا نعمل من الجحود
واللهو واللعب واعمال الدنيا قال عز وجل كيف يردون اليها وقد
خسروا ما يحبث لا يرجع اليهم وكانهم قد خسروا انفسهم ومن اين يكون
لهم وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون من ان معبودهم شفعاؤهم عند
الله فان زعموا انا لا نسلم تأويله بل نراه محالا واقامة الكتاب بما دلت
عليه كلامنا على خلاف الضروريات اذ كرت ما دوار السماوية
ولم نسمع تحقق تأويل الكتاب فيما مضى من الادوار فان صح فيما يستقبل
فيبعد قلب الشقي سعيدا وبالعكس فان حصل فكيف يدوم السعادة
والشقاوة مع تبدل الادوار قيل لهم ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض فلا يبعد عليه ابطال سنخ الادوار وخلق
دور يخالفها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة في يوم واحد بل في ستة ايام
لترتب ما فيها فخلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم النبات
ثم الحيوان ثم استوى على العرش ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية
وبهذه الحركة يغشي الليل النهار اي يجعل الليل ساترا للنهار فلا يبعد
منه جعل السعيد شقيا وبهذه الحركة يطلبه اي النهار بعد الليل حثيثا
سريعا اذ الحركة الخاصة بطيئة فلا يبعد منه جعل الشقي سعيدا ولا يبعد
عليه ادامة السعادة والشقاوة لانه خلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره لا تأثير لها بانفسها فله ان يبطل ما اعطاها الا له الخلق والامر
فهو الذي خلقها وامرها بالتأثير ولا يمتنع عليه شيء بواسطة نوع من
خلقه او امره لانه تبارك الله تعاظم لانه رب العالمين وامتناع شيء

عليه ينافي تلك العظمة والربوبية وكيف ترك ما يسعد والاشتغال بالابدين
وقد خلق ما خلق ليستدل به عليه فيعبد لكنه انما يعبد اذا علم انه يسعد
العابد ابدا ويشقي التارك ابدا ادعوا ربكم اذ العبودية تقتضي التذلل
فليكن دعاؤكم تضرعا لانه للتذلل والتذلل انما يتم بالاخلاص فليكن خفية لانه
اقرب الى الاخلاص وكيف يترك دعاؤه ومن يجاوزه عن العبودية
انه لا يحب المعتدين ثم ترك دعائه من قلة مبالاة به ومن يستلزم الافساد
في الارض لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها على السنة الرسل
واذا عبدتم فلا تعجبوا فانه ينافي التذلل المطلوب منها بل خافوا التقصير
ادعوه خوفا ولا تتركوا من الخوف عبادته بل ادعوه طمعا في تكميلها
بفضله ولا يبعد منه ان كنتم محسنين تعبدونه كانكم ترونه ان رحمة الله
قريب من المحسنين وكيف لا يقرب رحمته منهم والاحسان منشأ
رياح المحبة التي اذا انتشرت فهمت اجزاء المحب حملت اوصاف المحبوب
كانها السحب الثقال بمياه الفيوض فساقها الى من في المحبة كانه البلد
الميت فانزلت به الفيوض فاخرجت بها ثمرات العلوم والاحوال والمقامات
فقرب رحمته من المحسن كالمطر واخراج الثمرات من البلد الميت مع انه
لا فعل له اصلا من ما احسان وانشاء الرياح منه اذ هو الذي يرسل
الرياح بشرا لهم الجواب بين يدي رحمته اي المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت سحابا
ثقالا بالماء تعالا سقناه مع ان طبعه الهبوط لبلد ميت قابل للحيوة فانزلنا به
الماء ليحييه بالنبات فاخرجنا به من كل انواع الثمرات وكما اعدنا الثمرة الى
حالها بعد تلفها بالكلية كذلك نخرج الموتى فلا يبعد من احياء من مات بالفناء
فينا بالبقاء بنا لعلكم تذكرون من احوال الثمرات احوال الاخرة ومنها احوال
الجسوة بالله من العبادة على نهج الاحسان ولا يلزم اطراده لكن في حق كل

خوفا ولا تتركوا من الخوف عبادته بل ادعوه طمعا

عابد لانهم مختلفون اختلاف الاراضي المنبتة اذ البلد الطيب نعم
يخرج نباته غزير النفع لا بنانه بل باذن ربه اي تيسيره والذي خبث
كالحرة والسبخة لا يخرج نباته الا نكدا عديم النفع كذلك نصرف الآيات
لقوم يشكرون المواهب بعد مكاسبهم فلا ينسبونها اليها بل الى فضل
الله عليهم لقد ارسلنا ارسال الرياح لامطار الشرائع لاحياء موتى
القلوب واخراج نبات الطيب حسنا والخبث نكدا نوحا هو ابن لمك
بن متوشلخ بن اخنوخ هو ادريس عليه السلام الى قومه الذين له عليهم شفقة
فقال يا قوم الذين حقهم ان يشاركوني في كمالاتي اعبدوا الله لتكملوا
بكمالاته التي تفيضها عليكم هو لا غيره فانه ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم
ان تركتم عبادته او عبدتم غيره عذاب يوم عظيم وصف بالعظمة
لعظمة عذابه السالب للكمالات قال الملأ الاشراف من قومه من
جنسهم الذي امده شرفهم انا لنراك بامرك بعبادة الله وترك عبادة
غيره وتخويف العذاب على ترك عبادة الله وعلى عبادة غيره في
ضلال مبين اذ تامرنا بعبادة ما لا ندركه وترك عبادة ما ندركه وتعرفنا
الكمال في عبادة من لا ندركه والنقص في عبادة من ندركه وتعدنا
العذاب العظيم الذي لم يحصل لاحد من آبائنا مع اصرارهم على مثل
افعالنا قال يا قوم ليس بي ضلالة شيء من الضلال فان المعبود يجب
ان لا يدركه العابد اذ المدرك محاط به وهو قاصر والمعبود يجب ان يكون
له الكمال المطلق والارواح التي لا ترى اكمل من الاجسام والاعراض
المرئية والمعبود يجب ان يكون اكمل من الارواح ولست بوعد العذاب
ضالا ولكني رسول والرسول لا بد وان يكون منذرا ووقوعه ممكن لانه
من رب العالمين ذي العلم التام والقدرة التامة واني صادق
لاني ابلغكم رسالات ربي فلا يكون خوارق الا تصديقا لها ولو لم يدل



خوارق على تصديقي لوجب عليكم قبول قولي لما علمتم اني انصح لكم ولو لم
تعلموا نصحي لوجب عليكم قبوله لما علمتم اني اعلم من الامور الغيبية التي تعلم
انها لا تعلم الا بطريق الوحي من الله ما لا تعلمون أ انكرتم رسالتي وعجبتم ان
جاءكم ذكر موعظة من ربكم اي الذي رباكم بوجوه التربية وهذا اكملها لكن
لم ينزله عليكم لئلا يلجئكم الى الايمان او لقصوركم بل على رجل كامل وان
كان منكم لا لالجائه الى الايمان لسبق ايمانه بل لينذركم عن العذاب ولو لم
يكن عذاب لوجب ان ينذركم النقائص لتتقوا اي لتتحفظوا عن النقائص
ولا تقتصروا في حقكم على التحفظ من النقائص بل لعلكم ترحمون بافاضة
الكمالات عليكم فكذبوه من جنسهم ونكادتهم مع ظهور صدقه من الكمالات
فانجيناه بالعذاب العام من الطوفان الذي هو مثال ما انزل عليهم من ماء
الشرائع لما لم يشكروه جعل عذابا لهم فانجيناه والذين معه ليدل على
حقيتهم وان كانوا في الفلك اذ لا يبقى في مثل ذلك الطوفان الا بطريق
خرق العادة واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا مع ظهورها لعمهم انهم كانوا
قوما عمين فلم يستنيروا بنور الوحي الذي هو كالشمس ولا بظهور الآيات ولا بانه
الطوفان المغرق لهم بعد انذاره به على تكذيبهم وارسلنا ارسال الرياح للامطار
الى بني عاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم لانه نصح لهم هودا
هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشذ
بن سام بن نوح قال يا قوم الذين حقهم ان يكونوا مثلي اعبدوا الله ليفيض
عليكم الكمالات التي بها حيوة قلوبكم اذ ليس لغيره ذلك فانه ما لكم من اله غيره
يفيض عليكم شيئا أ تتركون عبادته وتعبدون غيره فلا تتقون ان يسلبكم
الكمالات ويمنعكم فيضانها ويحيي قلوبكم قال الملأ الذين غلب خبثهم حتى كفروا
مع كونهم من قومه لا كمرثد بن سعد انا لنراك متمكنا في سفاهة خفة عقل حيث
فارقت دين اكمل العقلاء وانا لو راينا كمال عقلك ما ابتغناك ايضا فانا

لنظنك من الكاذبين اذ يبعد ان يرسل الله احدا من اسافل الارض اليهم
قال يا قوم ليس بي سفاهة اى شى منها اذ لم افارق العقلاء فى امر الاخرة و
ان كانوا اعقل بامور الدنيا ولست بسفيه بامور الدنيا ايضا ولكنى كامل العقل
بامور الدارين لانى رسول من رب العالمين لاصلاح امر الدارين لذلك
ابلغكم رسالات ربى فى اصلاحهما وقد علمتم اصلاحى اذ انا لكم ناصح مستمر
على النصح ولا مكر فى نصحى اذ علمتم انى امين مشهور بالامانة اتظنون كذبى
وعجبتم ان جاءكم ذكر ما يذكركم الكمالات التى اودعها الله فى فطرتكم فامكن
اخراجها اخراج الثمرات والنبات فلا يبعد لكونه من ربكم الذى رباكم بالكمالات
الدنيوية فلا يبعد منه ان يربيكم بالكمالات الاخروية ولم يفوض اخراجها الى
رايكم لاحتجابه بالامور الدنيوية فانزله على رجل كامل كشف له عنها وان كان
منكم لينذركم بطلان ما فى فطرتكم ومن يفسد عليكم امر الدارين واذكروا
عند انذارى بفساد امر الدارين عذاب قوم نوح اذ جعلكم خلفاء بدلا
عنهم لكونكم من بعد قوم نوح وانعم عليكم اكثر مما انعم عليهم اذ زادكم فى الخلق
بسطة قامة وقوة فلو عذبكم لكان اشد مما عذبهم وان لم تخافوا العذاب
فاذكروا آلاء الله فتخصصوه بالعبادة لعلكم تفلحون باستدامتها واستزادتها
قالوا اجئتنا رسولا من الله لنعبد الله وحده على ان الآلهة كافية للمهمات
كلها ونذر ما كان يعبد آباؤنا لتوقعهم حصول بعض المهمات منهم فان كنت
رسولا بتخويف العذاب على ترك تخصيصه بالعبادة فأتنا بما تعدنا يوم القيمة
ان كنت من الصادقين فى ان الله يعذب يوم القيمة من لا يخصصه بالعبادة
قال قد وقع بل قبل القيمة عليكم من ربكم الذى رباكم بكفاية المهمات كلها بنسبتكم
بعضها الى غيره وكذبتم من ارسل اليكم مخوفا فاستعجلتم العذاب رجس عذاب
رجس اى يضطرب بكم فلا يقركم على ما انتم عليه من الكمال ليبعد وقد وقع عليكم
منه غضب ليذلكم بنقصه فى كفاية المهمات واشراككم معه من هو فى غاية النقص

فى اعلى كمالاته التى هى الالهية انجادلوننى من غاية خسكم ونكادكم فى مسميات
اسماء ليس فيها معانيها التى وضعت لها لغة لكن سميتموها انتم وآباؤكم بها على
توهم معانيها فيها من غير دليل اذ ما نزل الله بها من سلطان دليل حسى
ولا عقلى ولا نقلى ولا يتاخر ذلك الى مدة فانتظروا وقوعهما عن قرب وليس
ذلك بمجرد تخويف بل انى معكم من المنتظرين لمجيء منتظر تجب لا ينجو منه
لمجرى العادة احد وجعل من قبل الريح التى تقدم الامطار لكنهم يرياح
الارسال فانجيناه والذين معه على خرق العادة برحمة منا ليدل على رحمتنا
عليهم فى الآخرة وقد دلتنا على ان عذابهم للغضب عليهم الموجب لعذابهم
فى الآخرة انا قطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اى استاصلناهم وعذاب
الابتلاء لا يكون بطريق الاستيصال وقطعنا ايضا دابر المترددين الذين
ما كانوا مؤمنين لان التردد مع الظهور تكذيب وارسلنا ارسال الرياح
الممطرة للاحياء الى ثمود سمو ابن عابر بن ارم بن سام اخاهم لاهتمامه باحياء
امورهم واصلاحها صالحا هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر
بن ثمود قال يا قوم الذين احب حيوتهم اعبدوا الله الذى يفيض عليكم الحيوة
الابدية التى لا تحصل من غيره فانه ما لكم من اله غيره يفيض عليكم حيوة فضلا
عن الابدية قد جاءتكم بينة من ربكم دلالة على افاضة الحيوة اذا فاضها
على الجمادات هذه ناقة الله التى خلقها بافاضة الحيوة على صخرة فى الجبل
فصارت حيوانا ياكل ويشرب لكم آية فذروها تاكل عشبا فى ارض الله
التى لا يملكها غيره فيكون له منعها من ان ياكل فيها ولا تمسوها بسوء فضلا عن
قتلها اذ انا آذيتموها داوايكم عذاب اليم فى الدارين لجرأتكم على آية الله
بابطالها واذكروا افاضة الحيوة الدنيوية عليكم لترجوا الحيوة الاخروية
منه اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ولو لم ترجوها لوجب عليكم شكره اذ بوأكم
فى الارض اى الحجر تتخذون من سهولها اى مما تتخذون من سهولها

فتاخذكم بعلة اذيه
دوابكم مع

من اللبن والآجر قصورا تبنونها في السهول لتسكنوها ايام الصيف وتنحتون
تشقون من الارض من الجبال لتصيرها بيوتا لتسكنوها ايام الشتاء فاذكروا آلاء
الله لتصرفوها الى ما خلقها لاجله واقل ما يجب فيها ان لا تعثوا لا تفسدوا افساد
ممتدا في الارض بالاضلال حال كونكم مفسدين على انفسكم امورها بالضلال
قال الملأ اي الاشراف لانهم الذين استكبروا عن الايمان بعد ظهور آية الناقة
والكلمات الناصحة مع كونهم من قومه الذين عرفوا صدقه وامانته من غاية
خبثهم وتكادهم للذين استضعفوا فلم يكن لهم استكبار يمنعهم من الانقياد لمن
آمن منهم لا لمن كان من اتباعهم اتعلمون من آية الناقة ومن الكلمات
الناصحة ان صالحا مرسل كانه جاء من عند ربه ام امنهم به تبعا فالمطاعم
يحصل منه قالوا علمنا ذلك فصدقنا في جميع ما اوتي به انا بما ارسل به مؤمنون
وان كان فيه ما لا يصل اليه عقولنا قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به
اي بجميع ما آمنتم به من رسالته ورسالة غيره وان كان فيها ما هو اوضح من الشمس
كافرون فانكروا آية الناقة وكذبوه في اصابة العذاب عن مسها بالسوء
فعقروا الناقة اي عقر بعضهم برضى الباقين وعتوا استكبروا عن امر ربهم
بعبادته وحده ليتم بذلك كفرهم وزادوا الاستهزاء بصالح حتى قالوا يا صالح
ائتنا بما تعدنا على عقر الناقة ان كنت من المرسلين فان الله ينصر رسله على اعدائه
فاخذتهم الرجفة الصيحة التي يحصل منها الزلزلة الشديدة بدل صوت الناقة
عند عقرها وبدل حركتها عند نزع الروح فاصبحوا في دارهم مكانهم جاثمين
ساقطين على وجوههم ميتين بدل موت الناقة وسقوطها والصيحة والزلزلة
من آثار الريح المرسلة التي كانت رحمة فانقلبت عذابا فتولى اعرض عنهم صالح
فلم يشفع لهم وقال في الاعتذار يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي المتضمنة لتخويف
العذاب منه ولم يتضمن الضرر لكم اذ نصحت لكم فامرتكم بكل خير ونهيتكم عن كل
شر ولكن كرهتموه لانكم لا تحبون الناصحين من الرسل والانبياء والعلماء



لما فيهم اشبهكم وارسلنا ارسال الرياح للامطار لوطا هو ابن هارون اخي
ابرهيم عليه السلام هاجر معه من بابل فنزل ابرهيم بفلسطين ولوط بالاردن
فبعثه الله الى اهل سدوم لاحيائهم بابقاء نسلهم اذ قال لقومه الذين بعث اليهم
واجنبيتهم كانه اخوهم اتأتون الفاحشة الفعلة المتناهية غاية القبح ما سبقكم بها
لانه ما سبقكم بها من احد من الحيوانات في العالمين فيكون لكم وزرها ووزر من
عملها بعدكم انكم مع كونكم عقلاء لتأتون الرجال الذين خلقهم الله لاتيان النساء
لا ليأتيهم الرجال شهوة مجردة عن الحرث من دون النساء مجاوزين عن موافاة
النساء وليس مقصودكم قضاء الشهوة لانقضائها بالنساء مع افادة النسل
وان لم تقصد بل انتم قوم مسرفون مجاوزون الحد في كل باب فما كان جواب
قومه في مقابلة نصحه الا ان قالوا اخرجوهم اي لوطا والمؤمنين من قريتكم معللين
بما يوجب تعزيرهم مع توقيرهم وهو قولهم انهم اناس يتطهرون بالغلو في الطهارة
فيحترزون مواضع النجاسة فاخذه الجنتهم وتكادهم فانجيناه واهله لطيبهم
الا امراته لم ننجها الجنتها اذ لكما امرناهم بالخروج دونها حتى كانت من الغابرين الباقين
في دورهم فاصابها ما اصابهم وهو انا امطرنا عليهم مطرا نوعا من المطر غير
متعارف لكفرهم بمطر الشرائع المحيي بابقاء النسل وغيره فانقلب عليهم في صورة
العقاب فانظر كيف كان عاقبة المجرمين كيف ينقلب عليهم نعم الله عند كفرهم
بها نقما وارسلنا ارسال الرياح للامطار للاحياء الى بني مدين هو ابن ابرهيم
اخاهم المحب لكمالهم دينا ودنيا شعيبا هو ابن نويب بن مدين او ابن ميكيل بن
يشجر بن مدين او ابن يثرون بن نويب بن مدين لتقوم حيوتهم الاخروية والدنيوية
اذ قال يا قوم الذين احب كمال حيوة دينهم ودنياهم اعبدوا الله ليحييكم بالحيوة
الابدية التي لا تحصل من غيره لانه ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة على تلك الحيوة
من ربكم الذي رباكم لتعبدوه فربكم بها وهي تحصل بالفضائل الحيوة الدنيوية التي
هي مزرعتها فاوفوا للناس الكيل والميزان ليوفي لكم فوائد تلك الحيوة ولا تبخسوا

بن تارخ صح

معللين

تبايت

نزهون خ

الجزو ٩

الناس اشياءهم باخذ المكس والرشوة ونقص القيمة فانها كالنقص في جيوبهم
المستلزم للنقص في ذواتهم فيستلزم النقص في جيوبكم الاخروية المستلزم للنقص
في ذواتكم وكيف لا وهو افساد في المزرعة ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
بوضع الكيل والوزن والحدود والاحكام ذلكم وان رايتموه ضرراً خير لكم في الحال
لتوجه الناس اليكم والمآل ان كنتم مؤمنين بان الله يكمل لمن كمّل كلمة ما نقص من جهة
بجهات اخر ولا اقل من تكميل الجهة الاخروية لكنه مخصوص بمن يسلك سبيله
وانتم لا تسلكونه بل تمنعون عنه ولا تقعدوا بكل صراط توعدون تخوفون
الناس من سلوكه وتصدون تمنعون السالكين عن سبيل الله ان يبلغوا المنتهى
لانكم تمنعون من آمن به ان يستمر على ايمانه كيف ولا يتركونها بحالها بل تبغونها
تطلبون تغيرها لو فقوا فيها بالقاء الشبهات عوجاً وهذا عناد منكم مع الله و
تعتمدون في معاندته على كثرتكم مع انه موجب للشكر واذكروا اذ كنتم قليلاً فكثركم
بالعَدد والعُدد والى نظروا الى قوتكم وكثرتكم في الحال بل انظروا كيف كان عاقبة
المفسدين مع كثرتهم وقوتهم ولا تعتمدوا انكم مصلحون بكل حال بل ان اي انه
كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به ليكونوا مصلحين وطائفة لم يؤمنوا زاعمين
انهم الباقون على الاصلاح فاصبروا عن الجزم باصلاح من لم يؤمن حتى
يحكم الله فيعرف بيننا بنصر المحقين واهلاك المبطلين وهو خير الحاكمين فلا
يعكس الامر قال الملأ الذين استكبروا من قومه لا حاجة الى الصبر بل قد حكم
الله اذ جعل لنا الغلبة عليكم واعطانا القدرة على اخراجكم ونحملكم الى الكفر
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن الى ترك
دعوة الرسالة والاقرار بها داخلين في ملتنا ملة المشركين قال أتجعلوننا في
ملتكم ولو كنا كارهين لها مع انه لا فائدة في الاكراه لان دينكم ان كان حقاً لم
تكن بالاكراه منقادين له وان كان باطلاً لم تكن بالاكراه منقضين به لانه بالحقيقة
صفة القلب لا يسري اكراهكم اليه وكيف لا نكرهه وهو يستلزم غاية القبح والظلم

قد افترينا على الله كذباً بان له شريكاً ان عدنا الى ترك دعوى الرسالة والاقرار
بها لندخل في ملتكم القائلة بان له شريكاً بعد اذ نجانا الله منها فارانا انه كالنجاة
من النار وما يكون لنا ان نعود عن دعوى الرسالة والاقرار بها فنصير الا ان
يشاء الله ربنا بما علم من استعدادنا لانه وسع ربنا كل شيء علماً فعلم استعداد
كل واحد في كل وقت على الله توكلنا ليحفظنا عن المصير اليها ربنا ان قصدوا
اكراهنا عليها او اخراجنا من قريتهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق فتغلبنا عليهم وانت
خير الفاتحين فلا تغلب الظالمين وان كثروا على المظلومين اذا استفتحوك
قال الملأ الذين كفروا من قومه عند ياسهم عن مغالبة شعيب وقومه حتى خافوا
على من بقي على الكفران يلحقوا به لئن اتبعتم شعيباً فاقل ما فيه من الضرر الخسران
انكم اذاً لخاسرون بفوات زوائد الكيل والميزان وهذا القدر كاف في الفتح
لتميز بين الخاسر وغيره فاتاهم الله بالفتح الحقيقي فاخذتهم الرجفة الصيحة مع
الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين ساقطين ميتين لا ينتفعون برؤس اموالهم
ولا بزوائدها بل ان الذين كذبوا شعيباً كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً
كانوا هم الخاسرين حيث فاتهم الى بها الانتفاع بكل نافع فتولى عنهم فاعرض عن
شفاعتهم والحزن عليهم وقال في الاعتذار يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت بما يفيد لكم ربح الدارين ويمنعكم خسرانهما لكنكم كفرتم فكيف آسى
احزن على قوم كافرين فضلاً عن ان اشتغل بشفاعتهم ثم اشار الى ان خسران
الامم الهالكة لم يكن عن عدم اتيانهم بمجرد الاعلام القولي بل كان مع الاعلام
الفعلي ايضاً فقال وما ارسلنا في قرية من القرى من نبي الا اخذنا قبل
الاهلاك الكلي اهلها بالبأساء والضراء اي الشدة والمرض بحيث يرجى
تضرعهم لعلهم يضرعون يتذللون فيتركون التكبر ثم لما اصروا على التكبر انعمنا
عليهم مكراً بهم حتى بدلنا مكان السيئة الشدة والمرض الحسنة السعة والسلامة
حتى عفوا كثروا عدداً وعُدداً وقالوا لم يكن مس آباءنا الضراء نصيبنا لو

الجزء ٩

الرسل بل هو مثل ما قد مس اباءنا الذين لم يأتهم الرسل الضراء والسراء احيانا
ثم زال عنهم فازدادوا كفرا بعد الاعلام القولي والفعلي فاخذناهم بغتة اذلهم
اذ لم يفدهم الاعلام القولي والفعلي وليس المراد عدم ما يفيدهم اليقين
بل اخذوا وهم لا يشعرون به بوجه من الوجوه ولم يكن منع المواخذة الا
لخبثهم فانه لو ان اهل القرى طابوا اعتقادا وعملا بان امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بدل الفتح بالعذاب بركات نازلة من السماء ونابتة من الارض
وتخرج نباتهم طيبا باذن ربهم ولكن خبثوا اذ كذبوا فلم تخرج الا نكدا ففتحنا
عليهم العذاب فاخذناهم بما كانوا يكسبون اجهل اهل القرى من السنة الالهية
في القرى الهالكة فامن اهل القرى مكة وما حولها ان يأتيهم بأسنا بياتا
ليلا وهم نائمون اي حال كمال الغفلة التي لا يرتفع حجابها بالانتباه او امنوا
من ذلك وامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وقت غاية الظهور
والانكشاف وهم غافلون عنه مع غاية ظهوره اذ يلعبون افامنوا اذ ذلك
كله فامنوا مكر الله وهو اخذه العبد من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله
مع كثرة ما راى من اخذه العباد من حيث لا يحتسبون الا القوم الخاسرون
عقولهم فصاروا اخسر من انسانيتهم بل اخس من البهائم اامنوا المكر
ولم يهد اخذنا للامم الماضية بذنوبهم للذين يرثون الارض من بعد
اهلها الماخوذين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا الموروث
منهم نعم نهديهم بالبيان ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون البيان مع انه
واجب السماع اذ تلك القرى نقص مع ظهور صدقنا عليك ايها الصادق
بعضا من انبائها مما يدل على مواخذتهم بذنوبهم لاصرارهم عليها بعد
التنبيه وذلك لانهم لقد جاءتهم رسلهم بالبينات يدعونهم الى ما يزيلونها فما
ازالوا اعظمها لانهم ما كانوا ليؤمنوا بعد مجيئهم بالدلائل القاطعة بما كذبوا
به من قبل اي من قبل مجيئهم بها بل استمرت عليهم حالتان لم تؤثر فيهم دعوتهم

المتطاولة والايات المتتابعة لما طبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالايات والنذر لكادة ارضهم وخبثها ولذلك لو
عاشوا ان يؤمنوا عند مجيئها بل ما وجدنا لاكثرهم من عهد في باب الايمان ولا غيره
وان اي وانه وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن قواعد العقل والعدل
فلذلك اخذناهم وقد وجد مثل فعلهم في سلالتهم فيخاف عليهم مثل ما جرى
على اوليك ثم لم ينقطع منا ارسال الرسل كالرياح الممطرة للاحياء فان طابوا
فتحنا عليهم البركات والا الاهلاك لذلك بعثنا من بعدهم اي بعد اهلاك اقوام
الانبياء المذكورين الذين لم يكونوا ليؤمنوا وان عهدوا به لضرورة موسى
باياتنا المنسوبة الى عظمتنا مما يدل على عظم فيضنا عليه الى فرعون وملايه
الذين هم كالبلد الخبيث لا يخرج عنهم نبات الايمان وان عهدوا به مرادا فظلموا
بها اذ جعلوا ما هو سبب الاصلاح سبب الافساد وهو السحر افساد العقايد
الحقة من غاية خبثهم فانظر كيف كان عاقبة المفسدين افسد الله عليهم ملكهم
واتاه اعداءهم وقال موسى دفعا لافسادهم فيها ببيان كونها دلائل الصدق
لظهورها على يدي الصادق يا فرعون يا ملك مصر الذي لا يقدر احد ان
يكذب عنده سيما بما يبطل دعواه اني رسول من رب العالمين على اني
لو لم اخف احدا حقيق جدير بما علمت من حالي الاستمرار على ان لا اقول
على الله الا الحق وقد دلت الايات على صدقي لانه قد جئتكم ببينة من ربكم
اي اية تشهد على صدقي وكيف لا ارسل عليك وقد تملكت عليه خواص
عباده فارسل معي بني اسرائيل قال لا يعلم استمرارك على صدقك بعد
ما تغيبت عنا مدة المدة المديدة لكن ان كنت جئت باية تدل على صدقك
فات بها ان كنت من الصادقين بناء على ما عرفت منك فالقى عصاه
التي هي جماد فاذا هي من غير معالجة سبب ثعبان حية كبيرة فاضت عليها
الحيوة لتدل على فيضان الحيوة العظيمة على يده مبين ظاهرا متخيلا وكا

في الصورة عظيمة الجثة بين لحييه ثمانون ذراعا ووضع لحيها الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه الى فرعون فهرب وصاح يا موسى انشدك بالذي
ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد
عصا ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء تغلب شعاعها الشمس للناظرين
من غير برص فيها يدل على انه تظهر على يديه خوارق تغلب انوارها المعنوية
الانوار الحسية وتسوى بها الجحود بالله قال الملأ الاشراف الذين يكرمون
شرف الغير عليهم سيما من جهة كونهم من قوم فرعون الذين على دين ملكهم في
التكبر لدفع آياته الظاهرة عن خاطر الخلق ان هذا لساحر عليم بامور بيانه
ولا تقتصر علو دعوى الرسالة بل يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فيملك عليها
فقال لهم فرعون فماذا تأمرون تشيرون اشارة لا اخالفكم فيها كما لا يخالف
المأمور امر المطاع قالوا ارجه واخاه اخر امرهما لئلا ينسب الى الظلم
الصريح المنافي لدعوى الالهية وارسل في المدائن اي مدائن الصعيد من
نواحي مصر حاشرين من فيها من السحرة يأتوك بكل ساحر عليم ماهر
في باب السحر ليجتمعوا على مغالبتها بحضرتهم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن
لنا على دفع العدو من ملكك لاجرا مثل اجر العسكر الكبير اذا غلبوا فيحصل
لهم الغنائم وتعطيهم ودراهم من عندك ان كنا نحن الغالبين قال نعم
لكم ذلك الاجر وتزيدون عليهم زيادة عظيمة انكم لمن المقربين الذين
يحصل لهم ما لا يحصل للعسكر اذا غنموا قالوا يا موسى اما ان تلقي اولا واما
ان نكون بالقائنا اولا نحن الملقين دونك فانا اذا القينا بحضرتك فلا
نبالي لك الا لعار قال بل القوا فاني لا ابالي لكم فلما القوا سحروا اعين الناس
خيلوا لها ما ليس في الواقع واسترهبوهم اي وخوفوهم انه لا يمكن لموسى
معارضتهم وذلك لانهم جاؤا بسحر عظيم فوق ما يتعارف من السحر اذ القوا
حبالهم حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضهم

بعضا واوحينا لدفع ذلك السحر الذي لا يمكن معارضته بسحر اخر الى موسى
الذي قصدوا مغالبته امرين له ان الق عصاك التي اعطيت المعجزة
الحقيقية لابطال وجود ما خيلوا فيه المعجزة فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون
يصرفونه من الجمادية الحقيقية الى الحيوانية التخيلية فوقع الحق ثبت برهانه
وبطل ما كانوا يعملون لابطال الاعجاز فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي
في مكان الموعد الذي اجتمع فيه اهل مملكته بدعوته لظنه غلبة السحرة وانقلبوا
رجعوا الى اهلهم لياسهم من الغلبة مرة اخرى صاغرين ذليلين بعدما خرجوا
متكبرين لتوهم الغلبة وقد ذل اكثر منهم من ارادوا التكبر بهم اذ القي السحرة
على نهج الاضطرار ساجدين اذ قالوا حين لم يجدوا حبالهم وعصيهم لو كان
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فحصلت لهم الحجة الالهية اذ قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهرون لا فرعون الزاعم انا ربكم الاعلى فظهر كونهم كالبلد
الطيب قال فرعون من غلبة الخبث عليه آمنتم به اي برب موسى وهرون
قبل ان آذن لكم على اني الهكم وانتم عبيدي فليس لكم ان تؤمنوا الها آخر
بغير اذني وليس هذا غلبة موسى بالحجة بل ان هذا الصنيع لمكر حيلة مكرتموه
دبرتموه انتم وموسى في المدينة في مصر قبل الخروج للميعاد لتخرجوا منها
اهلها ليحصل لكم ملكها فسوف تعلمون عاقبة فعلكم الغدر على المملكة لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اي جانب مخالف ثم لاصلبنكم اجمعين
كما يفعل بمن قصد الملك قالوا ان الذي تهددنا به هو الذي نعزها الى من
آمنا به انا الى ربنا منقلبون فيجيبنا بجيرة خير من الجيرة الدنيوية وما
قصدنا الملك بل وما تنقم اي تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لا بطريق السماع
من الغير بل بطريق المشاهدة لما جاءتنا ربنا اجعل لكون ايماننا حقيقيا
لينتفع الناس فيه آية افرغ افض علينا صبرا نعزنا ولا يغرنا بالانعام له
شبهة اخرى عن الاسلام بل توفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون خوفا

من انقلاب العلماء عنهم حين رأوا السحر يحملون الشدائد من اجله أتذر
اترك موسى وقومه احياء ليفسدوا في الارض في ارض مملكتك بتنفير الناس
عنك ويذرك وآلهتك اى ويترك كل احد عبادتك وعبادة آلهتك
التي امرت ان تعبد على انك ربها وربهم فانت ربهم الاعلى قال انا وان
تركناهم ليلا نقدر عجزا عن محاجتهم لا نمكن احدا من موافقتهم سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم مخافة من توافقهم من ذلك وان لم يبال لنفسه وان يحملوا
لذلك فلا نبالي لهم انا فوقهم قاهرون نقهر على من وافقهم قال موسى لقومه الذين
قيل لهم هذا الكلام استعينوا بالله على دفع ما ارادوا وان لم تعانوا اصبروا
على الاسلام فلا تضيعوه للامور الدنيوية مع انها ايضا لله فله ان يعطيكم كما
اعطاهم اياها ان الارض لله يورثها يعطيها واحدا بعد آخر من يشاء
من صالح وطالح لكونهم من عباده فله ان يجعلها مرتعا للبعض ومحنة على
البعض وسواء ان اعطاها بعض الظالمين فغلبوا على المتقين حينا لكن
العاقبة للمتقين قالوا الم يكن فناء الصبر اذ طال بلاؤه علينا اذ اوذينا
بقتل الابناء واستحياء النساء من قبل ان تأتينا لئلا نخلو ومن بعد ما
جئتنا لئلا نتبع قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم اى قرب رجاء ان يهلك
ربكم عدوكم لمبالغته في اهلاك اولياء ربكم ورجاء ان يفعل ما هو اشد عليهم
وانفع لكم وهو ان يستخلفكم في الارض لاقامة اوليائه مكان اعدائه و
الولاية والعداوة بحسب الاعمال فينظر كيف تعملون مثل اعمال الاولياء
او الاعداء ثم اشار الى انه وان قرب اهلاك الاعداء فلم يهلكهم مرة بل
بل قدم لهم ما هو اشد عليهم منه فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اى بقطع المزارع
سنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون انه يكفرهم الذي يعدون عليه ما هو
اشد من ذلك واقل ما فيه التشاؤم بالكفر لكنهم لغاية خبثهم عكسوا الامر فاذا
جاءتهم الحسنة السعة والخصب اوردوا معها اذا والماضي لكثرتها فلا شك في

في وقوعها قالوا لنا هذه اى نحن مخصوصون باستحقاقها وان تصبهم سيئة جدب
وبلاء اورد فيها ان والمضارع لندورها فهي كالمشكوك وقوعها يطيروا يتشاءموا
بموسى ومن معه الا انما طائرهم شؤمهم كفرهم ومعاصيهم فانها اسباب كائنات
عند الله جريانه سنته بافاضتها عندها ولكن اكثرهم لا يعلمون فروا الشؤم
الاتيان بالآيات او متابعتها لكونها سحرا اتفق على شؤميته ولذلك قالوا مهما
اى اى شيء تأتنا به من آية في زعمك وهي سحر في الواقع لتسحرنا لتسحر عقولنا
بها فيشتبه الامر علينا فما نحن لك بمؤمنين فلما اتاهم بعض الآيات بل آيات
تتضمن البليات التي تكاد تلجئ الى الايمان فارسلنا عليهم الطوفان اى
ما طاف بأماكنهم ودخل بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل المشتبكة ببيوتهم قطرة ماء فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا
فنؤمن بك فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد فنكثوا وارسلنا
عليهم الجراد فاكلت الزروع والثمار ثم اخذت باكل السقوف والابواب
والثياب ففزعوا اليه فخرج الى الصحراء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحي فنكثوا وارسلنا عليهم القمل اكلت البقية ووقعت في الاطعمة
ودخلت بين اثوابهم وجلودهم فمصتها ففزعوا اليه فكشف فقالوا قد تحققنا الآن
انك ساحر وارسلنا عليهم الضفادع بحيث لا يكشف طعام الا وجدت فيه
وكانت تملأ مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فلما كشف عنهم فنكثوا وارسلنا
عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان القبطي والاسرائيلي يجتمعان على
اناء فيصير ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص القبطي من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فمه ارسل الله تعالى عليهم هذه البليات حال كونها آيات مفصلات
فصل في الابتداء بها بين طائفتين عظيمتين من المحقين والمبطلين ولا يأتي
مثل ذلك في السحر وكانت بحيث لا يشك عاقل في انها من الله لكن لم ينقادوا

لها فاستكبروا ولا وجه لاستكبارهم سوى انهم كانوا قوما مجرمين ومن مبالغتهم
فى الجرم اخلافهم وعد الايمان الذى وعدوه عند الاضطرار وذلك
انهم لما وقع عليهم الرجز العذاب فى ضمن هذه الآيات قالوا يا موسى ادع
لنا ربك الذى رباك فاعطاك هذه الآيات بما عهد عندك من قبول
دعوتك لئن كشفت عنا الرجز بدعائك لنؤمنن منقادين لك ولنرسلن
معك بنى اسرائيل الذين ارسلت لطلبهم فلما كشفنا عنهم الرجز لا دائما بل
الى اجل هم بالغوه ليتاملوا فيه اذ لا ينافى مع الاضطرار اذا هم ينكثون بغاية
النكث من غير تامل فانتقمنا منهم قصدنا تعذيبهم على الابد فاغرقناهم فى اليم
البحر العميق اذ غرقوا فى بحر الكفر بانهم كذبوا بآياتنا التى هى بحار انوار الهداية
تكذيبها مغرق فى بحر الضلالة ويكفى فى غرق بحارها انهم كانوا عنها غافلين
واغرقنا معهم جاههم الذى آثروه على حجتهم اذ اورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون بالاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء مشارق الارض
ارض مصر ومن الشام ومغاربها التى باركنا فيها بالخصب وسعة العيش
تحصل لهم الجاه والمال من غير تعب زيادة فى التقوية بدل التضعيف
وتمت كلمة ربك الحسنى وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله يحذرون على
بنى اسرائيل بما صبروا على الايمان فى تلك الشدائد فظهروا ظهورا كليا
ولم يبق لاعدائهم شىء من الظهور اذ دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
من الصنائع اللطيفة التى بقى لها اسمهم وما كانوا يعرشون يرفعون بناء
كصرح هامان فما كانوا يذكرون به من بعد ثم اشار الى انهم مع اتمام المحاسن
لهم ظهرت قبائحهم فى ابتداء زوال ضعفهم وهو مجاوزة البحر اذ تغيرت
قلوبهم بمجرد رؤية الاصنام فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر الذى اغرق
به اعداؤهم وارادوا الغرق فى بحر كفرهم فاتوا على قوم يعكفون يقيمون
على عبادة اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا واحدا كليا

جثون

حزب

لله تعالى نعبده فنتقرب به اليه كما لهم آلهة اشياء مخلوقة لا سماوية اشركوا الكثرة بها
ونحن نبقى على التوحيد لوحدته قال انكم قوم تجهلون بتجدد جهلكم كل حين
ان هؤلاء وان اتخذوا امثال سماوية فلا تم فيها التمثيل لانه متبر مكسر ما هم فيه
فى عبادته لكونه حادثا واسماؤه تعالى قديمة ولا ظهور لالهيته فيها لانه باطل
ما كانوا يعملون لانه صدر من باطل فانى يكون الها واجب الوجود الحق
من كل وجه فكانهم قالوا المثال لا يجب ان يكون كالممثل من جميع الوجوه قال
الظاهر فى المظاهر ليس مثالا له لوجوب كونه قريبا من الممثل والظاهر فى المظاهر
فى غاية البعد منه فهو اولى باسم الغير اغير الله ابغيكم الها ولم يجعله مظهرا كاملا
وانما المظاهر الكاملة انتم اذ هو فضلكم على العالمين فلو صحت عبادة المظاهر
نحو الغير ان يكون عابدا لكم لا معبودا ثم انها انما تعبد لتشفع ولكن لا يحتاج
الى شفاعتها اذكروا اذ انجيناكم بدون شفاعتها من آل فرعون يسومونكم
يقصدونكم سوء العذاب الذى غايته انهم كانوا يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم ليكون نسلكم منهن كفارا مثلهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم بنجاتكم
عنه من غير شفاعة احد ثم اشار الى ان ذلك انما كان لافراط انفسهم
اذ لم تزكوا والنفس يحتاج اليها حتى ان موسى عليه السلام مع جلالة شانه
احتاج اليها فى استنزال الكتاب الذى وعد بنى اسرائيل بمصر ان ياتيهم به بعد
مهلك فرعون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم
ثلثين من ذى القعدة فلما اتم انكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم
منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا من
ذى الحجة فقال وواعدنا موسى ثلثين ليلة يقوم فيها بالصلوة ويصوم نهارها
ولما ابطل خلوف فمه الذى تكره اليه نفسه ويحب اليه ربه فيكون له طيب
رائحة حب ربه اتممناها بعشر فتم ميقات مكالمة ربه اربعين ليلة لرفع
اربعين حجابا خمرت فى طينة آدم فسرت الى ابدان بنيه وقال موسى عند

حزب

رؤيته عجز عن حفظ القوم بالغيبة قبل تمام التزكية الموجبة كون النفس منصرفة
بربها في كل مكان لكونها معه لاجبه الغايب مقامه ميرون الذي يشاركه في النبوة
اخلفني في حفظ قومي عن التغير في الدين واصلح ما يغيرونه وان لم يمكنك اصلا
مفسدتهم لا تتبع سبيل المفسدين بترك الانكار عليهم فانه بمنزلة اتباعك
لهم ثم اشار الى ان تمام التزكية لا يفيد دفع حجاب النفس بالكلية فقال ولما جاء
موسى لميقاتنا فهو وان كملت تزكيته بحيث كلمه ربه فسمع كلامه من جميع الجهات
بجميع اجزائه قال قبل كمال استعداد لرؤيته بالخروج عن الزمان والمكان
رب ارني ذاتك التي ليست من الاجسام والاعراض كما اسمعتني كلامك
الذي ليس من جنس الحروف والاصوات انظر اليك قال لن تراني في الحال
التي انت عليها ولكن انظر الى الجبل حين انجلي له بعدما اعطيه الحيوة و
الرؤية فان استقر مكانه عند التجلي امكنك الاستقرار مع التجلي لكن فسوف
تراني بعد استقرارك فلما تجلى ربه للجبل جعله التجلي دكا مفتتا فلم يستقر
مكانه ولا موسى بل خر وقع موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما
افاق قال سبحانك من ان يستقر لرؤيتك من لم يخرج عن الزمان والمكان
تبت اليك من الاقدام على سوال الرؤية قبل وقتها وانا اول المؤمنين
بانه لا يستقر لرؤيتك من بقي فيه مناسبة الحدثان بل لا بد ان يتصف بكمال
الصفات القدسية وذلك عند غلبة الروحانية في الاخرة قال يا موسى
انك وان لم ترني فلست بقاصر اني اصطفيتك فضلتك على الناس
الذين ليسوا برسل برسالاتي التي هي نهاية مراتب كمالاتهم وفضلتك على كثير
من الرسل بكلامي فخذ ما اتيتك فلا ترده بهذه الاسولة السالبة لما افضت
عليك وكن من الشاكرين لتستوجب المزيد لعلك تستحق الرؤية التي هي
زيادة على الحسنى ثم ما زيد لموسى على الشكر انا كتبنا له في الالواح الواح
التورية من كل شيء موعظة عبرة من رؤية كل شيء الى ما وراءها وسلم جرا الى

ان يرى تفصيلا لكل شيء اي تعريفا يطلع على الحقائق لكن ذلك يحتاج الى
قوة الاستدلال في باب العلم والاجتهاد في باب العمل فخذها بقوة استدلالية
واجتهادية وامر قومك الذين ليس لهم القوة يأخذوا باحسنها اي عزائمها
دون رخصها تحصيلا للقوة فاذا حصلت لكم القوة كشفت لكم عن الحقائق
الاخروية واولها ما يحفظ عن شدايدها لكن ساريكم دار الفاسقين اي جهنم
وهي وان كانت ظاهرة لمن نظر في الايات لكن ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون
عليها مع كونهم في الارض التي هي اسفل سافلين بغير التقرب الى الحق ولكن بما
يبعدهم عن الحق لانهم ان يروا كل اية لا يؤمنوا بها تكبرا عليها فهو سبب البعد
عنه وكيف لا يبعدون عنه وهم ان يروا سبيل الرشد المقرب اليه لا يتخذوه
سبيلا لمنافاة اهويتهم وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لتوسلهم الى مقتضاهم
وليس ذلك لكون اهويتهم اشد مما تضمنته الايات بل ذلك بانهم كذبوا باياتنا
ولتكذيبهم اياها كانوا عنها غافلين فلم يدركوا تلك اللذات التي تترك لها الاهوية
كيف وانما يدرك لذاتها بالتصفية والتزكية الحاصلة من العمل بها خوفا من الام
الاخرة وطمعا في لذاتها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم
فلا يكون لها اثر في التصفية والتزكية وليس الاحباط عليهم ظلما بل هو ايضا
مقتضى عملهم التكذيب في كل حال هل يجزون الا ما كانوا يعملون ومن
المحبط للاعمال اتخاذهم العجل فانه اتخذ قوم موسى الذين لم يتخذوا الهتهم
فصرفوا عن ايات الله من بعده من بعد ذهابه للميقات المستنزل للكتاب
المكمل لهم من حليهم اي من حلي كانت بايديهم مستعارة من القبط عجلا صورة
عجل يعبدونه مع كونه جسدا بلا روح وان كان له خوار صوت البقر مع ظهور
نقصه باعتبار حدوثه وعدم حيوته الحقيقية اتخذوه الها اذ صرفوا عن ايات
الله وحججه وعلى تقدير كمال حيوته الجوانية كان عاجزا عن الكلام الم يروا انه لا
يكلمهم وعلى تقدير مكالمته لا يكون كلامه مفيدا اذ لا يهديهم سبيلا وعلى تقدير

مكالمته وهداية يكون قد اتخذوه الها من غير استحقاق لطاعته فكانوا
ظالمين ولكن لم يقتصر ظلمهم على هذا الوجه بل كانوا ظالمين بوجوه كثيرة ولكن
هذه الوجوه مع كثرتها صارت مغفورة في حقهم اذ رجعوا الى الاخذ
باحسنها لانهم لما سقط اي الندم في ايديهم ليتصرفوا به في رد هذه
الوجوه وذلك حين رأوا انهم قد ضلوا من هذه الوجوه الكثيرة قالوا
في ردها لئن لم يرحمنا ربنا فيرهبنا بالتوبة ويغفر لنا ما لا يدركه التوبة
القاصرة منا لنكونن من الخاسرين اعمارهم واعمالهم الصالحة واستمر ادم
موسى ندما فانه لما رجع موسى الى قومه الذين عبد بعضهم العجل ولم يشدد
غيرهم عليهم الانكار غضبان لا بقصد اهلاكهم اذ كان اسفا حزينا عليهم
قال بئسما خلفتموني في بئس الحال التي صرتم عليها خلفي لا مع طول المدة
بل من بعدي اي متصلا بذهابي اعجلتم استبقتم الى عبادة العجل امر
ربكم بعبادته فقدمتم رأيكم على امره والقى من شدة الغضب وفرط
الضجرة حمية للدين الالواح الواح التوراة فانكسر منها ما كان فيها تفصيل
كل شيء وبقي ما فيه المواعظ والاحكام وافرط غضبه على اخيه حتى اخذ
برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه تعزيرا له على تركه تشديد الانكار
عليهم قال اخوه ابن ام اضافه اليها استعطافا ان القوم اي عبدة
العجل استضعفوني فلم يبالوا بتشديد انكاري وكادوا يقتلونني فاربوا
قتلي لو زدت على ما فعلت من تشديد انكار فقد صاروا اعدائي
بالمقدار الذي فعلته من الانكار عليهم فلا تشمت بي لا تفرح باخذ
رأسي وجري الاعداء فانهم يشمتون بي وان كان الغضب من ترك
تشديد انكار عليهم لان عداوته ذاتية لهم ولا تجعلني مع القوم
الظالمين في الغضب عليهم فضلا عن زيادة الغضب علي فلما علم عذر
اخيه وسهوه في الاخذ برأسه وفي القاء الالواح قال رب اغفر لي ما سهوت

ولاخي تقصيره في بذل وسعه على تشديد انكاره وادخلنا في رحمتك
بحيث لا نسهو ولا نقصر ولا يلحقنا بما سهونا غضب ولا ذلة ولا بعد
منك اذ انت ارحم الراحمين ومع ذلك لا تغتر برحمته ان الذين اتخذوا
العجل وان سقطت عقوبتهم في الاخرة من افراط رحمته سينالهم غضب
من اجله بامر بعضهم بقتل البعض لكنه من جملة تربيتهم لكونه من ربهم وهذا
يدل على انه ليس بغضب حقيقي وانما هو ذلة اذ لم يبال بقتلهم كالبرغوث
والنمل ولكن لا يبالي بسلك الذلة لكونها في الحياة الدنيا كيف ولا بد من
الاذلال في حق المفتري على الله ورسله اذ كذلك نجزي المفترين وقد
افتروا على الله بانه العجل وعلى موسى بانه قصد ذلك العجل فنسي وليس ذلك
في الاخرة اذ غايته انه سيئة والذين عملوا السيئات ثم تابوا وان تراخت توبتهم
من بعدها بمدة مديدة ولا يكفي التوبة عن الافتراء على الله ورسله
بل لا بد من تجديد الايمان كما لا يكفي الايمان بلا توبة فاذا امنوا وتابوا
ان ربك من بعدها اي بعد التوبة عن الافتراء مع الايمان لغفور في الاخرة
ولا يقتصر على ذلك الغفران بل رحيم وان نالهم غضبه واذلاله في الدنيا
وكيف لا يؤاخذهم هذه المعصية الكبيرة التي تعمدوها بنيل الغضب
والذلة وقد اثر في موسى ما فعله سهوا فانه لما سكت عن موسى الغضب اخذ
الالواح ولم يبق فيها تفصيل كل شيء بل انما بقي في نسختها هدى الى العقائد
والاعمال ورحمة من المواعظ النافعة للذين هم لربهم يرهبون يخافون
حجابه او عذابه فاثر سهوه في نقص التوراة وان غفر له ثم اشار الى ان
لحوق الغضب في الدنيا لا يمنع الرحمة الاخروية كما لا يمنع الدنيوية سيما
في حق الخيار فقال واختار موسى الذي اختاره الله لرسالته وكلامه
قومه الذين يرجى لهم الرحمة الاخروية بعد نيل الغضب سبعين رجلا من
اثني عشر سبطا عدد البروج من كل سبط ستة عدد ما ظهر منها وترك الاثنين

اسقاطا لنظر الشرك لكون الاخبار لبيقا بنا في المكالمة فامرهم ان يتطهروا
ويصوموا فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط
به فدخل فيه موسى وادخلهم معه فخروا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى يامره
وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الصاعقة فلما اخذتهم الرجفة اي الصاعقة التي يحصل
منها الاضطراب الشديد قال موسى وهو يبكي ويقول ماذا اقول لبني اسرا
اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
من قبل تسبب اهلاكهم الى شؤمي اتهلكنا بنسبة الشؤم الينا بما فعل
السفهاء بترك الايمان بما سمعوا اذ منعوا الرؤية مع ان غايتهم انهم منعنا
وقد منعنا الرؤية ان هي اي ليست منح العلة منهم الا فتنتك ابتلا
حين اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك ثم اجترؤا على ترك الايمان بما
سمعوا منك بدون رؤيتك تضل بها من تشاء حتى لا يؤمنوا بما سمعوا
بانفسهم منك وتهدي من تشاء بمزيد الفهم لما سمعوا منك حتى يعبروا عن
المنطوق الى ما وراءه والاصل هو الاهداء وانما الاضلال لمن يخذله لكن
انت ولينا فان اضللت مع ذلك اتباعنا فاغفر ذنوبهم بتبعيتهم لنا او
ارحمنا باحيائهم الرافع نسبة الشؤم الينا وكيف لا ترحمنا وانت خير
الغافرين بضم الرحمة الى المغفرة واكتب اثبت لنا في هذه الدنيا حسنة
هي الثناء الحسن بدل نسبة الشؤم وفي الاخرة حسنة بثنائك وثناء خلقك
وليس طلبنا الثناء منهم لاجلهم بل انا هدنا رجعنا من كل ما سواك اليك
فطلبنا الثناء منهم انما هو ليدل على القبول منك قال عز وجل لموسى صدقت
في اني خير الغافرين اذ عذابي اصيب به من اشاء وهم بعض العصاة
من عبادي ورحمتي وسعت كل شيء من العصاة والمطيعين فلابد
ان اضم الرحمة الى المغفرة في حق من اغفر له واذا كان من رحمتي نصيب

للعصاة

فسأكتبها اثبتها للذين يتقون المعاصي ويؤتون انفسهم وغيرهم الزكوة
اي الطهارة عن الاخلاق الذميمة والذين هم باياتنا يؤمنون فيصححون
الاعتقادات وكملوا في ذلك اذ هم الذين يتبعون الرسول اي الذي ارسل
الى الخلائق لتكميلهم لكونه النبي الذي نبئ باكمل الاعتقادات والاعمال
والاخلاق والاحوال والمقامات من جهة الوحي لكونه الامي لم يحصل
علما من بشر وكان من المعجزات المؤيدة بتصديق الكتب السابقة عليه
اذ هو الذي يجدونه باسمه وصفاته مكتوبا كتابة لا ريب لهم فيها لكونه
عندهم لا عند خصومهم لا في كتاب واحد بل في التورية والانجيل
وقد تايد بعموم ارشاده اذ يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فيفيدهم
كل خير ويدفع عنهم كل شر ولا يخل بذلك نسخه بعض الاحكام الفرعية اذ
يحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم لمعاصيهم ويحرم عليهم الخبائث
وان كان منها ما لم يحرم عليهم اذ لم يعتن بهم في رفع انواع الخبث عنهم
هذا في باب الماكولات وفي العبادات يضع عنهم اصرهم اي التكاليف
الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة والاغلال
التي كانت عليهم اي الشرائط التي كانت تمنعهم من النشاط في العبادة
فاذا وجبت الرحمة لمؤمني الامم السابقة التي دون اتباعه فالذين امنوا به
ولم يستهينوا به بالنسخ بل عزروه اي عظموه بتخصيصه بالكمالات في كل باب
وان كان فيه الرخص ونصروه بدفع الشبه عن دينه وبيان كمالات نواسخه
وان كان فيه رخص ولم ياخذوا فيها بالشبه بل اتبعوا النور الذي انزل
معه فاخذ منه ما يدل على كمالات نواسخه مما هو من الدلائل العقلية المؤيدة
بالاعجاز اولئك هم المفلحون الفائزون بكمال تلك الرحمة بل لا رحمة على
من خالفه وان اتبع تلك الكتب فان زعموا ان النبي الامي انما هو مبعوث
الى الاميين لما في بعض الكتب السالفة اني باعث اميا في الاميين قل لا ينافي

ذلك عموم البعث يا ايها الناس اي يا من ثبت عموم بعثي المذكور في نصوص
اخر يكفيكم فيه بعد اعترافكم بنبوتي ان اقول اني رسول الله اليكم جميعا
ولا يبعد عموم البعث على الله اذ هو الذي له ملك السموات والارض
اذ لا اله الا هو ولا يبعد عليه نسخ احكامه وان كانت قديمة لوروده على
تعلقها فله ان يحدث تعلقا لحكم وينفي تعلقا لاخر كما انه يحيي ويميت واذا
كان له الاحياء والاماتة كان له الاثابة والمعاقبة فآمنوا بالله وهو انما يتم
بمعرفته واتمها ما جاء به اكمل رسله فلا بد من تصديق رسوله النبي الامي اي
الذي نبئ ما يرشد الخلائق كلهم مع كونه اميا ويدل على عموم انبائه انه
الذي يؤمن بالله وكلماته المنزلة في كتبه على نهج التفصيل واذا كان له عموم
الانباء فاقل ما في متابعته انه يرجى منها الاهتداء اتبعوه لعلكم تهتدون
فان قيل لو رجي في متابعة الاهتداء لتسارع اليه اهل الكتاب قال تعالى
ومن قوم موسى المنسوبين اليه بالحقيقة امة يهتدون به بل يهدون بالحق
اي بالدين الثابت الذي لا ينسخ مع كونه ناسخا لما في كتابهم وانما كان ناسخا
لكونه اعدل فهم به يعدلون ولا يضر اختلافهم فيه لانه عادتهم القديمة اذ
قطعناهم في عهد موسى اثنتي عشرة اسباطا عددا اولاد يعقوب اذ مع
رجوعهم الى اصل واحد صاروا امما مختلفة ويدل على افراطهم فيه انهم لم يجتمعوا
على ما رواه احد لذلك اوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك الحجر لاخراج
الشيء من ضده على خرق العادة ليكون اية داعية الى الاتفاق لكنه
لما امتنع بالذات جعل اية على الاختلاف فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
ليختص كل سبط بعين ويبالغ في قطع النزاع لو تخيروا اذ قد علم كل اناس
من سبط مشربهم على التعيين من اول الامر بل لا يبعد منهم الاجماع على الكفر
كما اجتمعوا على كفران النعم وذلك انا ظللنا عليهم الغمام لئلا يضيق صدرهم
في التيه من افراط ما يصيبهم من حرارة الشمس وانزلنا عليهم المن وهو

الترنجبين والسلوى وهو السماني لئلا يضيق عليهم الصبر بعدم الترفه في الطعام
ولم يكن انزالهما بطريق الابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكذلك انعمنا عليهم بهذا الرسول
فجعلناه عليهم ظلالا وافعاله واقواله الطيبة بمنزلة المن والسلوى وما ظلمونا
بمنع انعامنا او ظهور ديننا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بمنع الانعام والدين
المستغنم عنها ومما يدل على افراط ظلمهم انهم اذ قيل لهم لما لم يصبروا على طعام
واحد اسكنوا هذه القرية اريحا او بيت المقدس وكلوا منها اجناس الاطعمة
من حيث اي مكان شئتم وقولوا حطة اي اسقاط الخطيئات الناشئة
من اكل اطعمة مترفة تدعو الى اشربة مختلفة وادخلوا الباب سجدا امتثالا
ليكون مانعا من استكبار ما نغفر لكم خطيئاتكم مما ذكر وغيرها وان شكرتم
ونظرتم الى المنعم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم اعتدادا بالظلم
قولا هو حطا سمقاثا اي حنطة حمراء وهو وان قارب المامور لفظا كان غير
الذي قيل لهم في المعنى وسوء المشابهة اللفظية يضر عين الاستهزاء فارسلنا
عليهم رجزا عذابا من السماء لا بهذا الامر وحده بل بما كانوا يظلمون و
تعارف منه اية البقرة تزيين التعظيم ثم لعظم التكليف بدخول قرية العدو
بخلاف السكون بعده وبالفاء لان الاكل يكون عقيب الدخول لا السكون
ورغدا لان الاكل عقيب الدخول لا يتسع اتساعه حال السكون وتقديم
الدخول ثم لان الدعاء يقتضي حسن التذلل وتأخيره هنا لانه يقتضي استدامته
الى الاستجابة والواو ثم يشير الى الجمع بين المغفرة والزيادة وحذفها هنا
يجعل الزيادة دليل المغفرة والانزال ثم يدل على الشدة والارسال هنا
على الكثرة ويفسقون ثم يشير الى ان ظلمهم كان ناشئا من فسقهم السابق
واسألهم اعتراضا عليهم لو نفوا ظلمهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة
منه ايلة او طبرية الشام او مدين اذ يعدون حد الله في ادنى الاشياء

ومن الحيتان حتى انتهوا الى الكفر في السبت الذي امروا بتعظيمه فابتلوا بتحريم
الصيد فيه اذ تاتيهم حيتانهم التي آثروها على امر الله يوم سبتهم الذي اختاروه
على الجمعة شرعا متتابعة وضاق عليهم الصبر على تركها لانه يوم لا يسبتون لا
تاتيهم اصلا الى السبت ثم صيدوها يوم الاحد ففعلوا ذلك ثم اجترؤوا على
السبت وقالوا ما نراه الا وقد احل لنا ولم يعلموا انه كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون فان الله يبتلي الفاسق بما يزيده فسقا ليزيده عذابا فصار اهل
القرية ثلاث فرق فرقة عملت وفرقة سكتت وفرقة نهت والحقت الساكتة بالفاعلة
في الكفر اذ قالت امة منهم هي الساكتة منكرين على الناهين لم تعظون قوما
الله مهلكهم بالكلية في الآخرة او معذبهم في الدنيا عذابا شديدا قالوا نهينا
معذرة الى ربكم الذي امر بالنهي عن المنكر ولو لم يامر بذلك لكان اولى
ايضا لعلهم يتقون فيتوبون فينجون عن الاهلاك الكلي والتعذيب الشديد
فلم يبال بقولهم الساكتون كما لم يبال به الفاعلون فلما نسوا اي الفاعلون والساكتون
ما ذكروا به ما وعظهم الناهون انجينا الذين ينهون عن السوء لخلوهم عن
معصية الفعل وترك النهي واخذنا الذين ظلموا بالفعل او ترك النهي
بعذاب بئيس شديد بما كانوا يفسقون بفعل المنهي او ترك الواجب
ولم يكن يواخذهم بمجرد التعدي المذكور بل باستباحة ذلك لاستلزامها الكفر
فلما عتوا اكثروا اتباعا عدوا عما نهوا عنه حتى كفروا قلنا لهم للفاعلين و
الساكتين على لسان داود كونوا قردة خاسئين صاغرين لاستصغاركم
امر الله او استقباحكم ما استحسنه الله قيل كره الناهون مساكنة الفريقين
فقسموا القرية بجدار فيه باب فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من الفريقين فقالوا
ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم لكن القردة تعرفهم
فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث فلو قالوا
انه مختص بطائفة لم يكن منها احد ولسنا على حالهم رد عليهم بانهم لو لم يكونوا امثالهم

لم يذللوا اذ لا لهم ولكنهم اذ لو اذلوا لهم اذ نالوا اذن ربك اي عزم لان العازم
على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم لذلك اجيب بجوابه
ليبعثن ليسلطن عليهم لا بطريق الابتلاء لامتداده الى يوم القيمة من يسومهم
يريدهم سوء العذاب فبعث عليهم بعد سليمن بخت نصر فخرب ديارهم
وسبى ذراريهم ونساءهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى
المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقاتلهم واجلاهم ثم ضرب عليهم
الجزية فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة جازاهم بذلك قبل يوم القيمة
مسارعة الى عقابهم ان ربك لسريع العقاب ولكن لا يعاقبهم معاقبة
اخروية لئلا يكون ملجئة لهم الى يوم الايمان فيرغب عليهم انه لغفور كيف وقد استوجبوا
باعترافهم به نصيبا من رحمة وهو رحيم ولكن لا يغفر لجميعهم ولا يرحمهم يوم القيمة
اذ قطعناهم فرقناهم في الارض التي هي مزرعة الغفران والرحمة في الآخرة فصاروا
امما مختلفة يستوجب اختلاف الجزاء اذ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك اي
من انحط عن درجة الصلاح لكفر او فسق ودللناهم على اختلاف الجزاء اذ
بلوناهم بالحسنات والسيئات التي هي امثلة جزاء الصلاح والفسق لعلهم يرجعون
عن اسباب السيئات الى اسباب الحسنات وهذا الاختلاف انما
كان منهم في قرن بعد قرن من موسى عليه السلام مع طراوة الوحي اما الآن
فخلف من بعدهم خلف فجار من بعد قرنهم قرن ورثوا الكتاب من المختلفين
لكنهم اتفقوا على استبدال الكتاب بادنى الاعراض اذ ياخذون عرض
هذا الادنى اي الامر الذي لا يستقر مع كونه من هذا الادنى بدل الكتاب
فيحرفون حكمه من اجله ويزعمون انه حكم الله في كتابه ويقولون بطريق التحكم
على الله سيغفر لنا ولا يستغفرون بل ان ياتهم عرض مثله فضلا عن الاعلى
ياخذوه بدلا عن الكتاب وكيف يتاتى لهم هذا التحكم على الله مع نقضهم
ميثاقه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي ميثاق الله في كتابه ان لا يقولوا

على الله الا الحق فلو صح ما يحكوا به على الله لم يكن لاخذ هذا الميثاق معنى
وليس اخذهم عن جهلهم بذلك الميثاق اذ درسوا ما فيه ولا يكون العرض
خيرا من ثواب الاخرة عندهم اذ الدار الاخرة خير في نصوص كتابهم
للذين يتقون اخذ هذا الادنى بدل الكتاب وعوض ذلك اتاخذون
الادنى العارض بدل الجزاء الباقي فلا تعقلون كيف ولا يمنع ذلك
الجزاء من هذا الادنى اذ الذين يمسكون بالكتاب يقومون بمصالح الخلق
فلا بد وان يقوم الله بمصالح من اقام الصلوة والمتمسكون بالكتاب
اقاموا الصلوة التي قال الله تعالى فيها وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك كيف والرزق الدنيوي من جملة
الاجر على الاصلاح العام فلا يضيعه انا لا نضيع اجر المصلحين و
لا يبعد نقضهم ميثاق الكتاب لكراهتهم اياه اولا فاذكر اذ نتقنا فلعنا
الجبل فجعلناه فوقهم كانه ظلة سحابة وهم وان راوا فيه وجه الصعود
ظنوا لثقله الموجب للنزول انه واقع ساقط لاصق بهم لو لم ياخذوا
باحكام التورية اذ قلنا لهم خذوا ما اتيناكم من احكام التورية بقوة
عزم على تحمل مشاقها وان ابت نفوسكم تحملها واذكروا ما فيه من العقاب
على تركه ومع ذلك لا نجزم بتقويكم بل غايتكم انكم لعلكم تتقون ولا يبعد
منهم نقض الميثاق الذي وقع بعد الحجاب وقد نقضوا ما وقع قبل
الحجاب فاذكر اذ اخذ ربك من ادم من ظهره ذريته ثم من بني ادم على
ترتيب وجودهم من ظهورهم ذريتهم فجعلهم احياء عقلاء واشهدهم
على انفسهم باقرار ربوبيته وتوحيده اذ قال لهم الست بربكم الذي لا
اشارك قالوا بلى انت ربنا لا رب لنا غيرك ولا نعترف به على الالسن
بل شهدنا به على مواطاة القلوب فاخذ بذلك ميثاقهم كراهة ان تقولوا
يوم القيمة الذي يسال فيه عن الربوبية والتوحيد انا كنا عن هذا اى عن

بصلحهم كيف
وقد قام مع

ربوبيته وتوحيده غافلين في اصل الفطرة فلم يوقظنا العقول ولا اقوال
الرسل او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فكان لهم السبق المانع من
تاثير اللاحق من ادلة العقل والنقل وبهذا السبق وان لم يكن فينا كنا
ذرية لهم حاملة لاسرارهم مع كوننا من بعدهم نتعلم منهم اسم علمه فابطلوا
علينا تاثير العقول واقوال الرسل انا اخذنا بفعل الغير افتهلكنا بما فعل
المبطلون تاثير العقول واقوال الرسل فازلنا الشبهتين بان يمنا قرار الربوبية
والتوحيد كان في اصل فطرتكم فلم لم ترجعوا اليه عند دعوة العقول و
الرسل وكما فصلنا هذا الامر كذلك نفصل الايات وان لم ننته الى حد
الالجاء بل نجعلها بحيث لعلهم يرجعون الى الفطرة السابقة وان زعموا انهم
اخذوا بما يتبعه لكنهم تاركين للايات اتل عليهم نبا بلعام بن عوراء الذي
اتيناه اياتنا علم الكتاب واسم الله الاعظم فكان مجاب الدعوة فانسلخ
منها خرج منها خروج الحية من جلدها فاتبعه الشيطان جعله تابعا له في تعليم
الجبل المفسد فكان بعد اتباع تلك الايات من الغاوين الذين لا يرجى
هدايتهم وكانت الايات بحيث لو شئنا لرفعناه بها بحيث لا يناله الشيطان
ولكنه تركناه اذ لم يبال لجانبنا ومن جانب موسى والمؤمنين بل اخلد
مال ميلا مؤبدا الى الارض اي عالم السفل ومنعناه في المنام اذ وامرنا
فلم يتبع منعنا بل اتبع هواه لما اهدوا اليه فاجبهم وذلك انه كان يسكن
بلاد العمالقة فقصدهم موسى فاتوه ليدعو عليه فابى فالحوا عليه فقال
حتى اوامر ربي فوامر فنهي في المنام فقال وامرت فنهيت فاهدوا الهدية
فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اوامر فوامر فلم يجب له بشيء فقالوا لو كره ربك
لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فجعل لا يدعو عليهم بشيء الا صرف الله لسانه
الى قومه ولا يدعو لهم الا صرف لموسى فقالوا اتدري ما تصنع فقال فهذا ما املكه
فاندلع لسانه على صدره فقال قد ذهبت منا الدنيا والاخرة فلم يبق الا الحيلة

ومنوا النساء، واعطوهن السلاح وارسلوهن الى عسكر موسى ومروهن
ان لا تمنع امراة ممن ارادها فاذا زنى احدهم كفيتموهم فدخل رجل منهم
امراة في قبته فوقع عليها فارسل عليهم الطاعون مات منه في ساعة سبعون
الفا فدعا موسى فاجر فامر بقتلهما فادمغ واذا اندلع لسانه بعد ما مال
الى الهوى مثل الاحمق الذي قربه الشيطان الى عظم عند كلب فمثله كمثل
الكلب لانه استوى في لحقه ابناء الايات والتكليف بها والتعظيم من اجلها
وعدم ذلك كالكلب يدلع لسانه بكل حال لانه ان تحمل عليه حملا ثقيلا
يلهث يدلع لسانه عن التنفس الشديد او تتركه خاليا عن الاعمال يلهث
وليس ذلك مثلهم لاختصهم بآيات التوراة بل ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا من التوراة او غيرها اذ هم كلاب بسوء تهم الفاسدة لم يتطهروا بالآيات
المطهرة فان انكروا انسلاخهم منها فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
فيعلمون ان قصتهم مثل قصته فيخافون مثل حاله لانفسهم كيف وهي حالة
شنيعة اذ ساء مثلا المثل به القوم الذين كذبوا باياتنا فانهم يحشرون يوم
القيمة بصور الكلاب ولم يظلمهم الله بسلب انسانيتهم بل انفسهم كانوا يظلمون
بابطال الانسانية عليها وانما سلب انسانيتهم مع ان الآيات لتكميلها لانها
ليست هادية بانفسها بل من يهد الله لتحصيل الكمالات فهو المهتدي
لها بتلك الآيات ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما عندهم من الكمالات
فضلا عن تحصيل ما ليس عندهم والكمالاتهم ثم اشار الى ان خسرانهم للكمالات
لخسرانهم اسباب تحصيلها وعدم كون الآيات هادية لهم مع انها انما انزلت
للهداية لفقدانهم اسباب الاهتداء اليها فقال ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم
كثيرا من الجن والانس الذين شانهم تحصيل الكمالات وحفظها ويرشد
لها ما فيهم من العقل والسمع والبصر لهم قلوب لا يفقهون بها آيات الله الدالة
الى الكمالات وحفظها ولهم اعين لا يبصرون بها المعجزات المؤيدة اولئك

في تحقق القلوب والاعين والاذان لهم كالانعام التي لا تحصل بها
الكمالات الحقيقية ولا تندفع النقائص الحقيقية وانما تجر بها المنافع الدنيوية
وتدفع المضار الدنيوية بل هم اضل اذ ليس للانعام قوة تحصيل تلك
الكمالات ودفع تلك النقائص وهم قد خلوا عنها وعن دفع اضدادها
مع ما لهم من تلك القوة اولئك وان كانوا باعتبار تلك القوة فهم اكمل من
الانعام هم الغافلون عن تلك الكمالات والنقائص لتهمهم لتحصيلها
ودفعها استهمام لجر المنافع الدنيوية ودفع المضار الدنيوية فهم اردأ
حالا من الانعام لنقصهم مع وجود قوة الكمال فيهم ثم اشار الى ان
الكمالات الانسانية انما هي في دعوة الله تعالى باسمائه وقد صار واضعها
اضل من الحيوانات اذ هي تسبح بحمده ببعض تلك الاسماء وهؤلاء يلحدون
فيها فقال ولله الاسماء الحسنى لاستدعاء الى مظاهر تجليها ليمال اليه بها
فادعوه بها ليفيض عليكم كمالاتها المعربة لكم اليه وتابعوا في ذلك امرهم وذروا
متابعة الذين يلحدون يميلون في اسمائه فيجعلها المظاهر حتى اذا لم تصلح
تجلها اخذ منه مشتقا كاللات من الله والعزى من العزيز فان متابعتهم
اقبح من متابعة الانعام في افعالها التي لا تليق بكم لانها لا تجزى عليها وهؤلاء
سيجزون ما كانوا يعملون فيسلب انسانيتهم ويحال بينهم وبين ما يشتهونه بجحودهم
وكيف لا ينبذون متابعة الملحدين مع ان في متابعة المحققين غنى عنها اذ
وممن خلقنا امة يهدون بالحق بالطريق الثابت من الاستدلال بظهور اسمائه
في المظاهر عليه وبه يعدلون عن المظاهر وصور الظهور الى ذاته واسمائه فيجب
متابعتهم وان خلوا عن الخوارق ولا تغتر بخوارق الملحدين لانهم بالحادهم
مكذبون بآيات الله الدالة على ربوبيته للمظاهر المانعة من اتخاذها اربابا
من دونه والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم اي نستنزلهم قليلا قليلا من
حيث اي من طريق لا يعلمون انهم يستنزلون اذ نعطيهم الخوارق ومن

استدراجي اياهم اى املى لهم ان كيدى متين اى امهلهم ليزدادوا انما
فيها لزم الحجة لانه وسع لهم وقت التفكر لكنهم لا يتفكرون فينسبون رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الجنون انسبون اليه الجنون ولم يتفكروا
ليعلموا انه ما بصاحبهم من جنة بل كوشف ما وراء طور العقل لانداد
العقلاء عما حجبوا عنه ان هو الا نذير مبين لما حجبوا عنه ان عمون انهم
ادركوا الاشياء بعقولهم ولم ينظروا بها فى ملكوت السموات والارض ولا
فى حقائق ما خلق الله من شىء فانها لا تنكشف فى طور العقل لقصوره عن
التميز بين الذاتيات والعوارض اللازمة للاشياء ولا فى اجالهم ولا فى
مقتضى عدم اطلاعهم عليها وهو ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولا
فى مقتضى ذلك وهو المبادرة الى الايمان ولو وقفوه على الكمل الاحاديث
فباى حديث بعده يؤمنون مع انه لا اكمل من المعجز الجامع لكل ما يفيد
الهداية لكن من يضلل الله فلا هادى له كيف والهداية منوطة بالنظر
ولا تاتى من اهل الطغيان والله تعالى لا يخرجهم عنه بل يذرهم فى طغيانهم
يعمهون يتحيرون ومن عمههم فى الطغيان انهم اذا امروا بالايمان بالساعة
يسالونك عن الساعة ايان اى فى اى وقت مرسيها اى استقرارها فانا نؤمن
قبل ذلك الوقت قل لما كان سر اعلام بوقتها مانعا من الايمان فى الحال انما
الله يعلمها انما علمها عند ربى وهو وان جعل لها اشراطا لم يجعل لها دلالة
على وقتها فهى لا يجليها لوقتها الا هو لا شىء من اشراطها وكيف لا يخفيها
والمقصود منها التخويف وهو فى اخفائها وفيها انه ثقلت عظمت فى اهل
السموات والارض فلا يسوغ لهم ترك الاستعداد لها بحال وهى وان كان
لها اشراط سابقة لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة وهم مع هذا البيان
فى اخفائها يسألونك كانك حفى شفيق عليهم عنها اى عن وقوعها بغتة عليهم
ليؤمنوا قبيل ذلك قل انما تاتى منى الشفقة فى البيان لو تيسر لى لكن انما علمها

محض
اى علم اتيانها بغتة عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه عز وجل
يعلمها فان زعموا انها اذا وقعت بغتة وات حتى بيناهل يقدر على جلب نفع
او دفع ضر لنا فى ذلك الوقت قل كيف يتاتى منى الدفع والنفع مع انى لا املك
لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله تمليكه لى ولو كنت اعلم الغيب كله لاستكثرت
اى حصلت كثيرا من الخير الذى فاتنى وما مسنى السوء الذى مسنى ان انا الا
نذير وبشير فلا يلزمنى ان اعلم من الغيب الا ما ابشر به او انذر فان لم يخف
ولم يستبشر به من يشترط اطلاع الرسل على الغيب كله فلم يستفد بهما فانما
مفيد بهما لقوم يؤمنون بان الله تعالى يبين بعض الغيوب وان الرسل
انما يطلعون على غيب ما يبشرون به او ينذرون عنه او ما يعين فيهما وان
الله اراد معاقبة البعض واثابة البعض وكيف لا يبين الله بعض الغيوب
مع انه لم يطلع آدم عليه السلام على ما فيه من اسرار اولاده وان علمه
الاسماء كلها اذ هو الذى خلقكم من نفس واحدة هى آدم فيه سر اولاده
وسر زوجته ايضا اذ جعل منها زوجها وكيف لا يكون فيه سرها وقد خلقها
ليسكن ليميل اليها ميل الكل الى جزئه وهو كثيرا ما يفيد المايل الاطلاع على
اسرار من مال اليه ومع ذلك لم يعلم هو ولا زوجته ما فى بطنها ومخرجه منها
وذلك ان الميل اليها اوجب غشيانها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا لم تلق
فيه ما يلقى الحوامل من الاذى فلم يستدلا به وامها على انها الغاية وان
كان فى الوسط ما كان لكنهما نظرا الى الوسط فلما اثقلت صارت ذات
ثقل بكبر الولد اتيها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك لعل فى بطنك
كلبا او بهيمة وما يدريك من اين يخرج انشق له بطنك فخافت من ذلك
وخاف زوجها حتى دعوا الله ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا مستويا
لنكونن من الشاكرين فقال لهما ابليس انى من الله بمنزلة ان دعوته فجعله ملكا
وسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه بين الملئكة الحارث

نعمة البداية على خفة النهاية
فمرت به اى فاستمرت على
الخفة فلم يستدلا صح

فعبدا على ظن ان الحارث بالجملة من الله فاراد ان يوهم اولادهما كونهما
مشركين ليتبعوهما وان لم يشعرا بذلك فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما اى فى اسم ولد آتاهما من حيث لا يشعران به اذ سمياه عبد الحا[رث]
فيوهما اولادهما ذلك فتعالى الله عما يشركون اى اولادهما ايشركون
بخالق الاشياء ما لا يخلق شيئا وليسوا بقدماء بل حوادث اذ هم يخلقون
وليس لهم ما للانسان من نصر نفسه او غيره اذ لا يستطيعون لهم نصرا
ولا انفسهم ينصرون وليس لهم فائدة الهدى بل ان تدعوهم الى الهدى
لا يتبعوكم بل لا يسمعوا دعاءكم حتى انه سواء عليكم دعاؤكم وسكوتكم بحيث
يشك عند دعائكم فى انهم ادعوتموهم فى وقت من الاوقات ام انتم
صامتون مستمرون على السكوت ان الذين تدعون مع انهم لا يستحقون
الدعوة لكونهم من الله لو كان لهم قوة النصر وفائدة الهداية فغايتهم انهم
عباد امثالكم واحد المثلين لا يستحق عبادة الآخر فان كانوا اكمل منكم
فادعوهم ليؤثروا فىّ فان عجزوا من التأثير فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
فى ان لهم كمالا لا مثل كمالكم او اكثر منه وكيف تدعون لهم كمال التأثير مع انهم
اجسام لا تؤثر بدون الآلة ألهم ارجل يمشون بها ليصلوا الى الشئ
فيؤثروا فيه ام لهم ايد يبطشون بها يتصرفون فى الشئ عند الوصول اليه
ام لهم اعين يبصرون بها فيؤثرون فى المرئى لمجرد الرؤية ام لهم آذان يسمعون
بها فيؤثرون فى المسموع بمجرد القصد فان زعموا ان لها تأثيرا باحد هذه
الوجوه او غيرها قل ادعوا شركاءكم ليؤثروا فىّ ثم ان عجزوا عنه ليسعدوهم
به كيدون بضر لا اشعر به حتى لا يمكننى دفعه ولو حصل اطلاعى على كيدكم فلا
تنظرون مدة اطلع فيها على كيدكم فان كان لها ذلك التأثير فلا ابالى له وان
لم اشعر ان وليى الله الذى لا يغالبه تأثير شئ ويدل على انه تولانى انه
الذى نزل الكتاب الجامع لانواع التأثير والدفع جمعه لانواع المعجز و

ودفع الشبه وغير ذلك فكيف لا يتولانى وهو بحسب سنته يتولى الصالحين
فلا يمكن احدا من اضرارهم والذين تدعون من دونه لا يتولون احدا اذ لا
يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اذا قصد اضرارهم ولو تولوا فليس
عندهم اجل فوائد التولى وهو الهداية بل ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
اذ ليس لهم سمع وان صورت لهم الآذان كما انه لا بصر لهم وان كنت تراهم
ينظرون اليك اذ صورت لهم الاعين وهم لا يبصرون وان حاولوك فى
شركائهم بعد هذا البيان خذ العفو مكان الغضب ليكونوا اقبل للنصيحة
وأمر من توهمت فيه قبولها بالعرف التوحيد بدلائل معقولة المقدمات و
اعرض عن الجاهلين المصرين على جهلهم واما ينزغنك من الشيطان نزغ
اى وان يحصل نخس من الشيطان اياك مثير للغضب منك على جهلهم و
اساءتهم فيما امرت فيه بالعفو والامر بالعرف فاستعذ استجر بالله وادعه
فى دفعه انه سميع لدعائك ولو حال الغضب بل لا يحتاج الى الدعاء لانه عليم
باستعاذتك بل لا حاجة لك الى الاستعاذة لكمال تقواك ان الذين اتقوا
اذا مسهم خاطر طائف دائر حول القلب من الشيطان تذكروا ما فيه
من المكر فاذا هم مبصرون لما عليه الامر فى نفسه واخوانهم وهم الذين
لم يتقوا الاتيان لهم التذكر ولا ينفع فيهم الاستعاذة اذ الشياطين يمدونهم
بكثير الشبه والتزيين والتسهيل فى الغى الضلال ثم ان بولغ عليهم فى الو[عظ]
بآيات الله واقامة الدلائل ودفع الشبه لا يقصرون عن الغواية ويدل عليه
انك اذا لم تأتهم بآية اقترحوها قالوا لولا اجتبيتها انشأتها من
اختيارك طريقة تشبه الاعجاز قل انها معجزات بالحقيقة ولا دخل لاختيا[رى]
فى انشائها بل انما اتبع ما يوحى الىّ بطريق الاعجاز ليعلم انها تصديق
لى من ربى وكيف لا يكون تصديقا وليس فيه شئ من الاغواء اذ هذا الوحى
بصائر امور كشفية يعلم المكاشفون انها من ربكم وهدى دلائل قطعية

ورحمة ترفع شبهها لكن جميع ذلك انما يظهر لقوم يؤمنون فيتفكرون في جماعة
ومن اراد ذلك استمع له وانصت ولذلك قال واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الامام في الجهرية
للاجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر
في غير الصلوة مع ان الامام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم لعلكم
ترحمون بالاطلاع على اعجازه وفوائده الغير المتناهية في الدنيا والآخرة
ثم اشار الى ان تلك البصائر والهدى والرحمة لمستمع القرآن مع الانصات
انما يتم بذكر الله تعالى فقال واذكر ربك في نفسك باطنك تضرعا اي
متضرعا يعني متذللا وخيفة وباللسان فوق السر دون الجهر من القول
ليسري اثر كل واحد منهما الى الآخر ويجتمعا على الذكر ليكون ذاكرا بالكلية
اذ يسري منهما النور الى سائر الاعضاء بالغدو وقت ابتداء النور
ليكمل والآصال وقت انتقاصه لئلا ينتقص ولا تكن فيما بين ذلك من
الغافلين بالكلية بل لا بد وان يكون ذاكرا بالقلب وان اشتغل لسانك
ولا تستغن بذكره عن عبادته فانه نوع من التكبر يحرز به اهل القرب
ان الذين تقربوا الى الله حتى صاروا عند ربك في اعلى مقامات
القرب لا يستكبرون عن عبادته ولا يستغنون بعبادته عن ذكره
بل يسبحونه ولا يدعون الكمال لانفسهم عند ذلك بل له يسجدون ثم
والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله اجمعين
سميت بها
لانها مبدأ نسخ السورة ومنتهى ما ذكر فيها من امر الحروب بسم
الله الجامع للطف والقهر باعطاء قوم نظرا وما لا وسلبهما من آخرين
الرحمن بجعل الانفال نعيما لرحمة بهيئة للمباشرين للحرب وغيرهم
الرحيم بامرهم بالتسوية واصلاح ذات البين فيهما روي انه صلى الله عليه





وسلم قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فتسارع
الشبان فقتلوا سبعين واسروا سبعين وبقي الشيوخ تحت الرايات
فلما فتح عليهم قام الشبان يطلبون نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ
كنا لكم ردءا وفئة تحازون اليها فلا تستأثروا به علينا فاعرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الفريقين فنزلت يسألونك عن الانفال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية لما راى وعده مبطلا
لحق الغانمين الذي جعله الله لهم وقال الشافعي رضي الله عنه لا يلزم
الامام الوفاء بما وعد والنفل ما يشرطه الامام او نائبه لمن يتعاطى فعلا
مخطرا كتقدم طليعة او تهجم على قلعة او دلالة على طريق بلد والمعنى ان
اصحابك الذين حملهم طلب الاجر الاخروي بالجهاد تنازعوا في هذا المال
حتى يحاكموا اليك يسألونك من يستحقه قل الانفال ليست في مقابلة الجهاد
وانما مقابلة الاجر الاخروي وهذا زائد عليه خرجت عن ملك المشركين
فصارت ملكا خالصا لله ورسوله خليفته فهي في يد الرسول يعطيها باذنه
من يشاء فاتقوا الله ان تتصرفوا في ملكه بغير اذنه واصلحوا ذات بينكم
اي حالة الوصلة الايمانية بينكم فلا تقطعوها بما ليس لكم واطيعوا الله ورسوله
لو كانت لكم ان كنتم مؤمنين جارين على مقتضى الايمان من التقوى و
الاصلاح والاطاعة ثم اشار الى ان الجريان على مقتضى الايمان لا يحصل
بدون التقوى التي هي مرجع الباقيين فقال انما المؤمنون اي الجارون
على مقتضى الايمان هم الذين اذا ذكر الله اي حقه وجلت خافت من سطوته
قلوبهم فيتبعها سائر اعضائهم واذا تليت عليهم آياته الدالة على عظمته لمن
خاف سطوته حقيقة زادتهم ايمانا ناطقا بيقينهم بما عنده فلا يؤثرون عليه شيئا
وكيف يؤثرون عليه شيئا ولا يتوكلون بل على ربهم يتوكلون والمتوكلون
عليه هم الذين يقيمون الصلوة بلا وسوسة وهي اعظم اسباب القرب الى

الله تعالى ولدفع الوسوسة الناشئة من حب المال ومما رزقناهم ينفقون في
سبيلنا ايثارا لجنابنا عليه اولئك المؤيدون حب الله على حب ما سواه هم المؤمنون
حقا اى البالغون اعلى مراتبه لهم درجات عند ربهم بدل درجات
الاموال عند الخلق على ان الاموال من اسباب المعاصي وسولا لخروجهم
من جهة لهم مغفرة ولا يفوتهم الرزق المطلوب من الاموال بل لهم رزق
كريم تخدمهم به الملوك ومن دونهم لتقربهم الى الله بالصلوة والقطع عن
محبة المال ثم اشار الى ان حصول تلك الدرجات والمغفرة والرزق
الكريم لهم مع كراهة فريق منهم فوات النفل لحصولها للخارجين من المدينة
الى بدر مع كراهة فريق منهم القتال وفوات العير فقال كما اخرجك اى
للمؤمنين حقا ما ذكر كما ساء لك ولاصحابك حين اخرجك ربك الذى
رباك بالنبوة ليربيك بالنصر على وجه الاعجاز من بيتك من المدينة التى
لا قتال فيها الى بدر للقتال بالحق بالوحى الموافق للحكمة باظهار المعجز في
نصرك من غرابته وان فريقا من المؤمنين الذين مقتضى ايمانهم امتثال
امر الله وان لم يظهر لهم فيه فائدة لكارهون لامتثال امره بالجهاد لعدم
تأهبهم حتى انهم يجادلونك في الجهاد الحق بعدما تبين انهم ينصرون فيه
على خرق العادة كانما في التشبيه يساقون الى الموت سوق الدواب
الى الذبح وهم ينظرون الموت قبل الوصول الى مكانه وذلك ان عير قريش
وفيها اربعون راكبا وفيهم ابو سفيان اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة
فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة
الاموال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا الى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ
ببطن الوادى يا معشر قريش منعة اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد
في اصحابه الغوث الغوث فمضوا الى بدر وكان صلى الله عليه وسلم بوادى
دفران فنزل عليه جبرئيل بوعد احدى الطائفتين فاستشار صلى الله

عليه وسلم اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا
للعير فقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فغضب صلى الله عليه وسلم فقال المقداد بن عمرو
يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما
قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى
برك الغماد مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه فقال صلى الله
عليه وسلم له خيرا ودعا له ثم قال صلى الله عليه وسلم اشيروا على ايها الناس
يريد الانصار القائلين له حين بايعوه على العقبة انهم برآء من كل ذمامه حتى
يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقال
سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودا
ومواثيق على السمع والطاعة لما امرت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان
تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب ونصدق عند اللقاء ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينيك ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى الآن احدى الطائفتين
والله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم فهذه كراهتهم للقتال واما كراهتهم
لفوات العير فهى اذ يعدكم الله احدى الطائفتين العير او النفير انها
معهودة لكم وتودون تحبون ان العير لكونها غير ذات الشوكة الحدة
مستعار من واحد الشوك تكون لكم ويريد الله ليجعل النفير لكم ان يحق
الحق يثبت النبوة بكلماته اى من غرابة منكم ولم يرد غلبة مالكم بل اراد ان
يقطع دابر الكافرين باستئصالهم فلا يترك لهم من يخلفهم فعل ذلك ليحق

الحق ليثبت الدين الصادق باظهار المعجزات ويبطل الدين الباطل
باستيصال اهله مع ظهور شوكتهم وليس لموافقة طائفة منهم في الباطن بل ولو
كره المجرمون كلهم فعل ذلك اذ تستغيثون ربكم وسواه صلى الله عليه
وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل
القبلة ومد يديه ودعا اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم لصدق
استغاثتكم بامر هو مراده اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين تابعين
للمشركين هذا اذا كسر فان فتح فمعناه مجعولين مقدمة او ساقة والزيادة
المذكورة في غير هذه الاية لمجرد التخويف وما جعله الله اي الامداد الا
لتستبشروا لكونه بشرى لكم بانكم اهل الامداد السماوي ولتطمئن به قلوبكم
لا للنصر اذ لا اثر للاسباب وان جرت سنته عندها وما النصر الا من
عند الله ان الله عزيز غالب على الاسباب فله ان يفعل بخلاف مقتضاها
لكنه لا يخالفها لانه حكيم ويدل على كونه للطمانينة انه كان اذ يغشيكم يغليكم
النعاس النوم الذي يسلب عن الخائف فكان امنة منه ومن اعتنائه
بكم الدال على نصره اياكم انه ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث
والجنابة لمناسبة فتستفيضوا منه النصر فيفيضه عليكم هذا في الظاهر وفي
الباطن يذهب عنكم رجز الشيطان وسواسه وذلك انهم كانوا نازلين في
كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على
الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم
تصلون محدثين جنبا وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل
الله المطر ليلا حتى جرى الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا ويدل
على اذهابه رجز الشيطان انه كان ليربط على قلوبكم الوثوق على لطف الله

ان م

بالفعل م



وهذا تثبيت للباطن ويثبت به الاقدام على الوحل لتلبده في الظاهر وقد
ثبتها في المعركة بامداده عز وجل اياها بالملائكة اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم انصركم على الشيطان الموسوس فثبتوا الذين آمنوا بدفع الوسواس
ولا امكن الشيطان من تقوية قلوب المشركين بل سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب الخوف من روية الملائكة ولا تقتصروا على تخويفهم بل قاتلوهم
فاضربوا فاقطعوا اعناقهم بوضع السيوف فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان اي طرف قال ابن عباس اشتد رجل من المسلمين اثر رجل
من المشركين فاذا هو قد خر مستلقيا امامه قد خطم انفه وشق في وجهه
كضربة السوط فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من
مدد السماء الثالثة ذلك وان بعد عادة لا يبعد حكمة لكونه بانهم شاقوا
عادوا الله فلا يبعد ان نزل عسكر من جانب سمائه كيف وقد عادوا
رسوله وعداوة الرسول عداوة المرسل ولا يبعد امرهم بالضرب فوق
الاعناق وضرب كل بنان لانه نوع من الشدة التي يستحقها اعداء الله
ورسوله فان من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب وشدة
عقابه وان كانت مختصة بالاخرة فلا بد في الدنيا من مثال لها يدل عليها
فيكون ذلكم مثالها ودليلها ولا يتم دلالته الا بالذوق فذوقوه وهو وان
كان مثالا لها فليس قائما مقامها لذلك ان للكافرين عذاب النار يا ايها
الذين آمنوا مقتضى ايمانكم اعتقاد ان النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه
وان له شدة على اعدائه لذلك اذا لقيتم الذين كفروا فانهم من كثرتهم
كانهم يمشون مشي الصبيان يزحفون على مقاعدهم زحفا فلا تولوهم
الادبار اي الظهور بالانهزام ومن يولهم يومئذ فيه اشارة الى انه يجوز
توليتهم الظهور فيما لا تعبد بهم فيه على الاسلام دبره الا متحرفا عائدا للقتال
بعد ايهامهم الانهزام او متحيزا صائرا الى مكان فئة جماعة فيه لتتبعه العدو

فيستعينون بهم فقد باء رجع بغضب من الله مناسب لعظمة لانه ضيع نصر
الله له وافاد العدو القاهرية بعدما استحق المقهورية ومأواه جهنم
لكونه سبب قتل المسلمين فصار كقاتلهم اجمعين وهو وان لم يوجب الخلود
فهو بئس المصير كيف وهو كالمكذب لكون النصر من عند الله بعد رؤيته
على خرق العادة فلم تقتلوهم اذ لم يقتلهم ضربكم ولكن الله قتلهم على ايدي
الملئكة وما رميت رميا موصلا للتراب الى اعينهم اذ رميت التراب على
جهتهم ولكن الله رمى رميا موصلا اليها بعد رميك فعل ذلك ليقهرهم ولكن
امره المؤمنين ليبلي المؤمنين منه لا بلاء فهي عليهم بل بلاء حسنا بالنصر و
الغنيمة انما ابتلاهم ليدعوه فيثني للواله ويشكروا صنيعه عند رؤية حسنه
ان الله سميع لمن دعاه عليم بمن شكره ذلكم كيف لا يكون بلاء حسنا ولا يكون
هذا الابتلاء ابتلاء فهو مكن للكافرين بل يزداد بمكرهم حسنا وان الله موهن
مضعف كيد الكافرين كيف ولا يفيدهم كيدهم شيئا فانه ان تستفتحوا ايها
المشركون بكيدكم فقد جاءكم الفتح بقتلكم واسركم قاله تهكما بهم وكيف يفيدكم
كيدكم مع انكم ان تنتهوا عن كيدكم فهو خير لكم اذ لا يستأصلكم الله حينئذ و
لا يتوهموا انه ان لم يفدكم مرة يفيدكم اخرى بل ان تعودوا الى الكيد نعد الى
الاستيصال ولن تغني لن تدفع عنكم الاستيصال فئتكم جماعتكم شيئا من الغنى
ولو كثرت كيف وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة ولا يكون [illegible] وانما
كان مع المؤمنين اذا اطاعوه لذلك قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله وانما
يتأتى اطاعته باطاعة رسوله لذلك قال ورسوله واطاعتهما بترك التولي عما يسمع
من كلامهما فقال ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون ثم اشار الى انه ليس مقتضى الايمان وحده بل مقتضى الانسانية
ايضا فقال ان شر الدواب كما يكون عندكم فاقد الحواس يكون عند الله
الصم عن سماع كلماته فان سمعوا فهم البكم عن النطق بها فان نطقوا فهم الذين

لا يعقلون ليعملوا بمقتضاها وتلك الشرية من لوازم ذواتهم اذ لو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم سماع قبول فانه ادنى وجوه الخيرية المخرجة من الحيوانية الى الانسانية
ولكن ليس فيهم هذا الادنى حتى انه لو اسمعهم مع علمه بعدم الخيرية فيهم لتولوا
اعرضوا عنه ليعملوا بغير المسموع كيف وهم معرضون معنا دون للاعراض
لانه مقتضى ذواتهم ثم اشار الى ان السماع وان كان ادنى وجوه الخيرية فهو المستلزم
لساير وجوهها لاقتضائه الاعمال التي تعيد حيوة القلب التي بها الانتفاع بساير
وجوه الخيرية فقال يا ايها الذين آمنوا انما يتم ايمانكم بحيوة القلوب الحاصلة من استجابة
الله ورسوله التي هي مقتضى ايمانكم استجيبوا لله وللرسول بالعمل بمقتضى ما سمعتم
من الكتاب والسنة اذا دعاكم باحدهما لما يحييكم اي للاعمال التي تحيي قلوبكم
بنورها واعلموا ان الله اذا لم تستجيبوا له لم يفض الحيوة على قلوبكم بل يحول
يوقع حائل الحجاب بين روح المرء وقلبه فلا يصل الحيوة من روحه الى قلبه
فضلا عن ان يصل من الله اليه وانه لا يترككم في الحجاب بحيث تغفلون عنه
بل اليه تحشرون ليظهر لكم كونكم محجوبين عن كمالاتكم التي من جملتها الحيوة الانسانية
بالله واتقوا في ترك الاستجابة وراء ما يحول بين المرء وقلبه فتنة عذابا
دنيويا قال الله تعالى لها لا تصيبن الذين ظلموا بترك الاستجابة منكم خاصة
بل عمتهم ومن لم ينههم واعلموا ان الله مع ذلك شديد العقاب لتارك الاستجابة
في الآخرة واذكروا ان منعكم ضعفكم عن استجابة الله والنهي عن تركها اذ انتم
قليل ومع قلتكم استجبتم لله ولم يتركوا على ضعف القلة بل زادكم اضعافا
فانتم مستضعفون مستمرون على استضعاف الناس اياكم لعدم تمكنكم
في الارض وان كنتم اقوياء في الامور السماوية لاستجابتكم لله ومع تلك القوة
كنتم تخافون ان يتخطفكم الناس يلتقطكم التقاط الطاير للحبات فازال استجابتكم
لله الخوف من دونه فآواكم جعل لكم مكانا تتحصنون به ولم يقتصر عليه بل جعل لكم
الغلبة عليهم اذ ايدكم بنصره ولم يحوجكم اليهم فيغلبوكم بمنع حوايجكم اذ رزقكم

من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ما سراده الاستجابة والاستدامة
عليها وعلى النهي عن تركها فهو سبب مزيد التخصص ومزيد التايد بالنصر ورزق
الطيبات ثم الشكر سبب اخر للمزيد ثم اشار الى ان الاستضعاف انما يزول
بالاستجابة لا بالخيانة وانها ليست سبب رزق الطيبات والنصر والايواء
مكان من خان من اجله فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم النصح لله ولرسوله
وللمؤمنين لا تخونوا الله والرسول بتضييع شيء من الاوامر والنواهي وافشاء
شيء من الاسرار ولا تخونوا اماناتكم اي ما ايتمنكم فيه احد من الخلايق من مال
واهل وسر وانتم تعلمون غاية قبحها بحيث يمتنع اجتماعها مع غاية الحسن الذي
مقتضى الايمان نزلت في ابي لبابة حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني قريظة فسالوه ان يصالحهم كما صالح اخوانهم بني النضير ان يسيروا الى اريحا
واذرعات فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا
ابا لبابة وكان عندهم ماله واولاده فقالوا اسل ينزل على حكم سعد فاشار الى
حلقه بانه الذبح قال فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فشد
نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يحلني رسول الله صلى
الله عليه وسلم واعلموا اذا اردتم الخيانة لحفظ الاموال والاولاد او ترك
الاستجابة له او ترك النهي عن تركها انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء من الله
هل يشغلونه الى الخيانة او يتركون لها الاستجابة او النهي عن تركها وان الله
عنده اجر عظيم اجل مما فات منهما بالاستجابة والنهي عن تركها او ترك الخيانة
ثم اشار الى ان من ترك الخيانة واستجاب لله ونهى عن تركها فلا يخاف
على اهله وماله وعرضه فقال يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله بمقتضى ايمانكم
فتركتم الخيانة واستجبتم لله ونهيتم عن تركها يجعل لكم فرقانا تمتازون به

سائر الناس والاعداء فلا يجترئ احد على اهلكم واموالكم واعراضكم ويكفر
عنكم سيئاتكم فتبايحكم التي تحتاجون في دفع العار بها الى الخيانة او عدم الاستجابة
او ترك النهي عن تركها ويغفر لكم اسراركم الى الناس اذا فاتوكم في الاستجابة
او فاتكموهم في النهي عن تركها والديون التي عليكم مما تحتاجون الى الخيانة
في ادائها ولا تخافوا الى فاتكم شيء من ذلك اذ الله ذو الفضل العظيم سيتفضل
عليكم بما يسد عليكم الحوائج ويبدل ذلكم غنى ثم اشار الى ان المتقي يجعل
له فرقانا يمنع من الاجتراء على اهله وماله وعرضه ظاهر الحفظ من مكر من مكر به
بل يمكر له على ماكره فقال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك يحبسوك في
بيت يسدون منافذه الا كوة يلقون فيها طعامك وشرابك حتى تموت وهذا راي
ابي البختري بن هشام اعترض عليه ابليس وادخل عليهم حين اجتمعوا بدار
الندوة يتشاورون في امره حين سمعوا بايمان الانصار فاتاهم في صورة
شيخ من نجد فقال بئس الراي لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء
الباب الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم ويأخذوه من ايديكم او
يقتلوك وهذا راي ابي جهل قال اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في قبايل فلا يقوى بنو هاشم
على قتال جميعهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فاستحسنه ابليس او يخرجوك قاله
هشام بن عمرو فاعترض عليه ابليس بانكم تعمدون الى رجل قد افسد
سفهاءكم فيخرجونه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة
لسانه واخذ القلوب ما يسمع من حديثه لئن فعلتم ذلك يستميل قوما اخرين
ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فاتى به جبرئيل عليه السلام واخبره الخبر
وامره ان لا يبيت في مضجعه فقال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ان يلازم
مضجعه متسجيا ببرده فلا يصل اليه منهم ما يكره ثم خرج صلى الله عليه وسلم
واخذ قبضة من تراب فاخذه الله ابصارهم عنه وجعل ينثر التراب

على رؤسهم وسويقرأ انا جعلنا في اعناقهم الى قوله فهم لا يبصرون ومضى مع
ابي بكر رضي الله عنه الى الغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون
انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ساروا اليه ليقتلوه فرأوا عليا
فقالوا اين صاحبك فقال لا ادري فاتبعوا اثره فلما بلغوا الغار رأوا
نسج العنكبوت على بابه فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت اثر فمكث فيه
ثلثا ثم خرج ويمكرون في حق سائر المؤمنين ويمكر الله اي يدبر بخفية ما يبطل
مكرهم في حقهم والله خير الماكرين اي اعظمهم تاثيرا وكيف لا يمكر الله عليهم وهم
يمكرون على آياته فانه اذا تتلى عليهم آياتنا المنسوبة الى عظمتنا لعجزهم
عنها قالوا قد سمعنا مثل هذا من كهاننا لو نشاء لقلنا مثل هذا وان لم يبلغ
حد اولئك البلغاء ولا الاعجاز فيها باعتبار اخباره عن الغيب ان هذا
الا اساطير الاولين اي اخبار كاذبة سطرها الاولون وهذا منهم مع
ايثارهم المقاتلة بالسيوف على مقابلة الحروف وعلمهم بان اخباره موافقة
لكتب الانبياء المتقدمين وما لقوا زعمهم واذ قالوا عندما الزموا الاعجاز
الدال على حقيته اللهم ان كان هذا الكلام الادنى من حد الاعجاز هو
الحق المعجز بحيث يعلم كونه من عندك فامطر علينا بمعاندتنا معك حجارة
نرجم بها على اشد ما يمكن لازدياد ثقلها بكونها من ابعد الاماكن العالية
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ابلغ في الايلام من الاحجار فقال تعالى
دفعا لمكرهم بانه لو كان حقا لعجل عليهم العذاب وما كان الله ليعذبهم
وان تحقق سبب وقوعه على الفور من استعجالهم اياه على اشد وجوه
المعاندة مع الله والمكر بعباده وانت فيهم اي في مكانهم لانه لو نزل فيه
لاصاب كل من كان فيه وما كان الله معذبهم وان امكنه تخليصك من
العذاب النازل في مكانهم وهم يستغفرون اي تتوقع منهم الاستغفار
ثم اشار بان المانعين المذكورين انما منعا من العذاب الدنيوي دون

الاخروي فقال وما لهم ان لا يعذبهم الله على ذلك وقد استحقوه على ما هو
ادنى منه اذ هم يصدون عن المسجد الحرام مع انهم لا يستحقون صد احد
عنه لانه انما يستحقه من كان وليه فان له ان يصد عنه عدوه وما كانوا
اولياءه ولا المؤمنين اعداءه بل الامر بالعكس لانه ان اولياؤه الا المتقون
فلهم ان يصدوا المفسدين عنه ولكن اكثرهم لا يعلمون انهم المفسدون
وليسوا بصلواتهم اولياءه لانه ما كان صلاتهم عند البيت الذي يتوجه
اليه المصلون لغاية حرمته الا مسقطة حرمته لكونها مكاء تصفيرا وتصدية
تصفيقا وتسميتهم ذلك صلوة كفر فذوقوا العذاب على الصلوة التي ادعيتم
بها ولاية البيت بما كنتم تكفرون ثم اشار الى ان صدقاتهم ايضا كفر فقال
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم على نهج الصدقة ليصدوا عن سبيل الله
الذي يطلب بالصدقة قطعه للوصول الى غاية المطالب كالمطعمين يوم بدر
وهم ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه بن الحجاج وابو البختري
بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي خلف وربيعة بن الاسود
والحارث بن عامر والعباس بن عبد المطلب كان يطعم كل واحد منهم الجيش
يوما بعشر جزر فسينفقونها بلا فائدة دنيوية ولا دينية ثم اذا اطلعوا على كونها
بلا فائدة تكون عليهم حسرة ثم لا يقتصر في حقهم على حسرة عدم الفائدة بل
يزداد فيها حيث ينعكس على مطلوبهم اذ يغلبون ولا يقتصرون على مغلوبيتهم
بل الذين كفروا ماتوا على الكفر منهم وهم غير العباس وحكيم بن حزام الى جهنم
لا الى غيرها كشهداء المسلمين يحشرون اي يساقون وانما حشروا الى جهنم
وشهداء المؤمنين الى الجنة ليميز الله الفريق الخبيث من الفريق الطيب
ويجعل العمل الخبيث للفريق الخبيث من الانفاق وغيره بعضه على بعض بلا
فرجة بين العالي والسافل فيركمه اي يكثفه جميعا ليزداد ثقلا فيجعله في
جهنم على راسه لتضعيف العذاب عليه دائما بلا تخفيف اولئك البعداء

في دينه جمع الخبائث هم الخاسرون وجوه الخسارات التي بها التخفيف فإن
زعموا أن من الخبائث المتراكمة لا تندفع بالإسلام وحده فلا فائدة فيه
قل للذين كفروا أصروا على الكفر لرؤيتهم عجزهم عن دفع خبائثهم المتراكمة إن ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف من الخبائث المتراكمة وغيرها فإن نور الإسلام إذا
قوي على إذهاب ظلمة الكفر فهو أقوى على سائر الظلمات وإن يعودوا
إلى الكفر والخبائث بعدما سهل عليهم إزالتهما فكأنهما أزيلا عنهم لم يؤخر أمرهم
إلى الآخرة فقد مضت سنة الأولين بصب العذاب الدنيوي على المعاندين
ولو لم يعجل عذابهم فقاتلوهم حتى لا تكون لا توجد فتنة إضلال لمن بعدهم
ويكون الدين كله لله فلا يسقط الجهاد ما دام أحد على دين باطل فإن انتهوا
بالقتال عن الكفر والخبائث ظاهرا فإن الله بما يعملون ببواطنهم بصير
وإن تولوا أي أخذوا على مقاتلتكم أولياء من الكفار فاعلموا أن الله
مولاكم حافظكم عنهم وناصركم عليهم نعم المولى أي الحافظ فلا يضيع من
تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره ومن توليه لكم قسمة الغنائم بجعل
بعض أقسامها لمن هو سبب نصركم في من نصره إياكم وتوليه لكم اعلموا أنما
غنمتم من شيء قل أو كثر وهو ما أخذ المسلمون عنوة من الكفار فأن لله
الذي منه النصر المفرع عليه الغنيمة خمسه كخمس الركاز شكرا له على نصره وإعطائه
الغنيمة بإخراج جزء منها وذلك الخمس يعطي خواص عباده فيعطي خمس
منه للرسول الذي هو الأصل في أسباب النصر وللإمام بعده يصرفه في
المصالح كنفقة نفسه وأهله والولاة والعلماء والأئمة والمؤذنين وسد
الثغور والأسلحة وغير ذلك ولذي القربى بني هاشم والمطلب لا
عبد شمس ونوفل لأنهم قاربوه في سببية النصر لعدم مخالفتهم إياه في
جاهلية ولا إسلام واليتامى من مات آباؤهم ولم يبلغوا لأنهم
ضعفاء فلهم أثر في النصر ولا يشترط فيهم الفقر والمساكين لأنهم أيضا

ضعفاء كاليتامى وابن السبيل وهو المسافر لأن دعاءه أقرب إلى
الإجابة لكونه بظهر الغيب فله دخل في النصرة وإنما قدرنا كذلك لئلا يلزم
تسديس الغنيمة مع تحريم الغانمين أو جعل الخمس لله والأربعة للخمسة مع
تحريم الغانمين أيضا ولا قائل به والأربعة الباقية من أصل الغنيمة
لأهل الوقعة للفارس ثلاثة أسهم وللراجل واحد إن كنتم آمنتم بالله فمقتضى
الإيمان الشكر على نصره وإعطاء الغنيمة وما أنزلنا من النصر على عبدنا
المناسب ليفيضا عليه فهو الأصل في النصر وتقاربه أقاربه ثم الضعفاء
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر الفارق بين أهل الحق والباطل
مع ضعف الأولين وقوة الآخرين في الظاهر فأثر الضعف في النصر فلا بد
من إعطاء الضعفاء ولا بعد من الله أن يجعل النصر أثر الضعف
والقهر أثر القوة إذ الله على كل شيء قدير وقد زاد ضعفكم إذ أنتم بالعدوة
الدنيا أي بشفير الوادي الأقرب من المدينة وهم بالعدوة القصوى أي
بالشفير الأبعد وزادكم ضعفا آخر انقطاع رجائكم من الركب إذ الركب
أبو سفيان وأصحابه أسفل منكم أي ساحل البحر فقد بلغ أميالا من بدر و
قد بلغ ضعفكم إلى حيث لو تواعدتم القتال لاختلفتم في الميعاد هيبة
منه ويأسا من الظفر ولكن جمع الله بينكم ليقضي الله أمرا من نصر أوليائه
وقهر أعدائه كان مفعولا أي كالواجب فعله لأن في نصركم مع ضعفكم وقهرهم
مع قوتهم دليلا على قوة دينكم وضعف دينهم كما قال ليهلك ليظهر هلاك
دين من هلك بهلاك دينه عن بينة دليل ظاهر ويحيى أي وليظهر حياة دين
من حي بحياة دينه عن بينة ولا نظر في البينتين عناد المعاندين وإن الله
لسميع لعنادهم عليم بما يقطعه لكنه لم يقطعه عنهم إبقاء للتلبيس عليهم لاقتضاء
الحكمة إياه كما لبس عليكم إذ يريكهم الله في منامك قليلا ليجترئ أصحابك
بعلمهم فيقوى قلوبهم على محاربتهم ولما كانوا ذليلين بالقهر كانوا قليلين في المعنى

والحكمة في التلبيس انه لو اراكهم كثيرا لفشلتم جبنتم ولو لم توقعوا على الجبن
لتنازعتم اي اختلفتم في الامر اي امر الاقدام والاحجام ومثل هذا
التلبيس لا يمتنع على الحكيم وانما هو التلبيس الذي يضر بالملبس عليه ولم
يضركم به ولكن الله سلم الملبس عليه من الفشل والتنازع الذي علمه
من اخلاق الملبس عليه انه عليم بذات الصدور اي بالاخلاق التي هي
صاحبات الصدور ولم يقتصر على التلبيس المنامي بل لبس في اليقظة
ايضا لتقوى جراءة اصحابك اذ يريكموهم لا عن بعيد بل اذ التقيتم في اعينكم
لا في خيالكم او الحس المشترك منكم كما في المنام قليلا وقد لبس عليهم ايضا
في اليقظة لئلا يهربوا اذا راوا كثرتكم اذ يقللكم في اعينهم في اليقظة لا لغرض
التلبيس المضر بالملبس عليه بل ليقضي الله امرا من اظهار الخوارق
الدالة على صدق دين الاسلام وكذب دين الكفر وهو نافع على الاطلاق
لذلك كان مفعولا اي كالواجب فعله على الحكيم لما فيه من الزجر عن الكفر ولا
يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تاثير للاسباب بل الى الله ترجع الامور لا
الى الاسباب فلا يبعد ايجاد شيء على خلاف مقتضاها يا ايها الذين
آمنوا بان الله قادر على النصر مع الضعف وقد فعل لاظهار صحة دين
الاسلام لا تضعفوا عند المحاربة بل اذا لقيتم فئة جماعة من العدو
فاثبتوا للقائهم بالقوة ولا تعتمدوا على ثباتكم بل اذكروا الله الثابت من
الازل الى الابد ليفيض عليكم الثبات المستمر ولا يكفي فيه القليل فاذكروا
كثيرا بحيث يحضركم روحانية الذكر لعلكم تفلحون بفيضان الثبات المستمر
وهذا الفلاح منوط بطاعة الله ورسوله لذلك اطيعوا الله ورسوله ويبطل
طاعتهما التنازع لذلك لا تنازعوا باختلاف الاراء فتفشلوا فتجبنوا
اذ لا يتقوى بعضكم ببعض وتذهب ريحكم اي القوة التي تنفذ من البعض
في البعض نفوذ الريح واصبروا على مخالفة انفسكم الداعية الى التنازع

فالصبر

فالصبر مستلزم للنصر ان الله مع الصابرين بالنصر ثم اشار الى ان طلب
النصر من الله يجب ان يكون خروجه من بيته لله ويستمر عليه الى حين
القتال فقال ولا تكونوا كالذين اي مشابهين لهم بوجه فضلا عن ان
تتصفوا بصفتهم خرجوا من ديارهم وان غيروا نيتهم حين القتال لكيلا
يكون للاولى اثر بطرا فخرا بالشجاعة ورئاء الناس طلب الثناء بها وكيف
لا يكون لهذه النية اثر وهم يصدون انفسهم بها عن سبيل الله والنية
في اول العمل يؤثر في جميعه وكيف يطلبون بهذه النية النصر من الله والله
بما يعملون محيط فيحيط بهم جزاؤه فلا يبقى للنصر الذي هو جزاء ضده سبيل
اليهم واعتقاد كون البطر والرياء من اسباب النصر انما هو من تزيين
الشيطان فاذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي هي اسباب القهر
فاراها اياهم اسباب النصر وبالغ في وعد النصر اذ قال متصورا بصورة
سراقة بن مالك حين ذكرت قريش ما بينهم وبين ابي بكر من الحروب لا
غالب احد افعالكم من مرادكم اليوم من الناس واني جار لكم قاله
قبل اجتماع العسكرين فلما تراءت الفئتان اي رات كل واحدة
صاحبتها من بعد فراى الملائكة نازلة من السماء نكص على عقبيه ولى
هاربا على قفاه وكان يده في يد الحارث بن هشام فدفع في صدره وقال
اني بريء منكم اي من عهد جواركم اني ارى من الملائكة النازلة لامداد
المؤمنين ما لا ترون اني اخاف الله ان يعذبني قبل القيمة ولا بعد
مع امهالي اليها اذ الله شديد العقاب فالامهال انما يكون باعتبار العذاب
الاخروي الذي هو اشد من الدنيوي الموعود لاهل عداوة المؤمنين
اليوم فانهزم الناس فلما رجعوا الى مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك
فبلغه فقال انكم تقولون هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه كان الشيطان وانما قال الشيطان لا غالب

لكم اليوم من الناس واني جار لكم حين راى الضعف في المؤمنين اذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان غر هؤلاء المقاتلين
مع ضعفهم دينهم فظنوا انه ينصرهم ويكفيهم من دينهم في نصرهم توكلهم فان
من يتوكل على الله ينصره على اضعافه بالعين ما بلغوا فان الله عزيز
غالب على ما اراد ولا بد ان يريد نصر اوليائه لانه حكيم والحكمة تقتضي
نصرهم ثم اشار الى انه لا غرور في ان يموت شهيدا بل في ان يحيى كافرا
فقال ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا ولو بعد ما فازوا بمعاذير من الحيوة
الدنيوية الملائكة يضربون بسياط من النار قبل وصولهم الى البرزخ والقيمة
وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ويقولون لهم ضما للعذاب العقلي الى
الحسي ذوقوا مس ضربنا اياكم عذاب الحريق اى النار الملتهبة في جراحاتكم
وليس ذلك منا ابتداء بل ذلك الضرب الشديد بما قدمت الى الله تعالى
ايديكم من المعاصي الموجبة لغضب الله وهو وان اشتد غضبه لا يظلمكم لاجل
ان الله ليس بظلام للعبيد وان بالغ هذه المبالغة في تشديد العذاب
ولا يبعد هذا الضرب من الملائكة قبل القيمة فان غايته انه تعذيب دنيوي
هو كداب آل فرعون وداب الكفرة الذين من قبلهم ممن سار مسيرهم ولا
في انهم كفروا بآيات الله فلم يبالوا بمعاصيه فاخذهم الله قبل يوم القيمة
بذنوبهم وان اخر التعذيب بها في حق البعض لانهم اجترؤا على معاصيه
بما راوا لانفسهم من القوة فضعفهم اظهار القوة ان الله قوي على ان
تاخير العذاب انما يكون للرحمة لكنه لما اشتد عنادهم اشتد غضبه لانه شديد
العقاب لمن اشتد عناده معه فلا يكون له في حقه رحمة ذلك التعذيب
الذي علم كونه مواخذة بالذنوب بان الله جرت سنته على انه لم يك مغيرا
نعمة وان كان مغيرا للشدة كثيرا بغير اسبابها ما هم عليه انعمها على قوم وان
كان تغيرها انعم على واحدا واثنين من غير تغيير لما هو عليه حتى يغيروا ما بانفسهم

من موجبات تلك النعم من اعتقاد او قول او عمل وتغير اذا غيروه غضبا
عليهم بما يسمع منهم او يعلم لما ثبت ان الله سميع عليم وقد جرت به سنته كداب
آل فرعون والذين من قبلهم كان مبدأ تغيرهم انهم كذبوا بآيات ربهم الذي
رباهم بالنعم فصرفوها الى غير ما خلقت له بمقتضى تلك الآيات فكانت ذنوبا فاهلكنا
زيادة على سلب النعم بذنوبهم ما صرفوا به النعم الى غير ما خلقت له واغرقنا آل
فرعون لاغراقهم النعم في بحر الانكار بنسبتها الى فرعون حيث افردوا بالهيته
وغيرهم وان لم يغرقوا في الدنيا فهم يغرقون في الاخرة في بحر النار اذ كل كان
ظالمين بصرف النعم الى غير ما خلقت له وهو نوع من الاغراق على ان من احواله
التي كانت اسباب النعم وقد كانت بها انسانية فبتغيرها لحق الدواب و
بانكار المنعم صار شرا منها فقال ان شر الدواب عند الله وان كان عند الناس
اعقل الناس الذين كفروا والنعم تسلب ممن لا يعرف قدرها فكيف لا تسلب
ممن ينكر المنعم وهو وان دام عليهم النعم لانهم يدعون انكار المنعم اذ لا يؤمنون ويدل
على عدم ايمانهم بالله نقضهم عهوده لكونهم الذين عاهدت منهم وعهدك بمنزلة
عهد الله ثم ينقضون عهدهم لا مرة واحدة او مرتين حتى يقال يعودهم الى الايمان
بل في كل مرة كيف والمؤمن لا بد وان يتقي الله في نقض عهوده في بعض المراتب
وهم بتكرار النقض عاصون فعلم انهم لا يتقون اصلا فهم في معنى الآمنين
من مكر الله وهم الكافرون واذا اعتادوا نقض العهد في كل مرة فاما تثقفنهم
فان تجدن مصادفتك ناقضي العهد فشرد بهم فافعل بهم ما يعرف اجتماعهم على
النقض على خفية بحيث يشبه فعل من يفعل من خلفهم اى وراء ظهورهم لعلهم
يذكرون يتعظون واما تخافن من قوم خيانة اى وان تخف من قوم خوف
الغدر بظهور اماراته فيهم فانبذ اليهم فالق اليهم عهدهم على سواء طريق ظاهر
يستوي في معرفته الكل لئلا يكون فيه شيء من الغدر اذ هو خيانة وان كان في
مقابلة خيانتهم ان الله لا يحب الخائنين وجه الغدر في الحرب انما هو بعد نبذ

العهد ولا تحسبن الذين كفروا عند نبذ العهد المفرط لهم انهم سبقوا
اي غلبوا لان السبق منهم اعجاز منهم لله في وعده النصر للمؤمنين انهم لا يعجزون
ان كسر فالجملة تعليلية وان فتح فقدر لام التعليل واعدوا لهم لدفع توهم
سبقهم ما استطعتم من تحصيل قوة ما يتقوى به في الحرب من الآلات سيما الرمي
ومن رباط اي شد الخيل ترهبون تخوفون به اي بذلك الاعداد عدو
الله باثبات الشرك وابطال كلمته وعدوكم اي الذي يظهر عداوتكم تخويفا
لئلا يحاربوكم باعتقاد القوة في انفسهم دونكم وترهبون قوما آخرين من دونهم
اي من دون من يظهر عداوتكم وهم المنافقون وان كنتم لا تعلمونهم انهم
يعادونكم لكن الله يعلمهم انهم اعداؤكم يظهرون عداوتكم اذا رأوا ضعفكم
ولا تخافوا من انفاق المال في اعداد القوة ورباط الخيل فما تنفقوا من شيء
في سبيل الله فيه اشارة الى ان المنفق في سبيل الغزو لا يجب تعويضه يوف اليكم
عوضه في الدنيا من الفيء والغنيمة والجزية والخراج ولو فاتكم ذلك انتم لا تظلمون
بمنع جزائه في الآخرة وعند دوية اعداد القوة ورباط الخيل ان جنحوا مالوا
وانقادوا للسلم الصلح فاجنح لها فمل الى موافقتهم بانقياد لها وان قدرت
على محاربتهم لان الموافقة ادعى لهم الى الايمان ولا تخف في الصلح مكرهم بل
توكل على الله فانه يعصمك من مكرهم اذا دعوته واستعنت به مع التوكل
انه هو السميع لدعوتك واستعاذتك العليم بتوكلك وبكيفية العصمة وان
يريدوا ان يخدعوك بالصلح لترك اعداد القوة ورباط الخيل فان حسبك
اي كافيك الله وان لم يكن لك اعداد قوة ولا رباط اذ هو الذي ايدك
بنصره يوم بدر من غير اعداد قوة ورباط والآن قد ايدك بالمؤمنين واقامهم
مقام اعداد القوة والرباط اذ الف بين قلوبهم بعدما كان فيها العصبية و
الضغينة فيتقوى بعضهم ببعض وليس هذا التقوي بالاعداد فان ذلك مقدور
للبشر وهذا ليس بمقدور له اذ لا يحصل بالمباشرة ولا بانفاق المال حتى انك

نهم

دون التقوى

لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اذ لا يدخل تحت قدرة البشر
لكونها من عالم الغيب ولكن الله لاستيلائه على القلوب الف بينهم انه عزيز
غالب على كل ظاهر وباطن وقد اقتضت الحكمة ذلك لما فيه من تأييد دينه و
اعلاء كلمته وهو حكيم والغلبة مع الحكمة كالموجبة ثم قال يا ايها النبي اي الذي
نبئ بالحقائق الالهية حسبك الله وان لم يكن معك احد وان نظرت
الى السببية حسبك من اتبعك من المؤمنين وان لم يبالغوا من لم يتم اتباعهم
لك فان لمتابعتك اثرا عظيما في سببية النصر يا ايها النبي اذا كان لمتابعتك
هذا الاثر فامرك اكثر تأثيرا حرض المؤمنين حثهم على القتال وان كان العدو
عشرة اضعافهم فانهم يغلبونهم اذا صبروا ان يكن منكم عشرون اشترط في المؤمنين
كثرة تصلح للمعاونة صابرون يغلبوا مائتين عشرة امثال عشرين ولا يعرف ضعف
عدد الكفار الى الغاية اذا كان المؤمنون عشرة حتى ان يكن منكم من المؤمنين
مائة صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا ذلك الغلبة للمؤمنين بانهم يؤثرون الحيوة
الدنيا على الآخرة لانهم قوم لا يفقهون بالامور الاخروية فيرجحون ثوابها ويؤثرون
جنسها على الحيوة الدنيا والمؤمنون يرجحون من الثواب والقرب من الله
ما يشتاقون الى الموت شوق العطشان الى الماء وكان هذا عند ظهور
قوة المؤمنين فلما ضعفوا نسخه الله تعالى فقال الآن خفف الله عنكم لانكم
وان زدتم وزادت قوة الاسلام وعلم ان فيكم الآن ضعفا في الصبر عن
رؤيتكم الاستعانة بالجماعة الكثيرة من المؤمنين فان يكن منكم مائة صابرة
اخذا بالاقل من الكثرة ما يزيد على كثرة الاقل هناك يغلبوا مائتين ضعفا
واحدا وان يكن منكم الف فهم مع غاية الكثرة لا يقاومون الكثر من الضعف
الواحد بل غايتهم ان يغلبوا الفين باذن الله ولكن لو صبروا مع الضعف
فليس لهم حكم الضعفاء اذ الله يقويهم لكونه مع الصابرين ما كان لنبي امر
بالتحريض على القتال ان يكون له اسرى نفديهم لان الطمع في الفداء مانع من

من قبل المفدى حتى يثخن اى يثقل الكفر على الناس المشركين في الارض
بكثرة قتلهم حتى يقل حزبهم ويذلوا ويعز الاسلام ويستولى اهله تريدون
مع ما ينتهم على لسان النبي من حطام الدنيا ومناقب الاخرة عرض الدنيا الزائل
الحقير وتخالفون مراد الله اذ الله يريد الاخرة ان يحصل لاكثركم باسدائكم
ابائهم سدادا خالصة عن شبهة الكفر ولا يحتاج الى سدكم اذ الله عزيز غالب
على ما اراد من سداد وغيره لكنه في جعلكم سبب الهداية حكيم اذ يريد بذلك
اثابتكم ثوابا عظيما ولكنكم خالفتم سنة الحكمة التى هى من العظمة بحيث لولا
كتاب عهد من الله سبق انه لا يعذب المخطئ في اجتهاده لمسكم اصابكم فيما
اخذتم اى في اخذكم الفداء من اسارى بدر عذاب عظيم تقدر ابطالكم
الحكمة العظيمة وذلك انه صلى الله عليه وسلم اتى يوم بدر بسبعين اسارى فيهم
العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابى طالب فاستشار اصحابه فيهم
فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية
تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما
فلنضرب اعناقهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلك يا ابا بكر مثل
ابراهيم حيث قال فمن تبعني فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير
اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا
تباكيت فقال ابكى على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم
ادنى من هذه الشجرة قريبة فقال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب لما
نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ واذا اخذتموه بالاجتهاد فكلوا مما غنمتم
اى بعضه بعد اخراج الخمس حلالا طيبا خاليا عن الشبهة لان اجتهاد

رفع عنه الاثم فصار المحرم في معنى الحلال ولكن اتقوا الله فلا تنسوا محوا في
الاجتهاد ان الله غفور لخطاء المجتهد رحيم باعطائه الاجر الواحد على
الاجتهاد اذا لم يتسامح ولما انكسر قلوب الاسارى باخذ الفدية بحيث
يخاف عليها ضعف الايمان جبرها بقوله يا ايها النبي اى الذى شانه انباء
القلوب تقوية لها قل انت واصحابك لمن في ايديكم من الاسرى تخليصا
لهم عن اسر الضلال بضعف الايمان ان يعلم الله من نظره في قلوبكم خيرا قوة
ايمان واخلاص فيه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الغنائم والتجارات وغيرها
في الدنيا ويغفر لكم في الاخرة وان صدر منكم ما يوجب الاسر ولا اذ الله غفور
ولا يبعد عليه التعويض بعد تعويضكم الخير في قلوبكم بدل الشر فانه رحيم
وان يعلم في قلوبهم شرا بان يريدوا خيانتك اى نقض العهد لما اخذوا
مثل ما اعطوا من الفداء او اكثر منه فعل بهم ثانيا مثل ما فعل بهم اولا فقد
خانوا الله من قبل بنقض عهده في الميثاق الاول فامكن منهم بالقتل والاسر
كيف والله عليم حكيم وهو مقتضى علمه بما يستحقونه وحكمة المفيدة لكل مستحق
حقه ولما وعد الله الاسارى بتعويض الخير وعد المهاجرين بتعويض اهلهم
بالانصار والمجاهدين بتعويض اموالهم وانفسهم بالانصار ايضا فقال
ان الذين امنوا وهو يوجب قرابة المؤمنين وهاجروا وهو يوجب قرابة
المهاجرين اليهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وهو يوجب قرابة
من ينصرهم والذين اووا وهو من خواص الاقارب في الاصل فيصير
الانصار لهم اهلا ونصروا فانهم بذلك صاروا اموالا وانفسا يحصل
منها النصر فصح ان اولئك بعضهم اولياء بعض تقومون مقام اهلهم
واموالهم وانفسهم والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى
يهاجروا لانهم ما تركوا شيئا يجعل الانصار عوضه لهم نعم لهم نوع من القرابة لا
يبلغ حد الولاية وهو انهم ان استنصروكم طلبوا منكم النصر على عدائهم في الدين

فعليكم يجب النصر لهم على كل عدو الا قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانهم اذا
عادوا من لم يهاجر لا ينصره عليهم بل يومر بالهجرة منهم والله بما تعملون من الهجرة
وتركها مع امكانها او بدونها بصير وكيف يترك نصر من لم يهاجروان لم
يكن بينكم موالاة مع ان الذين كفروا بعضهم اولياء بعض وان لم يهاجر
اليهم مع انكم الا تفعلوه اى نصر المومن غير المهاجر تكن فتنة الزام الكفر منتشر
فى الارض وتقوى الكفار بحيث يحصل فى الارض فساد كبير فى باب
الاعتقادات والاعمال وكيف لا يكون بين المومنين والمهاجرين المجاهدين
وبين الذين آووا ونصروا موالاة ظاهرة وقد حصلت الموالاة الباطنة
اذ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المومنون حقا فيقومون بجميع حقوق الايمان التى منها الموالاة
الباطنة المستلزمة للظاهرة وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد افاد بعضهم
بعضا ما هو اعظم الفوائد اذ لهم مغفرة مما هدى بعضهم بعضا ورزق كريم
مما هدى فى الاخرة ومما نصر فى الدنيا ثم اشار الى ان من تاخر ايمانه فى حكم
من تقدم اذا قام بحقوق الولاية من الهجرة والجهاد فقال والذين آمنوا
من بعد فانه وان تاخر ايمانهم لا ينقطع موالاتهم اذا هاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم كمن تقدمكم كيف وهذا التاخر لا يزيد على تاخر وجود
بعض ذوى الارحام عن بعض وهو لا يقطع القرابة بل اولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض من الاجانب وان كان مساوقا او متقدما كيف
وايمانه وان تاخر فهو مساوق لايمان من تقدم فى كتاب الله والله تعالى
حكم بالمساواة فى امر الموالاة بين ما تقدم وما تاخر بمقتضى ذلك وان تفاوت
فى الفضيلة ان الله بكل شئ عليم فيعلم ما يقتضى المساواة والتفاوت
فيكتب كل شئ بحسب مقتضاه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

سميت بها لافتتاحها بها وهرجع الزمان فيها
اليها وبالتوبة لتكررها فيها فان تبتم فهو خير لكم فان تابوا واقاموا الصلوة ثم
يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فان يتوبوا يك خيرا لهم عسى الله ان
يتوب عليهم لقد تاب الله على النبى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
التائبون العابدون ومما اشهر اسمائها وتسمى المنقشقشة اى المبرية عن النفاق
والبحوث اى الباحثة عن اخبارهم والمبعثرة اى الكاشفة عن احوالهم و
المدمدمة اى المهلكة لهم والمشردة اى المفرقة جمعهم والفاضحة والمخزية و
والحافرة والمنقرة والمنكلة وسورة العذاب لتكرر ذلك كله فيها وترك التسمية
فيها لما فيها من الرحمة المستلزمة للامان المنافى للقتال ونبذ العهود وذلك
لانه صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك وارجف المنافقون نقض المشركون
عهودهم فامر الله رسوله ان يامر قومه بنقض عهودهم فقال براءة اى هذه
قطع علقة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم وصلت اليكم
من الله ورسوله لتنبذوا عهودكم الى الذين عاهدتم من المشركين لكن
ليس لكم معهم ابتداء قتال حتى يبلغوا المامن ولا تكليفهم بالخروج اليه على الفور
فسيحوا فى الارض فقولوا لهم سيروا فى ارضنا بعد نبذنا العهد آمنين اربعة
اشهر عشرين من ذى الحجة وجميع المحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر
وكانه غيرهم الهدنة عشر سنين الى الامان اربعة اشهر واعلموا انكم لو قصدتم
محاربتنا فى هذه المدة او بعد خروجكم من ارضنا باستعانة اناس آخرين
غير معجزى الله باخذ مكة من ايديكم واعلموا انكم وان تعززتم بالناس فى غاية
الكثرة فلا محالة ان الله مخزى الكافرين مع كثرتهم بنصر المومنين مع قلتهم ثم
اشار الى ان هذا الامان ليس امانا عن العذاب الاخروى ولا عن الدنيوى
بعد تمام المدة فقال واذان اعلام من الله ورسوله الى الناس المجتمعين
بعرفة وقد بلغ كثرتهم يومئذ غايتها لكونه يوم الحج الاكبر يوم الجمعة وكان عيد

الملل ان الله بريء من المشركين فلا يؤمنهم من قهره الاخروي ولا الدنيوي
تمام المدة ورسوله من شفاعته لهم وتركه قتاله بعد المدة لكن هذه البراءة
انما هي الى التوبة من الشرك فان تبتم فهو اي التوب خير لكم يفيدكم دوام الايمان
في الدارين مع فوايد اخر لا تحصر وان توليتم اعرضتم عن التوبة اعتمادا على
قوتكم في التخلص عن قهر الله فاعلموا انكم غير معجزي الله وان انكروا ذلك بشر الذين
كفروا بقهره بعذاب اليم من قهره ثم استثنى من المشركين البراء عنهم فقال
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا مما شرطوا معكم ولم يظاهروا
ولم يقووا عليكم احدا من اعدائكم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فاتموا مائلين
اليهم عهدهم باقيا الى تمام مدتهم فاتقوا الله في نقضها ان الله يحب المتقين
هذا قبل تمام المدة فاذا انسلخ خرج الاشهر الحرم اي التي حرم فيها الابتداء
بقتالهم بعد النبذ فاقتلوا المشركين اي الباقين على الشرك منهم ولو بعد
الاسر حيث وجدتموهم من حل وحرم ولو موضع الامن او في طريق المأمن وخذوهم
اي اسروهم ولو في موضع الامن او في طريق المأمن ليسبروا قوتهم او شدوهم وان
آمنوا بعد الاسر هذا اذا تمكنتم منهم وان لم تتمكنوا احصروهم احبسوهم في المكان
الذي هم فيه لئلا ينبسطوا في ساير البلاد وان تبسطوا اقعدوا لهم لقتالهم
كل مرصد طريق لكن هذا كله قبل التوبة فان تابوا عن الكفر ودلوا على صدقها
بان اقاموا الصلوة التي هي انقياد الظاهر الدال على انقياد الباطن وآتوا
الزكوة الدالة على ايثار رجاء الله على ما سواه فخلوا سبيلهم فاتركوا التعرض
لهم وفيه دليل على ان تارك الصلوة والزكوة لا يخلى سبيلهم وقد غفر الله لهم
ان الله غفور بل رحمهم ايضا لانه رحيم وان احد من المشركين استجارك
طلب منك جوارك فاجره امنه حتى يسمع كلام الله فيطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه
مأمنه موضع امنه ان لم يسلم ذلك الامن بانهم قوم لا يعلمون حقيقة ما ندعوهم اليه
ثم اشار الى انه وان جاز امان المستجير لسماع كلام الله بعدها لا اخراج فلا يجوز تقريره



بعقد الذمة فقال كيف يكون للمشركين بعد اخراجهم عهد عند الله وعند رسوله
مع ان الشرك يستلزم اذ لا لهما وعقد الذمة اذ لا للذمي الا الذين عاهدتم
قبل الفتح عند المسجد الحرام فانه يعتبر عهده لوقوعه قبل الفتح في مكان الامن
المعظم عندهم بحيث لا تخالف فيه بواطنهم ظواهرهم فلا يؤثر فيه المانع لكنه
مشروط بدوام الاستقامة على العهد فما استقاموا لكم ما داموا مستقيمين على
عهدهم مراعين لكم اي لحقوقكم فاستقيموا لهم فانتم اولى بالاستقامة فاتقوا
الله في نقض عهد المستقيمين على عهدهم قبل الفتح عند المسجد الحرام ان
الله يحب المتقين كيف يكون لغيرهم عهد عند الله وهو ناظر الى بواطنهم
ولا عهد فيها لكونهم بحيث ان يظهروا عليكم لا يرقبوا لا يراعوا فيكم الا يمينا
ولا ذمة عهدا ولا تغتر بظواهرهم اذ يرضونكم بافواههم وهي مخالفة لبواطنهم
اذ تأبى قلوبهم ولا يبعد منهم اذ اكثرهم فاسقون بمقتضى دينهم ايضا و
يكفي في فسقهم انهم اشتروا استبدلوا الحق المدلول عليه بآيات الله امورا
فاسدة فكانت ثمنا قليلا وكيف لا يفسقون وقد عادوا الله باتباع تلك
الامور فصدوا انفسهم واتباعهم عن سبيله فسلكوا سبل المساوي انهم
ساء ما كانوا يعملون ومن سوء اعمالهم انهم لا يرقبون في مؤمن وان اقربوه
فكافر الا ولا ذمة ولا يقتصرون على ادنى المساوي بل اولئك هم المعتدون
المجاوزون للغاية في المساوي كلها ومع ذلك نعرفونهم مع قرائن صحتها
فان تابوا واقاموا الصلوة بدل اسوء اعمال الجوارح وآتوا الزكوة بدل
اسوء تصرفات الاموال فاخوانكم في الدين لا ننظر الى بواطنهم مع هذا الظاهر
الموجب لهذه الدلايل وكيف لا يكونون اخوانكم ونحن نفصل الآيات الدالة
على اخوتهم لكنها انما يكون مفيدة لقوم يعلمون ثم اشار الى انه لا يؤمن ناقضها
الايمان والطاعنون في الدين فضلا عن ان يعزروا بالجزية فقال وان نكثوا
نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الذي لا ينقضه من يبالي بالله لولا الايمان وكذا

ان طعنوا في دينكم فقاتلوا كلا الفريقين لكونهما ائمة الكفر دون سايرهم اما
الطاعنون فلانهم جمعوا بين الاخذ بالباطل والطعن على الحق واما الناكثون
فلانهم لا يبالون بالله انهم لا ايمان لهم كيف ولا ينتهون عن النكث والطعن
بدون القتال فقاتلوهم لعلهم ينتهون عنهما سيما اذا لم ينصروا اصلا ثم اشار
الى انه كيف يترك قتالهم وقد توفرت اسبابه فقال الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
عن قلة مبالاتهم بالله ولم يكن عن غفلة بل بعد بلوغ الرسالة بل هموا باخراج
الرسول وهو اشد من الطعن في الدين كيف وهو مجازاة اذ هم بدءوكم وهو
يكفي فيه ابتداؤهم اول مرة وان كان منكم الابتداء في بعض المرات المتاخرة
فهذه اسبابه ولا مانع فيه سوى خوفكم منهم اتخشونهم مع ترك خشية الله
في مخالفة امره فالله احق ان تخشوه لانه لا نسبة لقوة الخلق الى قوته و
لا لشدتهم الى شدته ان كنتم مؤمنين بكمال قوته وشدته على ان شدة القتال
انما يقع عليهم ولا يحصل لكم منه سوى الفوايد العظيمة قاتلوهم يعذبهم الله
بالام الجراحات والموت بايديكم تغليبا لكم عليهم ويخزهم بالاسر والاسترقاق
فيجتمع في حقهم العذاب العقلي مع الحسي وينصركم عليهم زيادة في عذابهم
العقلي ويشف صدور قوم مؤمنين من اذية نبيهم هذا هو الشفاء
المعنوي ويذهب غيظ قلوبهم وهو شفاء حسي ومن الفوايد انهم اذا اراد
نصركم مع ضعفكم يتوب الله على من يشاء فيحصل لكم اجرهم ولا يفوتكم
شيء من هذه الفوايد لانها مقتضيات استعدادكم واستعدادهم والله
عليم حكيم احسبتم ان يغلب الامور المذكورة مع علم الله وحكمته ام حسبتم
ان تتركوا فلا تؤمروا بالقتال ولما يعلم الله وقوع ما علم في الازل انه سيقع
من التمييز بين المتخلفين عن الجهاد وبين المتخذين من دونه ومن دون رسوله
والمؤمنين وليجة وبين الذين جاهدوا منكم واخلصوا بان لم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين اي مجاوزين لهم وليجة بطانة

يفشون اليها اسرارهم والمقصود من هذا اظهار ذلك الالزام للحجة والله خبير
بما تعملون اي بواطن اعمالكم وفيه اشارة الى ان القيام بالجهاد لا يصير لهم حجة
ما لم يخلصوا بواطنهم ثم اشار الى انهم كيف لا يؤمرون بقتالهم مع انه لا يندفع
بدونه اذيتهم عن المؤمنين في عبادتهم التي خلق الناس لاجلها ولا يتاتى منهم
لانه ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله بالصلوة التي هي اجل العبادات
اذ لا يصح منهم حال كونهم شاهدين على انفسهم بالكفر بجعل معبودهم مساويا
لمن لا يستحق العبادة وكيف يصح منهم حال الكفر مع ان اولئك لو عملوا
الصالحات قبل الكفر ثم كفروا حبطت اعمالهم ولو لم تحبط لم يستفيدوا
بها اذ في النار هم خالدون ثم قال انما يعمر مساجد الله اي يستحق عمارتها
بعبادته من آمن بالله فلم يسو بينه وبين غيره واليوم الآخر فدعاه اعتقاد
جزائه الى تكميل عبادته واقام الصلوة المستتبعة لساير العبادات الناهية
عن الفحشاء والمنكر وانما يتاتى ذلك اذا آتى الزكوة المانعة من حب
المال الجالب للشهوات ولم يخش فوات مال ولا شهوة ولم يبال بالترهيب
بل لم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين للاطلاع على اسرار
الصلوة التي بها عمارة مساجد الله تعالى فان زعموا ان لهم عبادة كسقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام وهما كالزكوة والصلوة قلنا لو سلم فليستا من العبادات
المطلوبة بالذات ولا مما يوصل اليها ولا مما يتاتى ذلك اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن اي كايمان من آمن بالله وهي العبادة المطلوبة
بالذات واليوم الآخر الداعي الى الايمان بالله وجاهد في سبيل الله المفيد
لنشره وتكميله فان سويتم بينهم لا يستوون عند الله كيف وليس ذلك بعبادة مع
الكفر اذ الله لا يهدي القوم الظالمين بالكفر لا لعبادته وان اتوا بصورة
العبادة وان سلم ان ذلك عبادة فلا يساوي الايمان ولا سبب بقائه
ورفع الاذية عنه اذ الذين آمنوا وهاجروا لابقائه عليهم وجاهدوا في

سبيل الله لدفع الاذية عنه باموالهم بانفاقها على المجاهدين في الكراع والسلاح والدراع وانفسهم بمباشرة القتال اعظم درجة عند الله الذي لا يعظم عنده الا ما جاوز حد ادراك البشر ولا درجة لغيرهم بالنظر اليهم اولئك هم الفائزون بجميع درجات الكمال لكونهم بحيث يبشرهم ربهم في الدنيا برحمة في الاجر عظيمة بكونها منه ورضوان فوقها وان كانت الرحمة الاخروية بدونها في غاية الكمال لكونها في جنات لهم فيها لولا ذلك الرضوان نعيم مقيم اذ وعدوه على الابد لا في مكان اخر بل خالدين فيها ابدا والنعمة يفضل بفضل المكان كيف وهذه الرحمة اعظم من الاجر مع انه بقدر المعطي ان الله عنده اجر عظيم والرضوان فوقها فتلك درجات سادات المؤمنين المهاجرين المجاهدين متى يكون لاهل السقاية والعمارة وكيف لهم اجر مع الكفر وهو قطع المواصلة الله والكفر فانا لنا ولذلك وجب على المؤمنين قطع المواصلة الكافرين وان كانت مواصلتهم واجبة لو اسلموا يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم مواصلة الله وقطع مواصلة من قطع مواصلته لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر القاطع لمواصلة الله فرجحوه على الايمان الموجب مواصلة الله ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون بايثار مواصلة من قطع مواصلته على مواصلته فان زعموا انا نميل اليهم بالطبع قل مقتضى الايمان ترك الميل الطبيعي اذا كان مانعا من محبة الله ومحبة واسطة الوصول اليه ومحبة ما يعلي دينه ان كان آباؤكم وان مال طبعكم اليهم ميل الجزء الى الكل وابناؤكم وان مال طبعكم اليهم ميل الكل الى الجزء المشابهين الجزء وعشيرتكم وان ملتم اليهم بوجه من الوجوه ووجدتم للاشارة الى ان الواحد منهم قد يكون اكثر ميلا من الباقين فاذا نهى عن الميل اليه فغيره اولى واموال وان ملتم اليها لما فيها من مصالح انفسكم ميلكم الى نفوسكم سيما اذا اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فتميلون اليها اكثر من ميلكم سيما اذا كنتم تخشون كسادها ومساكن تميلون اليها

واخوانكم وان مال اليهم طبعكم ميل احد المثلين الى الاخر وازواجكم وان اشتد ميلكم اليهن ميل الكل الى الجزء

قطع

لمحافظة اموالكم وتجارتكم بل انفسكم سيما اذا كنتم ترضونها احب اليكم من الله المنعم بالكل ورسوله واسطة نعمه وجهاد في سبيله مما يعلي دينه فتربصوا فهو الله في دعوى محبته بالايمان وتكذيبها بترجيح محبة غيره ولا تنقطع منكم مدة التربص حتى يأتي الله بامره القاهر لكم اما في الدنيا واما في الاخرة وكيف لا تتربصون ذلك وقد خرجتم من محبة الله الجاذبة لانعامه الى عداوته والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن محبته الى ما يوجب من انعاماته ثم اشار الى ان اعظم فوائد من الاشياء النصر على الاعداء وهو لا يتوقف عليها فقال لقد نصركم الله بدون هذه الاشياء لا في موطن واحد بل في مواطن كثيرة بحيث صارت سنة المستمرة التي لا تبدل ولا يرد يوم حنين فانه نصركم ايضا يوم حنين حين تركتم التقوى وهو واد بين مكة والطائف وقيل بجنب ذي المجاز خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة في عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والفين من الطلقاء لقتال هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فقال بعض الصحابة لن نغلب اليوم من قلة فكره الله ذلك فقيد نصركم بها اذ اعجبتكم كثرتكم فاعتمدتم عليها ووكلكم اليها فلم تغن عنكم شيئا من امر العدو مع قلتهم ولكن انعكس عليكم اذ ضاقت عليكم الارض لا تجدون فيها مفرا لمن ضاق عليه مكانه بما رحبت مع سعتها ثم زدتم ضعفا حتى وليتم ظهوركم الكفار مدبرين قاصدين ادبارا لا رجوع بعده اذ كانت هوازن رماة لا يسقط لهم سهم اعجابكم وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا العباس وابو سفيان بن الحارث ثم لما ذهب اعجابكم بكثرتكم انزل الله سكينته ما تسكنون به وتثبتون على رسوله وعلى المؤمنين اذ قال للعباس صح بالناس فنادى اي عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك فنزل صلى الله عليه وسلم وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم انزل نصرك ثم صفهم وقال هذا

كثرتكم ء

سلم و

حين حمي الوطيس اي اشتد الحرب والوطيس التنور ثم اخذ صلى الله
عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار وقال انهزموا ورب الكعبة
وقيل قبض التراب ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما
ترك الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا وانزل لتقويتكم بدل تقوية كثرتكم
جنودا لم تروها وهم خمسة آلاف او ستة عشر او ثمانية عشر الفا وقد عذب
المشركون اذ كانوا لتخويفهم عذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي بعد
النصر وذلك التعذيب جزاء الكافرين المصرين على الكفر بعد النصر ثم اذا
علموا انه جزاء كفرهم يتوب الله من بعد ذلك القهر الدنيوي وان كان لا يتوب
بعد القهر الاخروي على من يشاء بالتوفيق للاسلام ليغفر لهم ويرحمهم في
الآخرة كيف ولو آمنوا قبل القهر الدنيوي لغفر لهم ورحمهم اذ الله غفور
رحيم روي ان اناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا وقد اخذت
اموالنا فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما احسابكم واما اموالكم
فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله عليه وسلم من كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطها ولكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا ثم اشار
الى ان موالاتهم مع عدم افادتها التقوية المحصلة للنصر تضر لسريان نجاسة
بواطنهم الى البواطن الطاهرة للمؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا طهروا به
بواطنهم انما المشركون نجس باعتبار بواطنهم بحيث يخاف سرايتها الى
بواطنهم فلا يقربوا المسجد الحرام الذي يجتمع فيه المتفرقون في الارض ليسري
صفاء القلوب من بعضهم الى بعض وهنا يخاف سريان الظلمات في العموم
بعد عامهم هذا اي عام حجة الوداع الذي كمل فيه الدين المطهر وان خفتم

بمنعهم

اتم

بمنعهم من الحرم عيلة فقرا من انقطاع الارزاق كانت من قدومهم فسوف يغنيكم
الله عنه بما يعطيكم من فضله من فتح البلاد وحصول الغنائم وتوجه الناس
من اقطار الارض ان شاء في عام دون عام ويخص دون يخص لا بطريق
التحكم بل بحسب الاستعدادات ان الله عليم بالاستعدادات حكيم
في رعايتها من غير ايجاب عليه واذا كان خوف العيلة سيدفع بفتح البلاد
وحصول الغنائم وتوجه الناس من اقطار الارض من غير تخويف فاقتلوا
من يخافون العيلة بسببهم وقد استحقوه لانهم الذين لا يؤمنون بالله لقولهم
بالتجسيم او الحلول والاتحاد ولو آمنوا به على التنزيه لا يتم لهم لانهم لا يؤمنون
باليوم الآخر لانكارهم حشر الاجساد او الاكل والشرب والنكاح في الجنة
او الخلود في النار ولو آمنوا به لا يتم لهم ايضا لانهم لا يحرمون ما حرم
الله في كتابه ورسوله في سنته ولو حرموا ما حرم في التوراة والانجيل لم يعتد
به اذ لا يدينون دين الحق اي الثابت الذي لا ينسخ وقد نسخ سائر الاديان
مع كونهم من الذين اوتوا الكتاب ليؤمنوا بكل ما ذكر حتى يعطوا الجزية اي
ما تجزيهم عن حقن دمائهم وهي الخراج المضروب على الرقاب يعطونها عن
يد اي انعام للمسلمين عليهم في حقن دمائهم وهم صاغرون اذ لا يؤخذ
بمجامعهم ويضرب في لهازمهم اذ ذاك قاطع لخوف العيلة من جهتهم بالكلية
ولعدم تدينهم بدين الحق قالت اليهود عزير ابن الله لكونه حامل سر الله ومن
تحققه بصفة كلامه اذ املى عليهم التوراة حفظا بعد اماتة الله مائة عام ثم بعثه
ولم يبق لهم بعد وقعة بختنصر من يحفظها وهذا قول بعضهم وكذلك لم ينكر
اهل عصره صلى الله عليه وسلم مع بها لكهم على التكذيب ولو كذبوا لاشتهر
وقالت النصارى المسيح ابن الله لظهوره بصفة القدرة اذ ابرأ الاكمه والابرص
واحيى الموتى ثم قال ذلك اي القول ليس بلازم لاعتقادهم الظهور بصفة
تبارك وتعالى بل قولهم بافواههم من غير شبهة سوى ان التحقق بصفة الله تعالى

ودليل مشاركته في الالهية فهم يضاهئون بهذا القول المشركين اذ شابه قولهم
قول الذين كفروا من قبل انما عليهن المحق بصفة الله تعالى مشاركة في الالهية
فاتلهم الله فعل بهم فعل الاعداء من الاهلاك انى كيف يؤفكون يصرفون
من القول بالظهور الى المشاركة في الالهية وقد شابهوا الكفار من وجه
آخر وهو انهم اتخذوا احبارهم اربابا يحرمون لهم ويحلون من عند انفسهم
فعل الكفار السابقين باحبارهم ورهبانهم اذ ظهروا ببعض اسماء الله
وصفاته اربابا يعبدونهم من دون الله وليس هذا من خواص المشركين
بل النصارى اتخذوا المسيح مع علمهم بانه كان ابن مريم ربا قاله بعضهم
وما هو قول البعض الآخر ولم يأمرهم بذلك المسيح ولا غيره بل ما امروا على
لسانهما ولسان سائر الانبياء الا بالتوحيد الفعلي كالاعتقادي ليعبدوا
الها يعتقدون كونه واحدا لا يتعدد بتعدد المظاهر ولا يصير مظاهره آلهة
بل لا اله الا هو مع كثرة مظاهره لتنزهه عن الحدوث فانزهه عن مشاركة
المظاهر سبحانه اى تنزهه باعتبار استغراقه في منتزهه عما يشركون ثم
اشار الى ان ظهوره في المظاهر انما هو اشراق نوره ليعرف بذلك توحيد الوجود
وهولاء يريدون باتخاذ الاحبار والرهبان اربابا ان يطفئوا نور الله
الذى هو توحيد الوجود لا عن شبهة فضلا عن حجة او مكاشفة بل بافواههم و
كيف يكون ثمة حجة او مكاشفة مع انه ويابى الله الا ان يتم نوره بدلائل
التوحيد والمكاشفة فتمه لا محالة ولو كره الكافرون الساترون توحيده
بنسبة الالهية الى المظاهر وكيف يمكنهم اطفاء نوره وهو خلاف مراد الله
اذ هو الذى ارسل رسوله بالهدى طريق الاستدلال والكشف ودين الحق
التوحيد الثابت الذى لا يزول بالنظر الى ظهوره في المظاهر ليظهره بغلبته
على الدين كله حتى يبطلها ولو كره المشركون تقريرهذا الدين بجعل مظاهره
آلهة تستحق العبادة وربما يريدون تقريرها الاديان كلها لانها بارادة

الله وقد حصلت لظهوره بمظاهره الكاملة في زعمهم يا ايها الذين آمنوا
بكونه دين الحق الراجح على الاديان كلها لا يغرنكم عن هذا الايمان ان كثيرا
كثيرا من الاحبار والرهبان ان كثيرا قيد به لان القليل منهم وافقوا آمنوا
بذلك من الاحبار والرهبان وان اتخذهم بعض العوام اربابا من دون
فليس ذلك لكمال فيهم وانما ادعوه لا نفسهم ليتعاد لهم الناس انهم ليأكلون
اموال الناس بالباطل بالطريق المنكر من الرشى وغيره وان زعموا انهم
هداة لا بد لهم من رزق فهم بالحقيقة يصدون عن سبيل الله الذى هو
اتباع الدلائل الى ما يهوون ولا يبعد منهم ذلك لانهم يؤثرون حب المال على
امر الله فيمنعون حقه منه والذين يكنزون الذهب والفضة ويرجحون حبهما
على امر الله بحيث لا ينفقونها اى الفضة فضلا عن الذهب في سبيل الله الذى
هو الزكوة الموصلة الى حبه بقطع المال باخراج جزء منه فبشرهم بعذاب
اليم بدل التلذذ بها فان حصل اليوم لهم يجدون عذابها يوم يحمى يوقد
النار عليها مجعوله في نار جهنم فيحبط النار بجهنها فتكوى بها جباههم
لتحمدها في ابتداء السوال وجنوبهم لميلهم اليها عند تكبره وظهورهم لتوليهم
اليها عند الالحاح ويقال لهم ضما للعذاب العقلي الى الحسى هذا ما كنزتم
حفظتم لانفسكم لتتلذذوا بها فذوقوا الذى ما كنتم تكنزون فمن ابتغ هولاء كانوا
تبعا لهم في هذا العذاب لا محالة ثم انه لا وجه لبخلهم في دار حمد تعالى لان
لا يطلبه الا بعد ان تنبض عليهم اضعافه ان عدة الشهور الواجب في احرمها
الحق عند الله الطالب لحمة بعد افاضة اضعافه اثنا عشر شهرا وان كان
يعد عند الخلق ايام مسترقة لكن اعتبر الله تعالى عدد البروج التى تقطع
الشمس كل واحدة منها في شهر لعزبها ولا عبرة للزيادة في كتاب الله اذ لم
يكن يوم خلق السموات والارض اذ كانت البروج وصورها متحاذية
فلما خرجت عن محاذاتها حصل هذا التفاوت فلم يعتبر لانه لا يزال

يحفظون حفظ المدفون
في الارض صح

لتبهم

يختلف باختلاف الاوقات فجعل ذلك الاصل مناط الاحكام
لذلك كان منها اربعة حرم ليكون ثلث السنة تغليبا للتحليل الذي هو
مقتضى سعة الرحمة على التحريم الذي هو مقتضى الغضب فجعل اول
السنة واخرها وهو المحرم وذو الحجة ولما لم يكن لها وسط صحيح اخذ اول
النصف الاخر وهو رجب يبقى من الثلث شهر فاخذ قبل الاخر ليكون
مع اخر السنة المتصل باولها وترا وبقي وترية رجب فتم السنة على التحريم
باعتبار اوله وآخره واوسطه مع ذلك وترية الحق المؤكد للتحريم ذلك الدين
القيم المستقيم عقلا ونقلا عن ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام فلا
تظلموا فيهن انفسكم بالمعاصي فانها تعظم فيهن عظمها في الحرم لذلك تغلظ
فيها دية القتيل المحرم ولكن قاتلوا المشركين في السنة كافة كما يقاتلونكم كافة فمعنى
عن تحريمه مكافاة لهم وبدلا على عفوه نصره اياكم واعلموا اذا شككتم في بقاء
تحريمها مع نصركم ان الله مع المتقين بالنصر ومع ذلك يجب ابقاء تعظيم الشهور
المحرمة انما النسيء اي تاخير التحريم من شهر الى آخر زيادة في الكفر مضموما الى
الكفر السابق لانه يضل به الذين كفروا بالله عن احكامه اذ يجمعون بين الحل
والحرمة في شيء واحد وغاية ما يرفع التناقض انهم يحلونه عاما ويحرمونه
عاما فهذا وان رفع التناقض فهو تغيير لاحكام الله وغاية اعتذارهم عن
التغيير انهم فعلوا ذلك ليواطئوا ليوافقوا عدة اي عدد ما حرم الله لكنه يكفي في
التغيير نقلهم الحرمة من شهر الى شهر فيحلوا ما حرم الله من غير ان يكون لهم نسخ
احكام الله فكانهم يدعون الالهية لانفسهم لكنهم لا ينظرون الى هذه اللوازم
القبيحة لانه زين لهم سوء اعمالهم ولو لم يزين لهم فلا اقل من انهم لا يرون قبحها
اذ الله لا يهدي القوم الكافرين به وباحكامه للقبائح ليجتنبوها وزين لهم من
سوء الاعمال استحلالهم القتال على الباطل في الاشهر الحرم مع انه خلاف
مقتضى عقلهم لان منشاه ايثار الحيوة الدنيا فلا ينبغي ان يترك القتال

على الحق للمؤمنين ايثارا لها على الآخرة يا ايها الذين آمنوا بفوايد الآخرة
سيما للمجاهدين على الحق وزيادة الدنيا ما لكم اذا عرض لكم اذا قيل من جهة الله
ورسوله ينفعكم انفروا اخرجوا للقتال لتسلكوا بالناس في سبيل الله
اثاقلتم ابطاتم ابطاء الثقيل لميلكم الى الارض ميل الثقيل اليها ارضيتم
ايها المؤمنون بفوايد الآخرة سيما المجاهدين بالحيوة الدنيا اي الحقيرة بدلا
من الآخرة اي من فوايدها سيما للشهداء فان زعمتم ان الفوايد الدنيوية
محققة دون ما اخروية ففيه تضييع للايمان الذي به النجاة والدرجات
بادنى الاشياء فما متاع اي فائدة الحيوة الدنيا اذا وضعت في جنب فوائد
الآخرة الا قليل فكيف تتحمل لاجل هذا القليل هذا الخطر العظيم على انه
لا يحصل لكم هذا القليل حينئذ ايضا فانه ان لا تنفروا يعذبكم بتسليط
اعدائكم عليكم عذابا اليما بالقتل والاسر ودار العذاب الاخروي ولا تخل
ذلك باظهار دينه بل ان تركوا النفير يستبدل قوما غيركم كاهل فارس واليمن
بعدكم بالعذاب الاليم وباستبدال قوم آخرين ولا تضروه شيئا بابطال
دينه والله على كل شيء قدير فيقدر ان يظهر دينه بقوم آخرين بل لا حاجة
اليهم فانكم الا تنصروه اي ان قعدتم على ترك نصره ينصره الله بغير سبب ولا يبعد
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اي حين مكر به الكفار فصار سبب
خروجه فخرج مع ابي بكر ثاني اثنين ليس معه جماعة تنصره فنصره اذ هما
في الغار اذ يقول لصاحبه ابي بكر حين قال لو نظر المشركون الى اقدامهم
لراونا ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن ان الله معنا بالمعونة فانزل
الله بهذا القول سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه اي على
صاحبه فكان نصرا له بلا سبب وقد جعله سببا حتى اذ ايده لنصره يوم
بدر وحنين والاحزاب بجنود من الملئكة لم تروها وان راها الكفار
وليس هذا مخصوصا بوقت دون آخر بل لم يزل يفعل ذلك حتى جعل كلمة

دعوة الذين كفروا مع كثرتهم السفلى الدنية التي لا يبالى لها وكلمة الله
دعوته الى التوحيد والاحكام هي العليا لا تزال عالية الى يوم القيمة ولا
بعد مع ضعف المؤمنين اذ الله عزيز غالب على ما اراد لا يحتاج الى سبب
ولكنه رتب الاسباب لانه حكيم ومن الحكمة في جعلكم سبب النصر بعد فعله بلا
سبب تارة وسبب سماوي اخرى انا بتكم انفروا خفافا فلا يكون لكم اجر النشاط
والمحبة وثقالا لا يكون لكم اجر المشقة وجاهدوا باموالكم لتعوضوا منها الثواب
الابدى وانفسكم في سبيل الله لتعوضوا الحيوة الابدية تفعلون ذلك
وان لم تكلفوا ذلك به اذ ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون مقدار العوضين
لكنهم لا يعلمون لذلك لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا نفعا دنيويا والسعى
اليه سفرا قاصدا وسطا لاتبعوك لا لاجلك بل لموافقة اهوائهم ولو علموا
لتحملوا له اعظم المشاق فراوا ابعد الاسفار اقرب ولكن لجهلهم بعدت
عليهم الشقة اى بعد عليهم السفر ذو المشقة وهم يدعون العلم به ويزعمون
انهم عاجزون عنه وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ولا يفيد بهذه
الدعوى والحلف بل يهلكون انفسهم بهذا الحلف والمخالفة ودعوى
العلم والعجز ولا يصدق الحلف دعوى العجز اذ الله يعلم باقامة الدلائل
العقلية والنقلية انهم لكاذبون والحلف وان كان مصدقا في الجملة فليس
بمصدق لهم لذلك عفا الله عنك عفوه عن المجتهد المخطى لم اذنت لهم
بعللهم حتى يتبين لك بيانا واضحا الذين صدقوا بطريق عزمهم فتاذن لهم
وتعلم الكاذبين بوصفهم عن الاستيذان على انه لا يلتبس فيه الصادق
بالكاذب لانك انما تامر القادرين بالخروج فحينئذ لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله لمنع ايمانهم به من مخالفته مع القدرة واليوم الآخر لمنع ايمانهم به
من ترك تعويض الثواب والحيوة الابدية اذا امروا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم بل يخافون ان يقصروا في ذلك بعد امر الله والله عليم بالمتقين فيعطيهم

من الاجر ما يناسب تقواهم انما يستاذنك في ترك الجهاد بهما الذين لا يؤمنون
بالله فلا يبذلون اموالهم وانفسهم لامره واليوم الآخر اذ لا يرجون ثوابه و
لا جنته وهم وان وجدوا دلائل ذلك ارتابت قلوبهم ورسخ فيها الريب
فهم في ريبهم يترددون لا يخرجون عنه ابدا ولو كان المستاذنون مؤمنين لكان
استيذانهم لعجز عرض لهم بعد القدرة فلو ارادوا الخروج قبل العجز لاعدوا له
عدة من اسباب السفر والحرب ولكن لم يعدوا فلم يريدوا الخروج لان الله
تعالى وان امرهم به ابتلاء كره الله انبعاثهم قصدهم للخروج فثبطهم حبسهم
عنه بالقاء الجبن والكسل عليهم وقيل لهم مع تحريكهم بالامر اقعدوا مع القاعدين
من النساء والصبيان وانما كره انبعاثهم فثبطهم لانه علم انهم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فسادا بالنميمة ولا وضعوا خلالكم اوقعوا التخذيل
والهزيمة بينكم لانهم يبغونكم يطلبون لكم الفتنة ما تفتنون به وانما يتيسر لهم ذلك
اذ فيكم ايها المؤمنون المخلصون سماعون لهم منقادون لقولهم لضعف عقلهم
فيتوهمون منهم النصح والاعانة وقد وضعوا مكانهما التخذيل والفتنة ظلما والله
عليم بالظالمين فكره انبعاثهم وثبطهم ويدل على ابتغائهم الفتنة في كل مرة انهم و
لقد ابتغوا الفتنة من قبل يوم احد وبدر على زيادتهم الخبال انهم قلبوا لك
الامور فغيروها عن جهاتها سعيا في ابطال امرك فلم يزالوا على ذلك حتى
جاء النصر المؤيد للحق وظهر امر الله اى علا دينه وهم كارهون مجيء الحق
وظهور امر الله فكره انبعاثهم ومنهم ومن المستاذنين الطالبين فتنة المؤمنين
من يقول وهو جد بن قيس اذ قال له صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الاصفر
يعني الروم فتتخذ منهم سرارى ووصائف ائذن لي في القعود ولا تفتني
بالنساء واعينك بمالي فرد الله تعالى عليه بان اتخاذ السرارى ليس من الفتنة
المحذورة وانما هي فتنة الكفر والنفاق الا في الفتنة المحذورة سقطوا وهم و
ان لم يروا الكفر والنفاق فلا شك ان جهنم فتنة وان جهنم عند احاطة اسبابها

حسنة

للمحيط بالكافرين ويكفى من اسبابها حسدهم على دينك بحيث ان تصبك
ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة شدة كما فى احد يقولوا قد اخذنا امرنا
بالحزم فى القعود من قبل من قبل ان يصيبهم كانهم اطلعوا على الغيب ويتولوا
عن مجمعهم الذى اظهروا فيه الفرح برايهم وهم فرحون مستمرون على الفرح برايهم
وبما اصابكم وبما سلموا قل لا وجه لهذا الفرح لرضانا بها فانه لن يصيبنا الا ما
كتب الله لنا ونحن راضون بقضائه فلم يسؤنا بالحقيقة كيف ولم يكتبها علينا
ليضرنا بها اذ هو مولانا متولى امورنا وانما كتبها علينا ليوفقنا للصبر عليها والرضا
بها فيعطينا من الاجر ما يجبرها ولا حزم فى التخلف عن الجهاد لاجلها
لانها لما كتبت فلا بد من اصابتها جاهدنا ام لا على انها لا يصيب من صح توكله على
الله لذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون اذا امرهم بنفى محظور قل يا ايها الحاسدون
علينا فى ديننا الذى يجاهد لاجله هل تربصون بنا تنتظرون بنا فى الحسد
على الجهاد الذى نريد به اعلاء ديننا الا احدى العاقبتين الحسنيين
النصر والشهادة ونحن نتربص بكم فى حسدكم احرى السوءين ان يصيبكم
الله بعذاب نازل من عنده بلا واسطتنا او بعذاب واقع بايدينا
فتربصوا فى حسدكم بنا احدى الحسنيين انا معكم متربصون تمنيا لانفسنا
ما تربصتم فى حسدكم فهذا رد تحرزهم من الفتنة واما رد اعانتهم بالمال فهو
المشار اليه بقوله قل لجد بن قيس واصحابه انفقوا فى سبيل الله طوعا او كرها
لن يتقبل منكم لانه انما يتقبل عمل من وافق امر الله ولستم كذلك انكم كنتم قوما
فاسقين خارجين اما فى صورة الطوع فلانكم مامورون بالاخلاص وانتم
مراءون واما فى صورة الكره فلان فعل المكره لا ينسب اليه وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم لو لم يراءوا ولم يكرهوا الا انهم كفروا بالله فان الكفر بالآمر اشد
من مخالفة امره ويكفى فى الكفر به تكذيب رسوله لانه بمنزلة ان يقولوا ان من ارسله
لبس بالكذب ومن علامات كفرهم بالله انهم لا ياتون الصلوة التى بها وصلتهم الى الله

عز وجل الا وهم كسالى اذ مقتضى الايمان ترك التكاسل فيما هو سبب الوصلة
من يؤمنون به وايضا لا ينفقون النفقة التى بها اشارة الى حب الله على حب المال
الا وهم كارهون وهو يدل على ايثارهم حب المال على حب الله واذا ظهرت
لك علامات كفرهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فانها وان كانت نعما
حقها ان تعطى للشاكرين لكن الله لم يعطهم ليشكروها فيجزيهم بشكره بل انما يريد
الله ليعذبهم فى الحيوة الدنيا بما يرون فيها من الشدائد ولا يثابون عليها
على حب الله تزهق انفسهم وهم كافرون اذ يبغضون من سلب عنهم محبوبهم
من الاموال والاولاد بازهاق انفسهم واذا ظهر نفاقهم بحزنهم بحسنة
المؤمنين وفرحهم بمصيبتهم يحلفون بالله انهم لمنكم ليدفعوا بدلالة اليمين
دلالة النفاق وما هم بدلالة اليمين منكم لان دلالة النفاق اقوى كيف ولو لم
يخافوا لم يحلفوا ولكنهم اذا حلفوا علم انهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل
بهم ما يفعل بالمشركين وبسبب الخوف اضطرارهم الى مساكنتكم مع بغضهم ولذلك
لو يجدون ملجأ قوما او حصنا يلجؤن اليهم او اليه او مغارات يسكن كل
واحد منهم غارا او مدخلا نفقا يجمحون فيه كالضب والفارة لولوا اليه
لاظهار كفرهم وهم يجمحون لكراهتهم صحبتكم الملجئة لهم الى اظهار الايمان
ومنهم ومن المنافقين انهم لمنكم من يظهر كفره صريحا فى ظهوره بالعلامات
اذ يلمزك يعيبك فى قسم الصدقات وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير
التميمى راس الخوارج اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسمها فقال
يا رسول الله اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم
اعدل او ابن الجواظ قال الا تنظرون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة
الغنم ويزعم انه يعدل ولم يكن لمزهم لمنعه المستحق واعطائه غيره بل لمنعه اياهم
فان اعطوا منها ولو بلا استحقاق رضوا وجعلوه عدلا وان لم يعطوا منها
لعدم استحقاقهم اذا هم يسخطون يجعلونه غير عدل ولو انهم رضوا ما اتاهم

ابتلوا م

الله ورسوله لدلّ ذلك على اخلاصهم ولا يمنعهم من ذلك عدم كفايته
بل قالوا حسبنا الله فان لم يكفنا الآن سيؤتينا الله من فضله ورسوله
فان لم يؤتنا في المستقبل ايضا فلا نبالي لانا الى الله راغبون ثم بين المستحقين
الذين اعطاؤهم عدل ومنعهم ظلم فقال انما الصدقات حق للفقراء من لا
مال له ولا كسب لائق يقع موقعا من حاجته كانه اصيب فقاره قدمهم
لانهم احق والمساكين من له مال او كسب لا يكفيه كان العجز اسكنه ثم ذكر من
يحتاج اليهم المحتاجون الى الصدقات فقال والعاملين عليها اي الساعين
في تحصيلها القابض والوزان والكيال والكاتب يعطون اجر مثلهم منها
ثم ذكر من يحتاج اليهم الامام فقال والمؤلفة قلوبهم وهم قوم ضعف نيتهم في
الاسلام فيحتاج الامام الى ان يتألف قلوبهم بالعطاء تقوية لاسلامهم لئلا يسري
ضعفهم الى غيرهم او اشراف يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ثم ذكر ما يعان
به في دفع العوارض واجلها الاعانة في فك الرقاب فيعطى المكاتب ما
يستعين به على اداء النجوم وان كان كاسبا ثم ذكر من تنفك ذمته عن الديون
فقال والغارمين من استدان لنفسه في غير معصية ولم يجد وفاء او لاصلاح
ذات البين ولو غنيا ثم ذكر الاعانة على الجهاد الذي تنفك به الاسلام عما يهم
من غلبة الكفار فقال وفي سبيل الله فيصرف على المتطوعة في الجهاد وتشرى لهم الكراع
والسلاح ثم ذكر الاعانة في قطع الطريق فقال وابن السبيل وهو المسافر المنقطع
عن ماله حال كونها فريضة مقدرة لكل صنف من هؤلاء لا بالرأي بل من الله وليست
بمفوض الى رأي الغير ليس له علم كامل ولو علم لربما ذهب الى هواه والله
عليم حكيم لا يميل في شيء الى خلاف مقتضى العلم به ومنهم ومن الذين يحلفون
بالله انهم لمنكم من هو اشد من اللامز في الصدقات اذ هم الذين يؤذون
النبي فوق ايذاء اللامز ويقولون اذا قيل لهم لا تفعلوا ان يبلغه ما تقولون فهو
هو اذن يسمع كل ما يقال له فنقول ما قلنا ثم ننكر ونحلف فيصدقنا فانه اجلاس
بن سويد واصحابه يعنون انه ليس بجيد العقل بل سريع الاغترار بكل ما يسمع
قل اذن خير لكم اي يسمع من كل احد ما هو خير لكم لانه يؤمن بالله ومن خواصه
التصديق في الخبرات ويؤمن للمؤمنين انما يصدق في الشر من عرف كمال
ايمانه لان تكذيب المؤمنين لتصديق المنافقين قبيح جدا وكيف يكذب
المؤمنين لتصديق المنافقين وهو رحمة للذين آمنوا منكم لا للمنافقين
المؤذين له صلى الله عليه وسلم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
فليكن من عذابهم تصديق المؤمنين عليهم وكيف يصدق المنافقون ولا
صدق فيهم في المطلوب وان حلفوا لانه يفعل الله وانما يوقع الله اذا ارضوه
وهم انما يحلفون بالله لكم ليرضوكم دفعا للضرر لكم والله ورسوله احق ان
يرضوه لان ضرر عدم ارضائهما اشد يعلمونه ان كانوا مؤمنين وهو
العذاب فلا يبعد تعذيبهم بعدم ايقاع صدقهم عند حلفهم في قلوب الناس
فان اوقع صدقهم فانما دفع عنهم ادنى الضرر الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
اي يعاديهما فلا يرضيهما فان له نار جهنم خالدا فيها فلا يبلغ ضرر الخلق الذين
يرضيهم ذلك المبلغ فان فعلوا ذلك لدفع الخزي الدنيوي من جهتهم فالاولى
دفع الخزي الاخروي اذ ذلك الخزي العظيم لكن المنافقون لا يبالون لذلك
الخزي الدنيوي من جهتهم فالاولى دفع الخزي وانما يبالون للخزي الدنيوي فانه
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة طائفة من القرآن
محيطة باسرارهم احاطة السور بالمدينة تنبئهم تجمع قبائحهم حتى بما في قلوبهم فتفضحهم
بها ويفعل بهم مثل ما يفعل بالمشركين قل مقتضى هذا الحذر ترك النفاق وانهم
لا يتركونه بل يستهزؤن معه استهزؤا بالله وآياته ورسوله ان الله مخرج بالوحي
او بطريق آخر من قلوبكم ومن سائر اماكنكم الى الرسول والمؤمنين ما تحذرون
خروجه وهم يعتمدون في دفع هذا المحذور اذا خرج على عذرهم الفاسد
فانك والله لئن سألتهم عن انبائهم بتلك القبائح المتضمنة للاستهزاء بالله وآياته

ورسوله ليقولن في الاعتذار انه لم يكن عن القلب حتى يكون نفاقا وكفرا بل
انما كنا نخوض ندخل في هذا الكلام لترويح النفس عن مشاق السفر وليس فيه
مواطاة القلب بل غايته انما كنا به نلعب نمزح قل ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزؤن في ترويحكم ومزاحكم ولم تجدوا لهما كلاما اخر لا تعتذروا بعدد
يكون كفرا وان لم يكن عن جد وقصد قلب وهو اخس من الكفر المستمر اذ قد
كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم بجعلها مؤمنة مخلصة لكون ضحكها
من غير رضى منها والاستهزاء موجب للتعذيب نعذب نعين للعذاب طائفة
بانهم كانوا مجرمين بالنطق به او الرضا وكيف لا يعذب هذه الطائفة وان
الكامل فيها يسري الى الناقص اذ هم كاجزاء الشيء الواحد اذ المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض فيقوى الناقص منهم حتى يلحق بالكامل وكيف
لا وهم مع انهم يأمرون بالمنكر الكفر والمعاصي وينهون عن المعروف الاخلاص
والطاعات ويقبضون ايديهم عن الخيرات نسوا الله الذي يحثهم على
الخيرات والسرور فنسيهم عن لطفه واخرجهم عنه مع عمومه لكمال خروجهم عن
طاعته ان المنافقين هم الفاسقون ولم ينسهم باعتبار قهره وانتقامه اذ
وعد الله المنافقين والمنافقات اي الكاملين والناقصين ما وعد
الكفار وان اظهروا الايمان واجرى عليهم في الدنيا احكام المؤمنين لكن وعدهم
والكفار الذين اظهروا كفرهم نار جهنم وهو وان اخرج منها من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان فلم يؤثر ما ظهر من ايمانهم في ذلك بل جعلوا خالدين
فيها هي وان شاركوا الكفار في عذابهم بنار هي حسبهم ولكن زيد في حقهم
ان لعنهم الله لعنة خاصة بهم ولهم من تلك اللعنة عذاب مقيم وراء اقامة
العذاب المشترك ولا ينافي هذا اللعن تنعيم الدنيوي اذ انتم ايها المنافقون
في ذلك كالذين من قبلكم ممن انعم عليهم ثم عذبوا اذ كانوا اشد منكم قوة
في انفسهم واكثر اموالا بعدهم مزيد قوة ومنافع اخر واولادا انفعهم

مزيد قوة لا تفوت بفوات المال ومنافع اخر فاستمتعوا فانتفعوا بخلاقهم
نصيبهم ثم اعطاكم ايها المنافقون اقل مما اعطاهم فاستمتعتم بخلاقكم القليل
استمتاعا كاملا كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم الكامل ولم تشكروا المنعم بل
خضتم دخلتم في الكلام الردي في حقه كالذي خاضوا كالكلام الذي خاضوا فيه
من غير نقض ولا ينفعكم ايها المنافقون اظهار الايمان والطاعات فان
الاولين مع كفرهم لم يكونوا خالين عن عمل صالح لكن اولئك لبعدهم عن استحقاق
الثواب حبطت اعمالهم فلم تفدهم في الدنيا والاخرة ولو وجد فيهم الايمان
حال الاتيان بها ثم زال عنهم اولئك هم الخاسرون مثلها بعد حصولها
كمن احترق زرعه حين حصاده فان انكروا ما جرى من ذلك على الماضين
فلا وجه له الم ياتهم بطريق التواتر نبأ قصة اهلاك الله بعد تنعيمه الذين من
قبلهم قوم نوح انعم عليهم بنعم منها تطويل اعمارهم ثم اهلكهم بالطوفان وعاد
انعم عليهم بنعم منها مزيد قوتهم ثم اهلكهم بالريح وثمود انعم عليهم بنعم منها القصور ثم
اهلكهم بالرجفة وقوم ابرهيم انعم عليهم بنعم منها عظم الملك ثم اهلك ملكهم نمرود
بالبعوض الداخل في انفه واصحاب مدين انعم عليهم بنعم منها التجارة ثم اهلكهم
بافاضة النار عليهم والمؤتفكات انعم عليهم بنعم منها لذات الوقاع المحرم ثم اهلكهم
لجعل قريهم عاليها سافلها وامطار الحجارة عليها وكان تعذيبهم بعد وعد الله
اذ اتتهم رسلهم بالبينات يعدونهم ذلك العذاب كما يعدكم فان انكروا ايات
الرسل اياهم فما كان الله ليظلمهم ولكن انعم عليهم وكانوا بترك شكره وصرفهم
نعمه الى غير ما اعطاهم اياها لاجله انفسهم يظلمون فيستحقون ذلك العذاب و
لا يبعد ان يعفو عن طائفة منهم وان كان فيهم ضعف ايمان لانه يقوى المؤمنون
بعضهم بعض اكثر مما يقوى المنافقون بعضهم بعضا اذ المؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وتقوية الولاية اعظم من تقوية الجزئية اذ لهم اشتمال
في الظاهر في القول اذ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والاستيلاء

للمنافقين في العكس لميل طباعهم اليه ولهم استيلاء في الظاهر بالفعل اذ يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة فيؤثر رؤيتهما اكثر من تأثير القول ولهم استيلاء في
الباطن اذ يطيعون الله ورسوله اولئك وان كان في بعضهم ضعف ايمان
جنا سيرحمهم الله بتقويته فيهم لانه غالب على ما ظهر ان الله عزيز لكنه انما يظهر في
كل شيء بحسبه لانه حكيم وكيف لا يقوي بعضهم ببعض ويرحمهم بعد التقوية وقد
وعد الله المؤمنين والمؤمنات اي الكاملين والقاصرين جنات وجريان
انهار الانوار من بعضهم الى بعض تجري من تحتها الانهار ولا يعود ضعفهم بعد
التقوية لذلك جعلوا خالدين فيها والضعف وان كان خبث في قلبهم لكن بعد
التقوية تم طيبه لذلك وعدهم مساكن طيبة ولعدم كون قلوبهم بعد التقوية تحت
تطيب مرة دون اخرى جعلت في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
ومنح التقوية وان كانت بعد ضعف فلم يقصر الفوز بها بل ذلك الفوز العظيم
كفوز من قوي من اول الامر يا ايها النبي الذي نبئ باسرار الناس وكان اكثر تأثرا
من سائر المؤمنين ليس لك ان تؤثر في الكفار والمنافقين بالرحمة بل جاهد
الكفار والمنافقين ليؤثر فيهم بالخوف بالعنف ولا تلين معهم ليكون لهم نصيب
من رحمتك العامة بل اغلظ عليهم وكيف يؤثر فيهم بالرحمة وقد احاطت
بهم اسباب الشقاوة لان مأويهم جهنم وليس مصيرهم اليها يوم القيمة لكونهم
اليوم فيها بل بئس المصير ولاحاطة اسباب الشقاوة بهم يحلفون بالله
ما قالوا فيك شيئا يسوءك ووالله لقد قالوا كلمة الكفر وذلك انه صلى الله عليه
وسلم نزل عليه القران في غزوة تبوك بعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت ولم يقتصروا على كلمة الكفر بل كفروا
بافعال بعد اسلامهم ومن جملتها انهم هموا قصدوا بما لم ينالوا من اهلاكه
صلى الله عليه وسلم بدفعه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل

عند رجوعه من تبوك اتفق عليه خمسة عشر منهم وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام
راحلته يقودها وحذيفة يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله وما نقموا وما قصدوا نقمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لشيء الا ان اغناهم الله ورسوله بالغنائم وقد
كان اكثرهم محاويج مكان حقهم ان يشكروه لكونه من فضله لكنهم قصدوا انتقامه
ومع ذلك لم ينزع عنهم فضله بالكلية بل مكنهم من التوبة فان يتوبوا يك خيرا لهم
مبينا لفضله في الدارين وان يتولوا عما عرض عليهم من التوبة يعذبهم الله بنزع
فضله بالكلية ولا يقتصر على النزع بل يجعله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر
والاخرة بالنار وغيرها وما لهم في الارض قبل ظهور الله من ولي يشفع لهم في
دفع العذاب ولا نصير يدفعه بقوته فتاب الجلاس وحسنت توبته ومنهم
ومن المنعمين لاغناء الله ورسوله اياهم بما اتاهم الله من فضله الناكثين
لايمانهم المتولين عن التوبة من عاهد الله وهو ثعلبة بن حاطب اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن
اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين باعطاء كل ذي حق حقه
فدعا صلى الله عليه وسلم له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فلما اتاهم من فضله بخلوا
به اي بفضل من ذلك الفضل وتولوا عن العهد واليمين وهم معرضون قاصدون
الاعراض من اول الامر مستمرون عليه فاعقبهم جعل عاقبة امرهم نفاقا راسخا
في قلوبهم دائما الى يوم يلقونه لا بمجرد البخل بما اخلفوا الله ما وعدوه من التصدق
والصلاح بما كانوا يكذبون في اليمين اذ قصدوا به الحنث وذلك انه صلى
الله عليه وسلم بعث مصدقين فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه

الصدقة فقال ما منع الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ادى رايا فنزلت فجاء بالصدقة فلم يقبلها صلى الله عليه وسلم وليس اعطاء الله اياهم او لا من جهله بقصدهم الحنث بل قد جرى منهم او لا بمقتضى طباعهم ثم اظهر نفاقهم والزمهم اياه لاجترائهم على الله بنسبة الجهل اليه بما هم عليه الم يعلموا ان الله يعلم سرهم وهو قصدهم الحنث في اليمين في ابتدائه ونجويهم ما تناجوا به من تسمية الزكوة جزية او اخت الجزية وكيف اعتقدوا ذلك فيما وجب فيهم وله نوع من الظهور وقد علموا ان الله علام الغيوب التي لم تخرج الى الوجود ولا يبعد استهزاء الله بهم بجزيه معهم على طباعهم اولا ثم اظهار قبايحهم وقد استهزءوا ببعض عباده اذ الذين يلمزون يعيبون المطوعين المتبرعين من المؤمنين وان لم يبلغوا الى حد الولاية في الصدقات فيزعمون انهم تصدقوا رياء ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون الا قليلا فيعطون جهدهم اى مقدار طاقتهم ولا يقتصرون على ادنى اللمز بل يبالغون فيه فيسخرون منهم فيقولون ان الله ورسوله غنيان عن صدقتهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم ولهم من سخريتهم لو لم يجازهم الله من خارج عذاب اليم من الهيئة القبيحة التي يحصل لهم منه روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال مالي ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة الاف وامسكت لعيالي اربعة الاف فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فصولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عمرو بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر وقال بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فقال المنافقون ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت

استغفر لهم اى للذين سخر الله منهم لسخريتهم بالله او باحد من المؤمنين في العمل الصالح او لا تستغفر لهم فانهما في حقهم سواء وان بالغت في الاستغفار بحيث ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم كما لا يغفر لهم لو لم يستغفر لهم اصلا ذلك اى عدم الغفران لهم بانهم كفروا بالله ورسوله اذ سخروا منهما او من العمل الصالح الذي هو مقبول عندهما ولا يفيد الاستغفار للكافرين لخروجهم عن امر الله بالكلية والله لا يهدي القوم الفاسقين طريق التقرب اليه ليقع حجب المعاصي سترها بالاستغفار ولعدم هدايتهم جعلوا الفرح مكان الحزن والكرامة مكان الرضا فانه فرح المخلفون اى الذين خلفهم الشيطان عن غزوة تبوك اذ رضوا بمقعدهم اى بملازمة مكان قعودهم لكون قعودهم خلاف رسول الله مع ما فيه من حزن المعاقبة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله مع ما فاتهم من الثواب الابدي والحيوة الطيبة الابدية الموجبة للرضا ومن ضلالهم ترجيحهم حر الشمس على حر نار جهنم اذ قالوا لا تنفروا الى الجهاد في ايام افراط الحر حر الشمس قل نار جهنم على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدل ثواب الجهاد والحيوة الطيبة الابدية اشد حرا بل يدركون غاية شدتها لو كانوا يفقهون ان ان غضب الله يجب ان يكون كذلك واذا كان فرحهم لمخالفة الله ورسوله موجبا لهذا الاثر من غضبه فليضحكوا بفرحهم قليلا غاية مدة حيوتهم وليبكوا كثيرا بعد الموت ابد الاباد جزاء بما كانوا يكسبون بهذا الفرح من الكفر والمعاصي العظايم واذا تحقق فرحهم بالقعود خلافك وكراهتهم للجهاد فان رجعك الله الى الجهاد مع حضور طائفة منهم فاستاذنوك للخروج دفعا للعار السابق فقل هذا الاستيذان يجدد العار لانكم تفرحون بخلافي وتكرهون الجهاد لن تخرجوا معي ابدا وان امرتم بعد استيذانكم ولئن خرجتم لن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فخذلكم الله وسقطتم عن نظره بل غضب

الخالفين

عليكم والزمكم العار فاقعدوا مع القاعدين من النساء والصبيان دائما
ولا ينقطع غضب الله عنهم بموتهم بل هو مؤبد لذلك لا تصل على احد
منهم اذا مات ولا ينسخ هذا النهي بل يبقى ابدا لانها شفاعة في حقهم ولا
تقم على قبره للاستغفار اذ لا استغفار في حقهم انهم كفروا بالله ورسوله في
الحيوة بالباطن وماتوا وهم فاسقون خارجون عن الايمان الظاهر
الذي كانوا به في حكم المؤمنين قيل بعث عبد الله بن ابي في مرضه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عمر فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله لم ابعث اليك لتلومني ولكن بعثت اليك
ليستغفر لي وسأله قميصه ليكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له ونفث في جلده
وصلى عليه وولاه في قبره ونزلت ولا منافي دوام غضب الله عليهم اعطائهم
الاموال والاولاد ولا تعجبك اموالهم واولادهم اذ لم يرد الله انعامهم
بها ليدل على رحمته بهم بل انما يريد الله بها انعامهم لانه اعطاهم ان يعذبهم
بها في الدنيا بالمشقة في تحصيلها وحفظها والحزن عليها وتزهق انفسهم وهم
كافرون بالله ليغيظهم اياه عند سلبه اياهم عن محبوبهم فهو كسلب المحبوب ومما
يدل على ان اموالهم ليعذبهم في الدنيا انها سلبتهم الجاه الذي هو الذ من
المال اذ يلحقهم بالصبيان والنساء وعلى انها تزهق انفسهم حال الكفر
انهم يخالفون لاجلها مقتضى الايمان وذلك انه اذا انزلت سورة طائفة
من القرآن محيطة بالعلوم احاطة السور امرهم ان آمنوا بالله واستدعوه
من الخلق بان جاهدوا مع رسوله الداعي استأذنك اولوا الطول
الفضل والسعة منهم لخوفهم على اموالهم وقالوا ذرنا اتركنا عند اموالنا
نكن مع القاعدين لحفظها فهؤلاء مع مخالفتهم مقتضى الايمان وهو ان
لا يرضى بكفر احد فيستدعي ايمان الكل تركوا الجاه اذ رضوا بالعار العظيم
بان يكونوا مع النساء الخوالف لحفظ البيوت لايثارهم حب المال على حب

الجاه على حب الله وطبع على قلوبهم التي تعرف ما في حب الله والتقرب اليه
من الفوائد الجليلة وما في الجاه من الفوائد الدنيوية فهم لا يفقهون ما فوتوا
على انفسهم من تلك الفوائد التي ادناها النصر والغنيمة واعلاها التقرب الى
الله وهم يزعمون انه من كمال فهمهم وهو غلط اذ لو كان كذلك لكان الرسول
والمؤمنون الذين هم افقه خلق الله اولى بذلك لكن الرسول والذين آمنوا
فبلغوا فيه درجة الكمال في الفقه حتى صاروا معه آثروا حب الله على كل شي
حتى جاهدوا باموالهم وانفسهم لغلبة حب الله عليهم على حب الاموال والانفس
فحفظ الله اموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات النصر والغنيمة وحفظ
الجاه في الدنيا واولئك هم المفلحون باجر الايمان الكامل والجهاد وايمان
من آمن بسببهم واعمالهم وغير ذلك وبالقرب من الله ولا تضرهم ضياع
اموالهم وانفسهم لو تلفت في الجهاد اذ اعد الله لهم بدل اموالهم جنات
وبدل نمائها كونها تجري من تحتها الانهار وبدل حيوتهم كونهم خالدين فيها
ذلك اي استبدال هذه الامور الخسيسة بتلك الامور الشريفة هو الفوز
العظيم الذي لا نسبة فيه للمبدل الى البدل اذ لا نسبة لا شئ الى ما لا يتناهى
لكن هذا الفوز انما حصل لمن فقه وليس من الفقه الاتيان بالاعذار
الكاذبة ولا عدم المبالاة بالله ورسوله مع دعوى الايمان فانه اذا انزلت
سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله جاء المعذرون اي الموهمون
ان لهم عذرا من الاعراب الذين لا فقه لهم ليؤذن لهم في ترك الجهاد
الذي له ما ذكر من الفوائد وقعد من غير اعتذار من الاعراب من
قلة المبالاة بالله ورسوله الذين كذبوا الله ورسوله في دعوى الايمان
مع ظهور علامات الكفر من قلة المبالاة فاني يكون هذا من الفقه على انه
استبدال العذاب بالثواب فانه سيصيب الذين كفروا منهم عذاب
اليم بظهور كفرهم وافتضاحهم في الدنيا والنار في الآخرة هذا في القعود عن

عدم المبالاة مع الاعذار الكاذبة لا في كل قعود ولا في الاعذار الصادقة
لذلك ليس على الضعفاء وهم العاجزون مع الصحة عن العدو وتحمل
المشاق كالشيخ والصبي والمرأة والنحيف ولا على المرضى العاجزين بامر
عرض لهم كالعمى والعرج والزمانة ولا على الاقوياء الاصحاء الذين لا يجدون
ما ينفقون في السفر والسلاح حرج في القعود بلا عذر ومعه اذا نصحوا لله
ورسوله خلصوا الايمان والعمل الصالح فلم يرجفوا ولم يثيروا الفتن واوصلوا
الخبر الى المجاهدين واقاموا بمصالح بيوتهم كيف وهم بالنظر الى الله ورسوله
محسنون وما على المحسنين من سبيل الى عتابهم فضلا عن عقابهم وان
عموم الخطاب ساقط عنهم اذ الله غفور للمكلف المعذور لانه رحيم ولا
سبيل على الذين اذا ما اتوك لتحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
كمعقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة
بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد ليبلغوا امكان العدو قلت
لهم لا اجد ما احملكم عليه لحسنه تولوا واعينهم كانها تفيض بانفسها اذ
صارت ممتلئة من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون في التحملين فهؤلاء
وان كانت لهم قدرة على تحمل المشاق فما عليهم من سبيل ايضا فضلا عن
المعاقبة انما السبيل بالعتاب والعقاب على الذين يستأذنونك وهم
وان كانوا دون القاعدين من عدم مبالاتهم بالله ورسوله اغنياء قادرين
على تحصيل الاهبة فاقل ما يعاتبون به انهم رضوا بان يكونوا مع الخوالف
من النساء والصبيان وساير اصناف العاجزين وهذا الرضا كما هو
سبب العتاب فهو ايضا سبب العقاب لانه لما كان من قلة مبالاتهم بالله
غضب الله عليهم وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب عليه من المصائب
الدنيوية والدينية ولغاية جهلهم يعتذرون بهذا السبيل عليهم وهو لا يسند
الا بسد الله تعالى وليس اعتذارهم اليك بل اليكم اذ لو كان الى الله لكان قبل

رجوعكم اليهم لكنه اذا رجعتم اليهم اذ قبله كانوا يتوقعون عدم رجوعكم فاذا رجعتم
اليهم خافوا ان تفضحهم بالنفاق قل لا تعتذروا الظهور كذبكم اذ لم يمنعكم فقر
ولا مرض فلا تستر كم لانا لن نؤمن لن نصدق قولكم حتى يكون معتدا لكم و
كيف نصدقكم مع انه قد نبأنا الله بما يفضحكم من اخباركم ولو لم يبق الظهور
كذب عذركم بافعالكم فانه سيرى الله عملكم وسيعلم اعتذاركم اليه غضبا
عليكم فلا يبعد ان يظهره بما عند رسوله فيراه رسوله ولا يبعد يأمره بتبليغه
ليفتضحوا عند الكل ثم ان لم يفضحكم ههنا فلا يبعد ان يفضحكم عند جميع الخلايق
يوم القيامة اذ تردون الى عالم الغيب والشهادة فلا يقتصر في فضيحتكم بالظاهر
بل يعم الظاهر والباطن فينبئكم بما كنتم تعملون اي بجميع اعمالكم بحضرة جميع الخلائق
واذا لم يقبل عذرهم يرون انه انما لم يقبل لكونه غير مقرون باليمين فيحلفون
سيحلفون بالله تقريرا لكم ويدل على هذا التقرير كونه اذا انقلبتم اليهم
ولا يقصدون بذلك تصديقكم اياهم ليأسهم عنه بل لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم فلا تعفوا فيهم وان كان داعيهم الى الاخلاص انهم رجس ولا يفيد
بذلك السبيل الذي جعل عليهم اذ ماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون من
الاصرار على النفاق بالاعراض عنهم ثم اذا علموا ان اعراضكم عنهم انما هو
لكونهم رجسا يحلفون لكم لترضوا عنهم باعتقاد الطهارة والاخلاص منهم
فان ترضوا عنهم فلا يفيدهم رضاكم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين
عن الطهارة والاخلاص وان ادخلتموهم فيهما فغايته الاعراض السابق
عليه لا غير ثم اشار الى ان منافقي الاعراب اشد رجسا فلا يغتر بحلفهم
وان لم يكذبهم الوحي فقال الاعراب اذا نافقوا اشد كفرا فلا يبالون
بالكذب في حلفهم بالله ولا يغتر بحلفهم وهم اجدر احق ان لا يعلموا حدود
نهايات احكام ما انزل الله من مقام جمعه على رسوله الجامع فلا يعلمون ما
يلزم الحالف بالله على الكذب لعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم

الا

لكم

جبن

بعدم ظهور ايات الكذب عليهم لان منشأ ذلك كونهم اشد نفاقا وكيف تغني

الكتاب والسنة والله وان جعل المكلف سبب النقص حين لا يعارضه
امارة الكذب وهي وان كانت خفية في بعض المواضع لا تخفى عليه لانه عليم
وكيف يجعله مع افادة الكذب سبب النقص مع انه حكيم ومن عدم
علمهم بحدود ما انزل الله جعلوا ما هو سبب محبة الله والاخلاص معه سبب
النفاق اذ من الاعراب من يتخذ ما ينفق في سبيل الله وهو سبب الاخلاص
مغرما خسرانا وهو سبب العداوة وكذلك يتربص ينتظر بكم الدوائر دوائر
الفلك ليتخلص من ذلك النفاق فينقلب لكم بذلك عليهم دائرة السوء من
تلك الدوائر التي ينوبكم بها ظلما كيف والله سميع لمقالتهم مستجيب لها لا في
حقكم اذ لا تستحقونها بل في حقهم لانه عليم بما يستحقونها نزلت في غطفان واسد
وتميم وبني عامر بن صعصعة وانما جعلوه سبب العداوة لعدم ايمانهم
بالله فيتقربوا اليه ولا باليوم الاخر فيرجوا ثوابه واما المومنون فيرون فيه
فيه انواع القربات ولو كانوا من الاعراب من يومن بالله واليوم
الاخر وان لم يخالطوا اهل العلم وقل سماعهم الكتاب والسنة ولايمانه
بالله المتقرب اليه واليوم الاخر المنتفع فيه بالتقرب اليه يتخذ ما ينفق في
سبيله قربات امتثالا لامره وترجيحا لجهة وقطعا لحب ما سواه لينتفع بها
عند الله واذا نظر الى قصوره راى كماله من صلوات دعوات
الرسول بالرحمة المكملة لقصوره الا انها قربة كاملة لهم جامعة لانواع
القربات يكملها الله بدعوة الرسول ويزيد على مقتضاها فانه سيدخلهم
الله في رحمته بحيث يحيط بحجابهم وان كان قصورهم من معاصيهم يغفرها
لهم ان الله غفور رحيم قيل نزلت في عبد الله ذي البجادين وقومه
ولما كان لمومني الاعراب مع بعدهم عن العلم القربة والرحمة كان
للسابقين الرضوان كما قال والسابقون وليس المراد بهم المقربون
بل الاولون وليس العوام اذ كانوا من المهاجرين والانصار

فان من الاعراب

اي من تقدم بالهجرة والنصرة والذين اتبعوهم سلكوا سبيلهم بشرط اقترانهم
باحسان وهي عبادة ربهم كانهم يرونه رضي الله عنهم لان الهجرة امر شاق
على النفس لمفارقة الاهل والعشيرة والنصرة منقبة شريفة لانها اعلاء كلمة
الله ونصر رسوله واصحابه والاحسان من احوال المومنين او مقاماتهم و
دليل رضوانه عنهم انهم رضوا عنه واستلزم رضاه عنهم كل خير فبل ان
يخلفوا اذ اعد لهم قبل ان يخلقهم جنات بدل ما تركوا من دورهم و
اهليهم وبدل ما اعطوا للمهاجرين من اموالهم واخرجهم جنات القرب
في قلوبهم تجري من تحتها الانهار لاجرائهم انهار المعارف في قلوب من
اتبعوهم بهذه الهجرة والنصرة والاحسان خالدين فيها ابدا لتخليدهم
هذا الدين باقامة دلائله وتاسيس قواعده الى يوم القيمة والعمل بمقتضاه
واختيار الباقي على الفاني ذلك الحاصل لهم من اجر الهجرة والنصرة
واقامة الدلائل وتاسيس القواعد الفوز العظيم بدل ما تركوا من
الامور الخسيسة ثم اشار الى ان هذا الرضوان وان عم المهاجرين و
الانصار يستثنى من الانصار المنافقون سواء كان نفاقهم لبعدهم
عن مخالطة اهل العلم او للعناد الباطن فقال وممن حولكم من الانصار
الاعراب مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار بعضهم منافقون لا يستحقون
الرضوان والرحمة وان يغدوا عندكم وكانوا قبيل العقبة ومن اهل المدينة
الاوس والخزرج بعضهم ايضا منافقون وهم اولى بعدم الرضوان و
الرحمة لانهم مع مخالطتهم لاهل العلم ومعاينتهم المعجزات مردوا مرنوا
وثبتوا على النفاق ونفاقهم وان كان بحيث لا تعلمهم مع صدق فراستك
لا تعدهم اذ نحن نعلمهم سنعذبهم بدل الرضى الذي هو فوق الرحمة مرتين
مرة باظهار نفاقهم واخراجهم يوم الجمعة في خطبتها من المسجد باسمائهم
ومرة باحراق مسجد الضرار وقيل الاولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم

رهم

عند قبض ارواحهم والثانية عذاب القبر وهذا البدل في الدنيا او
القبر ثم يردون الى عذاب عظيم فوق البدل يوم القيمة ومن اهل
المدينة قوم آخرون ليسوا من اهل الرضوان وان لم يكونوا منافقين
لانهم اعترفوا بذنوبهم فلم يعتذروا بالاعذار الكاذبة وانما لم يكونوا من
اهل الرضوان لاختصاصه باهل الصلاح وهؤلاء خلطوا عملا صالحا
كالندم وربط انفسهم بالسوارى وعملا آخر سيئا كالتخلف عن الغزوة
عسى الله ان يتوب عليهم قرب ان يقبل توبتهم ان الله غفور لسيئاتهم
رحيم بصالحهم نزلت في ابا لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
بن حرام تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وربطوا انفسهم بالسوارى
وعزموا ان لا يطلقوها حتى يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع
اليهم فقال صلى الله عليه وسلم لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم
فانزل الله هذه الاية فارسل اليهم فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه
اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم اي بعضها
صدقة لتصدق توبتهم اذ تطهرهم بها عن حب المال بعد التطهير بالتوبة
عن المعاصي وتزكيهم بها عن ساير الاخلاق الذميمة التي حصلت من
المال ولو لم يكمل تزكيتهم بها وصل ادع بالرحمة عليهم لتوصلهم الى الله تعالى
فان حصلت التزكية قبلها احتيج اليها ايضا للتسكين ان صلوتك سكن
لهم اي تسكنهم في مقام التزكية والقرب ولا يتردد في تاثير صلوتك فيهم
اذ الله سميع مجيب لصلواتك عليهم تتفاوت بحسب تاثيرها استعداداتهم
اذ هو عليم باستعداداتهم وكيف يشكون في تاثير صلواتك مع انه لا
ينبغي لهم ان يشكوا في قبول توبتهم واخذ الله الصدقة منهم الم يعلموا ان
الله هو يقبل التوبة من غير شفاعة شافع لصدورها عن عباده الراجعين

اليه بعد الاباق عنه ويأخذ الصدقات قبل ان يأخذها الفقير
اذ تخرج عن ملك المتصدق اولا فتدخل في ملك الله تعالى لكنها
تقع في يده اولا ثم تقبل بها الفقير وكيف يشكون في هذين وقد علموا ان
الله هو التواب الرحيم بذاته فلا حاجة الى الشفاعة ولا الى قبول الفقير
وقل لاهل التوبة والتزكية والصلوات لا يكتفوا بها بل اعملوا جميع ما تؤمرون
به فسيرى الله عملكم فيرضيكم قربا على قرب ورسوله فيرضيكم صلوات والمؤمنون
فيشفعونكم فيحصل لكم اجرهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء وان قصرتم
في شيء مما امرتم به ستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون من سائر اعمال الخبيثة بعدما اعطاكم هذه الفضايل فان الاعمال
الخبيثة انما حصلت من اضدادها الخبيثة ومن اهل المدينة قوم آخرون
ليسوا من اهل الرضوان ولا اهل العذاب الجازم ولا من اهل
الرحمة الجازم لانهم نافقوا وتابوا توبة قاصرة وهم كعب بن مالك و
هلال بن امية ومرارة بن الربيع فهم مرجون مؤخرون انتظارا لامر
الله اي الحكم فيهم لامر الله ليرد حالهم بين امرين اما يعذبهم لبقاء
اثر النفاق فيهم واما يتوب عليهم وان قصرت توبتهم فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرهم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم
فاخلصوا توبتهم فرحمهم والله عليم بما ينبغي ترجيحه من اثر النفاق
والتوبة حكيم لا يرجح من غير مرجح فرجح امر التوبة عند اخلاصها فهم
المخلفين على هذه اقسام ماردين على النفاق وتائبين ومرجين ومن
اهل المدينة الذين قصدوا باكمل اعمال المسلمين اشد وجوه الكفر وهم
بنو غنم بن عوف حيث اتخذوا مسجدا يقصدون به نفع المسلمين باهل
اعمالهم وهي الصلوة بالجماعة تقوية للاسلام وجمع قلوب اهله على الخيرات
ودفع سائر الخلاف من بينهم ضرارا للمسلمين اذ قصدوا اقلهم فيه

بعد سد ابوابه وكفرا اذ قصدوا به قتل الرسول صلى الله عليه وسلم
ولو لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يوقع تفريقا بين المؤمنين الذين كانوا
يجتمعون بمسجد قبا وارصادا اعدادا مكان تفريقا لمن حارب الله
ورسوله اي لابي عامر الراهب الذي حارب المؤمنين من قبل يوم
حنين فانهزم فذهب الى الشام ليذهب الى قيصر فياتي بجنود منه
فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى
تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي لنا فيه و
تدعو بالبركة فقال اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فلما
انصرف من تبوك نزل بذي اوان موضع بينه وبين المدينة ساعة
اتوه فسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه وياتي مسجدهم
فانزل الله تعالى هذه الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن ووحشيا فقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وتفرق عنه اهله وبعد ظهور هذه
المقاصد منهم ليحلفن ان اردنا الا الارادة الحسنى ليس معها هذه
المقاصد والله يشهد انهم لكاذبون في دعوى هذه الارادة بل لم تكن
الا تلك المقاصد الفاسدة ولو غيروا الآن قصدهم لا تقم فيه للصلوة
لكونه موضع غضب الله ابدا اي في وقت من الاوقات وان تغيرت
في بعضها انه لا ينافي لهم شيء من تلك المقاصد الباطلة لمسجد بناه
اخوتهم بنو عمرو بن عوف وهو مسجد قبا لكونه محل رضا الله اذ
اسس بني على التقوى اي قصد التحفظ من معاصي الله بفعل الصلوة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ولو قصدوا بمسجدهم التقوى اليوم فلا
يكون كالذي اسس عليها من اول يوم ابتدئ بناره فيه احق ان

تقوم

تقوم فيه وترك الاحق في حقك كالحرام ثم المقصود من المسجد الاجتماع
لمن يصلي فيه والمصلون فيه رجال كاملون اذ يحبون ان يتطهروا
بالغوا في الطهارة الظاهرة باتباع الغائط الاحجار الثلثة ثم الماء
وترك النوم على الجنابة وفي الباطنة بترك المعاصي والاخلاق الردية
فيتعدى صفاء بواطنهم ويسري منها الى بواطن من يجتمع معهم واقل ما فيه
الاجتماع باحباب الله اذ الله يحب المطهرين فهو موجب لمحبته ا
ينكرون فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار فمن اي فهل يستوي من
اسس بنيانه على قاعدة محكمة هي تقوى اي تحفظ من الله اي من غضبه
وطلب رضوان منه خير ام بنيان من اسس بنيانه على اضعف القواعد
كانه شفا شفير جرف هو جهنم هار ساقط وكان عليه فانهار به اي سقط
معه في نار جهنم ولا مخلص له من هذا السقوط لظلمه اذ الله لا يهدي
القوم الظالمين لما يحفظون به عن السقوط وكيف لا يكون بنيانهم
سبب سقوطهم وهو سبب بهم اذ لا يزال بنيانهم الذي بنوا على هذه
المقاصد الردية يوقع ريبة راسخة في قلوبهم في جميع الاوقات الا
ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قوة ادراك وهذا وان كان
غيبا عليهم والهدم افساد لكن الله عليم وهو وان كان ستارا لكنه في
اظهاره حكيم اذ حفظ به المسلمين عن مقاصدهم الردية وان كانت
لا تضرهم بالجميعة اذ يعوض لهم خيرا مما اخذ منهم ان الله اشترى ابتدا
من المؤمنين فكيف بهم اذ لا عوض لنفوس الكافرين ولا لاموالهم انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة اي جنتها ونعيمها الحاصل بالاموال يقاتلون
في سبيل الله بانفسهم واموالهم فيحصل لهم اجر مباشرة القتل وانفاق
المال فيقتلون فينالون درجة الشهداء والله تعالى وان لم يجب عليه
شيء ولو بالبشرى لكنه لما وعد بذلك وعدا صار كالواجب عليه حقا ثابتا

اعداءه فيحصل لهم اجر
دفع افسادهم ويقتلون
صح

وقد كرره في اجلة كتبه التورية والانجيل والقران فصار في غاية
ولو لم يكن وثيقا لوجب تحققه فانه من اوفى بعهده من الله ولو غيره من
وغاية هذا البيع ان يقتلوا في سبيل الله فاذا قتل اخوانكم في سبيله
فاستبشروا مكان الحزن عليهم ببيعكم بتحقق غاية مقاصد بيع اخوانكم
الذي كانكم بايعتم به فافرحوا فرحهم بنيل الشهادة كيف وقد حصل لهم بدل
الفاني الذاهب بلا بدل الشرف الباقي وذلك الفوز العظيم على ان الجنة
لو لم تجعل عوض انفسهم واموالهم فقتلهم ايضا موجب للفرح ثم يصلون
الى الجنة بسائر اعمالهم اذ هم التائبون عن الكفر والمعاصي ولا بد لهم
من عبادة فهم العابدون بانواع العبادات ولا بد لهم من الصلوة
التي لا تجزئ الا بفاتحة الكتاب فهم الحامدون لله بجميع المحامد فلا بد
لهم من النظر في كمالاته المنتشرة في العالمين فهم بهذا النظر هم السائحون
السائرون في العالمين واذا راوا كمالات الاشياء به انكسروا لعظمته
وتذللوا لكمالاته فهم الراكعون الساجدون وجهة كمالاته ترفعون النقائص
من العالمين فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وانما يحصل
بذلك الكمالات اذ يحصل لهم بذلك الاعتدال فهم الحافظون لحدود
الله المانعة من الافراط والتفريط ولو لم يكن فيهم شيء من ذلك بشر المؤمنين
بالجنة على مجرد ايمانهم فلا ضرر على المؤمنين بقتلهم اصلا وانما منع من
افسادهم لانه يمنع انتشار الدين على من بعدهم ويكفي المؤمنين من
البشارة انهم قابلون للاستغفار من بعد موتهم وان بلغوا في المعاصي
ما بلغوا في المشركين فانه ما كان للنبي وان بلغ من القرب ما بلغ والذين
آمنوا وان بلغوا في الكثرة مع العلو المراتب ما بلغوا ان يستغفروا
ولو على سبيل الاجتماع للمشركين لانهم لا يقبلون نور الاستغفار منهم
ولو كانوا اولي قربى فان قرابتهم وان افادتهم المناسبة بهم وافادت

رحمتهم بهم فلا يفيدهم قبول نور الاستغفار فلا يجدي لهم استغفار من
بعد ما تبين لهم بموتهم على الكفر انهم اصحاب الجحيم بخلاف ما لو دعوا الكفار
للايمان واستغفروا لهم بشرط الايمان ولا يرد استغفار ابراهيم لابيه فانه ما كان
استغفار ابراهيم لابيه ناشئا عن شيء من قرابته وغيرها الا عن موعدة وعدها
اياه بقوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك ربي وكان قبل ان يظهر
موته على الكفر فلما تبين له بموته على الكفر انه عدو لله باعتقاد الشرك فيه
تبرأ منه اي من ابيه بالكلية فضلا عن الاستغفار وانما وعد بذلك لافراط
ترحمه عليه وتحلمه عما يعرضه من الغيرة على المعاصي ان ابراهيم لأواه كثير
التأوه من افراط الترحم حليم صبور على ما يعرضه من الغيرة من افراط
الترحم فيغلبه الرحم على الغضب لرؤيته سبق رحمة ربه على غضبه ولو كان
استغفار ابراهيم بعد موت ابيه على الكفر قبل الوحي بمنعه لم يكن معصية
حتى يسمى ابراهيم عاصيا ضالا فانه ما كان الله ليضل قوما اي يسميهم ضلالا
عصاة بعد اذ هداهم بالنبوة والايمان وغيرهما حتى يبين لهم ما يتقون
ما يحترزون عنه لامتناع تكليف الغافل وكيف يسميهم ضلالا وقد علم ان
الهداية والضلال امران شرعيان فيهما فرع التكليف ولا يجوز تكليف
الغافل ان الله بكل شيء عليم واذا بين لهم تحريم الاستغفار اوجب
الاستغفار الضلال لدخولهم تحت نهي الله الذي حرم ذلك الاستغفار
ان الله له ملك السموات والارض ولا ينبغي ان يعترض بأنه فان له ان
يضله بعده لانه يحيي بالاهداء ويميت بالاضلال ولا يبقى المستغفر له الهداية
ولا يدفع الضلال فانه ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير من اوليائه
اذا جزم بنهيكم فضلا من اعدائه وكيف لا يعفو عن الغافل عن التكليف
وقد عفى عن غفلة من علم التكليف وغفل عن وجود المكلف به مع ظهوره فانه
لقد تاب الله على النبي فعفى عن اذنه للمنافقين في التخلف عن الغزو

لغفلته عن الكذب اعذارهم مع ظهور كذبها وكيف لا يعفى عن مثل
الى الاستغفار للاعتراف مع الجهل بجرمه وقد تاب على المهاجرين و
الانصار فعفى عن ميلهم الى التخلف لانهم الذين اتبعوه في الخروج الى تبوك
في ساعة العسرة حيث يتعاقب عشرة على بعير واقتسم رجلان تمرة ونحر بعضهم
البعير من شدة العطش فعصر فرثه فشربه وجعل ما بقي منه على كبده مكان
اتباعهم من بعد ما كاد تزيغ تميل قلوب فريق منهم ثم مع علمهم بجرح
ذلك الميل تاب عليهم حتى وفقهم للمتابعة مع ان مثل هذا الزيغ من اهل
العلم موجب للمقت الالهي لكنه لم يمقتهم لهجرتهم ونصرهم انه بهم رؤوف
يرحمهم بلا كره لانه رحيم بادنى اسباب الرحمة فكيف مع الهجرة والنصرة و
كيف لا يتوب على هؤلاء مع مجرد ميلهم وقد تاب على الثلثة الذين خلفوا
عن الغزوة وكمال التوبة وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع وهم المرجون لامر الله الذين منع الناس من مكالمتهم خمسين
ليلة حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت مع سعتها اذ لا يمكن
الذهاب الى احد وضاقت عليهم انفسهم اذ لازموا مكانهم واذا ارادوا
الفرار من المدينة ظنوا ان لا ملجأ لا مفر من غضب الله الا اليه الى استغفاره
ثم لما صدقهم تاب الله عليهم وفقهم للتوبة الكاملة ليتوبوا توبة توجب
الرحمة ان الله هو التواب الرحيم لمثل هؤلاء الذين الجئوا الى التوبة فضلا
عمن يتوب باختياره منه يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم ان تخافوا نقمته
في معاصيه حتى لا يوفقكم للتوبة وان كان توابا رحيما اتقوا الله فلا تعصوا
اعتمادا على توبتكم او رحمته وكونوا للاستعانة على سلامة التقوى مع
الصادقين ولوجوب التقوى وملازمة الصادقين ما كان لاهل المدينة
المتيسر لهم ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن حولهم
سيما اذا كانوا من الاعراب لبعدهم عن اهل العلم الداعي الى الصدق

ان يتخلفوا في الجهاد عن رسول الله لان ترك الجهاد مخل بالتقوى و
عن رسول الله مخل بملازمة الصادقين لان المتخلفين من غزوة ذوي
الاعذار منافقون وكيف لا يحرم التخلف عنه صلى الله عليه وسلم ولا
يرغبوا وما كان لهم ان يرغبوا يميلوا بانفسهم اي يتركوا انفسهم في اشق ما
يجاوزن عن مشاق نفسه بل كل ما يحملها من المشاق يجب عليهم ان
يحملوا ذلك اي لزوم تحمل المشاق عليهم بانهم لا يصيبهم ظماء عطش ولا
نصب تعب من السير سيما مع العطش ولا مخمصة مجاعة تضعفهم عن
السير لكنها سيرهم في سبيل الله ولا يطاؤن موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ
الكفار الذين هم اعداء الله واغضاب العدو يفيد رضا عدوه ولا
ينالون من عدو نيلا قتلا او هزيمة او اسرا وهو فوق الغيظ فهي اتم
في افادة الرضى الا كتب لهم به عمل صالح فاذا مالوا بانفسهم فانهم ذلك
واهل القرب يؤاخذون بالتقصير مع تفويتهم واجب الجهاد وملازمة
الرسول وكيف لا يكتب لهم بذلك عمل صالح مع انهم بتحمل المشاق محسنون
لانهم انما تحملوها بالنظر الى الله ان الله لا يضيع اجر المحسنين وكيف يضيع
اجر اعمالهم الشاقة مع انه لا يضيع اجر الانفاق شق ام لم يشق فانهم لا
ينفقون نفقة صغيرة لا يشق مثلها ولا كبيرة ولا اجر ما هو ادنى من
الانفاق فانهم لا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح وهو وان كان
ادنى لم يلحقها لاحسانهم بالاعمال الكاملة ليجزيهم الله على كل عمل لهم كامل
او قاصر احسن ما كانوا يعملون اي جزاء احسنها فاذا تركوه مع قربهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المؤاخذة عليهم اشد ثم اشار الى
ان ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت واجبة على من قرب
منه في جميع الاحوال سيما الجهاد واما ساير المسلمين فلا يلزم جميعهم فقال
وما كان المؤمنون لينفروا عن بلادهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

كافة بحيث يخلو بلدانهم عن الناس لكن لا بد لهم من معرفة الدين
فلولا نفر من كل فرقة من كل جماعة كثيرة كاهل بلدة منهم طائفة جماعة
قليلة ليتعلمهم الكفاية في تصحيح الاعتقادات ومعرفة الاعمال الشرعية
ليتفقهوا ليتعلموا ما يكون به ماهرين في الدين ولينذروا قومهم من الاعتقادات
الفاسدة والاخلال بالاعمال الشرعية لا في كل وقت بل اذا رجعوا اليهم
لا بقصد صرف وجوههم اليهم بل ارادة ان يحذروا ربهم فيصلحوا
اعتقاداتهم واعمالهم ثم اشار الى انه انما يكفي بالانذار في حق المؤمنين
واما الكافرون بعد الانذار باقامة الحجج ودفع الشبه فلا بد من مقاتلتهم
فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم نصرة دين الله ولو بالقتل قاتلوا الذين
كفروا سيما الذين يلونكم من الكفار اذ يخاف منهم على المسلمين اكثر ولا
تلبسوا لهم لينكم عندما اقامة الحجج ودفع الشبه بل ليجدوا فيكم غلظة ليتركوا
عنادهم ولا تخافوا كثرتهم اذ خوف تغير الذين منهم اشد فاذا خفتم ذلك
فانتم متقون وهم مقهورون واعلموا ان الله مع المتقين وكيف لا تقاتلونهم
وهم يستهزؤن بآيات الله المتضمنة للحجج القاطعة ودفع الشبه اذ لهم واذا
اذا ما انزلت سورة طائفة من القرآن المعجز المحيط بجملة من الحجج ودفع الشبه
فمنهم فممن يلونكم من الكفار من يقول لاصحابه ايكم زادته هذه ايمانا
وليس ذلك لعدم قطعيتها بل انما افترق الفريقان بالانصاف والعناد
فاما الذين آمنوا من انصافهم فزادتهم ايمانا بكثرة الدلائل ودفع الشبه
وهم يستبشرون بحصولها وبسائر فوائدها واما الذين في قلوبهم مرض
كفر فزادتهم رجسا خباثة من العناد مضمومة الى رجسهم فاولوها بما لا
طائل تحتها ولا تأتي لهم المحامل الصحيحة ولا يعودون الى الانصاف الى
حين الموت بل ماتوا وهم كافرون مصرون على كفرهم ايصرون على كفرهم
ولا يرون انهم من اجله يفتنون يبتلون ببليات لا يعقبها عاقبة

لعلهم يحذرون



لقبحها

حميدة في كل عام مرة او مرتين ثم بعد رؤية الآيات والبليات على مخالفتها
لا يتوبون عن مخالفتها ولا هم يذكرون ذكرا يتعلمون بها كونها آيات قاطعة
وكون البليات على مخالفتها وانها ليست كبليات المؤمنين كيف ومن
جملتها بلية الفضيحة كالزاني والسارق فانه اذا ما انزلت سورة محيطة
بقبائحهم وهم في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض
يسأله بطريق الغمز هل يريكم من احد اذا قمتم من حضرة فاذا قيل
لهم لا يراكم احد فاموا ثم انصرفوا عن حضرة خوف الفضيحة مع انهم يعلمون
انها لا تندفع عنهم وانما تندفع بالاخلاص لكن صرف الله قلوبهم من الاخلاص
مع ظهور موجبه وذلك لانهم قوم لا يفقهون فلا يطلعون على كيفية ايجابها
الاخلاص ولو فقهوا امنعهم عداوته عن التدبر لكن لا وجه لعداوته فانه
والله لقد جاءكم رسول بالمعجزات وعداوة الرسول عداوة المرسل
مع انه من انفسكم اقاربكم فانتم اعلم باحواله من كونه بريئا عن الكذب و
السحر ومن الاقارب المواصلة والتأمل فيما يقول كيف وهو لا يعاديكم
بل عزيز ثقيل عليه ما عنتم اي لقاؤكم المكروه بل لا يرضى بقلة الخير فيكم لانه
حريص بكثرة افاضة الخير عليكم ولا يخص ذلك منه بطائفة دون اخرى
بل بالمؤمنين كلهم رؤف مبالغ في الرحمة رحيم بكل احد بهدايته واصلاحه
فان تولوا اعرضوا عن التدبر في القرآن مع انه لا وجه للاعراض عنه من
جهة عداوتك ولا من غيرها فقل حسبي الله كفاني في دفع ضرر عداوتكم
اذ كانت ظلما محضا وكيف لا يكفي وهو الذي لا ابناؤك في غاية كماله اذ لا اله
الا هو وهو وان لم يدفع الضرر عن كل احد لا بد ان يدفعه عني لاني عليه
توكلت لا على شيء آخر كيف وقد جمع الانبياء تحت حيطة قدرته اذ هو رب
العرش العظيم المحيط بالكل فيحيط بكل من يعاديني وباسباب اضراره اياي
واذا كان رب جميع ذلك فلا يؤثر بدون اذنه ولا يأذن بتأثير الضرر

فيمن صح عليه توكله تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

سميت به لتضمنها قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
فيه غاية ما يفيد نفع الايمان وضرر تركه وتاخيره وهو المقصد الاعلى من
انزال الكتاب بسم الله المتجلي بذاته واسمائه وافعاله في
ايات كتابه الحكيم لتتضمن لوازم الرغبة في تحصيل الاعتقادات الصائبة
والاخلاق الفاضلة الداعية الى الاعمال الصالحة ولوازم الرهبة عن
اضدادها او لتتضمن اسرار لباب الرسالة لزوال الالتباس والانغلاق
عن الاعتقادات والاعمال او انوار لوامع الربوبية او الكمل لآلي الرشد
الرحمن باظهار ما خلقه ليهديهم اليه لا على ايديهم لتلجئهم بل على ايدي من
كمل قبل ظهورها الرحيم بوعد قدم الصدق للمؤمنين الر تلك آيات
الكتاب الحكيم اى آيات لوازم الرغبة والرهبة او اسرار لباب الرسالة
او انوار لوامع الربوبية او الكمل لآلي الرشد تلك آيات الجامع لاصناف
الحكمة النظرية والعملية اذ ترغب في تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق
الفاضلة والاعمال الصالحة وترهب عن اضدادها ولباب الرسالة لزوال
الالتباس منها والانغلاق عنها ولا يحصل الا باشراق انوار الربوبية اذ بدونها
يكثر الضلال فيها والرشد وان حصل بطريق الخطابة او الجدل فلا يخلو عن
قصور وانما يكمل بالحكمة ثم الترغيب والترهيب انما يتم بالوحي اذ لا يستقل العقل
بالامور الاخروية واسرار لباب الرسالة انما هي بالوحي ايضا لقصور الالهام
والمقدمات العقلية عنها وانوار الربوبية انما تشرق على العامة بواسطة الرسل
اذ لا مناسبة بين نور الانوار وبين المنغمس في العلائق الظلمانية والرشد لا يتم
الا بالوحي اذ ما يدركه العقل بالنقل فلا عجب في الوحي اكان للناس عجبا ان
اوحينا الى رجل منهم لمزيد مناسبته لهم ان انذر الناس عن ردى الاعتقادات

والاخلاق والاعمال وبشر الذين آمنوا وان لم يتم لهم تحسين اخلاقهم واعمالهم
ان لهم قدم صدق مرتبة قرب من الله ثابتة عند ربهم يرجى بها ترقيتهم باتمام
تحسين الاخلاق والاعمال فلما تمت حجة الارسال بهذا الطريق قال الكافرون
في الطعن عليه ان هذا لسحر مبين تلبيس ظاهر اذ يبعد من الله انزال الملك
من فوق السموات السبع الى الارض في لحظة ولكنه ليس ببعيد من الله كما قال
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام مع ان اليسير في
البناء الذي لا يتم الا في السنين يكون بلحظة واحدة وبناؤهما لو كان من انسان
لا يكاد يتم لا في الالف الالف الالف سنين ولا اضعاف اضعاف اضعافه ثم نشر
امره في العالم كله استوى على العرش لا لافتقاره الى ذلك بل لكونه يدبر الامر
ترتب بعضه على بعض ومنه ترتب النجاة على تحسين الاعتقادات والاعمال
والاخلاق وترتب الثواب والعقاب على تحسينها وتقبيحها ولا يتم الا بالارسال
فانه ما من شفيع الا من بعد اذنه وهو انما ياذن في حق من قرب بربوبيته وقام
بعبوديته لكن بقي فيه تقصير وهما انما يحصلان في حق العامة بالرسل اذ يقولون
ذلكم البعيد عن ادراك الحواس والعقول هو الله وغاية ما يعرف منه انه
ربكم رباكم لتعبدوه فاعبدوه اتنكرون شيئا مما ذكر مع ظهوره لكنه يفتقر
الى التذكر وانتم تريدون انكاره فلا تذكرون لكن لا بد من التذكر اذ اليه
مرجعكم جميعا لا يختص به البعض حتى انه ربما لا يرجع اليه بعض من لا يتذكر وهو
وان لم يجب عقلا وجب لكونه وعد الله لوجوب كونه حقا على انه وافق
الحكمة انه يبدؤ الخلق ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا ظاهرة وباطنة ثم يعيده
لئلا يقع الابداء عبثا فلا بد وان يكون ليجزي كلا بمقتضى معرفته وعمله مثل ان
يجزي الذين آمنوا فصححوا الاعتقادات وعملوا الصالحات فحسنوا الاخلاق
والاعمال بالقسط فلا ينقص من اجورهم شيئا وان كان ينقص من جزاء السيئات
بالعفو والذين كفروا اذ اجازاهم بالقسط لهم شراب من حميم يحرق بواطنهم

لفساد الاعتقادات والاخلاق وعذاب اليم على طوامرهم لفساد الاعمال
فانها تفسد بما كانوا يكفرون ولو استبعد انزال الملك فلا بعد الوحى بافاضة
ضياء العقول او انوار النفوس السماوية اذ هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا لا يلزم منه دوام الوحى لاختلاف منازل القمر اذ قدره منازل
يمتلى فى بعضها نورا وينتقص فى البعض فكذا الرسول ومنازل القمر هى
الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة
والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا
والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد
بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو
المؤخر وبطن الحوت وانما قدر ذلك لتعلموا عدد السنين بمعرفة الايام
المقدرة بالمنازل والشهور المقدرة بالايام والسنين المقدرة بالشهور
والحساب حساب سير الكواكب المتوقف عليه الحساب المطلق المفيد
فى جملة امور الدنيا التى هى مزرعة الاخرة فيفهاد لالة على سنى الاخرة وحساب
اعمالها واظهر الدلايل عليه انه ما خلق الله ذلك الا بالحق بالحكمة فهى لازمة
لافعاله فلا بد من الجزاء ولا يعرف الا بالرسل اولى الايات لذلك نفصل
الايات تفصيل البروج بالمنازل وهى الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت
وكما ان تفصيل البروج بالمنازل انما يفيد المنجمين فهذا التفصيل مفيد
لقوم يعلمون بل انما يفيد المتقين وقد اقتضت تلك الايات التقوى
كما قال ان فى اختلاف الليل والنهار فى زيادة الظلمة والنور ونقصانهما
وما خلق الله فى السموات والارض من طلوع وافول وكاين وفاسد
لايات دلالات على ان الانسان يزداد النور تارة وينتقص اخرى
ويطلع فيه تجلى ويافل اخر ويكون فيه اعتقاد وخلق وعمل ويفسد اخر

فی الارض و صح

وهی

وهى انما يكون مفيدة لقوم يتقون نقص النور وافول التجليات وفساد
الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة والتقوى هى الواقية من العذاب
الابدى للذى لا يتقى ان الذين لا يرجون لقاءنا فلا يتوقعون الجزاء فلا يتقون
ولو توقعوا الجزاء لم يبالوا له لانهم رضوا بالحيوة الدنيا فاحتملوا لها كل شئ
ومع علمهم بفنائها اطمانوا بها حتى لم يبالوا لها بالعذاب الابدى وانما تاتى
لهم ذلك مع انهم يبالون فى اجل الاشياء لما سوى دنيهم لانهم الذين هم عن اياتنا
الدالة عليه غافلون اولئك البعداء عن طريق النجاة لا يمكنهم اتقاء النار بدعوى
الغفلة عنها بل ماويهم النار لا يخلو منهم جانب للعذر بما كانوا يكسبون من
سنة الغفلة من القبايح الغاية للحصر وكما ان التقوى واقية من النار هادية
الى المعارف الالهية والاعمال الصالحة ان الذين امنوا لاتقايهم الشرك
وعملوا الصالحات لاتقايهم المعاصى يهديهم ربهم الذى ربى ايمانهم باعمالهم
بايمانهم بعد تربيته الى معارفه واسرار اعماله بحيث تجرى من تحتهم الانهار
انهار المعارف والاسرار من ارواحهم الى قلوبهم ثم الى نفوسهم ثم الى ساير
اعضائهم ثم الى من يناسبهم ثم الى العالم فيصيرون فى الدنيا كانهم فى جنات
النعيم دعويهم قولهم المشير الى دعويهم الكمال لانفسهم فيها عند مكاشفة بعض
المعارف سبحانك اللهم عن ان يكون منه المعرفة غاية كمالك الذى هو
مقتضى الهيتك وليس ذلك منهم انكارا لما كوشفوا به بل تحيتهم لما كوشفوا به
فيها سلام تسليم اخر ثم طلب مزيد واخر دعويهم بعد حصول المزيد ان الحمد
لله ولا بعد الاختلاف فى تجلية اذ هو جهة تربيته للكل ولا بعد ولكن من
رب العالمين ويحصل لهم مما يناسب من الحال فى الجنة كلما راوا شيئا
يعجبهم قالوا سبحانك اللهم واذا راى بعضهم شيئا سلم له من غير حقد عليه فيحصل لهم
له مثله فيحمد الله عليه ولا تعالى لو نعم المؤمنون باعتقاداتهم واخلاقهم واعمالهم
فى الدنيا كانهم الان فى الجنة ليعذب الكافرون باضدادها فى الدنيا كانهم

الآن في النار ولانا نقول لو يعجل الله للناس الشر وهو التعذيب على سوء
الاعتقاد والخلق والعمل سيما للمستعجلين به استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم
اذ لا يعيش الحيوان مع تلك الآلام في الدنيا فلو عذبناه بها لكان ملجأ الى
الايمان ولا فائدة له حينئذ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا حتى استعجلوا
عذابنا بل وقته في طغيانهم بدل فكهم الهادي يعمهون يترددون فيه لا
يجدون دليلا على عدم البقاء ولو جعلنا عذابهم دون ذلك لم ينفعهم سيما
اذا كان منقطعا فانه اذا مس الانسان الضر دعانا ملقيا لجنبه او قاعدا
او قائما ومع هذه المبالغة في الدعاء المستلزم للاخلاص لا يدوم اخلاصه
بل غايته البقاء او الدوام ما دام الضر باقيا فلما كشفنا ازلنا عنه ضره الذي كان
حجابا بينه وبين ما يشتهيه مر الى الشرك فصار بعد تلك المبالغة في الدعاء كأن
لم يدعنا في حال من الاحوال الى كشف ضر خفيف او عظيم مسه بل كأنه مس
غيره وذلك لما زين له الشرك لا اسراف ميله اليه بعد رؤيته فائدة الاخلاص
من كشف ذلك الضر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فيعبدون دون الله
بعد رؤية ضرره مرة بعد اخرى والكافر لو اعيد الى الدنيا بعد التعذيب
بالنار لعاد الى كفره ولما لم يفدهم العذاب المنقطع فاما ان يؤخر امرهم الى
الآخرة ليستوفوا العذاب هناك او يعذبوا في الدنيا عذابا يتصل بعذاب
الآخرة ولا يعدونه فانا والله لقد اهلكنا القرون من قبلكم فصارت سنة
لنا لا بطريق الابتلاء الذي يعم العدل والظلم بل لما ظلموا ولم يؤاخذوا بمجرد
الظلم بل بعد ان لا يغيروها وكيف لا يجازيهم مع افراط ظلمهم مع انا كذلك
نجزي القوم المجرمين الذين لم يفرطوا مثل افراطهم ثم اي بعد اهلاكهم على
افراطهم في الظلم جعلناكم خلائف عنهم متمكنين في الارض القابلة للاصلاح
والافساد لننظر كيف تعملون من اصلاحها وافسادها ولكن يرى انا من علمهم
ارادتهم تبديل كتاب الله فانه اذا تتلى عليهم آياتنا المنسوبة الى عظمتنا لاعجازها

جاءتهم رسلهم بالبينات فقررت
عليهم الحجة بالوجوه الكثيرة فما كانوا
ليؤمنوا بتلك البينات و

من بعدهم بعد ما اريناكم
اهلاك المسرفين وجعلناه
سنة مستمرة

لا لاشكال فيها بل مع كونها بينات واضحة الدلائل على مقاصدها بالمقدمات
القطعية قال الذين لا يرجون لقاءنا فلا يبالون بعظمتنا فضلا عن عظمة الآيات
ولا لوضوح دلالتها ائت بقرآن غير هذا الدال على ما يكون عند اللقاء
او بدله فاجعل ثوابه عقابا وعقابه ثوابا قل ان كان ثمة تبديله لكمال قدرته ما
يكون لي لا لعجز الله ان ابدله فان كان فلا يكون من تلقاء نفسي بل من الله بطريق
النسخ وليس النسخ مني بل ان اتبع الا ما يوحى الي ولو امكنني تبديله من غير وحي
في نسخة منعني منه الخوف اني اخاف ان عصيت ربي اي معصية فضلا عن تبديل
وجه وكتابه عذاب يوم عظيم وان لم يعظم المعصية وهنا قد عظمت فان زعموا
ان تبديلك مسقط للعذاب عنهم ومن اسقط من نفسه عذابا اسقط الله عنه
قل لو شاء الله ان لا يعذبكم على معاصيكم ما تلوته عليكم الزاما للحجة عليكم ولا ادراكم
به اي ولا اعلمكم الله بلساني بانكم معذبون على معاصيه من غفران اتلوه عليكم
تقصيرا للحجة اذ ليس ذلك مقتضى طبعي فقد لبثت فيكم مدة مديدة تشبه ان تكون
عمرا كاملا معتدا اربعين سنة من قبله والانتهاء الى الكمال البالغ حد الاعجاز
لو كان من عند نفسي لكان بطريق التدريج افلا تعقلون لمخفيه من غير تدريج فلا تعقلون
ثم ان اعطاني الله هذا من غير تدريج وافتريت عليه فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا ادنى فضلا عن الكذب الذي كأنه كل الكذب مع ان الكذب والظلم لا يتصور
ممن يؤتى المعجزات في السنة الالهية ولا ينحصر الظلم في هذا بل ما انا او من
كذب بآياته ولو لاحتجابه عنها بترك النظر فيها ثم ان طلبت بذلك الرياسة عليكم
او طلبتم بقاء عرض ابائكم لا انال مقصودي ولا تنالون مقاصدكم انه لا يفلح
المجرمون بادنى المعاصي فكيف بالافراط في الظلم ومن افراط ظلمهم ارادتهم
تبديل كتاب الله ليسوغ لهم عبادة غيره التي فيها تذليل انفسهم لما في اذ
يعبدون من دون الله مع ان الدون ليس له رتبة المعبودية سيما ما لا يضرهم
لو تركوا عبادته ولا ينفعهم لو عبدوه ويقولون اذا قيل لهم لا ينفعكم عبادتها

ولا يضركم تركها ولا ينفعكم تبديل كلام الله اذ اعذبكم على عبادتها هؤلاء شفعاؤنا
عند الله على كل شيء حتى في تعذيبه على عبادتها او تبديل كلامه قل ما اعلمكم الله
على لسان رسول الله انهم شفعاء وكم عندكم اذ لا تؤمنون بهم اتنبئون اتخبرون
الله بما لا يعلم من شفاعتها وما لا يعلم لا يوجد في السموات ولا في الارض على ان
الشفيع لا يكون عدو المشفوع عنده والشريك عدو وهو اذ لم يخف شركه انهم
يصيرون اعداءه باثبات شركه سبحانه وتعالى عما يشركون والشفيع لا يشفع
في حق العدو الذي يثبت للملك ما ينزه عنه وكيف لا ينزه عن الشريك وقد تعالى
عن رتبة الشركاء ولو قالوا انما نريد تبديل هذا الكتاب لانه بدل دين ابائنا
يقال لهم اذا بدل اباؤكم دين الله يجب تبديله وقد بدله اباؤكم اذ ما كان الناس
في عهد آدم عليه الصلوة والسلام الا امة واحدة اي بعدا ان يكون له هذه
الاديان المتناقضة فاختلفوا فلا بد ان يكون احد المختلفين مبدلا لذلك الدين
الواحد واذا التبس من عليه ممن خالفه لا بد من التمييز بينهما واعلاء الفضل
بعضهم كل واحد منهما ولولا كلمة سبقت من ربك باسعاد البعض واشقاء
البعض ولا يتأتى مع القضاء على الفور لقضي بينهم لانه الاولى فيما فيه يختلفون
من شأن ذاته وصفاته وتوحيده واحكامه وافعاله في الدارين فاقتصر على
تمييز الكتاب بينهما ويقولون لو كان هذا الكتاب للتمييز النازل منزلة ذلك
القضاء لولا هلا انزل عليه على كمال تمييزه آية قاهرة يعلم بالضرورة كونها
من ربه فقل هذه الآية لا يكون في عالم الشهادة لئلا يكون ملجئا الى الايمان
وانما يكون يوم القيمة وهو غيب لا يتجه على من سواه الا وقت مجيئه انما الغيب
لله لكن له وقت ظهور وهو الموت فانتظروا الموت المكاشف عنه في الجملة اني
معكم من المنتظرين لتكمل ظهور صدقي فيما نصحت لكم فلم تعملوه وجزاءكم على
تكذيبي ورد نصيحتي وانما شرط الموت او القيمة للآية الملجئة اذ لا يلجئهم سوى
العذاب والعذاب الدنيوي منقطع غالبا والمنقطع لا يبقى الجاؤه في حقهم

لما جرب عليهم انه اذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم فضلا
عما مست اقاربهم على التكذيب اذا اي فاجأ لهم مكر احتيال في آياتنا
في دفع كون تلك الضراء على التكذيب قل الله اسرع مكرا اذ دبر عقابكم قبل
ان تدبروا كيدكم ولا يسبقونه بالافكار ان رسلنا يكتبون مكركم ولا يمكنكم
التلبيس عليهم لانهم يكتبون ما تمكرون ومن مكره الرحمة مع المعاصي وكذا مع
الاخلاص اذ زال عقيبه اذ هو الذي يسيركم مع معاصيكم في مواضع الخطر من
البر والبحر وبالغ في اظهار الرحمة عليكم حتى اذا كنتم في الفلك السفن لطلب
الارباح ومن مكره في رحمته بهم انها جرين بهم اي جرت بها اي باصحابها التفت
من الخطاب الى الغيبة ليشير الى المكر بهم بانه اداهم اولا انهم من اهل القرب
والخطاب ثم جعلهم من اهل البعد والغيبة اخرا بريح طيبة موافقة لينة واداما
اياهم رحمة في الظاهر والباطن اذ فرحوا بها كانهم وصلوا الى المقصد وامنوا
الآفات ثم يظهر مكره فيها اذ جاءتها ريح عاصف ذات شدة فصار الدافع
بحيث يكاد تغرق السفينة ولم يسرع بها سير السفينة اذ جاءهم الموج من كل
مكان من كل جانب فمنع حركة السفينة شدة الريح وظنوا من شدة الريح والموج
انهم احيط بهم اي احاط بهم اسباب الهلاك دعوا الله للتخلص عنها مخلصين
له الدين اي دينهم عن الشرك قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الآفات لنكونن
من الشاكرين العابدين لك شكرا فيستجيب دعاءهم مكرا بهم وايهاما لهم انهم من
اهل القرب فلما انجاهم اذا هم يبغون اي فاجأهم الاستمرار على تجديد طلب
الفساد في الارض باظهار الشرك فيها بغير الحق يا ايها الناس يا من نسي نعمة
الخلاص بالاخلاص واستجابة الدعاء انما بغيكم على انفسكم لا على الله
باثبات الشرك له ولا على نعمة الله اذ غايتها انها متاع الحيوة الدنيا الذي لا يبالي
الله فيه بمن يعطيه من موحد ومشرك فغايتكم انكم تنتفعون بها مدة حيوتكم ثم
الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فيها فنقلبها نقمة عليكم وتريكم ان الانعام بها

كان مكراً معكم ثم اشار الى ان المكر انما يرى نعمة بطريق الرهن مع خبثه في
وبابهام البقاء مع تجارة الفناء كرهن الدنيا وابهام بقائها لمن آثرها على
الآخرة مكراً به فقال انما مثل الحيوة الدنيا صفتها العجيبة التي يمكر بها اهلها فيرجحها
على الآخرة ثم يسلب عنهم مع الآخرة كماء انزلناه من السماء اذ يرونها وجاهها
واموالها فايضة من الله فاختلط به نبات الارض كما يختلط بجاهها القلب
الخسيس خسة النبات مما يأكل الناس والانعام لكن يعتبر العقلاء
بزينة مالها وجاهها اغترار الارض حتى اذا اخذت الارض زخرفها
زينتها من نباتها وازينت بنوادرها وثمارها واغتر اهلها ببقائها اذ ظن
اهلها انهم قادرون عليها اى يستمر قدرتهم على تحصيل حبوبها وثمارها اتاها
امرنا بالاهلاك ليلاً مبالغة في المكر او نهاراً فجعلناها حصيداً كالمحصود
بل كان لم تغن لم تثبت بالامس اى قبل ذلك الوقت فالممثل الحيوة اذا
تزينت بالمال والجاه ثم تملكت فاتها المال والجاه مع ذهاب الآخرة
فكما فصلنا معنى الآية بهذا المثال كذلك نفصل الآيات بالامثلة لقوم
يتفكرون فان الاسعد الحسية اقرب الى الفهم من العقلية اذ تعارض
فيها الوهم والخيال ولا يقبح مكر الله قبح مكر غيره لانه مع البيان اذ الله مع هذا
المكر يدعوا الى دار السلام ببيان طريقه ليسلم من مكره في زين الدنيا و
الشهوات ولا ينافي بيانه مكره لانه انما ينتفع بالهداية لما يبين ولا يعم بل
يهدي من يشاء المتابعة بيانه ليوصلهم الى صراط مستقيم يجعلهم في دار السلام
والمكر لا يفضحهم بل ينفعهم اكثر مما لو استدوا بدونه اذ للذين احسنوا
النظر فعرفوا مكر الدنيا والشهوات فاعرضوا عنها وتوجهوا الى الله فعبدوه
كانهم يرونه المثوبة الحسنى فوق المثوبة التي يحصل بالهداية بلا مكر على عباده
الله وزيادة وهي رؤية الله بالبصر كما يراه ناس على رؤيتهم اياه في العبادات
بالقلب صفاء قلوبهم ببياض وجوههم قبل دخول الجنة في اهوال القيمة بحيث

لا يرهق لا يغشى وجوههم قتر غبرة من ارتكاب الدنيا والشهوات ولا ذلة
من آثار الالتفات الى ما دون الله فيصبرون في اهوال القيمة بحيث البشارة
اليهم بان اولئك اصحاب الجنة بل كانهم من ذلك الوقت هم فيها خالدون
فلم يضرهم المكر بل افادهم مزيد الغاية لمبالغتهم في الاحتراز عنه والذين
كسبوا السيئات اغتراراً بالمكر فلا يقبح المكر في حقهم ايضاً اذ غاية ضرره
لهم انه يكون جزاء سيئة بمثلها فيعذبون بقدر ما تلذذوا بمعاصيهم ويغشيهم
من العذاب انهم ترهقهم ذلة لميلهم الى الدنيا والشهوات الخسيسة ولا
ينفعهم ما آثروه من المال والجاه في دفع الجزاء اذ ما لهم من الله من عاصم
بل يزيدهم عذاباً اذ يصير حجاباً مظلماً على القلوب فيسري ظلمتها الى الوجوه
كانما اغشيت البست وجوههم قطعاً اجزاء من الليل حال كونه مظلماً لا قمر معها
فيصيرون بحيث بشارتهم بان اولئك اصحاب النار بل كانهم من ذلك
الوقت هم فيها خالدون فيبدل نعيمهم بالعذاب وزينتهم بالذلة وحضرتهم
بالسواد ومن مكر الله بهم ايهامهم شفاعة الاصنام في عبادتها ثم انكارها
عبادتهم يوم يتوقعون منها الشفاعة فاذكر يوم نحشرهم اى العابدين و
المعبودين جميعاً للمقاولة بينهم ثم نقول للذين اشركوا معبوديهم بالله مع
توقعهم الشفاعة منهم والشريك عدو ولا يتصور الشفاعة من العدو سيما
في حق من وقعت العداوة بسببه الزموا مكانكم انتم وشركاؤكم ليتاتى فيه
التخاطب ولا يتاتى مع المواصلة فزيلنا فرقنا وقطعنا المواصلة التي بينهم
فلا يبقى من العابدين توقع شفاعة ولا من المعبودين افادتها لو امكنتهم
وقال شركاؤهم انما يكون منا الشفاعة لو كانت منكم العبادة لنا لكن ما كنتم
ايانا تعبدون اذ لم يكن عبادتكم عن امرنا بل عن امر الشياطين وكنتم عابدين
بالجبلة ولو كانت عن امرنا لكنا عالمين بها ولكن فكفى بالله شهيداً حاكماً
قاطعاً للنزاع بيننا وبينكم ان اى انا كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك اى

حين قطع المواصلة وانكار الشركاء العبادة هنالك تبلو تحقق عن اختبار كل
نفس اثر ما اسلفت من الاعمال بالعذاب العقلي قبل دخول النار
كيف وقد ردوا الى الله فكشف لهم عن هيئات الاعمال واثارها الحقيقية
بلا لبس عليهم كما كان في الدنيا لكونه من مولاهم الحق اى الكاشف للامور
على ما هي عليه ولم يفدهم اعتقادهم في الشركاء شيء من ذلك اذ ضل عنهم
ما كانوا يفترون فلم يبق من ذلك اثر في بواطنهم يزيل عنهم العذاب العقلي و
لا في ظواهرهم يزيل عنهم العذاب الحسي فان زعموا انهم لا يتوقعون شفاعتها في
ذلك اليوم لدفع عذابه او تكثير ثوابه اذ لا يؤمنون به بل اليوم لتكثير الرزق
او لتكميل القوى البدنية او تطويل الحيوة الدنيوية او تحصيل الولد او
تدبير الامور على نهج التيسير قل من يرزقكم مع ان الرزق من السماء و
الارض بالامطار والانبات فلا يمكن الا ممن له التصرف العام فيهما
امن يملك السمع والابصار اللذين اصل خلقهما لسماع آيات الله المتلو
وابصار آياته المبصرة ومن يخرج الحي من الميت واصله الدلالة على احياء
الاخرة ويخرج الميت من الحي واصله التخويف من قهره ومن يدبر الامر
من السماء الى الارض واصله الدلالة على ترتب الثواب والعقاب على
الاعمال وليس للشركاء غالبا في الظاهر سمع ولا ابصار ولا حيوة ولا
تدبير في حق انفسها فسيقولون اذا تاملوا تاملا كاملا قل اتجعلونه مشاركا
لما لا دخل له في شيء من ذلك فلا تتقون ان يسلبكم الرزق والسمع و
الابصار والحيوة ويقلب عليكم الرزق والسمع والابصار والحيوة
ويقلب عليكم التدبير فان زعموا انه مظاهره فذلكم الله يعتد ظهوره باعتبار
اشراق نور وجوده الذي به ربوبيته في المظاهر الممكنة وانما تظهر فيها
باعتبار اشراق نور وجوده او سائر اسمائه ربكم الحق الثابت الربوبية
في ذاته لم تنتقل الى المظاهر فان زعمتم ان للمظاهر دخلا في الربوبية فماذا

بعد الحق بعد ربوبية الرب الحق الذي لا انتقال لربوبيته اصلا الا
الضلال ممن له الربوبية الى من لا ربوبية له فاني فكيف تصرفون الى الغير
على ان له دخلا في الربوبية وليس هذا مجرد نسبة لهم الى الضلال بل كما
حق عليهم الضلال لخروجهم عن مقتضى هذا البيان كذلك حقت كلمة ربك
لاملان جهنم على الذين فسقوا اخرجوا عن ربوبيته الى ربوبية مظاهره لتحقق
انهم لا يؤمنون بالله بل يعتقدون على مظاهره على انها قاصرة فاعتقادهم لها
اعتقاد نقص في ربوبيته ومانع من الايمان به قل ان كان للشركاء دخل في
تكثير الرزق وتقوية القوى وتطويل الحيوة وتحصيل الولد وتدبير الامور على
نهج التيسير فلا اعتبار بشيء من ذلك مع توقع الضرر الاخروي في عبادتها الا
ان يكون لها قدرة على دفعه لكن انما يقدر عليه من يقدر على مقاومة الاله
القادر على الابداء والاعادة قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده
فان زعموا ان الاعادة ممتنعة في حق الله فكيف يتصور في حق الشركاء قل لا
وجه لمنعها في حق الله بل الله لعموم قدرته وصدق وعده يبدؤا الخلق
ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا ثم يعيده ليجزيهم بمقتضى معارفهم واعمالهم فاني
تؤفكون فكيف تصرفون الى عبادة الغير مع عجزه عما اراد وعن كل ما ذكرنا
اولا فان زعموا انا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى قل لو كانوا مقربين الى
الله لكانوا هادين اليه هل من شركائكم من يهدي الى الحق مع انه قد جرب
من عابديها الحجاب عن الامور الاخروية والرسالة فان زعموا ان الله
كذلك قل الله يهدي على السنة الرسل بالبيان للحق بحيث يكشف الحجب عن
تلك الامور فيعبد الله بمقتضاها ويتقرب اليه أفتتبعون من لا يهدي بل لا
يهتدي فمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي بل لا يهدي اى
لا يهتدي الا ان يهدى اى يهديه الغير فمن لا يستحق الاتباع كيف يستحق
الشرك فما لكم كيف تحكمون بربوبية من لا يستحق ما دونها ولكن هذا الاتباع

لمن يتبع الدلايل القطعيه وما يتبع اكثرهم في شركها الا ظنا حصل لهم من
رويه آثار ظنوا انها منسوبه الى شركائهم مع انها لله ولو كانت لها وجب
استقلال الآله وربما ظنوا استقلالها ان الظن وان قوي لا يغني لا يفيد
بدلا من الدليل الحق القطعي شيئا ان الله عليم بما يفعلون من ترجيح الظن
الضعيف على الادلة القوية القاطعة التي جاء بها الرسل فعادوهم واتبعوا
اسوائهم من متابعة آبائهم وغيرها وليس اتباع القرآن من اتباع الظن
لانه ما كان هذا القرآن المشار اليه بالاشارة القريبة في باب الاعجاز
لظهوره فيه محتملا ان يفترى لامتناع صدوره من دون الله اذ ليس لمن
دونه كمال قدرته التي بها عموم الاعجاز ولكن يتعين كونه من الله لكونه تصديق
الذي انزله الله من بين يديه مع انه لم يمارسه ولم يجالس اهله ولو فرضت ممارسته
ومجالسته لم يات تفصيل مجمل الكتاب الذي عسر تفصيله على اهله ولو
فرض وقوعه لم يكن خاليا عن الريب لكنه لا ريب فيه مع كونه جامعا لكل
ما يحتاج اليه فعلم انه من رب العالمين ربى به الكل في امر دينه ودنياه
ايترددون في كونه منه ام يقولون جزما افتراه قل ان صح فيه التردد او
الافتراء فاتوا بسورة مثله في كمال حسن النظم والمعنى وتضمنه العلوم الكثيرة
في الالفاظ اليسيرة مع اشتمالها على انواع الحجج ورفع الشبه وادعوا لمعاونكم
من استطعتم من الانس والجن بل كل من كان من دون الله مما في
العالم ان كنتم صادقين في زعمكم انه مفترى او محتمل فاذا عجزوا بعد
ذلك علم انهم كذبوا بل كذبوا بما لا يسوغ لهم تكذيبه لانه انما يسوغ بعد الاحاطة
بحال المكذب وهو لا لم يحيطوا بعلمه الذي لا يتناهى وكيف يحيطون
بعلمه ولما ياتهم تاويله الذي به ارتباط نظمه وترتيب اياته ولا يستغرب منهم
هذا التكذيب لكونه عادة مستمرة لامثالهم اذ كذلك كذب الذين من
قبلهم وليس اتباعهم خيرا لهم لانه اتباع في ظلمهم الذي عوقبوا به فان لم يظهر لهم

فانظر

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وليس عدم اعجاز القرآن ظاهرا حتى لا يكون
تكذيبه ظالما والا لم يختلف العقلاء فيه لكنهم اختلفوا اذ منهم من يؤمن به باعجازه
ومنهم من لا يؤمن به فينكر اعجازه والكل يزعم ظهور ما هو عليه فلا بد ان يكون
احد الفريقين مفسدا بالعناد وان لم يظهر لبعض الناس من يلتبس عليهم فليس
بمانع من عقوبة عقوبة الظالم اذ ربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك بعد
ظهور افسادهم بالعناد فقل لي عملي الذي هو الاصلاح الكلي للقوة العلمية والعملية
ولكم عملكم الذي هو الافساد الكلي لهما وليس ذلك بطريق الجزية بل انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون فليس في عملكم شيء من الاصلاح ولا في عملي شيء من
الافساد ومنهم من يستمعون يعتقدون سماعه متوجهين اليك ليعلموا منه
ومن حالك انه اصلاح كلي ام لا ايعتمد على اسماعهم افانت تسمع الصم الذي
لا يسمع النبي على ما هو عليه فينتفعون بفهم المعنى المقصود من كلامك ولو كانوا
لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم الاشياء على ما هي عليها فهم يعتقدون
الاصلاح فيما الفوه من ابائهم دون ما يخالفه ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلايل
نبوتك ليعلم من حالك صحة دعواك للاصلاح الكلي ايملك ابصاره على ما
هو عليه افانت تهدي العمي الذي لا يبصر الاصلاح الا في عمل ابائه ولو كانوا لا
يبصرون حقايق الاشياء ان الله لا يظلم الناس شيئا فلا يسمع ولا يبصر الصالح
غير صالح وغير الصالح صالحا ولكن الناس انفسهم يظلمون باعتقاد الصالح
فيما سمعوه من آبائهم او راوه من افعالهم لا فيما سمعوه من الله او رسوله او
راوه منهما فيرهم كذلك ولا يختص عدم اطلاعهم على الحقايق باليوم بل يستمر الى
يوم الحشر فانه يوم يحشرهم بعد مدة مديدة في القبر يعتقدون قصرها كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار لكنهم اليوم لا يتعارفون بجهلهم ويومئذ يتعارفون بينهم
بجهلهم مع مجيء الرسل بالمعرفة الكاملة فيقولون قد خسر الثواب الابدي من قرب
الله الذين كذبوا بلقاء الله فراوا اعتقاده الذي هو اصل كل صلاح فسادا

وما كانوا مهتدين للنجاة اذ لم يبالوا بفساد الاعتقادات والاعمال بل رأوا
ذلك صلاحا ولما لم يعرفوا الصلاح والفساد من ذوات الاشياء بل من
آثارهما لم يكن بد من اظهارهما فمنها ما ينبغي ان يظهر في الآخرة والاول يختص
بالبعض والثاني يعم الكل اما نرينك ان نحقق اراءتنا اياك بعض الذي
نعدهم على رؤيتهم الصلاح فسادا والفساد صلاحا او نتوفينك اي نحقق
توفينا اياك قبل الاراءة فالينا في الوجهين مرجعهم لاراءة ما يعم الكل ثم لا
يمكنهم انكار شيء من ذلك اذ الله شهيد على ما يفعلون ولا اعتذار اذ لكل
امة رسول ازال اعذارهم فان زعموا انهم كانوا غافلين ولا تكليف للغافل
ازيل هذا العذر باحضار من ارسل اليهم فاذا جاء رسولهم فشهد بتبليغه ازاله
اعذارهم قضي قضاء رافعا للنزاع بينهم وبينه بحيث يعرفون كونه بالقسط
وهم لو لم يعرفوا بذلك يظهر بذلك انهم لا يظلمون وغاية طعنهم على الرجوع الى الله
تعالى انهم يقولون متى هذا الوعد بينوا وقته ان كنتم صادقين في انكم تعلمون وقوعه
فان من علم وقوع شيء علم وقت وقوعه قل هذا منتقض بان كل واحد يعلم انه يحصل
له نفع وضر ولا يعلم وقتهما والا لامكنه جذب كل نافع ودفع كل ضار وكيف
مع غاية كمالي لا املك لنفسي فضلا عن الغير نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وقوعا
ذلك فيما له وقت معين والنفع والضر مما لا وقت له معين فقل لهم لكل واحد
من احاد كل امة اجل معين لعمره ولا يعرف وقته والا لملكه فامكنه تقديمه
وتاخيره ولكنه لا يمكن اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة اي لا يمكنهم طلب تاخيره
ساعة اذا علموا فيه ضرر الدعوة ولا يستقدمون اذا علموا ان في تقديمه نفعا
يجذبوه قل ان كان سؤالكم عن وقته لاستعجاله فليس بمرغوب في اي وقت كان
أرأيتم ان اتاكم عذابه بياتا ليلا او نهارا فلا شيء منه بمرغوب البتة ماذا يستعجل
منه المجرمون فيسألونه سؤال رغبة وان كان للايمان به بعد وقوعه فلا ينفع أ
تصرون على الكفر الى وقت وقوعه ثم اذا ما وقع اي بعد حين وقوعه آمنتم به

الدنيا ومنها ما ينبغي ان يظهر في صح

فيقال لكم آلآن آمنتم به حين اضطررتم اليه وقد كنتم مبالغين في تكذيبه اذ كنتم
به تستعجلون ثم لا يقتصر على لومكم وعتابكم بل قيل للذين ظلموا بالمبالغة في تكذيبه
الى حد الاستعجال بعد مبالغة الله في اقامة دلايل وقوعه ذوقوا عذاب الخلد
لانكم انما استعجلتم به لاعتقادكم انه لا يقع ابدا فلا ينقطع عنكم ابدا لذلك يقال
هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من جنس الجهل المركب بتوهم موبد على الناس
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو اي الوعد بعذاب الخلد مع انه
على جرم متناه ام مجرد تخويف قل اي اي نعم وربي انه الذي هو عدو من عادا الى
ولا نهاية لمقدار جرم العداوة معه انه لحق لكونه على جرم غير متناهي العدوان
متناهي وقته وما انتم بمعجزين بهذه الشبهة له اذ لا يتعدد الجرم بتعدد الوقت و
هذا الجرم من العظمة بحيث لو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت
به لو قبل منه الفداء فلم يعتد به العداوة بل اضمروا انفسهم لذلك اسروا
الندامة لما رأوا العذاب وهو وان عظمت عداوته قضي بينهم بالقسط وهم
وان لم يزالوا يزدادون شدة لا يظلمون لان هذا الجرم لا يزال يزداد
عظمته بازدياد ظهور عظمة الله ولم يكن عظمته مما يخفى اصلا الا ان لله ما في السموات
والارض ويكفي في عظمة الجرم تكذيبهم الله في وعده الا ان وعد الله حق و
لكن اكثرهم لا يعلمون لاستبعادهم البعث والجزاء ولا يبعدان منه اذ هو
يحيي ويميت وليست اماتته اعداما ولا عبثا بل اليه ترجعون فان زعموا ان
هذا التعذيب مضرة محضة لا نفع فيها للمعذب ولا للمعذب فكيف يقع
قيل لهم يا ايها الناس الذين نسوا حكمة الله في التخويف بالعذاب قد جاءتكم
موعظة تخويف داع الى تحسين الافعال فلا بد من صدورها من ربكم ليربي
افعالكم وهو كما لا يصلح الافعال يصلح الاخلاق اذ هو شفاء لما في الصدور
من الاخلاق الرديئة والتعذيب وان لم ينفع المعذب ولا المعذب ينفع
من كان له شك وهو انما يحصل باعتقاد وقوعه اعتقادا جازما مطابقا

للوانع فهو رحمة للمؤمنين فان زعموا ان التحريف مخصوص بمنافع الشهوات
قل بفضل الله في اصلاح الافعال والاخلاق وبرحمته في اعطاء الاجر والثواب
عليها فبذلك فليفرحوا بدل الفرح بالشهوات بل ينبغي ان يكون بذلك اكثر اذ هو
خير مما يجمعون من اسباب الشهوات اذ لا ينتفع بجميعها ولا يدوم ويفوت اللذات
الباقية بحيث يحال بينهم وبين ما يشتهون على انه لا يمنع جميع الشهوات بل ما
قبح منها دون ما حسن وان حسن قل ارأيتم اخبروني كيف قسمتم ما انزل الله
لكم من نعام فضله ورحمته من رزق فجعلتم من عند انفسكم منه حراما وحلالا لا
ليكفروا بعض ما انعم به عليكم بل بالتحليل والتحريم من عند انفسكم قل آلله اذن
لكم مع ان اذنه لا يعرف الا بالسماع منه ولا يسمع منه الا نبي او ملك وانتم تنكرون
النبوة ونزول الملك عليهم ام على الله تفترون وهذا الافتراء موجب للتخويف
ما ظن الذين يفترون على الله الكذب ماذا يفعل بهم يوم القيمة لكنهم يفترون لفضله
فيجترئون به على ابطال فضله الذي انزل منه الرزق ان الله لذو فضل على الناس
في انزال انواع الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فيجحدون بعضه ابطالا لفضله
فكانهم قالوا انت تحرم من عند نفسك وتتلو على الله ما تفتري عليه وتعمل اعمالا لا
تفتري على الله انه امر بها فقال تعالى في الرد عليهم وما تكون في شأن من التحليل
والتحريم وما تتلو منه من قرآن يجمع العلوم الاعتقادية والعملية ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا بعين العناية نفيض بها عليكم علوما ومعجزات و
كرامات اذ تفيضون فيه في معرفته والاعمال المقربة اليه واني يكون ذلك في حق
المفتري الا من الجهل بقرابته او المكر بالمفتري او اتباعه عن ربك من مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء بل ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ولو فرض له نسيان لانه
ما من شيء مما ذكر الا هو مسطور في كتاب مبين لا يلتبس ما فيه على من طالعه وهو
اللوح المحفوظ وليس هذا من المكر بك ولا باصحابك اذ حصلت لك الولاية
الخاصة ولهم الولاية العامة ولا مكر في اعطائهم المعجزات والكرامات الا ان

حرمتم بعض ما صح

ولكن لا يجهل شيء عند الله لانه ما يعزب ما تغيب صح

أولياء الله لا خوف عليهم من جهة المكر بهم ولا من جهة اخرى في الحال ولا هم يحزنون
في الاستقبال وليست الولاية مختصة باهل الرهبانية بل تعم الذين آمنوا وكانوا
يتقون القبائح من الافعال والاخلاق وكيف يكون الكرامات والمعجزات
في حقهم مكرا مع ان لهم البشرى بها في الحيوة الدنيا بالقرب من الله ولا يبعد
ان يكون لهم من الله البشرى اذ ذلك اي حصول الولاية من الفوز العظيم
من قربه ولا يحزنك قولهم لو كان لهم قرب من الله لكانوا اعز الخلائق لكنا
نريهم اذلة فانه مردود عليهم بانهم جعلوهم اذلة لبعدهم الاموال والاعوان
والقرب من الله لا يوجب العزة بالاموال والاعوان بالله وهو العزة الحقيقية
ان العزة لله جميعا لا للاموال والاعوان بالذات هو السميع لاقوالهم
ان لا عزة لاهل الله بل لاهل الاموال والاعوان العليم بما يلزمهم من نفي العزة
عن الله اذ لو كانت له لكانت لاهله اكثر مما لاهل الاموال والاعوان
وكيف ينفون العزة عن الله مع ان كل عزيز عبد ذليل الا ان لله
من في السموات ومن في الارض حتى شركاؤهم وقد جعلوهم مشاركي الحق
في عزته فيذللوا لهم تذلل الذليل له وما يتبع لو ليدل على مشاركتهم لله في
عزته الذين يدعون من دون الله شركاء مع ان الدون لا يكون له عزة
الا على اصلا ان يتبعون الا الظن مع ان الواجب في باب الاعتقاد
اتباع الدليل القطعي وليس لهم دليل قطعي ولا امارة راجحة بل ان هم الا
يخرصون اي ما هم الا كاذبون ولا يبعد من الله الجمع بين العزة والذلة
لاهله كما جمع في مصالح العامة بين الليل والنهار اذ هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فجعل لاهله الذلة ليتذللوا له ولا يستكبروا
عن عبادته وليسكنوا اليه لا الى الاموال والاولاد والعزة بالهداية
المبصرة ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون فمنها ما ذكرنا ومنها ان العزة
بالاموال والاعوان ليلة مظلمة لمن سكن اليها عن انوار الربوبية وعزته

والبشرى في الدنيا بشرى في الآخرة لانه لا تبديل لكلمات الله وقد علموا ان بشاراتهم من الله صح

وعزة الهداية نهار مبصر لها ومنها ان العزة بالاموال والاعوان مسكنة
في اللذات العاجلة مانعة من ابصار آفاتها والعزة بالهداية مبصرة للآفات
فيها ومن كون عزتهم ظلمانية طعنهم في عزة الله بحيث لا يشعرون به اذ قالوا
اتخذ الله ولدا لجعلوا مجانسا له ومحتاجا اليه تعالى سبحانه من ان يجانس
احدا او يحتاج اليه اذ هو الغني والغني المطلق لا يجانس من يحتاج الى
الولد ولو فرض فلا يكون من جملة العالم اذ له ما في السموات وما في الارض
ملكا وهذا دليلنا على نفي الولد نغلبكم به لكونه من عزة الهداية التي هي
نهار مبصرة ان عندكم من سلطان بهذا فليس لكم من منح العزة
الحقيقية شيء على انكم تطعنون به في عزة الله أتقولون على الله ما لا تعلمون
اذ ما لا دليل عليه مجهول بل تفترون عليه ما هو محال قل ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون فلا يبقى لهم عزة ولا عبرة بعزة الاموال والاعوان
في حقهم اذ غايتها انها متاع في الدنيا ثم لا يكون آخرتهم على مثال دنياهم
حتى يبقى لهم ذلك المتاع اذ الينا بعد افترائهم علينا بما تطعن في عزتنا
مرجعهم فنذلهم بمقتضى افترائهم علينا بما يطعن وطعنهم في عزتنا ثم لا نقتصر
على ذلك الاذلال بل نذيقهم العذاب الشديد الذي يزدادون به بما
كانوا يكفرون بالطعن في عزتنا وان لم يشعروا به واتل عليهم على المغترين
بعزة الاموال والاعوان المعتقدين ذلة من اتصف بقلتهما وان كانت
فيه عزة الهداية نبأ نوح الذي كانت له صبغ الذلة في ابتدائه مع انتهائه
في عزة الهداية اذ قال لقومه المغترين بعزة الاموال والاعوان يا قوم
الذين جنهم الاعتراف بعزة الهداية وترك الاغترار بعزة الاموال و
الاعوان ان كان كبر شق عليكم مقامي فيكم بالدعوة الى الله من دونكم
ذليلي لقلة الاموال والاعوان ومنع عزكم بها عن الانقياد لي وتذكيري
بآيات الله التي بها عزتي وانتم تنكرون علي بعزة الاموال فتريدون

اهلاكي

اهلاكي ولا تبالون بعزة الآيات المنسوبة الى الله فعلى الله توكلت
اعتمدت في دفع ما قصدتموني فاجمعوا اعزموا واقصدوا امركم شأنكم
في اهلاكي واجعلوا معكم شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة غما وندامة
على فوتي ثم بعد دفع الغمة عنكم اقضوا وادوا اداء الواجبات من حقي
الذي هو اهلاكي في زعمكم الي ولا تنظرون لا تمهلوني فاذا لم يقدروا فاقل ما
يظهر من ذلكم عجزكم عني مع كثرة اموالكم ومن عزتي حفظ الله اياي مع ذلتي
قلتهما فان توليتم اعرضتم عن قصد اهلاكي اما لانه لم يثقل عليكم مقامي
وتذكيري فاي ضرر لكم في الايمان بي فما سألتكم من اجر ينقص مالكم الذي
هو عزكم او ينقص اجركم الاخروي ان اجري على هدايتي اياكم الا على
الله واما لخوف الذلة بالعجز عن اهلاكي فلا ذلة في الانقياد لامري اذ هو امر
الله أمرت ان اكون من المسلمين فانتم بالحقيقة منقادون لامر الله ومن
موجب لعزكم فكذبوه فلم يجعلوه امره امر الله تعالى فعززنا فنجيناه ومن معه
عن الغرق اذ جعلناهم في الفلك وزدنا في اعزازهم اذ جعلناهم خلائف
واذللنا المغترين بعزة اموالهم واعوانهم اذ اغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
فلم يبالوا بعزة نسبتها الينا لا بعز يهب لكونه بعد الانذار على التكذيب
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يبالوا بما انذروا به اغترارا بالاموال
والاعوان كيف انقلبت الى ذلة ابدية ثم بعثنا من بعده رسلا ظهر عليهم في
ابتدائهم ذلة قلة المال والاعوان مع عزة الهداية الى قومهم المغترين بعزة
الاموال والاعوان فجاؤهم بالبينات المفيدة عزة الهداية فما كانوا
ليؤمنوا لعدم مبالاتهم بعزتها مع عزة الاموال والاعوان فلم يبالوا معها
بما كذبوا به من قبل تعززا عليه لان الله طبع على قلوبهم فرأوا العزة الحقيقية
وهي عزة الهداية ذلة والعارضة وهي عزة الاموال والاعوان عزة
حقيقية كذلك نطبع على قلوب المعتدين المجاوزين مقتضيات حقائق

الاشياء لنفعل بهم مثل ما فعل بالمعتدين من اذلالهم على الابد بعد عزهم
بالاموال والاعوان ثم اى بعد بعث اولئك الرسل وتبدل اذلتهم الظاهرة
بالعزة مع عزة هدايتهم وتبدل عزة قومهم بالذلة الابدية بعثنا موسى
وهرون مع ظهور ذلة القلة عليهما ابتداء الى فرعون وملائه الظاهر
عليهم عزة الاموال والاعوان لكن العزة الحقيقية كانت لموسى وهرون
لاتيانهما بآياتنا لكنهم لم يبالوا بعزتهما فاستكبروا عليهما بعزتهم ولم يكن لاستكبا
بها وجه بل كانوا قوما مجرمين عاصين لمن اعزهم بها وكيف لا يكونون مجرمين
ولم يزالوا معاندين للدلائل القاطعة فلما جاءهم الدليل الحق الذى لا
شبهة معه على رسالتهما الموجبة عزة الهداية لهما قالوا لدفع عزتهما بالهداية
وجعلهما ذلة عليهما مع ذلتهما بقلة الاموال والاعوان ان هذا لسحر مبين
تلبيس ظاهر قال موسى أتقولون للحق انه سحر لما جاءكم على وجه لم يترك لكم
شبهة أسحر هذا مع قطعيته بحيث لا يبالى معه للشبهة لو لم ترتفع ويكفى في قطعيته
انه سبب فلاحى مع انه لا يفلح الساحرون قالوا لمنع كونه تلبيسا وقد
جئتنا لتلفتنا تصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وهو الحق الصريح وتبطل عزتنا
اذ تكون لكما الكبرياء غاية العزة التى تصير بها كل عزة بالنظر اليها ذلة على ان
كبرياءكم ليس باعتبار اتصافكم بعزة الهداية بل فى الارض ولكنه انما يكون
لو آمنا لكما لكن ما نحن لكما بمؤمنين ليبقى عزتنا وقال فرعون حفظا لعزته بعد
ما ذهبت بالعجز لايات موسى ودفعا لعزة موسى بها ائتونى لمعارضته بكل
سحار ماهر فى السحر عليم محيط بابوابه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا
ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به لا يصلح لمعارضتى لانه السحر
وقرئ بهمزة الاستفهام ومعناه ايصلح السحر للمعارضة وهو وان بلغ ما
بلغ ان الله سيبطله لئلا يعارض آياته ولو لم يكن معارضا لها فلا بد من
ابطاله لكونه افسادا لما يصلحه الآيات ان الله لا يصلح عمل المفسدين

ولو لم يكن افسادا لم يكن الله ليصلحه اذ ويحق الله يثبت الله الدليل الحق بكلماته
اوامره ولو كره المجرمون الذين يؤثرون فى السحر باوامرهم التى هى تمويه
انما هو تلبيس لا اوامرهم معارضة لاوامر الله فابطله الله واظهر ذلتهم وعزة
موسى بالهداية لكن لم يبطل بذلك عزة فرعون بالاموال والاعوان ابتدا
فما آمن لموسى بعد ظهور عزة الهداية عليه الا ذرية اى شبان من قومه
راكبين على خوف من فرعون وملائهم ان يظهروه فيما بينهم فيصل الخبر الى
فرعون وهو موجب ان يفتنهم يعذبهم وان فرعون وان عجز عن معارضة
موسى وظهرت ذلته لعال ذو عزة لنفوذ تصرفه فى الارض وانه وان علم
انه لا عبرة لهذه العزة مع عزة الهداية لمن المسرفين بترجيح هذه العزة على
عزة الهداية وقال موسى لقومه يا قوم الخائفين من فرعون ان يفتنهم ان
كنتم آمنتم بالله فيما بينكم فعليه توكلوا فى اظهاره ان يحفظكم عن فتنة العدو فانه
يحفظكم ان كنتم مسلمين منقادين له بصدق التوكل ويجعله سبب ايمان
الخلائق حتى يجتمعوا على الايمان بالله حتى يظهر عزتكم ويغلب عزة فرعون
ذلة فقالوا عند اظهار الايمان على الله توكلنا ليحفظنا عن فتنة العدو قبل
اجتماع الخلائق على الايمان ودعوا ليجتمع تأثير الدعاء مع تأثير التوكل فقالوا
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ليظهر عزتهم وتذهب عزة ايماننا بآياتك
ونجنا عن ذلة فتنتهم برحمتك التى استحققناها على تفردنا بك من القوم
الكافرين المستحقين لكل اذلال واوحينا الى موسى واخيه لحفظ قومهما من
فتنة العدو ان تبوءا اتخذا مباءة لقومكما بمصر لا خارجة لئلا يؤاخذهم بالخروج
عن دينه بيوتا لئلا تلزموها فلا تخرجوا عنها ليجتمعوا الحكايات فيصل خبركم
الى العدو واجعلوا بيوتكم قبلة مساجد فلا تصلوا خارجها ليصل خبر صلوتكم
اليه ومع الخوف من ظهورها اقيموا الصلوة لتستعينوا بها على العدو و
بشر المؤمنين باعانته لهم ونصره اياهم وقال موسى داعيا لابطال عزة فرعون

بالاموال اذ كان منها خوف قومه من اظهار الاسلام والصلوة ربنا يا
من ربانا بعزة الهداية انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من
الحلي واللباس والمراكب اموالا يتعززون بها في الحيوة الدنيا ربنا يا من ربانا
بعزة الهداية التي فوق عزتهم ما كانت عزتهم بها عزة هداية بان يجذبوا
مزارعة الاخرة فيكونوا سالكي سبيلك بل ليضلوا عن سبيلك بالتكبر عليك
وعلى اياك ورسلك ربنا مقتضى تربيتك ايانا ان تبطل عزتهم لاظهار
عزتنا اطمس على اموالهم اجعلها حجارة لا ينتفع بها واشدد اقس على
قلوبهم فلا تلين بذهاب عزتهم بالاموال ايضا فلا يؤمنوا ليحصل لهم بدل
عزة الاموال عزة الهداية حتى يروا العذاب الاليم من المواخذة الدنيوية
وهي لا تمنع من قبول الايمان معها ونفعه من جهة الاخرة ان لم يكاشف
عن احوال الاخرة ولم ييأس عن نفسه وان لم ينتفع في دفع تلك المواخذة
فلا يكون هذا من قبيل الرضى بالكفر وكان موسى يدعو وهرون يؤمن قال
تعالى قد اجيبت دعوتكما دعاء كما وان اخر المطلوب الى اربعين سنة
ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا فاستقيما فاثبتا على ما انتم عليه من الدعوة الى
الاسلام والزام الحجة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون في عدم الثقة بوعد
الله ولما قرب وقت حصول المطلوب امر الله تعالى موسى ان يخرج بني
اسرائيل فتوسط البحر فشققنا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده
في دخول البحر على ظن المجاوزة مع انا انما جاوزناهم ليكون آية على كونهم
مظلومين وكان اتباعهم بغيا ظلما وليس كالماضي بل عدوا تجاوزا وحد
فصاروا كالغرقى في بحر الظلم وهو موجب للغرق الظاهر ولم تنبه لهذه النكتة
الموجبة للايمان حتى اذا ادركه لحوق فرعون الغرق قال بعد الوقت الذي
دعا ان لا يؤمن قبله آمنت به بنو اسرائيل لينجيني من الغرق انجاهم وانا
من المسلمين المنقادين لاوامره الى ان اتاها على رسوله فقال له جبريل

الآن تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق وقد عصيت قبل بترك الانقياد للا
الاسلام وجبره فصار عادة لك فلا يبعد عودك اليه لو نجوت ولم يقتصر
على العصيان بنفسك بل كنت من المفسدين عقائد الخلق واعمالهم فلا
يبعد عودك اليه لكن لا بد لايمانك من اثر فاليوم ننجيك ببدنك باخراج
بدنك بلا روح من البحر لتكون لمن خلفك آية على انها عبد هالك لا اله
صاعد الى السماء لانهم وان راوا غرقك بما يغفلون عن هلاك كل كيف وان
كثيرا من الناس عن آياتنا التي هي اعظم دلالة علينا وعلى صدق رسلنا
وجزائنا يوم القيمة من دلالة غرقك على هلاكك لغافلون وايمانهم لم يفد
النجاة عن الهلاك الدنيوي ولا من العذاب الاخروي على حقوق الخلق
من اضلال ما لا يحصر وذبح اولاد بني اسرائيل واستعبادهم ولا على الكفر
لو ايس من نفسه او شاهد عالم الملكوت على ما يدعي عليه الاجماع فهذا اذ
فرعون ليسلب عنه الاموال والاعوان عنه ولقد عززنا بني اسرائيل بتلك
العزة مع تعزيزهم بالهداية ومجاوزة البحر اذ بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
انزلناهم منزلا ثابتا لا يزعجهم عدو وهو المطلوب من عزة الاعوان ورزقناهم
من الطيبات المطلوبة بعزة الاموال وكان هذا موجبا لاتفاقهم على
الهداية اذ حصل لهم بعزتها عزة الاموال والاعوان وسلبتا عن اعدائهم
لكنهم اختلفوا فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بما يوجب الاتفاق من هدايتهم
لكن لما انضم لهم الى عزتها عزة الاموال والاعوان افادتهم الكبر المانع
من انقياد البعض للبعض فتنازعوا نزاعا لا ينقطع بهم ابدا لكن الله يقطعه
ان ربك يقضي بما رفع النزاع بينهم يوم القيمة باثابة البعض ومعاقبة البعض
لا في الامور التي اتفقوا على صلاحها او فسادها فقط بل فيما كانوا فيه يختلفون
ايضا عن عناد واذا عرفت اختلافهم في كتابهم الذي يزعمون الاتفاق
على الايمان به فلا يبعد اختلافهم في كتابك مع شدة عنادهم معك فان كنت

في شك مما انزلنا اليك من اختلافهم فيه اذ آمن به بعضهم وكفر بعضهم فاسأل
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك هل كتابك موافق لكتابهم في الاعتقادات
والاخبار لقد جاءك الحق من ربك فاذا وافق الكتاب الالهي بانفاق
فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه منزل من عنده او اتى به شيطان اليك
اذ لا يأتي بالهداية المحضة فان اخفوا عليك الموافقة او توهمت ان الشيطان
جاء بها بالتدريج الى ابطال احكام تلك الكتب بطريق النسخ فلا تشكن في انه
عاجز عن الاتيان بالمعجزات ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله التي
يعجز الشيطان عن الاتيان بمثلها فتكون من الخاسرين للهداية الموجب
خسرانها خسران السعادة الابدية وان توهمت خسران الهداية بتلك
الكتب توهم كونه من الشيطان وعدم ايمان بعض اهل الكتاب بكتابك
ليس لخلل في اعجازه بل لكونهم ممن حقت عليهم كلمة ربك ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل آية يمكن ظهورها حتى يروا العذاب الاليم الاخروي لانه لا ينقض قضاء
الله والآيات وان كانت اسباب الايمان فلا يؤثر بدون ارادة الله و
ارادة ههنا خلافها وهذا لا يفيد قطع العذاب الاخروي كما لا يفيد الايمان
لرؤية العذاب الدنيوي قطعه فان نافس فيه احد قيل له فلولا كانت قرية
آمنت بعد رؤية العذاب الدنيوي فنفعها ايمانها في دفعه الا قوم يونس
نفعهم ايمانهم فدفع عنهم عذابهم الذي رأوا علامته فانهم لما آمنوا كشفنا عنهم
العذاب الخزي الذي يفتضحون به في المتأخرين فيتألمون به بعد الموت
وراء التألم بعذاب الآخرة وان كانت الفضيحة في الحيوة الدنيا وذلك انه
بعث يونس عليه الصلوة والسلام الى قرية نينوى من الموصل فوعدهم العذاب
بعد ثلث او اربعين فظهر غيم اسود ودخان شديد غشي مدينتهم فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا صدقه ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم

وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فعلت الاصوات في الضجيج
وتضرعوا واخلصوا التوبة فكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولم يقتصر
على كشف العذاب بل متعناهم بالحيوة الدنيوية ونعيمها ايضا الى حين وهو انتهاء
اجل كل واحد في حقه ثم اشار الى ان عدم ايمان اهل الكتاب لا بانك
ليس دليل قصورها بل هي كاملة تقتضي ايمان الكل لكن المشية الالهية تعوق البعض
فقال ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا لا يتأخر ايمان البعض
عن البعض ولكن شاء تأخر ايمان البعض لينال السابق فضيلة السبق وشاء
كفر البعض ليظهر قهره كما ظهر بايمان البعض لطفه على انه لو شاء ايمان الكل
لشاء باختياره اشاء ايمان الكل وان لم يختره البعض افانت تكره على الايمان
الناس الذين لا يختارون الايمان حتى يكونوا مؤمنين اي يتفقوا على الايمان
مع انك انما تكرههم على الاقرار باللسان واما التصديق القلبي فلا يدخل
تحت اكراهك لذلك ما كان لنفس ان تؤمن تصديقا بالقلب الا باذن
الله وهو وان كان باختيار منها فانما تختار ما يقتضي ذكاءها الله فجعلت هواها
تابعة لعقلها ويجعل الرجس خبث الهوى على الذين لا يعقلون فيجعلون
عقولهم تابعة لهواها لا مستهم قل لامثال الرجس ان لم ينظروا في آياتي لعناد
سوء فاي عناد يمنعكم سوء فاي عناد يمنعكم من النظر في آيات الآفاق انظروا
ماذا من الآيات الدالة على ذات الله وتوحيده وصفاته واسمائه وافعاله
المنتشرة في السموات والارض فلو لم ينظروا دل جعل الله رجس الهوى عليهم
وانه بلغ من الغاية بحيث ما تغني ما تكفي الآيات السماوية والارضية وما ظهر
على ايدي الانبياء والنذر من الانبياء والعلماء عن دفع رجس قوم
لا يؤمنون واذا لم يؤمنوا للآيات والنذر فهل ينظرون للايمان الا مثل
وقايع ايام الكفرة الذين خلوا مضوا من قبلهم فصارت سنة لامثالهم فان شكوا
في حصولها لهم قل فانتظروا حصولها لكم لا بطريق الاحتمال بل بطريق القطع

اني معكم من المنتظرين وقد جربتم صدقي ولا يمنعني منه توهمي ان اسنادكم
باتحاد المكان لان الله قال لي انا نعذبهم العذاب او لا ثم ننجي رسلنا والذين
امنوا بابعادهم عن ذلك المكان ولا نخص ذلك بالبعض بل كذلك نعم الكل
لانه كان حقا علينا تميز المستحق عن غيره فلا محالة ننجي المؤمنين بتميز العذاب على
الكفر عن البلاء الشامل للفاجر والبر فان زعموا ان هذا الاستدلال انما يصح لو
صحت رسالتك ولا دليل عليها من الافاق التي امرتنا بالنظر في اياتها
قل يا ايها الناس الذين نسوا دلالة عموم الحكمة فيها على انه لا يعطي المعجزة للكاذب
الا ان يعارض دلالتها بما تكذبها من دعوى الالهية او الرسالة مع الشرك و
الفسق ان كنتم في شك من ديني مع كونه ظاهر الرشد وقد ظهرت المعجزات
على يدي فلا موجب للشك في ديني من عبادة الادنى فضلا عن اعتقاد
الالهية اذ لا اعبد الذين تعبدون من دون الله مع ان الدون لا يستحق
العبادة بالذات ولا باعتبار الرجوع اليه للمجازاة ولكن اعبد الله الذي
يستحقها لذاته وللرجوع اليه للمجازاة لانه يتوفاكم ليرجع بكم اليه فيجازيكم على
اعمالكم ولا ادعي الالهية لنفسي وان بعث به اذ اقول امرت ان اكون
من المؤمنين باعلى مراتب التوحيد ولا ادعي اسقاط التكليف حيث جعلني
اكون فاسقا اذ امرت ان اقم وجهك اجعله مستقبلا متوجها للدين الكامل
حنيفا مايلا عن النقص وترك التكاليف نقص ومع ذلك لا تكونن من المشركين
بدعوى الكمال لك لنقصانك بالحدوث ومن الميل الى النقص اعتقاد
تاثير الاسباب لذلك قيل لي لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
وان كان من اسبابهما فان فعلت فانك اذا من الظالمين بشركك لكمال
لنفي تاثيره ولا تمنع باعتقاد عدم استقلالها في التاثير ان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له من الاسباب لا مستقلا ولا غير مستقل الا هو وان
كان يفعل عند الاسباب لكن لا نهاية وان يردك بخير فلا راد من اسباب

ضده لفضله لكنه انما يقع على خرق العادة لذلك يصيب به من يشاء من
خواص عباده ولا يمنع منه سبب الضد على تقدير تاثيره اذ هو الغفور الساتر
لتاثيره الرحيم بافاضة ضد مقتضى سبب الرفان ردوا فضلك بالرسالة وزعموا
ان خوارقك لاسباب لها اكتسبتها قل يا ايها الناس الذين نسوا الفرق بين
ما يكون فيه للسبب دخل وبين ما لا يكون قد جاءكم الدليل الحق الذي لا يتغير
بتغير الاسباب فعلم انه من ربكم يرحمكم بالهداية على يدي فمن اهتدى فانما
يهتدي تكميلا لنفسه لا لنفسي لسبقها بالكمالات ومن ضل فانما يضل نادما نقصها
عليها يمنع رحمة ربه فلا يعود نقصه علي واني مع بلوغي غاية الكمال الممكن ما انا عليكم
بوكيل الجئكم الى الهداية ومع ذلك اتبع ما يوحى اليك في التبليغ وان لم يهتدوا
به واصبر على اذاهم في التبليغ حتى يحكم الله بالقتال وهو خير الحاكمين يجعل
مقتولنا شهيدا ومقتولهم طريدا تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

سميت به لقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان
ربي على صراط مستقيم الدال على توحيد الافعال مع استقامته باعطاء كل
مستعد ما يستعد له المقتضية للاحكام والجزاء وهي من اعظم المقاصد
بسم الله المتجلي بجمعيته في كتابه الجامع الرحمن الرحيم بتفصيلها
لنفع الخواص المطلعين عليه الر اي اجلى لوامع الرشد واعلى لوا رفيع
الدرجات واجل لطايف الربوبية واتم لباب الرحمة كتاب احكمت
اياته بجعلها بعينه بمبادئها وصورها او باعجازها الرافع شانها او بتقوية
اصولها بالحجج القاطعة ورفع الشبه عنها او منع نسخها لكونها لباب الرحمة
ثم فصلت بجعل بعضها مقدمات لاخر وبيان مراتب القرب من رفع الدرجات
او بتكثير الفروع تربية للاصول ودا تقويتها او بابراز ما ابهم في الكتب السالفة
لمزيد الرحمة بهذه الامة من لدن حكيم لا يستعمل الا اليقينيات ويأتي بما يعجز

باحكام اياته لنفع الكل
صح

الكل وبنى الفروع على اقوى الاصول وبلغ الى الخير المطلق جبر للنفس
عليه الوهميات باليقينيات مطلع على اسرار الاعجاز والقوة والبناء
والجزية المطلقة ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير يشير الى
امثلة الاحكام فاليقينيات مثل ان الله يثيب من يخصه ويعاقب من
لا يخصه ومن كان كذلك يجب تخصيصه بها والمعجم مثل ان ذلك المطلوب جميع
فوايد تخصيصه ومضار تعطيله بعبارة موجزة يشير الى مراتبها مع انواع التاكيد
واللطائف الامر بتخصيصه بالعبادة مع التبشير على الموافقة والانذار على المخالفة
واللب ان لا ينسخ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يشير الى امثلة التفصيل
فجعل نتائجها مقدمات مثل ان يقال من يجب تخصيصه بالعبادة يستغفر من
معاصيه ويرجع اليه بالطاعة ثم انهما يرفعان درجات القرب فمما يستغفر
منه وجود النفس فيفنى عنه ويرجع الى البقاء به ثم بناء الفروع على الاصول
انما يتم بالاستغفار عن السهو والرجوع الى الحق ثم الوجل انما يبلغ اللب بالاستغفار
عن القصور والرجوع الى الكمالات يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت
كل ذي فضل فضله يشير الى افادة العبادة والاستغفار والتوبة ما اشير اليه
من اجل لوامع الرشد وغيره في تقييد القضية المثبتة لذة اليقين وتقييد
القرب من رفع الدرجات بالاحوال والمقامات والنزهة بالعلوم والكرامات
واللب بالشهود بشهود الله هذا في الدنيا بطريق التمتع وفي الاخرة يزداد كل
واحد منها لكل من حصل فضلا من تلك الفضائل في الدنيا وان تولوا فاني
اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي وان تعرضوا عن تخصيصه بالعبادة وعن
الاستغفار والتوبة التي هي مقتضى الدلائل اليقينية والمعرفة من رفع الدرجات
والمعتبرة حق الربوبية والمستفيضة لباب الرحمة فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير فيه الاعراض عن اليقينيات والبعد من رفع الدرجات وفيه
من ربى بانواع النعم وتولى عنه وفوات عظيم الرحمة ولا ابعد من الفضائل

للاولين

للاولين والعذاب للآخرين اذ الى الله الظاهر فيه كبرياؤه بغاية لطفه على قوم
وقهره على اخرين مرجعكم جميعا ولا مانع له من غاية اللطف والقهر اذ هو على
كل شيء قدير ولذلك لا يبعد عنه تعذيب من رجع الى احب الاشياء وجعل
الشهوات بعينها عذابا وايقاع الحجاب على من رجع الى نور الانوار وكيف
لا تعذبهم وقد بالغوا في الاعراض عن دلائله اليقينية وعن حضرته الرفيعة
وعن شكر نعمته وموجبات رحمته الا انهم يثنون يحرفون صدورهم لا
لمنافاة على ما ذكر انفسهم لعلمهم انه لا يخفى عليهم بل ليستخفوا منه ليطلبوا اخفاء
انفسهم منه وبالغوا فيه بالاستغشاء الا حين يستغشون ثيابهم يطلبون
التغطي بها ليخفوا ظهوره عليهم ونظروا اخفاءه عنهم يعلم ما يسرون وما
يعلنون وكيف يخفى عليه ما تحت ثيابهم وقد اطلع على اخفى الامور انه عليم
بذات الصدور وان زعموا انه لا بد من التوطي عما ذكر لطلب الرزق الشاغل
عنه اجيبوا بان هذا انما يكون لو اضطر الى طلبه لكن لا اضطرار اليه بعد
تكفل الله في حق كل انسان بل كل حيوان فانه ما من دابة حيوان يدب و
ان كانت قاصرة نظرها في الارض لا ينظر الى الله الا على الله بطريق التكفل
الشبيه بالايجاب رزقها معاشها وكيف لا يتكفل بذلك مع انه يعلم مستقرها
زمان بقائها المتوقف على الرزق ومستودعها زمان طلب وديعة الروح
عنها المتوقف على تكميل الرزق وكيف لا يعلم هذه الاشياء مع انها حوادث
متعددة بمقدار خاص فلا بد من ثبوتها في لوح القدر بل كل مسطور في كتاب
مبين لما في القلم الاعلى التابع للعلم الالهي وكيف ينكرون تكفله برزقكم مع
انه هو الذي خلق السموات بافلاكها وكواكبها واملاكها والارض بمعادنها
ونباتها وحيواناتها في ستة ايام على عدد ما ذكرنا لتدبيركم فلا يخلو عن التكفل
برزقكم كيف وكان عرشه الذي هو مستوى اسمه الرحمن الذي منه كل فيض
على الماء المفيد للحيوة المتوقفة على الرزق فدبركم باحسن تدبير ليبلوكم

ايكم احسن عملا عبادة له بحيث لا يعوقه عنها طلب رزق او غيره ولا يتم هذا
الابتلاء الا باعطاء الرزق اذ عدمه مضعف عنه ولئن قلت ردا لنفيهم الابتلاء
اذ لم يروا ثوابا ولا عقابا ايام الحيوة انكم مبعوثون للثواب والعقاب من
بعد الموت اذ قبله يرفع الابتلاء ليقولن الذين كفروا لقدرة الله وحكمته
وتدبيره بعده وثبتهم بامر ان هذا ليس هذا القول الا سحر مبين يلبس ظاهره
بوعد لم يجر به العادة وزعموا انه لا وجه للتاخير ولكنه يعتد بهذا التاخير لانا
لئن اخرنا عنهم العذاب فانما نؤخره الى امة جماعة من الساعات معدودة
لكنهم لانكارهم ما بعد ساعات الحيوة ليقولن ما يحبسه يمنعه مع تحقق موجبه
وعدم تحقق ما بعد الحيوة فيقال ما بعد الحيوة محقق والمانع من وقوع العذاب
في ايام الحيوة استيفاؤهم نصيبهم من الرحمة الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم
ولا ينتفعون بالرحمة الماضية اذ حاق احاط بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب
فان استهزاءه خطيئة محيطة وسبب لساير الخطايا وكيف يلتذون مع هذا العذاب
الدايم وقد علم بالتجربة انا لئن اذقنا الانسان منا رحمة عظيمة ثم نزعناها
منه سلبناها منه انه ليؤس قنوط من عودها فلا يلتذ بالنظر الى المستقبل
مع امكان عودها فكيف مع امتناعه كفور للنعمة الماضية فلا يلتذ بالنظر
الى الماضي بمجرد سلب النعمة فكيف مع هذه الشدة وكيف ينقطع عنهم العذاب
مع انه جرب من الانسان انا لئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته على
سوء عمله ليقولن ذهب السيئات عني بتلك الشدة فلا اخاف بعدها شدة
عليها انه لفرح بذهابها فخور بحصول النعماء بعدها وفرح العدو وفخره مكروه
بمقتضى الحكمة الا الذين صبروا فانه لا يمحص عليهم الشدة لانهم لما علموا
ان الصبر مفتاح الفرج يلتذون برجائه وعملوا الصالحات حال الشدة
فيلتذون بها اولئك ينقطع عنهم العذاب في الدنيا والاخرة اذ لهم مغفرة
لذنوبهم بتلك الشدة واجر كبير على الصبر والاعمال الصالحة حال الشدة و

ان

ان التذوا بها فلا ينقص ذلك شيئا من اجرهم فهولاء وان انعم عليهم بعد
ضراء مستهم فلا يكره فرحهم وفخرهم اذ لم يلبسوا باعداء بل اولياء واذا لم يؤمنوا
بالبعث وتاخير الجزاء اليه بعد هذا البيان المعجز المشتمل على اقامة الحجج ورفع
الشبه واصروا على كونه سحرا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ان تبلغهم مخافة
ردهم ولو لم تترك فلا اقل من انه ضائق به صدرك مع اقتضاء اقامة الحجج
ورفع الشبه توسيعه اذ انكروا اعجازه حتى طلبوا معجزات اخر مثل ان
يقولوا لولا هلا انزل عليه كنز اذ الرسول متبوع لا بد له من الانفاق على
اتباعه ولا يتاتى مع عدم سلطنته الا بالقاء الكنز عليه او جاء معه ملك يكون
له تابعا لا يحتاج الى الانفاق ويكون له مصدقا اياه من عند من ارسله تعالى
فقال لا تحتاج الى الانفاق انما انت نذير اذ يكفي للرسول انذاره من
القبائح والانفاق موكول الى الله اذ الله على كل شيء وكيل واما التصديق
بالملك او بساير المعجزات فيكفي تصديق القران الذي هو المعجزة القولية
انكرون تصديقه مع الاقرار باعجازه ام يقولون ليس بمعجز بل مقدور
عليه للبشر اذ بلغ غاية الفصاحة والعقل ويمكن منه الافتراء فهو شيء افتراه
قل ان كان غير معجز بل مفترى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فهو اقل من
عشره فمن بلغ الغاية لا يكون من دونه بحيث لا يبلغ حد عشره او اقل منه
فان لم يبلغ اليه بنفسه يبلغ بالاستعانة وادعوا للاستعانة من استطعتم
من الانس والجن والملئكة بل كل من يكون من دون الله فان كل دون
وان بلغ من الكمال ما بلغ عاجز عنه بنفسه وبالاستعانة ان كنتم صادقين
في انه يمكن افتراؤه فان لم يستجيبوا لكم اي ما تحديتم به مع شدة عداوتهم وكمال
فصاحتهم وعقلهم فاعلموا انما انزل بعلم الله المحيط باسرار الاعجاز وان لا اله
الا هو ليعجز كل من جعلتموه الها من دونه عن مثله فهل انتم مسلمون منقادون
لتوحيد الله وتصديقه الرسول بكلامه المعجز فلا تطلبون معه معجزة اخرى

ثم ان افتراء مثله لما امكن ربما يكون لطلب راحة الدنيا وزينتها لكنه يحوج
الى اعمال شاقة واخروية توجب ترك لذاتها وزينتها فان قصد بتلك الاعمال
راحة الدنيا وزينتها ضاعت وصارت سبب الشدائد في الآخرة فان من كان
يريد باعمال الآخرة الحيوة الدنيا اي راحتها وزينتها جاهها نوف اليهم اعمالهم
اذ اراجر ما فيها وهم وان كانت اجورهم الاخروية غير متناهية فيها لا يبخسون
اذ عدم تناهي الاجور ليس في مقابلة الاعمال بل من فضل الهي وهم ليسوا
من اهل الفضل فيعطون في الدنيا ما يقابل اعمالهم بلا نقص فيها اولئك الذين
بعدوا عن العقل الصريح بتضييع الاعمال لراحة الدنيا وزينتها التي يحصل بدونها
ليس لهم الخلاص في الآخرة راسا براس بل ليس لهم في الآخرة باتفاق الانبياء
والحكماء الا النار المحسوسة او المعقولة فلا تنتهي من له العقل الكامل الذي
يشبه البلوغ الى حد الاعجاز ولا يحصل لهذا العامل منه من تلك الاعمال
لذة تعارض لذتها تلك الآلام لانه حبط ما صنعوا فيها فلم يكن له مثبتة اصلا و
لو افادت مثبتة لم تكن ملذة لانه باطل ما كانوا يعملون والباطل لا يكون ملذا
بل مؤلما ايجعلونه طالبا لراحة الدنيا وزينتها باعمال الآخرة مع كونه على بينة
فمن كان على بينة من ربه تزونه طالبا لما يوجب الحجاب عنه وليست بينة
معارضة بما ينافيها بل يتلوه شاهد منه وهو العقل يصدقه دلائل القرآن
ويرفع عنه الشبه ولم يقتصر فيه على الشاهد العقلي بل ايده الشاهد النقلي اذ
من قبله كتاب موسى صدقه قبل مجيئه وكفى به شاهدا لكونه اماما للانبياء و
رحمة للمؤمنين ويدل على تصديقه اياه ان اولئك المامنين فيه يؤمنون
به بهذا الكتاب مع ادعاء تصديق التورية اياه ومن يكفر به من الاحزاب
من طوايف اهل الكتاب لا يقدرون على انكار تصديقه اياه مع ابقائه
بحاله بل يحرفونه لفظا او معنى فالنار موعده لكفرهم بالكتابين فان لم يبالوا بهذا
الوعيد فلا تك في مرية شك منه انه اي الوعيد الحق لكونه من ربك الذي

لا يكذب ولكن اكثر الناس لا يؤمنون فيحملونه على مجرد التخويف من غير دليل
وكيف يعطي الله البينة للمفترين عليه فيكون ظالما باعانة الظالمين فانه من
اظلم ممن افترى على الله كذبا كيف واعطاء البينة اعزاز وهم يستحقون
الاذلال فان لم يعطوها اليوم فلا بد ان يعطوها يوم القيمة اولئك يعرضون
على ربهم عرض العبيد المفترين على ملوكهم ولا يمكنهم الانكار امكانه للعبيد
اذ يقول الاشهاد من الملئكة والجوارح هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فهي
يستحق هؤلاء البعد من ربهم مع كونهم من اهل اللعنة الا لعنة الله على الظالمين
سيما من ظلم بالكذب على ربه ولم يقتصروا به في حقه بل عموا حقوق الخلق اذ
هم الذين يصدون عن سبيل الله زاعمين انهم يسلكونها بهم ولا يتركونها
بحالها بل يبغونها عوجا ومع ذلك لا يريدون مقصدها اذ هم بالآخرة هم
كافرون وان كانوا يدعون الايمان بها ويدعون الناس اليها بمفترياتهم
اولئك المفترون لو اعطوا معجزات لكانوا معجزين لله عن تصديق الصادقين
في دعوى النبوة لكنهم لم يكونوا معجزين وان كانوا في الارض التي يكثر فيها
التلبيسات على ان مثل المعجزات المصدقة للمفترين لا يكون من الله بل من
الشيطان ولكنها لما التبست بمعجزات الله التي يصدق بها الصادقين اوجب
الحكمة الالهية رفعها كانهم ما كان لهم من دون الله من اولياء وليس عدم
رفع الله اياها لكونها سبب الهداية التي قصدوها بمفترياتهم لان الافتراء وان
كان سبب هداية فهي موجبة للغضب بحيث يضاعف لهم العذاب وكيف
لا يرفع تلبيسه على انه كيف يقصد من الشيطان الهداية مع ان الشياطين
ما كانوا يستطيعون السمع اي كلام الهداية ليلقوها عليهم وما كانوا يبصرون
الهداية احدا لانهم مجبولون على الاضلال اولئك المفترون لو حصلوا
المعجزات بتضييع انفسهم لم يبق لهم تصفية اذ هم الذين خسروا انفسهم بالافتراء
على الله ولم يفدهم مفترياتهم لو كان هدى في نفسه بل ضل عنهم ما كانوا يفترون

فان افادهم في الدنيا لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لعظم ظلم المفتري
واهل التصفية لا يتعلمون بعض اجرهم ولو فرض انه مفتري مع كونه مهدي
في ذاته مقرونا بالبينة صادرا من اهل التصفية لم ينقص من آمن به مع الجهل
بافترائه ان الذين آمنوا بما هو مهدي في نفسه ولم يقصدوا بذلك اتباع
المفتري بل وعملوا الصالحات التي من جملتها اتباع ما هو مهدي في نفسه ولم يقصدوا
بذلك العزة عند الخلق الذي هو مقصود المفتري بل اخبتوا اما لوا الى ربهم
اولئك وان ابعدهم اقتداؤهم بالمفتري لكنهم لعدم اطلاعهم على ذلك مع كونه
مهدي في نفسه مقرونا بالبينة صادرا من اهل التصفية مقصودا به التقرب
الى الله اصحاب الجنة لا يخلون بالخروج عنها فيشتد عليهم العذاب بل هم
فيها خالدون لا يقال لو لم يضر المؤمنين ما ذكر لم يضر الكافرين اتباعهم اهل
التصفية اذا اتوا بالخوارق لانا نقول مثل الفريقين في الاقتداء بما هو
ضلال في نفسه او مهدي كالاعمى لا يبصر بنفسه ما هو مهدي في ذاته او ضلال
والاصم لا يسمع ممن يبين له مع عدم استقلاله والبصير والسميع هل يستويان
في حكم من الاحكام مثلا حتى يلزم استواؤهما في حكم النجاة والفوز انتسوون
بينهما فلا تذكرون ما بينهما من الفرق العظيم ومما يدل على عماهم وصممهم انهم
لا يروا من الرسل الآيات الساطعة ولم يسمعوا منهم الحجج القاطعة وقلدوا من
ليس لهم شيء من ذلك مع ظهور ضلالهم فانه لقد ارسلنا نوحا بالآيات
الساطعة والدلائل القاطعة الى قومه العماة الصم فصموا عن قوله اني لكم نذير
مبين وعموا عن قوله ان لا تعبدوا الا الله الذي هو في الظهور كالمبصرات
اذ لا يخلو ما سواه عن نقص ينافي الالهية على انه لا دليل على الهية
ما سواه فاقل ما في عبادته خوف غضب الواحد فان لم يظهر اليوم لبقاء
للتكليف يخاف ظهوره في يوم اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم محيط
بكل الم فقال الملأ الاشراف الذين هم متبوعوا العوام تحقيرهم ان يكونوا

ابصر واسمع لكنهم اشد عمى وصمما لكونهم الذين كفروا مع كونهم من قومه تحقيرهم
ان يكونوا مثله وقد اطلعوا على احواله ما نراك الا بشرا مثلنا وغاية فضلك
بالاتباع لكنه لا يعتد بهم اذ لم يكونوا شرفاء وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا ولو اعتد بفضل متابعتهم فانما يعتد به لو كانت عن روية كاملة
لكنهم انما اتبعوك آخذين بادي الرأي ظاهر النظر دون التعمق فيه فلو ادركوا
آيات وشبهاتك حججا ولم يكن ذلك لرؤيتهم الفضل فيكم والا لرأيناه ولكن
ما نرى لكم علينا من فضل اذ خوارق السحر وكلمات التلبيس لا تعد فضلا
ولا توجب تصديقا بل نظنكم كاذبين قال يا قوم الذين حجبهم الابصار ارأيتم
اخبروني كيف اكون مثلكم ان كنت على بينة معجزة علم كونها من ربي واتاني
رحمة طهارة كاملة عن الكدورات وهداية تعرف بالهداية كونها من عنده
افاضها البصر وما فاخذوا بها فعميت خفيت عليكم فتجعلونها تلبيسا مع ظهور
الفرق عند البصراء وانتم بصراء لو نظرتم لكن يكرهون النظر كراهة حصولها
انلزمكموها وانتم لها كارهون ولا يحصل لكاره ويا قوم لا وجه لكراهتها
مع انها تحصل لكم الآخرة والقرب من الله ولا ينقص عليكم شيئا من دنياكم
اذ لا اسألكم عليه مالا وان كنت مستحقا له على تحمل متاعب الارشاد ان
اجري الا على الله فليس ثمة مانع الا خسة اتباعي ولا ينفع الا بطردهم
ولكن ما انا بطارد الذين آمنوا فانه يكون مانعا لهم من الايمان اولا لهم
ولو كان طردهم بسبب ايمانكم ولم يرتدوا اخاف من طردهم لكنهم انهم
ملاقوا ربهم فيشكون عني طردهم وعدم اسعافهم على ان خستهم ليست
مانعة لكم من الايمان اذ لا يلحقكم ولكني اراكم قوما تجهلون فتخافون لحوق
خستهم لمشاركتكم اياهم في الايمان من عماكم اذ الخسيس لا تترك مشاركته
في كل شيء ويا قوم ان افادكم طردهم تقربكم لكني يلزمني الله على طردهم من
ينصرني من الله بدفع اذلاله ان طردتهم انتم تبدون اعزازكم باذلالي فلا

تذكرون وليس لي في دفع خستهم باعطائهم شيئا من المال اني غني عنكم اذ لا اقول
لكم عندي خزاين الله اغني منها من آمن بي ولا ادفعها باطلاعهم على الكنوز
اذ لا اعلم الغيب ولا بدفع حاجتهم عن الطعام والشراب ليكونوا اغنى منكم
ببلوغهم حد الملائكة اذ لا اقول اني ملك حتى اجعلهم مثلي وكيف اطردهم
لخستهم الظاهرة مع اني اراهم اشرف منكم في الباطن لايمانهم اذ لا اقول للذين
تزدري تستحقرهم اعينكم لحقارة ظاهرهم لن يؤتيهم الله خيرا ايمانا لشرف باطنهم
وليس ذلك لاطلاعي على غيبهم بل الله اعلم بما في انفسهم لكني لو لم احكم عليهم بالايمان
بما ظهر لي من تصديق اللسان اني اذا لمن الظالمين بترك متابعة دليل
الايمان الظاهر على الباطن بغير مانع ظهر لي في دلالته او لكني لو حكمت بان حقارة
الظاهر توجب حقارة الباطن عند الله لكنت من الظالمين اذ لا دلالة لهذه
الحقارة على ذلك بخلاف ايمان اللسان فانه دليل القلب وان لم يكن قاطعا
قالوا من عنادهم وصممهم الجاعل للحجج ورفع الشبه مجادلة باطلة يا نوح قد جادلتنا
بالمغالطات والمشاغبات فاكثرت جدالنا بتكثير وجوهها فان كانت
حججا فأتنا بما تعدنا من العذاب على ردنا ان كنت من الصادقين في وعيدنا
عليه قال لست الآتي به انا حتى تعجزوني بل انما يأتيكم به الله ان شاء في الدنيا
وان لم يعذبه بل انما وعد العذاب الاخروي وما انتم بمعجزين بدفعه عنكم
بقتلكم او حجتكم او تحملكم ولتعجيزكم انصح لكم لكن لا ينفعكم نصحي ان اردت ان
انصح لكم ان كان الله في الازل يريد ان يغويكم ارادة مستمرة فاني وان كنت
رسوله فليس لي تغيير تلك الارادة وما ظلمكم بذلك اذ هو ربكم فرباكم بمقتضى
ما علم من استعدادكم بعلمكم ولكن يلزمكم الحجة اذ اليه ترجعون فلا يمكنكم
مجادلته بدفع حجة ام يسلمون كونه نصحا مع انه لا يلزم الحجة لمخالفته ارادة
الله ام يقولون افتراه اي النصح فقال تعالى لنوح قل ان افتريته مع ظهور
كونه نصحا واقترانه بالمعجزات فعلي اجرامي لا على من قبل نصحي الظاهر

المؤيد بالمعجزات وانا بريء من العجز في ابلاغ النصح وايضاحه وتأييده بالمعجزات
فلا يلحقني عقاب مما تجرمون من انكار ذلك واوحي الى نوح عند مبالغته
في بذل الوسع في النصح مع عدم نفعه اياهم انه لن يؤمن من قومك في المستقبل
وان بالغت في اقامة الحجج ورفع الشبه الا من قد آمن في الماضي فانه يستمر
على ايمانه فاستحقوا العذاب المعجل لان تأخيره انما هو لتوقع ايمان البعض
فلا تبتئس فلا تغتم لاهلاكهم شفقة عليهم لانهم انما يهلكون بما كانوا يفعلون من
معاندتهم معك فليس محلا لشفقتك ولا لرحمتنا واصنع الفلك للتخلص
من عذابهم باعيننا بحفظنا لك ولفلكك كيف وقد كان عن وحينا اذ لم
يكن قبله سفينة ولا تخاطبني لا تراجعني في الذين ظلموا بدعاء دفع العذاب
عنهم من شفقتك عليهم حتى لا تحتاج الى صنع السفينة انهم مغرقون بدعائك
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلا تنقضه بدعاء آخر منك
ومن عنادهم المانع من المخاطبة في حقهم انهم رأوه يصنع الفلك ليدل على انهم
يغرقون ولا يبالون مع انهم جربوا صدقه كلما مر عليه ملأ اشراف من قومهم
بعدوا من السحر سيما لكنهم من قومه الذين عرفوا مكانه وانه ليس محلا للسخر
سخروا منه فقالوا قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا في صنع
الفلك فانا نسخر منكم من جهة انكار الغرق وسخرنا عن جد لا كما تسخرون بل عن
رؤية وسخركم عن عمى فسوف تعلمون حين كشف الغطاء عن اعينكم من يأتيه
من الغرق عذاب يخزيه في الدنيا فيجعله محلا للسخر ويحل ينزل عليه عذاب
مقيم دائم في الآخرة فلم يزالوا على السخر حتى اذا جاء امرنا باغراقهم وكان
ابتداؤه حين فار اي غلا التنور فنبع منه الماء علمت به امرأته واخبرته قلنا احمل
فيها من كل زوجين اي من كل حيوان مزدوج باخر دون الحشرات اثنين
ذكرا وانثى فحشر الله اليه الدواب والسباع والطيور فجعل يضرب بيديه فيقع
الذكر بيمناه والانثى بيسراه فيجعلهما في السفينة واهلك امرأتك المسلمة

وبنيه ساما وحاما ويافث ونساءهم الا من سبق عليه القول باهلاكهم
مثل كنعان وامه واحمل من آمن وسمّيهم السفينة لانه ما آمن معه الا قليل
اثنان وسبعون من رجل وامرأة من الاجانب وسبع اهله ثمانية وكانت
للسفينة ثلثة ابطن الاسفل للدواب والاوسط للانس والاعلى للطيور وكانت
من ساج طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلثون وقال نوح
لاهله والمؤمنين ليأمنوا الغرق والانكسار فلا يلحقوا الكفار في الغرق
اركبوا السفينة واستقروا فيها قائلين بسم الله مجريها ومرسيها اي وقت
اجرائها ووقت ارسائها ليحفظ من الغرق والانكسار من دون اسبابها
فاذا سمعوا الله تعالى غفر سيآتهم ورحمهم بالسلامة والوصول الى المقصد وحصول
المطالب ان ربي لغفور رحيم ومن بركة هذا الاسم بقي مع ثقلها في ذاتها
وحملها تجري بهم مع ان فيهم من لا يخلو عن معصية في موج ما ارتفع من الماء
لشدة الريح كالجبال في الارتفاع فلا يبقى فيه السفينة الا بحفظ الله على خرق
العادة سيما في اليوم الذي لم يحفظ فيه من النجاة الى الجبل ولذلك نادى
نوح ابنه كنعان وكان الى الآن في معزل عن دينه يا بني اركب حال كونك
مؤمنا معنا لتنجو من الطوفان ولا تكن بتركها مع الكافرين بعد ظهور ضلالهم
بهذا القهر العام عليهم قال من غاية عماه سآوي سالتجي الى جبل يعصمني
يحفظني من الماء من اصابته فضلا عن الغرق قال لا عاصم يعصم احدا
اليوم الذي ظهر فيه قهر الله وغضبه من امر الله عذابه الا الله فانه يعصم من رحم
فلم يعصمه الجبل بل ارتفع اليه الماء وحال صار حائلا بينهما الموج فوق الجبل
فكان مع كونه فوق الجبل من المغرقين تحته ولا نجاتهم عن تعب السفينة بعد
النجاة من الغرق قيل يا ارض ابلعي بطريق الجذب الذي لا يخلو من صعوبة
ماءك اي مقدار ما نبع من الماء منك ويا سماء اقلعي اجذبي الى جهة العلو ما
نزل منك ومع ذلك لم يذهب كله بل غيض الماء نقص ولم يكن بنقصه قبل

اسلاك

اسلاك الكافرين بل بعد ما قضي الامر ثم امر اهلاكهم وبعد اهلاكهم لم يذهب
بالكلية ايضا بل استوت سفينة نوح بعده على الجودي جبل بقرب الموصل
ولم يلحقهم بعد النجاة من الغرق وتعب السفينة الم التحسر على اهلاكهم بل
قيل جعل الله بعدا عظيما عن الخاطر عن رحمة للقوم الظالمين فركوا التحسر
عليهم لرؤية ظلمهم ولكن نادى من بينهم نوح تحسرا على ابنه ربه رجاء ان ينجيه
بمقتضى تربيته اياه فقال رب ان ابني الذي اغرقته من اهلي الذين وعدتهم
الانجاء وان وعدك الحق الذي لا احتمال فيه للتخلف كيف وقع التخلف
فيه من كل احد سيما من الحاكم وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من
اهلك الموعود انجاؤهم بل من المستثنين لكفرهم ومع ذلك انه لعدم كون شيء
من اعماله صالحا كانه في نفسه عمل غير صالح فلا يستحق تأخير العذاب لاستيفاء
عمل صالح في الدنيا فلا تسألن بطريق الاعتراض ما ليس لك به اي بوروده
علم لشعورك بالاستثناء وان ذهلت عنه اني اعظك ان تكون بالاعتراض
عليّ بما لا تعلم وروده يقينا من الجاهلين باعتقاد ورود ما ليس بوارد
عليّ قال رب اني اعوذ بك ان اسألك بطريق الاعتراض ما ليس لي به
بوروده علم والا اي وان لم تغفر لي اعتراضي عليك بما لم اعلم وروده وترحمني
بتذكير وجه التفصي عنه اكن من الخاسرين بالاعتراض او بالتردد في وروده
ولما استعاذ نوح عن ذلك اعتذر من كل عمد وسهو حتى قيل يا نوح اهبط
من السفينة بسلام عن العمد والسهو فعلا وترددا خاطرا حفظا لك منا وبركات
من العلوم والاخلاق والاعمال والاحوال والمقامات فاضت منا عليك
لطلبك الرحمة منا على امم طوائف ممن كان في السفينة معك تكميلا للرحمة
عليك بمحبة اتباعك ومن اثر تلك الرحمة سيحصل من بعضهم امم سنمتعهم
في الدنيا ثم يمسهم في الآخرة باعمالهم الذاتية التي لها السبق لكن لما لم يكن
لعذاب الآخرة انقطاع بقي مقتضى سبق الرحمة فناخر لهم منا عذاب

اليم فلا ينفعهم النسب هناك وان نفعهم ههنا كما لم ينفع ابنك كنعان ولا بعد
ان يكون منهم كفار قريش وغيرهم اذ لا يؤمنون لاياتك التي منها اخبارك
عن الغيب مما لا ينتهي اليه علم كاهن ولا منجم اذ تلك القصص مع طولها من
انباء الغيب التي لا يطلع عليها كاهن ولا منجم بتعليمنا لك انا نوحيها اليك
اذ لا طريق توصل لها اليك سواه اذ ما كنت تعلمها انت ولا قومك بطريق الاخبار
ولا غيره من قبل هذا الوحي لكنهم يكذبونك مع تصديق اهل الكتاب اياك
فاصبر على تكذيبهم اذ لم يتبعوا الله في تكذيب من صدقه وقد دل على صدقك
معجزاتك مع تقويتك ان العاقبة للمتقين كما كان لنوح والمؤمنين من قومه
ولقد ارسلنا الى عاد العماة الصم اخاهم المشفق عليهم ليسمعهم ويبصرهم هودا
بعد ما سمعوا من قصة قوم نوح فاتبعهم عبادة الله وتوحيده اذ قال يا قوم
الذين عرفوا بصري وصدقي اعبدوا الله لاستحقاقه العبادة اذ لا بد
لكم من اله تعبدونه اذا لحق انعامه عليكم ولا يستحقها غيره لانه ما لكم من
اله غيره اذ لا دليل عليه واسمعهم ان القول بما لا دليل عليه افتراء ان انتم الا
مفترون واسمعهم ان التوحيد لا ينقص عليهم شيئا من منافعهم حيث قال
يا قوم لا اسالكم عليه اجرا لانه اعظم من ان يفي به مالكم ان اجري الا على الذي
فطرني فانه مع كون انعامه بالفطرة انما يعطيني الاجر الكامل الذي يليق بعظمته
اينكرون افتراءكم او كون الاجر على الارشاد اجل من ان يفي به اموالكم او
اعطاء الذي الاجر الكامل عليه على تحمل اعباء رسالته افلا تعقلون ثم اسمعهم
التفصي عن الشرك والمعاصي مصيرا فوائد ذلك فقال ويا قوم استغفروا ربكم
من الكفر والمعاصي ثم توبوا اليه ارجعوا اليه بالايمان والطاعة يرسل السماء
عليكم مدرارا تكثير الرزق لكم الذي نجعه من الشرك وهو مانع عنه بالحقيقة الا طريق
الاستدراج ويزدكم اشرف مطالب الرزق قوة مضمومة الى قوتكم وانها
الى مضاده بقوله ولا تتولوا لا تعرضوا عما ادعوكم اليه حال كونكم مجرمين مصرين

على اجرام فان اقل ما في الاجرام حرمان هذه الفوائد قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة دليل على النبوة والتوحيد وفوائد الاستغفار والتوبة ومضار ترك
ذلك وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ان القول بآلهتها افتراء ولو كان ما ليس
عليه عقلا الا اعصار افتراء وما نحن لك بمؤمنين مصدقين وان جئتنا بالبينات
بل ان اي ما نقول لبياناتك الا انك استخفيت بآلهتنا في السحر الذي نجمته الايات
ثم نسبتها الى ربك لذلك اعتراك اصابك بعض آلهتنا بسوء جنون فيتكلم
بالهذيانات وتزعم انها دلائل قطعية ومن هذياناتك الدعوة الى التوحيد
وترك عبادة الالهة والامر بالاستغفار والتوبة ووعد الرزق ومزيد القوة
على ذلك قال كيف اكون مستخفا بالهتكم مع اني مبالغ في البراءة عنها اني اشهد
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه في تاثير شيء فان كان لها تاثير
ولكم فكيدوني فاقصدوا اهلاكي جميعا مجتمعين بانفسكم او بدعوتها الشرع الى
الاجابة ثم لا تنظرون لا تتضرع اليها او اليكم فاني لا ابالي بكل ما دونه لو كان له تاثير
اني توكلت على الله ربي الذي رباني بالرسالة وربكم الذي رباكم بكمال القوة فانكم
لا تقدرون على اضراري بانفسكم ولا باصنامكم لتوكلي عليه وكونكم تحت تصرفه
لانه ما من دابة متحركة بفعل الامر آخذ بناصيتها فهي في قبضته لا يمكنها التحرك
ما لم يحركها ولا يجري كما في حوض ثم توكله عليه الا على نهج العدل ان ربي على صراط
مستقيم فمن استقام معه يتم له الخلاص فان تولوا تعرضوا لم تضرني اعراضكم
بعد تبليغ الرسالة فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ولا تضرون ربي فانه يستخلف
ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا لو اهلككم بلا بدل لكنه انما يستخلف حفظا للنوع
ان ربي على كل شيء حفيظ لاجل حفظ النوع مع اظهار الاستغناء ولما جاء
امرنا بالعذاب خصصناه بالعماة الصم اذ نجينا هودا ولم يكن ذلك من معجزاته
اذ نجينا ايضا الذين آمنوا معه نعمة النجاة البصراء السامعين لكن لم يكن بسبب
الايمان وحده اذ لا يمنع من التعذيب الدنيوي بل برحمة منا ولكنهما اشتهت

المعجزات اذ نجيناهم من عذاب غليظ لا يخفى عنه الا بطريق خرق
العادة وكيف لا يغلظ عذابهم وتلك الطايفة المعذبة عادٌ المشهورة بالجرايم
العظام حتى جحدوا بآيات ربهم اذ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وعصوا
رسله اذ قالوا وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وعصيان
الواحد في معنى عصيان الكل فلم يتبعوا الرسل في التوحيد والرسالة واتبعوا
في الشرك والمعاصي امر كل جبار عنيد لا يستدل بدليل ولا يقبله من
غيره ولكون مواخذتهم على الجرم العظيم اتبعوا بعد ما عذبوا في هذه الدنيا
لعنة ويلعنون يوم القيمة اذ يقال الا ان عاداً كفروا جحدوا ربهم اذ سوّوه
بالهتهم من عمايهم وصممهم الا جعل الله بعداً مستمراً لعاد قوم هود من الذي اراد
ابصارهم واسماعهم فصار البعد فاختاروه ولقد ارسلنا الى ثمود العماة
الصم اخاهم ليسمعهم ويبصرهم صالحاً فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ قال يا
قوم اعبدوا الله لاستحقاقه العبادة دون غيره اذ ما لكم من اله غيره واسمعهم
الدليل عليه بانه المنعم بالايجاد واسباب المعاش اذ هو الذي انشاكم
من الارض واستعمركم فيها احياكم بتهيئة اسبابها فكما سترونا ما دتكم بصورتكم
النوعية الانسانية تعظيما لكم توقع منكم تعظيمه ببذلكم له بالطاعة بعد الاستغفار
من معاصيه المخلة بتعظيمه فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي يسمع استغفاركم
لانه قريب ويجيب دعوتكم عند اجابتكم له بطاعته لانه مجيب قالوا يا صالح
قد كنت فينا عاقلا مرجوا نرجو مشاورتك في الامور قبل هذا فانقطع رجاؤنا
الذي منه دعوتك الى التوحيد على خلاف العقلاء اتنهانا ان نعبد ما يعبد
آباؤنا العقلاء ويعبدنا فكان الشرك لنا يقينا وانّنا وان بالغت في حججك لفي
شك اي راسخون فيه لا يخرج عنه مما تدعونا اليه من التوحيد مريب يوقع
في الريبة من يلابسانك قال صالح يا قوم ارايتم اخبروني اكون مجنونا ان
كنت على بينة دليل واضح يعرف كونه من ربي اذ لا يحوم الشبهات حوله

وآتاني مع ذلك الدليل منه رحمة هداية تصدق معجزتي مزيد تصديق فان
تبليغ رسالة لنسبتكم اياي الى الجنون فمن ينصرني يخلصني من الله بل لا ناصر
لي منه ان عصيته بما سواه دلني منه فان جعلتم ذلك عقلا فالعقل هو الذي يفيد
الارباح وعقلكم يفيد الخسران فان اتبعتها فما تزيدونني غير تخسير بتفويت
السعادة الابدية والقرب من الله تعالى ويا قوم ان زعمتم ان الناقة
التي جئت بها انه كانت لنا تخسيرا اذ ضيعت علينا دوابنا ومنافعها سيّما
مع انها ناقة الله حاصلة لكم بدل دوابكم يفيدكم فوايد مع الفوايد الاخروية
لكونها آية فان تأذت منها دوابكم واستغنت من الرعي فذروها تأكل في
ارض الله فان ناقة الله اولى بان ترعى بارضه من دوابكم وان كانت دوابكم
عندكم اولى لا تمسّوها بسوء لانتسابها الى الله فيأخذكم لجرأتكم على ما انتسب
اليه عذاب قريب من افراط غضبه على من اجترأ على آياته فلم يسمعوا
لقوله بعد رؤية هذه الآية وغيرها فعقروها ذبحوها فسمع به صالح عليه السلام
فقال تمتعوا بدوابكم في داركم لا في الدنيا كلها بحياة باقيكم ثلثة ايام الاربعاء
والخميس والجمعة لتعلموا ان متاع الدنيا اقل قليل وان التاخير لا ينافي وعد
قرب العذاب بل ذلك وعد غير مكذوب وانما فعل ذلك ليدل على ان
وعد الاخرة وان تاخر من الدنيا وعد غير مكذوب ولما كان ذلك تخسيرا لهم
دون صالح والمؤمنين فلما جاء امرنا بالعذاب خصصناه بالعماة الصم اذ
نجينا صالحا والذين آمنوا معه لاختصاصهم برحمة منا مانعة من خسران
الكافرين ومن خزي يومئذ اي منعهم في ديارهم بدوابهم من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها ليعلم انه خزي لهم لا لغيرهم او المكان وكانت نجاتهم
بتقوية الله اياهم ليحمل الصيحة وعدم الخزي لا عزاز الله اياهم لانهم لما كانوا اهله
افاض عليهم قوة وعزة ان ربك هو القوي العزيز ومن قوته وعزته المقتضية قهر
اعدائه اخذ الذين ظلموا بالتمرد على الله والتقوي على آياته الصيحة من جبرئيل

صيحة الناقة عند عقرها فاصبحوا في ديارهم التي يتحفظون بها عن الآفات
جاثمين ميتين من صوت الناقة بعد صياحها فلم يبق لهم من يمنعهم شيء بل صاروا
كأن لم يغنوا لم يسكنوا فيها فاذا ذكروا قيل ألا إن ثمود كفروا جحدوا ربهم فاسلكهم
ألا بعدا لثمود عن رحمة الله لبعدهم عن صراطه من عنادهم وصممهم فيقال لهم في الدنيا
ما يقال في عاد يوم القيمة ولا بعد من الاسمين القوي العزيز اعجاز قوم وفيه اخرى
فانه قد يجوز مثله من الملئكة الذين هم عمله الاسماء فانه لقد جاءت رسلنا الذين
ارسلناهم لاهلاك قوم لوط اذ قالوا سلاما ما يكون البشر سرورا فوق سرور قال
سلام اي هو مستمر عليكم مجاباهم باحسن من تحيتهم واحسن لهم حق الضيافة
فما لبث ليسرع ان جاء بعجل حنيذ مشوي فوضعه بين ايديهم فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه فضلا عن الاكل نكرهم اي انكر كونهم اضيافه واوجس اضمر منهم خيفة
اي خوف ان يريدوا به مكروها لان الامتناع من طعام الشخص دليل ذلك
قالوا لا تخف انما لا ناكل لانا ملئكة ولم نزل بالعذاب عليكم انا ارسلنا الى قوم
لوط لاهلاكهم وامرأته سارة بنت عمه هاران بن ناحور قائمة في خدمة الرسل
فضحكت سرورا باصابة رأيها فانها كانت تقول ضم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب
ينزل بهذا القوم او بهلاك اهل الفساد فبشرناها بالسرور بهلاكهم باسحاق وانها
ترى من وراء اسحق ولده يعقوب ابا الانبياء قالت يا ويلتى اي يا ايها الالم الفظيع
أألد وانا عجوز ابنة تسع وتسعين سنة وهذا بعلي شيخا ابن مائة وعشرين سنة
ان هذا التولد بين هرمين لشيء عجيب امر غريب لم يجر به العادة قالوا أتعجبين
مستبعدين من امر الله شانه خلق الولد من هرمين على خرق العادة مع
انها تكثر في بيت النبوة رحمة للخلق وبركة عليهم في تايدها كونوا به رحمة الله انواع
رحمته وبركاته مستقرة عليكم اهل البيت اهل بيت النبوة انه بغير العادة حميد
مستحق للمحامد وعجزها مجيد منيع لا يرام فكان هذا بشرى في مظنة الروع فلما
ذهب عن ابرهيم الروع زال عنه خوف ارادتهم المكروه به وهو المانع من المجادلة

ابرهيم بالبشرى بولد وولد له الذي هو والد الانبياء فهو معا على النسخ بنسخ سرورا صح

اي هم

وجاءته البشرى التي حقها ان تمنع من المجادلة ايضا يجادلنا يكلم رسلنا كلام
المجادل لا في حق نفسه بل في حق قوم لوط الذين بشرت امرأته بهلاكهم ففرح بالبشرى
وبعدها ابرهيم فيها اذ قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط خمسون مؤمنا اتهلكونهم
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد
مسلم اتهلكونها قالوا لا قال فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا
امرأته ان ابرهيم لحليم غير مستعجل للانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأسف
على الناس منيب راجع الى الله بالاستغفار لهم فقالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا
الجدال فانه لا يفيد انه قد جاء امر ربك حكمه الجازم باهلاكهم الدنيوي وانهم
انهم في البرزخ والقيمة عذاب غير مردود بجدال او دعاء او غيرهما فلا فائدة
بعذبها في رد العذاب الدنيوي عنهم ولما جاءت رسلنا في صورة غلمان مرد
حسان الوجوه لوطا ليخبروه باهلاك قومه لكنهم اخروا ذلك الاخبار الى ان
يشتد غضبه عليهم باهلاكهم فهم وان كانوا في الحقيقة جاؤا بمسرة سيء بهم حصلت
له المساءة باتيانهم مخافة ان يخزيه قومه بفعل الفاحشة بهم ولم يمكنه دفع تلك
المساءة حتى ضاق صدره بهم فصار كمن ضاق ذرعا فاشتد انقباضه
بحيث لا يقدر على حركة ليعجز عن مدافعة المكروه عن ضيفه ولم يقدر على كتمان
ما في قلبه بل قال هذا يوم عصيب شديد وكيف لا يشتد عليه وقد جاءه قومه
لطلب الفاحشة من ضيفه كانهم يهرعون اليه يدفعون اليه ولا حياء لهم
اصلا اذ من قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش حتى زال حياؤهم بالكلية
قال يا قوم الذين حقهم ان يناسبوني في الطهارة هؤلاء النساء اللاتي هن
لي بمنزلة بناتي فانهن مع قرب مناسبة هذا الفعل بهن واعتذر من اعتراض
من يزف نسبهن مني اذا نكحتموهن اطهر لكم من الزنا التي فيها نوع طهارة
بالنسبة الى اللواط فاتقوا الله ان تعصوه بما هو اشد من الزنا جنسا ولا تخزون
لا تخجلوني مع اني لكم بمنزلة الوالد في ضمن اخزاء ضيفي أليس منكم رجل رشيد

نهم

ليدعو عليهم

يدعوى عن القبيح ويهدى الى الصواب فى حق الله وحق الوالد والضيفان
قالوا انما نهيتنا لو اردنا بناتك لكن والله لقد علمت ما لنا فى نكاح بناتك من
حق استحقاق اذ لا نريد اتيانهن وانك لتعلم ما نريد عن ما فلا يمكنك دفعنا
عنه قال لو ان لى لو ثبت لى بكم اى معكم قوة على دفعكم لدفعتكم او لو وجدت
ركنا شديدا كنت آوى ارجع الى ركن قوى كركن الجبل شديد يشتد بمنعه
على اهل معصية الله قالوا يا لوط انك لا تحتاج الى قوة ولا الى ركن غيرنا انا
رسل ربك لنقويك ولنكون ركنا شديدا لك لا تخاف منهم حزنا فانهم
لن يصلوا اليك مع كونك منهم فكيف الينا وقد جئنا لاهلاكهم بعذاب
محيط بقراهم فاسر باهلك مع اهلك بقطع وقت مضى اجزاء من الليل ليستغرقهم
النوم فيها فلا يمكنهم التعرض لك ولاهلك ولا يلتفت لا ينظر الى ما خرج عنه منكم
احد لئلا يلحقه اثر ما نزل عليهم نتهى عنه اهلك الا امرأتك فانها لتلتفت اليه
اذا سمعت الصيحة وتقول واقوماه انه مصيبها ما اصابهم من العذاب
فاخذتها حجارة قال لوط متى يكون ذلك قالوا ان موعدهم الصبح قال اريد
اسرع من ذلك قالوا اليس الصبح بقريب ولما استحق قربهم الهلاك فلما جاء
امرنا بعذابهم جعلنا جعل رسلنا بامرنا تلك القرى منعكسة عاليها سافلها
ادخل جبرئيل عليه السلام جناحه تحت مدائنهم فرفعها الى السماء ثم قلبها عليهم
وذلك لجعلهم الرجال العالين فيها نساء سافلات وامطرنا عليها على قراهم
حجارة من سجيل طين متحجر منضود بعضه ببعض ليرجموا رجم الزنا بما يناسب
نفوسهم وربهم الذى انصل تعلق بهم مسومة تلك الحجارة اى معلمة باسم من
يعذب بها ليكون اول ما رجموا لاجله كانت عند ربك فى خزائنه لا من
الارض المقلوبة ولا غيرها ادخرها لمن غضب عليهم ولذلك ما هى اى تلك
الحجارة من الظالمين المشركين الذين هم اشد من اهل اللواط ببعيد بمكان
بعيد لان الخزانة الالهية لما لم يكن لها مكان استوى بالنظر اليها جميع الامكنة

لكانها فى كل مكان ولما فرغ عن بيان اهلاك من اخل بيد الانسان شرع فى
بيان اهلاك من اخل بغايته فقال والى اهل مدين القماءة الصم اخاهم الذى
كان حقهم ان يسمعوا منه ويبصروا ما يبصرهم شعيبا قال يا قوم الذين حقهم ان يكونوا
مثلى سامعين بصراء اعبدوا الله الذى اوفى نعمه عليكم فلا تنقصوا حقه بالشرك
فانه ما لكم من اله غيره وكيف يسوغ لكم نقص حقه فيما توفون به حق شكره من العباد
ولا يسوغ لكم نقص ما يؤدون به حقوق الخلق لا تنقصوا المكيال والميزان
اللذين تنقصون بهما ولا ينقصون بهما ولا تحتاجون الى النقص انى اريكم
بخير نعمة تمنعكم ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم وانى
اخاف عليكم بالشرك والنقص وراء نقص حقوقكم فى الدارين عذاب
يوم محيط بجهاتكم فلا يبقى لكم جهة خير ويا قوم لا يكفى تكميل الآلة مع نقص الكيل
والوزن اوفوا الكيل والميزان لا باعطاء الزيادة بل بالقسط ليكون
ذلك داعيا لكم الى ايفاء حقوق الله فى العبادة التى يكملونها بشرائطها
واركانها بترك الرياء والعجب وغيرهما من الآفات ولا تبخسوا الناس اشياءهم
بطريق من الطرق كالمكس وان لم يعد افسادا ولا تعثوا ولا تفسدوا
بالسرقة وقطع الطريق والغارة فى الارض وان كانت محل الكون والفساد
فى الوضع الالهى مفسدين ما امر الله باصلاحه لا ما امر بفساده من اموال
اهل الحرب ولا حاجة لكم الى البخس والافساد وان ادى تركهما الى تقليل
المال اذ بقية الله اى ما ابقاه عليكم بعد التنزه من الحرام خير لكم فى دينكم
ودنياكم ان كنتم مؤمنين فان المؤمن بارك له اذا تنزه عن الحرام وليس
اصلاحى بحفظكم عن الافساد وما انا عليكم بحفيظ بل غاية امرى النصح
قالوا يا شعيب لم يشاء الله احدا بشئ بل غاية ما يقول خيالات حصلت
لك من رهبانيتك اصلوتك تأمرك اى تأمرنا ان نترك ما يعبد آباؤنا
او ان نترك ان نفعل فى تجارة اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم من طلب

ما نشاء صح

الزيادة الرشيد باقامة العدل قال يا قوم كيف تنسبون قولي بترك عبادة
الاصنام وترك نقص الكيل والميزان الى الخيالات الفاسدة من الوسواس
ارأيتم اخبروني هل تعتقدون حقوقي ان كنت على بينة من ربي ولم يحثني
بترك عبادة الغير وترك نقص الكيل والميزان نقصان في رزقي بل رزقني
الله منه رزقا حسنا مالا كثيرا حلالا ولست بمتهم اذ ما اريد ان اخالفكم في
وفائكم الذي امركم به ذاهبا الى ما انهاكم عنه من ترك الوفاء فان ذلك الفساد
واني اريد ما اريد في حقي وحقكم الا الاصلاح ما استطعت ولا يعجبني ذلك
لاني اعتقد انه ما توفيقي لا معونة لي في الاصلاح الا قائمة بالله وان عارضني
في ذلك نفس او شيطان او غيرهما عليه توكلت لدفع تلك المعارضة ولو لم
تعدني توكلي عليه لا اترك التوكل عليه بل اليه انيب ارجع في كل شيء حتى
في التوكل عليه ويا قوم لو فرض انتفاعكم بعبادة الاصنام ونقص الكيل
والميزان فلاتي بعده مخالفتي لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم عداوتي ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح من الغرق والريح
والصيحة او قوم لوط من قلب الارض وامطار الاحجار فان مخالفة
الرسل تقتضي احد هذه الامور فان امكنكم انكار عذاب هؤلاء لبعدهم لم يمكنكم
انكار عذاب قوم لوط كيف وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا ولا يمنعكم
من الاستغفار والتوبة انقطاع رجائكم من عفو معاصيكم لكونها حقوق الخلق
التي لا تلغى ولا يمكن التفصي عنها بل استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم
يرحم المستغفرين التائبين لانه ودود مبالغ في المحبة لهم ولا يبعد من
المحب ان يشفع عن محبوبه بارضاء خصمه قالوا يا شعيب ان كلامك نشأ
من خيالات فاسدة لذلك ما نفقه لا نفهم كثيرا مما تقول لانها غير معقولة
كالتي تجد رحم هذا البحث ولا بالملك وان اوهمت معقوليتها فليست قوية
انا لنراك فينا ضعيفا ليس لك قوة الرأي والرسول يجب ان يكون قوي الرأي

وليس لك ايضا قوة الدفع عنك فانه لولا رهطك قومك الدافعون عنك لرجمناك
على سب آلهتنا وتسفيه ديننا وتجارتنا والرسول يجب ان يكون اقوى
الناس ليمكنه تحمل اعباء الرسالة ولو سلم انه لا يشترط فيه قوة الدفع فلا بد ان
يكون له عزة يدفع عنه لكن ما انت علينا بعزيز فلم يكن لنا مانع من رجمك سوى
رهطك قال يا قوم وان كان المانع من رجمي شوكة قومي لا رسالة ربي ارهطي
اعز عليكم من الله بل لا عزة له عندكم اصلا ولذلك اتخذتموه وراءكم ظهريا
جعلتموه منبوذا وراءكم حتى جعلتموه مما ينسب الى ظهوركم لا وجوهكم فهذه معاص
لا يحيط بكبرها الا الله ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم لو لم تعتقدوا عزته
ولا احاطته اعملوا مستولين على مكانتكم تمكنكم من القبائح فلا ابالي لها اني
عامل ما اعتقد من قبائحكم فلو عكستم سوف تعلمون من يأتيه من قبائحه
التي من جملتها عدم اعتقاد العزة لله والاحاطة له عذاب يخزيه ومن هو كاذب
ازاعم العزة والاحاطة لله او غيره وان لم يبالوا بذلك لاستبعادكم اياه
ارتقبوا تحققه من الاخبار التي ليست محض تخويف اني معكم رقيب ولما جاء
امرنا المخزي لاهل القبائح المميز للكاذب من الصادق نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه لصدقهم واختيارهم المحاسن لكن لا يدفع ايمانهم واعمالهم العذاب
الدنيوي بل برحمة منا اقتضت التمييز في محل النزاع فلم يؤثر فيهم الصيحة واخذت
الذين ظلموا الصيحة فاثرت فيهم فاصبحوا في ديارهم لم يمكنهم الفرار عنها جاثمين
ميتين بل كأن لم يغنوا لم يقيموا فيها لذلك لم نتحسر عليهم بل قيل الا بعدا لمدين
لبعدهم عن طريق الصواب من عمائهم وصممهم كما بعدت ثمود لذلك اصابهم مثل
ما اصاب ثمود ولقد ارسلنا موسى لابصار عزتنا واسماع احاطتنا باياتنا
المعجزات الفعلية المبصرة عزتنا وسلطان مبين حجة ظاهرة تسمع احاطتنا الى
فرعون وملائه العماة الصم الزاعمين لعزة فرعون واحاطته دون الله فاتبعوا
امر فرعون برشيد يصدقه معجزة وحجة بل غاية القدم بطريق التغلب لذلك

يقدم قومه الذين اضلهم بارادة تقدمه بالعزة والاحاطة يوم القيمة فاوردهم
النار عقيب دخوله كمن يتقدم الواردين على الماء ليبرد الاكباد ومنها
لاحراقها ولذلك كان بئس الورد المورود ولغاية قبح موردهم اتبعوا
في هذه لعنة على لسان كل من سمع بهم ويوم القيمة يلعنون لعنة يكون
عونا لهذه بئس الرفد المرفود بئس العون المعان ذلك المذكور من
انباء القرى لعمايهم وصممهم مع ابصار الانبياء عليهم السلام واسماعهم ليس
من الاكاذيب الموضوعة لتخويف المتأخرين بل من الامور المحققة التي جعلت
مسمعة مبصرة لهم لكونها من انباء القرى الهالكة نقصه عليك وصلت من
غير سماع ولا تنجيم وكهانة بل نقصه عليك بالوحي ليكون معجزة مبصرة مسمعة
في نفسها مع ابصار بحجزها واسماعه منها قائم باق اثره فهو مما يبصر وحصيد
عاف اثره فهو مما يسمع خبره ويدل على هذه الغاية انا ما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم باتخاذ آلهة ورجاء شفاعتها فما اغنت دفعت عنهم آلهتهم التي
يدعون يعبدونها عبادة مختصة بالله مع كونهم من دون الله فكان ظلما
من شيء من الاغناء لما جاء امر ربك باهلاكها وان كانوا يتوهمون لها
النفع والدفع قبل ذلك ولم يقتصروا على عدم الاغناء بل ما زادوهم غير تتبيب
تخسير اذ خسروا انابة التضرع واستجابة الدعوة عند الاضطرار ولا يختص
ذلك بالمتقدمين بل كذلك اخذ ربك على مجرى العادة المستمرة اذا
اخذ القرى لا اذا اخذ احاد الناس وهي ظالمة لا اذا اخذها ابتلاء
بغير الظالم وغيره فانه لعظم المه وشدته ان اخذه اليم شديد وليس ذلك
على سبيل العبث لعدم انتفاع احد بل ان في ذلك لآية عبرة لمن خاف
عذاب الآخرة فانه اذا راى عظم المه وشدته في دار الابتلاء علم ان ذلك
في دار الجزاء اتم مع زيادة الخزي والفضيحة فيه اذ ذلك له الناس من
اول الدنيا الى آخرها ولا احتجاب فيه بل ذلك يوم مشهود يشهد فيه الكل

يوم مجموع صح

للكل ولا يمنع من خوفه تأخيره فانا ما نؤخره اي ذلك العذاب الا لاجل
معدود لانتهاء مدة قريبة ولو بعدت يجب ان يخاف ايضا لانه من
شدة يوم يأت ذلك العذاب لا تكلم نفس فضلا ان تشفع الا باذنه
وانما يأذن بالشفاعة في حق من اجتمع فيه اسباب السعادة والشقاوة
فمنهم شقي وسعيد بمعاصيه وايمانه فهؤلاء يؤثر فيهم الشفاعة بخلاف من
محضت شقاوته او سعادته فاما الذين شقوا بلا سعادة ففي النار لا يؤثر
فيهم شفاعة لانتهائهم فيها اذ لهم فيها زفير ترديد النفس في الصدر حتى ينتفخ
منه الضلوع وشهيق رد النفس الى الصدر والمراد شدة كربهم وغمهم
من استيلاء الحرارة على القلب وانحصار الروح فيه وقيل الزفير
اول صوت الحمار والشهيق آخره والمراد تشبيه صراخهم بصوت الحمار
ولعدم انتهاء شقاوتهم يكونون خالدين فيها ما دامت السموات والارض
اي المظل والمقل الاخرويان الا ما شاء ربك اي وقت مشيئة تعذيبهم
بالزمهرير ان ربك فعال لما يريد من التعذيب بالنار مرة وبالزمهرير
اخرى واما الذين سعدوا بلا شقاوة ففي الجنة من غير حاجة الى شفاعة
لكمال سعادتهم لذلك يكونون خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الاخرويان الا ما شاء ربك اي الا وقت مشيئة اكرامهم برؤية الشاغلة
عنها فيكون سعادة هؤلاء وشقاوة الاولين عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية
شك في ذلك العذاب لهؤلاء من عدم تعذيبهم في الدنيا لانه قد ظهر
انه حق هؤلاء مما يعبد هؤلاء لانهم كآبائهم المعذبين لذلك لا تفاوت
في عبادتهم فانهم ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم المعذبون من قبل
وانا ان لم نعذبهم في الدنيا على ذلك كما عذبنا آباءهم لموفوهم نصيبهم
من عذاب الدنيا في الآخرة ليكون غير منقوص مع كمال الغضب الالهي
عليهم كما كان على آبائهم ولا يبعد ان يعذب الله قوما في الدنيا ويؤخر

منقطع واذا كان يعذب الاولين في الدنيا لكون آية لمن خاف عذاب الآخرة تدلانك صح

عذاب آخرين الى الآخرة فانه بعد اخذ فرعون وملائه على تكذيب موسى
لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وليس الاختلاف فيه باقل من تكذيب
موسى مع انه اخر عذابهم الى يوم القيمة لعل بعضهم يؤمن وبعضهم يلد مؤمنا
فهولاء وان كانوا اكفر من فرعون سبقت كلمة ربك بتاخير عذابهم ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير امرهم الى الآخرة لقضى بينهم بما يميز المحق من المبطل كيف
وقد تاكد ذلك بمقتضى الحكمة انهم لفي شك منه من هذا القضاء مريب موقع
للناس في الريبة ولكن لا وجه للشك فيه ان كلا لما عمل عملا والله ليوفينهم ربك
المبلغ للاشياء كمالاتها اعمالهم تربية للمعاني التي فيها انه بما يعملون خبير
فلا يمنعه من التوفية التي يقتضيها عموم قدرته عدم احاطته بها وقرئ
بتشديد لما مع تشديد ان او تخفيفها من المثقل عاملة او غيرها وان
خففت لما مع تشديد ان واعمالها فمعناه وان كلا لشيء خلق ليعمل فوالله
ليوفينهم ربك اعمالهم وان قرئ بتخفيفها بلا عمل فمعناه ليس كل الا ليوفينهم
ربك اعمالهم واذا كان الله تعالى موفيا للاعمال ما فيها من المعاني الظاهرة
والباطنة فاستقم في الاعمال فاعملها كما امرت لانه ما امرك الا بالعمل
الوجوه ولا يختص هذا الامر بك بل انت مامور به ومن تاب معك
وكيف لا يؤمرون بذلك والاخلال به طغيان لا تطغوا لا تجاوزوا
حدا امركم الله به انه بما تعملون بصير فيبصر ما وقع فيه التجاوز وكما نهيتم عن
الطغيان نهيتم عن الميل الى اهله لا تركنوا لا تميلوا الى الذين ظلموا
فانه ان لم يوجب الخلود في النار فلا اقل من اصابة مسها فتمسكم النار
وليس لكم من يدفع عنكم فانكم اذا التجأتم اليهم ما لكم من دون الله من اولياء
ثم ان وجدتموهم لا تنصرون اذ ليس لهم مقاومة الله وكيف لا يضركم الميل
الى الله فكما تفيد هذه نورانية تدفع ظلمات المعاصي تفيد ذلك ظلمة
تذهب بانوار الطاعات لذلك قيل اقم الصلوة التي بها الميل الى الله

طرفي النهار الظهر والعصر لتاخذ نصيبا من نور اسمه الظاهر وزلفا ساعات
من الليل قريبة من النهار الصبح والمغرب والعشاء لتاخذ نصيبا من نور اسمه
الباطن انها حسنات ان الحسنات لكونها ميلا الى الله مفيدة اكتساب
نور من قربه يذهبن السيئات باذهاب ظلمتها وكيف لا يكون للحسنات
نصيب من النور مع ان ذلك اكتساب الحسنات ذكرى لله نور الانوار
فلا بد ان يفيد نورا للذاكرين لا للعالمين رياء ولكنه لا يحصل بادنى ذكر بل
بالمداومة عليه لذلك اصبر على مداومة الذكر حتى يبلغ رتبة الاحسان فان الله
لا يضيع اجر المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه فيفيض عليهم من نوره
ما يجعلهم اهل المشاهدة الباطنة في الدنيا والرؤية الظاهرة في الآخرة
ومما يمنع الميل الى الظالمين ويوجب الميل الى الله النهي عن الفساد في الارض
فلولا فهلا كان من القرون الهالكة من قبلكم اولو بقية اصحاب استحقاق
بقاء لكونهم ينهون عن الفساد السادي في الارض فانه لو كثر الناهون لم يوا حد
الباقون لكن لم يكن الناهون الا قليلا فبقوا مع اتباعهم اذ كانوا ممن انجينا
منهم وانما نجى اتباعهم لانهم لم يتبعوا اهل الفساد وان كانوا مترفين واتبع
الذين ظلموا ما اي انا سا كالحيوانات اذ انغمسوا فيه انعم عليهم ولم يصرفوا نعمهم
الى ما انعم عليهم من اجله بل كانوا مجرمين صارفين لها مصارف معاصي المنعم
فكان تركهم النهي لاتباعهم اباهم مع قدرتهم على النهي فاتبعهم الله في عذابهم ثم
اشار الى ان النهي عن الفساد في الارض مانع من الاهلاك الدنيوي على
الكفر فقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم عظيم من الكفر واهلها مصلحون
لامور الدنيا كصلاحهم لعمارة الارض كيف والصلاح محبوب الحق كالايمان
بحيث لو شاء ربك ان يقتصر على ايجاد المحبوبين لجعل الناس امة واحدة
متفقين على الايمان والصلاح ولكن جعل بعضهم على بعض وفي جبلة بعضهم
على وفق بعضه فجعل الاولين مرجحين للعقل والشرع والآخرين للاهواء و خل

أسمائهم مختلفة ولذلك لا يزالون مختلفين في أسمائهم إلا من رحم ربك
فإنه لا يرجح الهوى ولا يؤثره إذ لذلك لرحمهم خلقهم وإنما أثبت في الثابتين
مع وجود المانع من العقل والشرع لأنه تمت في حقهم كلمة ربك لأملأن جهنم
من الجنة والناس أجمعين مجتمعين إذ يجمع كل إنسان الشيطان بسد عليه
طريق العقل والشرع بجراءه على متابعة الهوى وترجيحها ودفع مكائد
الشيطان كلاهما يرجح العقل والشرع ويدفع المكائد نقص عليك بحيث
لا دخل للتلبيس فيه لكونه من أنباء الرسل المبعوثين لذلك في أنبائهم ما نثبت
به فؤادك على متابعة العقل والشرع وقد دفع عنك التلبيس إذ جاءك
في هذه الأنباء الحق الصريح الذي لا يحتاج فيه إلى دلالة المعجزات وموعظة
زاجرة عن متابعة الهوى وذكرى لتلبيسات الشيطان حاصلة للمؤمنين
وقل للذين لا يؤمنون بتلك الأنباء لعدم مبالاتهم بالحق الصريح والموعظة
والذكرى اعملوا بما يوافق الهوى على مكانتكم بمكنكم من معرفة الحق الصريح
والأخذ بالموعظة والذكرى إنا عاملون بما يوافق العقل والشرع وإن زعمتم
أنه لا عاقبة لعملنا انتظروا العواقب على قول من يستعمل العقل إنا منتظرون فإنه
ما يقتضيه قول العاقل الانتظار فإن زعموا أنه انتظار ما لم يقع مثله أصلا
قال لهم ولله غيب السموات والأرض فلعله في بعض الأدوار ما يقتضي
البعث من غير أن يكون له نظير وغاب عن نظر المنجمين والكهنة وكيف لا ينتظر
وهو مقتضى الرجوع إليه ولا بد منه إذ إليه يرجع الأمر كله ليميز بين من خصه بالعبادة
وبين من لم يخصه فاعبده وإن توهمت أن عبادته لا يدفع قدره توكل عليه
وكيف يترك المجازاة وهي مقتضى ربوبيته ولا مانع عنها سوى الغفلة ولكن ما
ربك بغافل عما تعملون تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

سميت بها لأن معظم قصته مذكورة فيها ومعظم ما فيها قصته

بسم الله المتجلي بجمعيته في آيات كتابه بالأخبار عمن ظهر فيهم
جمعيته مشعرا بها الرحمن بأن إلهاما مناسبة لطباع الكل الرحيم بجعلها بلسان
يتضمن من الأسرار ما لا يتضمنه غيره وهو العربي الر أي آيات لوامع الرشد
أو أجل لطائف الربوبية أو أخص لباب الرحمة أو أعلى لواء الرفعة تلك
آيات الكتاب المبين للأخبار الغيبية التي لا يبلغها صنعة التنجيم والكهانة
مع تضمنها ما لا يحصر من العلوم والعبر أو للطائف التي في صور المحن أو للانتقال
من أنواع الشدائد إلى أنواع النعم أو لطريق الوصول إلى أعلى مراتب الدين
والدنيا وإنما كانت آيات لوامع الرشد لإعجازها الدال على كونها منزلة
من الله وإنما كانت أجل لطائف الربوبية لأنه يلطف بإنزالها وإنما كانت
أخص لباب الرحمة لاختصاصها بالنزول من مقام العظمة الإلهية وإنما كانت
أعلى لواء الرفعة لكونها بإنزاله من مقام العظمة للاصطفاء إليها لذلك قال إنا
أنزلناه حين هذا الإنزال صار الكلام الواحد الذي هو صفة أزلية آيات
متعددة إذ صار قرآنا أي مقروا بالتناسب للطباع البشرية وجعل عربيا
ليتضمن من الأسرار ما لا يتضمنه غيره لعلكم تعقلون ما عندنا من الأسرار ويتضمنها
الصفة آيات بكونها آيات لوامع الرشد وما عطف عليه ثم في الكتاب
إشارة إلى وجوده الخطي وفي القرآن إلى اللفظي وفي تعقلون إلى الذهني
وفيما أنزلناه إلى كونه من عالم الغيب في ذاته ففيه إشارة إلى وجوداته
الأربعة وكرر نون العظمة ليتجرد نون الإنزال بالعلو مرتين مرة باعتبار كونه
صفة أزلية ومرة باعتبار ظهوره بعظمته ولما كان إنزاله ليعقل ما عند الله و
الاتصاف بما ذكر لا جرم نحن لا غيرنا نقص عليك لتزداد كمالا في الأوصاف
المذكورة الرشد والتربية والرحمة والرفعة أحسن القصص لاشتماله على ما
لا يتناهى من المحاسن كالانتقال من أنواع المحن إلى أصناف المنن بنجاة يوسف
من القتل ثم من غيابة الجب ثم من التهمة ثم من السجن ثم من العبودية ثم من

فراق الاب ونجاة ابنه من غم فراقه ومن العمى ونجاة امرأة العزيز من
الاثم ونجاة الساقي من القتل وبنيامين من تهمة السرقة واحسان الله تعالى
الى يوسف بالملك والنبوة وسجود الابوين والاخوة وايتاء الحكم والعلم
وكنوز الملوك والممالك والغلمان والنجاة من احتيال النساء وكيدهن
وكيد الشيطان والاقارب والصبر والعفو عند القدرة والسياسة وحسن
المعاشرة وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة في العفة والجهاد و
ذكر المحب والمحبوب والرجوع الى السعادة وذكر التوحيد والعفة وتعبير
الرؤيا وطريق السلوك وحال السالك وغير ذلك فيعلم انه انما يكون بما
اوحينا اليك ايها المتصف بهذه الكمالات المستعد للبلوغ الى غاياتها هذا
القرآن المشتمل على آيات لوامع الرشد وما عطف عليه اذ لا يتيسر للماهرين
بالعلوم المطلعين على الاخبار وان لوى وانك كنت من قبله لمن الغافلين
عن مبدا منح القصة اذ قال يوسف لابيه لاعتقاد كمال علمه وشفقته
عليه بحيث لو كانت رؤياه تسوءه لامكنه صرفها عنه يا ابت ناداه ليقبل عليه
بكمال التعطف ولم يسمه رعاية لتعظيمه اني رايت في المنام احد عشر كوكبا
قيل هي جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفيلق والمصبح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين اولت باخوته نجوم سماء النبوة المحيطة
بنوة جملة من اولادهم والشمس اولت بابيه الجامع انوار النبوة المتفرقة
في ابنائه والقمر اولت بخالته المستفيدة منه النور واخرهما تاخر الاشرف
عن الجنس رايتهم بعد رؤيته عليهم لي ساجدين جمعها جمع العقلاء لفعلها
فعلهم ولو صح كونها ناطقة فلا اشكال ولم ار من تعرض لبيان السجود ولعله
تحريك جانبه الاعلى الى الاسفل مستديرة ظهرها ومستقبلة قال قبل التعبير
تحذيرا عن ضرر نشر الرؤيا يا بني صغره لصغر سنه اذ كان ابن اثني عشر سنة لا تقصص
رؤياك التي يعتبرها على اخوتك روبيل وشمعون ولاوي ويهودا وزبالون

ويشجردان ونفتالي وجاد واشر وبنيامين اذ تزيدهم حسدا عليك فيكيدوا
فيمكروا بك بما يظهرون انه نافع لك ولكنه يكون كيدا عظيما متلفا لك وهو وان
لم يكن من طباع اهل بيت النبوة لكن الشيطان يلقيها عليهم ان الشيطان
للانسان سيما القائمين بعداوته سيما الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء
عدو مبين عداوته وان قصد اخفاءها ثم عبر الرؤيا بقوله وكذلك اي كما
جعلك مسجود الكواكب والشمس والقمر يجعلك مسجودا من اولئك اذ
يجتبيك ربك للمناصب العالية وليس بالفضل الدنيوي فقط بل يعلمك
ايضا اشياء كثيرة من تاويل الاحاديث واقعات المنام واليقظة بطريق
الولاية ويتم نعمته بالنبوة والرسالة عليك كيف وقد اتمها ايضا على آل يعقوب
الذين يسجدون لك ولم يقل والى لئلا يستغرق في العجب بنسبتهم الى نفسه
بل سماه كانه اجنبي ولا بعد ذلك فان الولد سر ابيه فيتمها عليك كما اتمها على
على ابويك من قبل اي ابيك فهي سنة في هذا البيت ابراهيم منبع هذا الكمال
واسحاق حامل سره ثم سرى الى المستعدين له من اولادهم ان ربك عليم
بالاستعدادات حكيم يعطي كل مستعد ما يستعد له ومن فوائد هذا المنام
استحباب كتمان السر وجواز التحذير عن شخص بغيبته ومدح الشخص في وجهه
اذا لم يضره واعتبار السبب وان لم يؤثر وان لكل حادث تاويلا عند الاولياء
وانه يعبر الرؤيا من الصغار وان كان من عالم الخيال اذ تصور المخيلة معاني
معقولة بصور محسوسة فيرسلها الى الحس المشترك فيشاهدها والصادقة منها
ما يكون باتصال النفس عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور
بما فيها ما يناسب المعاني فان كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير
والا احتاجت اليه فالاخبار عن هذه الرؤيا وعما ترتب عليها آيات لقد كان
في يوسف واخوته آيات من الاخبار الغيبية للسائلين عنها سيما اذا
بآيات القرآن المعجزة في نفسها ومما ترتب على هذه الرؤيا مزيد محبة ابيه

اياه الموجبة مزيد حسد الاخوة اذ قالوا ليوسف بذاته واخوه من الابوين بنيامين بتبعيته احب الى ابينا منا مع انه لا ينتفع بحبهما لصغرهما ونحن عصبة جماعة يتقوى بهم ويستعان بهم فى الشدائد فلو احبنا لكان له انفع ان ابانا وان كان ناظر الرشد فى ابواب الدين لفى ضلال مبين خطاء ظاهر فى سبب المحبة ولا يقدح هذا فى عصمتهم بالحقيقة لانهم كانوا طالبين مزيد محبة الانبياء عليهم السلام الموجبة مزيد محبة الله تعالى اياهم وكذا حسدهم كان بسبب وصول المحسود الى كمالاته فلم يكن حسدا بالحقيقة لكنهم لم يعصموا فى الظاهر قبل النبوة اذ قالوا اقتلوا يوسف ليذهب محل مزيد محبته بالكلية فيرجع اليهم محبته او اطرحوه ارضا مجهولة لا يعرفها الاب ولا يمكن يوسف ان يعرف طريق الوصول اليه فيذهب محل مزيد محبته عن المحب فيرجع بها اليهم فى كل حال يخل لكم وجه ابيكم توجهه بالمحبة وغيرها وتكونوا من بعده بكمال توجه ابيكم اليكم قوما صالحين بكون صلاحكم فداء عن معصية قتله او طرحه مع رضى الوارث بعفوه قال قائل منهم صريحا ورضى به الباقون ولذلك لم ينسبه الى معين وهو يهودا او روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل من الكبائر التى يخاف معها سد باب الصلاح وان فعلوا به ما هو اشد من الطرح القوه فى غيابة الجب ظلمة البئر العميق فان يعش يلتقطه بعض السيارة اى بعض من يمر به فيملكه فلا يمكنه الرجوع الى الاب فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب كبيرة يخاف معها سد باب الصلاح ان كنتم فاعلين مع ان الاولى ان لا يفعلوا هذا القدر ايضا ولما غلب عليهم الحسد المقتضى للتفريق الكلى ولا يمكن قبل نزعه عن يديه ولم يمكن مع عدم ايتمانه اياهم مكروا به قالوا يا ابانا نادوه باسم الاب ليميل اليهم فيحبهم فيعمى عن عيوبهم ما لك اى حال حصل لك مما رأيت منا حتى صرت لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون مستمرون على محبته والقيام بمصالحه والعطف عليه بمقتضى الاخوة



بلا مانع من دينه لصغره ثم ان الزامك اياه ان يكون بمكانك موجب للملالة القاطعة لنشاطه على العبادة واكتساب الكمالات ارسله الى الصحراء معنا لا وحده غدا ان لم ترسله كل يوم نرتع نتسع فى الاكل ليزداد قوة على العبادة ونلعب ليزداد نشاطه عليها ولا خوف عليه من احد اذ كان معنا وانا له لحافظون مجتهدون فى الحفظ قال انما لا ارسله لانى لا اطيق الصبر عنه انى ليحزننى ان تذهبوا به ذهابكم وانى لو امنتكم عليه اخاف ان يأكله الذئب فان الارض كثيرة الذئاب وانتم وان زعمتم انكم له لحافظون فحفظكم انما يكون ما دمتم ناظرين اليه لكن لا يخلو الانسان عن الغفلة فاخاف ان يأكله الذئب حال غفلتنا فلا بد ان نعلم ذلك حين يصيح ونحن عصبة جماعة اقوياء يمكننا ان ننزعه من يد الذئب فان لم نقدر على نزعه انا اذا لخاسرون ما اكتسبنا من القوة ولم يمكنا حفظ مواشينا عن الذئاب فارسله يعقوب بعد قوله فيكيدوا لك كيدا اغترارا بمكرهم فلما ذهبوا به الى مكان بعيد عنه اظهروا من العداوة ما لم يمكن التصريح به كلما ضربه واحد استغاث باخر فيضربه المستغاث به ثم انهم هموا بقتله فمنعهم يهودا وقال الستم اعطيتمونى موثقا من الله ان لا تقتلوه فتركوا واجمعوا اتفقوا ان يجعلوه فى غيابة الجب فاخذوا يوسف وجعلوا يدلونه فيه فتعلق بشفير البئر فاخذوه وربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى استر به عورتى ويكون كفنى عند موتى واطلقوا يدى اطرد بهما هوام الجب عنى قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب يلبسوك الثوب ويؤنسوك فلما القى فى الجب اتاه ملك فحل وثاقه واخذ تعويذا من عنقه فيه قميص جاء به جبرئيل لابراهيم عليهما السلام حين القى فى النار عاريا وكان عنده فورثه اسحق ثم يعقوب فجعله فى عنق يوسف فكساه الملك اياه وصار يونسه واوحينا اليه قبل النبوة كمريم وام موسى تسلية له

اذ انتم عنه غافلون قالوا والله لئن اكله الذئب صح

على ح

وتقوية لقلبه لتنبئنهم بامرهم هذا حال استيلائك عليهم فهذا منة منهم عليك
في صورة محنة وهم لا يشعرون ان فعلهم هذا يؤديهم الى محذورهم ولولاه لم
يمكن ليصل اليه وجاؤا اباهم ليمكروا به بطريق الاعتذار الموهم موته القاطع عنه
تمنياه ليقطع محبته عنه ولو بعد حين فيرجع اليهم بالحب الكلي عشاء لكونه
وقت الظلمة المانعة من احتشامه في الاعتذار الكذب ومن تفرسه من
وجوههم الكذب يبكون ليوهم تفجعهم عليه لافراط محبتهم لهم المانعة من الجراءة
عليه قالوا يا ابانا نادوه باسم الاب المضاف اليهم ليرحمهم فيترك غضبه
عليهم الداعي الى تكذيبهم انا وان كنا عصبة وقصدنا ان لا نغافل عنه وقع
لنا اتفاقا اذ ذهبنا نستبق نتسابق في العدو فبعدنا عنه وتركنا يوسف
عند متاعنا اذ لم نجد سواه معتمدا عليه فانتهز الذئب الفرصة فاكله الذئب
وانت وان امنتنا عليه او لا ما انت بمؤمن مصدق لنا في منع الغصة
لكراهتك ابا ما فلا ينالك غضبك بدفعها ولو كنا صادقين من الماضي
الى الآن لم يظهر من احدنا كذب في شيء قط وجاؤا لطلب تصديقه الذي
راوه كالمحال جاعلين على قميصه بدم جدي ذبحوه فاتوا به ملطخا بدم كذب
اي ذي كذب لو نطق عرف كذبه حتى تعالى انه نفس الكذب اذ لم يمزقوه قال
يعقوب ما احلم هذا الذئب اكل ولدي ولم يمزق قميصه فلم يقع ما ذكرتم
بل سولت زينت لكم انفسكم من خبثها امرا من تغييب يوسف ونزهته عني
والاعتذار الكاذب فصبر على افعالكم جميل والله المستعان على دفع ما
تصفون من الدنيا ان يقع وعن القلوب كيلا يردونها ويخدعوها وفيه من
الفوائد ان الجاه يدعو الى الحسد كالمال وهو يمنع من المحبة الاصلية من
القرابة ونحوها بل يجعل عداوتهم اشد من عداوة الاجانب وان الحسد
يدعو الى المكر بالمحسود ويمن براعيه وانه انما يمكن برؤية الماكر نفسه اكمل
عقلا من الممكور وان الحاسد اذا ادعى النصح والحفظ والمحبة الظاهرة

فعلا

فعلا لم يعتمد عليه وكذا من اظهر الامانة قولا او فعلا بفعل الخيانة وان الاذى
والاعراض بداية الا الخلق وان من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه وان
المحبة وان قلت تعمي المحجوب عن اهلاكه واستيصاله وان من وثق بمخلوق
ضاع وان الخوف من المخلوق يورث البلاء وان الانسان وان كان
نبيا يخلق اولا على طبع البشر وان اتباع الشهوات كاللعب يورث الحزن
الطويل وان الحقد كامن وان الحذر لا يغني من القدر قيل للهدهد
كيف ترى الماء تحت الارض ولا ترى الشبكة فوقها قال اذا جاء القضا
عمي البصر ومن اثر استعانة يعقوب لدفع هلاكه في نفسه وانتهائه الى دفع
حزن قلبه جاءت سيارة كان الجب بعد القاء يوسف فيه بثلثة ايام سيارة رفقة
سير من مدين الى مصر فارسلوا الى البئر واردهم وهو الذي يرد الماء ليستقي
وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى فارسل في الجب دلوه فتعلق به يوسف
فلما رفع الدلو وراه متعلقا قال يا بشرى اي نادى البشرى مضافا اليه ليقبل
اليه ولا ينصرف عنه هذا وان كان مشارا اليه بالحس غلام لا نعرف كنه محاسنه
واسروه اخفوا كونه لقيطا من البئر لكونه بضاعة لا بسل الماء الى مصر وهي ما يبضع
من المال للتجارة لئلا يطالبه سائر الرفقة بالشركة والله عليم بما يعملون الى اخوة
يوسف مما يبطل بشراهم اذ قالوا انه عبد ابق منا منذ ثلثة ايام واختفى في الجب
وبالغوا في ذمه والامر يتعين وحفظ مخافة انفلاته الى ابيهم وهو ساكت مخافة
ان ينزعوه من يديهم ويقتلوه وشروه علمهم حتى شروه بثمن بخس ناقص العيار
دراهم لا دنانير معدودة تعرف عددها بمجرد رؤيتها عشرين او اربعين وكان
مقتضى حاله ان يزيد على عدد العادين وكانوا اي كل من الفريقين فيه اي في
حق يوسف من الزاهدين اما المشترون فلذم البائعين واما البائعون فلكراهتهم
ان لا يشتروه لغلاء ثمنه فيحتاجون الى قتله وفيه من الفوائد ان الفرج قد يحصل
من حيث لا يحتسب وانه ينتظر للشدة وان من خرج لطلب شيء قد يجد ما لم يكن في

خاطره وان التمنى الخطر قد يعوض عنه ما يهونه وان البشرى قد يعقبها الحزن و
العزة قد يعقبها الذل وبالعكس ثم اشار الى ان الذلة العارضة انما تنافى العزة
الذاتية عند اهل العزة فلا يبالون للذلة العارضة فقال وقال الذى اشتراه
من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائن ملك مصر الوليد بن ريان واسمه قطفير
او اطفير مع اقتضاء الشرى الذلة وان كان ثمنه وزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه
حريرا او زنة اربعمائة رطل ولم يذكره فى القرآن لانه على وفق القياس لامرأته
راعيل بنت رعاييل او زليخا بنت تمليخا لكونها اكمل فى التربية والحضانة
اكرمى مثواه منزله مبالغة فى اكرامه واعتمد عليه فى مساكنة امرأته لما تفرس
من رشده وامانته وعلل اكرامه بانه يرجى نفعه عسى ان ينفعنا فى الاشتغال
والقيام بالمصالح او عسى ان نتخذه ولدا نفوض اليه جميع امورنا القيام
مقامنا فى الحيوة وبعد الموت وذلك لتمكيننا اياه فى قلبه دعاه الى تمكينه
فى بيته ولم يقتصر عليه بل كذلك مكنا التصرفات ليوسف فى الارض جميع ارض
مصر ليعرف الاشياء بالممارسة وليتمكن من تركيب الصور والمعانى وتحليلها
ولنعلمه من تأويل الاحاديث بالانتقال من الصور المحسوسة والمتخيلة الى
المعانى القائمة بصور اخر وهم وان بالغوا فى تضييعه واذلاله وتجهيله بنسبته
الى المراة لا يمكنهم ابطال عناية الله به اذ الله غالب على امره يغلب الاسباب
ولكن اكثر الناس لا يعلمون غلبته على الاسباب ولذلك لم يؤد تربية
المراة الى الجهل والميل الى الشهوات بل لما بلغ اشده منتهى قوته بالشباب
الذى يغلب فيه الشهوات الحاجبة عن الله واحكامه وعن العالم العقلى
آتيناه حكما اطلاعا على الاحكام الشرعية وعلما بالحقائق الالهية والكونية
من غير معلم بشرى لتوجهه الينا واقتصار نظره علينا ولا يختص ذلك به بل كذلك
نجزى المحسنين ولاينائنا اياه الحكم والعلم دفع مراودة امراة العزيز حال
بلوغه منتهى الشباب فانه راودته اى طلبت تحويله المراد منها اذ لا صبر لها

[هامش: الذلة وانما اهل صح — ذهبا ووزنه صح — وكان صح — حتى صح]

عنه التى هو مستقر مدة سنين فى بيتها عن مراد نفسه ودفعت عنه الموانع اذ غلقت
الابواب السبعة ولم تقتصر على المراودة الفعلية بل قالت مع ذلك هيت هلم
اى فانه نافع ذلك اقبض عليك الاموال واجيبك الى ذوجى واذيدك
تقربا اليه قال لابائنا اياه الحكم والعلم معاذ الله اعوذ به معاذا الكونه زنا
وخيانة فيما ائتمنت عليه وضررا لمن توقع النفع واساءة الى المحسن انه ربى احسن
مثواى وكنى بالاساءة اليه ظلما لو تجردت فكيف اذا اجتمعت مع نقض العهد
انه لا يفلح الظالمون سيما الجامعين وجوه الظلم ولم تبال باستعاذته بل و الله
لقد همت به قصدت اكرامه للمباشرة به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اى
لولا انه راى الدلائل الكشفية والعقلية والنقلية على ضرر الزنا والخيانة فى محل [هامش: الامانة والضرر فى محل]
النفع والاساءة الى المحسن لقصد اكرامها على الزنا لو امتنعت عليه وكما اريناه
البرهان فى ذلك كذلك اريناه فى كل مكروه ومحرم لنصرف عنه السوء المكروه
والفحشاء اى المحرم انه من عبادنا المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان
يغلبهم حتى يلقيهم فى المكاره والمحرمات ولما راى يوسف همها بالاكراه بعد رؤيته
البرهان قام سارعا الى الباب وتبعته حتى استبقا الباب فسبق يوسف فادركته
وتعلقت بقميصه فجذبته وقدت شقت قميصه من دبر اى من ظهره فغلبها يوسف
فخرج وخرجت خلفه والفيا وجدا سيدها زوجها الذى يغار عليها غيرة السيد
على جاريته التى هى احب اليه من زوجته ولا يستر عليها ستره على الحرة ولم يقل
سيدهما ولا سيدهما لانه لا يغار عليه غيرة عظيمة لغفلته من جنسه بل من جنس
فعله بامله لدى الباب لم يقل لديه لئلا يتوهم عود الضمير الى يوسف فلما رأته
سابقت يوسف بالقول قالت ما اى شئ جزاء من اراد باهلك سوءا اى ان
يفعل به فعلا قبيحا ثم خافت ان يقتله مع انها تحبه فكرهت قتله فقالت الا ان يسجن
ثم لما استشعرت ان ذلك يشير الى حبها له سترته بقولها او عذاب اليم يضرب
السياط قال يوسف لم افعل بها ما استحق به احد الامرين بل هى راودتنى ارادت

نحو بلي الى مرادها عن مراد نفسي فنزهت منها فقصد بذلك دفع التهمة عن نفسه
وشهد لدفعها شاهد لم يعرف مثله شاهدا اذ كان رضيعا ولو كان كبيرا لقبل
ايضا لكونه من اهلها ابن عمها او خالها سيما وقد شهد بطريق الاستدلال فقال
ان كان قميصه قد من قبل دل على انه قصدها فدفعته فوقع يدها في قميصه
فصدقت في هذه القضية وهو من الكاذبين في جميع القضايا لانه لما كذب
على سيدته فهو في ساير الامور اكذب وان كان قميصه قد من دبر دل على
انه كان هاربا فادركته فجذبته فكذبت في هذه القضية وهو من الصادقين في
جميع القضايا لانه انما دفع مثلها لقوة صدقه فلا دخل للتهمة عليه اصلا فلما
رأى سيدها قميصه قد من دبر قال انه اي ان هذا القول بعد الخيانة من
كيدكن من مكر النساء على الرجال ان كيدكن عظيم لا يقدر عليه الرجال
ولا الشياطين اذ قيل فيهم ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم قال يوسف ناداه
باسمه اذ لم يكن منه اعرض عن هذا الحديث كيلا يشيع ولا تهتم له فقد بان
عزتك ولم ينادها باسمها لكراهته لها بل قال لها استغفري لذنبك اذ خنت
زوجك ورميت البري ومكرت المكر العظيم انك كنت قبل ارتكاب هذه
الامور من الخاطئين حتى اجترأت على هذه الكبائر ومع مبالغة العزيز في منع
اشاعة هذه القضية شاعت حتى قال نسوة مع تعرضهن في المدينة امرأة
العزيز مع اقتضاء عزتها التنزه تراود فتيها عبدها الشاب عن نفسه مع
اقتضاء ذلته من عبوديته التذلل لها وهو لا يتذلل وانما انعكس الامر لانه قد
شغفها ملأ شغاف قلبها وهو الجلدة المحيطة بالقلب حبا كأنه لبس تحت
تلك الجلدة قلب انا لنريها في ضلال مبين جرأة طامعة لا تستحيي من الله ولا من
الناس ولا تخافهم ولا زوجها وقد قصدن بذلك ان يرينهن اياه اعتذارا
فكان ذلك منهن مكرا فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن جواريها طالبة لهن
الى بيتها لتعتذر اليهن واعتدت هيأت لهن متكأ طعاما يتكأ عليه لكونه

من الفواكه وآتت كل واحدة منهن سكينا لقطع الفواكه وقالت في اثناء قطعهن
اخرج عليهن ليدهشن برؤيته عن انفسهن فلما رأينه اكبرنه وجدنه كبيرا في
باب الجمال بحيث يبعد الذهول عما سواه وهن اعظم ضلالا منها اذ قطعن
ايديهن برؤيته مرة واحدة وقلن حاش لله اي التنزيه له من ان يشاركه
في كمالاته او الاستثناء له في نفس الحسن عما سوى يوسف لكن ما هذا بشرا ان
اي ليس هذا الا ملك كريم بهذا الكمال من الجمال قالت امرأة العزيز ان
كانت رؤيته مرة واحدة موجبة لقطع الايدي فذلكن الذي لمتنني فيه اي
في مراودته بعد مساكنتي اياه سنين ثم صرحت بسرها تاركة ستر الحياء
فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ثم هددته بقولها والله لئن
لم يفعل ما آمره ليسجنن ولا اقتصر عليه بل ليكونن من الصاغرين وهو اشد من
الضرب بالسياط وان كان الامين يستحق الاطلاق من السجن والاعزاز
قبل فدعته النسوة الى مطاوعة سيدته ظاهرا والى انفسهن باطنا حتى
تحير مزيد تحيره ولما علم يوسف انه لا يلحقه الصغار لما اصطفاه الله لكن
لا مانع من السجن قال رب السجن وان كان عذابا في الحال احب
الي لاستعقابه راحة في المآل استعقاب الدواء الكريه للشفاء
مما يدعونني اليه من اللذة المستعقبة للعذاب كالطعام اللذيذ
المسموم ولما خاف الوقوع فيه من اغوائهن دعا الله تعالى للتحفظ
عنه بقوله والا اي وان لم تصرف عني كيدهن عجزت عن دفعه وان
قدرت على دفع كيد الشيطان اذ ليس له علي سلطان اصب اليهن
امل بالقلب الى ما يدعونني اليه فانه اقل ما فيه وهو وان كان معفوا عنه
فمثل الفعل اكن من الجاهلين بالميل الى ترجيح الهوى على العقل
والشرع فرفع ما آتيتني من الحكم والعلم فاستجاب له ربه فيما دعا له
من صرف الكيد عنه فصرف عنه كيدهن وان لم يدفع عنه السجن اذ لم يدع

ظهر صح

مخفض صح

في دفعه لتعلقه بظاهره انه من التشبيع لدعايته العليم بما في صرف الكيد
من تكميله وبما في ادخاله السجن من مصالحه ثم اي بعد ان لم يدع يوسف
في صرف السجن عنه بدا ظهر راي لهم للعزيز واهله من قولها ان هذا العبد
الكنعاني فضحني عند الناس يخبرهم اني قد راودته عن نفسه فاما ان ياذن
لي ان اخرج فاعتذر اليهم او ان تحبسه فحبسه من بعد ما راوا الآيات
الدالة على براءة يوسف من رؤية ما رابا وقد قميصه من دبر وشهادة
الصبي وقطع النساء ايديهن ليسجننه حتى حين الى وقت انقطاع التهمة
وكان سجنه سبب وصوله الى الملك الريان بن الوليد كالقائه في الجب
سبب وصوله الى مصر وذلك لانه دخل معه السجن اي زمان كونه في السجن
فتيان غلامان للملك صاحب طعامه وشرابه ضمن لهما بعض اشراف مصر
مالا على ان يجعلا السم في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ندم الساقي
وسم الخباز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل فانه مسموم فقال الخباز
ولا تشرب فانه مسموم فقال للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز
كله فابى فاطعم دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام
ينشر العلم لاهل السجن ويقول اعبر الاحلام فقال احدهما للآخر هلم فلنجرب
هذا العبد العبراني نتراءى له رؤيا قال احدهما وهو الساقي اني اراني
في المنام على حكاية الحال الماضية كاني اعصر خمرا عنبا سمي باسم ما يؤول
اليه في كاس الملك ليشربه وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق
راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا اخبرنا بتاويله بما يؤول اليه ما راه كل واحد
منا احسانا منك علينا انا نريك من المحسنين بافاضة العلوم وحسن
المعاشرة والوعظ والعبادة فذكر اولا دلائل النبوة والتوحيد لما علم
ان احدهما سيصلب فاراد تخليصه من النار وذكر اولا دلائل نبوته ليكون قوله
حجة في التوحيد مع ما ذكر من دلائله لذلك قال لا ياتيكما في المستقبل



طعام ترزقانه في يومكما الا نباتكما بتاويله ما يؤول اليه من نفعه وضره
فضلا عن نوعه وضعه وقدره قبل ان ياتيكما بدعة لا يمكن بيانه فهما اللحم
والكاس لتعلما ان ذلكما البعيد عن صنعهما مما علمني ربي لا بواسطة
شيطان فانه انما يتعلم بواسطة من لا يؤمن بالله او باليوم الآخر اني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله فيتخذون الشيطان الها فيظهر عليهم باخبار الغيب
وهم بالآخرة هم كافرون فلا يميزون الخير والشر الاخروي فيصغون الى
الشيطان ما يقول لهم مما يجرهم الى الشر الاخروي واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحق ويعقوب المشهورين بالكشف الكامل بلا واسطة الشيطان لاختصاص
فيضه بالمشركين ولكن ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وان ظهرت
منه الخوارق من اخبار الغيب وغيره ذلك اي الاخبار بالغيب بدون اشراك
شيطان من فضل الله علينا بالنبوة وعلى الناس بالاسترشاد لما يحبه الله
ويكرهه ولكن اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة فيتبعون ما يلقي الشيطان
على اوليائه مما يضلهم عن الله واليوم الآخر يا صاحبي السجن اخرجا عن
سجن التقليد في الشرك مع ظهور كون التوحيد فضاء أ ارباب متفرقون
بحيث لا يتم لواحد منهم القهر والغلبة خير ام الله الواحد القهار الذي
يتم له الغلبة في كل ما اراد ثم اشار الى غاية قصور اربابهم فقال ما تعبدون
ما علمكم بكونهم من دونه الا اسماء مسميات اسماء ليس فيها معانيها اللغوية وان
كنتم سميتموها انتم وآباؤكم بها فتلك التسمية ليست دليل تحقق معانيها فيها
اذ ما انزل الله بها من سلطان دليل عقلي او نقلي او كشفي ولم يفوض امر العبادة
الى رايكم بل ان الحكم ليس الحكم باستحقاق العبادة الا لله ولم يحكم بعبادة
غيره بل امر ان لا تعبدوا الا اياه لان العبادة غاية التذلل فلا يستحقها
الا من له غاية العظمة ولو حصلت الخوارق لبعض عبدة الاصنام فليس
دينهم مستقيما يوصل الى الله بل ذلك التوحيد الدال على كمال عظمة الله بحيث

لا يشاركه فيها غيره ذلك الدين القيم هو الدين القيم المستقيم الثابت ولكن أكثر
الناس لا يعلمون فيرى كل من ظهر له دين مستقيما ثم رجع إلى التعبير فقال يا
صاحبي السجن فيه إشعار بأنكما وإن لم تسلما صرتما إلى السجن الأخروي وإن
أسلمتما خلصتما منه ومن السجن الدنيوي أما أحدكما وهو الساقي فيسقي
ربه خمرا كما رآه من غير تأويل وأما الآخر فبعض رؤياه يحتاج إلى التأويل
فالخبز في رأسه ولا يتسلط الطيور عليه إلا بعد القتل والصلب فيترك الطير
بحالها ويؤكل الباقي فيصلب فتأكل الطير من رأسه ثم قال لا ترتابا فعلم
قضي الأمر الذي فيه تستفتيان بما جرى على لسان الأنبياء وافق استفتاؤكما
الواقع أم لا ثم أشار إلى أن هذا وإن كان سبب وصوله إلى الملك لكنه لما
اعتبر مجرد السبب بدون النظر إلى المسبب كان سبب غيرة الحق عليه وهي وإن
لم تبطل السببية أخرت تأثيره وذلك لأنه قال للذي ظن علم بطريق تعبير الرؤيا
الذي أصله إيجاب الظن أنه ناج من القتل والبعد من الملك منهما أي
من صاحبي السجن وهو الساقي اذكرني عند ربك سيدك بأني محبوس
ظلما وأني أعلم تعبير الرؤيا وأخبر عن الغيب بلا كهانة وتنجيم وأني داع إلى التوحيد
ومقيم للدين القيم ليلتفت إليه وإلى إعانته وتخليصه من السجن فأنساه الشيطان
وإن لم يكن له عليه سلطان لكن حصل له عليه دخل بما التفت إليه ذكر ربه أن
يستغيث به بذاته أو باعتبار ظهوره في الأسباب فغار عليه ربه فأنسى الساقي
أن يذكره عند ربه إلا بعد مدة وأنسى العزيز أن يخرجه من السجن بعد مضي
زمن التهمة فلبث في السجن بضع سنين ما بين الثلث إلى السبع أو التسع أو العشر
والأكثر أن المراد السبع مع خمس مضت ولم ينص على عدد لأن الإبهام أشد
في إيهام الطول ولما تمت المدة ظهر أثر السبب بضميمة سبب آخر وهو رؤيا الملك
حيث قال الملك الريان بن الوليد إني أرى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة وقال لهم

يا أيها الملأ الأشراف أفتوني أجيبوني في تعبير رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون
إن صدقتم في دعوى العلم بكيفية العبور من الصور المخيلة للمعاني المكشوفة
إلى الصور الحسية لها قالوا أمثال هذه الرؤيا أضغاث أحلام منامات
خلط فيها الخيال الصور فلا يدرك المعنى المكشوف منها ونحن وإن كنا علماء
التأويل ما نحن بتأويل جميع الأحلام بعالمين وإنما نعلم تأويل الأحلام الصادقة
وهذا تعجيز من الله لهم ليراجع يوسف فيكون سبب خلاصه وارتفاع حاله
وذلك أنه قال الذي جرب تأويله وانتفع به لأنه الذي نجا منهما أي
من صاحبي السجن وكان حقه أن يسعى في تخليصه يوم نجاته ولكن أنساه الله
وادكر بعد أمة جماعة من السنين أنا أنبئكم بتأويله أخبركم بعالم تأويله وإن
لم يعلم هؤلاء تعبيره ولا من يعلمه وكذلك لا تعلمونه لو وصفته لكم لرثاثة حاله
من بقائه في السجن هذه المدة فأرسلون إلى مكانه لأريكم إياه فجاءه فقال
يا يوسف ناداه باسمه العلم ليزداد تمييزا ولما كان حاله مع ذلك يوجب [illegible]
قال يا أيها الصديق مبتدئا بوصف الصديقية لصدق أقواله سواء صدق سؤال
السائل أم لا ونبه أن فضله بالصديقية لا يضمحل برثاثة حاله حتى ينكر ورعى
الرسول عبارة المرسل فقال أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أورد لفظ الترجي لاحتمال الموت
في الوسط أرجع إلى الناس بالرجوع إلى الملك لعلهم يعلمون تأويل هذه
الرؤيا فيدبرون الأمر بمقتضاها وأن قدرك فوق قدر الكهنة والمنجمين فجعل
يوسف عليه السلام البقرات السمان حيوانات سني الخصب والعجاف حيوانات
سني الجدب والسنابل زراعتها لذلك قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم
على عادة مستمرة في الخصب ثم علمهم التدبير في أثناء التعبير بقوله فذروه اتركوه
في سنبله لئلا يقع فيه السوس إلا قليلا مما تأكلون فأخرجوه من سنبله ثم يأتي من
بعد ذلك سبع شداد يشتد فيه القحط بحيث يأكلن يأكل أهلها ما قدمتم لهن حفظا

فی السنابل الا قلیلا مما تحصنون تحرزونه للبذر فهذا تعبیر رؤیاه مع الاشارة
الی التدبیر ثم یاتی من بعد ذلک ای من بعد تمام سنی القحط عام فیه یغاث
الناس بکثرة الغیث لتحصیل الطعام وفیه یعصرون العنب والزیتون والسمسم
تحصیلا للادام وقبل ذلک کان بحیث لو حصل الطعام لم یحصل الادام
ولما رجع الساقی الی الملک بالتعبیر قال الملک ائتونی به فارسلوا الیه من
یطلبه فلما جاءه الرسول قال لا ینبغی ان یرانی الملک قبل برائتی ارجع الی ربک
الذی حضر ان یرانی الکامل لیرسنی فاسأله هل عرف ما بال ما وقع فی قلوب
النسوة اللاتی قطعن ایدیهن فدعاهن فزید شغفهن الی مزید الکید ان
ربی بکیدهن الذی هو اشد من کید الشیطان علیم فلما رجع الرسول الی
الملک قرر له ذلک فدعاهن وسالهن قال ما خطبکن شانکن فی معرفة حال
یوسف اذ راودتن یوسف عن نفسه هل مال الی سیدته او احد منکن قلن حاش
لله ای الاستنکاف من ان یکون لغیر یوسف طهارته او التنزیه لله عن ان یعجز
عن خلق مثل هذا الکامل فی الطهارة ما علمنا علیه من سوء من جنایة بعد
المبالغة فی مراودته عن نفسه قالت امرأة العزیز علی خلاف مقتضی عزتها
الآن حین شهادتهن عند الملک حصحص الحق ظهر ظهورا تاما بحیث لا وجه
للانکار معه انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقین ای مستمر علی الصدق
فی قوله هی راودتنی قال یوسف ذلک التثبت منی لها عند الملک لیعلم الملک
انی لم اخنه ای سیدی فی اهله بالغیب ای فی غیبته بل ثبت فی غیبته کما اکون
فی شهادته ولیعلم ان الله لا یهدی کید الخائنین لینفذهم النجاة عن الفضائح
وان بالغوا فی دفعها بانواع الکید فالتهمة باقیة علیهم بخلاف الامناء فان
تهمتهم مرفوعة لا محالة وما ابرئ نفسی عن خواطر السوء وان لم اقصد
امضاءها ان النفس ولو من نبی او ولی لامارة بالسوء فی کل وقت الا
وقت ما رحم ربی فانها تصیر حینئذ مطمئنة لان الله یسر علیها طبعها بما رحمها

من افاضة نور الطمانینة علیها ان ربی غفور رحیم وقال الملک عند تحقق
عنده برائته من السوء وفضله فی تعبیر الرؤیا علی من عنده ائتونی به استخلصه
لنفسی اجعله خالصا لنفسی لیس فیه حق الغیر وان کان قبله عبدا لوزیره
هو فی حکم عبد الامیر فاتی به فکلمه الملک فلما کلمه الملک علم استحقاقه لاعلی
المناصب وقد علم امانته من قبل قال انک الیوم وان لم اعرفک قبله لدینا
فی مکان القرب منا مکین متمکن لانک امین لا یخاف منک الخیانة فی
الاموال والمال والجهل والتقصیر ولما علم اعتماد الملک علیه ورای فی عماله
الخیانة والجهل قال اجعلنی علی خزائن الارض جمیع خزائن ارض مصر وکان
له خزائن کثیرة انی حفیظ لها علیم بوجوه التصرف فیها فسلمها لیوسف وجعل
امره نافذا فی جمیع مملکته وعزل قطفیر فهلک بعد لیال وزوجه امرأته فولدت
له افرائیم ومیشا وکما مکنا لیوسف فی خزائن الملک کذلک مکنا لیوسف فی الارض
ای فی املاک سائر الناس حتی انه یتبوأ منها حیث یشاء من غیر کراهة لاهلها
علیه لاتفاقهم علی محبته وایثارهم ایاه علی انفسهم وذلک من رحمة الله نصیب
برحمتنا من نشاء وذلک لاحسانه الیهم فهذه المحبة من اجر الاحسان و
لا نضیع اجر المحسنین ولیس هذا تمام الاجر بل هو اجر دنیوی ولاجر الآخرة
خیر للذین آمنوا فاحسنوا طلبا للاجر وکانوا یتقون ان یطلبوا بعلمهم اجر
الدنیا والانبیاء اولی بذلک ولغایة احسانه احسن لمن اساء الیه فانه
جاء فی سنی القحط لعمومه قری مصر والشام اخوة یوسف الذین اساؤا الیه
فدخلوا علیه اذ احوجهم الله الیه فامکنه منهم فعرفهم فی الحال وان تغیرت
الهیئة بقوة الفراسة ولم یعرفهم انهم اخوته لئلا یخافوه وهم مع تکرر دخولهم
علیه ومکالمتهم معه له منکرون مستمرون علی عدم معرفته لتغیر الهیئة وتزییه
بزی الملوک فلم یخافوه کیف وقد جری منهم مجری من احسن الیه فاحسن نزلهم
واعطی کل واحد منهم حمل بعیر من طعام ولما جهزهم بجهازهم ای بعد ما

من غير نقص فيه وان قال لهم لعلكم جئتم تنظرون عورة بلدي قالوا ما نحن
بجواسيس انما نحن بنو اب واحد شيخ كبير صديق نبي يقال له يعقوب نبي من
الانبياء قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فاين
الآخر قالوا هو عند ابينا لانه اخو من هلك يتسلى به عن اخيه الذي كان احب
اليه منا قال فمن يعلم بذلك قالوا انا ببلاد غربة قال ائتوني باخ لكم بالغ في تنكيره
ايماء الى انهم كالمنكرين للاخوة لكونه من ابيكم فيسهل عليكم الاتيان به فان قدرتم
مثل ما قدرتم صدقتكم واعطيكم مرة اخرى اكثر من هذه المرة واحسن نزلكم
اكثر منها الا ترون اني اوفي الكيل وان نقص الثمن وانا خير المنزلين مع
احتمال كونكم جواسيس فكيف اذا زال الاحتمال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
لتحقق كونكم جواسيس فان لم افعل بكم ما يفعل بجواسيس فلا اقل من منع
الكيل ولا تقربون اذا خاف من تقريبكم الي فكيف احسن نزلكم حينئذ قالوا
سنراود سنخادع عنه اباه وسنحتال وان لم ينخدع بخداع انا لفاعلون وجوها
من الخداع حتى ينخدع وقال ترغيبا لهم ولابيهم في ارسال الاخ لفتيته عماله
اجعلوا بضاعتهم وكانت نعالا وادما في رحالهم من غير ان يشعروا بذلك
حتى انهم لا يشعرون بها في الطريق فيرجعوا من اثنائها كراهة الجمع بين الثمن
والمثمن بل لعلهم يعرفونها يعرفون وجه جعلها في رحالهم اذا انقلبوا الى اهلهم
عند فتح الرحال لا قبل ذلك وان ثقلت وانتفخت على خرق العادة ليلا
يكون داعيا لهم الى الرجوع من اثناء الطريق لعلهم يرجعون الي لردها و
لرؤيتهم مزيد احساني اليهم فيكون لهم داعيا الى الاتيان باخيهم من ابيهم اذ لا
فائدة في الرجوع الي بدون ذلك فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا نادوه
باسم الاب المضاف الى جميعهم ليرحم على الكل فيسمع ما اتفقوا عليه قدمنا على
خير رجل فاكرمنا كرامة لا نكرمنا مثلها من كان من اولاد يعقوب واعطى كل نفس
حمل بعير ولكن لما جهزنا اعلمنا بانا ممنوعون لذلك منع منا الكيل في المستقبل

مالم تأتنا باخينا ليظهر مثل تعرفنا فيعرف من ذلك صدقنا فارسل معنا اخانا
نكتل نأخذ الكيل له ولنا في كل مرة وانا له لحافظون مستمرون على حفظه
في المرات كلها قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل اي هل
يكون عاقبة امني اياكم على بنيامين الا مثل عاقبة امني اياكم على يوسف فلن
آمن فيه احدا فهو الله فالله خير حافظا لقدرته على حفظه من جميع المكاره و
لا مانع له من الحفظ له اذ هو ارحم الراحمين فيغلب رحمته غضبه ولم يسكتوا
على ذلك بل لما فتحوا رحالهم التي جعلوا فيها متاعهم وجدوا بضاعتهم
التي جعلوها ثمن متاعهم اذ ردت اليهم ردها يوسف عليهم مع متاعهم قالوا
يا ابانا غلبت شفقته علينا على شفقتك ما نبغي اي شيء نطلب وراء هذا الاحسان
هذه بضاعتنا حصلت لنا مع الطعام ردت الينا ونمير نحمل الطعام
في كل مرة فيعطيه اهلنا من غير ثمن ونحفظ اخانا لتحصيل الطعام في
كل مرة ان لم نحفظه لامر آخر ونزداد بسببه كيل بعير اذ جعل لكل نفس
حمل بعير فلو لم نرسله فالذي يعطينا ذلك كيل يسير لا يكفينا لانفسنا فكيف
يكفي معه قال انه وان ضاق الامر علينا وعليكم لن ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا عهدا وثيقا صادرا من القلب الناظر الى الله لتأتنني به في كل
وقت الا وقت ان يحاط بكم اي تصيروا مغلوبين من كل وجه فوافقوه
بذلك فلما آتوه موثقهم لم يعتمد عليهم بل قال ابوهم الله على تمام ما نقول
وكيل ومع توكله على الله لم ير تعطيل الاسباب التي جرت السنة الالهية
بالفعل معها ولو نادرا لذلك قال يا بني مقتضى البنوة ان لا تروا تعطيل
الاسباب وان لم يؤثر اصلا ولم يجر السنة الالهية بالفعل معها غالبا لا
تدخلوا مصر من باب واحد ولو على نهج التعاقب لانه حصل لكم شهرة
تقتضي اجتماع الناس لرؤيتكم فتزدادون لها تجملا فاخاف عليكم العين
واخاف عليكم المكر والحيلة فيهلك اما دينكم او دنياكم وادخلوا من ابواب

متفرقة وان كان موهما للتفرقة بينكم فانما يخاف من التفرقة الدينية لاغير
وما اغنى لا ادفع عنكم بذلك من الله من شيء من الاهلاك الديني والدنيوي
مما يتعلق بهذه الاسباب او بغيرها اذ لا حكم لي يعارض حكمه ان الحكم الا لله
وغاية ما يحتال معه التوكل عليه لذلك عليه توكلت في دفع الهلاك الديني
والدنيوي عنكم وعليه فليتوكل المتوكلون على الحيل والاسباب فلا يبالوا
بها من حيث ان لها اثرا اذ ليس لها ذلك والله تعالى وان جرت سنته
بالفعل عندها لا بدونها باق على مشيئته فله ان يفعل بدونها وعلى خلاف
مقتضاها لذلك لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الدخول من الابواب
المتفرقة ما كان امتثالهم امره يغني عنهم من الله من شيء وان وقوا عن اسباب
الهلاك مع التوكل على الله بل لم يفدهم شيئا الا حاجة في نفس يعقوب اي
اعتقاده من ان الفرار من اسباب الهلاك واجب وكان يبلغ ذلك
واجبا عليه فهو بامره لهم بها قضاها لان ذلك مقتضى علمه بوجوبها وعلمه بفعل
الله عندها ولو نادرا سيما في حق المتوكل عليه وانه لذو علم كامل لا دخل
للكسب فيه فانما حصل له لما علمناه فهو محترز عن اسباب الهلاك مع علمه
بعدم تاثيرها لما علم من فعل الله عندها ولو نادرا فالاحتراز عن الهلاك
النادر واجب كالغالب ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيتوهمون انه
اعتبر تاثير الاسباب وناقض بذلك توكله وهذا الامتثال وان كان لم
يغن عنهم من الله من شيء افادهم رفعة المنزلة عند انبيائه وخلفائه المستلزمة
لرفعة عند الله لذلك لما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه فارتفع و
ارتفعت اخوته بتبعيته اذ اجلسه على مائدته حين اجلس كل اثنين على
مائدة بقي وحده يبكي على اخيه ثم انزله بيته حين انزل كل اثنين بيتا وقال
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك قال ومن يجد اخا مثلك ولكن لم
يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فازداد دفاعهم ثم دفع

ما بهم معارضة دفعهم من فضل البس بهم لا اساءتهم به فقال اني عامل بمقتضى
الاخوة معك ومعهم فلا تبتئس فلا تحزن من خوف الخزي على مجازاتهم
بما كانوا يعملون فان اعمالهم هي التي بلغتنا هذه الرفعة فلا يكون جزاؤهم سوى
الرفع الى اعلى المراتب وهو وان آمنه واخوته من الخزي اوقعه واباهم
فيه بمشورته اذ قال ليوسف لا افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بعد ان اشهرك
بامر فظيع لا تحتمله قال لا ابالي فلما جهزهم بجهازهم يسر لهم بعد سفرهم بحيث
لم يتهيأ يرجعون اليه لاجله جعل لاسترجاعهم وامساك اخيه السقاية
مشربة الملك من ذهب مرصع بالجواهر جعلت صاعا يكال به الطعام
اعزازا له في رحل اخيه اي حمله ساعة ثم بعدما ساروا منزلا اذن مؤذن
نادى مناد نكره اذ لا غرض في تعريفه وذكره لئلا يتوهم عوده الى يوسف
ايتها العير اي راكبي الابل والحمير التي تعير اي تجيء وتذهب انكم لسارقون
اي ان فيكم سارقا يسري حزنه جميع من في صحبته وافادته كانهم سارقون
وهو من المعاريض لانهم سرقوا يوسف حين القوه في البئر وباعوه
قالوا ولم يكن فيهم حال ادبارهم على قصد ان يفروا بل قد اقبلوا عليهم
على المؤذن وان كان هو واصحابه بحيث لا نفا وهم سائلين لهم ماذا
تفقدون من الشيء العظيم الذي ينسب سرقته الى امثالنا قالوا نفقد
صواع الملك فانه وان كان شيئا بكونه صواعا عظيم بنسبته الى الملك
مع انه كان يقابله من ذهب مرصع بالجواهر ولعظمته الجعل لمن جاء
به حمل بعير من الطعام في ايام الغلاء وهو ان كان على الملك بعسر
مطالبته انا به زعيم ضامن قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب لقد علمتم مما لاح
لكم من دلائل صلاحنا وامانتنا الموجب تعظيمكم ايانا ما جئنا لنفسد في
الارض بوجه من الوجوه وعلى الخصوص ما كنا سارقين في زمن من الازمنة
قالوا اي المؤذن واصحابه ان كان فيكم السارق فما جزاؤه بل فما جزاء

كذبكم ان كنتم كاذبين في دعوى البراءة قالوا جزاؤه جزاء السارق وهو من
وجد في رحله وان زعم انه اعطاه غيره او دسه في رحله من غير شعور
منه فهو استرقاقه سنة جزاؤه كانه صار جزاء نفسه لانه لا يختص هذا بالسارق
الحسي بل كذلك نجزي الظالمين فاخذ المؤذن في التفتيش فبدأ
باوعيتهم بتفتيش اوعية غيره حتى فتشها جميعا قبل تفتيش وعاء اخيه
اذ لو بدأ به لقيل انه الذي درجها فيه ثم استخرجها من وعاء اخيه وان
كان فيه خزيه من اضافة اليه وليس هذا كيدا مذموما لانه كذلك اي
مثل ما كدنا ليوسف لامساك اخيه كاد اخوة يوسف لتغييبه وان كان
نافعا له بحيث بنى البناء فيقال كدنا ليوسف اذ القاه اخوته في الجب
وباعوه وجعلته امراة العزيز في السجن وانما تركه في حق اخيه قاعدة
الملك تضمين السارق مثل ما يسرق لانه ما كان ليأخذ اخاه بحيث لا يعارضه
اصلا لو عامله بما في دين الملك كيف وفيه تسويته بينه وبين ساير الناس
فلا يفعله الا ان يشاء الله التسوية بينهم لكن نرفع درجات من نشاء
فيميزه من ساير الناس ولو بالتشديد على نفسه ومزيد الخزي في حقه باسترقاقه
سنة وانما اراد رفع درجة اخيه بهذا التمييز لما رفع الله درجته بالعلم وقد
علم ان الحر يستحق من الحدود والتعزير فوق ما يستحقه العبد وهذا بحسب
ظاهر ما نسب اليه من السرقة وبحسب الباطن قصد امساكه لمزيد التلطف
به وهذا من مزيد علمه وفوق كل ذي علم عليم ما لم ينته الامر الى الله الذي
لا يتناهى علمه قالوا لرفع الخزي عن انفسهم ان يسرق بنيامين اورد لفظ
الشك لاحتمال دسها في رحله من غير شعور منه كما فعل ببضاعتهم فليست
هذه السرقة مما اخذها منا حتى يلحقنا الخزي بل من اخيه الهالك فقد
سرق اخ له نكره تحقيرا له بكونه نكرة لا يعرف وسرقته اخذه طعام المائدة
للفقراء من قبل فيتعلمها منه فاسرها اي تلك الكلمة يعني المراد بها يوسف

في نفسه بانه هو ولم يبدها لم يظهرها لهم لا قولا ولا فعلا وان قال لهم انتم
شر مكانا اي مرتبة في السرقة منه لانه تصدى لها العجز وانتم قصدتم بسرقة يوسف
الشر وان افضى الى الخير والله اعلم بما تصفون به انفسكم من البراءة بل حصلت
بعد ذلك ام لا ثم لما ايسوا الخلاص من الخزي بقوله انتم شر مكانا احتالوا
لقطعه لو لم يقلع من اصله حتى قالوا يا ايها العزيز مقتضى عزتك ان يستوي عندك
امساكه واطلاقه مع ان الاولى اطلاقه لما فيه من رعاية ابيه الذي هو اولى
بالرعاية من السياسة ان له ابا كانه يختص ابوته به لمزيد شفقته عليه وكيف لا
يكون اولى بالرعاية مع كونه شيخا كبيرا في العلم والديانة وان راعيت مع ذلك
السياسة فخذ احدنا بدله ليجعله مكانه وكانه لما لم يتسع المكان الواحد لاثنين
كان محل تبديلهما فاطلق على تبديلهما وليس اخذ ظلما عليه لانه لما كان برضا
وشفاعة الباقين لمزيد اعتنائه ابيه به كان احسانا على الباقين وعلى ابيهم
انا نريك بهذا الفعل من المحسنين قال كيف اكون محسنا بترك حد الله على
السارق ونقله الى البرئ بل التزمت معاذ الله اي موضع الاستعاذة منه
من ان ناخذ في جزاء السرقة الذي هو حدها احدا الا من وجدنا متاعنا
عنده فانه وان لم يكن دليلا قطعيا على سرقته يجب العمل به لافادته الظن
بحيث يكون تارك العمل به ظالما انا اذا لظالمون ولم يزالوا يطلبونه بجميل
حتى ايسوا كانهم طلبوا الياس منه فلما استيأسوا منه خلصوا من قومهم تخليصهم
منه حال كون كل واحد منهم نجيا مشيرا الى صاحبه في اخلاص نفسه عن لوم
ابيه قال كبيرهم في العقل لاخلاص من لوم الاب الم تعلموا ان اباكم قد
اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا صادرا من الغضب الناظر الى الله ولم تعلموا
ما حدث منكم من قبل وهو ما فرطتم قصرتم في ايصال يوسف الى ابيكم بعد ما
استامنكم عليه فاليوم مستمر فلن ابرح الارض لن افارق ارض مصر حتى ياذن
لي ابي بمفارقتها فيترك الميثاق او يحكم الله لي بتخليص اخي وهو خير

الحاكمين في التخليص والحبس ولكن ملازمة الجميع ارض مصر اشد علي
ارجعوا الى ابيكم تخفيفا للالام عليه مع الاكتفاء بوفاء كبيركم بمشاقه فقولوا يا
ابانا لا تغضب علينا ان لم ننظر بعين المحبة الى سالم ينقض ميثاقك في ابنا
ابيك بل لم يمكننا ابقاؤه لان العزيز اخذه ان ابنك سرق صاع الملك فامسكه
العزيز ومالنا معه قوة ولا حيلة وما شهدنا على ابنك بالسرقة الا بما علمنا من رؤية
اخراج الصواع من رحله ونحن وان التزمنا حفظه ما كنا للغيب لما غاب عنا
من سرقته حافظين واسأل القرية اي اهلها التي كنا فيها بارسال من تعتمد
عليه اليها فانها مشتهرة فيها وان لم يمكنك الارسال اليها اسأل العير اي ركبها
التي اقبلنا فيها فانهم سمعوا اهل تلك القرية ولو لم تسأل ظهر لك ايضا صدقنا
انا لصادقون لملازمة بعض الاخوة تلك الارض وفارقنا فك قال ما احسب
بتلك السرقة بل باظهاركم حكم الامساك في ديننا اذ سولت لكم انفسكم امرا
بان لكم دينا اكمل من دين الملك فاظهرتموه لمن لم يلتزمه ليضركم فاذا وقع مثله
فصبر جميل وكيف لا يجمل مع ان الامر اذا بلغ غاية الشدة يرجى الفرج والصبر
مفتاح الفرج عسى الله ان يأتيني بهم اي بيوسف واخيه والابن الكبير جميعا
فيذهب احزانهم مرة واحدة انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تشديد
الامر ليظهر مقدار الصبر فيفيض بقدره الاجر ومن الامر المجمل تعجيل الفرج
فعل يوسف هذه الامور مع ما فيها في الظاهر من العقوق وقطع الرحم لكنه
نظر الى العواقب الباطنة وقد قصد بايقاع الحزن على اخوته تخفيف عتاب
الله عنهم بعد عفوه ولما اخذ الصبر تولى اعرض عنهم لان معاولتهم انما يقع
في الشكوى اليهم ولكن ذهب بذلك تسليته حتى قال يا اسفى وهو اشد الحزن
والحسرة ناداه لكونه كالطالب له بذهاب تسليته على يوسف ولم يلتفت الى
اخيه لعلمه بحالهما دونه وقد بلغ اسفه الى حيث ابيضت عيناه بذهاب سوادهما
من خروج الماء الذي به السواد والصبر من الحزن السابق على التولي والاسف

وكان لا يبصر شيئا من الحزن السابق فاذا انضم هذا الاسف الى
ذلك الحزن فهو كظيم ممتلئ من الحزن بحيث ضاق عليه النفس قالوا تالله تعجبا
من دعواك الصبر مع انك تفتؤ لا تزال تذكر يوسف باللسان والقلب
فتزداد اسفا عليه حتى تكون حرضا ذائب الجسم مختل العقل او تكون ميتا
من الهالكين بالكلية قال هذا الحزن والذكر لا ينافي الصبر لانه ترك الشكوى
الى الخلق وانا انما اشكو بثي ما انتشر على اللسان من صعوبة الحزن الذي
لا يمكن اخفاؤه وحزني الذي اخفيته الى الله لنزيل عني الشكوى ويرحمني واعلم
من الله لمن شكى اليه من ازالة الشكوى ومزيد الرحمة ما لا تعلمون مما يوجب حسن
الظن به وهو مع ظن عبده به فليس ذكرى ليوسف لان اكون حرضا او هالكا ولما
علم من شدة البلاء مع الصبر قرب الفرج قوي رجاؤه فقال لهم يا بني اذهبوا فاطلب
يوسف واخيه فتحسسوا من يوسف واخيه اطلبوا اطلبوا بحس السمع قصصهما وبحس
البصر مكانهما وبحس البصر مكانهما وبحس الشم روائحهما وفي الحاق الاخ بيوسف اشارة
الى تقوية رجائهم من كونهما عنده بسواء ولا تيأسوا بعد مدة يوسف والجهل
بمكانه من روح الله رحمة المرجو من الشدة انه لا ييأس من روح الله لم يقل منه
ليشير الى ظهور حصوله لمن لم ييأس ولم يقل من رحمته ليدل على انه مقتضى جمعيته
الا القوم الكافرون بقدرته على افاضة الروح بعد مضي مدة في الشدة وسنته
في افاضة اليسر مع العسر سيما في حق من احسن الظن به ثم ان اباهم وان ارسلهم
للتحسس من يوسف واخيه لم يذهبوا لذلك بل لطلب الطعام فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز مقتضى عزتك اعزاز الواردين عليك سيما من ذل
من اعزتهم ومن ذلنا انه قد مسنا واهلنا الضر الشدة والعوز والجوع و
بدل عليه بضاعتنا اذ جئنا ببضاعة مزجاة يدفعها السوق لرداءته قيل كانت
صوفا واقطا وقيل سويق المقل وقيل الادم والنعال وقيل حلق الغرائر و
الحبال وقيل حبة الخضراء فاذا الحق ذلنا بعزنا مع عزتك وغناك فاوف

لنا الكيل أو يفتك لأمثل البضاعة المرغوب بها وتصدّق علينا بإعطاء الطعام
في مقابلة ما لا يعد عوضا إن الله يجزي المتصدقين فيعطيهم في الآخرة ما هو
خير من العوض الدنيوي قال يوسف تريدون دفع الضرر العاجل بوعد
الأجر الآجل ولا تدفعون عن أنفسكم الضرر الآجل كأنكم نسيتم هل علمتم
ضرر ما فعلتم بيوسف من إلقائه في الجب وبيعه بثمن بخس وغيرهما وأخيه
من التفريق بينه وبين أخيه وإيذائه كلما ذكر أخاه إذ أنتم جاهلون بضرر تلك
الأفعال في الدارين قالوا هذا لا يعلمه إلا يوسف أو من سمع منه لكن رؤاه
يقتضي أنه هو أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف الذي تعلمون به ما فعلتم
مع ما تشاهدون من أفعالي بكم وهذا الذي تزعمون أني أمسكته أسيرا أخي
أمسكته محبة لتحصيل مقصود يعقوب من الأمر بالتجسس وإن لم يقصدوه
قد منّ الله علينا عليّ بالسلامة من غوائلكم وبالجمع بيني وبين أخوي وإعطاء
العلم والملك وعليكم بتبديل قصدكم الشر إلى الخير لكن منّته عليّ أعظم من منّته
عليكم إذ وقاني من الزنا وصبّرني على السجن بتركه حتى صرت محسنا مستحقا
لهذا الأجر الدنيوي مع أجر الآخرة إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر
المحسنين من فرط تعجبهم بحاله قالوا تالله لقد آثرك الله أحبك علينا إذ
أعطاك التقوى والصبر والعلم والملك حتى تذللنا لك بعد إذلالنا إياك
وكفى بذلك أجرا دنيويا دالا على الأخروي وإن كنا أي وإن كنا في إذلالنا
إياك لخاطئين إذ أوصلناك إلى غاية العزة وبقي الإثم علينا وكفى به ذلا
على إيثارك قال لا تثريب لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم اليوم وإن كنتم
ملومين قبل ظهور منتهى فعلكم ولا إثم عليكم إذ يغفر الله لكم حتى لرضائي عنكم و
هو أرحم الراحمين فكأنه لا خطاء منكم على أن إيثار الله إياي يوجب
رحمة عليكم كما أنه يرحم أبي بوصول قميصي إليه فيرد عليه بصره اذهبوا أمر الجميع بطريق
فرض الكفاية الساقط بفعل البعض بقميصي الذي يحمل رائحتي ونوري هذا

رؤياه





الذي جاء جبريل من الجنة فيه روحها ونورها إلى إبراهيم حين ألقي في النار
بقية حرّها وكان من خواصه أنه إذا ألقي على مريض شفي فألقوه على وجه أبي
ليزول ويستنير بما فيه من روحي ونوري مع روح الجنة ونورها يأت بأتني
بصيرا ليحصل له مع النور المعنوي النور الحسي ولا تفرقوا بينه وبين سائر أهله
لبعض ذلك ممن تضره شيئا بل ائتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قطعت
الركب عريش مصر قال أبوهم لاشتياقه إلى لقاء أولاده سيما يوسف وانتظار
روح الله إني لأجد ريح يوسف حملته ريح الصبا من مسيرة ثمانين يوما أي تظهر
لكم لولا أن تفندون تنسبوني إلى الخرف وضعف الرأي قالوا تالله لا ريح
هنا لكن لإفراط حبك يوسف تتخيل ريحه إنك لفي ضلالك بحبك القديم
ولم تزل تستريح روحا يتقوى به قوى رأسه إلى حين وصول حامل القميص فلما
ثم استراحة أن جاء البشير أي المخبر بما يسره من أمر يوسف وهو يهوذا
ليفرحه بدل ما أحزنه بمجيء قميصه بدم كذب وأنه أكله الذئب ألقاه على وجهه
المستروح به ليصل إليه نوره بعدما وصل إليه روحه فارتد بصيرا بما ذكرنا قال
للقائلين إنك لفي ضلالك القديم ألم أقل لكم إني أعلم من الله من قدرته على
إيصال الروح ورد البصر المعدوم الدال على رد الغائب بطريق الأولى
ورحمته وروحه ما لا تعلمون وقد وجدت مقدمة ذلك فكيف تنسبوني
إلى الخرف وضعف الرأي قالوا يا أبانا إنا أخطأنا بنسبة الضلال القديم
إليك وبما فعلنا في يوسف لكنا نعلم أنك تعفو عنا ولكن لا يذهب بذلك
حق الله استغفر لنا ذنوبنا التي بيننا وبينه إنا كنا خاطئين فيها وإن
أدت إلى الخير قال سوف أستغفر لكم ربي وقت السحر وقيل ليلة الجمعة
ليلة وكان يستغفر لهم كل ليلة جمعة سبعا وعشرين سنة وقيل ليلة الجمعة
ليلة عاشوراء إنه هو الغفور لمثل هذه الكبائر الرحيم بأربابها وصرحوا
بالذنوب دون الله لم يذكروا أسماءهم بها كأنهم لا يرون لهم إلها جامعا للصفات

الرحمة وصفتها اذ غلب عليهم النظر الى قدره وصرح بذكر الرب دون الملك
اذ لا مقدار لها بالنظر الى رحمة التي ربى بها الكل وهم وان غفر لهم ورحموا
لم يحصل لهم من القرب منه الموجب للقرب من الله ما حصل لابويه فلما
دخلوا على يوسف حين ساروا الى مصر فاستقبلهم الى بريته مع الملك
الوالدين زمان آوى ضم اليه ابويه يعني اباه وخالته لتعانقهما بمقتضى مزيد
شوقه اليهما لبعد عهده عنهما وبمزيد قربهما من قلبه ولكن من اثر الغفران
والرحمة لم يبعدهم بالكلية بل قال لهم ادخلوا مصر ولما امكن معهم في المرة الاولى
مع تعظيمهم قال لهم الآن ان شاء الله آمنين من مكري ومواخذتي اياكم
على ما فعلتم بعدها وتقسم سدى ومن الامانة ولكن مع ذلك رفع ابويه حين
دخلوا مصر وهناك عرشه على العرش ولكنهما شاركا الاخوة في تذللهم
الاختياري اذ خروا له سجدا على نهج تكرمة وكان جائزا ثم نسخ حين اتخذوا
من دون الله اربابا وليس المراد الاتخاذ لان الخرور تعفر الجباه وليس
لله لعوله له وقال يا ابت لست في مكان التذلل وكذا اخوتي ولكن هذا
تأويل رؤياي بسجود احد عشر كوكبا والشمس والقمر وان كانت من قبل
باثنين وعشرين او خمس او ست وثلثين او اربعين او سبعين او ثمانين
قد جعلها ربي من حسن تربيته اياي بعدما كانت سبب ابتلائي في الظاهر
حقا مطابقا للواقع في الحس وان اماني حين اخرجني من الجب بالعودة
قد احسن بي اذ اخرجني من السجن فجعل الملك مطيعا لي موثقا بي مفوضا
الي خزائن الارض وقد كانت كله بسبب تلك العبودية بعد الالقاء في
الجب حتى انتهى لي الى هذه الحالة التي صدق فيها رؤياي وقد احسن
بي وبكم اذ جاء بكم من البدو اذ زال العداوة التي كانت بيني وبينكم
من بعد ان نزغ افسد الشيطان فاوقع العداوة بيني وبين اخوتي
فقصدوا اهلاكي فجعله الله سبب وصولي الى هذه المراتب ان ربي لطيف

حتى التدبير لما بيننا من الخير باسباب الشر وبالعكس انه هو العليم بجعلها
الاسباب الحكيم في ترتيب الامور على الاسباب الظاهرة تارة والخفية
اخرى رب يا من رباني بلطيف التربية قد آتيتني به من الملك الذي طالما
ان يكون من اسباب الفساد مع صلاحيته كونه من اسباب الكمال الحقيقي
وقد جعلت لي ما تجعله من اسباب الكمال الحقيقي اذ قد علمتني من تأويل الاحاديث
فيسهل عليك ان تعلمني معاني المحسوسات التي يظهر صورها في الآخرة فان
لم يكن ذلك فلا يتعسر عليك لكونك فاطر السموات والارض ولا يبعد
عليك الجمع بين الامرين في حقي اذ انت وليي في الدنيا والآخرة وانما احتاج
من الدنيا ان يصير حجابا ورفعه الاسلام والصلاح توفني مسلما والحقني
بالصالحين وهو وان كان متمنا فلا يأمن من مكر الله بهما وقد حصل الملك
الذي تمكن به عليه السلام الجهود ذلك البناء البعيد درجة كماله في جمع ما لا يتناهى من المحاسن
والاسرار حتى صار معجزا من انباء الغيب الذي غاب عنك وعمن جالستهم
وعن الكهنة والمنجمين فهو مما نوحيه اليك من مقام عظمتنا تنبيها بعد تنبيه باعتبار
عدم تناهي ما فيه اليك انها الجزء في نفسه الداعي الى الجزءات في العموم ملك
خوارقك على صدقك وكيف لا يكون غيبا وما سمعته من احد وما كنت لديهم
اي عند اصحاب هذا البناء اذ اجمعوا عزموا امرهم اخوة يوسف على
القائه في الجب وزليخا على فعلها ويوسف على امساك اخيه ولو كنت لديهم
ما اطلعت على امرهم اذ هم يمكرون اخوة يوسف في اخراجه من ابيه وتلطيخ
قميصه وبكائهم وزليخا في سجنه ويوسف في تهمة اخيه بالسرقة وانما اوحي اليك
هذا المعجز ليؤمن بك الناس فيسعدوا على الابد ولكن ما اكثر الناس ولو
حرصت على ايمانهم واسعادهم بتكثير الدلائل والمعجزات بمؤمنين وان
علموا ان فيه السعادة الابدية ولا نقص من سعادتهم بتكثير الدلائل بل الدنيوية
الدنيوية اما المال فلانك ما تسألهم عليه من اجر واما الجاه فلان الايمان مانع

مانع من الرؤية الجرية في الدنيا والعذاب في الاخرة ان هو الا ذكر ما هو الا ذكر
للعالمين وتحصيل الشرف والسعادة لهم كثرة آيات في السموات ولكن لا نظر لهم
في ذلك اذ كاين وكم من آية في السموات والارض ما يدل على الصانع وصفات
كماله واسمائه وافعاله يمرون عليها مرورا بنفس النظر معه وهم عنها معرضون وان
النفس الى شيء منها فآمنوا ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون به بعض آياته
باعتقادهم ان له تاثيرا وانه يستحق العبادة لظهوره بالالهية فيه الا يبالون
بهذا الاشراك فآمنوا ان تأتيهم غاشية نغمة تحيط بهم من عذاب الله بدل
سعادتهم بتوجيه او آمنوا اتيانها بغتة او آمنوا وقوعها بعد اشراطها وهم
لا يشعرون بكونها اشراطها فان زعموا ان خفاءها يكون لهم عذرا قل انما
يكون عذرا لو لم يكن سبيل الى معرفتها لكن منع الدلايل سبيلي الى تعريفها
اذ ادعوا الناس من دلالتها على ترجيه ثوابها وتخويف عقابها الى الله
المثيب المعاقب فيها لا بالانفعال عما خلا عنه الى ما احاط به بل بالكون على بصيرة
فيه بعد العمى عنه ولا يخص بي حتى لا يكون حجة اذ اكون عليها انا ومن اتبعني
ورؤية الكثير حجة على الاعمى ولا مانع من اتباعي في ذلك اذ لا ادعي الالهية
لنفسي بهذه البصيرة من تحليته لقلبي بل اقول سبحان الله من ان يظهر بالالهية
في شيء والا كان المظهر شريكه وما انا من المشركين ولا شرط فيه التجلي المفضي
الى دعوى الالهية فانه ما ارسلنا للدعوة الى الناس من قبلك الا رجالا لم يخرجوا
من الانسانية الى دعوى الالهية بل غايته كمالهم انه يوحى اليهم ولم يشترط فيهم
الاعتزال عن الناس بل كانوا من اهل القرى أينكرون رسالتهم مع دلالة
اهلاك منكريها العدم دوبتهم فانهم فلم يسيروا في الارض التي ارسلوا فيها فانكر
عليهم اهلها فينظروا كيف كان عاقبة الذين انكروا عليهم من قبلهم فهي دليل
صدقهم ولا يبطل هذه الدلالة حصول مثلها لبعض المتقين تكميلا لثوابهم
وتعويضا للجزاء عن الادنى ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الا تمرون ما

في الدنيا مع امن ان تأتيهم الساعة فان زعموا انها مشروطة بسبق اشراطها فهل امنوا اتيانها صح

رتب على التقوى عما رتب على التكذيب فلا تعقلون كيف وانما امهلوا عند
ما بالغوا في الانكار حتى اذا استيأس الرسل طلبوا منهم الناس عن ايمانهم بكثرة
الدلايل عليهم ولا اقل من ان ظنوا انهم قد كذبوا اي مضى بحيث لا يرجى عودهم
الى التصديق جاءهم نصرنا بالانتقام من اعدائهم فان كان فيهم مستعدون فنجي من
نشاء منهم ليدل على التمييز ولا يعم الانجاء لئلا يفضي الى الالجاء ولكن لا يبطل
به التمييز اذ لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين حتى انه يصيب من خرج عن حكمهم
فان زعموا ان الاقتصاص ليس من الدعوة في شيء قيل لهم لقد كان في
قصصهم ما يؤثر فيها اذ فيه عبرة لاولي الالباب الناظرين اليها وانما ينافي
العبرة كذبها لكن ما كان المعجز حديثا يفترى ولكن يكون مع صدقه في نفسه تصديق
الذي بين يديه من الكتب التي لا اعجاز فيها وان زاد عليها كان تفصيل كل
شيء اجمل فيها وان لم يكن فيها اصلا كان هدى تزيد قوة نظرية ورحمة تزيد
قوة عملية لقوم يؤمنون فيتفكرون فيه ويعملون بمقتضاه تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله اجمعين                سميت به لما فيها من قوله تعالى
ويسبح الرعد بحمده الدال على الصفات الثبوتية والسلبية مع الاخبار
عن امور الملكوتية مع كون الرعد جامعا للتخويف والترجية وهي اعظم
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بجمعيته في آيات كتابه حتى
اتصفت بالكمالات التي ذكرها الرحمن بجعل كل كتاب بقدر استعداد
المنزل عليهم الرحيم بانزال هذا الكتاب الجامع لكمالات من تقدم عليه
المر اي آيات لباب مجامع الرحمة او اعلى لوا مراتب الرفعة او انوار
لوامع المعارف الربانية او اسرار لطائف مكامن الرشد تلك آيات
الكتاب اي آيات كل كتاب انزل على نبي فانها لباب مجامع الرحمة على
امته واعلى لوا مراتب رفعتهم وانوار لوامع معارفهم الربانية واسرار

لطائف الرشد مكامن تلك آيات الكتاب أي آيات كل كتاب أنزل على
نبي فإنها لباب مجامع الرحمة على أمته وأعلى لواء مراتب رفعتهم وأنوار لوامع
معارفهم الربانية وأسرار مكامن رشدهم والذي أنزل إليك بالأكمل الأحق
من ربك الذي هو أجمع الأسماء المنزلة لتلك الكتب من الجامع لجميع ما فيها
أنه هو الحق الثابت الذي لا ينتقل منه إلى ما هو أجمع فيجب أن يؤمن به من آمن
بأحد تلك الكتب ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ولا يبعد من الله إعطاء هذه
الفضائل لبعض كتبه ثم تفضيل البعض الآخر عليه إذ الله هو الذي رفع السماوات
فجعلها في أعلى مراتب الرفعة وجعل رفعتها بغير عمد ليشبه الرفعة الذاتية المتضمنة
لوامع المعارف الربانية ويمكن تحريكها لتحصيل مجامع الرحمة وجعل المتغيبة
هي التي ترونها ليدل على أن لها عمدا معنوية فيتضمن لطائف مكامن الرشد
ثم استوى على العرش الذي هو أرفع من السماوات والمعارف الإلهية فيه أتم ومن
يستوي اسم الرحمن فهو أجمع لمجامع الرحمة وهو أسنى بعينه لطائف مكامن الرشد
ولا يبعد من الله تنزيل هذه الكتب بعد هذه الرفعة ولا التفاوت في
مظاهر أنواره لأنه سخر الشمس والقمر والتسخير إذلال معه إنزال مع أن
معرفة نوره في الشمس أتم وأحدهما أرفع من الآخر وقد جعل لطائف
مكامن الرشد في سيرهما لا لأنه على كمال حكمته ولا يبعد أن يكون لكل كتاب
أجل مسمى فإنه كأجل طلوع الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى لأنه مقتضى
التدبير وهو بهذه الكتب يدبر الأمر أمر الدين كما يدبر بالشمس والقمر أمر
الفصول والفواكه وهو كما فصل الأزمنة بالشمس والقمر يفصل الآيات
بحسب الاستعدادات لعلكم تنالون لباب مجامع الرفعة وأعلى مراتب
الرفعة ولوامع المعارف وأسرار الرشد إذ بلقاء ربكم توقنون لمزيد
التفضيل وهو سبب هذه الفضائل وكيف لا توقنون بلقائه مع أنه كثر
إنعاماته عليكم إذ هو الذي مد الأرض لإخراج النعم الكثيرة منها وجعل فيها

أسبابها إذ جعل فيها رواسي يكثر فيها النباتات وتحفظ تحتها المياه وبسط
في جميع الأرض إذ جعل فيها أنهارا تنفجر منها وذلك لتكثير النباتات والأشجار
لتكثير الحبوب والثمار كيف ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين صنفين
اثنين بستاني وجبلي ليتميز كل صنف فإن عزمانه الآخر فكان لكل صنف
نعمة بعد الإنعام بوصول الأصناف وجعل لإتمام الإنعام بالأصناف
المختلفة الطبائع لئلا يجتمع متضادا بمضارها ولها فصول مختلفة إذ يغشي الليل
النهار فبطول الليل يحصل الشتاء وبطول النهار يحصل الصيف وبأحد
الاعتدالين يحصل الخريف وبالآخر الربيع إن في ذلك لآيات على إنعام
الله لقوم يتفكرون فيعلمون أن تكثير النعم يجلب محبة المنعم بصرفها إلى ما
خلقت لأجله وإلا كانت موجبة للنقم والمحبة موجبة للرجوع إليه والإنعام
بعد السؤال لا يكون بدونه وقبله يشبه الظلم وإن هذا التدبير للحيوانية
دون التدبير بإنزال الكتب للناطقة فهي أولى بالوقوع وإنه كما مد الأرض
مد العلوم وكما جعل فيها رواسي جعل في العلوم علوما رئيسة هي العلوم
الشرعية وكما جعل فيها أنهارا جعل في القلوب أنهار الكشوف وإنه كما جعل
في الثمرات زوجين اثنين جعل في منازل القرب أحوالا ومقامات وإنه
كما يغشي الليل النهار يغشي ظلمة البشرية نور التجلي وكل ذلك للعلم بأنه إن
أخل بذلك فلا بد من السؤال عنه بالرجوع إليه ثم أشار إلى أنه لا يحتاج
فيه إلى هذه المقدمات بل يكفي فيه العلم بكمال القدرة والاختيار وقد
ظهر ذلك في الأرض إذ في الأرض التي هي عنصر واحد قطع مختلفة لا
بحسب اختلاف مطارح شعاعات الكواكب إذ هي متجاورات وفي كل
قطعة تختلف النباتات إذ فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل
فإن استند ذلك إلى اختلاف المواد فلا تأتي في اختلاف النخل إلى
صنوان وهو ما تعدد منه وهو من أصل واحد وغير صنوان ولو كان

لاختلاف المادة انه لعارضه اذ اتحاد المادة وسواء الماء ولكن لا يعارضه
اذ يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل مع ان مادة الماء
اكثر من مادة الاصل ان في ذلك لايات على قدرة الله واختياره
وحكمته لقوم يعقلون فيه تعريض بالفلاسفة المدعين كمال العقل مع نفيهم
الاختيار وان تعجب ايها المتعجب من شيء فعجب عظيم قولهم بعد ظهور القدرة
والاختيار والحكمة في البعث أإذا كنا ترابا بعث ابتداء بعد العدم
ائنا لفي خلق جديد مع انه لم يات به دور من ادوار الافلاك اولئك
انما بعدوا عن الحق لانهم الذين كفروا بربهم القادر المختار الحكيم
وجعلوه مضطرا الى استعمال الاسباب الشما وبه بحيث يكون يده بها
مغلولة القدرة وقد غلوا افكارهم عن النظر فيها من الامور لذلك
كان اولئك الاغلال في اعناقهم واولئك لقولهم نسجر الله على جهات
دور يكون فيه ذلك على تقدير التوقف على الاسباب وهو موجب
لغضبه اصحاب النار التي هي اثر غضبه ولايجابهم تاثير الاسباب يجب
يوجبون افناء النار ما فيها بحيث لا يمكن لله معارضتها بذاته ولا بسبب
هم فيها خالدون ليظهر قهره على خلاف مقتضى الاسباب وقد بلغوا من
اعتقاد عجز الله عن تعذيبهم الى حيث يستعجلونك بالسيئة العذاب على
الكفر قبل الحسنة الثواب على الايمان اذ يريدون ان يؤمنوا بعد ذلك
العذاب فينالوا الحسنة مع انها ليست للمؤمن اضطرارا للمؤمن وانما
هي للمختار فيه انكرون العقوبة على الكفر وقد خلت مضت من قبلهم
المثلات العقوبات التي يضرب بها المثل في الشرع وانما لم يعجل عقوبة
غيرهم ليستر قبح المعاصي عليهم ان ربك لذو مغفرة للناس اي الذين نسوا
مثلات الاولين ليصروا على ظلمهم ليظهر عليهم مزيد قهره وسلطنته كيف
وان ربك لشديد العقاب يقول الذين كفروا انما يستعجل العذاب

يكون

ليكون آية ملجئة فان لم ينزل لولا انزل عليه آية اخرى ملجئة من ربه
فاجيبوا بانه لا يبقى التكليف مع الملجئة ويكفي الآية المنذرة انما انت
منذر لا معاقب فتاتي بالآية الملجئة التي يكون نفس المعاقبة او مستلزمة
لها ولكل انما تكون كايات من تقدم غايتها افادة الهداية اذ لكل قوم
هاد فان زعموا ان الآية الغير الملجئة انما هي لتكميل العقل فليكن كافيا
اجيبوا بانه انما يكفي في بعض الامور وثمة امور لا يطلع عليها الا الله ومن
اطلعه عليه بالكشف في المحاسن والمقابح ما تخفى حسنه وقبحه خفاء الحمل
الله يعلم ما تحمل كل انثى وفي الخفيات ما ينقص محبة الله وما يزيد منها
في مثل ما تغيض ينقص من اجزاء الوالدين الارحام وما تزداد من
اجزاء الولد ولا بد من مادية تبين مقادير الثواب والعقاب جاء
من عنده اذ كل شيء عنده بمقدار فيطلع عليه من بعثه للهداية للتبشير
والنذر بمقادير مقابل الثواب والعقاب من الامور الغيبية التي لا يطلع
عليها العقل وانما يطلع عليها الله لانه عالم الغيب والشهادة ولا بد منهما
وفقهما لانه الكبير يقتضي كبره كبر جوده وقهره ولا يكون جوده وقهره
مثلما يكون من غيره لانه المتعال عن حد المخلوقين فيكون طاعته
وعصيانه مقتضيين لما سوى جوده وقهره ولتعاليه تعالى سمعه عن ان
يخفى عليه مسموع بل سواء منكم من اسر القول ومن جهر به وتعالى بصره
من ان يخفى عليه مبصر بل سواء عليه من هو مستخف اي طالب للخفاء بالليل
الذي هو وقت الخفاء ليزداد خفاء وسارب بارز بالنهار الذي هو
وقت الظهور ليزداد ظهورا فلا مانع له من الجود والقهر من جهل ولا عجز
وقهره بمقتضى عظمته بلا مانع وان اوجب اخذ العاصي حال العصيان
لكن له معقبات ملائكة تؤخر قهره من طاعات جعلها بين يديه وطاعات
يتوقع منه من خلفه ويكونوا معارضين له في ارادة قهره بل غايتهم انهم

يحفظونه حفظا صادرا من امر الله من اجل الطاعات الماضية والمستقبلة
ولا يقتضي ذلك دوام الحفظ بل ما دامت الطاعة الماضية باقية الاثر
والمستقبلة متوقعة فاذا زال ذلك بطل الحفظ لذلك ان الله لا يغير ما بقوم
من عافية ونعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الخصلة التي من اجلها الحفظ كيف
ولا يمكن للملئكة الحفظ عند ذلك لانه وفق ارادة الله فيه واذا اراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له من جهة الملئكة ولا من غيرهم كيف وحفظهم نوع من الا
وعند ارادة الله السوء بهم ما لهم من دونه من وال بل امرهم مولاه بعارض
الارادة الالهية مع كونهم دونه ولا يبعد من الله ان يامر الملئكة بالحفظ
مع اقتضاء عظمته قهر العاصي في الحال بلا مانع اذ هو الذي جمع بين القهر
واللطف في امر واحد هو الذي يريكم البرق لتخافوا من خطفه
الابصار خوفا وتطمعوا في امداده الطريق طمعا والحمل وجه الطمع فيه انه
ينشئ من اجل لمعانه السحاب الثقال وصف به لان السحب لما كان
جنسا كان في معنى الجمع واما وجه طمع الهداية فهو انه يسبح الرعد بنزهه
عن البخل ملتبسا بحمده على جوده وهذا المطمع لا يخلو عن التخويف حتى انه
يسبح الملئكة من خيفته من ظهوره بالهيبة في الرعد والبرق وفي البرق ما هو
ابلغ في التخويف اذ يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء من بين العصاة
وغيرهم فيخاف الملئكة من فيه مع عصمتهم والكفار لا يبالون بقهره بل هم
يجادلون في الله في توحيده وعموم علمه وقدرته وهو لغاية عظمته بلا مانع
شديد المحال المكايدة فوق الاصابة بالصواعق واعلم ان السحاب هو
البخار المنعقد والبخار هو الصاعد من اجزاء مائية وهوائية فان قل
واشتد الحر انقلب المائية هواء وان كثر او لم يكن في الهواء حرارة فان وصل
الى الطبقة الزمهريرية تقاطرت الاجزاء المائية ان لم يشتد البرد وان اشتد
فان كان الجمود قبل الاجتماع وصيرورته حبات كبارا فهو الثلج او بعده فهو



البرد وان لم يصل الى الزمهريرية فالكثير قد ينعقد وهو السحاب وقد لا ينعقد
وهو الضباب والقليل الذي لم يصل الى الزمهريرية قد تكاثف ببرد الليل
فنزل اجزاء صغارا وهو الطل ان لم يجمد وان جمد فهو الصقيع واما الرعد
والبرق فمن الدخان الصاعد من اجزاء ارضية ونارية الى الزمهريرية مخالطا
للابخرة فتكاثف البخار وينعقد سحابا وينحصر الدخان في جوفه فيخرقه اما في صعوده
لبقائه على حرارته او هبوطه لتكاثفه بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان
وتمزيقه للسحاب ومصاكته اياه صوت هو الرعد ويشتعل الدخان بقوة التسخين
لما فيه من مائية وارضية عمل فيهما الحرارة والحركة فاقرب مزاجه من الدهنية
يشتعل بادنى شيء ولطيفه ينطفي سريعا وهو البرق وكثيفه لا ينطفي سريعا وهو الصاعقة
فهذا وان كان قول الفلاسفة فيجوز ان ينظر في قولهم اذا لم يخالف الكتاب و
السنة واجماع الامة هل لهم فيه مستند سالم ام لا وكيف لا تشتد محاله على من يجادل
فيه وهم يقصدون بذلك ترك دعوته والاشتغال الى دعوة غيره لكن له دعوة
الحق اي دعوة يقتضيها الرأي الحق اذ هو يتوقع منه الاجابة الى تحصيل المطموع
والامن من المخوف والذين يدعون من دونه لا يستحقون الدعوة اذ لا يستجيبون
لهم بشيء من القول والفعل فعلا او شفاعة فليس الا كباسط كفيه اليهم
بالدعاء الا كباسط كفيه الى الماء يدعوه ليبلغ فاه وهو لو سمع دعاءه واجاب
بالقول ما هو ببالغه اذ لا قدرة له على البلوغ ولو كان له قدرة لم يجبه لانه كافر
بربه وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع اذا دعوا الله او الاصنام او
احد الجمادات وانما يجيبهم الشيطان قولا او فعلا وكيف يستحق غيره الدعوة
وهي تذلل وهم اذلة بالنظر الى الله تعالى لذلك لله يسجد من في السموات والارض
من العقلاء الذين هم اشرف خلقه فضلا عمن دونهم طوعا اذا انقاد هو لهم عقلهم
وكرها اذا لم ينقد ولا بد من الانقياد للارادة وهو السجود الباطن ويظهر ذلك
في الظلال ولذلك يسجد ظلالهم بالانبساط على الارض بالغدو والاصال

الى خلاف جهة الشمس فلا يكون ساجدة لها بل لربها فان زعموا ان فى الانبياء
ما لا يسجد طوعا او لا نظهر له سجود فى الكل الظل كالسموات والارض قل يكفى
فى سجوده ما كونهما مربوبين فسئلهم من رب السموات والارض هل هو الذى
له يسجد من فيهما ام لا حتى يخص باستحقاق الدعوة والسجود له فان زعموا انهما
قديمان قل ان صح ذلك فيهما لا مكانهما تفتقران الى رب قديم هو الله فان زعموا
انه ظهر بالالهية فى بعض الانبياء قل أفتعتقدون الالهية فى الدون فاتخذتم
من دونه اولياء مع انهم فى القصور بحيث لا يملكون لانفسهم فضلا عن ان
يملكوا لغيرهم نفعا يجذبونه ولا ضرا يدفعونه بل هم دونكم فى المظهرية لانهم عماة
وانتم بصراء فان اصروا على تفضيلهم قل هل يستوى الاعمى والبصير فضلا عن
تفضيل الاعمى فان زعموا انهم بصراء فى الباطن فهذا الباطن انما هو باعتبار
ما تعلق من ارواح الشياطين وهى ظلمانية وارواح الانسان نورانية فهل
يستويان ام هل يستوى الظلمات والنور فان جعلوها نورانية فلا شك
ان الانبياء والملائكة اتم نورانية منهم أجعلوهم شركاء لله مع اعترافهم بالعبودية
ام جعلوا لله شركاء اجل منهم اذ خلقوا الخلقة فتشابه الخلق اى خلقهما عليهم
فلم يفرقوا بينهما فى الالهية قل ان صح ذلك مع حدوثهم فهل خلقوا انفسهم او خلقهم
الله والاول باطل فتعين ان يقال الله خالق كل شىء ولا يكون خالق لمثله اذ
هو الواحد الذى لا مجانسة غيره وكيف يكون المخلوق مثله وهو متفرد والخالق
هو القهار فان زعموا انه لو كان واحدا قهارا لم يترك لغيره من الآثار احتجوا
بانها من ظهوره بالصور فى بعض الاشياء وبالآثار فى البعض الآخر والكل بحسب
الاستعدادات فان ظهوره فى الاشياء كمطر السماء انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها اى بقدر سعتها وعمقها ولا ينافى ذلك غلبة الشيطان
وحصول الباطل فان ذلك كالزبد فاحتمل السيل زبدا وهو مع بطلانه فى
ذاته يظهر رابيا مرتفعا على الماء وكما ينقسم الجواهر الى الحق والباطل كالملائكة

والانبياء والاولياء والعلماء والشياطين والكفرة المضلين ينقسم الافعال
اليها وان كانت مخلوقة لله تعالى فانه مما يوقدون عليه مجعولا فى النار ابتغاء اى
طلب حلية من الفضة والذهب او متاع كالاوانى وآلات الحرب والحرث
من الحديد والنحاس والصفر زبد مثله اى مثل زبد الماء ثم اشار الى المقصود
بقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء اى رميا الى الجوانب
وهو مثل ذهاب آثار الشياطين واللذات المحرمة واما ما ينفع الناس من الماء
الصافى والاجسام المذابة فيمكث يبقى فى الارض كذلك يبقى الانتفاع بالملائكة و
الانبياء والاولياء والعلماء والاعمال الصالحة وكما ضرب الله المثل بالزبد وما
حصل منه للباطل والحق كذلك يضرب الله الامثال للعلوم النافعة والضارة
فالنافعة يكون تارة بالكشف كالماء النازل من السماء وتارة بالفكر الموجب للحرارة
تتخذ منه ما تزين به الاعتقادات والاعمال ويحصل من كل منهما شبهات كالزبد فى
العلوم الضارة ثم انه يبقى العلوم والاعتقادات والاعمال ويذهب الشبهات
بالنظر الصحيح للذين استجابوا لربهم دعوته فانتفعوا بماء الهداية الذى انزله
من سماء علمه بطريق الكشف والفكر ونفوا عنه وعن اعمالهم زبد الشبهات و
النتائج الحسنى اى كل خصلة حميدة يتصور بها علومهم واعتقاداتهم واعمالهم فى
بقاء الجواهر والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما فى الارض جميعا من الجواهر ومثله
معه لافتدوا به من آثار اعتقاداتهم واعمالهم فانها وان كانت مثل الزبد فيبقى
آثارها بقاء الجواهر ولا يعارضها جواهر اخر اذ اولئك لهم سوء الحساب فيحاسبون
بجميع قبائحهم التى لا يفى بها جواهر الدنيا ولكنها لكونها كالزبد رمى من جوانب الصراط
فاولئك مأويهم جهنم ومع ذلك لا يحصل لهم فناء الزبد لذلك يكون لهم بئس المهاد
فان زعموا ان استجابة ذى الخوارق من رهابين الكفرة وشياطين الاصنام
استجابة الله تعالى لهم ألستم تبصرون ما هو هداية فى نفسه وضلال فمن يعلم انما انزل
اليك بالحق الخالى من ربك الكامل الاسماء الحق الذى لا ينتقل منه الى ما هو

اعلى في باب الهداية لمن هو اعمى لا يبصرها لغرقان في ذاتهما ونظر الى اختلاف
وجودهما لكن هذا الكمال لا يظهر لعامة النظار بل انما يتذكر فيحصل بالتذكر اولوا الالباب
الناظرون الى بواطن الاشياء وليس المراد في دقائق الامور الدنيوية بل هو في
دقائق الدين اذ هم الذين يوفون بعهد الله الذي عهد على لسان رسله لمراعاة
الدقائق واذا راوا فيه ناسخا ومنسوخا لا ينقضون الميثاق على الايمان بهما
لرؤيتهم اشتمال كل منهما على اكمل مصالح زمانه وايضا من اولى الالباب الذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل من الاخلاق والمساعي الباطنة ويخشون ربهم
من ان يدعوا الكمال لانفسهم ان يعاد عليهم ويخافون من ترك الاعمال خوفا
من العجب والرياء سوء الحساب ان يحاسب محاسنهم قبايح عليهم وايضا من
اولى الالباب الذين صبروا في عبادة الله من طلب ما سواه او سبب منه بل
عبدوه ابتغاء طلب رؤية وجه ربهم في الاخرة واقاموا الصلوة لمناسبة
الدنيوية وانفقوا للتزود من حجاب المال مما رزقناهم من املاكهم لا من الغصب
سرا مع ما فيه من دفع العجب وعلانية مع ما فيه من دفع الرياء واذا حجبوا بالمعاصي
يدرؤن يدفعون بالحسنة السيئة اي نور الحسنة حجاب ظلمة السيئة اولئك
لكونهم اولى الالباب لهم وهم في الدنيا عقبى الدار معرفة عواقب امور الدنيا
ينكشف لهم كانهم الان حصل لهم جنات عدن اي اقامة لا قامتهم على المعارف
وان كانوا يدخلونها واحدة بعد اخرى وكيف لا يكون هولاء اولى الالباب
الحاصل لهم ذلك السرور وقد حصل بتبعيتهم لمن يتعلق بهم من كامل وناقص والنقص
اذ يدخلها من صلح لدخولها من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وكيف لا يطلعون
على البواطن والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المعارف يقولون
لهم سلام عليكم من ان يقع غلط في كشفكم بما صبرتم لتمييز ما هو هداية منه وما هو
ضلال واذا كان لهم هذا في دار الابتلاء فنعم عقبى الدار دار الجزاء والكشف
التام لهم فهولاء هم البصراء واما العماة فهم الذين ينقضون عهد الله في الايمان



بالناسخ والمنسوخ والاخذ بالناسخ المشتمل على الدقائق الكثيرة من بعد ميثاقه
بذكره في الكتب المنسوخة ورعاية مصالح الازمنة وباشتمالها على الفوايد الجليلة
فهولاء في مقابلة الفرقة الاولى من اولى الالباب وفي مقابلة الثانية منهم الذين
يقطعون ما امر الله به ان يوصل من الاخلاق والمساعي الباطنة وفي مقابلة
الثالثة منهم الذين يفسدون في الارض بالمعاصي وترك الطاعات الظاهرة
وحذف الذين يشيرون الى انهم جمعوا بين الخصال التي هي مقابلة الطوايف كلها
عماهم اولئك البعداء عن الله لهم اللعنة البعد عن معرفة العواقب بدل عقبى
الدار ولهم بدل الجنات سوء الدار كانهم الان فيها ولا ينافي ذلك بسط الرزق
عليهم اذ الله يبسط الرزق لمن يشاء ممن يتلذذ به ويتألم ويقدر يقبض عمن
يشاء من متلذذ به ومتألم ولا عبرة بتلذذهم به اذ غايته انهم فرحوا بالحيوة الدنيا
ايام قلائل بدل نعيم الاخرة ولو علموا مقدار ما استبدلوه لانقلب فرحهم غما و
الملالة وما الحيوة الدنيا لو امتدت الى اخر الدهر اذا نظر في الاخرة الا متاع
يسير في مقابلة امر جليل كمن ابدلت سلطنته بطعام يسير ويقول الذين كفروا بالاخرة
كيف لا نفرح بالدنيا ولا نعرف الاخرة الا من قول من لا اية له ملجئة لولا انزل
عليه اية ملجئة نعلم انها من ربه لانتفاء الاحتمالات عنها دون غير الملجئة قل ان
الاحتمالات معلومة الانتفاء بحسب العادة المستمرة فلا يقدح في صدقها لكن الله
يضل بها من يشاء مع ابتاع صدق الاية الغير الملجئة في قلبه ويهدي اليه من
اناب رجع الى ما وقع في قلبه من صدقها وهم الذين امنوا فصدقوا الله فيما وقع
صدقه في قلوبهم وذلك لعدم ترددهم فيما يقع في قلوبهم لثباتها على الحق اذ تطمئن
قلوبهم بذكر الله فلا يقع فيها ما يوجب التردد والقلوب وان كانت متقلبة في نفسها
لكنها تترك هذه الطبيعة بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الكاملة لسكونها
الى الله فلا ينقلب عنه لغلبة الايمان عليها كانهم هم الذين امنوا ولادامة الطمأنينة
عملوا الصالحات المطمئنة للنفوس المكدرة للقلوب لذلك يكون طوبى لهم اي

لتسويهم وقلوبهم وارواحهم وابدانهم وعند هذا الطيب يكون لهم الى الله تعالى
حسن مآب ولا يختص الارسال بالايات المبتدعة للطمانينة الى المؤمنين
بل كذلك بالايات المبتدعة للطمانينة ارسلناك في امة تنكرت بالكفر لو
تركت العناد نظرا الى ما جرى على معاندي الامم الماضية يتلو عليهم ايات رسلهم
اذ قد خلت من قبلها امم مع ان ايتك اعظم اذ ارسلناك لتتلو عليهم
الوحي المعجز الذي اوحينا من مقام عظمتنا اليك يا اكمل الرسل ولو لم ياخذوا
يتكلفوا به فلا شك انهم يواخذون بكفرهم بالله اذ هم يكفرون بالرحمن فان
زعموا انهم يعرفون الله دون الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب
قل هو ربي وهو وان تعددت اسماؤه فمسماه واحد لا اله الا هو فان عاندتم
عليه توكلت في دفع عنادكم ولا يعسر على التوكل عليه اذ اليه متاب رجوعي
الموجب للوحي والايات لا الى الشيطان ولا تزكون العناد لو ان قرانا
معجزا في نفسه حصلت فيه معجزات ملجئة اذ سيرت به الجبال فازيلت عن
اماكنها او قطعت صدعت به الارض عن كنوزها او كلم به الموتى بل لو جعلت
جميع مقترحاتهم من خواص القران والله تعالى قادر عليه اذ لله الامر جميعا
لم يكونوا تاركي عنادهم وهو وان كان قادرا على ان يمنعهم العناد تركهم
على اختيارهم أيطمع المؤمنون في ايمانهم بعدما سمعوا الله بقوله فهم من القول
فلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم لو انهم الايات المقترحة فيرغبون في تحصيلها
لاجلهم بل يجب عليهم ان ينظروا في ان اي ان الشان لو يشاء الله ان يترك
الناس العناد لهدى الناس جميعا بالايات الغير الملجئة ولكن يجعلها
تتبعه الملجئة اذ لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من عنادهم معها قارعة
داهية تفزعهم وتقلعهم او تحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شررها
حتى ياتي الاية الملجئة اذ ياتي وعد الله بالعذاب الاخروي وهو وان كان
وعيدا فقد جعل وعدا للانبياء بنصرهم على الاعداء ان الله لا يخلف الميعاد

وكيف يخلف ميعادك مع اصرارهم على عنادك بعد فوات القوارع ولم يخلف
ميعاد من دونك مع ان اصرارهم لم يكن بعد فوات القوارع فانه والله
لقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا فلم يفوات عليهم القوارع ثم
اخذتهم في الدنيا بعقاب فكيف كان عقاب فيقاس عليه عقاب الاخرة
التي هي دار الجزاء على من زاد عليهم في العناد مع من زاد على رسلهم بالفضيلة
على انه لو لم يعد لم يترك معاقبتهم على مجرد الشرك والمعاصي بلا عناد اذ
يترك المعاقبة على المعاصي فمن هو قائم مطلع على كل نفس ليحيط بما كسبت
من المعاصي كغير المترتب ولو لم يبال بمعاصيهم فكيف لا يبالي بشركهم اذ جعلوا
لله الذي هو ملك الملوك شركاء فضلا عن الواحد مع ان ادنى الملوك
لا يعفو عن شركة واحد فان زعموا ان له شركاء في الواقع فلا نظلم بالمؤاخذة
على القول المطابق للواقع قل لو كان شركاء في الواقع لوضع واضع اللغة لهم
الفاظا تدل على شركهم اتقولون ان الواضع لم يضعه ام يقولون خفي
على الواضع وهو الله فانتم تنبئونه بما لا يعلم لكونه في الارض وهو انما يعلم
ما في السماء ام يطلقون عليهم لفظ الالهة من غير اعتبار معناها بل بظاهر
من القول كما يسمى الزنجي كافورا من غير بياض فيه ولا رائحة طيبة بل لم يكن
شيء من ذلك وانما زين للذين كفروا مكرهم تمويههم على انفسهم بمعنى الالهة
فيها وصدوا بذلك التمويه غيرهم عن السبيل الموصل الى المعارف ومن
يضلل الله بتمويهه منه على نفسه وغيره فما له من هاد من الدلائل والرسل
والعلماء لكنهم يصيرون مجبورين لذلك لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالاسر
والجزية والقتل ولعذاب الاخرة اشق وكيف وما لهم هنالك من الله
بعد ظهوره بغضبه من واق حافظ عن شدته اذ لا واقي هناك سوى التقوى
فانها تقي عن النار وعن فوات الجنة وانقطاع الانهار والثمار والظل
اذ مثل الجنة صفتها العجيبة التي تعظم الم فواتها لاجلها التي وعد المتقون

سموهم ليعلم انه هل في اسمائهم
ما يدل على شركهم
صح

انها تجري من تحتها الانهار لاجراء تقويهم انهار المعارف والعبادات
عليهم لذلك اكلها ثمرتها دائم اذا انقطع حصل مكانه اخر وفاته له و
ان لم يصل اليه اثر الشمس ذ ظلها ايضا دائم لاستظلالهم بظل التقوى
وكيف لا يشتد بذلك الم الكفار مع ان تلك الامور العظام عقبى اعدائهم
الذين اتقوا فلم يوافقوهم على اعتقاداتهم وافعالهم ولم يقتصر في حق الكفا
على فواتها وجعلها لاعدائهم بل جعل عقبى الكافرين النار التي لها غاية
الشدة في نفسها وانضم اليها فوات تلك الامور وجعلها للاعداء وكيف
لا يكون للمتقين تلك المآكل الغير المنقطعة وقد تقووا من معاني هذا الكتاب
ما لا ينقطع وكيف لا يكون لهم ذلك الظل وقد استظلوا بظلال دلائل هذا
الكتاب التي لا ينقطع بالشبهات ولذلك نرى الذين آتيناهم الكتاب
اي كتب الاولين يفرحون بما انزل اليك اذ يحصل لهم من المعاني والدلائل
وكشف الشبهات ما لم يحصل لهم من تلك الكتب وليس هذا على العموم بل من
الاحزاب اي احزاب اهل الكتاب من ينكر بعضه وهو مواضع النسخ
قل انما انكر في النسخ ما نافى عبادة الله او اوجب الشرك او يدعو الى غير الله
او يكون راجعا الى الغير من غير قصد ونسخ هذا الكتاب ليس كذلك انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا اليه ادعو واليه مآب فليس فيه
نسخ هداية الى ضلال حتى يبطل دلالة معجزاتي وكيف ننكر النسخ وغايته انه تبديل
الحكم باعتبار المناسبة كتبديل اللسان فانه كما انزلنا على الاولين ما ناسب
حالهم بلسانهم كذلك انزلناه حكما عربيا مناسبا على حال العرب على لسانهم
والمنسوخ وان كان هدى لاهله لم يبق لاهله بعد النسخ هدى بل صار
هوى يتمانى حتى من بعد عن مناسبتهم لذلك والله لئن اتبعت اهواءهم
بعد ما جاءك من العلم بانه لم يبق مناسبا لهم فضلا عن ان يناسبك ما لك
من الله من ولي من الرسل يقربك اليه وان كان مقربا به قبل النسخ ولا



واق يحفظك من عذابه بكونه في الجملة حكم الله اذ صار هوى محضا وكما لا
يقدح في رسالتك شبهة اليهود بالنسخ لا يقدح فيها شبهة النصارى بالازواج
والاولاد ولقد ارسلنا رسلا من قبلك باتفاق منك ومن النصارى
ولم يقدح في رسالتهم الازواج والاولاد لانا جعلنا لهم ازواجا وذرية
وكذا شبهة مقترحي الآيات فانه ما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله
ولا يبعد ان يخص كل رسول بحكم في آية اذ لكل اجل كتاب حكم وآية فيه
ينتهي بانتهائه ولا بعد في هذا الانتهاء ولا في اثبات الصفة فانه يمحو الله ما يشاء
من الاحكام والآيات ويثبت ما يشاء منهما وليس ذلك بطريق البداء على
الله بل عنده ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي قدر فيه الامور بحسب
الازمنة والاشخاص بطريق التخصيص وبالجملة ليس ذلك منك كما انه ليس منك
ما رتب عليه من الجزاء بل ليس لك تكميل ما نقص ولا نقص ما كمل منه اما نرينك
اي ان تحقق اراءتنا لك في حيوتك بعض الذي نعدهم فليس لك استكماله
او نتوفينك اي وان تحقق توفينا لك قبل اراءة شيء مما نعدهم لتكمله عليهم في
الآخرة فليس لك نقصه منها فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اينكرون
محو احكامهم مع ظهور ارادتنا محوه منهم ولم يروا انا نأتي الارض ارض اهل
سائر الاديان ننقصها عليهم باظهار دين الاسلام من اطرافها اطراف
ممالكهم المحافظ للوسط وليس ذلك بطريق الابتلاء بل الله يحكم بذلك باقامة
الدلائل ودفع الشبه بحيث لا معقب لا مبدل لحكمه بقول ولا فعل وليس ذلك
بتطويل المقدمات ومضي المدة المديدة ليكون من بعد عهد الاولين ادخل
في اظهار هذا الدين سريع الحساب يظهره بمقدمات اولية قليلة في مدة يسيرة
مقدار ثلثين سنة تقريبا ولا يمنع سرعة حسابه مكر الكفار دفعا بالقاء الشبه ولا
فعلا فانه قد مكر الذين من قبلهم على انبيائهم فدفعه الله عنهم ولا يبعد من الله
ان يقلب عليهم مكرهم فلله المكر جميعا كيف وقد استحقوا ان يمكر الله عليهم اذ

زمان ينتهي على مقدار مخصوص
صح

يعلم ما تكسب كل نفس ومن مكره بهم اخفاءه فوات الآخرة عليهم مدة
حسنهم فانه سيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا انما
نحن نا ذلك لو كنت مرسلا لكنك لست مرسلا قل قد كفى الله بكم في اخفاء رسالتي
عليكم مع اظهارها بالمعجزات فانه كفى بالله باعطاء المعجزات شهيدا شهادة قاطعة
للنزاع بيني وبينكم ولو انكرتم كون اياتي معجزات كفى من عنده علم الكتاب كعبد
الله بن سلام فانه علم من اطلاعه على كتب الاولين اعجاز هذا الكتاب تم
والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين سميت به لاشتمالها
على دعوات لابراهيم نبت بهذه الملة كالحج وجعل الكعبة قبلة الصلوة مع الدلالة
على عظمها بحيث صارتا من المطالب المهمة للمسلمين وعلى غاية كمال ابراهيم
عليه السلام وعلى نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مع غاية كماله وهذا من اعظم
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بكمال ذاته وصفاته واسمائه
وافعاله في كتابه الرحمن بانزاله لاخراج الناس من الظلمات الى النور الرحيم بهدايتهم
الى صراط العزيز الحميد الر اي اجل لوامع الرشد او اعلى لواء الرفعة او اتم
لباب الرحمة او اعز لطائف الربوبية كتاب انزلناه اليك يا اكمل الخلائق
في الاتصاف بهذه الصفات لتكميلهم فيها لتخرج الناس اي الذين نسوا ما في
استعدادهم من الاستنارة بنور الله والاتصاف بصفاته والاتيان باعماله
بتبع التخلي بها حتى يحصل لهم اعلى لواء الرفعة واجل لوامع الرشد واتم لباب
الرحمة واعز لطائف الربوبية من الظلمات ظلمات وجودهم وصفاتهم الى
النور نور الذات المستلزم للاتصاف بصفاته لا بطريق الاكتساب بل باذن
ربهم بتيسيره لهم هذه الفضائل لا الى حد افراط بدعوى الالهية لانفسهم ولا
الى حد التفريط بالاستغناء عن طاعته بل الى اعتدال صراط العزيز الذي من
عزته لم يظهر بما هو كماله في شيء حتى يوصف بالالهية الحميد يحفظ العبد عند فنائه

فيه وبقائه به عن تعطيل ظاهره عن الطاعات الظاهرة بقائه امره انه يرى
غلبة نور الحق وصفاته الحميدة على وجود العبد وصفاته ولا يختص ذلك
به بل يقول الله هو الذي له ما في السموات وما في الارض ولو من غير العقلاء
مظاهر لا وجود لشيء منها بدون ظهوره فيها وليس ظهوره فيها ليصير الهة فيسير
توجيه بل الالهية بل يستدل بها على ذاته وصفاته ويوجد لذلك وويل للكافرين
الساترين الالهية وتوجيد بجعلها الهة من عذاب شديد اشد من شدة
غضبه عليهم بجعل ظهوره لغيرها سواء مع كثافة الحجاب عليهم وشدة اشتباههم
اليه لافادته لهم الكمالات وسببه ذلك الحجاب فلا نظر لهم لاحتجابهم بالحيوة الفانية
اذ هم الذين يستحبون الحيوة الدنيا فيفضلونها على الآخرة التي فيها كشف الحجاب
فلا يهتمون بسبب كشفه في الآخرة فيدوم عليهم الحجاب هناك ولو لم يستحبوا
الحيوة الدنيا يصدون عن سبيل الله بدعوى الالهية لانفسهم ولو لم يدعوها
يبغونها عوجا باسقاط التكاليف عنهم اولئك وان زعموا انهم ائمة الناس
نظرا او هداية في ضلال بعيد يحجبهم عن الحق مع غاية قربه فيشتد عليهم العذاب
من فوات رؤيته معها وكيف لا يبعد ضلالهم مع مخالفتهم هدى من كمل
هدايته للكل بحيث يخرج الكل من الظلمات الى النور وقد ضل من خالف هدى
من لا يكفي الا طائفة خاصة فانه ما ارسلنا من رسول الا بهداية تناسب حال
قومه لذلك ما ارسلناه الا بلسان قومه ليبين لهم ما هو هدايتهم الخاصة البيانية
لا النوعية فيضل الله من يشاء بالقاء الشبهات وذلك لغلبة حكم مشيئته على
حكم بابهم اذ هو العزيز ولكن لا الحكم عزته على سبيل التحكم اذ هو الحكيم يفعل بكل
واحد بمقتضى حكمه ولكون هداية كل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم غير كافية
للكل والله لقد ارسلنا موسى مع غاية عظمته لكونه مرسلا باياتنا العظام الكثيرة
ولم نقل له ان اخرج الناس بل قومك لكن لعظمتها وكثرتها قلنا له اخرجهم من
انواع الظلمات الى النور ولكن لم يؤمر ان يسلك بهم طريق المحبة اذ قيل له ذكرهم

في بيانه الكامل مع مبالغته في
دفعها وافادته الحجج ويهدي هدايته
التوفيقية من يشاء فيمكنه بيانه
لدفع تلك الشبهات صح صح

بأيام الله وقائعه التي عظمت بها أيامها إن في ذلك المذكور لآيات
على فضائل محمد صلى الله عليه وسلم من جهة عموم هدايته وإشاعة طريقه وفضل
أمته لكل صبار على التأمل في تميز النصوص الواردة في حقه وحق سائر
الأنبياء شكور بكونه من أمته ولعدم سلوكه بهم طريق المحبة ذكرهم النعمة التي
هي من أسباب المحبة بطريق التخويف ولبعضهم لم يقتصر على تخويفهم بوقائع من
قبلهم بل خوفهم أيضا بوقائع أنفسهم فاذكر إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
إذ أنجاكم من آل فرعون إذ كانوا يسومونكم يقصدونكم سوء العذاب فلا
بعد من الله إن كفرتم نعمته أن يسومكم سوء عذابه وكانوا يذبحون
أبناءكم فلا بعد من الله أن يذبح بنات عقولكم الداعية إلى الآخرة ويستحيون
نساءكم فلا بعد من الله أن يستحيي بنات أوهامكم وخيالاتكم في أمر الآخرة
كيف ولم يكن ذلك باستقلال منهم بل في ذلكم بلاء من ربكم عظيم فلا بعد
منه أن يبتليكم بذبح بنات العقول واستحياء بنات الأوهام والخيالات
وكيف تستبعدون ذلك بعد ما صح لكم به إذ تأذن أعلم إعلاما بليغا بمقتضى
ربكم إذ سيدكم لئن شكرتم نعمه بصرفها إلى ما خلقت له كالعقل إلى تصحيح الاعتقاد
فيه واستعمال سائر النعم بمقتضاه زبرا عن الوهم والخيال لأزيدنكم في النعم
كلها حتى أبلغ بالعقل درجة الكشف ولئن كفرتم سيما نعمة العقل بالاعتقاد الفاسد
فلا أقتصر على سلبها بل أذيقكم العذاب على إبطال حكمتي إن عذابي لشديد
وقال موسى كيف لا أشد عذابه على من لا يراعيه مع عدم احتياجه إلى مراعاتهم
وإن كفروا غاية الكفر إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني
عنهم وإن كثروا أشد الكفر إذ لا يلحقه نقص بعدمهم ولا ذم بل نظره به
غاية عظمته وقهره لأنه حميد وكيف تترددون في تعذيب الكفرة ألم يأتكم
نبأ الذين من قبلكم قوم نوح مع غاية كفرهم وعاد مع غاية قوتهم وثمود مع كثرة
تحصنهم وصنائعهم والذين من بعدهم وهم من الكفرة بحيث لا يعلمهم إلا الله



لم يؤاخذهم الله إلا على الكفر لأنه أخذهم إذ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم أمر الأنبياء بإطباق الفم أو في أفواه الأنبياء
منعا لهم من التكلم وإذا لم يكتفوا بذلك قالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به من وجود
الله وتوحيده وأسمائه وأفعاله وكيف نؤمن ببيناتكم وإنا لفي شك مما
تدعوننا إليه أي من ذات المدعو إليه لا نقر بعارضه شيء بل مريب
موقع في الريب بحيث لا نبالي معه بالبينات قالت رسلهم أفي سائر شككم من ذات
الله وإرساله أفي الله شك مع أنه لا بد منه فاطر السموات والأرض فالعالم
بكليته وتفاصيل أجزائه دلائل عليه وكيف يشك في إرساله مع أنه يدعوكم
إليه لا لفائدته بل ليغفر لكم من ذنوبكم أي بعضها الموجب خراب العالم وهو
وإن كان مرجعه إخراب يريد أن يؤخركم بإبقاء نسلكم إلى أجل مسمى من
أجل النعمة قالوا لو صح ما ذكرتم في أمر الإرسال فعندنا ما ينفيه وهو أنه إن أنتم
إلا بشر وكلهم أمثال فأنتم مثلنا فلو أرسل الملك إليكم وكلمكم لأرسل إلينا و
كلمنا على أن الإرسال إنما يكون للهداية وأنتم تريدون إضلالنا وهو أن
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا المشهودون بكمال الهداية والعقل فإن زعمتم
أنهم ضلال وأنتم أهل هداية فأتونا بسلطان مبين حجة ملجئة على ذلك قالت
لهم رسلهم سلمنا أنه إن نحن إلا بشر مثلكم ويجوز أن يرسل إليكم الملك أو
يكلمكم كما أرسل إلينا وكلمنا ولكن الله لا يجب عليه أن يفعل كل ما هو جائز بل
يمن على من يشاء بإرسال الملك أو مكالمته كما يمن على البعض بمزيد المال والقوة
مع استواء الكل في كونهم من عباده وليست الآية الملجئة بل جميع الآيات
مما يدخل تحت قدرتنا لذلك ما كان لنا أن نأتيكم إلا بإذن الله كيف ولا يصدر
من أحد شيء إلا بإذنه لذلك على الله فليتوكل المؤمنون لاستقلاله بالأفعال
إذ خوفوا من الغير وإذا وجب التوكل على المؤمنين فالأنبياء أولى بذلك وما
لنا ألا نتوكل على الله إذا قصدتم أذيتنا وقد هدانا سبلنا في جلب

بسلطان ح

المنافع ودفع المضار بالله ولم ان يدفع عنا اذيا كم ابتلاء منه لنصبرن
على ما اذيتمونا ولا نتمسك بسبب من الاسباب فى دفعها بل على الله فليتوكل
المتوكلون لا على الاسباب فى دفعها بل على الله فليتوكل اذ لا تاثير لها
بدونه وهو مستقل بدونها وقال الذين كفروا بقدرة الله دون الاسباب
بل راوا الاسباب مؤثرة دون قدرة تعالى لرسلهم الذين شانهم الهداية
فى ابواب المعارف التى من جملتها التوكل فهم اتم فيها كيف ينفعكم التوكل
فى دفع اذيتنا لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا اى الا ان تصيروا
فى ملتنا صيرورة من كان فيها فخرج عنها لضرورة ثم عاد اليها بكمال رغبة و
اشتياق فاوحى اليهم ربهم الذى ربانيهم بالتوكل لنهلكن الظالمين بايذائكم
على ايذائكم اياهم فلا يتمكنوا من اخراجكم ولا اعادتكم الى ملتهم كيف ولنسكننكم
الارض التى ارادوا اخراجكم منها من بعدهم من بعد اخراجهم ولا يكون
اخراجهم مثل اخراج الرسل بل ذلك الاخراج لهم مع تسكين اعدائهم عبرة
لمن خاف مقامى اى قيامى بكمال الحكمة فى الاشياء وخاف وعيد على السيات
وكيف لا يكون الامر كذلك اذا استفتحوا اطلب الرسل النصر عليهم فنصروا
وخاب بهذا النصر كل جبار معتمد على قوة عنيد مع الله ورسله ولا ينتصر
على اعدائهم الدنيوى بل من ورائه جهنم وغاية ما يتلذذ به منها انه اذا غلب
عليه نار جهنم يسقى من ماء صديد يتبع مشرب اعتقاده واعماله ولا حسن بالشبهات
المتكلفة يتجرعه يتكلف جرعه ولتركه البراهين السائغة لا يكاد يسيغه لا يقرب
من اساغته بل يغص به ليطول عذابه واذا كان هذا غاية لذته فهو يجد
الشدة بانه الموت من كل مكان اى الشدة من جميع الجهات وما هو بميت
يتخلص عنها بالموت ولا ينقص عليه فى حينه بل من ورائه عذاب غليظ يشتد
كل يوم بحسب تفاصيل قبائحه وعظمها ولا تخفف اعمالهم اذ مثل الذين كفروا
صفتهم العجيبة فى عدم انتفاعهم باعمالهم لكفرهم بربهم الذى رباهم اذ الكفر



بالمربى موجب لمزيد غضبه فهو محرق لاعمالهم لذلك اعمالهم من الصدقة وبر
الوالدين وصلة الرحم وعتق الرقاب واغاثة الملهوف كرماد ولا ينالون
من ذلك المحرق ايضا لانه اشتدت به الريح لاشتداد القهر الالهى بهم فى
يوم عاصف وصف الظرف بوصف المظروف مبالغة وهو مثال يوم القيمة يظهر
الله فيه بغاية القهر والشدة فان امكن ان ينال شئ من الرماد مع عصف الريح
فهولاء لا يقدرون مما كسبوا على شئ وان كان كالمقبوض لهم اذ ذلك الكفر بالمربى
من الضلال البعيد الذى يبعد به الشخص عن اقرب الاشياء اليه الم تر يا منكر
كونه ضلالا بعيدا ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة الثابتة ليعرف
فيعبد وينعم فيشكر فاذا فعلتم ما يناقض حكمته فى خلق العالم بعد ضلالكم اوجب
غاية القهر عليكم مع القهر غاية لطفه فى ذاته لذلك ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد يراعون حكمته فيلطف بهم ولا يبعد عليه ذلك فانه ما ذلك على الله بعزيز
فلا يعز عليه اذهاب اعمالكم وانما لم يشا ذلك لانه اراد ان يفضحكم بين الخلائق
مزيد فضيحة باعترافكم بابطال حكمته فيكم وفى اتباعكم اذ برزوا اخرجوا من قبورهم
لله لامره الارادى بعد مخالفتهم امره التكليفى جميعا فقال الضعفاء وهم الاتباع
للذين استكبروا على الرسل خوف ذهاب متبوعيهم انا كنا لكم تبعا فكانكم الزمتمونا
الكفر فهل انتم مغنون دافعون عنا من عذاب الله من شئ بعد شئ قالوا
لم نخبركم شيئا لم نرضه لانفسنا فصد العذاب لكم لو هدينا الله لهديناكم ولا يمكننا
منا تخليصكم اذ سواء علينا اجزعنا ام صبرنا لاستعقاب
الفرج بل اى حيلة تمسكنا بها ما لنا من محيص فكيف يتاتى منا تخليصكم وقال
الشيطان الذى هو متبوع متبوعيهم حين اجتمع الناس على لومه لما قضى الامر
اى بعد دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم على
السن رسله بالبعث والجزاء وعد الحق الصدق باقامة البراهين مصدقة
لقدرته على تصديقه ووعدتكم على لسان الوسواس بعدهما حكم السلطان

وعد الكذب مكرا فاخلفتكم مع
جهركم من منع البعث والجزاء
وما كان لى عداله دلائل الحكم
على البواطن صح

على الظواهر وما كان لي عليكم من سلطان يحكم على ظواهركم او باطنكم الا ان دعوتكم
اي مجرد دعوة بالوسواس فان كان الوسواس دليلا فهو المستثنى فاستجبتم
لي مع معرفتكم بعداوتي لكم ومكري عليكم وعجزي عن وفائي وعدي وتركتم
استجابة الله وقد علمتم انه وعدكم لمغفرتكم ورفع درجاتكم فلا تلوموني فانه لا
لايلام العدو بالمكر على عدوه ولوموا انفسكم باطاعة العدو الماكر وترك
طاعة الرب الرحيم ثم يقول قول سائر المتبوعين في عدم تحمله شيئا من العذاب
وما انا بمصرخكم مغيثكم بتحمل شيء من العذاب وما انتم بمصرخي وان كنتم تجوزون
واجبكم فقد انقطعت تلك المحبة التي كانت باشراككم اياي اني كفرت بما
اشركتمون من قبل وان كنت به راضيا فلا ارضى به اليوم لئلا ازداد عذابا
اذ الشرك ظلم عظيم فلا استمر عليه ان الظالمين لهم عذاب اليم ويزداد
عذابهم شدة بازدياد اعدائهم راحة اذ ادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات وهي موجب راحة وقد تاكدت بكونها تجري من تحتها الانهار ثم ازدادت
بكونهم خالدين فيها ثم تاكدت بكون ذلك باذن الله ربهم الذي يحبهم وليس
بين اهلها ما يكون بين الكفار والفساق من العداوة في النار بل تحيتهم اي
تحية من فيها من الاتباع والمتبوعين وغيرهم فيها سلام يزدادون به لذة لا
ملام يفضي الى الالام وان استبعدت هذه اللذائذ الموفية على الكلمة اليسيرة
والالام الغير المناسبة على الكلمة اليسيرة ايضا قيل لك الم تر ايها المستبعد
ذلك في الغائبات ما يماثلها في الشاهدات كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
هي كلمة الاسلام في انها من حيث ثباتها في حضرة القرب منه وبيانها بالدلايل
القاطعة التي لا يتزلزل بشبهة وارتفاع درجاتها عنده وافادتها انواع الانعام
والاكرام كل حين كشجرة طيبة هي النخلة اصلها ثابت عروقها ضاربة في الارض
وفرعها افنانها مرتفعة في جهة السماء تؤتي اكلها ثمارها كل حين باذن ربها
بارادته التي لا تتوقف تاثيرها على سبب فلا تحتاج الى مثال ولكن يضرب الله

الكثيرة مح

الامثال للناس اي الذين نسوا تاثير ارادته لعلهم يتذكرون تاثير ارادته
في الغائبات بوجدان مثل ذلك التاثير في الشاهدات فلا يستبعدونها
ويتذكرون ان كلمة الاسلام مثمرة للمعارف التي لا يتناهى باذن الله وان لم يقصد
القايل وللانعامات من الاحوال والمقامات في الدنيا وانواع الثواب في
العقبى باذن الله من جوده من اجلها الجود على النخلة ومثل كلمة خبيثة هي كلمة
الكفر في انها يقلع المحبة من اصلها ولا يستقر صاحبها على امر ولا يرتفع له درجة وان
عمل من المكارم ما عمل كشجرة خبيثة هي الحنظل او الكشوث اجتثت اخرجت
جثتها من فوق الارض بلا اصل لها راسخ فيها ما لها من قرار ثبات على مغيتها فضلا
عن الفرع الصاعد الى السماء وكيف يستبعد ذلك وغايته انه يثبت الله الذين
آمنوا بالقول اي بقول الاسلام الثابت بالحجج في الحيوة الدنيا فلا يغلبون بحجة و
يحفظون انفسهم واولادهم وازواجهم واموالهم وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا
سئلوا عن معتقدهم في القبر ولا في الموقف ولا بد منهم اهوال القيمة ويضل الله
الظالمين اذا سئلوا عن حججهم ولا يثبتون في مواقف القيمة وكيف يستبعد ذلك
مع ظهور اسبابه ويفعل الله ما يشاء من غير سبب فان انكرت كونهم ظالمين قيل
لك الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله التي هي النطق الذي يمكن صرفه الى كلمة التوحيد
كفرا كلمة كفر والدعوة اليها بحيث اهلكوا انفسهم وقومهم اذ احلوا قومهم بعد انفسهم
دار البوار الهلاك لكونها جهنم فانها بقي في الهلاك لو لم يصلوها لكنهم يصلونها
ولا يقتصر عليه في حقهم بل يعرفون فبئس القرار كيف ولم يقتصروا على تبديل النعمة
بل بدلوا المنعم ايضا اذ جعلوا لله اندادا لا لاستزادة النعم بل ليضلوا عن سبيله
وهي اعتقاد ان جميع النعم من الله فان اصروا على القول باستزادتهم النعم بهم قل
غايتها التمتع الدنيوي المستعقب للانتقام الابدي تمتعوا فان مصيركم الى النار
التي لا تفي الامها التلذذ بهذه النعم فان اغتر بتمتعهم عبادي قل لعبادي الذين
آمنوا يتمتعوا بما سوى الذين بتمتعهم في الدنيا والاخرة يقيموا الصلوة ليتمتعوا بمشاهدة

الرب فيها وينفقوا مما رزقناهم ليتمتعوا بخلق السخاء سرا وعلانية ليتمتعوا بدعاء
من سر عليهم وبدعاء من علم كرمهم وليس ذلك بخسران بل منع الفاني وتحصيل
رضوان الله فليحصلوا ذلك من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولو للامور الاخروية
ولا خلال ولا محبة تحصل الرضوان وكيف يحتاج في استكثار النعم الى الانداد
مع انها اما سماوية واما ارضية وهما لله اذ الله هو الذي خلق السموات والارض
وليسا موجدين للنعم ولا لاسبابها القريبة اذ الله هو الذي انزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات لبعض اسباب بقائكم اذ جعلها رزقا لكم وليس الانداد
اسباب انتقالها من مكان الى آخر لا يمكن نقلها اليه بدونهم اذ سخر لكم الفلك
لتجري بتلك النعم في البحر المانع من النقل بامره لا بامر الانداد وليست ايضا
اسباب تجديدها اذ سخر لكم الانهار لتجديدها بعد مضي الامطار وليست
ايضا اسباب تعطيش الاشجار لتحتاج الى استمرار الماء بها ولا نضج الثمار اذ سخر
لكم الشمس لتعطيشها والقمر دائبين لانضاج ثمارها ولا تعبد الانداد ايضا
النعم بالاحياء ولا الربح بالتجارة اذ سخر لكم الليل والنهار للتنعم بالاحياء
والتجارة ولا سائر ما تحتاج اليه اذ آتاكم من كل ما سألتموه بلسان الاستعداد
ولو نقص من الانداد نعم لا تكون بها انداد المن لا يحصى نعمه ان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ان الانسان بجعله لله اندادا لظلوم بجعل من قل نعمه على ند
صحته مثل من لا يحصى نعمه بل كفار بجعل بعض نعم الله للانداد واذكر لمن
انكر كون الانسان ظلوما اذ قال ابرهيم اي وقت قوله رب اجعل هذا البلد
الذي فيه بيتك الحرام آمنا لا يخرب الظلمة بيوت اهله الذين جاوروا بيتك
الحرام ومن اظلم ممن يخاف منهم ذلك ولمن انكر كونه كفارا وقت قوله اجنبني
وان كنت معصوما فلا آمن مكرك بان تظهر على العصمة مدة ثم ينقلني الى الكفر
وبني المولودين في حيوتي ان نعبد الاصنام رب انما دعوتك مخافة ضلالي
وضلال من يقتدي بهم خوارق العادية شياطينها الداعية الى الشر انهن اضللن

كثيرا

كثيرا من الناس فاذا اجتنبنا الى ذلك فلا احتاج الى سؤال عصمتهم عن
المعاصي ولا شيء آخر فمن تبعني في الاعمال الصالحة والانتهاء عن المعاصي
فانه مني بحكمه حكمي في النجاة ورفع الدرجات ومن عصاني في الترغيبات فانك
غفور لا يخلد في النار بل رحيم بالانجاء منها ربنا لو لم اخف ضلال ذراريها
فاني اخاف من فقر اولادي ان يتخذوها لكثرة الهدايا اليهم بسببها اني
اسكنت من ذريتي بعضها بواد غير ذي زرع فاني اخاف منهم مزيد الطمع في
الهدايا وان جعلتهم عند بيتك المحرم الذي يتوقع الاهداء اليه لكنهم قد لا
يكتفون بها ربنا لم اجعلهم في هذا الموضع المحظور لتحصيل تلك الهدايا التي
لا تحصل الا بوضع الاصنام بل ليقيموا الصلوة في ذلك الموضع الذي تضعف
اجرها فادفع عنهم الحظر فاجعل افئدة من الناس تهوي تميل اليهم
ليكثروا اهداياهم بحيث يغنيهم عن وضع الاصنام وارزقهم من الثمرات التي يأتي بها
التجار الى بلدهم فرخص عليهم لعلهم يشكرون نعم اقامتهم عند بيتك المحرم
بالصلوة فيها على كمال الاخلاص والتوحيد مع فراغ القلب ربنا انك
تعلم ما نخفي من طلب اقامة الصلوة في افضل الاماكن من ذريتي والشكر منهم
على طلب ميل القلوب اليهم ورزق الثمرات لهم وما نعلن من طلب ميل القلوب
ورزق الثمرات فلا شرف في سرها طلبنا ولا في اعلانه فهو اولى بالاجابة ولو لم
ندعك حصلته لنا لاطلاعك على احوالنا الظاهرة والباطنة فانه ما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء كيف وقد حصلت لنا ما هو اعظم من
ذلك الحمد لله الذي وهب لي من يقوم مقامي عند قرب ذهابي من الدنيا
عالما على الكبر المانع اسمعيل عند تسع وتسعين سنة واسحق عند مائة واثني
عشر سنة واذ دعوت بهوى القلوب ورزق الثمرات لمثل هؤلاء الاخيار
المستوجبين للحمد ولا ولادهما ان ربي لسميع الدعاء رب لما كنت داعيا لهم
بذلك لاقامة الصلوة والشكر بالجاه والمال اشغالا لهم عنها ربنا لو جعلت

فلا تجعل ذلك شاغلا لهم عنها بل
اجعلني مقيم الصلوة واجعل من
ذريتي من يقيمها ولا يعطل
صح

لكن
ذلك مانعا لهم عن الصلوة لم متقبلا لدعائي ولكن تقبل دعاء يجعل ذلك
معينا لهم في اقامة الصلوة والنسك ربنا اغفر لي ذنوبي المانعة من اقامتها
والقادحة فيها والحاصلة لي ولوالدي من طلب الجاه والمال لهم ولولدي
فلا تجعل ذنوبهما سارية الى اولادهم بجعلهم مكتسبين لها بسبب صحبتهم ولا تجعل
ذنوب بعضهم محسوبا على البعض الاخر يوم يقوم الحساب بطريق السراية
او غيرها فان زعموا انه ان لم يعلم الله اعمال الظالمين كيف يتم حسابهم حتى
يكون له يوم يقوم فيه وان علم فلا وجه لتاخير من اخذهم قيل له ولا تحسبن
الله من تاخير مواخذة الظالمين حتى لا يتم حسابهم ولا نسلم انه لا وجه لتاخير
مواخذتهم اذ لم نوخرهم ليوم مثل يوم المعصية بل انما نوخرهم ليوم من غاية
هوله وشدته انه بحيث تشخص يتحير فيه الابصار مع بقاء الاعين مفتوحة ومع
تلك الحيرة لا يقفون بل يسيرون الى المحشر مهطعين مسرعين ولا يكونون
في هذا السير ناظرين الى مواضع اقدامهم بل مقنعي رافعي رؤسهم الى السماء
انتظار نزول البلاء لا يرتد لا يرجع اليهم طرفهم من شدة الخوف كيف و
افئدتهم صدورهم هواء خالية عن القلوب لصيرورتها الى الحناجر وانذر
الناس اي الذين نسوا ذلك اليوم بعد تذكيرهم هذه الدلايل يوم الموت
اذ ياتيهم العذاب البرزخي فيقول الذين ظلموا بانكار ذلك حين ظهر
ظلمهم بكشف الحجب عن عالم الغيب ربنا اخرنا اخر موتنا الى اجل قريب بمقدار
اجابة الدعوة ومتابعة الرسل وقد اخرتنا الى هذه المدة لذلك لكن لم نفعل
فيها ذلك فان اخرتنا اليه الان نجب دعوتك الى الاقرار بوجودك و
توحيدك وصفاتك ونتبع الرسل في الشرايع فيقال لهم اتطلبون التاخير
من رؤية زوال نعمك وتبدلها بالعذاب وكانكم لم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال عن نعمكم ان كان هناك حشر لان الله تعالى لم يزل
منعما عليكم فلا يزال كذلك اعتقدتم ذلك وقد سكنتم في مساكن المتنعمين

يحملهم اسرارها والمومنين ان يسرى من بعضهم الى البعض فيجعلهم مكتسبين لها صح

غافلا عما يعمل الظالمون صح

الذين

الذين ظلموا انفسهم بصرف نعمهم الى غير ما خلقت له كعاد وثمود وتبين لكم
كيف فعلنا بهم من الانتقام بعد الانعام ولم يكن مخصوصا بهم اذ ضربنا لكم
الامثال بينا لكم امثالهم في الكفر والمعاصي ولا يدفعه مكركم بالقاء الشبهات
حذرا من لزوم الحجة وعند الله ما يزول به مكرهم بتقرير الحجة عليهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال اي الدلايل الثابتة العالية ثبوت الجبال وعلوها و
اذا رايت اهلاك الله للامم الماضية بالعذاب الدنيوي بعد الدعوى
لوعد الرسل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله بتعذيب اعدائهم العذاب
الاخروي نصرا لهم اذ لا ينكر عجزا لهم ولا رحمة عليهم ان الله عزيز ذو انتقام
من اعدائه نصرا لاوليائه ولا مانع منه انتقامه الذي فيه تبديل احوالهم يوم
تبدل الارض غير الارض بجعلها جهنم او بيضاء نقية لم يسفك فيها دم
ولم يعمل عليها خطيئة والسموات بجعلها جنانا كيف وهم اتم للفضيحة اذ
برزوا فيه بحيث لا يخفى على احد ما يجري على الاخر ولا ينفعهم اجتماعهم اذ يكون
بروزهم لله الواحد اي المتفرد بالكمالات القهار لكل ما سواه بالنقص
ومن حصوله فيهم بالمجرمين انك ترى فيه المجرمين يومئذ مقرنين مع
الشياطين في الاصفاد الاغلال اذ قارنوهم في الدنيا فغلوهم فلم يمشوا
في الايمان والعبادة سرابيلهم قمصهم مما يطلى بجلودهم من قطران دهن
الابهل والعرعر كالنفط اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة فيجمع عليهم
لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار اذ احاط بهم القبا
من كل جهة وتغشى وجوههم التي لم يتوجهوا بها الى الله ولم يستعملوا مشاعرها
في اوامره النار وليس على سبيل العبث بل ليجزي الله كل نفس ما كسبت
نفس الكافر بعذاب الكفر والفاجر بعذاب الفجور والمومن بفرح النجاة
والانتقام من اعدائهم ولا يطول تاخير عذابهم هناك بطول حسابهم
ان الله سريع الحساب هذا اي المذكور وان كان دليلا اقناعيا بلاغ

اذ قد مكروا مكرهم الذي بلغ غايته جهدهم بتحرير الشبهات صح

ع

كاف للناس لتذكيرهم من شيء كيف وهو كاف ليتذكروا به عن القبائح
التي اخذ عليها الاولون كيف وافل فوائد اخبار مواخذة الاولين
على الشرك ان يستعدوا ليعلموا انما هو اله واحد ولا يقتصر على منافع
القائمة للكل اذ يستعدون ليتذكر اولو الالباب منهم فوائد لا تحصى
تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد واله اجمعين سميت بها لاشتمالها
على قوله ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين الى قوله ما كانوا يكسبون الدال
على مواخذتهم بتكذيب الرسل والاعراض عن آيات الله بادنى وجوه
المواخذة مع غاية تحصنهم فعنه غاية تعظيم الرسل والايات وهو من
اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بجمعيته في آيات كلامه
الرحمن بتفصيل ذلك التجلي في كتابه الرحيم باجماله بعد التفصيل في قرآنه
المبين الر اي آيات لطائف الرقي او اسرار لزوم الربانية او انوار لباب
الرشد او الطاف حروف الرحمة تلك آيات الكتاب الذي فصل كلامه الازلي
فتضمن لطائف الرقي اليه او لزوم الربانية في التخلق باخلاقه او لباب الرشد
الى اسراره او حروف الرحمة بالاقامة في هذه المقامات وقرآن مبين افاد الاجمال
بعد التفصيل مجمل لطائف الايات مزيد الجمعية وللزوم الربانية اسرار
او للباب الرشد انوارا لافادته مزيد حصول في القلب يجعله كليا محفوظا له
وللحروف الرحمة الطافا فانا نعتبا ولهذا الكتاب لا بد وان يفيد شيئا شيئا
من مفصلاته او مجملاته والكفر به اضداد الجميع لذلك ربما اي في بعض احيان
افاقتهم عن سكر هواهم فيه يود الاسلام الذين كفروا ولا ينالونه بل غايتهم انهم
يتمنون لو كانوا مسلمين فلا يكون لهم هذا التمني الا في بعض الاحيان فضلا
عن مدرك المتمنى ولكنهم لا يعلمون الآن مع ظهوره لاشتغالهم بما كلهم ذرهم
يأكلوا ولا يحصل لهم سوى تمتع قليل فذرهم يتمتعوا ويعلمون عدم بقائه لكنهم

يتمنون انهم لو يحشروا الا يحصل لهم مثله فذرهم يلههم يشغلهم الامل بلا سند فسوف
يعلمون منتهى املهم وهو الهلاك الابدي وقد سمعوه الآن لكن ما اهلكنا من
قرية الا ولها كتاب اجل مكتوب معلوم مقدر ليتاملوا فيه في اسباب الهلاك
ليتخلصوا عنها وهو وان علم انهم لا يتاملون فيها لا يعجل اهلاكهم كما انهم اذا تاملوا فيها
عند انتهاء الاجل لا يؤخر عنهم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون للزوم الحجة
وارتفاع الاعذار ولعدم تاملهم في الايات المعجزة قالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر المعجز انما عجز عن كلامك العقلاء لانه كلام المجانين انك لمجنون وغاية
ما فيه من الحسن انه كلام جني تعلق بك وزعم انه ملك نازل عليك بالوحي
من الله فان صح لوما هلا تاتينا بالملئكة لنعلم انهم ملئكة ان كنت من الصادقين
في زعمك انه وحي وانه ياتيك الملك من الله تعالى ما ننزل الملئكة الا بالحق
بالحكمة ولا حكمة في جعل الكل اصحاب الوحي ولا يكون حينئذ رسول ومرسل
اليه على ان ظهورهم يكون كالملجئ الى الايمان فلا يفيد الايمان بعد ولذلك
ما كانوا اذا منظرين وكيف يكون هذا من تنزل الشياطين مع غاية عظمته
بل انا نحن نزلنا من مقام عظمتنا الذكر المعجز للجن والانس فيدل على امتناع
تبديله انا له لحافظون اذ نظهر تبديله لكل ذكي ولا بعد اتفاقهم على نسبة
الجنون اليك بما اتيت من الكلام المعجز من غاية كمالك فانهم شيعة الكفر الماضين
فانه لقد ارسلنا من قبلك في شيع اي فرق الاولين والرسل يجب ان يحيط بعقول
المرسل اليهم ومع كونهم فرقا مختلفة ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون باتفاق
منهم على نسبة الجنون او غيرها اليه ولا بعد هذا الاتفاق منهم مع كونهم عقلاء
اذ كذلك اي مثل هذا الخيال الفاسد نسلكه بواسطة الشياطين في قلوب
من ناسبهم من المجرمين فهم وان تعارض خيالهم دلائل واضحة لا يؤمنون به
بمقتضى سنتهم على الاصرار في العناد وسنتها على اهلاكهم فلا بعد ان يلحقهم من
السنة كيف وقد خلت سنة الاولين عن المعارض لها فلا بد من وقوعها

ولا يتركون الاستهزاء بالرسل وان اتيتهم الآيات التي تشبه الملجئة فانها لو
فتحنا عليهم اي على هؤلاء المستهزئين بابا من السماء فظلوا فصاروا طول نهارهم
فيه يعرجون يصعدون مستوضحين لما يرونه لقالوا انما سكرت حيرت ابصارنا
ولا يختص السحر بابصارنا ولا يوقف الصعود ولا بهذا النوع بل نحن قوم مسحورون
بكليتنا في كل وقت لكل نوع وكيف يؤثر السحر في السماء وهي المؤثرة على الاطلاق
فانه لقد جعلنا في السماء بروجا يؤثر ولا تتأثر وكيف يؤثر في الابصار مع انا
زيناها للناظرين فلو اثرت في الابصار لبطلت زينتها عن نظرها ولو كان
التأثير في تخييل الصعود فقط فلا يتصور الا بصعود الشياطين بالابصار
طول النهار لكن حفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق من الشياطين
السمع من الملائكة السماوية فانه وان صعد لا يمكنه الصعود طول النهار فانه بمجرد
ما صعد يرجم فاتبعه شهاب شعلة نار مبين ظاهر فيحترق او يرجع سريعا على
ان الصعود انما يحمل على الصعود السحري لو استحال في ذاته وامتناعه في عموم
الناس لا يدل عليها اذ هم كالارض والخواص كالجبال والارض مددناها
ليلازم السفل والقينا فيها رواسي يلازم الارتفاع وثمة ارتفاع معنوي
لبعض الاحجار على بعض اذ انبتنا فيها من كل شيء من الجواهر موزون
يوزن مخصوص بقيمة عظيمة وكيف يحمل على السحر باستحالة النبوة مع انها
الى الوجوب اقرب اذ جعلنا لكم فيها معايش يقع فيها النزاع ولا يرتفع
الا بشرع اتى به شارع من عند الله ولو اكتفيتم في قطعه بالعقل فيما تقصر
عن مدارك الشرع اذ قد يعطي الشرع من لستم له برازقين كالبنت التي منعتموها
الارث وقد اعطاها الشرع نصف ما اعطى الابن ولا يدل عدم ادراككم
لمقام النبوة بالذوق على عدمها لانها اجل من ان تصلوا اليه وهو كالاشياء
الحسنة لا يحصل لمن ليس من اهلها لا لعقود منا لانه ان من شيء الا عندنا
خزائنه اخرجها اسرارنا ولكن لعدم استعدادهم لانه ما ننزله اي المخزون

في اسمائنا الى عالم الشهادة الا بقدر معلوم بمقدار استعدادات حقائق المحل
لكيف نزل الذوق اجل الاشياء على ادناكم والنبوة وان لم يحصل لكم ذوقها
يحصل لكم آثارها اذ يحصل بسببها للعلماء انواع العلوم فارسلنا عليهم ارسلنا
الرياح لواقح تلقح السحاب اي تجعلها حوامل بالماء وذلك ان السحاب بخار
يصير باصابة الهواء البارد حوامل للماء كيف وانزال العلوم عليهم سبب حصولها لكم
فانزلنا اي فهو كما انزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وليست تلك العلوم مما
يحصل بالفكر او بكشف الرهبان من الكفرة فهو كماء السماء وما انتم له بخازنين
وكيف يحصل لهم بطريق الفكر او بطريق الرهبانية الباطلة مع ان بها الاحياء
والاماتة المعنويين ومعاني سر اختصاص بالله كالحسيين وانا لنحن نحيي ونميت
ولكونه منا يرجع الينا رجوع الميراث اذ نحن الوارثون وليس احياؤنا و
اماتتنا على سبيل التحكم فانا لقد علمنا المستقدمين الطالبين للتقدم بالفضل
والقرب منكم فاحييناهم ولقد علمنا المستأخرين فامتناهم وسنح العلوم
وان كانت سبب التقدم فلا يؤثر في المستقدمين فضلا عن غيرهم الا ان ربك
هو يحشرهم اليه فيفيدهم التقدم بفضله لا على سبيل التحكم بل لطلبهم التقدم
انه حكيم والكل وان كانوا طالبين للتقدم الآن فلا عبرة به وانما هي بطلب
الحقائق العلمية باستعدادها لانه عليم ولا يبعد عليه تقريب طالب البعد ولا
ابعاد طالب القرب فانا لقد خلقنا الانسان المستحق لاعلى مراتب القرب من
امر له غاية البعد صلصال من الطين اليابس المصوت من حمأ طين رطب
مسنون منتن وكان في غاية البعد ثم قربناه نوع تقريب لم ينل تقربه و
الجان الذي فيه من استحق غاية البعد خلقناه من قبل اي قبل الانسان
فكان اكثر عبادة لله مع كونه من اعز العناصر لكونه من نار السموم الحار الشديد
واذكر لمن تشكك في تقريب الانسان وابعاد الجان اذ قال ربك للملائكة
الذين هم اعز خلقه قبل الانسان اني خالق بشرا لا يستحق العزة لانه كيف

سنح العلوم صح

وهو من أخس الأشياء من صلصال هو من أخس منه لأنه من حمإ
مسنون ثم أشار إلى قربه الموجب لتفضيله عليهم فقال فإذا سويته عدلت
مزاجه فقربته من الوحدة المناسبة لوحدتي ونفخت فيه من روحي الفائض
من جودي لا من جهة العقول والنفوس فقعوا له ساجدين اعترافا بفضله
عليكم وكان أمرا بعموم الملائكة ومن كان في حكمهم كإبليس فسجد الملائكة كلهم من
غير استثناء أجمعون من غير أن تأخر بسجود البعض عن البعض إلا إبليس
لم يقتصر على التأخر بل أبى أن يكون مع الساجدين وإن كانوا أفضل منه
لتذللهم بالسجود قال تعالى يا إبليس ما عرض لك فألزمك أن لا تكون مع الساجدين
فإنه لا ذلة لك فيما شاركت فيه الأعزة قال لم أكن لأشارك الأعزة في تذللهم
لأدنى الأشياء فلم أكن لأسجد لبشر هو ذليل في نفسه مع مزيد ذلة بمادته
إذ خلقته من صلصال من حمإ مسنون فتعظيمك إياه بإفاضة الروح
منك لا يعارض الخسة من هذه الوجوه قال تعالى إذ نظرت إلى خسة مادته
وظاهره بعد ما رفعته وعظمته وأمرت أعزة عبادي بالتذلل له فلم تشاركهم
فاخرج منها من طائفة الملائكة حكما فلم يبق لك من عزتهم شيء فإنك رجيم بالبعد
وليس على قدر الاستحقاق بل إن عليك اللعنة أي الإبعاد الكلي الموجب لغاية
الذلة إلى يوم الدين فلا يمكنك اكتساب العزة في دار الدنيا التي هي مزرعة
الآخرة قال رب إن لعنتني فلا تعالجني بالعقوبة فأنظرني إلى يوم يبعثون إذ
لا يتصور إنظار للعين بعده قال إذا طلبت مني الإنظار دون العفو
والرجوع إلى أمري فإنك من المنظرين لا إلى وقت البعث إذ لا بد من رد شيء
من دعوتك فغايته إنظارك إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى التي
يفنى عندها نوع الإنسان قال إبليس رب بما أغويتني بالنظر إلى المادة الجسمانية
دون الروحانية فرجحت لي باطل رأيي وإن لبسته عن رتبة الملائكة لأزينن لهم
الأشياء الباطلة لأجعلهم راسخين في الأرض التي هي مادتهم الخسيسة لا أدعهم

بالبعد

إلى الجنة ولا أقتصر على التزيين بل لأغوينهم أجمعين فلا يتم مقصودك من خلقهم
إذ خلقتهم لمعرفتك وعبادتك إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم
من أهويتهم إذ لا أقدر على إبطال مرادك بالكلية قال الله تعالى أي إغواء البعض
وإسداء البعض لا يخل بحكمتي إذ هو صراط دليل عليّ لدلالته على سلطنتي وقهري
ولطفي بالمعجزة تارة والإسداء أخرى فهو مستقيم في الدلالة على جميع كمالاتي
بخلاف مجرد الإسداء فإنه لا يدل على جميع كمالاتي بل فيه ميل إلى جانب ولا يظهر
لك في إغوائك سلطنة تعارض بها إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
تقهرهم على الإغواء به فلا تغوي إلا من اتبعك لكونه من الغاوين المطبوعين
على الغواية وإن جهنم لموعدهم أجمعين لأن غوايتهم إنما كانت بترك متابعة
الدليل مع متابعة الأهوية الباطلة لغلبتها عليهم ولاعتياد الغالب منها في
الاعتقادات لها سبعة أبواب جهنم لعصاة المؤمنين ولظى لليهود والحطمة
للنصارى والسعير للصابئين وسقر للمجوس والجحيم للمشركين والهاوية للمنافقين
وهؤلاء وإن كان في كل منهم أهوية مختلفة لكل باب منهم أي من مجموع الغواة
جزء لأنه مقسوم بقسمة الغواة باعتبار الأصول إذ لا ضبط للفروع ثم
أشار إلى أن إبليس وإن كان سبب تعذيب الغواة فهو سبب رفع درجات
المتقين إن المتقين الذين توقوا عما يدعوهم إليه في جنات بإجابتهم الله
بالعبادة التي تقيهم عن المعاصي وعيون بالمعارف الحاصلة لهم عن التصفية
الحاصلة عن العبادة ولكمال صفائهم تقول لهم الملائكة ادخلوها بسلام
بسلامتكم عن أمراض النفوس آمنين ولصفائهم نزعنا ما في صدورهم من
غل حقد كان لبعضهم على بعض حتى صاروا إخوانا يتلذذ بعضهم بصداقة
بعض كيف لا تذلل في صداقتهم لكونهم على سرر ولا يغار بعضهم على بعض
مما حصل له من المنزلة الرفيعة لكونهم متقابلين يتلذذ بعضهم برؤية وجه بعض
كيف والغل والغيرة نصب وهؤلاء لا يمسهم فيها نصب تعب كيف وهو إخراج لهم

سلطانا بحو

وهم وإن طبعوا على الغواية صح

عن مضرة المعاصي

من الجنة معنوي وما هم منها بمخرجين لا حسا ولا معنى ولما ذكر ان جهنم موعد
جميع الغواة وجعل الجنة للمتقين ايس المذنبون من المؤمنين فازال ياسهم
بقوله نبئ اعلم عبادي المؤمنين اذا ايسوا لذنوبهم اني انا الغفور للذنوب لا
يغفرها ملك غيري لاني انا الرحيم واذا اخذهم الامن من ذلك نبئهم ان عذابي
من العذاب الاليم بحيث لا يستحق ان يوصف عذاب غيره بالاليم وان بالغ
فيه غاية المبالغة واذا انكروا الرحمة من المعذب او العذاب من الرحيم نبئهم
عن ضيف ابرهيم انهم جاؤا للتبشير ولتعذيب قوم لوط مع ان فيه اشارة
الى انه لا ينبغي ان يخاف مما يتوهم فيه الامن ويرجى فيما يتوهم فيه الخوف فانه
خافهم ابرهيم فاذا هم مبشرون ثم سالهم فاذا هم معذبون للقوم المجرمين وان من
خاف الذنوب يبشر ومن لم يخفها عذب اذ دخلوا عليه فخافهم ابرهيم فقالوا
سلاما طلبا منهم امان الخائف من الذنوب فلم يامنهم بل قال انا منكم وجلون
كما لا يامن التائب من المعاقبة بعد التوبة قالوا لا توجل فانا وان كنا ممن توجل
منهم ما جئناك بخوف انا نبشرك بغلام عليم يقوم مقامك فلم يعتبر بشرهم
اذ كان بعد خروج الوقت كالتوبة حال النزع قال ابشرتموني ببشارة عالية
على ان مسني الكبر المانع عنها فبم تبشرون وبشارتكم ان كانت سببا فالسبب
لا يؤثر مع المانع قالوا ما جعلنا البشارة سببا بل بشرناك بالحق اي بفعل
الحق الذي لا يمنعه مانع فلا تتوقف في بشارته الا قانط فلا تكن من القانطين
قنوط المحتضر عن التوبة قال ومن يقنط من رحمة ربه وان كان على خرق العادة
الا الضالون عن قدرته على ما لا سبب له او ما المانع فيه موجود ثم لما علم
انه يكفي للتبشير واحد وهم جماعة قال فما خطبكم شانكم العظيم الموجب لاجتماعكم
ايها المرسلون مع ان المرسل الواحد للبشارة كاف قالوا انا ارسلنا الى
اهلاك قوم قوم لوط لكونهم مجرمين بانواع الجرم فنعذبهم بانواع العذاب الا
ال لوط لا نعذبهم بشيء منها انا لمنجوهم اجمعين عن انواعه الا امراته فانها وان

وان خرجت مع اهله من مكان العذاب قدرنا كونها في مكان المعذبين انها
لمن الغابرين الباقين معهم في اعتقادهم هذه الاعمال كثيرة يحتاج الى كثرة
العاملين منافي السنة الالهية وان كان كل منا صالحا للتبشير والتعذيب لكن
اذا توجهنا الى جهة فلا ياتي خلافها في تلك الحالة بتلك السنة ولما كان الانجاء
قوم لوط لم يكن لهم بد من مجيئهم اليهم ليعلموهم سبب نجاتهم ولما كان الانجاء في
الخوف لم يكن بد من تلك الحالة فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
نخاف منكم نادرة وعليكم اخرى قالوا لسنا ممن تخاف منهم ولا عليهم بل ما
جئناك بما كانوا فيه يمترون يشكون وهو العذاب الموعود واتيناك بالحق
الفصل بين اهل الحق والباطل لانجاء الاولين واهلاك الاخرين ذ
لبث منع الدعوى منا كاذبة لتسليتك وتخويف قومك وانا لصادقون نظهر
صدقنا باعمار قومك فلا بد من وقوع [illegible] ولا يحصل الا بخروجك عن مكانهم
فاسر فاذهب باهلك بقطع بجزء من الليل ليكونوا على غفلة من ذهابكم
فتقدمهم واتبع ادبارهم كن على اثرهم لان خروجك منهم سبب تعذيبهم فلو تبعت
اخذ العذاب من خلفك ولكن خروجك باهلك عنهم ظاهرا وباطنا لا يلتفت
منكم احد الى ما يصيبهم فيصيبه مثل ما اصابهم لمحبته ولا تنظروا في الطريق من
جزع ما اصابهم بل امضوا الى ان تصلوا حيث تؤمرون اي مكان تؤمرون
بالوصول اليه وان بعد واكدنا عليهم الامر بالامضاء اليه اذ قضينا حكمنا
جزما حتما اوحينا اليه ذلك الامر القطيع الذي يجب ان يتباعد عنه غاية التباعد
وهو ان دابر اخر هؤلاء مقطوع لئلا يبقى منهم من يحمل اسرارهم مصبحين داخلين
في وقت الصبح وان كان وقت الرحمة ليغلب عليهم عذابا فيه التخويف مما يتوهم
منه الامن وذلك لاستبشارهم بفعل المعاصي حتى جعلها الله سبب عذابهم
فانه جاء اهل المدينة الذين حولهم نعمرها بابقاء النسل يستبشرون بما فيه خرابها
فكان استبشارهم سبب هلاكهم فكيف وقد قصدوا بذلك اهلاك عرض لوط

ما قلنا هم

لعلهم صح

الذي نزل منزلة الملائكة بالاساءة الى اضيافه لذلك قال لهم لوط ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون بالاساءة اليهم فان الاساءة اليهم فضيحة للمضيف واتقوا الله
في الاساءة اليهم ولا تخزون لا تخجلوني فيهم قالوا انك تفضح نفسك بجعلهم
ضيفك اتجعلهم ضيفك بعد ما نهيناك كانا امرناك به ولم ننهك عن ان يضيف
احدا من العالمين قال انما نهيتموني فيما يجب ان انهاكم منه لما فيه من تخريب
بلدكم مع انه لا بد على صب الماء من لوازم بقاء القوم هؤلاء بناتي انكحوهن اياكم ان كنتم
فاعلين صب مائكم فصبوه عليهن ليحصل لكم من نسلكم من يتم مقامكم ويعمر
بلدكم قالت الملائكة لعمرك يا من يعظمهم بما فيه تعمير بلدهم وبقاء قومهم انهم لا يسمعون
موعظتك انهم لفي سكرتهم شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم يعمهون يتحيرون فلا
يفهمون ما يقول لهم فلما لم يسمعوا منه النصيحة المبقية لهم اسمعهم الله الصيحة
المهلكة لهم فاخذتهم الصيحة مشرقين اي وقت اشراق نور الشمس ليمحو نور وقت
كمال الحيوة لتضييعهم صورة مائهم فجعلنا من تلك الصيحة المحركة للارض عاليها سافلها
لجعلهم الرجال العالين كالنساء السافلات وامطرنا عليهم لامطارهم على
الرجل مياههم ليبقى جمادا وجمد بعد الرطوبة حجارة من سجيل طين كان رطبا
فتحجر لرجمهم على لواطهم ويبس من الغضبة للتفكه بسماعها بل ان في ذلك
لآيات من امن الخائف وهلاك الآمن وانقلاب المتلذذ مولما للمتوسمين
الناظرين بطريق التفرس في الآيات فلم يغب عن اهل العصر انها سنة
الآيات لبسبيل مقيم اي لموجود في سبيل مستقيم للقوم ان في ذلك اي في
جعلها بسبيل مقيم لآية عبرة للمؤمنين بما يسمع ويرى بان من فعل مثل فعلهم
استحق مثل نكالهم وكيف لا يعتبرهم وقد جعل مثلهم اصحاب الايكة ان اي
انه كان اصحاب الايكة قوم شعيب لظالمين بنقض حكمة الموازنة ظلم قوم
لوط بابطال حكمة المناكحة بل دون ذلك فانتقمنا منهم بما انتقمنا من قوم
لوط من الصيحة وفضحناهم مثل فضيحتهم انهما لبامام مبين طريق واضح و

من جبرئيل صح

متمم خ



بنقض صح

لا يختص حكمة الموازنة والمناكحة بل يكفي فيه تكذيب الرسل فانه لقد كذب اصحاب
الحجر وهم ثمود المرسلين اي صالح القائم مقام جماعتهم ويكفي في تكذيبهم انا آتيناهم
آياتنا فكانوا عنها معرضين وانما لم يبالوا بالآيات لتحصنهم اذ كانوا ينحتون من
الجبال بيوتا ليصيروا آمنين من نقب اللصوص وتخريب الاعداء والانهدام
لكن لم يغنهم الامان عن الصيحة فاخذتهم الصيحة مثل صيحة قوم لوط وشعيب
اذ لم يسمعوا حكمة الله في الارسال واظهار الآيات مصبحين وقت توقع الرحمة
لبدو النور وهو وان كان مما يصون من الآفات لم يصنهم لعدمهم كمال يصنهم
بيوتهم من آفة الصيحة فما اغنى دفع عنهم ما كانوا يكسبون من الابنية الوثيقة
ولا من البر [illegible] الخلق ولو لم نواخذهم بهذه الآيات لاخذناهم بآيات الآفاق
فانا ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق بالحكمة الثابتة التي لا تقبل
التغير وهي الاستدلال بها على الصانع وصفاته واسمائه وافعاله ليعرفوه
فيعبدوه فاذا اخلوا بذلك اخذناهم ولو لم نواخذهم بها في الدنيا اخذناهم
في الآخرة ان الساعة لآتية واذا كانت المواخذة بمشيئة الله في الوقت كالايمان عن
في الشخص فاصفح الصفح الجميل اعرض عن استعجالها وعن الزامهم الايمان لكن
دعوتهم لانك لست خالقا للعذاب ولا للايمان ان ربك هو الخلاق وهو
وان كان خلاقا بمشيئته فلا يشاء خلاف ما علم لانه العليم وكيف لا تصفح عن
الزامهم الايمان وانت غني عن ايمانهم لما اغنيناك عنهم فانا لقد آتيناك سبعا
سبع آيات من المثاني من سورة الفاتحة التي تكررت ولها لاشتمالها على معان
مختلفة اصلية وتكررت في الصلوة لما يتفرع فيها من تلك الاصول معان اخر
وآتيناك معها القرآن العظيم انما لفتناك على الخلق كله وهذا الغنى لا تمدن
عينيك الناظرين الى الآخرة والى الحقائق والى الله الى ما متعنا به من
الاموال ازواجا منهم اشخاصا صادوا بها منعوا عن هذا وحين لكثرة انفاقها عنك
وبعضها في سبيل الله فالذين يتبعونك بهذه الآيات والقرآن اكثر منفعة لك

ويحصل لك بهم من الغنائم اكثر من اموالهم ولا تحزن عليهم تركهم الايمان وان
كان ايمانهم مقويا للدين من كثرة اتباعهم فان الله يقويك بضعفاء المؤمنين
اكثر من تقويتهم بهم لان اموالهم ربما يعوقهم عن الجهاد بخلاف الضعفاء ولاستكبار
الاتباع اخفض جناحك اجعل يدك متواضعة للمؤمنين فانه يجذب الخلائق
بطريق المحبة اكثر من جذب المال عند المستكبرين وقل لمن لا يجذب بمحبتك
اني انا النذير المبين ان ينزل عليكم العذاب على تقسيمكم اوقاتكم على اسوية
مختلفة كما انزلنا من العذاب على المقتسمين القرآن الى شعر وسحر وكهانة
واساطير الاولين الذين جعلوا القرآن الذي كل آية منه جامع لوجوه الهداية
عضين اجزاء مختلفة من هداية وضلال فان تركناهم في الدنيا فوربك
الذي انزله لتربية الكل لنسألنهم اجمعين ولكن يسوءنا شدة عليهم بسماع
سؤالنا منهم عما عملوا فيه بل عما كانوا يعملون من الاسوية المختلفة التي جاء القرآن
ببيان فسادها واذا كان هذا السؤال يتوقف على البيان الكلي فاصدع
فافرق بين الاشياء لا يرتابك بل بما تؤمر واعرض عن المشركين بردائهم الغاء
فاعرضوا عليه بل استهزؤا به فلا تهتم لدفعهم انا كفيناك المستهزئين فضلا عن
استهزائهم اشار جبريل عليه السلام الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص
العاص بن الوائل فدخلت فيها شوكة فانتفخ رجله حتى صارت كالرحى ومات
واومى الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات واومى الى راس الاسود بن عبد
يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه الشوك
حتى مات واومى الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي وقد كانوا اهل الاستهزاء
لانهم الذين يجعلون مع الله الذي له كل الكمالات الها آخر مع ما فيه من
النقائص فان جهلوا الآن كونهم محل الاستهزاء فسوف يعلمون ولكنه يكاد
يسري جهلهم اليك فانه لقد نعلم انك يضيق صدرك فيظلم بما يقولون من

كلمات الاستهزاء وحقه ان يتسع بنور الله فلا يضيق بظلم آخر فسبح ليرد
بحمد ايزداد استنارة بحمد ربك بتخلق بكمالاته فتزداد اتساعا وكن
عند ذلك من الساجدين لا من المدعين الكمالات لانفسهم كيف و
كمالاتك في عبادته لذلك اعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي نور التجلي
الكلي الموسع لقلبك تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين و
الصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

سميت به لاشتمالها على قوله واوحى ربك الى النحل المشير الى انه لا يبعد ان
يلهم الله بعض خواص عباده ان يستخرج الفوائد الحلوة الشافية من هذا
الكتاب بحمل كلماته على مواضع الشرف وعلى المعاني المثمرة وعلى التصرفات
العالية مع تحصيل الاخلاق الفاضلة وسلوك سبل التصفية والتزكية وهذا
اكمل ما يعرف به فضائل القرآن وبدء به مقاصد بسم الله
المتجلي بذاته واسمائه باعتبار صورها وآثارها جمعا وتفصيلا فلا يتم في دار
الدنيا لانصرامها بل تمامه في دار البقاء الرحمن بافاضة الكمالات على الكل
فلا يتم الفرق بين البر والفاجر في الدنيا على العموم ولا بد منه فهو في الآخرة
الرحيم بانزال الروح الفارق على الخصوص في الدنيا لانهم بالمعنى في دار الآخرة
اتى امر الله بحقيقة شأن ظهوره التام الذي لا يتصور الا في القيمة بحق الماضي
لدلالة الدلائل العقلية والنقلية عليه فلا تستعجلوه لازالة الشك فيه اما
الدلائل العقلية فلانه تعالى سبحانه اي تنزه بذاته عن الشرك واذا كان
من لا يتنزه بذاته عن الشرك من الملوك يغضب على من اشرك به فينتقم منه
فالمتنزه بذاته اولى كيف وقد تعالى علت رتبته عما يشركون عن مراتب كل
شريك ومن اشرك باحد من لا يساويه غضب عليه وان لم يكن هلكا وكان
الشرك من نقاره فكيف من مواجل الملوك وبعدت رتبته عن مراتب
الشركاء واما الدلائل النقلية فلانه تعالى ينزل الملائكة المخصوصين بالروح

بالكلام الذي هو كالروح لكلام غيره وبعد الحجة الابدية من علوم المكاشفة
والمعاملة وغيرهما يجب العلم بالضرورة ان ينزل الله من امره كما ان الروح من امره
بل اعلى منه لان فيضان الروح يكون على الكل وهذا انما يكون على من يشاء
من عباده المنسوبين الى هويته لا لاضلال الخلق بدعوتهم الى انفسهم بل
ليقولوا لهم ان انذروا الناس من استقلال الالهة بالتاثير من حيث انه لا اله الا انا
والمتوحد بالالهية متوحد بالتاثير فلا اثر للاسباب وان كان هو مؤثرا عندها
فاتقون خافوا تاثيري بالذات ولا تخافوا الغير الا بواسطتي وكما لا يساويه
غيره في ذاته لا يساويه في افعاله لانه خلق السموات والارض كن وانما خلقهما
بالحق اي ليظهر نور وجوده واذا لم يقصد من غيره خلقهما ولا ظهور النور
من وجوده فيهما تعالى عما يشركون في الافعال تعاليه في الذات ثم انه كما لا
شريك له يساويه لا شريك له ادنى لان الخلق وان كان ينقسم الى على وادنى
فله ان يجعل الادنى على فانه خلق الانسان من نطفة هي ادنى ليجعلها اعلى
فاذا هو خصيم مجادل في تمييز الحق من الباطل مبين لما يميزه باقامة الدلائل
ودفع الشبه على ان الادنى الذي لا يصير على انما خلق لحاجة الاعلى اليه يجب
ان يكون خالقه خالق الاعلى ابقاء لعلوه عليه ولذلك وجب ان تعالى الانعام
خلقها ابقاء لعلوكم اذ لكم فيها دفء ما يستدفأ به من اللباس والاكسية المتخذة
من اصوافها واوبارها واشعارها مما يدفع الحر والبرد فيحفظ اعتدال المزاج
الذي هو من اسباب العلو ومنافع بدفع الحوائج المذلة كالدر والنسل باعا
منها ومما يشتد اليه الحاجة دفع الجوع والعطش ومن يحصل منها بنفسها اذ منها
تأكلون لحومها وتشربون البانها ومنها ما يفيدكم مزيد علو عند الناس اذ لكم فيها
جمال زينة حين تريحون تردونها الى المراح بالعشي من المرعى وحين تسرحون
تخرجونها الى المرعى بالغداة فانه يحصل بذلك امتلاها في اعين الناظرين اليها ولكون
الجمال في الاول اظهر لانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع قدمه ثم اشار الى

فائدة

فائدة جامعة للحاجة والزينة فقال وتحمل اثقالكم فلا يبتذلون بحملها فهو زينة
لكم على انه محتاج اليه لانها تحملها الى بلد لم تكونوا بالغيه بتمامه مع تلك الاثقال
الا بشق الانفس ان ربكم انما خلقها رأفة بكم بدفع المشقة عنكم ورحمة عليكم بافادة
الزينة لكم ان ربكم لرؤوف رحيم فلو شكرتموه زادت رأفته ورحمته بكم ولو
كفرتموه بنسبتها الى غيره زاد غضبه ثم اشار الى ما هو تام في دفع المشقة وافادة
الزينة فقال والخيل والبغال والحمير خلقها لتركبوها فيدفعوا بها مشقة السير
بالارجل وان كان دون مشقة حمل الاثقال بعينه مزيد الرأفة وزينة فوق
زينة الانعام فعنه مزيد الرحمة ومن مزيد رحمته يخلق لكم ما لا تعلمون فالادنى
لما خلق ابقاء لعلو العالي المنسوب الى الرب الاعلى يجب ان ينسب اليه
ايضا فلا شريك له مساو ولا ادنى واذا كان خالقا للانعام المذكورة
لدفع مشقة السير في طريق التجارة او الزيارة او غيرهما ولافادة الزينة
فمشقة الاخرة اولى بالدفع وزينتها اولى بالتحصيل كان كالواجب على
الله قصد السبيل بيان سبيل يجب ان يقصد دافع المشقة الاخروية ومحصل
زينتها وكيف لا يبينه مع انها ليست مستوية في الايصال الى ذلك اذ
منها جائر مائل ولكن لا يلجئ بيانه الى الهداية اذ لو شاء البيان الملجئ لهداكم
اجمعين فلم يكن ثمة طريق جائر اصلا فلم يحتج الى البيان فضلا عن الملجئ
وبيانه وان لم يكن ملجئا فلا ينقص عن قدر الكفاية في حق الكل لان نسبته
في الدفع الحسي والمعنوي واحد وقد كفى في الحسي اذ هو الذي انزل
من السماء ماء وكذلك انزل علما لكم منه شراب يسكن حرارة العطش
وكذا علمه يسكن حرارة الشوق الى المعرفة ومنه شجر فيه تسيمون دوابكم
وفي العلم ما ينتفع به النفس الحيوانية فلا يقبلها الهوى قبل الجوع للحيوان
وكما لا يقتصر في النبات على ما ينتفع به الحيوان دون الانسان اذ ينبت
لكم به الزرع الذي هو قوت الانسان والزيتون الذي فيه ادامه والنخيل

والاعناب اللذين فيهما مع ذلك مزيد اللذة ومن كل الثمرات التي هي
فواكه وادوية فكذا في العلم ما ينتفع به الروح والقلب بطريق القوت كالعلوم
العقلية وبطريق الادام كالمقدمات وبطريق اللذة كعلوم المكاشفة
وبطريق الفواكه والادوية من علوم المعاملة ان في ذلك في انزال المطر
لهذه الفوايد الدنيوية لآية على انزال العلم المفيد لهذه الفوايد لقوم
يتفكرون في سنته انها لا تخالف في الامور الظاهرة والباطنة ولا يكون
بانه ملجأ طرا بان سنته في الامور الظاهرة التي جعلها في غاية الظهور ان
تكون لها نوع خفاء لذلك سخر لكم الليل للاخفاء والنهار للاظهار وليس
بيانه في حق الكل على نمط واحد كما ان اظهاره للامور الظاهرة ليس
على نمط واحد في جميع الاوقات لانه سخر الشمس والقمر والنجوم فكان بيانه
في حق البعض كالشمس وفي حق البعض كالقمر وفي حق البعض كالنجوم وانتسب
الكل الى الله كما كانت هذه الكواكب مسخرات بامره فاستوى الكل في
نفس البيان استواء هذه الاشياء في نفس التسخير ان في ذلك لآيات
اشير الى بعضها بما ذكر لقوم يعقلون بالفعل فوق عقل المتفكر بالقوة والبيان
المنزل وان كان واحدا فلا يبعد ان يختلف باختلاف التوجهات فانه
سخر لكم ما ذرأ خلق لكم بحسب مقاصدكم المختلفة اعني بها وان كانت دينية
باختصاص كونها في الارض مختلفا الوانه فاختلاف الوجوه في الالهام الاعلى
بحسب اختلاف همم اهله اولى ان في ذلك لآية لقوم يذكرون فيستحضرون
المعقولات من المحسوسات بادنى ملابسة ليتقرر اسرارهما بأذهانهم و
كيف يبعد استخراج الامور المختلفة مما انزل مع انه البحر المحيط وقد جرت
سنته بذلك في البحر الحسي لتصيدوا منه السمك لتأكلوا منه لحما طريا
في غاية الرطوبة ليتفقوا بسهولة الغذاء ومن مثال ما تقوى الدين بادنى
تعب وتستخرجوا منه لآلي وجواهر تلبسونها حلية ومن مثال تحرير الادلة

غاية ما في ذلك من الصعوبة
شك صعوبة البحر الحسي

ولكنه سهل على اهله اذ
هو الله سخر البحر صح



التي تزين بها الدين وتستر بها عيوب الشبهات ستر الحلية عيوبكم اذ تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه اي شاقة من المخر ومن مثال لتدقيق النظر واشباعه
ولتبتغوا من فضله اي التجارة ومن مثال تحصيل الفوايد الزائدة على
مفهوم الاصل ولما كان البحر دليل ما ذكرناه لانه انما فعل ذلك لطلب الشكر
لعلكم تشكرون والشكر انما يكون بصرف النعم الى ما خلقت له وذلك ببيان ما
خلقت له وبيان النعم وبيان فوايد الشكر والبيان وان لم يتم مع تعارض
الادلة او النقض او المناقضة ففيه ما يستقر على اساس سنته في المحسوسات فانه
وان كان فيها ما يتحرك بعضها ما يفيد السكون فانه ألقى في الارض رواسي
كراهة ان تميد تتحرك بكم فاذا فعل ذلك بكم في الامور الحسية ففي العقلية بطريق
الاولى لان الضرر هناك اعظم وقد جرت سنته بدفع الضرر وقد جعل
في البيان ما لا يعرض له مانع كما انه القى في الارض انهارا ولو يعارض بعض
البيانات او وقع فيها نقض او مناقضة فقد جعل فيه طرقا مختلفة موصلة
الى المطالب كما انه جعل في الارض سبلا لعلكم تهتدون فاذا اعتنى بكم في
طرق الارض فهو اشد عناية في طرق الوصول اليه ومن عنايته بهدايتكم
في الارض انه جعل لها علامات وحيث فقدت العلامات الارضية
بالنجم هم يهتدون وكما انه يستدل بالنجوم حيث فقدت العلامات يستدل
بعلامة عدم الخلق على عدم الالهية لمن فقدها دلايل عدمها في حق الشركاء
أتطلبون دليل عدم الهية الشركاء مع انه لا خلق لهم أفمن يخلق كمن لا يخلق أ
تصرون على القول بالهيتها بعد جزمكم ان لا خلق لها فلا تذكرون وان
زعمتم ان الالهية لا تتوقف على الخلق بل على استحقاق العبادة ومن وجوه
فيها قلنا انما يستحقها المنعم شكرا على النعم فلو صح لغيره نعمة فلا شك انها محصورة
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فيقتضي ذلك استيعاب الاوقات في عبادته
شكرا على تلك النعم بحيث لا يبقى وقت لعبادة غيره والحكمة وان اقتضت استيعاب

لم يواخذكم الله بتركه ان الله لغفور رحيم ولكن لا يغفر لو عبدتم الغير ظاهرا
وباطنا اذ الله يعلم ما تسرون وما تعلنون ثم الاله ان لم يعتبر فيه الخالقية
فلا بد ان يعتبر فيه عدم المخلوقية وشركاؤكم ليسوا كذلك اذ الذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون بل هم دون كثير من الخلق اذ
هم اموات وهم وان تعلق بهم الشياطين غير احياء اذ الشياطين لا
يدبر ابدانها ولو كانت ارواحها فلا تصلح للالهية لجهلها بما يهمها من اعظم
للصالحين ومرهوب للطالحين لانهم ما يشعرون ايان يبعثون على انه يجب
ان يكون الاله متصفا باعلى الكمالات الذي لا يتصور فيه الشركة لذلك وجب ان
يقال الهكم اله واحد لكن انما يظهر اعلى كمالاته في دار الجزاء فيؤمن به من
يؤمن بجزائه فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة ان يكون له اعلى الكمالات
كيف وهم مستكبرون يجوزون ان يكون لانفسهم مثل كماله وهم وان لم يظهروا
ذلك لا جرم يجازيهم الله به ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من تجويز مثل كماله
لشركائهم كيف ولو لم يجازهم بذلك لكان محسنا اليهم وسوءا بما يحسن الى من يحبه
انه لا يحب المستكبرين مطلقا فكيف يحب المستكبرين عليه ويقربهم اليه باستكبارهم
ومن استكبارهم على الله انهم فضلوا كلامهم على كلامه فانه اذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم لتزينه وسلكم قالوا اساطير الاولين اي الاكاذيب التي سطروها ولم يحصل لهم
بذلك فضل على الله ولا على امثالهم الا في زيادة الوزر فكانهم قالوه ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيمة الذي يظهر فيه ثقلها ويزداد ثقلا انهم يحملون من اوزار
الذين يضلونهم وان كان اضلالهم او ضلالهم بغير علم بكونه معجزا لان اعجازه لا يخفى
على المتامل فهم مقصرون في ذلك فلا يعذرون في الجهل الا ساء ما يزرون لانه
انضم الى وزر استكبارهم وزر تقصيرهم ولو عرف المضلون اعجازه كان
قولهم اساطير الاولين مكرا منهم على من يضلونهم فهو اشد من اضلال الجهال قد
مكر الذين من قبلهم كنمرود بن كنعان بنى صرحا ليصعد الى السماء فيقاتل ربها

تلبيسا على الجهال مثل تلبيس هؤلاء بالصعود الى سماء كلامه المعجز الذي لا يكون
صعوبة الوصول اليه ادنى من صعوبة الوصول الى السماء ولا يكون في الاستحالة
دون استحالة مقاتلة الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتى امر الله باستئصال
بنيانهم من جهة دعائمه فتضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم فكذلك
تضعضع بنيان فصاحتهم وبلاغتهم اذا عارض وسقط جاههم كما جرى على
ابي العلاء المعري وغيره واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من جهة
ما امنهم لانهم اعتمدوا على قوة بنيانهم فكان سبب هلاكهم كذلك يعذب هؤلاء
بظهور عجزهم عند المعارضة ثم بعد ذلك العذاب يوم القيمة الذي تشتد فيه
الخزي يخزيهم بان يامرهم بمعارضة كلامه مع ظهور اعجازه للكل فيه ويقول اين
شركائي في كلامي البالغ اقصى مراتب الاعجاز الذين كنتم تشاقون فيهم تحملون
مشقة المجادلة في شانهم بجعل كلامهم معارضا لكلام الله قال الذين اوتوا
العلم بحقائق القران التي بها اعجازه ان الخزي التام في معارضة القران
اليوم الذي اجتمع فيه العالمون بالاعجاز والسوء سوء المعاقبة على تلك
المعارضة على الكافرين اي المستمرين على كفرهم الى وقت الموت الذين
تتوفاهم الملئكة الذين يظهرون اسرار اعجازه بظهورهم فيظهر كونهم ظالمي انفسهم
بدعوى مشاركة الله في كلامه المعجز فالقوا السلم الانقياد للقران وقالوا
ما كنا نعمل من سوء معارضة ولا انكار فيقول الملئكة بلى كنتم تبدون معارضته
وتصرون على انكاره ولا ينفعكم انكار ذلك بعد علم الله به ان الله الذي
اردتم معارضته وتكذيبه عليم بما كنتم تعملون في كتابه واوامره ونواهيه
فادخلوا ابواب جهنم بهذه الجهات خالدين فيها استيفاء للحيوة الاخروية
فيها استيفاؤكم للحيوة الدنيا في الكفر والاستكبار على الله بتجويز معارضة
كلامه لكم ولشركائكم فلبئس مثوى المتكبرين من بين مثاوي سائر الناس
من جهنم وبال على تكبرهم قول اهل الحق في مقابلتهم فانه اذا قيل للذين

اتبعوا القول بالباطل والمشكوك فيه والعناد والتكبر ماذا انزل ربكم ترتيبه
ربكم قالوا خيرا من كلام جميع المخلوقين لا تاتي لهم معارضته وفيه من فوائد
الهداية وغيرها ما ليس في غيره اذ فيه للذين احسنوا النظر فيه والعمل بما فيه
في هذه الدنيا التي شانها الحجاب عن الكمالات الحقيقية حسنة من العلوم
والكرامات ولا ينقطع عليهم بذلك فوائدهم الاخروية بل لدار الاخرة
خير في تحصيلها مع ان دار الدنيا ليست لهم وانما لهم الاخرة لانهم خيار
خلق الله ولنعم دار المتقين الاخرة واقل ما فيها من الخيرية انها جنات
عدن اي اقامة وان كانوا لا يزالون يدخلونها اي يدخلون درجات القرب
والعلو فيها اذ تجري من تحتها الانهار من العلوم والكرامات والمقامات
وكيف لا يزداد مراتبهم مع انه لهم فيها ما يشاؤن من المراتب العالية وهي
ان كانت فوق قدر استحقاقهم لكن كذلك يجزي الله المتقين اي الذين وقوا
انفسهم عن النقائص الاخروية كيف ولا يطيب انفسهم بدون ذلك ولا بد
من تطيبها في الحكمة لانهم الذين طيبوا اعتقاداتهم واعمالهم الى حين الموت
تتوفاهم الملئكة طيبين لذلك طيب الله موتهم اذ يقولون لهم عند قبض
ارواحهم سلام عليكم لا يلحقكم مشقة بنقص ولا بعزم بل بدل مشقاتكم التامة
لذات ادخلوا الجنة التي لا مشقة فيها بما كنتم تعملون من الاعمال الشاقة
انقلبت عليكم لذات ولا يزال يزدادون لذة فلا يجدون نقصا بل لهم الابدية
الله لذة بالترقي عنه واذا لم يؤمنوا بهذا البيان الذي به اعجاز القرآن
هل ينظرون ينتظرون للايمان الا ان تاتيهم الملئكة الكاشفون لهم عن
ظلمهم او طيبهم او ياتي امر ربك بالجزاء عليهما ولا ينفعهم هذا الانتظار
اذ كذلك فعل الذين من قبلهم فلم ينفعهم ولم يكن ذلك ظلما من الله مع كونه
نافعا في نفسه فانه ما ظلمهم الله بابطال نفع ما هو نافع ولكن كانوا انفسهم
يظلمون باعتقاد النفع فيما هو ضار بنفسه فظهر ضرره لهم فاصابهم سيئات

ما عملوا على اعتقاد انها حسنات فلم تكن حسنات بل محبطة للحسنات
كيف وقد استهزؤا بما هو اصل الحسنات لذلك حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي احاط بهم جزاء استهزائهم ومن استهزائهم بالدين انه قال الذين اشركوا لو
كانت الافعال بارادتنا لكنا مشاركين له في ايجاد الافعال ولو كانت بارادة
الله لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا اذ لا ربوبية لاحد
منا ولا منهم ولا حرمنا من دونه اي من دون ارادته من شيء فلو عذبنا على
عبادة الغير والتحريم لكان ظلما مع انكم تقولون لا اظلم من الله تعالى فهذا
وجه استهزائهم فنقول مقتضى هذا ان لا يعذب الله احدا على الشرك و
التحريم لكنه منقوض بتعذيبه الامم الماضية عليهما اذ كذلك فعل الذين
من قبلهم من الشرك والتحريم متمسكين بمثل هذه الشبهة فارسل الله تعالى
الرسل لحلها تارة بان ارادته تابعة لعلمه وعلمه تابع لمقتضى استعدادات
حقايقهم ولكنهم لم ينقادوا لحلها الا من كان قاصرا عليهم تخافون من المعاندة
معه لكن فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي تبليغ امر الله مع حل الشبهات
واستعدادات حقايقهم كما اقتضت صدور تلك الافعال منهم اقتضت الامر
التكليفي وارسال الرسل به اليهم لذلك لقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وهذا الامر قد يوافق الفعل المستعد له فيكون
هداية وقد يخالفه فيكون ضلالة فالله تعالى اراد كليهما فمنهم من هدى الله
لاقتضاء استعداد عينه موافقة الامر التكليفي لفعله ومنهم من حقت
اقتضاء الامر التكليفي رفع الضلالة ويدل على كونها ضلالة مع كون الفعل
واقعا بارادة الله مؤاخذته عليها وهو وان لم يكن لكم محسوسا الان فلا يعاد
بمعقولكم لمناقضة الواقع فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
مع ان تكذيبهم كان مراد الله والامر وان كان مراد الله فليس مقتضاه مراده
في حق اهل الضلالة لذلك ان تحرص ايها الكامل الذي يتوهم من غاية كماله

عليهم الضلالة
ح

صحة معارضته لمراد الله على هداهم بعدما اراده الله ضلالهم فان الله لا
يعارض في ارادته ولو امر وحى انه لا يهدى من يضل وان كانت الهداية
من امره المراد له فارادة الامر لا تستلزم ارادة مقتضاه وليس هذا حجة
لهم بل عليهم لان ارادته تابعة لمقتضى استعداداتهم مع ان من مقتضاها
الامر التكليفي والتعذيب على مخالفته لذلك ما لهم من ناصرين يدفع عنهم
العذاب في غاية ما ينتصرون به انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اى موكدا ايمانهم
انه لو صح تعذيبه لنا على ما اردنا فلا شك انه انما يكون بعد البعث لكن
لا يبعث الله من يموت لجريان سنته بعدم بعثه فلا تبديل فقال تعالى بلى
يبعثون وسنته انما لا تبدل حيث لا وعد في مقابلتها وقد وعد هنا وعدا
كان ايفاؤه عليه حقا لئلا يلزمه نقص الكذب ولا نقص في تبديل سنته ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انه اذا تعارض الوعد والسنة فالترجيح للوعد بل
لا يعلمون انه وعدهم بذلك لكن لا بد منه تخلصا من الاختلاف في الاعتقاد
الذى يتعلق بذاته وصفاته وتوحيده وافعاله والاعمال المرضية والمكروهة
له والتخليص انما يتم بالبعث ليبين لهم الذى يختلفون فيه مما ذكر ولا يكون
الايمان برجوعهم اليهم بالبعث وكيف يترك البعث وفيه تخلص العقلاء المعرفة
ومنهم من كفره ولم يعلم كذبه فلا بد من ان يبعثه ليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين فهذا سبب البعث ولا مانع منه سوى العجز لكن لا يتصور العجز عن كلمة
واحدة للمشهورين بالعجز وهو ما يحصل بكلمة واحدة انما قولنا لشىء اى طبيعة
شىء اذا اردناه اى اردنا جعلها شيئا موجودا ان نقول له كن من غير ضم كلمة
اخرى معها فيكون من غير تخلف ولو قيل انه وعيد لا يجب ايفاؤه فالبعث
ليس للوعيد وحده بل للوعد ايضا فانه وعد الذين هاجروا في سبيل الله
من بعد ما ظلموا بالاخراج عن اماكنهم لنبوئنهم في الدنيا حسنة فنجعلها مكانهم الذى
لا يمكن للظالمين اخراجهم منه وهو وان كان نعما دنيويا لهم لا تقابل لاجر

الاخروى الموعود لهم لاجر الاخرة اكبر فالاقتصار على الادنى الدنيوى انما يكون
من البخيل العاجز لكن انما يعلمه الكفار لو كانوا يعلمون وجوده وقدرته وكيف
لا يستحق المهاجرون ذلك لا جرم انهم الذين صبروا على ما ظلموا في سبيله واجر
الصبر بغير حساب كيف وفيه نصرهم على الكفار وهم على ربهم يتوكلون لينصرهم
على الكفار في الدارين فان قالوا سلمنا قدرة الله على البعث وسببه ولا مانع
منه لكنه امر ممكن لا يعرف وقوعه الا على لسن الرسل لكنهم بشر لا يمكنهم الاطلاع
على الامور الاخروية قال تعالى لهم وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ويكفى في
اطلاعهم الوحى وقد كان يوحى اليهم فان لم تعرفوا الفرق بين الوحى والوسواس
فاسالوا اهل الذكر الذين شرفهم الله بمعرفة اسرار معجزاته وكتبه ان كنتم لا تعلمون
حقية رسالتهم بالبينات الظاهرة على ايديهم والزبر النازلة عليهم للدعوة
الى الخيرات في العموم وان لبسوا عليكم الامر يكفيكم مراجعة الرسول اذ انزلنا
اليك ايها المخصوص بخطاب الله تعالى لغاية كمالك واطلاعك على اسراره
الذكر اى ما هو الشرف المطلق من بين الكتب السماوية لتبين للناس اى الذين
نسوا اعجازه مع ظهوره للمتذكرين اسرار ما نزل اليهم نجما بعضها اسراره
شيئا بعد شيء فيعرفوا اعجازه ولو لم يتأت لهم مراجعتك او تعارض لهم
الامر عند مراجعتك ومراجعتهم لمثلك لعلهم يتفكرون في اسراره فيعرفون
اعجازه لا محالة الا يبالى الملبسون امر اعجازه وهو من مكر البينات سيما
في كتاب الله والامور الدينية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
اذ مكر بموسى في شىء بغية لرميه بالزنا معها او امنوا ان يأتيهم العذاب من غير الخسف
من حيث لا يشعرون بها كما لا يشعر الممكور بقصد الماكر او يأخذهم في تقلبهم
سعيهم في آيات الله بان يفضحهم على ايدى اولى العلم بظهور عجزهم عن معارضتها
ليعجزوا الله عن تصديق رسله ولا بعد في ذلك فما هم بمعجزين الله ويكفى ذلك في
ظهور عجزهم الموجب فضيحتهم عند العلماء الذين هم اعز خلق الله او يأخذهم

فامن الذين مكروا البينات
صح

اى من حيث لا يشعرون
صح

بان ينقص من فضائلهم شيئا بعد شيء ليصيروا اعلى ويخاف ان يسلبهم الكمالات
كلها وهذا اقرب لاشعاره برأفته ورحمته عليهم فلا يبعد فان ربكم لرؤف
رحيم اتزعمون ان رأفته ورحمته تنافي التعذيب مع انه غاية الاذلال ولم يروا
الى تذلل كل ما خلق الله من شيء له لانه يتفيؤ يميل ظلاله عن اليمين وهو وان
كان لا يخلو عن شرف فهو لا يقتصر على الميل اليه بل يميل الى الشمائل ايضا ولا
يبقى مرتفعه بل يقع على الارض سجدا لله وتذلل الظاهر دليل على تذلل
الباطن فاصحابها هم داخرون متذللون وان كان فيهم متكبرون وقد ظهر
من الكل سجود الانقياد للارادة الله وسجود الامتثال من اعز خلق الله وهم
الملئكة اذ لله يسجد جميع ما في السموات وما في الارض من دابة اي متحرك
من الافلاك والكواكب والحيوانات والملئكة وهم وان كانوا اعز من الانسان
في جوهرهم لا يستكبرون فهم منقادون من كل وجه ظاهرا وباطنا كيف وهم
وان كانوا مجردين واقوى يخافون ربهم الذي رباهم بتشريف جواهرهم وتعظيم
فوقهم لكونه قاهرا من فوقهم يمكنه تبديل احوال جواهرهم من الطيب الى الخبيث
ولو لم يخافوا يفعلون بمقتضى طبع جواهرهم ما يؤمرون وان امرهم بالتعذيب
الذي خالف طبعهم كما له ان يأمرها لا يدركه العقل فلا يبعد على الله ان يعذب
من يشاء بما يشاء والكل وان كان ساجدا لله باعتبار امره للارادة او
باعتبار ان علوه مظهره عبادة له فليس في ذلك ما يخالف من التعذيب على
الشرك لمخالفة نهي التكليف اذ قال الله لا تتخذوا الهين يعتقدون ان الاعداد
اثنين والمشركون زادوا على النهي ما لا يخص ولا يقصد ان امرها الشرك وان
جاز ان يأمرها لا يدركه العقل اذ لا يأمر بما يلبس في اعتقاد الغير الواقع وقعا
انما هو اله واحد وربما يتوهم الامر بخلاف الواقع من الخوف لكنه لا يخوف
من الله بالنسبة اليه واما بالنسبة الى العبد فله ان يبتدأ الامان منهم وقد
فعل ذلك اذ قال فاياي فارهبون تخصيص بالرهبة فكيف تخاف الغير



مع اعطاء الله الامان منه والخوف مما سواه لا يستقل الالهية اذ له ما في السموات
والارض وكيف لا يعطي الامان من الغير ولا يتم الدين من الله بدون ذلك
وله الدين واصبا لازما ولزوم الدين له ينافي خوف الغير افغير الله تتقون
وعبادة الغير كما لا يكون للخوف منه لا يكون لجر النفع منه اذ ما بكم من نعمة
جهلتم منعمها فمن الله اي فاعلموا انها من الله ولا لدفع الضر من جهة ان
غاية انكم تتوقعون منه دفع الضر ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون تتضرعون
ثم اذا كشف بذلك التضرع الضر عنكم اذا فريق جماعة منكم بربهم يشركون اذ
يزعمون انه ارتفع بسبب الغير ولا فائدة في هذا الشرك سوى كفران النعمة
ليكفروا بما آتيناهم فلا يلزمهم شكرها الموجب للعبادة ليتفرغوا للاشتغال بالتمتع
فتمتعوا بها كافرين بالمنعم فسوف تعلمون ما فاتكم من النعم الغير المتناهية
المترتبة على الشكر وحصل لكم من الشدائد الغير المتناهية المترتبة على الكفران
مع ان ادنى شيء منها لا تفي بنعم الدنيا اجمع ومع كونهم لا يستفيدون منهم نعمة
ولا يدفعون ضرا يعبدونهم نعمهم ويستغفرون باخراجها اليهم اذ يجعلون
لما لا يعلمون حصول الفائدة منهم نصيبا مما رزقناهم ليستفيدوا منهم تلك
الفائدة بناء على انا وعدناهم تلك الفائدة في ذلك فان لم نسألهم عن تضييع
تلك النعمة بلا فائدة تالله لتسألن عما كنتم تفترون علينا في وعدنا الفائدة
على ذلك وكما يجعلون للاصنام ما يحبونه من الاموال يجعلون لله ما يكرهونه
من الاولاد البنات وقد تنزه سبحانه عن الولد فضلا عن المكروه ومع
ذلك يفضلون انفسهم على الله اذ يجعلون لهم ما يشتهون من الذكور وليس
هذا التفضيل مما يلزمهم من غير شعور منهم بل مع ظهوره لهم فانه اذا بشر احدهم
اي احد الذين يجعلون لله البنات بالانثى ولدت له او لاحد اولاده ظل
صار وجهه من الكآبة والحياء مسودا اي كانه اسود ومن شدة كراهته
له هو كظيم مملو غيظا على امرأته لانه حصل له منها ما يوجب اشد الحياء حتى

انه يتوارى يستتر من القوم من سوء ما بشر به لحدث نفسه ايمسكه
اي ايترك المبشر به مع انه اقره على هون ذلة عظيمة ام يدسه يخفيه فيجعله
في التراب حيا او مقتولا الا ساء ما يحكمون بان في البنات ذلا وفي الذكور
عزا والحكم بالدس في التراب وجعل خير الاموال للاصنام وشر الاولاد لله
وخيرها لانفسهم ثم قال للذين لا يؤمنون بالآخرة فيجترؤن على الله باثبات
صفات السوء له مثل السوء صفات الذل ولله المثل الاعلى صفات الكمال
كيف وهو العزيز المتفرد بكمال العزة المنافية لذل الموت الذي يطلب له الولد
وبكمال القوة المنافية لذل الضعف الذي يدفع بالذكور الحكيم في تخصيص
الخلق بالنقايص لئلا يدعو الاشراك مع الله في كمالاته وعزته وان اقتضت
التعذيب على الفور فحكمته تمنع من ذلك لافضائه الى تخريب العالم فانه لو
يؤاخذ على الفور الله الجامع للرحمة والغضب الناس الذين شانهم نسيان
حكمته بظلمهم لمخالفة حكمته ما ترك عليها على الارض من دابة انسان او غيره
اما الانسان فلانه لا يخلو احد منهم من ظلم واما غيره فلانه خلق من اجله والحكم
وان منعت المؤاخذة على الفور فلا يبطلها بالكلية لافضائه الى ابطال مقتضى
العزة بالكلية لكن يؤخرهم لا الى امد غير معين لانه يشبه الابطال الكلي بل الى
اجل مسمى ليستغفر منهم من يستغفر فيغفر له ويصر من يصر فيزداد عذابا فاذا
جاء اجلهم فانه مدتهم لا يستأخرون ساعة لا يمكنهم طلب التاخر عنه الى
ساعة اخرى للاستغفار فيه لذنب سابق فيه المعين له ولا يستقدمون
لاستعجال العذاب ولكن قبل مجيئه لا ينظرون الى عزته اذ يجعلون لله
مع كمال عزته ما يكرهون لانفسهم لما فيه من ذلتها والى مقتضى عزته في حقهم
اذ تصف السنتهم الوصف الكذب لاعمالهم بانها حسنة فيزعمون ان لهم
الحسنى على خلاف مقتضى عزته لكن مقتضاها تعذيب من يستبد لها بغاية
الذلة لا جرم اي حقا ان لهم النار بمقتضى قهر عزته وانهم مفرطون معذبون

في التعذيب على غيرهم اذ ارادوا تقدمهم على الله بالتفضل عليه اذ جعلوا له ما يكرهون
لانفسهم وانما قالوا ان لهم الحسنى مع انهم تفضلوا على الله من تزيين الشيطان لهم
ولا يبعد مع ذلك بربوبيته فانه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك ليبينوا لهم
ما يقربهم من الله ويبعدهم من النار وما يقربهم من النار ويبعدهم من الله فزين
لهم الشيطان اعمالهم المقربة من النار المبعدة عن الله فراوها بالعكس وان
كان تاثيره اتم فلا يزال بالكلية لعدم كونه ملجأ فهو وليهم اليوم يزجون
قوله على قولك لموافقته اهواءهم ولهم وان كانت لذتهم منها عذاب اليم
يؤلم ظاهرهم وباطنهم وكيف لا يوليهم ولم نترك ما بك من تلبيسات شيئا لانا
ما انزلنا من مقام علمنا الكامل عليك باكمل الرسل الكتاب الذي هو اكمل
الكتب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه لوقوع الالتباس فيه وكيف لا يرفع الالتباس
وهو هدى باقامة الحجج ورفع الشبه ورحمة بافادة الكشف التام لكنه انما يكون
مفيدا لقوم يؤمنون بالله فيتاملون في كلامه فيجدون فيه هذه المطالب الشريفة
الدالة على انه من عند الله لعجز من سواه عنه ولا يبعد من الله مع غاية عظمته
انزال الكتاب لاحياء الناس عن موت الجهل اذ الله انزل من السماء ماء
فاحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك اي انزال المطر لاحياء الارض لاية
على انزال الكتاب لاحياء الناس لقوم يسمعون الدلايل من كتابه المعجز
لاشتماله على ما لا يتناهى من الفوايد المفيدة للهدى والرحمة ولا يبعد ان يكون
في هذا الكتاب هذه الفوايد مع ما ترى في ظاهره من الاقتصار على الظواهر
وكثرة التكرار وتبدد الالفاظ ان لكم في الانعام لعبرة ان الغذاء الواصل
الى كروشها اذا انهضم انجذب الصافي الى الكبد والكثيف الى الامعاء
ثم ما في الكبد يصير دما ثم ينقسم الى الصفراء فيذهب الى المرارة والسوداء
فيذهب الى الطحال والمائية فتذهب الى الكلية ثم الى المثانة ويبقى بعضه
دما يدخل في الاوردة وينصب بعضه الى الضرع فيصير لبنا لذلك نسقيكم مما

فی بطونه من الغذاء وذکر الضمیر بناء علی ان الانعام مفرد منصب لمعنی الجمع کنعم
وکباش واذا انث فهو تکسیر نعم او انه فی معنی الجمع من بین فرث ودم
مافی الامعاء من الثفل ودم لبنا خالصا لا تشوبه شیء منهما لذلک یکون سائغا
یجری فی الحلق بلا غصة للشاربین اذ لیس فیه خشونة الثفل ولا دسومة
الدم فکما انقسم الغذاء الی فرث ودم ولبن فکذا القران تنقسم معانیه الی قشر
محض کالثفل ولب محض کالدم وفوائد عجیبة کاللبن لذلک تسوغ لاهل الحقیقة
والشریعة جمیعا اذ لا تناقض فیه احدیهما الاخری ثم اشار الی ان التمثیل بالفرث
والدم لیس لقصد الذم اذ کله ممدوح کثمرات النخیل والاعناب وکذا تتخذ
منه علوم مختلفة کما انکم من ثمرات النخیل والاعناب تتخذون منه سکرا خمرا
ومن مثال علوم الحقیقة الموجبة لسکر المحبة وقد عرض للخمر ذم السکر لکنه
لا ذم یلحق المشبه بها ورزقا حسنا کالتمر والزبیب والدبس والخل ومن
مثال النافعة التی تنتظم بها امر المعاش والمعاد ان فی ذلک الاتخاذ
لآیة لقوم یعقلون یستعملون العقل فیتخذون من القران منه العلوم
النافعة لهم فی معاشهم ومعادهم والعلوم الموجبة لسکر المحبة فیجمعون بین هذه
العلوم بلا مناقضة بقوة العقل ولا بعد من الله ان یلهم بعض عباده
استخراج علوم حلوة شافیة من القران من غیر استعمال العقل بناء کلماته
مواضع التشریف وبتغیر معانیه والتصرفات العالیة فیها مع کمال التذلل
فیه فقد فعل مثله بادنی الحیوان اذ اوحی الهمه الهاما یشبه وحی الانبیاء
ربک الذی رباک بهذه الفضل الی النحل ومن زبور تربیه لها ان اتخذی
من الجبال بیوتا من دساکر الانوار ودسومتها ومن الغالبة ومن الشجر و
من المتوسط ومما یعرشون ای ومن السفینة ومن النادر ثم بعد
بناء البیوت التی تشبه الاعمال الشرعیة ثم کلی من کل الثمرات الحلوة
والمرة والحامضة ومن اشبهه بتحصیل الاخلاق الفاضلة فاسلکی سبل

العلوم م

تحصیل الاخلاق الفاضلة وسلوک سبل الکشف من التزکیة والتصفیة صح

الفضائل در

ربک



ربک فاجعلیها الکل فی مسالک ربک التی یحیلها عسلا ومن مثال التزکیة و التصفیة
حال کون تلک السبل ذللا ای منذللة لک ومن اشارة الی تذلل العبد لله
عند حصول التزکیة والتصفیة لا تظهر عند ذلک بدعوی الالهیة ولا بدعوی الکمال
لها یخرج من افواهها لعاب نشأ من ماکولها فی بطونها ومن شراب ای صالح
للشرب من مثال شرب العلوم اللدنیة مختلف الوانه ابیض واسود واحمر ومن
مثال اختلاف انواع تلک العلوم فیه شفاء للناس اما بنفسه کما فی الامراض
البلغمیة او مع غیره اذ قلما تخلو معجون عنه ولیس المراد العموم لانه نکرة فی سیاق
الاثبات لکن تنکیره یفید تعظیمه ان فی ذلک الوحی لآیة علی الهام الله بعض
عباده استخراج العلوم من القران لقوم یتفکرون فی حال القران فیرونها بلا
لذلک فی حال الرجال فیرونهم مستعدین له ولا بعد ان تکثر علوم القران
مع ان کل عالم انما یجد فیه مقدارا خاصا کما فی العمر یکون لکل حی مقدار خاص
اذ الله خلقکم باعتبار جمعیتکم فلکم نصیب فی الجمع وتوابعها ثم یتوفاکم عن قرب
او بعد من یقطع نصیبه من العمر ومنکم من یرد الی ارذل العمر فیعظم نصیبه
ولکنه یستقصر لانه انما یرد الیه لکیلا یعلم بعد علم شیئا فکذا کل عالم یجد نصیبا
من القران الذی هو الروح المعنوی ثم منهم من یقطع نصیبه ومنهم من یکثر
ومن المکثرین من یبلغ مبلغا یری نفسه جاهلا باسراره بل بظاهره ولا بعد
من الله ذلک لکمال علمه وقدرته ان الله علیم قدیر فیعلم کیف یدرج العلوم
الکثیرة فی الالفاظ الیسیرة وقدیر علی اطلاع کل عالم علی مقدار خاص منه ولا
بعد من الله ایقاع التفاوت فی فهم العلوم من القران من غیر تفاوت
فی العمر لانه رزق معنوی فهو کالحسی اذ الله فضل بعضکم علی بعض فی الرزق
کیف وما یحصل بالتعلم لا یبلغ مبلغ علم المعلم کما ان الغنی لا یعطی عبده ما فضل
عن حاجته ولا اما یجعله مساویا له فما الذین فضلوا برادی رزقهم الفاضل عن
حاجتهم علی ما ملکت ایمانهم ولا معتقدا ایساوونهم به فهم فیه سواء بل هذا الفاضل

لنفسه م

من الله فلا يبعد منه ان يفضل بعض علماء القرآن على بعض أينكرون تفضيل
بعض علماء القرآن على بعض في فهمه فبنعمة الله التي هي كثرة فوائد القرآن حيث
يبلغ بها حد الاعجاز يجحدون فيقولون انه مما يستوي فيه الكل مما فهم من ظاهره
الذي لا يعرف به اعجازه ولا يبعد من الله ان يفيد من الفاظ يسيرة
بل من لفظ واحد معاني كثيرة اذ له نظير في المحسوسات اذ الله جعل لكم من
انفسكم ازواجا فانه كما خلق حواء من آدم خلق ذرات النسوة من ذرات
الرجال فان لم يكن فلا شك انهن خلقن من نطف آبائهن وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة فلا يبعد ان يفيد من كل لفظ من الفاظ القرآن معاني كثيرة ومن
ازدواج الفاظه معاني اخر ومن تلك المعاني الاول معاني ثواني وثوالث
وهلم جرا ويكون ذلك بطريق الملازمة والاستدلال تارة وبطريق الذوق
اخرى كما انه رزقكم من الطيبات والحاصل بطريق الذوق اطيب من غيره
اذ لا كلفة فيه أتغترون بقول الجهال فبالباطل من اقوالهم يؤمنون يصدقون
بلا شبهة فضلا عن حجة وبنعمة الله وهو كلامه الجامع لانواع الدلائل والاذواق
هم يكفرون فيجعلونه دون كلام الجهال بل اساطير الاولين وكيف لا يكون
تصديقكم لاقوالهم ايمانا بالباطل وهم يعبدون من دون الله وعبادة
الدون باطل ومطلوبهم ايضا باطل لانهم يطلبون منهم الرزق مع انها عبادة
ما لا يملك لهم رزقا معنويا من السموات وحسيا من الارض شيئا من الملك
الحقيقي والمجازي ولا يستطيعون على تحصيله لانفسهم او لعبادهم بطريق
الشفاعة او غيرها ولا على دفع الضرر فهي لكونها من دون الله لا تماثل الله
بوجه من الوجوه فلا تضربوا فلا تجعلوا باتخاذهم شركاء لله الامثال في استحقاق
العبادة وكيف يصدقون اقوالهم انها امثال ولا يصدقون قول الله انها
عاجزة مع ان الواجب العكس اذ لا يعقل تقليد الجهال مع وجود العالم ان
الله يعلم وانتم لا تعلمون فان قالوا كيف نعلم ان قول الانبياء قول الله

دون قول من تسميتهم الجهال قال لهم ضرب الله لبيان ذلك مثلا للجهال عبدا
اذ لانا بسبب تتبعهم بوجه من الوجوه مملوكا اذ ملكتهم انبياؤهم لا يقدر على شيء
من التصرف والانفاق لانهم وان اعطوا من العقول فليس لهم ان يتصرفوا
بها ما يبلغون به الى المقاصد الدينية ويهدوا الخلائق وللانبياء الذين اتوا
الحق وملكوا انبياءهم واعطوا من العلم ما وصلوا به الى المقاصد الدينية كلها
ظاهرها وباطنها بحيث يتمكنون من انفاقها على الوجه المستحسن لا سرار على اهلها
والظاهر على اهلها من رزقناه منا الاجر رزقا حسنا لا خبث
فيه من جهة الحرمة كما علومهم ليس فيها خبث الضلال والفساد فهو ينفق منه سرا
لاهل السر وجهرا لاهل الجهر هل يستوون حتى يجعل الكل كلام الله وكلام
من دونه لا يستوون بل يفضل احدهما الآخر فضلا عظيما يوجب الشكر عليه وعلى
من يسر عليه الحمد لله وسلام لا يشكرون بل اكثرهم لا يعلمون ان الله اعطاهم
وان رأوا انفاقهم وان لم يظهر لهم من هذا المثال فضل الانبياء على جهالهم
ضرب الله مثلا اظهر منه اذ العبد المملوك ربما يقدر بالاعتاق او باعطاء التصرف
فمثل جهالهم ومثل الانبياء مثل رجلين احدهما ابكم لا يقدر على النطق الذي
استفادة العلم وافادته بل على شيء من الاعمال لكونه محجوبا فكيف يفيض عليه
علما او مالا للانفاق فيكله ثقل ذلك وهو كل اي ثقل على مولاه اي الذي
ولي امره ومثله لو لم يكن كلا لا يفوض اليه شيء لانه اينما يوجهه من الاعمال لا يأت
بخير فكيف يفوض اليه الاموال او العلوم هل يستوي هو ومن يأمرهم الانبياء
لكونه منطيقا ذا رشد بالعدل الشامل للفضائل وقد اشتمل عليها في نفسه اذ
هو على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا يبلغه باقرب سعي فكيف لا يفوض الله
اليه العلوم لانفاقها على الخلق سرا وجهرا وان زعموا انه انما يحسن الامر بالعدل
والكون على الصراط المستقيم عند الاطلاع على الحقائق لكنها غيب ولو اطلعوا
على الغيب لعلموا وقت الساعة قال لهم لله غيب السموات والارض فله ان يطلع

منها على ما يشاء لمن يشاء ويمنع منها ما يشاء فيختص به ذاته ولا يضرهم عدم الاطلاع
على امر الساعة اذ يمكنهم ان يطلعوا على قربها فانه ما امر الساعة في القرب من
قدرة الله الا كلمح البصر اي كذهاب رجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو
اقرب بان يكون في زمان اقل او ان بعث جميع الخلائق وان كان امرا عظيما
لا يعظم على الله ان الله على كل شيء قدير ولا يبعد من الله ان يخرج بعض افراد الانسان
من ظلمة الجهل الى نور العلم والولاية والنبوة فانه نظيره في المحسوسات اذ الله اخرجكم
الى النور الحسي من بطون امهاتكم وهي ظلمة لا تعلمون شيئا والى النور المعنوي اذ
جعل لكم السمع والابصار لادراك المحسوسات الغائبة والحاضرة والافئدة
لادراك المعقولات لتتوسلوا بذلك الى معرفته وعبادته لعلكم تشكرون بمعرفته
وعبادته ولا يلزم من ذلك تساوي الكل فيها كما لا يتساوى الحيوانات في الاماكن
انكرون تفاوت المكانات وقد وقع في الاماكن فكانهم لم يروا الى الطير يمكن
مسخرات في جو السماء كذلك يرفع الانسان بمكانة العلم على بعض له باستعلائه على
بني نوعه بل باعلاء الله اياه كاعلائه الطير اذ ما يمسكهن في ذلك المكان مع ثقله
الا الله وان توهم انه اجنحته ان في ذلك لآيات اشير الى بعضها رافعه رفع الطير
لقوم يؤمنون بالله فيعلمون باياته ويستدلون بها معارفه حتى يرفع احوالهم ومقاماتهم
ولا يلزم من ذلك ارتفاع الانتقال من مكان الشهوية والغضبية بالكلية فذلك سبب
البقاء فلا بد من السكون فيه ولا يلزم الخروج منه كما لا يلزم للسالك الخروج من بيته
الظاهر اذ الله جعل لكم من بيوتكم سكنا ولكن هذا السكون لا ينبغي ان يكون بحيث
يمنع من التحرك الى الله ولا من الانجذاب بالاعمال والاحوال والمقامات بل غايته الاتمام
ان تنقل البيوت كما انه في المحسوسات جعل لكم من جلود الانعام خصها بالذكر لانها
اقوى من بيوت الاشعار والنبات بيوتا يمكن نقلها تستخفونها يوم ظعنكم ارتحالكم
ويوم اقامتكم وكذلك تستخف منه القوى المحركة الى الله حال سلوكه وحال استقراره
بمقام قربه وانما يتيسر ذلك بلباس التقوى وانجذاب الاعمال والاحوال والمقامات

بل يكون كانها حاصلة من منع القوى كيف وقد جعل الله لاعتبار ذلك من اصوافها
واوبارها واشعارها اي اصواف جلود الضان واوبار جلود الابل واشعار
جلود المعز اثاثا من الملبس والمفرش للاشارة الى التلبس بلباس التقوى
بجميع انواعها واستفراش بساط الشرع الظاهر والباطن من كل وجه ومتاعا
يتجرها الى حين للاشارة الى الانجذاب بالاعمال والاحوال والمقامات الى
حين الموت واستصحاب منع القوى وان كانت لا تخلو عن اذية فعاتها
انها كحرارة الشمس والله جعل لكم عنها ظلالا من الاخلاق والاعمال والاحوال
والمقامات انه جعل لكم مما خلق من بعض الاجسام ظلالا وهذا اشارة
[كما مر]
الى ظلال الاخلاق والاعمال واشار الى ظلال الاحوال والمقامات بقوله وجعل
لكم من الجبال اكنانا ان تختفوا من حرارة اذية النفس اذا قويت تلك القوى
جعل لكم لباس التقوى حافظا عنه فكما انه جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وان تختفوا
من محاربة الشيطان بها جعل لكم حافظا من الدلائل ورفع الشبه كما انه جعل
لكم سرابيل من الدروع والجواشن والسرابيل تقيكم باسكم وكما اتم نعمته في هذه
المواضع كذلك يتم نعمته عليكم في كل موضع فجعل لكم ظلالا من سماية الجمالية
عن قهر سماية الجلالية حال السلوك وجعل في الفناء في الله اكنانا في وجود
العبد بكون وجود الحق وفي البقاء ما يناسب صفات الحق للابقاء عن حرارة
شهوات النفس ودروعا عن محاربتها بعدا لرد بصفاتها لعلكم تسلمون وجودكم
لله عند الرد فان تولوا عن هذا البيان الدال على كمال علمك فلا يضرك عدم
الجابة الى الهداية فانما عليك البلاغ المبين وقد بينت لهم بهذا البيان نعمة
الله فهم بحيث يعرفون نعمت الله بالباطن بحيث صار ملجئا للباطن ثم ينكرونها
باللسان اذ لم يصر ملجئا له وليس هذا الانكار لبقاء خفاء عليهم بل اكثرهم الكافرون
الساترون لهذا البيان الذي يكاد يلحق الملجئ ولا ينقطع سترهم بموتهم بل يستمر
يوم نبعث من كل امة شهيدا فيشهد عليهم بما يبطل سترهم ثم لا يؤذن للذين

كفروا برد شهادتهم ليعودوا الى سترهم ولا هم يستعتبون اى ولا يطلب منهم الا عذار
لخروج وقته وهو ما قبل رؤية العذاب واما بعد رؤيته فلا يفيد فحسنا فضلا
عن ازالته بالكلية فانه اذا رأى الذين ظلموا بستر الحق الواضح الى ان يشهد عليهم
الشهود العذاب فاعتذروا فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون للاعتذار وان كانوا
ينظرون لاقامة الشهود عليهم وكيف يخفف عنهم او ينظرون واثر الظلم فيهم باق الى
منتهى الحالة فانه اذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا اجعلهم
شفعاءنا اذ هم الذين كنا ندعوا من دونك ليكونوا شفعاءنا عندك فالقوا اى
رد الشركاء اليهم القول انكم لكاذبون في جعلكم ايانا شركاء الله فكيف تتوقعون
الشفاعة من هذا القول الكاذب ولو كان صدقا كان مانعا من الشفاعة
لاشعاره بالعداوة مع الله تعالى لذلك القوا الى الله يومئذ وان ادعى
بعضهم الشرك قبله السلم الصلح بترك الشرك وهم وان صالحوا مع الله لم يصيروا
شفعاء عنده بل ضل عنهم ما كانوا يفترون من كونهم شفعاء عنده قبل الصلح
او بعده بل الذين كفروا من هؤلاء الذين القوا الى الله يومئذ السلم بدعوى
الشرك لانفسهم وصدوا بدعوى الشفاعة عند الله الناس عن سبيل الله
فانهم وان صالحوا الله يوم القيمة زدناهم عذابا فوق العذاب الذى للمستشفعين
بهم لا يصلحهم بما كانوا يفسدون دين انفسهم ودين الخلائق فاى تصور
منهم الشفاعة ولا يختص زيادة العذاب عليهم بدخول جهنم حتى ربما يتوهم
شفاعتهم قبل رؤية دخولهم النار بل نزاد عذابهم ايضا يوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم ليفضحهم لا لعداوته معهم بل مع كونه من انفسهم وا ذا لك واقع د
شهادتهم جئنا بك شهيدا على هؤلاء الشهداء والمشهود عليهم لتزكى الشهود
وتزيد المشهود عليهم فضيحة بل فضائحهم مما نقلت اليك بالتواتر ولا يمكنهم
ان يقولوا ان الذى نقل اليك احاديث كاذبة لانا نزلنا عليك الكتاب
المصدق لها مع كونه تبيانا لكل شيء من المعارف والاحكام واخبار الماضين

وهدى مشتملا على الدلائل ودفع الشبه ورحمة وبشرى للمسلمين بانهم يبلغون به
الى حد الفراسة بحيث لو لم يبين لهم احوال الماضين لاطلعوا عليها بفراستهم وما
كان هذا للمسلمين عامة فكيف بنبيهم صلى الله عليه وسلم وانما يبلغوا هذا الحد من
قيامهم بهذا الكتاب لانهم يجرون اصحاب التخلية والتحلية والتجلية كمالا وتكميلا
كما قال ان الله يأمر بالعدل اى الاعتدال وهو التخلية بالاوساط الحميدة في
باب الاعتقادات كالتوحيد بين التعطيل والتشريك والقول بكسب العبد
بين التفويض والجبر وفي باب الاعمال كاداء الواجبات والسنن بين البطالة
والترهب وفي باب الاخلاق كالحكمة بين البلاهة والدهاء والعفة بين العنة
والشره والجود بين البخل والتبذير والشجاعة بين التهور والجبن والاحسان
وهو ان تعبد الله كانك تراه وهو التجلية ذكره لعدم دخوله في العدل لانه
ميل الى الحق بهذا هو الكمال واشار الى التكميل بقوله وايتاء ذى القربى اى من
له قرابة نسبية او دينية من المال والعلم ثم اشار الى التخلية بقوله وينهى
في مقابلة العدل عن الفحشاء وهو ان يجاوز فيه العبد الى افراط او تفريط
وصرح بالنهى اذ قد لا يوجب التوسط بوهم الحرج المرفوع عن الدين فيتوهم ان
الامر للندب وينهى في مقابلة الاحسان عن المنكر وهو الميل الى الخلق بالادبار
عن الحق وينهى في مقابلة ايتاء ذى القربى عن البغى عليهم بمنع حقوقهم من
المال والعلم واخذ اموالهم واضلالهم وانما كان هذا مفيد التخلية لانه
يعظكم بهذه الاشياء لعلكم تذكرون ما فيها من الضرر فتتخلون عنها واذا
تخليتم عنها تذكرتم فوائد ما سبق فتتحلون بها والتحلى بها يشوق الى التجلية
وهو موجب لصدق الفراسة وهو مبلغ لرتبة الشهادة عند الله يوم القيمة
وانما ذكر التخلية بعد التحلية اشارة الى انه كثيرا ما يحصل بعدها الرد الى
النفس فيخاف من ضررها ولا يندفع الا بالتخلية ومالم يرد فيه امر ولا نهى بخصوصه
اوفوا بعهد الله بنذره فانه وان لم يجب المنذور بذاته يجب اذا عاهدتم

واولى بالوجوب منه ما حلفتم على فعله لا تنقضوا الايمان وكيف تنقضونها
بعد توكيدها بذكر اسم الله فيها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا رقيبا مما تحالفون
به ام لا فلو نقضتم علم انكم لا تبالون به ان الله يعلم ما تفعلون فما لا اقسمتم
فيما ايمانكم ولا تكونوا في نقض اليمين التي هي رابطة ما بينكم وبين الله مجانين
كالتي نقضت غزلها ريطة بنت عمرو بن سعد كانت تغزل هي وجواريها الى
نصف يوم ثم تنقض الجميع لا لضعف الغزل بل من بعد قوة لا لفائدة في ذلك
بل انكاثا نقضا مجردا عن الغرض فكذلك نقض اليمين كان بعد تقوية بالله ثم
ابطال ذلك التقوي بلا غرض سوى الابطال وغاية ما تقصدونه من الاغراض
فيه انكم تتخذون ايمانكم دخلا خديعة مفسدة بينكم بعد افساد ما بينكم وبين ربكم
واعظم ما تقصدكم ان تنقضوا يمينكم مع قوم ليحلفوا مع اخرين من اجل ان
تكون امة تحلفون لهم الآن هي اربى من امة حلفتم لهم اولا فهذا وان كان
مبتدا للعزة بهم في الدنيا فهو ذل لكم عند الله لانه انما يبلوكم الله يختبركم به بازدياد
هل تنقضون اليمين من اجلهم ام لا ليفضحكم يوم القيمة بعدم مبالاتكم بالله للتعزز
بهؤلاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه من عداوة قوم ومحبة اخرين لا لغرض
الدين تختلفون بجعل الاحباب اعداء والاعداء احبابا فيفضحكم ببيان هذه
الخصلة الذميمة منكم وكيف لا يكون هذا ابتلاء بهذا المعنى ولو شاء الله ان لا
يبتليكم لجعلكم امة متفقة لا ترى الا واحدة لا عداوة فيما بينها ولكن اوقع العداوة
بينهم لانه يضل من يشاء فيجعله ظالما او محتالا ويهدي من يشاء فيجعله مظلوما
او محتالا وكيف لا يبين لكم هذا الامر العظيم يوم القيمة مع انكم لتسألن
يوم القيمة الموضوع للسؤال عما كنتم تعملون من كل قليل ولو لم يكن في نقض
اليمين هذا الابتلاء والسؤال يوم القيمة لوجب رعايتها محافظة على المصالح
الدنيوية لا تتخذوا ايمانكم دخلا خديعة مفسدة بينكم فانه وان افاد يوما بطل
اعتماد الناس عليكم فتزل قدم كل واحد عن مقصوده بعد ثبوتها فيه

وتذوقوا السوء سوء معاملة الناس معكم اذ يخدعونكم كما خدعتموهم بما صددتم
عن سبيل الله بنهوض الايمان الكاذبة عليهم ومع هذا الذوق للسوء لكم
عذاب عظيم على نقض الايمان والمكر على الاخوان وصدهم عن سبيل الله هذا
في الاخرة والتحفظ عن مكرهم في الدنيا وغاية ما تريدون في نقض اليمين من
الفوائد انكم تحصلون به مالا او جاها لا تشتروا لا تستبدلوا بعهد الله ثمنا
قليلا فانه بالحقيقة تضييع للاعلى بالادنى انما عند الله على وفاء العهد هو خير
لكم من الثمن القليل الماخوذ على نقضه ان كنتم تعلمون ان لكم عند الله شيئا
ولو لم يكن خيرا فلا شك ان فيه استبدال الفاني بالباقي ما عندكم ينفد وما
عند الله باق وانما يعسر ترك الفاني للباقي لاحتياجه الى الصبر لكنه انما يعسر
الصبر عن الادنى للاعلى اذا كان مشكوكا فيه ولا شك ههنا لنجزين الذين
صبروا على اجرهم الذي هو بغير حساب فان حسب جوزي كل عمل منه باحسن
ما كانوا يعملون بفرض ادنى اعماله اعلى وكيف لا يكون للصبر ههنا الاجر وهو
اجر كل عمل للمؤمنين مع زيادة طيب الحيوة المفقودة في الصبر فان من
عمل عملا ادنى او اعلى صالحا من ذكر او انثى اي كامل او ناقص وهو مؤمن
فان عمل الكافر اذا جوزي في الدنيا لا يجازى بالاعلى وكذا اذا جوزي به
بعد الايمان في الاخرة لا يجعل على فلنحيينه حيوة طيبة يتلذذ بعمله في الدنيا
فوق تلذذ صاحب المال والجاه ولا يبطل تلذذه اعساره اذ يرضيه الله
بقسمه ويقنعه ويقل اهتمامه بحفظ المال وتنميته والكافر لا يهنا عيشه بالمال
والجاه اذ يزداد حرصا وخوف فوات ولنجزينهم مع طيب حيوتهم الدنيوية
باحسن ما كانوا يعملون فلا تعال لهم اذ حسنتم طيبا بكم في حيوتكم الدنيا بل نكمل
جزاء اعمالهم الادنى بحيث يلحق بالاعلى فاذا كان هذا في حق من يطيب بعمله
ففي حق من يحمل فيه مشقة الصبر اولى وكيف لا يطيب حيوة المؤمن باعماله
ومن اعماله قراءة القرآن فانها الذ الطيبات اذا لم يعرض فيه الوسواس

لذلک فاذا قرأت المفيد مزيد التقرب الى الله والاطلاع على اسرار معاده
وعباداته فاستعذ بالله الذي هو صفته من الشيطان الرجيم ليرجمه عنک كما
رجمه عنه واقل وجوه الرجم انه يمنع تسلط وسواسه على المستعيذ لان استعاذته
تتضمن الايمان بالله والتوكل عليه انه ليس له سلطان تسلط بالوسوسة المؤثرة
على الذين آمنوا لان ايمانهم يفيدهم النور الكاشف عن مكره وعلى ربهم يتوكلون
اذ التوكل على الله يفيد التقوية بالله فيمنع من معاندة الشيطان وقوته
انما سلطانه تسلط وسواسه بالتأثير على الذين يتولونه يوالونه فيعتمدون
عليه لا على الله فيتوكلون عليه والذين هم به مشركون فلا يكون لهم ايمان بالله
مفيد للتنوير بل يزدادون ظلمة فيزداد منهم تاثرا لذلک نظهر فيهم انواع الخواطر
الداعية لهم الى مزيد الخبث واعظم مواقع الوسواس فيه مواقع النسخ فانا اذا
بدلنا آية مكان آية مع ظهور الكمال فيهما بالبلوغ الى حد الاعجاز ولكن ذلک
بطريق البداء بل الله اعلم بما ينزل ما ذا يتضمن من المصالح بحسب الازمنة المختلفة
قالوا لا دخل للتبديل في كلام الله لانه ابطال ولا نقص في كلام الازلي
الا ابطال وهذا دال عليه فيكون مثله فيتعين انه انما انت مفتر قال تعالى
ليس هذا بابطال بل بيان لانتهاء الحكم السابق وابتداء الحكم اللاحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون هذه الحقيقة فبعضهم الا الذين المطلعين عليها لعنادهم قل انما
يكون افتراء لو كان فيه انتقال من خير الى شر او من شر الى شر لكنه انما هو انتقال
من خير الى مثله فيعلم انه نزله روح القدس الطاهر عن الشرور لانها نقائص
وهو في غاية الكمال فلا يتصور منه الافتراء فانما انزله من ربک لتربية اهل
كل عصر بما يصلحهم ليثبته بالحق بالاسم الالهي الذي له سلطنة ذلک العصر
ليثبت على ما هو كمال ذلک العصر بمقتضى ذلک الاسم الذين آمنوا بان الله يظهر
في كل عصر بكمال يختص به ليتجلى باسم خاص فيه وهدى الى معرفة كمالات الازمنة
وبشرى بحصول تلک الكمالات للمسلمين المنقادين لما نزله روح القدس

حتى يبلغوا درجة المؤمنين في الثبات عليه ولقد نعلم انهم لا يسلمون انه نزله روح
القدس بل يقولون انما يعلمه اي القرآن بشر جبر غلام رومي لعامر بن الحضرمي او
يسار وكانا يصنعان السيوف بمكة يقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه او عايش غلام حويطب بن عبد العزى
قد اسلم وكان صاحب كتب او سلمان الفارسي قال تعالى في الرد عليهم لسان
الذي يلحدون يميلون عن الاستقامة بنسبة القرآن اليه لسان اعجمي ربما لا يفهمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فهم لم يكن معنى معجزا فان كان لم يتلفق لفظا
معجزا فان تلفق لم يكن عربيا وهذا لسان عربي معجز لانه مبين لما لا يتناهى من
العلوم بعبارة ليست من جنس اشعارهم ولا نثرهم ولكن انما نفهم منه هذه
العلوم من يهديه الله لها ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله لفهم
هذه العلوم الغير المتناهية كيف وربما يعجزون عن لطيفه على وجه مستحسن الا
بكلفة لهم فيها عذاب اليم لا يحصل لهم منه ذوق صحيح وكيف يكون معجزا مع كونه
مفترى والاعجاز كرامة لا يستحقها الا المؤمن والفرية تنافي الايمان انما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله في الآفاق الدالة على رعاية الحكمة في
خلق الاشياء المقتضية تعذيب المفتري على الله ومن زعم ان المفتري ينال
فضيلة الاعجاز اولئک هم الكاذبون لان الاعجاز تصديق والله تعالى
لا يصدق الكاذب لانه كذب يجب تنزيه الله عنه لانه نقص في صفته الذي هو
كلامه وكيف يعطي الله فضيلة الاعجاز من كفر بالله بالافتراء عليه بآيات يقتضي
الايمان به فيكون كفره بعد الايمان وكيف يطلع مثله على اسرار الاعجاز التي هي
اعز الالطاف الالهية مع كونه محل غضبه الموجب عظيم العذاب فان من كفر
بالله من بعد ايمانه فعليهم غضب من الله الا من اكره على الكفر فنطق به ولم يكن
لسانه ترجمان قلبه بل قلبه مطمئن ثابت الاتصاف بالايمان فلا غضب عليه لانه
حفظ حق الله بقلبه وحق نفسه الراجح حق الله فيما بعد بلسانه ولكن من شرح

بالكفر صدراً فلم يتردد فيه نظراً الى دلائل الايمان بل كان مطمئناً بالكفر فانهم
لم يكن كفرهم بعد الايمان فعليهم غضب من الله والمفتري على الله منشرح الصدر
بالكفر فكيف يستحق فضيلة الاعجاز كيف وهي بالاطلاع على المعارف الكاشفة
للحجب ولهم عذاب عظيم فوق عذاب المحجوب بالاستمرار على الكفر من ابتداء الامر
وكيف ينشرح صدورهم لهذه المعارف مع ان ذلك الانشراح بالكفر مناف
لتلك المعارف لانها كاشفة عن كدورات الدنيا وسفلها لم ينشرح صدورهم
الا بانهم استحبوا الحيوة الدنيا التي هي من المعارف كدوراتها على الاخرة التي
هي من المعارف صفاءً نعمها فلا يكون لهم نظر في هذه المعارف ولا في
مقدماتها بل يعظمون الشبهات ولا يهتمون لحلها اذ هذا الاستحكام من سنة
الله ان الله لا يهدي القوم الكافرين كيف وهذه الهداية من نور الله لكن
اولئك بعدوا عن ذلك النور لانهم الذين طبع الله على قلوبهم فلا يدخلها نور
يدعوهم الى حلها فضلاً عن نور يجلها لهم وسمعهم فلا يسمعون حلها من احد
وابصارهم فلا ينظرون في الكتب الالهية المشتملة على حلها وذلك لانهم لا يبالون
بها اذ اولئك هم الغافلون عن ضررها لان ضررها موعود في الاخرة ولا يرد
ثم لينزهدوا لها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون لانهم ضيعوا امرهم عنها من
الدنيا ثم بعد عدم غضب الله الموجب للخلود على المكره بالكفران ربك للذين
هاجروا اولو من بعد ما فتنوا ثم بعد الهجرة جاهدوا وان لم يجاهدوا قبل الهجرة
حفظاً للنفس وصبروا على شان الهجرة والجهاد فلم يرجعوا الى اماكنهم اعتماداً
على طمانينة قلوبهم بالايمان ان ربك من بعدها من بعد اجتماع هذه الامور
لغفور له بالكلية بل رحيم باعطاء الاجر النابغ والا فلا يخلو عن لوم او
تعذيب كل ذلك في يوم عظيم لكونه يوم تاتي كل نفس تجادل لدفع العذاب
واللوم عن نفسها ولكن لا ينفعها مجادلتها اذ توفى كل نفس ما عملت فلو قصرت
بالنفاق في دار الكفر بعد الاكراه او في الجهاد او في الصبر فلا يبعد ان توفى عذاب

ذلك هم لا يظلمون بالعذاب الا بما ان يجعل الكفار مع اطمينان قلوبهم على
الايمان وضرب الله مثلاً لمن انشرح بالكفر صدراً بعد انعام الله عليه بايات
يفيد الامان عن الغلط والطمانينة بعدم ضرر الشبهات لكونها اشبه الاولية وان ورد
على واحد شبهة ففيه دلائل كثيرة باتيهم من منابع كثيرة لا شبهة على اكثرها فعاندوها
وعانقوا الشبهات الواهية على بعضها فوقعوا في خوف العقاب ما يدل عليه من
الدلائل الكثيرة ولم يشبعوا من كثرتها قرية كانت آمنة من الخوف في نفسها مطمئنة
مستقرة على الامن لا تخاف من خارج يعسكر بعضهم ولا تخاف من خطر السفر اذ
كان يأتيها رزقها رغداً من كل مكان يسافر اليه لطلب فاعتقدوا ان ذلك ليس
من الله بل من خواص قريتهم فكفرت بانعم الله فنزعها منهم فاذاقها الله بدل لذة
الامن والرزق لا ذوقاً مختصاً ببعض بل عاماً عموم اللباس فكانه البسهم لباس
الجوع والخوف لا على طريق الاتفاق حتى لا يعتبر به بل بما كانوا يصنعون من الكفران
بنعمة الامن والرزق وليس باعظم من الكفران بما يفيد هذه الآيات من الامن
عن الغلط والاشباع بالعلوم بل عذابه اشد وقد وقع فيهم ايضاً فانهم لقد جاءهم
رسول عرفوا صدقه لكونه منهم فكذبوه مع معرفتهم صدقه بكونه منهم وبدلالة المعجزة
التي له فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالكذب ظلماً ادنى من ظلم من لا الآيات
فهم اولى بالمواخذة الاخروية فوق اذاقة لباس الجوع والخوف واذا كان كفران
نعمة الله موجباً لاذاقة لباس الجوع والخوف وتحريم حلالها ولو بالنسخ من التحريم
لكونها موجباً للعذاب لم يكن بد من الشكر وهو يفيد الانتفاع بالنعمة ولا يتم الا بالاكل
فكلوا لا بطريق الاستيعاب المفضي الى الاسراف المانع عن كمال العبادة التي بها كمال
الشكر بل مما رزقكم الله انعاماً عليكم اذ جعله حلالاً طيباً طاهراً عن الشبهات
وليس المقصود من انعامها نفس الاكل بل الشكر اشكروا نعمة الله بصرفها الى
ما خلقت له من التقوي على العبادة ومعرفة المنعم واعتنائه بعبادته ان كنتم اياه
تعبدون فلو لم تشكروه كنتم عابدي النعمة دون المنعم ولو حرمتم ما احل لكم كنتم عابدي

من حرم من دونه فان لم ياكلوا فلا تحرموا سوى ما حرم ولا تحللوا ما حرمه وان عكس
الغرا انما حرم عليكم من جملة ما يحله الغير الميتة اذ لم يستفد من الذكوة الشرعية حيوة
معنوية تطيبها والدم لان المقصود من الذكوة اراقته فلا يستفيد منها فاين يعتد
بها مثل التطيب ولحم الخنزير لان خبث اخلاقه ذاتية له فلا تزول بعارض الذكوة
وما اهل لغير الله به فان ذكوته لم تفد حيوة اذ زادته خبثا لكن لا يبالي بخبث هذه
الاشياء حال الاضطرار الحاصل بغير معصية فمن اضطر الى كل احد هذه الاشياء
غير باغ بالخروج على الامام ولا على عاد بسفر المعصية كقطع الطريق والاباق فان الله
غفور ساتر لخبثها فلا تتاثر بها فان لم يستر فلا اقل من منع تاثيره لانه رحيم بالمضطر
فلا يمكنه ان يوقفه ولا تقولوا لما تصف السنتكم اى للشيء الذي تصفه السنتكم
بالحل والحرمة الوصف الكذب لمخالفته نص الشرع هذا حلال وهذا حرام
بمجرد ظنون كذبية لكم فلا تستمروا عليه لتفتروا بنسبة التحليل والتحريم الى الله على
الله الكذب فانه مثل الشرك بالاحلال والتحريم ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون كما لا يفلح المشركون وان فازوا بكثرة الاموال والاولاد
اذ هو متاع قليل ومع قلته هو سبب العذاب اذ لهم عذاب اليم ومن المفتريات
قول اليهود ان ما حرم عليهم لم يزل محرما على الكل ولا يزال اذ المحرم الابدي ما يكون
في ذاته خبث ولا خبث فيما حرم عليهم اذ على الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل في سورة الانعام مما لا خبث فيه وما ظلمناهم بتحريم ما لا خبث فيه
عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون باعمال الخبائث فمنع منهم بعض الطيبات
جزاء على خبثهم ثم انها وان حرمت عليهم لخبثهم لم يدم حرمتها عليهم بعد الاسلام
لكونه توبة عن ذنوب ابائهم التي جهلوا بها والاسلام مبالغة في الاصلاح فوق
المبالغة التي في اليهود اذ كانت ثابتة ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بمقدار
مسانحة حقيقة او حكما ثم تابوا من بعد ذلك العمل بالجهل واصلحوا العمل السيء فقبلوه حسنة
ان ربك لم يعتبر مجرد التوبة فلا شك انه من بعدها اى بعد التوبة المستعقبة للاصلاح

بالتوبة عنه لغفور رحيم فكذلك يغفر لمن اسلم منهم عن حرمتها ويرحم عليه بالانعام بها
ولو كان تحريم ما حرم على اليهود لخبث في ذاته لكان ابرهيم اولى بالتحريم ان ابرهيم
كان جامعا لفضائل جماعة من الانبياء عليهم السلام كانه كان امة لانه كان قانتا
مطيعا طاعة وكيف يكون مشركا وكان شاكرا لانعمه والمشرك ان شكر فانما يشكر ما نسب
اليه من النعم دون غيره ولشكره اجتباه وبلغ من اجتبائه انه هداه الى صراط مستقيم
فاعتدل في الاعتقاد والاخلاق والاعمال ولاستقامة صراطه آتيناه في الدنيا حسنة
هي محبة الكل وتعظيمهم له وانه في الاخرة لمن الصالحين ارباب الولاية النبوة التي هي افضل
من نبوتهم وان كان افضل من ولاية الاولياء ثم من فضائله الجليلة انا اوحينا اليك
يا اكمل الرسل ان اتبع ملة ابرهيم في اعتداله لانه كان حنيفا مائلا عن طرفي الافراط
والتفريط ولكن لم يجعل العبادة متوسطة بين الحق والخلق لانه ما كان من المشركين
ولا يلزم من متابعتك اياه تعظيمك للسبت لانه انما جعل السبت على اليهود لانهم
الذين اختلفوا فيه على نبيهم اذ امرهم موسى ان يتفرغوا عن الاشتغال للعبادة يوم
الجمعة فابوا وقالوا ان الله فرغ في السبت عن خلق السموات والارض فنتوافقه
في الفراغ فالزمهم الله السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالت
النصارى لا بد ان يكون عيدنا بعد عيد اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله يوم الجمعة
لهذه الامة وبارك لهم فيه اذ كان فيه خلق آدم عليه السلام فيجب فيه الشكر على الانسانية
التي بها كمال الخلقة وان ربك وان الزمهم في الدنيا ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون على انبيائهم واذا امرت باتباع ملة ابرهيم فادع الى الله مثل دعوته ادع
الى سبيل ربك كل فرقة بحسب ما يليق بها بالحكمة ايراد البراهين القاطعة لاهل الكمال
كاستدلال ابرهيم عليه السلام بافول الكواكب على نقصها المنافي لالهيتها والموعظة
الحسنة بالكلمات الخطابية المقنعة للمتوسطين كقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا وجادلهم ان كانوا مشاغبين بالتي هي احسن وهي طريق الانصاف كقوله
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فان فعلت هذا سقط عنك

جماعة لله حنيفا مائلا عن المعاصي ولم يك من المشركين شرك اليهود بعزير والنصارى بعيسى ولا غيرهم
صح

تكليف البلاغ وان لم يهتد بعضهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله فلا يمكن
ارشاده باحد هذه الوجوه وهو اعلم بالمهتدين بوجه من الوجوه وان عاقبتم بالطعن
عليهم اذا لم يهتدوا وابتدءوا من هذه الوجوه فطعنوا عليها فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لا
اذ يد المبالغة في الطعن ولئن صبرتم على طعنهم فلم يطعنوا بهم لهو خير للصابرين فوق
خيرية للمسكوت عنهم اذ فيهم قلة مبالاة بطعنهم والصبر وان كان جائزا في حق غيرك
لكنه واجب عليك اصبر وكيف لا يكون صبرك خيرا وما صبرك الا بالله واذا كان
الصبر بالنفس خيرا فبالله بطريق الاولى وان عسر عليك الصبر لما ترى من بقاء المطاعن
عليك لا تحزن عليهم ببقاء مطاعنهم بل بظهور مطاعنهم وان بالغوا في التلبيس بها على
العامة لانك في ضيق مما يمكرون فان الله تعالى يكشفها عليك وكيف لا يكشف عليك
مع تقواك واحسانك ان الله مع الذين اتقوا فزكوا انفسهم والذين هم محسنون
بتصفية قلوبهم لظهور نور الحق فيه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة بني اسرائيل

سميت بهم لتضمنها ان هدى بني اسرائيل مما تضمنه اسراء محمد صلى الله عليه وسلم قبل
العروج الى السموات وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله
المتجلي بتنزيهه في عبده المنسوب الى ذاته الغالب فيها نظر التنزيه وان كانت متصفة
بالصفات الثبوتية الرحمن باسرائه اليه ليصير اكمل رسله فيكون رحمة اشمل للخلائق
كيف وقد اسرى الى موضع اجتماع البركات قبل وصوله الى السموات الرحيم باراءة آياته
لدلالتها خواص خلقه فجعلهم كاملين مكملين سبحان الذي اي سبح الله تسبيحه ذاته
باعتبار ابهامها لعدم اختصاصها باسم خاص عما توهم في قصة الاسراء من التشبيه
كالتمكن وغيره اسرى بعبده ليلا ليشير الى انه سرى ولا من الظاهر الى الباطن ليغلب عليه
الروحانية لكمالها المقتضية للاضافة الى عبادة في قوله بعبده وصرح بقوله ليلا
ليشير الى ان ابتداء سيره وانتهاءه لم يكونا بالنهار فهو مع تيسر ظاهره كانه سير من باطن الى
باطن الى باطن ثم منه في البطون من المسجد الحرام اذ نشأ من بحوه الخاص الذي

حرم منه الغير وحرم عليه فيه رؤية الغير الى المسجد الاقصى ليشير الى احاطته بافضل
مراتب غيره قبل وصوله الى السموات لاتصافه بانوار نبوتهم ولانهم الذي ظهرت
هناك على اقصى الوجوه اذ هو الذي باركنا حوله باشاعة انوارهما اشاعة كاملة
تنسب الى مقام العظمة الالهية لنريه من مقام عظمتنا فما فوق ذلك حينا الحسنا من
آياتنا الظاهرة في المظاهر الكاملة للانبياء عليهم السلام ومقاماتهم من السموات
والبيت المعمور وسدرة المنتهى بل فوق ذلك بحيث يصير سمع الحق وبصره انه هو
السميع البصير ومن اعظم ما باركنا حوله باشاعة نور النبوة والولاية انا آتينا موسى
الكتاب الجامع لاسرارهما وجعلناه هدى لبني اسرائيل هداية خاصة الى توحيد
الافعال الا تتخذوا من دوني وكيلا من يعتمد عليه ليقتصر نظرهم على فعل الله
في كل شيء وهي وان حصلت لهم من التورية فليست هي موروثة من موسى ولا من
ساير الانبياء لان الولاية النبوية لا يحصل لغير الانبياء وانما ورثوها من الاولياء
وان بعد زمانهم حتى انهم ورثوها من اولياء قوم نوح لكونهم ذرية من حملنا مع نوح
فكانت نجاتهم كرامة لهم وان كانت معجزة لنوح فكرامات الاولياء معجزات لانبيائهم
ولا بعد ان يحصل لمن في قومه هذه الولاية والكرامة انه كان عبدا شكورا كثير
الشكر لله فلا ينسب شيئا من الكمالات الى نفسه تحقيقا لعبوديته والشكر يقتضي
المزيد فاعطي مع النبوة والولاية النبوية الولاية العامة لامته حتى سرت بركته الى
اولادهم البعداء ومع ذلك هي ولاية قاصرة لا تفيد العصمة لذلك قضينا
حكمنا حكما جازما فيما اوحينا الى بني اسرائيل لا خفيا بل جليا في الكتاب لتفسدن
في الارض ارض بيت المقدس التي بارك الله حولها فيكون الافساد فيها افسادا
في جميع الارض لا مرة بل مرتين مرة بقتل شعيا ومرة بقتل زكريا ويحيى ولتعلن
علوا كبيرا على الانبياء بحيث لا تبالون بنبوتهم بالنظر الى ولايتكم كانكم ترونها افضل
من نبوتهم كولاية الانبياء فكان ذلك كفرا مستوجبا للوعيد الدنيوي فاذا جاء
وعد المواخذة على اوليهما اولى المفسدتين بعثنا قاسرين عليكم عبادا لنختص

او سنجادب لم يضفهم الى نفسه لكفرهم ولكن لهم نوع اختصاص بنا اذ كانوا مسلمين
لنا وان لم يقصدوا ذلك لكن هذا الاختصاص افادهم مزيد قوة فكانوا اولى بأس
شديد حتى على الانبياء والمؤمنين ولم نقتصر قوتهم على الخارجين عن بيوتهم بل عمت
من تحصن بيوتهم فجاسوا اي طلبوكم خلال الديار اوساطها وسوراكان وعدا
في النظام بحيث يجوز البداوة زعمه كان وعدا بنصرهن قتل من الانبياء فكان مفعولا
بالحزم ثم اي بعد هذه المواخذة الشديدة رددنا عند توبتكم لكم الكرة الغلبة
التي كانت لكم في الاصل عليهم وجعلنا لكم مع القوة الباطنة قوة ظاهرة اذ امددناكم
باموال وبنين ولم نقتصر على كثرة البنين بل جعلناكم اكثر نفيرا اجنابا نصرهم بحيث
يغلبونهم من كل وجه فعلنا ذلك لتعلموا انكم ان احسنتم توبتكم واعمالكم احسنتم
لانفسكم بابقاء الغلبة لها والامداد بالاموال والبنين وتكثير النفير وتيسير
الامور الاخروية وان اساتم فلها اي فاساءتكم ضارة لها بغلبة الاعداء
وسلب الاموال والبنين والنفير فاخرتم الاساءة حتى جاء وعد المواخذة فاذا
جاء وعد مواخذة المرة الآخرة بعثنا عليكم عباد الناطوس الرومي ليسوؤا
وجوهكم بالاذلال والاسر بالسلاسل والاغلال وليدخلوا المسجد لتخريبه
واحراق التورية كما دخلوه اول مرة وليتبروا اي ليهلكوا ما علوا ما علوتم
به على الانبياء من دعوى الولاية تتبيرا اعظيما اذ لم يبق دعواكم عليه شيئا وانما
فعل ذلك ليخلصوا توبتكم واعمالكم عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم بعد هذه
التوبة الى مثل العلو عدنا الى تسليط الاعداء وسلب الاموال والاولاد في الدنيا
وجعلنا يوم القيمة جهنم للكافرين حصيرا محبسا حاصرا لهم لا يخرج عنه العائد
الى الكفر بعد التوبة ولا غير العائد وتعذب من انكر القرآن ولمن تعذب من
انكر التورية لانها وان كانت هدى لبني اسرائيل هداية خاصة فهداية القرآن اكمل
ان هذا القرآن يهدي للتي للملة او الشريعة او الحكمة التي هي اقوم ولكمال هداية
يبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات كلها ان لهم اجرا كبيرا فوق اجر من

آمن بالتورية وعمل بصالحاتها وان بلغ هدايته الخاصة ويبشرهم ان الذين لا يؤمنون
به فانهم وان آمنوا بالتورية فهم لا يؤمنون بالآخرة فلا يؤمنون بدوام ربوبية الله
عليهم اعتدنا لهم قبل وصولهم الى مكان انكار ربوبيته عليهم فيه عذابا اليما اشد من
عذاب من انكر التورية وكيف لا يعتد له العذاب الاليم مع استعجاله به اذ يدعو
الانسان استعجالا بالشر كالعذاب دعاءه بالخير كالثواب كان الشر عنده خيرا لا بمقتضى
عقله كاستحسان الدواء المر ولكن بمقتضى ترك النظر اذ كان الانسان عجولا لا يترك
النظر مع تيسره ولا يبعد من الانسان ترك النظر مع كونه حاذقا كامل العقل اذ
جعلنا الليل والنهار آيتين على وقوع الانسان في ظلمة الجهل تارة ونور العلم اخرى
فمحونا آية الليل بجعلها مظلمة ليعلم الانسان ان ظلمة الجهل وان افادته السكون
الى اللذات الجسمانية فهي مانعة من اكتساب اللذات العقلية التي هي الفضائل وجعلنا
آية النهار مبصرة لتميز الاشياء المحسوسة ليعلم الانسان ان نور العلم تميز
المعقولات لتبتغوا فضلا من ربكم من اصلاح المعاش والمعاد وآية الليل
وان كانت مانعة من طلب الفضل لكنها اذا ضمت الى آية النهار كانت مفيدة معرفة
مقدار الجوهر المشتملة على النعم اذ كانت لتعلموا عدد السنين والحساب لتحاسبوا
النعم الواقعة فيها لتشكروا بها بمقدارها كيف ولم نتركه مجملا بل كل شيء فصلناه تفصيلا
شافيا ولا يبعد كون الجزاء بمقدار العمل اذ كل انسان الزمناه طائره عمله الذي
يطير به الى مقام السعادة او الشقاوة بان نجعله مثبتة لروحه او قلبه او نفسه في
كالتعويذ المكتوب في عنقه لكنه الآن امر معنوي ونخرج نصوره بصورة المكتوب
له يوم القيمة الذي تصور فيه المعاني بالمحسوسات كتابا وهو وان كان اليوم كالمجمل
يلقاه منشورا الا اجمال فيه وهو وان كان غير مقروء قبل تصوره بصورة الكتاب
لكنه اذا تصور يقال له اقرأ كتابك اي كتاب اعمالك لئلا تحتاج الى شاهد ولا الى
حسيب بل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا واذا كان على كل انسان تصور بصورة
جمله او قبحه مع انها مثبتة نفسه او قلبه او روحه من اهتدى فانما يهتدي

يفيد النفس الصور الجميلة ومن ضل فانما يضل عليها بفوت تلك الصور واستبدالها
بالصور القبيحة عليها ولا يغير ذلك بتحمل الغير عنه فانه لا تزر وازرة وزر اخرى
فلا تتصور بالصور القبيحة لتلك الاعمال وانما يتصور الغير بصورة زعم التحمل لها
ولا يبعد ان يصير الاعمال هيئة روحانية او قلبية او نفسية عند اعلام الرسل
فانه يفيد تصويرها بصورة العلم بكونها طاعة او معصية ثم انقلابها بصورة
الثواب او العقاب فانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يعلمهم ما يفيد تصويره
الطاعة او المعصية اذ يكون من قبيل تكليف الغافل وليس المراد غفلة من لا
يبالي فانه سبب الاهلاك ولذلك واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
بالطاعة فغفلوا عن امرنا ففسقوا فيها فيتصور ارواحهم او قلوبهم او نفوسهم
بالصور القبيحة عن مخالفة الامر فحق عليها القول قول العذاب بتصوير صور
بتصفية فعملنا بمقتضاه فدمرناها تدميرا اهلكناها بحيث لا يبقى لهم زرع
ولا نسل وليس هذا مما يقع نادرا فانه كم اي كثيرا اهلكنا من القرون فضلا
عن القرى لا في الاعصار البعيدة جدا حتى يمكن ان يقال تغير السنة بل من بعد
نوح ولم يكن مؤاخذتهم اعاقبة بل على المعاصي لا على بعضها بحيث يرجى التخفيف
بل على كلها ولا يبعد اذ كفى بربك بذنوب عباده خبيرا بظواهرها بصيرا بظواهرها
وكيف يترك الله مقتضى هيئات الاعمال ولم يترك مقتضى مبادئها بالكلية اذ من
كان يريد العاجلة اي الدنيوية عجلنا له فيها ما نشاء لا لكل بل لمن
يدعي الالهية لمن نريد لا لكل مريد لئلا ينسب هذا الاثر الى ارادته ثم اذا تصور
روحه او قلبه او نفسه بما عمل جعلنا له جهنم وتلك الصور وان كانت باطنة يصليها
ظاهرا كما يصليها باطنا اذ يصير مذموما لا كذم سائر الاشياء اذ يصير مدحورا
مطرودا ومن اراد الاخرة فهذه الارادة وان لم يستقل بالتاثير يفيد اذا سعى
لها سعيها الذي امر الله به كيف ما وهو يفيد صورة طاعة حسن وهو مؤمن اذ لا
يفيد طاعة بدون المطاع فاولئك وان لم يستقل سعيهم بافادة الصور الجميلة

وقيل ذلك انما
يتصور بسوق
العمل لا من حيث
الطاعة او المعصية



كان سعيهم مشكورا مستحسنا بالايمان مع ارادة الاخرة فصار بحيث يفيد فيضان
الصورة الجميلة على صاحبه وليس تاثير تلك الصور يوم القيمة كتاثيرها اليوم بل كلا
اي كل صورة نمد هؤلاء اي هيئات الاعمال الصالحة بما يجعل الحسنة بعشر امثالها
وهؤلاء هيئات الاعمال الطالحة بما يماثلها المماثلة الباطنة التي كانت لها وليس ذلك
المدد من انفسها حتى يجب اخذها باذناتها كل يوم في الدنيا بل من عطاء ربك لها وهو
وان لم يحصل لها في الدنيا كان جائز الحصول لها لانه ما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا وان كان متفاوتا بحسب استعداد المحل فان زعمت انه اذا لم يكن من انفسها
يجب ان لا يتفاوت انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وان زعمت ان التفاضل
لو كان بحسب المحل لم يتفاوت المحل الواحد باعتبار الدنيا والاخرة فقال وللاخرة اكبر
درجات من الدنيا فلا بد من وقوع اصل التفاوت فاذا جاز اصل التفاوت
جاز التفضيل فهي اكبر تفضيلا واذا ثبت هذا التفاوت بين الاشياء بل من
الشيء الواحد بحسب وقتين لا يحمل عند رؤية التفضيل وان بلغ ما بلغ مع الله
في كماله الها اخر اذ لا يساويه في الكمالات فاذا سويت بينهما تقعد مذموما
بهذا التميز ولا يقتصر عليه بل مخذولا مطرودا عن الانسانية وكيف يجعل بمجرد
التفضيل الها مع انه لم يفضله ليشاركه في استحقاق العبادة اذ قضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه لاختصاصه بنعمة الايجاد للمنعم والنعم ولو كان ثمة مستحق
اخر بالانعام لكان الاولى بذلك الابوين لاختصاصهما بسببية الايجاد الذي
هو اصل النعم لكنه انما قضى فيهما بان تحسنوا بالوالدين احسانا اتم من الاحسان
الى سائر المنعمين لانه بحيث اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اي
ان يحصل بلوغ احدهما او كليهما الكبر الذي هو زمان الضعف وسخافة العقل و
الاستعداد فاذا ظهر منهما ما تستقذره فلا تقل لهما اف وهو صوت يدل
على التضجر وان تكلما او فعلا ما لا ترضاه ولا تنهرهما لا تزجرهما ولو احتجت الى
نهيهما فقل لهما قولا كريما جميلا ولا تتكبر في خدمتهما بل اخفض لهما جناح الذل

اى بيدك المنسوبة الى الذل بتعاطى الافعال الذليلة على نهج المسارعة لا من
ذلك فى نفسك بل من الرحمة اى رحمتك عليهما ولا تكتف بالرحمة الفانية بل اطلب
لهما الرحمة الباقية ولا تعتذر بعدمها عندك بل وقل رب ارحمهما رحمة باقية كاملة
كما كرحمتهما اياى بالبقاء حين ربيانى تربية شاقة عن افراط الرحمة اذ كنت صغيرا
ولا يكفى خفض الجناح فى الظاهر ولا ترك التضجر باللسان بل يجب موافقة الباطن
اذ ربكم اعلم بما فى نفوسكم من التضجر والاستكبار على خلاف ما فى الظاهر لكنه يعفو
عنه ان تكونوا صالحين تائبين عما فى الباطن مرة بعد اخرى فانه كان للاوابين
الراجعين الى الله سره ظاهره وباطنه غفورا وكيف لا تحسن الى الوالدين مع
انهما اقرب الاقارب وقد قيل لك وآت ذا القربى لم تقل الاقرب لان المطلق
ينصرف الى الكامل والاضافة لمكان ادنى الملابسة صدق ذو القربى على كل من
له قرابة ما حقه فيه اشارة الى ان له حقا معينا بخلاف المسكين وابن السبيل
وكيف لا تؤتى ذوى القربى وقد امرت ان تؤتى المسكين من الاباعد يعنى
الاقارب مع الصدقة صلة الرحم والفقير منهم بطريق الاولى لانه اسوء حالا منه
وكيف لا تؤتى المسكين مع انه من اهل بلدك فيه نوع جوار وقد امرت ان تؤتى
ابن السبيل مع كونه ابعد من جارك وبالجملة امرت بالاحسان الى من ليس
بمنعم فكيف تترك الاحسان الى المنعم ولكن ليس منه التبذير ولا تبذر تبذيرا
بوجه من الوجوه بالانفاق فى محرم او مكروه او على من لا يستحق فتحسبه احسانا الى
نفسك او غيرك ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فى كفران نعمة المال
بصرفه الى المحرم والمكروه والى غير المستحق وكيف لا يكونون اخوان الشياطين
وغاية امر الشيطان انه كان الشيطان لربه كفورا بتغيير حكمته واما تعرضن عنهم
اى ان تحقق اعراضك عنهم ترتيبا للاحسان اليهم ابتغاء طلب رحمة من
ربك فى المنع عنهم لئلا يقعوا فى التبذير بصرف المعطى الى شرب الخمر او الزنا
لا متيقنة بل مظنونة بحيث ترجوها لهم لما عرفت من عادتهم فقل لهم فى الدفع

قولا ميسورا سهلا عليهم ليكون احسانا اليهم بدل العطاء لهم فلا تقل لهم منعتكم
لما اخاف منكم شرب الخمر او الزنا ثم نهى عن الاعراض للبخل مع الامر بالاعراض
مخافة البسط المفرط فقال ولا تجعل يدك مغلولة مقبوضة كانها مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها ولو بلا تبذير كل البسط فتقعد تصير ملوما بالفقر محسورا منكشفا
ليس لك ما يسترك عن السؤال والبسط وان كان من الاخلاق الالهية فالقبض
من اخلاقه ايضا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وان لم يتوجه اليه
لوم ولا خسر انه كان بعباده خبيرا ببواطنهم بصيرا بظواهرهم ولما اوجب ايتاء
ذى القربى والمسكين وابن السبيل لحفظ ارواحهم فالاولاد لحفظ الارواح اولى
لا تقتلوا اولادكم سيما اذا كان منشاؤه خشية املاق فقر فى المستقبل بالانفاق
عليهم اذا كبروا نحن نرزقهم اى نحن المختصون باعطاء رزقهم فى الصغر والكبر
واياكم الآن باعطائكم ان قتلهم للاملاق الحاضر او خشيته فى المستقبل كان
خطأ كبيرا لافضائه الى تخريب العالم واى خطأ اكبر من ذلك ولما نهى عن قتل
الاولاد نهى عن قطع النسل فقال ولا تقربوا الزنا مكانا يمكن فيه الزنا فضلا عن فعله
انه كان عند جميع الخلائق معصية فاحشة مجاوزة الحد فى القبح يوجب
التفرق عن صاحبه والتفرقة بين الناس وساء سبيلا لقضاء الشهوة التى خلقت
لطلب النسل بتضييعه ثم ذكر ما هو اعظم فى التفرق والتفرقة فقال ولا تقتلوا النفس
التى حرم الله قتلها وهى نفس الانسان فان الله حرم قتلها الا بالحق بالحكم
الشرعى كالقصاص والارتداد والزنا المحض وقطع الطريق بالقتل والحرب و
البغى ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب حقه فى الآخرة او فى الدنيا فقد جعلنا لوليه
مع عدم كونه مظلوما سلطانا بطلب القصاص او الدية على القاتل لا على متعلقيه
فلو قتل كان مظلوما فلا يسرف ولى المقتول فى القتل بقتل غير القاتل انه اى المقتول
اسرافا كان منصورا بتسليط وليه على قاتله لكونه مظلوما ثم نهى عن قتل النفس بالتجويع
سيما نفس اليتيم العاجز عن الكسب فقال ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن اكله بجهة من

الجهات الا بالتي هي احسن هي حفظ ماله وتنميته فاقربوه بتلك الجهة حتى يبلغ اشده
زمان قوته على حفظ المال وتنميته وهو زمان البلوغ بالسن او الاحتلام او
الحيض او الحبل ثم ذكر حفظ العهد الذي به انتظام امور البالغين فقال
واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا بان يتصور بصورة حي فيسأل من حفظك
فيحفظه ومن ضيعك فيضيعه ثم ذكر ايفاء الكيل والوزن لانهما في معنى عهد ان
لا ينقص من حق الاخوان شيء فقال واوفوا الكيل لا عند احد فانه يكون
استدراجا الى اخذ الزيادة مع ان التسامح فيه اولى لكن اذا كلتم لغيركم وزنوا
بالقسطاس المستقيم الذي لا يميل الى جانب ذلك خير من نقص حق الغير في
افادة البركة في الدنيا واحسن تأويلا عاقبة اذ ليس معه مظلمة يطالب بها
يوم القيامة ثم امر برعاية القسطاس المعنوي فقال ولا تقف ما ليس لك به علم
في قول او فعل تستند الى سمع او بصر او عقل ان السمع قدمه لان اكثر ما يكتسب
الناس اقوالهم اليه والبصر لم يذكر ساير الحواس اذ لا يخالفهما قولا وفعلا والفؤاد
اخره لانه منتهى الحواس كل اولئك اي كل واحد من هذه الاعضاء كان عنه
اي عما نسب اليه مسؤولا ليشهد على صاحبه واذا ابتغى العلم وهو يدعو الى
الكبر لا تمش مع كونك في الارض التي هي غاية السفل مرحا تكبرا او اختيالا
اذ لا يفيدك قوة ولا علوا انك لن تخرق الارض بشدة وطئك ودوسك
ولن تبلغ بهذه المشية المتمطاة الجبال من الجمادات طولا تعلو به على
الخلايق علو ما كل ذلك المذكور من المنهيات صريحا او في ضمن الامر ضده
كان سيئة في نفسه ولا يفيد رضى الله اذ كان عند ربك مكروها اما الشرك
فلا خلاله بالكمال المطلق الذي لا يتصور مع الشرك اذ معه يصير كمالا بالاضافة
الى بعض الاشياء دون جميعها واما عبادة الغير فلما فيها من تعظيم المخصوص
بذي الكمال المطلق فهي في معنى الشرك واما العقوق فلانه كفران نعم الاولى
في سببية الايجاد ومنع الحقوق بالبخل تفريط والتبذير والبسط افراط وهما

ولا تتبع

وما

مز

مذموما والذم مكروه والقتل يمنع الحكمة من بلوغها كمالها والزنا واكل
مال اليتيم في معناه ونقض العهد مخل بنظام العالم وكذا اقتفاء ما لا يعلم
والكبر من خواص الحق وعادة الملوك كراهة ان ياخذ احد شيئا من خواصهم
ذلك اي جميع ما ذكر الحكم بالعقد والعمل به لانه مما اوحى اليك بالحكم الكلي
ربك الذي هو الحكم اعتبار الالهية من الحكمة العلم المحكم الذي لا يتغير لشبهة ولا
تجعل بقبول ما يخالفها مع الله الها آخر بنسبة علمها فانه شرك فان لم يكن
فلا اقل من ان يوجب الالقاء في النار فتلقى في جهنم ملوما بالجهل العظيم
بنسبة علم الله مع علم الغير مدحورا مبعدا عن رحمته بعد المشركين وكيف
يسوون علم ابائكم القائلين بان الملائكة بنات الله بعلم الله بل يفضلون علمهم
وخواصهم على خواصه ايزعمون ان الله فضلكم على نفسه افاصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة بنات لنفسه مع نقصها بكونها اناثا في زعمكم انكم لتقولون
في تفضيل علمكم وخواصكم على علم الله وخواصه قولا عظيما وانما قلنا ان اختياركم
لعلم آبائهم لتفضيلهم اياه على علم الله لانه لم يكن لخفاء علمه وظهور علمهم عندهم و
لقد صرفنا وجهنا البيان بوجوه كثيرة في هذا القرآن المشتمل على جوامع الكلم
ليذكروا اي ليتذكر كل واحد بوجه وما يزيدهم اي التصريف الا نفورا تباعدا عن
المطلوب الذي لغرابة وجوه البيان قل للقائلين ان الملائكة بنات الله وهو مستلزم
للشرك وهو باطل اذ لو كان معه آلهة كما يلزم مما يقولون انهم بناته اذا وان كانوا
تحت يده وتصرفه لابتغوا لطلبوا الى مغالبة ذي العرش للاستيلاء على عرش
ملكه سبيلا اذ لو عجزوا لم يشبهوا اباهم فيلزم ان يعجز معهم لكنه سبحانه من العجز
وتعالى عما يقولون من المشاركة والولادة المخصوصة بالحيوانات علوا كبيرا
يسبح له يدل على تنزيهه السموات السبع كل سماء بما فيها من كمال الحكمة والارض
بما فيها من عجائب التكوين ومن فيهن من الملائكة والانس والجن المشتملين على
انواع الكمالات فهذا من التسبيح بلسان الحال وبعضها بلسان المقال ايضا

وان من شيء الا يسبح بلسان الملكوت ملتبسا بحمده مما ظهر فيه ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لاقتصار نظركم على عالم الملك انه كان في ذمكم اياه بلسان المقال
باثبات الشركاء له والاولاد حليما بترك الاستعجال بكونه غفورا اساءة عليكم
تلك المحامد وكيف تفقه من لا يؤمن بالملكوت ما يبقى فيها فلم يخرج الى الملك مع
انك ايها الملكوتي الخارج الى الملك اذا قرأت القرآن الذي هو ملكوتي
خارج الى الملك جعلنا عند غلبة الملكوتية عليك بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة الملكوتية حجابا مستورا عن اعينهم فلا يرونك ولا الحجاب الذي بينك
وبينهم عن سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب جاءت امرأته بحجر
لترضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع ابي بكر رضي الله عنه فقالت
ان صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال ما ينطق بالشعر فقالت ما رأيتك يا رسول الله
فقال لم يزل ملك بيني وبينها ولكون القرآن ملكوتيا وهو يقتضي الحجاب على
من لا يؤمن بالملكوت جعلنا على قلوبهم اكنة حجابا كراهة ان يفقهوه لان فقهه
كشف للحجاب وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنعهم من سماع الفاظه الداعية الى فهم
معانيه كيف وهم متنفرون عن معانيه فانه اذا ذكرت ربك في القرآن الجامع
دلائل توحيده لجعله آلهة وحده ولوا صرفوا وجوههم فجعلوها على ادبارهم
نفورا اي لاجل التباعد عنه فان لم يولوا ادبارهم نحن اعلم بما يستمعون به من
كونه الفاظا مستغربة في الظاهر اذ يستمعون اليك ايها المظهر اسرارها على
وجه على وجه سحرها واذ هم نجوى اي حين يسر بعضهم الى بعض طلبا للانصار
يصرون على الظلم اذ يقول الظالمون لاهل العدل ان تتبعون الا رجلا
مسحورا تحير فاختلط كلامه انظر كيف ضربوا لك يا اكمل الخلائق عقلا
وكشفا وبلاغة الامثال بالمسحور والمجنون والمخلط كلامه فضلوا عن اعجاز
القرآن ضلالا بعيدا فلا يستطيعون سبيلا الى ما يهتدون به فضلا عن قاصية لم
يتهموا على ضرب الامثال لك بل ضربوا لنا امثال العاجزين اذ قالوا



ابدا اي ابعث اذا كنا بعد مصير الجمادية عظاما ورفاتا لا يبقى عظاما بل صار
رفاتا ائنا لمبعوثون اي يحق كوننا مبعوثين فان يحق كنا خلقا جديدا
لا معادا قل لو صرتم ما هو ابعد في قبول الحيوة من العظام والرفات فانها
متحقق كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر يعظم بعيدا حصول الحيوة له فانما
يكبر ذلك في صدوركم لا في صدور من عرف الله بكمال القدرة والعلم والحكمة
فاذا سمعوا ذلك فسيقولون بعد لزوم الحجة عليهم من يعيدنا ولا قدرة لاحد
على الاعادة قل الذي فطركم اوجدكم اول مرة من العدم الذي هو ابعد
من قبول الصفات الوجودية فاذا سمعوا ذلك فسينغضون يحركون ناظرين
اليك ايها المتيقن للدلائل الكاشفة للشبهة رؤسهم ويقولون استهزاء متى هو
مع انه لم يتحقق في الادوار الماضية قل عسى قرب رجاء ان يكون قريبا
وكيف يبعد مع انه انما يتوقف على دعوة ولا ينفخ منه حتى يستبعد فيكون
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده على كمال قدرته وحكمته وعلمه وليس هذا
تقريبا عقليا فقط بل تظنون تعتقدون ان لبثتم في الدنيا والبرزخ الا
قليلا لطول ذلك اليوم عليكم وقل لعبادي الذين يريدون تقريب
اصحابهم الى الصواب في امر البعث يقولوا في النصيحة الكلمة التي هي احسن
وان كان غيرها ابلغ مثل ان يقولوا لابد لافعال المكلفين من الجزاء
وهو يتوقف على البعث لا ان يقولوا لابد للكفرة والفجرة من الاحراق
بالنار ابدا او مدة فانها مغضبة لهم وهو داع الى التقاتل والتضارب
والشيطان معين فيه ان الشيطان ينزغ بينهم يوقع العداوة بينهم
ليصير بعضهم عدو البعض كما انه عدوهم ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا يعادي الناصح والمنصوح له ولا حاجة الى احتمال منع
الاذية منه في النصيحة بالايمان والاعمال الصالحة باظهار الشدة فيها اذ
ربكم اعلم بكم باستعدادكم لا بطريق الايجاب بل ان يشأ يرحمكم من غير

اظهار شيء من الناصح او ان يتنا مع التشديد بعذبكم في الدنيا بالقتل وفي
الاخرة بالنار ولو لم يكن فيه اذ به من الشيطان فلا حاجة اليه في تبليغ الرسالة
لانا ما ارسلناك عليهم وكيلا تصلح شانهم البتة ومجرد كونك ناصحا لهم وان كان
بعضهم ويفضي الى القتال لما فيه من تفضلك عليهم مع رؤيتهم انك دونهم
حتى قالوا لم يجد الله لهذا الشان الا يتيم ابي طالب والعراة الجوع لصحبته
فانه لا عبرة بهم اذ لا بد من ناصح والتفضل من اجله ليس لديهم لجهلهم بل يبذله
اذ ربك اعلم بمن في السموات والارض وقد علم انه لا انصح فيهما لعباده من محمد
صلى الله عليه وسلم ولا ابعد منه بتفضيله عليهم فانه لقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وهم اكابر الناس وليس بمبدع فانه فضل داود عليه السلام على كثير بقدمه اذ
آتينا داود زبورا يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب قل ان كان لكم الفضل
فاصله العقل الجالب للمنافع الدافع للمضار وسواهم ادعوا الكشف الضر او
تحويله الذين زعمتم انهم آلهتكم يجرون اليكم المنافع ويدفعون عنكم المضار وان
كانوا من دونه فلا يملكون كشف الضر باعدامه عنكم ولا تحويلا بلا له منكم الى غيركم وان
ملكوا ذلك وبلغوا فيه من الكمال ما بلغوا اولئك الذين يدعون لبعد درجتهم في
ذلك بزعمهم في ذل العبادة اذ يبتغون الى ربهم الوسيلة بالعبادة اذ يحرصون
في انه ايهم اقرب اليه ولا يقتصرون على طلب التقرب بل هم ادنى اذ يرجون
رحمته ليكملوا ويخافون عذابه لئلا يلحقهم النقص ان عذاب ربك وان عمت
رحمته للكل كان محذورا للكل حتى المقربين اذ لا يخلو عن عموم بطريق الابتلاء
وذلك ان ان من قرية صالحة او طالحة الا نحن مهلكوها بامانة اهلها او
استيصالهم لا لافناء العالم الدنيوي قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
بالقتل والاسر والقحط والاحراق والاغراق او غير ذلك اذ كان ذلك في
الكتاب مسطورا ليعلم ان المخلوق لا يخلو من قهر ولو قيل ان كان لمحمد صلى الله عليه وسلم
هذا الفضل لارسل الله له كل آية يقترح عليه قيل لهم ليس المانع من ارسالها عليهم

فضله بل عدم وقوع العذاب المحذور قبل يوم القيمة فانه ما منعنا ان نرسل محمدا
صلى الله عليه وسلم بالايات المقترحة الا لاجل ان كذب بها الاولون الذين
تبعهم سواء بعد ما عذبوا ليحملهم ان يتبعوهم في عذابهم ولم يمنعهم من التكذيب
كون الاية مقترحة فانا آتينا ثمود الناقة المقترحة آية مبصرة لا مجال لتوهم السحر فيها
فظلموا بها بذبحها الذي هو اشد من التكذيب فعذبوا في الدنيا لذلك وكيف لا
نعذب مكذب الايات المقترحة في الدنيا وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا
من العذاب الدنيوي اذكر اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي بقريش
ليهلكهم وينصركم عليهم فانه وقع ذلك على خرق العادة تصديقا للوعيد وكيف
لا يقع ذلك اذا كان في اليقظة وقد وقع منه ما كان في المنام وانما اوجب
وقوع ما في المنام من الوعيد لانا ما جعلنا الرؤيا التي اريناك بان هذا مصرع
فلان الا فتنة اختبارا للناس هل يؤمنون بها فيخافون ام لا وكما وقع
الوعيد الدنيوي يقع الاخروي لما فيه من الاخبار فانا ما جعلنا الشجرة الملعونة
المذمومة ذما بليغا لكونه مذكورا في القرآن المشتمل على جوامع الكلم الا فتنة
للناس قال ابو جهل ان ابن ابي كبشة يخوفنا بنار تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجرة وقال عبد الله بن الزبعرى يخوفنا بالزقوم ولا نعرفه الا الزبد والتمر
ونخوفهم ايضا بوجوه ليس فيها ما بعد اخبارا فما يزيدهم تخويفنا من التخويفات
الا طغيانا كبيرا فلو ارسلنا اليهم الايات المقترحة لقالوا انه اجل من احاط
بابواب السحر فلا فائدة في ارسالها سوى تعجيل العذاب الدنيوي لكنه
نافي اظهار دينه على الدين كله ثم اشار الى انه لو لم نظهر لك من الفضل
ما ظهر لهم لوجب عليهم ان ينقادوا لامر الله الذي تضمنته الايات المخوفة لهم
من مخالفته فقال واذ قلنا للملائكة الذين ظهر من فضل جوهرهم ما لم يظهر
لآدم اسجدوا لآدم فسجدوا ترجيحا لامر ربهم على ما ظهر من فضل جوهرهم
الا ابليس رجح ما ظهر من فضل جوهره على امر ربه قال أأسجد لمن خلقت

فلا بد من وقوعه لمخالفة وعيد
عذاب الاخرة ولو وجب
وقوع الوعيد الدنيوي
صح

نعم انه صح

طينا واعرض على ربه بتفضيل آدم عليه اعراضكم عليه بتفضيل نبيكم اى ظاه
عليكم حيث قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني ثم اظهر
عداوته له ولذريته عداوتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين حيث قال لئن
اخرتن ثم اخرت بقائى بلا تعذيب الى يوم القيمة لاحتنكن لاستاصلن ذريته
الا قليلا فكان ذلك سبب زيادة ابعاد الحق اياه ومن تبعه حيث قال اذهب
فمن تبعك منهم اتبعناه اياك فى عذابك من غير نقص فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا اضعاف ان يكون عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سبب مزيد
ابعاد الحق اياكم ثم ان قتالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كقتال ابليس مع
آدم وذريته حيث قال تعالى له واستفزز استخف من استطعت منهم بصوتك
بوساوسك بلا شبهة واجلب عليهم بخيلك ورجلك الشبهات القوية و
الضعيفة ثم اشار الى ان مشاركتهم فى الاموال باجماعها على من يعادى محمدا
صلى الله عليه وسلم وفى الاولاد بمناكحتهم كمشاركة ابليس مع من تبعه من ذرية
آدم فيهما اذ قال تعالى له وشاركهم فى الاموال كالمكاسب المحرمة والانفاق
فى الفسوق ومنع الزكوة والبحيرة والسائبة والاولاد بالتوصل اليه بالسبب
المحرم ودعوى النسب بلا سبب والتسمية بعبد الحارث وعبد العزى ثم اشار
الى ان وعد بعضهم لبعض بالظفر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كوعد ابليس
اذ قال تعالى له وعدهم لشفاعة الآلهة وتقريبها الى الله زلفى والكرامة على
الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول
فى الكبائر وبعض هذا وان كان حقا فليس بعام الوقوع فحسبنا ما يعدهم الشيطان
الا غرورا وتزيين الباطل بزينة الحق ثم اشار الى ان المؤمنين لا يغترون
به فقال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا يتضررون بعداوته اذ
كفى بربك وكيلا حفيظا لهم كيف وقد تكفل بحفظكم فى البحر اذ ربكم هو الذى
يزجى يجرى لكم الفلك فى البحر ولا يبعد ان يحفظكم من خطرها ووقعه فيه لافادة



الريح اذ حملكم على البحر لتبتغوا من فضله الذى لا تعتادونه فى البلد فكذلك
اذكيكم بحر الوساوس الشيطانية على سفن الافكار لريح العلوم اذا اسلموا عن
الاخطار بقوة الاخلاص انه كان بكم فى حملكم على الاخطار رحيما بعد الرحمة
الخاصة ومن الرحمة الخاصة فى خطر البحر افادة الاخلاص بعد الشرك فانه
اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه كذا من ضر المعصية من بحر
وساوس الشيطان فالمراد النجى الى التوبة والاستغفار وترك الاسباب الغالبة
فتفيد النجاة عنها ثم النجاة عن خطر البحر موقع فى خطر الاعراض فان الدعاء
بالاخلاص افاد النجاة فلما نجاكم عن خطر البحر واوصلكم الى البر اعرضتم كذلك
الناجى عن خطر الوساوس واقع فى خطر الغفلة عن الله وكان الواجب فى شكر
الانجاء الزيادة فى اعمال الخير لكن كان الانسان كفورا بالاعراض فضلا عن
زيادة الاعمال أفأعرضتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر كذلك الانجاء من
الشيطان موجب لحفظ حسن النفس باسوئها او ان يرسل عليكم حاصبا
حجارة من السماء من غضب الله على الاعراض عنه وكذا يخاف على المعجب عند
عدم المعصية وليس هذا الخسف وارسال الحاصب مما يرجى بعد النجاة
بل لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم امنتم من جانب البر من كل وجه ام امنتم ان يعيدكم
فيه فى البحر بان يحوجكم الى ركوبه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا كاسرا للسفينة
من الريح ويكون الكسر فى وسط البحر فيغرقكم غرقا لا ترجون منه النجاة بما
كفرتم عند النجاة من مثله فى المرة الاولى ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا من
يطالب لكم علينا مثل ما يطالب على مغرق سوانا كذلك يخاف من النجاة عن
وساوس الشيطان الوقوع فى بحر معارضة الوهم والخيال من ريح المشابهة
فيكسر سفينة الدلائل فيغرق فى بحر الضلال بحيث لا يجدون حجة اصلا وكيف
لا يكون الانسان كفورا مع اعراضه عمن لم يزل مكرما له منعما عليه فانه لقد
كرمنا بنى آدم بتعليم العلوم تكريم آدم بتعليم الاسماء وانعمنا عليهم بتسخير

الحيوانات والجمادات مثل السفينة والريح والبحر اذ حملناهم على الحيوانات في
سفر البر وعلى السفن في سفر البحر ولم يكن ذلك انعاما لهم محضا اذ رزقناهم في السفرين
من الطيبات ما ليس في اوطانهم واعطيناهم من الطيبات ما لم يعط سائر
الحيوانات ولم نقتصر في اكرامهم وانعامهم على ذلك بل فضلناهم على كثير ممن
خلقنا من الملائكة تفضيلا حتى فضل عوام المسلمين من بني ادم على عوام الملائكة
وخواصهم على خواصهم وانما تظهر هذه الفضيلة ويكمل هذا الاكرام والانعام
جزاء كفران من يكفر بذلك يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بالاضافة الى امامهم الذي
افادهم هذه الفضائل او اداهم الى الكفران بها للبشارة في فضائله او رذائله
مع ما يحصل لهم مما كتب عليهم فمن اوتي كتابه بيمينه لكونه قويا غلب عقله على هواه
فظهر قوته في قراءة كتابه فاولئك يقرؤن كتابهم مرة بعد اخرى بالسن فصيحة
واعين مفتوحة وانما امروا بقراءته ليعلموا انهم لا يظلمون فتيلا مقدار خيط
ومن اوتي كتابه بشماله لضعفه عن مقاومة هواه لا لان الله لم يعطه قوة تلك
المقاومة بل لانه كان في هذه الدنيا الداعية الى متابعة الهوى اعمى عن ضررها
فانه لا ينطلق لسانه ولو انطلق لا ينفتح له عيناه فهو في الاخرة اعمى وان كان
حديد البصر ولو ابصر لم يجد الى التفصي مجالا لانه اضل سبيلا وكيف لا يزيد
اتباع الهوى العمى وقد كاد حبك ايمانهم يعمي بصيرة الوحي عنك ان كادوا ليفتنونك
اي انهم قاربوا فتنتك باعمائك عن الذي اوحينا اليك بالتعرف له لا يحصل لهم
الهداية من ذلك المفتري لتفتري علينا غيره فيجعل الذي يوحي الوعد في مكان
الوعيد واذا اي اذا افتريت علينا غيره لاتخذوك خليلا فامنوا بك مع
علمهم بانه مفترى من عندك وهو موجب للكفر والبغض ولولا ان ثبتناك
على الايمان والبصيرة باعلام ان في ذلك كفرك وكفرهم لقد كدت تركن تميل
اليهم شيئا قليلا من الميل من عماك بحبك ايمانهم ولم يكن يفيدك ذلك شيئا بل كان
يضرك في الدارين اذا لاذقناك ضعف عذاب الحيوة الذي حصل لمن مضى



من الكفار وضعف عذاب الكفار بعد الممات لان بصيرتك اكمل من بصيرتهم
فنضاعف عذابك بمقدار ما يفوتك من فوائد بصيرتك ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع عنك اذاقة ضعف عذاب الحيوة والممات وهما يشبه العمى الطمع في ايمانهم
وايمانهم ان كادوا ليستفزونك ليزعجونك من الارض التي يساكنهم ليخرجوك منها اذ
قالت له اليهود يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا الى الشام وهي مهاجر ابرهيم فلو
خرجت اليها لامنا بك وهم لم يقصدوا بذلك ارشاده بل يبغي لهم الرياسة بمكانهم
واذا لا يلبثون خلفك لا يبقون بعد اخراجك فضلا عن بقاء رياستهم الا
زمنا قليلا وليس ذلك مخصوصا بك حتى تستبعد بل كان سنة اقوام من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا كلهم لما اخرجوهم من بلادهم لم يبقوا بعدهم وهي وان لم يكن حجة
لكن لا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا ولو ردت الهجرة الى مكان الانبياء فاعمل اعمالا
تبلغك اعلى من مكانهم اقم الصلوة للاستنارة بنور ربك لدلوك لزوال
الشمس والمراد صلوة الظهر والعصر والمغرب لتبقي في الارتفاع الذي يحصل فيه الاستنارة
بنور الرب منها الى غسق ظلمة الليل فيصلي فيه العشاء بعد غروب الشفق لئلا يعود
الى ظلمة البشرية وقران صلوة الفجر التي يطال فيها القراءة وانما اطيلت فيها لان
الفجر وقت صعود ملائكة الليل بالاعمال ونزول ملائكة النهار بالبركات ان قران
قراءة صلوة الفجر كان مشهودا للطائفتين الملائكة فيصعدون بها مع من البركات
ليتم لك الاستنارة في ابتداء ظهور النور ثم لا تزال تزداد واستكمل الفرائض
بنوافل الليل واستكمل الفرائض بنوافل الليل ومن الليل اي بعضه فتهجد اترك
النوم به ليصلي فيه نافلة زائدة على الفرائض مختصة لك لتزداد عظما فوق ما تفيدك
غيرها عسى قرب رجاء ان يبعثك ربك الذي هو مجمع انوار سائر الاسماء مقاما
هو مقام الشفاعة محمودا يحمده الكل لاختصاصه بفيضان النور على اهل الفضل
اذا كانوا قابلين للكمال فاذا كان لك تحصيل هذا المقام الذي يستفيض منه النور
من الله بلا واسطة ويفيض على من سواك فاي حاجة لك في الهجرة الى مقام الانبياء

لتستفيد منهم انوارهم وهذه العبادات لا توصلك الى المقام المحمود الا اذا
صدق دخولك فيها وخروجك عنها ولا يتم الا بامداد الله بعد استمدادك
منه قل رب ادخلني في هذه العبادات مدخل صدق بمشاهدتك في هذه
العبادات ورؤيته كونها من فعلك وان كانت صفة العبادة منها مني وتجنبني
عن الرياء والعجب وتصفيني باخلاص العمل واخلاص طلب الاجر ورؤية المنة لله
تعالى ورؤية التقصير فيها واخرجني عنها مخرج صدق فلا يستعملني ما يحبطها علي ولا
تردني على نفسي واذا غلبني الشيطان او النفس او الخلق او وردت علي شبهة
اجعل لي من لدنك لا من عند عقلي وفكري سلطانا حجة نصيرا ينصرني على ما ذكر
فيبقى على عبادتي فيوصلني الى المقام المحمود واذا انجلى لك الحق في هذه العبادات
لا تدع لنفسك الالهية بل قل جاء الحق بتجليه على القلب وزهق ذهب الوجود
الباطل في نفسه وهو وان اعتقد ثبوته قبل ذلك لم يكن ثابتا بل ان الباطل
كان زهوقا لكن لم يظهر زهوقه الا بعد حصول التجلي الشهودي للحق ولا يبعد
ان يكون التجلي الثاني عن مرض الاعتقاد الباطل من ثبوت الوجود لما سوى
الله مقتضيا في حق البعض دعوى الالهية فانا ننزل من القرآن ما هو شفاء
عن الشبهات ورحمة ببيان الحقائق واقامة البراهين للمؤمنين ومع ذلك
لا يزيد الظالمين بجعل الشبهات دلائل قاطعة وجعل الدلائل القاطعة شبهات
الا خسارا اذ يخسر مع خسار الاعتقاد الدلائل ايضا ولا يبعد ان تكون سبب
الشفاء والرحمة سببا للخسار فانا اذا انعمنا على الانسان ليتقرب بشكره
الينا ويتنزه بالنعم حين اعرض ليكون سببا للبعد عنا كيف وقد نأى
بعد من اخذه بجانبه فرجح على جانبنا ولا يقبل بعد علاجا لان النعم انما
يعالج بضده وهو اذا مسه الشر كان يؤوسا وهو ايضا سبب البعد كذلك يعرض
الانسان عن شفاء القرآن وباخذ بدائه واذا وقعت له فيه شبهة يئس من حلها فان
زعم ان الانعام بالقرآن على مثل هؤلاء يكون عبثا قل لا عبث فيه اذ يظهر

استعداد

استعداد المنعم عليه للثواب والعقاب اذ كل من انعم عليه بالقرآن يعمل على شاكلته
بنية روحه الحاصلة له من استعداد حقيقته وليس طلب هذا الظهور بتحصيل
علم للحق فيكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وبمن هو اضل بل لالزام الحجة واذا ادعوا
استعدادات الحقائق وثبات الارواح يسألونك عن الروح ليتميز عن الحقيقة
وسالها عن استعدادها قل الحقائق واستعداداتها امور عدمية تعلق بها العلم
الالهي فكانت ثابتة فيه لا في الواقع والروح وثباته امر وجودي حصل من امر
ربي بلا واسطة مادة فلم يكن لها شكل ولا مقدار ولا دخول في البدن ولا
خروج عنه ولا اتصال به ولا انفصال عنه وهذا انما يفهمه من تبحر في علم الحقائق

انفصال

ولكن ما اوتيتم شيئا من العلم الا قليلا وبمقتضى قلة علمكم لئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك من المشتمل على الحقائق الغامضة لكن لو ذهبنا به فاتك وكمل
احتجابك علمها ثم لا تجد لك به علينا وكيلا بطالبنا به اذ لا طريق الى علم الحقائق
سوى الوحي الالهي الا رحمة من ربك فانها كالوكيل لك لو لم ننزل عليك
القرآن لكن لا بطريق الايجاب بل بطريق الفضل ان فضله كان عليك
كبيرا فلو قطع عنك القرآن ليتفضل عليك بطريق آخر فان قالوا فلم لم يتفضل
عليك بطريق آخر بل عين القرآن قل ان فضله بانزال القرآن ليس كفضله بطريق
آخر لان القرآن جامع لما لا يتناهى من الحقائق وغيره ليس كذلك لذلك لئن
اجتمعت الانس والجن المتفرقون زمانا ومكانا مع اختصاصهم بالعلوم الجليلة
الدقيقة على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المشار اليه بالاشارة القريبة لقرب
احتجاجاته ودلائله ورفع شبهاته لا يأتون بمثله لان غايتهم افادة امور متناهية
والقرآن مشتمل على ما لا يتناهى فلا يقبض حصرها منهم ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا معينا بعبارة احسن من النظم والنثر مخالفة لاسلوبها ولا يخل باعجازه
تكرار الاخبار فيه مع اختلاف العبارات فانا لقد صرفنا اوردنا على انحاء
مختلفة للناس الغافلين عن بعض الفوائد من عبارة ليتذكروها من اخرى ولابد

من جمع الفوائد افضى بالعامة لقصورهم نظرًا عن ظاهر النكل ادى الى انكار الاعجاز
فابى امتنع اكثر الناس ان يستفيدوا اشيا من تلك الفوائد الا كفورًا وحين كفروا
باعجاز القران الذى لا مجال لتوهم السحر فيه وقد توهموه فى ساير المعجزات الفعلية
قالوا لن نؤمن لك لاياتك حتى تاتى بما يشبه الثواب الاخروى مثل ان تفجر
تشق لنا لنزداد غنا وغرسنا على العموم من الارض ارض مكة ينبوعا كثير الما
او تكون لك على الخصوص جنة من نخيل وعنب لا تكلف فى سقيها فتفجر الانهار
خلالها اوساطها ليصل الرطوبة الى الكل تفجيرا لم يعهد مثله فى كثرة الماء والسقى
من غير عمل او تاتى بما يشبه العقاب الاخروى مثل ان تسقط السماء كما زعمت ان
نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء علينا كسفا قطعا او
تاتى بالله الذى هو خالق الثواب والعقاب والملائكة الذين هم اسبابهما قبيلا ضامنا
بصدق قولك ليبصروا ضامنين بالثواب والعقاب فكانك جئت بعينهما فلا حاجة
الى الاتيان بما يشبههما او يكون لك اذ لم تات بما يشبه الثواب والعقاب ولا
بما يقوم مقام عينهما ما نظهر به فضلك علينا المانع لك من الكذب اما فى الارض ان يكون
لك بيت من زخرف من جنس ما تزين به كالذهب والفضة والجواهر او فى السماء بان
ترقى فى السماء فتكلم ربها وتكلمك فى سلك السماء ولن نؤمن لرقيك لاحتمال انك تخيلت
اعيننا بذلك حتى تنزل علينا كتابا لا مدخل للسحر فى الانزال نقرؤه قل من هذه الاشياء
انما تتيسر على من يدعى كمال القدرة لكن سبحان ربى من ان يشاركه فى قدرته
فان قدر على مثلها غيره فلا يقدر البشر لكنى هل كنت الا بشرا لا يخلو من عجز وان
كنت رسولا ولما اعتذر عن عدم اتيانه بالايات المقترحة بكونه بشرا جعلوه المانع
من الايمان فقال وما منع الناس ان يؤمنوا بالرسول مع تحقق سببه اذ جاءهم
الهدى الا ما لا يصلح للمنع وهو ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا مع انه لا بد من
مناسبة الرسول للمرسل قل اعتبار المناسبة بين الرسول والمرسل اليهم اولى
من اعتبارها بين الرسول والمرسل فعلى هذا لو كان فى الارض ملائكة يمشون

ولا ينظرون الى السماء مطمئنين لا يخافون من الله ولا يطلبون مزيد القرب منه
مع قابليتهم لذلك لنزلنا عليهم من السماء لا تصافه بعامة الكمال الممكن لهم ملكا رسولا
يكلمهم ويحقق فهم فان زعموا انه لا بد من بعثه الملك فيكون شاهدا للرسول على صدقه
قل كفى بالله شهيدًا وقد شهد باظهار المعجزات شهادة قاطعة للنزاع بينى وبينكم و
لا كذب فى شهادته لانه نقص فلا يتصور فى الشهادة الناشية من صفات الكمال
كالخبرة والبصر انه كان بعباده خبيرًا بصيرًا وشهادة المعجز وان كانت تخلق علم
ضرورى عقيبها فلا يهتدى به الكل كما لا يهتدى بما يعرف كونه هدى فى نفسه بل من
يهد الله فهو المهتد سواء هداه باسباب او بدونها ومن يضلل الله فلن تجد
لهم اولياء من الاسباب اذ لا اثر لها من دونه اى من دون عنايته لكن لا عناية
له بامر الضلال وان خلقهم مرفوعى الوجوه ناطقين بصراء سامعين لكن لما لم يشكروا
هذه النعم اذ صرفوها الى غير ما خلقت له عكس عليهم الامر ولذلك نحشرهم يوم القيمة
الذى يفتضح فيه المعانى الحاصلة من التصرفات لانسانية منكسين على وجوههم
لتنكيسهم الايات العالية عميا لا يبصرون ما فيه نجاتهم اذ لم يبصروا اخفى الايات
وبكما لا ينطقون بما فيه نجاتهم اذ لم ينطقوا فى الدنيا بمقتضى الايات وصمًا
عما فيه راحتهم اذ لم يسمعوا الايات ولو سمعوا لم يزالوا يزدادون عنادا لذلك
ماويهم جهنم كلما خبت طفئت فى حقهم عند احراق جلودهم ولحومهم زدناهم
بتجديد اللحوم والجلود سعيرًا ذلك جزاؤهم لا على الاضلال بل على اختيار
الضلال المستعقب للاضلال من الله بانهم كفروا باياتنا المجعولة ساترا قبل
السحر النازل فلم يستعملوا فيها ابصارهم ولا اسماعهم ولا السنتهم بل قالوا ابدًا
كنا عظامًا ورفاتًا اى انبعث اذ تلف لحمنا وبقينا عظاما بل دقت عظامنا
وصارت رفاتا ائنا لمبعوثون اى ايحق كوننا مبعوثين فان يحق لم يكن
معادين بل خلقا جديدًا او كما عطلوا النظر فى الايات المنزلة على زعم انها سحر
عطلوه فى ساير الايات ايضا ولم ينظروا فى ايات الافاق التى لا مجال للسحر فيها

شرح

اهم

في هذا القرآن الجامع لها سيما في الامور الجليلة من كل مثل امر عجيب يضرب به المثل لكن البالغ في جمع الفوائد صح

ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم مرة بعد اخرى
بطريق الاعادة فالقدرة التي هي سبب الوجود محققة ولا تحقق للمانع اذ لا
يصلح عدم جريان السنة الالهية مانعا وغيره ليس بمانع اتفاقا اذ جعل لهم اجلا
لا ريب فيه اي في كونه حكمة اذ لو جرت العادة بذلك لم يبق للتكليف وجه ولو
ترك صار ظلما لكنهم لظلمهم لا يعتبرون الحكمة ويجوزون الظلم فابى الظالمون
الا كفورا بالقدرة الالهية فان زعموا انهم لا ينكرون القدرة الالهية وانما منعوه
لعدم جريان السنة الالهية بذلك قل يدل على انكاركم القدرة توهمكم عجز الله ان
يرزقكم الرزق مع تكرر اعطائه اياكم لذلك بتفريطكم في البخل بحيث لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي الذي هو واسع الاسماء الالهية مع انه لا يتصور نفاد خزائنه
من خزائنه الجزئية اذا لامسكتم بخلكم خشية الانفاق اي
نفاد تلك الخزائن بلا عوض لعدم اعتمادكم على قدرة الله ولو اعتمدتم بامركم
بخلكم ايضا اذ كان الانسان قتورا بالطبع والامور الطبيعية لا تفارق
بالدلائل العقلية وبدل على عدم وجدان الضال اولياء من دون الله
وعلى اباء الظالمين الا كفورا وعلى قتورية الانسان بالاتصاف فوق قتوريته
بالمال انا لقد اتينا موسى تسع ايات غاية عدد الافراد بينات ظاهرة الدلالة
على القدرة الالهية وهي حل العقدة من اللسان والعصا واليد البيضاء و
السنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فان شككت فيها
لغيبتها عنك فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم بتلك الايات فشاهدها قدماؤهم وسمع
بالتواتر متأخروهم فقال له فرعون الضال الذي لم يؤله ايات موسى الظالم الابي
سوى الكفور القتور بالاتصاف اني لاظنك يا موسى مسحورا مجنونا جنون المسحور
لادعائك الرسالة المستحيلة وان لم تكن مسحورا فكن ساحرا في اتيان الايات
قال موسى لقد علمت من علمك نهاية ما يبلغه السحر لغلبتك في زمانك ومكانك
ما انزل هؤلاء الايات من السموات الى الارض الا رب السموات والارض

لا للتلبيس

لا للتلبيس لكنها بصائر بصرك ويرك صدقي واني لاظنك في عنادك من
سلطنتك يا فرعون مثبورا ملعونا مبعدا عن ملك الدارين فلما ظهرت حجة جاء
ايمان قومه به فاراد ان يستفزهم يزعجهم بالقهر من الارض ارض مملكته فهربوا منه
فوقع البحر في البين فشقه بضرب عصاه فعبروه فتبعهم فرعون وقومه فاغرقناه و
من معه جميعا لئلا يبقى منهم من ينازع بني اسرائيل وقلنا من بعده بعد اهلاكهم
لبني اسرائيل الذين اراد ان يستفزهم من الارض اسكنوا الارض اخذا بمظالمكم
عليهم ولا يستوفون المظالم بذلك بل يبقى بعضها الى الاخرة فاذا جاء وعد الاخرة
جئنا بكم لفيفا مختلطين يتعلق المظلوم بالظالم ولا بد من مجيء هذا الوعد لانه
بالحق الدليل القطعي من نصوص الكتب الالهية انزلناه وبالحق الذي هو ثبات
نظام العالم على اكمل الوجوه نزل وكيف يكذب هذا الوعد وما ارسلناك
ايها الكامل الذي لا يتصور منه الكذب لولا المعجزات وقد ايد بها صدقك
الا مبشرا به لاهل الصلاح ونذيرا لاهل الفساد والافادنا قرانا من جهة
كلامنا الازلي الذي لا مجال لنقيصة الكذب فيه ولا يخل بذلك تفريقه اذ
فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ليستقر في قلوبهم وهو وان كان برحمة
كلام واحد لا يقبل التفريق صار قابلا له اذ نزلناه مرتبة بعد مرتبة تنزيلا
واصلا الى عالم التفصيل فان زعموا ان الكلام الازلي غير قابل لهذا التنزيل
قل امنوا به او لا تؤمنوا فانه يستوي ايمانكم وعدمه لجهلكم بالحقائق ان الذين
اوتوا العلم فعلموا قابليته لهذا التنزيل لاحاطتهم بالحقائق من قبله اذا يتلى
عليهم فعلموا اشتماله على تلك الحقائق يخرون يسقطون ملصقين للاذقان
الوجوه بالارض سجدا خاضعين ويقولون في مطابقته ما وعد في كتبه
سبحان ربنا من ان يكذب في شيء من مواعيده ان اي انه كان وعد
ربنا لمفعولا وبعد الانقياد لحقيته يخرون للاذقان في العمل به يبكون
خوف العقاب في فوت الثواب ويزيدهم كل نظر فيه وسماع له وعمل به خشوعا

فان زعموا انه لو كان نازلا من الله لكان داعيا الى الله فلم يكن فيه شائبة شرك
لكنه يأمر تارة بدعوة الله وتارة بدعوة الرحمن قل ليس هذا بشرك بل غايته
بيان دعوته بالوجوه الكثيرة بحسب اختلاف المطالب ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ولا تخص دعوته بهذين الاسمين لكثرة الاغراض الجزئية بل ايا ما اى اى اسم
من اسمائه تدعوا وصلك الى مطلوبه من غير شرك فى ذاته فله الاسماء الحسنى
اى الكاملة الموصلة الى المقاصد وتعينك الى الايصال الى المطالب الصلوة
ذات الخشوع سيما اذا اجتمع عليها القلوب لذلك لا تجهر بصلوتك لئلا
تخل بالخشوع ولا تخافت بها ولا تبالغ فى الاخفاء بها بحيث لا يسمعها من خلفك
فيفوتك فائدة الاجتماع بهم وبالجملة الاخذ بالاوساط يفيد تزكية النفس عن
الاطراف التى هى الرذائل لذلك ابتغ بين ذلك سبيلا ليكون داعيا لك الى
التوسط فى الاخلاق ليفيد التزكية والتصفية المعدة للمشاهدة الكاشفة عن
الحقائق التى بها الاعجاز من حيث لا تناهيها ومنه العبادة انما تفيدك من
المشاهدة لو خلت عن العجب والرياء لذلك قل الحمد لله على ان من على بهذه
العبادة بلا شرك فيها اذ بالغ فى نفيه لانه الذى لم يتخذ ولدا وكيف يتخذ و
هو اما للشرك واما للاستعانة ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى يعينه
من الذل ليتعزز ولا يجعل العبادة مفيدة له عزة بل كبره من ان يستفيد
من احد شيئا تكبيرا بانه وان استحق المحامد من الكل فلم يستفد تلك المحامد
من شئ بل له تلك المحامد من ذاته فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

**سورة الكهف** سميت به لاشتمالها على قصة اصحابه الجامعة فوائد
الايمان بالله من الامن الكلى عن الاعداء والاغناء الكلى عن الاشياء
والكرامات العجيبة وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله
المتجلى بجمعيته فى كتابه حتى ظهر استحقاقه للمحامد كلها على انزاله الرحمن بانزاله



على عبده الجامع الذى ارسل رحمة للكل الرحيم بجعله منذرا عن البأس الشديد
لبعض وخواص عباده بشارة الاجر الحسن الدائم الحمد لله اى الحمد الجامع
للمحامد مستحق لله لانه الذى انزل على عبده الذى تجلى فيه التجلى الجامع الغيبى
الكتاب الجامع لتجلياته الشهودية وهذا التجلى وان كان قد يؤدى الى العوج
بدعوى الالهية لم يجعل له عوجا بل جعله مزيلا للعوج اذ جعله قيما مصلحا لا
بطريق القهر بل لينذر بأسا شديدا وهو وان لم يبال بالغير كان يرى هذا البأس
من لدنه باعتبار تجليه الجلالى ولا اختصاصه باهل الاعوجاج وبقوته مزيل
له كان شأنه ان يبشر المؤمنين المزيلين عوج اعتقادهم الذين يعملون الصالحات
ليزيلوا عوج افعالهم الظاهرة والباطنة ان لهم اجرا حسنا من التجلى الجمالى
وهو وان كان قابلا للتبدل الى الجلال كقابليته للتبدل الى الجمال لا يتبدل
ما وقع منه بطريق الجزاء فيكونون ماكثين فيه ابدا ولا يعم هذه البشارة
لكل من يدعى الايمان والاعمال الصالحة وظهر عليه الجمال مع بطون الاعوجاج
الذى هو دليل بقاء الجلال فيه بل كان شأنه ان ينذر الذين بقى اعوجاجهم وجلالهم
فى الباطن مثل اهل الكتاب اذ قالوا اتخذ الله ولدا وكيف لا يكونون من اهل
الجلال وهم فى هذا القول من اهل الحجاب فانهم وان كانوا علماء وآباؤهم علماء
ما لهم به من علم ولا لآبائهم الذين تعلموا منهم بل لا شبهة لهم سوى متشابهات
الفاظ كتبهم مع ان العقل الصريح اذا دل على امتناع مفهومه يجب تأويله بما يناسب
جناب الحق هذه الكلمة وان نطقت كتبهم بها كبرت كلمة من حيث تخرج من
افواههم على اعتقاد انها مستعملة فى المعنى الحقيقى مع ظهور كذبه فهم وان وافقوا
ظاهر الكتاب ان يقولون الا كذبا فان انكروا كونه كذبا لكونه ظاهر كتابهم فلعلك
لعدم قبولهم تنويهك من افراط عوجهم باخع قاتل نفسك غضبا على آثارهم انا
علمهم بالكتاب من حمله الامر المستحيل المخالف لكتاب آخر سيما ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث القرآن من مقتضى صريح العقل فانه يوجب اسفا افراط الحزن المفضى

الخلائق

الى افراط الغضب عليهم فان زعموا انهم كيف يكونون محل الغضب وهم زينة
لاتصافهم بعلم الكتاب والزينة توجب الميل اليها لا الغضب عليها قيل لهم
غاية امرهم انهم زينة دنيوية كزينة ما على الارض انا جعلنا ما على الارض
من الحيوانات والنباتات والاحجار الشريفة زينة لها لا للميل اليها بل
لنبلوهم لنختبرهم فيظهر ايهم احسن عملا بالشكر عليها فكذلك اهل الكتاب
زينوا بما اوتوا من علمه لنبلوهم ايهم احسن عملا بمقتضاه فيبقى له زينة اخروية
والا فالزينة الدنيوية غير باقية انا لجاعلون ما عليها صعيدا ترابا جرزا
خاليا عن الزينة كذلك يجعل الله اهل الكتاب صعيدا لا يبقى زينتهم اذ لم
يتزينوا بالعمل به فلا يبقى اليهم الميل المانع من الغضب عليهم بل يصيرون محله
حال اخلالهم بالعمل المطلوب منهم وقد تركوا التزين بهذا الكتاب الذي هو
اعجب كتب السماوية وافتخروا بانهم كان منهم اصحاب الكهف والرقيم فيقال
للمنصف منهم احسبت ان هذا الكتاب المستوجب للمحامد كلها من اعجب ايات
الله ام حسبت ان اصحاب الكهف وهو الغار الواسع في الجبل قيل كانوا
بالروم بمدينة تسمى الان طرطوس وقبله افسوس والجبل ينجلوس والكهف حيرم
وقيل بالشام وقيل في بوسنة في جهة غرناطة من بلاد اندلس والملك الذي
هربوا منه دقيانوس او دقيوس والرقيم لوح من ذهب او رصاص
او حجر رقم فيه حديثهم واسماؤهم نقرا او جبل رقم فيه او بناء كانه قصر مخلق
واسماؤهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس وذونواس
وكفشيططيوس وهو الراعي او يمليخا ومكشلمينا ومشلينا هولاء اصحاب
يمين الملك ومرنوس ودبرنوس وشاذنوس اصحاب يساره
والسابع الراعي وقيل مكسلمينا ومحسلمينا ويمليخا ومرطوس وكشوطونس
وبيرونس ودينموس ويطبونس واسم كلبهم قطمير او ريان او تسوا او نق
اوجبتا اي احسبت ان جماعة نسبوا الى محل حلولهم والى ما رقم فيه حديثهم

واسماؤهم كانوا من اياتنا المنسوبة الى عظمتنا عجبا تزين بهم بحيث تترك لاجله
التزين بهذا الكتاب في غاية ما يتعجب منه بتغليبهم جانب الله على جانب انفسهم
حال شبابهم اذ اوى الفتية من خوف انذار الملك على ترك عبادة الاوثان
والذبح لها الى الكهف الذي لا طعام فيه ولا شراب فقالوا ربنا اي محسن
ربانا بنعم ايثارا جانبه على جانب انفسنا اتنا من لدنك رحمة تغنينا عن
الطعام والشراب وتهئ لنا بالامن من عدونا من امرنا اختيار الكهف
رشدا هو توحيد الله وعبادته فاغثناهم فضربنا الحجاب بينهم وبين الاصوات
على اذانهم لئلا ينقطع نومهم فيحتاجوا الى طعام او شراب او يقعوا في خوف
العدو فتركناهم على ذلك في الكهف بحيث لا يراهم العدو سنين متعددة
عددا انما للرحمة عليهم ثم بعد حصول الامن الكلي من العدو وغيبة بعضهم
انقطاعهم ايقاظا شبيه بعث الموت لنعلم واقعا ما علمناه انه سيقع وهو اي
الحزبين المختلفين في مدة لبثهم احصى اي اشد احاطة لما لبثوا امدا اي لغاية
مدة لبثهم فيعلموا اقتدارا ما حفظهم الله بلا طعام وشراب وامنهم من العدو فيتم
لهم رشدهم في شكره ويكون لهم اية تبعثهم على عبادته فان زعموا انهم انما نالوا
هذه الرتبة العزيزة والكرامات العجيبة لتدينهم بديننا قيل لهم هذا لا يصلح
معارضا لما حكاه الله لاكمل رسله موافقا لما حكاه في سائر كتبه اذ نحن نقص
عليك نباهم بالحق المطابق للواقع ولما في كتبهم انهم فتية او توافقوا العقل
والفهم والصبر والتوكل حتى امنوا بربهم مع اتفاق اقوامهم على الشرك به
وزدناهم هدى بترجيح جانب الله على جانب انفسهم وربطنا فجعلنا تعليهم
فجعلنا ما غالبه على قلوبهم بحيث لا يبالون لما يتحملون في سبيلنا اذ قاموا
بين يدي ملكهم حين رفع اليه امرهم فقيل لجميع الناس على عبادة الالهة
والذبح لها وهؤلاء الفتية من اهل بيتك يستهزؤن بك فقالوا انما نعبد
الرب الذي نذبح له وهذه ليست اربابا بالباطل ربنا اي رب كل واحد منا و

ومنك رب السموات والارض بحيث يجعل تحت ربوبيته كل معبود سواه
فان اكرهتنا على عبادة الغير لن ندعو فضلا عن ان نعبد من دونه اي من
دون رتبته عن رتبته رب السموات والارض الها نجعله في رتبته لقد قلنا اذا
اي اذ جعلنا للادنى رتبة الاعلى شططا ظلما على الله يجب لدفعه تحمل ظلمك
علينا ولا يندفع هذا الظلم بكونه متفقا عليه بين جماعة من عقلاء الدنيا
اذ هؤلاء المشار اليهم بالاشارة القريبة لدناءتهم في امور الآخرة لا نتبعهم
مع انهم قومنا ممن كثرت شفقتهم علينا لانهم ضلوا حيث اتخذوا من دونه
آلهة فان زعموا انهم اهل الصواب لولا يأتون على ما تقول عليهم بسلطان
يتسلط على عقل من تقول عليهم بين لا يمكنه دفعه فان لم يأتوا به فهم ظالمون
في حق الله لافترائهم عليه بان في رتبته العليا شركاء يساوونه فيها بجعله
اياهم كذلك افتراء عليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فهم اعداؤه ولا
عبرة بقرابة من عادى سلطانا كبيرا واذا اعتزلتموهم بترك متابعتهم من
افراط ظلمهم وهو موجب لغضبهم وقد ازدادوا غضبا عليكم من ترككم عبادة
ما يعبدون الا الله فانهم كانوا يعبدونه صريحا او في ضمن عبادتهم له فأووا
الى الكهف الذي لا يطلعون عليكم فيه فلا يؤذونكم ولا تخافون من الكون
دار الفساد فيه فوات الطعام والشراب فانكم اذا التجأتم الى الله بعدما
دعوتموه ينشر الرحمة وتهيئة الهيئة ينشر لكم ربكم من رحمته ما يغني من الطعام
والشراب ويهيئ لكم من امركم اختيارا دجا بنه على جانبكم مرفقا يوفق نفوسكم
فيعطيها من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات على ان لذاتها لم تخل عن
اذية وهي خالية عن الاذيات كلها ومن رفق الله بهم في ضمن رفقه بامامهم
انك ترى الشمس جميع السنة اذا طلعت صعدت تتزاور تميل عن باب
كهفهم الجهة ذات اليمين يمين الكهف لئلا يصيبهم شيء من حرها في وقت شدته
فيستيقظوا ويتغير الوانهم واذا غربت هبطت تقرضهم تعطيهم قطعة من نورها

لئلا يموتوا بالبرد مائلة ذات الشمال وليس ذلك لضيق باب الكهف او ميله
الى جهة لا يصل اليها ذلك بل هم في فجوة سعة منه من الكهف يصل اليهم الهواء
من كل جانب دون اذى الشمس ولا استحالة في ذلك وان كان على خرق العادة
اذ ذلك من آيات الله كرامة في حقهم وان لم يبالغوا في عبادته لكنها حصلت
لهم من مزيد هدايتهم وليست الهداية منوطة بمزيد العبادة بل من يهد الله
فهو المهتد وان لم يكن له مزيد عبادة ومن يضلل فلن تجد له عبادة مرشدة
بل لن تجد له وليا يلي امره يحفظه عن الضلال فضلا عن ان يكون مرشدا او
الله تعالى وان منعهم حر الشمس لم يمنعهم فائدته من نفوذ الحيوة لذلك تحسبهم
ايقاظا لتفتح اعينهم وعدم استرخاء اعضائهم وهم رقود مستغرقون في النوم
بحيث لا يصل اليهم الصوت وقد كان بحيث لا يمكنهم التقلب بانفسهم لكنا
ما توقعوا منا من مزيد الرفق نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تتلف
الارض اجسادهم وكما حفظناهم بالتقلب عن اسلاك الارض حفظهم عن الاعداء
بكلب اذ كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فناء الكهف او الباب او العتبة
يهابهم الاعداء مع هيبته ذاتية لهم لو اطلعت عليهم مع غاية قوتك في مكافحة
الحروب لوليت منهم فرارا ولا يندفع الخوف بالفرار بل لملئت منهم رعبا
وكما سترنا على الناس احوالهم في النوم كذلك ابهمنا عليهم احوالهم في
التيقظ حين بعثناهم ليهابوا الله تعالى فانكروه اذ منعهم العلم بما في انفسهم مع
اعطائهم سنخ الكرامات لا لاساءة الظن بادئا بها بل بانفسهم حتى سئل الاثنا لها
بالسؤال ليتساءلوا بينهم لذلك قال قائل منهم كم لبثتم اعترافا بجهل نفسه وطلبا
للعلم من غيره وان لم يظهر كونه على يقين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فمن نظر
الى انهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية ظن انهم لبثوا يوما ومن نظر الى انه قد بقيت
من النهار بقية ظن انهم لبثوا بعض يوم فهم مع ما اعطوا من الكرامات تكلموا
بالظن فالولي يجوز ان يتكلم بالظن فيما ليس من الاصول ويجوز ان يخطي ثم لما

نظروا الى شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من ذلك لكن عجزوا عن تعيين
مقداره فاحالوه على ربهم حتى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم بمقدار ما لبثتم بمقدار ما لبثتم
فيه ولكن منع الاحالة لا يمنع من طلب العلم به ولو فى ضمن امر آخر فاطلبوه
فى ضمن حاجة عرضت لنا فابعثوا احدكم بورقكم من الماخوذة للتزود لئلا
يحوج الى السؤال سيما فى مكان يمنع من الاجابة الى المسؤل به فيفضى الى الهلاك
فلا ينافى التوكل الى المدينة التى فررتم عنها فانه لا يمنع الرجوع اليها لحاجة بعضى
اهمالها الى الهلاك لكن لا ياخذ منها اى طعام وجد كحال المضطر اذ لا اضطرار
مع امكان تحصيل الحلال فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما اطهر عن الحرمة فلا
يكون مغصوبا من مسلم ولا ذبيحة كافر وعن الشبهة فليأتكم برزق منه فانه و
ان كان على الله فى كل مكان فلا باس بطلب الحنيف ولذلك قال وليتلطف
فلا يبالغ فى السعى له لئلا يبطل التوكل ولا يشعرن بكم احدا لانه اهلاك اشد
من الاهلاك بالجوع انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا على مكانكم يرجموكم يقتلوكم بالحجارة
وهو اشد من الموت بالجوع او يعيدوكم فى ملتهم وهو اشد من الرجم بالحجارة
اذ يحصل بعده الفلاح ولن تفلحوا اذا اى اذا ادخلتم الى ملتهم ابدا ولو باللسان
مع طمانينة القلب اذ ربما يتعدى بطاهركم او لادكم وغيرهم وكذلك اعثرنا عليهم
مقدار لبثتم من لسان اهل المدينة حين دخلها من بعثوه للطعام بعد
فاخرج الورق وكان يضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا من ضرب من
سبق بثلثمائة وتسع سنين كذلك اعثرنا عليهم اهل المدينة حين ملكها مؤمن
من بعد سنين واختلف قومه فى ان البعث روحانى محض او جسمانى فسأل
الملك ربه ان يبين لهم الحق فلما ذهبوا به الى الملك فقص عليه سرهم وانطلق
مع قومه اليهم ليعلموا من حالهم الشبيه بالبعث الجسمانى ان وعد الله بالبعث
حق وان لم يقع له نظير فى الازمنة الماضية لما علموا ان الساعة الموعودة فيها
آتية لا ريب فيها البعث اتيه لا ريب فيها اذ لا بد من الجزاء بمقتضى الحكمة ثم قالوا

بشم

للملك

للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس فبينما هو قائم اذ رجعوا
الى مضاجعهم فقبض الله ارواحهم لكن لم يعلم الكل اذ يتنازعون بينهم امرهم
فيقول المسلمون انهم مسلمون نبنى عليهم مسجدا وقال الكفار انهم اولاد
الكفار ولم يثبت اسلامهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا صومعة او كنيسة لكن قطع
الله ذلك النزاع ايضا بتغليب المؤمنين اذ ربهم اعلم بهم فغلب بالحجة والقدرة
من علم الاطلاع على حقيقة امرهم حتى قال الذين غلبوا على امرهم بالحجة والقدرة
لنتخذن على رغم المشركين عليهم مسجدا نصلى فيه ونتبرك بهم والله تعالى و
ان كان قاطعا للنزاع فلا يزال الناس يخترعون نزاعا وان قلت فائدته
لذلك سيقولون اى بعض الناس ثلثة رابعهم كلبهم اى ثلثة موصوفة بان
رابعهم كلبهم الحاقا له بمن تبعهم ويقولون اى البعض الاخر خمسة سادسهم
كلبهم والقولان باطلان لكونهما رجما اى تلفظا بالغيب الذى لا اطلاع لهم عليه
ويقولون اى الفريق الثالث سبعة وثامنهم كلبهم بطريق العطف الجملة اخراجا
عما فى الصفة المذكورة من الاستهانة بالموصوف فان زعم الاولون ان هذا
القول ايضا بالغيب فلم يكذبهم الله كما كذبنا قبل انا لم يكذبهم الله لانهم وافقوا
عدتهم فى الواقع وانما كذب من كذب لا لكونه غيبا بل لكونه غير مطابق للواقع
ولكن ذكر جهة الغيب لوما عليهم قل ربى اعلم بعدتهم ولا نسلم ان القول الثالث
قائل بالغيب بل غايته الامر انه ما يعلمهم الا قليل واذا كانت عادتهم الرجم بالغيب
وادعاء عموم العلم فيما لا يعلمه الا قليل والانكار على اولئك القليل فلا تمار
فيهم فى اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا بحجة لا يمكنهم الرجم بالغيب على خلافها
ولا دعوى العلم بخلافها ولا الانكار عليك لعله من يعلمه ولا تستفت
لا تسأل فيهم فى شىء من احوال اصحاب الكهف منهم احدا لانهم لا يصدقونك
ويقولون تعلمته من اهل الكتاب فنسبته الى الوحى ولا تقولن لشىء استفتوك
فيه انى فاعل ذلك الجواب عنه غدا الا ان يشاء الله اى الا مقرونا

الله

بمشيئة الله لا يلزمك الكذب ولا يلزمك التحكم على الله فيبطئ عليك الوحي كما في
سؤالهم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين واذكر ربك
اذا نسيت الاستثناء اي وعد الجواب المتوقف على الوحي فان ذكرك
اياه موجب لذكره اياك فرجي لك تقرب الوحي وقل ان منعت الوحي في
مطلوب خاص عسى ان يهدين ربي لاقرب اي لبدل من المطلوب
اقرب من هذا المطلوب رشدا كتعليم الاستثناء وذكر الرب عند نسيانه
لتذكره بالتفضل عليه ولا يبعد على من عناية الله الغفلة عن بعض الامور
وقد غفل اصحاب الكهف المربوط على قلوبهم محبة الله عن الله مدة مديدة اذ
لبثوا نائمين في كهفهم الذي التجأوا اليه ليتفرغوا بذكر الله وعبادته ثلثمائة
لو كانت اياما لكانت غفلتهم ممتنعة مع مديدة فكيف اذا كانت سنين بحيث
اذا كانت شمسية ولو حسبت قمرية ازدادوا تسعا اذ التفاوت بينهما في كل
مائة سنة ثلاث سنين فان انكروا الزوائد قل الله اعلم منكم بما لبثوا بعد ارادة
لبثهم لاحاطة علمه بالمعقولات والمحسوسات اما المعقولات فلانه له غيب السموات
والارض والمعقول دون الغيب واما المحسوسات فلانه لا يحجب بصره وسمعه
شيء فتعجب من بصره وسمعه حتى تقال ابصر به واسمع وكيف لا يكون كذلك مع
انه الذي اعطى العلم بالمعقولات والبصر والسمع لكل من اعطاه لانه ما لهم من
دونه من ولي يعطيهم شيئا فضلا عن العلم والسمع والبصر وكيف يكون لهم ولي
في ذلك مع ان الدون لا يستقل بنفسه ولا يشرك في حكمه الذي هو الايجاد
واعطاء العلم والبصر والسمع وغير ذلك احدا وفيه اشارة الى ان علمهم بهم
اما من قبل الغيب فهو مختص بالله او من قبل المسموع فهو سميع او من قبل المبصر
فهو بصير وان زعموا انه اذا لم يشرك في حكمه احدا فكيف يشرك في علمه
فالجواب ان الوحي ليس باشراك بل افادة علم غايته جعل من يوحي اليه واسطة
لافادة الكل اتل ليتبين الكل ما اوحي اليك ليفيدك علما مطابقا لعلمه لكونه
من كتاب ربك والدليل على انه منه انه لا مبدل لكلماته ولو لم يكن من
الله لامكن تبديلها ولو كان مفتري يمتنع تبديل كلماته لاقتضت الحكمة اسراع
اهلاك المفتري لئلا يصير سببا لاضلال الخلائق اضلالا لا يمكنهم التفصي عنه ولا
يمكنك دفعه لانك لن تجد من دونه ملتحدا ملجأ واذا لم تجد من دونه
ملتحدا فلا تلتحد الى اشراف الناس وان اعانوك في اظهار الوحي بل اصبر
اي احبس نفسك مع اهل الله فالانقياد اليهم بمنزلة الانقياد الى الله لانهم الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي باعتبار ظهورهم وبطونهم ولا يريدون عبادة
الظاهر بل يريدون وجهه ذاته فلا يتم عن مجلسهم لرؤية اشراف الناس
ولا تعد ولا تجاوز عيناك بالاعراض عنهم الى الاشراف لو لم تتم عنهم لان النظر
الى الاشراف والقيام اليهم انما تكون لارادة زينة الدنيا وقد بعثت للزهد
فيها والرغبة في الاخرة فكيف تريد زينة الحيوة الدنيا ليتبعك منك في هذه
الارادة ولا تطع سؤال الاشراف لو لم تصرف نظرك عنهم لا الاستماع اليهم
لانها اطاعة من اغفلنا قلبه عن ذكرنا فتؤديك الى الغفلة عنه وهي ايضا اتباع
من اتبع هواه وقد بعثت لمنع متابعتها وهي وان كانت جالبة للمنافع فالافراط
فيها مهلك وهذا كان امره فرطا تقدما على الحق فلم يكن هواه من جالب النفع
وقل لمن طلب التحاذك اليه لاختصاصه بشرف الدنيا حتى ان يلتحد الى ما
انزله الله اذ هو الحق لكونه من ربكم فالالتحاد اليه التحاد الى الرب اذ ان له
اليكم ليمتحنكم هل تؤمنون به ام لا فمن شاء فليؤمن التحادا اليه ابتغاء الشرف
والاستزادة منه ومن شاء فليكفر اغترارا بشرفه فيصير ظالما مستحقا للسياسة
التي لا يبقي معها شرف انا اعتدنا للظالمين نارا سيما من احاط بهم ظلمهم لتعلقه بهم
الذي احاط بهم ايضا فلذلك احاط بهم سرادقها جدرانها كل جدار مسيرة اربعين
سنة وكيف يلتحد بمثلهم مع انهم يصيرون بحيث ان يستغيثوا لدفع الحرارة والعطش
بماء بارد طيب يغاثوا بماء خبيث كالمهل الصديد حار بحيث يشوي الوجوه التي لم

بئس ما للنار اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه لينعكس عليه مطلوبه كما
عكس مطلوب الحق في الدنيا ولا يبقى لهم مع هذا شرف اذ بئس الشراب شرابهم
وساءت الاغاثة مرتفقا اغاثتهم من الشدة فهم احوج الى الاتحاد الى ما انزل الله
ليتخلصوا عنه ان الذين آمنوا اتحادا الى الله وعملوا الصالحات اتحادا الى ما انزل
الله فلا نقص في حقهم اذا له الشرف بل لا بد من تشريف من لا شرف له منهم لاستحقاقهم
الاجر من جهات كثيرة انا لا نضيع اجر من احسن عملا واحدا فكيف نضيع اجر
الاعمال الكثيرة واجر الايمان الذي هو الاصل واذا لم نضيع الاجر فكيف نضيع
الشرف الحاصل قبل ذلك بل اولئك بعد ثبوتهم في الشرف اذ لهم جنات عدن
اقامة لهم في مقام القرب تجري من فيضان اعمالهم من تحتهم لاستيلائهم عليها
فلا يحتاجون الى الاستغاثة الانهار من انواع الطيبة الاشربة بدل ما يغاث
به اهل النار من ماء كالمهل ويعطون من شرف كبراء الدنيا انهم يحلون فيها من
اساور من ذهب بدل سلاسل اهل النار ويلبسون من الخلع الخاصة بدل
ثياب القطران لاهل النار ثيابا خضرا لانها اجلب للسرور واكمل للنزه من
سندس ما رق من الديباج على الاعمال اللطيفة واستبرق ما غلظ منه على الاعمال
الكثيفة ثم ذكر من الشرف ما يختص بالملوك او العروس فقال متكئين فيها على
الارائك وهي السرر في الحجال نعم الثواب ثوابهم بدل بئس الشراب للكفار
وحسنت مرتفقا بدل ساءت مرتفقا والبدل اعم من نقيض المبدل و
ان زعموا انه لا نظر فيما سبق لجعل الشريف دنيا بالكفر والدني شريفا بالايمان
فهو خلاف السنة الالهية اضرب لهم مثلا رجلين اخوين من بني اسرائيل كافر
اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا
فاشترى الكافر ارضا ودارا وخدما ومتاعا وتزوج امراة وتصدق المؤمن
ليحصل بذلك ارضا في الجنة ودارا فيها وحورا وولدانا مخلدين او من بني مخزوم
كافر الاسود بن عبد الاسد ومؤمن ابي سلمة بن عبد الاسد جعلنا لاحدهما

وهو الكافر ما يفيده شرفا جنتين فهما هو منشأ المال والجاه لكونهما من اعناب
يحصل بها المال ما لا يحصل من غيرها ولها عروش مرتفعة يحصل بها مع ملك الاموال
الجاه وحففناهما بنخل هي اعز ما يؤثره الدهاقين في تأزير كرومهم بالاشجار
وجعلنا بينهما بين الجنتين او بين النخل والاعناب زرعا ليحصل منها الفواكه
والاقوات فاجتمع فيها المآكل الجوانية وقد كملت اذ كلتا الجنتين آتت
اكلها ثمرها كاملة ولم تظلم لم تنقص في سنة من السنين منه شيئا فلم تنقص شيء من
حاصله باجرة السقي اذ فجرنا خلالهما اي فيما بينهما نهرا ليسقي الاشجار والزروع
بلا ولم يتلف بزيادة الماء شيء من الثمر بل كان له ثمر فلم يزل ينمي المال والجاه
حتى يكبرهما على اخيه فقال لصاحبه اخيه الذي انقطعت اخوته باختلاف
الدين وهو يحاوره يراجعه الكلام الذي يعيره به بفقره ويفتخر عليه انا اكثر
منك مالا وحاشا لاني اعز نفرا حشما ينفرون معي ولم يقتصر على لوم اخيه و
التكبر عليه بل ضم اليه الكفران والكفر اذ دخل جنته التي كانت جنتين فاتصلتا
وهو بالكفران والكفر حين يتوقع منه كمال الشكر والايمان ظالم لنفسه بما يوجب
سلب النعمة ويمنعه المزيد لا المنعم الذي لا يحتاج الى الشكر ولا الى غيره قال ما
اظن ما اعتقد اعتقادا راجحا فضلا عن الجازم ان تبيد تهلك هذه الجنة
ابدا اذ لا تخلو عن عامرين ولا ادري ما دامت الدنيا ولا ارى انقطاعها
لاني ما اظن الساعة قائمة فكفر بالقول بقدم العالم وبنفي حشر الاجساد واعتقد
عكس الجزاء اذ قال لئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا موضع
تقلب لانا وجدته من الدنيا كان لشرفي وهو باق والقول بقدم العالم ينفي اختيار
الصانع ويبطل ارادته وبانكار حشر الاجساد ينفي قدرته على الاعادة وبعكس
الجزاء ينفي الحكمة الالهية قال له صاحبه الذي عيره بفقره تعبيرا له على كفره وهو
يحاوره يراجعه كلام التعبير على الكفر محاورته كلام التفخر على الفقر في ضمن التكبر
عليه اكفرت بهذه الاقوال بما ينفي القدرة على الاعادة بالذي خلقك من تراب

ثم من نطفة بجعل التراب

فاكفرت عليه قدرته على اعادتك من تراب نباتا ثم جعله غذاء تولدت منه النطفة فاكفرت
عليه قدرته على انزال المطر الغليظ قبل البعث ثم سواك تعديل مزاجك المفيض
فيضان الروح عليك لتصير رجلا فانكرت عليه تسويته مزاج اهل القبور
وافاضة الارواح عليهم وقد كفرت ايضا بانكار دوام ربوبيته بعد الموت
لكنا اي لكن انا لا انكر دوام ربوبيته اذ هو الذي خلقني من تراب ثم من
نطفة ثم سواني رجلا الله الجامع للكمالات التي لا ينقطع فهو ربي الذي لا ينقطع
ربوبيته عن المعدوم وقد اشركت بالقول بقدم العالم وانا لا اشرك بربي
احدا وايضا اشركت بالقول بان لا تبيد جنتك اي دام بها عامر فجعلت عمارة
العالم معارضة لمشيئة الله دافعة لتاثيرها فلو لم تقصد المعارضة لولا اذ
دخلت جنتك قلت لا تبيد ما شاء الله اي دامت مشيئته بان لا تبيد اذ لا معارض
لمشيئته بل لا قوة الا قائمة بالله وبغيرك اي اي الفقر لا بعدان تنعكس في الامر
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي لايماني به ورضائي بفعله ان يؤتين
في الدنيا ايضا خيرا من جنتك ويرسل عليها على جنتك لكفرك به واذدرائك
بخواص عباده حسبانا صواعق من السماء تحرقها فتصبح صعيدا ترابا زلقا
املس لا يثبت فيها قدم ولا يمسك ماء ليكون فيه نبات او يهلكها من جهة
الارض بمنع السقي بان يصبح ماؤها غورا سافلا الى حيث لا يمكن جره فلن
تستطيع له طلبا بالحفر او بغيره فاعطى المؤمن خيرا من جنته وارسل على جنة
الكافر حسبانا من السماء بحيث احيط بثمره بالاهلاك فلم يبق له منها ثمره
ينتفع به في الحال فعرف انه اكثر من غيره اخاه وبغير اخيه اياه فاصبح يقلب
كفيه ظهر البطن تحسرا على ما انفق فيها ولم يرج منها ثمرا في المآل اذ هي خاوية
ساقطة على عروشها الساقط على الارض بحيث عادت ان تصير صعيدا زلقا
ولا يتصور على هذا التحسر بعد الموت التلافي له عقيبه عن قريب بل يزداد
تحسرا بعد الاعلها بل يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ويتحسر ايضا على كبره

كان

بالمحشر اذ لم تكن له فئة جماعة ينصرونه بالابعاد من الله لكونهم من دون الله
وما كان منتصرا بنفسه الشريفة وماله وكيف يجد هنالك خير منقلب مع انه لا ولاية
له ولا لاحد من شركائه اذ هنالك الولاية لله الظاهر بصفة الحق الصرف فلا
يحصل منها الا الفعل الحق فلا جرم هو خير ثوابا لا ينتقص لمن درجة لذاته
في الدنيا وخير عقبا لا تترك لكافر عقبة لشرفه بل يعاقبه بذنبه وذنب من استعقبه
فمتى تعكس الامر هنالك وان كان ينعكس ههنا لعدم ظهوره بالحق الصرف وان
كان ماله الى الحق بحسب ما يترتب عليه من الجزاء البلا يلجي الى الايمان وان توهموا
ان شرف الدنيا لا يخلو عن اثر عند الكبراء وان زال بسببه اضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا التي لها شرف لنزولها من السماء كماء انزلناه من السماء ثم انها تختلط
بها اجزاء الحيوان كما ان الماء نزل فاختلط به نبات الارض فيحصل للانسان
شرف الحيوة كما يحصل للنبات شرف النمو ثم يموت الانسان موت النبات فاصبح
هشيما جافا مكسورا لا يبقى له شرف اذ تذروه تفرقه وتنشره الرياح وكيف
يبقى على الله قلب الشريف دنيا مع انه كان الله على كل شيء مقتدرا فان توهموا
ان الله وان مقتدرا فلا يفعل شيئا الا بسبب وقد جعل الاموال والاولاد اسبابا
الشرف فلا يكون شرف الآخرة بهما قل لهم المال والبنون زينة اي شرف الحيوة
الدنيا لاعانتهما فيها وليسا من اسباب الشرف الاخروي اذ لا يحتاج فيها
اليهما بل الباقيات من الاعتقادات والاخلاق وهيئات الاعمال التي تبقى
ببقاء الروح لاتصافها بها الصالحات فهي اسباب الشرف في الآخرة اذ هي
خير عند ربك لمناسبتها له دون المال والبنين ثوابا اجرا اجرا وخير املا لتحصيل
منازل القرب عنده والمال والبنون ان افادا ثوابا واملا فمن حيث صرف
المال في سبيل الله وارشاد الاولاد ودعوتهم للصالحين وخيرا ايضا في دفع
الاهوال من المال والبنين في الدنيا لاسيما يوم نسير الجبال في الجو بعد
قلعها من الارض لتصير هباء منبثا والمال والبنون لا ينفع في منع الاهوال

ويحصل لاربابها هنالك جاه عظيم عند جميع الخلائق لانك ترى الارض بعد
قلع ما فيها من الجبال والابنية والاشجار بارزة ظاهرة لا يخفى ما يجري عليها
على من كان على ظهرها ويكون على ظهرها جميع الخلائق اذ حشرناهم فلم نغادر
لم نترك منهم احدا وان كان فيهم من اكله انسان اخر فانه يحشر كل اجزائه الاصلية
والمحشورون يكونون على تلك الارض فيظهر لكل منهم شرف اهل الباقيات
الصالحات فوق شرف اهل الاموال والبنين ولا يكون لهم هذا الشرف بها
بين الخلائق فقط بل عند الله ايضا مع الخلائق كلهم اذ عرضوا على ربك صفا
واحدا بلا تمييز لا يكون لواحد عند ربه على احد من الحاضرين عنده واقله
ان لا نفتضح افتضاح من يقال لهم من ارباب الاموال والبنين لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة بلا مال ولا بنين ولا بانه حصل منهما او من غيرهما بل زعمتم
ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدناكم من البعث والنشور والحساب
والجزاء فلم تعلموا بذلك اصلا بل علمتم بهما ما تزدادون به افتضاحا ولتكميل
افتضاحهم وضع الكتاب بين يدي الله بحضرة الخلائق فترى المجرمين قبل
قراءته مشفقين خائفين ان يفضحهم ما فيه ولا ينفعهم هذا الخوف هناك بل
يزداد عليهم حتى انهم يقولون عند قراءته يا ويلتنا من افتضاحنا الذي هو
اشد من التعذيب عليها ما اي اي شأن حصل لهذا الكتاب في جميع الفضائح
بحيث لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لانه لا يترك معصية صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
عدها وعد مقاديرها فلم يتسامح في شيء من ذلك ومع ذلك وجدوا ما عملوا حاضرا
بصور مخصوصة ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه او يصور له ما لم يفعله او
يزيد في مقاديره او اوصافه وكيف لا يفضحكم هذه الفضيحة مع انكم خرجتم
عن امر من اكرمكم غاية الاكرام لامر من اهانكم وخرج لاجله عن امر ربه اذ
قلنا للملائكة الكرام عندنا اسجدوا لآدم اكراما له فسجدوا وان كان فيه تنزيل
شأني كرامتهم الا ابليس فانه وان لم يكن له كرامتهم اذ كان من الجن قصدا [illegible]

(margin: ما)

ففسق عن امر ربه الذي اعطاه كرامة اللحوق بالملائكة حتى دخل في امرهم فاتبعونه
في فسقه النازع كرامته فتتخذونه وذريته اولياء مع كونهم من دوني وربما
تتخذ الادنى وليا للمزيد شفقته ورحمته وهم لكم عدو يقصدون نزع كرامتكم
لما نزع كرامتهم بسببكم فقد ظلمتم بوضع الادنى موضع الاعلى والعدو موضع الراحم
ونازع الكرامة موضع معطيها بئس للظالمين بدلا على ان البدل يجب ان
يكون صالحا للقيام موضع المبدل وهؤلاء لا يصلحون لان ذلك بالمشاركة
في الايجاد وهؤلاء ما اشهدتهم خلق السموات والارض لا في خلقهما بل
خلقهم فاني بعض منهم ايجادهما ولا خلق انفسهم وان كان بعد خلقهما و
لولا المشاركة في الايجاد فلا اقل من الاستعانة لكني ما كنت متخذ المضلين
للخلق عضدا معاونا لانهم اعدائي ولا يستعين احد من عدوه مع العلم
بعداوته وكما انهم ليسوا معاوني من اتخذهم اولياء من دوني يوم يقول
الله نادوا شركائي لا في الواقع بل في زعمكم لانهم الذين زعمتم انهم شركائي
فدعوهم لبقاء اعتقاد شركهم بعد قوله الذين زعمتم فلم يستجيبوا لهم لعجزهم
عن الجواب فضلا عن الاعانة وكيف يحسن بهم وهو مع التواصل وقد جعلنا
التواصل بينهم موبقا سبب هلاك كانه الذي احاط به ولكون مواصلتهم
الهلاك الكلي رأى المجرمون عند دعوتهم المشركين بقاء المواصلة النار
المحيط بوجوه الهلاك فظنوا بعد اعتقاد اعانتهم في دفعها انهم لمواصلتهم
اياهم مواقعوها مخالطوها ولم يجدوا عنها مصرفا اخلائهم وان تركوا مواصلتهم
الآن بقي عليهم اثر ما مضى فيها كالصبغ وكيف يجدون عنها المصرف الآن
بعد ما تركوا اسباب الصرف عنها في الدنيا لقد صرفنا وجهنا توجيهات مختلفة
في هذا القرآن الجامع للمهمات للناس الذين تواضروا بهذه المواصلة لو
بقيت ايام الحياة من كل مثل دليل جار مجرى المثل وانما وجهنا التوجيهات
المختلفة اذ كان الانسان اكثر شيء جدلا فلعله اذا امكنه الجدال في توجيه

(margin: مكانه هم)
(margin: صلتهم)

لا تمكنه في توجيه اخر وامكان الجدال في بعض التصريفات وان لم يمنع مانعا من الايمان فليس بمانع في الحقيقة فانه ما منع الذين نسوا وجه التفصي عن الشبه في بعض التصريفات ان يؤمنوا بمطالب القرآن اذ جاءهم الهدى الدليل القاطع من بعض الوجوه مع امكان التفصي عن الشبه في البعض الاخر ويستغفروا عن المعاصي الحاجبة عن طلب التفصي ربهم الذي رباهم بهذه التوجيهات فيرجى منه ان يربيهم بكشف الشبهات عن بعضها الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين من المؤاخذات المخصوصة او يأتيهم العذاب قبلا متنوعا انواعا لئلا يتوهم من اختصاصه بنوع انه من البليات التي تعم الصالحين والطالحين وليس المراد بسنة الاولين سنة الرسل من الاتيان بالآيات الملجئة حتى يتوقف تحقق الرسالة عليها فانا ما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي جامعين بينهما ومثل السنة ينافي الجمع بينهما سيما اذا قدم التبشير لسبق الرحمة الالهية وانما يلحقهم السنة لانه يجادل الذين كفروا بالباطل اذ لا يقصدون اظهار الصواب بل ليدحضوا ليزيلوا به الحق الثابت عن مقره وهذه المجادلة بسبب الغضب وقد ازدادوا من اسبابه انهم اتخذوا آياتي المتنبه بها الى ذاتي نفسها وما انذروا من مدلولاتها من العذاب الالهي هزوا موضع استهزاء وسخرية وكيف لا يكونون محل الغضب مع ان محله الظلم وحصل غاية الظلم بما دون المجادلة فضلا عن الاستهزاء فانه من اظلم ممن ذكر بآيات ربه الذي رباه بالنعم فان آياته لتذكيرها لشكر المنعم فاعرض عنها لعدم مبالاته بها وبربها ونسي مع تذكيرها ما قدمت يداه من صرف نعمه الى غير ما اعطاها من اجله وانما قدمت يداه ما قدمتا في النعم لانهما مانعتان للقلوب وهي محجوبة عن فهم ما خلقت النعم له انا جعلنا على قلوبهم اكنة حجبا مانعة ان يفقهوه اي ما خلقت النعم من اجله ومثل الاكنة وان كانت تمنع غالبا تطرق السماع لكن جعلنا في آذانهم وقرا ثقلا ولو سمعوا لعاندوا لانهم ان تدعهم



الى الهدى فهم وان كانوا ليهتدوا به لو سمعوه من آبائهم فلن يهتدوا اذا اي اذ به لمعاندتهم معك ابدا ومثل الامور وان اقتضت تعجيل العذاب لكنه يتأخر اذ ربك الغفور وكانه ينتظر توبتهم ليغفر لهم لانه ذو الرحمة ويبطل رحمته لو عجل بمقتضى مثل الامور لانه لو يؤاخذهم بما كسبوا لا محالة لعجل لهم العذاب المنافي للرحمة لكنه ليس بتارك للعذاب حتى يبطل الفرق بين المسيء والمحسن بل لهم موعد يمكنهم التوبة قبله لكنهم اذا بلغوه بلا توبة وجب عليهم العذاب بحيث لن يجدوا من دونه من دون الله موئلا ملجأ بحيث لو امكنه المغفرة لم يكن ليغفر له بعدما لم يغفر له ارحم الراحمين وتدل على تعذيبه مع افراط رحمته ان تلك القرى اهلكناهم لا بطريق الابتلاء لان اهلاكهم كان لما ظلموا ظلما من نسبته الى سببه ولكنه لما لم يكن سببا تاما تأخر عنه اذ جعلنا لمهلكهم موعدا هو من اجزاء السبب اذ يحقق فيه عدم التوبة الموجبة للمغفرة والرحمة المانعتين من التعذيب واذكر للذين ان تدعهم الى الهدى لن يهتدوا اذا ابدا لتكبرهم عليك انكم لستم اعلم من موسى ولا ارشد منه ولست اقل من الخضر في الهداية لانها هداية في الظاهر والباطن وهداية الخضر انما هي في الباطن ولا يحتاجون في تحصيله الى تحمل المشاق واحتاج اليه موسى اذ قال موسى لفتاه لخادمه يوشع بن نون اختاره ليعينه على تحمل المشاق لا ابرح لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين بحر فارس والروم او طنجة وافريقية او العذب والملح فاجد فيه الخضر او حتى امضي اسير حقبا زمانا طويلا او ثمانين سنة والمراد زمانا طويلا ان لم ابلغه وذلك انه قام خطيبا في بني اسرائيل فقالوا اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه بل اعلم منك عبدي بمجمع البحرين وهو الخضر قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فسارا فلما بلغا مجمع بينهما وكان بالليل اويا الى الصخرة فوضع موسى رأسه عليها فنام و اصاب الحوت روح الماء وبرده وقيل توضأ يوشع فانتضح الماء على

الحوت فوقع في الماء فكره يوشع ان يوقظه لما استيقظ نسي ان يخبره ونسي موسى
ان يسأله فهو وان كان مجمع ما بينهما وبين الخضر لم يجتمعا به لانهما نسيا حوتهما الذي
جعل حبسه في مكان بعد كونه مشويا او مملوحا علامة كون الخضر فيه لكنهما رجعا اليه
لانه وقع في الماء فاتخذ سبيله مع كونه في البحر سربا طاقا وسرى وان لم يكن يوشع
مذكرا ولا ذكره بعد المجاوزة فلما جاوزا المجمع الذي فيه الخضر قال لفتيه بعدما
سارا الى الظهر من الغد وجاعا ولم يجدا شيئا من ذلك قبله آتنا غداءنا وهو
الخبز والحوت اللذين حملهما يوشع في المكتل وهو وان جعل علامة لم يعين بها وطلبه
في وقت الضرورة لقد لقينا من سفرنا هذا الذي بعد مجاوزة الصخرة نصبا تعبا
ولا بد لاختصاصه بهذا الوقت من سبب قال ارأيت اخبرني هل سبب تضييعك
تجاوز الموضع المطلوب بنسيان وقوع الحوت في الماء اذ أوينا الى الصخرة
فاني بعدما امرتني ان اخبرك بامر الحوت نسيت الحوت بعد استيقاظك
وكرهت ايقاظك وما انسانيه مع اهتمامي باخبارك الا الشيطان فانه كره ان اذكره
لك فيحصل لك الاجتماع بالخضر بلا تعب ولا عصيان مني في مخالفة امرك ولكن
لا يفوت على مكانه لانه اتخذ سبيله في البحر عجبا امرا غريبا اذ صار الماء عليه
طاقا وسربا قال موسى ذلك المكان الذي اتخذ فيه سبيله سربا هو ما اي مكان كنا نبغ
نطلب فيه الخضر ولذلك حصل التعب بمجاوزته فان من جاوز المطلوب تعب لكنه
لا نستقيما بالرجوع الى ذلك المكان فارتدا رجعا ماشيين على آثارهما آثار اقدامهما
يتبعانها قصصا اتباعا لئلا يفوتهم الموضع ثم لما وصلا اليه ودخلا البحر فوجدا عبدا
لا يكتنه غاية كماله لكونه من عبادنا مظاهر عظمتنا اذ آتيناه رحمة من عندنا وهو
التجلي الشهودي من غير فنا ولذلك علمناه بلا واسطة بشر وملك من لدنا علما
جليلا لا يعطى كثيرا من الانبياء قال له موسى الذي هو متبوع يوشع وسائر بني اسرائيل
هل اتبعك في علومك مرتقيا عن علومي على ان تعلمن وان كنت لا اتعلم من بشر
من الله او ملكته مما علمت من لدن ربك رشدا فوق هداه اهل الظاهر كمعرفة اسرار



الحق في بعض ما افعال التي تظهر قبحها قال ان هذا العلم ليس مما تظهر حسنه بادي النظر
بل منه ما تظهر في الصور القبيحة التي تبادر اهل الظاهر الى الانكار عليها وهو مانع
عن الاطلاع على محاسنها وترك الانكار عليها يحتاج الى صبر عظيم انك لن تستطيع
وان كنت نبيا معي صبرا بوجه من الوجوه وكيف تصبر على ما ظهر قبحه مع انك
لم تحط به خبرا تعرف به محاسنه الماحية قبحه قال موسى اني وان كنت من اهل
الظاهر الذين لا صبر لهم الى تتبع البواطن ستجدني ان شاء الله صابرا بالتغلب على
طبعي من اقتدائي بك وتأثري عنك كيف وفي تركه عصيانك واذا اتبعتك
لا اعصي لك امرا وان رأيت فيه طاعة الله في الظاهر لكنه معصية بالحقيقة لان
اعتقاد القبح فيمن زكاه الله طعن على الله ولما كان هذا الكلام كالرد عليه في قوله
انك لن تستطيع معي صبرا لم يجد الصبر وان دعي لما استثنا قال فان اتبعتني في
علومي فلا تسألني عن شيء فضلا عن الانكار عليه فهذا العلم ليس بطريق السؤال
والجواب بل بطريق الفيض ولو مع اللسان منه ذكرا تذكر به ما كمن فيه فاتبعه موسى
على ان لا يسأله شيئا حتى يفاتحه وارسل يوشع الى القوم لاقامة الشرائع فانطلقا ساحلا
على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فكلما اصحابها ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير
نول حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ القدوم فقلع لوحا من اسفلها قال اخرقتها
لتغرق اهلها الذين حملوك بغير نول لقد جئت شيئا امرا عظيما من اتلاف السفينة
وقتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب وكفران نعمة الحمل بغير نول قال لو صبرت عرفت انه
مثل التابوت الذي حملتك امك فيه لا يدخله ماء ولا تغرق الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا وان قصدته قال انما قلت لنسياني ان امثال هذا من مسائل تلك
العلم بل هو من فرطاتك لا تؤاخذني بما نسيت فان المؤاخذة به تفضي الى العسر
ولانه منفي لا ترهقني من امري في تحصيل العلم منك عسرا لئلا يلجئني الى تركه فنزلا من
السفينة فانطلقا ماشيين في الساحل حتى اذا لقيا غلاما امسكه في الحال فقتله
بقلع رأسه من غير تأخير بخلاف قلع اللوح من السفينة قال اقتلت نفسا زكية طاهرة

فلا بد من استطاعته ولا بد من
الصبر حتى احدث لك في قلبك
بطريق الفيض صح

عن موجبات القتل من الردة والزنا والقتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا انكرا
لا يمكن اصلاحه بحال بخلاف ما تقدم فانه وان كان عظيما امكن اصلاحه بوجه ما
قال لو صبرت لعلمت انه كقتلك القبطي الم اقل لك اي لاجل ما رأيت من العجلة
في طبعك مما يخالف ظاهر الشرع انك لن تستطيع معي صبرا وان لم ينس عهد الله
ولا عصى قال موسى ان كان الاول نسيانا ولي فيه عذر وهذا ليس بنسيان
ولا عذر لي فيه ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه المرة وان لم اكن علمتك
فلا تصاحبني لاني اتضرر بمخالفتك فوق ما انتفع بصحبتك ولا يلزمك حقوق
الصحبة والمعلم لانك قد بلغت من لدني من جهتي عذرا اذ خالفتك ثلاث مرات
بمقتضى طبع الاستعجال فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية او الابلة
او الجزيرة الخضراء من الاندلس او برقة او باجروان او مسه او ناصرة من ارض
الروم استطعما اهلها اعاده لانها صفة للقرية لفظا وللاهل معنى فلابد من
ذكره ليستقيم ولو جعل صفة الاهل لم يتوجه الاعتراض على اصلاح بعض ما في
القرية لكن ذنب الاهل سبب ذنب القرية ومنع اصلاحها ولو جعل جواب الشرط
لفهم منه ان اتيان القرية انما كان للاستطعام فابوا فامتنعوا من ان يضيفوهما
يطعموهما الطعام الذي هو حق ضيافتهما عليهم فوجدا فيها جدارا مائلا كانه يريد
ان ينقض يهدم وكان ارتفاعه مائة ذراع فاقامه بالجدار بيده او بمسحها او بعمود عمده
به او قتل نقضه وبناه قال موسى للخضر عليهما السلام الاحسان الى المسيء وان كان
من شأن اهل الكمال لكنا من المضطرين الذين لهم اخذ طعام الغير لو شئت
لاتخذت عليه اجرا قال الخضر هذا وان لم يكن انكارا منك ولا سؤالا في الظاهر
فهو راجع اليهما وقد نشأ من استعجال طبعك مع انك لو صبرت لعلمت انه مثل
ثقبك بلا اجر مع الاضطرار فهو فراق بيني وبينك المأمور به في ضمن نهي المصاحبة
وامر الرسل واحد لكن لا افارقك على الفور سأنبئك باللسان من غير طريق
الافاضة الباطنة بتأويل بمآل ما لم تستطع عليه على ظاهره صبرا لتذهب بغاية الصحبة

وسنبين لك ضرر المخالفة اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين يعملون بها صيدا في
البحر في سبب بقائهم لو يبيعها لهم لكنها انما تبقى لهم لو كانت معيبة فاردت ان اعيبها
اسند العيب الى نفسه وانما تبقى المعيبة لهم لانه كان وراءهم في طريق رجوعهم ملك
ملك غسان الجلندي الازدي او هدد بن بدد يأخذ كل سفينة سليمة غصبا وترك
المعيبة واما الغلام فكان فيه حفظ الايمان ابويه اذ كان ابواه مؤمنين وقد طبع
كافرا طاغيا قاطع طريق منشئ شبهات في الدين داعيا الى الكفر والطغيان فخشينا
لو تركناه ان يرهقهما يغشيهما طغيانا وكفرا فاردنا بقتله ان يبدلهما ربهما اسند
الى نفسه لما فيه من القتل الشر والى ربه لما فيه من البدل الخير ولدا خيرا منه لتضمنه
زكوة طهارة عن الكفر والطغيان واقرب رحما رحمة بابويه وبرا لكونه كالبدية
المقتول
عن القتل وجزاء للاساءة بالاحسان فقيل ابدلهما جارية فتزوجها نبي فولدت
له نبيا فهدى الله على يده امة واما الجدار فكان اصلاحه وحفظ ما تحته واجبا
علي لانه كان لغلامين وحفظ مال الغلام اولى من الجارية لاستغنائها بنفقة
زوجها بتعيين وحفظ مال اليتيم واجب سيما اذا كان في المدينة اذ لو كان في البرية
ربما يحفظ بعدم اطلاع احد عليه وكان تحته كنز من ذهب وفضة لهما والجدار
حافظ له فلو ترك ينقض لضاع ولا اجر عندهما سوى ذلك الكنز الذي لو اخرج
لضاع لعدم استقلالهما وكفيلهما يهتم لحفظ كنزهما وكان ابوهما الناس صالحا
فاراد ربك بركة صلاحه ان يحفظ كنزهما حتى يبلغا اشدهما قوتهما في الحفظ بالبلوغ
والعقل ويستخرجا كنزهما حال تمكنهما من التصرف وسواء كان لطفا لم يكن واجبا
على الله بل رحمة من ربك تفضل بها وما فعلته اي المذكور بمقتضى علمي عن امري
امر نفسي بل كان معه امر الله ايضا ذلك الذي بعد عليك لعدم صبرك لانه
تأويل ما لم تستطع عليه صبرا فلو صبرت لوصلت اليه بنفسك من غير احتياج الى
البيان بل غايته الاحتياج الى الافاضة الباطنة مني ويسألونك اي اليهود
او قريش لتختبر عن ذي القرنين بالغيب اخبار الخضر الذي كان على مقدمته

قيل هو مرزبان بن مرزبة اليوناني او افريدون او الاسكندر بن فيلقوس الرومي
وهو المشهور كان وليا او نبيا وهو الاسكندر الكبير واما الصغير فكان على مذهب
استاذه ارسطو سمي به لانه طاف قرني الدنيا اي المشرق والمغرب وقيل لانه امر
قومه بالتقوى فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم امرهم فضربوه على قرنه
الايسر فمات فاحياه الله قل اخبركم عنه بخبر مما اخبره الخضر ساتلوا عليكم منه ذكرا
مخبرا انزله الله على دون الخضر انا مكنا له التصرف في الارض بما اعطيناه العلم والحكمة
وسخرنا له النور بعده من الامام والظلمة لحفظه من خلفه وآتيناه من خاص كل شيء
سببا طريقا لتحصيل امور عظام فاتبع سببا كطي الارض وتيسير الحروب ودفع ما يستعين
به العدو وفساده حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي الظلمات التي لا طلوع للشمس فيها
وجدها تغرب دائما عند استقراره في عين من البحر المحيط حمئة ذات حمأة
وهو الطين الاسود ووجد عندها اي بقربها قوما قيل هم ناسك قلنا بالوحي اليه
ان كان نبيا او الى نبي زمانه او بالالهام يا ذا القرنين اذا اسرت هؤلاء فانت
مخير في امرهم اما ان تعذب بالقتل والاسترقاق واما ان تتخذ فيهم حسنا بالمن او
الفداء قال اما من ظلم اصر على الكفر بعد عرض الاسلام عليه والارشاد الى ادلته
فسوف نعذبه بعد المبالغة في الارشاد ثم يرد في الآخرة الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا لا يعرفه اهل الدنيا واما من آمن وعمل صالحا فله عند ربه جزاء اعماله الحسنى
وسنقول له من امرنا يسرا وهو المن او الفداء ثم اي بعدما فعل باهل المغرب ما ذكر
اتبع سببا لطي الارض من المشرق ولمحاربة اهله ودفع حيلهم فلم يزل يحصل ذلك
حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي الارض التي يدوم فيها الطلوع وجدها تطلع دائما
بلا ليل على قوم قيل هم منسك لم نجعل لهم من دونها سترا من الارض والجبال
وهم اعلم بالحيل واشد في الحروب ومع ذلك فعل بهم كذلك اي مثل ما فعل باهل المغرب
وقد احطنا بما لديه من اسباب محاربة هؤلاء ودفع حيلهم التي لا نسبة لكثرتها
شبهها الى حيل اهل المغرب خبرا ليس عند السائلين ثم اي بعد الفراغ من اهل



المشرق ثم اتبع سببا لطي الارض فيما بين المشرق والمغرب ولمقاتلة اهله ودفع
حيلهم حتى اذا بلغ بين السدين جبل ارمينية وآذربيجان بينهما سد ذي القرنين
وجد من دونهما اي ادنى من القرنين قوما لا يكادون يفقهون قولا فضلا عن
الحيل الدقيقة في الحرب فلم يحاربوه بل استعانوا به اذ قالوا يا ذا القرنين نادوه
باسمه من قبل فقههم ان ياجوج قوم من الترك وماجوج قوم من الديلم او من الترك
مفسدون في الارض يخرجون ايام الربيع فلا يدعون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا حملوه ويفترسون الانسان والدواب ويأكلون الحيات والعقارب
فهل نجعل لك خرجا جعلا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا قال ذو القرنين
ما مكني فيه التصرف فيه من الاموال ربي خير اي اجل من خرجكم فلا استعين به فاعينوني
في دفع افسادهم بقوة عملة وصناع اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
موثقا آتوني ناولوني لعمله زبر الحديد اجعلها مع الحطب والفحم فوق
الاساس الذي هو من النحاس والصخر الى مبلغ الماء فرفع البناء حتى اذا ساوى
بين الصدفين طرفي الجبلين المتقابلين قال انفخوا بالمنافخ ففعلوا حتى اذا جعله
اي المنفوخ فيه في غاية الحرارة كانه صار نارا والنافخون عليه لا يضرهم النار
بسبب اشتغاله قال آتوني قطرا افرغ اصب عليه قطرا هو النحاس المذاب او
الصفر فحملت النار باكل الحطب فصار النحاس مكانه حتى لزم الحديد النحاس فصار
بناء رفيعا املس صلبا ثخينا فما اسطاعوا ان يظهروه يعلوه لملاسته وارتفاعه
وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته قيل ما بين الصدفين مائة فرسخ وطوله في
السماء مائتا ذراع وعرضه قيل خمسون وقيل خمسون ذراعا قال ذو القرنين هذا البناء
رحمة من ربي على المؤمنين وعلى هؤلاء واولادهم بالسلامة والنجاة الى وقت
عن النعمة فاذا جاء وعد ربي قرب وعدا بنائه بالنعمة جعله اي هذا البناء
دكا مستويا بالارض وهو وان كان مستبعدا لكنه كان وعد ربي حقا فلا بعد
حينئذ ما هو من علاماته وانما كان ذكره من علامات الساعة لانه سبب خراب العالم

قطع صو

فرسخا

اذ تركنا بعضهم بعض ياجوج وماجوج يومئذ يوم اذ ذاك يموج يختلط في بعض
مما وراء الروم فهو معد لافسادهم بل اشد منه فهو سبب خراب العالم وسبب
مستتبع لانتصاف المظلومين من الظالمين ولاستدعائه اجتماع الخصوم
ونفخ في الصور عقيب ذلك فجمعناهم فيه جمعا روحانيا وللانتصاف الروحاني هناك
وعرضنا جهنم يومئذ يوم اذ يجتمع ارواحهم في الصور على كل ظالم سيما للكافرين عرضا
غير عرضها في القبر بطريق التخييل ولا في القيمة بطريق الاحساس بل بطريق عقلي
محض لانكشاف الحجاب الجسماني بالكلية عنهم اذ هم الذين كانت اعينهم في غطاء
من الجسم الحسي والخيالي عن جميع امور حتى عن ذكري اذ زعموا انه لا بد للمذكور
من تصوره بالقلب ولا يتصور المنزه واعين غيرهم وان كانت في غطاء كان
لهم سماع وسؤال كانوا لا يستطيعون سمعا لذكر المنزه حتى يلتفتوا فاضطروا الى
عبادة المظاهر افتعتقدون انهم لم يظلموا انفسهم بعبادة المظاهر افحسب الذين
كفروا اي ستروا الكمال الحق باعتقاد ظهور كماله في هذه المظاهر فجوزوا ان يتخذوا عبادي
الذين لا يكون ظهوري فيهم الا بحسب استعداداتهم ولا يستعدون لظهور
كمالي لكونهم من دوني اولياء احبا بالحجب لكونهم مظاهر كمالي ومن موجب لاعتقاد
النقص في كمالي الموجب لغضبي انا اعتدنا جهنم للكافرين باعتقاد النقص في
نزلا اعد لهم ليعرض عليهم اولا ما يرجعون اليه وان زعموا انه رجوعهم الى
محبوبهم فان زعموا انما عبدنا المظاهر لتضمنها عبادة الله والله تعالى يجزينا على هذا
القصد وان اخطأنا فيه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا هم الذين سعيهم باعتقاد
النقص في الله اعتقاد الا يعود الى الكمال لوقوعه في الحيوة الدنيا الموضوعة لتحصيل
الاعتقادات والاعمال الصالحة فاذا فات فيها لا يمكن تداركه ابدا ولا بد ان يكون
ذلك في الدنيا اذ هم يحسبون انهم يحسنون صنعا اذ يعتقدون انهم يعبدون
ربا منزها بهذه المظاهر اولئك ان لم يكفروا بهذه العبادة ولم يخسروا
بها فلا شك انهم الذين كفروا بآيات ربهم التي جاء بها رسلهم ليمنعوهم عن عبادة هذه

ضلالهم

المظاهر



المظاهر وعن اعتقاد تقيده بصورة ولو قبلت عبادة المظاهر فانما تقبل من اعتقد
الرجوع اليه وسؤالا كفروا بالرجوع اليه ولقائه فان كان لهم عمل صحيح باعتبار عبادة
المظاهر فهذا الانكار مبطل له فحبطت اعمالهم على تقدير صحتها وهي وان كانت عظيمة
عندهم مفيدة للكشوف والاحوال فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا لانها انما اعتبرت
في عالم اللبس لا في عالم الكشوف التام بل ذلك العمل وان توهموا تقربهم به الى
الله لما افادهم من الكشف من بعض الامور فهو سبب بعدهم عنه لان كشفهم كان
حجابا لهم عن الله لذلك جزاؤهم جهنم بجعلهم في غاية البعد لا بانهم عملوا للتقرب اليه
بل بما كفروا باعتقاد النقص في الله ولو لم يكفروا بذلك فلا شك انهم كفروا حيث
اتخذوا آياتي المانعة عن عبادة المظاهر الداعية الى عبادة المنزه ورسلي القائلين
بها منزهوا والاستهزاء بآيات الله ورسله استهزاء بالله موجب لعنته وشدة ان الذين
آمنوا بان له اقصى الكمالات وحصلوا لانفسهم ما امكن منها بان عملوا الصالحات
فهم وان لم ينظروا من عملوا بها له ولم يحصل لهم في الدنيا بها كشف كانت لهم جنات
الفردوس التي هي اقرب الجنان من عرش الرحمن لقربهم من الله بتحصيل ما امكنهم
من الكمالات الموجبة مناسبتهم له المقتضية محبته فاذا رجعوا اليه اكرمهم بها نزلا
وسواء ان جرت العادة بقطعه عند من اقامة فهو لكونه عطاء الله لا حيا به غير منقطع
فيكونون خالدين فيها وسواء كان في بعض الاحيان ادنى فهو لكونه ممن له غاية
الكمال المناسب في كماله يكون في غاية الكمال فهم وان كانوا لا انهم يبغون في مراتب
الكرامات لا يبغون عنها حولا لاشتمالها على ما لا يتناهى من مراتب الكرامات فان
طلبوا لهذا العطاء المشتمل على ما لا يتناهى من الفضائل مثلا قل شاء له القرآن المشتمل
على ما لا يتناهى من العلوم فانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لكتابة ما يفهم منها
لنفد البحر لكونه متناهيا قبل ان تنفد كلمات ربي مفهوماتها لكونها غير متناهية فلا تنفد
بنفاد المتناهي ولو ضم اليه متناه آخر بان جئنا بمثله بحر آخر مثله مددا لهذا البحر فان
ضم المتناهي الى متناه آخر لا يجعله غير متناه ليوازي به غير المتناهي فان زعموا ان هذا

القران كلام مثل كلامنا فلو كانت مفهوماتها غير مناسبة لكانت مفهومات كلامنا
كذلك قل يجوز ان يخص احد المتماثلين بفضائل لا توجد في الاخر انما انا بشر مثلكم
وقد تميزت عنكم بفضيلة الوحي يوحى الي فانا مستجمع للكمالات والكمالات يجوز
ان تجتمع في واحد فان من جملة ما يوحى الي انما الهكم اله واحد فكيف لا يجمع في من
الكثرة سيما فيمن يناسبه ومناسبة كلامه اقرب من مناسبة البشر والبشر بمناسبة الاخلاق
الحاصلة من الاعمال الصالحة فمكاشفة كمالاته فمن كان يرجو لقاء ربه بمكاشفة كمالاته
ولو في ضمن كلماته فليعمل عملا صالحا يفيد تصفية القلب وتزكية النفس ولا يشرك
بعبادة ربه في باب الاعمال والعلوم والاخلاق احدا من المدح وتحصيل المال
والجاه فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين **سورة مريم عليها السلام**
سميت بها لان قصتها تشير الى ان من اعتزل من اهله لعبادة الله وطلب بها اشرف
نوع يرجى ان يكشف له عن صفات الحق وعن عالم الملكوت ويظهر له الكرامات العجيبة
وهذا من اعظم مقاصد القران بسم الله المتجلي بكمالاته في مظاهر
انبيائه واوليائه الرحمن عليهم بالذات وعلى من سواهم بواسطتهم الرحيم على الخواص
بخواص الرحمة التي يشير اليها كهيعص كبير هبة يد عزة صاعد شديد آية يقين
عال صاف او كريم هاطل يمن عام صدق او كاشف هم ياس عظيم صعب ونحو ذلك
مما يناسب المقام ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي ذكر الله لنا ما رحم به زكريا من
كمال ربوبيته المنسوبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم التي هي اصل الكل بواسطة دخوله
تحت حيطة نبينا صلى الله عليه وسلم لذلك اعطاه ولدا كاملا في باب النبوة يبشره به
بنفسه تارة وبملكه اخرى وتولى تسميته ولم يشرك فيها من تقدم تشبيها به تلك الغرض
الحق باسم الله نوجه وذكرها لنا كبير هبة لنا في تعريف مقامات النبوة من يد العزة
التي تغلب الاوهام والخيالات المعارضة للعقل المغرور بالاصعاد الى مراتب السعادة
الابدية كيف وفيها كفاية في افادة هداية يقين بالله وبقدرته وعنايته لصفوة عالم

او كاف ح

على ما يحصل بالدلايل العقلية لصفائها عن الشبهات وكريم هاطل في افادة الكشف
العز المناسبة كاشف هم الياس العظيم الصعب في حل الشبهات وفيه اشارة الى
الكريم الهاطل على من مات وخلف وليا صالحا كاشف هم عوارض المعاصي عنه
وكانت هذه الرحمة اثر دعائه اذ نادى ربه المخصوص به لكن لما كانت الرحمة المذكورة
لا تتصور افاضتها منه افاضها من اسم اعلى منه وذكر نداء ليلا يتوهم ان خفاءه
من ربه فيتوهم انه كان حال الدعاء محجوبا عنه وانه يمكن كونه مجاهرا بندائه لكنه اخفاه
لكونه ابلغ في التذلل وابعد من شماتة الاعداء ونسبتهم اياه الى السفه بطلب
المحالات العادية قال رب اي يا من رباني بالعلم والولاية والنبوة وساير
الكمالات انها صارت كالتالفة عند ضعف الجبوة اني وهن العظم الذي هي اقوى
الاعضاء واصلها وان كان لها قوة باطنة مني ووهنت قوى المدركة والمحركة
لانه اشتعل الراس خالط سواده اخلاط النار شيبا فاحرق ما فيه وذهب
رونقه وهو وان كان مانعا من حصول الولد عنك فانه لاني لم اكن بدعائك
رب يا من رباني باستجابة الدعوات شقيا بالرد وعدم الالتفات اليه ولو في
الامور المستحيلة عادة ولم ادعك لامر دنياوي بما يمنعها خاصة لما فيه من
صلاحهم بل لاصلاح امور الخلق اني خفت الموالي اي الذين يلون امر الخلق
من وراءي اي بعدي فيفسدون خلافهم اذا لم يقتدوا بي فطلبت منك الولد
مع ظهور استحالته من جهة شيخي وشيخة امراتي ومن جهة انه كانت امراتي
حال شبابها عاقرا فكاني طلبته بلا سبب ليحصل بلا واسطة فيكون اكمل فهب لي
من لدنك وليا يلي امر الناس يرثني النبوة والولاية والعلم وساير الكمالات
ويرث ليس لي من ال يعقوب ولا يجعل كمالاته سبب سخطك عليه لتكبره
بها وطغيانه على الخلق بل اجعله رب يا من رباني بالكمالات في مقام الرضا
رضيا ترضى جميع ما فيه وترضاه الخلايق فقال يا زكريا ناداه ليقبل اليه فيما
يبشره به انا من مقام عظمتنا لا نزال نبشرك بغلام لا نعرف غاية كماله سوى

انه اسمه عندى ليحب مطابقته للمسمى يحيى اذ يحيى به ما مات من فضائل الانبياء
عليهم السلام وكيف نعرف غاية كماله مع انه لم يكن لمن قبله اذ لم نجعل له من قبل سميا
فضلا من ان نصف بكمالاته مكان اعلى مما طلبته اذ حصل له من اسم اعلى من
الذى طلبته منه قال زكريا يا رب يا من رباني باعطاء ولد يحيى ما مات من فضائل
الانبياء اى كيف يكون لى غلام ينسب الى من غيران اكون انا ولا امرأتى سببا
فيه ولو جعلت السببية لى فهل يجعل امرأتى ولودا بعدما كانت امرأتى عاقرا
وهل اجعل شابا بعدما قد بلغت من الكبر عتيا يبسا قال بسبب ابيك الولد مع كونكما
كذلك سخاوة عاقر ليكون الولد بلا سبب مؤثر اذ غيرنا بتوسط لا يخلو من الانصباغ
بصبغه وان لم يكن لها اثر بالحقيقة قال ربك الذى رباك باعطاء مثل هذا الولد
عن دعوتك هو اى جعل الولد منسوبا اليك مع عدم تأثير سببيتك على هين
وقد خلقتك من قبل من قبل هذه الكمالات فيك ولم تك شيئا من انسان ونطفة
وعلقة وعناصر فوجدت ما دمت بلا شئ اصلا فضلا عن سبب فلا يبعد ان يحصل
لك ولد من غير سبب مؤثر بالكلية لا فى الظاهر ولا فى الباطن وان كانت الاسباب
لا تؤثر فى الباطن بغاية الامر انه حصل بسبب لا اثر له سوى هذه النسبة قال رب
انك وان بشرتنى بهذا الولد لكن جعلت هذه الآية فى ذات الولد اجعل لى
آية تكميلا لنعمتك واشتغالا بشكرك قبل ظهور نعمتك قال آيتك ان لا تكلم
الناس اى يمنع عليك كلامهم ثلث ليال لكونك فى حكم الغائب عنهم لافراط اشتغالك
بالحق سويا بلا مرض فى بدنك ولا فى لسانك وليس ذلك بالفناء فى الله بل حال الرد
الى الخلق فخرج على قومه من المحراب الذى كان فيه فى حكم الغائب عنهم فرد اليهم
لتكميلهم فاوحى اشار اليهم ان سبحوا صلوا لله بكرة وعشيا ناظرين الى الظهور فى
الخلق مع بطونه فلا يحجبكم احدهما عن الآخر وان غلب عليكم نور الحق ولعدم احتجابه
باحدهما عن الآخر عبر عنها بالايام فى سورة آل عمران وليسرى نور الحجية منه الى ولده
قلنا له يا يحيى المخلوق لاحياء الظاهر بالاعمال والباطن بالاخلاق والاحوال والعلوم

خذ الكتاب الجامع لها وهو التورية بقوة عزيمة فى العمل والتخلق بما فيه وفهم ظاهره
وباطنه بحيث تحقق فيك ميراث ابيك وميراث الى يعقوب قبل نيله ذلك اذ آتيناه
الحكم اى استنباطه بطريق الاجتهاد صبيا فلا يعسر عليه الترقى الى ما ذكر ولم يكن كماله
لازما بل متعديا اذ آتيناه حنانا رحمة يرحم بها الخلق ليحققه باسمائنا لا بطريق الاكتساب
بل موهوبا من لدنا ولم يدع بذلك كمالا لنفسه اذ آتيناه زكوة طهارة عن الحجاب
التى من جملتها الدعاوى الفاسدة ولم يقصد بذلك طلب جاه ولا مال اذ كان تقيا
عن طلب ما سوى الله فيما بينه وبين الله واما فيما بينه وبين الخلق وكان برا بوالديه
محسنا لهما بهما والام تنقص فى حق الجميع فال فى حقهم ولم يكن جبارا بابطال حقوقهم
عصيا بترك تعليمهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وارادة السوء بهم ثم اشار
الى عصمته وقربه فقال وسلام من الله وملائكته عليه يوم ولد فلم يمسه فيه الشيطان
ولم يملكه الهوى والغضب ويوم يموت فلم يكن للشيطان عليه سلطان ولم يكن له
التفاوت الى ما ترك من الدنيا ولا سؤال القبر ولا عذابه ويوم يبعث فلم يحزنه
سؤال النعمة فكان حيا اطيب حيوة فيه واذكر يا نبى الرحمة للامة المرحومة فما يصل
اليهم بواسطتك اتم مما يصل اليهم بدونها فى الكتاب الالهى نبأه عن الله وهو وان
كان عبارة العلم الاعلى فهو عين حقيقتك رحمة ربك امته مريم اذ اعطاها ولدا
بلا والد وهو دعاء واحد فهو اعجب من ولد زكريا رحمها اذا انتبذت اعتزلت من
اهلها لئلا تشغل بهم عن العبادة فاستعدت مكانا شرقيا شرقى بيت المقدس
لطلب اشراق انوار الحق فاتخذت من دونهم حجابا لئلا يحجبها دونه الخلق عن انوار
الحق وكشفنا لها عن عالم الملكوت فارسلنا اليها جبرئيل بجمل روحنا المنسوب
الى مقام عظمتنا لغاية كماله ليتمثل فيها بعد ان تمنى ليكون مادة لجسد عيسى فتمثل
تصور الانسان الرسول لها لرؤيتها بشرا لا جوانا اخر سويا لم ينقص من صورة
البشر شيئا لئلا تنفر من رؤيته فلما رأته فى مكان الخلوة ولم تعرفه ظنت انه يريد
مواقعتها وبين عفته قالت انى اعوذ بالرحمن الذى رحم بالايمان والخوف منه اذا جمع

بهذا

اسمه لينزجر به منك ان كنت تقيا تخاف عند سماع اسمه والاستعاذة به فلا تتجرى
على المستعاذ به قال لست بشرا فاجرا انما انا رسول ربك ارسلني اليك بروح
منه ليهب لك بنفخ الروح على يدي وفي لاهب لك اي لاكون سببا في
الهبة غلاما فوهبه وسبك امك زكيا طاهرا عن المعاصي والرذائل ناميا في
الخيرات قالت اني كيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر لم يطاني بنكاح ولم اك
بغيا فاجرة تبغي الرجال قال يكون لك الولد وانت كذلك اي على الحال التي انت
عليها قال ربك الذي رباك بالكرامات هو علي هين اذ لا افتقر الى الوسائط
فخلقه لاظهار غناي عنها ولنجعله اية للناس على بعثهم يوم القيمة بلا واسطة الاباء
والامهات ورحمة منا عليك بهذه الكرامة وعلى ساير الناس بالهداية وابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى وغير ذلك وكان امرا مقضيا ثبت انه
ولما سمعته يقول انما انا رسول ربك ورايته لا يمد يده اليها وقع في قلبها صدقه
ومالت اليه ولما سمعت يقول لاهب لك غلاما زكيا وقطع ترددها بقوله وكان
امرا مقضيا سرى في باطنها الشهوة فامنت فنفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها
فوصلت النفخة الى بطنها حاملة للرطوبة الموهوبة من النفخة فصارت الرطوبتان
بمنزلة اجتماع مني الرجل ومني المراة ليكون منها جسد عيسى فحملته صارت في الحال
حاملة به وتصور الولد وكبر في بطنها من غير مدة مديدة فانتبذت به اعتزلت بسببه
فاخذت مكانا قصيا بعيدا من قومها خوف الفضيحة فلم يمكث الولد في بطنها
الا مدة وصولها الى ذلك المكان فاجاءها المخاض فالجاها الم الولادة الى
جذع النخلة التي لا سعف لها ولا راس ولا ثمر لتتمسك به من شدة الالم و
قد ازداد من خوف التهمة الى حد قالت ياليت بقال ياليتني مت قبل هذا
الحمل وكنت منسية نسيا منسيا ذكر النسي ايضا من خوف الملامة ووقوع
الناس في المعصية فناديها من تحتها اي عيسى بعدما ولد ان لا تحزني للتهمة
فان الله تعالى يعلمها بما يعطيك من الكرامات قد جعل ربك تحتك بقرب رجلي

نهرا جاريا وهزي اليك حركي الى نفسك اذا اخذت بجذع النخلة المذكورة
تساقط تساقط ثمارها عليك رطبا جنيا جاريا او ان اجتنائه وانما خصصت بها
الكرامتين لتستعين بهما في دفع الجوع والعطش فكلي مما يختار للنفساء من الرطب
واشربي من النهر وقري عينا بولدك ذي الارهاصات فلا تبالي للتهمة فاما ترين فان
بحق رويتك من البشر احدا يسالك عن حالك فقولي بطريق الايماء اني نذرت
للرحمن الذي رحمني بالكرامات وباعطاء هذا الولد ذي الارهاصات على انه
ان خلصني من التهمة لاصومن له صوما امساكا عن الطعام والكلام لا مع الله و
ملئكته بل مع الانس فلن اكلم اليوم انسيا شخصا منسوبا الى جنس الانس بل يكلم
الصبي عني ليكون اقلع للتهمة ولما سمعت منه هذا الكلام ورات منه الارهاصات
لم يبق لها مبالاة للتهمة فاتت به قومها تحمله افتخارا به قالوا يا مريم مع لاحظهن اصل عيسى
وهو العابد والله لقد جئت شيئا فريا بديعا لم يكن في اهل العبادة يا اخت هرون
من ابويه او ابيه وكان اصلح الناس وحق الفرع عن ان تماثلا ثمرها شجرها واحسن
لا تختلفان حلاوة وحموضة بل حق الفرع ان يتبع الاصل وان ما كان ابوك
عمران امرا سوء بل قدوة لاهل الصلاح ولو فسر ان اخاك انما يتبع اباك وما
تبعت امك ما كانت امك بغيا فاجرة فاشارت اليه انهانذرت صوما وان الجواب
مفوض اليه اي الى ولدها قالوا كيف نكلم من لا يتصور منه الجواب اذ كان مستقرا
الى الان في المهد صبيا فنسب الى السفه فانطقه الله من غير ان يستنطقه احد
قلعا للتهمة اذ قال اني عبد الله المنسوب الى اسمه الجامع وبعد حصول هذه
الجمعية التي هي دليل الكرامة لعدم الزنا وجمعية اتاني الكتاب الانجيل وانما اتاني
الكتاب لانه جعلني نبيا وبدل على صدقي في دعوى النبوة انه جعلني مباركا
كثير الخيرات اينما كنت من امور الدنيا والدين وانما كثرت خيراتي لانه اوصاني
امرني امرا موكدا بالصلوة والزكوة لنفسي ولساير المؤمنين لاحفظ عمارة باطني
بعمارة الظاهر لاحتياجي الى عمارة الظاهر ما دمت حيا لئلا يسري الفساد من

الظاهر الى الباطن هذا في حق الله وفي حق الخلق جعلني برا بوالدتي وفي حق
العامة الذين لا يتصور معهم عموم البر لم يجعلني جبارا عليهم وان جعلني حاكما
عليهم وهذا يدل على انه لم يجعلني شقيا حتى يتصور مني الدعاوي الكاذبة وكيف
اشقى والسلام علي يوم ولدت فلم يمسني الشيطان ويوم اموت فلم يكن له علي
سلطان ولا يكون على سؤال منكر ونكير ولا على عذاب قبر ويوم ابعث فلا افزع
من سؤال القيمة فاكون فيه حيا اطيب حيوة وبعد كل البعد حصول مثل هذه الكرامات
والارهاصات لطفل الزنا فلما رد بذلك على اليهود القائلين بانه ولد الزنا رد على
النصارى بقوله ذلك القائل عيسى لا الله اذ لا يتصور ان يقول نبيا مما ذكر ابن مريم
لا ابن الله اذ لا يتصور منه اكثر هذه الاقوال واما احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص فهو قول الحق لها باعتبار ظهوره على لسان عيسى اذ هو الذي فيه يمترون
بينا زعموا في كونه قوله او قول ربه فلم يعلم انه قوله او قول الحق لكنه قد علم ان هذا
الامر فعل الله في غير صورة النزاع وكيف يكون لعيسى وهو اما بالالهية وهي منتفية
عن المولود لحدوثه او بالولدية لكنه ما كان لله من ولد لانه من خواص الحيوانات
التي تموت فتخلف اولادا سبحانه من ان يكون من الحيوانات او يلحقه الموت
ولا يحتاج في احداث شيء الى مباشرة امرأة لانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون والحاصل بامر كن لا يختلف بكونه ولدا تارة وعدم ولد اخرى ولو تصور
لله ولد لم يكن عيسى لما صرح به بقوله ان الله ربي وربكم لا على معنى انه ربى بحيث
استحق ان اعبد اذ لا تنافي في ربكم مع قوله فاعبدوه على ان هذا صراط مستقيم
دل على ان عبادة الغير غير مستقيم فضلا عن الهيته او ولديته وهذا القول يقتضي
اتفاق الاحزاب على نبوته لكونه ارهاصا مشتملا على الدلائل العقلية مؤيدا بالمعجزات
لكنهم لم يجروا على مقتضاه فاختلف الاحزاب من النصارى واليهود اختلافا
ناشيا من بينهم فهو من كفرهم وعنادهم الذي لا تركه الا خشية العذاب فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يشهد فيه عظمة كل نوع من العذاب وانما كفروا لعدم

سماعهم للدلائل النقلية والعقلية وابصارهم للمعجزات والارهاصات لبعدهم عنها اسمع
بهم وابصر تعجب من سماعهم وابصارهم يوم ياتوننا ولو انصفوا لسمعوا الآن
وابصروا لكن الظالمون بترجيح امسيهم اليوم الذي يجدون فيه فوائد ما لا يشعرون
بضررها في ضلال مبين لتحملهم اعلى وجوه الشدة الدائمة لادنى اللذات الفانية و
ان قالوا كيف نترك اللذة الحاضرة للشدة الغائبة انذرهم يوم الحسرة الذي يتحسر
فيه على تحمل الشدة الدائمة للذة لم تبق لهم ويجب ان يخافوه اذ قضي جزم الامر بوقوعه
وقد علموا ذلك من الدلائل النقلية المؤيدة بالعقلية لكن لا يبالون به اذ هم مستغرقون
في غفلة ولو لم يغفلوا هم لعنادهم لا يؤمنون وانما عاندوا لتوهمهم انهم يملكون شيئا
من الارض فان صح فلا ينبغي لهم انا نحن نرث الارض ومن عليها من الملاك
والعبيد وما في يده لمولاه وكيف ينبغي لهم توهم الحرية او توهم مالكيتهم مع انهم الينا
يرجعون فيظهر لهم مالكيتنا لهم ولا ملاكهم واذكر يا نبي الرحمة في الكتاب الالهي
نبا عنه رحمة ابرهيم لهبة اسحق ويعقوب حين اعتزل اباه لشركه الذي سببه
القول بالهية عيسى وولديته وقد استحقها لصديقيته التي اعتزل بها عن اهل الشرك
المفترين على الله الكذب انه كان صديقا ولانهاية فيها جعل نبيا ولذلك نبا انقضا
الشرك واثره عليه اذ قال رحمة لابيه الذي حقه ان يكون راحما عليه يا ابت الذي
حقه ان يرحمني من همه مذلتك بالشرك لم تعبد الجماد الذي هو اخس الموجودات
ما لا يسمع قول العابد ولا يبصر عبادته ولو سمع وابصر لا يغني لا يدفع عنك شيئا
من ضر ولا يجلب شيئا من نفع يا ابت الذي حقه ان يرحمني من همه نسبتك
الى الضلال لو قصدت بذلك عبادة الحق الذي يعرف بظهوره فيه فهذه المعرفة
قاصرة وانما المعرفة الكاملة ما يستفاد من الانسان الكامل وانا كامل اني قد جاءني
من العلم ما لم ياتك وحق العام اتباع الكامل ليهديه فاتبعني وان كان حق الابن اتباع
الاب في العرف لكنه باطل لان الحق اتباع الصواب وان اتبعتني اهدك صراطا
سويا معتدلا لا افراط فيه بعبادة من لا يستحق ولا تفريط بترك من يستحق وكذا

في باب الاخلاق والاعمال يا ابت الذي حمله ان يرحمني من هم نسبتك الى عداوة
ان ظهور الحق لما كان فيها فاصرافا لانار الظاهرة منها لا تنسب الى الله بل الى تعلق بها
من الشياطين لا تعبد الشيطان اذ نزهت اليه ليس بغيرها الى الله بل موجب عداوة
لان الشيطان كان للرحمن عصيا فكانه عصيانه لراحمه موجبا لاشد وجوه العداوة
يا ابت الذي حمله ان يرحمني من هم تعذيبك لا يجزي على عداوته اغترارا برحمته اني
اخاف من عداوتك لله الذي رحمك فلم تطعه واطعت عدوه ان يمسك عذاب
من الرحمن بدل رحمته بان يقطعها عنك كما قطعها عن الشيطان فتكون للشيطان
وليا مقارنا له ومشاركا معه في عذابه فلم يتنبه لشيء من انذاراته ولم يسمع لشيء من نصائحه
ولم يبصر بشيء من دلائله بل قال من افراط ظلمه وغلوه في الضلال اراغب انت
مع كونك صفي عن آلهتي يا ابراهيم لم يقل يا ابني تنبيها على براءته من بنوته لئن لم تنته
عن القول فيها وعن انذاراتك ونصائحك وولائك لارجمنك لارهبنك بالحجارة
من افراط غضبي عليك بدل طلب رحمتي في ضمن ندائك باسم الاب مرارا ولو اردت
رحمتي مع اصرارك على الميل عن آلهتي اهجرني تباعد عني مليا زمانا طويلا قال
بطريق التوديع والمتاركة سلام عليك لتسلم عن معصيته رجمي سأستغفر لك
ربي ليسلمك عن هذا الاعتقاد الردي لترحمني بالاراحة من الهموم المشار اليها
انه كان بي حفيا مبالغا في اللطف بي ولو لم تسلم عن اعتقادكم اعتزلكم لاسلم
عن شقاوتكم واعتزل سبب شقاوتكم وهو عبادة ما تدعون من دون الله بل عبادة
الدون شقاوة كما ان عبادة الاعلى سعادة ولذلك ادعو ربي وافلح فيها من
السعادة انها نجاة من الشقاوة وهي وان لم اجزم بها لكثرة اسبابها لكن سبب
السعادة وان كانت احق يرجى غلبتها عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله نجيناه من الشقاوة وعن صحبتهم وعن ملابسة
اسباب الشقاوة كلها حتى الدنيوية بالانفراد وانساه من سعادة الدارين
اذ وهبنا له اسحق ويعقوب وانما كانا من اسباب سعادة الدارين اذ كلا جعلنا

نبيا ولا سعادة في الدارين اكمل من النبوة اما كونها سعادة الآخرة فلا يخفى واما
كونها سعادة الدنيا فلانها اما بالنظر في ذات المسعود وقد حصلت لهم اذ وهبنا
لهم من رحمتنا الولاية النبوية المقتضية للمقامات العلية والاحوال السنية والاخلاق
الفاضلة والاعمال الصالحة واما بالنظر الى خارج الذات واجلها الجاه وقد
حصل لهم على اكمل الوجوه اذ جعلنا لهم لسان صدق عليا ثناء صادقا ينبئ
علو رتبتهم في قلوب الخلائق كلهم بخلاف ثناء الملوك على لسان الكذابين فانه
لا يعلي رتبتهم الا في قلوب العوام الغافلة عن الحقائق فلا عبرة به واذكر في الكتاب
الالهي نبأ به عنه رحمته موسى بهبة اخيه اياه نبيا وتنزيله مكان الابن في التوجيه
مع ان الاخ دون الابن في النسبة لكن سرى اليه سره لادنى ملابسة سريان السر
من الاب الى الابن لمكان اخلاصه التوحيد انه كان مخلصا له التوحيد فوق
حد الصديق ولذلك جمع الفضائل حتى كان رسولا نبيا ولمزيد جمعيته للفضائل
ناديناه جذبا له الى مقام عظمتنا من جانب الطور الذي هو مظهر كمالاتنا الايمن
لمن هو اشعار له بتقوية جانبه لئلا يضعف في حمل اعباء القرب وبعد تقويته قربناه
نجيا كلمناه اذ كلمناه بلا واسطة ولتقويته عند الرد على تحمل اعباء الرسالة ووهبنا
له من رحمتنا التي هي افاضة سر نوارا اخاه هرون ليشد ازره في اداء الرسالة
اذ كان نبيا واذكر في الكتاب الالهي نبأ به عنه رحمته اسمعيل بهبة جمع الخلائق
سيما اهله لمزيد اخلاصه بغاية عند التجربة انه كان صادق الوعد اذ وعد
الصبر عند ذبح نفسه فوفى به ولكونه جامعا للفضائل مع هذا الاخلاص كان
رسولا نبيا ولكونه مكملا فيها اهله كان يأمر اهله الذين هم اقبل لنشر الكمال منه
بالصلوة ليتصلوا بها بربهم والزكوة ليطهروا عن النقائص في مقامات القرب
وكان عند ربه مرضيا لا نقص في شيء من احواله ومقاماته واخلاقه واعماله
وهو مستوجب لرضى الخلق فكان هو هو باله على العموم بعد هبة الاهل بالخصوص
واذكر في الكتاب الالهي نبأ به عنه رحمته ادريس هبة دوام الحيوة المقصودة

اقبل

من اعطاء الولد باخراجه من عالم الكون والفساد واعطائه اعلى الاماكن فكانه
المطلوب من اعطاء الاولاد للانبياء والاولياء والاصل الصالح لمكان صديقيته
انه كان صديقا فرفعه صديقيته من الرتبة كما رفعته الى رتبة النبوة اذ كان نبيا
ولكن النبوة رفعة معنوية ورفعناه مع تلك الرتبة مكانا عليا بالمكانة وهو السماء
الرابعة التي هي اعلى الطبقات منزلة لتوسطه ولذلك كانت محل الشمس التي هي كالملك
نزل وسط مملكته ليدل هذا الظاهر على الباطن في حق كل صديق ولا يبعد ان يكون
يحيى وعيسى واسحق ويعقوب ممن لم يذكر اذ اولئك الذين انعم الله عليهم
بهبة سواء مع كونهم من النبيين هبات لآخرين كادريس لآدم لانه من ذرية
آدم وان كان بينهما اوساط منهم شيث لكن آدم لم يهد جمعيته اولى بكونه موهوبا
له ادريس ولكن ينسب الى الاقرب اذ كان موهوبا كابراهيم فانه ممن حملنا مع
نوح لا الى ابيه لكفره ولا الى نوح لابهام كونه موهوبا له مع انه قد جعل في سورة
الانعام من ذرية ابراهيم المعنوية ولذلك لم يصرح بكون ابراهيم من ذرية المومنين
من امته على انه في الظاهر من ذرية نوح واذا وهب لابراهيم مثل نوح فلا يبعد
هبة اسحق ويعقوب له لكونهما من ذرية ابراهيم ولا يبعد كون يحيى مع جلالته
هبة لزكريا لا لغرضه عن هنا ثم في ذلك لذلك جعل زكريا من ذرية اسرائيل دون
ابراهيم بل القرب بجعل النبي هبة للولي ولذلك جعل عيسى هبة لمريم لكونها ممن
هدينا فسلك واجتبينا لجذب لكن مع هذه الفضائل لم يصرح بكونه ذرية
لها ههنا وان صرح بكونه هبة لها اولا ليعلم انه هبة لها من وجه دون وجه
وجعل هؤلاء الانبياء هبات لمن دونهم وهي اذلال لهم لم يزالوا خائفين وان
نزلت عليهم آيات الرحمة لذلك اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا وفعوا سجدا
استشعارا بان اصلهم الذلة وانما ارتفعوا بالرحمة وبكيا من خوف ابدال الرحمة
بالعذاب وهذا الخوف وان لم يقع في حقهم لحقهم وقع في المعرضين بهم من ذرياتهم
فخلف من بعدهم من بعدما علموا من حالهم خلف اضاعوا الصلوة المتضمنة



للسجود والاذكار المستدعية للبكاء وانواع ما سوى البكاء والامور المرضية من
الاخلاق والاعمال ثم سواتهم اتبعوا الشهوات فانهمكوا في المعاصي التي هي بريد
الكفر فسوف يلقون غيا جزاء الضلال العظيم الجامع بين الكفر والمعاصي قيل
هو واد في جهنم اشد حرا وابعدها قعرا ويروى في الحديث الغي والآثام
بئران يسيل فيهما صديد اهل النار الا من تاب من اضاعة الصلوة واتباع الشهوات
فانه لا يلقى غيا كيف وانما تاب لانه آمن والايمان وحده محوز للمغفرة فكيف اذا
اجتمع مع التوبة كيف وانما تاب لمعرفة ضرر اضاعة الصلوة واتباع الشهوات
ويتبع ايمان الصلوات وترك الشهوات ومثل هذا لا محالة عمل صالحا فاولئك
كيف يلقون غيا وهم بايمانهم واعمالهم الصالحة يدخلون الجنة فان عذبوا بترك
الصلوة واتباع الشهوات مع الايمان والصلاح لعدم التوبة لا يظلمون شيئا حتى
يلقون غيا فكيف مع التوبة ولا يتضررون بتحمل مشاق الصلوة وترك اتباع
الشهوات في الحال ايضا لانهم تعوضوا بايمانهم المويدة باعمالهم كانهم الآن يدخلون
جنات عدن اقامة فكانهم اقاموا فيها بما وعدوا اذ هي التي وعد الرحمن
مع ان رحمته تقتضي اعطاء ما من غير وعد فكيف اذا وعد بها اذا وعد عباده
الخواص وهو وان كان بالغيب فليس مما يجوز الخلف فيه حتى لا يتدارك له اللذات
المحققة الدنيوية انه كان وعده مأتيا فكانه اتاهم الآن ثم شهوات الدنيا وان
حصلت كاملة فلا تخلو عن نزاع يسمع به كلمة لغو وهو لا راذا التذوا بها فكانهم
في جنة لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما فانه يسلم لهم الكل ولا تفوتهم الشهوات
المحسوسة في الدنيا بل هم في هذا الباب كانهم في جنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
بانهم من بيوت الناس من غير تعب ولا تفوتهم بذلك الجنة الاخروية اذ لم يكن
ذلك مطلوبهم بل يحصل لهم منها نصيبهم ونصيب من يفوتها منهم اذ تلك الجنة
وان كانت من خلق الرحمن فجعلها ان يرحم بها مقيم الصلوة وتاركها ومتبع الشهوات
ومجتنبها هي التي نورث من غير المنى من عبادنا وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا

من كان تقيا فانه ياخذ نصيبه ونصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة
ولا بعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملئكة
على الانبياء ولا بعم او قاتهم بل تخص بعضها فانا ما نتنزل الا بامر ربك الجامع
للكمالات فلا يمكننا مخالفته على ان مخالفته اما بالتقدم او بالتاخر او بالاستقرار
على ما نحن عليه قبل الامر لكنا نخاف فى التقدم اتلاف امر نستقبله كالاخرة اذ له ما
بين ايدينا وفى التاخر اتلاف امر قد قطعناه كالاعمال اذ له ما خلفنا وفى الاستقرار
على ما نحن عليه خلاف امره نخاف تغير امرنا الى الشيطنة مثلا اذ له ما بين ذلك و
كيف لا نفعل ذلك وهو مشعر بنسيان امره لكن ما كان ربك نسيا ومقتضى ربوبيته
تعبدك بالامر والنهى وقد ربى لك الكل اذ هو رب السموات والارض وما بينهما
نفض عليهما الوجود الذى هو من اعراضها كل حين فلو غفل عن ذلك ساعة هلكت بما
لاجلك لتنعم بها عليك فتشكره بعبادته المرتبة على الامر والنهى فاعبده ولو نقت
عليك اصطبر لعبادته استكمالا لتربيته واحترازا عن عبادة النفس والهوى التى
لا يستحق العبادة اذ لا يستحقها غيره ولا يسمى باسمه ولو مجازا لكن هل تعلم له سميا هل
تعرف احدا اجترا على تسمية نفسه او غيرها باسمه حقيقة او مجازا ويقول الانسان
الذى اعطى العقل لينظر فى العواقب وانعم عليه بخلق السموات والارض وما بينهما
ليعرف المنعم فيشكره ويعبده فيجازى على ما فعله بما يخلص لذته وعلى تركه بما يخلص
المه الم تحمل مشاق الصلوات وترك الشهوات واصطبر على العبادات من اجل
جزاء بعد الموت اذا ما مت لسوف اخرج حيا احقا اخرج حيا بعد ما لبث فى القبر
مدة انستبعد الانسان اعادة الحيوة الى ما صار ترابا او عظاما او لا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل من قبل جعله ترابا ونطفة ولم يك شيئا ولكن عدما صرفا اذ لم يك شيئا موجودا
فى الاعيان فلا يبعد اعادته وقد اقتضتها التربية بالعقل والانعام الكلى وقد اكدت بالقسم
الالهى باعظم اسمائه فو ربك الذى هو اعظم الاسماء الالهية لنحشرنهم والشياطين الذين
اضلوهم عن جنة المعرفات لماولية لشياطينهم فضلا عن الضلال والاضلال ثم لنحضرنهم

حول



حول جهنم المحفوفة بالشهوات التى اضلوهم بلذاتها بعملوا ما استحقوا بها من الالام جثيا
على الركب لا يمكنهم التجاوز عن مواضع التعريف ثم لننزعن من كل شيعة يخرجون الى
النار من كل فرقة ايهم اى الذى هو اشد على الرحمن الذى رحمه بترك الشهوات وتعريف
مضارها بالعقل والنقل عتيا جراءة بايثار الشهوات على امره وعدم مبالاته به ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى صليهم اولى بالنار وهم المتزعون او رؤساء الشيع
لضلالهم واضلالهم ولعدم خلو احد عن اللذة التى منها ان منكم ليس احد منكم من بر
او فاجر الا واردها حاضرها اما بالدخول فيها او بالمرور على متنها بالعلم بقدر تلك
اللذات وما استعقب من الالام لمن اثرها ومن اللذات العالية لمن جاوزها كان
على ربك حتما واجبا لا بمعنى ان الحكم يوجب التعريف ثم ننجى من تلك الالام الذين
اتقوا فى تحصيل تلك اللذات عن مضارها حتى ان بعضهم من سرعة مروره كالبرق
الخاطف يكون فى حكم المبعد عنها ونذر الظالمين باستعمال تلك الشهوات فى غير
المواضع المشروعة فيها جثيا لا يمكنهم التجاوز عن تلك الالام كما لم يمكنهم عن مواضع
تلك الشهوات وتمكنهم من الظلم ترجيحهم لذات شهوات المال والجاه على لذات
الايات الالهية البينات فانه اذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا فلم
يروا الايات الله لذة للذين امنوا فلو كان لذة الايات اعظم اللذات اى الفريقين
متبعوا الشهوات ام متبعوا الايات خير مقاما استقرارا فى اللذات ولا يخفى ان
المستقر فيها يكون احسن مجلسا فانظر ايهما احسن نديا مجلسا ولا يعلمون انه لا
يعتد بلذة يعقبها مضرة اعظم منها فلو لم يكن فى اتباع الايات لذة سوى السلامة
من تلك المضرة كفى بها لذة وذلك لانه كم اى كثيرا اهلكنا قبلهم ليتفطنوا الى حالهم من قرن
لان اهلاك الواحد بعد الواحد لا يتفطن لها باعتبارهم احسن اثاثا متاعا
من كثرة المال ورئيا هيئة من عظم الجاه فان زعموا انها لو كانت مستعقبة للضرر لظهر
ضررها عن قريب والا فلا ينسب اليها فلا يكفى فى نسبته اليها دلالة الادلة العقلية
والنقلية على ذلك وعدم كونها على الفور لئلا يكون ملجئة الى الايمان ومقتضى ذلك

مقتضياتهم صح

ان من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن بمقتضى رحمته العامة له الى التوبة المستوجب
للرحمة مدا عظيما لكنهم لا يزالون يزدادون ضلالا حتى اذا راوا ما يوعدون
من ضرر تلك اللذات اما العذاب على فراقها واما الساعة الآتية بالآلام
بدلها فان توقعوا العود حسبنا الى ما كانوا عليه فسيعلمون من هو شر مكانا من
لاستمرارهم في تكامل اللذات واضعف جندا حصلوه من جاههم ليدفعوا بهم
الشدايد وقد وقعوا في شدايدهم فضعفوا ان يدفعوها عن انفسهم ولا بد
منا على ان الاموال والشهوات شر محض لكن ليس في خلق الله ما هو شر
محض لانه يزيد الله بهذه الاموال والشهوات الذين اهتدوا وطلبوا
الهداية من كل شيء هدى بصرفها فيما خلقت له ومن وان افادتهم ثوابا
وقربا عند الله لا يكون كثواب من تلذذ بالاباب فاكتسب بها الباقيات
الصالحات اذ الباقيات الصالحات من الاخلاق الفاضلة ومبادى
الاعمال الصالحة خير عند ربك الذي رباك بتلك الاباب دون الاموال
والجاه ثوابا بلذتهم من الجنة باعظم من لذاتهم وخير مردا رجوعا بتبديهم
من لذات القرب اكثر من افادة الاموال والجاه في الخيرات أرأيت
من نفى خيرية الباقيات الصالحات على فوايد المال والجاه فرأيت الذي
كفر باياتنا العقلية والنقلية الدالة على خيرية الباقيات الصالحات في
افادة السعادة على افادة الاموال والاولاد لها اذ صرفا مصلحتهما
بل حصل السعادة بهما في الدارين وجزم بحصولهما لنفسه هناك حتى قال والله
لأوتين مالا وولدا اذا رددت الى ربي لجريان سنته بذلك في حقي فقال تعالى
اطلع الغيب فعلم من سنته ان من آتاه مالا وولدا في الدنيا يوتيه اياهما
في الآخرة فجزم بذلك حتى حلف عليه ام لم يطلع ولكن اتخذ عهدا من اطلع
عليه من نبي او ولي في حق نفسه فكانه اتخذ عند الرحمن الذي من شانه
ان يرحم ولو لم يعهد فكيف اذا اعطى بذلك عهدا كلا زجر عن دعوى الاطلاع

واخذ العهد فان لم ينزجر الى ان يموت سنكتب ما يقول بحيث لا يمكن محوه ونمد له
كما مد في منع الدعوى بعد الزجر من العذاب مدا فوق مده على مجرد الكفر
باياتنا ولا ينقطع المال والولد اذ نرثه ما يقول من ان له مالا وولدا فلا يستتبعان
له حتى يمكنهما قطع العذاب عنه ولا يرد مما عليه بعدهما ونرثهما منه بل ياتينا فردا
مجردا عنهما وقد علم اكثرهم منع الفردية وخاف من ذلتها لذلك اتخذوا من
دون الله آلهة تحملوا ذلة العبادة لها ليكونوا لهم عزا بدل عز المال والاولاد
سترهما اياهم اليه كلا زجر لهم عن اعتقاد افادتهما العز لهم فانه انما يتصور لو
كانوا مستحقين للعبادة فيمكنهم ان يقولوا عبدونا لعزنا واعتقدنا فاعزهم
بل سيكفرون بعبادتهم اذ يخافون على انفسهم دعوى الشرك في استحقاقهما
ويكونون عليهم بعبادتهم لهم ضدا يريدون اهلاكهم الكلي اذ اوقعوهم في هلاك
دعوى الشرك وكيف لا يكفرون بعبادتهم ولا يكونون عليهم بهذا ضدا مع
انها لم تكن بامر الله بل بامر اعدائه ألم تر انا ارسلنا الشياطين مسلطين على
الكافرين تؤزهم تحركهم الى عبادتها لما فيه من عبادتهم بامتثال امرهم أزا
عظيما من غير ان يعارضهم ملة او عقل او نقل وسواء كان مغالبة مع الله
تقتضي تعجيل العذاب عليه لكنه لا يعجله لئلا يلجئهم الى الايمان فلا تعجل من
شؤم غيرتك عليهم اذ ليس في تاخير العذاب عنهم تخفيف عليهم انما نعد لهم
معاصيهم عدا لا يفوتنا شيء منها لنعذبهم على كل واحد منها ويشتد عليهم العذاب
بكونه يوم فوت الرحمة على اعدائهم لوقوعه يوم نحشر المتقين الذين يحفظون من
اسبابه الى الرحمن ليتجلى لهم برحمته العامة فلا يترك منها لاعدائهم شيئا وتضم لهم
اليها رحمته الخاصة اذ نحشرهم اليه وفدا راكبين اكراما لهم وجزاء على كونهم
متوقين المشاق الشديدة في سبيله وكما نزيد في اكرامهم نزيد في اذلال اعدائهم
اذ نسوق المجرمين سوق الدواب الى جهنم مكان الاذلال لا الى الله العزيز
لينالوا شيئا من عزته فردوها وردا ورود الانعام مكان الماء فرارا من

ذل السوف وكيف تشفع لهم معبودوهم وشياطينهم مع انهم لا يملكون الشفاعة
من الانبياء والملئكة الا من اتخذ من اهل النار عند الرحمن الذى شأنه
ان يرحم المؤمن به عهدا ان يجعله لايمانه به فليشفع الشفيع لايمانه قبل استيفائه
مقدارها بسحقه من العذاب ومولاه فعلوا بشفعاء الملئكة والانبياء ما يمنعهم
الشفاعة فى حقهم اذ قالوا اتخذ الرحمن ولدا من مولاه فيقول لهم شفعاء
اذا ذهبوا اليهم لقد جئتم شيئا ادا ثقيلا على الشفيع ان يشفع معه لانه سبب
خراب العالم لانه قائم بالحق فلو فرض له عدم او غيبة لهلك لذلك تكاد تتعاظم
السموات يتفطرن يتشققن منه فلا يبقى سموات تفيض سببا وتنشق الارض
فلا يبقى ارض تقبل شيئا وتخر تسقط الجبال لانها تكسر هدا كسرا فلا تكون لها حفظ
الارض لا ثباتهم بما يشعر بموت الله تعالى ان دعوا للرحمن الذى رحم بعض
عباده باعطاء بعض الكمالات ولدا يقوم مقامه بعد موته ولو لم يعتبر نقص
عقوبة ما ينبغى للرحمن وان بالغ فى رحمة ان يتخذ ولدا يقاربه فى كمالاته لان
جلاله يقتضى اذلال ما سواه ان كل من فى السموات والارض وان بلغ بعضهم
من الكمال ما بلغ الا آتى الرحمن الذى رحم باعطاء تلك الكمالات عبدا ذليلا
بالنظر الى كمالاته كيف وكمالاته غير متناهية مقدارا وعددا بخلاف كمالاتهم فانه
لقد احصيهم فجعل لكمالهم حدا وعدهم عدا فرادكمالاتهم ثم عدا لا يمكنهم الزيادة
عليه وكلهم وان كان فيهم من كثر اتباعه آتيه يوم القيمة وان كان معه اتباعه
كانه آتيه فردا اذ ليس لهم مقاومته ثم ان الله تعالى وان لم يتخذ ولدا يفعل
بعض عباده من المحبة ما يفعل الوالد بولده ان الذين آمنوا وهو موجب
محبته وعملوا الصالحات وكل عمل منها موجبها سيجعل لهم الرحمن الذى شأنه
ان يرحم بلا سبب ودا تشبه ود الوالد ولده يجعلهم به شفعاء لمن خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا واذا كان لله ان يودّ قوما فيجعلهم شفعاء وبعض
آخرين بحيث لا يملكون الشفاعة وجعل من اسباب ذلك الايمان والاعمال

الصالحة والذلة فيهما فلا بد من الاعلام بها ولا اثم فى الاعلام من خطابه لكن
خطابه الازلى لا يفهمه الا اكمل الانبياء الا اذا يسر تنزيله على لسان بعضهم فانما
يسرناه بان جعلناه بلسانك لتبشر به المتقين بان يجعلهم من اهل مودته او
من المشفوعين لهم وتنذر به قوما لدا مخاصمين فى باب الايمان والاعمال ولا
يسلمون ربه الشفعاء ولا كونهم لا يملكون الشفاعة وتكفى فى انذارهم ان يقال
لا صحبهم كم اهلكنا قبلهم من قرن بهذا اللدد اهلاكا كليا هل تحس بالبصر
واللمس منهم من احد او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا يسمع من قبورهم تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد واله اجمعين سورة طه سميت به لدلالته على كمالاته صلى الله
عليه وسلم المقتضية كمال سعادة اتباعه فيما انزل عليه من اكمل المسعدات
وهو من اعظم مقاصد القران بسم الله المتجلى بجامع كمالاته
فى نبيه صلى الله عليه وسلم وكتابه الرحمن بانزال ذلك الكتاب على ذلك النبى
الرحيم باسعاد من اتبعه فيه طه اى يا طاهرا عن النقائص واسباب الشقاوة
هاديا الى الكمالات واسباب السعادة او يا طالع الهمة او يا طالب الحق
هاربا عما سواه او يا طيبا سينه استعداده او نحو ذلك مما يناسب المقام
ما انزلنا من مقام جودنا وسبقنا عليك ايها المتصف بهذه الصفات
القران الطاهر عن النقائص واسباب الشقاوة هاديا الى الكمالات
واسباب السعادة او الذى لا يطلع عليه الا طالع الهمة او الذى لا يستفيد
منه الا طالب الحق الهارب عما سواه او الطيب سينه استعداده لتشقى
فان الشقاوة تنافى الطهر عن النقائص وعن اسبابها والهداية الى
الكمالات واسباب السعادة ولا تنال طالع الهمة ولا طالب الحق الهارب
عما سواه ولا طيب الاستعداد الا تذكرة فانها لو كانت الشقاوة لمن يخشى
لكان انزاله شقاوة لكنها اجل اسباب السعادة لمن يخشى تنزيلا من

الصالح

سموية الانسانية الى ارضية البهيمية ممن خلق في الانسان مرانسانيه والبهيمية
كما خلق في العالم الكبير الارض والسموات العلى بل خلق فيه اسرار العالم لانه استوى
على قلبه باسمه الرحمن كما ظهر في عرشه اذ الرحمن على العرش استوى وانما خلق
فيه ذلك لانه وان ظهر فيه هذا الظهور الكلي فله ان نظهر فيه ظهورات جزئية مختلفة
علوا وسفلا وتوسطا ونزولا الى اسفل السافلين اذ له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى وليس ظهوره بمقتضى ظاهر الاستعداد فقط بل بما من صاحبه
لانه ناظر الى الاستعداد الظاهر والباطن جميعا ناظر الى الاقوال الظاهرة و
الباطنة فانك ان تجهر بالقول او تخفه فانهما يستويان عنده فانه يعلم السر الذي يطلع
عليه صاحبه واخفى منه لا يطلع عليه صاحبه وانما احاط علمه بالكل لاحاطة الهيته
بالكل اذ الله لا اله الا هو وانما اختلف ظهوره مع وحدته اذ له الاسماء الحسنى
التي بها ظهوره لاقتضاء جماله ان نظهر بجلاله وكيف يعتبر بما ظهر به مع انه قد يريد
في الباطن غيره مثل اتيك حديث موسى اذ راه مطلوب ظاهر قلبه واراد مطلوب
باطنه اذ رأى نارا كان يطلبها بظاهره لاهله ويطلب الحق بباطنه لنفسه فقال لاهله
المحتاج اليها للاصطلاء في ليلة شاتية او للاستدلال في ليلة مظلمة امكثوا اصبروا حتى
ارجع اليكم بما رأيت اني آنست رأيت نارا العلى بعد غيابي الهاد رجعي منها
اتيكم منها بقبس تصطلون به او اجد من اطلاعي على النار هدى فلما اتيها
وجد ما تجلى الحق بصورة النار لا في مظهرها اذ لم يغير خضرة الشجرة مع احاطتها
بها وكانت نارا بيضاء وهو وان تجرد عن الصور فله ان يظهر بما شاء منها ظهور
جبرئيل بصورة دحية وهي وان كانت مطلوب الظاهر اعتبر فيها الباطن لذلك
نودي لتقبل الكلمة يا موسى سمى لئلا يتوهم ان المنادي غيره اني انا ربك تجليت
باسمي الخاص في هذه الصورة لكن لما لم يكن بمظهر وجب فيه رعاية ادب القيام
عند الملوك فاخلع نعليك كيف وقد وجب تنزيه مكان ظهوره لا بمظهر كما يجب تنزيه
مكان الملوك عن القاذورات التي من لوازم النعال انك بالواد المقدس



طوى الذي فيه طوى الالتفات الى ما سواه فيجب فيه رعاية الادب من كل وجه ولما
حصلت له الولاية بهذا التجلي اعطاه النبوة والرسالة بقوله وانا اخترتك للرسالة
من بين اهل الولاية فاستمع لما يوحى لتبليغ الرسالة حتى يؤديه من غير تغيير فيه واشار
الى مذهب الاداء فذكر اولا وجوده الجامع للكمالات بقوله انني انا الله ثم الى
توحيده بقوله لا اله الا انا ثم الى استحقاقه العبادة بقوله فاعبدني وجعلها جزئية
لسبقها على الكلية ثم ذكرها بقوله واقم الصلوة الجامعة لمقتضيات الالهية الجامعة
للكمالات لانك تقيمها لذكري لتذكرني فيها بقلبك ولسانك وسائر جوارحك بان
تجعل حركاتها دالة على ما في القلب واللسان لاذكرك بجامع التجلي حتى يتجلى لك الامور
الاخروية كما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في صلوة الكسوف
وهي وان كانت معدومة فهي في حكم الموجودة ان الساعة اتية وهي وان كان
حقها ان يتجلى على المكاشفين اكاد اخفيها عنهم لئلا يبطل تكليفهم وتكليف اتباعهم
لتجزى كل نفس بما تسعى عن اختيارهم فيها لعدم ظهورها لهم ولكن لما لم يكن بد من
الجزاء لم يكن بد من اتيانها فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وان كان مكاشفا
فاداه عدم انكشافها له الى انكارها ولم يعلم ان المكاشف لا يكاشف بالجميع وقد
ظهرت له دلائل وجودها فلم يعتبرها اغترارا بكشفه لانه اتبع هواه فترك النظر
في الدلائل فتردى بمتابعة هواه نظرا الى مكاشفته مع ترك متابعة الدليل ولما
اعطاه النبوة اراد ان يعطيه معجزة من جنس ما شاع وهو السحر ليعلم انها فوق
رتبتهم ولذلك سأله عن عصاه ليذكره اشتغاله بها ليجعل لها رتبة فوق تلك المراتب
فقال وما تلك الخشبة التي شغلت اقوى جوارحك اذ اخذتها بيمينك مع جلالة
قدرك يا موسى قال هي عصاي التي اتكؤ بها المعاصي التي يستحق الضرب بها من
اجلها اتوكؤ اعتمادا والعاصي على قوة تحمله للعذاب عليها ليظهر لي ضعف نفسي و
اهش اسقط الورق بها على غنمي مثل العاصي اوراق شجرة غفلة على شهواته
ليغتنم بها لكني افعل ذلك لا علم اني لو تبعت شهواتي تركت نفسي حيوانية محضة ولي

فيها مآرب حوائج اخرى اذكر بها فوائد اخر كانت ذات شعبتين اذا اسنيتها طال
وصارت شعبتان ولوا ونصيران شمعتين بالليل وكان تقاتل بها العدو والسباع
واذا اشتهى ثمرة فركزها اورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فيماشيه
وركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال القها يا موسى مع القاء
ما في قلبك من العلم بفوائدها ليحصل له علم ما يختص به الحق من اسرار المعجزات فالقاها
القاء الغافل وجدوه فاذا هي حية تسعى ظهرت فيها الحيوة بافعالها في صورة مجوفة
لتشير الى احياء المعجزات القلوب بالتخويف من جحدها قال خذها ليتحلى بها بطريق
التخويف ولا تخف صورتها الظاهرة اذ ليست لتخويفك بل لاظهار ما فيها من استعداد
قبول الحيوة ليعلم الانسان انه مستعد لقبول الحيوة الالهية لكن ليس لها في ذاتها حيوة
لذلك سنعيدها اخذه سيرتها هيئتها الاولى ليعلم ان هذا الانسان انه وان اتصف بهذه
الحيوة فانما يدوم فيه من لطف الحق به لا لذاته ثم اعطاه آية اخرى لتكونا كالشاهدين
فقال واضمم يدك التي هي الفاعلة فيك الى جناحك ابطك ليتبين ما ظهر عليها
الى الحق تخرج بيضاء منورة من غير سوء قبح ليعلم ان من رد الافعال الى الله
تنور قلبه من غير قبح وهذا النور وان كان نوعا من الحيوة لكنها حيوة معنوية
فكانت آية اخرى وانما اريناكهما الآن مع ان حقهما ان يظهرا بعد التحدي والمنازعة
لنريك اولا من آياتنا الكبرى اي بعضها لتقوى قلبك على مناظرة الطغاة اذهب
الى فرعون انه طغى فلا بد منا لتنبيهه على طغيانه بالدلائل العقلية المؤيدة بالنقلية
التي صدقها المعجزات قال رب انك وان رشحتني بتقوية قلبي لكنه انما يتم تقويته
لو شرحت صدري اشرح وسع لي صدري من وجه القلب يلي النفس فاذا انشرح
انشرح الوجه الذي يلي الروح ولا يكفي انشراحه لصعوبة امر الطاغي الذي لا يبالي
بالآيات يسر لي امري وتيسير المناظرة انما يتم باللسان لتوقف الفهم عليه احلل
عقدة من لساني حصلت لي من احراقه بالجمرة حين وضع مع اليواقيت ليجربني
حين ضربت فرعون فالم فاراد قتلي فامرت آسية بوضع الطبقين ليفهموا قولي





انما لكون ظ

ومع ذلك اني سفر في مناظرة الجم الغفير من الطغاة اجعل لي وزيرا يحمل بعض
اعبائي من اهلي اذ الاجنبي ربما لا يهتم وافقهم اولى وهو هرون لكونه اخي
الاكبر بمنزلة الاب ولم اطلبه للاستعانة به بل ليكون بواسطة سببية اشدد به
ازري قوة ظهري وربما لا يتم سببيته عند اشتداد الامر ما لم يكلف بحمل اعباء
النبوة اشركه في امري ولم يطلب ذلك لتحصيل الكمال لانفسنا حتى بل
كي نسبحك كثيرا باعتقاد تنزيهك عن مظاهرها ونذكرك كثيرا بصفات الكمال بروزها
بمظاهرها انك كنت بنا بصيرا برؤية كمالاتك بالمظاهر وبابرازها فيها في ذاتك قال
قد اوتيت سؤلك تحققت على الفور اجابة دعواتك لغرضك يا موسى فما قبل بالشكر
كيف ولقد مننا عليك من غير سؤال منك مرة اخرى دون مرة الانباء وان اشبه
انباء والدتك اذ اوحينا القينا بطريق الالهام الى امك مثل ما يوحى الى الانبياء
بلسان الملك ان من خاف البر ركب البحر فعليك ان اقذفيه في التابوت لتطهر
باخراجها من غير حجر على ان من شأنها ان لا تجري اصلا الا ارهاص لولادتك و
الكرامة لك فاقذفيه في اليم البحر متوكلة على خالقه ان يأمره بالالقاء فليلقه اليم
بالساحل والهرب وان كان من مكان العدو الى غيره فههنا من الغرر اليه فانه
ان لم يلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي بدعوى الالهية لنفسه وتنفيها عني وعدو
له لدعوته الي ولا يبالي بعداوته اذ القيت عليك محبة مني توجب محبة الكل وفعلت
ذلك ليحصل لك الامن الكلي ولتصنع ولتربى بين يدي العدو على عيني نظري بالحفظ
حتى تم تربيتك بحضانة امك ورضاعها اذ تمشي على الساحل مع التابوت
اختك مريم فتقول لقوم العدو اذا طلبوا لك حاضنة ومرضعة هل ادلكم على
من يكفله يضمن حضانته ورضاعه فقبلوا قولها فجاءت امك فرجعناك الى امك
مع كونك بين يدي العدو كي تقر برؤيتك عينها ولا تحزن بفراقك وهن سنوات ابنة
على النجاة عن القتل وقد مننا عليك بالنجاة من القتل الذي لا اندفع بلبس
حين قتلت نفسا من آل فرعون فاغتممت للقصاص وللعقوبة الاخروية

فتجنّاك من الغم ولم تكن من هاتين الجهتين فقط بل من جهات كثيرة اذ فتناك فتونا
كثيرة كحمل امك اياك في سنة الذبح ومنع المراضع من غير ثدي امك وتناول الجمرة ومشي
ثمانية مراحل جائعا عطشانا وكما انجيناك من غمومها انجيناك من الجهل والاخلاق
الردية اذ ذهبت الى مدين فلبثت سنين ثمانية وعشرين سنة في اهل مدين تتعلم
منهم وتحلى اخلاقهم ثم جئت على قدر على مقدار من العلوم والاخلاق اجل
من ان يحصل بالتعلم والصحبة يا موسى كيف وقد اصطنعتك اخترتك لنفسي
اي لاظهار اسراري اليك لنصر كاملا مكملا اذهب انت واخوك الذي كمل
بدعوتك باياتي الدالة على كمال قربك مني وعظمتك عندي ويزداد كمالا لمواظبتك
على ذكري لا تنيا لا تضعفا عن الاقامة في ذكري فانه يضعفكم عن اداء الرسالة و
ذكركم اياي يزيدكم قوة اذهبا الى فرعون من غير مبالاة لعظمته انه لا عظمة له بالحقيقة
بل غايته انه طغى لكن لا تزيدا طغيانه بالاغلاظ فقولا له قولا لينا فانه يرجى تاثيره
في الطغاة لعله يتذكر دلائل صدقكما او يخشى احتمال صدقكما قالا ربنا الذي
رزانا بهذه الوجوه اننا نخاف سطوة العقوبة نخاف ان يفرط يعجل قبل سماع كلامنا بالعقوبة
علينا او ان يطغى بالعناد في دفع حججنا ثم يأمر بقتلنا قال لا تخافا من افراطه
وطغيانه انني معكما اقرب منه واقوى اسمع فامنعه من ان يقول ما تكرهون وارى
فامنعه مما تخافونه فأتياه من غير مبالاة به في جملة مرتبا فقولا انا رسولا ربك
ارسلنا اليك لترد من غصبتهم منه من خواص عباده بني اخصهم فارسل معنا
بني اسرائيل ليكونوا مع سائر خواصه ولو لم ترسلهم لا تعذبهم باستعبادك اياهم ولا
يكن غير مبال بامساكهم واستعبادهم بعد تبليغنا رسالته لظهور صدقنا قد جئناك
باية تعلم بالضرورة انها من ربك اعطانا الدلالة على ما هو الهدى عنده ولا بد من
اتباعه اذ السلام الخلاص من آفات الضلال موقوف على من اتبع الهدى
والا فلا سلامة بدلالة دلائل العقل مؤيدة بالنقل انا قد اوحي الينا ان العذاب
نازل على من كذب الهدى وتولى عن العمل به فلما سمع منهما ذلك قال ان لم تكن

ربكما فمن ربكما فان انتسب هرون الى غيري فمن ربك يا موسى مع انه ربيتك كان
على يدي قال موسى ليس المراد التربية العرفية بل الحقيقية ربنا الذي اعطى كل شيء اي
كل ما يصير الى الوجود خلقه اي وجوده الحادث ثم هدى للاستكمال الذي من جملته
التربية المتعارفة ولا يتصور ذلك الا من رب العالمين ثم ساله من ذلك كما ذكر
في موضع آخر قال لو كان الله هاديا للكل فما معنى تحكمك لهدايتي فان اردت انه
هداك ربك فما بال حال القرون الاولى هل هداهم الله ام لا قال كان هاديا للكل
بحسب حاله وحال المكلف اما يوجب الهداية البيانية وقد كانت لتلك الامم على السن
الرسل ثم من اختار منهم للاتباع خلق فيهم الهداية والا فلا وخلق باختيارهم
بمقتضى استعداداتهم اذ علمها عند ربي اي علم استعداداتهم ومناط القضاء
والقدر لذلك مثبت في كتاب هو اللوح المحفوظ لا يضل ربي لا يترك الحكمة في
هذا القدر بان يقدر اختيار الهداية لمن يستعد لاختيار الضلال وبالعكس
ولا ينسى الاستعدادات فيمنع الهداية او الضلال وان عم هداية البيان هو
الاخرة وسلك لكم فيها سبلا لتعلموا ان للوصول الى الله سبلا مختلفة بعضها هداية
وبعضها ضلال وانزل من السماء ماء لتعلموا ان لكل شيء سببا فالاعمال المنزلة
من السماء اسباب السعادة وضدها اسباب الشقاوة ثم اشار الى ان آثار
السعادة آثار مختلفة كما ان للماء آثارا مختلفة من قدرة الله فاخرجنا به لا بتاثيره
بل بتاثير قدرتنا عنده ازواجا انواعا من نبات شتى مختلفة الاجناس ولو
كانت للسبب تاثير لامتنع اختلافه بانواع فضلا عن اختلاف الاجناس كيف
ولا يكون للسعادة الاخروية اسباب مع انها رعاية القوة العاقلة وقد راعى
سبحانه وتعالى بانزال الماء من السماء رعاية القوة البهيمية لذلك قال كلوا وارعوا
انعامكم وليست بالجهة المقصودة بل هي العاقلة وهي وسائل اليها ولذلك قال
ان في ذلك لآيات لاولي النهى للناظرين الى الغايات واحرى الآيات
ما ذكرنا والثانية ان تمهيد الارض اشارة الى تمهيد المقدمات وسلوك السبل

اذ هو الذي جعل لكم الارض مهدا
لتعلموا ان للوصول الى الله سبلا
انه لا بد لكم من سفر والا ...
كذلك في المستقر صح

عما

الى طريق مما سندلالات من القياسات الاقترانية الحملية والشرطية والاستثناء
والاستقراء والتمثيل وانزال الماء الى ازال الشاخ واخراج انواع النبات المختلفة
الاجناس الى تيسير الشاخ للعلوم المختلفة والثالثة ان تمهيد الارض اشارة الى
القواعد الكلية وسلوك السبل اشارة الى الدلايل العقلية والنقلية وانزال الماء
من السماء الى العلوم الكشفية المثمرة للامور التى لا تحصى بالاستدلال ومن نظرهم
انه منها خلقناكم خلق النبات من التراب وفيها نعيدكم اعادة البذر الى الارض
ومنها نخرجكم اخراج النبات من البذر تارة اخرى فى تارة البعث فلم نقتصر معه
على هذه الايات بل الله لقد اريناه آياتنا على الامور الاخروية والمعارف
الالهية كلها النقلية والتولية العقلية والنقلية فكذب جميعها وابى ان ينقاد لشئ
منها ومن مقدماتها قال انما ينقاد لما يفيد الزيادة او التعريف اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بان تصير عبيدا لغيرنا فلا نطيعنا احد ممن يطيعنا لا بعسكر منك بل
بسحرك يا موسى وانما تاتى لك الاخراج لو لم نعارض سحرك فلنأتينك بسحر مثله
يعارضه ولا بد لظهوره من تعين زمان ومكان فاجعل للاجتماع بيننا وبينك
موعدا من مكان وزمان فان لم تعين لنا زمانه ماجعله بحيث لا نخلفه اى الموعد
نحن ولا انت بان ناخذ او تاخذ مكانا سوى يساوى جمعنا ذلك المكان
قال موسى لا اخاف من تعين الموعد الزمانى موعدكم يوم الزينة اى العيد
ولا يكفى فيه تعين اليوم لطوله بل تعين له وقت ان يحشر يجمع الناس فيه ومن
وقت ضحى فتولى فرعون اشتغل بتحصيل اسباب المعارضة فلم يحصل له انسابها
بالحسنة فجمع كيده اى ما يوهم القاصرين انه من اسباب المعارضة ثم اتى ذلك
المكان فى ذلك الوقت لا مع اسباب المعارضة التى هى المقصود من ذلك
الوعد قال لهم موسى احذروا ويلكم من زعمكم ان ايات الله يمكن معارضتها
او ان شركا يعارضه لا تفتروا على الله كذبا بانه عاجز او انه يشاركه فى قدرته
فيسحتكم فيستأصلكم بعذاب من افراط غضبه عليكم وقد علمتم انه خاب من

افترى على مخلوق فكيف من افترى على الخالق فتنازعوا امرهم بينهم هل لنا ان
نعارضه لكونه ساحرا مثلنا ام لا لان امره سماوى واسروا النجوى انه لو غلبنا اتبعناه
ولما راى فرعون وقومه منهم ذلك قالوا للسحرة ان ان الشان هذان ساحران
انهما لساحران لا يتوهم منهما ارادة الهداية بل يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
لا من الضلال بل لانهما يريدان عزل فرعون عن ملكه بجعله عبدا لغيره فيقومان
مقامه ويجعلان قومهما مكانكم ولا تنظروا الى قوتكم على دفعهما لانهما لا يستعملان
قوتهما معكم بل يخرجاكم بسحرهما الذى يريدان اعجازكم به هذا فعلهما فى الامر
الدنيوى واما الاخروى فهما يريدان ان يذهبا بطريقتكم المثلى التى هى اكثر
مشابهة للصواب لاتفاق العقلاء على استحسانها فاجمعوا اعزموا كيدكم
اسباب المعارضة فى اوهام العامة ثم ائتوا صفا فانه اهيب فى قلوب الرائين
وقد افلح فاز بالانعامات العظيمة من فرعون وملائه اليوم من استعلى طلب
العلو لنفسه فاجتهد ان يكون له الغلبة قالوا يا موسى اما ان تلقى او لا فيحصل
لك الالقاء اذ لو القينا اولا لم يتات لك القاء بعده ونحن لا نبالى
بالقائك لكثرتنا واما ان نكون نحن الملقين لكوننا اول من القى قال بل القوا
اولا فانى لا ابالى بما ارى من سحركم فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم التى القوها تخيل
اليه يصل اليه من طريق الخيال الذى تحرك من سحرهم انها تسعى فخشيتنا ومما
فاوجس اضمر فى نفسه خيفة لا يظهر لغيره خيفة من توهم الخلق المعارضة بان لهم
من حبالهم وعصيهم حيات كما ان له من عصاه حية موسى قلنا لا تخف من المعارضة
بل انك مع وحدتك انت الاعلى الغالب عليهم لكون حيتك اكبر من حياتهم
بكثير ولا تكتف بكبرها بل الق ما فى يمينك التى هى انجاب القوى فى نفسها مع
تقويتنا اياها تلقف تلتقط التقاط الطاير جميع ما صنعوا ولا يبعد ذلك لانهم
انما صنعوا كيد ساحر فى مقابلة المعجزة ولا يفلح الساحر لا يفوز بمطلوبه حيث اتى
اى اى مكان جاء لدفع الحق فكيف يفلح حيث اتى معارضا لدفع المعجزة فالقى من

فكشف ما صنعوا فالقى السحرة بعدما القوا حبالهم وعصيهم للمعارضة سجدا بالذلة قالوا
آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لما تقدم موسى من ايهام ارادة فرعون
قال آمنتم له اى لموافقة موسى قبل ان آذن لكم فهو دليل مخالفتكم اياى انه لكبيركم فى
باب السحر فاتفقتم معه ليكون لكم الملك فوعزتى لافعلن بكم فعل الملوك بمن اراد
تبديل الملك فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من جانبين مخالفين لا اقتصر
عليه حتى يمكنكم اخراجنا من ارضنا بسحركم بل مع ذلك لاصلبنكم متمكنين فى جذوع
النخل التى هى اقوى الاخشاب واخشنها ولئن زعمتم انكم انما آمنتم برب موسى
خوفا من شدة عذابه او تخليده فى العذاب لتعلمن اينا اشد عذابا وابقى فان
رب موسى لم يقطع من احد يديه ورجله من خلاف ولم يصلبه فى جذوع النخل
ولم يبقه مصلوبا قالوا انما نستاذنك من جانبك ونحن لن نؤثرك على ما
جاءنا من البينات الداعية الى ايثار جانب الحق عليك وفيه اشارة الى انا
ما وافقناه لكونه ساحرا بل لكونه صاحب البينات ولو لم ياتنا البينات ما كنا لنؤثرك
على الذى فطرنا ولا نخاف ما خوفتنا به فانه ليس باشد من النار فاقض ما انت
قاض ولا ابقى فانك انما تقضى هذه الحيوة الدنيا التى لا بقاء لها ولا سلطان لك بعدها
وقد نفعنا بهذا الايمان ما هو اشد وابقى انا آمنا بربنا الذى لا يزول سلطانه
ابدا ولا بد لنا من الرجوع اليه ليغفر لنا خطايانا من القسم بعزة عدوه ومعارضة
رسوله وانواع الكفر فى السحر وما اكرهتنا عليه وما فعلت بنا مما يشبه الاكراه اذ
نازعنا الامر بيننا واسررنا النجوى والاكراه لو تحقق فانما يسقط الاثم لو لم يقع به
اضرار بغيره وهذا انما تعدى الاضرار به لكونه من السحر ولو لم يكن شئ من ذلك
كيف نختار جانبك على جانب الله والله خير من كل ما عداه ولو زعمت انه ليس
بخير منك فلا شك انه ابقى وكيف يكون عذابك اشد وابقى مع ان عذابه الخلود
فى جهنم انه من يات ربه مجرما فان له جهنم خالدا فيها اذ لا يموت فيها فيستريح من
عذابها ولا يحيى حيوة يستفيد بها وكيف يكون خيرا منه مع انه من ياته مؤمنا قد

عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى التى لا تبلغ اعلى درجاتك اذ انما
واذا كانت هذه درجات من تذلل له فى العبادة فانت درجاته اذ اعلى درجاتك
ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتك ودرجاتهم جنات عدن تجرى
من تحتها الانهار من الماء والعسل واللبن والخمر مع انه لا خلود لذلك بمصر ويكونون
خالدين فيها ونحن نرجو ان يحصل لنا ذلك وان لم نعمل الصالحات لان ذلك
جزاء من تزكى بتلك الاعمال وقد حصل لنا ذلك بهذا الصبر ولم يمكنا الاعمال
الصالحة مع ان هذه التزكية داعية اليها ميسرة لها فكانها حصلت وكيف لا يكون
للتزكية ذلك وقد كان من اثر الايمان الالهامى بطريق كرامة الوحى مع ظهور المعجزة
فانا لقنا واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى اخفاء على اعدائهم واذا اظهر لهم وسخ
البحر من العصى فاضرب بعصاك البحر فاجعل لهم طريقا فى البحر ايماء لهم الى انه لا بد
فى الوصول الى الحق من عبور بحر المعرفة يبسا لا تزل فيه الاقدام ومع يبسه لا تخاف
من العدو دركا فى وسط البحر ولا تخشى منهم العبور فضرب فسلكوه فاتبعهم على
الفور فى دخول البحر اغترارا بكونه طريقا يبسا فرعون بجنوده مع علمه بكونه معجزة
لعدوه فخاف عليه الانعكاس فغشيهم عظائم من اليم البحر المملوء ماء ما غشيهم من الغشاء
الكلى الذى لا يمكن لهم التنفس فيه واضل فرعون قومه قبل دخول البحر ان قال شق
البحر لادراك عبيدى وما هدى حين ادركه الغرق اذ لم يعلمهم بايمانه لانهم لو اجتمعوا
على الايمان فى ذلك الوقت ربما انجاهم منه وكان هذا الاغراق سوى الانجاء الكلى
لبنى اسرائيل لذلك قال يا بنى اسرائيل ناداهم ليقبلوا على شكر الانجاء الكلى قد
انجيناكم من عدوكم بالاخراج من بلدهم من غير ان يكون لهم جبر ولا يعبروا لكم
البحر ويمنعهم عن دركم وباغراقهم وانجيناكم عن القصور فى القوة النظرية والعملية
اذ واعدناكم انزال التورية حين صعودكم جانب الطور الايمن تبشيرا الى ان النجاة
عن القصور انما يكون بالصعود عن البشرية وبالتمسك بالقوة الالهية ونجيناكم
حين ابتليناكم بالتيه عن شدايد اذ انزلنا عليكم المن والسلوى وانما كان

ابحاء اذ لم يكن ابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم لدفع
طيبه شدة الابتلاء ولا تطغوا فيه بدعوى الولاية في هذا الابتلاء بحصول الكرامة
لكم فيحل عليكم غضبي بروتكم مكان الغضب مكان الكرامة ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى سقط من عيني فلا ينفع ما يعمل بعد ولكن هذا لا يوجب الياس اني لغفار
لمن تاب عن موجب الغضب ويكفي فيه ان آمن وقوى ايمانه بان عمل صالحا ثم
اهتدى بان لم يامن مكره ولم يياس من روحه ولم يعجب بعمله ولم يدع الولاية
والكرامة لنفسه ولما كان كمال هذا الاهتداء بالامداد لم يكن التسابق على الاتباع
من كمال هذا الاهتداء لذلك قال تعالى وما اعجلك ما دعاك الى العجلة بالتقدم
عن قومك الذين ارادوا الكمال بمتابعتك يا موسى المبعوث لتكميلهم وهو ادراك
حالك معنا انهم وكان قد مضى مع النقباء الى الطور ثم تقدمهم قال هم وان غابوا
لم يبعدوا عني اذ يصح في حقهم ان يقال اولاء وهو الاشارة الى القريب ولم يتخلفوا
عن متابعتي لانهم على اثري ولكن عجلت بالتقدم اليسير لمزيد القرب اليك رب
لترضى بمزيد القرب لترضى عن اتباعي برضاك عني قال اذا ابعدت هؤلاء
زدت اتباعهم ابعادا ابوقعهم في الابتلاء فانا قد فتنا ابتلينا قومك الذين تركتهم
مع هرون من بعدك ببعدك عنهم حسا ومعنى اصالة وواسطة وهو وان لم يكن
سببا انضم اليه ما هو سببية وهو انهم اضلهم السامري بصوغ عجل من حلي القبط
مع رمي قبضة تراب من حافر فرس جبريل وقوله هذا الهكم واله موسى فرجع
موسى من مقام غاية القرب الى قومه لتلافي ما فاتهم غضبان على ما فوتوا على انفسهم
اسفا حزينا مما تم لهم التلافي ام لا قال يا قوم الذين حقهم التزام الهداية سيما عند
وعد الزيادة فيها الم يعدكم ربكم الذي رباكم بالهداية وعدا حسنا بانزال التورية
لتزدادوا بها هداية اوتهتم بوعده ام لا فطال عليكم العهد بان تاخر الى اربعين
بعد ما كان ثلثين هل اردتم الوفاء بذلك الوعد ام لم تريدوه ولكن اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي بمتابعة التورية الموصلة للرحمة قالوا ما اخلفنا



موعدك بقصد منا والا اخص صنعه بملكنا ولكنا وقعنا فيه اتفاقا اذ حملنا اولا
كانت اوزارا آثاما لكونها من زينة القوم حلي القبط استعرناها منهم وليس للمستامن
احتمال الخزي ولم يمكننا ردها على اهلها لتقدمهم فقذفناها في حفرة اوقدنا فيها
النار لنسبكها وكما قذفناها فكذلك القى السامري من غير زيادة صنع فاخرج لهم
من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي ولم يكن حيوانا حقيقيا بل جسدا بصورته لكن
له خوار صوت بقر فقالوا تبعا للسامري لما راوه من غير صنع وراوا له خوارا هذا
الهكم واله موسى وضعه في الحفرة فنسي ثم ذهب الى الطور لطلبه اعموا في اعتقاد
الالهية فلا يرون ان اي ان الشان لا يرجع اليهم قولا لا يرد عليهم جوابا عن التكلم
دون الرؤية ولا يملك لهم ضرا ان لم يعبدوه ولا نفعا ان عبدوه وكما انهم عموا عن الهدى
عموا ايضا اذ قال لهم هرون الذي هو كموسى من قبل قبل مجيء موسى قطعا لعذرهم
وتمهيدا للعذر يا قوم الواجب عليهم اتباعي موسى انما فتنتم به ابتلاكم الله باخراجه
من غير صنع واعطائه الخوار لكنه خال عن النفع وان ربكم بحسب عموم نفعه لانه
الرحمن وقد رحمكم بارسالي واخي فاتبعوني وان زعمتم ان موسى هو الاصل
فقد استخلفني عليكم اطيعوا امري قالوا انك وان ارسلت واستخلفت فلا نعرف
الالهية اذ لم يتجل لك وقد تجلى لموسى لن نبرح لن نزال عليه عاكفين مقيمين حتى
يرجع موسى ولما راى هرون لم يقاتلهم على قولهم لن نبرح عليه عاكفين قال يا
هرون لم تنادهم باسم الاخ اشارة الى عدم مبالاته به ما منعك من مقاتلتهم اذ
رايتهم ضلوا بالردة فما حملك ان لا تتبعن في مقاتلة المرتدين فقد امرتك اصلا
ولا يحصل الا بالمقاتلة اتركت مقاتلتهم فعصيت امري فاستحققت الغضب عليك
باخذ اللحية والراس فاخذهما قال يا ابن ام مقتضى شفقتي عليك ان لا اتركك
تصر بالاستمرار على الغضب الواقع سهوا لا تاخذ بلحيتي ولا براسي غضبا على ترك
المقاتلة اني خشيت في المقاتلة ان تقول فرقت بها بين بني اسرائيل بان تصير
فرقة منهم معك واخرى محاربة لك ولم ترقب ولم تراع قولي اصلح فانه مناف للصلح

الينا

صح

والضلال ثم رجع الى معاتبة المغرور قال اذا فعلت هذا التغرير فما خطبك اى
اسم شأن صدر منه يا سامرى قال اردت ان اكون متبوع طائفة بما خصصت
من الكشف اذ بصرت بما لم يبصروا به من حصول الحيوة بوطئ فرس جبرئيل فقبضت
قبضة من تراب اثر قدم فرس الرسول جبرئيل حملها اثر الحيوة فنبذتها فى الحلى
المذاب ليسرى فيه الحيوة وتتبعها الصورة فيزين للقوم حتى يتخذوه الها
وكذلك سولت زينت لى نفسى حتى اتخذته الها وتوهمت انها تصير متبوعة
لفرقة قال فاذهب ابعد عن البلاد فان لك فى ايام الحيوة بدل اجتماع الناس عليك
حولك ان تقول لمن يريد الاجتماع بك لا مساس اذ من سبب حمى الماس والممسوس
ولا تقتصر عليها بل ان لك موعدا من عذاب الآخرة لن تخلفه اذ لا توبة لك
عن هذا الشرك وانظر الى الهك الذى اشركته اذ ظلت صرت عليه عاكفا
مقيما لنحرقنه لتتفرق اجزاؤه والآلة لا تنافى فيه ادنى التغيرات ثم لننسفنه
لنطيرنه فنجعله فى اليم البحر الممتلى نسفا لا يبقى له معه اثر فيظهر غاية كمال ذلته فى مقابلة
غاية كمال الله انما الهكم الله الجامع للكمالات لانه الذى لا اله فى غاية الكمال الا
هو ومن كمالاته التى لا تنقص لغيره انه وسع كل شئ علما ومن ذلك وسعناه
عليك اذ كذلك اى مثل هذه القصص الجامعة للعلوم نقص عليك من انباء
ما قد سبق فى جميع العلوم وهى وان وجدت فى كتب الاولين فليس بحسن
ما فى كتابك اذ قد آتيناك من لدنا ذكرا شرف الاعجاز ولغاية شرفه من اعرض
عنه فانه وان تمسك بكتاب سابق عليه يحمل يوم القيمة وزرا لتركه الفاضل
واخذ المفضول بعد ما نسخ ولا يعذرون بالمفضول بل يبقون خالدين فيه فى
جزاء الوزر ولو لم يكن لهم الخلود فيه على زعمهم الفاسد لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ساء لهم يوم القيمة الذى تتصور فيه المعانى حملا اذ يفتضحون بحملها وانما
تتصور فيه المعانى لانه يوم ينفخ فى الصور فيخرج منه ارواح المعانى طالبة لصورها
خروج صور الاجساد طالبة لها ولا يلزم ان يكون لها محل غير هيكل الاجساد



حتى يعلم بها ذلك يحشر المجرمين يومئذ زرقا لقبح عيونهم من قبح نظرهم الباطن يتخافتون
يتكلمون خفية فيما بينهم انه انما قبح نظركم لاقتصاركم نظركم على الادنى الذى لا بقاء
له ان لبثتم فى ذلك الادنى الا ليالى عشرا ولا يقتصرون على هذا القول بل لا
يزالون يقتصرون مدة الحيوة الدنيوية لما ازداد عليهم طول ذلك اليوم فلا يزالون
يقولون انا لا نحن اعلم بما يقولون من كثرتها وانما نذكر اوسطها اذ يقول امثلهم
طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما لانه بين العشر وساعة من نهار ويسألونك
عن الجبال هل تبقى يوم القيمة فيمكن الستر بها عن الصور القبيحة فقل ينسفها يجعلها
رملا ربى الذى ربانى بان جعلنى اقوى من الجبال فى ذلك اليوم نسفا كليا بحيث
لم يبق فيه شئ صلب ثم يسلط عليها الرياح فيذرها يترك ارضها قاعا مستويا صفصفا
املس لا ترى فيها عوجا معنويا يدركها المهندس فضلا عن المحسوس ولا امتا نتوا
وكما لا ستر يومئذ بالجبال ولا باعوجاج الارض ونتوها لا ستر بالتباعد لاجتماع
الناس فى طريق المحشر او المحشر اما الاول فلانهم يومئذ يتبعون الداعى يحسبون
اسرافيل اذ يدعوهم الى المحشر قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا عوج له اى لاتباعهم يمينا وشمالا اذ لا موجب للعدول من الجبال
ونحوها ولا يشتغل عن رؤية تلك الصور سماع اصوات الناس فانه خشعت
خفت الاصوات للرحمن فانه وان ظهر للمؤمنين برحمته فهم مستغرقون فى هيبته
واذا لم يسمع من اهل الرحمة فلا يسمع من غيرهم الا همسا ذكرا خفيا ولا ينفع تلك
بالشفاعة لانه يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن لبعض الشفعاء ان يشفع
له الرحمن بان يفيض عليه نور الرحمة ليفيضها على المشفوع ورضى ان يشفع
له قولا وانما احتيج الى الاذن لان الشفيع لا يعلم مبدا المعصية من قصد الاهانة
او اتباع الشهوات ولا منتهاها من الجراءة على الله او الندم على مخالفته والله تعالى
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم فمن علم استهانة بامره وهو مجترئ عليه لم ياذن بالشفاعة
فى حقه والا ربما اذن ولا يحيطون به علما فلا يعلمون به علما فلا يعلمون ما فى علمه

الصور ٩

من الاستعدادات وكيف يشفع احد عنده بدون اذنه مع انه عنت الوجوه
للحي القيوم صارت ذليلة لظهوره بصفة الحيوة والقيومية الدالة على ان كل ما عداه
ميت بل معدوم هذا في حق اهل العدول وقد خاب من حمل ظلما ولكن من
يعمل من الصالحات وهو مؤمن فانه وان حمل ظلما فلا يخاف ظلما بزيع ثواب
العمل ولا هضما نقصه وليست هذه الايات بمجرد التخويف لانه كذلك انزلناه
اي جميع الكتاب ولا تصور في حق الله تعالى انزال كتاب اكثره كاذب ولا
يحمل على تاويل المحسوس بالمعقول لكونه قرانا عربيا ليفهمه اهل العربية والحمل على
التاويل لو امكن مانع لهم عن الفهم ولا ينافي التاويل في جميعها اذ صرفنا فيه من
الوعيد بعبارات مختلفة بعد حمل جميعها على التاويل لو امكن على انه لو امكن
فهو مخل بالمقصود من الانزال لانه انما انزله لعلهم يتقون المعاصي فيتركونها بالكلية
او يحدث الوعيد لهم ذكرا بقبح عواقب المعاصي فيدعوهم الى التوبة وكيف
يكون وعيدا مجردا وهو يستلزم مخالفة الحكمة فتعالى الله الجامع للكمالات عن مخالفتها
على انه الملك الذي لا بد له من جود وسياسة ولا يكونان بالعكس لانه الحق وقد
ظهر بهذا التعالي والملكية والحقية في هذا القران لمن لم يستعجل لذلك فيل لا اصغى
الناس في اصغى الاوقات لا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
وكان صلى الله عليه وسلم يستعجل بالقراءة قبل فراغ جبريل من الوحي ولا يكتف
بالتامل مع التاني بل قل رب اي من رباني بالوحي زدني علما بالكشف عن اسراره
الغير المتناهية ولا يكن عهدك ترك الاستعجال وطلب زيادة العلم كعهد آدم
فانا لقد عهدنا الى آدم ان لا تقرب من الشجرة ولا تسمع من ابليس من قبل اي
قبلك فلا بعدان تزينه منه فنسي العهد ولم نجد له عزما في حفظ واذكر لتحقيق
ذلك اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ليكونوا مسخرين له قائمين بمصالحه
فسجدوا الا ابليس لانه ابى ان يكون مسخرا له بل اراد ان يعاديه فقلنا تنبيها
له يا آدم ان هذا عدو لك يريد افساد امورك ولزوجك اذ في افساد امورك



واجل وجوه الافساد اخراجكما من الجنة فلا يخرجنكما من الجنة الى دار الابتلاء
فتشقى بالابتلاء اذ يمكن من افساد امورك باحوجاجك الى الاموال لتوقف
حوائجك في دار الابتلاء على تحصيلها من حرام وحلال وليست تلك الحوائج
في الجنة ان لك ان لا تجوع فيها فلا يحتاج الى الطعام الذي يفتقر اليه في قوام
البدن ولا تعرى فلا يحتاج الى اللباس الذي يفتقر اليه في ستر العورة وانك لا
تظمأ فيها فلا يحتاج الى الماء الذي يفتقر اليه في هضم الطعام ولا تضحى فلا يحتاج
الى البيت الذي يفتقر اليه في دفع الحر فلما راى الشيطان ان عداوته لا تتم ما دام
في الجنة لعدم افتقاره الى الاموال التي تكتسب من الحلال والحرام حاول اخراجه
منها فوسوس حديثا جديدا واصلا اليه الى ظاهره وباطنه اذ الشيطان قال
يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي التي يفيد اكل ثمرها الخلد في الجنة
وعلى ملك مع ازدياد القرب من الرب بحيث لا يبلى فضلا عن الزوال اراهما
شجرة الفناء بشجرة الخلد وسبب زوال الملك سبب دوامه بل سبب الخزي سبب
القرب فاستعاله ونسيا عهد ربهما فاكلا منها فنزع عنهما ملك كل شئ حتى نزع عنهما
لباسهما فبدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما ولم يجدا لباسا اخر لذلك طفقا
شرعا يخصفان يلزقان عليهما بعضا من ورق اشجار الجنة فحصل لهما من الخزي
بدل الجاه الملك المخلد وحصل لهما بدل شجرة الخلد من الاوراق الفانية عليهما
من سائر اشجار الخلد التي تجدد اوراقها كلما سقط منها ورقة وافتضحا فضيحة اخرى
معنوية اذ وقع بين الملائكة واهل الجنة انه عصى آدم ربه بارتكاب النهي وهو
وان كان سهوا لكنه من تقصيره في حفظ العهد فغوى ثم انه لم يزد اسباب القرب
حتى ثم اجتباه ومع ذلك ابتلاه وذريته بما يحصل مقصود ابليس اذ قال لآدم
وحواء اهبطا منها اي من الجنة جميعا مجتمعين مع ابليس اجتماعا فيه بعضكم لبعض
عدو فالمراة عدو الزوج في اجابته الى تحصيل الحرام والزوج عدوها في انفاقه عليها
وابليس يوقع النزاع منهما ويدعوهما الى انواع المفاسد التي لا ترتفع الا باتباع

ثم لما اجتباه ربه كثيرة فتاب
عليه لم يسبب بعض [illegible]
صح

الامر السماوى فاما يا تينكم منى هدى فان يحقق اتيان هدى منى من الدلائل
العقلية والنقلية فى امر المعاش والمعاد فمن اتبع هداى فلا يضل باخذ
الفساد مكان الصلاح وبالعكس ولا يشقى بالتعب الدنيوى والعذاب الاخروى
وكيف يشقى والهدى يلزمه ذكر الله المعتمد فى الدارين ومن اعرض عن ذكرى
لاعراضه عن الهدى المذكر له ضل وشقى فى الدارين اما الدنيا فان له معيشة
ضنكا ضيقا اذ لا قناعة له ولا توكل فى امر الرزق ولا رضا له بالقضاء واما فى
الاخرة فلانا نحشره يوم القيمة الذى يقتضى رفع عماه من الايات اعمى قال رب لم
حشرتنى اعمى مع ان الاعادة انما تكون على وفق البداية وقد كنت فى البداية
بصيرا وهو سبب شقاوتك اذ كذلك اليوم تنسى تترك فى العذاب ترك المنسى
ولا تختص صورة العمى بمن عمى عن الايات او تعامى عنها بالاعراض بل كذلك نجزى
من اسرف فبالغ فى النظر فى الايات ولكن لم يؤمن بايات ربه وكيف لا يجزى
جزاؤه فى العمى بعد المبالغة فى النظر ولعذاب الاخرة فى حقه اشد من الاول
فهو اولى بالعمى واقل وجوه الشدة فى حقه انه فى حقه ابقى لانه لا يزول عند نضج الجلود
بل تجديدها بخلاف غير المعاند افتصرون على انكار تلك الايات بعد مصيرها فى
حكم الضروريات فلم يهد لهم كم اهلكنا اى كثرة من اهلكنا قبلهم فعلموا بذلك استمرار
سنة الله الماضية لا فى حق الاحاد بل من القرون لا بطريق الافتراض بل حين
يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات دلالات على ان من سنة الله تعذيب
المعرض عن ايات الله والمعاند فيها وصدق الرسل والامور الاخروية لكنها انما
تحصل لاولى النهى ارباب النهاية فى الهداية ثم اشار الى ان مقتضى انتهاء الايات
الى الضروريات المواخذة على الفور فقال ولولا كلمة سبقت من ربك وهى لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين لكان العذاب لزاما لهم لكنه مانع من كون من
بعدهم فيمنع من ملاء جهنم وكذلك لولا اجل مسمى هو الموت ليكثروا المعاصى فيكثر
عذابهم لكان ايضا لزاما فاصبر الى وقت الوعد على ما يقولون من انك لكذبك

قال بل كنت كذلك اعمى مع
ان الاعادة انما تكون على وفق
فى اياتنا اذ اتتك اياتنا تعاميت
عنها حتى انه لتعاص قبلك
تنسيها صح

جعلت العذاب اخرويا وسبح ربك من ان يكذب فى وعده تسبيحا مقرونا
بحمد ربك على ظهوره بالجمال والجلال وبالتفريق بين المحسن والمسئ واجعل ذلك فى
الصلوة يزداد وصله يزداد اعداؤك انقطاعا قبل طلوع الشمس وقت رفع
الظهور وهو صلوة الفجر وقبل غروبها وقت رفع البطون وهو صلوة العصر عن
نفيه نظهور او بطون ومن اناء بعض ساعات الليل وقت ابتداء البطون
او كماله وهو المغرب والعشاء فسبح عن محض البطون وسبحه اطراف النهار
وهو صلوة الظهر عن التفرد بالمظاهر لعلك ترضى بكمال المعرفة الموجبة للصبر على ما
نظهر او تحجب وبكمال وصالك وانقطاع اعدائك واذا حصل لك ما يرضيك
من المعارف والوصول اليه لا تمدن عينيك ناظرين الى ما متعنا به ازواجا
طوائف منهم فانه ينافى الرضا بالمعارف وبالوصول الى الله تعالى وهو رضا المشاركة
اهل الضلال والغضب ولا ينافى ذلك ما وعدناهم من ضنك العيش لان غاية
امرهم انا اعطيناهم زهرة زينة الحيوة الدنيا والزينة سيما الدنيوية تتضمن المشاق
العظيمة الموقعة فى الضيق ولا يخلو صاحب المال عن ضيق خوف التلف على يدى
الظالم او السارق او بوجه اخر ولو سلم عن ذلك فهو ايضا عين الضيق لمن نظر
بعين الحقيقة لانا انما اعطيناهم اياها لنفتنهم نختبرهم كيف يتصرفون فيه اعلى النهج
المشروع وفيه الضيق الحسى ام لا وفيه ضيق اصحاب العذاب ولو خلا عن
هذه الامور فهو ضيق ايضا لانه الاشتغال بالعالم المحسوس الذى هو اضيق
من العالم الروحانى لذلك رزق ربك المعنوى للارواح خير من الحسى
لعظمته وابقى لبقاء الروح المغتذى به بخلاف البدن المغتذى بالرزق الحسى
فانه وان تقوى به مدة فلا بقاء له لكون المعنوى خيرا وابقى امر اسلك اهل الكمال
المستعدين لاستفاضة الرزق المعنوى بالصلوة الجاذبة لها وان وجد المانع
من طلب الرزق المحسوس اصطبر عن المحسوس عليها وليس ذلك القاء للنفس
فى التهلكة اذ لا نسالك لا نكلفك تكليفا يسال عنه ان تطلب رزقا فالمنا فانه

ملتقى اطراف
صح

د صح

تكليفنا اياك بالصلوة ولا يبطل التكليف بالصلوة لعدم الاستطاعة عليها بدون
الرزق اذ نحن نرزقك ولو طلبت الرزق بترك الصلوة فلا عاقبة له اذ العاقبة
للتقوى التي من اعظم وجوهها الصلوة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاما ان تجد
سريعا او توجب عقوبة اخروية وقالوا اجمين سمعوا رزق ربك خير وابقى الى قوله
والعاقبة للتقوى لولا يأتينا باية تدل على ما ذكرتم ليعلم انها من ربه ليخلصه
وترك من اجله الاموال واللذات العاجلة اولم يأتهم الايات الكثيرة ولو
انكروها فكيف ينكرون اعجاز القرآن فيقولون لم يأتهم كلام معجز بينة تأييد
صدق ما في الصحف الاولى التي لا اعجاز لها فلا بد لها من مصدق من كتب
الاولين في ازمنتهم فاذا بطل تواترها كان هذا المعجز بينة لتلك الكتب ولا ينافي
ذلك استدلالنا بها على صدقه لان ذلك باعتبار انها مقبولة لطائفة وهذا
باعتبار نفس الامر ولو ارادوا الاية الملجئة فلا يلجئهم سوى الاهلاك لكنا
لو انا اهلكناهم بعذاب يلجئهم الى الايمان من قبله من قبل غير الملجئة لقالوا
ربنا انك وان لم يجب عليك شيء لكن يقتضي ربوبيتك ارسال الرسول لولا
ارسلت الينا رسولا باياته غير ملجئة فنتبع اياتك من قبل ان نذل فلا نكون
لايماننا عزة لزوال الاختيار ونخزى بالعذاب فان زعموا ان غير الملجئة
يحتمل الكذب فان صدق فعذاب المنكر والا فالمعزى قل حاصل هذا
الكلام كل متربص على صاحبه العذاب فتربصوا على صاحب الايات مع
استقامته دون المكذبين حتى يأتيهم الاية الملجئة فلا بد من اتيانها فستعلمون
عند اتيانها المانع من الانتفاع بالايمان من اصحاب الصراط السوي من
هم الانبياء والاولياء والعلماء او الاباء والاغنياء ومن اهتدى من هو
المقتدي بالانبياء او الاباء تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين و
الصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الانبياء

سميت بها لاشتمالها على فضائل جليلة لجماعة منهم بسم الله المتجلي

بجلاله الموجب حجاب الغفلة وجماله الموجب اتيان الذكر المحدث الرحمن بوضع
الحساب الرحيم بازالة اقترب من قرب الاعمال للناس الذين نسوا حساب
الاعمال حسابهم السيء ولا يتذكرون ما نسوا اذ هم غرقى في بحر غفلة لا يريدون الخروج
لانهم معرضون عن دواعيه وهي الذكر فانه ما يأتيهم من ذكر تزف الاعجاز وجمع
الفوائد لكونه من ربهم محدث عندهم لتجدد لهم التذكر الا استمعوه ايهاما للتذكر لهم
ولكن لم يتذكروا به اذ هم يلعبون وانما لعبوا به مع كثرة زواجره لكونهم لاهية ذاهلة
قلوبهم عن التفكر المفضي الى التذكر ولكن يتفكرون في دفع الرسالة والاعجاز اذ
اسروا النجوى بالغوا في اخفائه بالقاء الشبه ليفاجئوا بها الضعفاء بحسبها العجز منهم
عن التفصي عن شبهاتهم مع علمهم ببطلانها لانهم الذين ظلموا انفسهم وضعفاءهم
بالقائها اذ يقولون هل هذا الا بشر مثلكم وارسال احد المثلين دون الاخر
ترجيح بلا مرجح وهو محال فليست معجزاته غير السحر اتتوهمون الاعجاز فتأتون السحر
منقادين له عن الالتباس وانتم يمكنكم التمييز بينهما بان المعجز هو الذي بلغ الى حد
الالجاء وما لم يبلغ فهو من السحر وهذا ظاهر كانكم تبصرون قل للمبالغين في اخفاء
هذه الشبهة ليفاجئوا بها الضعفاء لا يمكنكم المفاجاة بها اذ ربي يعلم القول
اي كل ما يقال في السماء العالم العلوي والارض السفلي وكيف لا يعلمه وهو
السميع ويعلم ما فيه وما يترتب عليه لانه العليم فلا يبعد ان يظهر من الشبهة على
من يخفونها عنهم مع حلها قبل مفاجاتكم فيبين لهم انكم انما قلتم بسحريته لغاية حسنه
فلا يقولون به بل قالوا انه في غاية القبح لانه اضغاث احلام اخلاطات عقول
فيقال انه كلام متين لا يشبه كلام المجانين فلا يقولون به بل افتراه فيقال لم يجرب
عليه الكذب فلا يقولون به بل هو شاعر فيقال ليس كلامه كلام الشعراء فيقولون
كيف ما كان فليس بمعجز فليأتنا باية من آيات الاولين ليكون بها رسولا
كما ارسل الاولون فيقال انما اوتي اية غير آياتهم لانه ما آمنت قبلهم من قرية
ارسل اليها اولئك الرسل بتلك الايات حتى اهلكناها فهولاء لم يؤمنوا

لاعظم منها انزل لايمانهم احدى تلك الايات مع دنوها فهم يومنون وكيف يؤمنون
مع بقاء شبهتهم استحالة ارسال البشر وان كان له آية ملجئة من املاك المكذبين
من امم الاولين فانا ما ارسلنا قبلك الا رجالا وكيف ينافي البشرية الرسالة
مع انه لا نشترط فيها نزول الرسول من السماء بل يكفي فيهم انه نوحي اليهم بارسال الملك
اليهم فان التبس الشيطان عليكم فاسئلوا اهل الذكر الشرف من علماء الامم ان
كنتم لا تعلمون الفرق لعضو نظركم و لا نشترط في نزول الملئكة عليهم خروجهم
عن البشرية بالكلية لانه اما الى الجمادية وهو باطل لانا ما جعلناهم جسدا
جمادية او لو بحيث لا يأكلون الطعام فان الجمادية تبطل المناسبة بالملك فلا
يكمل ترك الطعام مناسبتهم و اما الى كمال الحيوة بحيث ينافي الموت لكنهم ما كانوا
خالدين وانما اشترط فيها دلائل الصدق فصدقناهم بالمعجزات ثم صدقناهم
باكد التصديق المعجزات الوعد باهلاك اعدائهم وبدل عليه انجاؤهم فانجيناهم
مع مخالطتهم للهالكين ومن نشاء من المومنين ولم يجعل امر المسرفين على
المشية بل اهلكنا المسرفين من غير استثناء وان زعمتم ان في ترك الاسراف
تذللا فنقول لقد انزلنا اليكم كتابا جامعا للعلوم فيه ذكركم شرفكم الذي تذكرون
به فوق شرف الاسراف اتطلبون الشرف في الاسراف دون جمع العلوم
فلا تعقلون كيف و الاسراف يستوجب النهي لذلك كم كثيرا قصمنا فهي من
قرية كانت ظالمة بالاسراف ولم يكن ذلك اسرافا منا باتلاف ملكنا بلا شئ اذ
انشأنا بعدها قوما آخرين فكانا استبدلنا بالشئ الردي جيدا والدليل
على رداتهم انهم مثل الحيوانات العجم في الانهماك على الشهوات و الفرار عن الاذى
ولو في الشئ المشتهي لهم فانهم لم يزالوا راغبين فيما اسرفوا فيه ما داموا مترفين
به فلما احسوا باسنا ابصروا عذابنا على سرائهم فيما اترفناهم اذا هم منها يركضون
يسرعون الهرب من النعم التي اسرفوا فيها اسراع الدواب عند ركضها فلا يمكنهم
الهرب اذ نقال لهم لا تركضوا فانه لا ينجيكم وارجعوا الى ما اترفتم فيه ما نعمتم فاسرفتم

هم

فيه ومساكنكم التي كثر فيها اسرافكم لعلكم تسألون ما الذي الجاكم الى الاسراف
فيها ولعلكم يحضر لكم جواب لا يحضر بالغيبة فنجيكم من العذاب قالوا لا جواب لنا
ينجينا الا ان ندعو الويل يا ويلنا تعال الينا هذا مكانك لاسرافنا انا كنا ظالمين
بهذا الاسراف ظلما لم يبق لنا جواب ينجينا ولا تخلص منه بوقت الدهشة بل يدوم
عليهم ما امكنهم النطق فما زالت تلك الكلمة دعواهم يتمسكون بها للنجاة اذ فيها الاعتراف
بالذنب وسوف يكون سببا للعفو لكنها لم ينفعهم حتى جعلناهم حصيدا اي كنبات
محصود بل خامدين باخماد نار ارواحهم فاذا لم ينفعهم في الامر الدنيوي فكيف
في الامر الاخروي وكيف نترك سؤالهم عما انعمنا عليهم مع انا ما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين بل للانعام عليهم وما انعمنا عليهم بذلك الا لنستعملهم اعمالا نستعقب
تخليات لطيفة او نعمة ولا دلالة له فيها على تولدنا اربابها فانه مستحيل في حقنا
بل حينئذ لو اردنا ان نتخذ ولدا نقتضي لهوا لم نحصله به بل لاتخذناه من لدنا
بلا واسطة امرأة ان كنا فاعلين لنا ولدا لكن الفعل يقتضي الحدوث المانع من
مناسبتنا وليست كمالاتهم من ظهورية الدنيا فيهم بل نقذف بالحق تلقي نور التجلي
باشراق الوجود الحق على الوجود الباطل الذي هو العرض العام للاشياء
ولا بقاء للاعراض لكنها يتجدد بحدوث الامثال وهذا مانع منه فيدمغه يضرب
على دماغه الذي هو محل علويه فاذا هو زاهق بالفناء في الله والبقاء به زهوق
الروح وليس ذلك بالبنية ولا ولدية له بل لكم الويل مما تصفون المظاهر بصفات
الالهة من ظهوره فيها ولكن لا ظهور لتلك الصفات بمظاهر الاجسام اذ له عبيد
من في السموات والارض ولا في المجردات و الا لاستكبرت عن عبادته لكن
من عنده بقوة تجرده الموجب تزيد المناسبة معه لا يستكبرون عن عبادته ولا
يتركونها كسلا بل لا يستحسرون لا يغيبون عن عبادته وقت التجلي بل يسبحون
الليل والنهار الاسم الباطن والظاهر ان تجددا بظاهرهما لا يفترون عن
التنزه وان كانوا لا يزالون يزدادون مراتب يحلبها اهل اتخذوهم الهة عند

لافتقاره الى لعبنا
مع المراة ولا يليق بنا لو
امكن في حقنا صح

التجلي الذي لم يزالوا يرتعون فيه أم اتخذوا آلهة محجوبين بالحجاب الظلماني لكونهم من
الأرض إذ يعتقدون فيهم أنهم هم ينشرون يخرجون ما في العدم إلى الوجود لكن
تعدد الآلهة مانع من النشر فإنه لو كان شرف فيهما في السماء والأرض آلهة
متعددة بل واحد قاصر إلا الله أي غيره لفسدتا بقيتا على العدم لأنه لو استغني
عنهما لم يكن النشر لهما ولا لأحدهما وإن احتيج إلى كليهما لم يستقل أحدهما بدون
الآخر فكانا قاصرين ولا يصلح للنشر وإن احتيج إلى أحدهما دون الآخر كان المحتاج
إليه هو الناشر دون الآخر وإذا كان التعدد والقصور متعين فسبحان الله
رب العرش المحيط بالأشياء إحاطة تقتضي إحاطته بالكمالات فلا بد من تنزيهه
عما يصفون من النقائص التي من جملتها المشاركة في الإيجاد وهذا الوصف
منهم وإن كان بإيجاده إياه فهو لا يسأل عما يفعل لأنه بحسب استعدادات حقائق
الأشياء وهم وإن توهموا بذلك كونهم مجبورين يسألون لأنه لم يجبرهم الله بالحقيقة
وإنما جبرهم استعدادهم فإن زعموا أنه وإن تنزه عن مشاركة من يساويه فلا
تنزه عن مشاركة من دونه فيقال لهم هل اتخذوا آلهة يساوونه أم اتخذوا
من دونه آلهة لأن الإلهية تقبل التفاوت قل هاتوا برهانكم العقلي على قبولها
التفاوت فإن زعموا أنه نقلي ولا يعتبر في النقلي إلا ما ظهر شرفه وهو الكتب السماوية
وقد اجتمعت في كتابك فهو الجامع لشرف الكل هذا ذكر من معي من الصحابة
وذكر من قبلي من أمم الأنبياء ولا شرف لكلام الآباء بل أكثرهم لا يعلمون الحق
الذي به الشرف فإن أمروا بالنظر ليحصلوا منه الشرف فهم معرضون وكيف يكون
لكلامهم الشرف وقد قابلوا كلام الشرفاء الذين قالوا بالتوحيد الذي هو أتم وجوه
الشرف سيما الأنبياء فإنه وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا
أنا وكيف لا يرسل بذلك وهو يدعوهم إلى العبادة كأنه يقول أنا المستحق للعبادة
فاعبدون وقالوا قد أوحى الله إلى بعض الرسل ما يدل على الشرك وهو أنه ورد
في الإنجيل أنه اتخذ الرحمن ولدا فقال لهم ليس على ظاهره لوجوب أن يسبح

الله سبحانه الكامل بل معناه أنهم مع حدوثهم الدال على أنهم عباد هم مكرمون
بإطلاق لفظ الولد عليهم مجازا ويدل على بقاء عبوديتهم مع هذا الإكرام أنهم لا
يسبقونه بالقول فلا يقولون ما لم يقل رعاية لأدب العبودية وهم مراعاتهم لها
في الأفعال أظهر إذ هم بأمره يعملون وكيف يخرجون عن عبوديته مع إحاطته
بهم لأنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وكيف يخرجون عن عبوديته ولا يقدرون
على أدنى وجوه معارضته لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى إذ الشفاعة لغير
المرتضى نوع معارضة معه وكيف يعارضونه وهم من خشيته فهم مشفقون خائفون
وكيف لا يخافون وهم في شفاعة من لا يرتضيه وهو نسبة دعوى الإلهية مع الاعتراف
بالدونية ومن يقل منهم أي من العباد المكرمين بأنواع الكرامات إني إله لا بطريق
المشارفة والبقاء به بل مع الاعتراف بكونه من دونه فضلا عن دعوى المساواة
أو الفوقية وإن بلغ من الإكرام ما بلغ فذلك نجزيه جهنم فينقلب إكرامه إذلالا لأنه استهان
بربه الإلهية بجعلها للدون فصار ظالما فاستحق الجزاء بها إذ كذلك نجزي الظالمين
أيزعمون أنهم وإن كانوا بهذه الصفات فليسوا بعباد بل هم أولاد إذ كثيرا ما يتصفون
بها أولم ير الذين كفروا أيجعل عباده أولاده أن الولادة ليست بحسب الإكرام بل
بحسب فتق الرتق وإفاضة الماء وهذا الاعتبار يوجب كون كل نبات وحيوان
أولاد الله تعالى وكأنهم لم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا منضما بعض
أجزائهما إلى بعض بحيث لا يخرج منهما شيء ففتقناهما بإخراج الماء والنبات وإن
زعموا أن آلهتهم بإحيائهم فغايتهم أنهم سبب فيضانها كالماء فإنا جعلنا من الماء
كل شيء حي أفيعبدون الأحياء آلهتهم لا بطريق السببية فلا يؤمنون بمن هو محيي بالحقيقة
وإن جعلوا الآلهة بالارتفاع فقد جعلنا في الأرض رواسي فإن قالوا منع
آلهتها عدم تأثيرها قيل لهم إنها مؤثرة لأنها تمنع الأرض أن تميد بهم تحرك فيضر
بهم وإن زعموا أن التأثير المعتبر هو التأثير بالهداية فهو أيضا موجود في الجبال
إذ جعلنا فيها فجاجا سبلا واسعة لتصير سبلا وهي وإن لم يكن موصلة إلى الحق

فذلك نجزيه

بقيد اعتبار سبل الوصول اليه بطريق المقايسة لعلهم يهتدون لسبل الوصول الى
الحق وان زعموا ان الالهية لغاية العظمة او البقاء اخص بالسماء فقد جعلنا
السماء سقفا للارض كلها محفوظا مع شدة الحركة عليها ثم اشار ان ظهور هذه الامور
فيها ليس لالهيتها بل للدلالة على الهية من ظهر فيها بهذه الامور وهم عن آياتها
معرضون ولو كان الظهور دليل الالهية لكان الليل والنهار الهين لظهور اسم
الباطن والظاهر فيهما لكنه باطل لسرعة زوالهما فتعين ان الله هو الذي خلق الليل
والنهار كيف وقد خلق منشاهما اذ خلق الشمس والقمر ويدل على خلقهما دوام تغيرهما
بالحركة التابعة لحركة الغير اذ كل في فلك هو خارج المركز او التدوير يسبحون في
الفلك الممثل او الحامل في حركته بتبعيته من جهات وان سلم ان البقاء يدل
على الالهية فلا بقاء لعيسى عليه السلام لانه وان طالت حيوته فهو بشر وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد فلا بد له من الموت بعد النزول فان استثنى من لحق بالملئكة
او من خص بمزيد القرب من الله فمحمد صلى الله عليه وسلم اولى بذلك اخرجهم من
هذا الاستقراء من جعلوهم الهة دونك فان مت مع كمال ملكيتك وقربك فهم
الخالدون لا يكون كذلك بل كل نفس وان طالت حيوتها ولحقت بالملئكة او
خصت بمزيد القرب من الله ذائقة الموت كيف ونبلوكم نكلفكم بالشر فنهاكم عنه
والخير فامركم به فتنة اختبار اهل تعادون لنا في امرنا ونهينا وهو انما يتم عند
من يعتقد جزما رجوعه الينا وهو انما يحصل بوقوعه وهو مترتب على الموت فيموتون
والينا ترجعون واستبعاد بقائهم مع موتك انما يعتقده من يؤمن بفضلك
على من جعلوهم الهة لا من كفر بك فانه اذا رآك الذين كفروا برسالتك فضلا
عن فضلك على الهتهم ان يتخذونك الا هزوا محل سخرية فيجعلونك اهون الاشياء
فاذا ادعيت الفضل على الهتهم قالوا اهذا الذي يذكر الهتكم بالاستهانة وهم اولى
بالسخرية في ذلك اذ هم بذكر الرحمن اي بذكر المؤمنين اياه هم كافرون اذ لا يؤمنون بعموم
رحمته بل يجعلون الهتهم شركاء في الرحمة وقد بالغوا في هذا الكفر بحيث لا يبالون مقابلته

بالدلائل العقلية ولا النقلية بل يريدون المعجزة ولا يعجبهم سوى الاهلاك يستعجلونه
ليحصل لهم آياته فقال لهم خلق الانسان من عجل اي كل شيء حصل في الشر كانه من عجل
سأريكم بعد مهلكم آياتي على عموم رحمتي وقدرتي وصدق رسلي وانما اخرته الى ذلك
لاني جعلت له وقتا معينا فلا اقدم عليه باستعجالكم فلا تستعجلون واذا
منعوا من استعجاله عن الوقت المعين له يقولون متى هذا الوعد بينوا وقته
ان كنتم صادقين في انه يوجد في وقته المعين فقال تعالى لو يعلم الذين كفروا
وقت ذلك العذاب اعني حين لا يكفون لا يدفعون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم اشرف اعضائهم واقواها بواسطة الشرف او القوة لا ايمان
لهم هذا الدفع بانفسهم ولا هم ينصرون بدفع الغير عنهم الايمان الى ما يقرب من
ذلك الوقت فيصرون على الكفر الى زمان قربه فيصير هذا سببا للاصرار على
الكفر فينقلب مقصود الدعوة فلا وجه لاعلامهم لذلك بل ابهامه ربما يدعوهم
الى ترك الاصرار فان اصروا اتتهم بغتة فجاءة فتبهتهم تحيرهم لانهم ان
ارادوا الصبر عليها لم يقدروا عليه وان ارادوا دفعها بالايمان فلا يستطيعون
ردها للايمان ولا هم ينظرون لتمام مدة الانظار قبله واذا سمعوا ذلك استهزؤا
بك وهو لا يدفع عنهم ذلك بل يزيد في العذاب الاخروي وربما ينضم اليه
الدنيوي ايضا فانه لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق احاط فوق احاطة
عذاب مجرد الكفر بالذين سخروا منهم بعد ما كفروا عذاب ما كانوا به يستهزؤن
وهو زيادة العذاب الاخروي مع العذاب الدنيوي فلا يبعد ان يحيط
بهؤلاء رسل ما احاط بامثالهم واستبعدوا اتيان العذاب فجاءة قل من يكلؤكم
يحفظكم بالليل وقت الغفلة والنهار وقت السقط من الرحمن ان يعاجلكم
بالعذاب ولا يمنع من ذلك عموم رحمته اذ يتعذب بكم بعض اهل عصركم ومن بعدهم
فيكون سببا لاصلاح امورهم الموجب لرحمته عليهم ولا تغترون في ذلك بعموم
رحمته حتى يرجى منعها عن ذلك بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام هم يمنعون عن اتياننا

لاخروج صح

بسبب من الاسباب
وان استهلوا صح

بانفسهم ام لهم آلهة تمنعهم عذابنا لانهم يحولون من دوننا اي بمكان قريب منا
لكنهم لو وقع على انفسهم لا يستطيعون نصر انفسهم كيف ولا هم منا اي معنا
يصحبون فضلا عن ان يكون لهم منا قرب وليس حفظنا منهم من الاعتماد
على نصر آلهتهم وقربها من ربهم بل انما امنوا الا انا متعنا هؤلاء وآباءهم بالامن
والحفظ حتى طال عليهم العمر فلم يروا فيه فجاءة عذاب فانكروه افلا يرون
انا نتركهم على ذلك فلا يرون انا نأتي الارض ارضهم ننقصها من اطرافها
بتغلب المسلمين مع ضعفهم عليها أفهم يعتقدون مع ذلك غلبتهم علينا فهم الغالبون
علينا وقد غلبهم ضعفاء المؤمنين فان زعموا ان الله لم يزل حفظا لنا ولآبائنا
فمن اين نخوفنا فجاءة عذابه الخالد قل انما انذركم فجاءة العذاب الخالد
بالوحي المشتمل على بيان الحكمة فيه ولا يسمع الصم الدعاء اي دعوة المنذر من
اذا اي وقت ما ينذرون لا وقت مسه ولكن والله لئن مستهم نفحة رائحة
من عذاب ربك لا يمكنهم ترك الالتفات به بل ليقولن يا ويلنا تعال الينا
لظلمنا انا كنا ظالمين وهم وان ظلموا مع ضعفهم لا نظلمهم مع قدرتنا بل
نضع الموازين التي يعرف بها مقادير اعمال القسط التي لا تجاوز الى الوهم
والتفريط ليوم القيمة الموضوع للقسط وان لم نضعها لكمالها قبل ذلك
فلا نظلم نفس بترك الوزن شيئا بنقص ثواب او زيادة عقاب ولا بترك
احضار العمل فانه ان كان العمل مثقال حبة مقدار وزنها من خردل
اتينا بها احضرناها لنحاسبها على صاحبها ولا يعسر علينا حساب الجمع الكثير
ولا نحتاج فيه الى الغير ليقضي بينه الظلم بل كفى بنا حاسبين وكما انا نجازي
الاعمال نأتي بجزاء كمالها ولا بعد في ذلك فانا لقد آتينا موسى اصالة
وهرون بتبعية الفرقان المبالغ في الفرق بين الاشياء الذي لا يكون الا
بتحقيق النظر وقد لا يدرك بالنظر فيحتاج الى الكشف فآتيناهما ضياء من
انوار الكشف وانما آتيناهما ذلك ليذكرا الخلق ذكرا نافعا للمتقين

وانما كان نافعا لهم لانهم الذين يخشون ربهم الذي رباهم بدقائق الحكمة ان يأخذهم
بدقائق نكت لا يطلعون عليها لانه يأخذ بالغيب وكذلك هم من الساعة التي هي
الغيب مشفقون واذا كان لهما سبق الانذار فلم يبق انذار بعده بل يكمل
انذارهما وهذا ذكر مبارك كثير الفوائد اذ انزلناه من مقام عظمتنا أفأنتم
فيه ذلك فانتم له منكرون بحيث لا تجعلون له ادنى مناسبة معه توجب الايمان
به ويمكن ان تعالى من كونه ضياء صار بمنزلة القلوب المتقين حتى ذكرها ما كمن
فيها فكوشف لها عن ذلك من ابقائها الحجب الظلمانية فازداد معرفتها حتى ازداد
خشيتها من الله لانه كوشف لهم مكاشفة غيبية وكوشف لهم عن الساعة مكاشفة
شهودية فازدادوا اشفاقا منها وهذا الكتاب افاد كشفا اتم من ذلك لكونه منزلا
من مقام عظمتنا أتنكرون مزيد كشفه بل مساواته له بل مقاربته فانتم له منكرون
ولا بعد ان يكون ما اوتي بعض الانبياء اكمل مما اوتي البعض الآخر فانا لقد
آتينا ابراهيم رشده المخصوص به من قبل اي من قبل موسى وهرون فلم يكن ارشاد
بعده حتى يكون ارشادي به بعد اخرى وكنا به بمقدار كمال استعداد ابراهيم
عالمين بحيث لا يحيط به علم غيرنا فلا بد ان يكون رشده اكمل في اقامة الادلة ودفع
الشبه وبيان الحقائق ورعاية الدقائق والانتهاء الى الكشف اذ قال لابيه مربيه
له بالرشد وقومه صلة بهم في الانقاذ من الضلال ما هذه التماثيل الصور المخترعة الحاكية
في انفسها عن الارواح المؤثرة وان تعلق بعضها الشياطين فليس في تأثيرها
فائدة بل هي عين المضرة التي انتم لها للعبادة لها عاكفون مقيمون كانه يستر لكم
منها الفوائد قالوا انه وان لم تظهر لنا فوائدها لكن لها فوائد في الواقع لانا
انا وجدنا آباءنا لها عابدين وعلمنا من كمال عقولهم انهم لا يشتغلون غاية التذلل
الا لمن يكثر منه الفوائد قال لقد كنتم انتم وآباؤكم متوهمين انها تفيد فوائد من
هي صورة له من الملائكة والصالحين وان تأثيرات الشياطين المتعلقة بها فوائد
لها فكانوا في ضلال مبين فان الصور المنقوشة على الجدران لا تفيد فوائد ما هي

صورته دوران مآثرات العدد لا تعد من الفوائد قالوا أجئتنا رسولا بالحق من
لنا ضلال العقلاء أم أنت في دعوى الرسالة ونسبتهم الى الضلال من اللاعبين
قال لا لعب في اعتقاد الربوبية بل اعتقادكم آلهية التماثيل يشبه فعل اللاعب
إذ ربكم الذي جمع فيكم أسرار العالم لا يكون شيئا من أجزائه بل إنما هو رب السموات
والأرض لا من نحو كونها من أرواح الكواكب بل الذي فطرهن وأنا على
ذلك بالطرق البحثية وبدلائل يمكن معارضتها أو نقضها أو مناقضتها بل أنا
على ذلكم من الشاهدين أي العالمين به بطريق الكشف الذي لا احتمال فيه
لشيء من ذلك ولا احتياج في ذلك الى إقامة دليل بل يكفي إظهار غاية عجزها
دليلا على عدم آلهيتها لكن إظهارها صعب تالله لأكيدن أحتالن في إب
افضح أصنامكم بإظهار غاية عجزها لكني عاجز عن هذا الإظهار بحضوركم
فافعله بعد أن تولوا وجوهكم الى مكان العيد مدبرين عنها لا ينافي تكم
الالتفات إليها فيفعل بها ما له لضعفاء فوقه لسفهاء الباقين فجعلهم جذاذا
قطعا بالفعل أنها لا تحتمل الى هذا الحد فهو عجزهم في الدفع عن أنفسهم فوقع عابده
الدفع عن نفسه غاية السفه إلا كبيرا يزعمون أنه أنفع لهم استشاه لتوهمهم أنه
رحمي رجوعهم إليه لعلهم إليه يرجعون فيسألونه لم فعل بآلهتهم فإذا ظهر عجزه عن
النطق فمن دونه أعجز منه في ذلك فضلا عن الدفع الذي أظهر عجزهم فيه فرجعوا
فأتوا بيت الأصنام فوجدوها جذاذا قالوا من فعل هذا الفعل الشنيع بآلهتنا
وهو عندهم أشد منه معنا إنه لمن الظالمين المستحقين لأن يفعل به أشنع مما فعل
قالوا أي الذين سمعوا مقالته لم يذكروها أولا لغلبة هيبة لأنهم قد سمعنا فتى لم يستكمل
العقل يذكرهم لم يذكروا أصريح مقالته تنزيها عنها ورعاية لجانب أصنامهم لا سيما
عليه إذا ظهروا اسمه العلم بقولهم يقال له إبرهيم فبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه
قالوا فأتوا به ليفتش صورته على أعين الناس لعلهم يشهدون على عينه فلما
أتوا به قالوا أأنت بنفسك فعلت هذا الفعل الشنيع بآلهتنا فنفعل بك

أشنع منه يا إبرهيم قال مقتضى عبادتكم لها أن لا تعتقدوا اقتداري عليها بل مقتضى
اعتقادكم فيها أن تعتقدوا أنه فعله كبيرهم من غضبه أن تعبد معه الصغار هذا
فاسألوهم بحسبكم إن كانوا ينطقون ولا ظهر عجزهم عن النطق الدال على العجز
الكلي المانع من القول بآلهيتها فرجعوا الى نظر أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون
بإذلال الأعلى للأدنى واعتقاد قدرة العاجز على القادر ولا أظلم من إبرهيم
في إظهار عجزها فاستقاموا على مقام النظر ثم نكسوا فقلبوا نظرهم كأنهم جعلوا
أسافلهم على رؤسهم قائلين له والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فأمرتنا بسؤال
من لا ينطق وهو ظلم منك وقد ظلمت بكسر آلهتنا فأنت الظالم أولا وآخرا قال
أتعلمون عجزها عن النطق الدال على عجزها عن كل نفع وضر بالفعل أو القول
فتعبدون بعد علمكم بكونهم من دون الله ما لا ينفعكم شيئا من النفع القولي أو الفعلي
ولا يضركم لأن ذلك فرع القدرة على القول أو الفعل أف أتضجر قبحا لكم في
إذلال الأعلى للأدنى لا لشيء ولما تعبدون من عادم أشنع كونهم من دون
الله والدون لا يستحق العبادة مع الأعلى أتدون عبادة الأعلى المؤدي للأدنى
المنافي أفلا تعقلون فلما عجزوا عن مناظرته أخذوا في مضاربته وكأنهم جعلوا
قدرتهم قدرة الأصنام حتى قالوا حرقوه بالنار التي يعد الإحراق بها على
عبادتها وانصروا آلهتكم بجعل نار أعدائهم أكمل في تعريف الاحترام لها لعالمهم
بهم إن كنتم فاعلين به شيئا من السياسة فلا يليق به غيرها قلنا تجهيلا لهم ولأصنامهم
وغاية لمن أرسلناه نصدق مقاله في إنجاء من آمن به يا نار كوني بردا باردة
على إبرهيم مع كونك محرقة للحطب ولا تنتهي في البرد الى حيث يهلكه بل كوني
سلاما على إبرهيم فأرادوا به كيدا بأنه لو كان سالما يحرق فجعلناهم الأخسرين
بإبطال كيدهم بجعله معجزة له وإهلاكهم بأدنى الأشياء وهو البعوض دخلت لحومهم
وأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت دماغ نمرود فأهلكته وهو المشار إليه
بقوله ونجيناه عن العذاب المبعوث عليهم ولوطا إذ هاجر معه من العراق

وان ترددتم انه فعلي او فعله صح

الى الارض التي باركنا فيها وهي ارض الشام للعالمين لاهل الدين بكثرة الانبياء
ولاهل الدنيا بكثرة الثمار نزل ابرهيم بفلسطين ولوط بسدوم وبينهما مسيرة يوم
وليلة وكثرت بركة تلك الارض بابرهيم واولاده اذ ووهبنا له اسحق بدعوة رب
هب لي من الصالحين ويعقوب نافلة زيادة على دعايه ليحصل في دعايه البركة
ومنشاء البركة فيها الصلاح اذ كلا جعلنا صالحين كيف وكان صلاحهم متعديا اذ
جعلناهم ائمة قدوة لا لاهل الضلال وان انتسبوا اليهم بل لاهل الهداية اذ
كانوا يهدون لا لمجرد عقولهم بل بامرنا وقد جمعنا فيهم وجوه الهداية على اكمل
الوجوه اذ اوحينا اليهم فعل الخيرات مما يختص بالقلوب او الجوارح ومما
يعمها اعني اقام الصلوة ومما يخرج عنها اعني ايتاء الزكوة وكانوا في جميع افعالهم
حتى الطبيعية كالاكل والنوم لنا عابدين اذ استعانوا باكلهم ونومهم على
عبادتنا وكانوا من اعظم اسباب البركة بارض الشام ولا يبعد جعل اولاد
ابرهيم ائمة ولا وحي فعل الخيرات اليهم وقد جعل لوط بن اخيه هاران
كذلك فان لوطا آتيناه حكما معرفة الاحكام الفقهية وعلما معرفة العقايد
وجعلنا له كرامة من بركة ذلك اذ نجيناه من عذاب اهل القرية التي كانت
اهلها تعمل الخبائث التعري بين الناس واللواط والضراط ولم يؤثر فيهم بركته
لاحاطة الاسواء بهم انهم كانوا قوم سوء لا ينسبون الى سواه لكونهم فاسقين
خارجين عن الخيرات وهو انما نجي ببركة ابرهيم لانا ادخلناه في رحمتنا
لا بطريق التحكم بل لصلاحه انه من الصالحين ولا يبعد ان يتأثر لوط
من عمه فانه اقرب من الجد الاعلى وقد تأثر ابرهيم فان نوحا كان ذا
بركة اذ كان مستجاب الدعوة اذ نادى بقوله رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات من قبل من قبل ابرهيم
نشركه به فاستجبنا له بطريق المعجزة لاستحالة مثله عادة فنجيناه
واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان العام وكان له معجزة اخرى اذ

النجاة مع

نصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وانما كان نصرهم بالطوفان لكونهم غرقى في
طوفان السوء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ولا يبعد ان يتأثر الابعد
بالاتأثر به الاقرب وان كانا متناسبين فاذكر داود وسليمن اذ يحكمان
في الحرث حرث قوم الكلمة غنم قوم اخر اذ نفشت دخلت ليلا فيه غنم القوم
الاخر فتحاكما اليه فاعطى داود صاحب الحرث رقاب الغنم لان الدواب تضبط
بالليل فاذا اتلفت ليلا ضمن صاحبها المقصر في ضبطها وكنا لحكمهم حكم داود
والمتحاكمين اليه شاهدين بالصحة وان خلا عن الرفق لكن رعايته اولى ففهمناها
اي رعاية الرفق سليمان فانهما لما مرا عليه سالهما فاخبراه فقال غير هذا ارفق يدفع
الغنم الى صاحب الحرث لينتفع بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى صاحب
الغنم ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان وهذا وان كان صلحا ملايما لجانب
الحكم الشرعي لذلك قال تعالى وكلا اتينا حكما وعلما وان كان حكم احدهما خلاف
حكم الاخر وكذلك العلم تأثرا بهما من بركة ابرهيم وقد اختص داود من بركته بتسخيرنا
مع داود الجبال اي جعلت تابعة له يسبحن ينزهن الله عما لا يليق بكبريائه وكذا
سخرناها معه الطير فتصرف في الجمادات والحيوانات ولم يكن ذلك منه يتعسر بل كنا
فاعلين فهذه هي البركة اللازمة وقد كانت له بركة متعدية اذ علمناه صنعة
لبوس لكم دروع ملبوسة وكانت قبله صفايح فحلقها وسردها لتحصنكم من باسكم
ليحفظكم من جراحات قتالكم فكان نعمة يتعدى بقاء جنسكم مع تحقق سبب فنائها
فهل انتم شاكرون لهذه النعمة العظيمة من بركته واختص سليمان من بركة ابرهيم
بان سخرنا لسليمان الريح تحمل كرسيه عاصفة يتعدى سرعة السير وان كانت لينة في
الاصابة وانما كانت مسخرة له لانها كانت تجري بامره من غير افتقار الى جهة منه
الى الارض التي باركنا فيها بقدومه وكنا بكل شئ عالمين فنعلم من الاولى تحصيل
البركة منه فهذه بركة متعدية وله بركة اخرى ايضا متعدية هي ان من الشياطين
من يغوصون له في البحار لاستخراج نفايسها تكميلا لخزانته وتزيينا لقومه وهذا

لتكون له تراب يسبحن صح

اصعب الاعمال عليهم لانهم اجسام نارية ويعملون عملا دون ذلك كبناء المدن
والقصور واختراع الصنايع وكنا لهم حافظين من ان يفسدوا بمقتضى طباعهم
فمن تصرف في الريح والجن والشياطين النارية فهو متصرف في اركان العالم ولا يبعد
ان تنال سليمان بوسايط كثرة النار لكونه من اولاد يعقوب عليه السلام وقد
نال ايوب مع كونه من اولاد من ضعف نايله وهو عيص بن اسحق فاذكر ايوب
اذ صبر على الضر صبر ابرهيم على النار فلم يشكه الى غيره اذ نادى داعيا ربه اني مسني
الضر فانا محل الرحمة وانت ارحم الراحمين وكان رجلا روميا بناه الله وكثر اهله
وماله ثم ابتلاه باهلاك اهله بهدم بيته عليهم واذهاب امواله وامراض بدنه ثماني
عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا او سبعة اشهر وسبع ساعات فكان من بركة
استجابة الدعاء ومثلهم معهم بابدالهم اعطيناه منه البركات من اثر بركة ابرهيم
مع ضعف الوسايط رحمة من عندنا عليه وذكرى للعابدين بانهم يستجلبون بركة
عبادتهم وعبادة ابائهم واولادهم وكان ابناء الاصل يضعفهم وراء دعوة
رحمة عندية تنكشف بها العابدين رحمة الله عليهم وراء مقتضى عبادتهم ولا يبعد
ان يحصل هذا لايوب مع ضعف الوسايط لتعلقها بالحواشي فاذكر اسمعيل العم
الاعلى بل باعلى الاصول واذكر ادريس وبالفرع واذكر ذا الكفل بشر بن ايوب
او باقرب الحواشي ان قلنا انه ابن عمه كعب وانه يعني بكلهم اذ كل من الصابرين
اسمعيل على الذبح وادريس على ترك الطعام والشراب ستة عشر سنة حتى لحق
بالملئكة وذو الكفل على الصوم وترك الغضب تكفل بذلك ليسع حين شرط
في مستخلفه ذلك فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقيلولة و
كان لا ينام من الليل والنهار سواها فدق الباب فقال من انت فقال شيخ
ضعيف مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني
وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القيلولة فقال اذا تعدت فاتني حتى
اخذ حقك فانطلق فلما قعد انتظره فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد اخذ

فاستجبنا له بطريق المعجزة
فكشفنا ما به من ضر لا لكن
كشفه جدا واتيناه
اهله باجابتهم صح

يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القيلولة واخذ مضجعه دق الباب
فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال لم اقل لك اذا تعدت فاتني قال
انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني
قال فانطلق فاذا جلست فاتني وفاتته القيلولة فلما جلس انتظره فلم يره وشق عليه
النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب
حتى انام فانه قد شق علي فلما كانت تلك الساعة جاء فلم ياذن له الرجل فلما اعياه
نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل
فاستيقظ فقال يا فلان الم امرك قال اما من قبلي فلم يات فانظر من اين اتى فقام
الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك
فنظر اليه فعرفه فقال عدو الله قال نعم اعييتني فعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك
الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل ذو النصيب العظيم كان له ضعف ثواب
انبياء زمانه ورحمة ايوب ايضا من بركة رحمتهم اذ ادخلناهم في رحمتنا اذ جعلنا
اسمعيل حامل السر المحمدي ورفعنا ادريس الى السماء وجعلنا لذي الكفل ذلك
الاجر انهم من الصالحين بالولاية النبوية التي هي فوق النبوة وان كانت
النبوة فوق ولاية من كان وليا مجردا ولا يبعد دخال المستمر على الصلاح
في الرحمة الخاصة وقد دخل فيها من عمل خلاف ما تقتضيه وقع فيما اشبه
المواخذة فرجع الى صلاحه فاعيد في الرحمة فاذكر ذا النون اي صاحب
الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا على كشف العذاب عن قومه بعد
ما اوعدهم مكره ان يكون متهما بعد ما وقع له الخلف فظن ان لن نقدر نضيق الامر
عليه فركب سفينة فسكنت الريح فقال البحارون ان ههنا عبدا ابقا فاقترعوا
فخرجت القرعة باسمه فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فنادى فدعا في الظلمات
بطن الحوت والبحر والليل ان اي انه لا اله الا انت فلا تعذرك على تخليصي من
بطن الحوت وقد نزهتك سبحانك عن ان تظلم باداءه الحبس او بالاتلاف

بلا ذنب او ما في معناه بل اني كنت من الظالمين بالمزوح بغير اذنك اذ كان
في سخط الذنب في حقه فاستجبنا له دعاه ضمنا اعادة له الى الرحمة وذلك انا نجيناه
من الغم غم الحبس في بطن الحوت وبلعه فيه فامرنا الحوت ان تقذفه بالساحل
وكذلك ننجي المؤمنين من الخلود في جهنم بايمانهم ولا عجب في دفع الغموم العظيمة من
اهل الصلاح وقد دفع عن زكريا ادنى الغموم فاذكر زكريا اذ نادى ربه لرفع ترية
فقال رب ربني بمن يوانسني لا تذرني فردا الا تركني وحيدا بمن يقوم بي في
ان لم يكن في ذريتي ابدا اذ انت خير الوارثين لسرورنا فيعطيها من هو خير من ذريتي
فاستجبنا له دفعا لغم الاياس عن دفعه للكبر ووهبنا له يحيى ليحيى به ذكره ونسله
وعلمه وصلاحه وكان فيه معجزة اخرى اذ اصلحنا له زوجه ليلا يحصل له عنده
امراة لم يطل صحبتها معه فيسري بغضها اليه ثم اشار الى ان هذا البرك انما حصل
لهم بواسطة صلاحهم انهم كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون في كل باب من الخير
وانما تمت لهم تلك المبادرة لانهم كانوا يدعوننا رغبا ورهبا راجين فضلنا خائفين
عدلنا ولم يكونوا بذلك معجبين بل كانوا لنا خاشعين متواضعين يرون التقصير
في اعمالهم وكيف لا يعطي المتبادرين في الخيرات الراغبين رغبا ورهبا الخائفين
سنن الفوائد من بركة اصولهم او حواشيهم او فروعهم وقد اعطينا التي احصنت
فرجها اي مريم الصابرة على العزوبة فجزيناها على صبرها فنفخنا فيها شيئا عجيبا من
روحنا المنسوب الى عظمتنا لكونه بلا واسطة الاب وكان لها اجر مما يكون
للمزوجة اذ جعلناها وابنها آية للعالمين اذ جعلنا لها كرامات كالنطق
في الصغر واتيان الرزق في غيرها وانه مع سد الابواب وجعلنا له ارهاصات
ومعجزات كثمر النخل اليابس واجراء العين والنطق في المهد والاحياء و
ابراء الاكمه والابرص والاية لكونهما دليل الكمال في تقيصة الزنا وولديته فان
قيل كيف كانوا يسارعون في الخيرات راغبين راهبين خاشعين مع اختلافهم
في الاعتقادات والاعمال قيل ان هذه الطوايف امتكم اهل اعتقادكم في الاصل

اذ كانوا امة واحدة في الاصل كيف وانا ربكم الذي امركم بالامر الاعتقادات
فاعبدون بامتثال ذلك الامر ولا تعبدوا اراكم الفاسدة فيها ولكن تقطعوا
انقسموا امرهم في الاعتقادات لوقوع التنازع بينهم لكنه مرتفع لو رجعوا
الى الدلايل النقلية والعقلية ولا بد من الرجوع اليها اذ كل الينا راجعون
فنسالهم عما اعطيناهم من تلك الدلايل واما باب العمل فانه وان كان فيه
ناسخ ومنسوخ فلا ضرر فيه فمن يعمل من الصالحات في عصره وان كان ناسخا
لما قبله او منسوخا بما بعده وهو مومن لعرفه بكل ما امره في عصره وان خالف العمل
عصر اخر فلا كفران لا رد لسعيه الذي سعى به الى ربه وان كان مخالفا لما قبله
او بعده كيف وانا له كاتبون على اهل كل عصر فلا يمكنهم مخالفة ما كتبنا عليهم
في العمل وحرام على اهل قرية اهلكناها او فعنا في قلوبهم تغير الشرايع او رد
الناسخ او العمل بالمنسوخ بعد نسخه انهم لا يرجعون للجزاء لو فرض عدم رجوع
غيرهم اذ لم يرجعوا الى الحق حتى اذا ظهرت اشراط الساعة وسيما اذا فتحت
ياجوج وماجوج اي سدهما وهم اي الناس من كل حدب ارض مرتفعة
فضلا عن المستوية ينسلون يسرعون الفرار فشخصت ابصارهم ودعوا الويل
واعترفوا بالظلم واذا اقترب الوعد الحق وعد الجزاء فاذا هي اي القصة
شاخصة ذليلة بعد فتحها استكبارا ابصار الذين كفروا ويقولون يا ويلنا
تعال الينا من غفلتنا عن الدين الحق اعتقادا او عملا قد كنا في غفلة من هذا
المرتب على فساد الاعتقاد والعمل بل نبهنا عليه ولكن كنا ظالمين بالتغافل
والعناد واذا شخصت ابصار هؤلاء ودعوا الويل فكيف حال عبدة الاصنام
وقد كان الواجب ان نعلو اذلك في الدنيا اذ قيل لهم انكم وما تعبدون
من دون الله حصب وقود جهنم ورودا لا للتنبيه بل لبيان المرات وبيهم
اذ انتم لها واردون ولتعلموا قطعا انها ليست آلهة اذ لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان الالهية تقتضي غاية العزة وهي مكان غاية المذلة ولا سيما كل

بان

الامر

فيها خالدون فلا يبتدل ذلك لهم بعزه ابدا لكن ذلة عابدي الاصنام اشد لهم
فيها زفير تنفس شديد كنباح الكلب او كنهيق الحمار وليس على الغلة بحيث
لا يعبا به بل من الكثرة بحيث هم فيها لا يسمعون كلاما يفهمون غالبا ولما تلا صلى
الله عليه وسلم هذه الآية نقضه عبد الله بن الزبعرى بعزير والمسيح والملئكة
فقال تعالى انهم وان يحق فيهم هذا السبب ولكن فيهم مانع هو سبق العناية
الحسنى في حقهم ان الذين سبقت لهم منا العناية الحسنى اولئك الكمل في
درجات القرب والعز عنها مبعدون اى عن النار التى هى دار البعد
والمذلة ويكون بعدهم بحيث لا يسمعون حسيسها صوتها المدرك بحاسة السمع
وهم لو لم يبعدوا لم يحسوا به ايضا فيما اشتهت انفسهم من النعيم والكرامة
خالدون لا يخلو لهم وقت يشتغلون فيه بسماع حسيسها وكيف يبالون به مع انهم
لا يحزنهم الفزع الاكبر نفخ النافور او ذبح الموت كبشا وتتلقاهم بستقبلهم الملئكة
مبشرين لهم هذا يومكم المساعد لكم الذى كنتم توعدون في الدنيا لقطع نعيمها
طمعا في نعيمه وانما يعين هذا اليوم لهذا الوعد لانه يوم انقطاع الاعمال لذلك
كان يوم نطوى السماء التى تصعد اليها الاعمال فيكتب فيها فاذا انقطعت طويت
كطى السجل الذى هو تمام الكتابة للكتاب فان السجل سبب هذا الطى فهو انقطاع
الامر الدنيوى للانتقال الى الاخروى ويكون على حسبه لذلك كما بدانا اول
خلق نعيده فيعاد كل على هيئة الفطرة لو لم يغيروه وان لم يجب علينا فهو في
معنى الواجب اذ كان وعدا علينا وهو وان لم يجب على الله ايضا لكن لما
امتنع التخلف فيه تعين فيه جانب الوفاء انا كنا فاعلين وقد ظهر من اشراط
ذلك الوعد في آخر الزمان فانا لقد كتبنا في الزبور كتابة من بعد الكتابة في
الذكر التوراة التى هى شرف كتب السابقين ان الارض يرثها من الكفار
عبادى الصالحون ليكون النهاية كالبداية اذ عمرت الارض اولا بآدم و
اولاده فيكون ذيل كما بدانا اول خلق نعيده وليس الصالحون الا اصحاب

ادبهم مع

لبلاغا كفاية في البعث على العبادة لقوم عابدين لانه دليل صدق الوعد
صح

محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا في تحقق هذا الوعد وقرب العمة وكيف لا يكون
اصحابه هم العباد الصالحون المنتشر دينهم في الارض وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين بنشر دينه في اكثر الارض فان انكروا كونه صلاحا قل انما يوحى الى انما
الهكم اله واحد ليس فيه ما يوهم الشرك بالولدية فاذا اسلمتم للكلام الموهم فهل
انتم مسلمون لما لا ايهام فيه فان تولوا اعرضوا عن التوحيد الصرف لميلهم الى
القول بولدية عزير وعيسى فقل آذنتكم اعلمتكم مستعليا على طريق سواء لا احتاج
فيه الى تاويل وان زعمتم ان استواء انما يعلم بما وعد عليه ان ادرى لا اعلم
اقريب ام بعيد ما توعدون لكنه محقق الوقوع لاحاطة علم الله بكل ما يقتضى الجزاء
من الامور الظاهرة التى اظهرها الاقوال والباطنة انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون فلا يعسر عليه المجازاة على كل واحد منها وان زعمتم لو علم وقصد
المجازاة لجازى في الحال فقل ان ادرى لعله اى تاخير الجزاء فتنة اختبار
لكم هل تؤمنون به ام لا او لعله متاع الى حين ليزدادوا معصية باززديادالنعم
فيزيد لكم عذابا وان لم يؤمنوا بهذا البيان قل رب احكم بالحق باظهار نتيجة
الايمان والكفر في الدنيا من نصر المؤمنين واظهارهم ولا تدع باهلاك
الكفار وانجاء المؤمنين بل قل ربنا الرحمن الذى عمت رحمته المؤمن والكافر
في الدنيا لكنه المستعان على رد ما تصفون من الشبه الباطلة فافهم
والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الحج

سميت به لاشتمالها على
اصل وجوبه والمقصود من اركانه وهو الطواف اذ الاحرام نية والوقوف
بعرفات من استعداده والسعى من تتمته والحلق خروج عنه وذكر فيه منافعه
وتعظيم شعائر الله وغير ذلك مما يشير الى غرائب واسرار بسم الله
المتجلى بجمعيته في الانسان الرحمن بالامر بتقواه اذ امر به الكل الرحيم بالتخويف
من الساعة لانه انما افاد به الخاصة يا ايها الناس ناداهم طلبا لاقبالهم على

المسلمين مر

اصغار ما خاطبوا به والى المبهم ليشير الى انه ابهم عليهم ما تجلى فيهم من اسرار
ربهم حتى نسوه ومنهم من يبلغ نسيانهم مشعرا بما تجلى فيهم اتقوا ربكم احفظوا تربيته
عليكم بصرف نعمه الى ما خلقها من اجله لئلا يفضوا الى الكفران الموجب لانقلاب
التربية عليكم بالانتقام منكم ان زلزلة الساعة شدة حركة العالم في اقل الازمنة
بالنسبة الى ما ابد من ظهور شدة غضبه على من لم يحفظ تربيته بكفران نعمه شيء عظيم
لا تعرف كنه عظمته على العالم كله حتى على من لم يذنب يوم ترونها اي تلك الزلزلة
تذهل تدهش كل امراة مرضعة وان فرض انها ليست من العالم المتزلزل
عما ارضعت اي عن ولدها الذي التقمه ثديها وتضع كل ذات حمل وان لم يحملها
تلك الزلزلة قبل مدة الوضع حملها اجنتها وترى الناس حتى من لم يذنب سكارى
زائلي العقول من رؤيتها قبل ان يلحقهم من اهوالها وما هم بسكارى بل كاملوا
العقول لو لم يروا ذلك ولكن عقولهم زالت من خوف شدة العذاب على
انفسهم او غيرهم لان عذاب الله شديد في نفسه وان كان على العذاب
البعض اشد منه على البعض الاخر وكيف لا يكون لله هذا الغضب والعذاب
ومن الناس الذين نسوا الله وصفاته من يجادل الداعي الى الله بكمال العلم
من الدلائل العقلية والكشفية في الله وجوده وذاته وصفاته بغير علم من دليل
عقلي او كشفي او نقلي ولو وجد شيئا من ذلك او من امثاله لم يتبعه بل يتبع كل
شيطان يعاديه ويعادي ربه مريد غال في الشر بحيث لا يجابه لانه كتب
قضي عليه انه من تولاه اجابه فان تبع اتباعه فانه يضله عن كل خير ويهديه الى
اعظم وجوه الشر كانه هداه الى عذاب السعير ليشاركه فيه ولا ينفرد بنعيم الجنة
وقرب رب العالمين ورضوانه فكيف لا يغضب الله على مثله غضبا تزلزل العالم
وتذهل المرضعات وتضع الحوامل وكيف لا يشتد عذابه بحيث يسكر الناس
فان زعموا ان زلزلة والعذاب انما تحقق لو تحقق البعث لكنه مشكوك فيه قيل
يا ايها الناس الذين نسوا حكمة الله وعموم قدرته ودلائل بعثه ان كنتم في ريب

من البعث فانا قد اريناكم ما يدل على عظيم حكمتنا وعموم قدرتنا ودلائل بعثنا اذ
خلقناكم خلقنا اول اباكم او اول موادكم وهي المني من تراب اذ خلق من اغذية
متولدة منه وغاية امر البعث انه خلق من التراب ثم من نطفة تولدت من اغذية
الترابية وليست له مادة تحفظ من بخار العرق ثم من علقة قطعة من الدم جامدة
ويمكنه جعل ذلك المادة ماء جامدا ثم من مضغة قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ويمكنه
جعل ذلك العظم في القبر لحما مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مخلقة لنبين
لكم ان الانسان قد يكون سوى الفطرة قابلا للاوصاف الحسية وقد لا يكون و
لا ينافي ذلك بقاؤه في القبر من غير ان يحصل فيه شيء من الانقلابات لانا نقر
الولد في الارحام بعد كماله ما نشاء فكيف بعد تقدير التراب في القبر الى اجل
مسمى ثم نخرجكم طفلا ومن يشبه بعث الناس سكارى ثم يتميكم لتبلغوا اشدكم
كمال قوتكم وعقلكم ومنها حال الخلق في الحساب والميزان ومنكم من يتوفى
ومن يكن يتوفى الثواب او العقاب بلا حساب وميزان ومنكم من يرد
الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ومن حال من نوقش في الحساب
فتحير وان زعموا ان هذه الانقلابات انما يكون في بطن المراة دون القبر
قيل لهم ترى الارض هامدة يابسة كالرماد ومن دليل بقاء الميت مدة فاذا
انزلنا عليها الماء ومن اشبه وقت النفخة اهتزت تحركت بالنبات ومن دليل
الاحياء وربت انتفخت كالحامل ومن دليل جعل الجماد حيوانا وانبتت
من كل زوج صنف بهيج رائق كما ان المراة تلد من كل جميل ومن دليل البعث
وليس ذلك على سبيل العبث ذلك للاستدلال بان الله هو الحق المراعي
للحكمة وقد راعى الحكمة في هذه الامور كلها وانه يحيي الموتى لان الاحياء نوع من
التقلب قد فعل هذه التقلبات كلها وانه على كل شيء قدير لانه يقدر على
كل ما ذكر من انشاء الخلقة وان الساعة اتية اذ جعل لكل شيء دواما بعينا
وهي اهم الاشياء لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور كما اخرج

الابتلاء المفيد للاجر الاخروى هو الضلال البعيد عن الرشد فهو خسران امر
العقل الموجب خسران الدارين فان زعم ان فى عبادته نفعا اخرويا قيل له يدعو
لمن ضره فى المستقبل اقرب فى العقل من نفعه لان الاقرب انه يعاتب او
يعاقب على اتخاذه شريكا وبعد ان يكون المتخذ شريكا شفيعا عنده لبئس
المولى الناصر له عند الله مع عداوته ولبئس العشير الصاحب له فان صحبة العدو
يضره عند عدوه فضلا عن اتخاذه معبودا بل اجل الوسائل الى الله الايمان
به والاعمال الصالحة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
جزاء على اعمالهم تجرى من تحتها الانهار جزاء على معارفهم ولا يمكن الاصنام
ان يمنعوه عن ذلك ان الله يفعل ما يريد ومما اراد الله نصر رسوله الموجب
للمهتدين خسران الدارين والضلال البعيد للكافرين ووسيلة الايمان
والاعمال الصالحة للمؤمنين من كان يظن ان اى انه لو حصلت عوايق عن
نصر الرسول لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فما ثمه عايق ارضى يغلب الامر السماوى
مالم يصل الى السماء فليمدد بسبب بحبل من الارض الى السماء ثم ليقطع بمسكه
مسافة ما بينهما حتى يبلغ غايته فلينظر فليجتهد فى نظره حتى يتحقق هل يذهبن كيده
من يفعل جبلته ما يغيظ من نصر الله اياه وكما انزلنا نصره فى الدنيا حتى الجاء
المرتد الى الايمان به او لا كذلك انزلناه اى نصره فى الآخرة حال كونه آيات
بينات ولا تخل بكونها آيات بينات انكار المنكر لما تقرر من انها لا تهدى بنفسها
بل ان الله يهدى من يريد فان زعموا ان الهداية ربما يكون فى غير من يعتز با
آيات بينات اذ كل فرقة تدعى اختصاصها بالهداية قيل لهم ان الذين آمنوا
فزعموا انهم اهدى الفرق لذلك اختصوا بمعرفة كونها آيات بينات والذين
هادوا فزعموا انهم اتفق على كونهم اهل الهداية اولا ثم من ان الناس من زعم انها
نسخت هدايتهم ولكن لا نسخ والصابئين الزاعمين انهم المطلعون على الارواح
المؤثرة فى العالم والنصارى الزاعمين انهم التابعون من حق من البشر بالارواح

المذكورات بعضا من بعض فهى من جهة عامة يتبينها للعوام وما ذكرنا جهة خاصة
اطلع عليها الخاصة والسر فى هذا الترتيب هو ان كمال الافعال برعاية الحكمة
فيها واجلها فى حق الله تعالى اظهار الكمالات ولا يتم الا بايجاد الاحياء المطلعين
على كمال قدرته وسواء اظهر بالساعة فلابد منها او الساعة وان امكن كونها بالحشر
الروحانى فلا يتم الا بالجسمانى ومن الناس بعد اقامة الدلايل المذكورة من يجادل
فى الله حكمته وقدرته وبعثه وجزائه ايضا لا بطريق من طرق الجدل من معارضة
او نقض او مناقضة او غيرها بل بغير علم عقلى ولا هدى كشفى ولا دليل نقلى من
كتاب منير للروح والقلب والاعضاء والعالم بل لكونه ثانى عطفه مولى جنبه
وعنقه تكبرا ولم يرد بذلك استزادة الدليل وطلب دليل اوضح بل ليضل عن
سبيل الله غيره كما ضل بنفسه فهو كقاطع الطريق له فى الدنيا خزى باللعن والقتل
والاسر ونذيقه يوم القيمة يوم ظهور كمال غضبنا عذاب الحريق اى النار
ويقال له ضما للعذاب العقلى فى حقه الى الحسى ذلك بما قدمت يداك بسبب
ما اقترفته كاشتباك الباطنة من الكفر والمعاصى القلبية والظاهرة من المعاصى
القالبية ولم تمحها بتوبة ولا حسنة بل قدمته الى الآخرة وبعدل ما قدمته لما تقرر
من ان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من لا يجادل ظاهرا ولكنه
يشك اليوم الآخر وبين الجزاء الدنيوى او يجعل الاخروى تبعا للدنيوى
فهو يعبد الله على حرف طرف كالذى على طرف من الجيش ان راى ظفرا قر
والا فر فان اصابه خير صحة فى جسمه وسعة فى ماله اطمأن به سكن اليه ورضى
وان اصابته فتنة بلاء فى الجسم او المال انقلب على وجهه رجع الى ما كان عليه
من الكفر ومن هذا الرجوع خسر الدنيا بذهاب عصمته وكرامته والآخرة
بفوات نجاته عن الخلود فى النار وهو وان ظن انه اخذ ما هو خير له وربح
لكن ذلك هو الخسران المبين الذى لا يخفى على ذى بصيرة كيف وهو يدعو
من دون الله ما لا يضره لو عصاه وما لا ينفعه اذا عبده ذلك الرجوع اليه عند

الموثنة في الاحبار والابرار والمجوس الزاعمين انهم المميزون بين فاعل الخير والشر
والذين اشركوا فزعموا انهم المختصون بالاطلاع على فعل كل شيء ان الله يفصل بينهم يميز
المحق من المبطل بما عند كثرة يوم القيمة الكاشفة عن السرائر فيكشف عن الشبهات
ولا يحتاج الله تعالى الى كشفها ان الله على كل شيء شهيد فلا يبعد ان يظهر ما في كتابه
ويشهد عليها بعض خاصة المطلعين على اعماره ويمنعهم في الآخرة ونوع من العذاب
في الدنيا بحسب سائر وجوهه فان زعموا ان الكل متفقون على عبادته فلا حاجة الى هذا
الفصل قيل لهم العبادة مختلفة في استيجاب الثواب والعقاب والخلو عنهما الم
تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض اي عقلا وفهما ومن وافق
عبادته امر الله من كل وجه استحق الثواب والا استحق العقاب والعقاب وفي
السماء من لا يستحق على عبادته شيئا ومنه الشمس والقمر والنجوم فان لها سجودا ومن
الغروب وان سلم ان لها اجراس الاستفاضة من الملاء الاعلى بمناسبة
استخراج ما بالقوة الى الفعل من اوضاعها في الارض ما ليس لها ذلك فانه يسجد
الجبال فان لها وجوها راسخة في الارض يحفظها من ان تميد والشجر فان
وجوهها في الارض منها يشرب والدواب فانها راكعة والراكع في معنى الساجد
ويسجد له من في الارض كثير من الناس ولكن لا يستحق جميعهم الثواب اذ كثير
حق عليه العذاب لتقصيرهم في امتثال الامر او لاحباط اعمالهم فالسجود وان
كان مفيد التقرب من الله ومن كرامة ولكن من يهن الله بارادة تعذيبه
فما له من مكرم كيف والعبادة لا توجب شيئا على الله بل ان الله يفعل ما يشاء
وكيف ترك الفصل بين هولاء الفرق وهم خصوم وكل فريق من الكفار مع فريق
المؤمنين يقال فيهما هذان خصمان وليسا مما يجوز الاعراض عنهما اذ هولاء
الفرق اختصموا في ربهم ذاته وصفاته لا في امر خارج عن الحاكم فان لم يفصل بين
كل فريقين فلا بد ان يفصل بين الكافرين والمؤمنين فالذين كفروا لا يكفي في فصلهم
العقاب لانهم لما قالوا في ذاته وصفاته ما لا يليق به قطعت قدرت لهم ثياب

من نار يحيط بهم لتعرضهم لذات من احاط بهم او صفاته بما لا يليق به فقطعه
ويصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار جزاء على صبهم الشبهات ليصهر به ما
به كما اذابوا العقايد الصحيحة ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء فوقعت في باطنهم
من افراط حرارته ويذاب الجلود لان شبهاتهم اثرت في المساعي الباطنة
والاعمال الظاهرة ولا يكتفى بذلك في حقهم بل لهم مقامع سياط يضربون بها لا
من الجلد بل من حديد لشدة ضربهم الادلة القطعية عنادا ولا يكون حاله
الخفة عليهم بل كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم من شدة النار بحيث يكاد
يصيبهم الى خارج اعيدوا فيها بتلك المقامع كما كانت عادتهم انه كلما ذكر
لهم دليل او ردوا عليه شبهة يوقع الضعفاء في الغم وقيل لهم ذوقوا بقربها عذاب
الحريق فوق ذوقه بدون القرب فان زعموا ان الله تعالى انما يرد من لا ر
الفرق مع اعترافهم به وعبادتهم له لنقص معارفهم وعبادتهم والمؤمنون
كذلك يقال لهم ان الله بفضله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ا
وان لم تخل معارفهم واعمالهم عن نقص جنات تجري من تحتها الانهار
كما يدخلها اباهم لو كملت ومن مزيد فضله بهم انهم يحلون فيها من اساور و
يزاد في كمالها بجعلها من ذهب ولا يقتصر عليه بل يجعلها مرصعة باعلى الجواهر
لؤلؤا وكما يتفضل عليهم بهذا الحلي يتفضل عليهم باللباس بل يكون ذلك
التفضل اتم اذ لباسهم دائما فيها حرير ويكمل لهم معارفهم بطريق النظر و
الكشف اذ هدوا الى الطيب من القول ومن المقدمات اليقينية وهدوا
الى طريق الكشف صراط الحميد فيكمل معارفهم فزاد في التفضل عليهم فان عملوا
ان الله تعالى ان يقبل المعارف والاعمال القاصرة من المؤمنين فما باله لا يقبلها
من الكافرين قيل لهم ان الذين كفروا بالله يقبل المعارف والاعمال و
يتفضل بالجزاء ولا يقتصرون على الضلال اللازم بل يتعدى منهم اذ يصدون
عن سبيل الله في باب المعارف والاعمال وعن اجل اماكن تحصيلها المسجد

عليها سو

الحرام الذي يجتمع فيه اهل العلم واهل العلم يتعلم فيه بعضهم من بعض اذ جعلنا
للناس يذكرهم بالنسواء ما في فطرتهم اهل بلدهم وغيرهم لانه سواء العاكف المقيم
فيه والباد والاجتماع فيه انما هو لاستفادة العلم والعمل او لافادتهما فالصد
منه اعظم وجوه الظلم الموجب اشد العذاب كيف ومن يرد وان لم يعمل به فيه
بالحاد بميل لاخطاء بل بظلم نذقه شيئا من عذاب اليم فكيف لا نذيقه الصاد
عنه ومن الظلم العظيم فيه الشرك اذكر اذ بوأنا عينا لابرهيم مكان البيت
الذي بناه ادم فانطمس في عهد نوح فارسل الله ريحا كنست ما حوله شارطين
ان لا تشرك بي شيئا فمن اشرك فقد خالف الشرط الذي وضع عليه البيت فكانه
هدم البيت واي ظلم اعظم من ذلك وكيف لا تشترط ذلك والشرك نجاسة
معنوية وهي اشد من الحسية وقد امر الله بتطهيره عنها اذ قال طهر بيتي لانه لما اضيف
الي فلا بد وان يناسبني للطائفين فانه لما اشترط الطهارة في ابدانهم لمناسبتها
بهم اشترطت في محل طوافهم والمصلين القائمين بين يدي الله في الصلوة
فلا بد من مناسبتهم له والركع السجود له بالتذلل ولا يتم الا بالتطهر عما سواه والطهارة
الظاهرة معينة في ذلك كيف ويجتمع فيه الطائفون والمصلون من اطراف
العالم لذلك سوى فيه بين العاكف والباد اذ قيل اذن اعلم اعلاما عاما
في الناس بالحج بوجوبه عليهم بعدت مسافتهم او قربت ياتوك رجالا مشاة ان
قربت المسافة وان بعدت ياتوك ركبانا على كل ضامر مهزول لانهن
ياتين من كل فج عميق طريق بعيد فيستوي فيه العاكف والباد ليشهدوا منافع
لهم مواضع انتفاعهم بالعلوم والعبادة افادة واستفادة ومن اعظم المنافع
ان يذكروا اسم الله في ايام معلومات ايام النحر على ذبح ما رزقهم ملكهم من
بهيمة الانعام ليجعلوها هدايا او ضحايا فيفدوا بها نفوسهم فاذا ذبحتموها لله فانتم
وغيركم فيه سواء فان كان تطوعا فكلوا منها واطعموا البائس الذي اصابه
شدة الفقر ليعلم من ذلك ان من فديت نفسه فاستنارت بنور ربها انتفع بها من

وسائر المحتاجين الى الهداية ثم اى بعد النحر ليقضوا تفثهم وسخهم من الاحرام
بالحلق والقص والنتف والاستحداد وسكنا بعد فناء النفس يعني اخلاقها
الردية وليوفوا نذورهم وليتموا مواجب الحج وسكنا الا بد من تحصيل الاخلاق
الجميلة وذلك بالتطواف حول الحجاب الالهي لذلك قيل وليطوفوا طواف
الركن بالبيت العتيق الذي اعتقه الله من تسلط الجبابرة لبعثه من جبابرة
الاخلاق الردية ذلك المذكور وان كان لكل محرم ولكن من يعظم حرمات الله
ما حرمه الله في الاحرام او بالبلد الحرام فهو خير له من ان يهتك حرمة منها فيعطي
جزاء ما فعل ثواب ذلك الجزاء والانتهاك وان كان خيرا عند نفسه فالتعظيم
خير عند ربه واشد وجوه الانتهاك تحريم ما احل الله احلت لكم الانعام حال
الاحرام وفي البلد الحرام الا ما يتلى عليكم تحريمها بدون الاحرام فيستمر مع
الاحرام ولكن تحريم ما احل الله كفر فاجتنبوا في حال الاحرام والبلد الحرام
وغيرهما اتخاذ بحيرة او سائبة فانه يشبه الرجس من عبادة الاوثان
لان فيه اعتقاد شريك المحرم ولو لم يعتقدوا فيه الشريك فلا اقل من قول
الزور على الله اجتنبوا قول الزور على الاعتقاد فضلا عن الله تعالى مصيرا
حنفاء لله مائلين عما سواه اليه غير مشركين به من سواه بتحريم ما احل الله و
ليس هذا من الشرك الخفي بل من الشرك الجلي الذي يقال فيه ومن يشرك
بالله فكانما خر سقط من السماء لان التوحيد اعلى من السماء والشرك
اسفل من الارض فتخطفه الطير فهنا طير الشيطان خاطفة ليتلفه بالكلية
او تهوي به الريح وههنا تهوي به ريح الاهوية فتلقيه في مكان سحيق بعيد
عن مكانه الذي [illegible] ذلك اى تعظيم حرمات الله من حق الاحرام ومن
يعظم شعائر الله الهدايا التي يترك ذبحها لكونها من مكارم اموالهم منزلة
ذبح النفس فهو اعظم من تعظيم الحرمات فان تعظيمها من تعظيم الاحرام
الذي يشبه الاعمال الظاهرة واما تعظيم الشعائر فانها من تقوى القلوب

فهو وان كان من ظواهر الاعمال يشبه البواطن وليس من تعظيمها ترك الانتفاع
بها بل لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى وقت
نحرها ثم محلها حلول اجلها وصولها الى جوار البيت العتيق وذلك يدل
على ان صاحب النفس قبل فنائها ينتفع بها في العبادات وبعد الفناء
لا ينتفع بها بل يحبها فلا تفعل بنفسه شيئا ما لم يصل الى حال البقاء لكنه حينئذ
يعتق عن رقها وليس تعيين مكان الذبح من بدع هذه الامة اذ لكل امة
جعلنا منسكا مكان ذبح ليذكروا مجتمعين فيه اسم الله المفيد للتزكية على ما
رزقهم ملكهم فتعلق به قلوبهم تعلقها بنفوسهم مع كونها بهيمة الانعام فهي تشبه
النفس الامارة فذبحها بمنزلة فناء النفس وذكر اسم الله عليها منزلة بقاء
النفس بربها فاذا وصلتم الى مكان البقاء فالهكم اله واحد ليس كل منها
الها مستقلا بل عباده فاسلموا له اسلموا وبهذا الاسلام يحصل طمانينة
النفس لذلك قال وبشر المخبتين المطمئنين بالله ومع ذلك لا يبلغون درجة
الامن بل هم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لتاثرهم عنه مرهبا ثم ويوث
فيهم كل شيء لكن لا يبالون به لكونهم الصابرين على ما اصابهم ولكمال صبرهم على
العبادة لكمال عبوديتهم كانوا المقيمي الصلوة ولكمال صبرهم عن المشتهيات
مع خروجهم عن عبودية ما سواه قطعوا محبة المال حتى انهم مما رزقناهم ينفقون
في سبيل الله واولى وجوهه في هذه الايام ذبح الاضحية سيما البدن اذ
البدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلام دينه لقيامها مقام ذبح النفس
سيما لعظم قيمتها لكم فيها في ذبحها اضحية خير من المنافع الدنيوية لانها تقوية
للامارة ومنع للمطمئنة لكنها بذكر اسم الله فاذكروا اسم الله عليها فقولوا
عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك يطعنون
في لبانها صواف قائمات صففن ايديهن وارجلهن للاستشعار بان
هذا الفناء انما يعتبر لو كان مع الاستقامة لا مع الاخلال بالشرائع فاذا وجبت

سقطت جنوبها على الارض فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده والمعتر
المعترض بالسؤال وذلك للاستشعار بان النفس اذا سقطت امارتها انتفع
بها صاحبها والمهتدون وغيرهم لانتشار نورها في العالم وذلك لانها اذا تسخرت
في الافناء تسخرت للارواح والقلوب في ساير الامور كما ان البدن كما
سخرت للذبح كذلك سخرناها لكم لساير الاعمال لعلكم تشكرون نعمة تسخيرها وتسخير
انفسكم لكم بعد امارتها ثم اشار الى ان هذه الفوائد لا تحصل من الذبح ولا
من التصدق بل من التقوى فقال لن ينال الله اي قربه والبقاء به لحومها
المتصدقة ولا دماؤها المهراقة ولكن يناله التقوى منكم فانها تؤدي الى ان يتقي
دعوى الوجود لانفسها او محبة ما سواها وذلك تسخير انفسكم لله بالقياس على
تسخيرها لكم اذ كذلك سخرها لكم لتسخروا والله تسخيرها لكم وانما طلب منكم هذا التسخير
لتكبروا الله على ما هداكم من رؤية كل شيء مسخرا له وبشر المحسنين الذين يرون
تسخير كل شيء له بل لا يرون ما سواه في كل ما يرونه وانما جعل الله ذبح الاضاحي
بمنزلة ذبح النفس للدفع عنها ان الله يدافع عن الذين آمنوا لذلك لا ينبغي
لمن يسافر للحج او الغزو او لطلب العلم او الرشد ان يبالي بمن يخون في
اهله او ماله بل ينبغي ان يتوكل على الله في دفعه لانه محبوب الله وحق المحبوب ان
يدفع عن محبوبه عدوه والخائن عدوه ان الله لا يحب كل خوان يبالغ في
الخيانة حتى انه يخون احباء الله كيف وهو متصف بوصف كفور لانه يصرف
نعم الله في ايذاء احبائه فان زعموا ان الله تعالى لو دفع عن المؤمنين لدفع
عن المقاتلين قيل اذن اعلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين
يقاتلون بانهم اولى بالدفع عنهم لانهم يحق كونهم ظلموا والاولون ربما لم يحقق
الظلم عليهم وان الله على نصرهم لقدير لكنه ان لا يترك مقدوره سيما وقد ظلموا
من اجله لانهم الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق بغير سبب موجب حقيته الا
ان يقولوا ربنا الله فانه لو صح موجبا لكان اخراجهم بحق وكيف لا ينصرهم وقد

اقتضت الحكمة نصرهم فانه لولا دفع الله الناس بعضهم اى الكافرين ببعض اى
المؤمنين لهدمت خربت باستيلاء الكافرين صوامع للرهبان وبيع للنصارى
وصلوات كنائس لليهود ومساجد للمسلمين وكيف لا يدفع عنها وهى مبنية
لاجله اذ يذكر فيها اسم الله كثيرا فاقتضت الحكمة ان يكون محل عنايته وكيف لا
ينصرهم وقد اقسم لينصرن الله من ينصره اى حزبه فلو لم ينصره ربما
لم يبالوا بالجزاء كيف ولا مانع له ان الله لقوى على نصره لانه عزيز لا يمانعه
شئ ولذلك سلط المؤمنين على صناديد العرب والاكاسرة والقياصرة وكيف
لا ينصرهم مع انهم الذين ان مكناهم التصرف فى الارض اقاموا الصلوة الشاغلة
للقلوب والالسن والجوارح بذكر الله والتذلل له عن محبة الغير وللاحتراز
عن محبة الغير آتوا الزكوة التى هى قنطرة الاسلام وامروا بالمعروف الذى
يرضاه الله لانه المرغب فيه ونهوا عن المنكر الذى يكرهه الله لان الحاجب
عنه ولو لم يحصل هذا اولا فلا بد ان يكون هذا من المتقى اذ لله عاقبة الامور
فلا بد ان يرجع اخرا من يرجع جانبه اولا وان يكذبوك فى ان الله ينصر
المؤمنين البتة ولو آخر الامر فهذه سنته فى مكذبى الامم الماضية والمقاتلة
اولى فقد كذبت قبلهم قوم نوح فنصر عليهم باغراقهم وعاد نصر عليهم هود باهلاكهم
بالريح العقيم وثمود نصر عليهم صالح باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم هود وقوم
صالح لان العلم الخاص اتم احضارا فى الذهن وقوم ابرهيم نصر عليهم باهلاكهم
بالبعوض وبابطال كيدهم بجعل نارهم بردا وسلاما عليه وقوم لوط نصر عليهم بجعل
قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم واصحاب مدين نصر
عليهم شعيب باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم شعيب لانه قوم اخر من اصحاب الايكة
لكن هؤلاء انتهى فذكروا فى محل النزاع وكذب موسى كذبه فرعون وقومه فاغرقوا
وقارون وقومه خسف بهم ولم يقل قوم موسى لانهم بنو اسرائيل ولم يكذبه اكثرهم
فامليت امهلت للكافرين ليتفكروا فى امرهم وتزدادوا عنادا بالاصرار على كفرهم

لكن هذا الامهال يشبه النصر لهم اولا ثم اذا انحسمت الحجة عليهم وطال اصرارهم على الكفر والمعاصي
اخذتهم اخذا شديدا فكيف كان نكير انكارى عليهم فهل كان نصرا للانبياء ام لا
وان زعموا ان ذلك لا يدل على ان منتهى امر المؤمنين النصر البتة لجواز ان يعود
الامر للمنتصر عليهم من الكفرة قيل لهم فكاين فكم من قرية اهلكناها وهى ظالمة
اى اهلها فهى خاوية ساقطة على عروشها سقوفها سقطت اولا ثم سقطت عليها الجدران
وبقى كذلك الى يومنا هذا فلو انتصروا بعدها بقى كذلك وان زعموا انه يكفى
من نصرتهم انه بقى لهم ذرية بعدهم قيل لهم كاين من بئر معطلة اى متروكة لا يستقى
منها لهلاك اهلها بالكلية وقصر مشيد مجصص خلا عن الساكن قيل من جملة
ذلك بئر بسفح جبل حضرموت وقصر بقلته لبعض من قوم حنظلة بن صفوان
عليه السلام لما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما أينكرون ذلك لعدم رؤيتهم لها
فلم يسيروا فى الارض ليروا تلك القرى والآبار والقصور فتكون لهم قلوب
يعقلون بها انها انما اهلكت لظلم اهلها او آذان يسمعون بها ان اهلاكهم كان
لظلمهم فانهم اذا لم يرضوا بما تواتر من اخبارهم يحقق لهم ذلك بالابصار فانها
اى القصة لا تعمى الابصار ولكن انما لا تعرفون بان ذلك لظلمهم لانها تعمى
القلوب لا كلها بل التى فى الصدور اى الجهات التى تلى النفس اذ لا توجه
الى الارواح فتستنير بانوارها فتبصر الامور الغيبية والحقائق الالهية والاخروية
ومن عمى قلوبهم لا يقتصرون على ترك اعتبار سنة الله فى نصر الانبياء والمؤمنين
باهلاك اعدائهم بل يستعجلونك بالكل الرسل بالعذاب الذى وعدهم الله
على لسانك ولن يخلف الله وعده لئلا يلزم نقيصة الكذب فى صفة كلامه ولا
يعجله ههنا لان ايام الدنيا قصيرة متناهية وايام الآخرة طوال غير متناهية
وان يوما عند ربك فى الآخرة كالف سنة لا باعتبار شدة العذاب يجوز ان
يكون مما تعدون وامهاله الى تلك المدة دليل الاعجال فانه كاين كم من قرية
امليت امهلت لها وهى ظالمة ليزداد ظلمها ثم اخذتها ولا يعفى بالامهال

اذ الى المصير فان زعموا انه تخويف محض قل يا ايها الناس الذين نسوا مقصود
البعثة وهو الانذار لتخليص الخائف واسلاك الآمن انما انا لكم نذير مبين
باقامة الدلائل ورفع الشبه فذلك الانذار لابد وان يكون محققا كيف والانذار
انما يتم بالابقاء بما يترتب عليه فالذين آمنوا صدقوا بهذا الانذار واعتقدوا
ابقاءه لذلك وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما خافوا من كفرهم ومعاصيهم
ورزق كريم جزاء على ايمانهم واعمالهم والذين لم يصدقوا بهذا الانذار بل
سعوا في ابطال آياتنا الدالة على وقوعه معاجزين قاصدين تعجيز الله عن
اقامة الآيات على ذلك اولئك البعداء عن مقصود البعثة اصحاب الجحيم
ملازموها لا مغفرة لهم ولا رزق كريم ابدا كيف والسعي في ابطال آيات الله ليس
دون فعل الشيطان بالتخليط في الوحي الالهي مثل ما روي انه صلى الله
عليه وسلم لما رأى اعراض قومه تمنى ان يأتيه من الله ما يقاربهم فانزل الله تعالى
سورة النجم فقرأها صلى الله عليه وسلم على قريش حتى بلغ افرأيتم اللات و
العزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في اسماع الحاضرين واوهم
انه جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها
الشفاعة ترتجى فلم يعلم صلى الله عليه وسلم بذلك لاستغراقه في امنيته ففرح
بذلك قريش وسجد الكل في آخر السورة فاتاه جبريل عليه السلام وقال
يا محمد ماذا صنعت لقد بلغت ما لم آتك به من الله فحزن عليه حزنا شديدا وخاف
خوفا عظيما فانزل الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول صاحب
شرع خاص ولا نبي بعث للدعوة الى شرعه او شرع غيره الا اذا تمنى ان ينزل
الله ما يقارب المصرين على الضلال القى الشيطان في اسماع الحاضرين كلاما
يوهم انه كلام النبي او الرسول ولا يعلم بذلك لكونه في امنيته ولا يبطل بهذا
الثقة بكلامه لان الله تعالى يظهره فينسخ الله يذهب ما يلقي الشيطان ثم لا يترك
احتمال ذلك في بقية كلامه سيما في الكلام المعجز اذ يحكم الله آياته باظهار الفرق

بين كلامه وكلام الشيطان وكيف لا ينسخ ولا يحكم والله عليم بما في ترك النسخ
والاحكام من الاخلال بمقصود البعثة حكيم لا يترك الخلل ولا يخل بعلمه
وحكمه بتمكين الشيطان من الالقاء فانه مكنه ليجعل ما يلقي الشيطان من كلامه
على اسماع الحاضرين موهما انه كلام الرسول او النبي فتنة للذين في قلوبهم مرض
فلا يقدرون على التمييز بين كلام الشيطان وبين كلام الرسول او النبي ولو امكن
معالجتهم فلا يمكن معالجة القاسية قلوبهم لان مرضهم مزمن وان الظالمين القا
لفي
بانه يرجع الى الحق الذي هم عليه ثم يدعم لفي شقاق خلاف للحق بعيد عن موافقته
جدا لانهم جعلوا الشر خيرا والخير شرا وجعلوا شركاء الحق شفعاء عنده وليعلم
الذين اوتوا العلم فعلموا ما هو الرشد وما هو الغي في نفسه انه اي ما احكم منه هو
الحق من ربك دون ما نسخه من كلام الشيطان فيؤمنوا به ليميزوه من كلام
الشيطان تميزا تاما فتخبت له تطمئن قلوبهم والمؤمنون وان لم يكن لهم هذا
التمييز قبل ذلك لكن يحصل لهم بعد النسخ والاحكام ان الله لهادي الذين
آمنوا باطلاعهم على هذه الوسائط الفاضلة والاطراف الردية على السن الرسل
الى صراط مستقيم فيتم تمييزهم بنور الايمان بهم ولا يزال الذين كفروا بالرسل
وان لم يزالوا مبالغين في بيان الصراط المستقيم في مرية منه بان كلامهم
ملتبس بكلام الشيطان حتى تأتيهم الساعة الكاشفة لهم عن الخير والشر بغتة
او يأتيهم عذاب يوم عقيم لا يعقبه خير وهو يوم الموت فانهم وان لم يكن
لهم فيه عن ذلك يضطرون الى معرفة انهم كانوا على محض الشر وهم وان تميز لهم
الشر والخير فلا يقدرون على تحصيل الخير ودفع الشر الآن اذ لا يملكون لانفسهم
شيئا اذ الملك يومئذ لله وهو وان كان له دائما لكنه يحكم بينهم بمقتضى ما توهموا ملكه
قبل ذلك فالذين آمنوا باحكام آيات الله ونسخ ما القاه الشيطان وعملوا
الصالحات بمقتضى الآيات المحكمة في جنات النعيم لتنعمهم بتوابيد كلام الله
ومثبتات الاعمال الصالحة والذين كفروا واعتقدوا الشر خيرا والخير شرا

وكذبوا باياتنا باختلاطها بكلام الشيطان بعد احكامها فاولئك لهم عذاب
مهين لاهانتهم ايات الله وخروجهم عن الانسانية الى البهيمية ومن العذاب
المهين لهم اعزاز اعدائهم بضد اهانتهم فان الذين هاجروا في سبيل
الله اذ اخرجهم الكفار من ديارهم واموالهم ثم قتلوا اذ جاهدوهم او ماتوا
بلا جهاد ليرزقنهم الله بدل اموالهم رزقا حسنا يستحسنه اهل النعيم لفضله
على ارزاقهم وان الله لهو خير الرازقين فهو اولى بان يجعل جزاء رزقه لمن
ترك رزقه لاتيان سبيله ومما يفضل به رزقهم انه ليدخلنهم لاكله مدخلا من النعيم
يرضونه لفضله على مداخله فيجعله بدل ديارهم ولا يبعد من الله ذلك ان الله
لعليم بما عملوا فيه ومقتضاه ان يجعل ما وعدهم به وان يجعل عقوبة من عاداهم
لكنه حليم اخر ذلك لانه حليم لتكميل صبر هولاء واصرار اعدائهم ذلك الرزق
وادخال المداخل الكريم لمن لم يعاقب الظالم ومن عاقبه بمثل معاقبته
ولم يبغ عليه الظالم مرة اخرى تقاص جنايتهما ومن عاقب ظالمه بمثل ما عوقب به
اي بمقدار ظلمه ثم بغي عليه اي تعدى عليه الظالم ثانيا لينصرنه الله من غير ان ينظر
الى معاقبته ان الله لعفو متجاوز عنها لتقاص الجنايتين الاولين وان كان
الظالم اعز منه فالهتك فيه اشد لكنه معفو عنه بالنسبة الى المظلوم اذ الله
غفور لشدته ذلك الغفران بان الله يولج ظلمة الشدة من المظلوم في ضوء
اقتصاصه وضوء الشدة على الظالم في ظلمة بغيه كما انه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وان الله سميع لما قصده المظلوم من الاقتصاص دون
الشدة بصير ببغي الظالم عليه فانه يجعل الشدة عليه بالكلية سيما اذا كان ظلمه لتوحيد
المظلوم واشراك الظالم ذلك الايلاج لكمال مظلومية المظلوم لتوحيده وظالمية
الظالم لشركه بان الله هو الحق فالظلم على المظلوم فيه اشد حقيقة وان ما يدعون
من دونه هو الباطل فالشدة على من ظلم من اجله ليست بشدة بالحقيقة
ولم يكن الله هو الحق وما يدعون من دونه هو الباطل فلا شك ان الله هو

العلي الكبير فالظلم على من ظلم لاجله اعلى والشدة على الظالم لاجل الباطل حقير
وكيف لا ينصر المظلوم من اجله مع ان حق من كان معه ان يعلو على غيره ويعظم
قدره على قدره فان زعموا ان الله لا يبالي بالمظلوم لحقارته فكيف يعتني بنصره اجيبوا
بان غاية حقارة المظلوم ان تكون كالارض الميتة والله تعالى يعتني بها الم تر
ان الله انزل من السماء ماء اعتناء بالارض الميتة فتصبح الارض مخضرة
فلا يبعد ان يعتني بنصر المظلوم من اجله فيجعله مخضرا بعدما اماته بالحقارة و
حقارته استعدادا تاما من النصر لان الاستعداد امر خفي لا يطلع عليه الا
الله ان الله لطيف يدرك الخفيات لانه خبير يطلع على البواطن ولا يحتاج
في نصره الى تحقق سببه عنده اذ له ما في السموات وما في الارض فله ان يستعمل
اي سبب من السماء والارض في نصره كيف ولا حاجة له الى السبب ان الله لهو
الغني ولا يتوقف حمده على استعمال السبب لانه الحميد بكل حال ولا مانع من
نصره اذ كل ما فرض مانعا فهو مسخر له بل يجوز ان يجعله مسخرا لمن يريد نصره الم تر
ان الله سخر لكم ما في الارض وسخر لكم البحر حتى ان الفلك تجري في البحر بامره
لمنافعكم وكيف يمنعه مانع ولم يمنعه ثقل السماء من امساكها اذ يمسك السماء
كرامة ان تقع على الارض بل لا ثقل لثقلها بدونه ولو خليت بحالها لم تقع الآباد
لكنه لا باذن لرافته ان الله بالناس لرؤوف تحقه ان يتوكل عليه لا على الاسباب
يرحمهم برحمة لانه رحيم ولا يخل برافته ورحمته امانته بل هو الذي باعتبار
رافته ورحمته احياكم ليعتبركم بالمحسوسات التي يستنبط منها المعقولات ثم
يميتكم ليكمل لكم فوائد المعقولات بكمال التجرد ثم يحييكم ليجمع لكم بين كمال فوائد
المحسوسات والمعقولات فالاحياء الثاني المرتب على الموت من كمال الرافة
والرحمة يوجبان وجوه الشكر لكن الانسان يكفره فكانه يكفر بالجميع ان الانسان
لكفور ولترتب اكمل الحيوة على الموت لكل امة جعلنا منسكا تشبه موت الغنم
ويفيد ما يشبه فوائد الحيوة الاخروية من المكاشفات هم لعلمهم بتلك الفوائد

ناسكوه وان كرهوا الموت واذا كوشف لهم بهذا النسك فوايد تلك الحيوة

فلا تنازعنك في الامر امر مكاشفة الامور الاخروية وادع لتحصيل تلك الفوائد

لهم الى ربك المفيد لهم اياها بكمال امدادك انك لعلى هدى مستقيم وان

جادلوك فزعموا ان امدادك يخالف امداد من قبلك فقل الله اعلم بما تعملون

اى بمصالح اعمالكم فى كل وقت فيامركم فيه بما هو اصلح لكم فان اصررتم على ان المصالح

كلها فى اعمالكم الله يحكم بينكم اذ يعذبكم على خطاياكم يوم القيمة فانه الفاصل فيما كنتم

فيه تختلفون وقد خالفتم من قبلكم من الامم فان زعموا ان الاحكام ازلية لا تقبل

التغير كالتغير فى العلم بالحوادث اليومية فقل الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء

والارض من اختلاف الاوضاع والاكوان وقد اقتضت اختلاف الاحكام

ايضا وليس ذلك بطريق البداء بل ان ذلك فى كتاب هو اللوح المحفوظ

الاخذ عن القلم الاعلى عن العلم الالهى فيجوز ان يحكم فى الازل بوجوب

شئ فى عهد موسى عليه السلام وحرمته فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وكتب

كذلك ان ذلك على الله يسير اذ لا تغير لحكمه ولا لعلمه بل المتغير النسب والاضافات

ثم انهم يمنعون النسخ والتبديل من الله ويجوزونه من احبارهم وهم فى

ذلك يعبدون من دون الله اذ يقبلون منهم ما لم ينزل به سلطانا نصا جليا

وما ليس لهم به علم بطريق الاستدلال بل انما بدلوه ظلما وما للظالمين من

نصير من سنة مصلحة او ضرورة واذا تتلى عليهم اياتنا الناسخة لبعض احكامهم

بينات لا يشك فى كونها ايات ولا لموافقتها لمصالح الزمان تعرف فى وجوه

الذين كفروا الوصف المنكر لغاية انكارهم لها بحيث يكادون لغرورهم يسطون

يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار غاية الشر

بشر من ذلكم هو النار على انكارها اذ هو كفر وقد وعدها الله الذين كفروا

ولو بالايات الناسخة وبئس المصير فى حق الكل حتى منكر الناسخة وكيف لا

بعدها من امان الله غاية الاهانة وكيف لا يجعلها بئس المصير لمن صبره

لح

٢٧٧

مصير الاحجار يا ايها الناس الذين نسوا عظمة الالهية فنسبوها الى الاحجار اشباء

استهانة ضرب بلسان هوان احجاركم مثل نوع منه غريب فاستمعوا له بجد

ليستقر فى قلوبكم ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا لكم اولادا وارزاقا

وتعبدونكم انواع العوايد لن يخلقوا من غاية عجزهم احقر الاشياء ذبابا ولو

اجتمعوا لعين بعضهم بعضا له وقد بلغ عجزهم الى حيث ان يسلبهم الذباب شيئا

وضع بين ايديهم ولطخ به وجوههم لا يستنقذوه منه لعجزهم عنه فظهر من هذا

المثل انه ضعف الطالب منهم عقلا والمطلوب حصولا كما انه ضعف طالب

هذا السلب والمطلوب الذى هو السلب وتبين من هذا ان الذى جعلوهم

شركاء الحق ما قدروا الله ما عرفوا مقدار وحق قدره ان الله لقوى اذ لا الهية

بدون القوة الكاملة كيف والعجز مهانة والله تعالى عزيز فاذا اهانوه بهذه الاهانة

غضب عليهم غضبا توقد عليهم النار التى هى بئس المصير ثم انكم لو طلبتم من الله

نبيا واستقصرتم انفسكم فتوسلوا بملائكة اذ الله يصطفى من الملائكة المكرمين

رسلا فيهديكم اكراما وان قدمتم مناسبتكم فتوسلوا برسل الناس واوليائهم اذ

الله يصطفى من الناس رسلا واولياء فاذا توسلتم بهم ان الله سميع لدعائكم

الذى توسلتم فيه بما بين اصطفائه لكنه بصير لا يستجيب ما يرى فيه اثما او ضررا للداعى

فان زعموا انهم انما يعتقدون الاصنام لانهم الملائكة او الرسل او الاولياء فقل

لهم لمن ان جعلتموه الهة مع انه لا الهية لمن هى صورهم اذ يحفظ بجهاتهم من

حيث يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والافعال الشاقة التى تظهر عليهم لا تدل

على الهيتهم اذ ليست لهم بل الى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا ان تتوسلوا بالملائكة

والاولياء انما انتم توسلكم لو فعلتم ما جاءتكم به الرسل مما يقربكم الى الله اركعوا اجلالا

لعظمة الله واسجدوا مبالغة فى التذلل واعبدوا فى ذلك ربكم فلا تجعلوه وسيلة

لما سواه وافعلوا الخير وراء العبادة لعلكم تفلحون بمطالبكم التى تتوسلون

فيها بالملائكة والرسل والاولياء ولو طمعتم فى اصطفائكم بحيث تتوسل بكم غيركم

جاهدوا انفسكم فی معرفة الله وعبادته واخلاقه ومقامات قربه واحواله
حق جهاده الذی امر به علی السن رسله واولیائه ولا بعد ان یصطفیکم بذلک
اذ هو اجتباکم للاسلام وکیف لا یصطفیکم بالجهاد وفیه من الحرج ما فیه وقد اجتبا کم
بدین الاسلام وما جعل علیکم فی الدین من حرج وانما اجتباکم به بدون الحرج لکونه
ملة ابیکم ابرهیم وهو ان لم یسم الیوم اسلاما هو سماکم المسلمین من قبل اذ قال
ربنا واجعلنا مسلمین لک ومن ذریتنا امة مسلمة لک فاتبعوه فی اصل الدین وفی
هذا الجهاد لتبلغوا غایة الکمال الذی به الاصطفاء الموجب مناسبة الرسل
لیکون الرسول شهیدا علیکم اذ یختص بمکاشفة احوالکم دون غیره وتکونوا شهداء
علی الناس اذ یکاشف لکم عن احوالهم وهذا الجهاد انما یتم بالافعال الظاهرة
مع الاعتصام بالله فاقیموا الصلوة مع کمال الحضور والخشوع وآتوا الزکوة
للتطهر عن حب المال واعتصموا بالله فلا تعتمدوا شیئا من الاعمال الظاهرة و
الباطنة بدون الاستمداد منه هو مولیکم الذی یتولی امرکم عند ذلک ومن
کان الله مولاه فنعم المولی مولاه کیف وهو ینصره فی کل مقام فهو نعم النصیر
فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمین والصلوة والسلام علی
سید المرسلین محمد واله اجمعین **سورة المؤمنون** سمیت بهم
لاشتمالها علی جلائل اوصافهم ونتائجها فی اوائلها وفی قوله ان الذین هم من خشیة
ربهم مشفقون الی قوله سابقون بسم الله المتجلی
بجمعیته فی المؤمنین الرحمن بافاضة وصف الایمان علیهم الرحیم بافاضة
سائر اوصافهم ونتائجها قد افلح ای فاز بغایة الکمال المؤمنون اذ استکملوا
الایمان بالصلوة والصلوة بالخشوع فصاروا هم الذین هم فی صلوتهم خاشعون
والخشوع التذلل مع الخوف والزام الابصار المساجد وانما تم لهم الخشوع
لانهم الذین هم عن اللغو ما لا یعنیهم معرضون لاستغراقهم فی الجذبة من عبادة
الله تعالی وذکره وانما یتیسر لهم الاعراض لانهم الذین هم للزکوة ای تطهیر

النفس

النفس عن رذیلة حب المال فاعلون ومن آثار تلک الطهارة هم الذین
هم لفروجهم حافظون فلا یطلقونها علی امراة الا علی ازواجهم او
ما ملکت ایمانهم فانهم لکونهم اصحاب العفة المتوسطة بین افراط الزنا واللواط
واتیان البهیمة وتفریط العنة غیر ملومین وان بالغوا فی الاطلاق علیهن
واذا انعطفت ضرورة النفس بالازواج والاماء فمن ابتغی وراء ذلک
ای طلب الزیادة علیها بالزنا واخواتها فاولئک هم العادون فلم یکن
اصل العفة اصل العدوان وان دخلوا فی اللوم کیف وقد خانوا امانة
النطفة وخالفوا عهد جعلها بذرا مع ان المؤمنین هم الذین هم لاماناتهم
وعهدهم راعون اذ بدون رعایتهما یکون مضیعا للصلوة بجعلها للمطلومین
والمؤمنون هم الذین هم علی صلواتهم یحافظون وانما افلح اولئک
الجامعون لهذه الاوصاف اذ هم الوارثون عن الکفار اماکنهم فی
الجنان ویفرض اعلی الاماکن بفرض علوهم فی الصلاح فهم الذین یرثون
الفردوس ولا یورث منهم اذ هم فیها خالدون ولا بعد ان یحصل
للانسان بهذه الاطوار المعنویة رتبة وراثة الفردوس وقد حصل له
بالاطوار الحسیة رتبة الانسانیة قال الله لقد خلقنا الانسان ای ابتدانا
خلقه من سلالة ای خلاصة من طین تراب خلط بماء فصار نباتا
فاکله انسان فصار دما ثم جعلناه بالتصفیة نطفة فجعلناه الی رحم المراة
فرکناه فی قرار ای مستقر مکین یتمکن فیه النفس من التصرف فیها ثم بعد
انضمام دم الطمث الیها خلقنا النطفة علقة بالاستحالة من بیاض الی حمرة
فخلقنا العلقة بتصلیبها مضغة قطعة لحم بقدر ما یمضغ فخلقنا المضغة
عظاما ثم زید التصلیب فکسونا بالحاق دم الطمث العظام لحما یسترها
ثم بعد کمال الصورة والمزاج انشاناه خلقا آخر هو خلق الانسانیة
بنفخ الروح فالایمان سلالة عنصر القرب والصلوة بذر المقامات والاحوال

والاعراض عن اللغو بحيل صفات البشرية بما يناسب صفات الحق كالعلقة
وفعل الزكوة يفيد تشبه كالمضغة ومحافظة الفروج تزيد تشبه كالعظام
ورعاية الامانة والعهد الكاملة تمنع وصول اذية بكسر منع القوة كاللحم ومحافظة
الصلوة كالروح فلا بعد ان يورث مراتب الفردوس فتبارك الله
اى تعاظم قدرة وحكمه وتصرفا احسن الخالقين لو تقدر غيره خالقا ثم
انكم بعد ذلك اى بعد تحصيل من الكمالات الحسية والمعنوية لميتون و
الحكيم لا يترك ما استكمله بانواع لذلك ثم انكم يوم القيمة لعند رب
العالمين تبعثون فلا بعد ان يبعثكم الى تلك المراتب العالية التى تتوهمها
من اعدائكم لو رجعوا اليه باعمالكم وانما جعلنا الاعمال المفيدة للفلاح
سبعا كالاطوار المفيدة للارواح لانا لقد خلقنا فوقكم للفيض عليكم سبع
سموات طرائق لصعود الاعمال ونزول الفيض كيف وليس ذلك
يحصل لنا العلم بالاعمال والفيوض لانا ما كنا عن الخلق غافلين يدل
على كونها للفيض انا انزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ليدوم
الانتفاع به ليتموا شكرنا وان تركوه انا على ذهاب به باغواره او اصعاده
لقادرون ولكن مع ترك الشكر بما نريهم انعاما ليزدادوا كفرانا
فنريهم انعاما على انه لا تخلو الارض من شاكر فانشانا لكم ايها الشاكرون
به جنات من نخيل واعناب ليعلموا انه يحصل لكم من فيض الاعمال مقامات
واحوال لكم فيها اى فى تلك الجنات فواكه كثيرة من الرطب والتمر والبسر و
العنب والزبيب ليعلموا انه يحصل من المقامات والاحوال علوم واخلاق
ثم ان منها ما يفيد مجرد التلذذ ومنها ما يفيد معه الحظ ومنها تاكلون ليعلموا
ان من الاعمال ما يفيد التلذذ بالالطاف الالهية ومنها ما يفيد الحظ ولا بعد
ان يحصل من عمل واحد فوائد كثيرة اذا كان رفيع القدر طيب المنبت فانا قد
انشانا لكم شجرة هى الزيتون تخرج فى الاصل من طور سيناء اى من جبل

رفيع من السناء وهو الرفعة او منسوب من السنا بالقصر وهو النور تنبت بالدهن
المشتعل للسراج وصبغ اى وباداام يغمس فيه الخبز للآكلين وكذلك يحصل
من عمل واحد تنور الباطن وتقوية الظاهر ولا بعد انقلاب العمل
الشاق لذة وانقلاب التذلل فيه اكراما فانه كانقلاب العلف فى بطن الحيوان
لبنا ان لكم فى الانعام لعبرة تعبرون بها الى الاعمال نسقيكم مما فى بطونها
كذلك نعطيكم اللذة الباطنة من الاعمال الشاقة فى الظاهر ولكم فيها منافع
كثيرة من نتاجها وشعورها ولحومها اذ منها تاكلون كذلك يحصل لكم من الاعمال
ما ينتج عليكم الاحوال ويصونكم من البلايا ويقويكم على تحمل الشدائد والاعمال
الظاهرة كالانعام اذ عليها تحملون فى بر الشريعة الظاهرة الى الله تعالى و
الاعمال الباطنة كالفلك اذ على الفلك تحملون اذ الاعتقادات وساير
المساعى الباطنة تحمل الانسان فى بحر الحقيقة الباطنة ولقد ارسلنا نوحا
للحمل على فلك الاعتقادات الصحيحة الى قومه غرقى بحر الضلال فقال يا قوم
الذين يجب على حملهم على فلك النجاة اعبدوا الله بالاعتقاد الصحيح فيه سيما
اعتقاد التوحيد لانه ما لكم من اله غيره اتخذون غيره الها او يعتقدون
فيه ما ليس عليه فلا تتقون ان يغرقكم فى بحر العذاب فقال الملأ اى
الاشراف لا بالدين بل بالدنيا الحاجبة عن الله فهم الذين كفروا وان كانوا من قومه
حثهم ان تخرقوا حجاب الكفر لحرمة ما هذا الداعى الى الله بدعوى الرسالة
منه الا بشر وكل بشر فهو مثلكم ولا يفضل احد المثلين الاخر بمزيد علم بالله
او غيره بل غايته انه يريد ان يتفضل عليكم بدعوى الرسالة ومزيد العلم
بالله والقرب من الله وان كان فاضلا فليس برسول اذ لم ينزل من
مكان المرسل وهو السماء ولو شاء الله ارسال رسول لانزل من سمائه
ملئكة ولو ارسل من اهل الارض اليهم لكان ذلك سنة مستمرة ولكن ما سمعنا
بهذا فى ابائنا الاولين وهو فى زعمه انه باتيه الملك من الله ان هو اى ما هو

التكميل صح

بالدين بل صح

الا رجل به جنة اى خبال فتربصوا به اى فانتظروا نزول جنونه حتى حين
قال رب انصرنى باهلاكهم بما كذبون اى بسبب تكذيبهم حججى وآياتى فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا لتنجو من اهلاكهم بالغرق اذ لم يركبوا سفن النجاة
التى كانت باوامرنا على لسانك لهم ووحينا اليك فاذا جاء امرنا باغراقهم
وفار اى نبع التنور الذى شبه مجمع نيران اسبابهم فاسلك اى فادخل فيها
من كل زوجين اى حيوانين مختلفين بالذكورة والانوثة اثنين لا ازيد
لئلا تضيق السفينة عن بعض الاصناف ولا انقص لئلا ينقطع بعض الاصناف
بالكلية واهلك وليحملهم من آمن وفيه اشارة الى انه لا بد من حمل الروح
والقلب والسر والخفى على سفينة النجاة فى بحر الحقيقة بمراعاة النفس واولادها
من الصفات الذميمة غير محمولة ولا تخاطبنى فى شفاعة الذين ظلموا وان
غلبتك الشفقة عليهم عند رؤية هلاكهم انهم مغرقون فى بحر الهلاك كما
غرقوا فى بحر الضلال فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اى
فلك النجاة وفلك الاعتقادات الصحيحة فقل تنبيها للتعجب بصنعك وعملك
الحمد لله الذى نجانا من هلاك القوم الظالمين وشبهاتهم وليس لك ان
تدوم على السفينة الظاهرة بعد ذهاب الطوفان بل استدم ركوب
الباطنة منك وفى الظاهرة قل رب انزلنى من السفينة الظاهرة منزلا
مباركا كما تكرر فيه الخير فتكون سفينة باطنة واولى المنازل المباركة منزل
قربك انت خير المنزلين لمن انزلته منزل قربك ان فى ذلك لايات اى
ان فيما عمل بنوح وقومه واهله دلائل على ان الاعتقادات الصحيحة فلك النجاة
عن بحر العذاب والاعراض عنها مغرق وان متابعة اهل النجاة تفيد النجاة
دون قومه وتدل على اعتبار هذه الدلالات اخبارنا بعدها بما اخبرنا به
قومه ان كنا اى انا كنا لمبتلين ثم انشأنا للابتلاء من بعدهم ليعلموا ان
ابتلاءهم مثل ابتلائهم قرنا آخرين هم ثمود لنحملهم على دوام اعمال حمل

الشريعة الا من سبق عليه القول منهم من الله باهلاكه كامرأته وولده كنعان وفيه اشارة الى ان صح

الاولين على فلك الاعتقادات فارسلنا فيهم رسولا منهم هو صالح صاحب
الناقة فلما لم تذكر بها لعدم كونها مركوبة لاحد لم يسم صاحبها ان اعبدوا الله
بالاعمال الظاهرة لتصلوا اليه على احسن الوجوه مع انه لا بد من الوصول
اليه لانه ما لكم من اله غيره يصلون اليه بدله اتعتقدون انكم لا تردون اليه
فلا تتقون انكم اذا وصلتم اليه مدبرين عنه كان ردكم اليه كرد العبد
الآبق قهرا الى مولاه فكفروا به وقال الملأ اى الاشراف الذين تبعهم من دونهم
من قومه الذين كفروا استكبارا عليه فاذا استكبر التابعون فالمتبوعون اشد
وكذبوا بلقاء الآخرة الذى يعمل له تلك الاعمال لا لدليل على امتناعه ولكن
لعدم نظرهم فيه اذ اترفناهم اى انعمناهم بما يغرقهم فى اشغال الحيوة الدنيا
ما هذا الذى يزعم انه يسيركم الى الله الا بشر مثلكم لا امتياز له عليكم فى شئ من خواص
البشرية حتى يلحق الملائكة لانه يأكل مما تأكلون منه لا من عالم الملكوت ويشرب
مما تشربون فلا يخالف عادة الآكلين ولئن اطعتم فى ركوب ظهر الاعمال
بشرا مثلكم يامركم به انكم اذا لخاسرون عزة انفسكم بالتذلل لامثالكم ولذات
شهواتكم ولا يجبر بما يعدكم فى الآخرة لانه امر مستبعد ايعدكم انكم اذا متم وبعدتم
عن قبول الحيوة اذ كنتم ترابا ولو لم يصر كلكم ترابا فلا اقل من ان يبقى بعضكم
عظاما وهى اصلب من التراب فهى ابعد من قبول الحيوة انكم مخرجون من
قبوركم مع ان الحى لو قبر لا يمكنه الخروج عنه واذا كان هذه الامور موانع
هيهات هيهات اى البعد كل البعد لما توعدون من العذاب والثواب
بعدها ولو حصلت حيوة ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى بطريق التناسخ
وسوا ان كان جائزا فبعث القيمة محال وما نحن بمبعوثين بالخروج من القبر لانه
خلاف العادة المستمرة ان اخبر بذلك عن الله ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا وان اتى بدلائل صدقه وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى باهلاكهم
بما كذبون فى اتيانى قال انهم وان لم يهلكوا الآن لكن عما اى عن زمن

الاولين

قليل ليصبحن اى ليصيرن نادمين على تكذيبهم ندما دائما بدوام العذاب
عليهم فاخذتهم الصيحة اى احاطت بهم بالحق فجعلناهم بتلك الصيحة لشربها
عناصرهم غثاء اى نباتا يابسا لبعدهم عن رطب فيض اللطف الالهى فبعدا
للقوم الظالمين برد ذلك الفيض عنهم ثم لم نترك الابتلاء بل انشانا من
بعدهم للابتلاء بركوب افلاك الاعتقادات وظهور دواب الاعمال قرونا
آخرين لم نذكر الرسل فيهما اذ لم يكن فيهم صاحب سفينة ولا دابة واجلنا لكل
امة اجلا للعلم بدلائل الاعتقادات وكيفيتها وهم وان امهلوا ذلك لم نستعجل
بعقابهم ما تسبق من امة اجلها انما ما للحجة عليها وما يستاخرون لانه لتشبه
الاعمال ولكن تخللت المدة بين كل قومين من هولاء ثم ارسلنا الى امم بعدهم
رسلنا تترى كل واحد عقيب الاخر بلا تخلل مدة لئلا ينسى عهد السابق
فلم يبال المتاخرون قرب هلاك المتقدمين بل كلما جاء امة رسولها
كذبوه ولم نترك مقتضى ابتلائهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك ولم
نجعلهم منسيين بل جعلناهم احاديث لكنهم بعدوا عن اعتبارها فاسلكوا
بالابعاد عن اللطف فبعدا لقوم لا يؤمنون بتلك الاحاديث المتواترة
المتكاثرة ثم بعد ارسال الرسل المتعاقبين بلا تخلل مدة ارسلنا على سبيل
المعية موسى واخاه ليتايدا مرون بهما معا وان لم يكن لهما فى الظاهر سفينة
ولا دابة لكن كثر لهم السفن المعنوية اذ كان ارسالهما بآياتنا اى معجزاتنا
الباهرة وسلطان مبين حجة ظاهرة الى فرعون وملائه ليركبوا سفن الاعتقادات
الصحيحة فاستكبروا على المعتقد فيه فلم يبالوا بصحيح الاعتقاد فيه وفاسده واغتروا
فى ذلك بانهم كانوا قوما عالين فزادوا اعتقاد الالهية الله تعالى نزولا لاستماع قول
رسله فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا فى البشرية ودونا فى الرتبة اذ قومهما
لنا عابدون فكان ايماننا بهم انقياد المعبود للعابد وكان هذا اعتقادا
لهم الى تكذيبهما فكذبوهما مع ظهور صدقهما فكانوا باستهانة الله واستهانة

من عظم باياته وحجج واستبعادهم من المهلكين فى بحر قلزم او النيل
لعدم ركوبهم سفينة النجاة المعنوية وانقطاع طريق البر عليهم لوقوعهم فى بحر
فساد الاعتقاد المانع من صحة الاعمال وكان لموسى ايضا دواب الاعمال
لانا لقد آتينا موسى الكتاب الجامع للاعمال لعلهم يهتدون بعمل من تلك الاعمال
او باعتقاد من تلك الاعتقادات التى دل عليها بسلطانه المبين ولما كان
الاستدلال بذلك استدلالا بما هو خارج عن موسى جعلنا ابن مريم وامه التى هى
اصله آية فى انفسهما اذ ظهرت عليهما الكرامات فى الصبى فلم يهتدوا بهما ايضا
بل اخرجوهما من البلاد ومنعوهما الطعام والماء وآويناهما الى ربوة اى
مكان مرتفع لا يخاف فيه من ايذائهم ذات قرار لكثرة المطاعم فيه ومعين
اى جار من الماء قيل هى الرملة وقيل فلسطين وقيل بيت المقدس فلم
يكن تنفرهم عنه لمنعه اياهم من المشتهيات فانه وان كثرت الرهبانية فى امته
لم يامرهم بذلك اذ لم نامر به الرسل بل قلنا لهم يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
لئلا يمتنع عنها اتباعكم فينفر الناس عنكم ولكن لا يفرطوا فيه بحيث يمنعكم من العبادات
بل اجعلوها قوة على العبادات واعملوا صالحا شكرا عليها لتزداد دوام
النعم انى بما تعملون عليم فاعلم ما يقتضى اعمالكم من مزيد الانعام عليكم ولا يمنع
عن متابعتكم اختلاف اديانكم بل ان هذه امتكم فى كل عصر امة واحدة يكفى
اتفاقها على دين وان خالفت الامم السابقة ولا باس بذلك الاختلاف
اذ انا ربكم الذى ربيت اهل كل عصر بدين فاتقون ان تخالفوا امرى الذى
تسد مسالك فوائد التربية فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اى فجعلوا امر دينهم قطعا
مختلفة من عند انفسهم فاخذ كل فرقة بقطعة لا بدليل بل لميلهم اليه كل حزب بما لديهم
فرحون اعجابا بما عندهم من الراى فذرهم فى غمرتهم اى فى انكارهم فى عمايتهم حتى
حين اى الى حين يكشف عنهم الحجب بالموت ومما زاد فرحهم امدادهم الله تعالى
باموال وبنين على ما هم عليه ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين

الدجلة

نسارع اي نبادر به لهم في افاضة الخيرات ليس كما يحسبون بل لا يشعرون
ان امداد المصر على المعاصي بالنعم استدراج له لا ازدياد النعم على ان الفرح
ضد سبب المسارعة في الخيرات وهو الخشية ان الذين هم من غلبة خشية ربهم
الذي رباهم بالنعم ان يسلبها عنهم ويعذبهم بدلها بالنعم مشفقون متضرعون وانما
يتم لهم هذا الاشفاق لانهم الذين هم بآيات ربهم الدالة على كمال قدرته وعلمه
وحكمته يؤمنون وانما يتم لهم الايمان بالآيات لانهم الذين هم بربهم لا يشركون
فلا يجعلون لغيره قدرة على ايجاد آية والمكذب يجعل للغير تلك القدرة المخصوصة
بالله ومن غاية اشفاقهم انهم الذين يؤتون ما آتوا من العبادات حقوقها
وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ينسى شيء من الحقوق فلا تطهر الا اذا رجعوا الى
الله تعالى لهم يخافون انهم الى ربهم راجعون اولئك المبالغون في الاشفاق
يسارعون في الخيرات اي يبالغون في تحصيلها واذا امدهم الله تعالى مع
ذلك بمال وبنين هم لها سابقون اي يسبق تحصيلهم لها على تحصيل المشتهيات
ولا نكلف نفسا في ابقاء الحقوق للمسارعة في الخيرات الا وسعها لا الرهبانية
ولا بأس بزيادة ما لا يخالف الشرع اذ لدينا كتاب ينطق بالحق وهم وان
عملوا به من عند انفسهم لا يفوتهم ثوابه اذ لا يظلمون وهؤلاء الممدون بالاموال
والبنين لا يسارعون في الخيرات اذا اصروا على المعاصي اذ لا يبالون
بالجزاء بل قلوبهم في غمرة اي عماية من هذا الجزاء ولو التفتوا اليه لهم اعمال
من دون ذلك اي مجاوز لما في الكتاب اختاروه اذ هم لها عاملون
قبل نزوله وبعده الى وقت المؤاخذة حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم
بصرف الاموال والاولاد في المشتهيات المحرمة بالعذاب اذا هم يجأرون
اي يستغيثون فيقال لهم لا تجأروا فانه وان كان يفيدكم يوما قبل هذا لا
يفيدكم اليوم انكم لا تخلصون منا اذ لا تنصرون اذ لم يبق للشفاعة دخل
فانه قد كانت آياتي الدالة على المؤاخذة المؤبدة تتلى عليكم واحدة



بعد اخرى لتتدبروا فيها فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون فهو عن سماعها
فضلا عن تدبرها ولم يكن رجوعكم لظهور نقص فيها بل لكونكم مستكبرين به اي
بذلك الرجوع وربما لم يكن ذلك لاظهار عظمتكم عند الحق بل من اتاكم بها
ليلا سامرا بها تهجرون اي تتركونه كراهة اتيانه بها اهجروا السامر بها فلم يدبروا
القول الذي قاله ليلا يجب لا ينقص من جاءهم شيئا اهجروه وتركوا التدبر
فيه للاستكبار ام لانه جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام لانهم يشكون
في صدق من جاء به مع انه لا ينبغي لهم ان يشكوا فيه لو لا ظهور المعجزات على
يديه فكانهم لم يعرفوا رسولهم بالصدق قبل المعجزات فهم له بعد ظهور المعجزات
على يديه منكرون بناء على ان المعجزات انما تدل على صدق من ظهرت
على يديه اذا كان خيرا ام يقولون انه وان لم يتعمد الكذب به جنة اي
جنون يتخيل به انه يوحى اليه وان لم يأتهم بشيء من خيالات المجانين بل
جاءهم بالحق الذي يشهد بصدقه العقل ولكن كرهوا اذ اكثرهم للحق كارهون
بل يريدون ان يقول ما يوافق اهواءهم ولا يعلمون انه حينئذ لا يكون قول
الحق اذ لو اتبع الحق اهواءهم قولا او فعلا لفسدت السموات والارض
ومن فيهن اذ يصير الطاعات المتضمنة للمصالح معاصي متضمنة للمفاسد
والمعاصي الطاعات فما اتيناهم ما يفسدهم بل اتيناهم بذكرهم اي شرفهم
الذي هو غاية الصلاح لكنهم لا يرونه شرفا بل نقصا فهم عن ذكرهم معرضون في
متابعته نقص شرف ام نقص مال اذ تسألهم على اداء الرسالة خرجا يفوت
به ثواب الآخرة فخراج ربك خير لانه بحسب المعطي ولا يفوتك بترك طلبك
منهم الرزق اذ ربك هو خير الرازقين وانك مع عدم طلبك منهم الرزق
تريد لهم الهداية انك لتدعوهم الى صراط مستقيم ولكن انما يعرف استقامته من
نظر اليه وهو المؤمن بالآخرة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
لناكبون اي عادلون فلا ينظرون اليه ليعرفوا استقامته واعوجاجه وعدو

لهم عن صراط الدنيا اوجب لهم العدول عن صراط الاخرة فاوقعهم فى النار
بحيث لا يرحمون ابدا اذ لو رحمناهم ولو بان كشفنا ما بهم من ضر اى عذاب
للجوا اى تمادوا فى طغيانهم اى فراطهم المخرج لهم عن صراط الدنيا يعمهون
يترددون فيه ولا ينزعون عنه كيف وقد جرب عليهم ذلك فانا لقد اخذناهم
بالعذاب اى القحط فما استكانوا اى ما تذللوا عند وجوده لربهم وما يتضرعون
بعده عن خوف عوده فلم نزل نبتليهم بانواع البلايا كالقتل والاسر وهم كذلك
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون اى آيسون عن
كل خير فلو رحمناهم بعد الاياس لم يبالوا بشدة العذاب بعد اذ يرجعون
العود الى الجزع ولا يبعد ان يفتح عليكم هذا الباب لانه جمع لكم اصول النعم
المستتبعة ما لا ينحصر من فروعها وهو الذى انشا لكم السمع افرده لان سمع
القلب لما كان تابعا للظاهر جعلا كامر واحد والابصار بصر العين و
بصر العقل وبصر الكشف والافئدة الفؤاد الظاهر والباطن ليشكروه
غاية ما يمكنكم لكنكم قليلا من الشكر ما تشكرون فكيف لا يغضب عليكم غضبا
يفتح عليكم بابا ذا عذاب شديد ولا مانع من غضبه من عدم وصولكم اليه
اذ هو الذى جعل لكم الوصول الى مطالبكم اذ ذراكم اى بثكم فى الارض التى
فرقت المطالب فيها ليستعملكم اعمالا تنجيكم على وفقها واليه تحشرون للجزاء
الذى هو الثواب او العقاب وكيف تستبعدون منه الاثابة والمعاقبة
وهو الذى يحيى ويميت فى الدنيا فلا يبعد عليه ان يحيى بالثواب ويميت
بالعقاب وكيف ينكر العذاب وهو اما بالحر او بالبرد فله ان يعذب بهما
نارا اذ له اختلاف الليل والنهار بالبرودة والحرارة أينكرون البعث بعد
هذه الآيات فلا تعقلون فلا ينظرون بالعقل فيها لكنهم ما عقلوا بل قالوا
مثل ما قال الحمقى الاولون اعتبارا لاوليتهم مع انها لا ترفع الحماقة قالوا
ابذا متنا وبعثنا عن قول الجوزة اذ كنا ترابا وعظاما ابعد من التراب فى

اى يحجون للسؤال عن الشكر على حصول تلك المطالب

قبول الجوزة لان التراب قبلها مدة ثم تركت والعظام لم تقبلها اصلا فى
زعمهم ائنا لمبعوثون انه الحق بعينه اجزائنا ولا دليل عليه سوى الوعد الكاذب
لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل فلم يظهر لنا ولا لآبائنا صدقه
ان هذا ليس القول بالبعث والجزاء الا اساطير الاولين اكاذيبهم الى سطروها
قل لمنكر البعث استبعادا لقلب التراب انسانا لمن الارض ومن فيها
ايجادا ان كنتم تعلمون انها حادثة مسبوقة بالعدم سيقولون لله قل أينكرون
قلبها ممن اوجدها واوجد ما فيها فلا تذكرون ان القلب ايسر من الايجاد
عن عدم فان زعموا ان الروح الانسانى اذا صار الى العالم الاعلى بعد النزول
لا ينزل قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل
أينكرون قدرته على انزال الروح من احدهما الى ما دونه فلا تتقون عقابه
بالقول بعجزه فان زعموا ان الروح من عالم الملكوت اذا التجأت اليه فمن
يردها عنه قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير من يشاء منه ولا يجار عليه
فلا يمكن للملكوت ان يمنع مراد الله ان كنتم تعلمون ان الله لا يغالب اصلا
سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون عن الرشد ما خدعناهم بل اتيناهم
بالحق وان خالف قول آبائهم انهم لكاذبون كلكذبهم فى نسبة الولد والشريك
فانه ما اتخذ الله من ولد لان الولد لابد وان يناسب الوالد فى اخص
اوصافه وهو ههنا وجوب الوجود فلا يتصور فى الولد لوجوب تاخره عن
الوالد وما كان معه من وجوب الوجود من اله لانه يجب ان يتخالفا
والا لتشاركا فى ذاتى واختلفا فى آخر فيلزم افتقارهما الى احدهما والمتخالفان
فى الذات يجب ان يتخالفا فى الافعال فاقل ما فيه انه يجب ان لا ترتبط كل
ما فى العالم بالآخر اذا لذهب كل اله بما خلق لكنه خلاف ما تقرر عند اهل
التحقيق من ارتباط الكل بالكل وايضا لو كان معه اله لعلا بعضهم على اكمالا
على بعض علا على الاول بما علا به الاول عليه من كل وجه اذ الالهية

بالعلو الكامل لكنه محال سبحان الله عما يصفون من نسبة الولد والشريك اليه
ومن علو الآله انه يجب ان يكون محيطا بالكل لذلك هو عالم الغيب والشهادة
فيلزم ان يكون كل واحد منهما محيطا محاطا من وجه واحد وهو محال فتعالى
عما يشركون وتعاليه تقتضي غضبا على المشركين تقرب عقابه منهم يجب عقاب
ان يلحق لمن يصاحبهم في الدنيا لذلك قال قل رب اما تريني اى ان يحقق
اراءك اياي ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين فان مقتضى
تبيينك اياي بحو التنزيه ان يميزني عنهم مع تحقق المميز الذي هو ظلمهم
وليس ذلك بطريق المبالغة في التخويف بل يجب ان يخاف ذلك على التحقيق
انا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا لا نريك بل نمنعك ان ندعو
عليهم ببابك بل ادفع بالتي هي احسن اى المناظرة المشتملة على المقدمات الواضحة
السيئة من شبهاتهم فانا نعلمك ما يزيل عن قلوبهم ما يصفون به ربهم نحن اعلم
بما يصفون به ربهم ما ندفع بالمقدمات القطعية وقل رب اعوذ بك من
همزات وساوس الشياطين في قطعية تلك المقدمات فيزعم انه ما من مقدمة
الا يحتمل ان يعترض عليها بوجه من الوجوه واعوذ بك رب ان يحضرون
فيمنعوا من الالتفات الى تلك المقدمات بالكلية بان يشغل عنها بامر
آخر حتى اذا جاء احدهم الموت الكاشف عن مدلولها قال رب ارجعون
اى ارجعني والواو لتعظيم المخاطب فانه قد ظهر لى المدلول الذي فاتني العمل
بمقتضاه لعلي اعمل صالحا من الاعمال الظاهرة والباطنة وهو وان لم يات
بعد الموت اجعلوه من لطفكم محسوبا فيما تركت من العمر خاليا عنه فيقال
له كلا اى ارتدع عن طلبك الرجعة ولكنه لا يرتدع انها كلمة هو قائلها دائما
ولا يفيدهم اذ من ورائهم الذي يتبعهم ومن ما يريدون الرجوع اليه برزخ
حجاب لا يخرق الى يوم يبعثون وهو يوم نفخ الروح فاذا نفخ في الصور
الخرق الحجاب فرجعت النفس الى البدن للجزاء الحقيقي بعد الحيا الى

في البرزخ لكنه لما كان بلا واسطة الآباء فلا انساب بينهم يومئذ حتى
يحمل بعضهم من بعض الثقل ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا ليعطيه
شيئا من ثوابه او يحمل شيئا من عقابه صاحبه فلا ينافي هذا قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون ولا القول بالشفاعة فمن ثقلت موازينه
موزونات اعماله الظاهرة والباطنة بان كان لها مقدار فاولئك
هم المفلحون بقدر ذلك ثوابا ودرجة ومن خفت موازينه بان لم يكن
لاعماله مقدار فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع كمالاتها ومن
خفتها نيل صاحبها فهم في جهنم خالدون وطغيانهم الكمال المانع من شدة
العذاب سيما من الوجه تلفح تحرق حرقا شديدا وجوههم التي هي مجمع اكثر النعم
من الحواس الظاهرة والباطنة وقد كفروا بها النار وهم فيها كالحون تقلصت
شفاههم فبلغت العليا وسط الراس والسفلى السرة لوصول المطاعم والمشارب
المكفورة اى غير المشكورة او المجرة اليها اولا يقال لهم انكم وان استحقيتموه
من غير اعلام فقد اعلمناكم بابلغ الوجوه الم تكن آياتي القاهرة المكشوفة
تتلى عليكم مرة بعد اخرى فكنتم بها حال تلاوتها وبعدها تكذبون قالوا ربنا
بالغت لنا في اعلام اسباب الشقاوة لكن غلبت علينا شقوتنا التي في
استعدادنا وكنا مع وضوح تلك الآيات وكثرتها ودوام تلاوتها قوما
ضالين لا يلتفت اليها ربنا الذي منت علينا باعلام تلك الاسباب اخرجنا
بمنك منها فان عدنا فلا عذر لنا بعده فانا ظالمون دائما قال اخسئوا
ابعدوا عن مقام سؤال البقاء فيها ولا تكلمون في تخفيف عذابها وكيف
اخرجكم واغفر لكم وارحمكم مع انكم سخرتم من طلب مثل ذلك انه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا مسخرة في جميع اقوالهم وافعالهم ولم تزالوا تسخرون بهم حتى انسوكم ذكري
فصرتم محل الضحك وكنتم منهم تضحكون وهم لا يزالون صابرين على

سخريتم وضحككم فيقتضي فعلكم هذا ولياتي ان اعذبكم بهذا العذاب لو لم
يكفروا ثم اني ازيد في تعذيبكم بالاحسان الى من سخرتم منهم اني جزيتهم الثواب
بلا حساب اليوم الهائل بما صبروا فما سخروا على ايمانهم واعمالهم انهم هم
الفائزون درجات الجنان على عداوتكم وكفى به عذابا لكم قال ضيعتم
الفوز الابدي بسخريتكم على من ترك التنعم في الايام القلائل الدنيوية كم لبثتم
في الارض المشتملة على تلك النعم التي لا نسبة لها الى نعم الجنة عدد سنين لا نسبة
له الى الابد قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بالنسبة الى ايام الآخرة ولا نحصي
مقدار ذلك على التعيين لانا مشغولون بالعذاب عن احصائه فاسأل
العادين اي الملائكة الذين يعدون اعمار الناس واعمالهم قال ان
اي ما لبثتم الا قليلا انتفعتم بمعرفة ذلك لو انكم كنتم تعلمون مقدار من الايام
في الدنيا لكن ما كنتم تعتقدون من الايام لانكاركم الجزاء اانكم يوم حسبتم
فظننتم انما خلقناكم عبثا لا لمعرفتنا ولا لعبادتنا وانكم الينا لا ترجعون للجزاء
على الايمان بها ولا على تركها فتعالى الله الجامع للكمالات عن العبث و
كيف لا يقصد بالخلق المعرفة والعبادة وهو الملك وكيف يترك الجزاء
وهو الحق وكيف لا يكون ملكا حقا وهو المتفرد بالالهية اذ لا اله الا هو
وكيف لا يتفرد بالالهية وهو رب العرش المحيط بالكل فتحيط الالهية بالكل
مع اتصافه بوصف الكريم المقتضي عموم الفيض ومن يدع مع الله المحيط
الالهية بالكل عموم فيضه الها آخر مع كونه محاطا به ومفاضا عليه فلا يتصور
الالهية فان تصورت لا برهان له به فان كان لم يحاسب عند شركه للجزاء فانما
حسابه عند ربه في كل حال انه لا يفلح الكافرون وكيف لا يفلح اهل الشرك
الجلي مع انه يخاف اهل الشرك الخفي لذلك قل رب اغفر لاهل
الشرك الخفي كمن يدعي لنفسه الوجود وارحم برفع الشرك الخفي بالفناء فيك
وانت خير الراحمين بالابقاء بك فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب

العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة النور

سميت به لاشتمالها على ما امكن من بيان
النور الالهي المتمثل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الانسان مع مقدماتها
وهي اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلي باحاطته بالكمالات
في السورة المحيطة بالتجليات ومقدماتها الرحمن بانزالها الدال على ظهوره
في كل مظهر بمقدار وجعل مقدماته بقدرها بقيد الاعتدال الرحيم بالاطلاع
على ذلك بالتذكر من الآيات البينات سورة عظيمة محيطة ببيان التجليات
الالهية ومقدماتها كتطهير النفس عن الرذائل بالحدود انزلناها ليدل على
نزولنا بالتجليات في المظاهر وفرضناها قدرنا لها الفاظا محصورة
مع ان معانيها لا تنحصر ليدل على ان التجليات بمقدار المظاهر وان
التطهير بمقدار ما يفيد الاعتدال و لما لم يظهر هذا لكل واحد انزلنا فيها
آيات بينات يطلع على ذلك بالتذكر لعلكم تذكرون ثم بدا بالتطهير
عن اخبث الرذائل وهي الزنا اذ يشق التطهير عنها لميل النفس اليها
طبعا فقال الزانية قدمها لكمالها في ذلك اذ لا عقل لها كاملا يمنعها
الافراط في الشهوات والزاني فانه وان كان دونها يستحق ما يستحقه
لكمال جنايته من عدم امتناعه من منع العقل الكامل اياه فاجلدوا
فاضربوا بالجلد كل واحد منهما مائة جلدة ليكون الضربات المولمة
جزاء للضربات الملذة اعتبر عدد اوسط الوسطى تقريبا على ان الاقصى
ثمنه وهو الالف تخاف معه الموت فاقتصر على الاوسط الذي هو غاية
عدد العقود وزاد الشافعي في غير المحصن تغريب عام لحديث البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه فيكون ناسخا والمحصن
مخصوص بالاجماع على ان حقه الرجم وهو من اصاب في نكاح صحيح ليحمي
سبب التسبب في حقه فاقيم مقامه والزنا قاطع فاقيم مقام القتل واعتبر

في الحرية لان حد العبد نصف حد الحر ولا يتنصف الرجم واعتبر البلوغ و
العقل اذ لا جناية بدونهما ولا تأخذكم بهما رأفة رقة تعطلون بها ما وجب
عليهما في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله فان الايمان به يوجب الجد في امره
على كل شئ واليوم الآخر فالايمان به يمنع تعطيل الحدود المسقطة للعقوبة
الاخروية وليشهد ليحضر عذابهما اقامة الحد عليهما طائفة جماعة اقلها ثلثة
زيادة في التنكيل واسقاطا للفضيحة الاخروية من المؤمنين اذ لا يعتد
بقول غيرهم ولا بالاشتهار بينهم ثم اشار الى التنفير عن مناكحتهما فقال
الزاني لا ينكح مع كمال الميل الا زانية لان الجنس سبب الميل والالفة والمخالف
سبب النفرة او اخبث منها مشركة والزانية لا ينكحها لكمال الرغبة الا زان
لا يبالي بزنا امرأته او اخبث منه مشرك وحرم ذلك النكاح اي نهي عنه
تنزيها على المؤمنين لانه سبب للطعن في النسب وتعرض للتهمة والتشبه
بالفساق ولو حمل على الحرمة فلا يفسد العقد لان الفساد لا يرجع الى
نفسه ولا الى جزئه ثم اشار الى زجر من يعجز عن نكاح المحصنات او يوقع
النفرة بينهن وبين ازواجهن فقال والذين يرمون يقذفون بالزنا
المحصنات الحرائر البالغات العاقلات المسلمات العفيفات
عن الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء على انهم رأوا مثل الميل في المكحلة خص هذا
العدد لان التحري على تحقيق هذا الهيئة لا يكون الا قليل الحياء ضعيف
المروءة فأكد بتضعيف العدد فاجلدوهم ثمانين جلدة لانهم يعرضون في
ابدانهن من ضربهن بحد الزنا تنقص من حدها اقل من الربع الذي
تقوم مقام الكل في الجملة فينقص منه الخمس ولا تقبلوا لهم للقاذفين شهادة ابدا
تطهيرا بكذبهم واولئك وان حدوا انما سقط عنهم العقوبة الاخروية
هم الفاسقون لخروجهم عما وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات
الا الذين تابوا من القذف بتكذيب انفسهم من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم

من المقذوف او التمكين من الحد والاستمرار على ذلك فان الله غفور لهم
بالتوبة رحيم بقبول الشهادة ولما لم تظهر القاذف الاجنبي بزنا المقذوف
الا بالشهود او الحد ولما تظهر الزوج بزنا زوجته اقيمت شهاداته بالله مؤكدة
باللعن مقام الشهادة فقال والذين يرمون ازواجهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء
اذ لم يحضرها الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به ولما كان الشاهد هو المدعي اكدت شهاداته باللعنة بقوله
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيسقط عنه حد القذف
ويجب عليها الرجم ويقع فرقة الفسخ بنفسه مؤبدة عندنا وفرقة الطلاق بالحكم
الى ان يكذب نفسه عند ابي حنيفة رحمه الله وينفي الولد ان تعرض له في الشهادات
واللعنة ويدرأ عنها العذاب اي يدفع عنها الرجم لا الفرقة ولا نسب الولد
ولا حد القذف على الزوج ان تعارض شهاداته بشهاداتها ولعنه
بغضبها بان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها
به ولما كان من المدعى عليها اكدت بالغضب فقال والخامسة ان غضب
الله عليها ان كان من الصادقين والغضب زائد على اللعنة اذ هي
قطع الرحمة كيف وقد دفعت عن نفسها الرجم والزوج انما دفع ثمانين
جلدة عن نفسه ولولا فضل الله عليكم بالستر حتى على المتجري على الله
بالشهادات الكاذبة وباللعنة او الغضب ورحمته بالابقاء لتفضح الكاذب
او اهلكه في الحال ولكنه مكن من التوبة والمعارضة ان الله تواب حكيم
اقتضت حكمته ان لا يتلف الانسان ما امكن ابقاؤه واصلاحه وليس
هذا الفضل والرحمة والتوبة لاهل الافك على اهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل المكذوب عليه بيتها من اهله صلعم بالفضل والرحمة اولى روي
انه صلعم استصحب عايشة رضي الله عنها في غزوة فاذن ليلة بالقفول في الرحيل
فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت فلمست صدرها فلم تجد عقدا من جزع

ظفار فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله
على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد احدا فجلست تنتظر منشدا وكان
صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء الجيش فاصبح عند منزلها فعرفها
فاناخ راحلته فركبتها فقاد بها حتى اتيا الجيش فقال عبد الله بن ابي ابن
سلول ان امراة نبيكم باتت مع رجل فتبعه زيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فقدمت المدينة واشتكت بها شهرا والناس
يفيضون فيها ولم تشعر بشيء من ذلك ولم تر من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي كانت تراه قبل انما يدخل فيسلم ويقول كيف تيكم ثم ينصرف ثم نقهت
فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع فعثرت ام مسطح فقالت تعس مسطح فقالت
اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال فاخبرتها بالافك
فازدادت مرضا ولم يرقا لها دمع ولم تكتحل بنوم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجلس عندها ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ذلك وقد مكث شهرا لا يوحى اليه
ثم قال لها يا عائشة انه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله
وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف
بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثه قلص دمعي فقلت لئن قلت اني بريئة والله يعلم اني بريئة لم تصدقوني وان
اعترفت لكم بامر والله اني لبريئة لتصدقنني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا
يعقوب عليه السلام فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فوالله
ما دام مجلسه حتى انزل الله تعالى على رسوله صلعم فاخذه من البرحاء ما ياخذه حتى
يتحدر مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل ما نزل عليه فسري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ويقرا ان الذين جاءوا بالافك الكذب
الذي يصرف به من الحق لان ذم اهل بيته صلعم ذمهم مما يلحق به صلعم نقيصة
عصبة جماعة منكم ان يعودكم لانهم منكم لكنهم يعودون اعداءكم باختراع التهمة

بنت
يعلم صح
منه صح

عليكم لا تحسبوه شرا لكم بثبت التهمة عليكم ووقع العصمة فيكم بل هو خير لكم
اذ تولى الله براءتكم فنزل فيها من ثماني عشرة آية وحصل معجزا بذكرها فيه ثناؤكم وذم
اعدائكم فهو شر لهم لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من الاثم جلد كل واحد
منهم ثمانين جلدة وذموا الى يوم القيمة وصار حسان اعمى اشل اليدين
ومسطح مكفوف البصر والذي تولى يحمل كبره عظمه وهو القيام باشاعته
بعد ابتدائه بالخوض فيه وهو عبد الله بن ابي منهم له عذاب عظيم ينعم
على نفاقه ويحرق بالنار في الدرك الاسفل لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا فظنوا انهم لو كانوا مكان صفوان لم يجترئوا على
هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهن لو كن مكان عائشة رضي الله عنها
لم تخن رسول الله صلعم فكيف هتك حرمته صفوان وكيف خانت عائشة
وقالوا هذا الذي نقال فيهما بهذه الامارة افك مبين لولا جاءوا اي
لو لم ياتوا عليه باربعة شهداء فانه لا عبرة لهذه الامارة مع الشهود البالغين
النصاب فاذ لم ياتوا بالشهداء صارت الامارة مع البراءة الاصلية
وعدم تحققه في الواقع دليلا قطعيا فاولئك عند الله هم الكاذبون
الجامعون لوجوه الكذب ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا
بالامهال للتوبة والاستحلال وفي الآخرة بالعفو عنهما لمسكم عاجلا من
اجل خضتم فيما اكثرتم اشاعته كانكم افضتم فيه عذاب عظيم يستحقر عنده
الجلد والذم وسائر ما وقع على اهل الافك لان الجراءة على رسوله وعلى
اوليائه تشبه الجراءة على الله اذ تلقونه بالسنتكم ياخذ بعضكم من بعض
بالسؤال عنه وتقولون بافواهكم وراء التوهم بالباطن ما اي كلاما ليس لكم
به علم في حق الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله وكيف لا يعجل
عقابكم وانتم تحسبونه مبتنا هينا لا تبعة فيه وهو اثام عظيمة علق
بها مس العذاب لذلك وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب

بدر
بعدما
لا تبعة ط

ومع ظهور عظمته عند الله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا في
حق الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله صلعم ورضي عنهما مع انه
نهى عن غيبة آحاد المؤمنين وقد فهم سبحانك من ان يعجب الى حبيبك
من نبيه المنقصة من جهته هذا بهتان لا يتجرى فيه عظيم ولكونه بهتانا عظيما
في حق من يجب تنزيهه الله ان يوقع النقيصة فيه يعظكم بنهاكم الله ان تعودوا
وتتوعوا لمثله ابدا ما دمتم مكلفين يسمعون فيه هذا الوعظ البتة ان كنتم
مؤمنين وليس النهي عنه على سبيل التعبد المحض بل يبين الله لكم الآيات
الدالة على وجوه قبحه والله عليم بوجوه اخر من القبح فيه حكيم لا يبين منها
الا ما يقبله الكل ويكفي من قبائحه ان فيه حب اشاعة الفاحشة في اخص
اهل بيت رسول الله صلعم وهو دون حب اشاعتها في العامة ان الذين
يحبون ان تشيع تنتشر الفاحشة في عوام الذين آمنوا ليتمسوا عرضهم لهم
عذاب اليم في الدنيا بالجلد ورد الشهادة والآخرة بالنار وكيف لا يعظكم
الله والله يعلم ما في اشاعتها من المفاسد كافساد ما بين الزوجين وقطع
النسل والطعن في النسب وانتم لا تعلمون والجاهل لا بد وان يعظه
العالم ولولا فضل الله عليكم ما وعظكم ولولا رحمته لعذبكم قبل ان
يعظكم ولولا ان الله رؤف لما نهى عما يؤدي الى المفاسد ولولا انه
رحيم لما نبه على تلك المفاسد وانما كان لمحب اشاعة الفاحشة في المؤمنين
هذا العذاب لانه من اعلى مراتب خطوات الشيطان يا ايها الذين
آمنوا مقتضى ايمانكم معاداة الشيطان ومخالفته في كل ما يرضاه لا تتبعوا
خطوات الشيطان آثاره ومن يتبع خطوات الشيطان فانه ربما
ينتهي الى حيث يأمر الناس بالفحشاء القبائح الشنيعة ولو لم يأمرهم بها
امر بشيء من المنكر الذي ينكره العقل والشرع وان لم يأمر فلا اقل من ان
يتأثر في نفسه ولا يخلو منه سوى من خص بفضل الله ورحمته فانه لولا فضل

الله عليكم بافاضة الاخلاق الفاضلة ورحمته بتوفيق الاعمال الصالحة
ما زكى ما طهر عن الرذائل والاخلاق القبيحة وان كان منكم من احد ابدا
اي في وقت من الاوقات لاستيلاء الشيطان عليكم اولا باستيلاء
الشهوات والغضب عليكم ولكن الله بكمال قدرته يزكي من يشاء مع
وجود مما فيه وليس ذلك على سبيل التحكم بل بحسب استعدادات الخلائق
لسماعه دعواتها وعلمه بمقتضاها اذ الله سميع عليم واقل آثار الشيطان
المنع من الخير سيما اذا اعظم وقد عرض فيه مانع من الغضب او الشهوة
لا يأتل لا يقصر اولوا الفضل منكم والسعة اي اصحاب الاخلاق الفاضلة
والقلوب الواسعة للصبر ان يؤتوا ارزاق اولي القربى ومع ذلك
كانوا المساكين والمهاجرين في سبيل الله فان من اتصف باحدى
هذه الاوصاف لا ينبغي ان يقصر في حقه فكيف في حق من جمعها ولو نظروا
الى ما صدر عنهم ليعفوا ليتجاوزوا ولو نظروا الى ان العفو عنهم كاف في
الاحسان اليهم ليصفحوا ليعرضوا عن هذا النظر ولينظروا الى ما بينهم
وبين الله من المعاصي الا تحبون ان يغفر الله لكم ولا يبعد ان يغفر
للعافي حيث تخلق باخلاقه اذ الله غفور ولا يبعد ان يرحم من رحم
مع الغفران فانه رحيم نزلت في مسطح كان ابن خالة ابي بكر رضي الله عنه
مسكينا مهاجرا وكان ابو بكر رض قد حلف ان لا ينفق عليه ما كان
ينفقه من قبل فلما قرأها صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال انا احب ان يغفر
الله لي والله لا انزعها منه ابدا ثم اشار الى ان الله تعالى وان كان غفورا
رحيما لا يغفر حق الغير من غير عفو منه سيما اذا عظم الحق كالقذف المستحق
ان الذين يرمون المحصنات المتعففات الغافلات عن الزنا وما يشهد بها
سيما اذا نهاهن ايمانهن لكونهن المؤمنات لعنوا في الدنيا بالذم والجلد
ورد الشهادة والآخرة بالنار ولهم عذاب عظيم فوق عذاب سائر

وجوه السب ومن عظمته انه يكون يوم تشهد عليهم السنتهم بان ينضطر
الى الاقرار بما كلمت من القذف وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
مما دعاهم الى القذف يومئذ لا يسامحهم الله فى التعذيب وان تسامح
اليوم فى الحدود بل يوفيهم الله دينهم جزاء هم الحق المستحق ويعلمون من
توفيته بعد انتهاء دون آء ان الله هو الحق المبين بهذه الشهادات حقيقية
فمجازى من قذف من غير اسنبانه حال المقذوف بيانا تاما ومن حقيقة
رعاية المناسبات لذلك كان من سنة الخبيثات من وجوه الجزاء
ومن الصفات ومن النساء للخبيثين من اهل الجزاء ومن الموصوفين
ومن الرجال فى المحبة وبالعكس الخبيثون للخبيثات وكذا فى جانب الطيب
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فكيف لا يلعن رامى زوج
النبى صلى الله عليه وسلم وقد وصفها بالخبث مع جمعها وجوه الطيب وجعل
حبيبة النبى صلعم ومحبته وهو اطيب الطيبين من الخبيثات مخالف
السنة الالهية من الوجهين طردا وعكسا بناء على الظن الفاسد الذى
لا اصل له بعد معارضته بها تين السنتين فى الجانبين اولئك بهذه
الوجوه مبرأون مما يقولون وانما سلطوا عليهم ليجعل عليهم معاصيهم اذ
لهم مغفرة ويرفقوا اجرهم اذ لهم رزق كريم فيه اشارة الى ان الجرم
لغاية عظمته لا يفى باعمال القاذف فلا بد له من اشغال اعماله الى حمل
وزر المقذوف يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تنزهوا بين
الزوجين ولو بالدخول عليهما وقت غفلتهما فضلا عن التنفير الابدى
سيما بين الطيبين طاب ما بينهما لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم فانه لا يحتاج
الى الاستيناس لان دخوله يحصل له حتى تستانسوا تستاذنوا اذنا
يوجب الانس وتسلموا على اهلها لتؤمنوهم عما يوحشهم ذلكم استيناسكم
وتسليمكم خير لكم من الدخول بغتة وقول الجاهلية حييتم صباحا وحييتم

مساء لعلكم تذكرون بذلك التنفير الابدى بين الزوجين سيما اذا كانا طيبين
فان لم تجدوا فيها احدا يحبكم فلعل هناك امرأة لا تكلم فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم اى حتى يأتى من الرجال من يأذن لكم لانه مظنة التهمة وان قيل لكم
ارجعوا فارجعوا من غير الحاح على صاحب البيت فلعله مشتغل بامر يخفيه
عنكم هو ازكى لكم انمى لحسنكم والله بما تعملون من المكر على صاحب البيت و
الخيانة باهله وماله عليم هذا كله فى البيوت المسكونة ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة ولو لغيركم ان كان فيها متاع لكم فانه قرينة رضا صاحبها
والله يعلم ما تبدون من الدخول للمتاع وما تكتمون من قصد الاستيلاء عليه
او الذهاب باجنبية هناك ثم اشار الى ان من اسباب التهمة مد البصر
والالتفات الى الجهات فقال قل للمؤمنين مقتضى ايمانكم التحرز عن التهمة
يغضوا من ابصارهم بعض نظر ابصارهم فيقصروا نظرهم الى الارض التى
يمشون عليها ولو وقع نظرهم يحفظوا فروجهم والحفظ وان كان هو المقصود
ولكن ذلك الغض ازكى اطهر لهم والغض وان اظهر الزكاء فانما يخفى
بزكاء الباطن من الميل ان الله خبير بما يصنعون من سر الباطن بافعال
الظاهر وقل للمؤمنات لا يكفيهن الاحتجاب من الرجال مع نظرهن اليهم
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما وراء الحجاب وان وقع نظر
يحفظن فروجهن وان لم يخرجن من الحجاب فانه يسهل عليهن ادخال
الرجال فى الحجاب ولا يكفيهن الغض والحفظ مع اظهار الزينة لا يبدين
لا يظهرن زينتهن الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثوب والخاتم
فان فى اخفائه حرجا وليضربن بخمرهن وليسترن بمقانعهن شعورهن
واعناقهن وقرطهن وصدورهن بالقائها على مواضع جيوبهن النحر
والصدر ولا يبدين زينتهن غير المستثنى الا لبعولتهن لازواجهن فانهم
المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع البدن او لمحارمهن الذين

من

يبدين الفتنة من قبلهم مثل آبائهن لانهم اولياء من الذين يحفظونهن عما
يسوءهن او آباء بعولتهن لانهم يحفظون على ابنائهم ما يسوءهم او ابنائهن
لان شانهم خدمة امهات لا استخدامهن او ابناء بعولتهن لان شانهم
خدمة الآباء وخدمة احبابهم او اخوانهن لانهم الاولياء بعد الآباء او بني
اخوانهن لانهم الاولياء بعد الاخوة او بني اخواتهن لانهم كبني الاخوة في
القرابة فيغيرون بنسبة السوء الى الخالة تغيرهم بنسبته الى العمة او نسائهن
وان خيف منهن السحاقة لا ايمان مانع منها ومنها درا او ما ملكت ايمانهن
لاحتياجهن اليهم فلو منع دخولهم عليهن اضطررن او التابعين اي
الخدام لانهم في معنى العبيد غير اولي الاربة الحاجة من الرجال كالخصي والشيخ
الهم والابله او الطفل الذين لم يبلغوا حد الشهوة اذ لم يظهروا على عورات
النساء اخرهم عن التابعين المذكورين لانه يرجى لهم الاربة دونهم وكما
يجب اخفاء عن البصر يجب عن السمع لا يضربن بارجلهن الارض ليعلم ما
يخفين عن الابصار من زينتهن كالخلخال فانه يورث ميلا في الرجال
وتوبوا الى الله وان لم يتخلوا من الازواج جميعا اذ لا يخلو احد عن مباشرة
منهي مما ذكر ايها المؤمنون لئلا يتخلوا اما حرم من ذلك فيكفروا لعلكم
تفلحون بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات ثم اشار الى ما يتمكن به
من ترك الزنا والتحرز من تهمتها والحفظ على التوبة فقال وانكحوا ولاية
او اشارة الايامى جمع ايم من لا زوجة له او لا زوج لها منكم ايها الاحرار
ولم يقيد بصلاح اذ لا يتضرر بنكاح من لا صلاح له من الاحرار بل يكون
داعيا الى الصلاح والصالحين من عبادكم وامائكم قيدهم اذ غير الصالح
يقصر بالنكاح في خدمة مولاه او عبادة الله لاشتغاله بامر اهله فلا يندب
تزويجه ثم اشار بان عدم الصلاح وان كان كالمانع من ندب النكاح فا
الفقر غير مانع منه فقال ان يكونوا فقراء عن المهر والنفقة يغنهم الله بعطاء

فانه

لهم

من فضله بان يعطيهم مالا او صبرا ولا يمنعهم من ذلك ان لا يبدوا انفسهم اصلا
للفضل اذ الله واسع فان ضيق فليعلم بان الغناء يطغيهم لانه عليم وان
توسع على مولاه لا يتوسع على اهل الزنا لذلك ليستعفف ليجتهد في العفة الذين
لا يجدون نكاحا اذ لا يرغب فيهم لفقرهم حتى يغنيهم الله بعطاء من فضله مالا للزوج
او صبرا للزوجة ثم اشار الى انه يمكن للسيد ان يغني العبد من فضله وان كان
لا يملك بتمليكه شيئا بان يكاتبه فقال والذين يبتغون الكتاب اي الكتابة مما ملكت
ايمانكم قنا او مدبرا او مستولدة فكاتبوهم وهو ان يقول السيد كاتبتك اي
جعلت عتقك مكتوبا على نفسي بمال كذا تؤديه في نجوم كذا ويقبل العبد ذلك
فيصير مالكا لمكاسبه ولما يوهب له وانما وجب مع ان ماله لان الكسب لا يتصور
بدونه واشترط النجوم لئلا يخلو تلك المدة عن الخدمة وعوضها جميعا ان علمتم فيهم خيرا
كالامانة لئلا يؤدوا النجوم من المال المسروق والقدرة على الكسب فلا يندب
عند عدم ذلك وكذا لو امكن تحصيله بالصدقة لانها من اوساخ الناس
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم خطاب للسادات بالحط وللاجانب
باعطاء الزكوة وان كان السيد غنيا لانه كالمداين والمشتري من الذي اخذها
صدقة ثم اشار الى انه وان حل اخذ مال الصدقة فلا يحل اخذ اجرة
البغية وان كانت مكرهة لا اثم لها فقال ولا تكرهوا فتياتكم شواب
جواريكم على توهم ان لهن نوع رغبة على البغاء الزنا كيف وانما يتصور
الاكراه ان اردن تحصنا فانتم لحريتكم اولى بارادته لكنكم تريدون البغاء
وتكرهونهن عليها لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي عرضا زايلا يفوتكم حيوة دينية
زايلة ومن يكرههن اخذه الله باثم الاكراه واثم الزنا المسقوط عن المكرهة
فان الله لهن من الواقع من بعد اكراههن لا بعد زواله في ابتدائه غفور لانه
رحيم بالمكرهة وكيف تسعون بعرض الحيوة الدنيا باحتمال مذمة الاثام الخارجة
عما جعل الله فيكم من قابلية التجلي الالهي على اتم الوجوه واجمعها بانزال الشرف

مهن

نوره فی قلوبکم و لقد انزلنا من مقام الجمع الیکم لتستعدوا للتجلیه المذکور
فیکم بالتنزه الموجب مناسبتکم معه ایات مبینات لاحکام المفیدة للتنزه
ومثلا ای تجلیه الکامل من تجلیات الکمل الذین خلوا من قبلکم لیقتدوا
بهم فی تحصیلها لکم وموعظة زاجرة عما یحجبکم عنها للمتقین الذین یتقون تلک
الحجب الله باعتبار اشراق نور وجوده نور وجود السماوات والارض
مثل اشراق نوره فیهما کاشراق نور الروح الانسانی ببدنه الذی هو
کمشکوة الروح فیها مصباح هو الروح لغایة تجرده لا یتعلق بالبدن الا بواسطة
القلب کما انه یکون المصباح فی المشکوة بواسطة کونه فی زجاجة هی القندیل
فی المشکوة ولا یتم صفاء المصباح بدون تلک الزجاجة اذ الزجاجة وان
کانت من الاجسام الکثیفة تناسب المصباح فی الصفاء اذ الزجاجة
فی الصفاء کانها کوکب دری کذلک فی القلب صفاء یناسب صفاء الروح فیتعلق
الروح بواسطة القلب بالبدن لان مصباح الروح بواسطة القلب توقد
فی البدن من لطافة النفس فهی وان کانت من عالم الاجسام فلطافتها
بمنزلة الزیت یوقد المصباح من زیت شجرة مبارکة بکثرة الثمرات کذلک
کثرت ثمرات النفس من القوی المدرکة والمحرکة زیتونة جامعة للمنافع اذ
یصلح للتسریج والادام والدواء کذلک منافع النفس من ادراک المحسوسات
التی اکتسبت منها المعقولات فهی لیست متعلق الروح بالذات لا تضافها بوصف
لا غربیة من الاجسام المظلمة فی کن یتون الشام وانما فارقت نفوس
سایر الحیوانات لانه یکاد زیتها لطافتها یضیء اضاءة الروح ولو لم تمسسه
من الروح نار کذلک تعلق نور الحق بالعالم بواسطة العقول المتعلقة
بالاجسام بواسطة النفوس الکلیة المبارکة بکثرة الملایکة واذا کان الروح
نور البدن والعقول نور العالم والله تعالی نور فوق نور الروح ونور العقول
فهو نور علی نور محجوب بالانوار الروحانیة والعقلیة احتجابها ببدن الانسان

لا شرقیة من المجردات ومع ذکره صارت واسطة الروح بعینه لا تضافها بوصف
صح

والعالم یهدی الله لنوره بکشف الحجب الظلمانیة والنورانیة من یشاء فیحصل له
التجلی الشهودی ویضرب الله الامثال للناس الذین لیسوا فیهم من قابلیة
ذلک التجلی لیشتاقوا الیه والله بکل شیء علیم فلا یضرب المثل الا لمن یفهمه
فیشتاق الیه ولا یتجلی بالتجلی الا بمقدار استعداد المتجلی له وهو بمقدار
طهارة النفس فیکون هذا داعیا للمبالغة فیها والذی یشاء الله یهدیه الی
النور القلوب المرفوعة بالاعمال الصالحة من الجوارح وبذکر الله باللسان
وبتسبیح الخواطر وقت ظهور النور وخفائه ولا تشغل تلک الخواطر باعمالها
اعجابا بها ولا تطلب اجرها ولا یمنعها ذلک الاستغراق عن سایر اعمال الظاهرة
ولا عن المساعی الباطنة فیخاف تقلب القلوب الی الآخرة والابصار
الی الدنیا فیکثر فیها نور التجلی الالهی کما یکثر المصابیح فی بیوت هی المساجد
اذن الله ان ترفع بعظم مکانات واجبة التعظیم ومن تعظیمها تکثیر السرج
فیها انما اذن برفعها لانه اذن ان یذکر فیها اسمه وهو معظم مفید نورا
للذاکر یسری منه الی مکانه وکیف لا یکون فی ذلک المکان نور معنوی مع
انه یسبح الله له ای لله لا لطلب اجر منه فیها بالغدو طمعا فی استزادة النور
والاصال طمعا فی استزادة ما نقص منه رجال کمل یواظبون علی الذکر
فی کل حال اذ لا تلهیهم تجارة جلب متاع ولا بیع عن ذکر الله بل یستمرون
علی ذکره بکل حال اذ لا یحجبهم الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق ولا عن
اقام الصلوة وان احتاجت الی اعمال تنافی اعمال التجارة والبیع
فیترکونها ویشتغلون باعمال الصلوة ولا عن ایتاء الزکوة وان کان منافیا
للتجارة والبیع فی الظاهر فیجتمع فی حقهم انوار العبادات الظاهرة ایضا
وکذا انوار المساعی الباطنة اذ یخافون مع ملازمة الذکر والاعمال الظاهرة
یوما تتقلب فیه القلوب من الایمان الی الکفر او من الصلاح الی الفسوق
والابصار من الله الی الآخرة او منها الی الدنیا او من الدلایل الی الشبهات

واِنما كان نور تلك البيوت لان الله تعالى انما جعلهم كذلك ليجزيهم الله
احسن ما عملوا ولا يناسب احسن الاعمال سوى التجلي الشهودي المناسب
لذلك العمل وقد اثر فيه ذلك المكان المبني له فلا بد وان يسري اليه من نوره
كيف ويزيدهم تجليا فوق ما يناسب اعمالهم من فضله فلا يبعد ان يتفضل
على اماكنهم وان لم يكن لها عمل ولا يبعد من الله تم التفضل اذ الله يرزق
من يشاء بغير حساب فلا يبعد ان يرزق من تجليه مراتب لا نهاية لها الى
الابد فاذا كان للمساجد النور من قلوب اهلها فكيف يكون حال تلك
القلوب في التجلي الشهودي وهذا اثر اعمال المؤمنين والذين كفروا اعمالهم
اذا تخيلوا فيها حسنا او من اثرها تجليا جماليا فهي كسراب مانعهم ما جاريا
من لمعان الشمس التجلي الغيبي وهو وان كان جلاليا فله عند الظهور جمال
يتوهمون ان اعمالهم تعدهم الحيوة الطيبة والتقرب من الله ومحبته
ووصولهم اليه كما ان السراب يحسبه الظمآن ماء لحبه اياه وان علم بجري
العادة انه خيال لكنه لا يزال يحسبه كذلك حتى اذا جاءه لم يجده شيئا كذلك
اذا كشف عن اعينهم الحجب لم يجد من الجنس المتوهم شيئا ولا من التجلي الجمالي
ولكن وجد الله عنده تجليا بالتجلي الجلالي القهري فحاسبه بقبائح بواطنه
وقبائح الاعتقادات الفاسدة الحاصلة من خيالهم في التجلي من الحلول و
الاتحاد وغيرهما فوفاه حسابه ولا يحسب عليه الاعمال التي هي كسراب لا حقيقة
لها وقبائحه وان كانت خفية على صاحبها فلا يتوقف تعقيبه الحساب على
ابرازهما واحضاره بعد اخرى اذ الله المطلع عليها في الازل سريع الحساب
فيسرع بهم الى النار او اعمالهم التي يتوهمون انها تكشف الحجب او تنورهم بالنور
الالهي كظلمات لكونهم في بحر من الاعتقادات الفاسدة لجي عميق منسوب
الى اللج وهو معظم الماء يغشيه موج من الجهل من فوقه موج من الشبهة
من فوقه سحاب يحجب عن رؤية الدلائل والكشوف الصحيحة ظلمات لا ينكشف

تبعه ارض مستويه من
اسوا ظاهر بهم عند لمعان
الشمس صح



عنهم لكثافتها عليهم اذ ظلمات بعضها فوق بعض فهو بحيث اذا اخرج يده لا كتساب
نورا وكمال لم يكد يراها اذ لم يقرب من رؤيتها كيف ولم يجعل الله لهم نور الايمان
الذي هو اصل انوار الاعمال لعدم استعدادهم له ومن لم يجعل الله له نورا في
استعداده فما له من نور من كسبه وان كان منير الغير فان استبعدت ان
يكون للكفار اعمال يسعون بها رضوان الله ثم ولا يسد بهم شيئا فيل الم تر ان
الله يسبح له من في السماوات والارض من العقلاء ولا يعد بهم التسبيح مثل ما يفيد
الانسان الكامل على ان الكفار في باب المعرفة والعبادة لا يعدون من
العقلاء فعبادتهم كعبادة الحيوانات العجم وان تميزوا عنهم فهم كالطير تميزت عن
الدواب وترى الطير تعبد بها صافات ولا يفيد عبادتها او معبودها بل
كل قد علم صلوته دعاءه لله وتسبيحه له ولا لعدم اطلاع الله عليها لخفائها اذ الله
عليم بما يفعلون وان كان خفيا عليهم وعلى غيرهم وانما عبده الكل لانه الملك اذ
لله ملك السموات والارض والملك معبود بالطبع ولا يرد ان من لا يحضر الملك
لا يعبده اذ الى الله المصير فهم في حكم الحاضرين بل حاضرون له دائما وان لم يحضر
لهم حسا وان استبعدت ان يكون لبعض العبادات فائدة دون البعض فيل لا
بعد على المختار الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق بخارا صاعدا من
البحار والجبال الى الطبقة الباردة من الهواء متفرقا ثم يؤلف بينه بين اجزائه
ثم يجعله ركاما بعضه فوق بعض ليبرد الاوسط بعون الله برودة المكان مع
عدم وصول حرارة الشمس اليه ثم يجعل له فتوقا فترى الودق المطر يخرج من
خلاله فتوقه وينزل بردا من السماء من جهة العلو من جبال فيها من قطع
عظام من السحاب كالجبال حصلت من افراط برد برودة فيصيب به المطر
والبرد من يشاء ويصرفه عمن يشاء بمحض الاختيار ثم انه يكون بين اطباق
السحاب ادخنة تحترق باصطكاك بعضها ببعض بحيث يحصل منهما في تلك البرودة
نار لها في تلك الظلمة ضوء يكاد سنا ضوء برقه من افراطه يذهب بالابصار فاين منع

مثل ما يفيد العقلاء
فضلا عن الانسان الكامل
وليس ذلك لجهلها
بعبادتها صح

الحرارة من تلك البرودة المقتضية مطرا او بردا واين هذا النور من هذه
الظلمات فكانه تقلب الحار باردا والبارد حارا والمنير مظلما والمظلم منيرا
كما انه تقلب الله الليل والنهار ان في ذلك المذكور الدال على محض الاختيار
في اثناء استعمال الاسباب لعبرة لاولي الابصار فانه وان جعل العبادة
سببا للثواب فانما يؤثر باختياره والعبادة بمنزلة البخار وارکانها بمنزلة الاجزاء
وانضمام بعض انواعها الى بعض بمنزلة الركام والثواب بمنزلة المطر واليقين
بمنزلة البرد والشوق بمنزلة البرق يكاد يذهب بابصار صاحبه بالافناء ويحصل
منه تقلب الصفات وقد تقلب الطاعة معصية وبالعكس لكن الكل انما يحصل
باختيار الله تعالى اذ يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ولا يبعد
ان يجعل عبادة الكفار سببا لمعاقبتهم ويجعل عبادة المسلمين سببا لثوابهم
فقد جعل الواحد سببا لامور مختلفة اذ الله خلق كل دابة مع اختلاف انواعها
من ماء من نوع واحد منه وهو النطفة ثم جعل لمشيها اسبابا مختلفة بل لم يجعل
لمشي البعض سببا فمنهم من يمشي على بطنه بلا آلة ومنهم من يمشي على
رجلين فله آلتان ومنهم من يمشي على اربع فله اربع آلات فعلم انه يخلق الله
ما يشاء من الاسباب والمسببات وما لا سبب له واسباب بها صارت
اسبابا بجعله اياها اسبابا فلا حاجة له اليها اصلا ان الله على كل شيء قدير
بالاسباب وبدونها بل اثر لها وان جرت السنة الالهية بالتاثير عندها
وكذلك الاختلاف في باب العبادة اصلها امر واحد هو الاعتقادات
ثم منهم من له عبادتان الصلوة والصوم ومنهم من له اربع عبادات الصلوة
والزكوة والصوم والحج ومنهم من يصل الى الله بلا عبادة وهو المؤمن
الذي لم يدرك وجوب شيء من الفروع بان جن او مات قبل ذلك وكيف
ينكر تاثير الاسباب في البعض دون البعض وقد يحصل في آياتنا فانا لقد
انزلنا آيات دلائل مبينات بالتمثيل ومع ذلك لم يفد هداية الكل بل



الله يهدي من يشاء لان الطباع يميل الى افراط او تفريط فيعارض دلالة الدلائل
ما لم يهدها الله الى صراط مستقيم مثل ان لا يعطل الاسباب ولا يجعلها واجبة
التاثير وقد يظهر تاثيرها على وجه كلي ثم يظهر خلافه كالذين يقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا فحصل لنا الهداية في بابي الاعتقاد والعمل ثم يظهر خلافه اذ
يتولى يرتد فريق منهم بعد ذلك وليس هذا تاثيرا الى مدة ثم انقطاعا له بل ما
اولئك بالمؤمنين في الباطن من اول ما اظهروه ويدل على عدم ايمانهم في
الباطن انهم اذا دعوا الى كتاب الله وسنة رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم
معرضون اي فاجاء الاعراض من فريق منهم ولو كان ارتدادا بعد ايمان لم
يحصل المفاجاة فيه وايضا لو كان ارتداد الاستمرار حالة كون الحق لهم او لغيرهم ولكنهم
ان يكن لهم الحق يأتوا اليه الى هذا الحكم مذعنين منقادين فلو قيل انهم انما اعرضوا
لذهاب اموالهم لا للارتداد عن الايمان نقول افي قلوبهم مرض يميلون به الى
الاموال دون الله ورسوله وترجيح حب المال على حب الله ورسوله كفر وهو مستمر
فيهم ام ارتابوا شكوا في ان الراجح جانب الله او جانب المال وهو ايضا كفر
مستمر فيهم ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ليجوزهم الظلم عليهما وليسا
ظالمين بل اولئك هم الظالمون باعتقاد جواز الظلم عليهما وهو ايضا كفر مستمر
فيهم فهذه الاحتمالات دلائل استمرار الكفر في حق المرتدين ووجوب اضدادها
دلائل استمرار الايمان في الباطن لذلك انما كان قول المؤمنين الدال على
استمرار ايمانهم في الباطن اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا من
قبل طبعهم الى الله وتيقنهم برجحان جانب الله واعتقادهم امتناع الظلم على الله
سمعنا امرهما واطعنا حكمهما ولا يذهب عليهم بذلك شيء من امورهم المطلوبة
باموالهم بل اولئك هم المفلحون بانتظام امر الدارين لهم ولو لم يكن فيها دلالة
على الايمان الباطن كان الواجب على العاقل اختيارها فان من يطع الله ورسوله
فيما يحكمان من اعطاء ما عنده من حق غيره ويخش الله ان يوقع عليه بسبب عدم

الله صح

الطاعة آنه اعظم ما يتوقاه بذلك المال وينفقه لجعلها وقاية للآفات فاولئك
هم الفائزون بجميع المقاصد التي تقصد بالمال وبالايمان والعبادات و
اقسموا بالله ليستدل على ايمانهم الباطن جهد ايمانهم اكدها التي بلغوا فيها
الجهد لئن امرتهم بالخروج من ديارهم واموالهم واهليهم ليخرجن قل لا تقسموا
لانكم اذا عصيتم بعد اليمين كنتم جامعين بين الاثمين اثم المخالفة واثم اليمين
ولا يحتاج اليها في الدلالة على الايمان الباطن بل يكفي فيها طاعة معروفة لا ينكرها
النفس اذ لا حرج فيها ولا حاجة الى اليمين لاعلام ما في الباطن ان الله خبير
بما تعملون من طاعة او مخالفة في المستقبل بلا يمين منكم ولا تخترعوا عليه
امرا لاظهار طاعتكم بل قد اطيعوا الله فيما يامركم به من غير اختراع منكم
واطيعوا الرسول فيما يبلغكم عنه فان تولوا اعرضوا عن ترك الاختراع لئلا
ينسبوا الى النفاق قل لا وجه لاختراعكم فانما عليه اي على الرسول تبليغ ما حمل
ما كلف من تبليغ الرسالة وعليكم اتيان ما حملتم لا ما سكت عنه في حقكم ولا اصلاح
عليكم في فعل المسكوت عنه ولا تركه لانكم ان تطيعوه اوامره ونواهيه
من غير اختراع عليه تهتدوا وما على الرسول اجابتكم في كل ما تسالونه لانه
ما عليه الا البلاغ لما امر بتبليغه المبين لما فيه من الابهام الباطل ولا
حاجة الى سؤاله صلعم في الامور التي تتعارض فيها الادلة او يخفى وجه الدلالة
فيها او يتوقف على القياس لانه وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
لازاحة الاشكال في عقائدهم واعمالهم ليستخلفنهم ليجعلن بعضهم خليفة في بيان
الاشكالات بطريق الاجتهاد لاصلاح امور الخلق في الارض ولا يبعد فانه
كما استخلف الذين من قبلهم ومنهم الانبياء افضل منهم فالاستخلاف فيهم اولى
وليمكنن لهم دينهم باظهار اسرارهم لهم لانه الذي ارتضى لهم لاجل تلك الاسرار
ولا يعسر عليهم فهمها لانه يزيل عنهم المانع وليبدلنهم من خوفهم امنا وهم في ذلك
الاجتهاد يعبدونني فلا يبتدعون في ديني شيئا كيف وهم لا يشركون

بعدم

بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فزعم ان هذا الدين قاصر او خال عن المعاني المعقولة
فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن اصل الكمال والفهم انما يتم بالتصفية
لذلك اقيموا الصلوة تطهيرا للاعضاء عن التعطيل وآتوا الزكوة تطهيرا للقلوب
عن الرذائل ولا تقصروا في الاجتهاد على تتبع كتاب الله بل اطيعوا الرسول
بتتبع سنته لعلكم ترحمون باعطاء الثواب في الاجتهاد ولا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض باثبات القصور في هذا الدين وان قصروا بهم
ولم يزيلوه ماويهم النار لتقصيرهم في ازالته ولبئس المصير مصيرهم لرؤيتهم
القصور فيما ظهر لهم فيه الصدق بالمعجزات ثم اشار الى انه اذا كانت النصوص
توهم خلاف مقتضى الاجتهاد باستنباط المعاني لم يكن بد من التصريح مثلا
جواز اظهار الزينة للعبيد والتابعين غير اولي الاربة والاطفال يوهم
جواز دخولهم في كل وقت بلا استيذان فوجب التنصيص على استثناء
اوقات يكثر فيها كشف العورة لذلك قال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم
ان لا يطلع على عوراتكم غير ازواجكم ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وليحجبهم التابعين
غير اولي الاربة بطريق الاولى والذين لم يبلغوا الحلم منكم وان جرت العادة
بقلة المبالاة بهم ثلث مرات من مرات الدخول وهي الدخول من قبل
صلوة الفجر والدخول حين تضعون ثيابكم ثياب اليقظة للقيلولة من
الظهيرة الظهر والدخول من بعد صلوة العشاء وانما منع لهم الدخول
في هذه الاوقات لانها ثلث عورات لكم تلك اوقات تلك مرات كشف العورة
قبيل الصبح بطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ووقت العشاء وقت
التجرد عن الثياب والالتحاف باللحاف وجواز اظهار الزينة لا يستلزم
جواز اظهار العورة ليس عليكم جناح في ترك نهيهم من الدخول بلا اذن
ولا عليهم جناح من الدخول بدونه بعدهن بعد هذه الاوقات وان احتمل
فيها كشف العورة على الندور لانهم طوافون عليكم يعسر عليهم الاستيذان

في كل مرة لانه يطوف بعضكم على بعض للقيام بحاجته فلو منعوا وعسر عليهم
الاستيذان لتعطلت الحوائج وكيف يعجزكم الكفار بالتقصير في شانكم مع
انه كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم بما يحتاج الى البيان وما لا يحتاج
اليه لكونه محل الاجتهاد حكيم في جعل البعض محل الاجتهاد وان ادى الى الاختلاف
لما فيه من التوسع على الامة واذا بلغ الاطفال الذين رخص لهم في ترك
الاستيذان في غير الاوقات المذكورة منكم ايها الاحرار بخلاف العبيد
فانهم باقون على الرخصة الحلم حد البلوغ بالاحتلام او بالسن الذي هو
مظنة الاحتلام فليستاذنوا في سائر الاوقات ايضا كما استاذن الذين
بلغوا من قبلهم ممن لم يرخص لهم في ترك الاستيذان لاشتراك علة الاستيذان
وزوال سبب الرخصة وهو تكرر الدخول بعد البلوغ بخلاف العبيد كذلك
مثل هذا البيان الرافع للاوهام يبين الله لكم آياته والله عليم يحيط علمه
بالتفاصيل الدقيقة حكيم في مراعاة الدقائق والقواعد من بين يدي الرجال
الاجانب وهو سبب طول الاختلاط من النساء اللاتي لكبرهن لا يرجون
من يرغب فيهن فيريد نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن مما لا تكشف
العورة كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار غير متبرجات مظهرات
بحليهن بزينة كانت تخفيها وان يستعففن من وضع تلك الثياب خير لهن
وان ثقلت عليهن لانه ابلغ في الحياء وابعد من التهمة والله سميع لمقالهن
مع الاجانب عليم بمقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ولما كانت
المخالطة من اسباب المواكلة وكانوا يتحرجون عنها تكبرا بتمام اهل العاهة
رفع الحرج عن ذلك فقال ليس على الاعمى حرج ان يواكل مع البصراء
ان استقذروه او زعموا انه ياكل اكثر ولا على الاعرج حرج وان اخذ
مكان اثنين ولا على المريض حرج وان استقذروه وخافوا سراية مرضه
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي بيوت ازواجكم واولادكم وان وجب

عليكم ان تنفقوا عليهم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وان وجبت نفقتهم عليكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم وان لم يكن بينكم تعصيب او بيوت اعمامكم او بيوت
عماتكم وان كانوا ابعد من الاخوة والاخوات لكنهم بمنزلة الاب او بيوت اخوالكم
او بيوت خالاتكم لانهم بمنزلة الام او ما ملكتم مفاتحه اي التصرف فيه بتفويض صاحبه
الغائب وكانوا يتحرجون من اكل ماله لاحتمال موته او رجوعه عن الاذن او
صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة ولا تفويض تصرف لرضاه بالتبسط و
انما ذكر البيوت ثانيا لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار وذكر
الباقي اجراء لها مجرى واحدا لا انه لما كانت ما عبارة عنها لم يذكر هناك ولما
كان كالمتروك اتبعه ما بعده ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا وان وصل سوء
بعضكم الى البعض وهو موجب للايتلاف او اشتاتا وان فهم منه تنزه الملوك
فيكفي لازالتها السلام كيف وقد يكفي في دفع ما لا يخلو عنه المجالس من الكلمات
التي هي مظنة المخاصمة ودخول البيوت من التهمة فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على اهلها طلبا للسلامة على انفسكم ولا بعد افادتها لها لكونها تحية منزلة من
عند الله فيكون مباركة لكثرة الخير لنزولها من معدن الخيرات واقل ما فيها ان
يكون طيبة يطيب نفوس السامعين كذلك مثل هذا البيان المشتمل على الفوائد
والاحتراز عن المضار يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ما يعتني بكم من رعاية
المصالح ودفع المفاسد من غير وجوب عليه ثم اشار ان الاختلاط الذي لا يتوهم
فيه شيء من المضار هو الاختلاط مع الله ورسوله في اشارتهما ومع المؤمنين
في الامر الجامع بتمام الرسول فقال انما المؤمنون الكاملون الذين آمنوا
بالله ورسوله ايمانا يوجب مزيد محبتهما على من سواهما ويوجب محبة المؤمنين
والاختلاط بهم في الامر الجامع بتمام الرسول بحيث اذا كانوا معه على
امر جامع كالصلوة جماعة والجمعة والعيد والحرب والمشاورة لم يذهبوا
لمهماتهم حتى يستاذنوه ترجيحا لجانبه على جانب مهماتهم ان الذين يستاذنوك

وان كانوا دون الصابرين معك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله اذا
راعوا جانبهما بالاستيذان فاذا استاذنوك لبعض شانهم فانه وان كان
دون الامر الجامع فاذن لمن شئت منهم من علمت انه لا يطيق الصبر عن شانه
لا من علمت كمال صبره عند عدم اذنك له واستغفر لهم الله لانهم وان راعوا
جانبك لم يراعوا جانب الامر الجامع ان الله غفور لهم ايثارهم بعض شؤنهم
على الامر الجامع لانه رحيم لعلمه بضعفهم ثم انه وان غفر على ترك الامر الجامع
ورحم فلا تخالفوا امر الرسول اعتمادا على ذلك لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
امره كدعاء بعضكم بعضا بجماعة تارة دون اخرى لانه واجب الطاعة لا يسقط
بالانسلال عن جملة المدعوين قد يعلم الله الذين يتسللون منكم متسللين قليلا
قليلا عن الجماعة يلوذ بعضهم ببعض في الاستتار لواذا مخافة ان يلومهما
المامور فليحذر الذين يخالفون دعاءه ليخرجوا عن امره ان يصيبهم في
الدنيا فتنة بلية او يصيبهم في الآخرة عذاب اليم ولا يبعد ذلك من الله
اذ له ان يسلط على المخالف ما شاء من السموات والارض الا ان لله
ما في السموات والارض ولا يسلط الا ما يناسب حال المخالف لانه قد يعلم
ما انتم عليه وسوء ان لم يعلمكم مناسبة ما يسلط عليكم في الدنيا يبينه يوم يرجعون
اليه لانه يطلعهم على علمه الغيبي فينبئهم بما عملوا فينبئهم ما ناسب اعمالهم ان يسلط
عليهم والله بكل شيء عليم فيعلم ما يخفى وما يظهر ووقت ذلك تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلم على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الفرقان

سميت به لاشتمالها على انه ظهر كثرة خيرات
الحق بالفرقان الذي هو المميز بين الحقائق بسم الله المتجلي
بتفاصيل ذاته واسمائه في الفرقان الرحمن بتنزيله على عبده المبعوث رحمة
للعالمين الرحيم بجعله نذيرا للعالمين اذ افاد به الرحمة الاخروية الخاصة
للمؤمنين تبارك كثر الخيرات الذي نزل الفرقان اي الذي كثر تنزيل الكلام



المبالغ في التميز بين الحقائق وذكر التكثير بيوهم الجمع بين المثلين وذكر
التنزيل مع الخبر يوهم الجمع بين الضدين وجعل التنزيل نفس الخبر يوهم قلب
الحقائق المحال على عبده الكامل المنسوب اليه عبودية ليزداد ظهور كماله بسببه
ليكون للعالمين الجن والانس النازلين منزلة الكل لكونهما المقصود
من خلقه نذيرا بان شانه التعزيز يخاف منه التعزير في الجزاء وانذار
العالمين خير كثير لهم يصلح لهم امر الدارين مضموم الى خير الفرقان ولو لم يكن
شانه التعزير لكان مخوفا اذ هو الذي له ملك السماوات والارض و
كيف لا يختص بملكهما مع انه لم يتخذ ولدا يرث منه الملك ولم يكن له شريك
في الملك من غير اتخاذ منه وكيف يشاركه من لا نهاية له من هو مخصوص
بمقدار خاص لانه خلقه فقدره تقديرا خصه بمقدار خاص والذين جعلوهم
اولاده كانوا مخلوقين له مقدرين له ايضا فلا يناسبونه والذي هو الخالق
لكونه قادرا ينبغي ان يخاف والمقدر لكونه مميزا ينبغي ان يخاف المقدر
ان يفرق بين المحسن والمسيء في الجزاء وكيف لا ينزل الفرقان وقد عجزوا
عن الفرق بين المعبود الحق وغيره لانهم اتخذوا من دونه آلهة مع ان
الدون لا يصلح للالهية لانها لغاية الكمال ولو جعلت بالخالقية فهم لا يخلقون
شيئا ولو جعلت بعدم المخلوقية هم يخلقون ولو جعلت بالمالكية لا يملكون
لانفسهم فضلا عن غيرهم ضرا ولا نفعا وان نصروا من بعضهم لا يملكون
موتا ولا حيوة ولو ملكهما بعضهم بالعسل والمن لا يملكون نشورا والاله انما
يعبد للثواب والعقاب المرتب على النشور ولم يعرفوا ايضا الفرق
بين كلام الله وغيره لانه قال الذين كفروا بما هو صدق في نفسه رافع للالتباس
وقد صدقه المعجزات ان هذا الا افك كذب صارف عن الحق ملتبس له
بالباطل فهذا شيء افتريه وجعلوا العجز العاجزين عنه معينين عليه اذ قالوا
اعانه عليه قوم آخرون غير العرب العاجزين عنه وهم العجم فقد جاءوا ظلما

مع انه خلق كل شيء اندفع تحت قدرته
وكيف يشاركه صح

بمقدار صح

الكلمات ليظلموه ظلما بجعل الصدق كذبا ورافع اللبس ملبسا وزوروا
عليه زورا بجعل المعجز مفترى والعجز العاجزين عنه معينين وقالوا انما
عجزوا من عجز لعدم اطلاعه على اساطير الاولين اذ هي اساطير الاولين
وانما عجزوا عنها بعد تلاوته اياها عليهم لانهم لم يكتتبوها وهو قد اكتتبها وهو
وان كان اميا لا يعرف قراءة ما كتب فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل كما عجز
عنه العرب عجز عنه ساير الاقوام لاشتماله على اسرار لا يطلع عليها الا
علام الغيوب فيعلم من ذلك انه انزله الذي يعلم السر في السموات و
الارض ليعلم الكل صدقه فيعتقد واما فيه ويعلموا بما فيه فيغفر لهم ويرحمهم
انه كان غفورا رحيما وقالوا لو كان صدقا لفارق المنزل عليه ساير الناس
مال هذا الرسول يأكل الطعام فلا اشبه الملائكة ليمكن ان يقال انه صعد
السماء بقوة ملكية ولو لم يصعدها فلا اقل من ان يمشي في الهواء وهو يمشي
في الاسواق فان لم يكن فيه مزيد القوة لولا انزل اليه ملك نراه كما يراه
فيكون معه نذيرا كانه شاهد على صدقه او يلقى اليه كنز يعطي منه اتباعه
ليعلم ان الله جعله متبوعا او يكون له جنة من الله تعالى يأكل منها فلا يفتقر
الى مخلوق فاقل ما يجب في الرسول ان يستغني بما يعطيه المرسل ولو قيل
يكفي في العز اعطاء المعجزات بما العقلية قال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا يتكلم بكلام المجانين فلا تقدر العقلاء ان يأتوا بمثله
انظر كيف ضربوا لك الامثال بمثل الملوك وبالمسحور والمجنون والامثال
انما يضرب لمزيد الوضوح المفيد مزيد الهداية وهم ازدادوا بها ظلمة فضلوا
ضلالا لا يمكن تداركه فلا يستطيعون سبيلا لانهم لا يمكنهم التدبر فيه تبارك
كثير الخير عليك الذي اعطاك الفضايل الزاهرة والمعجزات القاهرة لكنهم
لا يبالون بالمعقولات لاقتصار نظرهم على المحسوسات ان شاء جعل لك
من المحسوسات خيرا من ذلك الذي قالوه من القاء الكنز واعطاء الجنة

للاكل وهو ان يجعل لك في الدنيا جنات اخروية تجري من تحتها الانهار
من ماء ولبن وعسل وخمر ويجعل لك قصورا مثل قصور اهل الجنة
لكنها لما كانت ملجئة الى الايمان لكونها من الامور الاخروية اخرها لك
الى الآخرة ثم اشار الى انهم لو آمنوا بالساعة لنظروا في الامر المنذر عنها
فكانهم لم يكذبوه بل كذبوا بالساعة التي عنها الانذار ولا بعد منه لانا اعتدنا
لمن كذب بالساعة التي تكذيبها تكذيب لدوام ربوبية الله سعيرا من شدة
قبل دخولها انها اذا رأتهم بعد خلق الجسوم والابصار فيها البصر اعده
الله فيزداد عليهم غيظا وغليانا من مكان بعيد مسيرة ماية عام من
جهة نظرها سمعوا لها تغيظا صوت المغتاظ من شدة غضب الله
على نفي دوام ربوبيته وزفيرا صوت الغليان من شدة قهر الله على نفي
قدرته وبعد الدخول اذا القوا منها مكانا ضيقا لتضييقهم القدرة الواسعة
والجود الواسع وتوسعهم في الشهوات المانعة من النظر تضيق عليهم الاكمام
باحاطة وجوه العذاب من الجوانب مع عجزهم عن دفع شيء منها لكونهم
مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل اذ لم يستعملوها في طاعته
بل في معاصيه دعوا تمنوا هنالك لما يئسهم عن الخروج عنه ثبورا هلاكا
فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا تتخلصون به وادعوا ثبورا كثيرا
واحدا بعد اخرى لعدم تخلصكم بعذاب من سبب موت قل للذين
كذبوا بالساعة لا لشبهة لهم على نفيها بل لان الايمان بها يبعثهم عن شهواتهم
المحرمة مع ان تناولها وتكذيب الساعة يوجب السعير ودعوة انواع الثبور
والتقوى يوجب لها جنة الخلد اذلك السعير ودعوة الثبور الموعودة
على تكذيب الساعة وتناول المحرمات خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
بتكذيب الساعة وتناول المحرمات التي لا بقاء لها كانت مع غاية عظمتها
وشرفها لهم جزاء على امر هين هو الايمان بالساعة وترك المحرمات العاجلة

ومصيرا للنصير عنها ولا ينفعهم المشتهيات اذ لهم فيها ما يشاؤون من غير هنا
عليهم ولا نعيم اذ لا نعيم بها امر آخر لكونهم خالدين فيها فلا يبالون بفواتها
وليس هذا من ترك الموجود اعتمادا على الموهوم اذ كان كالواجب على
ربك لكونه وعدا منه فكان مسئولا عنه لو تركه فقال هذا لا يليق بجلالك
وان زعموا انه انما يكون لنا السعير ودعو الثبور وبقينا جنة الخلد لو لم
يشفع لنا آلهتنا اذكر لهم يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ليشفعوا
لهم عند الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي تدعونهم الى عبادتكم ووعدتم
الشفاعة المنجية من السعير ودعو الثبور ودخول جنة الخلد هؤلاء
الذين ارسلت اليهم الرسل ليعبدوني لا غيري فمنعتموهم عن عبادتي
وامرتموهم بعبادتكم ام هم بانفسهم ضلوا السبيل الذي هو هدايتهم الرسل
قالوا سبحانك ننزهك من ان يستحق العبادة غيرك فضلا عن اختصاصه
بها بل ما كان ينبغي اي يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء نتولى شيئا
من امورنا فضلا عن ان نتخذ عابدا لنا ولسنا سبب ضلالهم لكن سبب
ضلالهم ما كان حقه ان يكون سبب الهداية وسائل منعتهم وآباءهم بانواع
النعم ليشكروك فيعبدوك فاشتغلوا بها حتى نسوا المنعم فتركوا الذكر الداعي
الى العبادة ولم نذكر آباءهم لانهم متعوا بمثله وانما انقلب عليهم سبب الهداية
سبب الضلال لانهم كانوا في استعدادهم قوما بورا هالكين واذا كان هذا
قول معبوديكم فقد كذبوكم بما تقولون انهم امروكم بعبادتهم اذ لا عبادة
بدون امر المعبود وانهم وعدوكم الشفاعة عليها بل شهدوا عليكم باستحقاق
العذاب بجعلكم اسباب الهداية اسباب الضلال فما تستطيعون صرفا
للعذاب عنكم ولا نصرا اعانة على دفعه بل انتم اظلمكم بعبادتكم لهم وتركم
عبادة الله وان اعانوكم لم يفدكم لان من يظلم منكم ايها المبعوث اليهم الرسل
نذقه عذابا كبيرا لا يظهر معه اثر اعانة الغير لتخفيف وان زعموا ان العبادة

لو كانت بامر المعبود ولا يعرف امر الله الا على لسان رسوله لكنك لا تصلح لرسالته
لانك تاكل الطعام وتمشي في الاسواق لطلبه فلا يناسب الله تعالى لهم هذا لا
ينافي الرسالة ولا يبطل المناسبة التي بها استحق الرسالة فانا ما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق والحكمة تقتضي
ذلك لانا جعلنا بعضكم رسلا لكونها لبعض فتنة ابتلاء لننظر اتصبرون
للنظر في معجزاتهم فتصدقونهم ام تستعجلون بتكذيبهم بمجرد اكلهم الطعام ومشيهم
في الاسواق وكان ربك في ارسال اكلة الطعام ومشاة الاسواق بصيرا
اذ ارسال غيرهم يكون ملجئا الى الايمان فلا يبقى الابتلاء الذي هو شرط التكليف
وقال الذين لا يرجون لقاءنا فيحترزون بالتحكم علينا لو كانت الرسالة لا ينافي
اكل الطعام والمشي في الاسواق فالكل سواء في جواز ما به الرسالة من انزال
الملائكة ورؤية الرب لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا مثل نزولهم
على الرسل ورؤية الرسل ربهم لقد استكبروا في انفسهم تعظيم الرسل
من غير ان يكون لهم ذلك في الواقع بل عتقدوا ذلك في انفسهم وقد خلوا
عن شرط الرسالة وهو الكمال في الصلاح اذ قد عتوا افسدوا بالشرك وعدم
رجاء لقاء الله عتوا كبيرا يمنعهم من الرسالة لو حصلت لهم استعدادها
ثم رؤية الملك لو كانت باليقظة قبل الموت لاهل الصلاح تفيدهم نبوة او
ولاية واما المجرمون فلا يرونهم الا عند الموت وهم يوم يرون الملائكة
لا بشرى بخير فضلا عن ان تفيدهم نبوة او ولاية لو تصورنا بعد الموت
يومئذ للمجرمين وان بشروا المؤمنين ويقولون حجرا منعا عن الايمان
والتوبة محجورا ممنوعا ان يزال الى الابد كيف وقد قدمنا عمدنا الى ابطال
ما عملوا من عمل كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف مما لو آمنوا
لنالوا عليه اجرا كاملا لكنهم لما كفروا احبطناه فجعلناه هباء مثل الغبار
في الحقارة وعدم النفع منثورا متفرقا لا يمكن نظمه اصحاب الجنة اي المؤمنون

الذين لا عذاب لهم ولا عتاب فانهم وان لم يروا الملائكة فى البعث قبل الحق
لعدم تبقيتهم ولا بتهم لكنهم يومئذ اى يوم يرونهم يوم الموت خير مستقرا
اذ تبشرهم توسعة فى القبور وتشويقا فيها واحسن مقيلا اذ تبشرهم
تزويجا ويقولون لهم نم كنومة العروس بخلاف المومنين المعذبين
او المعاتبين فانهم وان لم يخلوا عن خيرية وحسن بالنسبة الى الكافرين
لكن لا يبلغون مبلغ هولاء ولا يبعد ان يكون لهم هذا فى القبر مع انه يكون
لهم مثل هذا فى اهوال القيمة يوم تشقق السماء بالغمام الناشى من ادخنة
النار المتراكمة حتى يحترق ونزل الملائكة من كل سماء تنزيلا مرة واحدة بعد
اخرى بحسب وصول الادخنة اليها وانما كانوا خيرا مستقرا واحسن مقيلا
فى ذلك اذ الملك يومئذ هو الملك الحق فلا يظلم فيه سولا بتلك الاهوال
مع عدم استحقاقهم شيئا من الشدة مع انه للرحمن الذى يرحمهم فى ذلك اليوم
بما به رحمة فيكون منها صرف تلك الشدائد عنهم ولكن لا يقتضى رحمانيته الكافرين
شيئا من التخفيف اذ كان يوما على الكافرين عسيرا من جميع الجهات فى
غاية الشدة و ايضا اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن مقيلا يوم يعض
الظالم عقبة بن ابى معيط تحسرا على رؤية اصحاب الجنة فى خير مستقر واحسن
مقيل ونفسه فى السعير ودعوة الثبور على يديه يأكلهما حتى يبلغ مرفقيه ثم
ينبتان ويأكلهما وهكذا ابدا يقول يا ايها النبى تعال ليتنى اتخذت مع
الرسول سبيلا الى رضوان الله وجنته يا ويلتى تعال ليتنى لم اتخذ فلانا
ابى بن خلف خليلا تخالل قوله فى باطنى بالاضلال والله لقد اضلنى عن
الذكر كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى حين دعا رسول الله صلعم الى طعامه
فقال لا آكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله ففعل
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعامه فقال له ابى بن خلف لا ارضى
عنك ابدا حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل فعاد بزاقه اليه فاحرق خداه

وقال له صلى الله عليه وسلم لا القاك خارج مكة الا علوت راسك بالسيف
فقتله وابى بن خلف يوم بدر و انما اثر فيه قوله دون قول الرسول اذ كان
الشيطان للانسان خذولا يواليه حتى يورده الى الهلاك فيتبرأ منه وقال
الرسول حين راى تاثير قول الشيطان مع ان الرسول انما ارسل لدفعه يا رب
انك وان ارسلتنى لدفع كيد الشيطان فانما ادفعه بهذا القرآن وانما يؤثر
بتمام تدبره فيه لكن ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا تركوا تلاوته فضلا
عن التدبر فيه لا لرؤيتهم النقص فيه بل لشدة عداوتهم لمن انزل عليه فقال
تعالى هذه سنتنا فى الانبياء ولا بد منها اذ كذلك جعلنا لكل نبى عدوا
من المجرمين لئلا يقال انه رجل تواطأ الكبراء على تعظيمه لتحصيل بعض
مقاصدهم ولا ينافى ذلك مقصود الرسالة من افادة الهداية اذ كفى بربك
هاديا للدلائل فى مقابلة الشبهات نصيرا ومن تلك الشبهات انه قال
الذين كفروا انما يهجر لانه انزل مفرقا كالشعر الذى ينشأ شيئا فشيئا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة كسائر الكتب السماوية فقال تعالى كذلك نزلناه
مفرقا لنثبت به فؤادك بالتامل فى كل آية آية والتفريق اشد فى الاعجاز وليس
كالشعر الذى لا اعجاز فيه ولقصد التثبيت رتلناه امرنا بترتيل قراءته ليقراه
ترتيلا يمكن فيه التامل الوافى وفى التفريق حكمة اخرى هى انهم لا يأتونك
بمثل بشبهة عظيمة عجيبة يضربها المثل الا جئناك لدفعها بالحق اى الدليل
الثابت ان كان من قبيل التصديقات وان كان من قبيل التصورات
جئناك بما كان احسن تفسيرا بيانا للحقيقة فلو قيل مقتضى هذا ان يؤمن
به الكل قيل الذين قدر الله تعالى انهم يحشرون على وجوههم بجعلهم الحق
العالى شبهة سافلة والشبهة السافلة حقا عاليا الى جهنم لا يستقرون بمكان
الحق ولا يهتدون لاحسن التفسير اذ اولئك شر مكانا من العناد واضل
سبيلا عن الامور الصادقة الجلية ولا يبعد كونهم شر مكانا واضل

سبلا مع كونهم خيرا مكانا واصوب رايا فى امور الدنيا اذ هم كفارون
وقومه فانا لقد آتينا موسى بعد هلاك فرعون وقومه الكتاب الجامع للدلايل
ورفع الشبه وجعلنا معه اخاه الذى شانه الاعانة هرون وزيرا حاملا
اثقال نبوته بتحرير ادلته ورفع اللبس عنها فقلنا اذهبا الى فرعون وقومه
القوم الذين كذبوا بآياتنا التى بعثتما بها الى فرعون وقومه وبدلايل
الكتاب فكانوا اشر مكانا اذ عاندوا بعد اهلاكهم واضل سبيلا لضلالهم
بعد رؤية دلايل الكتاب ايضا فدمرناهم اهلكناهم من غيرها جز تدميرا
كليا اذ خسفناهم وبدارهم الارض وتركنا ديار قوم فرعون لبنى اسرائيل
ولا بعد حشرهم الى جهنم اذ هو اغراق فى النار وقوم نوح لما كذبوا الرسل
اغرقناهم وليس من خواصهم حتى لا يقاس عليهم غيرهم اذ جعلناهم للناس
آية علامة على اهلاككم لو كذبوا الرسل ومن القياس على العذاب الدنيوى
نقاس العذاب الاخروى فقد اعتدنا للظالمين من قوم نوح وغيرهم
عذابا اليما هو الاغراق فى النار وبدل على انه ليس من خواص قوم
نوح انا اهلكنا عادا افا غرقناه فى التراب وثمودا الصقنا وجوههما
بالتراب فصاروا كالمحشورين على وجوههم واصحاب الرس البئر الغير
المطوية بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول البئر انهارت بهم فاغرقوا
فى التراب ايضا وقرونا بين ذلك كثيرا فكان سنة الهية لم يكن اهلاكهم
من البليات العامة اذ كلا ضربنا له الامثال بينا له الدلايل العجيبة
فالواقع عقيب تكذيبها يظهر نسبته اليه كيف لا وكلا تبرنا تتبيرا اهلكناه
اهلاكا لم يعقبه خير والابتلاء العام كثيرا ما يستعقب الخير وهؤلاء ان لم يأتوا
تلك القرى لقد اتوا على القرية التى ظهر فيها الحشر على الوجوه اذ جعل عاليها
سافلها وهى قرية قوم لوط وهم وان لم يروا ذلك رأوا احجارها اذ امطرت
مطر السوء ابنكرون اهلاك تلك القرية ايضا لعدم رؤيتهم اهلاكها

غاية ح

فلم يكونوا يرونها اى تلك الحجارة التى عليها اسامى اهلها وليس علمهم باغبارهم
لعدم رؤيتها بل لانهم كانوا لا يرجون نشورا فلا يرجون ما يترتب عليه من
العذاب والحشر على الوجوه وان سلموا ذلك لتكذيب اولئك لا يسلمونه
لتكذيبك لانهم اذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا به هزوا لا لعيب
او على الغيب بل باللسان على الحضور اذ يقولون اهذا الذى بعث الله
رسولا كيف والرسول انما بعث للاهتداء وهذا مضل ان كاد ليضلنا
عن آلهتنا بشبهاته لولا ان صبرنا عليها مع عجزنا عن دفع شبهاته لغفلتها جعلوا
اهتداءه بالآيات اضلالا لا بالشبهات وسوف يعلمون ماهو الآية والهداية
وما هو الشبهة والضلال حين يرون العذاب على ما صبروا عليه فيعلمون من
اضل سبيلا اهو الصابر الى خلاف الدليل ام التابع له ارايت اخبرنى
كيف لا يكون اضل سبيلا من اتخذ الهه هواه اذ رجحها على الله وحججه وصبر
لها افانت تغيره له الحجج فانت تكون عليه وكيلا حفيظا عن الغلط ام تحسب ان اكثرهم
يعتقدون الامور على ما عليه ام يحسب ان اكثرهم يسمعون الدلايل من
المتبرها او يعقلون بانفسهم فذلك من خواص الانسان الذى نسبه
الملك وهؤلاء ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا اذ لا يمكن للانعام
سلوك طريق الاستدلال وهؤلاء مع امكانه لهم تركوه بمتابعة اهوائهم الحيوانية
فان قلت انما لم تركوا الاهوية لاجل الدلايل لانها لا تخلو عن اعتراض
قيل لك من الدلايل ما يفيد الكشف الصريح الم تر الى ربك كيف دل على
وجوده الذى هو كالشمس بالوجود المنبسط على حقايق الاشياء الذى هو
كالظل حينئذ بعد الفجر قبل طلوع الشمس الظل من اشراق نور الشمس
عند كونها تحت الافق على الهواء التى فوقها يظهر به الاشياء بعد كونها فى ظلمة
الليل كذلك يظهر بالوجود المنبسط على الحقايق بعد كمونها فى ظلمة العدم ولو
شاء ان لا يدل به على الشمس لجعله ساكنا لا يزداد صفاء بتزايد الشمس تحت

الافق يحجب لا يظهر لها شعاع لكن حركه باظهار شعاع الشمس للدلالة عليها عند
احتجابها بالافق وكذلك حرك الوجود المنبسط على الحقايق بتغيرها ليدل على
الوجود القديم الذى هو شمس الذات الالهية ثم اى بعد الاستدلال بالاثر
على المؤثر جعلنا الشمس عند طلوعها الذى لا يحتاج معه الى دليل عليه دليلا
يستدل بالمؤثر على الاثر ليعلم ان نورية الظل من نورية الشمس كذلك عند
حصول التجلى الشهودى يستدل على ان الوجود المنبسط على الاشياء من
اشراق وجود الحق وشعاعه ثم لا يزال الشمس يرتفع والشعاع يزداد حتى
قبضناه كما يقبض الوجود المنبسط على الاشياء عند التجلى الشهودى لها
بتوجيهه الينا حتى يفنى فينا او بقى بنا قبضا يسيرا قليلا قليلا حتى لا يبقى ظل
بعض البلاد فى بعض الايام ثم بين حكمة الظل بقوله وهو الذى جعل لكم
الليل لباسا لئلا يحترقوا بدوام الشمس والنوم سباتا راحة بعد سطوعها
وجعل النهار نشورا حيوة كذلك جعل ظلمة النفس لباسا يحجب به عن
الانوار للتفرغ الى مصالح المعاش ونوم الغفلة سباتا يستريحون بها عن
الحيوة الحقيقية ونهار التجلى الشهودى نشورا يحيى به قلوبكم وهذا التجلى
لما كان بالتصفية وكانت بالاعمال وهى ببيان الرسل دل تعالى على ذلك
بمثال اذ هو الذى ارسل الرسل بشرى للهدى بين يدى افاضته اسباب
السعادة كما انه ارسل الرياح بشرا للسحاب بين يدى رحمته بافاضة الامطار
وانزلنا على الرسل من اللوح المحفوظ والقلم العلم الالهى كلاما يتضمن
اعمال التصفية كما انزلنا من السماء ماء طهورا يفيد طهارة الظاهر و
التصفية تفيد الحيوة بالتجلى كالماء اذا انزلناه لنحيى به بالنبات بلدة
ميتا ذكره لاستواء المذكر والمؤنث فى فعيل ويستفيد من اهل التصفية
من دونهم علوما ينتظم بها معاشهم واخرى ينتظم بها معادهم كما ان من فوائد
الماء ان نسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا والقليل يشربون مما ينبع

الاعلى و حو



الارض وانما كان ما ذكرنا مفيد للدلالة بطريق التمثيل لانا العنصر فناه
هذه الامور بينهم ليذكروا بها ما ذكرنا ليكونوا شاكرين بها فابى مع اكثر الناس
ان يفعلوا الا كفورا لعق لهم مطرنا بنوء كذا و انتشار هذا الكفور فى البلاد
يقتضى ارسال رسول فى كل بلد ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية رسولا ليكون عن
الكفور لهم نذيرا لكن لم نشاء لانه يقتضى تفرقهم وكثرة الاختلافات
فجعلنا الواحد نذيرا للكل ليطيعوه او يقاتلهم والكفار يريدون ان يطيعهم
الرسل او يتركوهم على ما هم عليه فلا تطع الكافرين وجاهدهم به بما ذكرنا جهادا
يؤثر فى بواطنهم فيكون كبيرا يفوق ما يؤثر فى الظواهر وان زعموا انه كيف
يجاهد بالدلائل من يورد شبهات يجاورها قيل غاية امرهما ان يكونا كالبحرين
المختلفين المتجاورين وقد رفع الله الالتباس بينهما بعدما جاورهما وهما
محسوسان فكيف لا يرفع الالتباس بين البحرين المعقولين اذ هو الذى مرج
جاور البحرين اللذين بينهما غاية الخلاف اذ هذا عذب فرات قاطع
للعطش وهو مثل بحر الدلايل المفيد للذوق القاطعة عطش الطلب وهذا
ملح اجاج مبالغ فى الملوحة وهو مثل بحر الشبهات الموجبة للنفرة هذا لاهل
الذوق واما لاهل النظر فقد جعل بينهما برزخا مانعا من الخلط وهو النظر
فى مواد المقدمات وصورها ليعلم بذلك صحة الدلايل واما فساد الشبهات
فيعلم بالاعتراضات التى لا جواب عنها كما انه جعل بينهما حجرا منعا من وصول
اثر كل منهما الى الاخر محجورا ممنوعا ان يمنع وان زعموا ان كل فرقة يرى
متمسكا به يفيد الذوق ويقطع عنه الطلب وينفر عن متمسكات صاحبه اشد
من التنفر عن الملح الاجاج قيل ليس هذا بالنظر الى نفس الدلايل بل بواسطة
التعصب من جهة الاباء والمشايخ والاصحاب وقد ما وجد الله لازالة العلة
عنه مثالا اذ هو الذى خلق من الماء بشرا كما اخرج من المقدمات نتايج
العلوم فجعله اى البشر نسبا اصلا او فرعا او حاشية لقوم وصهرا لاخرين

يتعصب من اجل نسبة وصهر فيعتقد باطلهم حقا كذلك اهل الاشراك يتعصبون
لآبائهم ومشايخهم وهو وان صعب ازالته كان ربك الذي امرك بالجهاد
الكبير قديرا على ازالته كما قدر في النسب والصهر فلا يبالي المؤمنون بهما وهذا
حيث يكون بشبهة ولا شبهة لاهل الشرك اذ يعبدون من دون الله مع ان
الدون لا يستحق ما يختص بالاعلى على ان العبادة انما هي لجر نفع او دفع ضر
وهم يعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويتعصبون بها على عكس ما تقدم كمن
تعصب بعدوه على ابيه اذ كان الكافر للشيطان على ربه ظهيرا معينا ولو
قيل ان تعصبهم انما هو لعداوتهم معك يقال لا وجه لها لانا ما ارسلناك
الا مبشرا لهم بالثواب الدايم ونذيرا عن العقاب الدايم وكلاهما من اعظم
الفوايد الموجبة اعظم وجوه المحبة وهم يعادونك عداوة من يزاحمهم في دنياهم
قل ما اسألكم عليه من اجر الا اجر هداية من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فيثاب
منه قربا ويكون للهادي مثل قربه وان عادوك على تبشيرك وانذارك
فتاذيك توكل على الحي ليبقى حرمتك بحيوته الكاملة اذ هو الذي لا يموت اذ
لا يعرض له ما يزيل عنه الحيوة فلا يمكن اعداؤك ان تعرضوا فيك ما يزيلها
عنك وسبح بحمده ونزهه من ان لا ينصرك عليهم مع اتصافه بكمال القدرة
والحكمة كيف وقد استحقوا الهلاك الكلي على معاصيهم فضلا عن الكفر فانها
وان كانت دون هذا القدر عند اكثر الخلايق كفى به بذنوب عباده خبيرا بما يقتضي
كل ذنب من ذنوب عباده من المعاقبة خبيرا وقدرا على كل مستحق بحسب جرمه
اذ هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما من فلك وملك ونجم ومعدن
ونبات وحيوان في ستة ايام ليوفي كل يوم حقه من تكميل ما يحدث فيه نوعا
ثم استوى ليفيض على كل شيء منها ما يستحقه على العرش الذي هو منبع الفيوض
اسمه الرحمن فان لم تدركه بدليل ولا كشف فاسأل به خبيرا فانه اولى بالتقليد
من الجهال وهم الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الذي عمت رحمته الموجودات

ليستفيضوا منه الكمالات قالوا من افراط جهلهم وما الرحمن فانا لا نعرف من
يعم رحمته الكل بل نعتقد ان كل معبود يرحم عابده على ان عموم الرحمة تقتضي
ترك التكليف فلا يكون امرا بالسجود انسجد لما تامرنا اي لامرك لا لامر
وزادهم امرك بسجودهم له ليتقربوا اليه نفورا عنه وكيف خفي عليهم الرحمن
مع انه تبارك كثر الخير الذي جعل في السماء بروجا ينسب اليها اعمال
الكواكب وجعل اعظم العوامل فيها سراجا كسراج البيت لا يكون رب البيت
وقمرا مستنيرا منه ثم يصير للارض منيرا فكيف يعتقد ان راحمين من دون الله
وليس من رحمها الليل والنهار بل هو الذي جعل الليل والنهار خلفة
يخلف كل واحد منهما الآخر بدلا عنه رحمة لمن اراد ان يذكر من تبدلهما
تبدل نور الايمان بظلمة الكفر وبالعكس او اراد شكورا شكر الحق على ما
افاد بالليل من العبادة بالخلوة والسكون وبالنهار من العلوم والعبادات
المنوطة بالاجتماع كالجمعة والعيد او تحصيل المعاش ثم اشار الى وجوه الشكر
التي يستحق بها عموم الرحمة فقال وعباد الرحمن الذين يتذللون ويظهرون تذللهم
في مشيهم اذ يمشون على الارض هونا سكينة وتواضعا احترازا عن
الكبر الظاهر ويحترزون عن باطنه بترك المجادلة فلا يبتدئون بمخاطبة مجادل
واذا خاطبهم الجاهلون بجهالتهم بكلمة تدعو الى المجادلة قالوا كلاما يقتضي
لانفسهم عنهم سلاما ولا يريدون الغلبة عليهم هذا مع الخلق ولهم مع التذلل
الباطن للحق تذلل ظاهر له اذ هم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فقيامهم
ايضا تذلل ومنشأ تذللهم خوفهم اذ هم الذين يقولون ربنا اصرف عنا الى
اعدائك عذاب جهنم ان عذابها كان غراما غرامة ترك الشكر بترك التذلل
لك بالعبادة ولا يتم منافاة ان ادخلتنا فيها لتقصيرنا فلا تجعلها مستقرا ومقامة
انها ساءت مستقرا وان اقررتنا فيها مدة فلا تجعلها لنا مقاما انها ساءت
مقاما وكما شكروا انعم الله في وجودهم شكروا نعمة المال فهم الذين اذا انفقوا لم

يسرفوا طلباً للجاه الموجب للتكبر ولم يقتروا تذللاً للمال وايثار الجنة على
الله وكان انفاقهم بين ذلك وكان قواماً معتدلاً لاستيفاء الحق عن
التكبر على الخلق او التذلل لهم ولعدم تذللهم للخلق هم الذين لا يدعون مع الله
الهاً آخر فيعتدلون في القوة الحكمية اذ الشرك افراط والتعطيل تفريط
ولاعتدالهم في القوة الغضبية لا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
فقتل النفس المحرمة افراط وترك قتلها بالحق تفريط ولاعتدالهم في الشهوية
لا يزنون فان الزنا من افراط الشهوية ولم يتعرض للعفة لانها لا ذنب فيها
لعدم كونها اختيارية لكن الاختصاء معصية ثم اشار الى ان الافراط في
هذه الامور يوجب افراط العذاب فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاماً صوراً
قبيحة للاثام يضاعف له بتلك الصور العذاب يوم القيمة الذي يكون فيه
الصور تابعة للمعاني ولا يزول بزوال العرض بل يخلد فيه في عذابها
مهاناً وان كانت مفيدة للعز في الدنيا الا من تاب وصحت توبته لانه آمن
وتقوت توبته وايمانه بان عمل ولو عملاً واحداً صالحاً فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات يجعل بدل صور السيئات صور الحسنات وصور السيئات
وان كانت سابقة فلا يدفع صور الحسنات اللاحقة اذ كان الله غفوراً
ساتراً لها لكونه رحيماً لمن صحت توبته وتقوت وكيف لا يبدل الله سيئاتهم
حسنات مع ان من تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً فيستفيد
منه جمالاً يستر قبح تلك الصور وقد تنزهوا عن الرذيلة التي لا يمكن التوبة
عنها وهي شهادة الزور فهم الذين لا يشهدون الزور لاخلالها بالمروة و
هم من المروة بحيث اذا مروا باللغو مروا كراماً مكرمين انفسهم من الوقوف
عليه والخوض فيه واذا اتصفوا بهذه الفضائل حصلت لهم التصفية فهم الذين
اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا لم يسقطوا عن الانسانية عليها على البهيمة
بل على ادنى منها لانها تسمع وتبصر وهم يصيرون صماً وعمياناً واذا حصلت

لهم الكمالات طلبوا التكميل فهم الذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين برؤية الكمالات فيهم من تجملهم اسرارنا بالمجاورة او بالمحبة
واجعلنا للمتقين من ساير الناس اماماً قدوة ولما كان تحصيل الفضايل
بالصبر عن الرذايل والصبر يوجب الاجر بلا حساب كان اولئك يجزون
الغرفة اعلى مواضع الجنة بما صبروا ويلقون فيها من الله وملائكته تحية من
الاكرام وسلاماً من الملام وهي وان كانت عوارض يبقون خالدين فيها
والاستقرار فيها وان عسر على النفس حسنت مستقراً ومقاماً اذ صار مقاماً
ابدياً فان زعموا ان هؤلاء لا يعبأ بهم الناس فكيف يعبأ الله بهم حتى يجزيهم الغرفة
ويلقيهم السلام والتحية قل ما يعبأ بكم ربي حتى يعبأ نحن نعبأون ولا نعبأ
بمن لا يعبأون لولا دعاؤكم اي عبادتكم له فان زعمتم انكم تعبدونه
فقد كذبتم ربكم فيما امركم به من عبادته حيث كذبتم معجزاته وهو محبط للاعمال
ملزم للعذاب فان لم يلزم الآن فسوف يكون لزاماً وهو لازمه العذاب
متى يعبأ به فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلم على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الشعراء

سميت بها لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء لان الشاعر ان كان
كاذباً فهو رئيس الغواة لا يتصور منه الهداية وان كان صادقاً لا يتصور
منه الافتراء على الله وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله
المتجلي بكمالات ذاته واسمائه وافعاله في آيات كتابه حتى اتصفت بما ذكر
الرحمن بانزالها على من يكاد يبخع نفسه لعدم الايمان الرحيم بايقاع
التكليف عليهم بجعلها غير ملجئة الى الايمان طسم اي الطوالع الساطعة الانوار
الماحية للظلمات او طوالع الدلايل الساطعة للتحقيق المذهبة للترددات
او طيبات البراهين السالمة عن القوادح المؤيدة بالكشف او طامسات
الجهل سريعة الازالة للعوارض المزيلة للشبهة تلك آيات الكتاب الجامع لبعض

الكتاب المبين لكل ما يحتاج اليه في كل باب من ابواب الدين لحيث لم يترك عذرا
لتارك الايمان فلم يبق للداعي سبيل مع المعاند الا ان يقتل نفسه حزنا عليه
لعلك باخع قاتل نفسك من حزن الا ان يكونوا مؤمنين او يأتي بآية تلجئهم
الى الايمان ليست من مقدورات البشر والملجئة لا يفيد الايمان مع انها
الجاة ان نشأ اهلاكهم ننزل عليهم من السماء من الجهة العالية التي لا
يتوهم معارضتها للسفلى آية ملجئة فظلت صارت قبل نزولها اعناقهم
التي بها ارتفاع ابصارهم لها خاضعين ذليلة اورد صيغة العقلاء لانه
من افعالهم وَاما سائر الآيات فاعظمها المعجزة القولية لكن ما يأتيهم من
ذكر كلام مشتمل على شرف مناسب لجلال الحق مشتمل على انواع الرحمة لكونه
من الرحمن محدث نزوله اذ لم يعهد فيما سبق مثله في الكمال الا كانوا عنه
معرضين اي الاسبق اعراضهم عنه قبل اتيانه وليس ذلك لشبهة تبقى
عندهم لانهم تجردوا للتكذيب بما ورد عليهم فقد كذبوا والاعراض والتكذيب
لما يناسب الجلال الآتي استحقاقه به فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
كيف والاستهزاء بمنزلة البذر وهم بمنزلة الارض ولا يبعد ان يخرج من بذور
استهزائهم لطائف الانباء أينكرون ذلك في افعالهم مع ان له نظيرا في
المحسوسات فكانهم لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من بذور بها نباتا
من كل زوج صنف يقابل الصنف الاخر من نوعه كريم محمود كذلك انباء
الافعال من كل خير وشر محمود لوقوعه بمقتضى الحكمة الالهية فان زعموا ان
انبات الارض لفوائد دنيوية يقال لهم ان في ذلك لآية على الامور
الاخروية لانها اهم من الامور الدنيوية فكيف يعتني بالفوائد الدنيوية و
يهمل الفوائد الاخروية وَلا يخفى هذا على من يؤمن بالآخرة ولكن
ما كان اكثرهم مؤمنين بالامور الاخروية وَلكن لا يأتيهم بمقتضى عزة الله
ورحمته ان ربك لهو العزيز الرحيم فيعذب بمقتضى عزة اعداءه ويثبت

بمقتضى رحمته اولياءه وَاذكر لمن انكر اتيان المستهزئين انباء استهزائهم
ما اتى المستهزئين من قوم فرعون حين ارسل الله تعالى اليهم اذ نادى ربك
موسى ليتقبل اليه فيكمل بكمالاته ليقاوم فرعون ان ائت القوم الظالمين
بجعل الالهية لفرعون وغصب خواص عبيد الله واستعبادهم وقتل اولادهم
قوم فرعون فهم في حكمه في كل ما ينسب اليه من الظلم فان فعلوا ذلك خوفا منه فانا
اولى بالخوف منه الا يتقون قال رب انما يتقونك لو صدقوني فاعترفوا بربوبيتك
ورسالتي والا كان الامر بالعكس اني اخاف ان يكذبون وَمن خوف التكذيب
يضيق صدري عن اداء الرسالة وَمن ضيق الصدر لا ينطلق لساني
مع ما فيه من اللكنة الاولى فارسل الى هرون لاجد من يصدقني فينشرح
صدري ويفهمهم ما لا يفهمون مني عن لكنة لساني وَمع ذلك لا اتقوى على
الذهاب اليهم اذ لهم بحسب اعتقادهم عليّ ذنب هو قتل القبطي فاخاف ان
يقتلون واذا قتلت فمن يؤدي رسالتك قال كلا اي ارتدع عن توهم
القتل وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان مع ارسال هرون فاذهبا
بآياتنا فانها تمنعهم من قتلكما وان اجترءوا معها على تكذيبكما ومتى قصدوا
ذلك منعتهم ولا يفوتني الاطلاع على قصدهم انا معكم يا موسى وهرون والقوم
مستمعون بالقصد لما يقول ويقصد كل واحد منكم واذا ارتفع عنكما كل
خوف سوى التكذيب فاتيا اعظم من يخاف من فرعون فقولا مخوفين له
انا رسول رب العالمين جمع في كل واحد منا من رسالته ما يكفي الكل ثم
يعاضدنا حتى اتحدنا وكيف لا ارسل اليك وقد غصبت خواص عباده فامرك
ان ارسل معنا الى ارض الشام بني اسرائيل قال لو ارسلك يا موسى لم
يكن لك قبول رسالته لانك جئتني برد ربوبيتي بعد ما ربيتك الم نربك
فينا اي داخلا في اهلنا وليدا صغيرا ولم تزل في تربيتنا اذ لبثت فينا
من عمرك سنين ثلثين سنة ثم كان في اهل مدين عشر سنين ثم في دعوتهم ثلثين

ثم بعد غرقهم خمسين وكيف اهلكك والرسول يجب ان يكون معصوما و
قد فعلت فعلتك التي فعلت من قتل القبطي ومن ان لم تره ذنبا فالكفر
ذنب في زعمك وحين كنت عندنا انت من الكافرين فاجاب اولا
عن الاهم وهو القتل قال فعلتها اذا اي قبل النبوة والانبياء انما يجب عصمتهم
بعد النبوة عن العمد وكانت خطاء اذ انا من الضالين الجاهلين بكون
الوكزة مفضية الى القتل وان كان معفوا عنه شرعا بالدية لكن لم اركم
تعفون عنه ففررت منكم لما خفتكم ان تقتلوني عن القتل خطاء فلما فنجاني
الله منكم فشكرت نعمة النجاة فزادني انعاما فوهب لي ربي حكما عليكم
لطلب بني اسرائيل ولا اخاف ان تحكموا علي بالقتل وجعلني من المرسلين
لرد دعويكم الربوبية ولم يجب عن الكفر لانه ان تكلم بكلمته فعن تقية ولعله
لم يتكلم بها اصلا ولكن نظن فرعون به ذلك وتلك التربية التي تزعم انها
نعمة لم تبق نعمة اذ تمنها علي وهي بالحقيقة انما كانت من اجل ان عبدت بني
اسرائيل استعبدتهم فحكمت عليهم بذبح اولادهم فخافوا علي فالقوني في البحر
فوقعت بيدك فكان من التربية عين ذلك الاستعباد ولما راى اصرار
موسى على دعوى النبوة بعد هذه الكلمات الرادعة قال فرعون طاعنا على
رسالته بنقص معرفته وما رب العالمين ما حقيقته ولم يمكن بيانها بالجنس
والفصل لعدم تركبه ولا بالفصل وحده اذ ليس منه في المخلوقات شيء فيميزه
عن جميعها به ولا ضد له فلا يمكن تعريفه فلا يعرفه الا من شاهده او
خلق فيه علم ضروري به او اوحي اليه واما غيره فغايته الاطلاع على خواصه
لذلك قال رب السموات والارض وما بينهما اي الذي اكتسب منه الاشياء
الوجود من اشراق نوره فهذا اتم تعريف لكم ان كنتم موقنين اهل كشف وشهود
قال لمن حوله الا تستمعون يجعل وجود السماوات والارض مكتسبا لهما من الغير
مع انه قديم قال ربكم ورب ابائكم الاولين من الحوادث الموجبة فانها لما لم

يكن فيها دعوى القدم لم يكن بد من اسنادها الى الواجب قال ان رسولكم اي
الذي هو منكم لا من الملائكة الذي ارسل اليكم من مكانكم لمجنون يسند الحوادث
الموجبة الى الواجب على تقدير قدم السموات والارض مع انها على ذلك التقدير
مستندة الى الحركات الفلكية التي لا بداية لها قال الحركة الكلية لا توجد
بدون الجزئيات وجزئياتها حادثة ولا يستند الى الفلك لانه يطلب بها كمالا
فهو قاصر فلا بد من استنادها الى الواجب فهو رب المشرق والمغرب اللذين
هما المبدا والمنتهى للحركة وما بينهما مما يستند الى تلك الحركة لان المسند الى
المسند الى الشيء مسند الى ذلك الشيء فهذا التعريف تام لكم ان كنتم تعقلون
تستدلون بالحركة على مبدايها الذي لا يطلب بها كمالا على ان الحركة تغير والمتغير
لا بد وان يكون حادثا ولما ايس عن مجاوبته قال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين في هوة عميقة حتى تموت قال اتسجنني ولو جئتك بشيء
من المعجزات مبين بصدق دعواي فينسبك الناس الى العجز والظلم
المنافيين للالهية قال فات به ان كنت من الصادقين بان لك ذلك الشيء
فالقى عصاه فاذا هي من غير توقف واستتار ثعبان حية اكبر من العصا
مبين ظاهر غير مخيل ونزع يده من ابطه بعدما ادخلها فيه فطلب فرعون
اية اخرى فاذا هي بيضاء ذات شعاع مخير للناظرين مثل تحير شعاع الشمس
او اكثر وفي قلب العصا الجمادية حية حيوانية اشارة الى امكان قلب الحيوانية
روحانية وفي جعل اليد بيضاء اشارة الى امكان تصفية القلب ولما راى
فرعون انه وقع من الايتين الغامرتين صدق في قلوب الناس خاف
ان تغلبوا لذلك قال للملاء الاشراف الذين من شانهم دفع شرف من
اراد التشرف عليهم فيما الذين حوله وكلامهم يوثر في العامة ان هذا وان
بلغ ما بلغ لساحر غايته انه عليم بابواب السحر ولذلك لا يرضى برتبة عوام السحرة
بل يريد ان يخرجكم من ارضكم ليستولي عليها فذهب بشرفكم بالكلية لا بقوة

العسكر والمال بل بسحره واذا كانت عداوته لا تقابل بالعسكر فماذا تامرون انحطا
من دعوى الربوبية الى مشاورة القوم واظهر الخوف من ظهوره واستيلائه
على ملكه مما راى من المعجزة قالوا الساحر وان بلغ ما بلغ قابل للمعارضة فان لم يقدر
على معارضته الواحد والاثنان فلا بد وان يقدر عليه الجمع الكثير سيما المشتمل
على الماهرين فلا تقتله لئلا ينسب الى الظلم والعجز المنافيين للالهية بل ارجه
اخر قتله واخاه وان كان مقويا له وابعث في المدائن البلاد المتفرقة شرطا
حاشرين جامعين ياتوك بكل سحار كثير العمل للسحر عليم محيط بابواب السحر
فلم يزالوا يجمعونهم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اي لما وقت من ساعة
ضحى يوم الزينة وقيل بالنداء في السكك والطرق للناس الذين وصلهم خبر
المعجزتين فوقع في قلوبهم صدقه هل انتم مجتمعون لرؤية معارضتهما لنزولها
في قلوبكم لعلنا نتبع السحرة في عبادة الكواكب والشياطين اذ لا يرد دعوى
ربوبيتنا ان كانوا هم الغالبين لظهور الغلبة لالهتهم ولا نتبع موسى وان
غلب لما فيه من رد دعوتنا فاتى فرعون السحرة بحضوره مكان الزينة فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون الذي طلبهم لحفظ ملكه ائن لنا لاجرا فوق اجر العسكر
اذ تحفظ عليك انقلاب الناس ولا تقدر عليه العسكر ان كنا نحن الغالبين
من كل وجه قال نعم لكم ذلك الاجر ونزيدكم التقرب انكم اذا لمن المقربين
يحصل لكم ما يحصل لهم بالجاه مما لا نسبة له الى اجر العسكر قال لهم موسى اظهارا
لعدم مبالاته لما هم فاعلون لا محالة القوا ما انتم ملقون مما يعظم عندكم
في المعارضة فالقوا حبالهم وعصيهم الكثيرة الغير المنحصرة فصارت حيات
وقالوا اعتمادا على مبالغتهم في اتيان اقصى ما يمكن قبل ظهور المعارض
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى وحده عصاه الواحدة في
مقابلة ما لا ينحصر فاذا هي تلقف ما يافكون فجاءت بابتلاع ما قلبوه عن وجهه
تزويرا فبهرهم الامر المعجز فالقي السحرة ساجدين على وجوههم منقادين

له بالايمان قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اروتوقف قالوا رب موسى
وهارون فلما راى فرعون وقوع صدق موسى في قلوب العامة بقبول السحرة
وخاف انقلابهم عنه اخذ يلبس على الناس بانهم لم يؤمنوا عن بصيرة اذ لو
وقع بقلوبهم صدقه لوقع بقلبي فامنت به وامرتهم ان يؤمنوا فقال امنتم له قبل
ان اذن لكم تواطاتم ان يكون لكم الملك فقد تمنع انه لكبيركم في باب السحر كانه
الاستاذ الذي علمكم السحر فان رايتم ذلك سبب غلبتكم فلسوف تعلمون من
الغالب انا او انتم لافعلن بكم ما يفعل بمن قصد الملك لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف جانبين مخالفين ولاصلبنكم اجمعين بعد القطع
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا بفعلك هذا الى ثواب ربنا والقرب
منه منقلبون فهو اعظم نفع فان لم يحصل لنا ذلك فاقل ما فيه رجاء
الغفران العام انا نطمع ان يغفر لنا ربنا الذي ربانا بهذا الصبر جميع خطايانا
من اتباع فرعون والعشم بعزته ومعارضة نبي الله وما في السحر من عبادة
الكواكب والشياطين ان كنا اول المؤمنين اي لان كنا اول من امن
من اتباع فرعون وتحمل فيه هذا الوعيد الشديد منه ولما فعل فرعون
بالسحرة ما فعل من الظلم العظيم لئلا يذهب ملكه بانقلاب الناس عنه واردنا
اذهاب ملكه باخراج اعدائه ليتبعوهم فيهلكوا في الطريق فيرجع الاعداء
الى ملكه فيرثوه اوحينا الى موسى الذي تركه مع انه اصل المخاوف ان
اسر بعبادي بني اسرائيل انكم اذا وصل خبركم الى فرعون
متبعون فيتبعكم عسكره فلو سرتم نهارا وصل خبركم بسرعة فتدركون قبل
الوصول الى البحر واذا سرتم ليلا لم يصل خبركم الا بعد الفجر فساروا ليلا
فوصل الخبر بعد الفجر فارسل فرعون لجمع عسكره في المدائن التي حول
مصر اثنا عشر الف قرية شرطا حاشرين جامعين لعسكره قائلين ما يقلل
الاعداء في اعين العسكر ان هؤلاء الخارجين لشرذمة قطعة من الناس

فيلبلون وانهم وان قلوا ليسوا ممن لا يبالى لهم انهم لنا لغايظون فيفعلوا
ما يسوءنا غيظا علينا ولو لم يغيظونا كان الواجب مواخذتهم وانا لجميع وان كثر
جمعنا حذرون من مكرهم وسعيهم بالفساد فى الارض بقطع الطريق والاستمداد
من عسكر آخر فاخرجناهم بهذه الدواعى من مكان امنهم وتنعمهم من جنات
وعيون وكنوز اموال لم تؤد حقوقها ومقام كريم وكما كان حال استقامة
ملكهم بقيت كذلك بعد تغيره ولكن بغير هلاكها اذ اورثناها بنى اسرائيل وكانهم
قصدوا ذلك التوريث فاتبعوهم مشرقين وقت اشراق الشمس اجتمعوا من المداين
المتفرقة فى هذا المقدار من الوقت فلما تقارب العسكران بحيث تراءى
الجمعان اى راى كل واحد منهما صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون
ملحقون قال كلا ارتدعوا عن اعتقاد اللحوق بعدها وعدكم الحق لا نجاة ان
معى ربى بمقتضى وعده سيهدين طريق الخلاص عنهم فاوحينا الى موسى الذى
اعتمد على هداية ربنا اياه ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل ليغرق
ماؤه فانفلق انشق مع غاية عظمه فكان كل فرق قطعة من الماء كالطود
الجبل العظيم دخل فى كل شعب منها سبط من بنى اسرائيل للدلالة على عظم
عناية البارى لعباده وعظم قهره على اعدائه وازلفنا ثم الآخرين اى
قربنا من البحر قوم فرعون بعد دخولهم فدخلوا خلفهم مع علمهم انه لا ينبغى لهم
ان يدخلوه ولم يضر دخولهم قوم موسى اذ انجينا موسى ومن معه اجمعين
بحفظ البحر على سنته الى تمام عبورهم مع تعقبهم على قوم فرعون ثم اى بعد
انجائهم اغرقنا باطباق البحر الآخرين قوم فرعون ان فى ذلك اى انجاء
موسى وقومه واهلاك فرعون وقومه لآية لدلالة على انجاء الله للمؤمنين من
اهوال يوم القيمة واهلاك الكافرين فيه وهى وان كانت سبب الايمان لكن ما كان
اكثرهم مؤمنين لان عزة الحق الحاكمة بكفرهم منعت من تاثيرها فيهم وانما
جبت الآية برحمته وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد اجتمعت عزته ورحمته

فى فلق البحر وسكونه بحر معرفة الله اذ اضرب بعصا المقدمات فمنهم من
يكون سبب قربه ونجاته من بحر رحمته ومنهم من يكون سبب هلاكه بعزته و
ان زعموا ان تسفيه الآباء وجماعة العقلاء ليس اقل من الاستهزاء
بالانبياء اتل عليهم نبأ ابرهيم الذى يفتخرون به مع كونه مستهزئا بابيه
وبعقلاء قومه اذ قال لابيه وقومه تسفيها لهم ما تعبدون قالوا نعبد
اصناما عبادة طويلة فنظل لها نداوم لعبادتها طول النهار عاكفين
مقيمين اطالوا الجواب تبجحا وافتخارا قال هل يسمعونكم اى دعاءكم فى ساعة
من ساعات النهار اذ تدعون او ينفعونكم فى وقت من الاوقات لو
عبدتموها هذه العبادة الطويلة او يضرون فى وقت من الاوقات
لو تركتم هذه العبادة قالوا لم نجد شيئا من ذلك بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون ولم نجد لهم فعلا يخلو عن فايدة فنحن وان لم نطلع عليها فلا
ننفيها قال اتعتقدون الفايدة فى عبادتها من غير تعيين لها افرايتم عبادة
ما كنتم تعبدون انتم فلم تجدوا تلك الفايدة بعضها مدة اعماركم وآباؤكم
الاقدمون ايضا لم يجدوا ها مدة اعمارهم والا لبينوا ها لكم وقد ظهر فيها الضرر
اذ فيها عداوة رب العالمين فعكست الامر فانهم عدو لى الا رب العالمين
فان عبادته لو لم يكن نافعة فهى واجبة على شكر الخلقة اذ هو الذى خلقنى
على ان شكره مستوجب للمزيد ولا زيادة من جنس الخلقة لما فيه من تحصيل
الحاصل فهو مما يتعلق بالخالق فهو يهدين ولم يقتصر على الانعام بالخلق بل
انعم باسباب البقاء اذ هو الذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت باحدهما
فانقلب سبب البقاء سبب الفناء فهو يشفين فيقلب الفناء بقاء ولا يبعد
منه اذ هو الذى يميتنى ثم يحيين فان لم يفد فى الشكر فى الدنيا فهو ابقى
فى الآخرة واقل فوايدها فى الآخرة غفران الخطيئة فهو الذى اطمع ان
يغفر لى خطيئتى وهى كلماته الثلث انى سقيم بل فعله كبيرهم وسارة اختى و

وكونهما معارضين لا ينافي ذنب حالة لما فيهما من التلبيس فيقتضي ان يجازي
به يوم الدين ولما اثبت محبة الحق وعداوة الاصنام قال رب هب لي حكما
علما في اكثر العالمين بصحة عبادتك وبطلان عبادة ما سواك والحقني
في استكمال عبادتك ومعارفك بالصالحين بحيث اصير قدوة للمتاخرين
بما يرون في من الكمالات واجعل لي لسان صدق ثناء مطابق للواقع
واعاني في قلوب الاخرين حتى يقتدوا بي بما يسمعون من معارفي واعمالي
ولا تجعلني بذلك ممن ذهب بطيباته في الدنيا بل اجعلني من ورثة
جنة النعيم ممن اذهب طيباتهم في حياتهم الدنيا ممن خلقتهم لعبادتك
ليجازوا عليها بالجنة ولا ينقص شيء بتعذيب ابي اغفر لابي وان كان
مشركا انه كان من الضالين باعتقاد ان عبادة الاصنام هي عبادتك
في الواقع ولم يعلم ان الشرك يحبط العبادة الخالصة له فكيف غير الخالصة
المقصود بها الغير وهذا وان لم تغفر لغيره اغفر له من اجلي لئلا احزن
ولا تخزني يوم يبعثون لان المخزي فيه يفتضح بين الاولين والاخرين و
كان هذا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين ومن عظم ذلك الخزي انه
لا يدفع ما يدفعه احد في الدنيا لوقوعه يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا
الا من اتى الله بقلب سليم عن محبتهما وصرفهما في غير مصارفهما بل صرفهما
في الجهات التي هي محابه فكانت مؤكدات لمحبته فزادته نفعا وكيف كل
شيء لذي القلب السليم ازلفت قربت الجنة التي هي خزانة المنافع للمتقين
الذين وفوا سلامة قلوبهم بالتحفظ عن مضاره ولا ينفع الغواة شيء اذ
برزت اظهرت الجحيم التي هي مجمع الاحزان والشدائد للغاوين وقد
حصل لهم من الخزي ما لا يدركون معه المنافع لو حصلت لهم اذ قيل لهم
اين اي في اي مكان من القرب الالهي او القوة ما كنتم تعبدون مع
علمكم بانها من دون الله في الدنيا هل تزال دنوهم بحيث ينصرونكم او

للمعارضين

ينصرون بدفع العذاب عنكم او عن انفسكم فكبكبوا القوا فيها على وجوههم (ينكبون)
مرة بعد اخرى من غاية ضعفهم وذلتهم هم اي المعبودون والغاوون
من عبدتهم وجنود ابليس المغوين لهم اجمعون من الجن والانس وان
كان فيهم من تاب من الاغواء من بعد لكنه مواخذ بحق الخلق قالوا من تعذيبهم
بالعذاب العقلي مع الحسي وهم فيها يختصمون بدل الاستشفاع تالله ان
اي انه كنا لفي ضلال مبين في عبادتكم اذ نسويكم برب العالمين فيها
مع انكم لا تؤتون شيئا ولم ينفع فيه من يشفع لنا لانه ما اضلنا فاتبعناهم
الا المجرمون لا المجتهدون المخطئون الذين يثابون على خطائهم وصوابهم
وقد بلغوا من كمال العلم والعمل ما يرجى به شفاعتهم ومتابعة المجرمين قطعت
شفاعة الشافعين فما لنا من شافع مع كثرة شافعين من الانبياء
والاولياء والعلماء ولا لنا من صديق حميم يلحم من افراط الشفقة علينا
لاختصاص ذلك بالمؤمنين ولا يحصل الا في الدنيا فلو ان لنا كرة اي
ليت لنا رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين فلو رجعنا منها الى الآخرة
ثانيا كان لنا شفعاء واصدقاء ان في ذلك لآية عظة تدعو الى الايمان و
لكن ما كان اكثرهم مؤمنين لكونهم محجوبين بحجاب العزة وانما آمن من آمن
لارتفاعه عنه بالرحمة ان ربك لهو العزيز الرحيم ومن آثار قهر العزة للمحجوبين
بحجابها اغراق قوم نوح ومن آثار الرحمة في ذلك القهر رفعها الحجاب انجاء
نوح ومن معه من المؤمنين فانه كذبت قوم نوح المحجوبون بحجاب العزة
المرسلين لرفعه بالرحمة اذ قال لهم اخوهم في النسب والشفقة نوح الذي
تكذيبه تكذيب الرسل الا تتقون سطوة العزة التي انتم بها محجوبون وقد
ارسلت لدفع ذلك الحجاب بالتخويف اني لكم رسول وخصني بذلك لما عرفتم
صدقي من اني امين فاذا ارسلني لهذا المعنى فاتقوا الله فاجعلوه وقايتكم
عن سطوة عزته التي حجبتكم بها واطيعون تقواه بامتثال اوامره ونواهيه

الى جيت بها من عنده لكشف حجب العزة وقاية عن سطوتها اطيعون
لتصيروا آمنين فيحصل لكم فوايد الآخرة و لا ينقص عليكم شئ من دنياكم
لاني ما اسالكم عليه على تبليغ الرسالة المفيدة فوايد نافعة الى الابد من اجر
دنيوي والا اخروي لنقص ما عندكم ان اجري الا على رب العالمين
المعطي بغير حساب واذا لم اطلب منكم اجرا تاكد امانتي وصدقي وازداد بطلب
الاجر من الله لانه لا يعطي الكاذب في دعوى الرسالة عليها اجرا وبتاكد الحجة
عليكم فاتقوا الله ان يكون له عليكم حجة واطيعون لتصير الحجة عليكم حجة لكم قالوا
انؤمن بك مطيعين لك واتبعك الارذلون الاقلون مالا وجاها طعامي
طعامك فنشاركهم فيه قال وما علمي محيطا بما كانوا يعملون من الايمان لطمع الطعام
او لاجل الآخرة ان حسابهم على بواطنهم الا على ربي المخصوص بالاطلاع عليها
فلا يتعدى الى نظري لو تشعرون اي لو كان لكم ادنى شعور لعلمتم بهذا الاختصاص
قالوا لو اردت الاطلاع على ذلك فاطردهم فان داموا على الايمان فهم مخلصون
والا فايمانهم للطعام فقال وما انا بطارد المؤمنين لان طردهم مانع عن ايمان
غيرهم وانا طالب لايمان الكل بالانذار عن ضده ان انا الا نذير عن الكفر
مبين لضرره فلا ابطل مقتضاه بمقتضى الطرد قالوا لئن لم تنته يا نوح عن هذا
الانذار لتكونن من المرجومين المضروبين بالحجارة ليحصل لك المنذر به قبلنا
قال اعتذارا الى الله تعالى حكاية عن قومه رب ان قومي كذبون تكذيبا لا يمكن
رفعه بالانذار ولا باقامة دليل فصار النزاع مستغلقا فافتح ما يرفع النزاع بيني
وبينهم فتحا كليا بالكشف عن المنذر به من سطوة العزة ونجني ومن معي
من المؤمنين عن تلك السطوة ليتميز عنهم فيرتفع النزاع في الباقين ففتحنا
ابواب السماء وفجرنا الارض عيونا لايصال سطوتنا اليهم وميزناه ومن معه
فانجيناه ومن في الفلك المشحون المملو منهم ومن ساير الدواب مع عسر انجاء
الفلك الخالي عنهم لكونه في موج كالجبال ثم بعد انجائهم اغرقنا بعد الباقين

على الكفر بعد ظهور الطوفان اذ لا يتم تمييز الاولين بدونه ان في ذلك لآية على
ان من ركب سفينة الايمان والاعمال الصالحة نجا من طوفان يوم القيمة و
الاغراق في طوفانه فهو اجل داع الى الايمان وما كان اكثرهم مؤمنين كيف
ولم يرتفع بذلك حجاب العزة عنهم الا من المرحومين فمنهم ان ربك لهو
العزيز الرحيم بعد اغراقهم كما كان قبل ذلك وممن اغرق في طوفان سطوة العزة
عاد اذ كذبت عاد المرسلين العاملين بسفن النجاة عن هذا الطوفان اذ
قال لهم اخوهم المؤيد نجاتهم عن هذه السطوة هود المبعوث للانذار عنها الا تتقون
الغرق في طوفان سطوة العزة اني لكم رسول آت باسباب النجاة عنه امين
لم اخن عليكم شيئا من اسبابها واعظم اسبابها التقوى فاتقوا الله العزيز ان
تشاركوه في عزته او تجعلوا له شركا واطيعون فيما اشير لكم من اسبابها و
لا امكر عليكم في ذلك اذ ما اسالكم عليه من اجر وكيف يمكر من يطلب الاجر من
الله ان اجري الا على رب العالمين ومن يرتكب المكر بمقتضى مكره اتبنون
لتشاركوا الله في عزته بكل ريع مرتفع من الارض آية ليذكروا بها فتكبروا
على الخلق وانتم باتلاف المال من اجله تعبثون اذ التكبر بالاحسان على
الخلق اتم من ذلك ولا يفيد الاستدامة اذ بانيها كانوا يهددون و تتخذون مصانع
قصورا مشيدة وحصونا لتامنوا عن اعدائكم لعلكم تخلدون في الدنيا وكانكم
تريدون مغالبة الله فيما قدر من افنائكم فهذا المراد بالعزة المخصوصة بالله
و كبركم تؤدي الى التجبر لذلك اذا بطشتم تسلطا على احد بطشتم جبارين
فاتقوا الله من هذه الخصلة الذميمة المؤدية الى الظلم الذي لا اقبح منه واطيعون
فيما اشير لكم من معالجة هذا المرض واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من انعامه
ان يسلبكموها لفعلكم هذه الخصلة وقد كان امداده بذلك مما يفيدكم العزة
لانه امدكم بانعام ابل وبقر وغنم وبنين وجنات وعيون فيكون طلب العزة
سالبة للحاصلة منها ومع ذلك اني اخاف عليكم من كفران هذه النعم والكفر

بالمنعم وبرسوله وما ارسل من اجله عذاب يوم عظيم يعظم يومه فوق يوم
السلب قالوا سواء علينا وعظك وعدمه بحيث يشك فيه اوعظت اخوفتنا
بذلك ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي به عما نحن عليه ان هذا الوعظ
الا خلق افتراء الاولين اذ لو كان الله معذبا على الذنب لعذب حال
مباشرته او عقيب فراغه منه ولكن لم نر معذبا احدا فعلمنا انه ما نحن
بمعذبين اصلا في وقت من الاوقات فكذبوه في تخويفه العذاب فاهلكناهم
بالعذاب على تكذيب العذاب ان في ذلك لآية على ان من كذب عذاب
الآخرة عذب به وهي توجب الايمان به لكن ما كان اكثرهم مؤمنين فلا يدل
عدم التعذيب في الحال او عقيب الفراغ على عجز الله عنه وان ربك برحمته مدة
ان ربك لهو العزيز الرحيم وممن عذب على تكذيب العذاب ثمود اذ وعدوا
العذاب على عقر الناقة فكذبوه فعذبوا فانه كذبت ثمود المرسلين المخوفين
من العذاب على المعاصي بتكذيب العذاب اذ قال لهم اخوهم القاصد
دفع العذاب عنهم صالح المبعوث للاصلاح الدافع له الا تتقون الا تا
الوقاية عن العذاب على المعاصي بتكذيب العذاب اني لكم رسول
من المعذب آت باسباب الوقاية امين على تبليغها لا اغير منها شيئا
واجل اسبابها الالتجاء بالله والاستعانة به فاتقوا الله اجعلوه الوقاية
عن العذاب ولا يتم الا بامتثال اوامره ونواهيه التي جئت بها واطيعون
وليست اطاعتي اطاعة الرعية للملوك باداء المال اذ ما اسالكم عليه
من اجر اذ لا ابالي لما افدتكم من سنخ الفايدة وانما ابالي لاجر الله ان
اجري الا على رب العالمين الذي بعثني فاستحق عليه الاجر المناسب لعظمته
أتتركون انكم تتركون غير مكلفين فيما ههنا من معارفه وعبادته آمنين
من عذابه مع كثرة ما انعم به عليكم اذ جعلكم في جنات مشتملة على انواع
الفواكه وعيون لتثميرها وانمائها وزروع يحصل الاقوات ونخل مشتمل

طلبون

على ما سيقوت وفاكهة طلعها هضيم متدل منكسر من كثرة الحمل فيعظم
شكرها فاذا غفلتم عنها عظم الانتقام عليها وكانكم تامنون بما تنحتون من
الجبال بيوتا لتكونوا فيها فارهين ناشطين لا يحزنكم شيء من المخوفات و
الامن من الله مفض من الى التغير فاتقوا الله ان يغير عليكم امنكم وانما
يؤمن من تغيره عند امتثال اوامره ونواهيه التي جاء بها الرسل
اطيعون ولا تطيعوا لتحصيل الامن من تغير الله امر المسرفين وان زعموا
انهم انما يامرون بامر الله فانه يكذبهم افعالهم اذ هم الذين يفسدون في الارض
فلا يتركون على الناس امنا ولا نشاطا فيخاف من اطاعهم ان لا يبقى
على مطيعهم امنه ولا نشاطه كيف وهم انما يتوقع من امر المصلحين وهم
لا يصلحون قالوا كيف نطيع امرك الصادر عن اختلال العقل انما انت
من المسحرين الذين غلب السحر على عقولهم فتشوش انك ارسلت مع ان ارسال
البشر محال ما انت الا بشر مثلنا وارسال احد المثلين دون الآخر تحكم
فلو كنت رسولا لكان كل بشر رسولا فان فارقتهم باية فات باية ان كنت
من الصادقين في دعوى المفارقة قال الآية هذه الناقة الخارجة عن
الصخرة بدعائي على حسب اقتراحكم فهي ناقة يجب رعايتها بان يجعل لها شرب
نصيب من الماء لا يشاركه فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تبعدونه الى
يوم شربها واذا امتنعتم مشاركتها في نصيب الماء لانه يسوءها ادنى اساءة
لا تمسوها بسوء من ضرب او قتل فياخذكم عذاب يوم عظيم لعظمة ما يعاطيهم
من تغير آية الله فعقروها اتفقوا على عقرها وظهرت علامات العذاب
فاصبحوا نادمين من اجلها فتمت تلك العلامات فاخذهم العذاب
الموعود على عقرها ان في ذلك لآية على ان من غير من امر الله شيئا عذبه
يوم النعمة تغيرها من آمن ولكن ما كان اكثرهم مؤمنين ولم يعلموا ان الله
تعالى غالب على تغير حال من غير شيئا من امره وان كان قد رحمه بتلك الحال ان

ربك لهو العزيز الرحيم ومن المعذبين بتغير امر الله قوم لوط فانه كذبت قوم
لوط المرسلين المخوفين عن تغير امر الله كاتيان الرجال المحل بحكمة الجماع وهي
طلب النسل اذ قال لهم اخوهم في الشفقة عليهم لوط المخوف من التغير الا تتقون
تغير الوضع الالهي بعدما ارسلت محذرا عنه اني لكم رسول ولا اريد ان اخص
به دونكم لاني امين فاتقوا الله ان يبدل راحتكم الما وانما يحفظون عن
تغيره لو لم يغيروا شيئا من اوامره ونواهيه التي امرني بتبليغها اليكم واطيعون
وكيف الكذب لكم وما اسالكم عليه من اجر والكذب بلا طمع ليس من شان
العقلاء وكيف الكذب على الله مع اني طامع للاجر منه ان اجري الا على رب
العالمين وهو لا يعطي المفتري عليه اجرا اتاتون الذكران اتجامعون
الرجال في ادبارهم من العالمين اذ لا يفعله ساير الحيوانات وتباعدون
منه اذ تذرون تتركون محل الحرث بالكلية وهو ما خلق لكم ربكم يربيكم بالنسل
من ازواجكم الحافظة لنسلكم وليس ذلك لنفس الاستمتاع فانه يحصل
من قبل النساء بل انتم قوم عادون يتجاوزون حد الشهوة الحيوانية الى
الشيطنة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا عن اللواط لتكونن من المخرجين
من قريتنا عنقا اذ لا تجانسنا قال هذا الوعيد لا يردعني عن ردعكم اني لعملكم
من القالين المبغضين غاية البغض واكره مساكنتكم كيف واخاف
فيه مشاركتكم في العذاب رب نجني مني واهلي مما يعملون من عقوبة عملهم
وان لم يعملوا كما هو شان العذاب الدنيوي فنجيناه واهله اجمعين عن
ان يصيبهم عذابهم اذ اخرجناهم قبل وصوله الا عجوزا فانها وان خرجت
عن قريتهم كانت في حكم الغابرين الباقين في القرية ثم اي بعد انجائهم
دمرنا اهلكنا الآخرين بذلك العذاب وهو جعل قريتهم عاليها سافلها
وهو وان لم يلحق امرأته لحقها مطرهم اذ امطرنا عليهم مطرا غير متعارف وهو
امطار الحجارة فساء مطر المنذرين اذ لم يكن كامطارها على غيرهم لو امطرت

منك خ

تهم



اذ كان الحجر الواحد قاتلا لمن وقع عليه ان في ذلك الامطار لاية على
من غير امر الله استحق مطر السوء ولكن لم يعتبر بها اكثرهم اذ ما كان اكثرهم
مؤمنين اذ لم ينظروا الى عذابه بل اغتروا برحمته وان ربك لهو العزيز الرحيم
ومن المعذبين على تغير امر الله في الكيل والوزن الذين هما من اسباب
البقاء التي هي دون اسباب الوجود بمطر السوء اصحاب الايكة فانه كذب
اصحاب الايكة غيضة شجر بقرب مدين المرسلين لتقويم امور الناس
اذ قال لهم شعيب المبعوث للتكميل ولم يقل اخوهم اذ لم يكن نسيبا لهم
وامره بالتكميل يشعر بارادة تكميله اياهم المشار اليه بالاخ الا تتقون
ان يمطر عليكم مطر السوء من تغير الكيل والوزن بعد امطار الحجر على الذين
وقد ارسلني لان اكون واسطة الفيض اني لكم رسول ولا اغير فيضه اني
امين فاتقوا الله ان يسيء فيضه عليكم وانما يحسن فيضه لو احسنتم امتثال
اوامره ونواهيه التي جئت بها اطيعون ولكوني واسطة الفيض ما اسالكم
عليه من اجر لانه استفاضة والمفيض على محض لا يكون مستفيضا منه ان
اجري الا على رب العالمين المفيض على الكل ولكونه مفيضا بحسب استعداد
المفاض عليه من اعماله اوفوا الكيل الذي تعطونه ولا تكونوا من المخسرين
بالزيادة في الكيل الماخوذ ليس في الفيض عليكم ولا ينقص شيا وزنوا
بالقسطاس المستقيم السوي الميزان عطاء واخذا ولا تبخسوا لا تنقصوا
الناس اشياءهم بنقص الكيل في العطاء وزيادته في الاخذ وبالجملة التغير
في الكيل والوزن يشبه قطع الطريق الذي هو فساد عام ولا تعثوا ولا
تفسدوا فسادا عاما في الارض بقطع الطريق مفسدين قاصدين الافساد
لا بقتال اهل الحرب ولا اغارتهم واسرهم وكيف تغيرون ما فيه قوام الخلق
اتقوا المقوم الحقيقي الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الخلقة الماضين
ان يجعل المطر الذي هو سبب ادرار الغمام منشا اهلاكه قالوا انما نقبل كلامك

لو سلم عقلك لكن انما انت من المسحرين الذين جننوا من السحر عليهم فاعموا
من جنونهم الرسالة وكيف يكون رسولا مع انك ما انت الا بشر مثلنا وان
ارسل اليك فلا ارسل الينا انه ارسل اليك لنذهب عنا ظن كذبك ان
اى انا نظنك لمن الكاذبين فان اردت نصدقك من غير ان يرسل
الينا انه ارسل اليك فاسقط علينا كسفا قطعة من السماء لنستعيذ بها من
غضب الله علينا على تكذيب رسوله فانه يغضب علينا هذا الغضب ان كنت
من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون اى بما تقتضيه عملكم من الكسف
وغيره فكذبوه اى العذاب بحسب مقتضى العمل وخلاف مقتضاه فسلط
الله عليهم الحر سبعة ايام فاظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم يوم الكسف لو
وجد ان فى ذلك لآية على ان الله يعذب كل احد بمقتضى عمله اذا مطر
عليهم مطر السوء عند كفرانهم نعمة الامطار وهذا يوجب الايمان بعدل
الله لكن ما كان اكثرهم مؤمنين وليس ذلك بطريق الوجوب بل ان
ربك لهو العزيز الغالب على تعذيب من شاء بما شاء الرحيم بعدله بل
يعفو ايضا وانه اى القرآن لتنزيل رب العالمين بمقتضى عزته ورحمته
فهو كالمطر العام لكنه فى حق قوم ما يفيدهم برد اليقين لكونهم من اهل
الرحمة وحرارة او نارا فى حق المجرمين بحجاب العزة يفيدهم شك وحرارة
شك ثم المطر يعم نفعه تارة وضره اخرى والقرآن يجمعهما معا لانه نزل به
الروح الامين الذى هو جبريل النازل منك منزلة روحك فمن كان من اهل
الخير ادى اليه امانة النفع ومن كان من اهل الشر ادى اليه امانة الضر
وكما ان المطر نزل على الارض فنبتت الاقوات والفواكه والسموم كذلك
نزل هذا على قلبك نزل عليه المعانى النازلة على الروح ثم يصعد الى
الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة فتصور الملقى بصورة انسان او ملك والملقى

يوم عظيم صح

بصور

بصور الحروف ويعرف صدقه نزول المعنى من الروح ليكون من المنذرين
والا نذار مصلح للمؤمنين ومفسد للكافرين سيما بلسان عربى مبين
لمن اعترف باعجازه لكونه مبينا جميع المقاصد الدينية فى الفاظ
يسيرة واصحاب الشيع به ومن نظر الى ظاهر الفاظه فانكر اعجازه تظهر به
من دلايل صدقه لمن عجز عن فهم اعجازه موافقته لما فى الكتب السابقة من
الاعتقادات والاخبار انه لفى زبر الاولين مع انه صلى الله عليه وسلم
لم يتعلمها ولم يصحب اهلها اينكرون صدقه لو لم يطلعوا عليها ولا على اعجازه
ولم يكن لهم آية على صدقه ان يعلمه اى الرسول او القرآن علماء بنى اسرائيل
ولا تخل بصدقه ولا اعجازه عدم ايمان بعضهم لانهم فى العناد بحيث
لو نزلناه اى القرآن العربى المعجز على بعض الاعجمين فقراه عليهم من غير
تعلم العربية وبين اسراره ما كانوا به مؤمنين ولا يبعد ذلك فانه كما
سلكنا اعجازه فى قلوبهم كذلك سلكناه ادخلنا العناد فى قلوب المجرمين
لا يؤمنون به وان وقع صدقه فى قلوبهم من جهات كثيرة حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ لهم الى الايمان حين لا ينفعهم ولا يعلمهم الله بوقت مجيئه ليؤمنوا
قبله فينتفعوا بايمانهم بل يخفى وقته عليهم فياتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
بوقته قبل مجيئه فاذا جاءهم وعلموا انه لا ينفعهم الايمان معه لكونه ملجئا
فيقولوا هل نحن منظرون بتاخيره عنا حتى نؤمن اختيارا ايمنون
الانظار بعد مجيئه ويستهزءون قبل مجيئه فبعذابنا يستعجلون فان زعموا
لو اراد الله تعذيبنا لم يمنعنا هذه المدة الطويلة فان المغضوب عليه
اذا متع فانما يمتع قليلا يقال ارايت منافاة التمتيع سنين للعذاب
فان لذة التمتيع السابق يبطل الم العذاب اللاحق بل ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى ما دفع المه عنهم
لذة ما كانوا يمتعون اذ لم يبق تلك اللذة عند هذا الالم وان زعموا انه تعالى

للواقع

لو اراد المواخذة بجناية لم يرسل رسولا قيل لهم هذا منقوض بمخالفة
فانا ما اهلكنا من قرية بجناية الا لها منذرون عن ذلك الاهلاك
قبل اتيانه لا يعتبرون وقته ليبطلوا بجنايته ولكن يذكرونه ذكرى ولا بد
منها في الحكم لانا ما كنا ظالمين والمجازاة قبل التذكير يشبه الظلم وان
قالوا لا نسلم ان النازل على قلبك هو الروح الامين بل الشيطان
اللعين يقال ما تنزلت به الشياطين فانه لو نزل به شيطان على واحد
نزل بمثله اخر على مثله بكثرة الاختلاف الذى هو مطلوب الشيطان
ولو قيل انما لم يفعلوا لظهور الضلال حينئذ وقد ارادوا اخفاءه
بخصوص الواحد نزل الله عليه تعالى ما ينبغى لهم ان ينزلوا به لانه هدى صرف
وهم انما ينزلون بالهدى بقصد التوسل به الى وجوه من الضلال لا تنبح
ذلك الهدى على انهم وان اتوا بما يشبه الخوارق من السحر ما يستطيعون
ان ياتوا بالمعجز الصرف ولو قيل لعلهم سمعوا المعجز من الملائكة يقال انهم عن
السمع سمع المعجز من الملائكة العالية لمعزولون لانهم منعوا من سماع الاخبار
من اهل السماء الدنيا بالشهب فكيف لا يمنعون من سماع المعجز من اهل
السموات العلى على انه لو كان من الشيطان لكان داعيا الى الشرك
لكن القرآن ناه عنه فلا تدع مع الله الها اخر والشيطان ان نهى عنه
حينا لم يعد عليه العذاب فان وعد به البعض لم يعم بوعده والقرآن
وعد العذاب به الكل وان كان فيهم من عظم قدره فيكون من المعذبين
والشيطان يعد على عبادة الاوثان شفاعتها ولا يعد القرآن شفاعة
شافع على عبادتها وان كانوا من اقارب اعلى الشفعاء بل يقول انذر
عشيرتك الاقربين وايضا لو كان النازل به شيطانا لافاد المنزل عليه كبرا
على اتباعه والقرآن يامرك بالتواضع لهم اخفض جناحك تواضعا لمن
اتبعك من المؤمنين وليس المقصود منه تكثير الاتباع لانه يوجب عدم





المبالاة بافعالهم وهو انما امر بالتواضع لمن دام على المتابعة فى الاصول
والفروع فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون وان عادوك على هذه البراءة
توكل على العزيز الغالب عليهم الرحيم عليك لرؤية اخلاصك فى العبادة
لانه الذى يراك دون غيره ليبعض هناك رياء حين تقوم من النوم للتهجد
ويرى تقلبك ترددك فى مقامات العبودية حين تكون فى الساجدين
فلا ترائى لهم عند اجتماعهم كما لا ترائى عند الخلق فاذا توكلت عليه بعد هذه
الاخلاق سمع دعاءك عليهم وقام بمصالحك انه هو السميع العليم ثم اشار
الى ان المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يكون ممن ينزل الشيطان
وهم لا ينزلون على النفوس الخيرة الداعية الى الخير المحض فى العموم لمباينتهم
لها فقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين ممن يناسبهم تنزل على كل افاك
كذاب يصرف الكلام من وجه الى اخر ولا يبالى بذلك لانه متصف بوصف
اثيم مبالغ فى الاثم وليس ذلك من اطلاع الشيطان على الغيب حتى يصيروا
كالملائكة بل غايتهم انهم يلقون السمع لما تقوله الملائكة ومع ذلك ليس اخبارهم
كاخبار الملائكة اذ اكثرهم كاذبون وان زعموا انه لم ينزل عليك شيطان
ولا ملك بل هو من اشعارك يقال الشعراء كامل الغواية يتبعهم الغاوون
فلا تاتى منهم هذا الارشاد الكامل المنتشر فى اصحابه الم تر انهم فى كل واد
من المقدمات الخيالية والوهمية وانواع التشبيب وتمزيق الاعراض والقدح
فى الانساب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه وغير ذلك يهيمون يتردد
هذا فى باب الاخبار وانهم يقولون فى الوعد والوعيد ما لا يفعلون والقرآن
ليس فى شئ من هذه الطرق الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لم يهيموا
فى كل واد ولم يقولوا ما لا يفعلون فلا يتصور منهم الافتراء على الله تعالى
كيف وهو لا ذكروا الله كثيرا وكثرة ذكره مانعة من الافتراء عليه وهو سبب
الثبات وان تعرضوا الهجوم لم يقصدوه لذاته بل انتصروا به انتصارا جائزا

الشياطين مدر

رن

لكونه ما ظلموا وكان بعجزهم دون ما استحقوه من الظلم عليهم فانه سيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وان كان فيهم من يظهر الايمان بالله و
الاعمال الصالحة ويذكر الله كثيرا ومع ذلك يفترى على الله فهو اظلم من هؤلاء
فيهلكون عن قريب ولا يكون لدينهم ظهور على الدين كله ولا يظهر منهم ارشاد
عام فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة النمل** سميت بها
لاشتمالها على مقالتها الدالة على علم الحيوانات بنزاهة الانبياء وابناءهم
عن ارتكاب المكاره عمدا وسهوا بما يوجب النعمة بهم وهو من اعظم مقاصد
القران بسم الله المتجلى بجمعيته فى كلامه الازلى وتفصيل
ذاته واسمائه وافعاله فى الالفاظ الدالة عليه الرحمن بجعلها هدى الرحيم
بجعلها بشرى للمؤمنين طس اى الطرق السنية او الطرق السعيدة او
الطبقات السابقة او الطيبات الشافية الادوية تلك آيات القران
معانى الكلام الازلى فانها فى الاعجاز المعنوى طرق سنية وللسائرين
طرق سعيدة وللواصلين طبقات سابقة وللعلل الروحانية طيبات شافية
ادويتها وكتاب مبين الفاظ تبين تلك المعانى فانها ايضا طرق سنية
فى الاعجاز اللفظى لخروجه عن نظمهم ونثرهم مع كونه اجلى منهما وطرق سعيدة
لاستخراج الحقائق والعقائد والاحكام وطبقات سابقة للمتمكن فى تقرير
الادلة وطيبات شافية لامراض الشبهات ودوارحلها اذ كانت تلك المعانى
والالفاظ هدى فى جميع المقاصد الدينية وبشرى بحصول مراتب القرب و
الكمالات للمؤمنين بان للقران منه المكارم اذ كوشفوا بها فى صلواتهم لانهم
الذين يقيمون الصلوة المفيدة للمشاهدة وانما تفيد لهم ذلك لانهم يؤتون
الزكوة تطهيرا عن حب المال فيؤدى الى الطهارة عن سائر الرذائل ويبلغ
كشفهم الى حيث هم بالاخرة هم يوقنون بعد الايمان بها الداعى لهم الى هذه الصلوة

والزكوة ان الذين لا يؤمنون بالاخرة التى يدعو اليها القران انما لا يكاشف
لهم عن فضايله منه لانهم لا ينظرون فيها وان كانوا ممن يكاشف لهم عن العلوم
الرياضية والطبيعية اذ زينا لهم اعمالهم التى يكتسبون بها تلك العلوم فاذا
حصلت لهم فهم يعمهون يترددون فيها لا يخرجون عنها الى ما فوقها اولئك الذين
لهم من تركهم سوء العذاب فى الدنيا بترك الملاذ وان حصلت لهم فيها لذة
المكاشفة يعذبوا بها فى الاخرة اذ يخطئون فيها ويتشوقون الى حصولها ولا يجدون
اليها سبيلا ولا يجدون شيئا من تلك العلوم ولا اجرها هنالك بل هم فى الاخرة
هم الاخسرون ولا يبعد ان يكون للقران منه الفضايل مع انها تخفى على من
لا يؤمن بالاخرة وان كوشف ببعض خواص الاشياء والعلوم الطبيعية
والرياضية انك لتلقى القران من لدن حكيم لا يكشف حقايقه الا على من علم
استعداده لها عليم بالاستعدادات ومقاديرها ولذلك اعطاك الكشف
بلا واسطة واعطى موسى بواسطة النار اذ كانت مطلوبة له اذ قال موسى
لاهله لامرأته وقد اخذهما الطلق فى ليلة مظلمة شاتية بطريق رجعه من
مدين ولا يعرف الطريق انى آنست رأيت نارا سآتيكم منها بخبر من علامات
الطريق او وجدان عارف لها عندها او آتيكم بشهاب قبس مقتبس
من تلك النار لاصطلائكم لعلكم تصطلون لدفع البرد او ظلمة الطريق فلما
جاءها نودى ان بورك اى انه كثر خير من طهر فى النار افاضة ومن
حولها استفاضة فحصل له التجلى فى مطلوبه فلذلك بقى فى تجلية حجاب العزة
وحصل فى تنزيله كمال العلم والحكمة وسبحان الله تنزيه عن الصورة و
المكان وان ظهر بكل صورة ومكان لاتصافه بوصف رب العالمين يا موسى
انه اى المنادى الظاهر فى النار بهذه الصورة انا الله الجامع لجميع الصفات
من الظهور والبطون فالبطون من العزة والظهور من الحكم لانى العزيز
الحكيم واذا بقى فيه حجاب العزة فى هذه المرتبة فكيف فى حق من لا يؤمن بالاخرة

ولبقاء حجاب العزة في حقه احتيج الى معجزات قاهرة فقيل له والق عصاك
اشارة الى القاء كل ما يعتمد عليه مما سوى الله فانه معصية حالك فلما رآها تهتز
تتحرك بسرعة كأنها جان اي حية صغيرة وان تصورت بصورة الكبيرة اشارة
الى سرعة تأثير المعصية كالسم مع عظم قدرها وان توهم صغرها ولى وجهه عنها
حتى صار مدبرا كما يدبر العاصي معصيته يوم يرى اثرها ولم يعقب لم يلتفت
الى عقبه لينظر هل يقصده الحية ام لا حتى في الفرار يا موسى لا تخف من غيري
واثبت عندها اني لا يخاف من كان لدي من غيري سيما المرسلون لانهم لا
يتمكنون من اداء الرسالة ما لم يزل خوفهم من المرسل اليهم فاذا خافوا وهم
عند المرسل فكيف يمكنهم اداء الرسالة الا من ظلم بفعل ما لا يناسب حاله فانه
لا يزال يخاف مني وان كان ثم بدل حسنا وعلم اني امحو السيئة بالحسنة ولكن
لا يبالي له لكونه بعد شيء ولا ابالي بسيئته فاني غفور رحيم باعطاء الحسنة
وراء محو السيئة وبعد الامر بما يشير الى القاء المعصية امره بما يشير الى ادخال
اعمال الجوارح في القلوب لتنتشر في انوارها حتى يظهر انوارها على الاعضاء
فقال وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء برص ادخلها
في تسع آيات غاية عدد الافراد اشارة الى استكمال عدد الآيات التي
كل واحد منها فرد في بابها وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وانما اوتيت هذه
الآيات القاهرة لذهابك الى الاناس القاهرين الى فرعون وقومه
لتدخلهم في طاعتي انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعتي ولم يؤثر
القرآن في الدين لا يؤمنون بالآخرة فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي كل واحد
انفسها انها آيات قالوا هذا سحر مبين نفسه انه سحر لا يلتبس بالآية اصلا
وليس ذلك عن قلوبهم بل جحدوا بها بالسنتهم واستيقنتها انفسهم عرفت
انفسهم انها آيات تعينا سيما عند القاء السحرة ساجدين فكان جحودهم اياها ظلما

بوضع الآيات موضع السحر وعلوا تكبرا عن الانقياد لموسى الذي جاء لاصلاحهم
لكونهم غاوين في بحر الفساد فاغرقوا في البحر الظاهر حسما لمادة فسادهم لتعتبر بهم
من بعدهم فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ليقيس عليه احوال من انكر
اعجاز القرآن الذي فوق تلك المعجزات كلها وليس هذا تكبرا من محمد صلى
الله عليه وسلم على موسى عليه الصلوة والسلام بان معجزته الواحدة يفوق
معجزاته التسع بل اظهار فضل الله تعالى شكرا له كفعل داود وسليمن صلوات
وسلامه عليهما فانا لقد آتينا داود وسليمن علما فاظهرا فضلهما وشكرا اذ
قالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين مع انه لا يجوز التكبر
على المؤمنين واظهر سليمان فضله على ابيه اذ ورث سليمن داود علمه وزيد
له علم منطق الطير وحقائق الاشياء وخواصها فاظهر فضله وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير وهو الاصوات المتفاوتة بتفاوت الاغراض بحيث يفهمها
ما هو من جنسه واوتينا علم الحقائق والخواص من كل شيء واشار الى
نفي التكبر بقوله ان هذا لهو الفضل المبين ولو كان قصد التكبر لتكبر بما
يتكبر فيه الناس اكثر فانه حشر جمع لسليمن جنوده من الاجناس المختلفة من
الجن والانس والطير ولتباعد طرفيها بالغ في التلاحق فهم يوزعون اي
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا فلم يظهر الفضل بذلك لما فيه من التكبر حتى
اذا اتوا على وادي الشام كثير النمل قالت نملة رأتهم متوجهين الى واديها
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم اذ لو كنتم خارجها حطكم سليمان وجنوده فانهاكم
عن الوقوف خارجها لانهاهم عن الحطم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم وان
طبعوا على الخير فانما يحترزون عن الشر حيث شعروا به لكنهم لا يشعرون بلغته
الريح كلامها فتبسم تبسما اشبه به كونه ضاحكا تعجبا من قولها الدال على خيرة
الانبياء واتباعهم وقال عند ذلك رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي من الامور الدنيوية والدينية وعلى والدي اذ الحقني فضلهما

وَالهمني ان اعمل تلك النعم صالحا لا اصرفها ترضيه منا في الامور الظاهرة
وفي المساعي الباطنة ادخلني برحمتك لا باعمالي في عبادك الصالحين
اهل الولاية النبوية التي هي فوق نبوتهم وان كانت النبوة اعلى من ولاية سائر
الاولياء ومن الاعمال الصالحة للملوك التي يرجى بها لهم الدخول في اهل
الولاية البحث عن الاشياء والقيام بالسياسة المامورة لذلك تفقد تعرف
سليمان الطير ففقد الهدهد فقال ما لي اي اي حال حصل لي فصرت لا ارى
الهدهد اخفى عن نظري ام كان من الغائبين فان غاب فوالله لاعذبنه
عذابا شديدا كنتف ريشه او القائه في الشمس او جعله ياكله النمل او في
قفص مع ضده او لاذبحنه ليعتبر به غيره او ليأتيني بسلطان مبين بحجة
واضحة على عذره فمكث في الغيبة زمانا غير بعيد غير طويل فقال انما مكثت
هذه المدة لاحيط بامر عجيب علما فوقت حتى احطت مع ضعفي بما لم تحط
به ولم اقصد بذلك تحصيل العلم لنفسي دونك بل جئتك من قصبة مارب
بلدة قبيلة سباء على ثلث مراحل من صنعا بنباء خبر يقين صادق فقال
ما هو قال اني وجدت امراة هي بلقيس بنت شراحيل بن الريان من اولاد
يعرب بن قحطان تملكهم وليس ملكيتها لهم لضعفهم بحيث استولت عليهم امراة
ضعيفة بل لانها اوتيت من كل شيء يحتاج اليه في الملكية وزاد على حوائجهم
ايضا اذ لها عرش سرير مكلل بالجواهر عظيم عال كان ثلثين ذراعا من كل
جانب وليس غرضي ان اطمعك في ملكها بل ان يدخلها وقومها في دين
الاسلام اي وجدتها وقومها يسجدون للشمس لا باعتقاد ما قبله بل الهاً اذ
يعبدونها من دون الله مجاوزين عبادة الله وهم مع كمال عقلهم في امر
المملكة زين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة كعبادة الشمس لما راوا سببا
لامور وكانت سببيتها للاستدلال على حكمة خالقها الداعية لسلوك سبيل
الوصول اليه فصدهم عن السبيل حتى راوا الشمس هي الفاعلة المستحقة للسجود

لهم

فهم لا يهتدون الى فاعلية الله عند سببيتها قصد بذلك الا يسجدوا لله الذي
يخرج الخبء اي ما خفي لكونه بالقوة الى الفعل في اسباب السموات ومواد
الارض ولو كانت مؤثرة فانها بطريق الخاصية من غير شعور فلا يستحق
السجود وانما يستحقه من يعلم ما تخفون من العبادة القلبية وما تعلنون من
العبادة البدنية بل لا يستحقها الا المتصف بصفات الالهية وهو الله
ولا يتصف بها سواه اذ لا اله الا هو وكيف يتصف بها من هو تحت
العرش وهو رب العرش العظيم المحيط بالشمس وسائر الكواكب المحركة
لها قسرا والمحاط دون المحيط فهو اولى بالربوبية والمقسور مقهور للقاسر
فاذا كان القاسر مربوبا فالمقسور اولى فان صحت الهية المحاط فكيف تحسن
مجاوزة من هو رب المحيط قال سننظر فيما جئت به من النبا لنعلم اصدقت
فيه ام كنت من الكاذبين ولم نقل او كذبت اشارة الى عظم ما اخترعه من
الكذب بحيث لا ياتي ممن لا يعتاد الكذب وانما ياتي ممن يعتاده بحيث
يعد من الكاذبين كذلك ينبغي لكل سامع سيما الملوك ان يختبروا ما سمعوا
من غير تصديق ولا تكذيب فكتب سليمن عليه السلام كتابا بسم الرحمن الرحيم
السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكتب
عنوانه من سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا ثم قال للهدهد اذهب
بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول تنح عنهم فانظر ماذا يرجعون اليه من
الراي فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره واتى به الى بلقيس وهي نائمة
على قفاها وقد اغلقت الابواب فالقاه على نحرها وقعد في الكوة فتيقظت
فوجدت الكتاب على نحرها ثم نظرت الى اطراف البيت فوجدت الهدهد
في الكوة ففتحته وقرات فقعدت على سريرها وجمعت ملاها فقالت
يا ايها الملا الاشراف المطلعون على لطائف الكتب اني القي الي بصيغة
المجهول لتفهيمهم انها اتتها من الاخبار ما لا يعلمون طريقها اذ لو علم العظما

الي كتاب كريم ليشتمل على نفايس انه اي عنوانه من سليمان وانه
اي مطلعه بسم الله الرحمن الرحيم ومضمونه ان لا تعلوا علي لا تتكبروا
علي ولا تعتقدوا المساواة ايضا ولا المنافاة ومع قبلكم لصعي به
حصنكم بل ائتوني منقادين لي مسلمين مؤمنين فذكر في البسملة ذات
الله تعالى وصفاته وافعاله ونهى عن التكبر الذي هو اصل الرذايل الذي
هلك به ابليس وامر بالاسلام الذي هو تمام الفضايل اذ لا تعتد بها بدونه
وليس فيه الامر بالاسلام قبل ظهور المعجزة بل القاء الكتاب بهذه الهيئة
اعظم معجزة قالت يا ايها الملا الاشراف الذين يقتضي شرفهم ان لا يدخروا
شيا من النصح افتوني اجيبوني في امري العظيم الذي لا يمكن لي القطع
فيه وان امكن فما دونه لكن ما كنت قاطعة امرا حتى اي عظيما حتى تشهدون
تحضرون فتشيرون بما عندكم من الراي قالوا لو اشرنا بالانقياد بطل
شرفنا بلا موجب اذ نحن اولوا قوة قدرة وعدة وتدبير واولوا باس
شديد شجاعة شديدة وحق العسكر ان يحملوا الخطر بعد استكمال ما يحتاج
اليه ومع ذلك لا ينبغي لهم ان يشيروا به حرصا لئلا يلاموا عند الاخلال
بل يجب عليهم تفويض الامر الى راي الملك كما قالوا والامر اي امر
القتال والصلح مفوض اليك الى رايك لان لك النظر في امر المملكة
فانظري ماذا تامرين به من القتال والصلح ايهما ابقى لشرفك وملكك
قالت انما اختار القتال اذا لم يغلب على الظن دخول العدو الاعين
في قهر العدو الانقياد ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها بتخريب
بنائها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وسبيهم وسبي ذراريهم
ونسائهم وكذلك اي مثل هذه الافعال الشنيعة يفعلون افعالا اخر
كثيرة مثل القتل والاسترقاق والاستيفاء وتغيير النساء والرجال
واني لمختبر حالهم مرسلة اليهم الى سليمن وملائه رسلا بهدية توجب

المحبة ولتشبه الانقياد من غير اخلال لشرفها فناظرة منتظرة بم باي خبر منهم
يرجع المرسلون فبعثت منذر بن عمرو بلبنات من ذهب ولبنات فضة وتاج
مكلل بالجواهر والعنبر والعود الانجوج وغلمان وجواري بزي واحد في اللباس
والكلام وحقة فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوج الثقب وامرته
ان يقول ان كنت نبيا ميز بين الغلمان والجواري واخبر بما في الحقة قبل
فتحها ثم يلتمس منه ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا
جن وقالت ان نظر اليك بوجه طلق فهو نبي وان نظر اليك بغضب فهو
ملك لا يهولنك منظره فلما جاء الرسول سليمن نظر اليه بوجه طلق واعطاه
كتاب بلقيس فطلب الحقة فساله عما فيها فقال ان فيها درة غير مثقوبة
وخرزة جزع معوجة الثقب فساله ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير
مباشرة انس ولا جن فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة
وامر دودة بيضا فاخذت الخيط ونفذت في الخرزة ودعا بالماء فكانت
الجارية تاخذ بيدها وتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما
ياخذ يضرب وجهه ثم قال اتمدونن بمال لظنكم انه اذا حصل لي من
غير قتال استغنيت به عن القتال فهذا نظر الملوك الغافلين عن الاملاك
والاموال ولا نظر لي الى ملك احد ولا ماله فما آتاني الله من الملك والحكمة
والنبوة خير مما آتاكم فلا ابالي بجميع ما عندكم فضلا عن الهدية بل انتم بهديتكم
اذا اهدي اليكم مثلها او اهديتم مثلها تفرحون استكثارا او افتخارا
ارجع اليهم بهذه الهدية فان لم ياتوني مسلمين فلناتينهم بجنود لا قبل لهم
بها اي لا يمكنهم ان يتوجهوا اليها ويقابلوها بوجوههم ولنخرجنهم منها من قريتهم
واملاكهم اذلة اسارى مع نسائهم وذراريهم وهم صاغرون بالرق وان
لم يسلموا بعد فرجع الى بلقيس وبلغها ما قال فقالت لقد عرفت انه نبي وانه
لا طاقة لنا به ثم ان سليمن عليه السلام سمع يوما وهو على كرسيه ونحا فرسا

فسال عنه فعيل بلقيس فنزلت منا فی صرح قال یا ایها الملاء اشراف
اتباع الذین لاتعلون عن ولی الکم یا تینی بعرشها ولانه بعثها من
مسیرة شهر من قبل ان یاتونی مسلمین لیکون کرامة مویدة لمعجزاتی قال
عفریت خبیث مارد قصدا ابطال الکرامة من الجن ذکر ان او صحر
انا اتیک به قبل ان تقوم من مقامک مجلس القضاء الی نصف النهار
وانی علیه علی حمله الی مکانک لقوی ولا اختزل منه شیا لانی امین
فلم یرض به لما فیه من ابطال الکرامة قال الذی عنده علم یقدر به علی
اعدام شیء واعادته وهو آصف بن برخیا من الکتاب القلم الاعلی
او اللوح المحفوظ انا اتیک به بالاعادة فی مکانک بعد اعدامه بمکانه ولعله
مراد من قال غار عرشها تحت الارض حتی نبع تحت کرسی سلیمن قبل
ان یرتد الیک طرفک بصرک بانطباع المرئی بعد ارساله برمی الشعاع
الیه وهما فی آن واحد کاعدام الاعراض واعادتها فلما رآه مستقرا
عنده من غیر حرکة ینتقل الی آخر فصاعدا قال هذا من فضل ربی
علی بجعل هذه الکرامة لبعض اتباعی تایید الصدق المعجزات لیبلونی
لیختبرنی ااشکر برؤیتها فضلا علی ام اکفر برؤیة اختصاص الفعل
بصاحبها ومن شکر نعمة الله وان ظهرت علی الغیر فانما یشکر مفیدا
لنفسه ومن کفر ولو انعم به علی غیره لم یبال الله به فان ربی غنی وانما
انعم علیه مع غناه وعدم مبالاته لانه کریم ثم ان الشیاطین خافت
ان یتزوجها فیفشی الیه اسرارهم اذ کانت امها ریحانة بنت السکن جنیة
اذ وصل ابوها جنیتین یتسلان نظر السوداء علی البیضاء الی حسنت
الیها والسوداء عبد لنا تمرد فعرض علیه المال فلم یقبل وقال ان کان
لک بنت تزوجنیها فزوجه ابنته فولدت له بلقیس فقالت الشیاطین
ان فی عقلها شیئا وان رجلها کحافر الحمار وانها شعراء الساقین فاخبر

عنده خ

فقتلها وصب الملاء علی البیضاء فافاقت فلما رجع الی داره فاذا بشاب جمیل فقال انا الحیة البیضاء صح

سلیمن عقلها اذ قال نکروا لها عرشها لامتحان عقلها عن نهایة ننظر اتهتدی
لکرامة احضاره والجواب الصواب فیه ام تکون من الذین لا یهتدون
فلما جاءت قیل اولکل شیء لان امر العقل اسم اهکذا عرشک قالت کانه
هو لم تقل هو هو خوفا من الکذب مع نوع من التغیر ولا لا خوفا من التجهیل
وقالت لا حاجة الی هذه الکرامة لتحصیل العلم بنبوة سلیمن اذ اوتینا
العلم بنبوته من قبلها من قبل اتیان العرش من معجزاته ولا الا قرارها اذ
کنا مسلمین مقرین ولم یقصد سلیمن بهذه الکرامة افادة العلم او طلب
الاقرار بل صحة الاسلام اذ صدها بهذه الکرامة المخصوصة بمتابعته ولم
یوجد فی معبودها من دون الله ما کانت تعبد من دون الله لعلمها بانها
فاقتهم بها وهی وان علمت نبوة سلیمن واقرت بها لم یصح اسلامها انها کانت
من قوم کافرین بعبادتها واعتقادها ان خوارق سلیمن علیه السلام
کخوارق الرهابین ثم اراد سلیمن ان ینظر قدمیها وساقیها فامر الشیاطین
ان یعملوا صرحا صحنه من زجاج ابیض تحته ماء جار فیه حیتان ثم وضع سریره
فیه مجلس قیل لها ادخلی الصرح القصر فلما رأته ای صحنه حسبته لجة ماء
عظیما وکشفت للخوض فیه الی سلیمن عن ساقیها فنظر الیها فاذا هی احسن
قدما وساقا لکنها شعراء فصرف عنها وقال انه صرح ممرد املس والماء یری
من تحته لانه من قواریر زجاجات فتسترت وتنبهت انه لیس
للشیء حکم ما ظهر فیه فلیس للشمس حکم الاله لظهور نور فیها لذلک قالت
رب انی ظلمت نفسی بعبادة المظهر علی ان له حکم الظاهر کیف وفیه تقیید
والاله لا تتقید لذلک اسلمت مع سلیمن لا نال رتبة المعیة فی المراتب
والمقامات لا للمظهر بل لله باعتبار ذاته وصفاته واسمائه وظهوره فی
الکل باعتبار اتصافه بوصف رب العالمین ثم اشار الی عظم نبیهما
بهذا المنبه اللطیف علی رفع هذا الالتباس العظیم الذی لا یرتفع بسبب

سلیمن

ولا بمعجزات المبين ولا بنا بيد تلك المعجزات بالعذاب الدنيوي بل
منع الالتباس فيه بل هو لعبادة المظاهر او للامر بترك عبادتها فقال
ولقد ارسلنا الى ثمود المتحصنين باحكام الابنية اخاهم الذي علموا
شفقته عليهم ونصحه لهم صالحا لاصلاح حالهم برفع الالتباس بين المظاهر
وما ظهر فيها ان اعبدوا الله دون المظاهر فوقع التحط بينهم لاصرارهم على

في سبب التحط

عبادتهم المظاهر فاذا هم فريقان يختصمون خصومة غير منقطعة فقال
الكافرون سببه ترك عبادة الاصنام اذ لم يكن مع عبادتها منذ المدة
فكانت مانعة منه وقال المؤمنون سببه ترك التوحيد لانه تعالى انذر
عن تركه فاذا لم يبال لانذاره غضب فقال الكافرون لو كان كذلك لعذبنا
عذاب الاخرة قال يا قوم الذين اريد دفع العذاب عنهم لم تستعجلون
بالسيئة العقوبة القبيحة قبل التوبة الحسنة وهو موجب لدوامها وقد اخر
عنكم العذاب بعد الزامكم الحجة ليمكنكم الاستغفار وقد دعا اليه بالتحط المنبه
على العذاب الاخروي لولا تستغفرون الله لينقطع سبب التحط من

حل لام

معاصيه بل لعلكم ترحمون فاذا ازال بالاستغفار التحط ظهر انه انما كان
بسبب الشرك قالوا كيف وقد تطيرنا بالمستغفرين فانا اطيرنا بك وبمن معك
من المستغفرين وقد وقع بعد استغفاركم فهو بسببه قال طائركم سبب تحطكم
انما هو عند الله فهو من غضبه على عدم مبالاتكم بما انذر عنه لا عند الاصنام
حتى يكون من تغضبهم على ترك عبادتهم ثم انه ليس مما تطير به بل انتم قوم تفتنون
تختبرون به هل تحملونه على ترك التوحيد وترك الشرك فان اصررتم على الثاني
عذبتم اشد العذاب فظهرت علاماته من تغير الوان الوجوه وكان في المدينة
تسعة رهط نفر رءساءهم في اصلها وهم يفسدون افسادا اساريا في الارض
من غيرها لانه لظهور علامات العذاب ولا يصلحون بوجه من الوجوه عند
رؤيتها وهم عاقروا الناقة رئيسهم قدار بن سالف قالوا بعد ظهور علامات

العذاب ولا يصلحون الداعية الى الايمان والتضرع الى الله والتوسل بصالح
عليه السلام انه وقع بسبب صالح تقاسموا اي ليحلف كل واحد منكم على موافقة
الاخرين بالله الذي هو اعظم المعبودين لنبيتنه لنقتلنه ليلا لئلا يهلك قبل هلاكنا
واهله من آمن معه ثم لنقولن لوليه الطالب بثاره علينا ما شهدنا مهلك اهله
ما حضرنا مكان هلاك الاهل مع تفرقهم في الاماكن الكثيرة فضلا عن مكانه فضلا
عن مباشرته ولنقولن والله انا لصادقون ومكروا باحضار دار صالح مكرا
بحيث لا شعور له بهم ومكرنا بارسال الملائكة لرجمهم بالحجارة مكرا اعظم من مكرهم
اذ تصيبهم الحجارة وهم لا يشعرون بالرماة فلو تم مكرهم فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم الهلاك الكلي انا دمرناهم اهلكناهم وقومهم اجمعين بالصيحة فان شك سواء
في ذلك فتلك بيوتهم خاوية ساقطة لا تعمر بعدهم لانهم استوصلوا وليس ذلك
بطريق الابتلاء العام بل بما ظلموا بعبادة المظاهر الغير المستحقة لها ان في ذلك
لآية على ان عبادة المظاهر ظلم واضح لقوم يعلمون انهم اخذوا لذلك الظلم و
يدل عليه انا نجينا الذين امنوا بالله فعلموا انه لا يظهر في شيء بالالهية التي هي
بوجوب الوجود وكانوا يتقون عن انه ظهر بكماله الكلي في شيء من المظاهر ثم اشار
الى انه ليس المقصود من العبادة نفس التذلل حتى لا يكون ظلما البتة بل التذلل
لاكتساب الكمالات الانسانية التي بها استحقاقه لعمارة الدارين كما انه ليس المقصود
من الجماع التذلل للشهوة حتى لا يكون فاحشة البتة بل يكون من جملة العبادات
بل لاكتساب النسل الذي هو سبب العمارة الكلية ولبيان ذلك ارسلنا لوطا
الى قومه فبلغهم اذ قال لقومه الذين حقهم ان يكونوا على طبيعة اتأتون الفاحشة
الفعلة القبيحة غاية القبح من التذلل للشهوة بحيث لا يعقبه فائدة وانتم تبصرون
ان الله تعالى انما خلق فيكم الشهوة لابقاء النسل ائنكم لتأتون الرجال لتطيعوا
شهوة مجاوزين محل الحرث لكونها من دون النساء ولا يستكملون اللذة بل انتم
قوم تجهلون ان في ارحام النساء ما يجذب المني فيكمل اللذة وفي الادبار

ما يتنقص الذي من عدم الجاذب مع موجب الكره من النجاسة فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ان لوطا واهله لا يطلبون بكل جماع نسلا ولا يتركون
الآلة في المحل حتى يتم جذب الرحم للمني فانه امر بعيد لكنهم يكرهون النجاسة اخرجوا
آل لوط من قريتكم لنجستها بكم فلا يليق بمساكنتهم انهم اناس كاملون في باب
العقل يتطهرون عن النجاسات التي يأمر العقل باجتنابها وهذا يطهرون الآثار
منهم فاخرجنا لوطا واهله عن قريتهم حين اردنا تطهيرها عنهم بامطار الحجارة
عليهم فانجيناه واهله مما طهرت به قريتهم عنهم لطهارتهم لا لكونهم اهله لذلك
استثنيت امرأته اذ قلنا الا امرأته فانها وان خرجت عن قريتهم قدرناها من
الغابرين اي الباقين في اصابة ما اصابهم ولغاية تحشهم في انزال الماء بغير محله
امطرنا عليهم مطرا فاحشا وساء امطار الحجارة فساء مطر المنذرين اذ كان
مهلكا اهلاكهم للمني بخلاف مطر المرحومين اذ كان منبتا انباتهم للنطفة فلو
قيل ان انزال الفاحش فاحش مكروه قل انزاله على اهل الفاحشة ليس
بفاحش بل موجب حمد الحمد لله وانما يكون فاحشا لو لم يسلم منه احد لكن
سلام على عباده وكيف لا يكون محمودا وبه ميز الذين اصطفى وانما اصطفينا
لانهم اصطفوا اجزاء المعبودين فان تشك في اصطفائهم فهو شك في خيرية الله
آلله خير اما تشركون فارتفع بذلك الالتباس بين التوحيد وعبادة الكل
وان زعموا انهم اكمل في المعبودية ولو شككت في خيرية الله قل أمن لم يخلق شيئا
ولم ينعم بشيء خير ام من خلق السموات والارض وجعلهما منشأ لكل نعام اذ
انزل لكم من السماء ماء فانبتنا لم نقل فانبت لئلا يتوهم عود الضمير الى الماء قبل ان
نذكر لفظ به حدائق بساتين لا يتغير بتغير الكواكب ذات بهجة حسن لا
يتغير بتغيرها ايضا وكيف ينسب ذلك الى الكواكب ولا ينسب الى غارس
الاشجار لانه ما كان ان تنبتوا شجرها فاذا لم تقابله الانسان مع انه اكمل من
الكواكب فكيف تقابله الكواكب أإله مع الله فاذا لم يكن للغيرية المعية كيف يكون

عابدا لغير خيرا من عابد وحده فليسوا في تفضيل الشرك على نهج العقل
بل هم قوم يعدلون عن نهج العقل ولو نسب انزال المطر وانبات الشجر الى الكواكب
قيل أمن انزل المطر وانبت الشجر خير أمن جعل الارض قرارا لتمكن الانتفاع
بالمطر والشجر ولعدم كفاية ماء السماء في كل وقت جعل خلالها وسطها انهارا
لدوام الانتفاع به ولا انتساب الى الكواكب اذ جعل لها رواسي جبالا لا يستقر
الارض ويتفجر فيها الانهار ولما امكن تفجر الانهار من البحرين ولا يمكن الانتفاع الا
بالعذب بسبب ملح الانهار منع الاختلاط فيها كما انه جعل بين البحرين حاجزا ابدا
يمنع الاختلاط ولا ينسب الى كوكب العذب والى آخر المالح أإله مع الله نزل
المطر وينبت الشجر ويختص بباقي الامور ابدا مع تأخرها والله اولى بالتقدم و
يدعون كمال العلم بهذا التفصيل وليس كذلك بل اكثرهم لا يعلمون ما يلزمهم من
تقديم غير الله على الله فعلا ولو قيل انما اختير الغير للتوسل به الى الحوائج قيل
من يتوسل به الى الحوائج التي لا يضطر فيها ولا يجيب داعيه ولا يبتلها خير أمن
يجيب المضطر لا لسان حاله فقط بل اذا دعاه بقلبه ولسانه وحاله جميعا
لدفع ما اضطر فيه ويكشف السوء اي كل ما يسوءه مما يضطر فيه وغيره ولو امكن
كشفه بالكواكب او الاصنام لا يمكن للانسان اذ يجعلكم خلفاء الارض تتصرفون
فيها نيابة عن الله واذا كان الله كاشفا ما يضطر فيه أإله مع الله يكشف ما لا يمكن
للانسان كشفه قليلا ما تذكرون ولو قيل انما يختار الغير لتحصيل
اسباب المعاش الاكتسابية او سماوية تعال اجل الاكتسابية الاسفار
المفتقرة الى الهداية واجل السماوية الامطار ومباديهما من الله فهل من
يكون منه فروعهما خير أمن يكون منه اصل لهما اذ يجعل حوطها يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله
يحصل الفروع بعد تحصيل الله الاصول فشاركه في الانعام بحيث لا يتم بدونها
تعالى الله عما يشركون فلو نسب جميع هذه الامور الى الالهة تعالى يقال هل من يحصل

هم

لكم صح

وانما ينسب الى كوكب صح

اسباب المعاش خير امن يبدؤا الخلق ثم يعيده واذا كان منه الابداء
والاعادة فمن يرزقكم من السماء والارض لافادة البقاء أإله مع الله
مفيد للبقاء مع ان الظاهر انه انما يستفاد ممن يكون منه الابداء والاعادة
فان ادعوا خلاف الظاهر قل هاتوا برهانكم على خلاف الظاهر ان كنتم
صادقين ولو قيل انما نختار الهتنا لانها تطلعنا على الغيب قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله فلا يكشفه على من يكشف له سواه
ولو صح اطلاعها لم يطلع على اهم الامور وهو وقت البعث لانهم ما يشعرون
ايان اي في اي آن يبعثون بل هل اداراك بلغ علمهم ما يجري عليهم في الآخرة
بل لا علم لهم بها وانما هم في شك منها لا لعدم وصول اخبارها ودلائلها اليهم
بل هم منها عمون وقد بلغ عماهم الى حيث قال الذين كفروا ابوا عدالته وآياته وعلمه
وقدرته وحكمته انما يتصور العمي من الامور الاخروية لو امكن البعث لكنه محال
أئذا كنا ترابا وآباؤنا اي انخرج بعد الموت اذا كنا ترابا وكان آباؤنا
ايضا ترابا ائنا لمخرجون اي نحن اخراجنا احياء بعد ذلك وغاية ما يدل
عليه وعد هذا الرسول ومن قبله به لقد وعدنا هذا البعث نحن الآن
وآباؤنا من قبل فلم يظهر لنا ولا لهم اثر من ذلك ان اي ليس هذا الوعد
الا اساطير الاولين اي جمع اكاذيبهم التي سطروها بعبارة مموهة قل للقائلين
انه اساطير الاولين سيروا في الارض ليبصروا آثار القائلين هذا القول قبلكم
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب هذا القول ولا تحزن عليهم على قولهم
وتكذيبهم فانه سيكون لك من المصدقين من لا تبالي معهم بهؤلاء ولا تكن في
ضيق مما يمكرون من مكرهم بالقاء الشبه فانها لا تؤثر في الناظرين الى الادلة
ومن جملة مكرهم انهم يقولون متى هذا الوعد في اي وقت يوجد اثر هذا الوعد
بينوه ان كنتم صادقين في انكم عرفتموه من عالم الغيب قل عسى قرب رجاء
ان يكون ردف اي لحقكم وحصل لكم بعض الذي تستعجلون من العذاب

وهو عذاب يوم بدر وان ربك لذو فضل على الناس باخفائه ليخافوا اثره
فيستغفروه ويرجوا تأخره فلا ييأسوا وينتهزوا الفرصة في الاعمال الصالحة
ولكن اكثرهم لا يشكرون هذا الفضل فلا يستغفرون ولا ينتهزون الفرصة و
لا يغرنه بهذا الفضل مع ترك الشكر ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم من
عداوتك وما يعلنون من تكذيبك فلا يترك تعذيبهم وكيف يخفى عليه شيء
وما من غائبة حقيقة خفية في السماء والارض الا في كتاب مبين اللوح المحفوظ
الذي هو مبدأ الحوادث ولم يكتب فيه الا عن علم الله واذنه وكيف لا يكون في
اللوح المحفوظ وقد ظهر فيما هو نسخة بعضه ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
علماء الاولين اكثر الذي هم فيه يختلفون من الحقائق الخفية التي لا يكاد يرتفع
عنها الاختلاف وكيف لا يعتبر بفضله مع انه نبه بهذا القرآن عما اشتبه عليهم من
امور الآخرة وكيف يضيق صدرك بمكرهم مع انه اقام به الدلائل ورفع
الشبه انه لهدى باقامة الدلائل ورحمة برفع الشبه للمؤمنين اي المنصفين المصدقين
للحق ولا يترك المعاندين بحالهم ان ربك يقضي بما يرفع النزاع بينهم بحكمه بعد
المعاندين ولا يمتنع عليه من عجز وجهل وهو العزيز العليم وان خفت ان
يؤذوك قبل ان يقضي عليهم بحكمه فتوكل على الله فانه ينصرك عليهم بالحجة والسيف
انك على الحق المبين الواضح وقد وعد ولا تحمل بحسك عدم سماعهم لها اذ هم
اموات انك لا تسمع الموتى وان لم يكونوا امواتا فلا اقل من الصم ولا تسمع
الصم الدعاء النداء فان امكن تفهيمهم بالاشارة فذلك عند اقبالهم لا اذا ولوا
وجوههم عنك مدبرين جاعلين ظهورهم اليك فان لم يتولوا فلا يمكن تفهيمهم ايضا
اذ هم عماة وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانهم يعتقدون في الدلائل انها
شبهات فلا يدعون اسماعهم حلها ولكن ان تسمع حلها الا من يؤمن بآياتنا
فيعتقدها دلائل فهم مسلمون منقادون لوجوه الدلائل وحل الشبهة ولا
يزالون عماة الى ان يقع القول عليهم بظهور اشراط الساعة واذا وقع القول

عليهم بحيث لا يقبل ايمانهم اخرجنا لهم لا بصارهم فضلا بجهم دابة عجيبة لم يعهد
مثلها طولها ستون ذراعا لها اربع قوائم وجناحان وريش لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب معها عصا موسى عليه السلام تنكت بها مسجد المؤمن فيبيض
وجهه وخاتم سليمان تنكت به انف الكافر فيسود وجهه ليعلم انهم انما يتنبهون
لما يتنبه له الدواب من الارض ليعلم انهم لاقتصار نظرهم على عالم السفل
لا ينظرون الى العالم العلوي اصلا ولا يسمعون لعلوي تكلمهم انما خرجت
لا فضح الناس قبل ظهور العقمة ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويزيدهم
فضيحة بسواله في الجمع العظيم بعد اظهار قصد الجمع لذلك يوم نحشر من كل امة
فوجا طائفة ممن يكذب بآياتنا ولا يستعجل عليهم السؤال ما لم يتم اجتماعهم
بحشر سائر الافواج فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتقدموا حتى اذا
جاؤا المحشر قال ليفضحهم بين الاولين والاخرين فوق تفضيح الدابة في اهل
ذلك العصر بقوله اشنع من قول الدابة أكذبتم بآياتي ولم يعلموا انها جديرة
بالتصديق او التكذيب اذ لم تحيطوا بها باسرارها التي بها صارت ايات
علما اما ذا كنتم تعملون بها من حملها على تأويلات فاسدة يبطل فضلها فضلا
عن اعجازها وليتعين احد الامرين الشديدين عليهم ووقع القول عليهم وقوعا
فوق وقوعه عند خروج الدابة بما ظلموا بآيات الله باحد الامرين فوق الظلم
بترك التصديق بها فهم لا ينطقون بانها لم تكن مقتضية لليقين وان زعموا ان تكذيب
الآيات لو كان له هذا الاثر لظهر في الدنيا قال ألم يروا انا جعلنا الليل مثالا
لحجاب الدنيا ليسكنوا فيه فلا يظهر لهم اثر والنهار لكشفه في الآخرة لكونه مبصرا
يظهر فيه اثارهم ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالاخرة منها ان الدنيا
ليل يسكن فيه معاني الاعمال والاخرة نهار مبصر لها ومنها ان الدنيا لا تظهر
فيها الامور الالهية فتسكن النفس عن طلبها والاخرة مبصرة لها فتحركها لطلبها
لكنها انما تظهر لمن اكتسب طهارة انما بها في الدنيا ولو قيل الدنيا والاخرة

لو كانتا كالليل والنهار لكانتا متبدلتين دائما لكن انما يكون تبدلهما مرة واحدة
قال ليس التشبيه من جميع الوجوه فالتبدل انما يكون يوم ينفخ في الصور لانه اذا
نفخ فيه سال برازخ ففزع مات من في السموات ومن في الارض من العقلاء الذين
خلق ما سواهم من اجلهم فلا يبقى عند صعقهم في الدنيا الا من شاء الله قيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل مع الحور والجنة والنار وخزنتهما وحملة
العرش وسواهم لا يفزعون الى امور الدنيا وسواها وان لم يؤثر فيهم النفخ بالموت
اثر فيهم بالاستصغار اذ كل أتوه داخرين صاغرين ولا يختص اثر النفخ بالا
الضعيفة بل يؤثر في الصلبة اضاحي انك ترى الجبال تحسبها جامدة لا يتأثر
بشئ وهي تمر بالنفخة رخوة حتى انها تمر مر السحاب ولا بعد ذلك لان صلابتها
من اتقان الله تعالى اياها وقد اراد اتقان الجزاء باظهار جزاء المؤمنين وجزاء
الكافرين للكل فكان صنع الله الذي اتقن كل شئ ولا بعد عليه اظهار اسرار
الكل للكل انه خبير بما تعملون ثم اشار الى كيفية اتقان الجزاء بقوله من جاء بالحسنة
فله خير منها من مقتضى حسناته ومن جملته هم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء
بالسيئة يظهر من خبثهم انهم كانوا في استعدادهم مدبرين عن الحق فكبت وجوههم
في النار لانه منبع القوى المدركة والمحركة ويقال لهم هل تجزون الا ما كنتم تعملون
يؤثر في قلوبهم فيزداد المهم فان زعموا ان السيئات المكتسبة في النار هي اعمالك
شتم الاباء وتسفيه دينهم وقتل الناس وسبيهم ونهب اموالهم واستباحة نسائهم
والتفريق بين الوالد وولده والمرء وزوجه قال انما امرت ان اعبد الله
واذني عبادته حفظ حرمته فلا اهتك بالشرك وكيف يجوز هتك حرمة من كان
رب هذه البلدة الذي حرمها لينتشر الى ان هتك حرمته اشد وكيف يكون
ما ذكرتم سبب كب الوجوه في النار مع انه انما كان بامر الله ولا بعد ان يكون
له امر له كل شئ وكيف لا اومر بما ذكر وقد امرت ان اكون من المسلمين
ولا اسلام مع تلك الامور وكيف لا اومر بذلك وقد امرت ان اتلو القرآن

جسام

صح تفعلون

الجامع لبيان المنافع والمضار والامر بالاوايل والنهي عن الاواخر حفظاً
لحرمات الله ليحفظ حرمة انفسهم اذ مسكها يوجب هتك حرمتهم فمن اهتدى فهو
وان حفظ حرمة الله لم ينفعه فانما يهتدي نافعاً لنفسه بحفظ حرمتها ومن ضل
فهو وان هتك حرمة ربه لم يضره بل انما يضر نفسه فان زعموا انه يمكن ان ينفعنا
مثلك فقل انما انا من المنذرين لمن هتك حرمة الله بالشرك وان زعموا انه
نقص في حقك قل الحمد لله على ان جعلني عدو الاعدائه فان انكروا عداوته
في الشرك فقال سيريكم اياته على هذه العداوة وهذه الايات وان كانت
كافية فليست بملجئة فاذا رأيتم الملجئة فتعرفونها حين لا ينفعكم المعرفة وقد
عرفتموها بهذه الآيات وان لم يكن ملجئة ولذلك تغافلتم عنها وما ربك بغافل
عما تعملون من عداوته بالشرك وتكذيب الايات والرسل وانكار الاوامر و
النواهي فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة القصص

سميت به لاشتمالها على قوله فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين الدال على ان من هرب من مكان الاعداء الى مكان
الانبياء اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين وهلاك الباقين
بمكان الاعداء امن من الهلاك وهذا من اعظم مقاصد القران مع اشتمالها
على ما لا يشتمل عليه غيرها من انباء انبيائه بسم الله المتجلي
بجلاله وجماله في ايات كتابه الرحمن بما تلا فيه من انباء انبيائه واعدائه
الرحيم بما افاد المؤمنين من خصوص اسرار ذلك طسم اي طوالع الاخبار
الساطعة الانوار المسعدة للابرار وطلايع الغيوب السليمة من المطاعن
والعيوب المكثرة رجاءات القلوب وطيبات الاخبار السنية الاثار المزيلة
للاغدار والاكدار وطبقات الانباء السابغة الالاء المفيدة للشفاء ونحو
ذلك مما يناسب المقام تلك ايات الكتاب الجامع لهذه الخصال المبين

لما ذكر في كتب الاولين بالاجمال نتلو من مقام عظيم لطفا عليك يا اكمل المطلعين
على الاسرار من نبا حقيقة ما جرى بين موسى وفرعون ملتبسا بالحق من غير
تلبيس ولا مبالغة كاذبة بحيث يفيد هذه الخصال لقوم يؤمنون بان في القران
هذه الخصال مما ليس في قصص الانبياء والاعداء فسبب بعثة موسى ازالة
باطل فرعون ان فرعون علا حتى قال انا ربكم الاعلى ففضل نفسه على رب
العرش العظيم والسموات العلى مع كونه في الارض لا يمكنه الصعود في
الهواء ولعلوه بالتجبر جعل اهلها شيعا يشايعونه على ما يريد طوعا او كرها و
لارادته ابقاء علوه يستضعف طائفة منهم وهم الذين كانوا يشايعونه كرها اذ
يخاف منهم ان يبطلوا علوه بالكلية فيعلوه راى في المنام انه خرجت نار من
دور بني اسرائيل فاحرقت دار فرعون وديار قومه ولم تحرق شيئا من دور
بني اسرائيل فقال له الكاهن يولد فيهم مولود يذهب ملكه على يده فكان يذبح
ابناءهم ليضعفوا بنقص العدد من قطع النسل وعدم انجبار من مات منهم
ويستحيي نساءهم ليزوجهن من القبط فيضعفوا عن مقاتلة اخوانهم واخدامهم
ولم يستبد بذلك ابقاء علوه وملكه لانه انما يبقى بالاصلاح وهذا فقد اراده بطلب
الافساد انه كان من المفسدين اذ يؤدي ذلك الى فساد دين الاسلام
بالكلية وقد قصد ايضا ونريد لاصلاح امور الدين الذي به صلاح الدارين
ان نمن بالتخليص من المفسدين على الذين استضعفوا النفع بهم امر الدين
لو قدروا عليه في الارض ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في الدين لنفعهم فيه و
مما يتيسر ان نجعلهم الوارثين عنهم الملك لان الامامة في الدين انما يتم
بالتمكن في الارض ولذلك اردنا بهذا التوريث ان نمكن لهم في الارض
ولما لم يكن مع تمكن فرعون واله اردنا ان نري فرعون وهامان وجنودهما
جنود فرعون الذين تحت ضبط هامان منهم من الذين استضعفوا ما كانوا
يحذرون من ذهاب ملكهم وعلوهم لو بقيت قوتهم فحملت ام موسى به عام الذبح

لا يتغير لها لون ولا ينتن لها بطن ولا يظهر لها لبن فلا يتعرض لها قوابل
فرعون فولدت ليلة بلا قابلة سوى اخته فوضعته وبين عينيه نور فاوحينا
الهاما فالقينا الى ام موسى ان ارضعيه ليتقوى به فلا يوثر فيه سواء البحر
مالم تخافى عليه فاذا خفت عليه عيون فرعون فاجعليه فى التابوت فالقيه
فى اليم البحر لانه لو نقل الى البر لزمك الانتقال معه وهو محظور ان يظهر بك
فى الطريق او بعد الاجتماع ومن صدق توكلك فى القائه فى البحر لا تخافى
عليه الغرق ولا تحزنى طول الفراق انا رادوه اليك لحسن ظنك بربك
وجاعلوه من المرسلين بدليل ظهور النور من عينيه مع ارهاصات اخر
فارضعته ثلثة اشهر لا يسمع له بكاء فالح فرعون فى طلب المواليد فاجتهد العيون
فى تفحصها فجاؤا الى بابها فراتهم اخته فاخبرت امه فلففته بخرقة والقته فى
التنور المسجور من طيران عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور فخرجوا من عندها
فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبى قالت لا ادرى فسمعت بكاء
من التنور فاطلعت وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاتخذت
تابوتا فالقته فى اليم فسارت حتى تعلقت بشجرة توازى مجلس فرعون
فالتقطه آل فرعون لسر تربيته مع ظهور ان القاءه فى البحر انما هو من خوف
القتل عليه فكانهم التقطوه ليكون لهم عدوا اخبث يهلكهم وحزنا قبل ذلك
ان فرعون وهامان وجنودهما مع كثرتهم ووفور عقلهم فى امر المملكة كانوا
خاطئين اذ اخذوه ليربوه فيكبر فيفعل بهم ما يحذرونه وقد قتلوا من اجله
الوفا وتابعوا راى امراة فرعون اذ قالت امراة فرعون اسية
بنت مزاحم قدس الله روحها وكرم وجهها قرة عين مستقر نظرى ولك لا
تقتلوه فانه اتانا من ارض اخرى ولا يتهمنا فيه القوم بل عسى ان ينفعنا
كما نفع بنتنا البرصاء بالبراءة او عسى ان نحتاج اليه حاجة كلية حتى نتخذه ولدا
تقوم مقامنا وهم بعد مهم منه لا يشعرون بخطائهم فى هذا الطمع فى هذا

الحالة اصبح صار فؤاد ام موسى وان كانت من اهل الالهام فارغا خاليا عن
ذكر الوعد اذ قال لها الشيطان كرهت ان تقتل فرعون ولدك وكان لك
الاجر لو لبثت قتله اذا القيته فى البحر ولما اتاها خبر وقوعه بيد فرعون قالت
وقع فيها فزعت منه ان كادت اى انها قربت من فزعها لتبدى به لتظهر بكونه
ولدها لولا ان ربطنا بالصبر والتثبيت على قلبها اغتنارها بعد الاغتنار بولدها
لتكون من المؤمنين بصدق وعد الاخرة لان من صدق هذا الوعد بالوحى
الخفى فبالجلى اولى ولو لم يصدق يمكن ان يشك فى ذلك الوعد ايضا وعند
ابتداء الحال قالت لاخته مريم قصيه تتبعى اثره لينالى خبره فبصرت به عن جنب
بعد بلا سالى لها دعوى عدم التفاتها اليه لو توهموا عليها ذلك ولكن هم لا
يشعرون انها رضيعه مرادها وقد حرمنا منعنا عليه ان يمص المراضع اى ثدى
امراة من قبل ان ابصره عن جنب اذ لو كان بعدها لم يعف فلم تسمع منه الخبر
لكنها سمعت منهم فقالت هل ادلكم ايها الجبابرة فى امر رضاعه على
امراة من اهل بيت يكفلونه يضمنون جميعا تربيته لكم وهم له لامر فرعون ناصحون
فلم يعلم احد منه ما يخل بشئ من امره لا علم به فاتت بامه فلما وجد ريحها التقم
ثديها فقيل لها من انت فقد ابى كل ثدى سوى ثديك قالت انى امراة طيبة
الريح واللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرددناه الى امه
كى تقر عينها برؤيته ولا تحزن بفراقه ولتعلم لمشاهدة صدق وعد هنا
ان وعد الله بالامور الاخروية بالوحى الجلى حق ولكن اكثرهم لا يعلمون
ولم يزل فى تربيته غير مبال باحكامه حتى بلغ اشده ولما بلغ اشده كمال قوته الواجب
فى الحاكم لئلا يقوى عليه الشهوة والغضب واستوى اعتدل مزاجه فلا يميل
الى التعصب الباطل آتيناه بطريق المكاشفة حكما شرائع من تقدم وعلما
بالحقائق ولا يبعد فى حقه اذ كذلك نجزى المحسنين الذين يعبدون الله
كانهم يرونه فانهم كاشفون بعلوم عند قوة الحال واعتدال المزاج ومن

فبصرت به

احكامه لبني اسرائيل على القبط لدفع ظلمهم مما يدل على بلوغه اشده وكره القبطي
اذ دخل المدينة مصر آتيا من قصر فرعون او منف او حابين او عين
الشمس وخلوها عن الملك وخطئه مظنة الظلم سيما اذا كان على حين غفلة من
اهلها المانعين من الظلم غالبا والمراد وقت القيلولة او ما بين العشائين
فوجد فيها رجلين يقتتلان يتنازعان وشان الحاكم قطع النزاع سيما هذا
الواحد من شيعته ممن تابعه على دينه وهم بنوا اسرائيل والواجب نصره بكل
حال وهذا الاخر من عدوه ممن خالفه في دينه وهم قبط الواجب قهرهم بكل حال
فاستغاثه سأله الاغاثة الذي من شيعته لكونه مظلوما على الذي من عدوه لكونه
ظالما واغاثة المظلوم واجبة فوجبت اغاثته من جهتين فوكزه ضربه بجمع الكف موسى
الذي اعطي بسطة في الخلق وشدة في القوة فقضى فانهى حيوته فابطلها عليه هذا
من جهة بلوغه اشده ومن جهة استوائه قال هذا وان كان قتل حربي ظالم من
عمل الشيطان لانه سبب تسلط القبط على نفسي فكان في معنى القائها الى
التهلكة انه عدو مريد هلاكنا مضل مبين عن دفع الظلم في وكزه ثم بجعله قتلا يفضي
الى قتلى بدله مبين مظهر عداوته فعرفت من جهة استوائه جهة هذا الظلم ثم
اراد رفعه ليتحقق بمقتضى استوائه لذلك قال رب بمقتضى تربيتك بهذا الاستواء
رفع ما ينافي مقتضاه اني ظلمت نفسي بالقائها في التهلكة فاغفر لي حتى لا اواخذ
بالالقاء في التهلكة فغفر له انه هو الغفور لما كان ظلما على النفس اذ يعقبه
الاستغفار الرحيم بحفظ نفس المستغفر عن التهلكة فهذا تحقق بمقتضى الاستواء
من حيث رفع اثم التهلكة الظاهرة ثم اراد التحقق بمقتضاه من حيث رفع
اثم التهلكة الباطنة اذ قال رب بمقتضى تربيتك بما انعمت علي من اغاثة
او لسانك مع العفو عن القاء النفس في التهلكة ان لا اسلكها بعون اعدائك
فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين فانه تهلكة باطنة وهو وان غفر له عن الالقاء في
التهلكة لم يامن الوقوع فيها فاصبح صار لكونه في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا

على نفسه من التهلكة لانه وان لم يعلم به احد من القبط يترقب ينتظر وصول
جرم من جهة الاسرائيلي فلم يثق برحمة ربه للمستغفرين فاذا فجاءه الاسرائيلي الذي
استنصره استغاثه قتل من اجله قبطيا بالامس يستصرخه يستغيثه من قبطي آخر
قال له موسى انك لغوي في نفسك مبين غوايتك تخاصم الناس مع عجزك وعلم
انه انما ابتلي به من عدم وثوقه برحمة ربه للمستغفرين فوثق بغفرانه قتل القبطي فاراد
قتل آخر مثله فلما جمع كفه ورفعها لاجل ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما اذ
لا يقصده الشايع سيما حضره العدو الموصل للجزاء الى من يخاف منه قال لظنه من غوايته
انه يقصده بسبق عتابه يا موسى اتريد ان تقتلني مع اني منك دون العدو
كما قتلت من اجلي نفسا بالامس ان تريد ما تريد في دفع الخصومات الا ان
تكون جبارا قهارا متسلطا في الارض تقتل كل منازع وما تريد ان تكون من
المصلحين بين اهل النزاع فسمعه العدو واتى به فرعون فامر بقتله وهو وان وقع
في خوف التهلكة نجاه الله منها اذ جاء رجل كامل مؤمن من آل فرعون حزبيل او
شمعون او سمعان من اقصى المدينة من ابعد مكان منها لافراط محبته يسعى
لئلا يسبقه الطالبون قال يا موسى ان الملأ اشراف قوم فرعون يأتمرون
يطلبون امر ليتعلقوا بك ليقتلوك ولا يرضون باخذ الدية منك فاخرج
من حدودهم ولا تعتمد محبة فرعون وامرأته عليك اني لك من الناصحين
كأني من بني اسرائيل فخرج منها من مدينتهم خائفا من التهلكة يترقب لحوق الطلبة
قبل الخروج من ولايتهم قال رب كما نجيتني عن اثم الالقاء في التهلكة نجني من التهلكة
وان كانت مفيدة للشهادة لكونها من القوم الظالمين القاتلين للمسلم بالحربي
الظالم فالهمه الله سبب النجاة الظاهرة والباطنة وهو التوجه الى مدين ولما توجه
جعل وجهه تلقاء نحو قرية اولاد مدين بن ابرهيم عليه الصلوة والسلام لنزههم
مع ما فيها من صحبة شعيب عليه السلام وخروجه عن ولاية فرعون وكان لا يعرف الطريق
قال عسى ربي فارب رجاء ان يهديني بالالهام سواء السبيل الذي لا يلحقني فيه

لقتلهم خ

الطالبون اذ يظنون انه ياخذ غير الطريق المشهور فعين له ثلث طرق فسلك
اوسطها والطالبون الاخرين ثم جعل الله عليه ماء مناسبا للحوت الباطنة
كما هو بسبب الحوت الظاهرة وهو انه لما ورد ماء مدين نزل فى بئر مهاو جد
عليه على شفير بئرها امة من الناس يسقون مواشيهم سقي اكثرهم قولهم الحيوانية
مياه اللذات الحسية سابقين اليها مستغرقين لها ووجد من دونهم
اى فى مكان اسفل من مكانهم امراتين ابنتي شعيب عليه السلام تذودان تمنعان
مواشيهما الماء منع اللوامة والمطمئنة القوى الحيوانية من ملك اللذات اولا
لتنزل به ولا لتشتغل بها عن الله قال ما خطبكما شانكما في الذود قالتا لا
نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء كراهة ازدحام
الرجال وكان حقنا ان لا ناتي مكانهم لكن اضطررنا اليه اذ ليس عندنا
رجل سوى ابينا وابونا شيخ كبير بلغ غاية الكبر فعجز عن الخروج والسقي وهذا
فعل اللوامة والمطمئنة فى عطاء اللذات الحسية بعد رعاية الاعمال وصرف
القوادح وترك الاعتماد على صرف العقل لها فسقى مواشيهما من بئر اخرى
كان عليها صخرة لا يطيق حملها الا جمع فاقلعها مع ما به من الجوع والوصب وجراحة
القدم لهما من غير اجر ثم تولى عدل الى الظل ظل سمرة من شدة الحر فقال
رب يا من رباني بهذه القوة اني لما انزلت الي من خير طعام او قوت فقير وهذا
فعل القلب سقي القوى الحيوانية مياه الاعمال ثم الميل الى الظل الالهي للتخلق
باخلاقه ثم استنزال فيض الاحوال والمقامات بالافتقار اليه ولما استغاث
من الله الخير بعث اليه من يدعوه الى اخذ الاجر فجاءته احديهما الكبرى صفورا
او صغيرا والصغرى صفورا او صغيرا الجي المطمئنة او اللوامة الى القلب تمشي
على استحياء وضعت كم درعها على وجهها فعل اللوامة او المطمئنة الحياء من الله
قالت ان ابي يدعوك بطلبك ليجزيك ليعطيك اجر ما سقيت لنا دعوة المطمئنة
واللوامة الى طلب الاجر من التلذذ بالعالم العقلي فاجابها ليتبرك بالشيخ و

يستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر وكره من سبق النظر الى عجزها فقال لها امشي خلفي
ظهري ودليني على الطريق برمي الحجارة اذا اخطات فلما جاءه اتاه بالعشا
فقال تعش فقال موسى نعوذ بالله انا من اهل بيت لا نبيع الدين بالدنيا فقال
شعيب هذه عادتنا مع كل من نزل بنا وان من فعل معروفا فاسدى اليه لم نحرم
عليه وقص عليه القصص اخبره بجميع ما جرى عليه من ولادته الى امر فرعون بقتله
قال لا تخف من قتل فرعون لانك نجوت من القوم الظالمين بالخروج عن حد
ولايتهم وهكذا القلب اذا خرج من حد صفات النفس نجى من غوائلها ولما امتنع
من اخذ الاجر على العمل لله عرض عليه اخذ الاجر على كسبه الحلال احديهما وهي
التي استدعته يا ابت استاجره اجعله اجيرك يرعى غنمك فانه حقيق بذلك
ان خير من استاجرت من اردت جعله اجيرا القوي على العمل الذي صار فيه
اجيرا وقد قوي على اقلال صخرة لا يقدر عليه الا جماعة الامين لا يخون في محل
العمل وقد امرني بالمشي خلفه وهذا كلام اللوامة والمطمئنة بالكسب عند القوة عليه
مع الامانة فيه وباستعمال قوة البصر والامانة ورعاية الاركان والشرائط والسنن
والاداب في العمل ولما راه مستنكفا عن ان يصير اجيرا لما فيه من الاستهانة
ضم اليه تعظيم تزويج الابنة حيث قال اني اريد لقوتك وامانتك ما يقوي المودة
ويجذب القلوب ان انكحك من شئت من احدى ابنتي هاتين المرئيتين
لك على ان تاجرني على ان تصير اجيري لرعي المواشي باجرة ابنتي مهرها عليك
ثماني حجج سنين فان اتممت عشرا فمن عندك فالزيادة فضل من عندك وهذا
فعل العقل ان تزوج القلب النفس اللوامة او المطمئنة لرعاية الاعضاء و
بصحبه في صعوده الافلاك المكوكبة وما فوقها الى اللوح المحفوظ الذي هو قلب العالم
الكبير وما اريد ان اشق عليك بتحصيل نفقة لك او لزوجك ولا تزويج امراة
سيئة الخلق او مائلة الى الفسق ستجدني ان شاء الله من الصالحين والصالح
يسري اثره الى الاولاد وهذا فعل العقل دفع مشقة الاعمال برؤية العواقب

الحيرة لها وهو مايل الى الاصلاح ما خلق وطبعه قال ذلك الشرط قاطع للنزاع بيني
وبينك فلا نزاع في شيء اخر بعد ذلك حتى انه لا نزاع في الاجل بل ايما الاجلين
قضيت اتممت فلا عدوان علي بطلب الزيادة على ثمان او الخروج بالاصل فعل عشر
وهذا مطلوب القلب من العقل قطع النزاع وجلب المنافع ودفع المضار
ليس الوفاء بالوعد مقدور الناس بل الله على وفاء وعدنا نقول وكيل قايم وهذا
ما عليه القلب الكامل من اعتقاد توحيد الافعال وانما ذكرنا سنح الامور
لقول موسى عليه السلام عسى ان يهديني سواء السبيل ويكون مقدمة لتجليه
الآتي من بعد ثم امر شعيب عليه السلام بعصا يدفع بها السباع عن مواشيه فجاء
بعصا من آس الجنة حملها آدم عليه السلام فتوارثها الانبياء عليهم السلام فاعطاها
موسى عليه السلام ولما جعل الله تعالى وكيلا على ما نقول وفقه الله لاتمامه وفاه
اعلى المقامات فلما قضى تم موسى الاجل الاقصى ولم يترك امراته عند ابيها
بل اكل عنده بعد الاجل بل سار باهله وفيه اشارة الى ان القلب اذا سار مع النفس
الى الجانب العلوي كوشف بالانوار آنس ابصر من جانب الطور من الجهة التي
تلي الطور نارا قال لاهله لامراته التي احتاج اليها للطلق في ليلة شاتية مظلمة
وضلال الطريق وللحمام امكثوا لئلا تبعدوا اعني عند ذهابي الى النار اني آنست
نارا فاذهب اليها لعلي آتيكم منها بخبر من الطريق من ضوءها او من عندها او جذوة
عود غليظ فيها شيء من النار لعلكم بجمع الحطب معها تصطلون تستدفئون
فلما اتاها قرب منها نودي من شاطي جانب الواد الذي منه الفيض الايمن
الذي عن يمين موسى عليه السلام المشيرة الى قوة حاله في البقعة المباركة التي كثر
خيرها بالتجلي الالهي الجامع من الشجرة الجامعة للثمرات ان يا موسى اني وان
كنت متجليا بهذه النار من هذه الشجرة بهذه البقعة المباركة غير متعينة بها بل انا
الله الجامع للذات والاسماء باعتبار بطونها وظهورها في الكل من حيث اني
رب العالمين وان كانت الغلبة للاسم الذي هو رب موسى او العزيز الحكيم على ما مر

ولتمول تجليك على الاشياء القهرية امرت ان الق عصاك المشيرة الى المعاصي
التي تضرب بها من اجلها والى انها حيات سريعة التاثير في الباطن فلما رآها
تهتز تتحرك كانها جان حية صغيرة في سرعة الحركة ولى وجهه عنها مدبرا جاعلا ظهره
اليها ولم يعقب لم يرجع اليها بالالتفات كما يفعله التائب من الذنب يا موسى
اقبل اليها اقبال التائب اليها ولا تخف من امساكها كما لا يخاف التائب
من عقاب الذنب انك من الآمنين من ان يؤذيك شيء اذ كنت عندنا
كالآمن العامل من ضرر المعاصي التي تاب عنها ثم قال له اسلك ادخل يدك
في جيبك ابطك تخرج بيضاء مستنيرة من غير سوء عيب كما يدخل العامل نور الاعمال
الى القلب ليخرج الى الظاهر واضمم اليك جناحك يدك من الرهب من خوف
شعاعها ضم المعجب عمله الى نفسه لله خوفا من الاعجاب فالعصا واليد البيضاء
وان كانتا اشارتين الى المعاصي والطاعات فذانك برهانان على رسالتك
الآمرة بالقاء المعاصي واكتساب الطاعات لكنهما من ربك اذ لا يقدر عليهما
غيره ولا يبعد ذلك لانه استحق الارسال الى فرعون وملائه لانهم المنغمسون في
المعاصي التاركون للطاعات انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن امر الله ونسبة
قال رب اني وان امنت الحية والشعاع صريحا والمعاصي والعجب اشارة لا آمن
القتل والكذب من هؤلاء المبالغين في الفسق اني قتلت منهم نفسا وهم وان
عفوا عن المقتول منهم فاخاف ان يقتلون اذ لا يمنعهم من ذلك كوني رسولا
منك لفسقهم واذا قتلت فمن يؤدي رسالتك ولو لم يقتلوني لا يتم اداؤها
مني مع لكنة لساني فلا بد من تكميلها بفصيح واولى من يكمل به اخي اذ اخي المعين
لي طبعا هرون التام مقام الاكبر هو افصح مني لسانا فارسله معي لا بطريق الاستقلال
بل ردءا معينا واقل اعانته انه ان ارسلته يصدقني تصديقا يشد نشاط القلب
اني اخاف ضيق صدري من ان يكذبون سيما على تكذيبي المودي الى انواع الاذيات
قال سنشد سنقوي عضدك الذي يقوم به باطشة بانك باخيك باعانة اخيك

الاجنبي فلا يعفون
عن المقتول صح

وإذا قوي سالك بجعل لكما سلطانا مهابة في قلوبهم فلا يصلون إليكما بأذى فضلا
عن القتل بل بآياتنا المصدقة لرسالتكما المكررة أنتما ومن اتبعكما وإن لم يكن
له آية ولا سلطان الغالبون عليهم وإن غلبوكم وغلبوا العالمين قبل ذلك إذ غاية
أنهم لو ظلموكم أن يغضب عليهم من أتاكم تلك الآيات فيهلكهم بالكلية فلما جاءهم موسى
الذي عرفوا تنزهه عن الكذب وسائر الخبائث بآياتنا التي لا تلتبس بالسحر لكونها
بينات بل يغلب بها السحر وغيرهم قالوا إخفاء لمغلوبيتهم عن قومهم ما هذا الذي
أتى به عبر عنه بالإشارة القريبة للتحقير استهانة به إلا سحر وإنما عجز عنه السحرة لأنه مفترى
مبتدع لم يسبق له نظير ويدل على كونه سحرا أنا ما سمعنا بهذا أي بأن للعالم إلها يرسل
الرسل بالآيات في آبائنا الأولين وكذبوا فإنهم قد جاءهم يوسف ومن قبله من الرسل
جاءوا آباءهم أو معاصريهم وقال موسى كي يدلوا على كونها آيات أنها خوارق لم يسبق
لها نظير مع أني جئت به بهدى والساحر لا يدعو في العموم إلى هدى فإن لم تعرفوا
بكونه هدى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده وإن لم يكن من عند آبائهم ويعلم ذلك
بالعاقبة فإن الله يحسن عاقبة أهل الهدى لا محالة لأنه يعلم من يكون له عاقبة
الدار ما يعقب دار الدنيا وليست للساحر إذا ادعى النبوة لأنه ظالم فلا يفلح بالعاقبة
الحميدة إنه لا يفلح الظالمون بها وإن وجدوا بعض مقاصدهم أولا استدراجا
وقال فرعون إنما تكون آيات أو هدى أو عاقبة حميدة لو كان في الواقع إله غيري
ولكن يا أيها الملأ الأشراف لو كان إله أعلى مني لكنتم عابديه دوني وإن لم تعلموه
كنت أعلم به لأني تقدمتكم بالعلم بالأشياء فقدمتموني في أمر المملكة لكن ما علمت لكم من
إله غيري فإن زعم أن لغيري ملك السماوات فأوقد لي يا هامان على الطين نارا
فاتخذ منه آجرا فاجعل لي من الآجر صرحا قصرا رفيعا إلى السماء لعلي أطلع إلى إله
موسى لو كان هناك وإن كان فلا أظنه مرسلا لموسى إني لأظنه من الكاذبين
لأنه يبعد أن يرسل إله السماء إلى إله الأرض من هو أخس تحت ولايته دون ولاية
السماء واستكبر من يدعي الآلهة لنفسه ونفيها عن الله وقصد الاطلاع إلى الله



وادعاء العلم الكلي لنفسه مع جهله بربه وجنوده بدعوى الإلهية لمعبوديهم
ونفيها عن الله مع كونهم في الأرض وليسوا كالصوفية القائلين أنا الحق حال
سكرهم بغلبة نور الحق على قلوبهم بظهوره فيها ككون الشمس في المرآة فيفنى في
نظرهم ما سوى الله فيستكبرون بالحق على ما سواه إذ لا يرون له وجودا وفرعون
وجنوده استكبارا بغير الحق كيف والصوفية يرون رجوع كل موجود إلى
الله وهؤلاء ظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فلم يبالوا بنا أصلا فأخذناه وجنوده
بأن ألقينا في قلوبهم دخول اليم كنبذ الصوفية في بحر الحقيقة لكن هؤلاء ظالمون
بدعوى الوجود لمن لا وجود له من ذاته ونفيه عمن له من ذاته فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين وكما جعلنا الصوفية أئمة يدعون إلى الله جعلناهم أئمة
يدعون إلى النار بكلماتهم التي يتبعهم فيها أهل عصرهم ومن بعدهم وهم وإن
كثر أتباعهم الناصرون في الدنيا يوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا
التي كثر فيها أتباعهم لعنة يلعنهم كل مؤمن يسمعهم ولا يزول عنهم تلك اللعنة إذ يوم
القيامة هم من المقبوحين فيجتمع على لعنهم الكل ولو كانوا كالصوفية لكانوا مكتسبين
من النور الإلهي حسنا لأرواحهم وقلوبهم وسائر أجزائهم وجعلنا موسى
منبوذا في بحر الرحمة إماما يدعو إلى الجنة مثنى عليه إلى يوم القيامة ومن المحسنين
له بما آتيناه من الكتاب فإنا لقد آتينا موسى الكتاب الجامع أنواع العلوم
سيما علم الوعظ والتزكية لأنا آتيناه من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ليتضمن
بصائر للناس من المواعظ والتزكية وهدى اعتقادات صحيحة ودلائلها
ورحمة بالأحكام الحكمية لعلهم يتذكرون فيقيسون أحوالهم على أحوال الأمم
الهالكة واعتقاداتهم على اعتقادات الخلائق وأحكامهم على أحكامهم وإذ كنا
أمرنا بقصد تبليغك إياه بالوحي المعجز المخبر عن الغيب لأنك ما كنت بجانب الوادي الغربي
الذي كوشف فيه موسى عن عالم الغيب إذ قضينا قربنا وأنهينا إلى موسى
الأمر أمر التوراة من عالم الغيب وما كنت من الشاهدين للتوراة إذ خرجت

فنبذناهم في اليم
صح

الى عالم الشهادة وهي وان كانت موجودة الان لكن يمكن تغيرها وما لكنا انشأنا
قرونا فتطاول عليهم العمر فهانت عليهم حتى اجترؤا على تغيرها ولم يمكنك الاطلاع
على تلك التغيرات اذ ما كنت ثاويا في اهل مدين الذين لم يغيروا التورية
تتلو عليهم آياتنا تعلما ولكنا كنا مرسلين اليك ما غيروا بعدهم وليس اطلاعك
على تغيراتهم باطلاعك على ابتداء حال موسى لانك ما كنت بجانب الطور اذ نادينا
موسى في ابتداء نبوته ولكن اطلعناك على ابتداء امره وانتهائه رحمة من ربك
عليك وعلى اهل التورية المغيرة اذ بعثت لتنذر قوما عن التورية المغيرة ما اتاهم
من نذير من قبلك على هذا التغير لوقوعه في ايام الفترة لعلهم يتذكرون ان
المناسب لكلام الله ما ذكره او ما غيروه ولولا كراهة ان تصيبهم مصيبة
عظيمة بما قدمت ايديهم من العمل بالتورية المغيرة من علم منهم بتغيرات ابائهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا يبين لنا تلك التغيرات ويتمم علينا الآيات
فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين بالتورية على ما انزلها وبكتاب هذا الرسول
لم نرسل رسولا ولكن كرهنا فارسلنا رسولا واظهرنا عليه ما سوى الحق من التورية
وآتيناه المعجزة الغالبة التي هي اقوى من الغالبة فلما جاءهم الحق من التورية على
ما نزلت من عندنا مؤيدة بالمعجزة الغالبة قالوا لولا اوتي هذا الرسول من
المعجزات مثل ما اوتي موسى فنصدقه على تلك التغيرات كما صدقنا موسى في
اصل التورية أ آمن الكل بتلك المعجزات ولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
من قبل ان يؤتى بمثلها فاذا اتى بالمثل بطل التحدي بها محتسبة قالوا سحران
تظاهرا اي عاون احدهما الاخر بالكشف الروحاني وقالوا انه وان كان
كشفا روحانيا استفيد روح احدهما من روح الآخر انا بكل كافرون لحصول
المعارضة المبطلة للتحدي فكان كما يكاشف الرهبان والبراهمة والزنادقة قل
الفارق بين السحر والمعجزة الهداية فأتوا بكتاب معلوم كونه من عند الله بمعجزات
اقوى من معجزاتهما ومع ذلك يكون راجحا على كتابيهما اذ هو اهدى منهما فان

اتبعه اتبعه ولا اعاندكم مثل ما تعاندونني ان كنتم صادقين في انه يمكن الاتيان
باهدى منهما فان لم يستجيبوا لك فلم يأتوا بذلك الكتاب ولم يتابعوا الكتاب
فاعلم انما يتبعون اهواءهم وان فرض انهم ساعدهم العقل فغايته انه كنور البصر
لا يبصر به ما لم ينضم نور الشرع الذي هو كنور الشمس كما قال ومن اضل ممن
اتبع هواه وان فرض انه وافق عقله ولكن كان بغير هدى من الله يكون
كنور الشمس وكيف يحصل له هدى وهو ظالم بتقديم هواه على هدى الله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين وان زعموا ان مقابلة المعجزة الواحدة الخفية
بالمعجزات الكثيرة الجلية ظلم قال لهم سنة المعجزة الواحدة في قوة المعجزات الكثيرة
فانا لقد وصلنا لهم القول ضممنا بعض القول المعجز الى بعض وانما جعلناه خفيا
لكثرة فائدته بالتذكر لعلهم يتذكرون فيظهر لهم من كثرة فوائده ما يجعل اعجازه جليا
على ان اعجازه جلي لصاحب العلوم الكثيرة الالهية الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون ولا يحتاجون الى التذكر بل اذا يتلى عليهم قالوا بمجرد
سماعه آمنا به لظهور اعجازه عندنا مع هدايته انه الحق الموافق لسائر ما نزل
من ربنا وقد كان فيه وعد ارساله لذلك انا كنا بالايمان بتلك الكتب من قبله من
قبل نزاله مسلمين منقادين له اولئك يؤتون اجرهم بما لهم بالكتابين يؤتون
اجرهم مرتين مرة لايمانهم بما في كتابهم ومرة لمعرفتهم ان هذا الكتاب هو الموعود
فيها بما صبروا على تأمل وجه اعجازه حتى صارت لهم ملكة يعرفونها بمجرد القراءة واذا
اوردت عليهم شبهة قادحة يدرؤن يدفعون بالحسنة بالحكمة الجميلة الشبهة
السيئة وهذا وجه آخر للتضعيف وثمة وجه ثالث هو انه مما رزقناهم من العلوم
ينفقون ثم انهم انما يدفعون شبهة المتعصبين وينفقون عليهم العلوم واذا سمعوا
اللغو من مناظر او متعلم اعرضوا عنه اذ لا يفيد مناظرته ولا تعليمه وقالوا
سقط عنا حل شبهاتكم وتعليمكم لنا اعمالنا المبنية على دلائلنا ولكم اعمالكم المبنية
على لغوكم سلام عليكم اي سلمكم الله عن لغوكم لا نبتغي لا نطلب هداية الجاهلين

الجهل المركب وكيف ينافي منا ولا ينافي من اكمل الخلائق اذ قيل له انك
يا اكمل الخلائق في الكشف عن الحقائق والحجج والشبه والتأثير بالهمة لا تهدي
بتنوير القلب من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وسواء ان قدر على
هداية الكل فلا يهدي الا من علم من استعداده الاهتداء لانه اعلم
بالمهتدين اي باستعداداتهم وانما يخفى هداية غيرهم لعدم اطلاعك على
استعداده نزلت في ابي طالب جاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتضر
فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال يا ابن اخي علمت صدقك
ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت وكيف يهدي المعاندين وهم اذ لم
يجدوا شبهة يتمسكوا بعذر فاسد كان قالوا ان نتبع الهدى الذي يصير معك
نتخطف نخرج من ارضنا منذ عندهم واغاث عنده من لم نمكن لهم لم
نجعل مكانهم حرما آمنا مفيدا للامان عند تشاجر الناس من حوله ولا
يكون منع حمل الثمرات اليهم مخرجا منه اذ يجبى اليه ثمرات كل شيء من الجوانب
اذ جعلنا حملها اليكم رزقا للحاملين لكثرة ربحهم فيجعل ذلك داعية لهم
من لدنا وهذا ظاهر ولكن اكثرهم لا يعلمون وكيف يخافون في اتباع الهدى
التخطف ولا يخافون في تركها الهلاك الكلي وقد وقع فيما دونهم فانه كم
اهلكنا من قرية بطرت طغت بكفرت معيشتها فان انكرت اهلاكهم فتلك
البيوت المشار اليها مساكنهم هلكوا بالكلية حتى لم تسكن من بعدهم الا زمانا
قليلا مقدار سكون المسافرين يوما او بعض يوم وليسوا بهذا السكون
وارثهم بنوه من مقامهم حتى كانهم لم يهلكوا بل كنا نحن الوارثين وان
زعموا ان الله تعالى لو اخذهم ببطرهم لاخذنا بالكفر قال ما كان ربك الذي
يبعثك رحمة للعالمين مهلك القرى حتى يبعث في امها التي ينسب اليها ما حولها
نسبة الولد الى امه رسولا يزيل عذرهم اذ يتلو عليهم آياتنا الدالة على ظلمهم اذ
الظلم المجهول لصاحبه كالمعدوم في زعمه وما كنا بمقتضى عظمتنا المقتضية

عظيم جودنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اذ بدون ذلك يخل بجودنا وكيف
تخافون على متابعة الهدى التخطف وغاية ما فيه سلب ما اوتيتم وما اوتيتم من شيء
فانه وان جل فمتاع الحيوة الدنيا الخسيسة الفانية وان زاد على المتاع فهو
زينتها المناسبة لها والله تعالى يعوضكم بذلك ما عنده وما عند الله خير متاعا
وزينة لانه بحسب عظمته ولو لم يكن فيه سوى انه ابقى لكفى افلا تؤثرون الخسيس
الفاني على الشريف الباقي فلا تعقلون فلو قيل العقل لا يامر بترك الحاضر المتيقن
للغائب المشكوك قال ما كان موعودا من عند عظيم قادر فليس بمشكوك والحاضر
اذا كان يعقبه ضرر بترك بلا عوض أفيستوي الموعود المحقق الشريف الباقي
الذي لا يعقبه ضرر والحاضر الخسيس الفاني الذي يعقبه اعظم وجوه الضرر فمن
وعدناه بمقتضى عظمتنا المقتضية شرف الموعود وعدا حسنا لا يعقبه ضرر ووعدنا
لا يحتمل الكذب فهو لاقيه لا محالة كمن متعناه متاعا لو طالت مدته كان متاع مدة
الحيوة الدنيا التي جميع مدتها اقل من ساعة من نهار ثم لا يقتصر فرحه على سلب
المتاع بل هو يوم القيمة يكون صاحبه من المحضرين في النار فلو لم يكن له فيها عذاب
كفى به زاجرا وانما كان متاعهم سبب احضارهم لنسبتهم اياه الى الشركاء ابتداء
واستدامه وتوقعهم منهم دفع ما يعقبه من الضرر ولا يفيدونهم شيئا من ذلك بل يشغلونهم
يوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ان لهم من الفوائد فيشيرون
الى من عبدوهم من الملائكة والصالحين والشياطين قال الذين حق عليهم القول
منهم وهم الشياطين اذ منهم الاغواء ربنا هؤلاء الذين اغوينا بايهام من الفوائد
بنا فلا يكلفنا تحصيلها لهم ولا تردنا عذابا بما اغويناهم فانا اغويناهم ليعبدونا كما
غوينا بحب الشرك فكان من قلة عقلهم اتباع الغواة فلم يكن لنا في ذلك مزيد اثم ثم
انا لم نبق على تلك الدعوى ليستمر علينا عذابها اذ تبرأنا اليوم من شركهم متوجهين
اليك في الى توحيدك ولم يكن شركهم تاما لانهم ما كانوا ايانا يعبدون اي لم يخصونا
بالعبادة بل عبدوا اسويتهم ايضا فان عذبنا على شركهم فيعذب شركهم لنا وقيل

للمشركين بعدما تبرؤا عنهم وسفهوهم ادعوا شركاءكم ليتحملوا عنكم العذاب
الذى كان بمقدار شرككم فدعوهم فلم يستجيبوا فضلا عن التحمل ورأوا العذاب
على شرككم الذى لاجله تسببوا امتناعهم اليهم لا يندفع الا بالهدى السابق فتمنوا
لو انهم كانوا يهتدون بدل ذلك المتاع الذى دعاهم الى الشرك فاى عقل
الى الشرك فاى عقل يامرهم بهذا المتاع على ذلك التمنى ولا يعدونه لعمائهم
فانه يوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين الداعين الى الهداية فعميت
عليهم الانباء لعماهم فى الدنيا يومئذ فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم
بعضا عما جرى فضلا عن ان يجيب فان لهم هذا التمنى وهذا وان كان شان
من لم يجب الرسل فى الدنيا فانما هو فى حق المصر فاما من تاب عن ترك
الاجابة واجاب ولو بعد موته بان آمن وكمل اجابته بان عمل صالحا فعسى
ان يكون من المفلحين الذين اجابوا من اول الامر فنالوا درجة الصديقية
وامكنهم الجواب الحسن فى مقام المكالمة الالهية والقرب ومقام الشفاعة
لانهم اذا استناروا بهذه الانوار حصل لهم الاستبصار بشان الرسل
فاستناروا ببعض انوارهم المفيدة لهم ما ذكرنا ولا يلزم عموم الفلاح لكل مجيب
اولا واخرا كما لا يلزم عموم الاجابة اذ ربك الجامع للكل يخلق ما يشاء ولا يلزم
من ذلك ان يخلق الفلاح فى الفاسق والكافر لانه يختار امر الفرقة وضدّ
الاخرى والفلاح وضدّه وان ترتبا على فعل المكلفين باختيارهم ما كان
لهم الخيرة التى بها الاستقلال من غير خلق الداعية وتحريك الاعضاء فيهم وكيف
يكون الخلق والخيرة لغيره وهو مشاركة وسبحان الله اى فتنزه تنزهه باعتبار
ذاته وصفاته وافعاله عن المشاركة اذ المشاركة توجب المساواة وتعالى
عما يشركون وهو انما يواخذهم على هذه الافعال بحسب بواطنهم القبيحة وما يظهر
منهم من القبائح اذ ربك يعلم ما تكن تخفى صدورهم من الاعتقادات والاخلاق
والضمائر وما يعلنون من الافعال والاقوال والكل وان كان من الله اذ هو الله

خالق الكل لا خالق سواه اذ لا اله الا هو لكنه يفعل الاحسان بمن خلقه محسنا
والاساءة بمن خلقه مسيئا وخلقه محسنا ومسيئا بحسب استعداده اذ له الحمد فى
الاولى فى رعاية الاستعدادات والاخرة فى رعاية البواطن والظواهر ولا
حكم للاستعدادات والبواطن والظواهر عليه بل له الحكم على الكل ولو فرض
لها الحكم فليس ذلك حكم الغير عليه اذ اليه ترجعون اذ الكل مظاهر باطنه او
ظاهره او صور علمه فان زعموا ان هذا انما هو فى الحيوانات لو كان الفاعل
فيها لا يطلب الها واحدا لكن بعضها لا ينسب اليها منسوب الى الحركات السماوية
قل انما يكون لها الهية لو كان لها منع الله عن فعله وارادته ارايتم اخبرونى
هل للكواكب منع الله من ارادته تسكنها بحيث ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
متصلا الى يوم القيمة ليس للكواكب ذلك بل من اله مستجمع لصفات الالهية
غير الله يأتيكم بضياء من الشمس او غيرها انكرون هذا الدليل عنادا
فلا تسمعون فان زعموا ان ذلك لضعف الكواكب عن معارضته قل ارايتم
هل للشمس بعظمها منع الله عن ارادة تسكنها بحيث ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة ليس للشمس ذلك بل من اله غير الله يأتيكم بليل
وان تضمن حكمة مفقودة للآتى وهى انكم تسكنون فيه انكرون هذا التزيد
مع انه اظهر من الاول فلا تبصرون وكيف جعلتم الشمس والكواكب شركاء مع
انها اسباب رحمته فانه من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
فينقطع تعبكم ولتبتغوا من فضله فى الليل بالتهجد وفى النهار بالعبادة وطلب
العلم والرزق على النشاط ولا حرج لبشرائه بل لعلكم تشكرون فابدلتم
الشكر بالشرك ويسأل عن هذا الابدال يوم القيمة يوم يناديهم فيقول اين
شركائى الذين جعلتم شركاءكم بدلا عن شكرى لانهم الذين كنتم تزعمون انهم المنعمون بالنعم صح
التى يطالبونا بشركها تتخيل المقلدون منهم على من كان بانهم يشاهدون الكثير
ونزعنا اخرجنا من كل امة من المشركين القائلين بها علينا استقلالا

والفلاسفة القائلين بتأثير الاسباب السموية والارضية والمعتزلة القائلين
بفاعلية الحيوانات شهيدا كان يأتيهم بشواهد من الشبه فقلنا هاتوا شبهتكم
التي جعلتموها برهانكم ليظهر بطلانه فعلموا ان التأثير الحق لله لا للاصنام والكواكب
والحيوانات وضل عنهم ما كانوا يفترون من الادلة العقلية عن الانبيا الماضين
والاولياء الكاملين وكيف يجعل للاسباب تأثير مع انه كثيرا ما ينعكس الامر
فيها ان قارون كان من قوم موسى وهو سبب الايمان لكنه لم يؤمن فبغى عليهم
فانعكس الامر وايضا كان سبب الشكر في حقه سبب كفره واذ آتيناه من الكنوز
الاموال التي لم يودعها ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه لتنوء تثقل حتى يميل
بالعصبة الجماعة الكثيرة من الرجال والبغال اربعين او اكثر اولي القوة
وكان كفره حين نصحه قومه اذ قال له قومه لا تفرح بزخارف الدنيا فرحا يحجبك
عن الله والدار الآخرة ان الله لا يحب الفرحين بهذا الفرح فيبدلك حزنا لا غاية
له وابتغ اطلب لدفع ذلك الحزن وتحصيل الفرح الابدي بالتصرف فيما آتاك
الله ما يحصل لك الدار الآخرة من صرفه في الخيرات ولا تنس بالانهماك
في الدنيا نصيبك التي هو زاد الآخرة المقصود من الدنيا وهو العبادة
البدنية والمالية واحسن عبادة ربك مالية او بدنية بان تعبده كانك تراه
فزد في حسنها كما احسن الله اليك فزاد تحسينا دنيويا بهذا اشكر الموجب
احسانه في كل مرة ولا تبغ الفساد في الارض بهذا المال الذي جعله الله
سبب صلاحها فانه يظهر عداوة الله ان الله لا يحب المفسدين الذين
يصرفون نعمه الى خلاف ما انعم عليهم من اجله قال انما يصح قولكم كما احسن
الله اليك لو كان معطي هذا المال هو الله لكن انما اوتيته باستعلائي على
علم عندي من التجارة او الصنعة او الكيميا اكثر اغتناما واعلى قوة وجمعا
ولم يعلم ما سمع بالتواترات ان الله قد اهلك على انكار عطائه من قبله من القرون
الكثيرة بحيث صار هذا له من هو اشد منه قوة بالاموال والاتباع واكثر

جمعا لها ولا يوقف اهلاكه على شيء حتى انه لا يسأل في الدنيا عن ذنوبهم المجرمون
عند اهلاكهم ليعتذروا عنها فلم يعتبر بهم قارون ولا بنصيحة قومه فخرج باغيا
على قومه مغترا بالنظر في زينته وقد كان يحب بغيرها من رآها ممن لبست فقال
الذين يريدون الحيوة الدنيا ان يعيشوا الى يوم القيمة باموال لا تستطيع يا ايها
التمني يقال ليت لنا مثل ما اوتي قارون من الكنوز فانه غاية السعادة انه
لذو حظ عظيم من السعادة وقال الذين اوتوا العلم بالحقائق ويلكم من هذا
التمني فانه تمني سبب الشقاوة الابدية انما سبب السعادة الحقيقية عبادة الله
اذ ثواب الله عليها خير في افادة السعادة لمن آمن وعمل صالحا ولكن هذه الكلمة
لا يلقيها بالقبول الا الصابرون على ترك زينة الدنيا وعلى عبادة الله ولم يقدر
قارون ان يصبر على ترك مقدار الزكوة القليلة وسوء ريهم من القدر يهم من
زينة الحيوة الدنيا ولا على ما ليس له من دعوى الرسالة والحبورة وكان يقول لموسى
لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وموسى يداريه حتى نزلت
الزكوة فصالحه على ما ذكر فاستكثره فرط بغية لنزهته بنفسها فيفتضح بين بني
اسرائيل برفضه فلما كان يوم العيد قام موسى صلوات الله وسلامه عليه
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا بكرا جلدناه ومحصنا رجمناه
فقال قارون ولو انت قال ولو انا فقال ان فلانة تزعم انك فجرت بها فانشدها
موسى عليه السلام بالله الذي فلق البحر وانزل التورية الا صدقت فقالت جعل
لي قارون جعلا فخر موسى ساجدا فاوحى اليه ان مر الارض فقال لها خذيه
فاخذته الى ركبتيه ثم الى عنقه ثم خسف به فقيل انما فعله ليرثه فخسفنا به وبداره
المشتملة على امواله الارض فما كان له ما اعتمد عليه من سببه المال والاتباع سببا
للنجاة اذ لم يكن له من فئة فرقة من اتباعه ينصرونه من دون الله مجاوزين به
من قهره وان كانوا مجاوزين لقهر من دونه وما كان من المنتصرين بقوة نفسه
وماله فلم يكن لهذين السببين من اثر وعند بطلان تاثيرهما اصبح الذين

تمنوا الظن بلوغ ما ثبرهما الغاية مكانة رتبته بالامس مع ان هذا الظن لسيم
على العقلاء سنن يقولون بعضهم لبعض ويكان الله مركب من ويك
بمعنى ويلك وان هذا علم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
من شقي وسعيد ويقدر بقبض فلا دلالة في البسط على السعادة ولا في
القبض على الشقاوة بل انما يتوهم ذلك مع ان الامر ينعكس لولا ان من الله
علينا بمنع تمنينا لخسف بنا لانا تمنينا ما كان سبب خسفه وليس اعطاء المال
الكثير سبب الخسف بل هو مع الكفر ويكانه اي ويلك من الكفر مع كثرة المال انه
لا يفلح الكافرون وان اعطوا اعظم اسباب الفلاح وكيف يفلحون باعطاء
اسبابه اذا صرفوها في غير مصرفها طلبا للجاه الدنيوي وان لزمه الفساد العام
تلك الدار الآخرة لاختصاصها باهل الجاه عند الله المصلحين للعالم نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض بطلب الجاه المؤدي بهم الى التكبر على الخلق
ولا فسادا كيف والدنيا مزرعة الآخرة والعاقبة عاقبة المزرعة انما يكون
للمتقين فساد البذر والنبات والارض واما كانت مزرعة لان من جاء بالحسنة
ما حسن البذر والنبات والارض فله خير منها من تلك الحسنة التي زرعها
ومن جاء بالسيئة المفسد للزرع فلا يجزى الذين عملوا السيئات التي هي كفساد
البذر او النبات او الارض الا ما كانوا يعملون من الافساد الاخروي
فلو قيل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتقين لحصلت له عاقبة حميدة
لكنه لا يزال مدحورا من تكذيب الخلائق قال ان هذا لو صح فما دام في بلده لكن
الذي فرض عليك القرآن اي قدر حين انزل عليك ايها الجامع الكتاب
الجامع لما لا ينتاهي بمقدار خاص ليدل على جمعيتك بمقداره لرادك بانك
الى معاد مكان يعود فيه ما اجمل منك وفي كتابك الى التفصيل فان انكروا
ان يكون منك او في كتابك ذلك قل ربي اعلم من جاء بالهدى الى مكان قريبه
فينقض عليه تلك التفاصيل ومن هو في ضلال مبين فلم يمكنه الاتيان

الى مكان قربه فلا ينقض عليه شيئا من تلك التفاصيل فعدم رجاء المهتدين الوصول
الى ذلك المكان من القرب كعدم رجائك فانك ما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب الجامع لهذه الامور حتى عند جهدك في العبادة الا ان يكون رحمة
من ربك فينبغي لاهل الهداية ان لا ينقطع رجاؤهم من الوقوف على بعض
تفاصيل الكتاب واذا كان في دعوتك هذه الفائدة للمهتدين فلا تكونن
ظهيرا معينا للكافرين بترك الدعوة في صدهم عن هذا السبيل ولا يصدنك
ابهامهم لك عدم الرد الى ذلك المعاد عن مقتضى آيات الله من الدعوة المفضية
الى كشف تلك التفاصيل بعد اذ انزلت اليك فعدم رجائهم الرد الى المعاد
كعدم رجائك للانزال ولا تتوقف دعوتك على الرد الى المعاد بل ادع الى
ربك بكل حال كيف ويكشف ترك الدعوة عن قبول المشركين بجعلك كاحدهم ولا تكونن
من المشركين بل اذا احدث بامرهم مع امر الله كنت كمن يدعو آلها آخر ولا تدع
مع الله الها آخر فانه لا اله الا هو فلا يمثل امرهم خالقهم مع امره كيف ولا وجود لشيء
من ذاته اذ كل شيء هالك معدوم في حد ذاته لا نرى فيه شيئا الا وجهه الا ما اشرق
عليه من نور وجهه من وجوه اسمائه التي توجهت الى حقيقته فظهرت فيه وهو وان
ظهر فيه فلا حكم له بل له الحكم فكيف يمثل امره ولو كان له حكم لم يعتد به معه اذ اليه
ترجعون فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة العنكبوت**
سميت لاشتمالها على قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
الآية المشير الى ان من اعتمد على قوة الانس وحفظها عن العذاب كالعنكبوت
اعتمدت على قوة بيتها التي لا تحمل مس ادنى الحشرات والرياح وحفظها عن الحر
والبرد وهذا اتم في الدعوة الى التوحيد الذي هو اعظم مقاصد القرآن
بسم الله المتجلي باللطف والقهر الرحمن بالتوفيق للايمان الرحيم
بالتمييز بين الصادق فيه والكاذب الم اي الابتلاء لازم المدعي او الا سنكشف

بها

لطف مطلوب او الاسرار لائحة من المحنة او الابات لوامع المكنونات مما
يناسب المقام أحسب الناس اى الذين نسوا الامر الالهى وحكمته وسنته ان
يتركوا اى انفسهم متروكة ان يقولوا اى لقولهم امنا فلا يواخذون بالسيئات وهم
لا يفتنون باسكنات ما فى بواطنهم كيفية فقد جرت السنة الالهية بذلك فانا لقد
فتنا الذين من قبلهم كيف وقد ظهرت الحكمة فيه فليعلمن الله اى ليظهر علمه عند
خلقه بصدق ايمان الذين صدقوا فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب وليعلمن
وليظهر علمه بكذب دعوى الكاذبين لئلا يشهدوا عنده بايمان الكاذبين
فينسب فى تعذيبهم الى الظلم وتثق المؤمنين بحجة الصادقين ويستظهروا بها ويحكموا
عن مكر الكاذبين احسب الكاذبون ان يغلبوا المؤمنين بمكرهم ام حسب الذين
يعملون السيئات ويرونها حسنات باظهار الايمان ان يسبقونا يغلبونا
باشهاد المؤمنين على ايمانهم واعمالهم الصالحة ساء ما يحكمون من غلبتهم علينا بالحجة
فغاية ما يشهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم لو لم اظهر لهم فاذا اظهرت
لهم انتفت تلك الشهادة منهم وان كانوا حاكمين فى الدنيا بايمانهم ويجرون عليهم
احكامهم ولو قيل للابتلاء اضرار فلا يليق بالمؤمنين بل ينبغى ان يقتصر على المنافقين
لاظهار نفاقهم قال لا اضرار على المؤمنين فى الحال لانهم يرجون الثواب يوم
لقاء ربهم ولا فى الاستقبال لانه من كان يرجو لقاء الله فانه ينال ثوابه يوم
لقائه وان تاخر الى اجله لكن لا بد من حلوله فان اجل الله لآت وكيف لا يكون
له ثواب وقد دعا الله وتضرع اليه وهو السميع لدعائه وتضرعه فيثيبه على ذلك
وان لم يفعل ذلك كان صابرا وهو العليم بصبره الموجب لاجره ولو سلم ان الابتلاء
بالمصائب اضرار فلا اضرار فى الجهاد الذى يعم الابتلاء به للمؤمنين والمنافقين
فان من جاهد فانما يجاهد نافعا لنفسه بحفظ دينه واهله وماله وتحصيل غنيمة
او درجة شهيد وكيف يكون اضرارا والحكيم انما يضر بالغير لو انتفع به والله تعالى
منزه عن الانتفاع ان الله لغنى عن العالمين فيقدر على الدفع من دونه من غير

جهاد ومن فوائد الجهاد وتيسر الايمان والاعمال الصالحة ففوائد بحا فوائد الجهاد
بل تلك الفوائد بالجهاد واذ الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع الجهاد لنكفرن
عنهم سيئاتهم التى لا تكفر بدونه ولنجزينهم فيما قصروا فيه من الاعمال احسن الذى
كانوا يعملون اى جزاء احسن اعماله لانهم ضموا الى الجهاد الاصغر الجهاد الاكبر
وكيف يترك ترك الجهاد مع الكفار وهم يامرون بالكفر ولا يجوز امتثال
الامر به من الابوين فضلا عن الاجانب مع انا وصينا امرنا الانسان امرا
موكدا ان يحسن بوالديه حسنا عظيما يقتضى امتثال امرهما ولو مشركين ما لم يأمر
بالاثم اذ امتثال امرهما فى مقابلة امر الله شبه الشرك وان جاهداك لتشرك
بى فانك ان لم تطلع على برهان بطلانه يكفيك انه شرك ما ليس لك به اى بشركه
علم فلا تطعهما وان جاز التكلم بكلمة الكفر اكراها فلا اكراه مع امكان المجاهدة
فلو قيل حق الوالدين معلوم الثبوت وبطلان الشرك غير معلوم قال انه احفظ
اذ الى مرجعكم لا الى الابوين وليس رجوعا الى من يلتبس عليه بعض الامور
فانبئكم بما كنتم تعملون من ترجيح حقى او حق الوالدين ولو قيل خطر العقوق
كخطر الشرك قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين
وان كان فيهم عقوق الوالدين بمخالفة امرهم بالاثم وكيف لا يامر بالجهاد و
اهماله يؤدى الى الارتداد فان من الناس من يقول آمنا بالله خوفا من
عذاب الله فاذا اوذى لدخوله فى دين الله جعل فتنة الناس اذاهم كعذاب
الله بحيث لا يترجح الخوف منه على الخوف من الفتنة عندهم بل قد رجحوا الثانى
فاظهروا الكفر ولكن لا يستمرون على ترجيحه لئن جاء المؤمنون نصر من ربك
ليقولن انما اظهرنا الكفر خوفا وفى الواقع انا كنا معكم كما يقولون للكافرين عند
غلبتهم انما اظهرنا الاسلام خوفا من المسلمين انا كنا معكم ولا يقصدون بذلك
التلبيس على الخلق فقط بل على ايضا ايقصدون التلبيس على الله ويعتقدون
ان ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين وهذا القصد منهم يقتضى الامر بالجهاد

بظهاره ليعلمن الله الذين آمنوا فثبتوا على الايمان عند انكسار المؤمنين
وليعلمن المنافقين المتغيرين عند ذلك وقال الذين كفروا انكارا لعذاب
الله للذين آمنوا لم تحملون اذى الناس اتبعوا سبيلنا وان خفتم عذاب
الله لنحمل خطاياكم بطريق الالتزام وانما قالوا ذلك من انكار كونها خطايا
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ادنى فضلا عن خطيئة الكفر ولو
تحقق ذلك عندهم انهم لكاذبون فلا يوفون به ولكن يحملون كالموفين
ليحملن اثقالهم اثقال معاصيهم التي يعجزون عن حملها واثقالا من اضلالهم
ويحملهم مع اثقالهم لا بطريق النقاب لعدم انقطاعها ولا يسقط بذلك اثقال
المحمول عنهم بل ليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون على الله من نسبة الشريك
والولد وكفى بالسؤال عن ذلك ثقلا ولو منع التحمل من مواخذة المحمول عنه لم
يواخذ المتاخرين من قوم نوح مع تحمل اوائلهم وبعضهم مدة مديدة يمكن حمل
بعضها من جهة التحمل فانا لقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما فلم يمنع تعذيب من مات من المتحملين منهم من مواخذة المحمول عنهم
فاخذهم الطوفان ولم يكن من البليات العامة اذ هم ظالمون ولذلك تميز
عنهم من لم يكن ظالما فانجيناه واصحاب السفينة لا لركوبهم السفينة الحسية
فقط بل لركوبهم سفن النجاة من الايمان والاعمال الصالحة ولكن جعلناها
آية على السفينة العقلية المنجية للعالمين والسفينة المعنوية يجب بناؤها و
الحسية بالارواح الملكية والا فهي مجرد صورة لا يؤثر كصور الاصنام فاذكر
لذلك انا ارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ليكون عبادتكم اياه
سفينة معنوية واتقوه ليصير وقاية عن غرقها ذلكم خير لكم من سائر السفن
والوقايات علمتم ذلك ان كنتم تعلمون الحقائق لكن لا تعلمونها ولذلك
انما تعبدون من دون الله مع ان الدون لا يستقل بالاثر بدون الاعلى
اوثانا صورا لا تصلح للسببية فضلا عن الفاعلية وتخلقون افكا تخرعون

كذبا انها تستقل بالتأثير حتى انها هي التي ترزق ان الذين تعبدون من دون الله لا ابتغاء
الرزق منهم مع ان استغاره لو صح من الدون لم يستحق العبادة لا يملكون لكم رزقا
لانكم اعلى منهم فابتغوا عند الله الجامع للكمالات التي ظهر بعضها فيكم الرزق
الذي به بقاء تلك الكمالات ولو طلبتم من دونه الرزق فلا تعبدوه بل
اعبدوه ولا تعتقدوا استقلاله باعطاء الرزق اليه ترجعون وان تكذبوا
بالرجوع اليه في تمام الانتفاع بالرزق واحالوا ذلك على القوى الباطنة والطبا
الخارجة فقد كذب امم من قبلكم فاسلكوا بهذا سبيل هلاككم ولكن ليس على
الرسول اهلاككم اذ ما على الرسول الا البلاغ فبليغ الدلائل المبين الكاشف
للشبه أتنكرون الرجوع اليه في تمام الانتفاع بالرزق ولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق خلق اجزاء الانسان قابلة للتحلل فيحلل منها ما يحلل ثم يعيده بالغذاء
ولا ينتسب هذا الى القوى الضعيفة بل الى الله ان ذلك على الله يسير فان
انكروا ذلك في اجزاء البدن قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق
قابلا للفناء فيفنيه ثم الله دون قوى العالم ينشئ النشأة الاخرة لتلك
الاشياء فهكذا امر الغذاء الباطن ان الله على كل شيء قدير وكيف يترك
شكر الله في الانتفاع بالرزق مع انه يعذب من يشاء بالغذاء بافضائه الى
المرض ويرحم من يشاء فيجعله سببا للتقوية وشفائه واليه تقلبون فترجى رحمته
وتخاف عذابه اذ لا مانع منه كيف واعظم الموانع تصرف الانسان الكامل
المتصرف في العالم الحسي والعقلي ولكن ما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
لا بانفسكم ولا بمعبودكم اذ ما لكم من دون الله من ولي يامركم استقلالا
ولا نصير يدفع عنكم من رحمته والعذاب والرحمة وان كانا بالمشية فلا تخالف
الحكمة المقتضية منع الرحمة من الكافرين اذ الذين كفروا بآيات الله الدالة
على ان الرزق منه ابتداء وانتهاء ولقائه الذي فيه الجزاء على الشكر والكفران
اولئك يئسوا من رحمتي فكيف انشاء رحمتهم ولا اقتم عليهم منع الرحمة بل

الله صح

فيكم صح

بل اشكروا له على ان جعل لكم
من طلبتم منهم الرزق بسبب
ذلك وكيف يتركون شكره
مع انكم في الانتفاع تبع لك
الرزق صح

اولئك لهم عذاب اليم فقصد قوم ابرهيم لياسهم عن رحمة الله وعدم
مبالاتهم بعذابه بعجز الله بافناء رسله لعجزهم عن ابطال اوامره ونواهيه و
زواجره التي يترتب عليها تعذيبه فنجى عن التعذيب فما كان جواب قومه الا
ان قالوا بعضهم لبعض اقتلوه او حرقوه ليعذب قبل ان يعذب فانجاه
الله من النار دفعا لتعجيزهم واقامة للدلائل على امور ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون على ان المعذب بالنار هو الله بطريق الاختيار وعلى ابطال
الياس من رحمة الله وعلى انجاء المؤمنين من نار جهنم وبردها عليهم وعلى
انه لو كان للاصنام قرب من الله لاحرقه من اجلها وعلى انهم لو كانوا
آلهة لمنعوا الله من بردها النار وعلى صدق ابرهيم وقال كيف تعجزون الله
وغاية ما تفعلون به الهتكم وليست بالهة انما اتخذتم لتعجيزكم من دون الله
لتعجيزه اوثانا صورا للارواح لها وانما تعلق بها الشياطين وهي وان افادتكم
قوة فما دامت بينكم المودة لكن مودة بينكم اي المحبة الواصلة بينكم يحب
بها بعضكم بعض منحصرة في الحيوة الدنيا ثم تنقطع وتنقلب عداوة يوم القيمة
التي ترجون فيها نصرهم وشفاعتهم اذ يكفر بعضكم ببعض دفعا لنسبة الشرك
الى نفسه فهذا هو الانقطاع ويلعن بعضكم بعضا وهذا هو الانقلاب كيف
ومأويكم بتلك المودة النار التي لا اضر اشد منها ولا شيء يدفعها او يخففها لانه
ما لكم من ناصرين فكفروا به وتركوا نصره مع مبالغته في اتيان ما يستحق الايمان به
والنظر من الدلائل فآمن ناصرا له لوط ابن اخيه هاران وقال لا احمل
سماع لعنهم واذيتهم واخاف الرجوع الى عبادتهم المفضية الى النار اني مهاجر
الى مكان تيسر فيه عبادة ربي ولا اخاف فيه اذية نفسي لاني مهاجر منها الى الغالب
عليها انه هو العزيز الغالب على الكل لكن قد لا تظهر الغلبة على بعض الناس بمقتضى
الحكمة لانه الحكيم فخرج من كوثى من سواد الكوفة مع امراته سارة بنت عمه ومع لوط
الى حران ثم الى فلسطين ونزل لوط بسدوم ووهبنا له لنصره اسحق ويعقوب في

اذ منا نصره في ذريته اذ جعلنا في ذريته النبوة والكتاب التورية والانجيل
والزبور والقرآن ومن نصرها اياه على نفسه انه آتيناه اجره في الدنيا
وهو التلذذ بعبادة الله وبقي له في الآخرة انه في الآخرة بعد انقطاع
النبوة التشريعية بانقطاع التكليف لمن الصالحين بولاية الانبياء التي هي
افضل من نبوتهم وان كانت نبوتهم افضل من ولاية الاولياء فهذا نصره له
من الله على قومه في الدارين ولقد نصرنا من نصره لوطا اذ قال لقومه ائنكم با
الاستفهام الانكاري لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح اقدمتم
عليها من غاية خبثكم ما سبقكم بها من احد من العالمين لتجافي الطباع
عنها ثم فصلها بعد الاجمال ليكون اوقع في النفس بقوله ائنكم لتأتون الرجال
المخلوقين للفاعلية فتغيرون خلق الله وتقطعون السبيل سبيل النسل
الذي وضع له الجماع ولا تبالون بقبحها اصلا اذ تأتون في ناديكم مجلسكم الجامع
المنكر والناس يستحيون من الجماع المعروف فيه فبالغوا في انكار قبح شيء من
ذلك فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين في انها فواحش قبيحة قال رب انصرني باظهار قبحها بالعذاب
على القوم المفسدين الذين يفسدون كل برهان عقلي ونقلي وكل حكمة الهية
ولما كان نصره لنصره ابرهيم بشره ابرهيم في ضمن ما بشر بانصاره من اولاده
فانه لما جاءت رسلنا الذي بعثناهم لنصر لوط بمقتضى دعوته ابرهيم بالبشرى
بولده الناصر له قالوا تبشيرا له بنصره من نصره باهلاك اعدائه انا مهلكوا
اهل هذه القرية سدوم واهلاكهم مما يبشره ان اهلها كانوا ظالمين بتنزيلهم
الرجال منزلة النساء وقطع النسل قال تمام البشرى لو استثني لوط ان فيها
لوطا والعذاب الدنيوي يعم البر والفاجر قالوا نحن اعلم بمن فيها من المنصور
والمنصور عليه ونصر المنصور انما يتم بانجائه وانجاء من يتعلق به لننجينه واهله
تحقيقا لنصره المقصود من اهلاكهم الا امراته اذ كانت من الغابرين الباقين

في طلب النصر عليهم ولما نقص الرسل بصور رجال امارد اولي جمال لما ان
جاءت رسلنا لوطا بما تغضبه على قومه ليكون اهلاكهم اسرع فيكون اتم في النصر
سيء بهم جاءته المساءة بسببهم مخافة ان يقصدوهم وضاق بهم ذرعا اي ضاقت
بسببهم طاقته كقصير الذراع لا ينال ما يناله طويل الذراع اذ لا يجد حيلة في دفع قومه
عن ضيفه وقالوا لا تخف طمعهم بنا ولا خوفك ولا تحزن لا تغتم من لحوق عذا
بك او باهلك انا منجوك واهلك من عذابهم الا امرأتك فانك وان اخرجتها
من القرية مع اهلك كانت في الحكم من الغابرين الباقين فيها وبعد ما امنوه
من عذابهم فصلوا له عذابهم فقالوا انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
عذابا لا يوجد جنسه في الارض فهو من السماء بما كانوا يفسقون يخرجون
عن مقتضى حكم خالقها ولكونه لا نظير له لقد تركنا منها من حجارتها آية بينة
اسامي من اهلكت بها مكتوبة عليها ليكون نافعا لقوم يعقلون فيقيسون
احوالهم على احوال اولئك فيحترزون عن الفواحش التي يردها العقول
وجعلنا الرجم نظير امر رجفة اهل مدين على فسقهم الذي دون فسق
قوم لوط فانا ارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
بامتثال اوامره والانتهاء عن نواهيه وارجوا اعتقدوا اعتقادا راجيا اليوم
الآخر ليكون داعيا الى العبادة لرجاء ثوابه وخوف عقابه وانما يقوى هذا
الرجاء بترك الافساد في الامر الدنيوي لا تعثوا لا تفسدوا امور الناس
مجتمعين في الارض مفسدين امر التمدن وهو المعاونة من بني النوع
لاستكمال امر المعاش والمعاد فكذبوه ليفسقوا عن اوامره ونواهيه فاخذتهم
الرجفة الصيحة التي هي منشأ الزلزلة الشديدة من جبريل عليه السلام في مقابلة
زجر قوم لوط فاصبحوا في دارهم التي بنوها لمعاشهم جاثمين ميتين خارجين
عن اعتدالهم كما خرجوا عن اوامره ونواهيه واخرج عنهم ارواحهم كما اخرجوا
روح الانسانية عنهم ولو قيل انما اثرت الرجفة فيهم لعدم تحصنهم ببناء متين

ثم قال فمما اهلكنا ايضا عادا وثمودا وقد تبين لكم تحصنهم من مساكنهم ولكن لم
يتحصنوا في الامور الاخروية باحكام اعمالهم اذ زين لهم الشيطان اعمالهم فخيل
لهم انهم متحصنون بها في الامور الاخروية فصدهم عن السبيل الموصلة الينا
ولكن لم يصرهم هذا الصد مانعا من الاستبصار بل كانوا مع هذا الصد مستبصرين
يمكنهم طلب البصيرة اذ لم يصيروا مجانين ولو قيل انما اخذوا لضعفهم الذي تحصنوا
من اجله بمساكنهم قال فقد اخذنا قارون مع كمال قوته بالاموال وفرعون مع
كمال قوته بالعسكر وهامان مع كمال قوته في التدبير الدنيوي ولم يكن مواخذتهم
لهم تلك القوة بل لقد جاءهم موسى المقوي بالبينات فقابلوا قوته بقوة ما لهم
وعسكرهم وتدبيرهم فاستكبروا مع كونهم في الارض على الآيات البينة حتى ارادوا
السبق عليها ولكن ما كانوا سابقين بل ادركناهم فكلا اخذنا بعذاب يليق
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيه حصباء كعاد لغلبة
الاسرة الفاسدة عليهم مع تجبرهم في البطش ومنهم من اخذته الصيحة كثمود
في مقابلة صياح الناقة عند عقرها ومنهم من خسفنا به الارض كقارون لانه
لما منع حق الاموال كان كالدافن لها ومنهم من اغرقنا كفرعون وهامان لغرقهم
في الكفر بسلب الربوبية عن الله واثباتها لفرعون وانما اخذنا كلا بذنبه لانه
ما كان الله ليظلمهم بالمواخذة بما لا تناسب ذنوبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بتعريضها بالذنوب التي تستلزم ذلك العذاب ولو قيل انما اخذ الاولون
لاعتمادهم على بيوت مساكنهم او اموالهم او عسكرهم او تدبيرهم ونحن نعتمد على قوة
آلهتنا يقال مثل الذين اتخذوا من دون الله المحيط بالكل اولياء والالهية
للدون اليه وان بلغ ما بلغ الاشبه لا شيء الى ما لا يتناهى وظنوا ان قوة اوليائهم
محيط بالكل كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يعتمد على قوتها وظنها محيطا بهم دافعة
عنهم الحر والبرد وان اوهن البيوت اضعفها لبيت العنكبوت لا يحتمل مس
ادنى الحيوانات واضعف الرياح ولا يدفع شيئا من الحر والبرد فهذا مثلهم

لو كانوا يعلمون حال اوليائهم وكيف يكون اولياؤهم محيطين بالله مع ان الله
محيط بهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه فيحيط بهم لكونهم دونه وكيف لا يعلمه وهو
من شيء وكل شيء معلوم له وكيف يبلغون قوته وهو العزيز الغالب لقوته على
اصنامهم فوق غلبه اجنا على بيت العنكبوت وله من غاية التدبير ما ليس
لغيره لانه الحكيم وليست هذه الامثال لبيان نسبة قوتهم الى قوة الله تعالى
بل تلك الامثال نضربها للناس اى لتفهيم من نسى الامور المعقولة فنذكرهم اياها
مشبهها بالمحسوسة ومع هذه المبالغة فى التفهيم ما يعقلها لا يفهمها الا العالمون
بمناسبة المحسوس بالمعقول وكيف يكون لقوة اوليائهم نسبة الى قوة الله مع
انه خلق الله بقوته السموات والارض فالقوة التى فيهما صورة قوته الازلية
لانه خلقهما بالحق اى ليظهر بوجوده وصفاته فيهما ليستدل بما فيهما عليه
ان فى ذلك الظهور لاية تدل على الظاهر وصفاته ومفيد للمؤمنين بانهما
من خلقه لا الغافلين بعدهما والآيات وان كثرت فى السموات والارض
فلا يعرف بكمالها الا بالبيان الالهى ولا يفهم الا العلماء ولا يتم لهم فهمها الا بفهم
اكمل الرسل صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يحتاجون الى مزيد التزكية لذلك قيل
اتل يا اكمل الرسل ما اوحى اليك بحسب كمالك من الكتاب الجامع لايات
السموات والارض والامثال والاعتقادات والاحكام واقم الصلوة لتزكية
النفس المفيدة للمكاشفة عنها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء القبائح الحاجبة
عن الحقائق والمنكر الحاجب عن الله واسرار كتابه لانها مقام مناجاة
الله الجاذبة اليه المغلبة محبته المانعة عن عصيانه عليه ولذكر الله فيها اكبر تاثيرا
فى التزكية والنهى لانه يذكر الصفات اللطيفة فيوجب الحياء من العصيان
او القهرية فيوجب الخوف عنها وان تخلف ذلك فبصنعكم الذى تتبعون به اذى
الحضرة الله يعلم ما تصنعون ولو انكر اهل الكتاب كون كتابكم وحيا او كونه
جامعا لما ذكر لا تجادلوا فى بيان جمعيته ووجه اهل الكتاب المطلعين على

الراسخين الا بالتى هى احسن اى بطريق البراهين القطعية الا الذين ظلموا منهم
فاختاروا طريق الجدل فذموهم بتلك الطريق ولو اعترضوا باختلاف حكمى الكتابين
قولوا لا تناقض بينهما لذلك آمنا بالذى انزل الينا فجعلناه مخصوصا بزماننا
وانزل اليكم فجعلناه مخصوصا بذلك الزمان وهما فى رعاية مصالح الزمانين واحد
كما ان الهنا والهكم واحد ونحن بالايمان بهما له لا لاهويتنا مسلمون منقادون
وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكيف يترك
الايمان بهذا الكتاب مع انه كما وعدناهم انزال الكتاب الناسخ لكتابهم كذلك
انزلنا اليك يا نبى الرحمة الكتاب ناسخا لاحكام كانت عليهم لظلمهم فالذين آتيناهم
الكتاب فعرفوا هذا الوعد وهذا السر فى النسخ يؤمنون به لعلمهم فيه ما وعدوا
فيه لكونه على وفق الحكمة ومن هؤلاء ومن العرب من يؤمن به وان لم يطلع على
ذلك الوعد والحكمة للاطلاع على اعجازه من كثرة علومه فى الفاظ يسيرة متناهية فى
البلاغة ووجوه المحاسن غايتها بل عجائبها مع مخالفتها لاسالب نظمهم
ونثرهم وغير ذلك مما هو اعجاز كاف فى ايجاب الايمان وان لم يجربه وعد
ولم يوافق تلك الحكمة لكن ما يجحد باياتنا الا الكافرون بالله المختص بكمال القدرة
على ايجاد المعجزات وليس اعجازه من احاطتك بكتب الاولين وهم لم يحيطوا
بها لانك ما كنت تتلو من قبله من كتاب فضلا عن الجميع كيف وهو ملازم للخط
عادة وكنت لا تخطه بيمينك التى الخط بها ايسر من الخط بالشمال ولو كنت تاليا
لكتبهم او خاطا بيمينك لم يكن للريب مع الاعجاز وجه لكنه اذا لارتاب المبطلون
لدلالة الاعجاز على الصدق مع علمهم ان من احاط بكتب الاولين لا ينقص
منه الاتيان بالكتاب المعجز كيف وليس اعجازه باعتبار جمعه لما فى كتبهم بل
هو آيات بينات ظهر اعجازها فى صدور الذين اوتوا العلم اذ رأوه جامعا
لما فى كتب الاولين مع زيادات غير متناهية فى الفاظ يسيرة عجزوا عن مثلها
وليس انكارهم لاعجازه مع عجزهم عنه بما فى صدورهم منه الا من افراط ظلمهم لذلك

المنكرون ح

بالجحد بآياتنا الا الظالمون بدعوى القدرة فى مكان العجز التام ومن افراط
ظلمهم انهم قالوا مع كثرة اياته وكونها اجل من ايات الاولين فبراقه الذى دل
عليه اخباره من بيت المقدس من غير ان يسافر اليه اجل من ناقة صالح وانطاق
الحصى بالتسبيح اجل من عصا موسى واحياء عيسى وابرائه وتكثير الطعام اجل
من مائدة عيسى لولا انزل عليه اية من ايات الاولين المتفق على كونها من ربه
قل انما الايات عند الله يقسمها بين انبيائه بحسب قسمة الارزاق فخص كل نبى باية لا يعطيها
غيره لئلا يقال انها بحيث توارث وليس لى ان اخذ شيئا منها بقوة نبوتى بل
انما انا نذير مبين امين بتلك القوة مالا يبينه غيرى أيطلبون الاية على صدق
انذارك مع وضوحه بنفسه ولم يكفهم فى باب الاية على انذارك انا انزلنا من
مقام عظمتنا الباطنة والظاهرة عليك ايها الجامع لاسرار الحق والخلق الكتاب
الجامع لاسرارهما يتلى عليهم فيحصل لهم فى كل مرة علم جديد الى ما لا يتناهى وليس
ذلك من باب التلبيس ان فى ذلك لرحمة بافادة علوم ليس فى طوق البشر
الاستقلال بها وذكرى لعلوم مركوزة فى قلوب الانسان نافعة لقوم يؤمنون
فيعتقدون كماله فيتاملون فيه فيجدونه فان انكروا بها لكم مع هذا المعجز تعدد
ما اقترحوه من الايات قل لا وجه لاقتراحها بعد قطع النزاع من جهة الله من حيث
شهادته فى كلامه المعجز فانه كفى بالله قاطعا للنزاع بينى وبينكم بكونه شهيدا بطريق
التصريح فى هذا الكتاب الذى اعجازه شهادة صدقى وقد قام على نبوتى
شهد لا بل يعلم انها من الذى يعلم ما فى السموات والارض من الدلائل ودفع
الشبه ولكن يحجب عنها من كان مشركا اذ الذين امنوا بالباطل فاعتقدوا
انه شريك الحق وكفروا بالله باعتقاد الشرك فى الهيته اولئك وان كوشفوا
بامور من جهة الشياطين هم الخاسرون للكشف الالهى الذى ظهر به فى كتابه
ولحصرهم الكشف الالهى المطلع على الامور الاخروية يستعجلونك بالعذاب
استهزاء به والمطلع عليه لا يتصور منه الاستهزاء به ولولا اجل مسمى مقدر



لكثرة معاصيهم المقتضية شدته لجاءهم العذاب لان الاستهزاء يقتضى تهيج
الغضب الالهى المقتضى سرعته وسواء كان باجل مسمى لياتينهم بغتة فجاءة لعدم
اطلاعهم على ذلك الاجل ولا تتقدم لهم علامات تشعر بقرب اتيانه بل ياتيهم وهم
لا يشعرون به اصلا ولا يبالون بمجيئه وعدم شعورهم به يستعجلونك بالعذاب
كانهم كوشفوا بعدمه وهم وان لم تتقدم لهم علاماته اجتمعت فيهم اسبابه بحيث يصح
ان يقال فيهم مجازا ان جهنم لمحيطة الآن بالكافرين احاطتها يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومن جميع الجوانب التى ياتيهم ابليس منها بالطريق
الاولى ويقول تكميلا للاحاطة بالظاهر والباطن ذوقوا ما كنتم تعملون عند
تصور صور اعماله لا تفارق المعذب اصلا يا عبادى الذين اخلصوا لى لانهم
الذين امنوا لا وجه لمساكنتكم باعدائى الذين احاطت بهم جهنم ان ارضى واسعة
وكيف تساكنونهم وهم يمنعونكم من تخصيصكم اياى بالعبادة فاياى فاعبدون
بالخروج الى ارض تتسع لتخصيصى بالعبادة ولا تخافوا الموت فى الخروج اليها فان
كل نفس ذائقة الموت وهو داع الى تخصيص الله بالعبادة لانكم تموتون ثم
الينا ترجعون لا الى الشركاء ولا ينبغى ان يلتفتوا الى فوات مساكنهم بالخروج
اذ ابشرهم بالجمع بين الايمان والاعمال الصالحة اذ الذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالى بدل تلك المساكن ولا نمتعهم بذلك
الاتساع بانهارها اذ تجرى من تحتها الانهار وكيف لا يصلح هذا عوضا عما فاتهم
من المساكن الفانية مع انهم يبقون خالدين فيها واذا كان هذا اجر الخروج من
مساكنهم فان جزاء اعمالهم الميسرة بالخروج اجر العاملين وانما كان لهم بالخروج
هذا الاجر لانهم الذين صبروا عن المساكن والاهل والاموال فاستحقوا الاجر
بغير حساب وعلى ربهم يتوكلون فى امر الرزق عند الخروج من اموالهم ومن
عسر عليه التوكل فليعلم انه دابة من جهة الاكل وكاين من دابة لا تحمل رزقها
لضعفها ولا يدخر شيئا للغد الله يرزقها لا اربابها لو كان لها ارباب واياكم

لاما تسبحهم وكيف لا يرزقكم اذا توكلتم عليه مع انه هو السميع لما فى قلبكم من التوكل
عليه ولو لم توكلوا فلا يترك رزقكم ايضا لانه العليم بفضلكم على سائر ما يرزق
من الدواب وكيف لا تخص بالرزق من هو خالقه وخالق جميع اسبابه واصوله
بلا خلاف لانك لئن سألتهم من خلق السموات التى منها الامطار والارض
التى منها النبات وسخر الشمس التى منها الاثمار والقمر الذى منه النضج ليقولن
الله ومع اعترافهم بذلك يطلبون الرزق من غيره فانى يؤفكون يصرفون منه
الى الغير ولو قيل ان تكثيره وتقليله بيد غيره يقال الله يبسط الرزق لمن يشاء
من مباشرى الاسباب لغيره فلا نظر الى الها بل الى كونه من عباده ويقدر له
ليعلم انه محض فعله لا اثر فيه لغيره ومع ذلك لا يفعل على سبيل التحكم بل بمقتضى
الحكمة ان الله بكل شىء عليم وكيف ينسبون بسط الرزق الى غيره وهو من كثرة
الزراعة وهى من انزال الماء واحياء الارض مع ذلك لئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيى به الارض باخراج النبات من بعد موتها باليبس ليقولن
الله قل الحمد لله اى جميع المحامد لله اذ بيده اصل الرزق وبسطه بل اكثرهم لا يعقلون
لا يعرفون استعمال الدلائل العقلية فينسبون بسط الرزق الى غيره على ان
الغير انما بسط عليك اذا شرح الله صدره لبسطه عليك فهو الباسط عليك
بالحقيقة ولو منع الله طالب الرزق منه لاعطاه بدله ما ليس بشىء مما هو احل الاشياء
فانه ما هذه الحيوة الدنيا الا لهو اشتغال بغير الله وكفى به خسة وما لا يشتغل عنه
فهو لغاية بمنزلة ما هو لعب اى شىء يلعب به الصبيان وان الدار الاخرة لهى
الحيوان اى الحيوة الحقيقية التى لا يطرأ عليها الموت ولا ما يشبهه من الاحزان
والالام فيرضون بهذا البدل لو كانوا يعلمون الحقائق ثم انهم انما يطلبون
الرزق من غير الله اذا كانوا فى البر فاذا ركبوا لطلبه فى الفلك المخطر دعوا
الله مخلصين له الدين لعلمهم انه لا ينجيهم من الغرق سواه فلما نجاهم عن ذلك الخطر
بان جاءهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك لا لفائدة تحصل

لهم فيه بل ليكفروا بما آتيناهم من نعمة النجاة وربح التجارة وليتمتعوا باسوا التمتع
عن ترك عبادة الله ومنع حقوقه فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتمتعهم أيطلبون
النجاة فى البحر منا دون البر ولم يروا انا المنجون فى البر ايضا اذ جعلنا حرما
آمنا يحمى من التخطف ويتخطف يختلس الناس من حولهم ايتوهمون ان رازقهم من
آلهتهم وان كان الامن من الله فبالباطل يؤمنون وبنعمة الله بسط الرزق يكفرون
وان زعموا ان الله فوض الرزق الى الالهة يقال ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بالحق لما جاءه وان لم يكونوا اظلم فلا اقل من الكفر المخلد فى النار اليس فى جهنم
مثوى موضع اقامة للكافرين وان زعموا انهم كوشف لهم ذلك عن المجاهدة يقال
انما وقعوا فى ذلك لانهم لم يجاهدوا فينا اذ الذين جاهدوا فينا فى طلب معارفنا
لنهدينهم سبلنا الموصلة الى معارفنا ولا يخطئون فى الكشف لاحسانهم ان الله
لمع المحسنين الناظرين اليه فانه لا يغايرهم حتى يكون لهم ظلمة بخلاف من نظر الى غيره
فانه يكون حجابا له عمانا فيقع فى ظلمة الخيال فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الروم

سميت بها لاشتمالها على معجزة يفيد للمؤمنين فرحا عظيما
بعد ترح بسبب تسلط شماتة اعدائهم ويدل على ان عاقبة امرهم وهذا من اعظم
مقاصد القرآن بسم الله الجامع بين اللطف والقهر الرحمن
بتعميم اللطف فى الجملة الرحيم بتعظيم اللطف للمؤمنين الم اى انا الله المحيط علما
او الله لطفه محيط او اخلط اللطف بالقهر والاعتبار فى اللطف بالمنتهى او
نحو ذلك مما يناسب المقام غلبت الروم اى غلب فارس عبدة النيران الروم
اهل الكتاب فقال المشركون لنظهرن عليكم ظهور اخواننا على اخوانكم مع انه لا عبرة
بهذه الغلبة لكونها فى ادنى الارض اى فى ارض اقرب من الفرس من غير
استيصال ولا غلبة على الاكثر ولا على النصف والثلث او الربع كيف ولا بقاء
لتلك المغلوبية بل هم من بعد غلبهم من بعد ما غلبهم الفرس سيغلبون وغلبة المغلوب

اشدها على الغالب سيما اذا كانت فى مدة قريبة بضع سنين من ثلث الى تسع
ولا بعد من الله الايفاء بهذا الوعد اذ لم يكن غلبتهم بانفسهم ولا بامر شركائهم
بل بامر الله اذ لله الامر من قبل ومن بعد فكما نصر الفارس بامره من قبل
ينصر الروم بامره من بعد فان امره وان كان واحدا يتعدد تعلقه سيما عند
اختلاف الازمنة وكيف لا يتعلق امره بنصر الروم من بعد ويومئذ يغلب
مشامته الكفار باعظم منها اذ يفرح المؤمنون فوق فرح الكافرين بنصر الله اهل
الكتاب على عبدة الاوثان اكمل من نصرهم على الاولين اذ يرجون اكمل نصرهم
على المشركين ويظهر صدق وعد الله لهم ويزول حزنهم بنصر الفارس اذ يظهر لهم
انه ينصر من يشاء اولا ولكن يجعل آخر النصر لاهله اذ هو العزيز الرحيم فيعز اهله
بنصرهم ويرحمهم بنصرهم على اعدائهم سيما فى مكان الوعد لكونه وعد الله المضاف اليه لكماله
وهو وان لم يجب عليه شيء لا يخلف الله وعده لانه لا يليق به نقيصة الكذب فيما هو
من صفاته ولكن اكثر الناس لنسيانهم مبدأهم ومعادهم لا يعلمون الله ولا
وعده ولا صدق وعده وهم وان يميزوا عن سائر الحيوانات بالعلم فغايتهم
انهم يعلمون ظاهرا لا المعانى الباطنة من الاشياء التى يكون العاقبة بحسبها
من اسباب الحيوة الدنيا لاشتغالهم بها لشدة حاجتهم وهم وان خلقوا للآخرة
واعطوا العقل من اجلها وجعلت الدنيا لهم مزرعة عن الآخرة ظاهرها
وباطنها هم غافلون ايدعون العلم بالظواهر والبواطن ولم يتفكروا فى انفسهم
انهم ما خصوا بالعقل ليتفكروا فى امر الدنيا فيزدادوا حرصا يبغض عليهم العيش
دون سائر الحيوانات بل ليتفكروا فى عواقب الامور فيعلموا انه ما خلق الله
الحكيم العليم السموات والارض وما بينهما الا ليكمل علمهم بالحق واجل مسمى
وذلك انما يكمل لنظرهم من عز عاقبة بل بلقاء ربهم وان كثيرا من الناس المدعين
للعلم بالظواهر والبواطن بلقاء ربهم من ظواهر المعقولات الاخروية لكافرون
اينكرون تلك العاقبة الاخروية وقد عرف منكروها فى الدنيا ولم يسيروا فى الارض

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هل كانت لضعفهم فى التصرف الدنيوى
او لعدم اثارتهم الارض او تعميرها بل كانوا اشد منهم قوة فى التصرف الدنيوى واثاروا
الارض قلبوها لاستخراج المياه والمعادن وزرع البذور اكثر مما اثاروها سوى آثار
وعمروها بالبناء والغراس اكثر مما عمروها ولم يكن عاقبتهم من البليات العامة اذ
جاءتهم رسلهم بالبينات فلو اخذهم على تكذيبهم مع حجيتهم فى التكذيب لكان الله
ظالما فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا بتكذيبهم الرسل انفسهم يظلمون باسباب التعذيب
فلم يزالوا على ذلك ولم يزل الله يحلم عنهم ثم لما حصل الياس الكلى عن رجوعهم
كان عاقبة الذين اساؤوا فاستمروا عليها الخصلة السوأى وهل كانت اساءتهم
غير ان كذبوا بآيات الله ولم يكن ذلك لهوا نهاى انفسها بل كانوا بها يستهزئون ولم
يتم امرهم بهذه العاقبة السوأى بل تبدلت وتعاد اذ الله بمقتضى احاطته بالاشياء
يبدؤ الخلق ثم يعيده فيعيد العاقبة السوأى فى البرزخ ثم اليه ترجعون
فيكون هناك عاقبة السوأى معاده ايضا وهذه لا ينقطع لمصادفتها يوما
لذلك يوم تقوم الساعة يبلس يأس المجرمون عن انقطاع سواهم ولا سيما
اذا ظهر لهم اذ لم يكن لهم من شركائهم شفعاء بل صاروا اعداءهم ولذلك كانوا
بشركائهم كافرين وهل لا وان رجعوا بترك الشرك الى مكان التوحيد لكنهم يوم
تقوم الساعة الموضوعة للتفرقة بين المحسنين والمبطلين يومئذ وان جمعهم الحشر
يتفرقون فيصير كل فرقة الى مكان يناسبه فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا يتهلل
وجوههم واما الذين كفروا بالله ويكفى فيه ان كذبوا بآياتنا فيها تكذيب الله ولقاء
الآخرة فيه انكار دوام ربوبيته عليهم فاولئك فى مكان العذاب محضرون وانما
وقعت هذه التفرقة فى محل مقام التوحيد عن اكتساب النفس وعدمه فان مقام
التوحيد وان كان نورانيا كالشمس فلا بد لادراكه من نور بمنزلة نور البصر واولى
ما يكتسبه النور بعد الايمان الصلوة ذات التسبيح فسبحان الله فصلوا صلوة

بضمن التسبيح المضاف اليه حين تمسون وقت المغرب والعشاء اللذين يبتدئ
فيهما الحجاب الظلماني ويكمل لئلا تحجبوا بالحجب الظلمانية وحين تصبحون وقت
الصبح الذي يبتدئ فيه النور الحسي لئلا تحجبوا بالحجب النورانية ولكونهما وقتي الحجب
الظلمانية والنورانية يقع له الحمد في اهل السموات والارض طلبا لكشفهما وعشيا
وقت العصر وقت انتقاص النور لئلا ينقص النور الكامل وهو الحاصل من
الصلوة ذات التسبيح حين تظهرون وقت كمال النور الحسي الدال على كمال
النور الالهي فيكون داعيا الى تحصيل ما يناسبه وكيف لا يبدلون بعد العبادة
من يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة ويخرج الميت من الحي النطفة
من الانسان ويحيي الارض النبات بعد موتها بيبسها وكذلك تخرجون
بالصلوة من موت القلب الى حيوته ومن حيوة النفس الى موتها ويحيي ارضها
بنبات الهيئات الفاضلة بعد موتها بالهيئات الردية وبالعكس بتركها
ومن آياته الدالة على احياء القلب بالصلوة انكم وان كنتم مائلين الى الارض بما
تصيرون بها وبالمرور على اركانها ومبانيها وسننها بملاحظة انوارها اناسا
كاملين تنتشرون في مقامات القرب مثل ان خلقكم من تراب هي ابعد من
البشرية ثم بعد مرور اطوار اذا انتم بشر اي فاجاتم وقت استقرار بشريتكم
تنتشرون في مقامات العقل وتصرفاته العجيبة ومن آياته الدالة على انه تعالى
يخلق من الاعمال انوارا ازواج انوار الارواح يخالطها عند مباشرة الاعمال
ولا ينقطع عنها بالكلية عند عدم الاعمال لبقاء علقة المحبة ويحصل من اختلاطها
انواع الرحمة من الكشوف والاخلاق والاحوال والمقامات والكرامات ان
خلق تكميلا لكم من نطفكم التي هي من اجزاء انفسكم ازواجا لتسكنوا لتميلوا
اليها بالمجانسة فتجامعوها وجعل لاستدامة علقة الاجتماع القلبي بينكم مودة
محبة هي الميل من الجانبين ورحمة هي النسل واصلاح المنزل وليس هذا دليلا
على امر خاص بل ان في ذلك لايات واضحة لقوم يتفكرون مثل ان يخلق من

اعمالكم اعمالا لتسكنوا الى تلك الاعمال عند مباشرتها وجعل عند عدم مباشرتها
بينكم مودة ينتظرون بها اوقاتها ورحمة من الاخلاق والاحوال والمقامات
والكشوف والكرامات ومثل ان الله تعالى خلقكم ما يناسب صفاته
ليميل اليكم فيخالطكم بالتجليات الشهودية وجعل عند عدم الاختلاط بها
بينكم مودة ورحمة من افاضة العلوم والاخلاق والكرامات والاحوال
والمقامات ومثل ان يخلق من اعمالكم ملئكة يميل اليها ارواحكم فيخالطها وعند
عدم المخالطة يكون بينهما مودة موجبة لاستغفارهم ورحمة في افاضة الاخلاق
والاحوال والمقامات والعلوم والكرامات ومن آياته الدالة على اختلاف
اعمال القلب بصفائه وكدورته بحسب ميله الى العالم العلوي والسفلي وعلى اختلاف
مراتب الاقوال في تحصيل المعاني الجليلة والدنيئة وعلى اختلاف اعمال
الجوارح في التحسين والتقبيح خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم
ولا ينحصر فيهما على ما ذكر ان في ذلك لايات واضحة للعالمين منها دلالة
الاول على اختلاف الاشخاص بالذات لكون السماوي متحركا دائرا
في المقامات والارضي ساكنا لا يصير الى حال ولا مقام ودلالة الثاني
على اختلاف تاثيرها في الاقوال ودلالة الثالث على اختلاف اعمال الجوارح
بالعوارض من الاخلاق وغيرها ومنها دلالة الاول على علو همة البعض
ودناءة همة الاخرين والثاني على اختلاف ما يفهم من القول الواحد عند
اختلاف الاشخاص والثالث على اختلاف هيئات الاعمال ومنها دلالة
الاول على الاخلاق الفاضلة والردية والثاني على جمع الكلم وعدمه و
الثالث على نورية الاعمال وظلمتها ومن آياته الدالة على خلق البعض من نيل
الاجر سواء كان في ضوء العمل وظلمة التعطيل ونيل البعض للاجر عمل او لم يعمل
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله كطلب العلم والتجارة ولا ينحصر فيه
على ما ذكر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون المواعظ منها ان الغفلة

ان كان فيها راحة النفس ظاهراً لكنه بها خيرها ان فوتت فضائلها سواء كان صاحبها
في ظلمة الجهل اذ لم يسند عليه فضله او في ضوء العلم وان ينبغي الفضل وان كان
متعباً لكنه به راحة ان يحصل له كمال النفس سواء كان في ظلمة الجهل اذ لم يسند عليه
فضله او في ضوء العلم وسواء ومنها ان الشخص الواحد يختلف حاله بالغفلة تارة حال
العمل والخلوة تارة باكتساب الفضل في الحالتين ومنها ان العمل الواحد قد يقع
في حال الغفلة والتيقظ معاً وكذا الخلق الواحد فتارة يكثر الظهور وتارة تقل والامر
بالعكس ومن آياته الدالة على ان ظهور النور في العمل لا يزيل عنه الخوف والرجاء
انه يريكم البرق خوفاً وطمعاً خوفاً من الصاعقة وطمعاً في المطر يخاف عليه الرياء
والعجب واذا وقع بعدهما يرجى نزول التوبة وتبدل الرياء بالاخلاص وتبدل
الرذائل العجب بشكر المنة فانه كما ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ولا
يقتصر على ما ذكر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون منها ان الاعمال اذا ظهر فيها
النور يخاف فيها آفات كثيرة كالاحباط بالكفر والاعطاء في المظالم واذا ظهر فيها
الظلمة يرجى فيها القبول بالتوبة المبدلة للسيئات حسنات ومنها ان الاعمال تصلح
باعمال اخر تكون لها كالمطر ومنها ان الامر الالهي دائم الخطر فلا يؤمن مكره بعد
ظهور الحظ لا ييأس من روحه ومن آياته الدالة على ان امر الله خطر وان لم يظهر
فيه سببه ان تقوم السماء والارض بحيث يتوهم ان لا تزولا ابداً لكن لما كان
قيامهما بامره فاذا امرهما بالزوال زالتا ثم بعد زوالهما اذا دعاكم دعوة واحدة
تخرجها من الارض بعد تقتلها اذا انتم تخرجون اي تفاجأ خروجكم فالعمل وان
قام بتوفيق الله وعصمته فاذا اجازها قدر له من الكفر اخرجه من ارض العامل التي
نشأ فيها وكيف لا تجيبون دعوته وهو مالك امركم اذ له من في السموات والارض
ممن يفهم كلامه وكيف لا ينقذونه وهو ينصرف في عقول الكل فيصرفها الى ما
قدر بل كل من العقلاء وغيرهم له قانتون مطيعون وكيف لا يطيعه الكل مع
انه هو الذي يبدأ الخلق فيطيعه حال العدم المطلق ثم بعد فنائه يعيده فلا

يمتنع عن الطاعة باعدامه ثانياً ولا يبعد بل هو اهون عليه لانه ان كان جمع
المتفرق فظاهر وان كان ايجاد المعدوم فليس الآن بمعدوم مطلق اذ لا
يخلو عن شائبة من الوجود ولا اهانة انما هو بالنظر الى المعدوم لا الى الله تعالى
اذ له المثل الاعلى الوصف العجيب من كمال القدرة الظاهرة في السموات والارض
ولو صعب في ذاته لم يصعب عليه اذ هو العزيز ولا ينافي حكمته عدم اعادته
في كل مرة لان ذلك يقتضي الحكمة لانه الحكيم وقد اقتضت الحكمة ان يترك عليه نوع
خفاء ليتأتى التكليف وهذا السر لا ينافي التعذيب بطريق العدل حتى ينافي التكليف
لانه اظهر الدلائل الملزمة للحجة سيما طريق التمثيل اذ ضرب لكم في باب التوحيد
مثلاً من احوال انفسكم التي هي اقرب الاشياء اليكم فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء في ما رزقناكم من اموال فانتم فيه سواء تخافونهم ان يتصرفوا
فيه بدونكم كخيفتكم انفسكم اي كما تخاف احد الشريكين ان يستبد دون صاحبه
والا كان تفضلاً وكما فصل لكم هذه الآية كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم لكن لا يستعملها الظالمون بل اتبع الذين ظلموا بالشرك اهواءهم
لانهم اشركوا بغير علم بحقية شرك من اشركوا بل لو حصل لهم العلم بامتناع الشرك
لا ضالوا في دعوة لان الله قد اضلهم فمن يهدي فمن يكون سبباً لهداية من
اضل الله قد اراد اضلاله كيف وليس ذلك بالنسبة الى دليل او مرشد مخصوص
بل ما لهم شيء من الدلائل والمرشدين من ناصرين يخلصونهم من الضلال واذا
ظهرت حجج التوحيد سيما بالمثال المذكور فانه وان بقي معه خفاء في مراحل العقل
خروجه الى الحس لا يترك متابعة الدلائل من اجله فاقم وجهك فاجعله مستقيماً
طالباً للدين لدين التوحيد لا كتوحيد عبدة الاصنام يميلون اليها ويزعمون
انهم راجعون في عبادتها الى التوحيد حنيفاً مائلاً عن كل ما سواه اليه ولا يعسر
الرجوع اليه لكونه فطرة الله لا على الخصوص بل التي فطر الناس كلهم عليها لان
عقل كل واحد يدل على انه حادث يفتقر الى محدث ولا دلالة على الافتقار

الى متعدد ابدا فالقول بتعدده تغيير للفطرة لكن لا تبديل لخلق الله لا تغيير لـ
العقل الذي خلقه الله للاستدلال ذلك اي القول بعدم تعدد المحدث عند
عدم الدليل عليه هو الدين القيم المستقيم وان لم يقم عند المتدين دليل على استحالة
التعدد فهذا من مقتضى الفطرة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مقتضى الفطرة وان
كانوا منيبين راجعين اليه عند الشدائد لكن يرجعون عنه عند رفعها واتقوه
ان يعيد عليكم الشدائد اذا عدتم الى الشرك وللثبات على تقواه اقيموا الصلوة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تكونوا في الصلوة من اليهود والنصارى المشركين
علماءهم حين ابتدع كل رئيس منهم دينا فلا تكونوا من الذين فرقوا دينهم لا بطريق
الاجتهاد الذي يمكن فيه الرجوع الى الحق بل بطريق العناد وكانوا شيعا بحيث
لا يمكن ردهم الى الامر الواحد بل اذ كل حزب بما لديهم مما افتراه رئيسهم
فرحون من غير دليل يوجب فرحهم ثم ان هؤلاء وان اتخذوا رؤساءهم شركاء في
الاحكام الالهية لا يرجعون اليهم في الشدائد واذا مس الناس ضر دعوا ربهم
رؤساءهم بل منيبين راجعين اليه ثم اذا اذاقهم منه بان نجاهم الله رحمة اذا فريق
منهم بربهم يشركون اي فاجاء اشراك فريق منهم اذ ينسبونها الى متبوعهم ليكفروا
بما اتيناهم بالسبب الذي اتيناهم الرحمة من اجله وهو الانابة لكنه بهذا الكفر لا يرده
فتمتعوا به اياما تزدادوا اياما تستحقون به انتقاما مع انتقام الكفر فان لم تعلموا
الآن فسوف تعلمون اعلى صحة متابعة رؤساءهم دليل العقل ام انزلنا عليهم
سلطانا حجة نقلية فهو يتكلم بما كانوا به يشركون بانه شريك الله يحكم في مقابلة حكمه
وكما ان اعتقاد الرؤساء حكاما من دون الله شرك كذلك نسبة الرزق اليهم او
الى كسب النفس من ذلك اذ اذا اذقنا الناس رحمة سعة رزق فرحوا بها فزعموا
انها من سلاطينهم او اكسابهم وان تصبهم سيئة ضيق رزق بما قدمت ايديهم
بسبب معصية سابقة اذا هم يقنطون يائسون من روح الله اي يفزعون او يقنطون
ولم يروا الم يعلموا البتة الرؤية ان الله يبسط الرزق لمن يشاء بالغصب في غزوة

او بالاطلاع على الكنز او الربح في تجارة او بشرح قلب السلطان عليه ويقدر ان في
ذلك لآيات لقوم يؤمنون منها ان الرزق لو كان بالكسب لا استوى صاحب
الخصب والقحط والمسافرون للتجارة وخدام السلاطين ومنها ان الله يبسط
الرزق على البعض ويقبضه عن البعض لانه رزق اخروي ومنها انه يبسط المعاش
لمن يشاء ويقبضها عن البعض وانما بسط الرزق على البعض لينظر هل يصل الرحم
او ينعم بالحوائج او يوصل الى المقاصد فآت ذا القربى حقه من صلة الرحم و
المسكين حقه في القيام ببعض حوائجه وابن السبيل حقه في ايصاله الى المقصد
ذلك الايتاء خير من ادخار المال للذين يريدون باموالهم وجه الله رضوانه
واولئك هم المفلحون بتزايد المال الحقيقة وارادة الله انما يكون بالايثار على
الوجه المرضي له لذلك ما آتيتم من ربا فانكم وان قصدتم به الصلة والقيام بالحوائج
والايصال الى المقاصد بل ما فوق ذلك ليربو ليزيد في اموال الناس فلا
يربوا فلا يزيد نفعا يعتد به عند الله بل هو مضر عنده للمعطي والآخذ وما آتيتم
من زكوة فانه وان كان كادار الدين لا يستحق العوض لكنكم لما كنتم تريدون به
وجه الله رضاه فاولئك هم المضعفون فوائد اموالهم اذ يحفظ به الباقي
ويعوض المعطي بسبعمائة ضعف فصاعدا وكيف يراد به وجه الغير ولا يجب
شكره بوجه وانما يجب شكر الله من جميع الوجوه اذ الله هو الذي خلقكم فيقتضي
شكرا بالاحسان الى خلقه ثم رزقكم فيقتضي شكرا بان ترزقوا عباده ثم يميتكم ويحي
فيقتضي احياء اوامره ونواهيه هل من شركائكم الذين تريدون وجوههم في الزكوة
او سائر الاعمال من يفعل من ذلكم من شيء فيستحقون ارادة وجوههم باعتبار
ذلك الشيء تنزه عن الشرك سبحانه اي تنزهه الكامل وتعالى رتبة عما يشركون
ولما كان هذا فسادا في الاعتقاد والاعمال ظهر الفساد في البر بالجدب و
الكساد والبحر بالغرق ومحو ما فيه من الاطعمة والحوائج بما كسبت ايدي الناس
من المعاصي وان كانت صدرت طاعات ربحها عزوجه الله ليذيقهم في الدنيا

يقتضي اماتة محبة الغير
ثم يحييكم وهو صح

بعض جزاء الذي عملوا وترك البعض ابقاء للتكليف لعلهم يرجعون فان
انكروا منع الاذاقة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
سلكوا من قبل فانه وان كان بطريق ما ابتلاء في البعض كان اكثرهم مشركين
بالشرك الجلي او الخفي وهو الرياء واذا كان الشرك الجلي والخفي موجبا لفساد المعاش
جزئيا لما ذكر ولفساد المعاد كليا فاقم وجهك للدين القيم ليستقيم به امر
المعاش والمعاد جميعا من قبل ان يأتي يوم لا يمكن فيه اقامة الدين لانها لو
كانت فيه اقتضت للجزاء يوما آخر لكن لا مرد له من الله لانه المتعين للجزاء
عنده وهو وان كان جامعا لكنهم يومئذ يصدعون يتفرقون للجزاء افرادا
لانها يجب من كفر ثبت على كفره قبله فعليه كفره ولا يمكنه دفعه بايمان ولا عمل
وان امكن قبل ذلك اليوم ومن عمل صالحا قبله فانه وان قبل فلانفسهم يمهدون
يسوون فرشا عظيما عند الله لانه وضع ذلك ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا بمقدار تلك الكلمة والاعمال في المشقة بل من فضله الذي
نالوه من تمهيدهم المنزلة عند الله من محبته ولذلك لا ينال فضله الكافر انه
لا يحب الكافرين ولو قيل كيف يتوقف فضله على شيء كالايمان والاعمال الصالحة
قيل من آياته الدالة على توقف فضله على امر آخر ان يرسل الرياح مبشرات
بالمطر فالمطر فضل يتوقف على الريح وينزل المطر ليذيقكم من رحمته الماء البارد
والحبوب والثمار فاذاقة الرحمة فضل يتوقف على المطر والريح وايضا يرسل
الرياح لتجري الفلك بامره فاجراء الفلك للايصال الى المقاصد فضل يتوقف
على الريح وبجريها لتبتغوا تطلبوا من فضله كالعلم والربح فالفضل متوقف
على اجراء السفينة والريح وايضا فعل بكم هذه الامور لعلكم تشكرون
فيزيدكم فالمزيد فضل موقوف على الشكر ولا نخص هذا بالفضل الدنيوي
الذي لا اعتداد به بل الامر الاخروي ايضا بدليل جريان مثله فيما يظهر
ما يفعل في الآخرة فانا لقد ارسلنا من قبلك فكانت سنة قديمة رسلا الى قومهم

الذين عرفوا صدقهم وقد صدقناهم باعطاء المعجزات فجاؤهم بالبينات الملزمة
للحجة فاجرموا بعد ذلك فانتقمنا من الذين اجرموا ودللنا على كونه انتقاما بنصر
المؤمنين لذلك كان حقا علينا نصر المؤمنين فكان نصر المؤمنين فضلا موقوفا
على الانتقام من الكافرين الموقوف على ارسال الرسل ومجيئهم بالبينات ونصر
المؤمنين نظير ما يفعل بهم في الآخرة ولو قيل كيف يكون ارسال الرسل سبب
انتقام المجرمين وقد ارسلوا رحمة للعالمين ثم كيف يكون انتقامهم سبب نصر
المؤمنين يقال ان الله يرسل فيعلي المرسل اليهم بالنعم ويبسط عليهم الكمالات التي
يرفعهم فيستكبر المجرمون به على الرسل فيفرق احوالهم ويخرج عنهم اموالهم و
ينقلها الى بعض المؤمنين ولا يبعد ذلك على الله اذ الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه في جو السماء كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا او
غير مطبق الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا فترى الودق المطر يخرج من
خلاله فوقه بهذا امثال اعلاء الرحمة اياهم وبسط النعم عليهم ثم تفريق احوالهم
واخراج اموالهم عند اشتغالهم على الرسل فاذا اصاب به من يشاء من
عباده اذا هم يستبشرون بالخصب بهذا امثال استبشار المؤمنين بالظفر
من اموالهم بعد انتقامهم وهو النصر الكامل ولا يمنع يأس الكفار من هذا
الانتقام والنصر لاعدائهم كما لا يمنع يأس المرحومين بالمطر عن الامطار
ان اي انهم كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر مستبعدين بل انهم كانوا
من قبله لمبلسين آيسين فان لم ينقطع يأسك بهذا المثال لاستبعادك
الاحياء فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار والحبوب
والثمار تعرف كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك الذي احيى الارض
لمحيي الموتى كيف ولا تقصر قدرته عن احياء غير الارض اذ هو على كل شيء
قدير ولا يأسهم عن احياء الموتى كيأسهم عن الزرع لئن ارسلنا ريحا على
الزرع فرأوه من تأثيرها فيه مصفرا الصفرة اصاروا من بعده من بعد الاصفرار

قبل الموت آيسين من جهة حتى انهم يكفرون بقدرة الله على احيائه لكن
امكن قدرته على احياء البرزخ بعد اصفراره وقد رأى قدرته على احياء الارض
بعد موتها فهو ميت لا يمكن اسماعه خبر الموتى فانك لا تسمع الموتى وان دعاهم
حين انهم فهم صم ولا تسمع الصم الدعاء فان امكن تفهيمهم بحركة الشفة واللسان
واليد فلا يمكن اذا ولوا ظهورهم الى الداعي مدبرين لا يلتفتون اصلا
وكيف يمكن اسماعهم ولا يمكن في حقهم ما سمعوه وسواء رأيتم الدلائل لانهم
عماة وما انت بهادي العمي بمنعهم عن ضلالتهم وان كانت العماة يرتدون
الانقاذ عن الآفات لانهم يوصفون بان منها آفات ان تسمع من العماة
آفة الا من يؤمن باياتنا ولا يكفي المعرفة الغلبية بل بشرط الاذعان فهم
مسلمون منقادون لما علموه ثم انه لا وجه لليأس عن احياء البرزخ
بعد الاصفرار فان غايته انه ضعف بل لا وجه لليأس عن احياء الموتى
فان غاية الموت انه كمال الضعف ولا يعسر على الله قلب الضعف بالقوة ولا
القوة بالضعف اذ الله الذي خلقكم من ضعف اصل ضعيف هو النطفة
ثم جعل من بعد ضعف في الاطوار الى ايام البلوغ قوة في ايام الشباب
ثم جعل من بعد قوة ايام الكهولة ضعفا في ايام الشيخوخة وشيبة في ايام
الهرم ولا يمتنع عليه التقوية بالاحياء بعد ذلك في البرزخ ثم تضعيف ذلك
الجسم بنفخ الصور ثم تقويتها بالبعث لانه يخلق ما يشاء ولكن لا يجاوز حد العلم
اذ هو العليم ولا يوجب علمه العجز على خلاف المعلوم لانه القدير لكنه لا يخالف
علمه وكيف يعرفون بالبعث من الموت اليوم بدلالة احياء الارض او تقوية
الضعيف ولا يعرفون به يوم البعث فانه يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
انه ليس بعثا عن الموت بل عن النوم لانهم ما لبثوا غير ساعة وانما صرفوا
عن حقيقة البعث بعد رؤيته لانهم كذلك كانوا يؤفكون يصرفون ولا يتركون
على هذا الصرف بل بين لهم ليعلموا انهم مؤاخذون بكل ما صرفوا فيه عن الحق

في الدنيا حيث قال الذين اوتوا العلم بالحقائق من الملائكة والانبياء والعلماء
والايمان بالبعث عن الموت لقد لبثتم في القبر اكثر مما حلفتم عليه فان لم تصدقونا
فانظروا في كتاب الله الذي كتبناه بامره لتكذيبكم في هذا التعيين الى يوم البعث
فان لم تر ذلك فلكم فهذا يوم البعث وكان حقكم ان لا تشكوا فيه بعد رؤيته
ولكنكم كنتم لا تعلمون فاستمر عليكم الجهل به بعد رؤيته واذا كانوا مؤاخذين
بهذه الكلمات عن جهل فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا بالشرك او انكار البعث
او الرسالة او شيء مما يجب الايمان به معذرتهم بانهم كفروا عن جهل لانه انما كان
عن تقصيرهم في ازالته او عن عناد ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم الاعتاب
اي ازالة العتب بالتوبة والطاعة لانهما وان كانتا ماحيتين للكفر والمعاصي
فانما كان لهما ذلك في هذه الحيوة الدنيا لا غير وكيف ينفع معذرتهم او يستعتبون
بعد ازالة العذر وتمكين الاعتاب بكل ما امكن فانا لقد ضربنا بيانا للناس
كلهم في هذا القرآن الجامع المعجز من كل دليل على الامور الاخروية يجري مجرى
مثل في الظهور وليس عدم ايمانهم لبقاء عذرهم بل لافراط عنادهم فانهم
بحيث لئن جئتهم باية تكاد تلجئهم الى الايمان ليقولن الذين كفروا واصروا على
كفرهم ان انتم ايها المتمسكون بها الا مبطلون مغالطون ومنشأ هذا الطبع
الله على قلوبهم لانه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يبتغون
العلم بل يصرون على خرافاتهم المألوفة لهم واذا لم ينتفعوا بالامثال ولا
بالايات القريبة من الالجاء فاصبر عن ايمانهم الى وقت مؤاخذتهم ان وعد
الله حق كيف وترك الصبر من خفة العقل لا يستخفنك لا يحملنك على الخفة
الذين لا يوقنون اي لا يأخذون باليقين فانهم اخف الناس عقلا تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة لقمان** سميت به لاشتمالها
على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة ومعرفة ذات الله وصفاته وذم الشرك

والامر بالاخلاق والافعال الحميدة والنهي عن الذميمة ومن معظمات
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بكمالاته في آيات كتابه
المشتمل على انواع الحكمة الرحمن بجعله هدى للكل الرحيم بجعله رحمة للمحسنين
الم اي اسرار اللب المحض او اطوار اللطف المتين او ادوار اللوايح المرايا
او انوار اللوامع المتوالية او غير ذلك مما يناسب المقام تلك آيات الكتاب
الجامع لما ذكر من اتصافه بوصف الحكيم لاشتماله على كل حكمة نظرية هي هدى
وعملية هي رحمة للمحسنين الذين ربهم كانهم يرونه فهم الذين يقيمون الصلوة
حق اقامتها وانما تم ذلك لانهم الذين يؤتون الزكوة فيطهرون انفسهم عن حب
المال ثم يسري الى الطهارة الكاملة ولكمال طهارتهم هم بالآخرة هم يوقنون و
لكمال يقينهم واعمالهم اولئك على هدى عظيم من ربهم من المكاشفة والسر
فيه وعنه ولكمال ذلك الهدى فهم اولئك هم المتحلون بالكمالات الممكنة
للانسان واذا كان هذا الكتاب مفيدا لهؤلاء هدى ورحمة كانت
آياته متصفة بما ذكر ومن الناس الذين نسوا الكمالات الانسانية من يشتري
يستبدل بهذا الكتاب المفيد لاصل الكمالات الهدى والرحمة لهو الحديث
ما يلهي من الحديث عن ذلك الكتاب ليضل ليثبت على الضلال ان قرئ بالفتح
وان قرئ بالضم فمعناه ليضل غيره عن سبيل الله الموصلة للنفس الى الكمالات
التي لها عند الله اذ يبقى الضال او المضل بغير علم بما هو كمالات ومنافعها
والنقائص ومضارها واذا علم ذلك السبيل يتخذها هزوا سخرية من قلة
مبالاته بتلك الكمالات وفوائدها ولا بنقائص اضدادها ومضارها
اولئك المستهزئون بما عند الله لهم عذاب من حصول تلك النقائص
ومضارها وفوات تلك الكمالات ومنافعها مهين من استهانتهم بالنقائص
ومضارها والكمالات ومنافعها كيف وكيف استهانتهم من غفلتهم عنها بل مع
تلاوة آيات عظام تدل عليها فانه اذا تتلى عليه آياتنا الدالة على عظمة

يعبدون صح

ما عندنا ولى ظهره عنها مستكبرا على علمها الا بامل فهاهي بصر كان لم يسمعها
لا للغفلة بل لافراط العناد بحيث يصيرها نعامس السماع كان في اذنيه وقرا
ثقلا يمنعه عداوة تامة مع آيات الله بل مع الله فبشره بعذاب اليم كما يبشر به
عدو الملك اذا ظفر به وتمكن منه ونزيد في شدة العذاب كونه بدلا من جنات
النعيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم بما يحصل لهم
من تلك الكمالات ومنافعها وتندفع عنهم النقائص ومضارها وتزداد انعمهم
بكونهم خالدين فيها والخلود وان لم يكن امرا محصلا فهو في معنى الثبات لكونه
وعد الله فلا بد ان يكون حقا اذ الكذب نقص لا يتكلم به الحكيم الا عند العجز
عن الصدق لضرورة ملجئة وهو العزيز وكيف ينسب الكذب الى هذا الوعد
مع كونه بمقتضى الحكمة فلا بد ان يفي به الحكيم ويدل على عزته انه خلق السموات
مرفوعة بغير عمد اذ لو كانت لكنتم ترونها ويدل على حكمته انه القى في الارض رواسي
جبالا كراهة ان تميد تحرك بكم فيستلقكم وبث لحفظكم وللرفق بكم فيها من كل
دابة وانزلنا لحفظكم وحفظ دوابكم وللرفق بكم وبدوابكم من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج صنف من الاغذية والادوية كريم كثير المنافع ثم اشار الى
ان من كمال عزته ان له الكل اذ لو كان لغيره شيء ليعجز عن خلقه فقال هذا خلق
الله فان كان لغيره خلق فاروني ماذا خلق الذين من دونه فاذا عجزوا عن
التميز لم يكونوا في نسبة البعض الى الغير هداة بل الظالمون بنسبة البعض الى الله
والبعض الى الغير من غير هدى في ضلال مبين ولا ينفع هذا الضلال بكونه قول
القدماء ما لم نقل به حكيم لكنه لا يقوله لمنافاته مقتضى الحكمة من الشكر لله فانا لقد
آتينا من مقام عظيم جودنا رئيس الحكماء لقمان بن باعورا بن ناحور بن آزر
تكان ابن اخت ايوب او خالته وعاش الى ان ادرك داود عليه السلام
فاخذ منه العلم الحكمة استكمال النفس بالعلوم النظرية وملكة الافعال الفاضلة
بقدر الطاقة البشرية امرناه له على لسان نبي او بطريق الالهام على قول الجمهور

انه حكيم اثر الوحى على قوله عكرمة انه نبى ان اشكر لله على ما اعطاك من نعمة من
اوتيها مضادا وفى جزا كثيرا وليس هذا طلبا للعوض لتنزه المشكور عن الانتفاع
بل من يشكر فانما يشكر لنفسه باستدامة النعم واستزادتها فشكر الحكيم
استزادة من الخير الكثير ولو انتفع المشكور به تضرر بعدمه لكن من كفر فلا تضرر
الله بكفرانه لانه غنى عن المخلوقات ما يفتقر اليه ولا يلحقه الذم فان الله غنى حميد وكيف
لا يكون حكيما وهو يعلم انه ظلم عظيم فاذكر اذ قال لقمن لابنه انعم او انكم او
منكم او ماثان والابن انما يعلم الخيرات سيما وهو يعظه لا بلاعبه يا بنى صغر
اشعارا بانه انما وعظ بمقتضى الشفقة العظيمة اللازمة لصغاره اولاد
لا تشرك بالله باعتقاد الهية الغير او اتصافه بالصفات الازلية او استحقاقه
للعبادة ولم يقل شيئا لئلا يتوهم تجويز شرك ما لا يسمى شيئا ان الشرك باى وجه
كان لظلم فان اعتقاد الالهية ما ليس بواجب الوجود بالذات واتصافه بالصفات
الازلية وضع العابد موضع المعبود ولكونه ظلما عظيما لا يطاع فيه من جعله
الله تلوه فى الشكر الذى فوق الاطاعة فانا وصينا الانسان امرناه امرا
مؤكدا بوالديه باطاعتهما سيما الوالدة لانه حملته امه تحمل وهنا على وهن
ضعفا فوق ضعف الى الوضع ولا يزال كذلك تتعب بالسهر ليلا ونهارا مدة
رضاعه الى اوان فطامه وفصاله فطامه فى اخر عامين فامرناه ان اشكر
لى نعمة الايجاد وغيرها ولوالديك نعمة التربية ليس ذلك من الشرك فى الشكر
اذ الى المصير لشكرهما اذ كان بامرى ومع امرك باطاعتهما وشكرهما على سبيل
التاكيد ان جاهداك فاتلاك على الزامك ان تشرك بى فانه وان لم تظهر
لك كونه ظلما عظيما يكفى فيه انه اشراك ما ليس لك به بشركه علم فان الحكم بالجهل
بمثابة اصل هذه الامور كاف فى الظلم فيها وان امرت بطاعتهما فى كل شىء
فلا تطعهما فيه وان لم يسقط اطاعتهما فى سائر الامور ولذلك صاحبهما فى
امور الدنيا صحابا معروفا ما يقتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع فى امور الدين

الكلام

عظيم صح
للادنى موضع الاعلى واستبداد
استحقاقه للعبادة تسوية
بين من لم ينعم بشىء وبين المنعم
بكل شىء بل هو ايضا وضع
صح

سبيل من اناب الى رجع الى عن كل ما سواى فانه هى العلوم والمعارف نعماته
ذلك انكم منغمسون فى ذلك ابا ما ثم تذهب نعمكم اذ الى مرجعكم فان لم تتعبوا فى
الدنيا فاذا رجعتم الى فانبئكم بما كنتم تعملون يا بنى كيف تحمل الظلم العظيم فى حق من
يجازى على الذرات كلها انها اى الخصلة التى يا بها الانسان من اساءة
او احسان ان تك صغيرة بحيث لو كانت جسما كانت مثقال وزن حبة واحدة
من خردل فتكن فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او فى اعلى الاماكن كجوف
السموات او فى اسفلها كمركز الارض ياتها الله يحضرها للمحاسب عليها ان الله لطيف
ينفذ علمه وقدرته فى كل شىء خبير يعلم كنه الاشياء فلا يعسر عليه يا بنى اذا كان
الله مجازيا على الذرات فاقم الصلوة الشاملة جميع اعضائك ظاهرا وباطنا
لانها جامعة لكمالات ولتكميل الخلق وامر بالمعروف وانه عن المنكر سيما فى
باب ما فعال ربى باب ما خلاق اصبر على ما اصابك وراء الضرر فى الصلوة
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ان جميع ذلك من عزم الامور التى لا رخصة
فى الاخلال بشىء منها لانها حقوق الله وفى حقوق الخلق لا تصعر لا تمل خدك
للناس بقولة صفحة وجهك عنهم بحيث عليهم ولا تمش فى الارض مرحا خيلا نهان
وان كانا من حقوق الخلق فالله تعالى يكرههما ان الله لا يحب كل مختال ولو
المشى مرحا فكيف يحب كل فخور حتى يتصعير الخد للناس ثم اشار الى تسوية
افعال العادة بقوله واقصد توسط بين الاسراع والدبيب فى مشيك و
اغضض انقص من رفع صوتك فانه قبيح بالرفع حتى نكر الناس انكارهم
على صوت الطيران انكر الاصوات لصوت الحمير وكيف يرضى الانسان بان
الحمار وهو جعل فوق المخلوقات كلها الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات
من الملائكة والكواكب وما فى الارض من المعادن والنبات والحيوان و
جعلكم جامعين لاسرار ذاته وصفاته وافعاله واسرار العالم اذ اسبغ اكمل
عليكم نعمه ظاهرة من الحواس الظاهرة ومحالها ومحسوساتها وباطنة من الحواس

ياتِ صح

در السموات

الباطنة وهو محاسنها والعقل والمعقولات والروح والقلب والسر والخفي والاخفى
فعل ذلك لتعرفوا حق معرفته وتتوجهوا اليه وتزدادوا الكمالات ولكن من الناس
الذين نسوا مرتبتهم وانعامات الحق عليهم من نزل الى ادنى من رتبة الحمار اذ
يجادل في الله ذاته او اسمائه او صفاته او افعاله بغير علم دليل عقلي ولا هدى
دليل كشفي ولا كتاب منير للعقل والكشف وليس ذلك لتقليدهم الكتاب او
معلمه بل مع وجدانهم بحيث اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في معارفه واحكامه
فانه اعلم بذلك كله وقد بيناها في كتابه المعجز الجامع بين العقل والكشف قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فرجحوا تقليدهم على الدلائل العقلية والكشفية
وعلماؤهم للبصر بمنزلة نور الشمس من غير اطلاع على حال من قلدوهم أيتبعونهم
ولو كان الشيطان الذي هو عدوهم يدعوهم الى اعتقادات واعمال هي اسباب
العذاب كأنه يدعوهم الى عين عذاب السعير وان زعموا ان الذي يأتيك
بالوحي هو الشيطان يدعوك الى عذاب السعير قال ليس في دعوته ما يفضي الى
العذاب اذ حاصلها اسلام الوجه لله والاحسان ومن يسلم وجهه يخلص
بجهه في العبادة الى الله ولا يمنع منه توجهه في الظاهر الى القبلة اذ هو محسن
ناظر الى الله لا الى القبلة فقد استمسك بالعروة الوثقى الحبل الوثيق الموصل
الى الله المانع من السقوط في النار وهو خلاف دعوة الشيطان ولا يمنع منه
عدم التفاته الى الشركاء لانهم لو كانوا موثرين فانما يوثرون باذنه اذ الى الله عاقبة
الامور فلا يمكنهم من التاثير فمن اسلم وجهه اليه وهو محسن ومن كفر فيعلم ان
لا رجوع الى الله وانه مستقل بالتاثير فله ان يمنع من التمسك بالعروة الوثقى لمن
تمسك بدنه فلا يحزنك كفره اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة وكفره بالرجوع لا يمنعه
من الرجوع بل الينا مرجعهم وكيف لا يرجعهم الينا وقد كفروا بنا وقصدوا
اضلال عبادنا وفعلوا معاصي فيما بيننا وفيما بينهم ومن اخوانهم فننبئهم
بما عملوا من الاعمال الظاهرة والباطنة ان الله عليم بذات الصدور وليس تمتعنا

وبينهم

اياهم من جهلنا بحالهم بل لعدم التفاتنا اليهم اذ نمتعهم قليلا بمقتضى عموم رحمتنا ثم
لما زادهم طغيانا وكفرا نصر عليهم بكل ذلك نضطرهم ابطالا لدعوتهم الاستقلال
الى عذاب غليظ لا تحتمله قواهم وكيف لا نضطرهم الى عذاب غليظ على دعوتهم مقاومة
خالق السموات والارض بعد اعترافهم بعجزهم عن خلقها فانك لئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله اذ لا يمكنهم القول باستقلال الغير ولا مشاركته
في خلقها قل الحمد لله على اعترافكم بعجز ما سواه عن خلقها ومنه يلزمكم الاعتراف
بالتوحيد ولكن لا يلزمهم منه بل اكثرهم لا يعلمون لزومه وان زعموا ان الشركاء انما لا يقدرون
فيما هو ملكه واما ما يملكونه فهم يقدرون منه قال لله لا لغيره ما في السموات والارض
لانه كما هو خالقهما خالق لما فيهما ولا ينقص الاشتغال عن ملكه لانه اما بالبيع وهو بالحاجة
لكن لا حاجة لله ان الله هو الغني او بالهبة النافلة وهي انما تكون لطلب الحمد لكنه
الحميد بدون الهبة النافلة لملكه بل يكفي له تسخيره العبد وتسليطه عليه وبذلك
سمي وهابا وان زعموا انه وان لم يحتج الى نقل الملك فهو يحتاج في ايجاد الاشياء
الكثيرة الى الشركاء لانه وان اوجدها بكلماته فكلماته محصورة والاشياء لا تنحصر
قال ان كلماته ايضا لا تنحصر بحيث لو فرض ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر مداد يمده من بعده اي بعده من بعد نفاد مائه المفروض مدادا سبعة
ابحر واحدا بعد واحد فكتب بها كلمات الله حتى نفدت وانكسرت الاقلام ما
نفدت كلمات الله التي بها اوجد الاشياء اذ لو نفدت بطلت غلبته على بعض
الاشياء وصارت للغير لكنها لا تبطل ان الله عزيز وكيف يبطل عزته وهو حكيم
والحكيم لا يرضى بطلان عزته ولو فرض ان كلمة الله واحدة فلا حاجة الى الغير
ايضا لانه ما خلقكم ولا بعثكم بالنسبة الى كلمته الواحدة الا كنفس واحدة اوجدت
الكلمة الواحدة فلذا اوجد الكل بها فاتنا خروجهما الى وفات وجودهما و
خصصت باوصاف مخصوصة بحسب ما سمع من دعا حقائقها وابصر من استعدادها
ان الله سميع بصير والايجاد في ازل وبالعكس وقد يجب نظره الم تر ان الله

لما ياخر وجوده
ليس باعدم واد خال
الابد في الازل صح

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقد وجد ايضا ما يشبه يكونه في الازل
ويتاخر وجوده الى ما يشبه الابد فانه سخر الشمس والقمر يوم خلق السموات
واستمر تسخيرها الى يوم القيمة اذ كل يجري الى اجل مسمى ولا يبعدان يقول في
الازل لشيء كن في وقت كذا ثم يوجد بذلك الايجاد في ذلك الوقت وغايته انه
يتوقف على العلم بالشيء وبوقته وقد علمت ان الله عليم بكل شيء حتى الجزئيات الزمانية
المنسوبة الى الخلق فانه بما تعملون خبير ذلك اى علم الطول الجزئيات الزمانية من غير
تغير في علمه بان الله هو الحق فيكون علمه حقا بان الشيء الفلاني موجود في الوقت
الفلاني وان ذلك الوقت موجود قبل الوقت الفلاني وبعد الوقت الفلاني
فلا يختلف باختلاف الازمنة وانما يختلف في حق الغير لتغيره بحسب الازمنة من
بطلانه في نفسه حتى انما يدعون من دونه الباطل وكيف يكون زمانيا مع ان
الله هو العلي فلا يكون فوقه ما يحيط به بل لا يحاط بجانب من جوانبه لو فرضت
له جوانب لانه الكبير ثم غاية امر الزمان انه يشتمل على فيوض الحق يوصلها الى اهلها
في كل وقت مثل النعم التي يشتمل عليها الفلك الم تر ان الفلك تجري في البحر الذي ناسب
بحار الجود الالهي بنعمة الله المناسبة لفيضه الازلي ليريكم من اياته ان في ذلك
لايات تدل على ان الدنيا كبحر السفر وان الاخرة كمنتهاه وان الناس على سفن
الاعمال وانها امتعة وان افعال الله يترتب بعضها على بعض لكل صبار ينتظر
لكل فيض وقته شكور بان كل فيض يمكن في كل وقت قد حصل بكماله فيه ومن اياته
الفلك الدالة على التوحيد فانه اذا غشيهم عظائم موج كالظلل اى الجبال والسحاب
دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم انه لا قدرة للغير على الانجاء من الغرق فلما نجيهم
من الغرق واوصلهم الى البر فمنهم مقتصد اخذ بالصراط المستقيم لا يتجاوز وما
يجحد باياتنا التي من جملتها الانجاء من الغرق بدعوة الله على اخلاص التوحيد الا
كل ختار ناقض العهد كفور لكل نعمة حتى نعمة الانجاء يا ايها الناس الذين نسوا العهد
والنعم والايات اتقوا ربكم الذي نجاكم مما خوفكم من غشيان الموج في البحر واخشوا يوما

اشد من يوم غشيان الموج لانه لا يجزي فيه والد عن ولده مع افراط شفقته عليه
بحمل شيء من معاصيه او اعطاء شيء من طاعاته ولا مولود هو جاز فيه عن والده
شيئا وان وجب عليه شكره ومثل اليوم وان لم يكن مجهودا فلا يمنع الخوف منه
لانه موعود من الله ان وعد الله حق لكن يمنع من النظر فيه الاشتغال بالحيوة الدنيا
اوبشبهات الشيطان الملقي لها في الله وما يتعلق به فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان ومن غروره انه يلقي الشبهة في القيمة بانها مجهولة الوقت
ولو وجبت لعلم وقتها فقال يكفي في وجود ساعة علم موجدها ان الله عنده علم
الساعة وله نظر اذ ينزل الغيث في وقته بعلمه من غير ان يعلم بوقته وكيف يشترط
العلم بوقت الشيء مع ان غايته انه من صفات الشيء وكثيرا ما لا يعلم صفات الشيء مع
العلم بحقيقته فلا يعلمها الا من وصفها للملك يعلم ما في الارحام وكيف يعلم الساعة
وهو من الافعال المستقبلة بل وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وان وجب
ان يعلم الفاعل ما يفعله اختيارا فكفى فيه سبقه بزمان لطيف وقد لا يعرف
النفس حال صفاته كالمراح سفره فلا يعرف متى يموت بل ما تدري نفس باي ارض
تموت وكل ذلك لان المخلوق لا يحاط يحيط علما بالاشياء وانما يجب ذلك في حق
الله تعالى ان الله عليم بظواهر الاشياء خبير ببواطنها تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله
اجمعين **سورة السجدة** سميت بها لان اية السجدة تدل على ان
ايات القران من العظمة بحيث تخر وجوه الكل بسماع مواعظها وتنزه منزلها عن
ان يعارض في كلامه ويشكر على كمال هدايته وهذا اعظم مقاصد القران
بسم الله المتجلي بربوبيته الكلية في كتابه الرحمن بتنزيله الرحيم بازالة
الريب منه الم اى افاضة لطف محيط او اضاءة لامع مقيم او انعام لب مكين
او اعظام لوائح المنن تنزيل الكتاب الذي هو اللطف واللامع واللب والجامع
للوائح وانما اتصف بها لانه لا ريب فيه فلا يمازج لطفه خذلان ولا لامعه ظلمة

ولا لبه قشر ولا لوائحه خمار وانما كان محيطا مقيما لكونه جامعا للمعنى لكونه من رب
العالمين المحيط ربوبيته بالكل المقيم ربوبيته من مراتب الى مراتب التمكين من التصرف
في الكل اللائح نور اسمائه في الكل وحمل التنزيل على الافاضة ظاهر واما على ارادة
فلان الكتاب انما اضاء القلوب حين نزل من عالم الغيب الى عالم الشهادة
وبه صار انعاما للكل ولوائح المعنى وان كانت قبله فانما عظمت بانزاله ازيد دون
في كونه منه ام يقولون افتراه لا وجه لذلك مع اتصافه بما ذكر بل هو الحق الثابت
كونه منه بحيث لا يزول بشبهه لانه لما كملت فيه تلك الصفات علم كونه من ربك
الذي هو اكمل الاسماء الالهية انزله على اكمل مظاهره بحجة التكميل وهو في حق
المكلفين بالانذار عن النقائص فكان انزاله عليك لتنذر قوما عن نقائص لا نعرفها
لانهم ما اتاهم من نذير من قبلك اذ لم يحتج اليه لغاية كمالك فانه يرجى منك وحدك
التاثير بالتكميل لعلهم يكملون اذ يهتدون وكيف ترك تكميل الانسان القابل
لجميع الكمالات ولم يترك تكميل سائر الموجودات اذ الله بمقتضى اسمائه هو الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام على عدد الاصناف الكلية الملك والفلك
والكواكب والمعدن والنبات والحيوان ثم استوى باسمه الرحمن على العرش ليرحم
الموجودات بتكميلها بما نقص منه فكان خلقها في مدة قريبة وتكميلها في مدة مديدة
واكمل ما افاض منه هذا الكتاب ليرحم به اكمل الموجودات وهو الانسان في الغاية
كمالكم ما لكم من دونه من ولي ولو واليتم من دونه نزلتم عن رتبتكم نزولا لا يمكن التدارك
بعده اذ لا يكون لكم حينئذ من شفيع يتبدلكم من النور بما جعلكم في مرتبة الانسان
انسيتم رتبتكم نسيانا كليا فلا تتذكرون وانما احتاجت الاشياء النازلة
منه الى مراتب الكمال لانه يدبر الامر امر الموجودات بتنزيلها من السماء الى الارض
لاظهار نقائصها في ذواتها ثم يعرج بالذي تم فيه التدبير اليه بظهور كمالاته فيه في
يوم كان مقداره الف سنة لانها لا تزال يعرج من كمال الى اخر حتى ينتهي في منتهى
المدة الى غاية لسرعة ذهابه اليه اذ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه



واما التي لم يتم فيها التدبير فمنها ما يكون عروجه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
وللاحتراز عن نسبة هذا اليوم قال مما تعدون ثم هذا الانزال والعروج تتم امر
الغيب والشهادة فلا يترك الله اذ ذلك عالم الغيب والشهادة على ان عزته تقتضي
التنزيل ورحمته العروج وهو العزيز الرحيم ثم ان عزته قد تقتضي الاعزاز لذلك
هو الذي احسن كل شيء خلقه ورحمته قد تقتضي اعزاز الاشياء الذليلة لذلك لم
نزل هذا الاعزاز بعد الاذلال في نفسه اذ بدا خلق الانسان ادم من طين
ثم لم نزل هذا الاعزاز بعد الاذلال في نسله اذ جعل نسله من سلالة اي مما ينسل
وينفصل منه فيكون فضلة وهو من الذل على انه من ماء مهين ثم ابتدا عزته اذ
سواه عدل مزاجه فصوره صورة انسان وكمل اعزازه اذ نفخ فيه من روحه
الانسب له في التجرد وزاد تكميله اذ جعل لكم السمع افرده لان المسموع شيء واحد
وهو الصوت والابصار المدركة للمحسوسات والافئدة المدركة للمعقولات
فهذا التكميل بعد النقص اعزاز بعد الاذلال بمقتضى الرحمة الموجبة للشكر لكن
قليلا من الشكر ما تشكرون وقالوا عدل الى الغيبة لعدم بقاء اهلية خطاب
الحق عند اختيار البهيمية اذ كان بعد رؤية هذا التكميل للطين والماء المهين
ائذا ضللنا في الارض فالتبس اجزاؤنا باجزائها بعد ما صرنا ترابا ائنا لفي خلق
جديد فاي حاجة لنا الى شكر من لا يرجع لنا اليه فليس هذا انكارا بالحشر الجسماني
وحده بل هم بلقاء ربهم بالطريق الروحاني ايضا كافرون قل لا وجه لانكار اللقاء
الروحاني اذ يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ليقبض ارواحكم فيرجع بها الى ربكم ففي
كل حال انتم تموتون ثم الى ربكم ترجعون فلو تركتم شكره وانكرتم لقاءه نكستم رؤسكم
عنه ولو ترى ايها الرائي المجرمين ناكسوا رؤسهم عند ربهم لشق عليك امرهم فكيف
عليهم لذلك يقولون ربنا ابصرنا لقاءك وجزاءك وسمعنا تصديقك للرسل
ونحن على الكفر وترك الامر بالمعروف واتيان المنكر فقد حصل لنا الايمان
ولكن بقي علينا الشكر لكن هذا ليس مكانه فارجعنا الى مكانه نعمل صالحا نظهر به نعمك

المجرمين اذ
صح

الى خلقت له ليكون شكرا ولا يذهب منكم الوجع ايمانا انا موقنون مستمرون عليه
فيقال لا عمل بعد هذا ولا عبرة بالايمان بعد رؤيته ولو شئنا رددناكم الى مكان
العمل او قبول الايمان بعد لم نقسمكم الى مؤمن صالح وكافر طالح بل لآتينا من اول
الامر كل نفس هداها ايمانها واعمالها ولكن لم نؤته اكثر النفوس لانه حق ثبت
القول منى بمقتضى جلالى من اظهار القهر الدال على غاية عظمتى لاملان جهنم من الجنة
والناس المضلين والضالين اجمعين مجتمعين ليزداد كل عذابا بعذاب
صاحبه او رؤيته او مشاهدته او معاينته وليس ذلك منى ابتداء بل من نسيانكم فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم الذى يظهر فيه معانى اعمالكم هذا الكاشف عن السرائر ولا عجب
دعوتكم انا نسيناكم وتركناكم ترك المنسى جزاء على نسيانكم ولا نقتصر على عذاب
اليوم المنسى بل ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من المعاصى الفرعية
التى استحقيتم بها فصارت كفروع الكفر المتاصل وكيف لا تخلدون مع انكم لو
اخرجتم فكان غاية هذا انه آية وانتم لا يؤمنون باياتنا لاستكبارهم سيما اذا
ذكرتم بها انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا وعظوا بها خروا واسقطوا سجدا
ملصقين وجوههم بالارض تذللا لربهم ولآياته اذ سبحوا اى نزهوا ربهم من ان
يعارض فيها فدل ذلك على تنزيهه عن الكذب فيما ذكر فيها بحمد ربهم على تذكيرهم
بها وكيف يستكبرون على الله وآياته وهم لا يستكبرون على شئ وكيف يستكبرون مع
اصرارهم على التذلل اذ تتجافى تتباعد جنوبهم المتنعم بالفرش والنسوان عن
المضاجع لاخلالها بتذللهم الذى يحرصون عليها اذ يدعون يعبدون ربهم
وهو تذلل وقد يتاكد من وقوعه خوفا وطمعا اذ هما مذللان ولكن اسهم اللذات
المنافية لتذللهم مما رزقناهم ينفقون قطعا لمادة الشهوات وخروجا عن محبة
ما سوى الله واذا آثروا جناب الحق لم يفتهم شئ من اللذات بل زادت لذاتهم
على لذات الشهوات فلا تعلم نفس من اهل السموات ولا من اهل المكاشفات
ما اخفى لهم من قرة اعين من رؤيته وجهه ووجوه انعامه واحسانه جزاء بما

كانوا

كانوا يعملون من هذا التذلل المؤثر على الشهوات كلها وكفى بفوات ذلك عذابا
للكفار لو اخرجوا من النار لكن لا يفعل ذلك لمخالفته الحكمة. آخرجهم من النار
وجعل عذابهم فوات ما ذكر مع انه يفوت عوام المؤمنين افمن كان مؤمنا لم يؤثر جناب
الحق على كل ما سواه وان عمل الصالحات كمن كان اخرج من النار اخراج من
كان فاسقا مع ان الحكمة تقتضى التفرقة بينهما كما تقتضى التفرقة بين المؤمن الصالح و
المؤمن الفاسق فكيف لا تقتضى التفرقة بين المؤمن الصالح والفاسق المطلق فى
كل حال لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكن لم يبلغوا مبلغ اهل
الكمالات فلهم جنات المأوى التى ياوى اليها عامة المؤمنين لكونها نزلا لهم بما
كانوا يعملون من المساعى الظاهرة دون الاحوال والمقامات واما الذين فسقوا
فمأويهم النار لكونها نزلا لهم فان كانوا فاسقين على الاطلاق فلا خروج لهم بل
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم كيف تخرجون خروج الفاسق
المؤمن بل ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون على الابد فوق ما ذاق الفاسق
المؤمن من مدة معدودة وكيف يتخلصون بعد العذاب الاخروى وهو اكبر
مطلقا ولا يتخلصون بعد العذاب الاكبر الدنيوى ولكنهم لما لم يؤمنوا بدون رؤية
العذاب لنذيقنهم فى الدنيا شيئا من العذاب الادنى كالقتل والاسر والقحط سنين
دون العذاب الاكبر اى نجاوز عنه اذ لا يقبل الرجوع بعده وقد طلبنا منهم
الرجوع لعلهم يرجعون وان لم يبالوا لهذا العذاب الادنى لان غايته انه
آية منذرة لعذاب الآخرة فمن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فهو
يستحق العذاب الاكبر الذى لا تخلص بعده انا من المجرمين وان لم يبلغوا حد
الاظلم منتقمون بالعذاب الاكبر فكيف نترك انتقام الاظلم وكيف نترك هذا الانتقام
مع انا لقد آتينا موسى الكتاب متضمنا لهذا الانتقام ثم صدقناه بهذا الكتاب
المعجز فلا تكن فى مرية من لقائه اى لقاء هذا الانتقام وكيف يكذب ما فى ذلك
الكتاب وقد جعلناه هدى لبنى اسرائيل الذين هم خواص عباد الله والذين

كافرا

مدينا منهم بهم اخص اذ جعلنا منهم ائمة يهدون الخلايق يعرفونهم بامرنا الشان
ذاتنا وصفاتنا وافعالنا واحكامنا ويدلونهم على خصيصيهم بذلك انهم امامنا لولا
تلك الرتبة لما صبروا على استخراج دقايقه والعمل به وانما يتيسر لهم ذلك لانهم كانوا
بآياتنا يوقنون ولكن ليس جميعهم موقنين حتى الذي يختلفون فيه فان لم يفصل
بينهم ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون أينكرون في ذلك
الفصل في اليوم الموضوع له ولم يهد لهم نظيره الدنيوي وهو انا كم كثيرا اهلكنا من
قبلهم فصار معتبرا عليه لهم لا من الاحاد بل من القرون لا في الطريق ولا في
البحر بل حين الغفلة الكلية حين يمشون في مساكنهم فلا يبعد عليه المواخذة الاخروية
بالغفلة ان في ذلك لآيات على صدق الرسل والغضب الالهي والانعام الاخروي
أينكرون وقوعه لعدم رؤيتهم اياه افلا يسمعون ما تواتر من اخبارهم أينكرون
الهلاك الاخروي لانكارهم البعث اذ لا قابل للروح فيهم بعد تفتتهم اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز المقطوع نباتها فلا يبعد علينا ان نطيب ابدانهم
بسوق الماء المنزل من العرش عليها فنخرج به ابدانهم من القبور كما نخرج بالماء زرعا
كيف وغاية ما في اخراج الزرع انه تاكل منه انعامهم وانفسهم والحكمة في اخراج
الابدان اقامة العدل والظهور بالجلال والجمال على نهج الكمال أينكرون منع
الحكمة افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح فتح الارض عن نبات ابدانهم ينبؤا
لنا ان كنتم صادقين فانكم لو اطلعتم على وقوعه بالغيب لعلمتم وقته ووقوعه ايضا قل
من الغيب ما يخفيه الله على اهل الكشف وربما يمنعهم من افشائه الى العامة وانتم
لو علمتم وقته اخرتم الايمان اليه والى ظهور علاماته لكن يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا فعله ايمانهم فيه ولا هم ينظرون للايمان عند ظهور علاماته واذا وقفوا
ايمانهم على مجيء ذلك الوقت بعد هذا البيان فاعرض عنهم وانتظر مجيئه انهم
منتظرون مجيئه وان اتاهم من الدلايل ما لا يحصى تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الأحزاب

سميت بها لان قصتها معجزة رسول الله صلى الله
عليه وسلم متضمنة لنصره بالريح والملئكة بحيث كفى الله المؤمنين القتال وقد
ميزتهم بين المؤمنين والمنافقين وهذا من اعظم مقاصد القرآن
بسم الله المتجلي بجمعيته في نبيه الرحمن بالامر بالتقوى والنهي
عن مطاوعة الاعداء الرحيم بتخصيصه بالوحي يا ايها النبي ناداه ليتقبل الى
فهم ما خوطب به والعزم على تحقيقه وعبر عنه بالمبهم تعظيما لشانه ثم فسره بما يشعر
بالتعظيم لتوهم الجمع بين المنافقين مع استقرار تعظيمه في النفوس اى يا من نبئ
بالحقايق فارتفع شانه اتق الله اجعل الله وقاية عظمتك ومقتضى ما نبئت وانما
تم تقواه بترك محبة اعدائه فضلا عن اطاعتهم ولا تطع الكافرين والمنافقين
وان حسنت عندك دعواتهم وكيف لا ينبغي من احاط علما بالاشياء ويراعي مقتضى حقايقها
ان الله كان عليما حكيما ومقتضى حقيقة المحب عداوة عدو المحبوب ومقتضى حقيقة
المحبوب ابتلاء المحب بما يظهر صدقه عن كذبه روي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر
الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود وبايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم
جانبه ويتجاوز عن قبايحهم فنزلت ولكنه عليما حكيما اتبع حتى في تقواه وعداوة
اعدائه لئلا يقع في افراط او تفريط ما يوحى اليك بهما وهو من ربك الذي
رباك باوامره ونواهيه بحسب تأثير الاعمال بالخير والشر ان الله كان بما تعملون خبيرا
مطلعا على بواطن اسراره ولا تترك متابعة الوحي مخافة احد بل توكل على الله وكفى
به اذ كفى لمن يتوكل عليه بالله وكيلا يدفع عنه ما يخافه وكيف يترك متابعة الوحي
لقول الكفار مع انهم ربما يفترون على صريح المحال كالشرك ومن ذلك قولهم ان
اللبيب الاريب له قلبان وادعى ذلك لنفسه ابو معمر او جميل بن اسد الفهري
فانهزم يوم بدر واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فكلمه ابو سفيان فقال
ما ظننت الا انهما في رجلي فكذبهم الله تعالى بقوله ما جعل الله لرجل وان بلغ ما بلغ من
الكمال من قلبين يتصرفان في جوفه وان جعل في ظاهره عينين واذنين ويدين

ورجلين اذ لو تعدد لزم تعدد ما هو الاصل في الانسان فان اتفقا كان احدهما
زائدا فلا يفتقر اليه والاصل لابد وان يفتقر اليه فيكون مفتقرا اليه وغير مفتقر اليه
معا وان اختلفا لزم ان يكون باحدهما عالما بشيء ومريدا لشيء وبالآخر جاهلا بذلك
الشيء وكارها لذلك الشيء وجعلهم الزوجة في الظهار اما فقال وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن اي تقولون لاحديهن انت علي كظهر امي والاصل البطن
الا انهم لم يذكروه لمقاربة الفرج وكانوا يكرهون اتيان المرأة من قبل الظهر لزعمهم
انه يوجب كون الولد احول فشبه بالظهر ثم اضيف الى الام تغليظا امهاتكم لا حقيقة
لاستحالة كون المرأة الواحدة والدة غير والدة لشخص واحد ولا مجازا الا ان الام
مخدومة تخفض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة كالمملوكة يتصرف فيها بالفراش
وغيره فيكون مخدومة غير مخدومة معا وجعلهم الدعي وهو المتبنى ابنا فقال وما جعل
ادعياءكم ابناءكم حقيقة لاستحالة ان يكون الواحد مخلوقا من نطفة شخص غير مخلوق
منها واما المجاز وهو كونه محل الشفقة والرحمة فلا يلحقه احكام المعنى الحقيقي من تحريم
تزوج امرأته او بنته وتوريثه وكيف يلحق احكام المعنى الحقيقي بالمجاز مع ان
ذلكم قولكم لا عن الواقع في القلب من صورة ذلك المعنى الحقيقي الذي في الواقع
بل بافواهكم والحكم انما يتعلق بالشيء باعتباره في الواقع اذ الله يقول الحق وكيف
يوقع الالتباس بين المعاني الحقيقية والمجازية وهو يهدي السبيل للاحتراز
عن تبعة احكام البنوة من التوريث وغيره ادعوهم منسوبين لآبائهم هو اقسط
اذ لا ظلم فيه بجعل شيء من نصيب واحد لآخر فهو مرضي عند الله فان لم تعلموا آباءهم
فاخوانكم في الدين ومواليكم اولياؤكم فيه فقولوا يا اخي ويا مولاي فانه نظهر
هذا التاويل فيه لا يمكنهم اخذ الارث بالاخوة او الولاء ولا ينسبوهم الى من تبناهم
فانه لخفاء هذا التاويل فيه قد يفضي الى اللبس وربما ينتهي هذا فيدعي الارث
وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به بنسيان او سبق لسان وان افضى الى الذي
قد ادعاه ولكن محل المؤاخذة ما تعمدت قلوبكم فامرنا لا لسن بالنطق لكونه

وكان الله غفورا
لما لم يتعمد به

رحيما ومن المجاز ما يلحقه حكم الحقيقة لوجود ما يقتضيه فيها في المجاز كابوة النبي
صلى الله عليه وسلم تقتضي حكم الابوة الحقيقية في الحرمة اذ النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم اذ انفسهم يامرهم بكل شر وفساد ويمنعهم عن كل خير وصلاح
والنبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن كل شر ويامرهم بكل خير كالاب للطفل فيلحقه
حكم الاب في الحرمة ولذلك ازواجه امهاتهم اذ امرأة الاب انما حرمت
لحرمته والنبي صلى الله عليه وسلم اتم فيها ولكن ليس له حكم الاب في التوارث
اذ ليس باعتبار الحرمة بل باعتبار القرابة لذلك واولو الارحام بعضهم اولى
ببعض اي احق بميراثه في حكم كتاب الله بخلاف ميراث الداعي من المؤمنين
والمهاجرين الوارثين بحق الحرمة فانما يثبت عند عدم ذوي الارحام
وهذا في كل وقت الا وقت ان تفعلوا الى اوليائكم من المؤمنين معروفا
وهو التوصية التي لا تزيد على الثلث او بجزء الورثة فانه وان خالف ما ذكر
من الحكم كان ذلك ايضا في الكتاب مسطورا واذكر لمن انكر كون النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ان يامروا امتهم
بكل خير وينهوهم عن كل شر بمقتضى الشريعة العامة ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم بمقتضى شرائعهم الخاصة واخذنا منهم ميثاقا غليظا
موكدا باليمين وعلى الامم او امرهم ونواهيهم ولم يكن هذا الميثاق والتغليظ
بلا عاقبة بل ليسأل الصادقين من الانبياء والمؤمنين عن صدقهم صدق
تبليغهم واعتقادهم واعمالهم فيجازيهم بحسب ما ظهر منهم واعد للكافرين عذابا
اليما فمنهم من يدخل النار بلا سؤال اذ لم يكن شبهة ومنهم من يسأل لمكان الشبهة
لكنها لما كانت في مقابلة الحجة القاطعة لم يكن مانعة من التعذيب يا ايها الذين
آمنوا بامور الآخرة كرفع درجات الصادقين بعد انجائهم من الاهوال
واهلاك الكافرين اذكروا نعمة الله عليكم المشابهة نعم الآخرة المرتبة على
الصدق في وفاء الميثاق اذ جاءتكم جنود من احزاب قريش وغطفان و

وقريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا تقلع اوتادهم
وتقطع خيامهم وتطفي نيرانهم وتكفي قدورهم وتجيل خيولهم وكانت ريح الصبا
باردة في ليلة شاتية وجنودا من الملائكة لم تروها وانما رآها الاعداء حين
كبروا في جوانب عسكرهم حتى قال ساداتهم النجا النجا فقد بدا محمد بالسحر فانهزموا
من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وسائر اسباب الحرب
بصيرا فعلم انه لا كفاية فيه اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل
المشرق وهم غطفان ومن اسفل منكم من قبل المغرب وهم قريش وليس معكم
ما يكفي الجانبين والتحصن لا يفيد اذ زاغت الابصار مالت عن مستوى
نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر منتهى الحلقوم لان الفزع
ينفخ الرية فيرتفع وبارتفاعها يرتفع القلوب وتظنون بالله الظنونا انواعا
من الظنون فمنكم من يظن ان الله منجز وعده في اعلاء دينه ومنهم من يخاف
الامتحان فيخاف الزلل وضعف الاحتمال هنالك ابتلي اختبر المؤمنون
ليتميز الثابت عن المتزلزل والمؤمن من المنافق وزلزلوا من الفزع زلزالا
شديدا وازداد زلزالهم اذ يقول المنافقون معتب بن قشير والذين في
قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا محمد فارس والروم وزعم انه وعده الله
ورسوله الا غرورا اذ لا يفيد احسان بشر لعلماء فرقا وازداد فرقا ازداد
اذ قالت طائفة منهم اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب يا اهل المدينة
لا مقام لكم للقتال فارجعوا الى بيوتكم ويستاذن للرجوع فريق منهم بنو حارثة
وبنو سلمة النبي الذي يثبتهم بانه ابتلاء وعاقبته النصر يقولون ان بيوتنا عورة
غير حصينة وكذبوا اذ كانت حصينة وما هي بعورة ان يريدون ما يريدون بهذا
العذر الكاذب الا فرارا عن القتال لا التقوي بالبيوت ولو دخلت عليهم حيث
بيوتهم محصنة عليهم في مكان القتال من اقطارها جوانبها فامنوا العدو من
كل جانب ثم سئلوا الفتنة الردة وقتال المسلمين لآتوها اعطوها من طيبة

بالخندق

قلوبهم وما تلبثوا بها وما توقفوا باعطائها الا يسيرا بعدد السؤال والجواب و
يدل على امانهم الفتنة بلا تلبث نقضهم العهد فانهم لقد كانوا اي بنو حارثة وبنو سلمة
عاهدوا الله من قبل حين هموا ان يفشلوا يوم احد فانزل الله فيهم ما انزل
لا يولون من بعده الادبار وكان عهد الله مسئولا يجازى عليه فكيف ينقضه
فرارا فان زعموا انه يحتمل هذا الضرر لاجل لاجل الحياة العاجلة من الفرار
قل لن ينفعكم الفرار نجاة ولا حياة ان فررتم من الموت حتف الانف
لو قدر في ذلك الوقت او القتل في البلد لو قدر في ذلك الوقت وان ينفع
اذا لا تمتعون بالحياة الدنيا الا قليلا لا عشية لغفلته الى نفع الشهادة
على الابد فان زعموا ان بيوتهم عاصمة عن الموت او القتل قل من ذا الذي
يعصمكم يمنعكم من ارادة الله ان اراد بكم على الفرار سوءا معاقبة
او اراد بكم على القتال رحمة ظفرا وغنيمة وثوابا اخرويا ولو ارادوا من
دون الله دفع سوء او تحصيل رحمة لا يجدون لهم من دون الله وليا
يحصل لهم الرحمة ولا نصيرا يدفع عنهم سوءا والمعوقون والقائلون لاخوانهم
داخلون في الدون لانه قد يعلم الله والمعلوم لكونه مخاطبه دون
المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم والقائلين
لاخوانهم من غير تصريح بالتثبيط هلم قربوا انفسكم الينا ولا يقصدون
الاجتماع على القتال اذ لا يأتون البأس القتال الا زمنا قليلا فهم في حكم
المثبطين فان اتوا للقتال كانوا اشحة بخلاء عليكم في المعاونة والنفقة
وهذا قبل الخوف فاذا جاء الخوف خوف القتال رايتهم في حكم العدم
اذ ينظرون اليك ولا يستفيدون من النظر الى شجاعتك شجاعة بل
تدور اعينهم من الجبن فهم فيه كالذي يغشى عليه من معالجة الموت فاذا
ذهب الخوف اي فرغ من القتال سلقوكم قهروكم في طلب الغنائم بالسنة
حداد ذربة كانها من الحديد لكونهم اشحة بخلاء يريدون الاستيلاء على الخير

المال الذی اراده کل جبرا اولئک الشجعان علیکم فی طلب الغنیمة الجبناء علی
قتال اعدائکم لم یؤمنوا بالاخرة فلم یعتقدوا اجرات القتال فاحبط الله اعمالهم
بحیث لو قاتلوا لم ینالوا ثواب الجهاد ولو قتلوا لم ینالوا ثواب الشهادة و
کان ذلک ای احباط اعمالهم علی الله مع قتالهم فی سبیله یسیرا وان عسر
علیکم منع الغنائم منهم ثم ان حرصهم انما زال بالنظر الی طلب الغنیمة لا القتال
فانهم یحسبون الاحزاب لم یذهبوا وان تولتهم خوف ذهابهم وان یأت
الاحزاب مرة اخری لم یذهبوا الی قتالهم ولم یستقروا فی المدینة بل یودوا
لو انهم بادون خارجون الی البدو وان لحقهم عار دخولهم فی الاعراب
ولا یبالون بعار جبنهم اذ یسألون القاعدین عن انبائکم اخبارکم وان ظهر
خروجهم اذ لو کانوا فیکم ما قاتلوا اعداءکم الا قتالا قلیلا دفعا لشناعة الجبن
عنهم عند کونهم مع الشجعان ولا ینافی هذا الجبن لمن صح اقتداؤه برسول
الله صلی الله علیه وسلم لغایة قبحه لقد کان لکم فی اخلاق رسول الله وافعاله
اسوة حسنة سیما لمن کان یرجو الله من رضوانه وقربه ورؤیته والیوم
الاخر ثوابه ونجاته فیؤثرهما علی الحیوة الدنیا فیختار الشجاعة ویحصل له بدل
لذات الدنیا لذة محبة الله اذ ذکر الله کثیرا بحیث یستقر محبته بقلبه وکیف
یجبن المؤمن مع وعد رسول الله صلی الله علیه وسلم بالاحزاب والنصر
علیها لذلک لما رای المؤمنون الکاملون الاحزاب قالوا فی مقابلة قول
المنافقین ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا هذا ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما یأتکم مثل الذین خلوا من قبلکم الآیة ورسوله بقوله
سیشتد الامر باجتماع الاحزاب علیکم والعاقبة لکم علیهم وقوله صلی
الله علیه وسلم انهم سائرون الیکم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله
ظهر صدقهما فی مجیئهم فیظهر النصر علیهم وما زادهم عند نزول عوامهم وعند
سماع قول المنافقین الا ایمانا بالله ورسوله ومواعیدهما وتسلیما لاوامر

الله ومعادیه ثم من المؤمنین رجال وزادوا علی الاولین بان صدقوا
فی عهودهم فوفوا ما عاهدوا الله علیه وسول به ان لا یزال یقاتل مع رسول
الله صلی الله علیه وسلم حتی یستشهد فمنهم من قضی نحبه وفی بنذره کحمزة
ومصعب بن عمیر وانس بن النضر ومنهم من ینتظر الشهادة کعثمان
وطلحة وسائر المنتظرین ما بدلوا العهد تبدیلا بتاخر الاستشهاد بل
لم تنقص لهم ذلک بخلاف بنی حارثة وبنی سلمة وهذا العهد کان من
اسباب ما ابتلاهم لیجزی الله الصادقین فی عهودهم بصدقهم فی وفائها
ویعذب المنافقین بنقض النفاق فی الدنیا والنار فی الاخرة ان شاء
ان یمیتهم بلا توبة بعد التزامهم بقتل المؤمنین ان قالوا لم یکن لنا بهم طاقة
او یغفر لهم بان یوفقهم للتوبة ثم یتوب علیهم وان عظمت جرائمهم من
قصد اتلاف الدین من اصله ان الله کان غفورا رحیما ومن مجازاة
الله الصادقین بصدقهم وتعذیب اعدائهم انه رد الله فهی الذین
کفروا عنهم من غیر ان یکون لهم جبن بل بغیظهم ای مع کمال غضبهم الذی
هو منشأ الشجاعة وکان رده کلیا اذ لم ینالوا خیرا نصرا ولا غنیمة وکان
من تمام شرهم اذ کفی الله المؤمنین القتال بارسال الریح والملئکة ولو
لم یرسلها کفاهم بمجرد قوته اذ کان الله قویا بحیث لا یعارض قوته قوة شیء
لکونه عزیزا غالبا بالاطلاق ومن ملک الغلبة فعله بالمظاهرین اشد من
فعله بهم من ردهم بغیظهم اذ انزل الذین ظاهروهم ای احزاب المشرکین
من اهل الکتاب اذ ذهب جماعة منهم الی مکة فدعت قریشا الی محاربة
رسول الله صلی الله علیه وسلم فضرب الخندق وقطع لکل عشرة اربعین
ذراعا من صیاصیهم حصونهم روی انه صلی الله علیه وسلم لما انصرف
من الاحزاب ووضع المؤمنون السلاح فاتی جبریل علیه السلام وقت
الظهر فقال ان الله یامرک بالمسیر الی بنی قریظة فامر صلی الله علیه وسلم منادیا

وقالوا انا سنکون معکم
علیه حتی نستاصله ثم
اتت غطفان فقالت
لهم مثل ذلک فسمع بهم
رسول الله صلی الله علیه وسلم
صح

ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فی بنی قریظة فحاصرهم
رسول الله صلی الله علیه وسلم خمسا وعشرین لیلة حتی جهدهم الحصار وقذف
فی قلوبهم الرعب کونهم فی الحصون فقال لهم صلی الله علیه وسلم تنزلون
علی حکمی فابوا فقال علی حکم سعد بن معاذ فرضوا فحکم سعد بقتل مقاتلیهم وسبی
ذراریهم فکبر صلی الله علیه وسلم فقال لقد حکمت بحکم الله من فوق سبع
ارقعة فوقع ما خافوا اذ فریقا تقتلون وهم الرجال المقاتلون علی الحصون
وتاسرون فریقا وهم الذراری والنسوان وغیر المقاتلین من الرجال
قیل قیل ستمائة او اکثر واسر سبعمائة ولعدم الخصوص قدم الفعل ههنا وکما
سلطکم علی اموالهم ودمائهم اورثکم مزارعهم ودیارهم حصونهم وقربهم
واموالهم نقودهم ومواشیهم واثاثهم واورثکم ارضا لم تطؤوها الی الان کفارس
والروم وسائر ما سرالیه الاسلام ولا بعد ذلک اذ لیس بحسب قدرتکم
بل بحسب قدرة الله وکان الله علی کل شیء قدیرا ولا بعد فتح ملک الارض
بقدرة الله تعالی وقد فتح لنا حصون بنی قریظة والنضیر لا نفع العسکر لانها
بالمال ولم یکن عند رسول الله صلی الله علیه وسلم من المال ما یوضع علی ازواجه
بل لما سالنه ثیاب الزینة وزیادة النفقة انزل الله تعالی علیه یا ایها النبی
الذی شانه النصح ودفع المضار والانباء عن الحقائق قل لازواجک مخیرا لهن
بین دفع الضرر الدنیوی وبین الصبر علیه للنفع الاخروی لکن قد لا تحتمله
البعض فوجب تخییرهن بعد انبائه بمقدار الضرر وثواب الصبر ان کنتن تردن
الحیوة الدنیا الاتساع فی النفع بلذاتها وزینتها زخارف ثیابها وحلیها
ولیس عندی من المال ما یفی بذلک ولا الزمکن الصبر علی ترک ذلک فتعالین
بیان ما فی قلوبکن من عسر احتمال ذلک امتعکن اعطکن المتعة اولا و
اسرحکن اطلقکن سراحا جمیلا لا ضرر فیه ولا بدعة وهذا قبل تحریم ازواجه
علی المؤمنین اذ لیس لهن بعد منع السعة والزینة وان کنتن تردن

الله رضوانه وقربه ورسوله محبته وصحبته والدار الاخرة نعیمها وسعادتها
فانتن محسنات لا اقتصار نظرکن علی الله فلا یبالی بما فاتکن فان الله اعد
للمحسنات منکن اجرا عظیما فوق اجر سائر المحسنین الذی یستحقر
دونه الدنیا وما فیها ویتحمل لاجله کل ضیق ولما اخترن صحبته صلی الله علیه وسلم
جعل الله لهن من الاجر الدنیوی ان شرفهن بخطابه واضافهن الی نبیه
فقال یا نساء النبی مقتضی شرفکن تعظیم جرمکن من یات منکن بفاحشة بالغة
بلغت فی القبح مبینة بین الشرع والعقل قبحها ان قوی بالقبح او بسبب قبحها
بنفسه من غیر تامل ان قوی بالکسر یضاعف لها العذاب بجعل عذابها
مثلی عذاب غیرها لحد اطرضعفین لا اضعافا کثیرة لانه یشبه الظلم
وکان ذلک التضعیف الاول علی الله یسیرا وان لم یتیسر علیه الظلم
لان هذا التضعیف فی حقهن عدل محض ومن تقنت ومن یدم مطیعة
منکن لله ورسوله فی اتیان الواجبات وترک المحرمات والمکروهات
وتعمل من النوافل والمباحات نؤتها اجرها مرتین مرة بعملها ومرة برعایتها
شرف العمل واعتدنا لها زیادة علی المرتین رزقا کریما من الاطلاع علی
اسرار العلوم والعبادات ببرکة صحبة رسول الله صلی الله علیه وسلم ونظره
یا نساء النبی کیف لا یکون لکن هذا التضعیف مع انکن لستن کاحد من
النساء لکن ان اتقیتن فالتقوی وان اقتضت الخضوع فلا تخضعن
بالقول ای بلینه فانه من مقدمات الزنا فهی وان لم تطمع فجار المؤمنین
لاعتقادهم انکن امهاتهم فیطمع الذی فی قلبه مرض نفاق وقلن قولا معروفا
بعیدا عن الریبة فان القول المرهب اقوی مانع من اللین وقرن اسکن
من الوقار فی بیوتکن لان التبرج اشد اطماعا من القول المرهب ولا تبرجن
لا تتبخترن فی المشی تبرج النساء ایام الجاهلیة الاولی جاهلیة الکفر فانها
قبل جاهلیة الفسق فهو اشد اطماعا من التبرج واقمن الصلوة التامة

عن النسآء المضعفه للشهوات الباعثه على الزنا و ابتغى الى كونه و
اطعن الله و رسوله بموافقه امرهما و نهيهما فان مخالفهما رجس لا يناسب فضل
اهل البيت انما يريد الله ان يناسبوا ليذهب عنكم الرجس الذى هو ضد
النزاهه التى بها مناسبه الحق اهل البيت و يطهركم النقايص تطهيرا كاملا
لتحصل لكم الكمالات الممكنه لكم كلها و مما يعد لتحصيلها ذكر القران اذكرن
ما يتلى عليكن من غير تعب فى طلبه لكونه فى بيوتكن من آيات الله
معجزاته المنسوبه الى الاسم الجامع و مما فيه من الحكمة العلوم المتقنه وبراهينها
ولا يبعد ان يوجد ذلك فى كلام الله ان الله كان لطيفا بعباده يفيدهم
بالالفاظ اللطيفه المعانى العجيبه التى يحار لها النظار و لا يبعد عليه جمعها
فى هذه الالفاظ اللطيفه لكونه خبيرا ولا يبعد ان يكون لنساء النبى صلى الله عليه
وسلم هذه الكمالات وقد حصلت كمالات الرجال لمن دونهن فشاركهم
ان المسلمين المنقادين فى الظاهر بكلمة الشهادة و المسلمات و المؤمنين
المصدقين لها بالقلب و المؤمنات و القانتين بدوام شغل الجوارح فى
الطاعة و القانتات و الصادقين المخلصين فلا يكون فى طاعتهم رياء
والصادقات و الصابرين على مشاق العبادة بدون قصد الرياء
والصابرات و الخاشعين برؤية القصور فهادفا للعجب و الخاشعات
والمتصدقين بالخروج عن محبة المال انما هو للخشوع والمتصدقات و الصائمين
بقطع الشهوات الذى هو سوائم فى الخشوع والصائمات و لكون قطع شهوة الطعام
قاطعا لشهوة الفرج صار و اسم الحافظين فروجهم و الحافظات لحصول التزكية
بهذه الامور صار و اسم الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات فسترت قبائحهم وظهرت
كمالاتهم اذ اعد الله لهم مغفرة تستر قبائحهم و اجرا عظيما لكمالاتهم و كيف تحصلت
هذه الكمالات بالرجال و النساء بعار الانوثة مع انها موافقه امر الله الذى لا
يجتمع معه بعار اصلا لذلك كان لمؤمن ينصف بشرف الايمان و لا مؤمنة

يطهر

وان كان العار عليها اشد اذا قضى الله و رسوله امرا فيه عار عرفى
ان يكون لهم الخيرة الاختيار من امرهم اى مما امروا به بحسب تجويزهم تركه
للعار كيف و تركه معصية ومن يعص الله و رسوله فقد ضل عن تحصيل
الكمالات ضلالا مبينا ظاهرا و سواء اشد عارا من العار المتعارف قيل
نزلت فى زينب بنت جحش و كانت امها اميمة بنت عبد المطلب خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى و اخوها عبد الله
لكون زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم و الظاهر ان الخطبة كانت بطريق
الوجوب و يحتمل ان لا يكون بطريق الوجوب لكن اعتبار العار فى مقابلة
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لما فيه من ترجيح قول اهل العرف
على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قول الله بالحقيقة و كيف يعتبر
العار فى حق المؤمنين على مقابلة امر الله ولم يعتبر فى حق اشرف الخلايق
لما انعم عليه الناس حتى خشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه الله عليه
فقال اذ تقول للذى انعم الله عليه بالاسلام وهو زيد بن حارثة فلا يعتقد
معه بما يليه من نحو التعريق منه و من زوجته و انعمت عليه بالعتق وسرارشه
فلا يعتقد بابدائه نكاح مطلقته بعد ان يطلقها بنفسه من غير اشارة منه
صلى الله عليه وسلم بل اشار بالعكس فقال امسك عليك زوجك و ذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى ذات يوم لحاجة الى زيد بعد ما زوجه
زينب فابصرها فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت
و ذكرته لزيد ففطن لذلك و وقع فى نفسه كراهتها فى الوقت فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك
منها شىء فقال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا و لكنها تتعظم على
لشرفها و تؤذينى بلسانها فقال امسك عليك زوجك و اتق الله فى تطليقها
معللا بكبرها و تخفى تضمر فى نفسك من محبة تطليقها لتنكحها ما الله مبديه

مظهره عليك لئلا تخالف ما تظهر لما تضمر وتخشى الناس عارهم في مقابلة امر الله
والله احق ان تخشاه في ترجيح امر الناس على امره فالاولى ترجيح امره على
عارهم فلما قضى قطع بطلاقها زيد منها وطرا كل حاجة زوجناكها بلا واسطة
ولهذا لذلك كانت تقول لسائر نسائه صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق من
العار اذ لم يكن عار لاشرف الخلائق في مناكحة ازواج ادعيائهم لاجل
نقابهن في نكاحهم بل اذا قضوا منهن وطرا بموت او طلاق او فسخ نكاح
وكان امر الله وان كان امر اباحة مفعولا ترجيحا له على عار الخلق ولو
مع عار الخلق في امر الاباحة لحق الله وان اعتبار العار في امر
الوجوب لذلك ما كان على النبي وان كان اشرف الخلائق من حرج ضيق
بسبب العار فيما فرض الله له اي في امر اوجبه الله تكميلا له بل لا يبقى عارا
لكونه سنة الله في الرسل الذين خلوا مضوا من قبل فمن عرف تلك
السنة لا يعيره ولا عبرة بتعيير غيره ولو اعتبر ذلك العار لم يكن لهم بد
من احتماله اذ كان امر الله قدرا مقدورا قضاء حتما فكما يجب احتمال
قضائه تعالى بالصبر يجب احتمال العار في مقابلة امره لئلا يتعطل امره
وكيف يعتبر الرسل عار الخلق في مقابلة امر الله وبعضهم يعيرونهم في دعوى
الرسالة اولا وفيما ارسلوا به مما يخالف ما الفوه ثانيا فهو يمنع من التبليغ
لكنهم الذين يبلغون رسالات الله ولو اعتبروا العار في مقابلة امر الله
لخافوا الناس مثل ما يخافون الله لكنهم انما يخشونه ولا يخشون احدا
لا ذما ولا قتلا ولا ضربا ولا عزلا الا الله ولا يضرهم ترك خوفهم اذ كفى
بالله في دفع المضرات لكونه حسيبا كافيا في الامور كلها وقد كفى في
دفع هذا العار لانهم عيروه بانه تزوج زوجة ابنه فدفعه بانه انما يتصور لو
كان محمد ابا للابن لكن ما كان محمد ابا احد من رجالكم وان كان ابا لبعض النساء

والصبيان

والصبيان ولكن كان فيه معنى الابوة اذ كان رسول الله وكان ناصحا
لامته نصح الوالد للاولاد وكان في هذا المعنى اتم من سائر الرسل لكونه خاتم
النبيين ومع ذلك لم يكن في حكم الاب الحقيقي في تحريم نكاح بناتهم ونساء
من مات منهم لانه ينسد عليه باب النكاح اذ يصرن بناته وبنات اولاده
وانما كان في حكم الاب في تحريم ازواجه لما في تزوجهن من سلب حرمته
يحرم ما اقتضت الحكمة تحريمه واباح ما اقتضت اباحته ومن هذا ظهر انه
كان الله بكل شيء عليما يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بما سوى
الله في مقابلته اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى تنسوا ما سواه فلا تبالوا بعار
وان خطر ببالكم عار ما سواه وسبحوه نزهوه من ان يامركم بما فيه عار حقيقي
بكرة واصيلا ليسري اثر التسبيح فيما يعمه النهار والليل لان ذكره وتسبيحه
يفيدان تنوير القلب وتخليتها عن الاشغال اذ هو الذي يصلي برحمته
عليكم سيما عند ذكركم اياه وتسبيحكم له ويصلي اي يستغفر لكم ملائكته
ايضا ليخرجكم من الظلمات ظلمة الكفر وظلمة البدعة وظلمة المعاصي وظلمة
الشبهات وظلمة العادات وظلمة الحجاب الى النور نور الايمان والسنة
والطاعة والحل والندم والكشف ولا يبعد منه ذلك اذ كان بالمؤمنين
رحيما ولا يخل برحمته رخصة اذ ليست نقائص بل فضائل لائقة لذلك
تحيتهم يوم يلقونه سلام عن النقائص سيما من دونهم فضائله فلقاؤهم
بفضائل المقامات والطاقة وتكاليف الشاقة اذ اعد لهم اجرا كريما وكذا
على الرخص عند الشكر على تفضل الله عليهم بها يا ايها النبي انا بعثناك لتخرج
الله من الظلمات الى النور انا ارسلناك شاهدا على الخلائق لتنهى
عن ظلمات القبائح وانوار المحاسن ومبشرا بان فعل المحاسن موصل
الى الانوار ونذيرا بان فعل القبائح مانع من الوصول اليها وداعيا الى الله
نور الانوار لئلا يقف السالك دونه حتى يصل اليه باذنه وسراجا يبصر

ببصر طريق الوصول مبشرا لمن يعوقه ظلمات نفسه عن الوصول اليه وبشر
المؤمنين بهذه الاسرار بان لهم من الله على هذا الايمان فضلا كبيرا ان
لم يتصفوا بهذه الانوار ولا تطع الكافرين بهذه الاسرار في الانكار عليها
والمنافقين الذين يدعون الايمان بكمال الانكار ان يكون لك هذه
الفضائل او لاتباعك ودع اذاهم اترك الالتفات الى اذاهم بالقاء
الشبهات على هذه الامور وتوكل في دفع اذاهم على الله وكفى
بالتوكل عليه اذ كفى بالله وكيلا رافعها عن قلوب السالكين وكيف يلتفت
الى اذاهم في هذه الامور وهي من قصور نظرهم في الحقائق واقتصار نظرهم
على الالفاظ فهو كاذاهم في التزوج بامراة الدعي لاطلاق لفظ الابن
عليه مع انه قد يطلق اللفظ على الشيء بالحقيقة من غير ان يثبت له جميع احكامه
كالزوجة على المطلقة قبل الوطي يا ايها الذين آمنوا بمقتضى الحقائق اذا نكحتم
المؤمنات اللاتي نكاحهن اتم من نكاح الكتابيات ثم طلقتموهن ولو
بعد مس قبل ان تمسوهن فهن وان اثبت النسب فماله جميع احكام
النكاح التام كالعدة بالطلاق فما لكم عليهن من عدة بقدر الاستبراء ولا
ما فوقها تعتدونها تحسبونها عليهن لتمنعوهن من نكاح الغير لكنه نكاح حسي
فمتعوهن ان لم يكن لها فرض وان كان فنصف المفروض من غير مقابلة عوض
في معنى المتعة ولعدم وجوب العدة عليهن لا تحبسوهن بل سرحوهن
سراحا جميلا ليس فيه بدعة ولا حبس بعد زوال الفراق ثم انه قد يمنع اطلاق
اللفظ على شيء مع تحقق احكام حقيقته فيه كازواج النبي صلى الله عليه وسلم
يمنع اطلاق لفظ المملوكة عليهن مع انهن في حكمها لذلك قال يا ايها النبي
الذي رفع شانه فكان في معنى السيد انا احللنا لك ازواجك من غير
تقيد بعتق لانهن في معنى المملوكة وقد اكد ذلك المعنى في اللاتي آتيت
اجورهن واحللنا لك ما ملكت يمينك وان زادت على ملكك من الغنيمة

لكنها

لكونها مما افاء الله عليك فملكتها او لانهم نزلوا عنك الى غيرهم ما نفل منه فلذلك كان
ارضى المغتنم على انك سيد الكل والعبد وما يملكه لمولاه واحللنا لك بنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك وان كان جميعهن
فهن من معنى السيادة لكان قرابتك يعارض معنى المملوكية لكن لا عبرة
بهذه السيادة اللاتي هاجرن معك فصرن معك كعبيد الاماء وافراد العم
والخال لان المراة مع الرجل ضعيفة في الخصومة فهو كالمنفرد معه بخلافها
مع المراة فانها كبيرة بها في الخصومة كانهن جماعة معها فهي لا وان غلب فيهن معنى
الحرية في الخصومة فهو كالمملوكة بالنسبة اليك ولاعتبار معنى المملوكية في نساء
احللنا لك امراة مؤمنة دون الكافرة وان كانت اولى بالمملوكية اذ لا تحل
لك ان وهبت نفسها للنبي فيكون فيها معنى المملوكية ان اراد النبي ان يستنكحها
لكان ذلك بمنزلة قبول الهبة جعلنا هذه الامور خالصة لك لما فيك من
معنى السيادة من دون المؤمنين فانهم لا يحل لهم الزيادة على اربع ولا ما زاد
على قسمتهم في الغنيمة من الاماء الا ان يملكوها بوجه آخر ولا الموهوبة قد
علمنا ما فرضنا عليهم على المؤمنين في حل ازواجهم من الولي والشهود و
عند النكاح وفي حل ما ملكت ايمانهم مع انه لا بد لك في اداء الرسالة من الانجذاب
الى عالم السفل حرج ضيق في باب النكاح الجاذب الى عالم السفل فلو
رفع الحرج لضعف الجاذب فلا تقاوم الجواذب العلوية وكان الله غفورا
لكما حرم من ذلك على الغير لكونه رحيما بك ولغلبة معنى المملوكية في حق
ازواجه صلى الله عليه وسلم لم يجب لهن القسم بل ترجي تؤخر مضاجعة من
تشاء منهن وتؤوي تضم اليك من تشاء ولهذا ايضا من ابتغيت طلبت نكاحها
ممن عزلت عن نكاحك بطلاقها بلفظها او اقل فلا جناح عليك ان تعيدها
الى نكاحك من غير تحليل لامتناع ان تزوج باخر فلو شرط التحليل انسد عليها
باب النكاح وليس في ذلك ظلما عليهن بل ذلك ادنى اقرب افادة ان تقر

ايانهم من الدخول في
القسمة او التملك بوجه
آخر لكن استطناه عنك
لكيلا يكون عليك
ايها المنجذب صح

اعينهن لو سويت بينهن ولو تركت لا يحزن بالترك ولكن ترضين بما آتيتهن
من الحقوق كلهن اما التي ترد في حقها فظاهر واما التي تعطى فهي طرحها الى
انه حكم الله فيطمئن به نفسها والله يعلم ما في قلوبكم من انه صلى الله عليه وسلم
متبع لامر الله او لهوى نفسه وكان الله عليما بما هو ان حليما عمن يعتقد في رسوله
اتباع الهوى ولرضاهن من حكم الله ارضاهن فقال لرسوله من اجلهن لا يحل
لك النساء اللاتي ينكحهن من بعد كونهن في نكاحك ولا ان تبدل بهن من
من بعد
ازواج فتطلق احديهن وتنكح مكانها اخرى ولو اعجبك حسنهن فانهن يحرمن
عليك الا ما ملكت يمينك فانه يجوز لك التسري عليهن وانما جوز له التسري
لرضاهن به لانه اهون من التزوج اذ كان الله على كل شيء رقيبا ناظرا فنظر
الى رضاهن بالتسري دون التزوج وقد ضمن بحكم هذا عاهن على رسوله ثم طلب
من المؤمنين مراعاة حقوقه صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى
ايمانكم بالله رعاية حقوق رسوله لا تدخلوا بيوت النبي ولو لعظم المهمات
في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم بعد استيذان او بغيره
بان تدعوا الى طعام فادخلوا ان كنتم غير ناظرين منتظرين اناه وقته فان
المنتظر في معنى المتطفل فلا ينبغي ان يدخلوا ولكن اذا دعيتم من غير
انتظار فادخلوا على سبيل الندب واحكثوا الى ان تفرغوا فاذا طعمتم
فرغتم من الاكل فانتشروا وتفرقوا فلا تمكثوا بعده مستأنسين لحاجة ولا مستأ
نسين
بالرسول صلى الله عليه وسلم لحديث تسمعون منه فانكم تستغنون بالملك لسماعه
اجل مما تنتفعون به ان ذلكم كان يؤذي النبي وايذاء الاحاد بها لا ينبغي
فايذاء السماع فكيف بايذاء افضل الخلائق وكانه يهم ان يهتك حرمتكم لاخراجكم
فيستحيي منكم لكن اخراجكم حق والله لا يستحيي من الحق لا يترك الامر بالحق
ترك المستحيي واذا دخلتم بيوت النبي فلا تنظروا الى نسائه ولو وقت
صلى الله عليه وسلم
السؤال المتاع منهن بل اذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن

ان

ان يلقينه عليكم من وراء حجاب ستر ذلكم اي الستر اطهر اشد تطهيرا لقلوبكم
وقلوبهن من الميل اليهن واليكم ووجب التطهير عنه لما فيه من ايذاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تهتكوا حرمته
وان لم يتأذ به مثل ان تنكحوا ازواجه من بعده من بعد مفارقته بطلاق
او وفاة لا الى انقضاء العدة بل ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما لما فيه
من هتك حرمة حبيبه صلى الله عليه وسلم ان تبدوا شيئا من نكاحهن او تخفوه
تضمروه في صدوركم فان الله يؤاخذكم به وان عفا عن الخواطر في المعاصي
الفعلية لكن هذا شبه الكفر ويكفي في المؤاخذة على الكفر علمه به وقد كان بكل شيء
عليما ولما امرهن بالحجاب شق عليهن امر المحارم فقال لا جناح لا اثم عليهن
في عدم احتجابهن عن آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن ولم يذكر العم والخال لانهما كالاب والام ولا نسائهن
اي المؤمنات فلا يجوز للكتابيات الدخول على نسائه صلى الله عليه وسلم
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء واتقين الله ان تخرجن باحد
المذكورين زنا او بحافة ان الله كان على كل شيء شهيدا فيجازيكم بما يشهد
منكم وربما يفضحكم وانما عظم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله
لعظم شانه عنده ان الله باعتبار جميع اسمائه يصلي اي يرحم على النبي مرة بعد
اخرى الى ما لا يتناهى وملائكته الذين هم خواصه يصلون يطلبون الرحمة طلبا
بعد اخر دائما على النبي يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم موافقة الله وخواصه
صلوا عليه اطلبوا الرحمة عليه فوق ما يرحمه بدون طلبكم ليصير الكل مما هو عليه يكمل
الفيض بواسطته عليكم وسلموا اطلبوا له سلامة الاستعداد لقبول ما لا يتناهى
من وجوه الرحمة تسليما غير منقطع ان الذين يؤذون الله بايذاء حبيبه و
مضادته في فعله ورسوله بدل ما يجب عليهم من الصلوة والتسليم عليه فعل بهم
ضد ما يفعل به على الوجه الكلي وسوأهم لعنهم الله في الدنيا فلم يجعل دنياهم مزرعة

لاخرتهم والآخرة اذ فاتهم نعيمها ونجاتها ولم يحصل لهم شفاعة ملك ولا نبي بل
يتفق الكل على لعنهم ولا يقتصر حقهم على اللعن كما في الدنيا بل اعد لهم ويوم
في الدنيا عذابا مهينا يجمع فيه الالام الحسية مع العقلية لاهانتهم الله ورسوله
حيث اجترؤا على ايذائهما وكيف لا يكون هذا اي ايذاء الله ورسوله وقد عظم
ايذاء المؤمنين والذين يؤذون بالفرية او غيرها المؤمنين والمؤمنات
وان كن ناقصات بغير ما اكتسبوا من زنا او غيره فقد احتملوا بهتانا اي صورة
الفرية بهت المفترى عليه واثما مبينا في ساير الاذيات فلا يدان بهتهم العذاب
ويظهر اثمهم في النار فيجتمع عليهم مع العذاب الحسي الفضيحة الدائمة يا ايها النبي
الذي شانه قلع الجنايات من اصلها قل دفعا لاذى المؤمنات تغطية عليهن
على وجوههن وابدانهن شيئا من جلابيبهن ملاحفهن عند الخروج من الحجاب
للحاجة ذلك ادنى اقرب ان يعرفن بانهن حرائر فلا يؤذين من ايذاء الاماء
لطلب الفجور فاذا فعلن ذلك غفر لهن الخروج عن الحجاب رحمة لهن في قضاء
الحوائج وكان الله غفورا رحيما والله لئن لم ينته يكف بعد هذا التحفظ
المنافقون يكف بعد عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته ونساء
المؤمنين بالفرية عليهم والذين في قلوبهم مرض فجور عن مطالبة نساء المؤمنين
به والمرجفون اي الذين يزلزلون الخلائق بفريتهم المنتشرة في المدينة من
مثل الباب او من باب التخويف من الاعداء لنغرينك لنسلطنك عليهم
سلطانا لا اجتنابهم باقامة الحدود والتعزيرات عليهم حتى يضطروا ثم لا
يجاورونك في المدينة من رؤية شدتك عليهم الا زمانا قليلا يستعدون
فيه للخروج ولا يتيسر على احد خروجهم لكونهم ملعونين اي منعرضين لله و
للخلق ولا يستريحون للخروج لانهم اينما ثقفوا وجدوا اخذوا اسروا و
ان لم يمكن اخذهم قتلوا اي بولغ في قتالهم تقتيلا غير منقطع الى الموت
وليس ذلك ببدع لكونه سنة الله في المغرين والمؤذين الذين خلوا مضوا

لازواجك اللاتي ايذاؤه المنافقين لهن اشد وبناتك ونساء المؤمنين يدنين يقربن يقرب ح

فيها ح

ولنساء ح

من قبل ولن تجد لسنة الله اي لهذا الحكم تبديلا في المستقبل ولكن لا يبال
الناس بهذه السنة ولا بالساعة بل يسالك الناس الذين نسوا هذه السنة
التي يقاس عليها امر الساعة عن الساعة استبعادا لها قل انما علمها عند الله
اخص بعلمها ليزداد الخلق خوفا منها وما يدريك اي اي شيء يدلك على بعدها
ليقل خوفك منها لعل الساعة تكون قريبا فاحتمال قربها كاف في التخويف
البليغ وانما لا يخافونها من كفرهم بها والكفر لا يبعدها بل يبعد الكافرين عن رحمتها
ان الله لعن الكافرين ولا ينفي خوفها اذ اعد لهم سعيرا امنوا منها وكما لم
يؤمنهم عن اصلها لم يؤمنهم عن الخلود فيها بل جعلهم خالدين فيها ابدا كيف
وكفرهم بها لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة بل مع تحقق الحجة عليهم لذلك لا يجدون
وليا يشفع لهم ولا نصيرا يدفع عنهم كيف واعراضهم عن مقتضى الحجة انما كان
للتمرد عن طاعة الله وطاعة رسوله ليصرفوا الى سعيهم لذلك يوم تقلب
تصرف من جهة الى اخرى وجوههم في النار كاللحم اذا شوي يقولون
متمنين لاستحالة بعد امكانه يا ليتنا التمني تعال ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا وقالوا معتذرين الى الله تعالى في ترك طاعته وطاعة رسوله ربنا
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا بدل طاعتك وطاعة رسولك لكون اسن منا
عندهم وكانوا يتبعون ربنا ويستكبرون على من يدعوهم اليك فاضلونا السبيلا
الموصلة اليك ربنا لما عذبتنا باضلالهم اياهم اتهم ضعفين من العذاب على
الضلال والاضلال ولا يقتصر على الضعفين بل العنهم لعنا كبيرا لكثرة
اضلالهم وقرئ بالموحدة اي في المقدار لعظم جرمهم ثم اشار الى ان العذاب
اذا تضاعف للاضلال فبايذاء الهادي اولى يا ايها الذين امنوا مقتضى
ايمانكم كف ايذاء الهادي عن المؤمنين سيما الهادي سيما الانبياء لا تكونوا كالذين
اذوا موسى وهم قارون وقومه اذ رموه بالزنا بمومسة استاجروها لتقذفه
بنفسها فبراه الله مما قالوا باقرارها انهم استاجروها لهذا القذف فخسف

الله بهم الارض وكيف لا يضاعف عذابهم بانابته وكان عند الله وجيها
وايذاء الوجيه عند الملك موجب لشدة غضبه ونهى يا ايها الذين آمنوا مقتضى
ايمانكم بتقوى الله عن كل معصية فضلا عن ايذاء خليفة اتقوا الله ان تعصوه ادنى
معصية وان لم تخافوا منها لضعف الشدة فقولوا لامام التقوى قولا سديدا
لا ينكسر بوجه لكمال صدقه فلا يكون فيه ايذاء احد ولا فساد آخر فانه يفيد تنوير
الباطن والظاهر يصلح لكم اعمالكم بتنويرها ويغفر لكم ذنوبكم التي تخاف منها الآفات
في كل شيء سيما الاعمال واصلاح الاعمال يفيد السعادة الابدية والعلوم الشريفة
والكرامات العظيمة والاحوال الجليلة والمقامات الجميلة فان من يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وانما يحصل ذلك بحفظ الامانة واداءها الى ربها
على الوجه المطلوب انا عرضنا الامانة التي هي العقل والقوى والاعضاء على
السموات والارض والجبال ليستعملها على وفق الحكمة فتكتسب الكمالات فابين
ان يحملنها لثقلها واشفقن منها لما في تضييعها من التنزل الى غاية النقص
والعذاب وحملها الانسان آدم عليه السلام انه كان ظلوما بحمل اثقالها
على نفسه جهولا بما في تضييعها من الآفات ثم ان اداءها ظلم نفسه بمنع
لذاتها فان فيه جهل نفسه والا جهل بهذه الحالة الشريفة وان لم يؤد ما ظلم
بمنع خروج كمالاتها الى الفعل في الدنيا والى البعد والعذاب في الآخرة
وحملها واعتقد ان الكمالات الحقيقية هي اللذات العاجلة وظلم بتغلب
الشهوية والغضبية على العقل وجهل النقص عن ذلك فهو انما حملها ليعذب
الله المنافقين والمنافقات بتضييع العقلية في الباطن والمشركين
والمشركات في الظاهر مع تضييع القوى والاعضاء ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات اذا ضيعوا امانة القوى والجوارح لحفظهم امانة
العقل وكان الله غفورا لما ضيعوا رحيما بجعل ما ضيعوا في حكم ما حفظوا
تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على

سيد المرسلين محمد لله رب العالمين والصلوة والسلام محمد وآله اجمعين

## سورة السبا

سميت بها لتضمن قصتها انه تدل على نعم الجنة في السعة
وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبدلها بالنقم لمن كفر بالمنعم وهذا من اعظم
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بكمالاته في مظاهر ما في سمواته
وارضه الرحمن بجعلها مظاهر حمده الدنيوي الرحيم بجعلها وسايل مظاهر
حمده الاخروي الحمد الجامع للمحامد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
مظاهر حمده الدنيوي وقد قصد به التوسل الى مظاهره الكاملة في الآخرة اذ
له الحمد في الآخرة وكيف لا يكون كذلك وهو الحكيم والحكيم لا ينفي مظهر كماله
الا ليتوسل به الى اكمل منه ووجه التوسل وان خفي علينا لا يخفى عليه لانه الخبير
وذلك لانه يعلم ما يلج من آثار الموجودات في الانسان وما يخرج منه من
الاعمال والاخلاق وما ينزل عليه من العلوم والكرامات وما يعرج منه من
الاحوال والمقامات كما انه يعلم ما يلج في الارض من البذور والماء والريح
وحرارة الشمس وما يخرج منها من النبات والحبوب والثمرات وما ينزل
من السماء من المطر والبرد والثلج وما يعرج فيها من الابخرة والادخنة
ليكون البرق والصواعق والسحب والشهب ولا يبعد ان يرحم بعض المظاهر
التي توسل بها الى مظاهره الكاملة ويسترها الى مدة اذ هو الرحيم الغفور ولرحمة
الحق بهذه المظاهر وستره تلك المظاهر قال الذين كفروا لستره الكمال ظهوره اذ
حصروه في هذه المظاهر القاصرة لا تاتينا الساعة التي فيها ظهور الحق بالمظاهر
الكاملة لحصول ذلك قبلها قل انها المطلع على كمالاته بلى وربي الذي ظهوره
في اكمل من ظهوره فيكم ومع ذلك حجابه بآفاق علمكم لتاتينكم ليخرج ما في هذه
المظاهر التي يتوصل بها الى مظاهره الكاملة لخفائها فلا يطلع عليها الا عالم الغيب
فهذا بيان سببها ولا يمنع منها جهل بافعال الحق التي عليها الجزاء ولا نسيان
لاشتباههما على عالم الغيب اذ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا

في الارض اجسامها وارواحها واعراضها ومعانيها ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر لانه لا شيء منها الا في كتاب مبين هو لوح القدر حفظها عن تغيره
ولا يمنع منه كونه انعاما على انعام في حق المحسن واضرارا بالمنعم عليه ولا يليق
بالكرم الالهي اذ الاول انما كان ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فاحتملوا فيهما المشقة الناجزة بما يفيدهم الراحة العظيمة اذ اولئك
لهم مغفرة ورزق كريم خال عن المشقة والثاني انما كان لمبالغتهم في الكفر
بالمنعم لانهم الذين سعوا في ابطال آياتنا الدالة علينا الداعية الى شكرنا
معاجزين قاصدين اعجازنا عن اقامة الدليل على وجودنا وانعامنا
او جزائنا اولئك لهم عذاب من رجز اي غضب عظيم منا على انكارنا وانكار
نعمنا ورد آياتنا وقصد تعجيزنا أليم ولو لم يحسن ذلك الغضب وان زعموا
انا انما نكون ساعين في آيات الله لو كانت هذه آيات لكنها ليست بآيات
فقال انما لا تردونها آيات لخلوكم عن العلم ويرى الذين اوتوا العلم الكتاب
المعجز الذي انزل اليك ايها الكامل من ربك الذي هو اكمل الاسماء الالهية
هو الحق المطابق للعلوم والدلائل العقلية والكشفية ويهدي في مواضع الاختلاف
الى صراط العزيز الغالب بالحجة الحميد باستعمال المقدمات القطعية الواضحة
وقال الذين كفروا الكامل لا بد وان يكون اشهر الخلق بالكمال وهذا يجب فقال فيه
هل ندلكم على رجل مجهول لا يعرف ونكرة لا تعرف وكيف يكون المنزل عليه
هو الحق وهو اشبه شيء بالمحال لانه ينبئكم مما يبني في زعمه انكم تعادون اذا مزقتم
تمزق اجزاؤكم فصارت كل ممزق اي في كل مطرح ولو صح ذلك فلا اعادة بل
انكم لفي خلق جديد بخلق الامثال افترى اخترع عن تعمد على الله كذبا بانه يوحي
اليه مثل هذه الامور التي هي اشبه شيء بالمحال فلا يخاف عذابه الذي يوعد به
ام لم يفتر ولكن به جنة يخيل به انه يوحى اليه بمثل هذه الامور فكانه تعالى
يقول لا يخاف عليه العذاب لانه بلغ من الله ما انزله الله مما كاد العقل يحجبه

ولا ضلال فيه من الجنون بل الذين لا يؤمنون بالآخرة التي كاد العقل
يوجبها في خوف العذاب بل في غيبة من مرض الجهل والضلال البعيد
الذي هو ابعد من ضلال المجنون أينكرون قدرة الله على جمع الاشياء
المتفرقة وقد احاطت قدرته بالاشياء اذ خلقها عن عدم فلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وكيف لا يخافون عذابه على انكار
قدرته واسبابه موجودة في كل جهة ان نشأ نغيبهم بسبب سفلي نخسف
بهم الارض او بسبب علوي نسقط عليهم كسفا قطعا من السماء فان لم نفعل
ههنا فله اسباب تشبه ذلك في الآخرة لذلك قال ان في ذلك البيان لآية
هادية لكل عبد عرف احاطة تصرف الله به بحيث لا يمكنه الخروج عنه فاتصف
بوصف منيب اذ لا مهرب منه الا اليه وكيف ينكرون قدرتنا على الاحياء
ولقد آتينا داود منا فضلا عليه قدرة على استنطاق الجمادات وهي
اشد من الاحياء والحيوانات العجم وهو كجعلها انسانا وهو من شق قلب الميت
حيا لكان يفعل ذلك بان ساكنا نادا بانها يا جبال اوبي رجعي معه التسبيح
والطير كيف وغاية الاحياء تليين الجماد الصلب وقد ألنا له الحديد
الذي هو اصلب الجمادات ولا يبعد علينا التوسعة على البعض والتضييق
على البعض بالاحياء كما قلنا لداود عليه السلام عند تليين الحديد ان اعمل
دروعا سابغات واسعة وقدر في السرد ضيق في النسج ولا يبعد ان يدعي
بذلك الى جهاد النفس كما دعونا بالدروع الى جهاد الكفار بتيسير الاعمال الصالحة
لذلك قلنا لهم اعملوا صالحا اني بما تعملون بصير بما بصرها قدرتم فيه على انفسكم
ووسعتم عليها في الطاعة ولا يبعد تيسير بعض الاجزاء الى بعض مع تباعد بينهما
فانا قد سخرنا لسليمان الريح تسير الكرسي مع عسكره من مكان الى آخر ابعد منه
في مدة اقل اذ غدوها سيرها بالغدوة من الصبح الى الطلوع شهر مسافة شهر
ورواحها سيرها من العصر الى الغروب شهر وكذا يسهل علينا تيسير الارواح الى

النفس ومنه الى الابدان في مدة يسيرة ولا يبعد علينا ارسال الفيض الحيوة على
الاموات بعد تسكينه مدة مديدة على خرق العادة فانا قد اسلنا له عين
القطر النحاس من معدن باليمن ثلثة ايام وسواشارة الى تليين النفس بالعمل
ولا يبعد علينا استعمال الانس للاعمال المنزهة السنا واستعمال الملئكة
للجزاء على الاعمال فانا سخرنا له من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه وكيف
لا يكون لمخالف الحق العذاب مع ان من يزغ منهم اي يعدل عن امرنا نذقه
من عذاب السعير اذ وكلنا به ملكا يضربه بسوط من نار السعير بحيث لا يراه
يعملون عمل بني ادم لا انفسهم والملئكة من اجلهم في الجنة ما يشاء من محاريب
مساجد وتماثيل قصور منقوشة كقصور الجنة وجفان قصاع كالجواب كالحياض
التي يجبى اي يجمع اليها الماء يقعد على جفنة الف رجل وقدور راسيات
مرتفعة ثابتة على الاثافي لتدل على ما في الجنة ولذلك قيل لهم اعملوا آل داود
شكرا على ما اعطيتم مما يشبه نعيم الجنة لئلا يفوتكم نعيمها المخصوص بالقليلين
وقليل من عبادي الشكور اي من شكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر اوقات
عمره ولاستمرارهم على شكره لم يزالوا مسخرين له مدة حيوته وايا ما بعد وفاته ليدل
على بقاء فضائل الشاكرين الى الابدين فلما قضينا عليه الموت دخل المحراب
وكان يتجرد للعبادة في بيت المقدس سنة وسنتين معه طعامه وشرابه وقام
يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان في المحراب كوى بين يديه
ومن خلفه وكانوا يتممون بناء بيت المقدس ويحسبون انه حي فمكثوا حولا كاملا حتى
اكلت الارضة طرف عصاه ما دلهم على موته الا دابة الارض اي الارضة
تاكل منساته عصاه التي تطرد بها فخر ميتا فلما خر سقط تبينت الجن اي ظهرت
احوالهم للانس في الجهل بالغيب اذ ظهر لهم ان اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب
لعلموا موت سليمن ولو علموه ما لبثوا في العذاب المهين من تعب الاعمال التسخير
فاذا لم يعلموا الغيب لم يوجد لقول من اخذ منهم من الكهنة في نفي الجنة والنار

مع ظهورها اما بها في الدنيا لقد كان لسبا اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب
بن قحطان في مسكنهم مواضع سكناهم من قرية مارب على مسيرة ثلثة
مراحل من صنعاء آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة في التناول
اذ كانت المراة تمر بالجنة حاملة المكتل فيمتلي بانواع الفواكه من غير ان تمس
يدها شيئا فانه يتناول اهل الجنة للفواكه في مساكنهم جنتان عن يمين
وشمال كما يكون لمن خاف مقام ربه جنتان هناك ولم يكونا في جانب الشرق
والغرب لئلا يمنعا حرارة الشمس عنه فتغلبه البرد فجاءتهم الرسل فقالوا
لهم كلوا من رزق ربكم الذي رزقكم في هذه الجنات بكمال تربيته لكم واشكروا
له بعبادته على ما انعم من هذه النعم الخالية عن الضرر اذ البلدة التي هي فيها
بلدة طيبة لا عاهة فيها ولا هامة ومعاصيكم وان اقتضت عاهات لكنه
رب غفور لا يجب شكره على غفرانه كما يجب على نعمه فاغتروا بغفرانه فاعرضوا
عن شكره بالكلية بل قالوا ما نعرف لله علينا من نعمة فليحبس عنا ان استطاع
فارسلنا عليهم سيل العرم اي السيل من انكسار سد الحجارة المركومة بالقار
وسمي العرم جمع عرمة وهي الحجارة قيل كان لهم سد بنته بلقيس بين الجبلين
وجعلت له ثلثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة فاذا جاء المطر اجتمع
اليه مياه اوديتهم فاحتبس السيل من وراء السد فيفتح الباب الاعلى ثم الاوسط
ثم الاسفل فلا ينفد الماء الى السنة القابلة فلما طغوا سلط الله عليهم الجرذ
فنقبت في اسفل السد فغرقت جناتهم ودفنت بيوتهم الرمل وكان ذلك دليل
الغضب عليهم كالغضب على اهل النار وبدلناهم بجنتيهم جنتين كما يبدل
اماكن النار باماكن الجنة للكفار ذواتي اكل ثمر خمط بشع كثمار اهل النار
وذواتي اثل طرفاء ولا ثمر لها كبعض اشجار اهل النار وذواتي شيء من
نبق سدر قليل مع قلة ما يسمن ويغني من جوع هذا تبديل النعم بالنقم لمن
لم يشكر المنعم بل ذلك جزيناهم بما كفروا بالمنعم ولا ينبغي ان يشك في انه سببه

لكل مسكن

لانه مثل مجازي ذلك الجزاء الشنيع الا الكفور المبالغ في الكفر ومن مبالغتهم
في الكفر كراهتهم مبالغتنا في الانعام عليهم اذ جعلنا بينهم وبين مواضع
تجارتهم من الشام وهي القرى التي باركنا فيها بتوسعة الارزاق الظاهرة
والباطنة قرى ظاهرة متقاربة يظهر بعضها لبعض فلا يخاف فيها من قاطع
طريق وقدرنا فيها السير بمقدار لا يحتاج فيه الى حمل الزاد ولا الى شد الرواحل
فهو يشبه سير اهل الجنة من مكان الى مكان من غير تعب وقلنا لهم على لسان
انبيائهم سيروا فيها ليالي واياما لكونهم آمنين من الاعداء والحشرات
والجوع والعطش فقالوا ربنا باعد بين قرى اسفارنا لنحمل الزاد ونشد
الرواحل فنتطاول على الفقراء وظلموا انفسهم بحملها المتاعب ومنعها الرفاهية
فجعلناهم احاديث تتحدث بهم الناس تعجبا ويقولون في الامثال تفرقوا
ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق بكل مكان كتمزق اهل النعمة بعد اجتماعهم فلحق
غسان بالشام وانمار بالمدينة وجذام بتهامة والازد بعمان وليس ذلك
مجرد تحديث بل ان في ذلك لآيات على تفريق من يجري مجراهم وجعلهم
احاديث مثلهم لكنها انما تكون نافعة لكل صبار لا يطغى بالنعم شكور لها وهم
لم يصبروا عن الطغيان ولم يشكروا ولذلك لقد صدق عليهم ابليس ظنه
الذي يتضمنه قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وقوله لاضلنهم فاضلهم بان النعم
ليست منه بل من الاسباب فان كانت منه فلا تتاتى منه النقم فاتبعوه في اضلاله
الا فريقا من المؤمنين عرفوا انه لا تاثير للاسباب بدونه وانه كما يقدر على
الانعام يقدر على الانتقام وان الذين اتبعوه لم يتبعوه عن اكراه ولا عن حجة حتى
يعتذروا بل عن وسوسة ولا يعتذرون بها لانه ما كان له عليهم من سلطان
بالوسوسة الا لنعلم لنظهر علمنا بكل من يؤمن بالاخرة فيهتم لدفع وسوسته ويتمسك
بالحجة فينسب النعم الى الله ليشكرها طلبا لجزاء الاخرة فيتميز ممن هو منها في
شك فلا يهتم لدفع وسوسته ولا يبالي لصاحب الوسوسة التمسك بوسوسته

في مقابلة الحجة لعدم تحفظه مقتضى الحكمة لكن ربك على كل شيء حفيظ فيحافظ
من حافظ نفسه بالحجة ولا يحافظ من لا يحافظها بل يتبع الوساوس فهذا حفظ
لقاعدة الحكمة في حقه فهو حفيظ لما هو حقه فان زعموا انهم يحافظون على الحجج
ولا يبالون بالوساوس قل لا تحافظون على الحجج انتم ولا من تدعونهم ادعوا
الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله ليقيموا الحجج على آلهيتهم فهل آلهيتهم
بالاستقلال مع انهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اذ الحادث
لا يستقل بدون القديم او بالمشاركة وما لهم فيهما من شرك والا لم يستقل
القديم بدون الحادث فلا يكون محدثا لهذا الحادث او بطريق المعاونة وما
له منهم من ظهير والا توقف ايجاده للحادث على عون الحادث فيكون معينا
له قبل وجوده او بطريق الشفاعة فان لم تكن نافعة فلا عبرة بها وان كانت نافعة فلا
شك انه لا تنفع الشفاعة عنده الا برضاه ولا يعرف رضاه الا باذنه لمن
اذن له ولا يعرف اذنه الا بالسماع منه ولا يطيقه الا الانبياء والملائكة
وهم عند سماعهم ياخذهم الغشية فلا يفهمونه حتى اذا فزع كشف الفزع عن
قلوبهم قالوا في قلوبهم ماذا قال ربكم فيظهر في قلوبهم نقش ما قاله فيحسبونه قالوا
للخلق ما هو الحق من قوله وكيف لا يكون خطابه كذلك وهو العلي عن حد المخلوقين
فان قربوا منه فهو الكبير فلا يحتمل خطابه من هيبة الكبرياء فمن اين لما تدعونهم
هذه الرتبة من السماع فضلا عما يترتب عليها من الشفاعة فان زعموا ان آلهتهم
يملكون رزقهم كما يملك الملوك ارزاق العسكر قل انما يملك الملوك ما ينزل
الله عليهم من السماء او يخرج لهم من الارض والاصنام لا يملكون شيئا من ذلك
واما الانزال والاخراج فمخصوص بالله من يرزقكم من السموات والارض
بالانزال والاخراج قل الله ولو زعموا انهما بشفاعة شركائهم فلا دليل لهم فعليهم
ان ترددوا في ذلك فيقولوا انا في نسبتهما الى شفاعة الاصنام او اياكم في
نفي هذه النسبة لعلى هدى او في ضلال مبين فاذا جزمتم بالهدى لانفسكم

فى هذا المقام فهو عن الضلال وتجوز لنا القطع بضلالكم عند عدم الدليل على
شفاعتهم اذ الاصل العدم بهما اذ ادل الدليل على امتناع شفاعتهم فان
زعموا انه وان دل الدليل على امتناع شفاعتهم فلا ينبغى ان نقطع بالضلال
فلعل لدليلكم قادحا من نقض او مناقضة او معارضة فانتم مجرمون بقطعكم
بضلالنا قل ليس لكم ان تصححوا بترك متابعة الدليل على احتمال
القادح الموجب لجزمنا اذ لا تسألون عما اجرمنا باتباع الدليل على
احتمال القادح الذى لم يظهر لنا ولا لكم ولا نسأل عما تعملون بعد بياننا
لكم الدليل فان زعموا انه ليس لكم ايذاننا بنسبة الضلال على ترك متابعة دليل
يحتمل القادح وان لم يظهر لنا ولا لكم قل لا عبرة باحتمال ما لم يظهر فان النزاع
ينقطع باقامة الدليل مع سكوت الخصم الآخر وهذا موجود فيما نحن فيه
وقت حكومتنا الى ربنا فانه يجمع بيننا ربنا ليسمع دليلنا واعتراض الخصم
عليه ثم يفتح ما اغلق علينا وعليكم من الشبهة فى الدليل فيقطع النزاع بيننا
بالحق بحيث لا يبقى احتمال قادح وهو الفتاح برد الدلايل الى المقدمات
الاولية ورفع الشبهات العليم بما ينتهى اليه الدلايل وما لها وما عليها قل ارونى
جعلتمونا بنسبة الضلال اليكم مجرمين على مجرد القادح فى دليلنا من غير
ظهوره له فكيف لا يكونون مجرمين بترك متابعة الدليل على احتمال ان لا يكون
له قادح البتة كدلايل التوحيد ارونى الذين الحقتم به شركاء من غير دليل
محتمل للقدح ولا غيره كلا ازجروا عما لا ينسب الى دليل اصلا بل الاله
هو الذى دل عليه الدلايل وهو الله الجامع للكمالات ولا يجمع مع الشركة
كيف وهو العزيز المطلق لا عزة لاحد المتساويين على الآخر وان لم يكن
مساويا لا يترك شركه لانه الحكيم فلا يترك مفسدة الشرك وان قالوا ليس لك
ان تنهانا عن آلهتنا لانك ان لم تكن رسولا فظ وان كنت رسولا فانما ارسلت
الى الخواص الذين يمكنهم التقرب الى الله بلا واسطة الاصنام قال الرسالة

قد ثبت بالمعجزات ولم تخص بالخواص لانا ما ارسلناك الا رسالة كافة مانعة
للناس عن ان يخرج احدهم عن دايرة دعوتها لكونه بشيرا لمن آمن بها فى جنة
الله ونذيرا لمن كفر بها فاشرك بالله وهذا مما لا يخفى على عاقل ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ويقولون انتم لا تعلمون وقت ما تبشرون به وتنذرون عنه متى
الوعد ان كنتم صادقين فى التبشير والانذار قل ان العلم بالشئ لا يستلزم
العلم بوقته وان كان له وقت معين كالموت اذ لكم فيه ميعاد يوم لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون ومع ذلك لا يطلعون عليه وقال الذين كفروا
لا يظهر لنا صدقكم ما لم يثبتوا لنا وقته اذ غاية ما يستدلون به عليه هذا
القرآن لكن لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى يصدقه ويبشره بين
يديه فقال عدم ايمانكم بالكتاب المعجز الذى بشرته كتب الاولين ظلم منشاه
الاستكبار على انفسكم وعلى اتباعكم ولذلك يوقفون عند ربكم وتوقفون
عنده من اجلهم ولو ترى ايها الرائى اذ الظالمون انفسهم واتباعهم بمنع
الايمان بما ظهر اعجازه بعدما بشرته كتب الاولين وصدقته موقوفون
عند ربهم ليحاسبوا من يدعى عليهم بالاضلال الذى هو اشد من القتل
يرجع بالرد والالزام بعضهم الى بعض القول دفعا للعذاب عن انفسهم
والزاما لاصحابهم ليرتاب امرا عجيبا فانه يقول الذين استضعفوا فظلموا
للذين استكبروا فظلموا لولا انتم تستضعفوننا لكنا مؤمنين اذ وجدنا
سبب الايمان وهو الكتاب المعجز الذى بشرته كتب الاولين وصدقته من
غير مانع من الاستكبار قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انا و
ان استضعفناكم لم نحملكم على الكفر انحن صددناكم بالاكراه عن الهدى
بعد اذ جاءكم فقبلتموه بل كنتم قبل استضعافنا اياكم مجرمين فاستمررتم عليه
بعد الاستضعاف وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا ما كنا بل
استضعافكم ايانا مجرمين بانفسنا بل جعلنا مجرمين مكر الليل والنهار

بربها بها علينا بلا مواخذة على كفرها وبلا حشر لموتانا وانما تم مكرهما باضلالكم
اذ تامروننا ونحن نعتمد على عقولكم ان نكفر بالله ونكفي فيه امركم ان نجعل له اندادا
امثالا فيه اذ لا له نجعله واحدا من امثاله فاجرمنا اولا لاضلالكم ثم
استضعفونا ولما لم يكن هذا عذرا يدفع عنهم العذاب لعدم استدلالهم
وعدم الاكراه عليهم اسروا الندامة على اعتقادهم للمستكبرين لما راوا
العذاب الذي هو اشد من اكرامهم لو كان ولا اعتقادهم اياهم اندادا وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا كما يجعل في اعناق من خرج على الملك
فاخذ ولذلك تعال لهم هل يجزون بهذه الوجوه من الشدة الا ما كانوا يعملون
من الخروج على الله والاذلال له وتكفهم في استحقاق الاغلال موافقهم
لاعداء الله من المترفين المبالغين في عداوته فانا ما ارسلنا في قرية ولو الى
من نذير الا قال مترفوها الذين هم المستضعفون لكون
لكون لهم نصيب من نعمهم انا بما ارسلتم به من وجود الله وتوحيده واسمائه
واحكامه كافرون وقالوا لو كنتم رسل الله لكنتم اسعد الناس وكنا اشقاهم
لكن الامر بالعكس اذ نحن اكثر اموالا واولادا ومن لم يكن ذلك منا
فليس بشقي ايضا اذ كل شقي معذب وما نحن بمعذبين بل لما سعدنا
بالاموال والاولاد لا نعذب اصلا اذ السعيد لا يعذب قل انهما انما
سنا لو كان وجودهما سعادة وعدمهما شقاوة لكن ليس كذلك لان غايتهما
انهما رزق دنيوي ان ربي يبسط الرزق الدنيوي لمن يشاء من سعيد
وشقي ويقدر يقبض عمن يشاء منهما فلا دلالة في وجودهما على السعادة
ولا في عدمهما على الشقاوة ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيستدلون بوجودهما
على السعادة وبعدمهما على الشقاوة كيف والسعادة في القرب من الله
والشقاوة في البعد عنه وما اموالكم ولا اولادكم بالتي اي بالامور تقربكم
فيفيدكم عندنا زلفى قربة الا من آمن فيشكر الله على ما آتاه من الاموال

والاولاد وعمل صالحا فصرف ماله في الخيرات وادب اولاده بها فاولئك
لهم جزاء الضعف اي جزاء مضاعف ثواب الفقراء الخالين عن الاولاد
بما عملوا من اعمال اولئك الفقراء مع الصرف المال في الخيرات وتاديب
الاولاد بها ولا تنافي تقربهما ما فيهما من قوة الجذب الى الجهة السفلية لانهم
دفعوها بقوة اجتهادهم ولذلك هم في الغرفات التي ارتفعوا اليها بقوة
اجتهادهم آمنون من النزول عنها وكيف يعد بهذا القرب ارباب الاموال
والاولاد الذين يسعون في ابطال آياتنا معاجزين قاصدين اعجازنا عن
اقامتها بقوة اموالهم واولادهم اولئك بهذا القصد وان كان لهم من الاموال
والاولاد ما يعظم جاههم عند الناس في العذاب محضرون لا يغيبون عنه
بلذة مال ولا ولد فان زعموا انه لا سعادة في القرب من الله اذ لا فائدة
فيه ولا شقاوة في البعد عنه اذ لا ضرر فيه وانما الفائدة والضرر في وجود
الاموال والاولاد وعدمهما قل هذه الفائدة وهذا الضرر انما يكونان
من الله ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وسعادة
المال انما تبقى باخلافه لان ما انفقتم من شيء فهو يخلفه على ان المال انما كان
مسعدا لافادته الرزق وهو خير الرازقين بما نزله من السماء او يخرجه من الارض
ولله رزق الملئكة التي يغني عن الاكل والشرب فكيف تنكر سعادة القرب
منه وفائدتها فان زعموا ان الرزق السماوي والارضي انما هو من الملئكة
وكذا القوة الملكية فلا معنى للتقرب الى الله من اجل ذلك بل الواجب
التقرب الى الملئكة بعبادة صورها على ان التقرب الى الله انما يكون
بواسطتهم تعالى التقرب اليهم لا يكون بعبادة صورهم بل بعبادة ربهم
فاذا عبدوا ابتدوا منها ونسبوها الى من رضي بها من الجن وكذلك يوم
نحشرهم اي الملئكة والانس والجن جميعا ثم نقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون اي هل كانوا يخصونكم بالعبادة عن امركم ورضاكم قالوا انما

ورضي ما لحقه لكن تنزهت عن المشاركة في استحقاق العبادة سبحانك تنزهك في ذاتك وصفاتك ومع تنزهك انما رضي بعبادتهم لو كانوا اليهم لكن انت ولينا من دونهم فاذا لم يكن عبادتهم بامرنا ورضانا ما كانت عبادتهم لنا بل كانوا يعبدون الجن الذين يرضون بهذه العبادة ويامرونهم بها بل اكثرهم يقصدون عبادتها اذ هم بهم مؤمنون لا بالملائكة واذا تبرأت عنكم الملائكة وصارت عبادتكم للجن وهم ايضا ماخوذون مثل مواخذتكم فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا بدفع العذاب عن صاحبه او تحمله عنه ولا ضرا بحمل عذابه ولو لم يتبرأوا بما شوهم ذلك لان المعذبين هم الملائكة ونقول للذين ظلموا بعبادة الغير والامر بها ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون على الظلم في العبادة وفي تكذيب النار وكيف يتوسلون بالملائكة ويتركون التوسل بالانبياء الذين هم اقرب منهم وافضل من الملائكة بل يكذبونهم ويستهينون بهم وباياتهم بحيث اذا تتلى عليهم اياتنا المنسوبة الى عظمتنا بينات بحيث لا يشك في كونها ايات قالوا معارضين لدلالتها على نبوة صاحبها ما هذا الا رجل والرسول يجب ان يكون ملكا على انه يجب ان يكون داعيا الى الحق وهذا يريد ان يصدكم عن الحق من عبادة من يستحقها لصدكم عما كان يعبد اباؤكم وهي دليل استحقاقها للعبادة وقالوا ما هذا الصد عن عبادتهم دعوة الى عبادة الله بل ما هو الا افك صرف من عبادته فليس من الله بل مفترى على الله واذا اعترض فولهم بدلالة المعجزات قال الذين كفروا نسبة الاعجاز الى غير الله للحق الذي هو المعجز القولية الداعية الى ما يطابق الواقع لما جاءهم فعلموا حقيته ان هذا الا سحر مبين لا يلتبس بالمعجزات اصلا الحملوا الدليل القطعي سحرا واتبعوا ما لا دليل عليه اصلا لا من الكتاب لانا ما اتيناهم من كتب يامرهم بعبادة غير الله فهم يدرسونها ويعملون بمقتضاها

وان خالف العقل ولا من السنة لانا ما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدلهم على ترك عبادتها ولكن كذب الذين من قبلهم المنذرين عن عبادتها ولم يكن تكذيبهم بقوة العلم لانهم ما بلغوا في العلم معشار ما اتيناهم من العلم ولكن عاندوهم فكذبوا رسلي بلا حجة لهم عليهم بل كانت الحجة للرسل فاخذتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم السلام اعلم من غيرهم بحيث لا يكون للغير معشار ما اوتي الانبياء بل هم مجنون حتى ان ما اوتيه محمد صلى الله عليه وسلم عين الجنون قل لهم كلا ما بل علي وفور عقلك من غير نظر وفكر انما اعظكم امركم بواحدة خصلة واحدة تفيدكم كمال الرشد هي ان تقوموا بالانصاف لله مثنى متفرقين ليلا يشوش الخاطر بخلط الاقوال وفرادى ليستخرج كل ما في امر صاحبكم ثم تتفكروا انه ما بصاحبكم من جنة جنون بل جميع كلامه حجة او تنبيه ان هو الا نذير لكم بعذاب الله من يدي عذاب شديد فان زعموا انه انما ينذرها عن اللذات العاجلة ليستقل بها فيتسلط على اموال الناس قل ما سالتكم من اجر فهو لكم مردود عليكم ان اجري الا على الله الذي ارسلني بهذه الرسالة الشاقة فيحملني المشاق كيف وهو على كل شيء شهيد فيشهد بما تحملت فلا يمنعني اجري عليه فان زعموا انهم كلما تفكروا فيه ظهر لهم جنونه قل ان ربي يقذف بالحق في قلوب المنكرين اذا ما متصفا بالحق ان كانوا طالبي الحق فانه علام الغيوب فان علم من قلب عبد طلب الحق قذفه في قلبه والا قذف الباطل وان زعموا انه تارة يقذف الحق وتارة يقذف الباطل قل هذا في الامور الظنية واما الامور القطعية فانه جاء فيه الحق وما يبدئ وما يحدث الباطل الذي لم يكن اصلا وما يعيد الباطل الذي كان فاندفع بالدليل القطعي فان زعموا انه لا دليل قطعي على ما ذكرت بناء على عدم الدليل الملجئ لهم الى الايمان قل ان ضللت فما دل الدليل القطعي لعدم الجائه فلا يضركم ضلالي لو تبعتموني فيه فانما اضل وضرره على نفسي وان اهتديت من غير دليل ملجئ فبما يوحي الي ربي فيغنيني

فان انكروا كون الانبياء عليهم صح

في ضمير صاحبه وفرادى ليجمع بالخلوة فكره ثم تتفكروا صح

فيه برد اليقين ومخالفه مستنكر وان لم يبلغ الى حد الالجاء ولا يمكن فيه
الضلال بالقاء الشيطان انه سميع لوجب محفظه عن تخليط الشيطان
ولا يبعد عليه حفظه لانه قريب وكيف يخافون ضرر الضلال فيما دل
الدليل على هدايته ولا يخافون ضرر تكذيب ما دل الدليل على كونه هدى
ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث من تكذيبهم لما دل الدليل
على كونه هداية فلا فوت فلا يفوتون من نقضهم على ذلك ولا يطول
السعي عليهم اذ اخذوا من مكان قريب لقرب الحجة على المواخذة وقالوا
بعدا لاخذ آمنا به بذلك الهدى وانى لهم التناوش ومن اين لهم
تناول الايمان بسهولة من مكان بعيد اذ بعدوا عن مكانه ولم ياخذوه
حين كان قريبا منهم اذ وقد كفروا به من قبل ولم يكن كفرهم من مكان قريب
بل كانوا يقذفون الهدى باوهام باطلة من غرض لا على تحققها بل على
احتمالها بالغيب لا مع قرب احتمال بل من مكان بعيد فلم يزالوا يبعدون
حتى حيل حجب بينهم وبين ما يشتهون الآن من الايمان النافع فلم ينفعوا
به قبل الموت كما فعل باشياعهم اى اتباعهم من كفرة الامم الماضية من
قبل انهم حيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان النافع لهم وهم في الحيرة
لانهم كانوا غرقى في بحر شك مريب موقع لغير الشاك الاصلي في الريب
مع وضوح الدلائل فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الملائكة

سميت بها لاشتمالها على تفصيل رسالتهم
من جهة اخذهم الفيض عن الله وايصاله الى خلقه من جهة او جهتين
او ثلث او اكثر ليشعر ان الرسالة العامة لهم واذا كانت كذلك فكيف الرسالة
الخاصة مثل انزال القرآن فيجوز ان يكون له جهات كثيرة وقد روي انه
كان لجبرئيل عليه السلام ستمائة جناح بسم الله المتجلي بكمالاته

في سماواته وارضه وملكته الرحمن بجعله الملائكة رسلا لايصال فيضه الى خلقه
الرحيم بتخصيص كل منهم بعدد من الاجنحة الحمد الجامع للمحامد لله لكونه
المنعم بجميع النعم حتى المنسوبة الى الاوضاع الفلكية المختلفة بالقوابل الارضية
لاختصاصه بوصف فاطر السموات لكان عدم السموات لاخراجها ايانا
للفيض والارض التي فيها القوابل كيف والمنسوب اليهما منسوب الى
الملائكة التي فيهما وهو المخصوص بوصف جاعل الملائكة رسلا في ايصال فيضه
الى خلقه باخذه من جهة يسيرها اليه ويوصلها من جهة فاكثر لكونهم اولي
اجنحة تسير بها بسرعة للاخذ والايصال مثنى وثلاث ورباع فاكثر وليس
ذلك لحاجة اليهم ولذلك يزيد في الخلق ما يشاء بلا واسطة ومنه خلقهم
وخلق اجنحتهم والزيادة فيها على اربع لعموم قدرته ان الله على كل شيء
قدير ولعمومها قد يفعل بخلاف مقتضى الاسباب لذلك ما يفتح الله للناس
من ابواب رحمة لا بعرف من وضع فلكي ولا بعرفها ملك فلا ممسك
لها منهم ولا من غيرهم وان كانت رحمة ممسكة لغضبه وما يمسك من رحمة
او غضب فلا مرسل له من بعده من بعد امساكه جرما لا موقوفا على معالجة
او دعاء او صدقة كيف وهو العزيز الغالب على الاسباب وانما يفعل
عندها رعاية للحكمة لانه الحكيم ويخالفها بمقتضى الحكمة ايضا يا ايها الناس
الذين نسوا كون المنسوب الى الاسباب منسوبا الى مسببها اذكروا نعمة
الله عليكم في كل شيء حتى فيما ينسبونه الى فلك او ملك كيف ولا تاثير للاسباب
والا كانت خالقة لكنه ممتنع هل من خالق غير الله ولو كان ثمة خالق غيره لاختص
بافاضة الرزق من كان دون غيره فلم يكن ثم من يرزقكم من السماء والارض
معا على ذلك التقييد وانما نص على وحدة الخالق لانه لا اله الا هو واذا
كان الخالق والرازق واحدا ولا تاثير للاسباب فانى تؤفكون فمن اين
تصرفون من المسبب الى الاسباب التي غايتها انها مسخرة تسخر الكاغذ

والمداد الذي يكتب فيه وبه الملك صلة ولا منة لهما وان يكذبوك في نسبة
الكل الى الله تعالى ابتداء مع ظهور الوسائط فقد كذبت رسل من قبلك
في القول بوجود الله وتوحيده فيخاف عليه ما وقع على مكذبيهم وان لم يقع
في الدنيا يقع في الآخرة اذ الى الله ترجع الامور للانتصاف فلا بد من
وقوعه يا ايها الناس الذين نسوا وجوب رجوع الكل الى الله بمقتضى مبدائيته
لو لم يقتض مبدائيته ذلك اقتضاه وعده لا محالة ان وعد الله حق و
ان توهم خلافه من ترك النظر بالاشتغال بالدنيا او من تغليط الشيطان
فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم الشيطان الذي هو بالله الغرور
بان رحمة الله واسعة وان العذاب مضرة محضة وانه يجوز الخلف في الوعيد
ونحو ذلك فكأنه من تلبيسات العدو ان الشيطان لكم عدو فلا تصغوا الى
كلامه ولا تصالحوه مع عداوته لله من اجلكم فاتخذوه عدوا وكيف تطيعونه
في مصالحته مع انه انما يدعو حزبه الى الكفر والمعاصي ليكونوا من اصحاب
السعير لمصاحبته في النار ابدا ولو لم يدعهم الى ذلك فمصاحبته كفر والذين
كفروا لهم عذاب شديد كيف وهم في مقابلة المؤمنين والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة فلو لم يكن للكافرين عذاب لكان لهم
ايضا مغفرة فلم يكن بينهم مقابلة واجر كبير فلا بد ان يقابل كبر اجر المؤمنين
شدة عذاب الكافرين اي يزعمون ان اعمالهم ايضا تقتضي الاجر الكبير
فمن زين له سوء عمله من مقارنته للكفر بالله فرآه مع مقارنته له حسنا حسنه
بدونها فسوى بين عمله وعمل المؤمن فهو ضال وعمله ضلال لجعل الله اياه ضلالا
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وان تساوى العملان
في انفسهما بسبب ما قارنهما من الكفر والايمان واذا جعل الله حسناتهم
سيئات فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بذهاب اعمالهم التي تحسن
بمقارنة الايمان لانك لم تضيعها عليهم وانما ضيعوها بكفرهم وكيف تكون حسنات

مع انهم لم يتعلق بها الله ان الله عليم بما يصنعون وان زعموا ان ما ذكرت انما
تم لو حصل البعث لكنه خلاف سنة الله تعالى يكفي فيه جريان السنة بنظيره
وقد جرت به اذ الله هو الذي ارسل الرياح من تحريك الهواء بالبخارات
الصاعدة من الجبال والبحار فتثير تجمع البخارات سحابا فسقناه بتلك
الرياح الى بلد ميت لنسقيه بماء فاحيينا به الارض بعض اجزائها بتقلبها
نباتا بعد موتها بكونها جمادات كذلك النشور يحصل بريح النفخ في الصور
المحرك سحب ماء امطار من تحت العرش المنبت للاموات والسنة في احد النظيرين
تجري مجرى السنة في الآخر وان قالوا اسلمنا البعث لكن اذا بعث الله
الخلق نزل كلا منزلته فيعزهم كان عزنا بالاموال والاولاد وذل من
كان ذليلا بهما فقال تعالى من كان يريد العزة عند الله فليتقرب الى الله فلله
العزة جميعا يعز بها من تقرب بطاعته اذ اليه يصعد الكلم الطيب من
الشهادة والاستغفار ويعينه في الصعود العمل اذ العمل الصالح يرفعه
درجات والقول بان العزة عنده بالمال من مكر السيئات لا يفيد الماكر
اذ الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ولا الممكور اذ مكر اولئك
هو يبور يهلك بخلاف من مكر بصاحبه ليجره الى الحسنة فان مكره يفيد صاحبه
تلك الحسنة وان لم يرض به حين مكره به ولا يبعد على الله قلب ذلة العبادة
له عزة اذ الله خلقكم يا اعز المخلوقات من اصل فيه ذليلين من تراب صار
نباتا فاكله انسان فصار دما ثم صار نطفة فخلقكم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
رغب بعضكم في بعض لكمال بركة فيه وسبب عزة العبادة وان كان خفاء من
الاخلاص فلا يخفى على الله تعالى لغاية خفائه مثل خفاء ما في الارحام واخفى منه
وقت الحمل والوضع لكن ما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه لا يخفى عليه ايضا ما
يزداد به العبادة حسنا وما ينقص من المساعي الباطنة فانه كزيادة العمر
ونقصانه وما يعمر من معمر اي ما يمد في عمر من يصير الى الكبر ولا ينقص من عمره

اى عمر المنقوص عمره الا فى كتاب هو لوح القدر التابع للعلم الاعلى السابق لعلمه
ان ذلك وان اقتضى الاطلاع على امور هى فى غاية الخفاء على الله يسير ولما بين
كيف يحسن عنده الافعال بالمساعى الباطنة ويقبحها وهو متعال على الانتفاع
والضرر فالنظر فى الحسن والقبح انما هو فى ذوات الافعال تمثال هذا الفعل
الحسن فى ذاته مثل الماء الذى لا يقبح لذاته اصلا ومع ذلك ما يستوى البحران
عند الانسان وان استويا فى نفس الماء لكن هذا مرغوب له باعتبار
ما قارنه من الصفات مثل انه عذب فرات يكسر العطش سايغ شرابه يسهل
انحداره وهذا مكروه له باعتبار ما قارنه من الصفات مثل انه ملح اجاج
يحرق بملوحته وليس للنظر الى الفوائد اذ من كل تاكلون لحما طريا فى مقابلة التمر
وتستخرجون من المالح فائدة اجل من الاكل والشرب اذ تستخرجون حلية
زينة تلبسونها انحارا فهذه فايدة خاصة لا يضطر اليها وتستفيدون منه
فائدة اخرى تضطر اليها اضطرار العطشان الى الماء وهى التجارة اذ ترى
الفلك فيه مواخر شاقة للماء اسهل من سير البحر العذب لثقله وهى تحمل الامتعة
التى يشق حملها على ظهور الانعام فى طريق البر لتبتغوا من فضله من الربح
او العلم الذى لا يحصل فى دار الاقامة وانما فعل بكم ذلك لعلكم تشكرون
فالشكر محبوب له بذاته والعبادة انما تصير شكرا وحمدا باعتبار تلك المساعى
التى تصيرها حسنا او قبحا ولا بعد على الله ان يولج ذلة العبد فى عزة المالك
وعزة القرب من الله فى ذلة العبادة فانه يولج الليل ظلمة فى ضوء النهار
فيزيده ويولج النهار ضوءه فى ظلمة الليل فيزيدها وسخر الشمس والقمر والنجم
ذلة جعلها عين عزتهما باظهار انوارهما واثارهما كل يجرى لاجل مسمى فاذا
تم انقلبت العزة ذلة وكيف لا يكون عبادة الله عزة مع انه ذلكم الله البعيد
يتقرب بها اليه ويفيدكم القرب اليه من حيث هو ربكم مع انه هو الذى له الملك
وخدمة الملك عزة فى العرف فكيف خدمة ملك الملوك وانما الذلة المحضة عبادة

الذين يدعون من دونه اذ ما يملكون من قطمير لفافة النوى كيف وهو مثل لما هو فى
غاية النقص لانهم بحيث ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم اذ لا سمع لهم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم لعجزهم عن الاجابة القولية والفعلية وان لم يظهر ذلة عبادتهم الان يظهر يوم القيمة
اذ يكفرون بشرككم فيقولون ما رضينا به واى ذلة فوق ذلك وهذا وان لم يقع
الان فلا بد من وقوعه لان مخبرك به خبير ولا ينبئك مثل خبير بالبواطن التى هى
المآل يا ايها الناس الذين تنسون احتمال الذلة للحاجة ان لم يحصل لكم من عبادة
الله غرض فلا بد لكم من فعلها اذ انتم الفقراء الى الله والله تعالى وان استغنى
عن عبادتكم من حيث هو الغنى امركم بها من حيث هو الحميد اذ يصيرها مشكورا
محمودا وهو يحبه اذ الحميد يحب من يحمده ويشكره بالعبادة ويبغض من ترك حمده
وعبادته فان تركتم ذلك ان يشأ بمقتضى غضبه مع غناه عنكم يذهبكم فيلحقكم
بالعدم الذى هو غاية الذلة ويأت بخلق جديد يحمدونه ويعبدونه ولغناه
عن مباشرة الاسباب والالات فى النظر والتأمل مع اقتضاء حمده ذلك ما ذلك
على الله بعزيز صعب ولا يرتفع غضبه بتحمل سببه وهو الاثم عنكم اذ لا تزر وازرة
وزر اخرى اى لا تحمل نفس لثقله اثم غيرها لا بدون دعوة ولا بدعوة فان
ان تدع نفس مثقلة اثقلها الاوزار الى حملها حمل وزرها لا يحمل منه شىء
اى لا يحمل المدعو شيئا مما حملته المثقلة ولو كان المدعو ذا قربى لكن انما تنذر
مؤثرا فى الذين يخشون ربهم الذين فهم من خشيته شىء يتراءى لك الشىء
بانذارك تراءى النار بالنفخ مع كون ربهم بالغيب وازدادوا اثرا اذ
اقاموا الصلوة المفيدة للطهارة ومن تزكى فتزكيته وان كانت بسبب ظهور
نور الحق فيه فلا فائدة فيها للحق فانما يتزكى مفيدا لنفسه كيف ويكون لها
الى الله المصير مصيرها بالفناء فيه والبقاء به وهذه الفائدة وان لم يعرفها
المحجوبون يعرفها المكاشفون اذ ما يستوى الاعمى والبصير ولا يعرفها البصير
فى كل وقت بل وقت استنارته اذ لا يستوى الظلمات ولا النور ولا يمكنها

قرابة للداعى ممن كان يتحمل منه
الاثقال الدنيوية وهذا
وان كان انذارا كاملا
صح

اكتساب النور في كل وقت بل وقت غلبة حرارة العشق عليها اذ لا يستوي
الظل ولا الحرور اذ به يحصل لها الفنا في الله والبقاء به وسواء المحجوب بالله
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع منه الاسرار من يشاء
من اهل لطفه وما انت بمسمع لها ولا المادة ونهاها من في القبور من موتى الحجب
الظلمانية ان انت في حقهم الا نذير يخوفهم بالعذاب وان كنا على في
شك من هذه الرتبة انا ارسلناك بالحق بشيرا بالوعد ونذيرا بالوعيد
والارسال المصحوب بالحق من سنتنا اذ ان من امة اهل عصر الا خلا مضى
فيها نذير عن العذاب لبعضهم وبشيرهم على التجلي والحجب وان حصل لبعضهم ذلك
لا بطريق الرسالة اذ لم يكن احوالهم ثمرات اعمالهم بل نتائج رهبانيتهم وان
يكذبوك في هذه الفضيلة فقد كذب الذين من قبلهم من انذرهم بالعذاب مع
انهم جاءتهم رسلهم بالبينات العقلية وبالزبر المتضمنة للدلائل العقلية من الانبياء
الماضين وبالكتاب الجامع بين العقل والنقل المنير بنور الكشف ثم بعد الزام
الحجة من كل وجه اخذت الذين كفروا ومضوا على كفرهم بهذه الامور فشددت
عليهم الامر فكيف كان نكير اي انكاري على انكارهم ولو قيل كيف يكون كلام
واحد بشيرا بالتجلي ونذيرا عن الحجاب في حق قوم مع تجرد كونه نذيرا عن العذاب
في حق اخرين قال ان القران النازل من المقام الجامع للكمالات يكثر
فوائده في حق السالك وفي الداعين وفي المستفيدين باعتبارات مختلفة الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به لم يقل فاخرج به لئلا يتوهم كون المخرج
من الماء بسبب النزول ثمرات مختلفا الوانها اجناسها واصنافها ومنها
من الصفرة والخضرة ونحوهما منها باختلاف توجهات القران وتختلف
ذلك باختلاف الدعاة الذين هم كالجبال في الرفعة ومن الجبال جدد قطع
بيض ومن مثال الصوفي الداعي بطريق المكاشفة والتزكية وقطع حمر
ومن مثال المتكلم يدعو بطريق المناظرة التي نسبة المقابلة مختلف الوانها مقدارا

فضلناك على الانبياء الماضين اذ هو

كان صح

اي تختلف مقادير بياضها وحمرتها وقطع غرابيب متحدة الالوان سود ومن
مثال الفقهاء المتفقين في الاخذ بطريق ظني لا يصير الى بياض اليقين
وتختلف باختلاف المستفيدين فمنهم المنصرفون كالناس ومنهم الناقلون
للروايات مع الدلائل كالدواب الحاملة للانسان ومنهم الناقلون للروايات
كالانعام الحاملة للامتعة ولكل مراتب مختلفة اذ من الناس والدواب
الخيل والبغال والحمير والانعام الابل والبقر والغنم مختلف الوانه وكما يختلفون
في استفادة داعي العمل ومن الخشية فانها بحسب العلم لانه انما يخشى الله من
عباده وان كان حقهم ان يخشوه جميعا بمقتضى عبوديتهم وربوبيته العلماء
لانهم عرفوا عزته الموجبة للخشية منه وان لم يكن له قهر وعرفوا ان له فهو يسيرة
ان الله عزيز غفور ومن الفوائد انما تظهر واحدة بعد اخرى على من
لازم تلاوة القران مع اعتقاد غاية عظمته وطالبها في حال المناجاة
وذاكرها لاهل العلم ان الذين يتلون يواظبون على تلاوة القران على
اعتقاد كونه كتاب الله وفضله على كلام الخلق كفضل الله واقاموا الصلوة
ليشاهدوا فيها المتكلم ليظهر لهم فوائد كلامه وانفقوا مما رزقناهم من
العلوم الباطنة سرا لاهلها ومن العلوم الظاهرة علانية لاهلها وتفاض
عليهم تلك الفوائد واحدة بعد واحدة لانهم يرجون من الله في هذه الاعمال
تجارة تفيد ارباح العلوم والاعمال لن تبور لن تهلك فتخسر فلا تزال تفيض عليهم
علوما واعمالا كان فيهم قصور انه غفور ساتر لقصورهم شكور لاجتهادهم ومن
هذه الفوائد وان وجدت في كتب الاولين فالذي في كتابك اكمل اذ الذي
اوحينا من مقام عظمتنا اليك يا اكمل الرسل من الكتاب الجامع كتب الاولين
هو الحق المطابق للصفة الازلية اتم مطابقة ولغاية كماله كان مصدقا لما
بين يديه وتلك الصفة وان كانت متحدة اختلف ظهورها بحسب اختلاف الامم
ان الله بعباده لخبير بما في بواطنهم بصير بما في ظواهرهم ما فضلنا عليك تلك

العلم كذلك يختلفون في استفادة صح

ليوفيهم اجورهم من العلوم والاعمال وما يترتب عليهما ويزيدهم على اجورهم من فضله وان صح

الفوايد ثم بعدك اورثنا الكتاب لاستفاضة تلك الفوايد الاولياء من
امتك وهم الذين اصطفينا للاطلاع على اسرارها لكونهم من عبادنا المنتسبين
الى عظمتنا يفيض على كل واحد منهم بحسب اختلافهم فمنهم ظالم لنفسه مبالغ
في المجاهدة على نفسه بحيث يمنعها حقوقها فضلا عن حظوظها ليوفيها في الاخرة
ومنهم مقتصد يعطيها حقوقها ويمنعها حظوظها ومنهم سابق بالخيرات متبع
في اعطاء الحظوظ والحقوق المصلحة لا عن رايه بل باذن الله يلهمه الذي
الله تعالى ذلك التوريث وان كان مختلفا بحسب اختلافهم هو الفضل
الكبير في تحصيل فوايد الكتاب فيطلع الاول على الحقايق والثاني على
الاخلاق والثالث على الاعمال هذا الاصل لكن لا يقتصرون على ذلك
بل يكون كانه حصل لكل واحد جنات عدن يدخلونها ليأخذوا من
ثمراتها ما شاؤا يحلون فيها من اساور من ذهب من تزينهم بعلم الجدال
ولؤلؤا من اتصافهم بالحقايق المكنونة ولباسهم فيها حرير من تخلقهم بالاخلاق
الالهية وتزينهم بزي الاعمال الصالحة وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن حزن الجهل بالادلة اليقينية ودفع الشبه ان ربنا لغفور ساتر
للشبهة شكور بافاضة الدلايل القطعية لمن استفاضها بمجاهدة نفسه الذي
احلنا دار المقامة بازالة الشك الذي به اضطراب القلوب من فضله من
غير وجوب شيء عليه لا يمسنا فيها نصب من طول المقدمات ولا يمسنا
فيها لغوب من خفايها ويظهر لهم ذلك يوم القيمة في الجنات المحسوسة ايضا
والذين كفروا لهم بدل هذه الفوايد النازلة منزلة الجنات نار جهنم مع
حزنهم بفوات تلك الفوايد فكما لا ينقطع تلك الفوايد في حق المؤمنين المذكورين
ولا ما نزل منزلها اي جنات عدن لا ينقطع بدلها في حق الكافرين لذلك
لا يقضى لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا وكما لم يخفف عليهم شبهاتهم بالدلايل
القاطعة من الفوايد المذكورة لا يخفف عنهم من عذابها وكيف لا يكون الكافر

هو

بهذا الكتاب مع غلظ كفره منذ العذاب وقد عم الكفار اذ كذلك نجزي
كل كفور برسول او كتاب او امر ما يجب الايمان به وهم يصطرخون فيها
بدل حمدهما وليس باذهاب الحزن عليهم يقولون ربنا اخرجنا من هذه النار
الجامعة للاحزان التي اوجبها اعمالنا القبيحة نعمل صالحا يوجب اذهابها غير
الذي كنا نعمل على اعتقاد انه المذهب للاحزان كلها اخفي عليكم كونكم موجبين
للحزن ولم نعمركم مقدارا ما يتذكر فيه من تذكر على تقدير الاخفاء ولم يترككم
على مجرد التذكر الذي ربما يقولون معه انه لم يظهر علينا شيء بل جاءكم النذير
ايضا فلم تبالوا الظهور ولم تشتغلوا بالتذكر ولم تسمعوا للنذير فعند ظلمكم
من هذه الوجوه فذوقوا لذات ما عملتم ذوقا دايما فما للظالمين من نصير
يدفع عنهم العذاب حينا فان زعموا ان النذير لم يدفع لهم شبهة قيل لهم ان
الله عالم غيب السموات والارض فلا يرسل من لا يقدر على حل شبهاتكم او لا يحلها
وما كان المانع لكم الشبهة بل الاستكبار في قلوبكم انه عليم بذات الصدور
وكيف يتصور ان لهؤلاء الظالمين نصيرا مع عظم جرمهم اذ كفروا بمن انعم
عليهم باجل ما يتصور من النعم اذ هو الذي جعلكم خلايف يتصرفون نيابة
عنه في الارض فانكرتم وجوده تارة وتوحيده اخرى وكذبتم رسله واياته
ثم الكفر يضر في نفسه فاذا لم يضر الحق لتعاليه عن تأثر شيء فيه فلا بد ان يضر
الكافر فمن كفر فعليه كفره اي ضرر كفره ولا يفيد محبة الله بواسطة الاصنام
فانه لا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بغضا لانهم وسطوا اعداءه
المبغوضين له ولا رشاد دنيويا ولا اخرويا فانه لا يزيد الكافرين كفرهم في الدنيا
والاخرة الا خسارا لمن وسط الى الملك عدوه فانه لا يستفيد بل يخسر
ما كان عنده فان زعموا انهم مستقلون بانفسهم لا بطريق الوساطة قل انما
يتم هذا لو كانوا خالقين للمنافع ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
اي الذين جعلتموهم شركاء الحق مع كونهم دونه بمجرد دعواكم لا بدليل اخروني

ن اعمام

ماذا خلقوا من الاشياء التي في الارض ام لهم شرك في خلق الارض ام لهم شرك
في السموات فان زعموا ان شركهم في السموات فقل لهم هل اتيناهم على ذلك
دليلا عقليا ام اتيناهم كتابا ولا يعرف كونه منا الا باعجازه او اعجاز
صاحبه فهم على بينات منه لكن لم يكن من ذلك شئ بل غاية ما يتمسكون انه
وعدهم اباءهم على دعوتهم مع انه ان اي لا يعد الظالمون بعضهم الاباء
بعضا الابناء الا وعدا يكون غرورا وكيف لا يكون وعدا يحثهم على الشرك
غرورا مع ان الشرك سبب فساد العالم ان الله يمسك السموات والارض
فيمنعهما من ان تزولا بقول المشركين الموجب للفساد ولئن زالتا على قولهم
ان ما امسكهما يمنع تاثير هذا السبب من احد من بعده من بعد غضبه الذي
به يؤثر هذا السبب لكن يعارض حلمه غضبه لا الموجب للعفو الكلي بل للتيسير الى
يوم القيمة لبقاء التكليف انه كان حليما غفورا وربما كان مقتضى الاسمين
العفو الكلي لكن غلب غضبه عليهم اذ ضموا الى كفرهم نقض عهد الله وبمنه بالا
وكمال الاستقامة فانهم اقسموا بالله فاجتهدوا في تاكيده جهد اجتهاد تاكيد
ايمانهم حين سمعوا تكذيب بعض الامم رسلهم والله لئن جاءهم نذير ولو دون
النذر الاولى ليكونن اهدى من امة هي احدى الامم في الهداية ولابتنا
اخرى تصير ثانية لها فلما جاءهم نذير هو اعلى النذر ما زادهم مجيئه الا نفورا
تباعدا عن الهداية اكثر مما كانوا عليه قبله لا لمعرفته من نقص او غيره بل
استكبارا طلبا للتكبر في الارض لاخلاله بجاههم والا مكر السيء بلبس
الطريق للنبي في اهلاكه واهلاك اتباعه ودينه ابقاء لجاههم ولا يحيق
المكر السيء لا يحيط ضرره الا باهله فان كان الممكور اهله احاط به والا احاط
بالماكر وهم يصرون على ذلك المكر بعد سماع هذا فهل ينظرون الا سنة
الله في اهلاك الاولين من اهل المكر السيء وهو من يجرب المجربات الموقع
في الندامة فلن تجد لسنة الله تبديلا بضدها ولن تجد لسنة الله تحويلا

كما

ينظرون صح

الى غيرها لذلك حاق بهم يوم بدر اينكرون كونه سنة الله وكانهم لم يسيروا
في الارض التي وقعت فيها هذه السنة فينظروا كيف كان عاقبة الماكرين المكر
السيء الذين من قبلهم ليقيسوا انفسهم عليهم ولا تغتر نهم بالضعف بل
كانوا مع كمال ملكهم اشد منهم قوة ولو فرض انهم اقوى منهم ما كان الله ليعجزه
من شيء لدخوله في السموات ولا في الارض الداخلين تحت قهره ولو كانوا
مجبره ليعلم كيف يزيل قوتهم وقدرتهم لانه انه كان عليما قديرا ولكمال علمه
وقدرته لو يواخذ الله الان الناس بما كسبوا لاخذ جميعهم مع ما خلق من
اجلهم بحيث ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة لانه لو خص العصاة
بالمواخذة لارتفع التكليف ولكن لكونه يشبه الظلم يؤخرهم الى اجل مسمى
ينقطع عنده التكليف فاذا جاء اجلهم اخذ من يستحق المواخذة دون
غيره بمقتضى بصارته فان الله كان بعباده بصيرا تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله
اجمعين

## سورة يس

سميت به لدلالته باعتبار محتملاته
على غاية تعظيمه صلى الله عليه وسلم بما يقتضي الحكمة ارساله اليه وهذا من اعظم
مقاصد القران بسم الله المتجلي بكماله في رسوله صلى
الله عليه وسلم الرحمن بارساله للعالمين الرحيم بجعله على صراط مستقيم لم يصل
اليه من قبله في الكمال يس اي اقسم بدرك المستولية على الكمالات الانسانية
وسيادتك فيها بالطبع على ساير الافراد وبتمكنك وسبقك بالفضايل والعقايد
والسير المرضية مما انت عليه وتدعوا اليه او باليسر والسرعة التي لك في الترقي
الى مدارج الكمالات والقران الحكيم الذي استيلاؤك على العلوم و
والاعمال وسيادتك على الموجودات لكونه نازلا عليك من مظاهر صفات
مولاك وبه تمكنك بها وتنبت من الخير الكثير وسبقك بما افادك من القرب الى
موصفه وبه يحصل التقي من الحكمة النظرية والسير المرضية من الحكمة العملية

وبه اليسر والسعد في مدارج الكمالات انك لمن المرسلين اذ بالرسالة يتم الاستكمال
على الكمالات الانسانية والسيادة على ساير الموجودات وبها كمال اليمن
واليسر وهي المقتضية للفتح واليسر المرضية على اكمل الوجوه ويتيسر لصاحبها
بالسرعة ما لا يتيسر لغيره كيف وقد حصلت كل هذه المنافع بكونك على صراط
مستقيم في باب الاعتقادات والاعمال والاخلاق بالاعتدال فيها بين
طرفي الافراط والتفريط على وفق الدلايل العقلية والنقلية والكشفية ولولا
تلك هذه المنافع لكفى بكتابك دليلا على صحة رسالتك لانه معجز والاعجاز
وان كان قهرا فلا ينافي الرحمة التي هي من لوازم الرسالة بل هو عين الرحمة
على الكل ببيان كل ما يحتاج اليه فهو تنزيل العزيز الرحيم وانه وان كان
حكى من هذه المنافع ان بلازم قاب قوسين او ادنى لكن نزلت الى
مناسبة من ارسلت اليهم بمقتضى عزة الحق عليك ورحمته على الخلق فانت
ايضا تنزيل العزيز الرحيم وعزته وان اقتضت قهر من لم يؤمن به فرحمته تقتضي
انذاره وان كان غافلا سيما اذا استمر عليها فانما ارسلك ونزل كتابك لتنذر
قوما انذر اي لم ينذر اباؤهم الاقربون فهم وان انذر اباؤهم الابعدون
غافلون وتكليف الغافل باطل بل لا يحسن قول العذاب عليه لكونه بمقتضى
العزة الذاتية لقد حق القول الالهي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
لا على الكل اذ لا يبقى مقتضى الرحمة اصلا بل على اكثرهم فهم وان علموا النهي
في المخالفة والرحمة في الموافقة لا يؤمنون وظهر من العزة فيهم لم يدفع عنهم
القهر بل صار موجبا له او اورثهم الكبر انا جعلنا عليهم من الكبر ما يمنعهم
التذلل للحق كانا جعلنا في اعناقهم اغلالا في ملتقى طرفيها حلقة فيها راس العمود
الى الذقن فهي واصلة الى الاذقان فهم مقمحون لا يحليهم يطاطئون رؤسهم
وانما فعلنا بهم ذلك اذ جعلنا من بين ايديهم بالنسبة الى النتايج سدا
من الخيال ومن خلفهم بالنسبة الى المقدمات سدا من الوهم وهذان وان

كان

كان يعارضهما نور العقل لكن غلبناهما على نوره فاغشيناهم فاحطناهم
بغواشي الوهم والخيال لا تجتنب بنور العقل اذ يمكن الابصار بل يجب
طمسه عليهم فهم لا يبصرون بنور العقل طريق الوصول الى الله والقرب منه
وان كان في ابواب الدنيا ابصر وكما سد عليهم باب الابصار سد عليهم
باب السمع فهم سواء عليهم انذارك وعدمه بحث لشكل فهم بعد انذارك
اانذرتهم باقامة الدلايل الواضحة ورفع الشبه ام لم تنذرهم اذ لا يؤمنون بشيء
من الآيات اصلا ولما استوى الانذار وعدمه في حق من حق القول عليهم فكا
انما تنذر من اتبع الذكر اي ما تذكر من غوايل الوهم والخيال وفوايد العقل
وانما ينتفع من لا يغتر برحمة الله بل خشي الرحمن وان بالغ في اظهار رحمته و
اخفى قهره فجعله بالغيب لمن اتبع الذكر فبشره بعد الانذار بمغفرة لما خشي
الرحمن من اجله واجر كريم على اجتهاده في تجريد العقل عن الوهم والخيال
مجعله تابعا للقران الذي مثله كنور الشمس للبصر ومما يبشر به احياه من
موت الجهل انا نحن نحيي القران والعقل نحيي الموتى بموت الجهل
ونكتب ما قدموا من اجتهادهم في اكتساب العلم والعمل به لنجازيهم
بذلك في الآخرة واثارهم التي تركوها فيمن بعدهم من تعليم ذلك او سن
سنة حسنة سنوها ولا يعسر كتابة شيء من ذلك علينا اذ كل شيء احصيناه
قبل ان نكتب ما ذكرنا في امام مبين هو اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا
في عدم افادة الايات القاهرة واستواء الانذار وعدمه اصحاب
القرية المعروفة بمزيد الخيانة انطاكية اذ جاءها المرسلون رسل عيسى
عليه السلام باياته العظام فكفروا بما كان لاتباعه تلك الايات اذ ارسل
عيسى بامرنا كانا ارسلنا اليهم اثنين يحيى ويونس او صادقا وصدوقا
ثم بكل منهما صاحبه وبرهان الاكمه والابرص وبحيات الموتى فسمع بهما
ملك اسمه انطيخس فدعاهما وقال من انتما قالا رسول عيسى قال وفيم جئتما

فقالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال
الك اله دون آلهتنا فقالا الذي اوجدك وآلهتك فامر بحبسهما وضربهما
الناس في الطريق فكذبوهما تكذيبا مهينا لهما فعززنا فقوينا امرهم بتقوية
منقضية لعنهما بثالث هو شمعون رأس الحواريين او شلوم دخل
البلد متنكرا فعاشر حاشية الملك حتى دعاه وانس به واكرمه فقال للملك
بلغني انك حبست رجلين حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما فقال
حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما
فدعاهما فقال لهما من ارسلكما فقالا الله الذي خلق كل شيء ليس له
شريك فقال صفاه فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما
يتمنى الملك فامر بغلام مطموس العينين فما زالا يدعوان الله حتى انشق
موضع البصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما
فتعجب الملك فقال للملك ان سألت آلهتك ان تصنع مثل هذا كان لك
ولآلهتك الشرف فقال ليس لي عنك سر مكتوم ان الهنا لا تسمع ولا تبصر
ولا تضر ولا تنفع ثم قال له قل للرسولين ان قدر الهكما على احياء ميت
آمنا بكما واتوا بغلام قد مات منذ سبعة ايام فجعلا يدعوان ربهما فقام
الميت وقال ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه
فاجتمعوا على قتل الرسل فقالوا انا اليكم مرسلون والرسل لا تقتل قالوا
انما نقتل من صح رسالته لكن ما انتم الا بشر والرسول انما يكون ملكا و
انتم ممنوعو الآيات مثلنا في عدم الوصول الى الله والتكلم معه وما انزل
الرحمن من شيء لانه انما نزل ليكون حجة له على العبد وسوى نافي الرحمانية
فعلم انه ما انتم الا بشر مثلنا تكذبون على الله فانتم اولى بالقتل قالوا لو لم
يكن رسالتنا صدقنا الله بآياته اذ ربنا يعلم ان اظهار المعجزة تصديق و
تصديق الكاذب يتضمن تلبيسا عاما يفضي الى الاضلال العام فلا يفضي

من الحكيم فبالضرورة انا اليكم لمرسلون ولا يلزمنا اسماع كلام الملائكة ولا ارائهم
اياكم ما علينا الا البلاغ المبين باقامة الحجج ودفع الشبه قالوا عارض دلالة المعجزات
التشاؤم الدال على خبثكم المنافي للرسالة انا تطيرنا تشاءمنا بكم وذلك عندنا حبس
عنهم المطر لئن لم تنتهوا عن دعوى الرسالة بعد ظهور خبثكم لنرجمنكم بالحجارة
وهو اشد من القتل وليمسنكم منا عذاب اليم كالمثلة قبل ان يمسنا منكم ما تعدوننا
به قالوا طائركم ليس من خبثنا بل من الكذب الذي معكم اترون التشاؤم
منا من المكروه الذي يصيبكم من تكذيبكم المذكر ان ذكرتم لا تشؤم منا بل منكم
اذ انتم قوم مسرفون في الكفر والمعاصي كيف ولم يمكن من اصل قربتهم من دفع الشؤم
عنهم بالدعوة الى الايمان ولا عن الرسل الرجم والعذاب الاليم وجاء من
اقصى اطراف المدينة رجل كامل هو حبيب النجار وكان قد لقي الرسولين فسلما عليه
فقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى
عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
ابنه المريض منذ سنين فمسحاه فقام في الوقت يسعى لدفع القتل والرجم والعذاب
عن الرسل والشؤم عن القوم بالدعوة الى الايمان قال يا قوم اقول لكم من شفقتي
عليكم اتبعوا المرسلين الذين بعثهم الله للاتباع في طريق الوصول الى الله اتبعوا
من لا يسألكم في ايصالكم الى ربكم اجرا بعض شيئا من دنياكم وهم يحبون هدايته
اذ هم مهتدون في طريق الوصول الى الله لكمال معرفتهم واعمالهم واخلاقهم
واحوالهم ومقاماتهم وما لي واي شبهة عرضت لي في هدايتهم من اجلها لا اعبد
من يدعون الى عبادته مع انه الذي فطرني ومن يقتضي شكره بالعبادة وان عرض
انا لا رجوع اليه ولو لم نعبده شكرا على الفطرة فاعبدوه خوف النقمة اذ اليه
ترجعون واي شبهة في ترك عبادة الاصنام الذين تدعون الى عبادتهم ء
اتخذ من دونه اي مع علمي بكونهم دون الفاطر المرجع اليه آلهة ليس لهم رد مراده
بشفاعة فانه ان يردن الرحمن بضر فلم يدخلني في عموم رحمته فعرض شفاعتهم

عنده لدفعه لا تغن لا تدفع عني شفاعتهم شيئا من ذلك الضر ولا ينقذون احدا
من ضره بتقويتهم من غير حاجة الى الشفاعة اني اذا اي اذا اتخذت من دونه
الهة مع علمي بان الدون لا يستحق الالهية ولا يقبل شفاعته عند جرم الحق لارادة الضر
ولا قدرة له على الانقاذ لفي ضلال مبين فاني بنصب رفقة الهداية حتى سعى بهدايتهم
ولا انصحكم على خلاف ما انا عليه اني امنت بربكم فاسمعون فقتلوه فلم سالم بقتلهم
اذ قيل له قبل ان يموت ادخل الجنة لذلك لم يذهب شفقته على قاتله حتى قال يا
ايها التمني تعالى ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي عما سلف من الكفر والمعاصي
لاماني به فيؤمنوا فيغفر لهم وتمنى ان يدركوا ذلك خوف المهانة بين قومهم فلينظروا الى
اكرام ربهم اياي اذ جعلني من المكرمين اذ قربني من حضرته وعجلنا له متمنا
من علم القوم بما غفر له ربه واكرمه لانا ما انزلنا على قومه من بعده لئلا يخل
فيهم اولا من جند ملك واحدا بعد واحد ولم يجعل سبب املاكهم من السماء
اشعارا بقرب المهلك وانما وقف علمهم على املاكهم لامتناع كونه على السنة الرسل
اذ لا يؤمنون بهم وما كنا منزلين اي لم يكن عادتنا انزال الجند من السماء
لاهلاك الاقوام وانما انزلناه حيث انزلنا لتشريف المنصور واطمئنان قلبه
ان ما كانت الخصلة المؤثرة في املاكهم الا صيحة واحدة تظهر بها كمال القدرة
في القهر فاذا هم خامدون بمرة من غير تطويل في نزع الروح ثم ان حصول
متمناه باعلامهم لم يحصل لهم جزاء وانما حصل لهم حسرة حتى قيل يا حسرة
اذ هي فاستولي على العباد الذين تركوا العبودية التي خلقوا من اجلها و
استهزؤا بكل عزيز دعاهم اليها لانهم ما يأتيهم من رسول فقد عندهم لا يأتيه
اليهم ولو رآه في مكانه لا لبقا والى الايمان الا كانوا به يستهزؤن فاتخذوه عادة
يفتخرون باستهزاء الله وملائكته بهم ابدا الم يروا الم يعلم المستهزؤن بالجزء المتوقع
النازل منزلة الرؤية كم كثيرا اهلكنا بالقهر المنسوب الى عظمتنا لاستهزائهم بالرسل
قبلهم من القرون حتى كانت سنة مستمرة لنا يعتبر بها ابدا انهم اليهم الى حالهم لا يرجعون

تأمل

وان تركوا فلا شك انهم يجمعون للحضور عنده ان اي الشان كل من هولاء
المتفرقين لما ما صلة واللام المؤكدة الداخلة على خبر الجملة الواقعة خبر ان قرئ
بالتخفيف وان على هذا مخففة جميع اي المجموعون اذ لدينا محضرون وان قرئ لما
بالتشديد فهي بمعنى الا وان النافية ولا نعمل في حق مجرمهم عدا ما تركه في حق غير من
غير ان نعفو عنه لكن ليس من الاستهزاء بأس العفو الا ان يتوبوا قبل ان يمكن
منهم وآية لهم تدل على حصول الجمع عند الله وعلى جزاء الاعمال والاخلاق والاعتقادات
الارض الميتة احييناها بما يدل على احياء الميت واخرجنا منها حبا يدل على جزاء
جبات ما زرع من الاعمال وهي وان لم يكن ماكوله فمنه ياكلون منها وجعلنا فيها
جنات من نخيل واعناب تدل على تحمل الاخلاق واعنابها من تعديل
القوة الحكمية والشهوية والغضبية وفجرنا فيها من العيون تدل على تفجر عيون
المعارف في الاعتقادات ليأكلوا من ثمره اي ثمر الله الذي يوجد لهم وما عملته
ايديهم من ذلك الثمر مثل العصير والدبس لتدل على ما يحصل لهم من ثمرات ذلك
وما يعملون في تلك الثمرات من الاعمال المكملة لها فيجازون على جميع ذلك الا
يبصرون في هذه النعم ايات الجزاء لمن شكر المنعم لعبادته فلا يشكرون واقل
وجوه الشكر اعتقاد تنزه الحق عن مشاركة المخلوقين والاستدلال عليه بانواع
الناس من جنسها سبحان الذي خلق الازواج الاصناف المتقابلة كلها لئلا
يخلو شيء منها عن مقابل ليدل على تباين ذاته للكل من كل وجه لعموم التباين
الكل مما تنبت الارض من الامور الكائنة الفاسدة ومن انفسهم التي لا تقبل
الفساد ومما لا يعلمون من الجواهر الشريفة التي لا يبلغها علمهم فانها متخالفة
بالنوع اذ لا مادة لها فتعرض لها الاعراض المميزة ولا تركب فيها فيكون فيها
الاجناس والفصول وآية لهم على ان في الاعتقادات والاخلاق من النواحي
ينكشف عليهم تارة بالبيان وتارة بوجه اخر ثم يستر عليهم الليل الساتر للاشياء
الظاهرة بالوجود نسلخ نخرج منه النهار اخراج الشاة من جلدها وسنذكر

البيان المخرج عن حلل الحجاب الظلماني ثم يعود ستر الليل فاذا هم مظلمون كذا
اظلام الحجاب بعد كشفه بالبيان ولا يبعد ان يختلف الاشيا على الروح
ظهورا وخفاء فانه كالشمس والشمس تجري في البروج لمستقر اي لوصول
الى غاية لها فيكون لها في كل برج خاصية كذلك يكون للروح خاصية ينكشف
بها بعض الاشيا في الدنيا وبعضها في البرزخ وبعضها في القيمة ويستقر بها
له منازل ولا اختيار له في ذلك اذ ذلك تقدير العزيز الغالب عليها
العليم بما فيها بالقوة فيخرجها الى الفعل ولا يبعد ان يختلف احوال الاعتقادات
والاخلاق والاعمال في الاستنارة بنور الروح فانها كالقمر والقمر قدرناه
منازل يستزيد في بعضها النور ثم ينقص حتى عاد صار كالعرجون القديم
كالشمراخ المعوج كذلك يختلف انوار هذه الاشيا زيادة ونقصا بحسب الاماكن
من الدنيا والبرزخ والقيمة فيزيد البعض نورا وينقص البعض وليس الخروج
ادراك كمال هذه الاشيا بكل حال كما انه لا الشمس ينبغي لها لبطؤ سيرها
ان تدرك القمر بكل حال مع سرعة سيره ولا الليل سابق النهار بحيث يفوته
ولكن يعاقبه وليس للحجب منع ادراكها دائما اذ الكل سائر الى الله كما انه
كل من الشمس والقمر في فلك يسبحون يسيرون بتبعية حواملها التي هي
الافلاك الممثلة فلا بد من اجتماعها في وقت من الاوقات واية لهم على
تيسيرنا اعتقاداتهم واخلاقهم واعمالهم معهم في سفرهم الى الاخرة رضوا
او كرهوا انا حملنا ذريتهم معهم وان كرهوا حملهم في الفلك المشحون المملو
فالعقل لهم بمنزلة الفلك ومن لا عقل له نزله مكانه منزلة العقل لذلك خلقنا لهم
من مثله مثل الفلك ما يركبون عليه في البر مثل الفرس والجمل ولا يدل هذا
التيسير على وصول المذكورات بالسلامة الى الاخرة بل هو على وفق هذا
المثال ان نشا نغرقهم بالارتداد او الريا او العجب فلا صريخ لهم وان كان
قد يوجد عند غرق الفلك المحسوس ولا هم ينقذون بالخروج عن الغرق وان

كان قد يخف الغرق بالوصول الى الساحل او الى سفينة اخرى الا رحمة منا
بالتوفيق للايمان بعد الارتداد فان صاحبه منقذ الدارين ان كان من قلبه
والا كان انقاذه متاعا الى حين وهو الموت واذا قيل لهم لمنكري البعث
ان لم يؤمنوا به من هذه الدلائل فالواجب على العاقل انه يكون حذرا
حذر راكب السفينة اتقوا ما بين ايديكم من عذاب الاخرة اذ لا دليل على
انتفائه وما خلفكم من غرور الدنيا فلا تضيعوا لها الاخرة ولا تحملوا لها ما
الكن من عذاب الابد لعلكم ترحمون في الدنيا بحرم الاعتقاد وفي الاخرة
بالنجاة وفوز الدرجات اعرضوا عن هذا القول اعراضهم عن الايات
وذلك ان من عادتهم انهم ما تاتيهم من اية على انها من ايات ربهم الذي
رباهم بالنعم فلا يبعد ان يربهم بالايات فان اعرضوا انتقم منهم حسب ما
عليهم الا كانوا عنها معرضين ولا يخصون اعراضهم بما لا يوافق رايهم بل يعرضون
عما اتفقوا عليه مع زيادة الكفر والاستهزاء فانهم اذا قيل لهم انفقوا في سبيل
الله على الفقراء مما رزقكم الله ملككم فاضلا عن حاجتكم قال الذين كفروا بامر الله
وقدرته وابتلائه وثواب الصدقة للذين امنوا فاحالوا الامر على ما يشاء
ويبتلي كيف يشاء انطعم من يشاء الله اطعمه فاذا اعطيتموهم بعد ما حرمهم الله
فقد خالفتم الله وعارضتم ارادته بارادتكم وادعيتم انكم اجود من الله ان انتم
الا في ضلال مبين وهذا من كفرهم بامر الله وبان افعال الحسن انات تابعة
لارادتهم التابعة لاسمائهم التي خلقها فيهم بحسب استعداداتهم وان العبد كيف
يكون اجود من الله مع انه طالب عوض من مدح او ثواب ولا يعطي ما لم
يلق في قلبه الاعطاء فهو المعطي بالحقيقة وهو مسخر له واذا قيل لهم انا لم
يطعمهم الله ابتداء لانه افقرهم واغناكم ابتلاء لكم هل يطعمونهم فيتسكم على احياهم
او لا ضعافكم على اماتهم يقولون متى هذا الوعد الذي لا اجله الا انعا والاغاب
بيننا لما وقته ولا في اصله من اجله ما لم يره فهم ما ينظرون ما ينتظرون للايمان

ان كنتم صادقين فاذا لم يصدقتم في اصل
الوعد بعد اقامة الدلائل لا يصدقتم
في وقته صح

به الاصيحة واحدة هي النفخة الاولى لكونها مقدمة قريبة لها لانها تاخذهم اي احد
من في المشرق والمغرب و الايمان لا ينفع مع المقدمات البعيدة كطلوع
الشمس من المغرب فكيف مع المقدمة القريبة سيما ولا شعور لهم بمجيئها اذ هم حينئذ
يخصمون يتكلمون في المعاملات الدنيوية ولو نفع فلا يمكنهم اذ يسرع تاثيرها
فيهم فلا يستطيعون توصية لو هي لهم قريبا وصاحب كشف ولا الى اهلهم
يرجعون بالمكالمة وكيف ينفع الايمان مع منع المقدمة مع انها كنفس ما هي مقدمة
وهو البعث لحقوقه حين نفخ في الصور فهو كما يقبض الارواح بمرة يردها الى الاجساد
ايضا بمرة فاذا هم من الاجداث القبور الى ربهم ينسلون يسرعون فكانوا يشعرون
عنه كشعاعا ما فكيف يقبل الايمان به حينئذ ولا يمكنهم الايمان قبل الوصول اليه
ولا بين النفختين اذ يكونون بين النفختين في غاية التجرد فيكونون كالراقدين
وبعد البعث لا يعرفونه حتى بين لهم لذلك قالوا يا ويلنا تعال النا فمن لنا من
بعثنا من مرقدنا فكيف يتصور منهم الايمان حال الرقود السقط من غير ان يعلموا
انه البعث حتى تعال لهم هذا ما وعد الرحمن على السنة رسله بمقتضى عموم رحمته
لايقاظ عباده ليستعدوا له فاذا اعرضوا عنه اخرجهم من عموم رحمته وصدق
المرسلون في تبليغ وعده فلم يعلموا صدقهم الى الآن فكيف يتاتى منهم الايمان
بهم حينئذ لا بعد ما قيل لهم لانه وقت الحضور عند ربهم لانه ان ما كانت
مدة البعث والحضور والنسل بر الامر نفخ صيحة واحدة فاذا هم جميع وان
كانوا متفرقين في اطراف الارض لدينا في مكان يسمعون كلامنا فيه محضرون
فلم يقع بين النفخة والحضور زمان يعتد به حتى كان ما وقع بينهما من قولهم يا ويلنا
ومن النسل الى الله لم يكن ولا ينافي ذلك ما ورد من انشقاق الارض لبعضهم
قبل بعض لانه لتنبيت الاجساد والنفخ لايصال الارواح الى الاجساد ولا
ينافيه اتيانهم افواجا لانه ليس معناه اتيان فوج عقيب فوج بل اتصاف كل
فرقة بهيئة خاصة والاسراع بالصيحة الواحدة وان اشعر بغاية الغضب فاليوم

اوحال صح

لكونه يوم الحضور عند اعدل الحكام لا تظلم نفس وان اشتد غضب الله عليها شيئا
والاحباط ليس بظلم لانه بسبب ما عمل من المحبط وانهم وان عذبهم بتلك الشدائد
لا تجزون الا ما كنتم تعملون ولو قيل رؤية اصحاب الجنة الآلام اقاربهم واحبابهم ظلم
قال ان اصحاب الجنة اليوم الذي حضروا فيه عند مجيئهم في شغل عن اقاربهم
واحبابهم وكفى بهم شغلا انهم فاكهون متلذذون بحضورهم عند مجيئهم وبالكلية ايامهم
حيث وقاهم حر الشمس في المحشر اذ هم وازواجهم بتبعيتهم وان لم يبلغن بانفسهن
حدكا منهم في ظلال من العرش من غير نصب بالقيام بل مع كونهم في حضرته على الارائك
متكئون ومن كراماتهم انهم قبل دخول الجنة لهم فيها في تلك الظلال فاكهة كالمتفرقي
الملوك في حضرتهم ولا يملون بخدمته اذ لهم ما يدعون ما يشتهون وبالجملة لا يؤذيهم
شيء بعد ان يتشرف عليهم ربهم فيقول سلام عليكم يا اهل الجنة فيسمعونه قولا ازليا
من رب دبرهم باسماع كلامه النفسي لرحمهم بكل رحمة خاصة من اتصافه بوصف
رحيم ولو لم يكن لهم عنهم شاغل لم يتالموا برؤية الامهم ايضا اذ قيل لهم امتازوا
اليوم الموضوع لتمييز المجرم من المؤمن ايها المجرمون فلا تخالطوا اهل الجنة لتشتغلوا
لمجاورتهم او تتاذوا بمجاورتكم على ان مخالطة اهل الكرامة لاهل الذلة ذلة لاهل
الكرامة وكرامة لاهل الذلة وقد امتازت معبودكم عن معبودهم وقد اخرتموه مع
ظهور عداوته على من كان منه جميع النعم مع نهيه عنه على سبيل المبالغة الم اعهد
اليكم يا بني آدم الذي عاداه الشيطان وعادى من اجله ربه ان لا تعبدوا
الشيطان انه لم ينقطع عداوته بانقطاع آدم بل هو لكم عدو مبين عبدتموه او لم
تعبدوه يامركم بانكار الله وانكار لقائه وجزائه وانكار النبوة واليوم الاخر
وباقرار آلهة الاصنام وبعدكم الثواب عليها ولم يضطروا الى عبادته بان
نهيتكم عن عبادتي بل عهدت اليكم ان اعبدوني لما لم ازل عليكم منعما بانواع
النعم هذا اي ترك عبادة الشيطان واختيار عبادة الرحمن صراط مستقيم بين
الافراط بعبادة الغير والتفريط بترك عبادة الحق ولا انحراف في المستقيم الضلال

وكيف خفيت عليكم عداوته مع انه لقد اضل منكم جبلا كثيرا لان كل
فرقة تعتقد ان مذهبها من الرشد وان ما عداه من الضلال ولا سبب له سوى
الشيطان أعبدتموه بعد هذا العهد مع العداوة والاضلال فلم تكونوا تعقلون
كيف وقد وعدناكم عليه جهنم فان لم تكونوا تعقلونها في الدنيا فابصروها اليوم
هذه جهنم التي كنتم توعدون على عبادة الشيطان وترك عبادة الرحمن واختيار
الضلال اصلوها ادركوا الآمها اليوم قبل دخلها بما كنتم تكفرون بها وبعبادة
الشيطان وانكار الرحمن ليس هذا دعوى بلا بينة او بينة تتوهم فيها الكذب بل
بشهادة بعض اجزاء المدعى عليه اذ اليوم الذي هو يوم العدل والحكم بمجرد الدعوى
او بينة يتوهم فيها الكذب ظلم نختم على افواههم لئلا يعارض قول اللسان قول
سائر الاعضاء وتكلمنا ايديهم فتقر بما عملت وتشهد ارجلهم على فعل الايدي بما
كانوا يكسبون ولو نشاء ترك تعذيبهم على الاعتقادات والاعمال الباطنة
لطمسنا على اعينهم اعين عقولهم فاستبقوا الصراط تركوه سابقا عليهم لا يمكنهم قطعه
فان قطعوه فانى يبصرون مقصدهم ليفوزوا بفوائده ولو نشاء ترك تعذيبهم
على الافعال الظاهرة لمسخناهم لقلبنا اجسادهم جمادات مع بقائهم على مكانتهم
مرتبتهم في العقل لكن لا يبقى لطول هجهم حركة فما استطاعوا مضيا في اوامرنا ولا يرجعون
عن نواهينا وربما نكتفي باقل من ذلك بل من نعمره نطول عمره ننكسه نقلبه
في الخلق بنقص عقله وضعف افعاله أفلا يعقلون ذلك التذلل لترك التعذيب فلا
تعقلون وان زعموا ان هذه الدلائل من القياس الشعري المركب من المقدمات
التخيلية المؤثرة في النفس تنفيرا او ترغيبا على خلاف مقتضى الحقائق بما علمناه
الشعر القياس الشعري وما ينبغي له وما يليق بحاله او رتبته كماله ان هو اي ليس ما نزل
عليه الا ذكر كلام شريف ينفع ذكره ويعرف صدقه بادنى التذكر لكونه من المقدمات
اليقينية الاولية وقرآن جامع بين الدلائل ورفع الشبه مبين لكل ما يحتاج اليه في
باب اليقين بطريق معجز لينذر من كان حيا كاملا في القوة النظرية والعملية ويحق

القول ويلزم الحجة الموجبة [للعذاب على الكافرين أيريدون بالكفر بذلك القول ان يخرجوا عن التكليف صح] الانساني الى الشهوة الحيوانية وهو خروج عن المالكية الى
المملوكية أو كانهم لم يروا انا خلقنا لهم لا من كسب ايديهم بل مما عملت ايدينا قدرتنا
وارادتنا وامرنا ولا دخل لهم في تحصيله اصلا انعاما فهم لها [لها صح] مالكون يتصرفون فيها
بالبيع والشراء لاجل اشتهائهم فاذا صاروا الى شهواتهم وتركوا الانسانية صاروا
مملوكين لشهواتهم واولى من مملوكية الحيوان لان الشهوات علت فيه حيوانيتهم وانما
كانت مملوكة لهم لانا ذللناها لهم وان كانت اقوى منهم فينبغي لهم ان يذللوا شهواتهم
ليعقلهم فبذلك يتم الانتفاع بها كما ان تذليل الحيوانات يتم الانتفاع بها فمنها ركوبهم
مركوبهم ومنها ياكلون كذلك تسخير الشهوية للعقلية امر المعاد والمعاش اذ بها يصير
النفس مركوبة للناطقة في العمل الذي به التزود للمعاد والسفر اليه وفي تذليل
الشهوية للعقلية منافع من العلوم والاخلاق ومشارب من الاحوال والمعارف
كما ان لهم فيها منافع كحمل الاثقال وقص الصوف والاوبار ومشارب من اللبن
والسمن أيعكسون الامر في تسخير العقلية للشهوية فلا يشكرون بصرف نعمه العقلية
والشهوية لما خلقناله ولكن لبلههم العقلية صاروا في الالهيات التي خلق للوصول
اليها من الحماقة الى حيث اتخذوا من دون الله مع ان العقل [العقل] لو بقي بحاله يمنع من
اتخاذ الادنى الها آلهة متعددة مع ان العقل لو صرف مصرفه منع من تعددهم
لعلهم ينصرون بهم على اعدائهم مع دلالة صريح العقل على انهم لا يستطيعون ان
يحصلوا [يحصل من صح] نصرهم استقلالا ولا شفاعة ولو توقعوا منهم ذلك في الآخرة فهم في
العداوة يوم القيمة لهم جند يهلكونهم املاك الجند محضرون معهم في النار يطيرون
وقودها لهم وجند العدو قد تعارفون واذا بلغوا من الحماقة الى هذا الحد فلا
يحزنك قولهم فيك من كونك مجنونا اذ نعدهم بالبعث بعد الموت انا نعلم ما يسرون
من ايثار شهواتهم على اعمال الآخرة وما يعلنون من التفضل عليك أيتفضلون
عليك بانكار البعث عن شبهة امتناع خلق حيوان من جماد ولم ير الانسان
المدعي كمال العقل الموجب قياس المعاد على المبدأ انا خلقناه من نطفة هي جماد

فاذا هو حيوان بل انسان كامل اذ هو خصيم يتكلم بكل ما يجر نفعا او يدفع ضرا
مبين للامور الخفية من كمال عقله وبعد تكميلنا اياه بهذا الفضل ضرب لنا مثلا
بالناقصين العاجزين ونسي خلقه الاول الذي تقاس عليه المعاد قال من
يحيي العظام تقدر على احيائها وهي رميم بالية قل لا تقاس قدرة الخالق على
قدرة المخلوقين وانما تقاس اعادته على بدايته يحييها الذي انشاها اول مرة
ولا يمتنع عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها اذ لا مانع منه سوى الجهل وهو بكل خلق عليم
ولا يمتنع عليه اعادة المزاج الذي به تعلق الروح بعد انعدامه بالكلية اذ هو الذي
بدل مزاج الشجر بمزاج النار اذ جعل لكم من الشجر الاخضر البارد الرطب نارا
حارة يابسة لا في مجرد التاثير كالادوية بل في الظاهر ايضا فاذا انتم منه توقدون
اينكرون قدرته على بعثهم ويعتقدون انه ليس الذي خلق السموات والارض
فقدر على هذه الاجرام الكبار مع ما فيها من العجائب الغائبة للبصر بقادر على
ان يخلق مثلهم ثانيا بعد ما خلقهم اولا بلى هو القادر وهو الخلاق في مرة اخرى
بحسب علمه الكامل اذ هو العليم فلا يعيد لها اشياء امرا كثيرة لئلا يلجئ الى الايمان
وليس ذلك لصعوبة امر الاعادة عليه وكيف يصعب عليه مع انه بمجرد امره
انما امره شانه اذا اراد شيئا اذا تعلقت ارادته بايجاد شيء ان يقول له كن اي
يتعلق به كلامه الازلي من جهة تكوينه فيكون فيوجد عن امره فسبحان فتنزه عن
العجز تنزيها تاما الذي بيده اي في سلطنته ملكوت جميعه كل شيء لا يمكنها مخالفة امره
ولا يخرج عن يده شيء بايجاد ولا اعدام بل اليه ترجعون في الايجاد الى اسمه الظاهر
وفي الاعدام الى اسمه الباطن تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الصافات

سميت بها لاشتمال الآية التي هي فيها على صفات للملائكة تنفي الالهية عن الملائكة مع الجهات
الموهمة لها فيهم فينتفي بذلك الالهية عما دونهم فيدل على توحيد الله تعالى وهو اعظم
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بالتجلي الشهودي بكمالاته
للملائكة حين صفوا له بعبادته صفا الرحمن بجعل بعضها زاجرات للاجرام
العلوية والسفلية تكميلا للمواد باخراج ما فيها من القوة الى الفعل الرحيم
بجعل بعضها تاليات لذكره تكميلا للانسان بما يترقى به من حضرته والصافات
اي الملائكة الصافة في عبادة الله صفا يراعون فيه آداب حضرته رعاية العبيد
حضرات الملوك فالزاجرات الملائكة التي تزجر الاجرام العلوية والسفلية زجرا
تحركها بالتدبير المامور فيها فالتاليات الملائكة التي تنزل على الانبياء عليهم
السلام فتتلو عليهم من الله تعالى ذكرا انها ليست بالهة لانها اما من جهة القرب
وهي جهة الاصطفاف الدال على كمال العبودية او من جهة التاثير وهي جهة
الزجر الذي كثيرا ما يكون لمن لا يعقل او من جهة الارشاد وهي جهة الرسالة فاقسم
بالملائكة باعتبار هذه الصفات الدالة على عدم صلوحها للالهية على توحيد
الله تعالى ان الهكم لواحد فهو رب السماوات والارض وان كانا مساكن
سواء وما بينهما وان كان محل تصرف سواء الملائكة لانه اذا لم يكن لهم محل التصرف
الاول فمحل التصرف بالواسطة اولى ان لا يكون لهم ورب المشارق فلا تجب
الكواكب لان اولى الاوقات بربوبيتها وقت ثبوتها وهو زمن طلوعها والالهية
يجب ان يكون دائمة ويكون فيها كواكب اخر والالهية يجب ان لا تتنقل ولم يذكر
المغارب لانها ابعد عن توهم الالهية لدناءة ما فيها وكيف يكون الكواكب الهة
السماء وهي زينتها انا زينا السماء ولا يقتضي ذلك كونها فيها بل يكفي اضاءتها لها
ووصف السماء بقوله الدنيا ليدل على انها زينة شيء دني بزينة الكواكب فزينته
لا تكون ربة بل كثيرا ما يكون مربوبة وحفظناها بها ولم يذكره للاشعار بانه لا يحتاج
اليها في الحفظ لكن جرت سنته بان لا يفعل شيئا الا بسبب حفظا وحافظا دار الملك
لا يكون ملكا من وصول كل شيطان مارد خارج عن الطاعة عن اخبارها لئلا
يدعي من مارديته علم الغيب بها فيدعي الالهية لانفسها وكيف يكونون الهة
ولا يمكنهم الوصول الى خواص عباد الله اذ لا يسمعون بالاصغاء الى الملاء

الا على من ملائكة السماء اجسادهم تدبيرهم واذا قصدوا ذلك يقذفون
يرمون من كل جانب من السماء دحورا طردا وابعادا فهم مهانون في جميع
اطباق السماء ولهم اذا ماتوا من اصابة الرمي او غيرها عذاب واصب
نهج مهانة فوق مهانة ثم استثنى من قوله لا يسمعون قوله الا من خطف الخطفة
اختلس الكلمة فاتبعه لحقه شهاب تقتبسه الملك من الكواكب في موضع منقلبة
ثاقب مضيء ضوء الكواكب ولو كان دخانا لم يضيء ذلك الضوء ولم ينزل الى الارض
والمرجوم قد يصيبه فيحرقه وقد لا يصيبه ولا ينافيه كونه من النار اذ ليس صريحا
على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها واذا لم يكن للملائكة
والشياطين آلهة باعتقادهم ولا يجعل لله اياهم آلهة لامتناع كون الالهية اخس
الشيء مع ان غيرة الله تعالى مانعة من التشريك فيها ولم يكن لهم قوة ان يجعلوا انفسهم
آلهة على تقدير امكان ذلك مع منع غيرة الله تعالى لضعفهم معه فاستفتهم فاسألهم
كيف جعلتموهم آلهة اهم اشد خلقا تأثيرا حتى تؤثروا بالالهية ام من خلقنا بلا
واسطة مادة وهم الملائكة فيكون قدرتهم اشد مناسبة لقدرتنا لقربهم منا لكن
كيف يكونون اشد منهم مع ان الضعف مقتضى خلقتهم انا خلقناهم من طين
لازب منتن ولم يكن استفتاؤك منهم طلبا للعلم منهم بل عجبت فسألت سؤال
متعجب ويسخرون من تعجبك واذا ذكروا وعظوا على سخرهم لا يذكرون لا
يتعظون واذا رأوا آية تدل على صدق ما ذكروا به وعلموا انه لو سخر منها احد منهم
لسخر به المؤمنون يستسخرون اي يستدعي بعضهم بعضا ليجتمعوا على السخر بها حتى
يصيروا بريدا السخر بساخرهم مسخرا لهم وقالوا في السخر بالآية ان هذا الخارق
الا سحر مبين بنفسه كونه سحرا لا يلتبس بالمعجزة اصلا وجعلوا المعجزة القولية اعني
القران من السحر لدلالتها على البعث الباطل بالضرورة في زعمهم فيكون الاسناد
باطلا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون فان امكن بعث ولا
من مات اولا ابعث نحن واباؤنا الاولون معا قل ليس هذا من الضروريات لانكم

متهمون تحت القدرة الالهية فان امكنكم دفع الآيات بالجدل الباطل فليس
لكم دفع القدرة الالهية به نعم تبعثون وانتم داخرون ذليلون لا جدل معكم
يدفعه ولا قدرة كيف وليس بقدرتنا مثل قدرتكم ولا بكلمة مثل كلماتكم فانما هي
اي النفخة البعث زجرة صيحة واحدة فاذا هم احياء قيام او لو اقوة مدركة بها
ينظرون ومحركة بها قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين الجزاء فيقول بعضهم لبعض كيف
لا تدعى فيه الويل مع ان هذا يوم الفصل الفرق بين المحسن والمسيء الذي كنتم به
تكذبون فانتم اتم اسارة من غيركم فاولى بالفصل التام لذلك يقال احشروا
الذين ظلموا سيما بانكار يوم الفصل وازواجهم اتباعهم من الانس وغيرهم و
ما كانوا يعبدون من دون الله من الشياطين والاصنام الى مكان
يتميزوا عن غيرهم من كل جهة فاهدوهم اي عرفوهم ما انفصلوا به عما سواهم
حتى صاروا الى صراط الجحيم ولا تستعجلوا بهم حتى يتم الفصل بل قفوهم للسؤال
عما انفصلوا به عمن سواهم انهم مسؤلون من اعتقاداتهم واخلاقهم واعمالهم
ليلزموا الحجة التي بها انفصالهم ولا يقدرون في الزام الحجة بل يقال لهم ما لكم
لا تناصرون لا تدفعون لعدم الحجة عليكم ولا يمكنهم الجدل بالباطل بل هم
اليوم الذي يظهر فيه الحق والباطل مستسلمون لكل ما يلزمون من الحق
وان كان اشق مما كانوا يدفعونه اذ يخافون من ذلك ان يقعوا فيما هو
اشق منه ولما رأوا عجزهم عن الدفع ورأوا انهم لا يخفف عنهم بالاستسلام
اقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن سبب الدفع ولما علم التابعون ان
ليس عند المتبوعين وجه دفع ارادوا ان يلزموهم ذنوبهم ليندفع عنهم او تخفف
عليهم قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي اذا كان اتيانكم ناشئا عن القهر او
عن شبهة قوية فيكرهوننا على الكفر او على شبهة قوية قالوا لم نكرهكم على الكفر بل
لم تكونوا عن اختياركم مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان شبهة قوية
تشبه الحجة بل كنتم قوما طاغين تجاوزون الحجج القطعية الى الشبه الواهية ثم

اتبعنا تلك الشبهة فحق علينا قول ربنا لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
إنا لذائقون ما حق علينا لاتباع تلك الشبهة ثم ألقينا ما عليكم فأغويناكم لا لمنعكم
بالهداية بل إنا كنا غاوين فكما اشتركوا في اتباع تلك الشبهة في الدنيا فإنهم يومئذ
في العذاب مشتركون لا فضل فيه لمتبوع على تابعه إذ التابع أيضا متبوع لغيره
غالبا بل إنا كذلك أي مثل تعذيبهم نفعل بالمجرمين وإن فرض أنه لا تابع فيهم ولا
متبوع لاشتراكهم في أقبح القبائح وهو استكبارهم على من يأمرهم بالتوحيد إنهم
كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله يستكبرون على قائله فلا يمتثلون أمره
ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا بهذا التوحيد لشاعر مجنون أي لقول من
يقول بالمقدمات الخيالية عن الجنون فرد عليهم بأنه لم يأت بكلام مخيل
بل جاء بالحق ولا عن جنون لأنه وإن خالف مألوفهم صدق المرسلين الذين
هم أعقل الخلائق فهم يتفقون على قول مصدر عن الجنون فهذا القول لو لم يكن
مما يخل بملكنا موجبا لإذاقتكم العذاب إنكم لذائقوا العذاب الأليم بهذا
القول سيما المتضمن ما يخل بملكنا من الشرك فعذابكم وإن بلغ ما بلغ من الشدة
ما تجزون إلا ما كنتم تعملون وهذا التساؤل واقع بين العباد يوم القيامة إذا
اجتمعوا إلا عباد الله المخلصين فإنهم إذا اجتمعوا لا يجري بينهم هذا التساؤل
إذ سببه نقص حظ أحد المجتمعين بالآخر وههنا ليس كذلك إذ أولئك لهم
رزق معلوم بحسب أعمالهم وأخلاقهم واعتقادهم فإن كان فيه نقص من
جهة تقصيره فلو فرض وقوعه من جهة صاحبه فليس مما يتضرر بفواته إذ هو
فواكه يقصد بها التلذذ دون التغذي والتقوت فلا تنازع فيه ذوو مرتبة
أصلا على أن التفاوت في اللذة إنما يعرف بالمشاركة في فاكهة لكنها تشعر بالدناءة
وهم مكرمون ولو وقعت المشاركة لم يظهر التفاوت لصاحب النقص لأنهم
جميعا في جنات النعيم وهذا الظاهر بنقص النعيم ولذلك لم يقع التفاوت
في مكارمهم المبصرة لذلك كانوا جميعا على سرر متقابلين ثم إن وقع التفاوت

في السرر لا يطلع صاحب المفضول فضيلة سرير صاحبه لاشتغاله عنه بلذة
عظيمة إذ يطاف عليهم بكأس إناء خمر من معين خمر جارية في العيون بيضاء
من صفاء ما بينهم لذة للشاربين من كمال محبة ما بينهم ولا يقع بينهم نزاع يحصل
بين أهل السكر إذ لا فيها غول فساد من مفاسد خمر الدنيا ولا هم عنها ينزفون
يسكرون ثم هي وإن لم يسكرهم تزيدهم لذة بنسائهم إذ عندهم فوق سررهم
نسوة قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يقع بسببهن نزاع وليس لصغر أعينهن
لأنهن عين كبار الأعين ولا لقصور في حسنهن إذ هن في غاية الحسن
كأنهن بيض بيض النعام في الصفاء مكنون مستور لم يركب عليه غبار فهن أيضا
مما يشغلهم عن فضل أصحابهم ومع ذلك لا يحصل لهم الاشتغال عن حقوق
الصحبة فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لا سؤال توبيخ بل عما جرى بينهم في
الدنيا أو نحو من ذلك ما قال قائل منهم قيل هو يهوذا المؤمن إني كان لي
في الدنيا قرين صاحب هو قطروس الكافر وهما المذكوران في قوله تعالى واضرب
لهم مثلا رجلين يقول إذا تصدقت بمالي لثواب الآخرة أإنك لمن المصدقين
بالجزاء مع ظهور استحالته أإذا كنا ترابا وعظاما نبعث أإنا إن بعثنا لمدينون
لمجزيون على أعمالنا ثم قال لهم رعاية لحق صحبتهم في عدم استبداده بشيء دونهم
وليعلموا منزلتهم عن منزلة أهل النار ويجتمعوا على توبيخهم فيتلذذوا بذلك
هل أنتم مطلعون على أهل النار من كوى الجنة فاطلع هو ولا يبصرهم إذا اطلعوا
فرآه في سواء وسط الجحيم قال تالله إن كدت لتردين أي إنك قاربت إهلاكي
بما قصدته بنصحي من منع الصدقة بناء على إنكار الجزاء ولولا نعمة ربي
عصمته وهدايته لكنت من المحضرين معك في النار وكفاني ذلك لو لم أعذب
فيها أصدقت في نصحك أنا لا نعيش في القبر ليحصل لنا نوع من الجزاء ثم نموت
ثم نعيش لأنه وجوه الجزاء أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى بل متنا وعشنا
وما نحن بمعذبين ونحن مخصوصون بعدم التعذيب في القبر والقيامة إن

هذا

التخلص من عذاب القبر والقيمة وان كان عقيب آفات الدنيا من اذياتهم
وغيرها ان هذا لهو الفوز العظيم لولا الجنة وما فيها فكيف اذا انضم اليه الفوز بذلك
ايضا لمثل هذا الفوز فليعمل العاملون من الاولين والآخرين انواع الاعمال
لو لم يفوزوا بالجنة ولا برؤية الله اذلك مثل فواكه جنات النعيم وسررها
وكونها وحورها خير نزلا ما يقدم للنازل اولا ام شجرة الزقوم ثم شجرة صغيرة
الورق ذفرة مرة وليست كما يقول الجهال انها زبد وتمر بلغة بربر فليست
لغة القرآن ولا يستحيل كون الشجرة في النار فمن الاشجار ما ينتسج من جلدها
ثياب اذا توسخت جعلت في النار فيحرق وسخها فتصير مغسولة انا جعلناها
فتنة ابتلاء للظالمين في الدنيا بانكار كون الشجرة الرطبة في النار وبحملها على لغة
اخرى وفي الآخرة بالاكل انها شجرة في غاية الخبث اذ تخرج في اشد المنابت
اصلا اي قعر الجحيم كانه نواميس وتفرع اعضائها في دركاتها طلعها حملها في
تناهي القبح والهول كانه رؤس الشياطين مثل ما يتخيل وشبههم من قبح رؤس
الشياطين فهي قبيحة الاصل والثمر والمنظر والملمس ومع شدة كراهتهم لها
يضطرون اليها من شدة الجوع الذي يتعذبون به اضعاف عذاب النار
فانهم لآكلون منها مع كونها اشد حرارة من النار سبعين ضعفا في ايام سلطنتها
وابرد من الزمهرير كذلك في ايام سلطنته فمالئون منها البطون ثم ان لهم
عليها لشوبا مزاجا من حميم بما زجها في بطونهم فيقطع امعاءهم وذلك يكون
خارج الجحيم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وان كانت لهم منه الشجرة لمتابعتهم آباءهم
انهم القوا وجدوا آباءهم الذين هم اصولهم ضالين مناسبين للجحيم فهم على
آثارهم المناسبة للثمرات يهرعون يسرعون من غير نظر فيختلط عليهم الامر
ومن موجب النظر كيف ولقد ضل قبلهم قبل آبائهم اكثر الاولين الذين هم
بمنزلة الآباء لآبائهم فلما جاز الضلال على اكثرهم جاز مثله على آبائهم ولضلالهم
لقد ارسلنا فيهم منذرين فكذبوهم فاهلكوا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين

فهي اجل دليل على ضلالهم لانها لم يكن طبعهم لانها اصابتهم الا عباد الله المخلصين
فنجى امثالها الهدايتهم فقابلوهم لابد وان يكونوا ضالين ومما يدل على ان اهلاك
المنذرين كان لضلالهم ان قوم نوح انما اهلكوا لدعوته فانه لقد نادانا نوح بقوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا تزد الظالمين الا تبارا او نحو ذلك
فان لم يرض انه لم يكن على الحق فلنعم المجيبون نحن اذ لا يجب الا ما كان على الحق و
للدلالة على كونه على الحق نجيناه واهله من الكرب العظيم الاغراق واذية قومه
واكدنا دلالة كونه على الحق بان جعلنا ذريته هم الباقين وكان له ثلث بنين سام
ابو العرب والفرس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك وكيف
بنوهم كونه على الباطل مع انا تركنا اي ابقينا عليه ما جعلنا له من الثناء في
حيوته في الآخرين اي في طوائف المتأخرين من اهل الملل المختلفة اذا اسمعوا اسمه
قالوا سلام على نوح ولا يختص من التحية بنوع الانسان بل هي منتشرة في العالمين
انواع الموجودات لكونه ناظرا الى الله في كل ما يراه فكان ذلك جزاء احسانه انا كذلك
نجزي المحسنين الناظرين اليه في الاشياء بشرط الايمان وسواء لا يعتقد الآلهة
ما دوننا وكان نوح كذلك انه من عبادنا المؤمنين ثم بعد ان نجيناه واهله
بجعلهم في السفينة اغرقنا الآخرين بمقتضى دعوته اظهارا لضلالهم ورفعا لاذيتهم
للمؤمنين واذية اولادهم لاولادهم وكيف يتوهم كون نوح على الباطل وان
من شيعته اتباعه لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم عن ميلان غيره لاقتصار نظره
عليه ولذلك انكر على ابيه وقومه عبادة غيره اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
ما الذي تعبدونه من سنخ الاشياء اذواتها او ظهور الحق فيها اذ لا عبرة بامر آخر
لكن كلاهما باطل اذ الآلهة بوجوب الوجود وليس ذلك لذواتها ولا لظهور
الحق فيها ائفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون بطريق الكذب آلهة دون
الله فان اعتقدتم صدق ذلك فعلكم فعل من اقام في بلد الملك ايام حيوته وفيه
بالملك ملكا آخر فما ظنكم برب العالمين من ترك شريكا او قابلا به مع اخلاله بربوبيته

بحيث صح

فقد صح

ببنيه

للعالمين وما علم انهم انما يعبدونها لتخيلهم فيها القدرة فاراد اظهار عجزها
لهم بكسرها فراى عجزه عن ذلك لحضورهم فتحيل في ذلك يوم خروجهم للعيد
فمشى معهم في بعض الطريق فنظر نظرة في مواقع النجوم فقال اني مشارف للسقم
كاني سقيم لا يمكنني الخروج معكم وكان قد غلب عليهم الطاعون فخافوا العدوى
فتولوا عنه مدبرين لا يلتفتون اليه فراغ فذهب في خفية الى آلهتهم فقال
اظهارا لتقدمه بنوع فيها عند تها الا تاكلون ما وضع بين ايديكم من الطعام ولما
لم ياكلوه ولم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فغلبت عليه الغيرة الالهية اذ جعلوا
شركاء مع غاية نقصهم فراغ فذهب فاصرا عليهم يضربهم ضربا باليمين التي
هي اقوى الباطشتين فرجعوا من معبدهم الى بيت اصنامهم فوجدوها مكسرة
وعلموا انها تخلف عنهم ابرهيم لذلك فاقبلوا اليه الى ابرهيم يزفون يسرعون في
لومه وسبه فاخذ يلومهم بعبادتها قال اتعبدون ما تنحتون فتؤثرون فيه اقبح
التاثيرات وتتركون عبادة من له التاثيرات كلها في الذوات والاعراض
والافعال اذ الله خلقكم وما تعملون فلم يكتفوا للوعظ بل ازدادوا عنادا حتى
قالوا ابنوا له لاحراقه بنيانا عظيما تسعرون له فيه فالقوه في الجحيم في النار الشديد
بحيث لا يمكنه الخروج عنها وقصدوا بذلك اظهار عجز الآلهة الذي يعبده وعلوهم
على آلهته فارادوا به كيدا فجعلها الله له برهانا يعلى شانه اذ جعلها عليه بردا
وسلاما فجعلناهم الاسفلين باظهار جعلهم عبدة العاجز ظاهرا وباطنا اذ
لم يتمكنوا من تاثير النار فيه وازداد ارتفاعا اذ قال اني ذاهب الى ربي سيهدين
للوصول الى مقامات قربه والسير فيه وعنه بمقتضى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا رب هب لي اذا سرت عنك ولدا من الصالحين المتصفين
بالولاية النبوية التي فوق النبوة الغابعة على ولاية الاولياء لينضم صلاحه الى
صلاحي ويعينني في الدعوة اليك ويبقى داعيا بعدي فبشرناه بغلام من اسمعيل
في الصحيح حليم يصبر على الطاعات والبليات وعن المعاصي والحلم راس



مكان عبادة

الصلاح فلما ولد وبلغ ان يسعى معه السعي سبع سنين او ثلاثة عشر قال يا بني ناداه
مصغرا طلبا لاقباله في فهم مزيد شفقته من جهة بنوته مع صغره اني ارى في
المنام ورؤيا الانبياء حق اني اذبحك والانبياء لا يذبحون ولدا الا بامر الله
وامر الله مقدم على الشفقة فانظر وتبين لي ماذا ترى هل تصبر لامر الله فتمضيه
او تسأله العفو ليتنسخ قبل الفعل قال يا ابت ان شفقتك وان دعتك الى طلب
العفو بالنسخ فليس اليك افعل ما تؤمر ولا تخف على كراهة امر الله ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على وامره فلما اسلما انقاد الامر الله فاجرى ابرهيم
السكين على حلقومه واحتمله اسمعيل وكالم يره يجري من جهة الوجه بعد تشحيذه
مرتين او ثلثا تله صرعه على الارض ملصقا للجبين بها ليحز به من خلفه منعنا
السكين ان يقطع شيئا منه وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا امتثلت
ما امرت به فيها كانها وقعت فاعطيناك اجر الامتثال والصبر وابقينا عليك
الولد لاحسانك انا كذلك نجزي المحسنين الناظرين الينا اذا عجزوا عما امروا
به بعد قصدهم الامتثال وقد كمل احسانك في هذا البلاء ان هذا الابتلاء
بذبح الولد لهو البلاء المبين لصدق الاحسان ولاقتضاء الاحسان دفع
البليات او تعويض ما فات فيها فديناه اي ولده ليكون جامعا بين الدفع
والتعويض بذبح كبش عظيم لمناسبته له في الانقياد ولمشابعته نوحا كتبنا
عليه في الآخرين مثل ما تركنا على نوح وهو سلام على ابرهيم كيف وهو مقتضى
الاحسان اذ كذلك نجزي المحسنين بابقاء جاههم في الدنيا لكن لا عبرة بجاه
الكافرين فانما اعتبرنا جاهه لايمانه انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه لمزيد
احسانه بما يزيد جاهه باسحق مقدرا كونه نبيا من الصالحين بولاية النبوة
وباركنا عليه بضم فوائد نبوة ابنيه وولايتهما الى نبوته وولايته وعلى اسحق
بضم فوائد نبوة اولاده وولايتهم الى نبوته وولايته وفوائد احسانهم واحسان
غيرهم دون نقائص ظلم من ظلم منهم اذ من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين

لا يخفى ظلمه بالانتساب اليهما اذ لا تزر وازرة وزر اخرى ولا يبعد صار كينا
عليهما جميعا فانا لقد مننا بالنبوة العامة الباقي احكامها مدة مديدة والولاية
الخاصة وتعظيم الآيات على موسى وهرون جميعا من اولادهما ومما مننا
به عليهما من جهة الامر الدنيوي ان نجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اذية
فرعون وقومه بذبح الاولاد وغيره ولم نقتصر على الانجاء بل نصرناهم في المعارك
القولية والفعلية فكانوا مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه هم الغالبين حتى
ورثوا ملكهم ومما مننا به عليهما من جهة الدين ان آتيناهما الكتاب المستبين
للحقائق والاحكام واسرارها وهديناهما الصراط المستقيم في باب الاعتقادات
والاخلاق والاعمال بالتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وقد مكناهما
حيث تركنا عليهما في الآخرين ان يقال عند سماع اسمهما سلام على موسى و
هرون لانهما مع هذا الملك كانا ناظرين الى الله فكانا محسنين وهذا جزاء
المحسنين انا كذلك نجزي المحسنين لا باعتبار احسانهما الى الاتباع احسان
الملوك الى الرعية بل باعتبار احسانهما في النظر الينا انهما من عبادنا المؤمنين
ولا يقتضي هذا الاحسان رؤية الآلهة كل شيء حتى لا ينكر على عبدة الاصنام
بل لا بد للرسول من الانكار وان بلغ من الاحسان ما بلغ ان الياس لمن
المرسلين وقد بلغ من قوة الاحسان الى حيث يكتسب ساميا ومع ذلك
انكر على قومه عبادة غير الله اذ قال لقومه الا تتقون في دعوى الاحسان
برؤية الكل آلها الغيرة الآلهية في عبادة غيره اتدعون بعلا اسم صنم
كان للملك المسمى بك وبه سميت القرية بعلبك ولا شيء له من الخلق الذي به
استحقاق العبادة لانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية الانعام
وتذرون عبادة الكل المنعمين لكونه احسن الخالقين باظهاره حاله فما خلقه
لكن لا يجعله بذلك الها بل الله ربكم ورب آبائكم الاولين مع ان ظهوره فيهم
اتم من ظهوره في بعل وامثاله فكذبوه بان حاله الذي ظهر فيه لا يغايره فكان

آلها وكان هذا التكذيب منهم لمن هو اكمل المظاهر تكذيبا لله لانه صريحا فانهم بهذا
التكذيب لمحضرون في العذاب الا عباد الله المخلصين فانهم وان رأوا ظهوره
في الكل لا يعبدون الآلهة الكل حتى يعبدوه وانما يعبدونه من حيث الاطلاق
ولم يبطل بذلك احسانهم كما لم يبطل بهذا الانكار احسان الياس لذلك تركنا
عليه في الآخرين سلام على الياسين اي ابنه الياس بن ياسين وفيه
اشارة الى ان الاحسان لا يبطل خصوصيات الاشياء كما لا يبطل انتسابه
الى عبادة الله انتسابه الى ابيه انا كذلك نجزي المحسنين وكان محسنا وان عاب
على بعل لا يقتضي ايمانه انه من عبادنا المؤمنين وكيف يمنع هذا الاحسان الانكار
على عبادة الاصنام وقد اقتضى الانكار على ما دونه من الفواحش لذلك انكر
لوط على قومه وان علم ان الفاعل في الكل واحد ان لوطا لمن المرسلين للانذار
على الفواحش لذلك فاز بالنجاة اذ نجيناه واهله اجمعين من عذاب قومه
المنذرين الا عجوزا هي امرأته فانها وان خرجت عن مكان عذابهم كانت في
حكم الغابرين اي الباقين فيه ثم بعد انجائهم دمرنا او سلكنا الآخرين بجعل
قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم وان كان الفاعل هو
الله لكنه ظهر باسمه المضل الذي يعقبه ظهور اسمه القاهر وانكم ايها الزاعمون
ان الله لا يؤاخذنا بما فعل فينا لتمرون عليهم مصبحين وبالليل فترون دائما
علامات مؤاخذتهم ايكذبون الرؤية الدائمة افلا تعقلون فان الرؤية
ان كذبت حينا فلا يكذب الدائمة اصلا ولم يذكر السلام على لوط لانه لم يسلم
احسانه اذ قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ثم ان فعل الله وان
لم يسقط المؤاخذة فمحله محل الشفقة ولذلك عوتب يونس على ترك الشفقة على
قومه اذ كذبوه بوعدهم العذاب فخرج الى مكان قريب فاظل عليهم العذاب
فاستغفروا وتضرعوا وفرقوا بين الاطفال وامهاتهم فارتفع عنهم فلما سمع به من
نعويب اذ ابق بغير اذن ربه عمن يريد التقرب اليه بواسطة الى الفلك المشحون

تركها ان يونس لمن
المرسلين للانذار
عن القبائح ومع
ذلك عوتب على
صح

الملك الذي لا يجري الا عن قوة الريح فاحتبست عنهم فقال الملاحون ان هنا
عبدا آبقا فاقترعوا لا القاية فساهم فقارع فخرجت القرعة عليه مرارا فكان من
المدحضين المغلوبين بالقرعة واصله الزلق عن الظفرة فقال انا الآبق فرمى
بنفسه في الماء فالتقمه ابتلعه لقمة واحدة الحوت وهو مليم نفسه بالخروج من غير
اذن ربه فكان في لو يهد نفسه مسبحا لربه فلولا انه كان من المسبحين القائلين
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث معذبا عذاب القبر في
بطنه الى يوم يبعثون لكن رحمناه بهذا التسبيح وان وقع بعد المواخذة فنبذناه
بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء اي المكان الخالي وهو سقيم بلي لحمه ورق عظمه
قيل التقمه ضحى ولفظه عشية وقيل بعد ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرين وقيل
اربعين وانبتنا عليه لتقيه عن الذباب والشمس شجرة من يقطين منبسط
على الارض والاكثر انها الدباء ولما رحمناه بذلك صار راحما وارسلناه
الى مائة الف لو اعتبر عدد المهروب عنهم او يزيدون لو اعتبر الداخل فيهم فآمنوا
لتجدد الايمان به عند حضوره فمتعناهم بالحيوة والعبادات الى حين انقضاء
الآجال ولم يكن السلام عليه لانه لم يتم احسانه اذ خرج بغير اذن ربه وان
زعموا ان نجاة قوم يونس لم يكن لايمانهم ولا هلاك من هلك لكفرهم والا لهلك
آباؤنا فلم يلد بل نحن المحسنون برؤيته في كل شيء فاستفتهم فاسألهم سل
احسانهم لتفضيلهم انفسهم على الله الربك البنات ولهم البنون ام لتفضيلهم
انفسهم على الملائكة اذ قالوا خلقنا الملائكة اناثا وخلقناهم ذكورا وليس
بهذا التفضيل ما يلزمهم من غير شعور لهم بل هم شاهدون لكن لا يقبل شهادتهم
لظهور كذبهم في حق الله الا انهم من افكهم كذبهم الصارف عن الحق ليقولون
ولد الله مع ان الولادة من خواص الاجسام القابلة للفساد ولو صدقوا
في ان لله ولدا انهم لكاذبون في ان اولاده اناث لا غير اصطفى لنفسه
البنات الناقصة على البنين الكمل ليتفضلوا عليه ما لكم اي اي شيء عرض

لعقلكم كيف تحكمون بتخصيص الله بكل نقص وتخصيصكم بالكمالات أتريدون
انفسكم اكمل من ربكم من كل وجه فلا تذكرون ما في انفسكم من النقايص مع
ظهورها الكم مشاهدة ذلك ام لكم سلطان مبين حجة ظاهرة ولا يجوز ان
يكون عقلية بل غايتها ان يكون نقلية فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين في هذا
الدعوى ولو فرض اتيانهم بكتاب فانما يكون مما انزلته الجنة عليهم وهم يتلونه
اذ جعلوا بينه وبين الجنة نسبا قرابة مثل قرب اولاد احدنا اليه ولكنهم
لا يبالون بما يتكلمون به على الله فانه لقد علمت الجنة انهم لمحضرون في النار يوم
القيمة فايسوا عن رحمته فاذا وصفوه بشيء يجاز نزه عنه سبحان الله عما
يصفون الا عباد الله المخلصين من الجنة فانهم لا يصفونه بما يجب تنزيهه عنه
اذ لم ييأسوا عن رحمته ولم يعلموا انهم لمحضرون وان كانوا معبودين لهم من
غير استدعاء منهم ولا رضى فانكم وما تعبدون من الملائكة والجنة والصلحاء
ما انتم عليه بفاتنين مفسدين لا فترآء عليه الا من هو كافر صال الجحيم فانه
المفسد للاعتقادات والاعمال فالملائكة وصالحوا الجن والانس لا يدعون
الالهية لانفسهم ولا النسب بل يقولون ما منا احد الا له مقام معلوم والآله
محيط بالكل وانا لو كان لنا جميع المقامات لم نخرج عن عبوديته انا لنحن الصافون
في عبادته ولو تركنا العبادة الظاهرة لعارض انا لنحن المسبحون عما لا يليق
به من الشريك والولد وكيف يتأتى لهم الآن دعوى كونهم مع ابائهم على الحق
وان لهم كتابا وان وانهم كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا كتابا من
كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين واذا كان ذلك قولهم فقد اقروا على
انفسهم بالكفر فكفروا به فان لم يعلموا الآن فسوف يعلمون اذا ماتوا وربما
لا يتوقف على الموت بل يعلمون عند نصر الله الرسل فانه لقد سبقت كلمتنا وعدنا
لعبادنا المرسلين انهم وان نصر عليهم اعداؤهم لهم المنصورون آخرا كيف
وهم من جنود الله وان جندنا وان قتلوا وظهر ضعفهم لهم الغالبون آخرا فان

لم تتقول بهذا الوعد فتول اعرض عنهم حتى حين اى حين استقرار النصر لك
وأبصر مع الاعراض ابصرهم الدلايل فان لم يبصروا الآن فسوف يبصرون عند
استقرار النصر لك أفلا يبصرون عند استقرار النصر لك بل ينتظرون عذاب
أفبعذابنا يستعجلون لكن لا يفيد ابصار بعده فاذا نزل نزول العسكر
بساحتهم فناء دارهم فساء ابصارهم بعد انذارهم فانه لا يقبل بعد
فبئس الصباح صباح المنذرين وان اصروا على استعجال العذاب بعد
هذا البيان تول عنهم حتى حين نزول العذاب بهم وأبصر مع ذلك ابصر
لهم الدلايل ليتأكد عليهم الحجة فسوف يبصرون عند رؤية العذاب كيف
تأكدت الحجة عليهم وانما لا يبصرونه لو اخلف الله وعده لكن تنزه عن الاخلاف
سبحان ربك الذى ينسب اليه كمالاتك من ان ينسب اليه نقيصة اخلاف
الوعد وغيرها مع اتصافه بوصف رب العزة التى منها فيض الكمالات
على الموجودات فلا بد من تنزهه عما يصفون من النقايص كالشريك
والولد واخلاف الوعد وترك الانصاف وغير ذلك وكما تنزه عن النقايص
تنزه عن ارسال ناقص حتى صح سلام على المرسلين من ان يصفوه بما لا يليق
به او يغيروا عليه رسالته ولكماله ظهر بكمالاته فى مظاهر المرسلين وبعثهم لاستكمال
الخلايق حتى صح والحمد لله رب العالمين بارسال الرسل لاظهار معارفه واحكامه
المفيدة لظهوره بالكمالات فيهم فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلم على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة ص

سميت بها لتضمنها باعتبار محتملاتها فضايله صلى
الله عليه وسلم التى تقتضى ارساله وهذا من اعظم مقاصد القرآن

بسم الله المتجلى بكمالاته فى رسوله وكتابه الرحمن
بارساله وانزاله الرحيم باظهار كمالاتهما لخواصه ص اقسم الله تعالى بصاد
محمد صلى الله عليه وسلم الذى اعترف به الكل فى غير دعوى النبوة حتى

صدقه اصل الكتابين فى اخباره عن الغيوب الدال على صدقه فى دعوى
النبوة او بصفائه عن رذايل الاخلاق وقبايح الافعال الدال على صفائه
عن نقيصة الكذب او بصعوده فى مدارج الكمالات الدال على صعوده فى
مدارج القرب من الله او بصبره الكامل الذى هو من لوازم الرسالة الدال على
انه رسول والقرآن ذى الذكر الشرف الدال على برائته عن نقيصة الكذب و
صفائه عن الاخلاط وصعوده الى حد الاعجاز وعلى كثرة فوايده المفتقرة الى
الصبر على انه منزل من عنده وانما يظهر ذلك لمن صدق نظره وصفا عن الحسد
وصعد فى دركه هذه الامور وصبر على التأمل فيها فمن كفر بها فانما كفر لاخلاله بهذه
الامور فليس لاطلاعه على كذب او نقيصة فيه بل الذين كفروا انما كفروا لانهم فى
عزة وشقاق عداوة فلا يصدق نظرهم ولا يصفو ولا يصعدون الى مدارج
الحق لان الله يغار عليهم لكبرهم بل يعاديهم لعداوتهم ولا يصبرون لان كبرهم
وعداوتهم يمنعهم عن ذلك والكبر والحسد من اسباب الهلاك الذى لا يقبل معه
عذر فانه كم كثيرا اهلكنا من قبلهم من قرن لكبرهم او عداوتهم فنادوا بالاعتراف
بالذنب والندم والاستغفار رجاء النجاة ولات اى وليس حين الهلاك حين
مناص نجاة فلا وجه لاهمال النظر فيلزم مع نكتة مشابهة ذلك فى القرون الماضية
ولا مانع لهم من النظر سوى انهم عجبوا مما هو الواجب فى الحكمة من مناسبة الرسول
للمرسل اليه ان جاءهم منذر عن امر سماوى مع كونه منهم لم يصعد الى السماء فى نظرهم
مع انه لا حاجة اليه بل يكفى نزول الملك عليه وهو وان لم يستدل عليه بظهور
المعجزات على يديه وقال الكافرون الساترون اعجازها ودلالتها على الصدق
مع صدقه فى ذاته هذا ساحر مع ان السحر يمكن معارضته بخلاف المعجزة كذاب
فى دعوى صعوده الى السماء او نزول الملك عليه واستدلوا على كذبه بمخالفته الآباء
فى تعدد الآلهة فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا مع انه لا يكفى للخلق الكثير
قياسا على الضعفاء آلهة وقالوا فى ابطال المحال ان هذا لشىء عجاب وراوا

الاصرار على المحال الباطل على الحق حين انطلق الملأ منهم الاشراف من
قريش من مجلس ابي طالب ابوه حين اسلم عمر رضي الله عنه فشق عليهم فقالوا
جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
سواء فهمك بيننا لونك فلا تمل عليهم كل الميل فقال اماذا تسألونني فقالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشر امثالها فقال
قولوا لا اله الا الله فقالوا اكيف يسع الخلق اله واحد قائلين ان امشوا في طريق
آبائكم واصبروا على عبادة آلهتكم ان هذا الصبر لشيء يراد بابتلائنا بازدياد
فئة محمد وكثرة اصحابه لا ان تعدد الآلهة استمر عليه الملل ما سمعنا بهذا التوحيد
في ملة النصارى الملة الآخرة تنسخ لغاية كما انها ما سبقها من الملل فلو كان حقا
لكان احق الملل به اكملها فاذا لم يقل به علم انه ان هذا الا اختلاق ما هذا
التوحيد الا فرية محضة اذ لا مستند له سوى هذا الذكر لكنه لو كان ذا شرف
لاختص بالاشراف أانزل عليه الذكر من بيننا مع ان فينا من هو اشرف منه نسبا
واعلى رياسة ويستبعد من الحكيم اعطاء منصب شريف للدون مع وجود الاعلى
وليس هذا انكارا منهم لتعيين المنزل عليه مع الاعتراف باصل الانزال بل
هم في شك من ذكري على احد وليس هذا الشك لفقدان الدلايل بل مع كثرة
الدلايل اصروا على انكاره لانهم لما يذوقوا عذاب على الانكار ام هم يتحكمون على
من شاء وامن غير ان يكون عندهم شيء من الخزائن ام هم يتحكمون على من
شاء وامن لكمال الخزائن اذ عندهم خزائن رحمة ربك يتغلبون على الله في اعطاء
من منع ومنع من اعطى مع اتصافه بوصف العزيز الغالب الذي لو جعل
الخزائن بيد غيره لم يكن له ان يتصرف فيها بدون اذنه وبوصف الوهاب
الذي يهب الشرف للشرفاء والرياسة لمن شاء اينكرون كونه العزيز الوهاب
مع اعترافهم بان له الملك الكلي ام لهم في زعمهم ملك السماوات والارض وما

بينهما فان ادعوا لانفسهم هذا الملك فليرتقوا فليصعدوا في الاسباب التي
معارج الوصول الى العرش ليستووا عليه فيدبروا العالم وينزلوا الوحي على من
شاؤوا واين لهم ذلك بل غايتهم انهم جند ما هنالك اي في مكان
البعد مهزوم من جند اخر مسلط عليهم من الاحزاب المهزومة فيما تقدم اذ كذبت
قبلهم قوم نوح المهزوم بالطوفان وعاد بالريح وفرعون بالبحر مع انه ذو الاوتاد
اي القوى لم يوصله بقوم نوح ليعلم ان البحر جند مستقل كالطوفان ووسطه
الريح لانها المعينة في التلف بهما وثمود بالصيحة وقوم لوط بالحجارة واصحاب الايكة
بالخسف اولئك الاحزاب لم يكن لاهلاكهم سبب سوى التكذيب ان كل الا كذب
الرسل فحق عقاب فهو منسوب الى التكذيب الذي وقع عقيبه مع صلوحه للعلة
فلا ينسب الى غيره وما ينظر ما ينتظر هؤلاء المكذبون لك من تلك الجنود الهازمة
لهم الا صيحة واحدة هي نفخة الصعقة التي لا تأتي لهم معها ايمان ولا استغفار لانها
ما لها اي لاهلاكها من فواق توقف مقدار فواق ما بين الحلبتين ولا يخافون من
تعجيلها بالاهلاك بل يطلبون التعجيل منها اذ قالوا ربنا مقتضى تربيتك ايانا ان تعجل
لنا كل ما نسألك فيه عجل لنا قطنا قسطنا من عذاب الآخرة قبل يوم الحساب
السابق على دخول النار وذلك لبلوغهم في التكذيب والاستهزاء اصبر على ما
يقولون فلا تؤمن لدعائهم واذكر لهم اذا اعتمدوا على قوتهم او اتباعهم او
اموالهم او عقولهم عبدنا الكامل الذي اجتمعت فيه منح الامور الكمل منهم داود
خوفه لا لضعفه في ذاته بل مع كونه ذا الايد القوة التي قهر بها جالوت انه مع
انتهائه في باب القوة اواب رجاع الى الله تعالى من شدة الخوف ولم يكن خوفه
من قلة اتباعه اذ قد تبعه الانسان والحيوان والجماد انا سخرنا الجبال لتكون
معه يسبحن تبعا لتسبيحه بالعشي والاشراق وسخرنا معه الطير محشورة من الجوانب
تسبح معه وانما تبعه الكل اذ كل له اواب رجاع الى الله مستفيض منه بواسطته
ولم يكن خوفه من قلة امواله اذ شددنا ملكه بحيث لا يمكن لملك آخر ان يعضد

و لا من قلة علمه اذ آتيناه الحكمة الاطلاع على الحقائق وفصل الخطاب
في اقامة الدلائل ورفع الشبه وكان يتم بذلك العدل ايجاب محبة الخلائق
فلا يخالفه احد من اقاربه ولا من الاجانب و من كمال خوفه انه يتنبه لذنبه
في محل غضبه مع خفائه بحيث لا يطلع على مثله الا كامل الحكمة بلا غضب هل
اتيك نبؤا الخصم اي الملائكة المتصورين بصورة الخصماء اذ تسوروا المحراب
صاروا على سور بيت العبادة وهو من اسباب الغضب اذ دخلوا على داود
يوم خلوته للعبادة وهو ايضا من اسباب الغضب ففزع منهم لانهم نزلوا
عليه من فوق والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف
انما نخاف من اللصوص ولسنا منهم بل خصمان فوجان متحاكمان وانما
تحاكمنا اليك في يوم خلوتك لانه بغى تعدى في ذلك اليوم بعضنا على بعض
لا حرب على حرب حتى لا يلزم الحكم بينهما فاحكم بقطع البغي الواقع بيننا بالحق
بما يطابق امر الله ولا تشطط و لا تبعد عن الحق لو انحرف الى الصلح وان
كانت الخصومة عن البأس اهدنا الى سواء الصراط بحيث لا يميل عن
الحق اصلا ان هذا اخي في الدين والصحبة له تسع وتسعون نعجة انثى من
الضأن وقد جعل كناية عن المرأة في موضع التعريض ولي نعجة واحدة
فلم ينظر الى غناه عنها ولا الى افتقاري اليها بل اراد التغلب علي فقال
اكفلنيها اجعلني كافلها واجعلها نصيبي وعزني في الخطاب غلبني في المكالمة
قال داود ان كان الامر كما قلت فوالله لقد ظلمك بسؤال طلب نعجتك الى
احوج اليها ليضمها الى نعاجه مع استغنائه عن هذا الضم ولا يبعد منه لانه
خليط وان كثيرا من الخلطاء الذين خلطوا اموالهم باموال اصحابهم ليبغي
بعضهم على بعض يبغي الحر من بعضهم على بعض فهذه عادة الخلطاء الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يعتدون ذلك و الذين لا يبغون منهم
اصلا قليل ما هم تحرجا عنه وظن داود من مناسبة حكومتهم لخطبته

امرأة خطبها اوريا فغلب عليه انما فتناه امتحناه بالحكومة هل يتنبه لشأنه
ام لا فتنبه فاستغفر ربه لما كان منه من شبه الذنب و تذلل في الاستغفار حتى
خر راكعا سقط ساجدا او ازداد تضرعا حتى اناب رجع الى الله من كل وجه
قيل مكث اربعين لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه فاتاه النداء
اني قد غفرت لك فغفرنا له ذلك وان كان من حق الخلق و لا يبعد لقربه منا
ان له عندنا لزلفى قربا يقتضي رضاء خصومه وحسن مآب كمن لا ذنب له بل
صارت توبته وبكاؤه حسنات اجل من سائر العبادات ولقربه من الله
تعالى وحسن رجوعه اليه مع حلمه على الخصوم عند اساءة الادب بتسور
المحراب والدخول وقت الخلوة و كمال خوفه وحكمته استحق الخلافة حتى قال له
ربه يا داود ناداه ليقبل اليه فيتم له قابلية الخلافة انا جعلناك باعتبار
مقام عظمتنا خليفة نائبا عنا في الارض التي هي عالم الكون والفساد لتفوض
اليك صلاح العالم ظاهرا كما فوض اليك بالرسالة باطنا فكانت خلافتك مكملة
لرسالتك المكملة لنبوتك فالنبوة تنبيه القلوب بالعلوم الغيبية بطريق الكشف
المأمون فيه الغلط والرسالة الامر بتبليغها والخلافة التصرف بها ولما
كانت نيابة عن الله اعتبر فيها ما يناسب صفاته لكونه حيا يحفظ المملكة بحفظ
الحيوة للبدن عالما بوجوه التدابير قادرا على اقامة الاحكام مريدا للتخصيص
كل منصب باهله سميعا لاقوال الحكمة بصيرا بالامور متكلما بالحق وللامر بامر الله
باطاعة اولي الامر ورفع لكل واحد منهم عبادة سبعين سنة فكيف و
عبادة الرعية انما حصلت بحفظهم الاموال والانفس فاحكم بين الناس
الذين نسوا حقوق الله وحقوق الخلق بالحق المطابق لامر الله لا بما يتعارفه
الملوك ولا تتبع الهوى الميل الى مال او جاه او رعاية قرابة وصاحب ولو
متمسكا بامر شرعي متعلق من وجه فيضلك عن سبيل الله الموصلة الى الكمالات
لحفظ المملكة والنصر على الاعداء والنجاة في الآخرة ورفع الدرجات فيها ان

الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد في الدنيا بكثرة الآفات وفي
الآخرة بالعذاب على معاصيه ومعاصي عماله ورعاياه بحابسين بكل ذلك
بما نسوا يوم الحساب ولا يدعنه اذ يدعنه يكون خلق الانسان وتمكينه
من المعاصي والمظالم باطلا لكنه خلاف سنة الله تعالى لانا ما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا بل للدلالة عليه وليست تلك الدلالة باطلة بل يترتب
عليها الرجوع اليه للجزاء اذ ليس محله هذا العالم لكثرة الحجب فيه ذلك اي
اعتقاد خلقها باطلا ظن الذين كفروا بحكمة الله وجوده ودوام ربوبيته
وذلك يدعوهم الى كفران نعمه والجراءة على معاصيه فويل للذين كفروا من
النار من شدة الوجع وغيرها انترك البعث بالكلية ام نبعث ونجعل الذين
آمنوا فشكروا نعمة العقل والكتاب وعملوا الصالحات فشكروا نعم الاعضاء
كالمفسدين بصرف العقل والاعضاء الى ما خلقت له فسادا سارها في الارض
انترك المجازاة بالكلية ام نجازي ونجعل المتقين مخالفة امر الله رعاية
لمحبته كالفجار الذين يخالفون امر الله ولا يبالون بعداوته فان لم يكفهم دلالة
السموات والارض والدلائل العقلية المنتصبة للعرف المذكور فليضم اليه
الدلائل النقلية وهو الكتاب المعجز فانه كتاب لا يعرف كنه عظمته لكونه مما
انزلناه من مقام عظمتنا منتهيا اليك يا اعظم الخلائق مبارك ليدبروا آياته
لينظروا في الفاظه وفي معانيها ولوازمها ليستخرجوا منها علوما بطريق الاستدلال
وليتذكر اولوا الالباب ليستخرجوا من اشاراته علوما يعجز عنها اهل الاستدلال
فاولوا الالباب وان بلغوا من الكمال ما بلغوا وهبنا هذا الكتاب
زيادة في تكميلهم كما وهبنا لداود بعد كمال نبوة ورسالة وخلافة سليمان
زيادة في تكميله لكمال عبوديته التي هي اشرف مقامات الانسان حتى قيل فيه
نعم العبد وذلك لرجوعه في عبوديته الى الله انه اواب لا يلتفت الى عبادته
ولا الى نفسه ويقطع محبته كل ما سواه اذ عرض عليه بالعشي ما بعد الظهر والمراد

وقت العصر الجياد الصافنات التي تقوم على سنبك يد او رجل وهي من صفات
العراب الخلص الجياد السريعة الجري فغفل عن العصر حتى غربت الشمس فقال
اني احببت الخير حب الخير المطلق الذي يؤثر على كل ما سواه حتى شغلني عن صلوتي
المشتملة على ذكر ربي الذي يجب ايثاره على كل ما عداه حتى خرج وقتها اذ توارت
استترت الشمس بالحجاب بحجاب الارض لكن انما يتحقق الخروج لو لم يرد ردوها
اي الشمس ايها الملائكة علي ليعود وقت الصلوة فيذهب عنها اسم القضاء
فصلاها وغار عليها فطفق اخذ يذبحها ويمسح السكين مسحا بالسوق والاعناق
لئلا يتلوث بدمها شيء آخر من املاكه ولم يكن ذلك اسرافا منه لانه تصدق بلحومها
على الفقراء وقد علت الحاجة اليها اذ كان الله ينصره بدونها على انها لو كانت مجزية
ذوي اجنحة ربما لم يصلح للقتال عليها ولا ينافي كماله الابتلاء بالذنب سهوا فانا
لقد فتنا ابتلينا سليمان بالذنب سهوا وهو غفلته من عبادة امرأته صورة ابيها في
بيته وذلك انه غزا جزيرة صيدون فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها
ولم تزل تجزع على ابيها فامر الشيطان بمثل صورة ابيها وكانت مع ولائدها
تغدو وتروح اليها وتسجدن لها كعادتهن في ملكه واخبره آصف فكسرها وضرب
المرأة فخرج باكيا الى الفلاة وكان اذا دخل الخلاء اعطى خاتمه الذي فيه ملكه
جاريته المسماة امينة فاعطاها يوما فتمثل لها شيطان بصورته مسمى صخرا فاخذ
الخاتم فجلس على كرسيه المشار اليه بقوله والقينا على كرسيه جسدا كاجساد
صور المرايا لكنها بلا اجسام والشياطين اجسام لطيفة نارية لكنها انما يظهر
بها وانما يظهر اجساد مثالية ولذلك تراها متغيرة بسرعة والصور الاصلية
لا تتغير بطلوعها بسرعة وغيرت هيئات سليمان فاتاها لطلب الخاتم فطردته
فعلم ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال انا سليمان
بن داود حثوا عليه بالتراب فعمد الى البحر فاخذ ينقل حيتان اهله الى السوق على
سمكتين يبيع احدهما بارغفة ويشوي الاخرى حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبد

وهو

الصورة في بيته فقال آصف يا بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود
ما رأيت قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسألهن هل انكرن منه شيئا
فقلن لا يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة فطار الشيطان فقذف
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فوجد الخاتم في بطنها فخر ساجدا
وعاد اليه الملك فذلك قوله ثم اناب اذ قال رب اغفر لي تغافلي عن عبادة
صورة امرت بتمثيلها لقوم اعتادوا عبادة الصور او لا تسلب عني الخلافة
بل هب لي ملكا يكون لي معجزة اذ لا ينبغي لا يتسهل لاحد من بعدي لئلا يتوهم من
بعده لو ملك غيره مثل ملكه انه لم يكن معجزة وان من آمن بصاحبه انما آمن عن خوف
ويعلم ذلك اهل عصره بالضرورة من انه يمتنع عادة حصول مثله في عصر من
الاعصار الا بطريق خرق العادة ولعلك تعطي من يكون افضل مني ما سألتك من
الملك انك انت الوهاب المبالغ في الهبات فهب لي ابلغ الهبات وهب
من شئت ابلغ منها فسخرنا ذللنا له اي تكميلا لملكه الريح التي لا تطيع شيطانا لو
قام مقامه تجري بامره من غير عزيمة منه رخاء حيث اصاب اي لينة في مكان
الاصابة لا يؤذي احدا وان كانت عاصفة في السير بكرسيه وهذا اعجاز آخر
كونها لينة مع افادتها فائدة العاصفة وسخرنا له الشياطين بحيث لا يمكن احدا
منهم ان يتسلط عليه لينتفع بهم في المعجزات اذ سخرناه كل بناء يبني له ابنية عظاما
من المساجد والقناطر وغيرهما ليسكن عسكره وغواص يستخرج له جواهر البحر
ليستغني من اثمانها على العسكر وسخرنا له شياطين آخرين لا يتأتى منهم العجز ولكن
دفع عنهم الشر اذ كانوا مقرنين قرن بعضهم ببعض في الاصفاد القيود ولم يكلفه
في هذا الملك ما يشق عليه بل قلنا له هذا عطاؤنا لا نطلب في مقابلته عوضا ولا
نكلف عليه شيئا فامنن اعط منه ما شئت لمن شئت او امسك امنع فكل ذلك
لك بغير حساب ولم نبعده عنا بصرفه لما في عطائنا على غير وجهه بل ان له عندنا
لزلفى وحسن مآب اذ لم يذهب بطيباته في حياته الدنيا ولم يأت بما يخجله عندنا

في هذا الملك العظيم مع اجتماع الشياطين حوله واذكر في باب حسن الابتلاء
بالشيطان وحسن عاقبته من احتملها عبدنا الكامل في التحقق بالعبودية ايوب
اذ نادى ربه الذي رباه بالابتلاء بالشيطان شاكيا عنه اني مسني اصابني
الشيطان بنصب بتعب من جهة ذهاب المال والاهل وعذاب الم في الجسد
وذلك ان ابليس قال الهي نظرت في عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه
فشكرك ولو ابتليت حاله عما هو عليه فقال تعالى سلطتك على ماله فقال ابليس
لعفاريته ماذا عندكم من القوة فتحول احدهم اعصارا من نار فاحرق ابله ورعاتها
الى آخرها وصاح آخر على الغنم ورعاتها فماتوا وصار آخر ريحا عاصفة فهبت
على حرثه فنسفته فتمثل ابليس بصورة راع وحارث واتاه وهو يصلي فقال
اقبلت نار فغشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها وصاح على غنمك شيطان فماتت
وهبت على حرثك ريح فنسفته فقال الحمد لله انها مال الله اعارنيها وهو اولى
بها وقد وطنت نفسي ومالي على الفناء فقال ابليس الهي ان ايوب يرى انك
متعته بولده فانت تعطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فهي المصيبة التي لا يقوم
لها احد قال نعم فاتاهم وهم في قصرهم فلم يزل يزلزله حتى اسقطها عليهم
ثم نكسهم فتمثل بمعلمهم وهو جريح فاتاه وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا ونكسوا
سال دمهم ودماغهم وشق بطونهم وتناثرت امعاؤهم فقال يا ليت امي لم تلدني
ثم افاق واستغفر ربه فرجع خاسئا وقال الهي انما هون على ايوب المال
والولد لانه يرى انك متعته فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على
جسده قال على غير لسانه وقلبه فاتاه فوجده ساجدا فنفخ من قبل وجهه في منخره
نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت
فيه حكة فلم يزل يحك حتى فتح لحمه وانتن واخرجه اهل القرية ورفضه غير امرأته رحمة
بنت افرايم بن يوسف فتمثل لها ابليس في صورة رجل فقال لها ان بعلك فعلت
سوذ لك بحك قرحه وتردد الديدان في جسده فلما سمع طمع ان يكون كلمة جزع

لذكرها ما كانت فيه من النعيم ثم اتى بسخلة وقال لتذبح لي ايوب هذا فيبرا فجارت
تصرخ يا ايوب الى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين لونك الحسن اذبح
هذه واسترح فقال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ارايت ما تبكين عليه من المال
والولد والصحة من اعطاه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال
فمنذكم ابتلينا قالت سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت لتصبرين في هذا
البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني
ان اذبح لغير الله لا اذوق شيا مما تاتيني به بعد هذا اعزلي عني فذهبت فلما راى
ايوب ليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض اضرب
برجلك الارض ساعيا في قلب رايها ما فركض برجله فنبعت عين فقيل هذا
مغتسل بارد يذهب بالحرارة المؤذية فاغتسل فلم يبق من دائه ودرنه شئ
الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله كاحسن ما كان وضرب مرة اخرى فنبعت عين
اخرى فقيل هذا شراب فشرب فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا هذا
ما يتعلق ببدنه وقدم هذا لانه اهم وانما قدم اولا ما يشير الى اهلاك المال والولد
لتقدمه في الواقع ووهبنا له اهله باحيائهم باعيانهم ومثلهم معهم بان رددنا
على المراة شبابها فولدت سبعة بنين وسبع بنات وقيل ستة وعشرين ذكورا
رحمة منا فوق اجر الصبر المؤخر الى يوم القيمة وانما اعطيناه ما اعطيناه ليكون
ذكرى لاولي الالباب ليتذكروا انه اذا اعطى في دار المحنة هذا المبلغ فماذا
يعطيه يوم الجزاء لئلا يياسوا من روح الله وخذ لحلفك على ضرب امراتك
بيدك لا بيد غيرك لما فيها من مزيد الاهانة ضغثا حزمة صغيرة فاضرب به امراتك
ضربة واحدة تكفيك عن مائة ضربة اذا اشتمل على مائة عود واصاب الجميع ولا تحنث
لرعايتها حقك وصبرها معك ومع ذلك لا تحنث بترك الضرب الذي فيه رعاية
حقنا وانما اتيناه ما ذكرنا وخففنا على امراته من اجل صبره انا وجدناه في

كل ما ابتليناه به صابرا والصبر راس العبادات لذلك صح فيه نعم العبد كما في كمال
العبودية في الرجوع الى مولاه انه اواب وكذلك كل صبار واذكر في تكميل العبودية
بالصبر على اتمام الاعمال والمعارف عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب لكونهم
اولي الايدي العاملة للاعمال القلبية والقالبية والابصار الناظرة في تحسين
الاعتقادات واتمامها وتكميل الاعمال عن كمال الصبر فيها بالاعراض عن الدنيا
انا اخلصناهم عن الالتفات الى الدنيا بخالصة بهمة وعزيمة خالصة لطلبنا حتى
انزهوا ذكرى الدار الاخرة لا لما فيها من الماكولات والمشروبات والمنكوحات
بل من منازل القرب والكرامات عند الله وذلك لاصطفائنا اياهم انهم
عندنا لمن المصطفين لقربنا بل من الاخيار من بين طوائف المقربين واذكر في
ان القرب بالصبر على اعمال التزكية اسمعيل المنقاد للذبح المفني للنفس واليسع
خليفة الياس بشرط ترك الشهوات وترك الغضب وذا الكفل خليفة اليسع
شرط قيام الليل وصيام النهار وترك الغضب فتولاه وان بالغوا في التزكية
التي بها التجلي الشهودي للرب المفضي الى دعوى الربوبية في حق القاصرين
فليسوا من اهل البعد بل كل من الاخيار اذ غاية هذا التجلي انه ذكر
شرف لهم لا يخرجهم عن العبودية الى الربوبية فلا ينافي كونهم من الاخيار
بل يؤكده ومنه المقامات وان كانت شريفة فلا اشتاق اليها العوام فلا بد
لهم من مشوق اخر يشوقهم الى ما العوم فقال ان للمتقين تناول المحرمات فانهم
وان فاتهم ما ذكر لحسن مآب مناسب طباعهم جنات عدن يتنعمون فيها
بدل الانهماك في الشهوات مفتحة لهم الابواب ابواب الشهوات التي لم تفتح لهم
في الدنيا لو ارادوا منها باب الجاه لذلك يكونون متكئين فيها على سررهم
اتكاء الملوك وباب الاطعمة والاشربة اذ يدعون فيها الى اماكنهم بدل سعيهم لنواله
الدنيا بفاكهة كثيرة تناسب الاطعمة المتروكة من الدنيا وشراب يناسب الشراب
المتروك وباب الانكحة اذ عندهم بدل النسوة المتروكة من المحرمات نسوة قاصرات

الطرف على ازواجهن مع حضور اصحابهم اتراب مستويات السن ليس فيهن
عجوز ولا صغيرة هذا ما توعدون على ترك المحرمات ليوم الحساب فاذا تركتم
اعطيتم بحساب ذلك ولو فعلتم عوقبتم بذلك الحساب لكن المتروك كان فانيا
لا محالة وهذا غير فان ان هذا لرزقنا ماله من نفاد كما لا نفاد لنا هذا فان دل على
انه لا يفوت بالتقوى شيء من المشتهيات بل يحصل في مقابلتها ما هو اكمل منها
بما لا يتناهى من المراتب لا يكفي داعيا الى التقوى من لا يرضى بترك اللذات العاجلة
للذات آجلة فلا بد من تخويف عظيم بان يقال ان للطاغين بمجاوزتهم حد
الشهوات المباحة لشر مآب لا تقوم خيرها اليسير بازاء ذلك الشر الكثير وهو انه لهم
جهنم بدل تلك الجنات يصلونها بدل لذات الفواكه بل على اللذة بتلك الشهوة
التي فنيت وبقي هذا ابد الاباد فبئس المهاد على انه يكون بدل اتكائهم على
السرر ويقال لهم بدل شراب الجنة بل بدل ما شربوا في الدنيا من الاشربة المحرمة
هذا فليذوقوه جزاء على ذوق الشراب المحرم حميم وغساق ما يسيل من الصديد
و لهم مذوق آخر من شكله اي شبه ما هو من ازواج انواع من العذاب من جملتها
التخاصم بينهم وبين اتباعهم بدل التلذذ بالنساء وذلك انه اذا ورد التابعون
في النار قال خزنتها للمتبوعين الذين وردوها قبلهم هذا فوج مقتحم داخل
النار ليكونوا معكم كما كانوا في الدنيا فيقول المتبوعون لا مرحبا بهم اي ما اتوا
سعة انهم في ضيق من الشدة اذ هم صالوا النار قالوا بل انتم احق بما قلتم لا
مرحبا بكم بتخفيف العذاب لمشاركتنا اياكم انتم قدمتموه اي الصلي لنا بتلقين
العقائد الردية والاعمال القبيحة تشربت في قلوبنا حتى تقررنا في النار فبئس القرار
سيما وقد تقررت عداوتهم ايضا حتى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
حتى يكون ضعفا لعذابنا في النار وراء سائر وجوه العذاب وقالوا اي الاتباع
انما اتبعناكم لانكم اوقعتم في اعتقادنا كون المؤمنين شرارا وانكم خيار ما لنا لا نرى
رجالا من المؤمنين كنا نعدهم لفقرهم وتركهم دين آبائهم من المؤمنين

من الاشرار واذا ذكروا فضل ايمانهم واعمالهم اتخذناهم سخريا ام هم خارجون من
النار فليسوا من الاشرار ام هم مع سائر الاشرار في النار لكن زاغت
عنهم الابصار ان ذلك لحق وان وقع حال الاشتغال بالعذاب لحق لانه
تخاصم اهل النار يريد به البعض دفع العذاب عن نفسه او تخفيفه عليها و
تغليظه على صاحبها ولو بايهام شرية المتبوع الجز وخيرية المتبوع الشر فان
زعموا ان غاية هذا انه مبالغة في التخويف وهو لم تظهر له اثر موجب للسخرية
قل انما تظهر اثره بالتعذيب لكنه ليس بيدي انما انا منذر ولو كان بيدي لكنت
الها لكن ما من اله الا الله لانه الواحد في الالهية القهار لكل اله سواه لو كان
وانما احتيج الى الواحد لانه رب السموات والارض وما بينهما من المحدثات
المفتقرة الى المحدث وكثرتها لا توجب تعدده لانه مبطل لعزته لكنه العزيز على
الاطلاق ولذلك لا تظهر بجميع كمالاته في المظاهر فلا يبعد ان يستر الالهية
عنها لانه الغفار فان زعموا ان غاية هذا انه استدلال على شرية مآب الطاغين
وهو انما يكون حجة على من اصغى اليه لكنا عنه معرضون قل انما يعرض العاقل
عما يراه سهلا والمستدل عليه فيما نحن فيه نبأ عظيم بحسب مقتضى عزة العاقل
لا آلهة ما سواه فهي بعض من اشرك به انتم مع ادعائكم كمال العقل لانفسكم
عنه معرضون لا عن جهلكم بصدقه بل مع علمكم بصدقه لمطابقته كتب الاولين
من غير اطلاع لي عليها ولا سماع من اهلها ومن الشياطين المستمعة من الملأ
الاعلى فانه ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اي بكلامهم اذ يختصمون يبحثون
عن المعارف والاخبار وكيف يكون لي هذا من الشيطان مع انه ان
ما يوحى الي الا انما انا نذير من اضلال الشياطين مبين لمبدأ اضلاله
وهو عداوته مع الله لاجل غضبه عليه من ترك السجود لادم اذ قال ربك
للملائكة الذين هم فوق ابليس اني خالق بشرا فلا ينبغي ان تزدريه اعينكم لكونه
من طين يغلب عليه التراب والماء اذ اشرفه بتعديل المزاج فاذا سويته

عدلت مزاجه بحيث يحصل له وحدة تستدعى فيضان الروح منى فاذا هي لشرفها
اذ نفخت فيه من روحى نورية بنفس روح فاض منى فقعوا على الارض لعظمها
الى جمعه بين العلويات والسفليات ساجدين فسجد الملئكة السماوية والارضية
كلهم اجمعون لم يتأخر سجود بعضهم عن بعض الا ابليس فانه وان كان دونهم
ثم لحقهم بالعبادة حتى دخل فى امرهم لم يسجد لانه استكبر ودعاه استكباره
الى جحود وجوب امتثال امر الله فكانه كان قبل ذلك من الكافرين وان
كان مبالغا حينئذ فى عبادته قال يا ابليس بعد ما غير اسمه اذ كان اسمه عزازيل
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى جمعت فى خلقه من صفاتى المتقابلة التى
بها افعل الاشياء افعل الذين استكبرت عليه مع كونكما دونى من الملئكة
الساجدين ام لم تستكبر بل كنت من العالين الملئكة الذين فوق السموات
لم يؤمروا بسجوده لكونهم ممن لا يعلمون انه خلق آدم ام لا لاستغراقهم فى
مشاهدة جلال الله تعالى قال انى وان لم اكن من العالين يكفينى فى الامتناع
كونى اعلى منه اذ انا خير منه عنصرا اذ خلقتنى من نار هى عناصر يغلبها النار
وخلقته من طين يغلب التراب ومركز النار اعلى وتأثيرها اشد قال اذ اخرجت من امرى
ومن العقل الكامل بترك النظر الى شرف روحانيته فاخرج منها من رتبة
الملائكة فانك رجيم مطرود عن رتبة القرب اللازمة لرتبة الملئكة ولا اقتصر
فى حقك بمجرد الطرد بل العكس ان عليك لعنتى غضبى الذى لا ينقطع الى يوم الدين
فلا ينقطع العذاب عنك بعده قال رب مقتضى تربيتك اياى فيما نسلم
ان لا تعجل عقوبتى فانظرنى امهلنى الى يوم الجزاء العام اذ يبعثون فيه
قال اذ استمهلتنى بتربيتى السابقة فانك من المنظرين لا الى يوم البعث المستغنى
بعد جميع بنى آدم بل الى يوم النفخة الاولى الواقعة فى الوقت المعلوم المعين
لانهدام امر الدنيا فانه يغلب فيه القهر الكلى فلا تسلم فيه قال اذ قهرتنى بعزتك
وحجبتنى بها عنك اذ ظهرت بعدك فى آدم فبعزتك اقسم لاغوينهم لاضلنهم

اجمعين بمقتضى حجاب العزة الا عبادك منهم المخلصين لخروجهم عن تلك الحجب
باخلاصهم فيعرفوك ويعبدوك انك لما نصرت مبطلا فالحق قلت فى الاغوار
والاستثناء والحق اقول فيما ترتب عليه فاقسم لاملان جهنم بمقتضى القهر
اللازم للعزة منك وممن تبعك منهم اجمعين فهذا الوعيد هو مبدأ الانذار
فان اعرضوا عن انذارك بعد بيان مبدأه لانه يشق عليهم الاصغاء اليه
قل انما يشق الاصغاء الى ما فيه غرم لكن ما اسألكم عليه من اجر وما انا من
كذب كالمتكلف لاصلاح الكلام وما انا من المتكلفين ولا اختلال غرض
ولا اخلال فيما ادعوا اليه ان هو الا ذكر للعالمين شرف للكل اذ اظهرت
علومه وعمل بها وانتم لو خفيت عليكم فوائده لتعلمن المتضمن لتلك الفوائد بعد
حين اما فى الدنيا عند كثرة العلماء او فى الآخرة تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله
اجمعين سورة الزمر سميت بها لاشتمالها على الاية التى
فيها ذكر سوق المبشر الى تفصيل الجزاء والزام الحجة وبطلان المعذرة وهذا من
اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلى فى كتابه بتفاصيل اسمائه
وصفاته واحكامه وافعاله واجمال ذاته الرحمن بتنزيله بيان تلك التفاصيل الرحيم
بانزاله بيان ذاته اجمالا تنزيل الكتاب لبيان تلك التفاصيل من الله المشتمل
عليها مع احتجابها باعتبار اسمه العزيز ليصير الى عالم الحكمة باعتبار اسمه الحكيم
وبين ذاته فى اثنائه ببيان تلك التفاصيل اجمالا للكل انا انزلنا من مقام الجمع
اليك يا مظهر الجمع للتفصيل مع الاجمال ليلحق بالحق لتعبد باعتبار جمعه
فى ذاته وتفصيله فى مظاهره فاعبد الله باعتبار جمعه بين الاجمال والتفصيل
غير مشرك به المظاهر بل مخلصا له الدين والمظاهر وان عبدت وجميع عباده
الى الله فليس ذلك دينه بل الا لله الدين الخالص عن وجه الشرك وعبادة
المظاهر لا تخلو عنه اذ الذين اتخذوا من دونه اولياء يقولون ما نعبدهم

قال

نبأه

الكتاب الجامع

الا ليقربونا الى الله لانهم مظاهره الكاملة فعبادتها تزيدنا معرفة والزيادة بها
تفيدنا زلفى قربا فوق قربنا بلا واسطتهم لكنهم ليسوا مظاهره الكاملة بل اختلف
ظهوره فيها لذلك اختلفوا في معرفة الله تعالى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون
من معرفته وظهوره بذلك كذبهم انها يفيدهم مزيد معرفته بل انها حجب عنه ان
الله لا يهدي من هو كاذب كفار فهي وان كانت للاستدلال بها على الصانع
فانما يستدل الكامل دون هو لآلهتها القائلين بظهوره بالآلهية اصلا
فان زعموا انه وان لم يظهر الحق في اوليائهم بالالهية ظهر في بعضهم بالسر الذي
يظهر من الوالد في ولده فيقال هذا الشرط انما يتم لو امكن ان يكون له ولد
لكنه انما يقتضي بمباشرة المراة وهي من خواص الحيوان ولا يقتضي بغيرهما
فيا لاصطفاء يحتمل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى لاعطاء سنخ الالوهية
مما يخلق مع ما فيه من النقيصة المنافية لهذه الرتبة الشريفة ما يشاء سبحانه هو
الله اي تنزه تنزهه الكامل باعتبار آلهيته عن ان يلحقه نقيصة حدوث الولد
المنافية للالوهية المقتضية وجوب الوجود المنحصر في الواحد المنافي للاتحاد
ولدا لانه وجب ان يساوي والده في اخص اوصافه لا ما يتساوون لكنهما انما
يتم له لو تفرد بها فهو الواحد حجبت لو امكن شيء منها لغيره فهو القهار له وكيف يكون
ظهوره في اوليائهم ومعبوديهم اكمل من ظهوره في كل ما عداهم مع انه خلق
السموات والارض اكمل مظهرية منهم لظهور تفاصيل اسماء الحق وصفاته
فيهما كانهما متصفان بالحق ومع ذلك لا يخلوان عن نقص بحيث صار كمالهما قابلا
للتغير فمن كمالها الليل والنهار ومن تغيرهما اذ يكور الليل اي يجعله لباسا
على النهار وقد يقهر هذا القاهر بمقهوره اذ يكور النهار على الليل ومن تغيرهما من
سلطانهما اذ سخر الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والتسخير قهر
على ان منتهى امرها القهر عليهما اذ كل يجري لاجل مسمى هو اجل القيمة الحاء
لكل ما سواه فمنتهاه فيه وكيف يظهر بكمالاته في مظاهر النقص وهو ينافي

فيها فهو كاذب في هذا الزعم كفار
بنسبة هذه الرتبة الى من ليست
له فلا يهتدي الى معرفة الالهية
صح

عزته الاسم العزيز فهو وان ظهر بعزته في بعض الاشياء يستر عزته وسائر كمالاته
من حيث هو الغفار فلا يظهر بكمالها في شيء بحيث يستحق العبادة فيه ولا يبعد
عليه ان يظهر بكمال في شيء ويستره عن الناظرين حال الظهور اذ خلقكم من نفس
واحدة فظهر فيها بالكمالات التي يظهر بها فيكم لكن لم يظهر بها لكم الى حين اخراجكم
ثم لا يبعد عليه الجمع بين الظهور والبطون كما لا يبعد عليه الجمع بين الذكورة والانوثة
في تلك النفس اذ جعل منها زوجها وكيف لا يكون تلك النفس الجامعة لكمالاتكم من
اكمل المظاهر مع ان من كمالاتكم انه انزل لكم جعل تحت قهركم من الانعام ثمانية
ازواج ومما يدل على كمالكم انه يخلقكم في بطون امهاتكم ليأخذوا اسرارها الباطنة
كما اخذتم اسرار ابائكم خلقا من بعد خلق ليجمع فيكم حقائقها ويحصر اسرار اشعة
ظلمات الاماكن اذ خلقكم في ظلمات ثلث ظلمة البطن فظلمة الرحم فظلمة المشيمة
ذلكم المدرج فيكم سنخ الاسرار هو الله الجامع لها لا مظهر من مظاهره اذ لا
ربوبية لها واندراجه من حيث هو ربكم فان كان هو المظهر فلا يستحق العبادة لانه
المستحق لها هو الملك ولا ملك لهذه المظاهر بل له الملك كيف والمظاهر والظهورات
متعددة وهو لا اله الا هو فانى تصرفون من عبادته الى عبادة مظاهره او
ظهوراته ولا يلومكم على صرفكم لانه يضره فانكم ان تكفروا لم يضره كفركم والا كان
محتاجا اليكم والى ايمانكم لكن لا حاجة له الى شيء فان الله غني عنكم وان نفي
ظهور بعض اسمائه كالرزاق والمحيي والمميت والعفو والشكور عليكم فهو غني عن
ذلك الظهور ايضا ولكن يحبه لذلك لا يرضى لعباده الكفر لانه ينقص مظاهريتهم
فينقص ظهوره فيهم وهو يحب كمال ظهوره فيها اذ هو كمال الظهور وان يحبه كمال
ظهوره ان تشكروا يرضه لكم اذ يكمل بذلك مظهريتكم فيكمل ظهوره فيكم ولعدم
كمال ظهوره بكافر لم يعذبه لان نقيصة كفره يعارضه الا ان يحملها يتحمل لكن لا
تزر وازرة وزر اخرى ثم هذا النقص وان لم يرجع منكم الى الله لكن الى
ربكم مرجعكم فكان نقيصتكم ايضا راجعة اليه وقد رجعت الى ظهوره بالحقيقة

فينبئكم بما كنتم تعملون من الجنانية في والاعمال وان تعلقت بالجوارح التي هي
مظاهره الكاملة فلها تاثير في مظاهرة الصدور فينبئكم بها انه عليم بذات الصدور
وطبه لكمال مظهرية القلب لها بعد الجوارح لتكميله فانه اذا احس الانسان ضر
دعا ربه ليكمل بذلك مظهرية قلبه اذ يصير منيبا راجعا اليه ثم بعد ازالته
بدعائه اذا خوله ملكه نعمة عظيمة منه يزداد رجوعا اليه نسي ما كان من الضر
يدعو الله اليه الى دفعه من قبل من قبل منح النعمة ونسي المنعم ايضا اذ جعل
لله اندادا الا لرؤيته اياهم وسائط نعمته ليضل عن سبيله باعتقاد انهم مظاهر
كاملة له والكمال الظاهر فيها عين النقص بالنسبة الى كمال الحق واعتقاد النقص
في كماله موجب للضلال عن سبيله فان زعم انه بذلك يعظم عليه الحق بواسطتهم
قل تمتع بكفرك الذي من توسطهم للاستفاضة منه على انهم مظاهره الكاملة
تمتعا قليلا في الظاهر لا في الحقيقة انك من اصحاب النار باعتقادك النقص في
كمال الحق وتوسطك ما جعلته شريكه في الكمال الذي به استحقاق العبادة وكيف
لا يعذب هذا المتمتع بالنعم مع كفره بالمنعم وتشريكه به من لا نعمة منه اصلا اذ
غايته انه من اسبابها التي لا اثر لها فعال امن الكافر جزء من ذلك الشاكر
الذي تنبت بخدمة المنعم امن من فات قائم بوظائف الطاعات شكر النعم
آناء ساعات الليل حال غفلة هذا المتمتع ساجدا بالتذلل له وقائما بالاوامر
يحذر الآخرة ان يجازي فيها على تقصيره في شكره بعضه ويرجو لطبعه رحمة ربه
الذي رباه بالنعم قبل استحقاقه فان اصروا على القول بتفضيله عليه قل ان
انتم من التفضيل بل هل يستويان فان ادعوا القول بالاستواء قل هل
يستوي الذين يعلمون النعم والمنعم والذين لا يعلمون شيئا منهما لكن انما
يتذكر بهذه الكلمات وبمنح اللطائف اولوا الالباب الآخذون لب
كل شيء فان زعموا ان اهل اللب لا يرون الله ينتفع بالطاعات ولا يتضرر
بالمعاصي فلا يتعبون انفسهم بالسجود والقيام آناء الليل ولا يحذرون الآخرة

منقرب اليه لذلك صح

ويغلب عليهم الرجاء على انه تعالى يعلم انه لا يتيسر في ارضنا فلا يكلفنا بما يعسر
فيها على خلاف مقتضى رحمته بنا ولا يتيسر لنا الخروج عن ارضنا الا بضرر
عظيم عن مالو فاتنا فيها فالتكليف به ايقاع في الحرج المنافي لمقتضى رحمته قل يا
اهل اللب يعلمون انكم عبادي والمولى يتصرف في العباد كيف يشاء وانتم
من الذين آمنوا بانه امر ونهى ووعد واوعد وانه صادق في كل ذلك
قادر عليه فحقكم ان تتقوا مخالفته اتقوا ربكم الذي رباكم بالنعم ان يسلبها عنكم
ويعذبكم النقم اي بالنقم فان لم ينتفع به من ولم يتضرر فلا شك انكم تنتفعون
اذ للذين احسنوا اعتقاداتهم واعمالهم في هذه الدنيا المشتملة على
الشهوات والغرور حسنة هي القرب من الله والنفوذ شوابه لا يثار جنابه
على ما سواه وحصول ما زرعوا بزرعهم وان لم يتيسر لكم ذلكم في ارضكم
فاخرجوا الى غيرها اذ ارض الله التي يتيسر فيها طاعته واسعة فان عسر
عليكم الخروج اليها فالصبر عليه اعظم للاجر ولا ينافي تكليفه بذلك عظم رحمته
لانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فان زعموا ان اهل اللب
اهل التوحيد الذي لا ينقص معه عبادة ولا عابد قل اني وان كنت من
اعلى الموحدين امرت باعتبار حقيقتي العبودية وانما التوحيد باعتبار
اشراق نور الوجود عليها ان اعبد الله الجامع للانوار المشرقة للكل
ليشرق بها على حقيقتي لا مستقلا بها بالعبادة بل مخلصا له الدين بالتوحيد
ولا اخرج بتوحيدي عن العبودية اذ امرت لان اكون اول المسلمين
المنقادين لحقيقتي وبما اشرق علي من نور الوجود للوجود الحقي المشرق
بهذه الانوار فان زعموا ان التوحيد رافع للعقاب لا امتناع ان يعاقب
احد نفسه فاذا لم يخف وقوعه فما معنى التكليف قل اني اخاف من جهة حقيقتي
ان عصيت ربي بمخالفة اوامره ونواهيه التي كلف بها حقيقتي المرآة بنور
اشرق عليها من الوجود الحقي لتزيد صارته عذاب يوم عظيم بالتجلي الجلالي

عليها بدل التجلي الجمالي فان زعموا انه كيف يبقى نظر التوحيد مع العبادة بل يكون
العابد عابدا لنفسه على انه انما يعبد الله لينفع نفسه قل الله لا نفسي اعبد والتوحيد
لا يحب اتحاد الحسنة مع نور الوجود الحقيقي المشرق عليها فضلا عن الاتحاد
بذاته مخلصا له ديني عن طلب نفع نفسي فاعبدوا ما شئتم من دونه من انفسكم
او منافعها فان زعموا ان العبادة اذا خلت عن نفع النفس وقد خلت
بالشهوات الدنيوية كانت محض خسران قل ليس الخسران المحض خسران الشهوة
فانه وتعب فان بل ان الخاسرين الخسران المحض هم الذين خسروا انفسهم
التي بها كان التلذذ بالشهوات وكانت احب اليهم من كل مشتهى واهليهم
الذين احب اليهم من انفسهم خسرانا ابديا لفوات الشهوات كلها عليها و
عليهم ابدا لوقوعه يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين الذي لا يستتر بنوع
منا من جهة فوات الشهوات واما من جهة اجتماع وجوه التعب فهو انه
لهم من فوقهم لفساد اعتقاداتهم واخلاقهم واعمالهم الباطنة ظلل اطباق
من النار ومن تحتهم لفساد اقوالهم واعمالهم الظاهرة ظلل ولا ينافي ذلك
عظم رحمته اذ ذلك يخوف الله به عباده ليرحمهم باعتقاداتهم واخلاقهم
واعمالهم التي بها الفوز بقربه وثوابه والنجاة من بعده وعقابه وحجابه ولكونه
اشد من العذاب على اخص خواصه قال لهم يا عباد فاتقون اي
ذاتي وان كنتم من اهل التوحيد وليس من الخسر ترك عبادة المظاهر بل
الذين اجتنبوا الطاغوت الشيطان المبالغ في الطغيان لا بانكار
مظهريتها بل ان يعبدوها وان اوهم لفظ التوحيد كون الكل معبودا او انابوا
رجعوا من عبادة المظاهر الى عبادة الله لهم البشرى بكل نوع من قربه
وثوابه والفوز باحسن محامل التوحيد فمن وجوهه ما هو كفر صريح كاعتقاد
الهية الكل واحسن وجوهه اعتقاد ان الوجود الحقيقي واحد مختص بالله
فيجعل ما سواه من اشراق نوره عليه وهكذا كل لفظ يحتمل وجوها يجب اتباع

احسنها فبشر عبادي الذين يخصونني بالعبادة وان سمعوا من الكمل ان كمال
التوحيد اعتقاد وحدة الكل لانهم وان كانوا يستمعون القول من الكمل ينظرون
الى وجوهه فيتبعون احسنه احسن محمل له اولئك وان انكر عليهم ملاحدة
الموحدين هم الذين هداهم الله اذ لا هداية في الوجوه القبيحة وان كانت وجوها
لاقوال الكمل واولئك لا يلامون بمخالفة الظواهر في بعض الالفاظ لانهم هم اولوا
الالباب اي البواطن فيما خالف الظواهر العقل الصريح والا اخذوا بهما جميعا
أيكون من اهل الهداية من اخذ بالظاهر وان قبح بحيث يدل العقل على انه
كفر صريح فمن حق عليه كلمة العذاب يكون من اهل الهداية من غير ان يسعى
في انقاذ نفسه من حقية كلمة العذاب عليها باقامة دليل اخر عقلي في مقابلته
أيسعى في انقاذه بدلالة ظاهر اللفظ فانت تنقذ من في النار وليس من
التقوى ترك التاويل فيما دلت الدلائل العقلية على استحالة الظواهر لكن
الذين اتقوا ربهم ان يضلوا سبيله يحررون دلائل عقلية ويبنون عليها
نتائج ثم يجمعون بينها وبين الدلائل النقلية والكشفية فيجرون انهار المعارف
المفضية الى الاحوال الشريفة والمقامات الكريمة لذلك يكون لهم غرف منازل
رفيعة لابتناء مطالبهم على الدلائل العقلية والنقلية والكشفية من فوقها
غرف مبنية لبنائهم الاحوال والمقامات عليها تجري من تحتها الانهار لاجرائهم
انهار المعارف وعدا وان لم يجب على الله فلا بد من وقوعه لكونه وعد الله
لا يخلف الميعاد لما فيه من نقيصة الكذب فان زعموا ان الموعود المستقبل
انما يستقر في الخاطر برؤية نظيره في السابق يقال الم تر ان الله انزل من السماء
ماء وهو نظير انزاله مواد العلوم العقلية والنقلية والكشفية فسلكه ينابيع
في الارض وهو نظير ايقاعها في تركيب الادلة ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
وهو نظير استخراج النتائج المختلفة ثم يهيج ييبس فتراه مصفرا وهو نظير اثار الرياضة
والتصفية ثم يجعله حطاما فتاتا منكسرا وهو نظير الاحوال والمقامات التي لا عبرة

بها للوجود المجازي ان في ذلك لذكرى لنحو ما ذكرنا لاولي الالباب فمن تذكر
من هذه الامور المحسوسة من تلك الامور العقلية تذكر تلك الامور المحسوسة
المعقولة
من هذه الامور المعقولة فكانهم لغاية تعمقهم ينقلون من المحسوس الى المعقول
ثم منه الى المحسوس هذا المحسوس كانه ينظر لذلك فافهم ويحتمل ان يقال ان
الله تعالى انما انزل العقول والكتاب فسلكه ينابيع القلوب لاخراج
زرع الاعمال المختلفة ثم ان ذلك الزرع يختلف له الاحوال باعتبار البرزخ
والقيمة فلا يبقى له اثر بل ينقلب الى صور اخرى في البرزخ يبقى فيه اثر من هذا
العالم وتمحى اثره بالكلية في القيمة ويحتمل ان يقال لو قالوا ذكر الله والتوجه اليه
يفيد ذلك من غير شرط التقوى اذ يحصل لاهلهما في الدنيا الخوارق فلا يبعد
ان يحصل لهم تلك الغرف فيقال ان لذكر الله والتوجه اليه فيضا سماويا يفيد
تصفيه وتزكية من اجراء انهار المعارف وتنبت ما يشبه الكرامات لكن
لابقاء لها بدون التقوى فان الاهوية الفاسدة تفسد ذلك الزرع على
سبيل التدريج وهذا الوجه اقرب من الاولين فان زعموا ان اكثر امور ظهر
كمال لبه لا يتذكرون بشي من امثال ما ذكر ثم قيل انما يتذكر بها من شرح صدره
للاسلام دون من قسى قلبه أفتنكر كل من اشتهر باللب وان لم يستعمل
لبه في امر الدين فمن شرح وسع بالتصقيل لانطباع صور الامور الدينية
كانه تلين لها تليين الشمع ليقبل الصور الله باعتبار ذاته واسمائه وصفاته
صدره وجه للقلب الى النفس للاسلام لامور الدين بالتصفية والتزكية حتى يتجلى
الله فيه فهو على نور من ربه الذي رباه بالتصقيل والتليين والشرح كمن قسى
قلبه ولم يتصقل ولم ينشرح ولم يستنر ولم يلن يجمد على الامور الدنيوية فويل
للقاسية قلوبهم لم يلن ولم يتصقل من ذكر الله الكاشف عن الحقائق الدينية
اولئك وان استعملوا في الامور الدنيوية في ضلال مبين عن المطالب الدينية
كيف وقد ضلوا عن احسن ما انزل الله تعالى للايصال اليها اذ الله باعتبار

ذاته واسمائه وصفاته نزل مرآت تقبل المصقل احسن الحديث المحدث تصقيلا
للقلوب كتابا جامعا للحقائق والاحكام وما يترتب عليها متشابها يشبه بعضه
بعضا في غاية الكمال ليكون اشرح للصدور مثاني يرجع بعضه الى بعض بالتاييد
فيكون اشد تاثيرا بحيث يسري من القلوب الى الجلود تقشعر تنقبض منه
جلود الذين يخشون ربهم من سريان اثر الخشية من قلوبهم الى جلودهم عند
التجلي الجلالي ثم تلين جلودهم عند التجلي الجمالي و لذلك تميل قلوبهم الى
ذكر الله فلا تزال توصله الى مراتب القرب منه والرضوان ذلك وان اقتضى
كونه هداية لجميع اولي الالباب الا انه لكونه هدى الله الخاص به يهدي به
من يشاء من خواصه وهو المؤمنون دون هذه الاسباب وان جلت و
لذلك يرى من تضلل الله فانه وان كان كامل اللب جامعا للعلوم مبالغا في
الاعمال فما له من هاد وان زعموا ان الضال هو الذي تقشعر من هذه الكلمات
ويقشعر منه جلده دون من يثبت على دين اتفق عليه العقلاء الاولين قيل أ
من تاثر قلبه بذكر الله وتلاوة كتابه حتى اقشعر جلده ثم لان الى ذكر الله حتى
كوشف له ضال ام من قسى قلبه مع ان القاسي يجب ان يجازي بمنع التحرك بان
تغل يده الى عنقه فمن يتقي يتحفظ بوجهه اذ يدفع به سوء العذاب يوم القيمة
يوم الجزاء الوفاق سادتي زعمكم ام غيره ولو نظر الى تلبيته لاعمال الدنيا فهو
ظالم بصرفه اعضاءه المخلوقة لعبادة الله الى اهويته وقيل للظالمين بعد تصوير
اعمالهم بالصور المولمة ذوقوا ما كنتم تكسبون ولو كانت اعمالهم صالحة كفى تكذيبهم
سببا لتعذيبهم فانه كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب ولا يجب الشعور به
قبل مجيئه ليؤمنوا عنده فيه لان سنة الله قد جرت باتيان العذاب من حيث
لا يشعرون وكيف لا يعذبهم على التكذيب والمكذب اذل فاذاقهم الله الخزي
بالقتل والسبي والاجلاء والمسخ والخسف في الحيوة الدنيا وان لم تكن دار الجزاء
ليكون دليلا عليه وليس الدليل كالمدلول بل لعذاب الاخرة اكبر يعلمون كبره

لو كانوا يعلمون الحقائق وان يوم الجزاء يوم ظهور الله بكمال عزته وعظمته فلا بد ان
يكون الجزاء مناسبا له ولم يقتصر على هذا الدليل بل لقد ضربنا بينا للناس الذين
نسوا الحقائق في هذا القرآن الذي هو دليل في نفسه من اعجازه من كل دليل
عقلي ونكتفي نزله منزلة مثل لعلهم يتذكرون به ما يهمهم من امور الآخرة من
غير صعوبة لكونه قرآنا عربيا متعارفا بالسنتهم غير ذي عوج من التعقيد والقصور
والابهامات والتخيلات الفاسدة لعلهم يتقون العذاب الطارئ يوم الجزاء
بالاغترار من الافعال القبيحة والاخلاق الردية والاعتقادات الفاسدة
ومن اجل تلك الامثال ما مثل به ليبني عن اعظم المحرمات وهو الشرك ضرب الله
مثلا للمشرك والموحد رجلين مملوكين رجلا فيه شركاء متشاكسون مسيئو
الاخلاق يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة لا يزال متحيرا متوزع
القلب ورجلا سلما خالصا عن الشرك لكونه ملكا لرجل واحد فهو وان
كان مسيء الخلق متحيرا لا يبلغ اساءته مبلغ اساءة الجماعة هل يستويان
في متاعب العبودية والتحير وتوزع القلب فيكونان مثلا متماثلين هذا لو
لم يكن للمشرك مدار ذلك العذاب الخالد وللموحد الثواب الخالد الحمد لله
على اجابته عبده من الشركاء المتشاكسين وجعلهم سالمين له لكن لا يحمد
الاكثر على ذلك بل اكثرهم لا يعلمون ان هذا مقتضى الحمد بل يعتقدون ان
كثرة الالهة اقضى للحوائج وفيها كثرة الشفعاء وان لم ينتفع منهم هذا الجاهل
بهذا البيان انتفع بالموت انك ميت وانهم ميتون ثم ان بقي لهم بعد الموت
رجاء الشفاعة ينقطع عند تحاكمهم انكم يوم القيامة يوم الرجوع الى الله للفصل
عند ربكم تختصمون في اختصاصه بالالهية او مشاركة فيها فيحكم على الاولين
بالثواب الخالد وعلى الآخرين بالعذاب الخالد لافراط ظلمهم بحيث لا مدخل
للشفاعة فيه فان شكوا في الظالم والمظلوم من هؤلاء المتخاصمين قيل لهم فمن
اظلم من المختصين عند الله ممن كذب على الله فجعل له شركاء بلا دليل وكذب

مجراط

بالصدق

بالصدق بدليل التوحيد اذ جاءه من عند الله فلا شك في كفره ومؤاخذته
بالعذاب في النار الآن لا يبقى فيها له موضع أليس في جهنم مثوى مسكن
للكافرين ولو لم يكن هذا ظالما كان الظالم هو الذي جاء بالصدق بدليل التوحيد
من عنده وصدق به فلم يعتد بشبهة تقابلها مع ان اولئك هم المتقون
المتحفظون عن الظلم في حق نفسه وحق من جاءه فاقل جزائه ان يعطيه الله ما يكره
حتى نقوا شيء اراده لهم ما يشاؤون بل اكمل منه لكونهم عند ربهم الذي
ربى المتقين حتى يجعلهم محسنين فيجزيهم بالنظر الى وجهه الكريم وذلك جزاء
المحسنين كيف وانما جعلهم محسنين ليكفر الله عنهم اي يمحو عنهم اسوأ الذي
عملوا مما يوجب الحجاب بينهم وبين ربهم فيرفعه عنهم ويجزيهم اجرهم باحسن
العمل الذي كانوا يعملون وهو النظر الى الله تعالى في اعمالهم فيجزيهم بالنظر اليه
مع رفع الحجب فان زعموا ان الناظر الى الله تعالى تفوته سائر المشتهيات
فكيف يكون لهم ما يشاؤون عند ربهم قيل أليس الله اذا تجلى التجلي الشهودي
لعبده بكاف عبده عن سائر المشتهيات فكانها اجتمعت له وهو ايضا كاف
في دفع الاسواء وجلب الاحسن وتحصيل المرادات بل يحمي عن باطنه جميع
ما دونه ويخوفونك بالاكمل من يحمي عن باطنه ما دونه بالذين من دونه فهذا
التخويف من اضلال الله اياهم اذ يرونك امثالهم ومن يضلل الله فما له من
هاد وكيف يهتدي فيك ولا يشك في حق عوام اهل الهداية فان من يهدي
الله فما له من مضل وكيف يقبل الضلال وقد غلب الحق على قلبه برحمته كما غلب
على الضال بانتقامه أليس الله بعزيز ذي انتقام ومن غاية ضلالهم انهم
كفروا بكفاية الله طرا انجهم بعدما عرفوا كفايته في خلق السماوات والارض بحيث
لئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل أتعرفون بكفايته
لخلقهما لا تحتاجكم قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله كافية لما لا يكفيه الله الذي
خلقهن بل يعتقدون غلبتهن عليه ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات

رافعات ضره او ان ارادني برحمة هل هن ممسكات مانعات رحمته فقد علمتم
من غاية ضلالكم بعض ما في السموات والارض على خالقهما فان زعموا انا لا
نعتقد علمهن عليه ولكنه عز كاف في حوائجنا بدونهن قل حسبي الله الكافي في
خلق السموات والارض فان زعموا ان افعالهم متوقفة على الاسباب
قل لهم عليه لا على الاسباب التي لا تؤثر وان جرت سنة الله تعالى بالتأثير
عندها يتوكل المتوكلون فان كان لها اثر فهو المهيئ لها فان زعموا انا وجدنا
بعبادتنا لهن منع الرتبة الشريفة في كثرة المال وعظم الجاه ولم يجد صاحب عبادة
الله تعالى وحده قل يا قوم اعملوا التذلل لما دون الله على مكانتكم شرفكم المستقر
اني عامل التذلل لله وحده ليبدل ذلي عزة فان لم تعلموا الآن عاقبة العملين
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه من القتل والاسر يوم بدر فيبطل مكانه
ويحل عليه عذاب مقيم في القيامة يحشر الى نار تقع خزيه ابدا ولا يتوقف هذا العلم
على حصول ذلك بعدما اعلم به الكتاب المعجز انا انزلنا من مقام عظمتنا
عليك يا اكمل الرسل الكتاب الجامع للعلوم والدلائل للناس الذين نسوا
ما فيهم من قابلية الكمالات من غير تلبيس بل بالحق ليرفعكم الى المراتب العالية
فمن اهتدى بدلايلنا فلنفسه اي فانما يهتدي مفيدا لنفسه المراتب العالية
من الاطلاع على الحقائق والاعمال المنجية والمهلكة والقرب من الحق ومن
ضل فانما يضل مسقطا القرب عليها من بقائها على جهلها بما ذكرنا وما انت وان
انزل عليك هذا الكتاب لغاية كمالك ما انت عليهم بوكيل عنا في الزامهم الهداية
ثم اشار الى جملة من دلائل ذلك الكتاب كثيرة في الفاظ يسيرة بطريق التمثيل
الذي هو اقرب الى اذهان العامة فقال الله يتوفى يقبض بالجملة الانفس
حين موتها مفارقتها لابدانها بابطال تصرفها بالكلية ويتوفى التي لم تمت
لم يدخل وقت موتها في منامها بابطال تصرفها بالحواس الظاهرة ثم انه قد يدخل
في اثناء النوم وقت الموت وقد لا يدخل فيمسك التي قضى عليها في اثناء المنام

الموت الى القيمة كالتي توفاها حين موتها ويرسل الاخرى التي لم يدخل موتها
في ابتداء النوم ولم يدخل موتها في اثناء النوم الى اجل مسمى هو نوم اخر او
موت ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون منها ان من احبه قبضه بالكلية حتى
يفنى فيه ومن تقرب اليه قبضه حين تقربه اليه ثم انه قد يمسكه في مقام القرب
ويرسل من سواه الى وقت القرب فهذه فوائد الهداية يحصل لصاحبها
ويفوت على من ضل ومنها ان الموت ليس باعدام كالنوم فان الرد بعد
الموت كالرد بعد النوم وان اللذات والآلام في القبر كاللذات والآلام
في النوم ومنها ان المتعلق بالاجل لا يحصل قبله وان وجد سببه كالقبض عند
النوم فكذا البعث قبل القيمة اذ له اجل واحد كاجل الموت فلا ينكر لو تفكروا
في تلك الآيات ام اعرضوا عنها اعتمادا على شفاعة شفعائهم حيث اتخذوا
على تكذيب آيات الله والاعراض عن التفكر فيها من دون الله شفعاء قل
تعتقدون انهم يتقلبون ملك الاشياء كلها ولو كانوا لا يملكون شيئا او يعتقدون
انهم يشفعون من ارادته على وفق علمه ولو كانوا لا يعقلون شيئا فان زعموا انا
وجدنا من شفاعتهم اشياء لا ينبغي لنا انكارها قل تلك الاشياء من فعل الله
لا من شفاعتهم اذ لا يملكونها بل لله الشفاعة جميعا يملكها اذ له ملك السموات
والارض ثم لو ملكوها فالقبول مفوض اليه اذ اليه ترجعون وكيف يحصل شيئا
في حق من يكره انفراده بالالهية فانه اذا ذكر الله وحده اشمأزت نفرت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اذ لا يعتقدون الرجوع اليه ولا يرونه منفردا
بخلق المنافع والمضار واذا ذكر شفعاؤهم الذين اتخذوهم شفعاء من دونه من
دون جعله اياهم شفعاء اذا هم يستبشرون اذ يرون المنافع والمضار من
شفاعتهم فان زعموا انها انما تحصل عقيب عبادتنا لها واستشفاعنا اياها قل اللهم
فاطر السموات والارض ليس لغيرك خلق شفيع فان خلقته فليس لهم الاطلاع
على من يستحق الشفاعة ولا من لا يستحقها اذ لا اطلاع لجاعلهم شفعاء على ذلك

عنهم

فهو مخصوص بك يا عالم الغيب والشهادة اذ علمك اطلاع الشفعاء على ذلك
ولو كانت لهم الشفاعة من غير اطلاع على حال المشفوع له لكان لهم الحكم على الله
ان لا يحكم بين عباده لكن انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من
شانك وكيف يرجى قبول الشفاعة في حق من لا يقبل منهم الفدية فانه ولو ان للذين
ظلموا بالاشراك من ذكره والاستبشار بمن دونه وجعلهم شفعاء من دونه
ما في الارض جميعا من يوم ابتدائها الى من افناها غضب الله عليهم ولا يسئلهم
هذا الفداء العظيم ومثله معه وان اعتقدوا رضى الله في اعمالهم وبدا اى ظهر لهم من
الله من غضبه على اعمالهم ما لم يكونوا يحتسبون وذلك لانهم كانوا يحسبونها حسنات
من حيث لا قبح فيها وبدا لهم سيئات ما كسبوا وكان في سيئاتهم ما لا حسن فيه من
وجه كالاستهزاء لذلك حاق احاط بهم ما اى كسب ما كانوا به يستهزءون بالله
كاتخاذهم شفعاء من عند انفسهم تحكما على الله تعالى واستخفافا به ومن عجيب
لا يبعد يوم القيمة سيئات اكسابهم بتعاكس اتخاذ الشفعاء من دونه وقد
يبعد لهم في الدنيا سيئة وهي دار الابتلاء فاذا مس الانسان ضر دعانا
من غير توسيط شفيع مما اتخذهم شفعاء لعلمهم انه خطاء بل لا اثر للاسباب
بدونه ثم يناقض نفسه برؤية الاثر للاسباب القائمة بها فانا اذا خولناه
ملكناه نعمة منا فلا ينسبها الينا بل الى السبب القائم بنفسه اذ قال انما اوتيته
اى هذا الشيء لاني على علم من سبب اكتسابه مع ان نفسه غير كافية في تحصيل
ذلك العلم بل هي اى سببه ذلك العلم ثم سببه تلك النعمة فتنة اختبار هل
ينسبها الى الله فيشكره ام لا فيكفره ولكن اكثرهم لا يعلمون انها فتنة وانما
يعلمها من يعتبر بمن سبق بهذه الكلمة فانه قد قالها الذين من قبلهم فاصابهم
العذاب الذي لا يندفع بعلمهم ولا بما اكتسبوا به فما اغنى دفع عنهم ما كانوا
يكسبون بذلك العلم لدفع العذاب بل صار ذلك العلم بهذا الاعتقاد ضارا
اكتسبوا به ما يضرهم وان كان العلم والكسب نفعا في انفسهما فاصابهم سيئات

يوم تبديلها ومثله معه لافتدوا به لو قبلت منهم الفدية بدلا من سوء العذاب يوم القيمة صح

ما كسبوا بهذا الاعتقاد ولا يدفع تلك السيئات شفعاء بل هي موكلة لذلك اذ
الذين ظلموا من هؤلاء المتخذين اصنامهم شفعاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا بذلك
الاعتقاد وباعتقاد كونهم شفعاء وان ظنوا انهم يتقوون بشفعائهم لكن ما هم بتلك
القوة بمعجزين من اعطائهم تلك القوة وعلامتها انها كقوة الاعوان كثرة الرزق
ا يعتقدون ان شفعاءهم يقوونهم بتكثير الرزق بحيث يغلبون به ربهم كما يغلب
به بعضهم بعضا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فلو علموا
ذلك وقالوا يعجز الله به لكانوا قائلين بعجز من يقوى من يشاء ويضعف من
يشاء ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون منها انه قوي بذاته يقوي من يشاء
ويضعف من يشاء ومنها انه فياض بذاته لا يتوقف فيضه على الشفعاء ومنها
انه موثر بذاته لا يتوقف تاثيره على سبب بل قد يجعل سبب النفع سبب الضر فان ادعوا
ان الله تعالى خلق الاسباب موثرة فلا بد من وقوع اثرها فالكفر والمعاصي
لا بد وان يكون موثرة فلا فائدة في الايمان والتوبة بعدها قل يا عبادي الذين
حثهم ان يعبدوه دون الاسباب الذين اسرفوا في الظلم على انفسهم بالكفر
والمعاصي من غير ان يعارضها سبب اخر لا تقنطوا من رحمة الله بايجاد سبب
يمحو اثرها فتتركوا الايمان والتوبة ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وآمن
بلا قنوط وكيف يقنط عنه مع انه قد يغفرها بلا توبة بمقتضى بعض اسمائه انه هو
الغفور الرحيم ولا تجعلوا رجاءكم امنية بترك الانابة بل انيبوا ارجعوا الى
ربكم اوامره ونواهيه وارجوا مع ذلك قبول الطاعات وتكفير المعاصي
كيف الرجاء بدونها يشبه رجاء الكافر واسلموا له من ان ياتيكم العذاب على هذا
الرجاء مع الكفر ثم لا تنصرون بالتمسك بهذا الرجاء كيف ولا ينبغي للراجي
ان يتساهل بل يجب عليه ان يحتاط اتبعوا احسن ما انزل اليكم احوطه من ربكم
ليربكم بالكمالات من قبل ان ياتيكم العذاب على بعض ما تساهلتم فيه بغتة
لغلبة التعاكم اليه وانتم لا تشعرون لرجائكم الذي ظننتم كونه عبادة موجبة

من م

قبل صح

للثواب تدارکوا ما ذکرنا من قبل ان تقول نفس لم تتبع الاحسن یا حسرتی
تعالی علی ما فرطت قصرت فی جنب الله فی جانبه امره ونهیه اذ لم اتبع احسن ما
انزل وکیف اتبعه وان وانی کنت لمن الساخرین ممن یتبع الاحسن بان
ترک ما هو الکمال الحاضر من اللذات الدنیویة واخذ بالکمال الموعود من
ثواب الطاعات او تقول نفس لم تسلم لو ان الله هدانی للاسلام لکنت
من المتقین من هذا الکفر او تقول نفس لم تتب الی ربها حین تری العذاب
علی فعل المعاصی وترک الطاعات لو ان لی کرة رجعة الی الدنیا فاکون من
المحسنین الناظرین الی الله تعالی فی عبادته فلا انظر الی الشهوات الداعیة
الی المعاصی اصلا فیقال للقائلة لو ان الله هدانی بلی قد هداک اذ قد جاءتک
آیاتی فکذبت بها ولم تکن فیها ما یوجب تکذیبها لکن استکبرت وهو ان قبولها
علیک الکفر کنت باختیارک من الکافرین ولم تقل لمن لم یتب او لم یتبع الاحسن
شیئا اذ لم یعتبروها وان زعموا ان هذا انما یتم لو صدقوا مدعوا الرسالة
لو کانوا مؤمنین بیوم القیمة لا بد وان یصدقوا لانهم یعلمون انه یوم القیمة
تری الذین کذبوا علی الله فادعوا رسالة کذبا وجوههم مسودة بین جمیع
الخلائق من الاولین والآخرین کشفا للخزی بالنار لا بد وان یسودوا ولکن
انکار کونهم من اهل النار تکبرهم علی عباد الله بدعوی الفضل علیهم الیس
فی جهنم مثوی للمتکبرین فکیف لا یکونون من اهلها بالکذب علی الله ولا یضر
الناس بعض کذبهم لو فرض انهم کذبوا واظهروا الآیات الدالة علی صدقهم ولم
یلح لهم امارة من امارات الکذب عمدا واحسن طریقهم فخافوا مخالفتهم فانه
ینجی الله الذین اتقوا تکذیب صاحب الآیات حسن الطریقة بلا امارة کذب
بمفازتهم بنیاتهم باسباب الفوز من الاعتقادات المبنیة علی الدلائل والاعمال
الصالحة لا یمسهم السوء من فرض کذبهم اذ لم یعارض دلائل صدقهم امارة
کذب ولا هم یحزنون للاحتمالات البعیدة فی تلک الدلائل کتصدیق الکاذب

وکاظهار الآیات لا للتصدیق وانما ترک متابعة صاحب الآیات لو ادعی
محالا والنبوة من الممکنات التی یقتضی الحکمة ایجادها فلا ترکها الله اذ الله
خالق کل شیء بمقتضی الحکمة خلقها وکیف لا یخلقها وفیها حفظ قواعد العدل
الذی به انتظام امر الخلق وهو علی کل شیء وکیل حفیظ کیف وقد اغلق ابواب
العدل بما غلب علی الخلق من الشهوة والغضب فلا بد من فتحها وبمن مفاتحها
اذ له مقالید مفاتح مغلقات السموات والارض وقاعدة العدل وان
کانت مما یخسر بها فوائد الشهوات والغضب فلا یعتد بخسرانها فی مقابلة فوائد
العدل فالذین کفروا بآیات الله الداعیة الی مقتضیات العدل اولئک
هم الخاسرون رتبة الانسانیة بالمصیر الی الحیوانیة بل الی ادنی منها لذلک صاروا
المکذبون الی عبادة غیر الله فان زعموا ان فیها فوائد شفاعتهم والتصدیق
بالآیات مخترع لها قل آکذب بآیات الله لما بعثتکم فغیر الله اعبد اذ تامرونی
بذلک اعبد غیر الله مع انی اجل منه لکن تامرونی بذلک لجهلکم بجلاله فدری
ایها الجاهلون بالمراتب وما ذکرتم من فوائد الشفاعة باطل وعلی تقدیر صحته
معارض بما فیه من الضرر العظیم فانه لقد اوحی الیک والی الذین من قبلک
لئن اشرکت لیحبطن عملک المفید لک القرب والرضوان الالهی ولتکونن من
الخاسرین سعادة الابد وثوابه فلا تتبعهم بل الله فاعبد خصصه بالعبادة لتنال
فوائد القرب والرضوان وسعادة الابد ولو اردت تحصیل ما یزعمون
من شفاعة معبودیهم کن من الشاکرین فانه یفید مزید فوق ما یتوقع من
شفاعتهم لو کانت لهم شفاعة وربما یزعمون ان معبودیهم یفیضون علیهم ما لا
یفیضه الله فهم شرکاؤه فی الافاضة وذلک لانهم ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه
بمقدار عظمته لا خفاء به عنهم وسیظهر لهم بها یوم القیمة اذ الارض جمیعا قبضته
مقبوضة قدرته یتصرف فیها کیف یشاء یوم القیمة والسموات مطویات بیمینه بقوة
سلطانه علی ان الشریک لا بد وان یقارب شریکه واین شرکاؤهم من التقدیس

فقد تنزه سبحانه عن المشاركة وتعالى عما يشركون اي عن شركائهم ومن عظم
قدرته انه جعل النفخ في الصور سبب موت الكل تارة وجمعهم اخرى فانه نفخ
في الصور اولا للاماتة فصعق من كل من في السموات ومن في الارض من
شركائهم وغيرهم الا من شاء الله من خواص الملائكة المقربين ثم نفخ فيه مرة اخرى
للاحياء فاذا هم قيام ينظرون كل شيء هناك ولا يمنع منه تكوير الشمس وتكوير
النجوم لانه اشرقت الارض بنور ربها اذ يتجلى لهم لاقامة العدل والجزاء ولذلك
وضع الكتاب الذي كتب فيه اعتقاداتهم واعمالهم وجيء بالنبيين لابطال
دعويهم الغفلة عن فساد الاعتقادات والاعمال والشهداء لابطال انكار
صدورها عنهم ولو بازعموا الانبياء والشهداء فقضي بينهم بالحق بالحجة المطابقة
للواقع وهم لا يظلمون بالزام الشبهة الواهية ووفيت كل نفس ما عملت فلا ينقص
من خيرها ولا يزاد في شرها ولا يمكنهم دعوى الزيادة في عمل الخير ولا النقص في
عمل الشر اذ هو اعلم بما يفعلون ولم يزاح عنهم سنخ التوفية بل سيق تعجيلا
مع الاذلال الذين كفروا فاستهانوا بالحق الى جهنم دار المهانة زمرا طوائف
متفرقة لاختلافهم في وجوه الكفر رعاية للعدل في التقديم والتاخير فلم يزالوا
في سوق المهانة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها لكل فريق باب لا يقبل مجيئهم لئلا
ينادي بباب منها غير اهله ولم يوخذوا الا بعد الزام الحجة عليهم باقرارهم اذ
قال لهم خزنتها المفوض اليهم تعذيبهم لئلا يرقوا عليهم الم ياتكم رسل يعرفون
صدقهم وامانتهم لكونهم منكم يتلون عليكم ايات ربكم التي هي المعجزات القولية
التي هي ابعد عن توهم السحر وينذرونكم بتلك الايات المصدقة لهم لقاء يومكم
هذا بهذه الشدايد قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب لأملأن جهنم من
الجنة والناس اجمعين على الكافرين فاعتذروا بالقدر وليس بحجة لهم بل
عليهم فلذلك قيل ادخلوا ابواب جهنم لكل نوع من الكفريات خالدين
مقدرين الخلود فيها لا تشركم في الكفر المقتضي له وانما خلدكم في دار الهوان "

تجديد

لا استهانتكم بالله الدائم الجميل فبئس مثوى المتكبرين جامعا لوجوه العذاب
وسيق تعجيلا مع التعظيم الذين اتقوا ربهم فلم يكفروا به ولم يعصوه اذ لا بد
في هذا التعجيل من الطاعة مع الايمان ولا يكفي فيه احدهما خلاف ما سبق
فان الكفر وحده كاف فيه الى الجنة دار الاكرام زمرا لاختلاف مراتب
نفوسهم حتى اذا جاؤ ما وجدوا من الاكرام ما لا يحصى وفتحت لهم قبل وصولهم
اليها ابوابها وقال لهم خزنتها في مقابلة خزنة النار لاهلها سلام عليكم ان
يصيبكم ما يكرهون او يفوتكم ما تحبون لسلامتكم عن الكفر والمعاصي طبتم
بالايمان والطاعة فناسبتم جوار الله الطيب فادخلوها لم يقل ابوابها اذ
لا يختص بها بل قد يتفضل على الادنى بدخول باب الاعلى ولم يقدرها
بمقدار اعمالهم بل خالدين فيها ولما علموا انه بالتفضل المحض قالوا الحمد لله
الذي تفضل علينا اذ لم يجب عليه وان كان قد وعدنا فالوعد ليس بواجب
عليه لكنه لما وعد صدقنا وعده ولم ينقص في حقنا على ما خلقه لنا اذ اورثنا
الارض ارض الجنة من سائر طوائف الكفر على انه لم يخلصنا بمكان من
الجنة دون مكان بل جعلنا نتبوأ من الجنة حيث نشاء واذا كان للعامل منا
الاجر فنعم اجر العاملين الذين لو عملوا ذلك القدر بغيره لم يجدوا الا اقل شيء
ولا ينقص لهم على هذا الاجر ولا لاهل النار على تلك الشدة بل ترى الملائكة
يسترهون للمقربين حافين محدقين من حول العرش محل الفيض من كل
جانب يسبحون بحمد ربهم لينال سبوحهم فيستفيضوا منه فيفيضوا على اهل
الدارين وقضي بينهم في جعل بعضهم اهل الخير وبعضهم اهل الشر بالحق بحسب
ما عليه حقايقهم ولا يتألم اهل الشر منهم بشرهم بل قيل في الفريقين الحمد لله
رب العالمين ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين **سورة المؤمن**
سميت به لاشتمالها على كلمات مؤمن آل فرعون المتضمنة دلايل النبوة ونح

الشبه عنها والمواعظ والنصائح وسلاه عن اعدائه عما اخذوا به
وهي من اعظم مقاصد القران بسم الله المتجلي
باسمائه اجمالا وتفصيلا في كتابه الرحمن بتفصيل اسمائه بعد اجمالها الرحيم
باجمالها بعد التفصيل حم اي الحث على الخيرات والمنع من السيئات
بتضمنه تنزيل الكتاب المعرف لهما اذ لا يعرفان بالعقل اذ ليس عنده شر
محض ولا اما غلبة الشر من الله المنزل للخيرات والسيئات لكنه باعتبار
اسمه العزيز يمنع الجراة عليه بالسيئات فنزل ما يرفعها بمقتضى اسمه العليم
تارة بلا توبة باسمه غافر الذنب وتارة بها باسمه قابل التوب فان لم يرفعها
انتقمت عنه مع اسمه شديد العقاب فهي ولم يعم مقتضى هذا الاسم كل المجترى
عليه بمعارضة مقتضى اسمه ذي الطول مقتضاه لكن لم يرفع مقتضاه بالكلية
لان وحدة الالهية تقتضي الجمع اذ لا اله الا هو يكون اليه المصير للخيرات
والشرور او الحجة والمعذرة بتضمنه التنزيل الالهي لان الالهية تقتضي نعوت
الذات وعزته تقتضي الحجاب فتجلى اسمه العليم برفعه بالحجة لكن لا يرتفع بها الحجاب
بالكلية فيحتاج الى المعذرة فتغفر تارة بلا توبة للعجز وتارة بالتوبة حيث لا عجز
لكن ذلك القدر من المعرفة منصوصا عليها في الكتاب فان لم يعذب
بها عوقب بمقتضى شديد العقاب وان اعتذر ترك بمقتضى ذي الطول
فاجمع فيه الطول والشدة لانه لا اله الا هو فليس للطول الذي غراله الشدة
غاية المصير لهما او الحماية عن النقائص والمدد بالكمالات بتضمنه التنزيل
من الله الرافع للنقائص بمقتضى افاضة العزة وانما بقي منها ما بقي بمقتضى
علمه بالحقائق ثم ارتفاع البعض منها بمقتضى مغفرته وبعضها بواسطة التوبة
وانتقمت عنه ايضا القهر لمن اشتدت جراءته عليه بمقتضى شديد العقاب
وما دون الجراة عليه وان انتقمت ذلك لكن لا يعارض فيه طوله ولا يرفعه
بالكلية لان الالهية تقتضي الجمع اذ اليه مصير الكل والحسن والمتانة بتضمنه

التنزيل

التنزيل من الله لان حسن جماله يقتضي الظهور وكماله يقتضي متانة المظهر المستعد
لقبول كمال تجليه لكن عزته تمنع كمال الظهور فاقتصر على مقتضى العلم بالحقائق
ومقتضى العلم بها ايضا تارة تغير المظاهر من حال النقص اما بالذات بمغفرته
بلا توبة واما بواسطة التوبة فتارة تثبت على النقص فيسلط عليه شديد العقاب
وربما اختلف تجلياته لكونه ذا الطول فهو معطي كل حقيقة مقتضاها اذ
لا معطي لها سواه لانه لا اله الا هو كما انه لا مرجع لها سواه اذ اليه المصير
واذا كانت ايات الله متضمنة لهذه الكمالات من الحث والمنع والحجة والمعذرة
والحماية والمدد والحسن والمتانة ما يجادل للطعن في ايات الله الا الذين
كفروا بالله عن حجاب العزة فلم يرتفع عنهم بهذه الايات بل احتجبت عنهم سوى
فهم بالشدة فلا يغررك تقلبهم متنعمين في جميع البلاد فان عموم سنة
التقلب لا تنافي تعقب الشدة فقد عمت الشدة بعد هذه النعمة في اقوام تقلبوا
مثل تقلبهم في البلاد فانه كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب الذين تحزبوا
على الرسل واصحوبهم كعاد وثمود من بعدهم من بعد سماع اخبارهم ومشاهدة
اثارهم لتاثر حجاب العزة فيهم بالشدة فلم يبالوا بشدة سبقت على امثالهم لمثل
افعالهم ولم يكن تاثير الشدة فيهم لضعفهم بالنسبة الى رسلهم بل همت قصدت
كل امة برسولهم الشديد لياخذوه بما بعدهم من الشدة ولم يكن ذلك من
عدم ظهور حجتهم بل بعد ظهورها لكنهم جادلوا فقابلوا حججهم بالباطل من جدالهم
ليدحضوا ليزيلوا به الحق الثابت بالحجة الصحيحة لكنه لا يندحض وان كثرت
الشبه فتفردت عليهم الحجة واثرت فيهم بالشدة فاخذتهم بغاية الشدة
في الدنيا فكيف كان عقاب في دار الابتلا فقياس عليه امر دار الجزاء وليس
هذا القياس مما يفيد ظنا بل كذلك حقت كلمة ربك لاملان جهنم على الذين
كفروا انهم اصحاب النار لتاثير حجاب العزة فيهم بالشدة ثم اشار الى ان
الاحتجاب بحجاب العزة ليس بمقتصر لمن كفر فانه امر عام حتى حملة العرش

ايات ص

والطائفين به اذ الذين يحملون العرش ومن حوله مع غاية قربهم من الله لا يخلون
عن حجاب العزة لذلك يسبحون ينزهون ربهم عما يتوهمون في ذاته بحمده بما هم
فيقولون انه اجل مما نعتقد فيه لان اعتقادنا لا يخلو عن نقص وهو في غاية
الكمال ثم لا يبلغ بهذا التسبيح والحمد حجابهم لذلك يؤمنون به مما يظهر لهم
من اثاره ودلايله و لعلمهم بان حجاب اهل الارض اغلظ من حجابهم
يستغفرون نقص الاعتقاد الواقع للذين آمنوا فاعتقدوا فيه انه خلاف
ما يدركه الوهم والخيال والعقل والحس لكن في اعتقادهم ما يناسب ذلك
فيقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة فلا يؤاخذهم بما يخطر في قلوبهم مما لست
عليه مع انهم ينزهونك عن مدرك مشاعرهم وعلما وقد علمت انه انما يقع في قلوبهم
ذلك من احتجابهم بحجاب العزة لكن لا يستقرون عليه فاغفر للذين تابوا عما
يقع في قلوبهم من تلك الخواطر واتبعوا سبيلك الذي هو التسبيح بحمدك وقهم
عذاب الجحيم الذي تعذب به من اعتقد فيك اعتقادا فاسدا لانهم لم يستقروا
عليه ربنا وادخلهم جنات عدن التي خلقتها للعارفين وهو لا روان قصرت
معارفهم لكن وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم بتبعيتهم لهم
الاصل في وفاء هذا الوعد كيف والغضب لهم من لوازم عزتك انك انت
العزيز وقد اقتضت الحكمة ان لا تخلو معرفتهم عن الغضب وان لا تخالفها الا انك
انت الحكيم وقهم السيئات سيئات الاعمال ان يورث في اعتقادهم فيه بما
قصروا فيه قصورا ومن تق السيئات فتعصمه منها بالكلمة يومئذ يوم غلبة
وجودها في اكثر الخلائق فقد رحمته بسلامة الاعتقاد وذلك وان لم يخل
عن قصور بمقتضى حجاب العزة هو الفوز العظيم بنيل السعادة الابدية كيف
والسيئات قد تفضي الى الكفر وهو شقاوة عظيمة ان الذين كفروا وان كانوا
على وفق حجاب العزة ينادون ازالة لتوهم كونهم على وفق محبة الله تعالى لكونهم
في هذا الحجاب المحجوب له لمقت الله تعالى اياكم اكبر من مقتكم انفسكم حين

تدعون فانه مقت تعززكم عليه حين كونكم في الحجاب المقتضي لا عزافكم بالعجز
والقصور وتذللكم له اذ تدعون الى الايمان به فتعززون عليه فتكفرون
تكونون على خلاف مقتضى العزة فتصير مقتكم بحيث لو كان فابلا للتالم اشد من
تالمكم بالعذاب قالوا ربنا مقتضى ربنكم اياكم ان تنصر من مقتضى مقتك ايانا
على ما حصل اذ امتنا اثنتين اماتة ايلام احدهما عند انقضاء الحيوة الدنيا
والثانية بعد احيا القبر عند النفخة الاولى واحييتنا اثنتين للتعذيب احداهما
في القبر والثانية في القيمة ولم يعتبر الحيوة الدنيا ولا حيوة يوم الميثاق ولا الموت
بعدها اذ لا ايلام معها فاذا عذبتنا بهاتين الاماتتين والاحيائين فاعترفنا
فاقترفنا من ذنوبنا بعد حصول مقتضى مقتك لتغفرها لنا فهل الى خروج من العذاب
من سبيل فيقال ذلكم المقت اجل من ان ينقطع مقتضاه بهذا التعذيب
لوقوعه بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فابطلتم مقتضى عزته من التوحيد وان
يشرك به تؤمنوا وهو موجب لاذلاله بهذا الفعل منكم خلاف فلم يبق لنا ما
حكمنا عليكم بمقتضى العزة فالحكم لله العلي الكبير فان كبرنا يقتضي العذاب الدائم على
من اشرك به ولا يمنع احتجابه بحجاب العزة عن الايمان به لانه لا يمنع من معرفته
بالكلية اذ هو الذي يريكم آياته التي ظهر فيها وجعلها كاشفة للحجب الغليظة لمن
تامل فيها ودعا الى التامل فيها بالتودد اذ ينزل لكم من السماء المنسوب مما
يكون منها اليه رزقا وانما فعل ذلك مع غناه عنكم لما علم انه ما يتذكر الا من
ينيب اهل اليه وقد قصد الميل اليه ليعبده فادعوا الله فاعبدوه فان
العبادة مقتضى عزته وعلوه وكبريائه وانما يقع على وفق ذلك بالاخلاص
تكونوا مخلصين له الدين ولو كره الكافرون فلا يستحقوا منهم فانهم اقل من
ان يلتفت اليهم سيما في مقابلة ما يحبه رفيع الدرجات وحافظ من رفعه
درجاته انه ذو العرش الذي هو ارفع المحسوسات وقد رفع درجات
بعض عباده اذ يلقي الروح المعنى المفيد لحيوة الخلق من امره تكليفه على

خ
بمقتضى عزته مع اعتبار اسمه
المقتضي للعلو على من نزله على
خلاف مقتضى اسمه الكبير الدال
على كبريائه في ذاته خ

من يشاء من عباده الخواص ليحصل من تلك الرفعة نصيبا لاتباعهم لانه
انما يلقى اليه لينذر عذابه على الاعتقادات الفاسدة والافعال القبيحة يوم
التلاق الذي هو يوم القرب منه ليصلحوا بذلك اعتقاداتهم واعمالهم فيقربوا منه
يوم تلاقيه فيحصل لهم نصيب من رفعة درجاته وهو وان كان يوم القرب فهو
اشد للخوف لانه يوم هم بارزون بجميع اعتقاداتهم واعمالهم ليبصروا مالهم والتي
الواحد ان لم تقبل صورا متخلفة في الدنيا تقبلها هناك فيصيرون بحيث لا يخفى على
الله منهم شيء ولا يمكنهم دفع شيء من ذلك اذ لا يملكون شيئا من امورهم فانه لا
ملك يومئذ لغيره حتى يقول لمن الملك اليوم ولا يجيبه غيره لانه من التصرف
الذي هو من الملك فيقول لله الواحد القهار لكل ملك سواه ولكن لا تقهر الاهل
بسعة بعد ما استحقاق اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولو عفي فيه عن البعض
فانما بالتفضل لكن لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب ولا يكون فيه
طول يبطل الثواب لانه انما يكون لطول الحساب لكن حساب ذلك اليوم يكون
سريعا ان الله سريع الحساب وكما لا يؤخر الثواب لا يؤخر العقاب ولما اوجز
بعدها الى حيث لا يخاف لبعد زمان لم يخافوا مع ذلك انذرهم يوم المجازاة
الآزفة القريبة على انه لو بعد كل البعد لوجب ان يخاف كل الخوف لكمال ما
فيه من الخوف اذ القلوب من اهواله ترتفع عن اماكنها فتصير لدى الحناجر
الحلوق لا يعود الى اماكنها ليستريحوا ولا تخرج ليموتوا بل لا يزالون يزدادون
غما حتى يصيروا كاظمين ممتلئين غما بما افرطوا من الظلم لانه ما للظالمين من حميم
قريب يهتم بشأنهم ليخفف عليهم غمومهم ولا شفيع يشفع في تخفيفها عليهم فان
شفع فلا يطاع لا تقبل شفاعته ولا يمكنهم اخفاء شيء من ظلمهم لانه يعلم
خائنة الاعين النظر الخفية بالجناية الى ما لا يجوز وكيف لا يعلمها مع انه يعلم
ما تخفي الصدور عن اربابها ولا ينفعهم الاخفاء على الله اذ الله وان كان الشاهد
لهم الذي يقضي ولا يلائم بالجمع بين الشهادة والحكم لانه يقضي بالحق ولا يعارضه

المنفرد بالملك صح



يقضون

احد لانها لو وجدت فانما توجد من معبوديهم لكن الذين يدعون من دونه لا
بشيء من حق ولا باطل كيف واكثرهم جمادات لا سمع لها ولا بصر فان كان فيهم
من له سمع او بصر فلا يعلم خائنة الاعين ولا ما تخفي الصدور ان الله هو السميع
البصير فهو الشاهد والحاكم جميعا أيتوهمون انهم يعارضون الله بقوتهم او
لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين قصدوا معارضة الحق
من قبلهم امتنعت عليهم معارضته مع انهم كانوا هم اشد منهم قوة واشد
آثارا كالقلاع الحصينة مما لا يقوى معها من له زيادة القوة في الارض لكن لم
يمكن معارضة الله عند مؤاخذتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من مؤاخذته من واق مانع مما يمنع اولي القوة البشرية ولا يفارق كفار هذا
العصر كفار ذلك العصر في المعصية التي اخذوا عليها اذ ذلك الاخذ بانهم كذبوا
الرسل ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا بالله وبآياته ورسله اعتمادا
على قوتهم وحفظ آثارهم فاخذهم الله لاظهار انه لا يعارض في قوته وشدته
انه قوي على الاطلاق شديد العقاب سيما من لا يبالي بشدته وممن اخذ الله
بقوته وشدته على دعوى معارضته بعد ارسال الرسل فرعون وهامان وقارون
لقد ارسلنا موسى بآياتنا المعجزات الفعلية وسلطان مبين حجة قولية الى فرعون
مدعي المعارضة بقوة الملك وهامان مدعيها بقوة العسكر وقارون مدعيها
بقوة المال فقالوا في معارضة الآيات الفعلية ساحر وفي معارضة الحجج القولية
كذاب فلما رد معارضتهم بمعجز السحر والزام الحجة ورفع الشبهة بحيث ظهر للعيان
انه جاءهم بالحق المعلوم بالضرورة كونه من عندنا فخافوا ان يتفق الناس على
متابعته قالوا لا يمكن منع متابعته الا بابتلاء متابعيه باشد البلاء اقتلوا ابناء
الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ان كن من احبار ولكن لم يكن ذلك نافعا من
ظهوره فانه ما كيد الكافرين في دفع ما اراد الله من ظهور دينه الا في ضلال فلم
يبال التابعون بهذا البلاء وقال فرعون عند رؤيته عدم مبالاتهم بهذا البلاء

ذرونی اترکونی علی رای فی قتل موسی فلا تعارضونی اقتل موسی وغایة ما فی قتله
باثر دعوته ولیدع ربه فانی لا ابالی باهلاکی عن دعوته انی اخاف فی ترک قتله
ان یبدل دینکم من عبادتی او ان یظهر باجرا احکامه فی الارض الفساد
فساد ملکی اذ یتفق الکل علی متابعته وقال موسی لما توعدونی باسم
ربی او اسم ربکم انی عذت بربی وربکم من شر کل من ارادنی بسوء من وصف
متکبر ناقض مقتضی عبودیته وقد انکر دوام ربوبیة الله علی نفسه لانه لا یؤمن
بیوم الحساب فلا یبالی بما یحاسب علیه من التکبر علی الله وایاته ورسله
وقتلهم وقال فی معارضته رای فرعون رجل کامل لانه مؤمن مع انه من
المنتمین علی الکفر والعناد من آل فرعون لکنه اقرب الی النصح لکونه
منهم ولم یظهر لهم ما یتهمونه به اذ کان یکتم ایمانه أتقتلون ای اتریدون ان
تقتلوا رجلا من اجل ان یقول ربی الله فیقرر ربوبیة الله المتضمنة ابطال
دعوی فرعون ما علمت لکم من اله غیری لا لاجل رسالة فقط مع انه لم یقل
هذه الکلمة من عند نفسه بل من اذن ربه ولذلک قد جاءکم بالبینات التی
لا یتصور الا من ربکم لتصدیقه وان یک مع هذا التصدیق الالهی کاذبا
مع عدم ما یدل علی کذبه فعلیه کذبه ای فهو مختص بضرر کذبه لو قصد بتمویه
لتصدیق ربه ایاه استدراجا له وان یک صادقا فی دعوی الرسالة یصبکم بعض
الذی یعدکم لانه وان لم یجب تصدیق کل وعید لجواز العفو فلا بد من تصدیق
البعض اذ لا فائدة للارسال بدونه وقد ظهر ذلک لانه لو کان للابتلاء
لم یکن مستقیم الاعتقاد والافعال ولا داعیا الی الخیرات فی العموم ان الله
لا یهدی من هو مسرف فی السحر بحیث زاد علی سحرة الدنیا لانه یفضی الی
التلبیس المحض اذ لا دلیل علی کذبه مع انه کذاب فی دعوی الرسالة فی زعمکم
یا قوم ان امکن لکم قتل الرسل اذ لکم الملک الیوم المفید لکم قوة یجعلکم ظاهرین
غالبین تاثیرا فی جمیع اهل الارض حتی الرسل لکن قتلهم سبب قهر الله فمن

اصلاح

ینصرنا من بأس قهر الله ان جاءنا علی قتل رسوله مع انه لا معارض له فکانکم تریدون
تعجیل استئصالکم بقتله قال فرعون ما اریکم فی قتله الا ما اری من الرای الذی علم
اصابته اذ الباس السماوی من اجل قتله امر متوهم فاتباعه غلط وما اهدیکم بهذا
الرای فی قتله الا سبیل الرشاد وهو دفع تبدیل دینکم واظهار الفساد فی الارض
باظهار احکامه المخل بملکی وقال الذی آمن یا قوم لا ضرر فی تبدیل الدین
الفاسد ولا تخاف فساد المملکة مع الایمان بل یقرر بالتایید السماوی
ولکن تخاف فی قتله اشد مما جری علی الامم الماضیة بمجرد التکذیب فان
لم یکن اشد فلا اقل من المثل انی اخاف علیکم مثل یوم الاحزاب الطوائف
الهالکة بالتکذیب مثل دأب عادته قوم نوح من الغرق وعاد من الریح العقیم
وثمود من الصیحة والذین من بعدهم مما یدل علی ان الهلاک منه مستتبع لاصل
التکذیب اذ لم یکن لهم ذنب اخر یوجبه ولم یکن مؤاخذتهم بلا ذنب لانه ما الله
یرید ظلما للعباد فضلا عن فعله وان کانوا ملکه ویا قوم لو لم یؤاخذکم فی الدنیا
مثل مؤاخذتهم انی اخاف علیکم المؤاخذة یوم التناد یوم القیمة الذی ینادی
فیه بعضکم بعضا للاستغاثة لکن لا اغاثة یوم تولون ای تولی بعضکم
بعضا ظهر البصیرة لما تبین عنهم فلا یرون وجوههم لئلا یبعثهم رؤیته الی
الاغاثة مع عجزهم عنها اذ ما لکم من عذاب الله من عاصم مانع لتقرر الحجة علیکم
وان لم تقبلوها لان الله اضلکم ومن یضلل الله فما له من هاد من حجة ولا
رسول وکیف لم یتقرر علیکم الحجة التی جاء بها موسی مع بیناته ولقد جاءکم بها
یوسف من قبل من قبل مجیء موسی بالبینات ومع علمکم بکونه صدیقا
لنه وقد صدقه بیناته فما زلتم فی شک مما جاءکم به مع ظهور استقامته الکافیة
فی الدلالة علی صحة ما جاء فلم یزل یقرر ما حتی اذا هلک مات قلتم انقطعت
حجج الله بموته لانه لن یبعث الله من بعده رسولا یقرر حجة وقطعتم من عند انفسکم
بعدم ارسال الله الرسل مع الشک فی ارسال من اعطاه البینات من افراط

اضلاله اياكم كذلك يضل الله من هو مسرف في الشك عند ظهور البراهين القطعية
مرتاب مع ظهور لوائح اليقين وهم الذين يجادلون في آيات الله المنسوبة
الى عظمته بغير سلطان اتاهم من معارضة او مناقضة او نقض وغير ذلك من
القوادح فان الله يضله لا محالة لانه كبر مقتا عند الله وهو موجب للاضلال
ويدل عليه انه كبر مقتا عند الذين آمنوا وهم المظاهر التي يصدق فيها ظهور
الحق وانما كان موجبا للضلال لانه موجب للطبع ولا بعد في ذلك اذ كذلك
اي مثل طبع الله على قلوبهم يطبع الله على كل قلب متكبر لا يقبل الحجة جبار في
المجادلة فانه لا يكاد يظهر له الحق وقال فرعون يا هامان لما طبع الله على
قلبهما من كبرهما وتجبرهما واسرافهما وارتيابهما ابن لي صرحا بناء ظاهرا لا يخفى
على ناظر وان بعد لعلي ابلغ الاسباب الطرق التي لم يسلكها من سبقني لكونها
اسباب السموات لاصعد عليها فاطلع الى اله موسى لاسأله عن رسالته اياه
واني لاظنه كاذبا اذ ليس له مثل هذا الصرح فكيف اتصل به فبناه بناء لم يبلغ
ارتفاعه بناء احد فارتقى فرعون وامر بنشابة فرمى نحو السماء فردت اليه ملطخة
بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبرئيل فضربه بجناحه فوقعت قطعة على عسكره
واخرى في البحر وكذلك زين لفرعون هذا الفعل مع ظهور فساده وكذلك زين
لفرعون سوء عمله مع علمه بفساده ولكن قصد بذلك التلبيس على العامة لانه
صد الخلق عن السبيل الذي خلقوا لسلوكه ولكن لم يتم له ذلك في العموم لانه
ما كيد فرعون عند خواص عباد الله الا في تباب فلما ظهر تبابه قال الذي
آمن يا قوم لا تغتروا بكيد فرعون الذي في تباب فانه يضلكم اتبعون على
متابعة موسى اهدكم بالهداية سبيل الرشاد الذي خلقتم لسلوكه للوصول
الى سعادة الابد يا قوم لو كان فرعون هاديا فانما يهدي لما لا بقاء له
انما هذه الحيوة الدنيا متاع سريع الزوال وان الدار الآخرة التي يوصل
اليها سبيلي هي دار القرار التي يستقر فيها الجزاء سواء كان مثل العمل ان كان

عليه والا ولجزاء السيئة من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها لكنها وان كانت اصلية
استمرت او رسما والثاني جزاء الجنة فان من عمل صالحا ولو واحدا من ذكر كمل
عمله وهو مؤمن لعمله فاستكمله او انثى قصر بعقله ولكن جبر قصوره اذ هو من
فاولئك كالاجل بانهم يدخلون الجنة يرزقون فيها مع تفاوت درجاتهم بحسب
اعمالهم بغير حساب ينقطع باستطاعة والذي يحصل بمتابعة فرعون قدر
محسوب يفوت به ما لا يحصى ويعاقب به ما لا غاية له وكانه لما قال لهم اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد قالوا له اتبعنا تخرج من ابناءنا فقال يا قوم ما لي اي اي
حال حصل لي معكم اذ ادعوكم الى الايمان الذي هو سبب النجاة عن النار و
تدعونني الى سبب الوقوع في النار لانكم تدعونني الى الاقرار بربوبية فرعون
لاكفر بالله بانكار ربوبيته ولو لم تدعوني الى انكارها كنتم داعين الى ان اشرك
به فرعون واقل ما فيه انه لا شبهة على شركه فضلا عن حجة فان كانت شبهة فلا شك
انه شرك ما ليس لي به علم دليل قطعي يكون لي عندما انكار ربوبية الله والشرك
به سبب الوقوع في النار وانما كنت داعيا الى النجاة لاني ادعوكم الى الايمان
بالله وهو مفيد للنجاة اذ انا ادعوكم الى العزيز الغالب على من سواه فلا يمكن
لغيره ان يوقع المتمسك به في النار وهو لا يوقعه لاتصافه بوصف الغفار ثم قال
لا احسبكم الى من تدعونني اليه لانه لا جرم حق انما تدعونني اليه من الاقرار
بربوبية فرعون عليهم الغائبة اذ ليس له دعوة في الدنيا لدفع شدائد الامراض
ونحوها ولا في الآخرة لدفع اهوالها وكفى بذلك نقصا وكيف تدعو وقد تحقق
ان مردنا الى الله وفي دعوة ما سواه عداوته فكيف نعادي من اليه المرد لاجل
من لا مرد اليه ولو لم يكن اليه المرد فلا شك ان في دعوة ما سواه اسرافا في
الضلال وقد تحقق ان المسرفين هم اصحاب النار زيادة في جزائهم الذي اختاروه
فان زعمتم ان لدعوة فرعون اثارا من عطاياه الدنيوية وان لنا اليه مردا في
الاخذ والمكافآت والرد الاخروي امر منهم وانت المسرف في الخوف من

ذلك الامر المتوهم وانك تخاف عليك اذاء فرعون وقومه فستذكرون عند رؤية
ملك الشدايد ما اقول لكم فيما انصح لكم انه لا عبرة بعطايا فرعون ولا بالرد
اليه وان الرد الاخروي الى الله امر محقق وانه احق بشدة الخوف منه ولا اخاف
اذية فرعون وقومه اذ افوض امري الى الله الذي لا يسلط من يكره عليه على من
يفوض امره اليه بعد الاخلاص معه ان الله بصير بالعباد فلا يسلط بعضهم على
بعض بمحض بصارته فوقاه الله سيئات ما مكروا اشد ما ارادوا به من القتل
قيل امر فرعون بطلبه ففر الى جبل فاتبعه طائفة من آل فرعون فوجدوه يصلي و
الوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم وحاق بآل فرعون احاط بالطالبين
له من قومه سوء العذاب قيل فرعون في الحال وقيل النار في البرزخ والقيمة
اذ النار يعرضون عليها ارواحهم في اجواف طير سود عليها في البرزخ غدوا
وعشيا فيقتلهم كل يوم مرتين ويوم تقوم الساعة يقال لهم ما هو اشد من القتل
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب على انكار ربوبية الله والاقرار
بربوبية عدوه وارادة قتل رسوله ومن نصح بمتابعته من اوليائه بعد ظهور الآيات
والكرامات ولما يندفع الشدة عن الاول لكونهم اتباعا اذ يتحاجون لدفعها
مع تحمل البقاء في النار فيقول الضعفاء الذين يشبهون المضطرين للذين
استكبروا فاستتبعوهم بما يشبه القهر انا لم نختر هذا الكفر بانفسنا بل كنا لكم
تبعا فيه فكنا كالمضطرين فيه فهل انتم مغنون دافعون عنا نصيبا جزءا من
شدة النار بتحمل او شفاعة قال الذين استكبروا فوقع عليهم الشدة ما لم يقع على
غيرهم انا كل فيها فلو لم يكن عذابنا اشد من عذاب الاتباع لم يكن لنا تحمل شدة
شدة فوق شدة ولم نبات منا شفاعة مع كوننا في محل الغضب وكيف يحكمون
بالزيادة في عذابنا والنقص في عذابكم على خلاف حكم الله ان الله قد حكم حكما
فاصلا بين العباد فما يكون الزيادة عليه ظلما وقال الذين في النار من الضعفاء
والمستكبرين لما ايسوا من التخفيف عند المحاجة لخزنة جهنم الذين علموا انهم



ليس من شانهم الرحم ان لم ترحموا انفسكم لما فيها من مخالفة امر الله بالتسديد
علينا ادعوا ربكم ان لم يخف عنا يخفف عنا فان لم يخفف دائما يخفف يوما فان
لم يخفف في جميع الانواع يخفف في نوع من العذاب قالوا انما يكون لنا الدعاء
لمن لم يسبق علمه بهذه الشدة الدائمة اما علمتم او لم تك تاتيكم مرة بعد اخرى
رسلكم بالبينات بدوام هذه الشدة مقرونة بالبينات المتكاثرة على صدقهم قالوا
بلى جاؤا واخبروا بها مع البينات قالوا فادعوا ان كان ينفعكم ولكن ما دعاء
الكافرين الذين هم محل الغضب بعد الوصول الى مكانه الا في ضلال ضياع كيف
يقبل دعاؤهم وفيه نصرهم على الرسل والمؤمنين على خلاف وعدنا انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا باهلاك الكافرين في الحيوة الدنيا ويوم القيمة اذ يكذبون الرسل
مجيبين يوم الاشهاد على تبليغهم الرسالة وتكذيبهم ظلما بحيث لا يبقى لهم عذر
فكيف ينصر الظالمين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم كيف والنصر والنفع رحمة ولهم
اللعنة وكيف يخرجهم عن اللعنة ولا عام رحمتهم سواهم اذ لهم العذاب سوء الدار
ولا بد لها من عام بمقتضى القهر الالهي وكيف لا ننصرهم بعدما نصرناهم بالدلايل
وقد جمعنا بين النصرين في حق موسى فانا لقد آتينا موسى الهدى اقامة الدلايل
على مطالبه مع نصرنا اياه على فرعون وقومه باهلاكهم ونصرنا مومني قومه بالدلايل
نصرا مستمرا اذ اورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى يستدلون به على بعض
مطالبهم وذكرى للدلايل لم ينص عليها يستدلون بها على البعض الآخر لكنه لاولي
الالباب منهم خاصة واذا كان الله ناصر الموسى بالنوعين وقد حصل لك النصر
بالحجج وانت افضل منه وامتك افضل من امته فاصبر على تكذيبهم واذيتهم ان
وعد الله بنصرك عليهم بتعذيبهم الدنيوي والاخروي حق واستغفر لذنبك في
استعجاله قبل وقته وسبح نزه ربك عن ان يكون تاخره لهذا الوعد بلا حكمة واجعله
مقرونا بحمد ربك على رعاية الحكمة فان في تاخره حكمة في حق المجرمين بالعشي لعلهم
يرجعون وقت كشفه والمكاشفين اذ يعرف حكمة في الابكار وكيف لا نعي

النصر بعد اقامة الدلائل التي لا دخل للمجادلة الصائبة بل انما تكون باطلة عن كبر
يوجب التهور لو لم يكن في ايات الله ان الذين يجادلون في ايات الله لم يكن
لهم ان يجادلوا فيها لو نسبت الى غير الله لان جدالهم بغير سلطان دليل قاهر اتاهم
مأخوذ من ادلة الانبياء مع ذمهم عنه ان في صدورهم ما في قلوبهم من دواعي المجادلة
الا كبر هو موجب للتهور لو لم يكن على ايات الله فكيف عليها وليس منشاؤه توهم علوهم
عليها بل ما هم ببالغيه لعلمهم باعجازها لكن يوسوس لهم الشيطان انهم يقدرون
عليها فاستعذ بالله ان يحصل لك مثل وسواسهم انه هو السميع لاستعاذتك و
وسوسته البصير بمداخله وتمكنه منها عليه وكيف يخلف الله وعدك بالنصر الاخروي
عليهم وغايته ما فيه انه يتوقف على بعثهم ولا صعوبة فيه بل لخلق السموات والارض
من غير مادة سابقة عليها اكبر من خلق الناس من مادة سابقة ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيجعلون اعادة الشيء اعظم من خلقه عن عدم وكيف يترك البعث مع عدم
صعوبته وقد اقتضته الحكمة فانه ما يستوي العالم والجاهل كما انه ما يستوي الاعمى و
البصير لكن كثير من الجهال احسن حالا في الدنيا من كثير من العلماء وكذلك لا يستوي
الذين امنوا وعملوا الصالحات والذين كفروا وعملوا القبائح فان الاولين كمحبي
الملوك المراعين رضاه والاخرين كاعدائه المجترئين على مكارهه وكيف يترك
الفرق بينهما مع الاتفاق على انه لا يستوي المسيء والمحسن فالحكمة بعض الفرق والله
تعالى يراعيها في جميع افعاله عند من يتذكر فيها لكن قليلا ما تتذكرون واذا تذكرتم
وعلمتم انها لم يوصف بها الامور في الدنيا فلا بد من وجودها في الاخرة ان الساعة
لاتية لمراعاة الحكم فيما اختلف لا ريب فيها اذ لا يرتاب في رعاية الحكيم اياها في جميع
افعاله فهذه النكتة موجبة للايمان بها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وكيف يشك
في الساعة مع انه لا يستجاب لكثير من الناس في الدنيا دعاؤهم بعدما قال ربكم
ادعوني استجب لكم لان الدعاء من العبد غاية في التذلل لله وهو محبوب لربه
فاذا اتى العبد بمحبوب الرب عطيه بالاستجابة فاذا لم يستجب له في الدنيا عوضه في الجنة

ولجنه الله لا امر العباد بالعبادة فان استكبروا اذلهم غاية الاذلال ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم دار الذلة داخرين ذليلين ذلا لا يعقبه
عز ابدا وكيف لا يلزم العباد عبادته وقد انعم عليهم بما يقتضي شكره بالعبادة وقد
خلق الليل والنهار اذ الله الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه فتستريحوا فتنشطوا
للاعمال والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لتحصيل الاكساب الدنيوية والدينية فقد تفضل
الله عليكم بهما وبما فيهما ان الله لذو فضل على الناس ليشكروه بعبادته ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ولو لم يتفضل عليكم بشيء لكان مستحقا للعبادة اذ ذلكم العالي بالذات
لانه الله الجامع للكمالات التي من جملتها استحقاق العبادة مع انه ربكم الذي رباكم
بجميع اسرار الموجودات فيكم كيف وهو المنعم عليكم بسائر النعم لانه خالق كل شيء
حادث اذ لا بد له من محدث ولا محدث سواه اذ لا اله الا هو لكنكم تنسبون بعض
الاشياء الى الاسباب التي لا تؤثر الا به فاني تؤفكون فكيف يصرفون من المؤثر
بالذات الى المؤثر بالغير لو كان له اثر ثم اشار الى انه يشبه افك المعطلة اذ كذلك
يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون وكيف يجحد ايات الله مع عظمتها اذ الله
الذي جعل لكم الارض قرارا مع ان اجسام العالم متحركة دائما ليستدلوا به على
استقراره على ما كان عليه في الازل والسماء بناء مع ان ثقله يقتضي سقوطه ليستدلوا
به على ارتفاع شانه عن سائر الموجودات وصوركم صورة جامعة لامور كثيرة
مع انكم من مادة واحدة ليستدلوا على ان هذه الكثرة انما حصلت من ذلك
الواحد فاحسن صوركم بجعل كل عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع بها فيستدلوا
بذلك على كمال حكمته ورزقكم من الطيبات ليستدلوا بذلك على انه يطلب منكم
اليه ليعبدوه بهذه الدلائل دلت على انه ذلكم المدلول بها هو الله الجامع للكمالات
كلها مع انه ربكم الذي رباكم بتلك الكمالات واذا كانت له هذه الكمالات من
ذاته فلا حاجة الى الاسباب فتبارك الله لكنه خلق الاسباب لانه رب العالمين
وان رباها فليس لها اثر اذ لا حيوة لها من ذواتها بل هو الحي بالذات اذ الحيوة

مرجع الصفات الالهية فلا يكون لغيره بالذات اذ لا اله الا هو فلا تأثير لغيره
بالذات فلا يستحق العبادة غيره اذ هي للتأثير بالانعام والانتقام عن احسانه الكامل
متوقف على الحيوة بالذات فادعوه وانقادوا له بالاخلاص والانقياد بتركه فكونوا
مخلصين له الدين وكيف لا تخلصون له الدين مع انه المستقل بجميع التأثيرات لذلك
قال فيه الحمد لله رب العالمين فان زعموا ان ربوبيته للعالمين بوساطة الاسباب
في البعض وبدونها في البعض وبذلك استحق جميع المحامد فصار معبودا بالذات
وبالظهور في الاسباب جميعا فاكمل العبادات ان يعبد باعتبار ذاته وباعتبار
مظاهره قل لو كانت عبادته بالاعتبارين كمالا لكنت امرت بعبادة معبوديكم ولست
كذلك بل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون لانها تدل لا على الا دنى لا مادتهم
فلكونهم من دون الله واما علوي فلاني لما جاءني البينات التي لم تجيئهم كنت اعلى
منهم اذ دلت على تربيتي من ربي ولم ار غيرها مستحقا للعبادة اذ امرت ان
اسلم له على انه لو اعتبر الاسلام لظهوره في المظاهر فلا يختص بذلك مظهر دون اخر
بل يجب الانقياد لرب العالمين ولانه في المظاهر الكلية منزلة رب العالمين اذ اعظم
المظاهر الانسان وفيه من وجوه النقص ما يمنع استحقاقه للعبادة وانما يعبد من نقله
من النقص الى الكمالات وبالعكس اذ هو الذي خلقكم من تراب هو ادنى البسائط
العنصرية ثم من نطفة هي ادنى المياه ثم من علقة هو اشبه شيء بالهواء ثم يخرجكم
طفلا هو اشبه بالجمادات ثم يقيمكم ثمار النباتات لتبلغوا اشدكم ويكمل فيكم الحيوانية
ثم يحطكم لتكونوا شيوخا فتعودوا الى ما اشبه الجمادات ومنكم من يتوفى فيصير
جمادا من قبل ان يصير شيخا ومن ترك فانما يترك للمصير الى الجمادية لتبلغوا اجلا
مسمى ثم يصير جمادا او انما فعل ذلك لعلكم تعقلون ان المظاهر وان بلغت ما بلغت
من الكمال ففيها من النقص السابق او اللاحق ما يمنع من استحقاق العبادة ثم
كيف يستحق الغير العبادة مع انها اما للشكر على النعم واجلها الحيوة وهي من الله اذ
هو الذي يحيي واما للخوف واجله خوف العاقبة وهو منه اذ هو يميت فله الذي

الثناء على كل مرجو ومخوف لانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ثم ان
المظاهر الكاملة انما هي ايات الله لكنهم يجعلونها من السحر وهو نقص ويجعلون المظاهر
الكاملة اصنامهم الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله فيجعلونها من السحر اني
يصرفون ولو امكن توهم ذلك في الايات الفعلية لا يمكن في الايات القولية
كالكتاب مع تعريف عنه اقوال الرسل فلمظاهرتهما حكم النظام حتى كان الخارج عليها
كالخارج على الله ولذلك قال الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا
فهم وان لم يعلموا ان تكذيبهم لهما تنزل منزلة تكذيب الله المستلزم للخروج عليه فسوف
يعلمون ذلك حين يفعل بهم ما يفعل بالخارجين على السلاطين اذ الاغلال في
اعناقهم والسلاسل في ايديهم وارجلهم يسحبون يجمعون جمعها في الحميم اي الماء الحار
لدفعهم برد اليقين من دلائل الكتاب والسنة ثم في النار يسجرون يحرقون لاحراقهم الادلة
العقلية والنقلية ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فكنتم تجعلونها مشاركة
للظاهر فيها النصر وكم قالوا ضلوا عنا فلا ينصروننا ثم بعد ما تكلموا بما يتضمن الاقرار
بعبادتهم تنكروها بقولهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا وذلك من فرط حيرتهم كذلك
يضل الله الكافرين فيتحيرون في الدلائل القطعية من العقل والنقل بل كانوا يرجحون
شبهاتهم عليها فيفرحون بها لذلك تعال لهم ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون حين
كنتم مستغرقين في امر الارض بغير الحق من الشبهات الواهية وبما كنتم تمرحون
تختالون بايراد الشبه في دفع الحق فاوجب ذلك دخولكم في عداوة الله ادخلوا
ابواب جهنم التي للداخلين في عداوة الله مع الاستكبار عليه وعلى اياته وكتابه
ورسله خالدين فيها حيث يكون مالكم على الابد فبئس مثوى المتكبرين وهذا وان
اقتضى استعجال العذاب عليهم فاصبر الى وقت مجيئه فانه في حكم الموجود لكونه موعود
الله ان وعد الله حق ولكن لا يتعين له زمان فاما نرينك اي نحقق اراءتك في
الدنيا بعض الذي نعدهم لا كله لعدم انقطاعه مع ان الدنيا منقطعة او نتوفينك
قبل هذا الاراءة فالينا يرجعون فيحصل لهم جميع المواعيد على الكمل الاوفى ولقد ارسلنا

ثم في النار صح

كذب وعدنا مع رسول فكيف بجميع من لا نحصيهم من الرسل فانا لقد ارسلنا
رسلا من قبلك او لم نعدد فانت للحصر فمنهم من قصصنا عليك لتقف على ما وفينا
لهم من وعد النصر اياهم فى الدنيا ومنهم من لم نقصص عليك لما فيه من التطويل
مع ان قصتهم تناسب قصة المذكورين فتقل الفائدة فى ذكرهم ولم نوقف صدق
مواعيدهم على اتيانهم بالايات المقترحة فانه ما كان لرسول ان ياتى باية الا
باذن الله فلا ياذن الا اذا علم ايمان المقترح له او اراد اهلاكه فاذا جاء امر
الله عند عدم الايمان بالاية المقترحة بعد اتيانها قضى بالحق من المواخذة بعد
تفويت الحجة المقترحة لهم وخسر هنالك المبطلون فوابوا اتباع الآيات من المنازل
الرفيعة فزاد خسرانهم باقتراح الايات وترك متابعتها ولو لم يواخذوا على
تكذيب الايات الظاهرة على ايدى الانبياء فكيف تركت على تكذيبهم لايات
الافاق الدالة على التوحيد بشركهم فمن دلائل التوحيد ان رب العالمين واحد
لارتباط البعض بالبعض حتى الحيوانات فيكم ورب الانعام واحد الله الذى
جعل لكم الانعام مسخرة لتركبوا على بعض منها لقتال الاعداء او للفرار منهم ومنها
تاكلون لتبقى قوام ابدانكم ولكم فيها منافع تشبه الاكل كالالبان وتشبه القتال
والفرار كالجلود والاوبار وفى الركوب فائدة اخرى وهى لتبلغوا عليها حاجة
لا تحصل فى بلدكم وتبقى فى صدوركم من الاكل والتزوج وقتل العدو ولم يفض
عليكم فيها بحسن طريق بل جعل للوصول اليها طريقين طريق البر وطريق البحر وعليها
فى طريق البر وعلى الفلك فى طريق البحر تحملون فتحصيل جميع هذه الامور المختلفة هو
الله واحد الكل ويريكم فى الافاق مع هذه الآية سائر آياته الدالة على وجوده
وتوحيده وصفاته وافعاله فاى ايات الله تنكرون أتنكرون معاقبته على انكار
اياته فلم يسيروا فى الارض التى فيها اثار المعاقبين على انكار آيات الله فينظروا
كيف كان عاقبة الذين انكروا ايات الله من قبلهم ولم يكن ذلك عن قلتهم اذ كانوا
اكثر منهم ولا عن ضعفهم اذ كانوا اشد قوة ولا عن عدم تحصنهم اذ كانوا اكثر

والتجارة

واشد اثارا كالحصون والقصور لكنها انما تفيد فى مقابلة من تعرض على تعرضه فى الارض
واما من تصرف فى السماء فلا يفيد فى مقابلته شىء من ذلك ولا غيره فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون مما يدفع به الامر الارضى ولا السماوى من التحصنات وغيرها ولم يكن ذلك
لنقص عقلهم فيها بل قد بلغوا فيها الى حيث رجحوا علومهم على علوم الانبياء فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات من علومهم فرحوا بما عندهم من العلم حتى استهزؤا بالرسل وعلومهم
تلك العلوم عندهم فاخذوا انذارهم لها استهزاء وحاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن
من علومهم فلم ينفعهم تلك العلوم وقد كانت تلك العلوم من طرقهم بالشياطين فى
شركهم فلما راوا باسنا فاتهم عنهم الشياطين قالوا آمنا بالله وحده اذ هو الذى
افاض تلك البينات من العلوم القاهرة لعلوم الشياطين وكفرنا بما كنا به مشركين
من تلك الشياطين المفيضة لعلومهم اذ صاروا متهمين بها ايضا فهذا الايمان
وان كان دافعا للباس قبل مجيئه فلم يك ينفعهم ايمانهم بعد ما اثر كفرهم لما راوا
باسنا والمانع فى اثار التاثير وان كان قاطعا للاثر فى سائر الاسباب فليس
الايمان بقاطع اثر الكفر بعد الباس لكونه سنت الله التى قد خلت فى عباده
اذ لا يبقى بعد ذلك للتحذير من الكفر معنى فى الايمان وان كان زاجرا قبل ذلك
بساعة لطيفة وخسر هنالك بمجرد مجىء الباس الكافرون الى ذلك الوقت ففاتهم
سعادة الابد وحصلت لهم شقاوته والعياذ بالله من ذلك تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة السجدة** سميت بها لاشتمالها
على آية سجدة تدل على بطلان عبادة المظاهر الكلية وان الله يستحق بذاته
اجل العبادات وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله
المتجلى بكمالاته فى تنزيله الرحمن بتفصيل آياته الرحيم بجعله قرآنا عربيا حم اى
حاوى الكمالات وماحى النقائص والحلاوة والملاحة او الحق والمناقب
او الحب والمكانة تنزيل لصفة كلامه الازلى من الرحمن المنعم بجلائل النعم

الرحيم المنعم بدقائقها من الجلائل التجلي بالصفات الالهية التي هي الكمالات المطلقة
الماحية لصفات الحادث التي هي النقائص وتكميل القوة النظرية والعملية و
رفع نقائصها وفي ذلك حلاوة للمتصف بها وملاحة في النظر اليها ومن لكمال الناطقة
بانوار الجبروت الازلية وساير الصفات المنفردة للمناصب العالية ثم بالانصاف
بها المناسبة مع الله الموجبة للقرب الموجب للمكانة عنده ومن الدقائق جزئيات
من الامور وما ترتب عليها من الفروع وما يعين تنزيلها ظهورها بمظهر جامع من
كتاب مجمل فصلت اياته بالاشتمال على جميع المطالب الدينية والحقائق اليقينية
مع الدلايل العقلية والنقلية مع كونه قرآنا اجتمع في الفاظه اليسيرة معان غير
محصورة وانما يتيسر فهم ذلك لكونه عربيا يتيسر فهمه من جميع الفوايد ما لا يتيسر في
غيره لكن الاطلاع على ذلك انما هو لقوم يعلمون مقدار ه وكيفية الاستخراج منه
بعد اطلاعهم على اكثر العلوم وبدعوتهم اليه كونه بشيرا للناظرين فيه والمستخرجين
منه ونذيرا للمعرضين عنه لكنه لما كان من الرحمن الرحيم اغتر برحمته الجهال وهم
الاكثر فاعرض اكثرهم لظنهم انهم مرحومون بكل حال وان عاندوه فهم لا يسمعون
ما للمعاندين فيه وان الرحمة الرحمانية والرحيمية انما هي للناظرين فيه والمستخرج منه
والعامل به وقالوا انما لا نصغي اليه لانه لا يصل الى قلوبنا اذ قلوبنا في اكنة فهي
محجوبة مما تدعونا اليه من الامور الاخروية اذ لا نراها فلا نصدق بها و القلوب
وان كانت تصدق كثيرا من الغايبات عند سماعها فلا نسمع من المغيبات اذ
في اذاننا وقر ثقل بمخالفته ما الفناه لو لم يكن فيها وقر فانما نسمع ممن عرفنا حسنه
لكن من بيننا وبينك حجاب فلا نعرف حقيقتك فان كشف لك عن حقيقته فاعمل
بموجبه انا عاملون اعمالا الفناها واعتمدنا فيها على رحمة الرحمانية والرحيمية
قل لكم قولكم في اكنة لبس بعذر فان غايته انه حجاب البشرية ورفعها ممكن انما
انا بشر مثلكم لكن رفع عني حجاب البشرية فصرت بحيث يوحى الي لا من جهة
الشياطين لانه شرك ووحي توحيد انما الهكم اله واحد وحجاب الشبهة يرتفع

بالاستقامة فاستقيموا في الاعمال الموصلة اليه واستغفروه عن الحجب الظلمانية التي من
جملتها حب المال الداعي الى البخل وسيما اذا انضم الى الشرك وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة ولو انهم لم يعذبهم اذ هم بالاخرة هم كافرون فان افادتهم فانما يفيدهم
اجرا دنيويا منقطعا بخلاف اجر اعمال المؤمن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون غير منقطع لان عمله بنية مقبولة عند ملك الملوك الذي لا غاية لعظمته
ولا لبقائه ولا لعطائه فان زعموا ان اجرهم من اعتمادهم على رحمة الرحمانية والرحيمية
ايضا غير ممنون قل ائنكم انكار لرحمانيته ورحيميته لانه لعدم كفايته وحده انكم
لتكفرون من اعتقاد عدم الكفاية بالذي خلق الارض عالم العناصر في يومين لهم
لمادتها ويوم لصورتها الجسمية فتجعلونه غير كاف في التكوين والافساد فهنا و
لذلك تجعلون له اندادا امثالا ومتى يتصور له الامثال مع انها حادثة مربوبة
ذلك رب العالمين ولكن من كمال ربوبيته جعل البعض اسبابا للبعض لذلك جعل
فيها رواسي جبالا راسخة من فوقها لتستقر بثقلها فلا تحركها رياح ولا مياه وبارك
استقرت الجبال اذ بارك فيها بايجاد الحيوانات وقدر فيها لاستقرار الحيوانات
الى اجلها اقواتها في يومين يوم للحيوانات ويوم للاقوات فصار الكل في اربعة ايام
ولم يجعل لمادة كل عنصر يوما لاتحاد مادتها ولا لصورها النوعية اذ هي في حكم
الاعراض المتزايلة ولم يجعل للجبال يوما ولا للمعادن يوما لانها من اجزاء الارض
فكانت هذه الايام من ازمنة في الجواب للسائلين عن عدد ايام التكوين الكلية
الالهية ثم لما كان الكون والفساد في هذا العالم منوطا بالاوضاع الفلكية بمقتضى
السنة الالهية من غير حاجة استوى الى تصوير السماء وقد وجدت مادتها هي دخان
حصل من ضرب الريح الماء الذي كان عليه العرش وحصل منه ايضا زبد هو مادة
الارض فقال لها وللارض ايتيا بما فيكما بالقوة الى الفعل طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين وان كان فينا ما يؤدي الى النقص طلبا لرضاك وما لم يتم الكون
والفساد الا باختلاف الاوضاع ولا اختلاف الا بكثرة السموات ولا بد من

ربما

من احكامها لبقي دهرا فقضاهن احكمهن بازالة رخاوة الدخان سبع سموات
في يومين يوم للفلك ويوم للكواكب ولم يجعل لمادتها يوما لانها كمادة الارض قد
خلقت في يومها واوحى في كل سماء امرها يختص كل سماء نشا تاثيرها مع تاثير الاوضاع
المختلفة وجعلناها محل النظر اذ زينا السماء الدنيا بمصابيح معلقة بها وبما فوقها
ليكون داعيا الى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته وجماله وجعلنا النظر
حفظا عن الوساوس الشيطانية كما جعلنا المصابيح حفظا لاخبار السماء ولم
يكن ذلك لحاجة له الى الاسباب بل ذلك تقدير العزيز الغالب على كل شيء لكن اقتضى
علمه ترتب بعض الامور على بعض بمقتضى اسمه العليم فان اعرضوا عن هذا الاستدلال
وعن الايمان بهذا العزيز العليم فقل انذرتكم مع العذاب الاخروي عذابا شديد
الوقع تشبه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود لانكم مثلهما في العناد ومثل عاد في الاستكبار
ومثل ثمود في استحباب العمى على الهدى اما عنادهم فهو اذ جاءتهم الرسل مبينين
لهم ما يكون من بين ايديهم من الرجوع الى الله والثواب والعقاب وما كان من
خلفهم من المبدا وما جرى على الكفار السابقين قائلين لهم ان لا تعبدوا الا
الله الذي منه المبدا واليه المعاد قالوا انما نسمع قولكم لو صحت رسالتكم لكنها من
المجادلات الصريحة اذ لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل من عنده ملائكة كما يفعله
الملوك في الارسال الى بعض قواده فانه لا يرسل اليها من سوقتها فانه غير معقول
فاذا استحالت رسالتكم فانا بما ارسلتم به من عبادة الله وحده كافرون هذا
ما اشترك فيه الفريقان واما الذي افترقا فيه فاما عاد فاستكبروا مع كونهم في الارض
لا بالحق على ما سواهم بل بغير الحق وهو قوة انفسهم اذ قالوا من اشد منا قوة نخاف عذابه
لو تركنا عبادته او عبدنا معه غيره اذ سلوا عن قوة الله او لم يروا ان الله الذي
اعطاهم القوة اذ خلقهم بجميع اعراضهم هو اشد منهم قوة اذ اثر في نفس قوتهم قوته
لكن انما يعرفه الناظر في الدلائل وهم لما كانوا باياتنا التي هي اقوى الدلائل يجحدون
والمنكر لعذابه متمسكا بحجة كانه يدعي انه اقوى منه بهذا التمسك وتقدم عليكم

انه اقوى من الزبانية فارسلنا عليهم لدفعهم القوة ريحا صرصرا شديد الصوت
في هبوبها وتابعت شدتها بكونها في ايام نحسات تسلب عنهم سعادة القوة
لو كان لها مقاومة الريح لنذيقهم عذاب الخزي بالدفن في التراب مع كونهم
في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة على استكبارهم اخزى وهم لا ينصرون بقوتهم
التي استكبروا بها واما ثمود فهديناهم باخراج الناقة من الصخرة الى البعث فاستحبوا
العمى على الهدى بحبهم دوابهم التي كانت تحجبهم عن الله بكونها اسباب المعاش
وكانت تهرب من الناقة لعظمها فتموت بالبرد في الشتاء لكون الناقة باعلى
الوادي وبالحر في الصيف لكونها باسفله فذبحوا الناقة وان كان يحصل لهم منها
ما يحصل من دوابهم فاخذتهم صاعقة العذاب الهون لارادتهم ترجيح
دوابهم على ناقة الله بما كانوا يكسبون من التكبر بدوابهم على من سواهم مع تكبرهم
على ايات الله ورسله وتدل على ذلك انا نجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من عذابهم مع مخالطتهم اياهم وكما انذرتكم صاعقة عاد وثمود في الدنيا انذركم
صاعقتها يوم يحشر يجمع لمزيد الفضيحة بين الاولين والاخرين اعداء الله المشركون
او الجاحدون كمن اشرك بملك البلد غيره او جحد ليصار بهم معها الى النار فهم
يكرهون عداوته ومخالفته لذلك يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم ليتم الزام
الحجة عليهم بين جميعهم فلا يبقى لهم مقال لانهم لا يزالون يجادلون عن انفسهم
حتى اذا جاؤها فبالغوا في انكار المخالفة شهد عليهم سمعهم بانهم سمعوا الحجج فاعرضوا
عنها وسمعوا الشبه فاتبعوها وسمعوا الفواحش فاستحسنوها وابصارهم بانهم
راوا الايات فلم يعتبروها وراوا القبائح فاختاروها وجلودهم بانهم باشروا المعاصي
او وصل اثرها الى القوة اللامسة منهم فيشهد كل عضو وجزء بما كانوا يعملون
وقالوا لجلودهم المدركة العذاب الذي لا يدركه السمع والبصر لم شهدتم علينا
بما يوجب ايلامكم قالوا انطقنا الله بهذه الشهادة في الباطن او لانه الذي
انطق كل شيء في الباطن بتسبيحه واظهره الان عليكم كما فعل فيكم بتوحيده اذ هو خلقكم

اول مرة موحدين ثم ستر عليكم التوحيد ثم اظهره عليكم اليوم وقد لكم حين اليه
ترجعون ولا بعد انطاق الله ايانا بهذه الشهادة ظاهرا وباطنا مع انكم
ما كنتم تستترون عند فعلكم الفواحش عن السمع والابصار والجلود مخافة ان
يشهد عليكم سمعكم ولا مخافة ان يشهد عليكم ابصاركم ولا جلودكم باشهاد
الله ايانا وان فرض علمكم انها تشهد عند الاستشهاد لكنه انما يتصور بعد
علم الله بجميع افعالكم فاستشهدها عليها ولكن ظننتم ان الله يغيبكم علمه بالجواد
الخفية لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم من جهله باكثر اعمالكم
مع انه الذي رباكم بخلق علمها فيكم ارداكم اسلمكم بالجراءة على مخالفته في الدنيا
ومجادلته في يوم القيمة فاصبحتم صرتم من الخاسرين لاعمال النجاة والدرجات
في الدنيا ونيلهما في الاخرة فلم يبق لهم الا الصبر او الاستعتاب فان يصبروا
لم يكن صبرهم مفتاح الفرج فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا اطلبوا العتبى وهو
الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين من المجابين اليه وقيضنا عوضنا لهم
عن مجلسهم الذي طلبوا الرجوع اليه قرناء من شياطين الانس والجن الذين
قارنوهم في الدنيا فزينوا لهم ما بين ايديهم من الموت على الكفر فانه مفيد للسعادة
لشفاعة معبودهم وما خلفهم من اللذات العاجلة في باغوائهم بهذا التزيين
حق عليهم القول لاملان جهنم لدخولهم اعتقادا وعملا في امم قد خلت من قبلهم
نحو عليهم القول ايضا فاما الجن كابليس واعوانه والانس كعاد وثمود وقد عذبوا
لا بطريق الابتلاء المطمع في الاجر بل انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لستروا
رتبة ادلة القران عن اتباعهم الذين زينوا لهم شبهاتهم الواهية لا تسمعوا
لهذا القران المشكك في دين ابائكم وان انتم سماعكم له الغوا فيه اعراضا عن
التدبر فيه لعلكم تغلبون حجته التي تغلب بها عقولكم واذا كانوا مرهبين للغلبة
على حجتنا بعنادهم نغلبهم بشدة العذاب فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
لما اساءوا الى ادلتنا بالالغاء ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون لا ما عملوا من

الصالحات لعداوتهم مع المحاسن ذلك الجزاء بالاسوء دون الاحسن جزاء
اعداء الله وهي النار القاتلة لهم دائما ولا يغنون بهذا القتل بل لهم فيها
في النار دار الخلد اي تخلدهم فيها وحدها وهي الصنا دين التي يجعلون فيها
آخر اجزاء بما كانوا باياتنا الدالة على عظمتنا الدائمة يجحدون وقال الذين كفروا
ستر هاد لا بل القران وسائر الحجج الالهية اذا ستر عنهم المضلون الذين قالوا
لهم لا تسمعوا لهذا القران ليستغنوا بمنابعهم اتباع امام الغيا يعكس
ينعكس عليهم الامر فيقولون ربنا ارنا الفريقين اللذين اضلانا من الجن
والانس نجعلهما تحت اقدامنا كما كنا تحت اقدامهم ليكونا بدل طاعتنا لهم
من الاسفلين من اهل الدرك الاسفل من النار ثم اشار الى قرناء الخير فقال
ان الذين قالوا ربنا الله فانهم لما انكروا ربوبية الملائكة ناسبوا الملائكة في توحيدهم
ثم استقاموا في اخلاقهم وعقائدهم واعمالهم فزادت مناسبتهم معهم فاوجب
مناسبتهم لذلك تتنزل عليهم الملائكة بالهام الا تخافوا على التوحيد ضرر الشركاء
ولا على الاعمال الصالحة لوثة لاثم ولا وسواس شيطان ولا شبهة ولا تحزنوا
على فوات لذة عاجلة منا في الدنيا وعند الموت لا تخافوا سؤال منكر ونكير ولا
عذاب القبر ولا تحزنوا على فوات لما تركتم من الاهل والمال وعند البعث
لا تخافوا اهوال القيمة ولا تحزنوا للحساب والميزان وجواز الصراط وابشروا
بدل اللذة العاجلة بالجنة التي كنتم توعدون على تركها ولا تنفي نكم تعارض وسوسة
كالا نفونكم بتعرض النار في الاخرة اذ نحن اولياؤكم ندفع عنكم الشيطان
في الحيوة الدنيا والنار بنه في الاخرة وانتصار لكم بنا لا نمنعكم من اللذات الحسية
بل لكم فيها ما تشتهي انفسكم ولا يلحقون بالاشتغال بها بالحيوانات العجم بل لكم فيها
ما تدعون من الكمالات الملكية ولا بعد اجتماع الامرين فيما يكون ثناء لا من
عند بشر كلا منهما بالاخرة فلا يمكن ان تغلبه لبسطه رحيم بافاضة فوائدهما
لكن انما يكون ذلك قبل الرؤية اذ بعدها فانه يستر عنهم احيانا ليرحمهم بذلك

فمن لم يكن قرناؤه والملائكة لا يضطر الى قرناء السوء من الجن والانس مع
وجود قرناء الخير بل هو احسن فانه من احسن سعيا فالاتباع لكونه احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل على صدقه بان عمل صالحا ويكفي في صحة دلالته
على صدقه انه قال انني من المسلمين وان لم يطلع على باطنه ولا يحتاج في
معرفة دعوة الخير من دعوة الشر الى مزيد نظر فانه لا تستوى في بداهة النظر
الدعوة الحسنة مع السيئة ولا السيئة مع الحسنة فان جادلك داعي السوء ادفع
دعوته بالتي هي احسن من بين طرق المناظرة فانه لا يثير العداوة بل يجلبها صداقة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة ممتدة ينقلب صديقا في الحال كانه ولي من
اولياء الامر حميم تغضب لغضبك على من اذاك ولكن دفع سيئة العدو بحسنة
منك خصلة عظيمة ما يلقيها لا يلقيها ما بالقبول الا الذين صبروا بتصبرهم على
تجرع الشدائد وما يلقيها اي خصلة الصبر الا ذو حظ عظيم من الاخلاق الكريمة
والاعمال الصالحة واما ينزغنك وان يحثك في مكافاة السيئة بالحسنة من
الشيطان نزغ نخس يحرك غضبك لمكافاة السيئة بالحسنة فاستعذ بالله
لتسكين غضبك انه هو السميع لاستعاذتك اذا علم صدقك لانه العليم ومن
نزغات الشيطان ان يلقي الى المجادل ان الدعوة الى عبادة المظاهر ليست
سيئة لانها في الحقيقة دعوة الى عبادة الله ومن احسن ما يدفع به ان اعظم
ما يعبدونه الشمس والقمر وهما في المظهرية دون الليل والنهار اذ من آياته التي
ظهر فيها باسم الباطن والظاهر الليل والنهار وهما المقصودان من الشمس والقمر
والشمس والقمر وان كانا مظهرا اسمه النور فالمقصود منه الظهور والاظهار فاذا
لم يسجدوا للمقصود بالذات لا تسجدوا للشمس ولا للقمر كيف لا ظهور له فيهما
باعتبار الالهية لانها بوجوب الوجود بالذات واسجدوا لله لا باعتبار
ظهوره فيها بل باعتبار انه الذي خلقهن وظهوره لا فيها في خلقه لانه باراديته
وتوجهه الى حقيقة المظهر فان خصصتموه بالعبادة في الباطن عند عبادتكم

المظاهر في الظاهر فاعبدوه بعد فنائها ان كنتم اياه تعبدون لان عبادتكم
اياه فيها تجعله مقيدا بها وهو عجز فان استكبروا عن عبادته بلا مظهر لانه شبه
العدم فهي جهة وجوب الوجود التي هي متعلق عبادة من يعبد فهم في
ضمن عبادة الشمس والقمر والاصنام فالذين عند ربك اعلى عبادتهم
التسبيح ولذلك يواظبون عليه اذ يسبحون له بالليل والنهار باعتبار بطونه
وظهوره ان يكون مثل الامور المعقولة او المحسوسة وهذا الاعتبار وان
كان ابعد من العقل وهم لا يسامون عنه لعلمهم انه اعلى مراتب العبادة له
ولو اعتبر في العبادة الظهور بالاسماء فاعلاه اسمه الحي ومن مظاهره الارض
ومن الاسماء الالهية المحيي ومن مظاهره الماء اذ من آياته انك ترى
الارض خاشعة ذليلة يابسة لا نبات عليها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت للانبات وربت زادت قدرا فظهر في الارض باسمه الحي وفي الماء
باسمه المحيي لكنهما لا يستحقان العبادة باعتبار بل فائدة الظهور فيهما انما
هي الاستدلال للحق تعالى ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير
واذا كان ظهوره في الاشياء باسمائه ليكون انه يستدل بها على اسمائه كان
العدول عن الاستدلال الى العبادة الحادا ان الذين يلحدون في آياتنا
فانهم وان زعموا انهم يقصدون عبادتنا من جهات كثيرة لا يخفون علينا
انهم يغيرون مقاصدنا فهم بذلك يستحقون النار والذين لا يغيرون شيئا من
مقاصدنا آمنون من ذلك أفمن يزعمون انهم بعبادتهم اياه خير فمن يلقى في النار
لتغييره شيئا من مقاصدنا خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة الذي لا بأس فيه
من غيره شيئا من مقاصدنا وان لم يزل آمنا ايام حياته كيف وقد اختاروا
في العبادة جهة الحدوث وتركوا جهة الوجوب الذاتي اعملوا ما شئتم انه بما
بصير ولو صح عبادة المظاهر لكان اولى ما يعبد كتابه لكنهم كفروا به ان
الذين كفروا بالذكر بالشرف الذي ظهر به في كتابه مما يقرب الى استحقاق

العبادة من سائر الصفات لكنهم رأوه ادنى لما جاءهم ولكن بحجته لم يجعله ادنى
انه لا اعجاز لكتاب عزيز لا يصل اليه طاقة الخلائق ولا دونه من جهة
اشتماله على الباطل اذ لا يأتيه الباطل من بين يديه في شيء من عقائده ولا
من خلفه في شيء من نتائجه ودناءة النزول فيه لم يجعله ادنى لانه تنزيل لا سيما
الحكمة من حكيم حميد يحمده كل من رآه فزعم ان من ادنيته فعداوتي خبر كثيرا
والخبر محذوف وهو كفرهم به كفر من طرفه بكمالاته ولا يخل بشرفه طعنهم بعض
ائتل عليه اذ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك المشهورين بالشرف
وعدم مواخذة الطاعنين فيهم لا يدل على دناءتهم ان ربك لذو مغفرة ستر
في الدنيا ابقاء للتكليف وذو عقاب اليم في الآخرة سيما اذا لم يعاقب في الدنيا
ولا يضعف اعجازه على جعله اعجميا منزلا على رسول عربي بل لو جعلناه قرآنا
اعجميا لقالوا لا نعلم اعجازه الا بعد فهمه لولا فصلت بينت بالعربية آياته بحيث
يعرف اعجازها والا فكيف يعرف اعجاز العرب بالكتاب العجمي أأعجمي
والمتحدي عربي فان زعموا انه لو كان معجزا لانس العقلاء على الانقياد له قل
انما ينقاد له من ينتفع به وهم المؤمنون اذ هو للذين آمنوا هدى الى الدلائل
وشفاء من الشبه وانما لا ينقاد له المعاندون لعدم اسماعهم اياه اذ الذين لا
يؤمنون في آذانهم وقر ثقل ولو سمعوا لم ينظروا فيه اذ هو عليهم عمى وليس
ذلك لنقص في اسماعهم او ابصارهم بل لبعدهم عنه اولئك ينادون من مكان
بعيد ولا اختلاف فيه قربا وبعدا وقع فيه الاختلاف ولو وقوع الاختلاف
في كتابك لا يدل على نقصه كما لم يدل وقوع الاختلاف في التورية على نقصها
فانا لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وهذا الاختلاف لعظم موقعه
بحيث لولا كلمة بتأخير الفصل الى يوم القيمة سبقت من ربك لابقاء التكليف
لقضي بينهم بالفصل وكيف يؤخر وانما يؤخر في حق من يرجى له اليقين وانهم لفي
شك منه من ذلك القضاء لا يزول بادنى النفاق بل مريب موقع في زيادة

الريب مع انه لا وجه له اصلا للاتفاق على ان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها مع انا كثيرا ما نجد الامر بالعكس وهو ظلم وقد اتفقوا على انه ما ربك بظلام
للعبيد وكيف يمكن القدح مع وجود هذا الدليل القاطع بشبهة واهية كالجهل بساعة
ابتدائها مع انها انما تتم لو كان مجهولا على الاطلاق لكن اليه يرد علم الساعة
كيف ولا ننكر خروج ثمرة من اكمامها للجهل بساعة ابتدائه بل اليه علم ساعة خروج
الخروج من ثمرة من اكمامها وكذلك لا ننكر وجود الحمل والوضع للجهل بوقتها فانه
ما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه والمطلع على ذلك انما يطلع باعلامه لا بسبب من
الاسباب وكيف ننكر وجوده مع انه انعم بايجاد الثمرات والاولاد وجحد
وقد اشركوا به في ذلك فلا يبعد ان يكلمهم في ذلك بعد ان تظهر لهم بطلان الشرك
يوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك اعلمناك من اعتراف بواطننا بالتوحيد حين
كوشف به لنا ما منا من شهيد يشهد على ان لك شريكا لان الشهادة هو القول
المطابق لما في القلب وهذا القول لا يطابق ما في القلب الآن وانت مطلع على ما في
القلوب فلو هنا اعلمك بذلك وكيف يشهدون بذلك وقد ضل عنهم ما يحكى عن
قلوبهم ما كانوا يدعون من قبل ولكن لم ينفعهم هذا الحول لانه بقي عليهم حجاب
الشرك بحيث ظنوا ايقنوا انهم ما لهم من محيص مهرب عن هذا الحجاب الموجب
للعذاب لانهم فوتوا وقت الهرب وكان الواجب على الانسان ان يبالغ في
الهرب منه لانه من اعظم الخيرات مع انه لا يسأم لا يمل الانسان من دعاء
الخير وكيف لا يبالغ في الهرب عنه مع انه اشد وجوه الشر مع انه كان بحيث
ان مسه الشر فيؤس من رحمة الله قنوط من الخير كله وهذا اليأس والقنوط
وان لم يتحقق له في الدنيا يتحقق له في الآخرة لانه لا يتخلص من شدائدها اصلا
لانا علمنا من الانسان انا لئن اذقناه رحمة منا من غير استحقاقه اياها ابتداء
لكونها من بعد ضراء مسته ولعا سخط فانه الرحمة لم يمسه الضراء اصلا ليقولن
هذا حق لي فلو خلصناه من العذاب الاخروي لرأى التخليص حقه فيجري

على المعاصي مرة اخرى وكيف تخلص من يقول الان ما اظن الساعة قائمة واذا
خلص يمكنه ان يقول انا لا ابتلي بمثل ذلك ثانيا لان الله تعالى خلصني منه مع علمه
بان اعود الى معصيته وايضا انه يقول لئن رجعت الى ربي عند قيام الساعة
ان لي عنده للحسنى الجنة فلعله يقول اذا اخرج من النار اني اذا عدت الى
المعاصي دخل النار واخرج فادخل الجنة واذا امتنع في الحكمة اخراج الكافر
من النار لهذا الوجه فلننبئن الذين كفروا بما عملوا انها موجبة للخلود في
النار فلا بد من هذا الوعد ولا بد من اتمام ذلك الاعلام بامضاء هذا الوعد
لنذيقنهم من عذاب غليظ وكيف ننعم عليهم بالاخراج من النار وانما فهم
الاعراض عن المنعم فانا اذا انعمنا على الانسان اعرض عنا وناى تباعد عن
طاعتنا آخذا بجانبه ترجيحا له علينا وكيف لا نخلدهم في النار وفيه تذللهم لنا من
بعض عظمتنا فانه اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فان زعموا انه مخالف لما ذكرتم
من اجابة المضطر اذا دعاه قل انما يجب من لم يفطر بالعذاب على الضلال سيما
بالعداوة وقد يحق ضلالكم ارايتم اخبروني ان كان القران من عند الله فعلمتم كونه
منه ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق وخلاف بعيد كيف تنكرون كون القران
من عند الله مع انه جامع لاياته فان لم يروها فيه سنريهم آياتنا ظواهر انباء الاشياء
في الآفاق تفصيلا وفي انفسهم اجمالا بعد تفصيل لسطرها فيها فيجدونها في هذا
القران حتى يتبين لهم انه اي القران هو المجلى الكامل كانه هو الحق فمن كفر به فقد
كفر بالحق وكيف ينكرون كون القران من عند الله مع انه استدل عليه بتجليه فيه وهو
اقوى الدلائل ايشكون فيما يستدل به على وجوده ولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد دليل لانه به وجد وبنوره ظهر فكيف بتجليه كافيا في معرفة جميع
الاشياء مع قصور التجلي عليه ولا يدل تجليه مع كماله في القران على حقية كونه
منه نعم انما يشكون فيه لشكهم في تجليه الا انهم في مرية شك من لقاء ربهم اي
تجليه مع انه لا وجه لانه انما وجد به الا انه بكل شيء محيط فانه انما ظهر ما ظهر من

يكون

احاطة اشراق نور وجوده بما ادركه بحيطته فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين سورة
عسق سميت به لان محملات تاويلها من اعظم مقاصد القران ولم يعتبر
معها حم لعمومها سائر السور وبالشورى لاشعارها انها تنال الدنيا ونعم الاخرة
وصفات طالبها مع اجتماع قلوبهم بكل حال وهما من اعظم مقاصد القران
بسم الله المتجلي بتجليه الجامع في مقطعات فواتح سور
كتابه الرحمن بتجلي سائر وجوه كذلك الرحيم بظهوره مع كمال عزه وكمال
حكمته فيه حم عسق اي الحلاوة والمتانة عمت سور القران او حكمه ومعارفه
عظيم سعادة قائمة او حجة المستقيمة عصمة اسرار العلوي وحفظ والمواظبة عليه
عنوان سر القبول او غير ذلك مما ناسب المقام ولا يختص هذا بهذه السورة
بل كذلك يوحي اليك في سائر السور والى الذين من قبلك في زبرهم الله الجامع
مع
للكمالات فلا بعد ان تكون مجلاه حاويا العزيز فلا بعد ان يكون مجلاه احكاما
وحججا الحكيم فلا بعد ان تكون مجلاه متينا او مشتملا على معارف مشبعة
او حجة مستقيمة او حفظ عاصما ولا بعد ظهوره بكمالاته في كلامه بعد ما ظهر فيما
كان في السموات والارض اذ له مجلى ما في السموات وما في الارض ولا يعرض
له دناءة بظهوره في الارضيات اذ هو العلي بذاته وما بالذات لا يزول
بعارض بل ظهوره فيها باعتبار انه العظيم وقد ظهر بكلامه في عالم السموات
بالحروف المعنوية فظهر فيها من عظمته ما تكاد السموات يتفطرن يتشققن
من جهة ما يتجلى عليهن من فوقهن والملائكة مع كمال مظهريتهم لما ظهر في تلك
الحروف يسبحون بحمد ربهم عن ان يعرفوه بانفسهم دون تعريفه فاذا عرفهم بتلك
فانهم يسبحونه بحمد ربهم على ما انعم عليهم بتلك الظهور ولما كان ظهوره في
الحروف الحسية دون ذلك الظهور قصرت معارف اهل الارض ويستغفرون
لمن في الارض لئلا يواخذهم باعتقادهم فيه ما ليس عليه كيف وقد ستر عليهم ذلك

لعدم احتمالهم معرفة الكاملة رحمة بهم الا ان الله هو الغفور الرحيم ومن رحمته
بعباده ان الذين اتخذوا من دونه اولياء فالمتعلق بالناقص بعد ظهور
بكمالاته بتمامى كتابه فانهم وان لم يحفظوا عليه شيئا من حق كماله الله بكماله حفيظ
لهم الى اجلهم وان كان حفيظا عليهم اعمالهم الى تلك المدة ليعذبهم اشد
مما يعذبهم لو عجل عليهم ولكن ما انت عليهم بوكيل من الله فى الانتقام منهم كراهة
ان يستعجل عليهم العذاب من غلبة الغيرة الالهية عليك فعوقب عليهم التدارك
بالتوبة المستوجبة للرحمة عليهم فهذا من رحمته عليهم وان اغلبت غيرته غضب
عليهم لو لم يتداركوا وكما رحمناهم بالحفظ رحمة يخاف انقلابها غضبا كذلك
اوحينا اليك ما هو رحمة يخاف انقلابه عذابا اما انه رحمة فلكونه قرآنا جامعا
للعلوم عربيا تفهمه العرب بانفسهم وغيرهم بتعلم لغتهم التى هى احسن اللغات
واما خوف انقلابه عذابا فلان وحيه اليك لتنذر ام القرى وان كانت حرما
آمنا ومن حولها تنذرهم ايام القرى الهالكة فيما مضى وتنذر يوم الجمع الذى
يكون التفضيح فيه اعظم ويخاف لو كان محتملا فكيف اذا كان لا ريب فيه والخوف
فيه اعظم الاشياء فوات نعيم الجنة وحصول الم العقاب اذ فيه فريق فى
الجنة وفريق فى السعير وقد يرجح الخائف بدخول الجنة والنجاة من النار
وهو اعظم رحمة يخاف انقلابها اعظم انتقام ورحمته وان اقتضت ادخال
الكل الجنة فهى غير موجبة كعموم بل لو شاء الله لجعلهم امة واحدة مرحومة او
معذبة ولكن راعى مقتضاهما بمشيئته اذ من سنته رعاية مقتضيات الحقائق
لذلك يدخل من يشاء فى رحمته بعد لهم فى باب الاعتقادات والاخلاق
والاعمال والاحوال فيتولاهم الله وينصرهم ويدخل من يشاء فى قهره لانهم الظالمون
والظالمون ما لهم من ولى يجرهم الى رحمة الله وجنته ولا نصير ينجيهم من نار
فان زعموا ان لهم اولياء فقال هل اتخذوا وليا مع غيره ام اتخذوا من
دونه اولياء وعلى التقديرين لا ولى لهم اما على تقدير الشرك فالله هو الولى

ولا يوالى من اشرك به وعلى تقدير اتخاذهم من دونه اولياء فلعدم صلاحيتهم
للولاية التى تفضى الى ادخال الجنة والانجاء من النار لانها فرع الاحياء
وهو يحيى الموتى بل هو فرع القدرة الكاملة وهو على كل شىء قدير فيقدر على انزاع
قدرتهم لو كانت لهم قدرة على ذلك وكما لا يصلحون للموالاة المقتضية دخول
الجنة والنجاة من النار لا يصلحون للموالاة لاتكون سبب ذلك مثل ان ياتوا احكام
يصير حبيبا لذلك بل ما اختلفتم فيه من شىء سواء هو مفيد لذلك او لضده فحكمه مفوض
الى الله راجع فيه كتابه وسنة رسوله واجماع المجتهدين فيهما منصوصا او قياسا
على مستنبط من احدها فان ادعى احد ذلك لنفسه فلا او من يرى به
لذلك بل ذلكم الله ربى فان خوفنى عليه توكلت وان رايت منه منافع او مضار
فلا ابالى له بل اليه انيب ارجع وكيف ارجع الى الغير او اتوكل عليه او اخاف
منه او اتخذ ربا مع انه مفطور لاختصاص الله فانه فاطر السموات والارض
كيف وغايته ما فى الغير انه متفاوت فاضلا ومفضولا لانه جعل لكم من انفسكم
ازواجا اصنافا مختلفة الى كامل وناقص فلو استحق كل كامل الالهية كل ناقص لكان
لكل شىء الهة لا تحصر ولكان للمتوسط كالحيوان الالهية ومالوهية اذ جعل
من الانعام ازواجا فللانسان عليها الالهية ولبعضها على بعض الالهية مع ان
المتوسط مفضول فعليه الالهية لما فوقه بل يذرؤكم يكثركم فيه فيجعل الفاضل
مفضولا من وجه فيكون الشىء الها لشىء ومالوها له وهذا باطل بالضرورة
فالمعتبر انما هو الكمال المطلق وهو انه ليس كمثله شىء اى ليس مثله شىء فكنى
بنفى مثل المثل عن نفى المثل اذ لو كان له مثل لكان مثلا لمثله فاذا نفى لزم نفيه
ولا يلزم من نفى المثل نفى الصفات الكاملة التى تطلق على المخلوقات وهو نقص
اذ يكفى فيه كونها له بالذات وللغير بالتطفل بانه تعالى هو السميع البصير على سبيل
الحصر بالذات واما سمع الغير وبصره فباعتبار ظهوره فيه ولا تناقضه قوله تعالى
وله المثل الاعلى لانه المناسب بالوجه الخاص والمثل بالكسر هو المشارك فى

النوع ومن ظهر بالاسماء سببيه الاشياء فلا يستقل بدون اذنه لذلك له مقاليد
مفاتيح اسباب السموات والارض ويستقل بدون الاسباب لذلك
يبسط الرزق لمن يشاء وان لم يباشرها ويقدر يضيق على من يشاء وان
بالغ في جميع الاسباب ومع ذلك لا يفعل بطريق التحكم بل بحسب استعدادات
الحقائق انه بكل شيء عليم فيعلم ملكها الاستعدادات التي خفيت على الاكثر لكن
الاسباب ولما جعل هذه الاسباب غير مستقلة بدونه نهي عن الخوف عنها والتوكل
عليها والرجوع اليها حتى شرع سن لكم من الدين الاعتقادي ما وصى امر على
سبيل التاكيد به نوحا ان يامره قومه وهو توحيد الافعال بحيث لا يرون مؤثرا
سواه في جميع الاشياء والامر العظيم الذي اوحينا اليك من غير تاكيد من
توحيد الذات ان يامره خاص قومك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
من توحيد الصفات وبالجملة امرناهم ان اقيموا الدين باحدى التوحيدات
ولا تتفرقوا فيه ولا تعتقدوا الفرق بلا جمع وانما اكدنا عليهم بذلك لانه كبر على
المشركين في الافعال والذات والصفات ما تدعوهم اليه من احدى
التوحيدات سيما الذاتي اذ لا يحصل بالكسب بل الله يجتبي يجذب اليه من
يشاء من غير انابة سابقة ويهدي للوصول اليه من ينيب من يرجع اليه حتى
يتحقق بالتوكل ثم يصير موحدا في الفعل ثم في الصفات ثم في الذات ثم
قيل لو اوصلنا الرسل بهذه التوحيدات لاخذها اهل الكتاب
فلم تفرقوا اما اعتقدوا التفرقة المحضة قدماء اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم ان من لم يكن الرسل وجوا الاحد باحدى التوحيدات بغيا بينهم و
بين دعاة التوحيد في هذا البغي موجب للمؤاخذة في الحال ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير القضاء بينهم الى اجل مسمى من القيمة لقضي بينهم وبين دعاة
التوحيد بمخاصمتهم لوجود مقتضيها من البغي على اهل الحق ودعاته ولا يقبل
باقتدائهم المتاخرين ان الذين اورثوا الكتاب المخالف لمقالتهم وان كانوا



من بعدهم لكنهم انما تبعوهم لو لم يكونوا في شك من مقالتهم لكنهم شاكون
انهم لفي شك منه مريب موقع لهم في الريب فما نقلوا من الكتاب ايضا فلذلك
ملكون متاخري اهل الكتاب في شك من اعتقاد قدمائهم ونقلهم الكتاب فادع
الى ما لا شك فيه واستقم في الاعتقادات والاعمال لئلا تتهم كما امرت فما كان
لك فيه خواص لا يوجد في امتك وان طعنوا فيك بمخالفة قدمائهم لا تتبع اهواءهم
وقل كيف اوافقكم على خلاف كتب الله مع اني آمنت بما انزل الله من كتاب
وان ذكروا انهم لم يخالفوا كتب الله بل اولوها دفعا للتعارض في الظاهر
منها قل امرت لاعدل في التاويل بحيث يقع الانصاف بينكم لو انصفتم وان
طعنوا بان كتابك يخالف كتبنا في نسخ بعض الاحكام قل الله ربنا وربكم فلذلك
يعبدنا باحكام وعبدكم باحكام ولا تناقض في ذلك اذ لنا اعمالنا في عصرنا ولكم
اعمالكم في عصركم لا حجة بيننا وبينكم بان هذا النسخ ابطال لحكم الله بل هو بيان
لانتهاء حكمه ولا يلزم من ذلك التفرقة في احكامه بل الله يجمع بيننا في حكمه باعتبار
عصره فلو كنا في عصركم لحكم علينا باحكامهم واذ انتم في عصرنا حكم عليكم باحكامنا
واليه المصير في الحكمين فلا بد وان يراعي مصلحة العصرين والذين يحاجون
في الله في احكامه الناسخة من بعد ما استجيب له اي اجاب عن حججهم العقل والكشف
ونقل الكتب حتى يحتج الله كلما طلب منها ذلك حجتهم داحضة زائلة عند ربهم لا
يعتد بها في الدنيا ولا يعفى عن المتمسك بها لكونها شبهة بل عليهم غضب اذ يحكموا
على امر الله ان لا يحكم على احد الا بما حكم به عليهم ولهم عذاب شديد لا
يخفف عنه شيء لاجل شبهتهم بعد شرع عادتهم بحجة داحضة وكيف رد احكام
هذا الكتاب لمخالفته كتب الاولين مع انه اكمل منها اذ الله باعتبار جمعيته
هو الذي انزل الكتاب حتى صار معجزا ولم يعارض دلالة اعجازه بطلانه في
ذاته لكونه ملتبسا بالحق وليس هذا دعوى بلا برهان لانه انزل الميزان لمعرفة
اعجازه ومعرفته حقيته وقد دل الميزان على حقية النسخ اذ الاوقات

مخلفه بقرب الساعة وبعدها فالاقرب اشد فسادا فلو لم يرخص فيه لازداد
فسادا اى من انكرها فقيل له ما يدريك بعدها لعل الساعة قريب فاذا ذكر
قربها استعجلها استهزاء بها اذ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فاى فساد [illegible]
اعظم من هذا الفساد والمانع من خوف الله بالكلية الزاجر عن الفساد والذين
آمنوا فهم وان كان لهم الامن اذ لم يلبسوا ايمانهم بظلم مشفقون خائفون منها
لان ما يخافونه من الله انما يكون فيها والرخص يمنعهم من اليأس وليس خوفهم
من اعتقادهم امكان وقوعها فقط حتى يخف من وجه بل يعلمون قطعا ويقينا
انها الحق وانما المحتمل وقوع المخوف من الله تعالى عليهم مع تحقق وقوعه على الذين
يمارون فيها الا ان الذين يمارون يجادلون في الساعة لفي ضلال بعيد
لانكارهم عدل الله وحكمته ودوام ظهوره بالجلال والجمال ودوام ربوبيته على
الارواح ان اعتقدوا فناءها او تعطلها وهملا لو ثمل عليهم لازدادوا بعدا
ولا يبعد من الله انزال مثل هذا الكتاب الجامع لطفا بالعباد اذ الله لطيف
بعباده ولا يلزم من هذا اللطف ان يطلع العوام على اسراره اذ يرزق من
يشاء ولا يعسر عليه جمع المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة اذ هو القوى ولا يعسر
عليه ان يستر على العوام بعض ما ظهر به فيه اذ هو العزيز ثم من لطفه بهذا الكتاب
تفضيل رخصه على عزائم من تقدمه ومن لطفه تكثير الثواب على الاعمال اليسيرة
لانه يرزق من يشاء بلا سبب فلا يمتنع عليه ان يعطى بسبب الرخصة ما لا يعطى
بسبب العزيمة ولو كان للعمل اثر فاثر لطفه اعظم اذ هو القوى ولو كان للعزيمة
مزيد قوة فهو العزيز الغالب وايضا لا يبعد ان يمهل اهل الضلال البعيد بعدا
من مزيد لطفه ثم يثيبهم لطفا بان يرزقهم ولا يبالى لهم اعتمادا على قوته في
مؤاخذتهم ويكون ذلك مقتضى عزته اذ يتجلى لهم بالتجلى الجلالى في الدنيا بالحجاب
وفي الآخرة بالقهر والعقاب ولا يبعد ان يخص بلطف فهم اسرار الكتاب طالب
الآخرة اذ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه بنيات صالحة [illegible]

باطنه مقتضيه له فكذا نزد له في فهم اسرار الكتاب ولا يبعد ان لا يطلع على
اسرار الكتاب طالب الدنيا الا اسرارا تناسب اهلها اذ من كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها من جهة الناس اليه ولكن يكون ذلك ما له من ثواب
الآخرة بحيث ما له في الآخرة من نصيب وايضا لا يبعد ان يستفيد من الرخص
طالب الآخرة ما لا يستفيد من العزائم طالب الدنيا كما انه يقع التفاوت منهما في
العمل الواحد وايضا اللطف الحقيقي في اهل الآخرة اذ نزيد له في حرثه لا في
اهل الدنيا لانه لا يعطى جميع ما يتمناه ومع ذلك يصيرها تبعا لما هو اعظم من الدنيا
كلها ثم ان اهل الكتاب ينكرون العمل بهذا الكتاب حيث كانوا يتبعون كتابهم و
يعملون بحرفه علمائهم ام لهم نسخ كتاب الله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم يأذن به الله لا في كتابهم ولا على لسان رسوله ولولا كلمة الفصل ولولا
قول الله ان لا اواخذ احدا ولا يبعد ان افضل عليه بالذنب ولا افضل قبل
يوم القيامة لقضى بمؤاخذتهم في الحال قطعا للنزاع بينهم وبين ربهم في كتابه و
لا بدله تاخيره على تعطيله بعد تحقق ظلمهم ان الظالمين لهم عذاب اليم سيما
الظالمين بشرع الاحكام من غير اذن الله ترى الظالمين سيما بهذا الظلم
مشفقين خائفين يوم الفصل مما كسبوا من الضلال والاضلال ووصف
اى جزاء كسبهم واقع بهم وان تابوا قبل الموت لان الاضلال حق الطفل وقد
وقع عليهم مع ذلك فوقوا من الروضات اذ الذين آمنوا بالناسخ والمنسوخ
وعملوا الصالحات بالمنسوخ قبل النسخ وبالناسخ بعده في روضات الجنات
روضة للايمان بهما وروضة للعمل بالمنسوخ قبل النسخ وروضة للعمل بالناسخ
بعده ولمواضعتهم مراد الله لهم ما يشاؤون عند ربهم وان اتوا بالموافقة الواجبة
عليهم فاعطاء الله مرادهم فضل منه ذلك هو الفضل الكبير لكونه من الرب الكريم
وهو وان لم يجب على الله فهو في حكم الواجب عليه لان قول الله تعالى واجب الوقوع
سيما ما يبشر به احدا سيما خواصه لكن ذلك الذي يبشر الله به عباده الخلص اعنى

الكبرى

الذين امنوا وعملوا الصالحات فان زعموا انه كيف يكون هذا البشر فضلا
عليهم مع انه يفضل عليهم واحدا منهم قل يتفضل ذلك الواحد عليكم من جملة
التفضل عليكم اذ يشدكم دينا ولا ينقص شيا من دنياكم اذ لا اسالكم عليه
الا ما يرجع اليكم اجرا غير المودة الراسخة في حق القربى ليتقربوا بهم الى ثم بي الى ربكم
روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك من هولاء قال علي وفاطمة وابناهما
و انما طلبنا ذلك لان من يقترف يكتسب مع مودتهم حسنة نزد له فيها حسنا
يزداد به ثوابا او نغفر له ما قصر فيها ونقبل قبولا الكامل ان الله غفور شكور
انكرون بشر كرامة فضله عليهم وان افادهم فضلا ام يقولون افترى
على الله كذبا فكان اظلم ممن شرع الاحكام اذ لم يدع الوحي اليه لكنه لا تاتي ممن
شرح الله قلبه بالعلوم الغيبية فانه تاتي منه فان يشاء الله يختم على قلبك فلا ينبغي
انشراحه حتى شرح الله قلبه بالعلوم لتلك العلوم بعد الافتراء عليه وكيف يترك
ذلك و قد علم من سنة الله انه يمح الله الباطل و لا ينمي هذا الباطل من الافتراء
الا بالختم على قلبك ولكنه يترك شرح القلب فهو بكلماتك اثباتا وقد علم من
سنته انه يحق الحق بكلماته ولا يعكس الامر من جهله لاطلاعه على الغيوب كلها
انه عليم بذات الصدور و ليحقيقه الحق بكلماته يحتمل ميل اليه لذلك هو الذي
يقبل التوبة عن عباده ليميلهم اليه فيثبتهم لديه و ليمحو الباطل بالحق يعفو بها
عن السيئات التي فيها الميل الى ما سواه من الباطل و حماية العفو عن
السيئات انه يعلم ما تفعلون و لا يواخذهم بها في الحال و حماية قبول التوبة
يقبل الدعوة لذلك يستجيب دعوة الذين امنوا وعملوا الصالحات فيعطيهم
دعواتهم ويزيدهم من فضله و حماية محو الباطل ابطال اعمال الكفار ليميلهم
الى الباطل حتى يصير الكافرون لهم عذاب شديد وكيف يبسط الله على من يبغي
عليه بالافتراء عليه علوما غيبية وهو رزق المعنوي فقد كره بسط الرزق الحسي
على الكل كراهة بغي بعضهم على بعض فانه لو بسط الله الرزق لعباده فاغنى

جميعهم لبغوا بعضهم على بعض بغيا ساريا في الارض ولكن يترك على كل واحد منهم
فالنسم له بقدر نظر فيه الى استعداد حقيقته لا بطريق الايجاب بل بما يشاء
لكن مشيته لا تخالف قدره رعاية للحكمة انه بعباده اي باستعداداتهم الباطنة
خبير وباستعداداتهم الظاهرة بصير ولما كره البغي في الامور الظاهرة فهو في
الامور الباطنة اشد كراهة وهو لا يترك الوحي بالكلية فلا بد من الوحي في
الحكمة و لا يبعد عليه انزال الوحي عليكم بعد قنوطكم عنه وامدادكم بعد اضلالكم
اذ هو الذي ينزل الغيث على اهل القحط من بعد ما قنطوا ايسوا وينشر رحمته
بانبات الزرع واخراج الثمار وكيف يترك ذلك وهو الولي الحميد ومن اياته
الدالة على كونه وليا حميدا خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة
لمنافع العباد و لا يخل بحمده وولايته ما يجري بينهم من التظالم اذ هو على جمعهم
للانتصاف اذا يشاء قدير كما لا ينافي حمده وولايته تظالم الذوات لانه ما
اصابه المصاب اذ ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وهو يفعل بكم مقتضى
ولايته وحمده اكثر مما يفعل بمقتضى كسبكم اذ يعفو عن كثير فلا يواخذكم بها في الحال
ورجى ان لا يواخذكم باكثرها في الاخرة ايضا وليس عفوه لعجزه اذ ما انتم بمعجزين
رب السموات والارض مع كونكم في الارض ولكنكم العاجزون اذ ما لكم من
دون الله من ولي يعينكم عليه ولا نصير يخلصكم عنه ومن اياته الدالة على
ان رعايته بمقتضى ولايته اكثر من رعايته بمقتضى كسبهم الجوار السفن الجارية
في البحر اللطيف مع انها في الثقل كالاعلام الجبال ان يشاء ان يفعل بمقتضى
كسبهم يسكن الريح التي هي سبب جريها فيظللن رواكد ثوابت لا في قعره
لثقلها بل على ظهره رعاية لجهة الولاية من وجه ان في ذلك في تحريكهن بتحريك
الريح اللطيفة وتسكينهن بتسكين الريح فلا يوثر فيها امواج البحر انها تعقد
به مع امساكه اياهن على ظهره حال سكونها لايات على كمال قدرته وحكمته وعنايته
لولايته اكثر من رعايته للاكساب صبرا لكل صبار حبس نفسه على النظر

فى الايات تشكو رها برى فى اياته من الآية ذكر الايات بعد تسكين الريح
لانه المذكور غالبا لعلة عند الجرى وعدمه عند الهلاك الكلى او يجعلها عاصفة فيجب
يوبقهن يهلك السفن اعتبارا بما كسبوا لكنه قليل جدا ويعف عن كثير بمقتضى
رحمته وانما راعى كسبهم على الغالب لئلا يذهب الخوف عن قلوب الناس بالكلية
ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا انا اذا اردنا اسلاكهم ما لهم من محيص
مخلص لا التمسك بولاية ولا غيرها ولا بغير المجادلون بتضمن الزخرف
والجاه على المؤمنين وتوسيعها عليهم فما اوتيتم من شئ مال او جاه فمتاع
الحيوة الدنيا وقد سلبتم متاع الحيوة الابدية وما عند الله خير فى
نفسه واقل وجوه خيريته انه ابقى وانما تحصل لاعدائكم اى للذين امنوا
ولم يثبت ايمانهم بشرك اذ على ربهم يتوكلون ولا ضعف لانهم الذين يجتنبون
كبائر الاثم المضعفة للايمان بالذات والفواحش الصغائر التى يفحش
بها صغائر ولا يزالون يتقون حتى انهم اذا ما غضبوا هم يغفرون
وقد قوى ايمانهم بالتكاليف الشرعية لانهم الذين استجابوا لربهم اوامره و
نواهيه فلا يفتقهم جسامهم ولا يحدهم حيث نهاهم وتمت لهم تلك الاستجابة
اذ اقاموا الصلوة سيما بالجماعة الموجبة اجتماع قلوبهم وقد راعوه خارج
الصلوة ايضا اذ امرهم شورى بينهم فلا يعملون برأى حتى يجتمعوا عليه هذا
فى الاعمال البدنية واما المالية فيراعون جميع حقوق المال اذ مما رزقناهم
ينفقون فى جميع سبل الخيرات واما الاخلاق فهم الذين اذا اصابهم
البغى درأوا العفو عنه مضعفا للاسلام هم ينتصرون لاعلاء كلمة الله لا لا
والانتصار لنفسه وان كان جائزا فهو جزاء سيئة وجزاء سيئة سيئة لانه
مثلها لا فى الصورة وحدها بل فى المعنى ايضا من حيث النسبة الى النفس
على انه ادنى من العفو فمن عفى ولم ينتصر عليه بل زاد جزاء اذ اصلح ما بينه
وبين اخيه من مفسدة الحقد والغل فاجره على الله الذى راعى بيانه

بعفوه واصلاحه وقد تخلق باخلاقه لكنه لا يعفو عن الظالم ولا يصلحه لانه
نوع محبته له انه لا يحب الظالمين والمنتصر لنفسه وان فعل سيئة فليس
بظالم لا يحبه الله بل لمن انتصر بعد ظلمه بعدما ظلمه صاحبه فاولئك ما عليهم
من سبيل لبغض الله وغضبه حتى يرتفع محبته الاصلية عنهم انما السبيل
المنكوس فى الظالمين على الذين يظلمون الناس الذين هم بنيان الله يتعدون
حدوده اذ يبغون بغيا على عباد الله مع كونهم فى الارض لا باذن
الله بل بغير الحق فعليهم سبيل للغضب الالهى وبغضه وما يترتب عليه اولئك
لهم عذاب اليم من حمل معاصى المظلومين عليهم ونقل اعمالهم الصالحة
اليهم والمظلومون وان حصل لهم ذلك لو تركوا الصبر والعفو فلا يبلغون
مبلغ الصابرين العافين اذ لمن صبر وغفر قارب رتبة اولى العزم من
الرسل ان فى ذلك لمن عزم الامور وكيف لا يكون لله سبيل على الظالمين
وقد ضلوا بظنهم ان فى الظلم لهم عظمة ومعاشا والتفصى عنه وان كان
واضحا لم يهتدوا اليه لان من يضلل الله فما له من ولى يهديه من بعده
بعد ثباته على اضلاله وذلك التفصى ان العظمة والمعاش انما يعتد بهما
اذا لم يعقبها مذلة ولا شدة وههنا يحصل الشدة بحيث ترى الظالمين
لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد الى الدنيا بعد لقاء الله والرجوع
اليه من سبيل والمذلة بحيث تراهم يعرضون عليها على النار خاشعين
متذللين مما لحقهم من الذل ينظرون الى النار بحيث نظرهم من طرف
خفى من تحريك لاجفانهم ضعيف على ان المعاش انما يعتد به لو لم يقابله
خسران وقد قال اعداؤهم الذين امنوا شماتة بهم ان الخاسرين هم الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة ولا ينقطع بانقطاعه بعد طوله الا ان
الظالمين فى عذاب مقيم ابدا الابدين كيف وما كان لهم من اولياء فى القيمة
ولا بعدها ينصرونهم بالتخليص من دون الله من الزبانية فضلا عن اثابة

ولا يكون لهم مخلص يتدبر انفسهم لان من يضلل الله فما له من سبيل يسلكه
للتخلص عنه وليس ذلك لعدم السبيل اصلا فقد وجد اصل الاستجابة قبل
الموت استجيبوا لربكم بهدايته سبيله لا باضطرار بل من قبل ان يأتي
يوم تضطرون فيه للاستجابة لا مرد له من الله لترجعوا الى عالم الحجاب الذي
تعودون فيه الى اختياركم ولا تندفع اضطراركم بملجأ اذ ما لكم من ملجأ
تفرون اليه يومئذ لان كل ملجأ فيه راجع الى الله وما لكم من نكير ينكر على الله
في مؤاخذتكم فان اعرضوا عن دعوتك الى استجابة الله ليسلك لهم سبيل الهدى
المتيسر لهم كانها تحت قبضهم فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ ما في قبضهم من
سبل الهداية لو قصدوها فلا تلجئهم الى قصدها ان عليك الا البلاغ تبلغ
ما في قصدها من الفوائد وما في اعراضها من الآفات وانما اعرضوا عن
استجابتنا لانهم لا يرون منا نعمة ويرون كل مصيبة انا اذا اذقنا الانسان
منا الا باستحقاقه رحمة فرح بها كانها مقتضى ذاته وان تصبهم سيئة لم يكن مبتداة
منا بل بما قدمت ايديهم كفروا بنسبة الظلم الينا فان الانسان كفور بنسبة
الظلم ونسبة سلب النعمة الينا وكيف يصح نسبة الظلم الى الله فيما تصرف
في ملكه اذ لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء بمقتضى مالكيته ولو تعين
عليه شيء لم يكن على مقتضى مطلق المالكية على ان حاصل المصيبة غالبا منع
فضل النعمة فكما لا يسمى عند منعه الافضل ظالما لا ينبغي ان يسمى في افاضة
المصيبة ظالما وذلك لانه لا يسمى ظالما فيما يقسم من الاولاد وان كان
بعضهم ناقص الحظ جدا فانه يهب لمن يشاء اناثا وهو انقص حظا من بعض
الذكور جدا ونكرهن اشارة الى ان من حقهن التنكير ويهب لمن يشاء
الذكور وهو وان كان اكمل من الاول ناقص بالنسبة الى ما بعده فكما لا ظلم ههنا
فكذا فيما قبل وعرفهم اشارة الى ان من حقهم التعريف بالاتصاف بالكمال
ثم قال او للاشارة بانه كالمقابل للمشيئة اذ لا ترجيح فيه لاحد الجانبين

على الآخر او يزوجهم اي يجمع الموهوبين ذكرانا واناثا قدم الذكور ههنا لانه
لم يظهر ههنا اثر المشيئة الموجب تقديم الاناث اذ لا كراهة فيه لكونه غاية الكمال
ونكر الذكور رعاية للمناسبة ولم يعكس بتعريفهما اشعارا بوجوب الفرار عليهن
من التعريف ثم قال ويجعل من يشاء عقيما لكونه اثر محض المشيئة اذ لا دخل
فيه للهبة اصلا ومع هذا لا يعد ظلما فكيف ما تقدم وليس هذا على سبيل التحكم
بل بتبعية العلم مع القدرة على خلافه انه عليم قدير وبقدرته رفع بعض
البشر الى حد المكالمة مع الله ومع ذلك راعى مقتضى علمه ببشريته وبالهيته
فلذلك ما كان لبشر يعني لو وجد تعلق همته ان يكلمه الله الا وحيا الهاما
بالقاء المعنى في قلبه يقظة او مناما او بطريق الهاتف او على لسان النسخ
مثلا او اسماع كلام النفسي او من وراء حجاب او يرسل اليه من الملائكة
رسولا فيوحي يبلغ اليه كلامه باذنه لا بالاستقلال حتى يحتمل كالاضلال ما يشاء
لا خلافه اذ الاذن بشيء لا شفاها لان رؤيته منعه عن فهم كلامه انه علي
لا يبلغ البشر حد مكالمته شفاها ولا يحتمل سماع كلامه مع رؤيته حكيم في
تبليغ كلامه العلي الى البشر الضعيف روي ان اليهود قالوا له الا تكلم الله
وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى
فانزل الله تعالى ذلك وكيف تكون مكالمة الله مع من تقدمك بوجه اعلى
من هذه الوجوه مع ان وجوههم كان دون وجهك ولم يبلغوا فضلك
لكن كذلك اي على احد هذه الوجوه الثلثة اوحينا اليك يا اكمل الرسل
اكمل الوحي حيث كان روحا نازلا منزلة الروح لما اوحي الى من تقدمك
لكونه من امرنا المنسوب الى مقام عظمتنا لذلك كان معجزا وقد تأكد
امر الاعجاز في حقك اذ ما كنت تدري ما الكتاب ولا ما انزل من اجله
وهو الايمان وان كنت متصفا به فالاتصاف بشيء لا يستلزم العلم
بحقيقته كما لا يستلزم العلم بحقيقة الكفر الاتصاف به بحجب البشرية وان

كات مانعه لك عن رؤية ذلك الروح من امرنا ولكن جعلناه اى الروح من
امرنا نورا لكشف الحجب عن طريق الهداية الينا نهدى به من نشاء من عبادنا
الى المعارف والحقائق بالاطلاع على اسرار اعجازه لمن قبل الهداية منا بالتوجه
الينا ومن لم يكن كذلك امكنك ان تبلغه الى ذلك انك لتهدى الى صراط
مستقيم من الاعتقادات والاعمال والاخلاق المتوسطة الموصلة الى التزكية
والتصفية التى يتجلى بها مرآة القلب فتهتدى الى تحصيل المعارف والحقائق لتوجه
الى صراط الله الموصل الى علمه المحيط لانه الذى له ما فى السموات وما فى الارض و
لا يبعد ان يرجع علم العبد فى هذه المرتبة الى علم الله من وجه الا الى الله تصير
الامور كل بوجه من الوجوه فافهم فانه مزلة للقدم تم والله الموفق والملهم و
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الزخرف

سميت به لدلالة آيته على ان الدنيا فى غاية
الخسة فى نفسها وغاية الحقارة مع زينتها بحيث لا يليق بالاصالة الا لاعدائه
وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلى بجميع
مكارمه فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سورة الرحمن بجعله مبينا لكل ما يحتاج
اليه فى ابواب الدين الرحيم بجمل بيانه باللسان العربى الذى هو افصح
الالسن واجمعها للمعانى حم اى بحكمتنا ومننا او بحلنا للمشكلات ومحونا
للشبهات اى بحكمتنا ومتانة تدبيرنا او بحمدنا ومجدنا والكتاب المبين لكل ما يحتاج
اليه فى ابواب الدين انا جعلناه بافراط حكمتنا ومننا عليكم وعنايتنا بحل
المشكلات ومحو الشبهات وحكمتنا فى ايصال المعارف والحقائق والاحكام
والحكم ومتانة تدبيرنا فى رفع امركم وحمدنا بالانعام عليكم ومجدنا بافاضة المكارم
قرانا جامعا لجميع الفوائد عربيا يسهل تحصيلها لكمال فصاحتها ويسهل فهم
جمع الفوائد فوق ما يسهل فى لغة اخرى لعلكم تعقلون تستعملون عقلكم
فيستخرجون منه الفوائد حسنة وانما فعلنا ذلك لعجزكم عن الوصول اليه بدونه

انه فى ام الكتاب العلم الاعلى الذى يعسر عليكم الوصول اليه لكونه لدينا
اى فى حضرة القرب منا لعلى لا يصل اليه كل مقرب لانه حكيم جامع لانواع
الحكم كلها فلا يبلغه الا الكمل من المقربين لكن جعلنا فيكم قابلية تحصيل ذلك
بواسطة جعله عربيا لكنكم معرضون عن ذلك انهملكم معها فمنكم من منع الفائدة
فنضرب نبعد عنكم الذكر اى الذى يذكركم تلك الحكم التى فى قابليتكم بل نعرض
عنكم صفحا اعراضا كليا من اجل ان كنتم قوما مسرفين فى الاعراض عنادا وعما
فيكم من قابلية الكمالات بزاد اذا فتح ان ولو كسرت فمعناه ان فرض وقوع
اسرافكم الذى حقه ان يكون مستحيلا فرض وقوع المحال ولكن الاسراف
لا يقتضى الاهمال بل ارداف الحجج لذلك كم كثيرا ارسلنا من نبى فيه رد او ا
الحجج الكثيرة فى القرون الاولين ولم تزالوا تزدادون به اسرافا بحيث
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وانما اردفنا فيهم الحجج مع لعدم انتفاعهم
بها لان اسرافهم اقتضى تعجيل اهلاكهم فاهلكنا لاهلاكهم استعدادهم تغلب
القوة الجسمانية على العقلية اشد منهم بطشا قوة ولم يدفع عنهم الاهلاك
وانما يدفعها القوة العقلية ولم يخف عنهم الاهلاك بل مضى تقرر على الكمال
مثل الاولين اى القصة العجيبة الشان فى شدة العذاب عليهم مع غاية
قوتهم فكيف لا يقتضى مثلهم وقد كان استهزاؤهم بالرسل مثلا لانهم استهزءوا
بهم فى الدعوة الى الله مع اعترافهم بانه خالق الكل فانك لئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن الله لانه العزيز الذى يمكنه ان يغلبها
العليم الذى راعى الحكمة فى خلقها ويلزم من ذلك انه يمكنه ان يغلبهم فيهلكهم
وقد اقتضى الحكمة ذلك اذ قد علم اعراضهم عنه واستهزاءهم بمن يدعوهم
اليه وتمهيدهم قواعد العقايد عنه مع علمهم بانه الذى جعل لكم الارض
مهدا وجعلهم الاعمال الصالحة طريق الوصول اليه مع علمهم انه جعل لكم
فيها سبلا لاسبابكم الى تحصيل المعاش والمعاد اولى بذلك فكانه جعلها

يتيسر سبيل الاخرة عليها لعلكم تهتدون و يدعون انزال الوحي من السماء لاحيار القلوب الميتة بالجهل بما يليق بها مع علمهم انه الذي انزل من السماء ماء بقدر بمقدار ما ينفع ولا يضر فانشرنا احيينا به بلدة لكونها كالمحسوسات ميتا فالانسان الميت بالجهل لكونه محلى الكبائر اولى بالاحياء بالعلم وقد دل على الانعام بتلك الاحياء لكونه سببا للمعاش الاخروي حيث جعل دليلا على البعث بانه كذلك تخرجون من القبور يوم القيمة و يدعون الاختصاص بمنصب النبوة مع علمهم بانه الذي خلق الازواج الاصناف المتفاوتة لكل جنس كلها وهذا اعلى اصناف اعلى انواع اعلى الاجناس وهو الحيوان اعلاه الانسان واعلاه الانبياء عليهم السلام كيف و لابد في الحكمة من نبي يهيئ مراكب الوصول الى الله تعالى من العلوم الظاهرة في بر الشريعة و الباطنة في بحر الحقيقة لذلك جعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون و لكونها ليقاس عليها المراكب الاخروية المطلوب فيها الاستقامة جعلت لتستووا على ظهوره ثم لا تعجبوا بانفسكم بل تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه في تسخيرها و تسخير البر والبحر وفي تسخير النفس للاعمال و لا تنسبوا ذلك الى قوتكم بل تقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا من ان يشاركه في القدرة ونحن وان كان لنا وجه من القدرة ما كنا له مقرنين مطيقين و كذا الانسان لا يطيق العمل بنفسه اذ لا يلين له نفسه و لا يندفع الكسل و لا سائر العوارض والعوائق و لا تصفو له الاعتقادات ما لم يقم له ربه عليها البراهين او يكشف له عن الحجب و الشبهات و لابد لنا من مركوب اخروي ليسهل السير الى الله انا الى ربنا لمنقلبون فعلم مما ذكر ان الرسل ليسوا محل الاستهزاء بل هم اولى به فيما استهزؤا به و في غيره اذ قد جعلوا له من عباده جزءا حيث قالوا بولادته للملائكة و لعزير و عيسى عليهما السلام والولد جزء ابيه فلو امكن ان يكون له جزء لم يكن متهاونا

نوع من الانواع المتفاوتة لكل

بالعبودية لكنه كفر من جهتي التجزئة والاستهانة ان الانسان لكفور مبين وقد ضموا الى ذلك اهانة الالوهية سيما مع تفضيل الانسان عليه باعطاء الذكور اتخذ مما يخلق ذكورا كعزير و عيسى ام اتخذ مما يخلق بنات وفي قوله مما يخلق اشارة الى ان المخلوقية تنافي الولادة واصفيكم فضلكم على ذاته بالبنين ولولا هذا التفضيل بالبنين على نفسه كفى بالبنات اهانة في عرفهم لانه جرت عادتهم انهم اذا بشر احدهم بالانثى وهي بشارة بما ضرب للرحمن مثلا لان الولد يماثل الاب وكفى بهذا التمثيل له اهانة ظل صار وجهه مسودا وهو كظيم ممتلئ بالحزن اتجعلونه مثل من لا كمال له اصلا تارة كالاصنام و مثل من لا كمال له في ذاته لكنه يستكمل بالغير اذ ينشؤ في الحلية الزينة وكفى لا عزة به مع فوات الكمال الحقيقي اذ هو في الخصام المناظرة غير مبين ما في قلبها لنقص عقلها فقد جعلتم اكمل الموجودات مثل هذه النواقص و سبب ذلك انهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن الذي جعلهم لكمالهم وكلاء رحمته العامة بناته فجعلوهم اناثا من غير دليل اشهدوا خلقهم فرأوا فهم ما للنساء ستكتب شهادتهم ليلا ينكروها عند السؤال و ذلك لانهم يسألون عنها لا محالة ثم ان من جملة ما يوجب الاستهزاء بهم انهم عبدوا الملائكة مع اعتقادهم هذا النقص فيهم و تمسكوا في عبادتهم بمشية الله اذ قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وانما استدلوا بذلك لانهم ما لهم بذلك اي بطريق الاستدلال من علم لانه انما يتم لو كانت مشيته امرا وانما يقولون بذلك تحسينا لاعتقادهم بذلك انهم الا يخرصون يقولون بالتخمين في كل مكان اآتيناهم على ذلك دليلا عقليا ام آتيناهم كتابا يدل على ان مشيته امر وهو ان كان من قبلهم به مستمسكون مع انه قابل للنسخ لتعلقه بالعبادات الفرعية لا دليل لهم عقلي و نقلي قابل للنسخ و لا غير قابل بل محض تقليد الجهال اذ قالوا انا وجدنا آباءنا على امة طريقة و لا حاجة لنا في سلوك طريقتهم الى دليل يهدينا

انا على آثارهم مهتدون اى من هداية دلائلكم وليس هذا ببدع منهم اذ
كذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير لا مثلها نخوفهم العذاب على
ما هم عليه الا قال مترفوها متنعموها الذين لا تفرغون للاستدلال بالدلايل
لاشتغالهم بشهواتهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون سواء
حصل لنا فيها هداية ام لا تجيزكم بالهداية فى اقتداء الاباء فكيف ببدع قل اولو
منع الزيادة اى اتهتدون بطريقهم ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم
ان كان لهم هداية قالوا لا نسلم ان فى طريقك هداية فضلا عن ان تكون اهدى
انا بما ارسلتم به كافرون وقد اقتدوا بمن كفر برسلنا فانتقمنا منهم مع شكهم
فى كونهم هداة وضلالا فتحيروا بكونه هداية فانظر كيف كان عاقبة اهل الهدى
ام عاقبة اهل الضلال واذا اخذوا مع الشك فى كونه هداية مع الجزم بذلك
اولى بالمؤاخذة وان اصروا على الاقتداء بهم بعد العلم بالانتقام منهم لكونهم
اباء فاولى الاباء بالاقتداء ابراهيم اتفاقا وقد ترك الاقتداء بابيه وقومه فاذكر
اذ قال ابراهيم لابيه مع تقدمه عليه وقومه مع كثرتهم وتقدم جماعة منهم اننى براء
مصدر بمعنى برئ مما تعبدون من جميع معبوديكم لانهم يضلونى الا المعبود
الذى فطرنى فانى لا ابرا منه خوف اضلالى فانه سيهدين الى تحصيل
الكمالات ودفع النقايص ولم يجعل الله هذه الكلمة مردودة عليه بحيث
لم يقبلها احد من اولاده بل جعلها كلمة باقية فى عقبه فلا بد فى عقبه من
يتكلم بها فيسمعها منه الناس لعلهم يرجعون الى مقتضاها لكونها حجة فى
افادة الهداية لكنهم لم يستعملوا بحجتها بل اصروا على كفرهم اذ متعت
هؤلاء وآباءهم على كفرهم بما يهدى للاصنام فعدوا ذلك من حجة الكفر
بافادها لامتداد ذلك مدة مديدة حتى جاءهم الحق اى فوايد الهداية
التى لا تبطل بعارض ورسول مبين لها ولمرشد تلك الهدايا وعباده
معبودهم لما جاءهم الحق الامر الثابت الذى لا يمكنهم رده من الحجج على

المكذبين هل هى عاقبة صح

كم

ذلك قالوا هذا الكلام سحر يرى الشئ على خلاف ما هو عليه ولو وقع بقلوبنا
صدقه لا نؤمن به انا به كافرون وقالوا كيف نؤمن به مع نزوله على من لا
عظمة له لولا نزل هذا القران على رجل كامل من القريتين مكة والطايف
عظيم فيهما بالمال والجاه الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفى ولم
يعلموا ان الشرف الحقيقى التحلى بالكمالات القدسية دون الزخارف الدنيوية
اهم يقسمون رحمة ربك الخاصة التى هى النبوة فيعطونها من شاؤوا لا من
شاء الله وليس لهم ذلك فى ادنى الامور اذ نحن قسمنا بينهم معيشتهم التى
يتمتعون بها فى الحيوة الدنيا التى لا فضيلة لها لو لم تكن مزرعة الاخرة و
لا بعد منا رفع بعض الناس على بعض بفضيلة النبوة ليتخذ غيرهم سخرية
باستعمالهم ما يأمرهم وقد رفعنا بعضهم فوق بعض درجات فى تلك المعيشة
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اى ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فينتظم امرهم و
اذا كان هذا فى ادنى الامور وهى الاموال فاعلاها وهى النبوة اولى اذ
رحمة ربك وهى النبوة خير مما يجمعون من الاموال التى يتخذها بعضهم بعضا
سخريا كيف ولو كان المال منصبا شريفا لم يعط العبيد ولا الاعداء لكنه
لولا كراهة ان يكون الناس امة واحدة متفقة على الكفر بالله لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لتكثر النعم عليه مع كفره بالمنعم فيزداد عذابا لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج مصاعد من فضة عليها يظهرون يرتقون ولبيوتهم
ابوابا من فضة وسررا فيها سررا من فضة عليها يتكئون ونجعل لهم
الاشياء فوق الفضة زخرفا زينة من ذهب وجواهر وكلا دلالة فى شئ
من ذلك على فضيلتهم لانه ان كل ذلك اى لا شئ من ذلك لما الا متاع
الحيوة الدنيا التى تعم الخاصة والعامة فلا خصوصية فيها بل يجب عدمها
على عدم منصب النبوة وانما الذى يدل عدمه على عدم النبوة التقوى
اذ الاخرة عند ربك للمتقين فالنبوة انما تكون لمن كمل تقواه سواء كانت

مثيل

الدنيا صح

عنده ام لا وانما كانت الزينة الدنيوية احق بالكفار لانها تثير ظلمة الاهوية المانعة
من رؤية الحق بحيث تصير صاحبها اعشى ومن يعش فيغفل عن ذكر الرحمن
المانع من تمكن الشيطان بالقلب نقيض نقدر له شيطانا ليلزمه فهو له قرين
فى كل ما توجه اليه وانهم ليصدونهم عن السبيل الموصلة الى الله والى السعادة
الابدية بارادة الاهوية الضارة بمنافع حاضرة وان ضرهما متوهم والمنافع
الاخروية امور موهومة ويحسبون لعماهم انهم مهتدون الى الكمالات
الحقيقية ولا يزالون على هذا حتى اذا جاءنا فادرك غاية عداوته وصده
عن السبيل قال يا ليت اى يا ايها التمنى تعال فانى اتمنى لو ان بينى وبينك بعد
المشرقين اى بعد ما بين المشرق والمغرب اذا خاف فيما دونه ان توقع
فى نوع من التاثير المضر فبئس القرين انت اذ لا يتوقع منك التاثير بالخير
ابدا قال تعالى هذا التمنى انما ينفعكم قبل هذا اليوم ولكن لن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم بقبول ما دعاكم اليه من غير اكراه ولا شبهة تعتبر بها فضلا عن حجة
فلا تحمل عنكم العذاب ولا شيئا منه انكم فى العذاب مشتركون وانما كان
ينفع من كان يسمع الزواجر عن الهوى ويبصر مضارها لكن الشيطان
جعله عن ذلك اصم وقد كان قبله اعمى أ انت بل صممه فانت تسمع الصم او تزيل
عماه فانت تهدى العمى وان امكنك ذلك فى حق من لا يعاند فكيف تسمع
وتهدى من كان فى ضلال مبين من العناد بحيث ان دعوتهم الى الهداية
عادوك فلا تركونه ما لم تنتصر عليهم بالعذاب وان تأخر نصرك عليهم فاما نذهبن
بك فان تحقق توفينا اياك قبل تعذيبهم فانا لنصرك بعد توفيتك منهم
منتقمون او نرينك فى حياتك الذى وعدناهم من العذاب فلا تبعد
فانا عليهم مقتدرون ولا نخلف الوعد مع القدرة عليه فانتقم منهم يوم بدر
واذا تحققنا ما وعدناهم على تكذيبك فهو دليل صدقك فاستمسك بالذى
اوحى اليك كيف ولو لا ذلك لوجب الاستمساك به لاستقامة انك فى جميع

امورك على صراط مستقيم كامل الاستقامة من كل وجه لو لم تظهر استقامته
لوجب عليك متابعته لاختصاصه بشرف الاعجاز وليس هذا الشرف بحيث
لا تعداه بل انه لذكر شرف لك ولقومك ولو تركتم هذا الشرف فلا تسلمون
راسا براس بل سوف تسالون عن تركه كيف وليس فيه ترك عبادة
من توقف رحمة الله على شفاعتهم لانه انما يحق لو امر الله بعبادتهم
اسئل امم من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
للوصول الى كمال رحمته آلهة يعبدون وكيف نرسل رسولا لعبادة الغير
ولقد ارسلنا موسى لمنع عبادة الغير واعتقاد آلهيته ولو ادعى احد ذلك
لم يكن له آية البتة وكان ارسال موسى باياتنا المصدقة له الى فرعون
لنهاه عن الاستعباد وملائه لنهاهم عن العبادة فلم تترك جانبا بهم
الرخصة من وجه فقال انى رسول رب العالمين لبيان ان لا يستحق العبادة
غيره وليس لاحد سواه استعباد لانها حق الربوبية المطلقة وكانوا يعبدون
فرعون من غير دليل وطالبوا موسى بالايات مع ظهور دلايل التوحيد فلما
جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ولم يكن ذلك لقصور بها بل ما نريهم من
آية الا هى اكبر من اختها السابقة عليها واكدنا دلالتها على صدقه اذ اخذناهم
بالعذاب الدنيوى فى ضمنها كالسنين والطوفان وغيرهما مما يلجئ الى الرجوع
ولا اقل من رجائه لعلهم يرجعون ومع ذلك لم يرجعوا بل قالوا حال التجائهم
الى موسى يا ايها الساحر باتيان الايات والعذاب ادع لنا ربك بدعوتك
متوسلا اليه بما عهد عندك من ان لا تعذب من امن بك ليكشف عنا
العذاب فانه اذا كشفه عنا اننا لمهتدون بما تزعم انه الهداية فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم منها ينكثون اى فاجاء نكثهم للعهود من غير تأخر و
لا اعتذار عن النكث نادى فرعون بنفسه اذ لو كان غيره ربما اعترض عليه فى
مجمع قومه لانهم اذا اتفقوا عليه لم يعتد بمخالفة من عداهم قال يا قوم الذين جمعهم

هم

ترجيح قوله لو عارضه شي لو دلنا بآية موسى على صدقه فقد ظهر كذبه في قوله
اني رسول رب العالمين لخروج ملك مصر عن ربوبيته أليس لي ملك مصر وليس
باعتبار الظاهر فقط بل في الباطن ايضا اذ هذه الانهار انهار النيل
ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من امري
الى حيث شئت فهي تجري تحت ربوبيتي في الباطن ايضا أفلا تنكرون ذلك
وهو محسوس فلا تبصرون ثم ان رسول رب العالمين يجب ان يكون اعز
الخلايق وخيرهم أهو اعز وخير مني أم انا خير بهذه العزة وهذا الملك
من هذا الذي هو مهين ليس له شي من الملك ولا يعزه الناس وليس فيه
ما يوجب العزة من كمال البيان اذ لا يكاد يبين شيا من مقاصده لثقل في
لسانه ثم ان رسول المكرم لا يخلو من زينة وحشم تقدر عظمة المرسل فلولا القي
عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين يعينونه ويصدقونه
فاستخف قومه فلبس على قومه بهذه المغالطات طلبا لخفتهم في طاعته فاطاعوه
وان لزمهم الخروج عن طاعتنا سيما نكث العهود انهم كانوا قوما فاسقين عن طاعتنا
اولا ثم ازدادوا فسقا حتى اغضبونا فلما آسفونا اغضبونا بطاعة عدونا وقبول
مغالطاته بلا دليل وتكذيب موسى وآياته وندائه بالساحر ونكث العهود
انتقمنا منهم في الدنيا فاغرقناهم اجمعين لاستغراقهم في بحر الضلال فجعلناهم
سلفا حجة للهالكين بعدهم ومثلا عبرة للآخرين اي الناجين ولولا احد الامرين
كان الاولى تاخير عذابهم الى يوم القيمة لئلا يخفف عنهم بالعذاب الدنيوي عذاب
الآخرة وكما استخف فرعون قومه فاطاعوه استخف عبد الله بن الزبعرى قومك
فاطاعوه مع ضعفه فانه لما ضرب ابن مريم اي جعله ابن الزبعرى مثلا للاصنام
التي تصير حصب جهنم لكونها معبودة اذ عبدته النصارى اذا قومك منه يصدون
يضجون فرحا او يعرضون عن دلايلك بمجرد هذه المغالطة وغاية ما قرروا فيها
انهم قالوا أآلهتنا التي هي حصب جهنم عندك خير ام هو ولا شك انه خير عندك

فاذا جوزت في الخير كونه حصب جهنم فهي اولى فلا عبرة بقولك وهو مع
هذه المبالغة كلام في غاية السقوط لانهم ما ضربوه مثلا ليكون
نافضا لك الا جدلا بطريق المغالطة لظهور الفرق بين المقيس والمقيس
عليه اذ الاصنام لا تتالم في النار وهي تزداد عابديها عذابا وعيسى يتالم بالنار
مع ان غاية كونه معبودا انه سبب وهو انما يوثر لو لم يكن معه مانع وقد منع
سبق العدة الحسنى لعيسى عليه السلام فهذه مغلطة من هذا القايل رضي بها
قومك لا الالزامك بطريق التحقيق بل بطريق المغالطة اذ هم قوم خصمون ثم انه
وان كان خيرا من الاصنام لم يكن فيه شي من الالهية ان هو الا عبد غاية كماله
انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه في كمال نبوته مثلا اي كالمثل السائر لبني اسرائيل
فاتخذوه الها و لا الهية بذلك بل غايته الملكية التي يجوز عمومها للناس بحيث
لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة مع كونكم في الارض كانهم يخلفون يكونون بدلكم و
كيف لا يكون ملكية وانه لعلم للساعة اي من اشراطها تنذر بقربها والشر المحض
لا يبقى الى هذه المدة لكن هذا البقاء ربما يوهم الالهية فلا تمترن بها بملكيته
يجعلونها آلهة ولا تتبعوا اهل ملته في ذلك بل اتبعوني في القول بنبوته و
صيرورته الى الملكية هذا صراط مستقيم لتوسطه بين افراط القول بالالهية
وتفريط القول بكونه ولد الزنا ولا يصدنكم الشيطان عن هذا الصراط
بانكم خالفتم اجماع من تقدم لان اهل ملته يقولون بالهيته ومخالفوه يقولون
انه ولد الزنا انه لكم عدو مبين يامركم باتخاذ شريك لله او باستهانة نبي و
كيف ياخذ بقول اهل ملته مع مخالفتهم ما نص عليه فانه لما جاء عيسى بالبينات
المنافية لقول اعدايه لم يدع الالهية لنفسه بل النبوة اذ قال قد جئتكم بالحكمة
لابين لكم الحقايق التي لم يظهر من كتب الاولين ولابين لكم بعض الذي
تختلفون فيه فيكفر بعضكم بعضا فاتقوا الله ان تكفروا بربا او تقولوا ما يودي
الى الكفر واطيعون فيما آمركم به من صواب الاعتقاد والعمل وان كان

فيه لبعض الاعمال فلا يعد فيه ان الله هو ربي وربكم فله ان يأمركم امرا
ويأمرنا بخلاف ذلك فاعبدوه هذا القول بشرى دون الآتي وكونى
دليل الناس صراط مستقيم لا افراط فيه بالشرك ولا تفريط باستهانة الانبياء
عليهم السلام واذا كان هذا قول عيسى فلا عبرة باجماع من خالف صريح نصه لان
حجية الاجماع انما ثبت بالكتاب والسنة فلا عبرة بما خالفهما على انهم مختلفون
فيه وان اتفقوا على ان الصواب لا يخرج عما قالوا لم يجوزوا احداث قول
آخر في الاصح على انه اختلاف لا سند له فاختلف الاحزاب اختلافا ناشئا
من بينهم لا من قول الله تعالى ولا من قول عيسى فيجوز احداث الزايد بلا
خلاف على ان الاجماع انما يعتد به لو لم يكن اهله ظالمين للعباد اذ لا يجوز
الاخذ بقولهم لانه موجب للتعذيب فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم
هو يوم القيامة جهنم من شدة الاهوال وكثرة الفضائح فظلمهم ترك
النظر في الدلائل العقلية والنقلية هل ينظرون لظهور الصواب لو كانوا
طالبيه الا الساعة ان تأتيهم مبينة لهم الصواب اذ لا يعارض بيانها
شيء ولا يعرض له شبهة لكنه لا يفيد لانه انما يستفيد من كان مؤمنا به قبلها
ولا شأني لمنتظري الساعة ذلك لانها تأتيهم بغتة ولا يكون اتيانها كساير
الامور المفاجئة مع نوع من الشعور قبله بل بحيث هم لا يشعرون بها بوجه
من الوجوه وظهور الصواب وان كان ملذا ههنا ينقلب مولما من حيث
ظهور الخطأ وصيرورته ملذا قبل ظهور حاله فهو كالخلة ينقلب مولما
هناك اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اذ كان بعضهم يدعو بعضا
الى الذات ينقلب هناك آلاما الا المتقين فانهم لما دعا بعضهم بعضا الى
ما ينقلب هناك لم يزل ملذ بهم خلتهم بل يزداد كالذي كان على الصواب ههنا
ملتذا بصوابه هناك اكثر وكيف كان بين المتقين عداوة مع انه دون التقوى
وهي عبادة الله مع الايمان والانقياد لشرايعه رافع للآلام موجب لانواع

الملاذ اما رفع الالام فلانه يقال لهم يا عباد الذين عندي لا خوف عليكم
من الالام اليوم بالنسبة الى الحال والاستقبال وان كان يوم الشدايد
والاهوال ولا انتم تحزنون بالنسبة الى الماضي بما فرطتم وانما خصص
ذلك بمن هو عباد سائر الامم لاختصاصكم بالايمان والاسلام لانكم
الذين آمنوا في الباطن بآياتنا وكانوا مسلمين منقادين في الظاهر وكيف
لا يكون ذلك سبب رفع الالام مع انه سبب دخول الجنة ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم وان قصر ايمانهن واسلامهن من فضل عقلهن لكن بتبعيتكم
تكميلا لسروركم اذ بهن تحبرون تسرون من كل وجه وقدر بعد كمال سرورهم
لذلك يطاف عليهم بصحاف قصاع من ذهب مملوءة بالوان الاطعمة واكواب
كيزان لا عرى لها مملوءة بانواع الاشربة ولا تقتصر على ذلك بل فيها جميع ما تشتهيه
الانفس من الاصوات الحسنة والروايح الطيبة وتلذ الاعين من الجواهر
المشرقة والصور الجميلة فيجتمع لهم انواع الملاذ ولا ينكدر بتوهم الانقطاع
اذ يقال لهم انتم فيها خالدون لا تخافون زوال شيء منها كيف ولا ينقطع
ثواب الاعمال المناسبة لذلك يقال لهم تلك الجنة وان كانت هي التي اورثتموها
بما كنتم تعملون فليست بقدر اعمالكم اذ لكم فيها فاكهة كثيرة وكثرة غير متناهية
لا يمكنكم اكل جميعها بل منها بعضها تأكلون وكيف لا يكون الاخلاء بعضهم
لبعض عدوا اذا لم يكونوا متقين مع انهم يعذبون بالنار على معاصي
حصلوها من خلتهم سيما الكفران ان المجرمين في عذاب جهنم بدل لذات الجنات
للمؤمنين خالدون خلود المؤمنين في لذات الجنات والعذاب وان لم
تزايد تزايد الجنات يكفي فيه كونه لا يفتر لا يخفف عنهم ولا يرجون تخفيفه
اذ هم فيه مبلسون وما ظلمناهم بتبديل لذات الجنات بهذا العذاب المخلد
على اعمال قليلة ولكن كانوا بتلك الاعمال سيما الكفر هم الظالمين لانهم عادوا
الله والملك اذا اظفر بعدوه قتله لكن القتل ههنا نجاة فعوض بهذا العذاب

ولكمال ظلمهم لا يجدون هذا القتل المعوض عنه وان يستغيثوا فيه بقائلهم
بالعذاب اذ نادوا يا مالك سل ربك ان يفعل بنا ما يفعله الملوك باعدائهم
قال انما لا يفعل لانه نجاة ولا نجاة لكم انكم ماكثون في عذابه وكيف لا يمكثون فيها
وقد كفرتم بما لا ينقطع من الحق فانا لقد جئناكم بالحق من الاعتقادات التي
لا ينقطع معتقدها ولكن اكثركم قطعوا اعتقادهم عنها اذ اكثركم للحق كارهون
لصعوبة اعتقاده عليهم لمخالفته مالوفهم ولكن لا وجه لكراهته بعد قيام الدلائل
على حقيته ازددوا في حقيته ام ابرموا فقطعوا امرا لا ينقطع من الاعتقاد الفاسد
فسواء ترددوا او جزموا فانا مبرمون قاطعون بالعذاب عليهم ايحسبون انا
لا نواخذهم على الاعتقادات لكونها بواطن والملوك لا يواخذون بها ام
يحسبون انا انما نواخذهم بها لو علمناها لكن لا نعلمها لانا لا نسمع سرهم ونجواهم
ما يناجي به بعضهم بعضا بلى نسمعها ونشهد عليها الملائكة اذ رسلنا لديهم حاضرون و
لا يمكنهم تغليظهم اذ يكتبون ما يجري على ظواهرهم وبواطنهم فان زعموا ان هولاء الرسل
اولاده فان انكرتم ولديهم كتبوا عليكم قل انما يكتبون ذلك لو كانوا اولاده
لكنهم ليسوا كذلك ان كان للرحمن الذي رحم باعطاء الاولاد والاموال وسائر
النعم بجزء ولد فانا اول العابدين اي السابق في عبادته لانه رحمني اكثر مما
رحم بجزئي فانا اولى بطلب مرضاته التي لا يحل الا برضا اولاده الذي
لا يتم بدون عبادتهم لو كانوا لكنهم لو وجدوا لكانوا في عالم الاجسام فانه
تنزه سبحان رب السموات والارض رب العرش المحيط بالاجسام عما يصفون
من ان له ولدا في عالم الاجسام مع انها اخس الموجودات فذرهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا بدينهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون لجزائهم على خوضهم
ولعبهم وكيف يكون له في عالم الاجسام ولد وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله فلو كان له هناك ولد لاجتمعت الالهية مع الالهية وهو موجب للفساد
وهو الحكيم الدافع للفساد الا ان يخفى عليه لكنه لا يخفى عليه لانه العليم ولو لم



يكن فيه فساد للاتفاق بينهما لكان فيه نقص الولاية لكن تبارك تعاظم بكمال
الولاية الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وسيظهر كمال ذلك يوم القيمة
وانما خفي على من خفي لخفائه اذ عنده علم الساعة ولكنه في معنى التجلي اذ لا بد لكم من
الرجوع الى من هو اله لكن اليه لا الى غيره ترجعون فان زعموا ان اختصاصه
بالرجوع اليه لكونه اعظمهم ومن دونه وان لم يملك ملكه يملك الشفاعة عنده يقال
لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة عنده الا من شهد بالحق على نفسه
فلم يدع الالهية لنفسه وهم يعلمون حال المشفوع له انه موحد والا فكيف يشفع
للمشركين بالله مع علمه بان الشرك لم يخلق شيئا والله تعالى خلق الكل فانك
لئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يوفكون يصرفون الى القول بانه
يشاركه من لا يخلق شيئا ولو شهدوا بتوحيد المشركين لا يملكون ان يدفعوا
قيله اي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب يا من رباني فجعلني
الكمل منهم فلا يعارضون قولي بقولهم ان هولاء قوم لا يومنون بالتوحيد
والرسالة واليوم الاخر هذا على قراءة النصب وقرئ بالجر على تقدير لا يملكون
دفع قيله على نية المضاف وبالرفع على حذف الخبر اي قوله المذكور دافع لشهادتهم
فان اصروا بعد هذا البيان فاصفح اعرض عنهم وقل للناس عن مجادلتهم
سلام اودعكم به وهم وان كانوا تحت يعجز عن تعلمهم فسوف يعلمون ما يقول
لهم فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الدخان

سميت به
لدلالة اية على انه جزاء غشيان ادخنة النفوس الخبيثة بصاير قلوب
اهلها وارواحهم ولذلك راوا الدلايل بشبهات الشيطان وجعلوا المنزل
منهما مجنونا وان القران كاشف عنه ككشف الدخان المخصوص عنهم
بسم الله المتجلي باسمائه الحسنى في كتابه سيما في مقطعات
فواتح سور الرحمن بانزاله في ليلة مباركة للانذار المصلح للافعال العامة

الرحيم يفرق كل امر حكيم فيه برحمة الخاصة لتكميل الخواص اى اقسم باسمى الحكيم المتين او الحميد المجيد او الحسيب المقيت او الحنان المنان والكتاب المبين لمقتضيات اسمائه الحسنى انا انزلناه لان اسمه الحكيم يقتضى انزال ما يتضمنه الحكمة على من يستعد لها والمتين يقتضى انزاله لتقوية العقلية والحميد يقتضى اظهار كمالاته بالمظاهر الكاملة الموجبة اقصى المحامد والمجيد يحسن اعتقادا وعملا ولا يتانى الا بانزاله والحسيب يقتضى انزال ما يكفى فى اقامة الدلايل ورفع الشبه والمقيت يقتضى انزال ما يصير قوت الارواح والقلوب والحنان ما يوصل الى الرحمة الاخروية والمنان ما يقتضى المنة بافادة السعادة الابدية والنجاة عن الشقاوة الابدية فى ليلة اذ اسمه الحكيم يقتضى نوع ستر ابقاء للتكليف والمتين يقتضى تقوية الباطن اذ لا يعتد بتقوية الظاهر وحده والشىء انما يحمد لوعم حسنه الباطن والمجد الباطن اكمل من الظاهر والكفاية يقتضى تعميم الظاهر والباطن والقوت الروحانى الباطنى اتم ولطف الحنان المنان انما يتم لوعم الباطن مباركة كثيرة الخير لتناسب الحكمة التى هى الخير الكثير والمتانة دوام فى القوة التى هى الخير المحض والكمالات التى تحمد عليها خيرات كلها والمجد اعظم ابواب الخير والكفاية انما تعتد بها لو كانت من كثرة الخير والقوت الروحانى خير من الجسمانى والحنان والمنان لا يخفى كثرة خيرهما فهى تناسب من الاسماء كلها انا كنا منذرين من خالف مقتضى الحكمة ومتوة الدلايل واختار المذام وتذلل للهوى والغضب فلم يكتف بهداية الله ولم تقت روحه بقوت معارفه ولم يستوجب حنانه وكيف لا تكون مباركة مع ان فيها يفرق يفصل ما اجمل فى الالواح العالية كل امر حكيم يقتضيه الحكمة على وجه متين محمود عند ارباب المجد محسوب عند الكمل تقتات بها ارواحهم وترحم بها قلوبهم ويمن بها على نفوسهم وانما كان كذلك لكونه امرا من عندنا بمقتضى من الاسماء بفضله الملكية المتعلقة بهذه الاسماء بعد نزولهم الى الارض بها انا كنا مرسلين



اجل الملكية بمصالح العباد كجبريل عليه السلام لعظم رحمتنا لكنها رحمة من ربك الذى عمت رحمته كل شىء ولكن يخصص كل شىء بقدر استعداده انه هو السميع لدعوة حقايق الاشياء بمقتضياتها العليم بمقادير قابلياتها ولا يبعد عليه الارسال والانزال والظهور بهذه الاسماء لانه رب السموات والارض وما بينهما تعلمون ذلك ان كنتم موقنين اهل اليقين من الاستدلال بالاثر على المؤثر او من المؤثر على الاثر وكيف لا يرسل اليكم ولا ينزل عليكم وهو لا اله الا هو وقد اشركتم وبطل شركهم انه يحيى ويميت من غير مانع ولو نسبتم ذلك الى الاوضاع الفلكية التى لا مانع فيها وجعلتم كواكبها آلهة وجعلتموها ملائكة يقال انه ربكم ورب ابائكم الاولين الذين لا يخلون عن انسان كامل لا يبلغ اليه الفلكيات لكن لا يعرفون هذا الكمال فى حق الانسان بل هم فى شك لا يعتقدون هذا الكمال فى الانسان ولا فى ربهم اذ لا ينظرون فى الحقايق بل يلعبون باملها وقد لا يلهم يغشيان اذ خبثه اسوة نفوسهم بصاير قلوبهم وارواحهم فارتقب انتظر لمجازاتهم يوم تاتى السماء من امساك امطارها الموقع فى الجوع العظيم الممثل بدخان مبين محسوس يغشى الناس من غلبة الجوع عليهم وذلك ان قريشا لما استصعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد واكلوا الجيف وكان الرجل يرى من الدخان ما يحول بينه وبين صاحبه فيسمع كلامه ولا يراه فقال لهم هذا عذاب اليم على الكفر قبل يوم القيمة فيقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقرون بالايمان عند كشف عذاب القحط الاتى بالدخان قال تعالى انى لهم الذكرى اى من اين يتذكرون هذا الوعد عند كشف العذاب عنهم ولم يتذكروا بالدلايل الرسول فانه قد جاءهم رسول مبين للعذاب الاكبر على الكفر يوم القيمة بالدلايل التى هى اعظم دلالة عليه من هذه البلية فراوها منه وسمعوها ثم تولوا اعرضوا

عنه وقالوا في الاعتذار انه معلم يعلمه الشيطان من الشبهات ولا يدري
انها شبهات وان معلمه الشيطان منع الشبهات لانه مجنون انا كاشفوا
العذاب المذكور عنكم اياما قليلا اظهارا لاخلافكم الوعد انكم عايدون
الى الكفر بعد كشفه لكن نفعل ذلك ليكون حجة عليكم اذا طلبتم كشف عذاب
الاخرة لانا ننتقم منكم يوم نبطش البطشة الكبرى بطشة يوم القيمة انا
منتقمون مستمرون على انتقامكم بهذه الحجة ومما يدل على الانتقام يوم البطشة
الكبرى بعد الدخان انا لقد فتنا قبلهم بالسنين ونقص من الثمرات و
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قوم فرعون ولم يكن ذلك
من الابتلاء العام لوقوعه عقيب تكذيب الرسول اذ جاءهم رسول كريم
يستحيي من الكذب فامرهم ان ادوا الى عباد الله الذين استعبدتموهم
بطريق الغصب اني نافع لكم بدفع غضب الله عنكم والاداء اليّ اداء الى
الله لاني رسول امين لا اطمع في استعبادهم بعدنزعهم من ايديكم ونهاهم
ان لا تعلوا على الله بانكار ربوبيته ودعوى الربوبية لانفسكم وتكذيب
رسله وغصب عباده اني اتيكم بسلطان مبين حجة واضحة على ربوبية
الله ونفي ربوبيتكم وعلى رسالتي وعلى ان بني اسرائل عباده الخاصة
ومما دل على ذلك عجزكم عن قتلي ورجمي مع قدرتكم عليه في حق مثلي ولا
مانع في حق سوى استعاذتي اني عذت بربي بعصمني منكم وربكم ليمنعكم
من ان ترجمون مع انه لا يعصم من افترى عليه ولكن مكنكم من اذاي
لتضعيف العذاب عليكم ان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فان ايذائي سبب تضعيف
العذاب عليكم فاذوه فدعا ربه الذي رباه بالنبوة بالنصر ان هولاء مع
قرب شانهم قوم مجرمون قائمون على ترك الايمان فلا وجه لامهالهم
فقيل اذا طلبت مواخذتهم فاسر بعبادي اذ سبب بني اسرائل ليلا لحيث
يتم خروجهم قبل الفجر انكم بعد الفجر متبعون يتبعكم قوم فرعون فلو خرجتم نهارا

ادركوكم قبل ان تدخلوا البحر اما اذا خرجتم ليلا يمكنكم ضرب البحر بالعصا ويريكم
طرقا يبسا يمكنكم العبور بسهولة واترك البحر رهوا مفتوحا ذا الفجوة واسعة
ليدخلوه فيغرقوا انهم جند مغرقون وانما اهلكوا بالغرق دون شيء آخر
ليحصل ملكهم لاعدايهم فانه اشد عليهم لذلك كم تركوا من جنات
بساتين وعيون يسقي بها ويشرب منها ويتنعم بالنظر فيها منها في التفكه و
التنزه ونزوع في الفوت ومقام كريم محافل مزينة يتمتع بسمعها وباكل
الفواكه والفوت فيها ونعمة تنعم بالنسوان كانوا فيها فاكهين متنعمين تنكحا
الكل كذلك من غير تغير فيها ولكن غيرنا ملاكها اذ اورثناها قوما آخرين
قاموا على معاندتهم ومضادتهم لم يرثوهم بنسب ولا سبب لذلك لم تحزنوا
عليهم حزن الوارث على الموروث بل لم تحزن عليهم شيء فما بكت عليهم السماء
والارض بخلاف المومن فان موته سبب خراب العالم وكانت عبادته سبب
شرف موضعها من الارض ومصعدها من السماء كيف والحزن انما هو
لفوات الخير ولا خير فيهم والا لانظرهم الله ولكن ما كانوا منظرين للتوبة و
كيف يكون في موتهم حزن وبكاء وقد كان موجبا لفرح الباقين فانا لقد
نجينا باهلاك قوم فرعون خيار الناس بني اسرائل وفي فرحهم فرح
الباقين فرحا كليا اذ كان فرحهم بالنجاة من العذاب المهين ومع ذلك خلاص
باخس وجوه الخزي وهو اشد من الحبس والنجاة من فرعون كافية في ذلك
انه كان عاليا يستكبر على خيار الناس مع انه من المسرفين في ايذائهم وانما
كانوا خيار الناس لانا لقد اخترناهم بجعلهم على علم فضلوا به على العالمين
من اهل زمانهم وزدناهم احسانا وتفضيلا اذ آتيناهم من الآيات
المعجزات والكرامات ما فيه بلاء مبين حجة واضحة على اعدائهم فان زعموا ان
مثلهم قوم فرعون غير صحيح لانهم نفوا ربوبية الله وصولا ولم ينفوها تعالى
ان هولاء ليقولون دوام ربوبية الله عليهم لنفيهم حشر البعث وحقوق القيمة انهم

ليقولون ان هي ما عاقبة امرنا الا موتتنا الاولى فى الدنيا وان كان بعدها
حيوة ما نحن بمنشرين فان ادعيتم هناك عذابا فاتوا بآبائنا احياء بعد
الموت ليشهدوا لكم بما تشهدوا من ذلك ان كنتم صادقين اذ هي معجزة
ناطقة بصريح التصديق من شاهدي المدعي فان سلم انهم ليسوا كموتى معرفون
فيكفي فى ذلك انهم كقوم تبع اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم فانهم
وان لم ينفقوا بزعمه الله اهلكناهم على اشراكهم وتكذيب الرسل انهم كانوا
مجرمين لجرمهم يقتضي الاهلاك بعنادهم لله بالاشراك وتكذيب رسله وتبع
اسم ملك حمير ككسرى وقيصر لملك الفرس والروم والمراد ابو كرب اسعد
مثيل امن نبينا صلى الله عليه وسلم قبل بعثته اذ دخل المدينة واراد تخريبها
فنهاه عنه كعب واسد من احبار بني قريظة بانها مهاجر نبي اخر الزمان
ونوى تخريب الكعبة فلما دنا من اليمن قالوا لا تدخلها فارفض دينا فاله
انه خير من دينكم فحاكموا الى نار كانت باسفل جبل لهم يوذي الظالم ولا تضر
بالمظلوم وخرج الحبران ومصاحفهما فى اعناقهما وخرجوا باوثانهم فقعدوا
عند مخرج النار فخرجت فاكلت الاوثان ومن حملها من رجال حمير ولم تضر
الحبرين فرجعت النار الى معدنها فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن
فكيف يترك اهلاك المجرمين وبه يبطل فائدة الاستدلال بالسموات و
الارض على الله تعالى فاما ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
بل للاستدلال من غير ان يكون له عاقبة اثابة او معاقبة واما ان كان
افعالنا غير معللة بالاغراض ما خلقناهما الا بالحق بالحكمة وان لم يكن داعية
لنا الى الفعل لكن تفضلنا بها ولكن اكثرهم لا يعلمون هذا التفضل فيعرضون
عنه ويستحقون به العقاب لكن لا يبالون به لانه ليس بمعجز اذ لا يكون قبل
الفصل والعقل وان كان فاصلا فهم لا يبالون بفضله وانما ينتظرون
الفصل الفعلي ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين فلا سبقة ثواب لبلا

وما لعبنا بهما
الاستدلال به



يميل اليه الكل ولا عقاب لئلا ينفر عنه الكل ولا يبطل فضله بعنايته المولى لانه
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا من مقتضيات الفضل باعطاء ثواب
وحمل عقاب ولا هم ينصرون بشفاعة شافع الا من رحم الله بالايمان
فانه ربما ينصر بشفاعة الشفعاء بمقتضى اسمه الرحيم كما انه قد يعذب بمقتضى اسمه
العزيز وقد اجتمعا فى التجلي عليه انه هو العزيز الرحيم فعصيانه من حجاب
العزة والايمان من نور الرحمة واما الكافر فمحجوب من كل وجه بحجاب العزة
فلا يتجلى عليه اسم الرحيم بما يغنيه به عن الجوع والعطش فضلا عن غيره ان شجرة
الزقوم بثمارها واشجارها واغصانها طعام الاثيم اي الذي جميع اعماله اثم
وان كان فيها طاعات لعدم ايمانه ومن تجلي قهر العزة عليها صارت فى
شدة الحرارة كالمهل دردي الزيت او ذائب الفضة والنحاس هذا قبل
الدخول فى البطون فاذا دخلتها ولحقها نارها يغلي فى البطون كغلي
الحميم الماء الحار عند انتهاء الغليان ومن الشجرة فى اطراف جهنم فاذا امتلا
منها بطنه تعالى للزبانية خذوه فاعتلوه ادفعوه بعنف الى سواء الجحيم
وسطها لان النار هناك اشد ثم اذا استغاث للشراب صبوا صب المطر
فوق راسه ليستوي فى جميع اجزاء بدنه نصيبها من عذاب الحميم هذا من العذاب
الحسي ويقال له بطريق التهكم ذق انك انت العزيز الكريم ليحصل له العذاب
العقلي ويزاد فى تحسرهم بقوله ان هذا ما كنتم به تمترون تشكون مع ظهور
دلايله ثم يزاد تحسرهم بفوات النعيم من كل وجه وحصوله لاعدائهم بان
تعالى ان المتقين اي الذين وقوا انفسهم عن الكفر والمعاصي فى مقام امين
لا يفوتهم شيء من اللذات التي آثرتم الدنيا لاجلها كما لا يفوتكم شيء من
العذاب الذي لم تحملوا ادناه فى الايمان فى باب الاكل والشرب فى جنات
وعيون وفى باب اللباس يلبسون من سندس واستبرق ما رق من الديباج
وغلظ وفى باب الصحبة يكونون متقابلين كذلك لا يتغير نعمهم بذلك كيف و

فيه

لم يتغير تنعمهم بذلك بان ازواجهم اذ زوجناهم بحور عين والكل يتنعمون بتلك
النعم يدعون فيها اي يطالب بعضهم بعضا في تلك الحالة بكل فاكهة آمنين على
ازواجهم في اخذهن الفواكه من اصحابهم واعطائهن اياها لهم اذ لهم الامن
الكلي حتى انهم لا يذوقون فيها الموت الا ان يذكروا الموتة الاولى ولكن
لا يتألمون بها لما تلذذوا بالنجاة اذ وقاهم عذاب الجحيم بل انقلب لهم الم
الموت لذة فضلا من ربك ذلك الفضل بقلب الالم لذة هو الفوز العظيم
ولا يبعد هذا التفضل بطريق القلب فانه لاجله كالقلب للصفة الالهية حروفا
عربية بيسر الفضل عليكم فانما يسرناه بتنزيله الى عالم الشهادة بلسانك لعلهم
يتذكرون منه الفوائد الجليلة للمؤمنين والالام القطيعة للكفار فان لم
يتذكروا فارتقب انهم مرتقبون عكس ما ترتقب بل عكس ما تقتضيه العقول
ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الجاثية

سميت بها
لتضمن انها بيان سبب تاخر البعث الى يوم القيمة لاجل اجتماع الامم محاكمة
الى الله تعالى وفصله بينهم يوم القيمة وهي من المطالب الشريفة في القران وتسمى
سورة الشريعة لتضمن انها نسخ منه الشريعة سائر الشرائع وفضلها عليها وهو
ايضا من المطالب العزيزة فيه بسم الله
المتجلي بجلال عزته وجمال حكمته في كتابه بيتا في مقطعات فواتح سور
الرحمن باظهار آياته في السموات والارض لعامة المؤمنين الرحيم باظهار
آياته في الانسان وما ينتفع به لخاصته حم اي حاوي الحجج وماحي الشبه او حاوي
الكمالات ومزيل النقايص او حاوي السعادات ومحرق الشقاوات
او حاوي النظر وممهد الفكر تنزيل الكتاب المتصف بهذه الاوصاف من
الله المفيض لهذه الامور باعتبار اسميه العزيز الحكيم لعزته يقتضي افاضة
الحجج التي بها الغلبة على الخصوم وافاضة الكمالات التي بها الوصول اليها

وانواع السعادات وحدوه النظر والحكمة تقتضي محو الشبه وازالة النقايص واحراق
الشقاوة وتمهيد الفكر وفيه تنزله من مقام عزته بمقتضى حكمته لتكميل القوة النظرية
والعملية ليتوسل بها الى الكمالات الحقيقية من الايمان والايقان والعمل
وذلك القوة بالنظر في انواع الآيات المتضمنة للحجج ورفع الشبه الحاوية للكمالات
المزيلة للنقايص الحاوية للسعادات المحرقة للشقاوات مع ما فيها من حدوث
النظر وتمهيد الفكر فمنها آيات الاجسام ان في السموات والارض لآيات
على حدوثها للمؤمنين بان كل محدث مستند الى الواجب ابتداء وانها قطعا
للتسلسل منها انها مسبوقة بالاجزاء فتكون حادثة واجزاؤها كذلك
لانها قبل التركيب فتغير والواجب لا يقبل التغير ومنها انها مركبة من الاجزاء
فتفتقر اليها والواجب لا يفتقر الى شيء فتكون ممكنة فتكون حادثة ومنها انها لا تخلو
عن اعراض وهي حادثة لانها تابعة لمحالها في الوجود وما لا يخلو عن الحادث
حادث اذ لا وجود له في الازل للمنافاة بين الحدوث والازلية ومنها آيات
الارواح وفي خلقكم اي في تعلق الارواح بابدانكم وخلق النفوس في ابدان ما يبث
بنشر انوارها الى محالها المدركة والمحركة من دابة آيات لقوم يوقنون اي للقاطعين
على طلب اليقين باستعمال البراهين من الفلاسفة والمليين منها انها متاخرة
عن الاجسام والا لكان كلها عالمة بما في الملكوت لتجردها والجسم ليس بمانع
بل مكسب للعلم بالمحسوسات وجواز النسيان لا يستلزم عموم وقوعه فلو جاز للكل
لم يحز فيها الا ابتلاء فيه ومنها انها لو تقدمت فاما معطلة ولا معطل في صنع الله
تعالى لانه عبث او مشتغلة بجسم آخر فيلزم التناسخ الموجب لتذكر احوال تلك الاجسام
اذ ليس شرطا للعلم بها ولا الجسم الثاني مانع منه والا لم يعلم احد احوال جسم
صاحبه ومنها انها لو تقدمت فاما متعددة فان اختلفت لم يكن الانسان
نوعا واحدا والاختلاف لا يستلزم اختلاف الذوات وان اتفقت لم يتميز
بدون الابدان ولا يوجد بلا تميز واما متحدة فانه يزال التوحيد لنوع التجزي

والا لكان علم الواحد بالشيء علم الكل به ومنها آيات هي اعراض المبدلة بالاضداد
مثل اختلاف الليل والنهار والاعراض السيالة مثل حركة ما انزل الله من
السماء والاعراض التي يتغير بها الاحوال مثل كونه من رزق والاعراض التي يحصل
بها الكمال من نقص مثل افادته الحيوة فاحيى به الارض بعد موتها والاعراض
التي تختلف بها جهات الشيء مثل تصريف الرياح ففي كل ذلك آيات على حدوث
هذه الاعراض لقوم يعقلون وان لم يكن لهم تدقيق نظر ولتثبت هذه الامور
مما ينسب الى الاوضاع الفلكية بل تلك آيات الله آيات الله الدالة على كمال
قدرته وحكمته وارادته بعضها آيات القرآن المعجز نتلوها ليكون المدلول
بها ثابتا بالدلالة عليك ايها المبعوث للاستدلال بالحق بحيث سوى تحته صفته
الازلية ليؤمنوا به فان ابوا فبأي حديث بعد حديث الله القائم مقام صفته
القائم مقام ذاته وآياته في الآفاق التي تضمنها آيات كتابه يؤمنون وانما تلوناها
عليك ليستدلوا بها مخرجا عن ويل الاثم والافك فانه ويل لكل افاك
كذاب يتكلم في حق الله وصفاته على خلاف الدليل فان لم يخالف فويل لكل
اثيم يترك الاستدلال سيما اذا لم يترك عن غفلة بل مع كونه يسمع آيات الله
لا بالاخبار عنها بالغيب بل تتلى عليه ثم يصر على انكارها مستكبرا عن
قبولها لا يتأثر بها اصلا كان لم يسمعها حتى بطريق الاخبار بالغيب ولا يصير
عدم تأثره بها عذرا له لان منشاءه الاستكبار على الله وآياته فهو موجب
لمزيد غضبه فبشره بعذاب اليم كما يبشر المتأثر به بنعيم مقيم وكيف لا يزداد
غضبه عليه وهو بحيث اذا علم من آياتنا شيئا كاد يؤثر فيه دفع تأثيرها بان
اتخذها هزوا استهانة بها اولئك المستبعدون عن تأثيرها فهم باستهانتها
لهم عذاب مهين قبل دخول جهنم ولا يقتصر عليه بل من ورائهم جهنم ولا
يخفف عنهم ما يستحقون من العذاب المهين كما انه لا يغني لا يدفع شيئا من عذابها
عنهم ما كسبوا شيئا من اعمال البر ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ليشفعوا

لهم عنده في دفع الاهانة والالم كيف ولهم باتخاذهم اولياء مع استكبارهم
على الله وآياته عذاب عظيم وكيف لا يعظم العذاب عليهم باستكبارهم على
آيات القرآن مع ان هذا هدى في نفسه والى آيات الآفاق والذين
كفروا بآيات ربهم في الآفاق فانها وان كانت دون آيات القرآن لهم
عذاب من رجز اي من شدة غضب الله عليهم اليم فكيف لا يعظم عذاب
من كفر بما هو آية في نفسه متضمنة لتلك الآيات كلها وكيف لا يكون الكفر
بآيات الآفاق موجبا لهذا العذاب من الرجز مع ان فيها ما يتضمن عظم النعمة
عليهم اذ الله سخر لكم البحر بان جعله يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع
الغوص فيه لتجري الفلك فيه فتفيد تجارة وامتعة غريبة او حجا او غزوا او علما
وهداية بامره ولتبتغوا بالغوص فيه والصيد منه شيئا من فضله من الجواهر
والسمك وكيف لا تعذبكم بالكفر بهذه الآية وقد انعم بها عليكم لعلكم تشكرون
المنعم من جهة انعامه بالفوائد الدنيوية ومن جهة انعامه بالآية المفيدة للفوائد
الاخروية كيف ولم يقتصر على هذه النعمة بل سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
لا لاستحقاقكم بل تفضلا منه واقل ما فيه من التفضل اراءة الآيات ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون منها ان ربط بعض العالم بالبعض دليل توحيده وجعل
البعض سبب البعض دليل حكمته وجعل الكل مسخرا للانسان دليل كمال جوده
فمن انكر هذه الآيات ولم يشكر هذه النعم استوجب اعظم وجوه الانتقام فان
زعموا انا لا نتعب انفسنا بالفكر في هذه الامور بلا انتظار عاقبته قل
للذين آمنوا بتلك العاقبة اغفروا لمنكري عاقبة الفكر اذ ما هم يغفروا للذين
لا يرجون لا يعتقدون على سبيل الظن فضلا عن اليقين ايام الله التي
تثيب فيها وتعاقب ولا يكون لغيره فيها سلطنة ولا بد منها ليجزي قوما لم يجدوا جزاء
اعمالهم الحسنة والقبيحة في الدنيا بما كانوا يكسبون من سيئات الاعمال لا رواجهم
من ذلك اتفق العقلاء على ان من عمل صالحا فلنفسه اي فهو يحسن جنه

بروحه ومن اساء فعليها اى فالصفة القبيحة منه واقعة عليها ثم لا تقتصر على ذلك التحسين والتقبيح بل يعذبون انواعا من العذاب الحسى والعقلى حين الى ربكم ترجعون وهذا البيان وان كان موجبا للتفكر المودى الى الايمان لا يزالون يعاندون عناد اهل الكتاب فانا لقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب المشتمل على الافكار والحكم استنباطه بها والنبوة الكاشفة عن اسرار الاحكام ورزقناهم من الطيبات اسرار الكتاب وفضلناهم على العالمين بمعرفة الحقائق وآتيناهم بينات من الامر من الحجج القاطعة ومع ذلك تعاندوا حتى اختلفوا فى نسخ التورية والانجيل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم نسخ بما لا اتفاق عليه من الكتابين بغيا بينهم لكنه بنى اختلافا الى يوم القيمة ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه من كتابه يختلفون ثم لما وقع ايضا عن اتفاقهم على كتابهم فجعلناك على شريعة من الامر امر الدين بحيث يفصل خصومتهم لو انصفوا فاتبعها لكونها فاصلة ولا تتبع اهواء اهل الكتاب لكونها اهواء الذين لا يعلمون ما كان عليه الكتاب قبل التحريف انهم وان زعموا انهم متمسكون بكتاب لن يغنوا لن يدفعوا عنك من الله من غضبه وعقابه على ترك شريعتك العاجلة شيئا وكيف تتبعهم وهم ظالمون بالتحريف وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولا ينفعك تركهم مولاتهم اذا اتبعت الله اذ الله ولى المتقين ثم انك انما تتبعهم لو اشتبه عليك امر شريعتك لكن لا اشتباه مع وضوح دلائل كتابك اذ هذا الكتاب بصائر دلائل واضحة للناس ولا معارض لها اذ هو هدى ولا شبهة فيه اذ هو رحمة رافعة للشبهات لقوم يوقنون يقومون على طلب اليقين احسب الذين تمسكوا بالمحرف او المنسوخ من الكتاب ان نجعلهم كالمتمسكين بالمحفوظ الغير المنسوخ ام حسب الذين اجترحوا اكتسبوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فالتسوية بين المتمسكين كالتسوية بين مختلفين بل بين الحى والميت فهم بهذا الاعتقاد سواء محياهم ومماتهم

نسخ صح

حيث هم وهو بهم بل يفضلون انفسهم بهذا التمسك على المتمسكين بالكتاب الناسخ المحفوظ ساء ما يحكمون من عدم التفاوت كيف والمنسوخ لو ترك بحاله لم يكن له فضل الناسخ وهذا التفاوت بين احكام الله كالتفاوت بين خلقه فانه خلق الله السموات والارض مع علو السماء وسفل الارض ولا ينافى ذلك حقية الناسخ والمنسوخ جميعا كما انه خلق السموات والارض بالحق وكذلك خلق الطاعات والمعاصى من غير ظلم على العاصى وان كان لتجزى كل نفس لا تجزاء ما ليس من حيث خلق المعاصى فيها بل بما كسبت من قصد ما قبل ان خلقها وهم لا يظلمون بايجاد هذا القصد فيهم ايضا او تقديره عليهم لانه مقتضى استعدادتهم ارايت من عمل بالمنسوخ او المحرف فاعتقد انه امتثل امر الله وهو ممتثل امر هواه فرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله بارائه امر الله مع كونه على علم بان العمل بالمنسوخ او المحرف امتثال لامر الهوى ولا بالى لعلمه ولا لمن ينبه عليه اذ ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة كيف وقد كان هداه بهذا الكتاب الى جميع ذلك فلم يهتد به لهذا الختم فمن يهديه من بعد الله ابا لغون فى مجادلته رجاء هدايته فلا تذكرون ما فيه من موانع الاهتداء كيف وربما ضلوا فى ذلك ضلال اهل التناسخ حيث قالوا ما هى اى البعثة الا حيوتنا الدنيا نموت فيها مرة بمفارقة تعلق بدن ونحيى مرة بالتعلق ببدن آخر ولو لم يقولوا بالتناسخ ذهبوا الى مذهب القائلين بنسبة الحوادث اليومية الى الاوضاع الفلكية فقالوا ما يهلكنا الا الدهر فهم وان زعموا انهم متمسكون فى ذلك بالبراهين العقلية ما لهم بذلك من علم يستند الى دليل قطعى ان هم الا يظنون ظنا ينشأ من الشبهات الواهية ولاجلها تركوا البراهين القاطعة لذلك اذا تتلى عليهم آياتنا النقلية بينات بدلائل اولية من العقل ما كان حجتهم فى مقابلتها الا ان قالوا لو صح البعث فاوجدوه من غير احتياج الى دليل عليه ائتوا باباينا ان كنتم صادقين قل

امر صح

الهه صح

لو لم يكن من ايجاده مانع لاوجدناه لكنه تخلل بمقتضى الآية اذ الله يحييكم
ليظهر فيكم باسمه الحي ثم يميتكم ليظهر باسمه القاهر ثم يحييكم في البرزخ ثم يجمعكم
الى يوم القيمة ليظهر في البرزخ باسمه الجامع ثم بكمال عظمته في القيمة فهو لاريب
فيه اذ ظهور العظمة في بعث الكل اكثر من ظهورها في بعث البعض فهذا
هو المانع من ايجاد البعث الآن ولكن اكثر الناس لا يعلمون وكيف يترك
القيمة مع ان الملك لا بد له من احسان وسياسة الى من احسن او اساء
ولله ملك السموات والارض ولا يظهر احسانه وسياسته في الدنيا الى كل
محسن ومسيء وانما اخرهما ليتدارك السيئات بالتوبة او الحسنات لذلك
يوم تقوم الساعة فهي وان امكن التدارك قبلها يومئذ يخسر المبطلون
اعمالهم واعتقاداتهم بفوات التدارك وكيف يبعث قبل جمع الكل في البرزخ
وهو يوم المحاكمة بين جميع الامم لذلك ترى كل امة جاثية باركة على الركب
يلزم كل فرقة ما يسلمه من الدليل لذلك كل امة تدعى الى كتابها فيقال اليوم
تجزون ما كنتم تعملون من اعمال الكتاب واعمال المحرف والمنسوخ او ما
يخالف وان انتم تمسكتم بالكتاب المنزل عليكم نحن نتمسك عليكم بالكتاب
الذي كتب فيه اعمالكم اذ الكتاب المنزل عليكم لا ينطق باعمالكم وهذا الذي
فيه اعمالكم كتابنا مثل المنزل مع انه ينطق عليكم كلاما لا تاويل فيه لكونه ناطقا
بالحق ولا يحتمل تحريفه كتبة الملائكة له انا كنا نستنسخ اي نامرهم ان ينسخوا ما كنتم تعملون
ونحن وان كنا نجازي بمقتضى هذا الكتاب لا نقتصر عليه في حق المطيعين
وانما نقتصر عليه في الاحتجاج به على الكافرين كما نحتج بالمنزل عليهم فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي لا نهاية لها ذلك هو
الفوز المبين بتعظيم الله له ولاعماله واجره واما الذين كفروا فيلزمون
بالكتابين فيقال لهم الم تكن ياتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم بل اتتكم وتليت
فاستكبرتم على الايات والرسل وكنتم قبل ذلك قوما مجرمين فاستمر جرمكم على ذلك

فهذا في النبوة والكتاب واما الآخرة فكنتم اذا قيل لكم ان وعد الله على العموم
حق والساعة على الخصوص من جملة مواعيده آتية بدلالة الوعد بها ودلائل
اخر تدل على انها لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة اي لا نعرف مفهومها فضلا
عن وجودها ولا يمكنكم لا يقيننا جزما ان نظن الا ظنا ضعيفا وان بالغتم في
نفيها ما نحن بمستيقنين هذا في اعتقادها واما الاعمال فقد بدا ظهر لهم سيئات
ما عملوا بصورة قبيحة ولا تفارق العاملين اذ حاق بهم ما كانوا به يستهزءون
بصيرورة صورهم مما يستهزء بها من كل وجه ولما كان استهزاؤهم بسبب نسيانهم
لما يترتب عليها لذلك قيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم
باستهزائكم بآياتنا لقاء يومكم هذا ولا نقتصر على تعذيبكم في اليوم المنسي بل يدوم على
الابد النار كيف ولا مانع من تخليدكم فيها اذ ما لكم من ناصرين وكيف يكون لكم
ناصر على عداوة الله الشنيعة اذ ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا ولم تبالوا
لعداوته اذ لم تنتفعوا الرجوع اليه حيث غرتكم الحيوة الدنيا فزعمتم ان لا حيوة سواها
على انكم ظننتم انه لو كان ثمه عداوة الله لم يتيسر لنا مثل الحيوة فاذا لم يبالوا
بعداوتنا اليوم فاليوم لا يخرجون منها ولا يطلب منهم الخروج منها ولا يطلب منهم
الخروج عن العداوة اذ لانهم يستعتبون لا يطلب منهم ان يرضوا الله وان كان
يطلب منهم ذلك قبل المواخذة وهذا التعذيب وان لم ينتفع به المعذب
فهو موجب لحمد لرعاية الحكمة فلله الحمد كيف وفيه رفع قوم وخفض آخرين بلا
بعد من المنصف بوصف رب السموات ورب الارض مع ان العدل
والاحسان من لوازم الملك وهو اعظم الملوك لاتصافه بوصف رب
العالمين بل لا يتم تربيته باصلاح افعال العامة الغالب عليهم الهوى والغضب
بدون هذا التخويف ولا يتم الا بالاثابة وكيف يترك الاثابة والمعاقبة وفيه
ظهور كبريائه على الكمال نوع ما ظهر في العالم اذ له الكبرياء في السموات و
الارض ولا يمنع عموم رحمته من التعذيب كما لا يمنع شمول غضبه من الانعام

اذ من العزيز فاجرى كلا منهما على وفق الحكمة لانه الحكيم تم والله الموفق الملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله
اجمعين

## سورة الاحقاف

سميت بها لان مكانها من حيث رؤى له
سرعة تاثير ريح العذاب فيه كالدليل على انذار فيه اشعار على ان انذارات
القران كالدلايل على انفسها ثم في قصتهم انسياق الانذار الى ضرر عظيم المرجو
محوفا فيه اشعار بان انذارات القران مما يخاف فيها ضرر عظيم مما يرجى المحال
محوها عليهم وذلك من اعظم مقاصد القران بسم الله
المتجلى بكمالاته فى كتابه الرحمن بتنزيله للاعجاز بالحكمة الرحيم بجعله مشتملا على ما
لا يتناهى من الفوايد التى من جملتها ما اشير اليه بالحروف المقطعة حم اى الحبل
المتين تنزيل الكتاب للتمسك به فى الصعود الى الله لكونه من الله العزيز
الذى يصعب الوصول اليه الا بالتمسك بما من منه يتمامن جهة اشتماله على انواع
الحكم الموصلة الى الكمالات باعتبار اسمه الحكيم ولا بعد فى ذلك لانا ما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى الحكمة المفيدة للصعود من
النقايص الى الكمالات التى ينتفع بها فى المعاد ولذلك جعلها على اجل مسمى
فخوف عما يضر فيه لكن الذين كفروا عما انذروا معرضون وبوجاعراضهم النزول
الى اسفل سافلين والحلى المزين تنزيل الكتاب الذى من زينته العلوم المقربة
الى الله تعالى المفيدة للعزة عند لكونها العزيز بما فيها من الحكم ولا بعد في ذا
الانزال منه فانه ما خلق السموات والارض الا بالحق اى الحكمة المكتسبة للعزة
السماوية باستعمال الحكمة فى اعمال الارض ينتفع بها فى المعاد وانذرنا الله على خلاف
ذلك فاعرض عنه الكافرون او الحجج ومحو الشبه تنزيل الكتاب الجامع لهما لكونه من
الله وعزته بعطى الحجة التى بها الغلبة على الخصوم وحكمته فى دفع الشبه ولا بعد
منه ذلك لانه ما خلق السماء والارض الا بالحق اى بحكمة الاستدلال عليه ليغلب
من يتمسك بها وبمقتضى العزة جعله على اجل مسمى ينتفع فيه المستدل وبتضرر

المعرض وبمقتضى الحكمة انذر المعرض فاعرض عنه الكافرون او الحكم والمواعظ
تنزيل الكتاب الجامع لهما لكونه من الله وعزته تعطى المواعظ وحكمته الحكم
وقد ظهرت حكمته فى خلق السموات والارض وعزته فى خلقهما على اجل
مسمى وانما جمع بينهما لان الحكمة انما تتم بالموعظة فالمعرض عنها كافر بالحكمة وبهذا
الاعراض نزلوا فاعتقدوا الالهية التى لهم وذلوا فتذللوا لها وجهلوا مرتبة
الالهية فنسبوها اليها واخلوا بمقتضى الحكمة فعبدوها فان زعموا انهم صعدوا
بعبادتها فتعززوا بها لانها محل لظهور الله بالالهية فيها وعرفوا حكمة فى
كونه معبودا فى ذاته ومظاهره قل ارايتم ما تدعون من هى الهة مع كونها
من دون الله فليس لها غاية الكمال فمن اين لكم فى عبادتها الصعود وفى
سوالها العزة ومتى يكون فيها ظهور الله بالالهية مع انها نهاية الكمال
وهى دون ومعبوديته فى المظاهر انما هى لاسم الحجاب لذلك يرون
كماله بهذه المظاهر الدنية فان لم يعتبروا فى الاله غاية الكمال فلا اقل من
اعتبار الخالقية ارونى ماذا خلقوا من الارض استقلالا الا لهم شرك
فى خلق الارضيات لعدم استقلاله ام لهم شرك فى السموات ولا يدل
عليه حس ولا عقل مما كان فيه دليل نقلى ايتونى بكتاب سماوى و
ان كان من قبل هذا فانه لا يقبل النسخ فى الامور الاخبارية او اثارة
بقية من علم من الانبياء او الاولياء او العلماء ان كنتم صادقين فى
ان لها خلقا استقلالا او مشاركة فى امر ارضى او سماوى فان لم يكن لها
ما يكون لمن دون الملوك من الوزراء والقضاة من الاجابة ومن اضل
ممن يدعوا من دون الله على زعم انه اله من لا يستجيب له دعاء لعجزه عنها
الى يوم القيمة وكيف يتصور منهم الاجابة وهم عن دعائهم غافلون وان
كان حيوة يسمعون بها ربهم وبصر وسمع يشهدون به يوم القيمة لكنهم فى
فهم دعائهم غافلون واذا ان الغفلة حسن حشر الناس كانوا لهم

خلق فى عبادتها مع
النزول والذلة فى
الجهل والحماقة غاية
الضلال سيما اذا
لم يكن لها صح

اعداء يشهدون عليهم بشركهم و لا يرضون بجعلهم شركاء حتى يتصور منهم
الشفاعة بل كانوا بعبادتهم كافرين فاني يكون بها الصعود و العز و العلم
و رعاية الحكمة كيف و قد قطعنا فيما يحصل به منع الامر لهم لانه اذا تليت
عليهم اياتنا الموضوعة لافادة منع الامر بينات ازيل عنها كل اشكال
قال الذين كفروا من افراط عنادهم للحق الظاهر في تلك الايات لا يقبل منهم
بها بل لما جاءهم فعرفوا عجزهم عنها هذا سحر مبين و عجزنا عنه لعدم اطلاعنا على
اسرار السحر كيف و قد لبس عليه مما اتى عليه العقلاء من اباءنا ابصرون على
القول بكونه سحرا انهم اعتراف بالاعجاز اذ لا دخل للسحر في المعجزة القولية التي
ليست من قبيل الرقى ام يقولون افتراه قل كيف افترى عليه مع علمي بقدرته
على مواخذتي اذ لا يمكنني دفعها بنفسي و لا بكم ان افتريته فلا تملكون لي
من الله شيئا لو اجتمعتم على دفع مواخذتي و كيف استقل به و لا اعتمد في ذلك
على جهله بافترائي اذ هو اعلم بكل شيء سيما بما تفيضون تخوضون فيه في حقه
فان زعمتم اني لا ابالي بقدرته و لا بعلمه كفى به شهيدا اذ اعطاني المعجزات
المصدقة لي فانها بها يفصل بيني و بينكم و ان لم يواخذكم في الحال اذ هو يتوقع
توبتكم ليغفر لكم و يرحمكم اذ هو الغفور الرحيم و لذلك ستر عليكم امر القيمة
و رحمكم الى قيام الساعة فان طالبوك بتفصيل المواخذة الاخروية او
بتعيين وقتها قل ما كنت بدعا من الرسل اتيكم بالمواخذة الاخروية و من
ان لي تعيين وقتها مع اني ما ادري ما يفعل بي و لا بكم فيما لم يوح الي و الوحي
ببعض الامور لا يستلزم العلم بالباقي و لم يكن لي ان اضم الى الوحي كذبا من
عندي ان اتبع في تقريرها الامور الغيبية الا ما يوحى الي و مع ذلك لا تفوض
الى شيء مما يوحى الي من تغيب من لا يعصمني بل ما انا الا نذير عنه مبين له
بالدلائل القطعية فان زعموا انه ان عرفت انه الوحي الالهي و لم لا يجوز
كونه من الشيطان قل كيف جزمتم بكونه من الشيطان حتى كفرتم به ارايتم ان

كان من عند الله و كفرتم به فتوجهتم كونه من الشيطان و قد ظهر مرجح كونه من
الله اذ شهد شاهد من بني اسرائيل على قراءة مثله في كتب الاولين و عرف
انه ليس من سرقة الشيطان لاعجازه فامن و لم يكن كفركم لتقدمكم عليه بل
لانكم استكبرتم فزعمتم انه مقدور لكم انتم ظالمين بترجيح المرجوح من كونه من
الشيطان و لذلك منع الله هدايتكم ان الله لا يهدي القوم الظالمين و قال
الذين كفروا استمروا على الكفر بعد هذا البيان للذين امنوا في معارضة
هذا المرجح بانه لو كان من عند الله لكان خيرا لو كان خيرا لكنا اولى به كساير
الخيرات من المال و الجاه و لو لم نكن اولى به فلا اقل من المساواة فحيث
ما سبقونا اليه فعارضوا دليل كونه من عند الله بعدم اهتدائهم و صار فيه
الاولين دليل كذبها جميعا و اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم و انما
الافك من قولهم اذ كان من قبله كتاب موسى اماما للانبياء و الاولياء و العلماء
و كان خيرا سبق اليه اولئك السعداء اذ كان رحمة لهم يكاشفون فيه بالعلوم
اللدنية و هذا لا ينقص عن درجته لانه كتاب جامع لما فيه و لغيره مصدق
له من غير تعليم من انزل عليه اياه و انما كان اجمع منه لكونه لسانا عربيا و كيف
يكون من الشيطان مع انه على ضد مراده لانه لينذر الذين ظلموا فجعلوا
القبايح حسنات و بالعكس و بشرى للمحسنين بجعل القبايح قبايح و الحسنات
حسنات و الشياطين يلبس احدهما بالاخر و بشر الظالمين و بين المحسنين
و لو فرض كون مثل هذا الكتاب من وحي الشيطان فلا يضر المؤمنين به
لانه محض الايمان بالله و الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم لم يجسم ذلك
الى مفسدة بل استقاموا في ساير الاعتقادات و الاخلاق و الاعمال
فانه و ان فرض كونه من وحي الشيطان من غير علم المؤمن المستقيم به لعدم
الدليل عليه فلا خوف عليهم من جهة كون ايمانهم و استقامتهم من وحي الشيطان
و لا هم يحزنون من نسبة كونهما الى وحي الله عن دليل ظهر له بلا قادح بل اولئك

اصحاب الجنة كالمومن المستقيم عن وحي الله ولا يبعد بعد ان اعمالهم بل
خالدين فيها اذ هو جزاء الايمان لا عن وحي اصلا فلا يبعد كونه جزاء
مع الاستقامة فيكون جزاء بما كانوا يعملون كانه لا عن وحي اصلا على
انه لو كان من وحي الشيطان كنا تاركين التوصية في حقنا ووصينا
الانسان ان يحسن بوالديه احسانا لشبه عبادتهما سيما في حق امه
التي تعبت في حقه ايام حملها ووضعها اذ حملته امه كرها من شدة الطلق
وايام التربية سيما ايام الرضاع وبالجملة يطول مدة تعبها اذ حمله وفصاله
ثلثون شهرا اي مدة الحمل التي هي سبب النسبة والرضاع التي هي سبب
الحرمة منها المعتاد ستة اشهر لاقل مدة الحمل واربعة وعشرون للرضاع
ولا يزال تتعب في تربيته حتى اذا بلغ اشده منتهى شبابه ولا تنقطع تعبها
بذلك بل تبقى الى ان بلغ اربعين سنة تكمل فيه عقله وسابق قواه عرف قدر
النعم وانها اعظم من ان يقوم لشكرها بنفسه فحينئذ قال رب اوزعني الهمني
ان اشكر التي نعمتك التي انعمت علي من الايجاد والتربية وتكميل العقل
والقوى وعلى والدي باعطاء ولد مثلي والتوفيق لتربيتي وذلك الشكر صرف
نعمتك الى مرضاتك وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي اعمالي ليسري
نورها في ذريتي واقل ذلك العمل التوبة عن المعاصي والانقياد للطاعات
اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك وان فرض عملهم الايمان و
الاستقامة من وحي الشيطان من غير ان يعلموا به هم الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا فينظر الى ايمانهم واستقامتهم ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب
الجنة مع كون عملهم للايمان والاستقامة عن وحي الشيطان لا عن علمهم به
بل يجعل وعد على الايمان والاستقامة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
على لسان الرسل عليهم الصلوة والسلام واذا صدق وعده بالجنة في الايمان
والاستقامة صدق في ضدهما بالنار ايضا مثل الذي قال لوالديه

ذات كره بمرض كسوء هضم وعدم اشتهاء طعام وثقل وضعفه كرها صح

حين دعواه الى الايمان وبالاستقامة اف اي القبح لكما من الدعوة
اتعدانني بالعذاب على تركهما بعد البعث اتعدانني ان اخرج ولم يجيء سنة
الله اذ قد خلت سنة القرون من قبلي ولم يخرج احد في قرن منها وهذا الشيطان
اذا اوعد على الكفر والمعاصي بالنار ويدل عليه قول الوالدين اذ هما يستغيثان
الله يطلبان الغياث من الله ان يلزماه ولدهما حجة ملجئة الى الايمان والاستقامة
يقولان له استوجبت ويلك لو لم تؤمن آمن فلا يمان وتركه جزاء بوعد الله
ان وعد الله حق فهذا الوعد وان فرض كونه من وحي الشيطان يجب عليه قبوله
عند ظهور صدقه ما لم يعلم بدليل قطعي كونه من الشيطان ولكنه يابى عليه لشبهة
واهية فيقول ما هذا الا اساطير الاولين الاكاذيب التي سطروها اولئك
وان كانوا رادين لوعد الشيطان على ذلك التقدير كانوا رادين لوعد الله
فيكونون من الذين حق عليهم القول الالهي لدخولهم في امم قد خلت على
تكذيب مواعيد الله من قبلهم من الجن الذين تمرد عندهم وعد الله من كل وجه
والانس الذين بني عليهم توهم كونه من الشيطان اذ خسروا بذلك فوائد
الايمان والاستقامة انهم كانوا خاسرين لكل شيء يحشرون بها وكيف ساوى
الاعمال بوحي الله او بوحي الشيطان اذا لم يكن فيه تلبس مع انه قد تقرر في
العقول انه لكل درجات مما عملوا اسواء عملوا من قبل الجنة والعدو كيف
ولا يستعمل الايمان والاعمال الصالحة للمواخذة بل ليوفيهم اعمالهم والا كان
ظلما عليهم وهم لا يظلمون وليس من الظلم احباط اعمال الكفار اذ الاحباط
انما هو باعتبار عدم بقاء لها الموجب لها كثرة الثواب لكن يؤدي اليهم
مقدار ما يستحقونه عليها ويكون ذلك في الدنيا لذلك يوم يعرض الذين
كفروا على النار فاعترضوا بان لهم حسنات قيل لهم اذهبتم طيباتكم جزاء
حسناتكم في حيوتكم الدنيا وحيث تاخرت حسناتهم قيل استمتعتم بها بالطيبات
فجعلت في مقابلة حسناتكم المتاخرة فاذا لم يبق لكم حسنة عند الله توجب

لكم العزة عند الموجبة كثرة الثواب لاستكباركم عليه وخروجكم عن طاعته
فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون على من يجب عليكم التذلل
له بالاعمال مع كونه في غاية العلو وكونكم في غاية السفل في الارض لا بالله
على من سواه بغير الحق الذي له ذاته في نفسه وبما كنتم تفسقون عن طاعته
فاخرجكم عن كرامته واذكر لمن تمنى من الكفار اجر حسناته في الاخرة
عاقبة ان تصير حسناتكم كما تصور تمنى عاد للمطر بصورة السحاب في الخارج
ثم انقلب عذابا فاذكر اخا عاد هودا الناصح لهم وان توهموا عداوته اذ انذر
قومه وهم بالاحقاف جمع حقف رمل مستطيل فيه انحناء فهو لسرعة قبوله
اثر الريح كالشاهد وقد شهد له امثاله اذ خلت النذر من بين يديه ومن
خلفه اي قبله وبعده متفقين على الا تعبدوا الا الله وقال كل واحد منهم اني
اخاف عليكم من عبادة غير الله عذاب يوم عظيم بقدر رهنكم عظمة الله
بالشرك قالوا اجئتنا لمعاداتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا الكثيرة التي اعانتهم
في دفع النوائب اتم من اعانة الواحد ونحن نعلم كاذب فاتنا الان بما تعدنا
ان كنت من الصادقين في انه آت لا محالة قال اني وان علمت اتيانه
قطعا فلا اعلم وقته انما العلم عند الله فاني يكون بيدي حتى اغيره وقته
الذي عند الله الى ما قبله ولو علمت وقته لم يلزمني بيانه لاني انما ابلغكم ما ارسلت
به ولكني اريكم بانكار ما تريده واعتقاد ان من علم وقوع شيء بالغيب يلزمه
العلم بوقوعه وبيان وقته وان لم يرسل به واعتقاد دفع الحوادث بالاصنام
قوما تجهلون فلما راوه اي الموعود الذي استعجلوه متصورا سحابا عارضا
في افق السماء مستقبل متوجه اوديتهم التي بها مزارعهم قالوا هذا سحاب
عارض بوجه السماء فهو ممطرنا مطرا يدفع القحط عنا قال هود ليس بمطر بل هو
ما استعجلتم به بقولكم فاتنا بما تعدنا ريح تتصور بصورة سحاب لعلمه انه متمنا لكم
ثم تنقلب عليكم عذابا اذ فيها عذاب اليم ولا تقتصر على مجرد الايلام بل تدمر

تهلك كل شيء من نفوسكم واموالكم بامر ربها الذي لا يعارض فلم يدفع عنهم آلهتهم
بل دمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم بيوتهم وهذا لا يقتصر على عاد بل
كذلك نجزي القوم المجرمين من اهل مكة وغيرها كيف وقد كان اجرامهم
دون اجرام عاد لقدرنا فانا لقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ثم زادهم طغيانا
وبغيا ولو لم تعتبر الاجرام التقديري فلابد من اعتبار الاجرام التحقيقي
مع كمال الحجة فانا جعلنا لهم سمعا ليسمعوا المواعظ والايات القولية وابصارا
ليبصروا ما جرى على امثالهم ويبصروا الايات الفعلية وافئدة ليستدلوا فما
اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء شيئا من الاغناء اذ لم يصرفوها
الى ما خلقت له لان الله تعالى حجب عليها اذ كانوا يجحدون بايات الله و
لم يكن حجابهم في جانب دون جانب ولا رفعا في جانب اذ حاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وكيف تقصر ذلك على عاد ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى
وكيف لا تخاف عليهم مثله بعد الزام الحجة من وجوه كثيرة اذ صرفنا الايات
ولم يكن تصريفها عبثا بل لعلهم يرجعون لكنهم لم يرجعوا كما لم يرجع الهالكون
اعتمادا على نصر الآلهة فلولا نصرهم فهلا منعهم من الهلاك الذين اتخذوا
من دون الله ليتقربوا بهم الى الله قربانا يمنعهم من الهلاك لكن جعلوهم اعداء
اذ جعلوهم آلهة فلم يتوقعوا مقام النصر لهم بل ضلوا غابوا عنهم لئلا ينسبوا الى
عداوة الله وكيف يكون ذلك سببا لقربهم من الله وذلك افكهم صرفهم عن الحق
وكيف يكون سبب قربهم ودعوى ذلك من جملة ما كانوا يفترون واذكر لمن
نزعم انه من مفتريات الشيطان اذ صرفنا اليك نفرا من الجن كانوا يسمعون
اخبار السماء فمنعوا بالشهب فاخذوا يتجسسون عن سببه فجاؤا يستمعون
القران ليعلموا انه هو السبب في ذلك او غيره فلما حضروه بقلوبهم للاستماع
قالوا بعضهم لبعض انصتوا ليتم التدبر والتفكر فلما قضي فرغ من قراءته كمل
تاثرهم به فارادوا التاثر به لذلك ولوا رجعوا الى قومهم منذرين عامهم

فيه من الضلال قالوا يا قومنا ينذركم عما انتم فيه عن تحقيق انا سمعنا كتابا
عجبا انزل من بعد موسى المتفق على تعظيم كتابه اكثر مما اتفق على تعظيم الانجيل
والزبور وقد علم صدقه لكونه مصدقا لما بين يديه من سائر الكتب وقد فضل
عليها اذ يهدي الى الحق معرفة الخالق والى طريق مستقيم من الطريقة والشريعة
يا قومنا اجيبوا داعي الله للتقرب اليه واعلى وجوه الايمان آمنوا به فاقل
فوائد الايمان الغفران يغفر لكم من ذنوبكم اي بعضها التي سبقتم ويمن الله تعالى
فان لم يغفر لكم بالكلية يجركم من عذاب اليم اشد ايلاما مما يعذبكم به ومن لا يجب
داعي الله لا يتخلص من عذابه بالتباعد عنه فليس بمعجز له بالهرب عنه لكونه
في الارض فلا مهرب له الا السماء وهي له ولا شفيع له اذ ليس من دونه اولياء
لانه عدو الله وقد جعلوا الشفعاء ايضا اعداءه فمن اعتقد انه مع عداوته
لله يشفعه من هو عدو لله اولئك في ضلال مبين اينكرون ان الله يعجز بعينه
باماتتنا اذ لا يقدر على احيائنا بعدها ولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض من عدم صرف ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى باعادة
الروح الى الجسد بعد مفارقتها اياه ليس كما توهموا بلى انه على كل شيء فليس
من اعادة المعدوم لو فنيت النفس والجسد بالكلية ومع هذا لا يزالون
ينكرون قدرته على الاحياء الى يوم القيمة لذلك يوم يعرض الذين كفروا على
النار لانكارهم منه القدرة يقال لهم اليس هذا الاحياء احياء بالحق بحيث
لا يقبل الموت بعده قالوا بلى وربنا الذي ربانا بالحيوة الابدية بعد الموت
قال لا يريحكم بعد كفركم بما يفيكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واذا
اصروا على كفرهم بعد هذا البيان بل زادوا ايذاء وتكذيبا فاصبر على تبليغ
الرسالة وتكذيبهم وايذائهم كما صبر اولوا العزم اي الجد من الرسل كنوح على الضرب
الى ان يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح الولد واسمعيل على الذبح ويوسف
على الجب والسجن وايوب على الضر ولا تستعجل لهم وان اشتد عليك الامر

من جهتهم كيف مدة الدنيا قصيرة فان لم يظهر الان فسيظهر في القيمة كانهم يوم
يرون ما يوعدون لما من طول القيمة ظنوا انهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من
نهار وليس من حق الرسل الاستعجال بل حقهم بلاغ على ان ترك الاستعجال
لا يفيد الفاسقين لانه لا بد من ظهور السياسة الالهية باهلاك قوم فهل
يهلك بمقتضى العدل والحكمة الا القوم الفاسقون فسواء استعجل لهم ام لا
لا بد من اهلاكهم نعوذ بالله من غضبه واليم عقابه تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله
اجمعين **سورة محمد** صلى الله عليه وسلم سميت به لما فيها من ان
الايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم سترها اعظم من الايمان بما نزل مجموعا
على سائر الانبياء عليهم السلام وهو من اعظم مقاصد القرآن وتسمى
سورة القتال لدلالتها على رفع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم
وما يترتب على القتال وكثرة فوائده بسم الله المتجلي
بكماله في الانسان سيما محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه الرحمن بتوفيقه
للايمان بما انزل من كتبه والاعمال الصالحة بما فيها الرحيم بتوفيقه للايمان بما نزل
على محمد صلى الله عليه وسلم خاصة الذين كفروا فانهم وان كانوا على صورة انسان
لا حرمة لهم فقتالهم اذ لم يبق انسانيتهم التي بها حرمة القتال كيف والانسانية
بالتوجه الى الله تعالى وهم بالكفر صدوا عن سبيل الله فهم وان عملوا اعمالا
من شانها التصفية التي بها الانسانية اضل اضاع اعمالهم والذين آمنوا بما
انسانيتهم وان صدرت عنهم سيئاتهم سيما اذ عملوا الصالحات المثبتة بها
والايمان بالله انما يعتد به اذا آمنوا عن كمال معرفته ويكفي فيه الايمان بما نزل
فانه وان كان مستغرقا لكنه بما نزل على محمد الجامع صار فيه مع المعرفة جمع
من كمال المعرفة اذ هو الحق من كل وجه النازل من ربهم للتربية بكمال معرفته
فاقل ما فيه افادة التصفية التي بها الانسانية اذ كفر عنهم سيئاتهم ولولم يفد منهم

الانسانية افادهم نصيبا منها اذ اصلح بالهم فلبهم فينبغي حرمته فلهذا ذلك اي
عدم افادة اعمال الكفار الانسانية مع افادتها نوع تصيقل وافادة الايمان
اياها البتة بان الذين كفروا اتبعوا الباطل فصارت قلوبهم كمراة مجلوة
قابلت الظلمة وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم الذي هو منبع الانوار
فصارت كمراة مجلوة قابلت اعظم الانوار فلا يغرهما فيهما من نقط الكدورة
كل الغرر كذلك يضرب الله في سائر ايات القران للناس الذين نسوا الامين
بهم من الامثال امثالهم واذا كان الكفر مبطلا للانسانية فاذا لقيتم الذين
كفروا وصح الملاقاة تخاف معها السراية فضرب الرقاب فاقتلوهم قتلا يشبه
ضرب الرقاب واستمروا على ذلك حتى اذا اثخنتموهم اثقلتموهم فاسروهم فشدوا
الوثاق بحيث لا يمكنهم الهرب منكم فاما تطلقونهم بغير عوض منا عليهم بعد الاسر
لزوال سبعيته بالكلية واما تطلقونهم بعوض مال او مسلم اسروه ليكون فداء يفدى
به المسلمون او تخلص اسيرهم ولم نذكر القتل الكفار بما مر من قوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وذلك فيمن يرى فيه اثار السبعية
بالكمال ولم نذكر الاسترقاق لانه في معنى استدامة الاسر وذلك فيمن يرى فيه
نوع سبعية ولا تزالوا على ذلك حتى تضع الحرب اي اهله اوزارها من الكفر
والمعاصي الفرعية ذلك اي شرع القتال معهم لينتصروا من اعدائكم ولو يشاء
الله لانتصر منهم نظرا الى عداوتهم له ولكن حصل انتصاره في ضمن انتصاركم
ليبلو بعضكم ببعض اي بقتال بعض لينال ثواب الجهاد او فضيلة الشهادة
او الغنيمة ولا تنقل اعمالكم الى الكفار اذ الذين قاتلوا في سبيل لم يقتلوا ظلما
اذ سبيل لا يكون ظلما فلن يضل اعمالهم ولو كان ظلما لكان مبطلا للقلب لكنه
منيره فان لم يستنر في الحال سيهديهم بنوره في الاستقبال وان لم يستنر فهو
يصلح بالهم وهو مفيد لدخول الجنة لذلك يدخلهم الجنة عرفها لهم وقد اثروا انفسهم
من اجلها اذ عرفها طيبها لهم فشروا ارواحها في الدنيا يا ايها الذين امنوا ان تنصروا

فاما

بعد

الله

الله

لا ينقصكم لا يخل باجركم اذا جعلتم تبعا لنصر الله فانكم ان تنصروا الله ينصركم
فلو بطل اجركم لكان خاذلا لكم بالحسنة ويثبت اجركم في الاخرة كما انه
يثبت اقدامكم في محاربتهم جميعا للنصر واياكم في الدارين وكيف يبطل اعمالكم
ويوثبه نقلها الى اعدائكم وقد سقطوا عن رتبة استحقاق الاجر اذ الذين كفروا فتعسا
عثورا وانحطاطا لهم عن رتبة امثال الاجر لهم كيف وقد اضل اعمالهم التي باشروها
بانفسهم ذلك الاضلال للاعمال بانهم لا يعملون لله اذ لا يمتثلون امره ولو امتثلوا
فهم كارهون له لانهم كرهوا ما انزل الله ليعبد به ولا عبرة للعبادة مع الكراهة
لها فضلا عن كراهة اصلها فاحبط اعمالهم انكرون احباطها مع انهم انما
ينتفعون بها في الدنيا سيما عند الشدائد فلم يسيروا في الارض التي كثر فيها
اعمال الكفار فينظروا كيف كان عاقبة الذين كفروا من قبلهم دمر استاصل الله
بانزال العذاب عليهم من غير تفرقة بين عاملهم وغيرهم فلم ينفعهم اعمالهم في دفع
ذلك وان زعموا انهم ينتفعون بها في الاخرة يقال للكافرين في الاخرة امثالها
اضعاف تلك المعاقبة فاذا لم ينفع اعمالهم ادنى المعاقبات فكيف ينفع
اعلاها ذلك اي نفع اعمال المومنين في دفع الشدائد الاخروية دون اعمال
الكفار مع تساويهما في الامر الذي هو سبب بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم لو عبدوا الله لخالفهم امره ولو عبدوا غير الله لم يكن لهم مولى
سناك على ان الغير لو كان معطيا للاجر لم يكن ليعطي الجنة ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات جنة على الايمان واخرى على الاخلاق
واخرى على الاعمال تجري من تحتها الانهار لانهم اجروا انهارها في الايمان
والاعمال الصالحة في بواطنهم والذين كفروا لا يتمتعون ذلك الاجر بل الاجر
الدنيوي فغايتهم انهم يتمتعون بلذائذ الدنيا من غير تملك لمولاهم ولذلك
لا يبالون به بل ياكلون كما تاكل الانعام ويتمتع لكن لا يعقبهم ضرر ومثوى لهم
النار من غير انقطاع بل هي مثوى لهم دائما لا يمكنهم دفعها عنهم الى كيف

من مأكولاتهم ومتمتعاتهم كيف قد عجزوا عن دفع الشدائد الدنيوية عنها
فانه كأين كثيرا من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك التي زعمت انها فاتت
قوة الله اذ اخرجتك اهلكناهم الهلاك الدنيوي الذي هو دون الاخروي
بكثير فلا ناصر لهم من قوتهم ولا من يزعمون انهم يشفعون بهم من معبوداتهم
ايجازي الكفار على اعمالهم جزاء المؤمنين فمن كان على بينة من ربه في
اعماله كمن لا بينة له بل زين له سوء عمله بحيث رآه حسنة وما كان حسنة في
الواقع لم يتبعوا فيها امر الله بل اتبعوا اهواءهم وكيف يكون جزاء من كان
على بينة من ربه كجزاء من زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مع ان الحكمة
الالهية مع عظمته يقتضي تعظيم اللطف بالاولين لتقواهم وتعظيم القهر بالاخرين
لجزائهم فهل مثل المخلد في الجنة التي وعد المتقون مخالفته فيها انهار من ماء
غير آسن متغير لصفاء اعتقادهم واعمالهم وانهار من لبن لم يتغير طعمه لبقائهم
على الفطرة التي لا يتغير معها طعم الانسانية وانهار من خمر لا سكر فيها بل مجرد
لذة للشاربين لايثارهم حب الله على ما سواه وانهار من عسل مصفى
لوجدانهم حلاوة المعرفة والعبادة مع صفائهما ولهم فيها من كل الثمرات
من اخلاقهم واعمالهم ومغفرة من ربهم لمحو حسناتهم سيئاتهم كمن هو خالد
في النار المطلقة التي لا يستحق غيرها ان يسمى نارا بالنسبة اليها وسقوا ماء
حميما بدل هذه الاشربة لتغيرهم بما ذكر فقطع من افراط الحرارة امعاءهم
بدل تلذذهم بما ذكر ولو كان لمن ليس على بينة من ربه نصيب من الثواب
لكان له نصيب من سماع القرآن لكن منهم من يستمع اليك الى قراءتك التي هي
اشد تأثيرا فلا يتأثرون بها بانفسهم ولا بالسؤال عن العلماء حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اسأل فيه ما ينتفع به
فانهم لم يستفيدوا منه شيئا اذ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا
ينظرون اليهم الهدى وكيف ينظرون اليهم وقد اتبعوا اهواءهم لو قيتهم ابا ما سدى

ولو لم يمنعهم ذلك لانه ازداد هدى اذ الذين اهتدوا طلبوا الهداية
زادهم استماعه وبيان العلماء مسائله ودلائله هدى ويدل على زيادة تقواهم
انه آتاهم تقويهم عن الاهوية كلها وانما اتبعوا اهواءهم لانهم رأوا سامتابع
حاضرة وانكروا ضررها لانكارهم الساعة فهل ينظرون ليحقق ضررها
الا الساعة ولا بأي تدريج فهل ينظرون الا ان تأتيهم بغتة لكن العلم
بمجيئها كاف في افادة العلم بضرر الاهوية والعلم بمجيئها حاصل فقد جاء
اشراطها لكنها ليست ملجئة وهم انما ينتظرون الاشراط الملجئة فاني يكون
بانفعالهم اذا جاءتهم تلك الاشراط ذكريهم ضرر الاهوية ولا استوى الكل
فلا يبقى تميز بين المحسن والمسيء وقد وضع له الساعة واذا كانت اشراط الساعة
مفيدة للعلم بها وان كانت لم تكن ملجئة وقد اعلم الله بها التدارك الشرك
والمعاصي قبلها وقبل اشراطها الملجئة فاعلم انه لا اله الا الله نفيا للشرك في
الافعال والصفات والذات واستغفر لذنبك الذي هو نقص راجع الى
مقاماتك التي ارتفعت عنها الى ما فوقها وللمؤمنين جبر النقص استغفارهم
والمؤمنات جبر النقص استغفارهن بوجه من الوجوه وكيف يستغني احد
عن استغفار ولا يخلو عن نقص وان لم يعلم به لكن الله يعلم متقلبكم من حال
الى مقام ادنى ومثويكم سكونكم فيه مع امكان الترقي عنه ويقول الذين آمنوا
بالساعة حين رأوا انتظار اعدائهم اياها لولا نزلت سورة فيها اكثر انزال
سورة في كل مرة آمرة بقتالهم خاصة ليقوم عليهم القيامة الصغرى في اعمال
فاذا انزلت مرة واحدة سورة محكمة لا يقبل نسخا ولا تأويلا فكانت في
معنى النازلة جميع المرات وذكر معها امور كثيرة فيها القتال مع منظرها
رأيت الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق بعد ما حق لهم ذلك مع سائر المؤمنين
ينظرون اليك عند تلاوة تلك السورة التي هي سبب قتالهم نظر المغشي عليه
من سكرات الموت فكان هذا الامر لهم بمنزلة السكرات والقتال نفس

الموت فاذا كان هذا الامر منهم سببا لهذه الفضيحة فاولى لهم طاعة
لما يامرهم الله من غير تمني شيء مما لم يامرهم الله ان يامرهم وقول معروف لا رده
فعلهم واذا تمنوا ذلك فاذا عزم الامر جزم امر القتال بانزال تلك السورة
فلو صدقوا الله بمطابقة فعلهم قولهم وتمنيهم على الله لكان خيرا لهم من ان يعيشوا
بلا جهاد لانهم لو قتلوا فازوا باجر الشهداء وان عاشوا فازوا بالنصر والغنيمة
على ان العيش انما يكمل بتولي امور الناس وهو عين الفساد فهل عسيتم
فارجيتم ان توليتم امور الناس ان تفسدوا فسادا اساسيا في الارض
واعظم ان تقطعوا ارحامكم الذين يشاركونكم في المال والمنصب فهذا وان
ظن انه خير فهو اعظم شر اذ اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم عن سماع الحق
عند الافساد وقطيعة الرحم واعمى ابصارهم عن رؤيته وهذا هو الغالب لاهل
الولاية سيما المنافقين اي يفسدون ويقطعون مع زعمهم انهم يؤمنون بالقرآن
افلا يتدبرون القرآن المصلح لامور الدارين بحيث يتم به ملكها ابتلاهم
التدبر ام لا لانه يوصل انوار الغيب الى القلوب لكن على قلوب منكرة
تلك الانوار اقفالها التي لا مفتاح لها فهم في معنى المرتدين ان الذين ارتدوا
على ادبارهم من غير موجب للادبار بل من بعد ما تبين لهم الهدى الكامل في
الاقبال الشيطان سول زين بذلك الادبار لهم مع ظهور قبحه ولكن استتر
عليهم اذ املى لهم امهل فلم يؤاخذوا في الحال ذلك التسويل مع ظهور قبحه بانهم
صاروا محجوبين عن عند الله اذ قالوا للذين عادوا الله حتى كرهوا ما نزل الله
سنطيعكم في بعض الامر الذي تخالفون الله فيه فازال حفظه عنهم وهم وان
قالوا ذلك سرا اجرى الله معهم بمقتضاه اذ الله يعلم اسرارهم وهم وان فعلوا
ذلك لدفع ضررهم الدنيوي فكيف يدفعون ضرر الله على الردة اذا توفتهم
الملئكة يضربون وجوههم التي ولوها عن الله الى اعدائه وادبارهم التي ولوها
عن الاعداء الى الله ذلك الضرب لا بضرر تهم انفسهم عنهم بل بانهم اتبعوا ما اسخط

الله من اطاعة اعدائه وكرهوا رضوانه في معاداتهم فادى بهم الى الردة
فاحبط اعمالهم التي تفيدهم النجاة عن ذلك الضرب وعن الفضائح الدنيوية
ام حسب المنافقون ان الله لا يعلم اسرارهم التي تفتضحون بظهورها ام
حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق تفرع منه اضغان على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان لن يخرج يظهر الله اضغانهم احقادهم
ولو نشاء ان نبالغ في افضاحهم لاريناكهم منصوصين في الحس بصور تلك
الاضغان كما نفعل في العقبة ولكن لا نفعل ذلك قبل العقبة بل نفضحهم فضيحة
عامة وخاصة فلعرفتهم فوالله لتعرفنهم معرفة خاصة بسيماهم علاماتهم التي يدركها
المتفرسون الناظرون بنور الله ولتعرفنهم معرفة عامة في لحن امالة القول والله
تعالى لو لم يعلم اسراركم كما زعموا فلا شك انه يعلم اعمالكم التي هي دلائل الباطن
فنظهر ما بين الظواهر ولعلم تمكنا اظهار بواطنكم بظواهركم لنبلونكم بتكليف
الجهاد حتى نعلم نظهر ما علمنا فنظهر على العامة المجاهدين منكم والصابرين على
قتال الاعداء وسائر تكاليف الجهاد ونبلو اخباركم في ترك الجهاد من
اول الامر صف الفرار احرازا في موافقتكم مع الكفار وهذا الابتلاء ليس
لدفع الضرر عن نفسه بل عن المبتلي ان الذين كفروا وصدوا منعوا الناس عن
سبيل الله وشاقوا الرسول لا لظهور كذبه عندهم بل من بعد ما تبين لهم الهدى
لن يضروا الله شيئا لا بالكفر اذ غايته ان يبقى مجهولا لهم ويكفي في كماله علمه بذاته
ولا بالصد عن سبيله اذ غايته ان لا يعبده احد ولا يشفع بالعبادة
فلا يتضرر بتركها ولا بمشاقة الرسول وان كانت عداوة الله اذ لا
يتضرر بعداوة احد وانما ابتلاهم لانهم يتضررون به لانه سيحبط اذا لم يتوبوا اعمالهم
فتنقلب محاسنهم مضار وكيف لا يخاف هذا الاحباط على الكفر والصد
والمشاقة مع انه يخاف على ترك اطاعتهما يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا بترك اطاعتهما الذي يخاف افضاؤه الى الكفر بهما اعمالكم

ثم اشار الى انه وان لم يتضرر به لكنه لما كان ضررا في نفسه ولم يبلوه حتى يمكنهم
ازالته فلا بد ان يضره وابه فقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم لا لكفرهم لانه صار حجابهم ولا لصدهم لانه حق
الخلق بخلاف ما لو ماتوا بعد التوبة فانه يغفر لهم ولا يعذبون بالصد دائما
فلا يخلو عن نوع من الغفران واذا كان الله لا يترك الانتقام منهم مع عدم
تضرره بكفرهم وصدهم عن سبيله ومشاقة رسوله فلا تهنوا لا تضعفوا عن
قتالهم مع تضرركم بتركه وتدعوا الى السلم الصلح لدفع ضررهم لانه يوهم
عجزكم المفضي الى عود ضرر اشد ولا عجز لكم اذ انتم الاعلون كيف والله معكم
بالعون والنصر ولا يتعللوا بفوات بعض كمال العبادات عند الاشتغال
بالجهاد فان الله تعالى لن يتركم لن ينقصكم اعمالكم ثوابا ولا وجه لترك الجهاد
لاجل الدنيا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو فلا يرغب فيها العقلاء وانما يرغب
فيها الجهال كيف والجهاد مقو للايمان والتقوى وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم التي هي اجل من الدنيا وابقى ولا يسألكم الدنيا اذ لا يسألكم اموالكم في
مقابلة تلك الاجور نعم يسألكم منها ما لا تتضررون بانفاقه وتنتفعون بالاعوان
وانما لم يسألكم جميعها لانه ان يسألكموها فيحفكم فيبالغ في طلبه بطلب كله تبخلوا ثم
تحقدوا على الله ورسوله ويخرج اضغانكم فيوجب قتالكم كقتال سائر الاعداء
ها انتم هؤلاء اي تنبهوا ايها المخاطبون مع اسم الاشارة ليلاذ بكم ما في ذلك هذا
السؤال من عظم اللطف وما لطف بكم في سؤال الانفاق في سبيل الله مع خستكم
اذ تدعون اي يدعوكم الله ورسوله لتنفقوا في سبيل الله وهو انفع لكم من الانفاق
على انفسكم واهليكم فمنكم من يبخل وان لم يحف ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
بمنع الثواب الابدي مع عدم تبار المال لا عن المضيق عليه اذ الله ينفق عليه
كيف والله الغني فلا يترك الانفاق على عبيده اصلا وانما امركم بالانفاق على
عبيده اذ انتم الفقراء الى ثوابه وان تتولوا عن امره بالانفاق في سبيله يستبدل

قوما غيركم يهلككم ويأخذ بدلكم لاقامة دينه قوما آخرين فلا يبقون انتم ولا اموالكم
لكم ثم بعد قربهم ابدالا لكم على التولي لا يكونوا امثالكم في البخل وترك الجهاد
والايمان والتقوى فيجدون ويبقون عزهم من في الدارين فافهم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الفتح

سميت به لدلالته
على فتح البلاد والحج والمعجزات والحقائق وقد ترتب على كل واحد منها المغفرة
واتمام النعم والهداية والنصر العزيز وكل منها امر جليل بسم
الله المتجلي بكمالاته في فتحه الرحمن بجعله سببا لغفران الذنوب الرحيم بجعله
سببا لاتمام النعم والهداية والنصر العزيز انا باعتبار مقام عظمتنا فتحنا
البلاد تعظيما لك في قلوب العباد اذ كان فتحا مبينا لرجحان دينك على
الدين كله فجعله سببا لتكثير حسناتك بحسنات اتباعك ليغفر لك الله تلك
الحسنات ما تقدم من ذنبك قبل النبوة من عملك بالاديان القاصرة التي
نسخت بهذا الدين وما تأخر بعد النبوة قبل الفتح من التقصيرات مخافة
الاعداء ويتم نعمته عليك بتوفيقه الاعمال التي لا يبالي مع تشويش الاعداء
ويهديك صراطا مستقيما في باب الاخلاق من غير افراط ولا تفريط مما لا
يبالي مع افراط الغضبية او الشهوية وينصرك الله نصرا عزيزا على من لم
تفتح بلادهم بعد بحيث لا يغلبون على ما فتح عليك من البلاد او انا فتحنا لك
عن الحج والبينات فتحا مبينا لصدقك ليغفر لك الله بانارة قلوب الخلق
وازالة الشبه عنهم ما تقدم من ذنبك من عدم اقامة الدلائل لهم وما تأخر من
عدم ازالة الشبه الواردة على حججك ويتم نعمته عليك بافاضة وجوه الادلة
عليك ويهديك صراطا مستقيما في محاجة كل فرقة بما يناسبها وينصرك الله
على من يجادلك بالباطل نصرا عزيزا تغلبه به وان كان معاندا او انا فتحنا
لك عن المعجزات فتحا مبينا لكونها من عند الله لا يلتبس بالسحر ليغفر لك

الله لیظهر نور النبوة ما تقدم من ذنبک الذی هو احتجابک بالبشریة وما تأخر
من احتجابک بالملیکة ویتم نعمته علیک بتکمیل النبوة والولایة ویهدیک صراطا
مستقیما فی اظهار کل معجزة فی مکانها وینصرک الله نصرا عزیزا علی من اراد معارضة
فی معجزاتک او انا فتحنا لک عن حقایق الاشیاء فتحا مبینا لعلو شأنک عند الله
لیغفر لک الله ما تقدم من ذنبک الذی هو الجهل بالاشیاء علی ما هی علیه وما تأخر
من القصور فی الاحاطة بها ویتم نعمته علیک بکشف الحقایق العلویة ویهدیک
صراطا مستقیما فی کشفها وینصرک الله علی عوایق کشفها نصرا عزیزا وانما نسب هذا
الفتح الی الله تعالی مع ان فتح البلاد منسوب الی قوة الرجال والحجج والبینات
الی القوة الفکریة والمعجزات الی القدسیة والحقایق الی التصفیة اذ هو الذی
انزل السکینة الثبات والطمانینة فی قلوب المؤمنین حتی ثبتوا فی محاربة
الاعداء فلم یولوهم الادبار وسکنوا للحجة فلم یتوهموا انها تلبیسات وللمعجزات
فلم یقولوا انها سحر وللحقایق فلم یحتجبوا عنها بشیء لیزدادوا ایمانا مع ایمانهم برؤیة
نصر الله وتقویة الاعتقادات بکثرة الحجج والمعجزات وتفاصیل الحقایق و
المنسوب الی ما ذکر منسوب الی الله وهو من جنوده اذ لله جنود السموات
والارض وانما اتخذ الجنود مع غناه عنها لعلمه بترتب بعض الاشیاء علی بعض
واقتضاء حکمته ذلک اذ کان الله علیما حکیما علی ان الظهور بکمال اللطف
فی قوم والقهر فی آخرین بمقتضی الالهیة من غیر ان یرتبهما علی التکلیف یشبه
الظلم والتحکم فرتبهما علی الایمان الذی هو اصل التکالیف لیدخل المؤمنین و
المؤمنات سیما الساکنین فی محاربة الاعداء وسماع الحجج ورؤیة المعجزات
وظهور الحقایق جنات کل جنة فی مقابلة اعتقاد او عمل او خلق تجری من
تحتها الانهار خالدین فیها کما اجروا انهار دماء الاعداء وغبار الحجج
ومعانی المعجزات وتفاصیل الحقایق ولا یعوق عنها سیئاتهم اذ یکفر عنهم سیئاتهم
وانما نسبت الی کمال لطفه مع ظهور منع الاسباب اذ کان ذلک عند الله فوزا

عظیما فوق ما تقتضیه الاسباب ویعذب المنافقین والمنافقات سیما الجناة
والرادین للحجج والمعرضین عن المعجزات والحقایق وهم وان لم یظهروا بعض
منع الامور فی مضی من ظاهر بها من المشرکین والمشرکات وفقهم التی ظهروا
بها کقوة رجالهم علی نسائهم وکیف لا یعذبهم مع کونهم الظانین بالله ظن
السوء مثل انه لا یصدق وعد النصر وانه یلبس بهذه الحجج وانه یظهر
المعجزات علی یدی الکاذب علی انهم اعتقدوا فیه ما لبس علیه ولما دار بهم ظن
السوء صارت علیهم دائرة السوء کیف وقد غضب الله علیهم بکل خصلة منها
توجب منع المعاقبة ولیس کغضبه علی غیرهم اذ لعنهم وهو ان اقتضی تعجیل
العقوبة اقتصر علی ان اعد لهم جهنم ولا ینفعهم حینئذ لذائذ الدنیا اذ
ساءت مصیرا کیف وینقلب صورا مولمة ولا یبعد جعلها اسباب تعذیبه
اذ هی من جنود الله ولله جنود السموات والارض ولا ینافی کونها جنود لطفه
اولا اذ کان الله عزیزا بحکمة جعله سبب اللطف سبب القهر کما ان له ان یجعل
الاطعمة التی هی اسباب اللذة اسباب الالم بالمرض وکیف یترک ذلک مع
ان اقتضاء الحکمة ذلک من کونه حکیما ولا اقتضاء الحکمة بکمال اللطف والقهر
من غیر ملابسة ما یشبه الظلم رتبهما علی التکلیف بالایمان مبنیا علی الدلایل
القطعیة والمکاشفات الجلیة مع السایق والزاجر انا ارسلناک شاهدا
باقامة الدلایل واظهار الحقایق ومبشرا بغایة اللطف لیکون سایقا ونذیرا
بغایة القهر لیکون زاجرا فرفع الاعذار لتؤمنوا بالله ورسوله وانما کان
الایمان بالله مطلوبا له لتضمنه ان تعزروه تعتقدوا قوته بحیث لا یحتاج الی شریک
وتوقروه تعتقدوا عظمته بحیث لا یشارکه شیء فی صفاته وغایة ذلک
ان تسبحوه تنزهوه عن کمالات الحوادث فضلا عن النقایص وان رایتم ظهورها
فیها فی کل وقت تسبحوه بکرة واصیلا وانما کان الایمان بالرسول مطلوبا لله لانه
کالمتحد حتی کان مبایعته مبایعة الله ان الذین یبایعونک انما یبایعون

الله لعنانه عن نفسه وبقائه به ثم نزل بدح منزلة قدرته وعطائه فكانما يد الله
فوق ايديهم ومن ثمه عظم امر النكث والوفاء فمن نكث نقض بيعته فانما ينكث بايقاع
الضرر على نفسه لا عليك كما لا يقع على الله ومن اوفى بما عاهد عليه رسوله
فكانما اوفى بما عاهد عليه الله ولا يكون اجره على الرسول حتى يتوهم فيه
النقص بل على الله فسنؤتيه اجرا عظيما يناسب عظمتنا كالجنات وما فيها
وكالرؤية سيقول لك عند ظهور فوت الناكثين وهم المخلفون عن استغفارك
الى الحديبية فهي مرحلة من مكة او اقل سميت باسم بئر فيها وهم اسلم وجهينة ومزينة
وغفار من الاعراب الذين ليس من شانهم المبالغة في حفظ الاموال و
الاهل شغلتنا او حصل شغلنا عن بيعتك التي هي بيعة الله اموالنا واهلونا
اذا آثرنا على الله ورسوله وقدموا الاموال لانها احب اليهم فاستغفر لنا المعصية
استغفارنا نظهرون انهم يعتقدون عظمة سنخ المعصية مع انهم لا يعتقدونها
معصية اصلا فهم يقولون في باب الاعتقاد بالسنتهم التي لا عبرة بها في هذا الباب
ما لم تكن مترجمة عن الباطن ما ليس في قلوبهم اعتقادا او ان تصوره وتعبر واعنه
بالعبارة الكاذبة قل لا فائدة في هذا الاستعمال مع ترك الالتفات الى الله
الذي بيده الضر والنفع فمن يملك لكم من الله شيئا من دفع ضر ان اراد بكم ضرا
في اموالكم وانفسكم مع قيامكم بهما من غير التفات الى الله تعالى او من يملك
عليكم شيئا من الضر على خلاف ارادة الله تعالى ان اراد بكم نفعا لو خرجتم بالغزو
والغنائم مع حفظ الاموال والاهلين ثم انه لم تخلفكم شغلها بل قبائحكم الظاهرة
والباطنة خلفتكم الله بها اذ كان الله بما تعملون خبيرا بل عقائدكم الفاسدة اذ ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بل يستاصلهم قريش فانهم و
ان علموا انهم لم يقدروا عليهم اذ كانوا في ايديهم فكيف يعجزوا لخروج عنها لكن زين
ذلك في قلوبكم انما زين ذلك في قلوبكم لانكم ظننتم بالله ظن السوء وهو انه لا يفي بوعده
لرسوله بالنصر فما ظننتم بالله ذلك لانكم كنتم قوما بورا هالكين بالكفر كيف ما انكاره بالله

اعتقدتم انه لن يرجع صح

وفارق الله وعن رسوله كانكار ربوبيته ورسالته ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانكره باعتبار اسمه الباطن والظاهر جميعا فانا وان لم نعذبهم في الحال
اعتدنا للكافرين سعيرا ولا يلزم من الغضب العذاب في الحال سيما في حق من
لا يتالم بغضبه فيدفعه بالام المغضوب عليه وانما يوقعه بمقتضى ملكيته
اذ لله ملك السموات والارض ولذلك لا يضطر الى العذاب بل يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء ولو فرض ان غضبه يولم له فهو معارض بغفرانه
ورحمته اذ كان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون عند الاشتغال باموالهم
واهليهم بعد طلبهم الاستغفار لهم اذا انطلقتم قصدتم السير الى اكثر مغانم
لخيبر لتاخذوها ساذجة ذرونا اتركنا في الانطلاق اليها نتبعكم في اخذها
وقتال اهلها يريدون بطلبهم تركهم في طلب الاستغفار ان يبدلوا كلام
الله في سنخ التوبة فاسناد ذلك تخريج قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا وقصدوا بذلك ابطال النبوة قل لن تتبعونا في القتال وانما
تتبعونا في اخذ الغنائم اذ كذلكم قال الله من قبل ولا تبدل هذا القول منه
النسخ لكونه من باب الاخبار فاذا اظهرنا ذلك لهم فسيقولون لم تقل الله
شيئا بل تحسدوننا فرحا بذلك باظهار الكفر فليس هذا من فطانتهم كانهم
لا يفقهون الا قليلا فان سال امل اسقط الله عنهم الجهاد قل للمخلفين ليس
التخلف سببا لاسقاط الجهاد لكن سوالكم عن قتالهم لكونكم من الاعراب
بل الحاكم الله عليكم بعدما بعثكم اي بعضا عليكم نحو اجرتنا يعني
لكن ستدعون اي يدعوكم الائمة من بعدي الى قتال قوم من المرتدين كقوم
مسيلمة وبني حنيفة اولي باس شديد ربما يصعب قتالهم لمن صعوبة قتال
من اماثلهم ولا دخل للصلح والامن فيه بل تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا
امر الائمة يؤتكم الله اجرا حسنا وان لم يبلغ اجرنا بعد الذي فوتم بالتخلف
اول مرة وان كان قتالهم اشد من قتال من قاتلهم وان تتولوا عن امرهم

كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما على التولين جميعا وخص
من هذا الوعيد اصحاب الاعذار وان حدث بعد التخلف الاول ليس
على الاعمى حرج وان امكنه القتال باحساس صوت مشى العدو ومشى
فرسه لكن يصعب عليه حفظ نفسه عنه ولا على الاعرج حرج وان امكنه القتال
قاعدا لكن لا يمكنه الفر والكر ولا يقوى قوة القائم ولا على المريض حرج فانه
وان امكنه الابصار والقيام فلا قوة له فى دفع العدو فضلا عن الغلبة عليه
وصولا وان فاتهم الجهاد لا ينقص ثوابهم اذا اطاعوا الله ورسوله فان من
يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار لما فاض من فوائد
الاطاعه ومن يتول عن اطاعتها فانه وان كان اعمى او اعرج او مريضا يعذبه
عذابا اليما اشد من عذاب البصير والماشى والصحيح وكيف لا يكون لمطيع الله
ورسوله ذلك الاجر مع ان مبايع رسوله على الاطاعه استوجب رضوان الله
فانه لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك على ان يطيعوا الله ورسوله فى
العسر واليسر تحت الشجرة سمرة او سدرة وكان ظلها فى الظاهر من اسباب طمانينة
الباطن فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة الطمانينة عليهم ليدوم
عليهم رضوانه ومما يدل عليه انه اثابهم فتحا الخيبر قريبا مع قوتهم ومنالهم واثابهم
وراء النصر على عدائهم مغانم كثيرة ياخذونها ليتقووا بها على فتح ساير البلدان
وان كان بعضهم قوة لكن كان الله عزيزا غالبا على قوتهم وانما جعلها لكم مع كونه
معكم لكونه حكيما ولكونها دلائل الاجر الاخروى جعلها دلايل الغنايم المستقبلة
اذ وعدكم الله وراء هذه المغانم الكثيرة مغانم كثيرة تاخذونها حال الغنا كما
اخذتم هذه حال الفقر ليعلم ان جعلها ليس للاضطرار فعجل لكم من المغانم الخيبرية
لتشتغلوا بوعده فى المستقبل فجعلها غنائم باردة اذ كف ايدى الناس اهل خيبر
وحلفائهم من اسد وغطفان عنكم ولتكون عطف على لتشتغلوا المحذوف اى
الغنيمة الدنيويه آية على الغنائم الاخروية للمومنين لانهم لما اثيبوا بها فى غير دار

الجزاء فى دار بطريق الاولى بخلاف الكفار اذ لا ثواب لهم فى الاخرة و
يهديكم صراطا مستقيما لانكم اذا ورثتم اموال الكفار فى الدنيا يستدلون بذلك
على انكم ترثون منهم الجنة وان الثواب الدنيوى دليل الثواب الاخروى
لا عدمه وانما منع الكافر من ثوابه بعارض الكفر وان التلذذ بالطيبات
لا ينافى التوجه الى الله بل يزيده اذا شكر عليها وانما ينافيه لو شغلته وعجل
لكم غنيمة اخرى من هوازن لم تقدروا عليها بل وليتم منهم الفرار لكن قد
احاط الله بها من غير وساطتكم فاعطاكم النصر بعد الفرار وكان الله على كل
شىء قديرا فقدر على جعل المغلوب غالبا فى النصر بعد الانهزام من خواص المومنين
فانه لو قاتلكم الذين كفروا بعد الانهزام لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا يصلح
امورهم ولا نصيرا يغلبهم وهذا وان لم يمتنع عقلا امتنع عادة لكونها سنة الله
التى قد خلت مضت فى كفار الامم السالفة مع مومنيها من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا اذ لا يتبدل العادات الا بطريق المعجزة او الكرامة وليس اهل
الكفر من اهل التبدلات و كيف ينصر الكفار بعد هزيمتهم على المسلمين
وفيه مزيد منتهم وقد راعى حرمة مكة بعدما راعى حرمة المسلمين ونصرهم اذ هو
الذى كف ايديهم عنكم رعاية لحرمتكم حين خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة
الى الحديبية فبعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة وايديكم عنهم اذ صاروا ببطن مكة داخلها رعاية لحرمتها من بعد ان اظفركم
عليهم فامكنكم ان يستاصلوهم كيف وهو انما نصر المسلمين بعد هزيمتهم بالنظر
الى اعمالهم الصالحة اذ كان الله بما تعملون بصيرا ولا عمل للكفار يقتضى النصر
بعد الهزيمة الواقعة بالقهر الالهى على اعمالهم اذ هم الذين كفروا وهو وحده يقتضى
القهر لكن لم ينصروا عليه بل مع ذلك صدوكم عن المسجد الحرام وهو فى معنى
قطع الطريق على اهل الله ان يصلوا اليه وصدوا ايضا الهدى وهو ما
ساقه صلى الله عليه وسلم من البدن سبعين فصار معكوفا محبوسا من ان

هنيك صح

يصل الى الله تعالى لانه منع ان يبلغ محله من الحرم الذي جعل منزله حريم
دار السلطان وصد عن المسجد الحرام بحيث منع حرمة مكة لكنها ما كانت بحرمة اهل
الايمان ولولا رجال مؤمنون ولا تقصر من الحرمة على اهل الكمال منهم بل
ولولا نساء مؤمنات لم تعلموهم لم يكف ايديكم عنهم فهو انما كفها كراهة ان تطؤهم
تدوسهم فتصيبكم منهم معرة مكروه من الدية والكفارة والتعيير والاثم بالتقصير
في البحث عنهم بغير علم وانما ترك من لا المؤمنين هناك فكف ايدي المسلمين
عن الكفار ليدخل الله في رحمته من يشاء منهم بتوفيقه للاسلام ولكنه ليس
بمانع بالحقيقة لان العبرة بالحال لذلك لو تزيلوا لو تميز المسلمون منهم لعذبنا
الذين كفروا منهم بالاسر والقتل عذابا اليما سيما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية بانكار اسم الرحمن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا غيرة للحق بل حمية
الجاهلية وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية فهم بقتالهم بعثوا سهيل
بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليرجع من عامه ويخلي
له مكة من القابل ثلثة ايام فقال صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا ما نعرف
هذا اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم
اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يبطشوا فانزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين فتحملوا لان قتالهم يفضي الى قتال من فيهم من المسلمين والزمهم كلمة
التقوى فلم يسوء اعتقادهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحملوا ذلك
على ضعفه وكانوا احق بها لان من بعدهم يتبع لهم واهلها لان الله تعالى
استاهلهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله بكل شيء عليما فراعى من
فيهم من المسلمين ولما ازال شبهة موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين
على حميتهم ازال شبهة كذب رؤياه التي هي وحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم
راى في المنام انه واصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين

فحسبوا ان ذلك في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا
البيت فقال تعالى قبل الوقوع لقد صدق الله رسوله الرؤيا فليظهرن كونه بالحق
لتدخلن المسجد الحرام من القابل ان شاء الله ان لا يموت احد منكم ولا
تشغله بشغل آخر آمنين من الصد والقتال وان لم يأمن بعضكم التقصير
في تكميل النسك اذ يكون بعضكم محلقين رؤسكم وبعضكم مقصرين لا تخافون
من المكث ولو دخلتم العام لمكرتم فعلم ما لم تعلموا من فائدة الصلح من رعاية المسلمين
الذين بايدي الكفرة والامن من المكث وانتم ترون فيه موافقة المشركين في حمية
الجاهلية من غاية الضعف فانكسر خاطركم فجبره الله فجعل من دون ذلك
فتحا قريبا خيبر فيما يدل على عدم ضعف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا يزيل
شبهة ضعف الرسول وكذب رؤياه مع انها مانعة من ظهور دينه لكن هو الذي
باعتبار ذاته ارسل رسوله بالهدى اي الدلائل القطعية ودين الحق ليظهره
على الدين كله ويدل على ان ارساله من ذاته شهادته على رسالته بصريح قوله
الذي هو صفة ذاته اذ كفى بالله شهيدا اذ شهد بقوله محمد رسول الله وجعله
من المعجز القولية الدالة بذاتها على صدق من ظهرت على يديه وقد ظهر دين
الحق في اصحابه اذ الذين معه اعتدلت قوتهم الغضبية بتبعية اعتدال
الفكرية والشهوية اذ هم اشداء على الكفار لرسوخهم في صحة الاعتقاد بحيث
يغارون على من لم يصح اعتقاده رحماء بينهم لعدم ميلهم الى الشهوات
هذا باعتبار الاخلاق واما باعتبار الاعمال فانت تريهم متذللين لله بالتوسط
تارة ركعا وبالافراط اخرى سجدا ولا باس بالافراط فيه لانهم يبتغون فضلا
ثوابا من الله الذي لا نهاية لفضله ورضوانا يقربهم اليه ولا غاية للتقرب
منه وهذا الابتغاء وان كان امرا خفيا لكن يظهر اثره في الظاهر اذ سيماهم
علامة ابتغائهم ظهور النور في وجوههم من اثر السجود في تنوير الباطن
بحيث يسري الى الظاهر ذلك مثلهم صفتهم العجيبة التي ذكرها الله في التورية

واما مثلهم في الانجيل فهو انهم كزرع اخرج شطأه فراخه وهو ظهور انسانيتهم
بالاعتقادات الصائبة فآزره قواه وهو بالدلائل العقلية والنقلية فاستغلظ
انتقل الى الغلظ بالاعمال فاستوى على سوقه استقام على قصبه وهو بالاخلاق
يعجب الزراع زراع الآخرة بما يظهر فيهم من العلوم والكرامات ليغيظ بهم بظهور
الكفار اذ ينالون بلا رياضة ما لا يبلغونه بالرياضات الصعبة وعد الله الذين
آمنوا بظاهرهم وعملوا الصالحات وان لم يكن لهم احوالهم ومقاماتهم منهم مغفرة
لنقص بهم واجرا عظيما فوق اجر العامة لحبهم اياهم تم والله الموفق والملهم و
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
وآله اجمعين

## سورة الحجرات

سميت بها لدلالة انها على سلب
انسانية من لا يعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية التعظيم ولا يحترمه غاية
الاحترام وهو من اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلي
بكماله في رسوله بحيث جعل التقدم على الرسول تقدما على الله الرحمن بنداء
اهل الايمان ليقبلوا الى سماع خطابه الرحيم بامره ونهيه يا ايها الذين آمنوا
ناداهم ليقبلوا الى اصغاء خطابه وابهمهم ثم فسرهم ليتوقع عظيم في انفسهم مزيد
وقع وقد وقعت في الخطر عند ورود الخطاب الآتي عليها فلا بد من المبالغة
في حفظها بمقتضى الخطاب ونبههم لينتبهوا لفهم اسرار خطابه واتى بالماضي ليعلموا
ان لهم التقدم في هذه الصفة فلا بد لهم في التحفظ عليها لئلا ينصرم انصرام الماضي
لا تقدموا انفسكم ولا غيركم قولا او حكما على قول الله ورسوله وحكمهما في الكتاب
والسنة فتصيروا كالسائرين بين يدي الله ورسوله وهو مناف للايمان لانه
ينبئ عن تعظيمهما في الغاية والتقدم ينافيه واتقوا الله ان تخالفوا اوامره ونواهيه
فيه تقدم لا سيما انفسكم عليهما ولا يخفى عليه ان الله سميع لاقوالكم اللفظية
والنفسية عليم بما قدمتم عليه من اجله فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا كيف لا ينافي
الايمان التقدم على الله ورسوله وقد نافى رفع الصوت فوق صوته لا ترفعوا اصواتكم

فوق صوت النبي لمنافاته من تقدم اصواتكم الى اسماع الحاضرين قبل صوته كيف
وقد نافى الجهر له بالقول لا تجهروا له بالقول وان لم يقف تحت كجهر بعضكم لبعض لاشعاره
بقلة المبالاة به فيخاف من ذلك زوال الايمان المقتضي ان تحبط اعمالكم وان لم يكن
على قصد قلة المبالاة بل يكفي الاشعار فيكون محبطا لاعمالكم وانتم لا تشعرون
لعدم قصدكم قلة المبالاة به ان الذين يغضون اصواتهم بالغوا في خفضها
عند رسول الله وان لم يؤمروا بها اولئك الذين اخلصوا لمزيد التقوى اذ جاوزوا
الورع في الجهر وانما زادوا تقواهم لانهم امتحن اختبر الله قلوبهم فوجدها قابلة
لان يصير وعاء للتقوى فهم وان احوجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استفهام
كلامهم لهم مغفرة لانهم زادوا في توقيره وكيف لا ومقتضاه اجر عظيم بدفع ذنب
الاحراج الى الاستفهام وليس هذا الغض والجهر مخصوصين بحضوره صلى الله
عليه وسلم بلا حائل بل ان الذين ينادونك يدعونك ولو من غير جهر بعضهم
لبعض وقد ناداه من ورائها عيينة بن حصن والاقرع بن حابس من جهة
وراء خارج الحجرات عند كونك فيها استعجالا لخروجك اليهم ولو بترك ما انت
من الاشغال اكثرهم لا يعقلون اذ لا يفعله محتشم ولا يفعل بمحتشم فلا يراعون
حرمة انفسهم ولا حرمتك ونسب الى الاكثر لانه قد يتبع عاقل جماعة الجهال
موافقة لهم ولو انهم صبروا حتى تخرج اي ولو ثبت صبرهم الى حين خروجك
اليهم لكان خيرا لهم لان خروجك باستعجالهم ربما يغضبك فيفوتهم فوائد رؤيته وكلامه
وان صبروا استفادوا فوائد كثيرة مع اتصافهم بالصبر ورعاية الحرمة لنبيهم
وانفسهم وهذا وان كان اساءة للادب منهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن لكونهم في حكم المجانين يغفر لهم اذ الله غفور بل رحمن بفوائد
رؤيته صلى الله عليه وسلم وكلامه لانه رحيم واذا كان الصبر خيرا في الاخذ
من الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف لا يكون خيرا في الاخذ من الفاسق الى
التثبت يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق لا يمنعه ايمانه من الكذب كما

صوته

الحابس خ

لا يمنعه من ساير المعاصي بنبأ عن قوم تقتضي ايذاءهم فتبينوا فاستظهروا
صدقه من كذبه بطريق آخر كراهة ان تصيبوا قوما اذية بجهالة باستخفافهم
اياما ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم فتصبحوا على ما فعلتم من ايذائهم نادمين
وحق المؤمن ان يحترز مما يخاف منه الندم في العواقب واعلموا ان فيكم
من الجهل ما سبق فجهل المنادي من وراء الحجرات فجهل الآخذ بنبأ الفا
سق وهو انكم تريدون ان على الرسول ان ياخذ بكل ما تشيرون له فكانكم لا تعلمون
ان فيكم رسول الله يحتم ان تطيعوه في كل ما يشير لكم ولا تستظهروا اطاعته في كل
ما تشيرون له لو يطيعكم في كثير فيه اشارة الى انه لا بد وان ياخذ ببعض ما تشيرون
له اذا لم يشاوره من الامر لعنتم لهلكتم باعتقاد ان رايكم اجل من رايه
وهو يمنعكم من الايمان به ولكن الله حبب اليكم الايمان وعارض زينة رايكم
لكم زينة الايمان اذ زينه في قلوبكم ولم يجعلها بحيث تعتقدوني ترجيح له على
الكفر بل كره اليكم الكفر او بالغ حتى كره اليكم مقدماته اعني الفسوق الخروج
عن مقتضى الدلايل ولواحقه اعني العصيان مخالفة اوامره ونواهيه اولئك
وان كان فيهم هذا الجهل هم الراشدون لانهم عارضوه بما هو رشد محض وهم
وان كانوا مختارين في ذلك فاختيارهم فرع تحبيب الله وتكريهه فكان فضلا
من الله وكيف لا وقد كان نعمة مع وجود المانع وهو الجهل ولم يكن الله يفضل
عليهم محكما لانه عليم باستعدادهم وهو وان لم يجب عليه شيئا فلا يفعل على
خلاف الحكمة وهو حكيم ومن الجهل الذي لا يندفع بالايمان وكراهة الكفر
اقتتال المؤمنين بالشبهة الباطلة ظنا ان اقتتل طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
بالشبهة فاصلحوا بينهما بازالتها فان بغت تعدت بعد ظهور ضعف الشبهة
احديهما على الاخرى تفوقا فقاتلوا باتباع الامام الطائفة التي تبغي تستمر على
البغي حتى تفيء ترجع الى امر الله من اطاعة الامام فان فاءت طلبت كل طائفة
منهما ما اخذ منها فاصلحوا بينهما بالعدل برد العين وقيمة ما تلف بعد القتال

فانه

واقسطوا في التقويم ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فلا ينبغي
ترجيح جانب واحد دون آخر في التقويم فان اختلف اثنان في تقويم شيء فاصلحوا
بين اخويكم بما يتبع الاتفاق بينهما واتقوا الله في ترجيح جانب واحد على جانب الآخر
لعلكم ترحمون لما سبق رحمة من يرجح جانبه ولما نهى عن قتال المسلمين
نهى عن دواعيه المقاتلين فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى الايمان ان لا يرى
الشخص نفسه خيرا من غيره لا يسخر قوم من قوم فيرى نفسه خيرا من المسخور من
غير علم عسى ان يكونوا خيرا منهم عند الله ثم عمم غير المقاتلين فقال ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن فانهن وان كن اكثر اهل النار فلعل ما في
طائفة المسخورة اقل مما في طائفة الساخرة وكاللعب بالافعال لا تلمزوا لا تعيبوا
اخاكم لانكم تعيبون به انفسكم بمباشرتها ما نهي عنه وهو قبيح وكالدعوة بلقب السوء
لا تنابزوا لا يدعو بعضكم بعضا بالالقاب السيئة لانه نسبة الى الفسوق الزايل
بالايمان بئس الاسم بئس الذكر المرتفع للمؤمنين الفسوق ان يذكروا به بعد
الايمان الذي ازاله لايهامه انه لم يزل ومن وان كانت صغاير لكنها اذا
اجتمعت صارت في معنى الاصرار على صغيره وهو في معنى الكبيرة على انها خوف
الخلق فهي اشد لذلك من لم يتب فاولئك هم الظالمون ولما فرغ عن المنكرات
الظاهرة شرع في المنكرات الباطنة كتكثير ظن السوء اجتنبوا كثيرا من الظن
السوء ان بعض الظن الذي هو من لوازم تكثيره اثم وهو الكاذب وكالتجسس
لا تجسسوا لا تبحثوا عن عورات المسلمين مخافة من الكشف ستر الله وكالغيبة
لا يغتب بعضكم بعضا بان يذكره بما يكره وهو غايب فاتلاف العرض كاتلاف
اللحم في الايلام والغايب كالميت في الغفلة وهو لكونه مؤمنا كالاخ ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فلو عرض عليكم تنفرت عنه نفوسكم فكرهتموه فكذا ينبغي ان
يكرهوا الغيبة واتقوا الله ان لم تكره نفوسكم الغيبة بعد هذا التمثيل وهذا وان
كان حقوق الخلق يمكن ازالتها بالتوبة بالاستحلال من صاحبها ان امكن و

يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم اجتنابا الاثم وهو من لوازم تكثير ظن السوء

وبالتصدق والدعاء والتضرع الى الله ان لم يكن ان الله تواب رحيم
ثم اشار الى ان منشاء هذه الرذايل الكبر واصله التفخر بالاباء والامهات
يا ايها الناس الذين نسوا نسبتهم الى خلق الله وذكروا النسبة الى الاباء
والامهات انا خلقناكم فاذا لم تتفخروا بهذه النسبة لاستواء الكل فيها فكيف
تتفخرون باعتبار كونكم من ذكر او انثى مع استواء الكل فيه وغاية تفخركم
بالشعوب والقبايل لكنا جعلناكم شعوبا جمع شعب اصل يجمع قبايل وقبايل
تجمع عماير تجمع بطونا تجمع افخاذا تجمع فصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة
وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة لتعارفوا
ليعرف بعضكم بعضا لا لتتفاخروا ولو صح فبالتقوى لايجابها الكرامة عند
الله ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولا عبرة بالكرامة عند غيره لان مرجعها الى
الذلة لكن التفاخر انما يكون بالامر الظاهر والتقوى من البواطن فالكرامة
بها انما تكون عند الله لاحاطته بالظواهر والبواطن ان الله عليم بالظواهر
خبير بالبواطن ودلالة ظواهر الاعمال على التقوى كدلالة كلمة الاسلام على
الايمان في الخلق قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا وان اخبرتم عنه
فالخبر كاذب ولكن قولوا اسلمنا تكلمنا بكلمة الاسلام والايمان وان كان
متصورا في باطنكم حتى عبرتم عنه لكن لما يدخل الايمان في قلوبكم ولا تعدم
اعمالكم بعدمه اذ لا طاعة فيها لله ولرسوله ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
لا ينقصكم من اعمالكم شيئا كما ينقص الاجر الاخروي بدون اطاعتها بل
يغفر لكم ويرحمكم ويدار اجرها ان الله غفور رحيم فان زعموا انهم مطيعون
لله ولرسوله بهذا الايمان الظاهر يقال لهم ليس المؤمن بالايمان الظاهر
مؤمنا مطيعا انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله في الظاهر ثم لم
يرتابوا في الباطن ويدل عليه في الظاهر اجتهادهم الذين جاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اعلاء لكلمته اولئك لا تسوء عليهم النفاق بل هم الصادقون

في دعوى الايمان فان زعموا انه انما يحتاج الى دليل الايمان في حق الخلق
لا في حق الله فيكفي صحة انا مؤمنون في انفسنا قل تقولكم انا مؤمنون ان
كان اخبارا للخلق فلا دليل على صدقه وان كان للحق فلا معنى له اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض كيف والله باعتبار الهيئة
بكل شيء عليم ومما يدل على عدم ايمانهم انهم يمنون عليك ان اسلموا بالاقرار
بنبوتك وبمتابعتك في الاعمال قل لا تمنوا على اسلامكم لكذب هذا الاقرار
وبطلان هذه الاعمال فان كان الاقرار صادقا والاعمال صحيحة فلا منة
لكم علي ولا على الله بل الله يمن عليكم ولي في منة دخل ان هداكم للايمان
ان كنتم صادقين لكن علم الله من قلوبكم انكم كاذبون لاطلاعه على الغيوب
ان الله يعلم غيب السموات والارض ولا يغره اعمالكم الظاهرة اذ الله
بصير بما تعملون من ان نشاء عملكم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة ق

سميت به لدلالته ما وتلاوته على اسماء الله تعالى
المقتضية ارسال الرسل فهي دلايل لميته وهي من اعظم مقاصد القرآن
بسم الله المتجلي باسمايه في مقطعات فواتح سور كتابه
الرحمن بانزاله مع مجده الرحيم بانذاره عن النقايص لافضائها الى سوء
العواقب ق اي اقسم باسمي القادر على الارسال والانزال والبعث والجزاء
او القدوس المقتضي للتطهير عن النقايص والقابض حق المظلوم من
الظالم والاعمال الصالحة اذا قبلها او القايم على كل نفس بما كسبت والقرآن
المجيد الشريف الذي لا يكون الا من ماجد الى ماجد وجواب القسم محذوف
وهو انك مرسل بمقتضى هذه الاسماء ويدل له هذا القرآن وكانه مشتمل على
لميته وانيته وقدم اللمية لتقدم رتبتها ثم ذكر الانية لقصور افهام العامة
عن ادراك لميته فلم ينكروا شيئا من هذه الاسماء ولا مجد القرآن بل دلالتها

على ارسال البشر اذ عجبوا ان جاءهم منذر منهم وعجبوا من انذاره العذاب
بعد البعث فقال الكافرون بدلالة من الدلائل هذا المدلول الذي هو
البعث شيء عجيب لو وقع أئذا متنا انرجع اذا متنا ولم نر ميتا رجع وان
امكن رجوع ميت انرجع اذا كنا ترابا وان سلم دلالة منع الاسماء والقران
المجيد على ذلك فلا شك ان ذلك رجع بعيد لانه استدلال في مقابلة امر علم
عدمه بالضرورة فاجاب بانه لا يصير جميع اجزاء الميت ترابا بل يبقى الجزء الاصلي
الذي هو عجب الذنب لا بعد علينا قلب احوال تلك الاجزاء بعينها اذ قد
علمنا ما تنقص الارض منهم وكيف لا وعندنا كتاب حفيظ لكل جزء فلا يختلط
سائر الاجزاء وليس تكذيبهم لهذا تكذيبا لما علم بطلانه بالضرورة بل كذبوا
بالحق لا حال غيبته بل لما جاءهم لكونه من الاوليات لكنهم توهموا انها من
الوهميات التي تشبه الاوليات فهم في امر مريج مختلط وانما جعلوها من
الوهميات لعدم جريان العادة بالبعث أينكرون البعث لعدم جريان العادة
به مع ان خلق الامور العظام ليس بطريق العادة فلم ينظروا الى السماء
فوقهم لا يكبر خلقه وقد علموا من عادته رعاية الحكمة فلم يروا كيف بنيناها
والبعث من مقتضى الحكمة وقد علموا ايضا ان من عادته رعاية الحسن
والكمال وتدارك الخلل في الامور العالية التي من جملتها الانسان فلم يروا
كيف زيناها فلا بد له من تزيين الانسان بالاخلاق الفاضلة والاعمال
الصالحة في الدنيا ثم بالثواب في الاخرة وقد علموا ان من عادته ان لا يترك
في الامور العالية خللا لذلك ما لها من فروج شقوق فكيف يترك خلل الانسان
بالاخلاق الردية والاعمال الطالحة ثم كيف لا يتدارك ذلك بالعقاب في
الاخرة ثم لا بعد منا خلق الانسان من عجب الذنب فانه كمد الارض
اذ الارض مددناها ولا بعد منا ضم الاجزاء العصبية التي هي لها كما
القينا فيها رواسي لتقريرها ولا بعد منا اثبات اجزاء من الاعمال كما انبتنا

فيها من كل زوج بهيج صنف حسن وانما دللنا بهذه الامور على ما ذكرنا لانا
خلقناها تبصرة للامور الاخروية بالدنيوية وذكرى للامور المعتقدة
بالمحسوسة لكنهما انما يحصلان لكل عبد منيب راجع الى الله تعالى بالتصفية
فانه يرى تنوع المذكورات بواسطة هذه الامور ومن لم يتناسخ من
الكتاب السماوي فانا انزلناه مباركا كما انزلنا من السماء ماء مباركا كثير
المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد الزرع الذي من
شانه ان يحصد والنخل باسقات طوالا لها طلع نضيد متراكم بعضه فوق بعض
كذلك انبتنا بالكتاب جنات العلوم وحب الاعمال المنقطعة ونخل الاعتقادات
الالهية والنبوية والامور الاخروية المثمرة للقرب والثواب رزقا للخواص
كما كان رزقا للعباد وكيف ولم نقصد الرزق الدنيوي فقط بل الدلالة على
الاخروي ايضا اذ احيينا به بلدة ميتا وكما خرج النبات من بذر الارض
كذلك الخروج خروج الانسان من بذر عجب الذنب وخروج الجزاء من بذر
الاعمال ثم ان منع الاستدلال لو كان في مقابلة امر علم عدمه بالضرورة
لم يهلك المجادل عليه والمكذب له لكن قد جرت السنة الالهية باهلاك المكذبين من
قبلهم فانه كذبت قبلهم قوم نوح وجادلوه وضربوه واصحاب الرس وهم بئر
كانوا على شفاه فانهار بهم بعدما جادلوا وقتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان وثمود
الذين جادلوا صالحا وقتلوا الناقة وعاد الذين جادلوا هودا في اصنامهم
وفرعون الذي جادل موسى في الهية الله واخوان لوط المجادلون في
اتيان الرجال واصحاب الايكة المجادلون شعيبا في الكيل والوزن وقوم تبع
المجادلون امامهم وعلمائهم في الدين كل من عمل اعمالا لم يوجد عليها وانما
اخذ على التكذيب اذ كذب الرسل في استدلالهم على الامور الاخروية و
التوحيد فحق وعيد فلا يستبعد تحقق الوعيد الاخروي فان زعموا انه انما
يستبعد لترتبه على البعث المحال قل لهم أفعيينا عن البعث مع انه مثل الخلق

الاول فيعينا عجزنا من تعلق قدرتنا بالخلق الاول لا يمكنهم القول بذلك
بل هم في لبس من خلق جديد في شبهة من شبهات امتناع اعادة المعدوم
ولا غفلة لتلك المسئلة بما نحن فيه لانه تجمع الاجزاء المتفرقة وتلك الشبهات وجوه
احدها لو عرضنا اعادة معدوم وهو قادر على ايجاد مثله مستانفا فلا
يتميز المعاد عن المستانف قلنا يتميزان بالهوية ولا عبرة بعدم التميز عندكم
الثاني لو اعيد بجميع العوارض لاعيد وقته الاول والموجود فيه مبتدا
لا معاد قلنا انما يكون مبتدا لو لم يكن وقته معادا الثالث لو صح اعادة
المعدوم لصح العود وهو يستدعي تميزه قلنا صحة العود صفة اعتبارية فلا
تقتضي امتيازا في الخارج والامتياز الذهني يعم الكل الرابع ان تخلل العدم
بين الشيء ونفسه محال فالموجود بعد العدم غير الموجود قبله قلنا التخلل انما هو
لو كان العدم بين زماني الوجود ويكفي التغاير الاعتباري وانا لم نشتغل
بحل هذه الشبهات لعدم توقف مسئلة البعث على مسئلة اعادة المعدوم
مع انها مخلوقة لنا فاما لقد خلقنا الانسان فاعراضه مخلوقة لنا ومن جملتها
وساوسه ونحن نعلم ما توسوس به نفسه وكيف لا نعلمها ونحن اقرب اليه لا بالمكان
ولا بالزمان ولا بالرتبة بل بالذات من غير اختلاط ولا حلول ولا اتحاد
من حبل الوريد من العرق الوارد من الراس الى معلق العنق لو لم نقرب
اليه يكفي قرب من يقرب الناس من الملكة اذ يتلقى هذه الوساوس عند
تقررها لكتب نيات صالحة او طالحة المتلقيان من الملكة احدهما عن اليمين
يمين القلب قعيد يكتب الحسنات كل حسنة بعشر امثالها او اكثر والآخر
عن الشمال قعيد يكتب السيئات كل سيئة بمثلها ليكونا شاهدين عليه وخص
اليمين لكونه جانبا قويا بعمل يقتضي قوة بها يقهر على النفس والشيطان والشمال
لكونه جانبا ضعيفا بعمل ضعف فيه عن قهرهما فاذا تقرر فان عمل وتلفظ
كتب عليه فانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب منتظر عتيد حاضر واذ كتب

لا تتصف المعدوم صح

من دقائق الفلسفة والا فكيف يجهل ذلك مع انها صح

اللفظ الذي هو ترجمة النية لدلالته على تقررهما فالعمل الذي هو دليله اولى
بالكتبة ومن لم يخرج عن هذا اللبس بما ذكرنا خرج عنه بسكرة الموت اذ
جاءت سكرة الموت شدته الغالبة على العقل بالحق بالكشف الذي لا يعرضه
شبهة عن الامور الغيبية فيقال له ذلك ما كنت منه تحيد تميل وتفر عند قيام
الدلائل عليه والآن لا يمكنك ذلك لكن هذا الكشف خيالي والحسي ينفخ في
الصور لرد الارواح الى الاجساد الحاملة للقوى الحاسة كلها ولا بد من
رد جميعها لتذوق انواع العذاب كما ذاق انواع اللذات المحرمة ذلك
يوم الوعيد الذي وعد فيه ان تجزى كل سيئة بمثلها ولتحقق الوعيد فيه
جاءت كل نفس معها سائق من عمالها والملكة ثم يقال له لقد كنت مع قيام
الدلائل عليه في غفلة من هذا عن الحجاب فكشفنا عنك غطاءك وهو ان
كان بدنك وحواسك فقد استنارت اليوم بنور يكشف لها عن ذلك فبصرك
اليوم حديد نافذ وتتأثر به سائر حواسك اذ قال قرينه الذي هو الشيطان
الملحق السائق والشهيد فيتخلص بمجرد ذلك من العذاب هذا ما لدي اي
شيء في قبضتي فانا سائقه عتيد مهيئ للنار اشهد بذلك عليه فيقال للسائق
والشهيد من الملكة القيا في جهنم كل واحد منهما والشيطان اولى لا يتصف
بوصف كفار مبالغ في الكفر عنيد لا يسمع دليلا في مقابلة كفره وقد زاد على
العناد بوصف مناع للخير الكلي الذي هو الايمان معتد متجاوز الحد في
العناد والمنع مريب موقع صاحبه في الريب مع كثرة الدلائل فاني يحصل له
التخلص من العذاب بمجرد هذا السوق او هذه الشهادة وقد استحق
الشيء بهذا الوجه ويكفيه للشك وجه واحد وهو انه الذي جعل بتعلقه
بالصنم مع الله الها آخر اذ اوهم آلهته بالغيا له لهذا الوجه لو لم يلحق للوجوه
الكثيرة في العذاب الشديد قال قرينه لما راى انه معذب من هذا الوجه
فطلب التخلف ههنا ما اطغيته بالارادة ومنع الاسلام وجعل آلة اخرى معك

الى امكان جزائها وشهيد من اجزائها والملائكة صح

ولكن كان في ضلال بعيد بعضه فوافقه على ذلك فلم تعذبني ملائكتك على
جمع منه الوجوه قال لا تختصموا لا تشتكوا تعذيبهم لدي بعدما امرتهم وما
امرتهم الا بعدما قد قدمت اليكم في كتبي وعلى السنة رسلي بالوعيد على جعل
الاله مع الله والارابة ومنع الاسلام والوعيد وان جاز تخصيصه بالوعد
في مقابلته ما يبدل القول لدي بالابطال الكلي على انه وانما يستحق الابطال
ما فيه ظلم وما انا بالتعذيب بالنار بظلام للعبيد يعني المبالغة فيه بنفي اصل
الظلم بطريق الكناية وكيف اظلمهم ولم اظلمهم لوعد بتعذيبه ظاهرا فاني وعدت
النار ان املاها من الجنة والناس فلا املاها بالبرآء يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد فلو كنت موفيا وعدها بظلم لملأتها
بالبرار لكني املاها بوضع قدمي اي تقهرها قهر من يضرب بالقدم وكيف
اظلم البرار بادخال النار ولم اظلمهم بابعاد الجنة عنهم اذ ازلفت الجنة قريب
للمتقين ونجا منهم الصراط كعدمها اذ هي كالبرق الخاطف وكان وصولهم
اليها غير بعيد بل يقال لهم في الموقف هذا ما توعدون فكأنهم دخلوها وهم في
الموقف كيف وهي مرجعهم اذ هي لكل اواب رجاع الى الله تعالى وقد حفظوا
عن اهوال الموقف لاتصافهم بوصف حفيظ مبالغ في الحفظ لانه لم يعتمد
على رحمة الله ليجترئ على معاصيه بل هو من خشي الرحمن بالغيب لان امره في
الرحمة والانتقام غيب وكذا امر التوبة بعد الاجتراء على المعصية ومع خشيته
للرحمن لم تزعه جار ترغيب منيب راجع اليه فسلم قلبه عن الالتفات الى ما سوى
الله وسلمت جوارحه عن المعاصي وسلمت طاعاته عن القوادح لذلك قيل
لهم ادخلوها بسلام عن اهوال القيمة كالحساب والميزان والصراط بل
ذلك اي يوم البعث في حقهم يوم الخلود في الجنة وليس المراد انهم يخلدون
في نعيمها بل لهم ما يشاؤون فيها ولا يقتصر في حقهم على نعيم الجنة بل لهم
لدينا مزيد على الجنة وهو رؤية وجه الله الكريم وكيف لا يخشى الرحمن بالغيب

بل

مع انا كم اهلكنا قبلهم من قرن وكيف يعتمد على رحمته في اهمال وكان
قد رحمهم بمزيد القوة اذ هم اشد منهم بطشا ورحمهم بالاستيلاء على الخلق
فنقبوا تصرفوا في البلاد ثم اهلكوا اهلاكا يقال فيه هل من محيص مفر
ان في ذلك الاهلاك بعد تلك الرحمة لذكرى تذكرة لمن كان له قلب صاف
فانه لا يعتمد رحمته بصفائه لما يرى من كثرة تقلبه بما يكدره او لم يكن له قلب
ولكن القى السمع لما اجرى الله على السنة انبيائه واوليائه وهو شهيد
حاضر القلب فانه يخاف ان يقلب قلبه من الحضور الى الغيبة ومن الطاعة
الى المعصية وكيف لا يخاف تقلبنا ولقد خلقنا السموات متقلبة بالحركة
الدائمة والارض وما بينهما متقلبة عناصرها من صورة الى اخرى مع ان
اصل ايجادهما تقلب سريع اذ كان في ستة ايام كيف ولا يعسر علينا التقلب
اذ ما مسنا في تقلب السموات والارض من لغوب تعب فان انكروا تقلب
الرحمة بالعذاب فاصبر على ما يقولون وسبح نزه ربك من ان يعجز عن هذا
التقلب كيف ولا ناقض الحكم فاجعل تسبيحك متلبسا بحمد ربك وقع
تغيره كما تقع في العالم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وان حصل لك
حجاب من الليل فسبحه ليستنير بنوره تنزيهه وكذا اذا حصل لك حجاب
نوراني من العبادة فسبحه ادبار السجود ينور لا بنور العبادة ولا
بعد استنارة المحتجب بالحجب الظلمانية بنوره فانه لا حجاب اعظم من الموت
والاموات تستنيرون بنور اسرافيل في صورة وهو اضعف من نور
الله استمع يوم ينادي المناد اسرافيل ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء فنور اسرافيل
الموتى بنوره ليسمعوا نداءه من مكان قريب وذلك لاستنارته بنور
ربه فاستمع يوم يسمعون الصيحة المستنيرة بالحق فكما كانت الاستنارة بنور
الله مخرجا من حيز البشرية الى مناسب الالهية كانت الاستنارة بنور

لتستنير صح

اسرافيل محرضا من حيز الموت الى الحيوة فمن ثم ذلك يوم الخروج وكيف لا تكون
النفخ الاسرافيلي من استنارة نورنا مع انه يفيدهم الحيوة المنسوبة
الينا انا نحن نحيي بافاضة نور الحيوة منا عليه ونميت بقطعه وكيف لا يعود
النافع اسرافيل من الاحياء والاماتة والينا المصير بهذا الاحياء اذ
يصيرون الينا يوم تشقق الارض عنهم تاثر ارواحهم فيها عن استنارتهم
بنورنا بحيث تغلب روحانيتهم حتى يصيروا به سراعا في الوصول الينا ذلك
الحشر الذي تغلب فيه الروحانية على الجسمانية وان عسر على غيرنا حشر علينا
يسير اذ يسهل علينا تغليب الروحانية على الجسمانية ولما بالغ في بيان الحشر بحيث
بالغوا في الانكار فقال تعالى نحن اعلم بما يقولون فيعذبهم بمقتضى ما يقولون
وللمقادير وانت وان كنت سبب هذه التنبيهات عليهم بجبار تقهرهم في الحال
الا بالزام الحجة ولكن انما يبالي بها من عرف صدق الوعيد واعترف بحقية
القرآن المتضمن له فذكر بالقرآن من يخاف وعيد تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
وآله اجمعين.

## سورة الذاريات

سميت بها لانها مبدأ الخيرات
فاشبهت العناية الالهية بسم الله المتجلي بكمالاته في الذاريات
الرحمن بايجاد الحاملات والجاريات الرحيم بايجاد المقسمات و
الذاريات الرياح التي تذري البخارات ذروا نوعا من الذرو ليعقد بها
سحابا وهو مثال العناية الالهية المذرية للوحي العاقدة للنبوة فالحاملات
وقرا السحب الحاملة للامطار المنبتة للزروع والاشجار لافادة الحبوب
والثمار وهو مثال حمل النبوة للعلوم المفيدة للمعارف والاعمال والاخلاق
المفيدة للجزاء والقرب فالجاريات يسرا السفن التي تجري عند حملها تلك
الحبوب والثمار بتحريك الرياح جريا لا يتعسر بعدها وهو مثال انتقال تلك العلوم
من النبي صلى الله عليه وسلم الى الصحابة ومنهم الى سائر العلماء في البلدان

فالمقسمات امرا اي فالملئكة التي تقسم الارزاق على اهل البلدة التي فيها منشاء
الزروع والاشجار التي تجرت اليها السفن وهو مثال اقسام الجزاء الى
الدنيوي والاخروي اقسم الله تعالى بهذه الامور المرتبة المنتهية الى التقسيم
المذكور انما توعدون من اقسام الجزاء الى الثواب والعقاب الاخرويين
المرتب على ذكر لصادق صدق نظيره مع تاكده بالوعد وان الدين الجزاء
المنقسم الى الدنيوي والاخروي لواقع وقوع نظيره مع تاكده بوقوع احد القسمين
ثم اشار الى ابطال قول من ابطله بالشبهة بقوله والسماء ذات الحبك الطرق
المختلفة التي هي دوائر لسير الكواكب وانكم لفي قول مختلف
في امر الجزاء والاختلاف في البديهيات لا يعتد به وذلك لان منكم من يكذبه
بالكلية ومنكم من يخصه بالدنيا ومنكم من يخصه بالامر العقلي ومنكم من يخصه بالامر
الحسي ومنكم من يقول بالكل ثم قال يؤفك عنه يصرف عن القول بالجزاء الاخروي
من افك صرف عن الحق الصريح اذ الظالم فيها كثيرا ما يكون احسن حالا
من المظلوم فلا بد لعدل الحق من دار اخرى ينتصف فيها البتة للمظلوم
من الظالم ولم يؤفكوا لاتباعهم الدلائل بل لاخذهم بالخرص والتخمين قتل
الخراصون لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين الذين هم في
غمرة جهل لغمرهم بوجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك الالتفات الى
الشبهات الواهية ساهون غافلون عن المناقشات في شبهات وتلك
الشبهات مثل انهم يسألون ايان يوم الدين متى يكون يوم الجزاء فان
الجهل بوقت وقوعه يدل على جهلكم باصل وقوعه فقصدوا بذلك ان يوقفوا
الاقرار بوقوعه على مشاهدته لكن مشاهدته انما تكون يوم هم على النار
يفتنون يحرقون لانكارهم اياه فاذا ارادوا الايمان به عند رؤيته قيل
لهم ذوقوا فتنتكم التي طلبتموها للاقرار بها بل تستعجلونها قبل وقتها هذا
الذي كنتم به تستعجلون حصوله في الدنيا ليؤمنوا به عند رؤيته ولا يعتد

الاقرار

بذلك الايمان وانما نعتد بايمان من اتاه فقال لهم نخبرا ان المتقين
من يوقف القرآن بالجزاء على مشاهدة ومن القول بالخرص والتخمين
في الامور الاعتقادية ومن الكفر بالعناد والمعاصي في جنات من
اعتقاداتهم واعمالهم وعيون من لطايفهما ومعانيهما آخذين ما اتاهم ربهم
من الطافه التي لا تقدر على اخذها غيرهم رابهم لاهل الكفر التي تعمى بها
الكفار انهم كانوا من تربيته لهم قبل ذلك محسنين في فهم لعبادته
كانهم يرونه ومن احسانهم غلبت عليهم محبته حتى انهم كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون اي كان وقت نومهم قليلا من الليل وانما ناموا ليستوي
نفسهم على عبادته بنشاط ولما كان هذا القليل غفلة عن الله استدركوا
بالاستغفار بلا تراخ لذلك بالاسحار هم يستغفرون وكانوا يخرجون لحبه
عن حب ما سواه لذلك كان في اموالهم حق يودونه الى كل مستحق ظاهر
او خفي فيجعلونه للسائل طالب الصدقة والمحروم المتعفف الذي يحرم
لظن غناه واي حاجة الى الخرص والتخمين في باب الاعتقادات مع كثرة
الآيات الواضحة القريبة اذ في الارض آيات للموقنين لطلاب اليقين
اما في الامور الاخروية واعمالها فلانها اذا عمل فيها اعمال الزرع والغرس
احسنها فزادت في الحبوب والثمار وانها تحيى بالمطر فيخرج منها النباتات
والخضرات وفي انفسكم ايضا آيات اما في الامور الاخروية واعمالها
فلانها تزيد فيها الدلك والرياضة وقد خلقت من التراب ثم من النطفة
ثم من العلقة ثم من المضغة ثم من العظام وهي جمادات أتنكرون هذه
الآيات مع غاية ظهورها فلا تبصرون وكيف تستبعد الجزاء مع ان غايته
اما رزق سماوي او عذاب سماوي وفي السماء رزقكم الدنيوي لانه من الامطار
السماوية وما توعدون لانه من احداثها ولئن كانت من تلك الجهة
فان انكرتم مثل ذلك في الآخرة فورب السماء والارض الذي خلقهما

للاستدلال بهما على الامور الاخروية انه اي ما يدلان عليه لحق مثل ما انكم
تنطقون اي مثل حقيقة الدالة عليه من الفاظكم وان كان في دلالتها خلف
فلا خلف في دلالة السماء والارض ولو فصل لو دل الامر الدنيوي على
الاخروي لدل جزء فقال انما يتم لو لم يكن مع الخير الدنيوي شر دنيوي هل
اتاك حديث ضيف ابراهيم ظهر منهم الشر في حق قوم لوط مع كونهم المكرمين
لذلك اكرمهم ابراهيم بتحية احسن من تحيتهم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
لازالة الخوف عنهم قال سلام بالرفع ليدل على الدوام والثبات وكان اكرامه
من غير معرفة لهم اذ قال قوم منكرون فكان ابلغ ثم بالغ في اكرامه لازالة الخوف
عنهم من كل وجه فراغ ذهب الى اهله بامرهم فجاء بعجل وشواه فجاء من
تراخ بعجل سمين لانه الين واقوى للقوة فقربه اليهم بالوضع بين ايديهم
فلما رآهم لا ياكلون مع القرينة قال الا تاكلون تصريحا للاذن بالاكل وحثا
عليه فاصروا على ترك الاكل فاوجس اضمر في نفسه منهم خيفة نوعا من الخوف
مع سلامهم واكرامهم لدلالة الامتناع من الاكل على قصد الشر قالوا لا تخف
فليس تركنا الاكل لقصد الشر بل لانه ليس من شأننا الاكل لانا ملائكة تخاف
مجيئهم بالعذاب فازالوه وبشروه بغلام لا من حيث هو حيوان بل من حيث
اتصافه بوصف عليم كملت انسانيته وهو اسحق عليه السلام فاقبلت امرأته
سارة في صرة صيحة جارفة فصكت لطمت باطراف الاصابع وجهها وقالت
عجوز عقيم وكيف احدا لامرين فانعا قالوا كما بشرناك كذلك قال ربك فاقبلي ولم
ولا تستبعدي علته خلاف الحكمة ولا الجهل بعدم قبولك للولادة انه هو الحكيم
العليم قال اذا كان حكيما عليما لم يرسل الا بقدر ما يحتاج اليه والتبشير لا يحتاج
الى هذا العدد اثنا عشر او ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام
فما خطبكم امركم العظيم الذي اجتمعتم لاجله ايها المرسلون من عند الحكيم العليم
قالوا انا تعدد نا هذا العدد لانا ارسلنا الى مؤاخذة قوم متعددين لكونهم مجرمين

منهم قوم لوط والواحد منا وان كان كافيا في مؤاخذتهم لكن تعددنا لانا انما
ارسلنا لنرسل عليهم حجارة رجالهم على لواطهم وحجارة من طين ليدل على
انقلاب اللين عليهم بالشدة فلو كان المرسل واحدا طال زمن الارسال
ولو ارسلت مرة واحدة ربما اخطأ الحجر صاحبه وقد كانت مسومة معلمة
باسماء اصحابها لا من عندنا حتى لا نبالي بالتغير فيها بل عند ربك الذي رباك
بالاطلاع على ان في كل حجر خاصية بها ناسب صاحبه فاعز خاصية كل
حجر في العقب للمسرفين في باب الشهوة باللواط كيف وقد خيف اصابتها
المؤمنين فاخرجنا قبل ارسالها باعلام لوط من كان فيها في تلك القرية من
المؤمنين وما شاع في المجرمين لانه ما كان اعلام جماعة كثيرة فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين المنقادين ظاهرا فضلا عن الباطن فلم يكن فيهم سامي
وكان تعذيبهم الدنيوي مفيدا لغيرهم اذ تركنا فيها في تلك القرية آية بدل
على هلاكهم الدنيوي الدال على الاخروي للذين يخافون العذاب الاليم
الاخروي ولا يخص تعذيبهم اذ تركنا في اهلاك اعداء موسى آية اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين حجة ظاهرة فتولى بركنه فاعرض عنها
بنفسه وقواه في دفع حجة المعجزة والغلبة ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده
بسلب قوتهم التي غلبوا بها اقرانهم وسلب عقولهم فنبذناهم في اليم وهو
النبذ لهم مليم وتركنا في عاد آية في اهلاكهم بعد سلب عقولهم ايضا اذ
ارسلنا عليهم في انتظار ريح المطر لانبات الزرع الريح العقيم التي لا تأتي
بخير بل ما تذر من شيء وان كان من شانها انماؤه اتت عليه الا جعلته
كالرميم الرفات المفتت ممن سلب عقولهم اعتقدوها ريح المطر وتركنا
في ثمود آية في اهلاكهم بعد سلب عقولهم اذ قيل لهم بعد عقر الناقة تمتعوا
في داركم حتى حين ثلثة ايام فعتوا بالغوا في الافساد خروجا عن امر ربهم مكان
التضرع فاخذتهم الصاعقة من نار غضب الله وهم ينظرون فما استطاعوا

من قيام فضلا عن الفرار وما كانوا منتصرين ممتنعين بالالتصاق بالارض
فلا وجه لتعذيبهم سوى قلة عقولهم والاهلاك عن قلة العقل لا يختص بالمتاخرين
بل تركنا قوم نوح من قبل آية في اهلاكهم بعد سلب عقولهم حتى اختاروا
الغرق على ركوب السفينة انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن امرنا فاخرج
عنهم عقولهم فلم يبغوا ما يسهل دفعه عنهم وكيف لا يفسق من خرج عن
طاعتنا بعد ظهور قوتنا وكمال انعامنا اما ظهور قوتنا فلان السماء
بنيناها بايد قوة واما كمال انعامنا فلانا وسعنا الرزق بها انا لموسعون
الرزق بها كما وسعنا بناءها وكيف لا يستحق الطاعة والارض فرشناها
مهدناها بما يطبعون عليها شكرا على استقرارهم واستمتاعهم بنعيمها فنعم الماهدون
وكيف لا يخلف جزاء من شكر او كفر ومن كل شيء خلقنا زوجين نوعين
لعلكم تذكرون من تنوعه تنوع الجزاء واذ اكثر مجازين على الشكر بالظفر
ومصرف النعم الى انعم من اجله واجله ايثار المنعم على ما سواه وعلى
الكفران بالشرك او اقله نسبة بعض النعم الى غيره ففروا الى الله اني لكم منه من
الله لعلم تفروا الله نذير مبين ان يجازيكم على الكفران النعم ولئن لم تفروا
اليه لا تجعلوا مع الله بنسبة بعض النعم الى الغير الها اخر اني لكم منه نذير مبين
فان نسبوا انذارك الى الجنون والمعجزات المصدقة الى السحر كان اخف
عليهم اذ كذلك فعلت الامم الهالكة من قبل فانه ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا اي جهالهم هو ساحر او مجنون كما صرح بعلة عن
فرعون ولا موجب له سوى تقليد الآباء اتواصوا به مثل وصى بعضهم
بعضا بهذا القول لكن لا يتصور مع تباعد الازمان والاماكن بل لا
موجب له سوى الطغيان اذ هم قوم طاغون واذ نسبوك الى الجنون
والسحر في الآيات القولية والفعلية فتول اعرض عنهم فما انت بملوم
بالاعراض عنهم وان اشبه ترك التبليغ ولكن لا تتركه بالكلية بل ذكر فان

من جعل الغير مشاركا
لله في الانعام صح

الذكرى وان لم ينفعهم تنفع المؤمنين الذين هم المقصودون من خلق من
سواهم اذ هم العابدون وهم المقصودون لانه وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اى لهذه الحكمة وان لم ارد اتمامها من بعضهم لانى ما
اعطيتهم العقل لاعذبهم به دون ساير الحيوانات ولا لترزقوا عبادى
بما يكسبون بعقولهم فانى ما اريد منهم من رزق لعبادى وما اريد ان
يطعمون بما يكتسبون بعقولهم بل ان الله هو الرزاق لكل واحد فلا يستفيد
منه شيئا كيف وانما يطلب للتقوى وهو بذاته ذو القوة المتين شديد القوة
كاملها فى الغاية فان اى فلكون الله تعالى خالقهما لعبادته ان للذين
ظلموا بابطال حكمته ذنوبا دلوا من العذاب يصب فوق رؤسهم مثل
ذنوب اصحابهم الذين مضوا على طريقتهم وان عجل ذنوبهم فلا يستعجلون
فانى اعذبهم فى الاخرة اشد من عذاب اصحابهم فويل للذين كفروا بالعذاب
الاخروى بعد مشاهدة نظيره فى الدنيا من يومهم الذى هو اعظم من ايام
الماضين وهو الذى يوعدون دون ايام الماضين ليكون العذاب
عليهم اشد من عذاب الماضين لان عذابهم الدنيوى وان لم يكن كافيا
لهم يرجى كونه مفيدا للتخفيف عنهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الطور

سميت بها لانه لما تضمن تعظيم مهبط الوحى
فالوحى اولى بالتعظيم فيعظم الاهتمام بالعمل به وقد عظم مصعد العمل و
ثمرته وهذا من اعظم مقاصد القرآن بسم الله
المتجلى بجماله وجلاله فى هذه الامور التى اقسم بها الرحمن باعداد المقسم
به لاصلاح الافعال فى العموم الرحيم بنفى دافعه ليتم الاصلاح فهو رحمة خاصة
لمن اصلح له والطور طور سينين جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله
فهو مجلى جمالى واندك بنور التجلى على ما فى قصص البعلى فهو مجلى جلالى

وكتاب مسطور هو التورية يكون لانه علم جنس فى رق منشور مجلى
فيها بالجمال من حيث هو هدى وبيان وبالجلال حين نسخ فامر بحرقه وتسلط
عليه التغيير بل الاحراق الكلى فى عصر بختنصر والبيت المعمور هو الكعبة
المعمورة بالايات البينات فهو مجلى جمالى لذلك اقتضى الطواف حوله و
الصلوة نحوه وبالجلال حين حولت القبلة الى صخرة بيت المقدس وحين
رفع فى الطوفان وحين يخربه ذو السويقتين من الحبشة اورده
بعد الكتاب الذى هو الوحى لانه مجلى اعظم الاعمال المقصودة منه
والسقف المرفوع وهو السماء التى هى مصعد العمل فهو مجلى جمالى وقد
ارتفع عنه الكون والفساد مدة مديدة لكنها ستنشق وتنتثر كواكبها فتصير
مجلى جلاليا والبحر المسجور الذى يصير نارا فيصير مجلى جلاليا بعد ان يكون
ماء وهو جمال اورده بعد السقف المرفوع للاشارة الى انه اذا ارتفع العمل
الى السماء فاض منها على العبد من العلوم ما يجعله بحرا ومن المحبة ما يسجر
بنار الشوق الى ربه ان عذاب ربك الذى ربى الكل بالجمال والجلال
لواقع اقسم بمهبط الوحى وكتابه وما عمل به فيه وما ارتفع اليه وما تولد من ثمرته
على ان من ترك بالوحى استحق بهتكه حرمة هذه الاشياء المعظمة اتفاقا
ما له من دافع من تربيته السابقة بالجمال ولا من غيرها وكيف لا يقع يوم
تمور تضطرب من غضبه السماء مورا يفضى الى انشقاقها ليكون مظلمة
لمن غضب عليهم وتسير الجبال عن وجه الارض سيرا يحركها لئلا يبقى مقر
اهل الغضب واذا اثر غضبه على اهل المعاصى فى السماء والارض هذا
التاثير فويل يومئذ للمكذبين الذين لا يبالون بمعاصيه اصلا كيف ولم
يكن تكذيبهم بطريق المناظرة اذ هم الذين هم فى خوض من الاعتساف
والاستهزاء يلعبون بايات الله ودلائله فويل لهم يوم يدعون يدفعون
دفعهم الايات والدلايل الى نار جهنم دعا عنيفا ويقال لهم استهزاء بهم

من النار التي كنتم بها تكذبون المكذبين بها الآن فسحر هذا نفي لسحرية
النار عندكم كما قلتم في المعجزات أم أنتم لا تبصرون نارا فضلا عن كونها
سحرا كما لم تحسوا بدلائلها فكانكم لا تعرفون بها ما لم تصلوها اصلوها
لتحسوا بها احساسا يلجئكم الى الاقرار بعينها واذا كنتم لا تصبرون
على تأمل الدلائل فاصبروا على مدلولها او لا تصبروا فان احساسه لا يتوقف
على التأمل المتوقف على الصبر ولا يفيدكم الصبر الفرج فهما سواء عليكم وكيف
يتفاوتان بالصبر وعدمه مع انه لا يحصل الفرج ببعض ما انتم فيه لانه بمقدار
عملكم الذي يقتضيه دائما انما تجزون ما كنتم تعملون ومع وقوع الآفات
على الامور المقسم عليها مع عظم قدرها وبعدها عن المعاصي لا يخوف وقوعها
ويشتد على المتقين بل ان المتقين لتوقيهم اسباب هذا الغضب المعتد
في السموات والارض كانهم قبل دخولهم الجنات كيف وهم في نعيم
مع كون الخلق في الاهوال وهم وان لم يدركوا نعيم الجنة يكونون فاكهين
متنعمين بما آتاهم ربهم من المآكل والمشارب والحور ولو لا يكفيهم
انهم وقاهم ربهم عذاب الجحيم الذي هو اعظم الاهوال المحيط بالخلائق ويقال
لهم قبل دخول الجنة على ما نقله القرطبي في تذكرته في باب بيان الحشر كلوا و
اشربوا هنيئا بلا تنغص بما كنتم تعملون من الاطعام لله والسقي له ثم ان نعيمهم
يشبه نعيم اهل الجنة اذ يكونون متكئين على سرر مصفوفة حول العرش
كيف وقد زوجناهم بحور عين على تلك السرر في المحشر ولا يبعد الحاق
حور المتقين بهم من غير ان يكون لهن من تقويهم اذ الذين آمنوا يلحق
بهم حورهم في منازل الجنة وان لم يلحق بهم في المحشر كيف واتبعتهم ذريتهم
لحكمنا لذرياتهم بايمان من غير ان يتصفوا بالتصديق ولا يخص ذلك بالذين
الحقنا بهم ذريتهم في منازلهم الاخروية فالحاق الحور بهم بطريق الاولى لانه
اتم في التلذذ منهم وكيف لا يكون اتم في التلذذ مع انا ما التناهم ما نقصناهم

في جنات صح

من عملهم من شيء وكيف يكون حال المتقين دون حال المؤمنين
مع انه كل امرئ من المؤمنين غير المتقين بما كسب من المعاصي
رهين ولا رهين للمتقين والرهين يشتد عليه الجوع والعطش و
المتقون لا يقتصر في حقهم على سد الجوع والعطش بل امددناهم في المحشر
بفاكهة ولحم مما يشتهون يزداد تنعمهم وقت مزيد فيه باعظم من اذ يتنازعون
فيها يتناوبون في تلك السرر كأسا خمرا لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلم فيها بما
لا يعنيهم ولا يفعلون ما يؤثمهم ويطوف عليهم بتلك الكأس زيادة في التنعم
غلمان كانهم مملوكون لهم كانهم من بياضهم وصفائهم لؤلؤ مكنون مصون
في الصدف واذا رأوا انفسهم بهذا النعيم مع كون الخلق في الاهوال
اقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن سبب تنعمهم وخلاصهم قالوا اي بعضهم
لبعض في الجواب هذه الرحمة جزاء رحمتنا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
لكن هذه الرحمة ليست بمقدارها فمن الله علينا لانه احق بالرحمة منا
ويكفي من منه ان وقانا عذاب السموم ريح جهنم ثم قالوا ليس بمجرد
اشفاقنا في اهلنا بل بعبادتنا له انا كنا من قبل ندعوه نعبده فلا بد ان
يحسن الينا انه هو البر المحسن على من يعبده الرحيم برحمة خاصة
واذا كان مقتضى رحمته وبره رفع العذاب الاخروي عمن اتقاه و
عبده وان وقعت آفاته الدنيوية على الامور التي اقسم عليها في اول
السورة والتقوى والعبادة منوطتان بتذكيرك فذكر بالبيان المعجز
الذي يدل على صدقك مع كونك خيرا في نفسك داعيا اليه في العموم
فما انت بنعمة ربك من البيان المعجز مع كونك خيرا في نفسك داعيا اليه
في العموم بكاهن فان الكاهن لا يكون خيرا في نفسه ولا داعيا الى الخير في
العموم ولا مجنون فان بيانك وان خرج عن المعهود بين العقلاء فليس
بمجنون اذ هو نقص واعجازه من غاية كماله ام يقولون بعد هذا لك

ذلك صح

كاهن او مجنون ام يقولون شاعر بلغ حدا عجز عنه اقرانه لكنه لا يتم امره
لان بعد بلوغ الغاية نتربص ننتظر به ريب المنون ما يقلق النفوس من
الحوادث التي هي اسباب الموت فينقطع امره قل تربصوا ينقطع قبل ذلك
امر عنادكم لينتشر امري بلا معارض تربصوا فاني معكم من المتربصين
ام تامرهم جنونهم بانه شاعر مع انه لا وزن لكلامه ولا قافية ام تامرهم احلامهم
عقولهم بهذا القول ام طغيانهم اذ هم قوم طاغون مجاوزون حد العقل
والجنون ايقولون نزل به عليه شيطان ام يقولون تقوله اختلقه من عند
نفسه ولم يقولوا ذلك عن علم بدخوله تحت قدرة الشيطان والبشر بل مع
علمهم بخروجه عن قدرتهما لكن لا يؤمنون مع علمهم باعجازه فان انكروا
اعجازه فليأتوا بحديث فضلا عن سورة مثله ان كانوا صادقين في كونه
مقدورا للبشر او للشيطان ايعرفون باعجازه ولا ينسبونه الى الله فهل ينسبونه
الى العاجزين ام لا ينسبونه الى شيء فهل خلقوا من غير شيء خلقهم فان ينسبوه
الى العاجزين فهل خلقهم عاجز غيرهم ام هم الخالقون لانفسهم فهل خلقوا انفسهم
فقط ام خلقوا السموات والارض ولا ينكرون نسبة الحادث الى المحدث
بل لا يوقنون ان المحدث يجب ان لا يكون حادثا ايقولون بتفضيل الواجب
ام يسوونه مع الحوادث لاتصافها بصفاته فيكون عندهم خزائن ربك
ام تغلبها عليه اذ هم المسيطرون الغالبون على الاطلاق ايعترفون بربوبية
الواجب وغلبته ولكن ينكرون ارساله بما انزل عليهم من السماء ام لهم سلم
يصعدون فيه الى مقام سماوي يستمعون فيه انه ليس برسول فليأت
مستمعهم بسلطان مبين كما اتى به الرسول اينكرون رسالته بالبديهة
ام بالعقل الذي اداهم الى القول بان له البنات ولكم البنون وهل ينكرون رسالته
لضرر يلحقهم في دينهم ام في مالهم اذ تسألهم اجرا ولا ينقص منه على قليل فهم
مما يكلفهم من مغرم غرم عظيم مثقلون حاملون للثقل وهل يستغنون عنك

بعقولهم ام يكشفهم اذ عندهم الغيب فهم يكتبون قواعد الشرع وبانه كمال المعاش
والمعاد ام يريدون دفع رسالته بحجة ام يريدون كيدا برسول الله صلى الله عليه
وسلم كما فعلوا بدار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون وهل لهم قوة الدفع والكيد
بانفسهم ام بآلهة اخرى اذ لهم اله غير الله لا ينقص ذلك شيئا عن اثر هذا الدفع
والكيد سبحان الله اي شأن تنزيهه عما يشركون عن شركهم ولا يرون تنزيهه عن
ذلك ايضا وان يروا عقيب هذا القول كسفا قطعة من السماء ساقطا نازلا
لتعذيبهم يقولوا من عدم خطور العذاب ببالهم على هذا القول سحاب مركوم
تراكم بعضه على بعض واذا لم يبالوا بالكسف فهل يبالون بالملائكة فذرهم
فاتركهم على ما هم عليه حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون بنفخ الصور
فيه لكونه يوم لا يغني لا يدفع العذاب عنهم كيدهم شيئا من الدفع ولا هم ينصرون
لا يخلصون بجهة غير جهة الكيد ولا يتركون الى يوم الصعق على الاطلاق بل ان
للذين ظلموا عذابا في القبر دون ذلك العذاب يوم الصعق ولكن اكثرهم
لا يعلمون عذاب القبر اذ لا يرون على الميت بعد النبش اثره ولا
يعلمون ان عذاب النائم لا يدركه المستيقظ بحضرته واصبر لحكم ربك
بامهالهم الى يوم الصعق او القبر ولا تخف منهم فانك باعيننا بحيث نراك
ونمنع ربك عن ان يعجز عن حفظك او عن تعذيبهم ملتبسا بحمد ربك
على ان امهالهم لا يخلو عن حكمة فافعل ذلك في مزيد الخوف حين تقوم
عن مجلسهم مخافة اغتيالهم ومن الليل الذي يغلب فيه الاغتيال فسبحه
وسبحه ادبار النجوم اي عقيب ذهاب انوار النجوم بالصبح اذ هو ايضا في
تغلب فيه الاغتيال تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين و
الصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة النجم

سميت به لانه لقهر المضلين عند معتقديه فيه دلالة على حقية
ما بعث قطعا وهو من اعظم مقاصد القرآن بسم الله

المتجلي بجلاله وجماله في النجم لكونه قامعاً للضلال ناشراً للهداية الرحمن
بدفع الضلال والغواية عن جملة أمته الرحيم بجعل جميع كلامه كثير
الفوائد كأنه يتجدد الوحي به بتجدد تلك الفوائد والنجم إذا هوى أقسم
الله سبحانه بالشهاب الذي كثر إسقاطه عند بعثته نهياً للشيطان إذا
صعد السماء لسماع أخبارها وإلقائها إلى أوليائه لإغواء الخلق بالأخبار
عن الغيب على أنه ما ضل ما مال عن الصواب صاحبكم إذ لم يؤثر فيه صحبتكم
وما غوى بالاحتجاب عنه إذ لو كان فيه أصلاً لم يكن لنهي الشيطان بإرسال
الشهاب عليه معنى كيف ولو ضل أو غوى لم يخل كلامه عن مزج الهوى لكنه ما
ينطق في شيء من كلامه عن الهوى وإذا لم يكن في كلامه مزج الهوى وادعى
أنه وحي إلهي لم يكن دعواه ذلك عن هوى فعلم بالضرورة أنه إن هو
إلا وحي كيف وقد كثر فيه فوائد الهداية فكأنه يوحى كل حين فائدة منه
فوائدها وإنما خلا كلامه عن مزج الهوى لأنه علمه شديد القوى أي شديد
التأثير في صفاته وإرادته وقدرته وكلامه فلا يقوى معها الهوى أن يؤثر كيف
وهو ذو مرة قوة في ذاته وفي قوة ما سواه من نفوسه فذهب عن نفسه اعوجاج
الهوى فاستوى وهو أي صاحبكم عند استواء نفسه صار بالأفق الأعلى
الروحاني ثم دنا من ربه بالقرب من صفاته فتدلى تعلق بذاته باعتبار
القرب الثاني فكان في هذا القرب قاب قوسين مقدار قوسي الوجوب
والإمكان في دائرة الوجود مع توهم خط فاصل بينهما أو أدنى بإسقاط
ذلك الخط المتوهم ولكن لم يصر بذلك إلهاً بل عبداً منسوباً إلى هويته
فأوحى إلى عبده ما أوحى مما لا يدركه العقل لكن لا يأباه لذلك ما كذب
الفؤاد الذي هو محل العقل ما رأى بالبصيرة أفتنكرون ما لا يبلغه عقولكم
أفتمارونه تجادلونه على ما يرى ببصيرته التي هي أصدق من العقل فهذه
رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بالأفق الأعلى حين نزل ربه إليه

نزولاً معنوياً ولقد رآه أي ربه حين نزل نزلة أخرى غير نزوله بالأفق الأعلى
نوعاً فتجلى له عند سدرة المنتهى أي عند الشجرة المثمرة تجليات أصل
النهايات شبهت بالسدرة التي هي أكثر الأشجار ثماراً وثمارها تشتمل على
طعوم مختلفة حلاوة وحموضة وعفوصة في ظاهرها ومرارة ودسومة في باطنها
وإنما كانت محل التجلي إذ عندها جنة المأوى التي يأوي بها الخلق لرؤية الحق
فتجلى له في هذه الشجرة إذ يغشى السدرة من تجلياته ما يغشى مما لا يحصى كثرة
وحسناً وإليه أشار من فسره بالجراد من الذهب مع حصول هذه التجليات
له ما زاغ البصر منه عن الحق إلى تجلياته وما طغى برؤية كمال نفسه بجميعها
وإنما استعد لهذه التجليات برؤية آياته فإنه لقد رأى من آيات ربه
الكبرى ولم يحصل له بهذه التجليات ولا السدرة المنتهى ولا الجنة المأوى
ولا الأفق الأعلى الإلهية أفرأيتم ظهورها بالإلهية في أصنامكم فرأيتم
اللات والعزى مجلى الإلهية مع أنها بوجوب الوجود المنحصر في الواحد
وأنتم لا تحصرونها في الاثنين بل ضممتم إليهما مناة الثالثة لا باعتبار اتحاد
بالأولين في رؤية التوحيد بل باعتبار كونها الأخرى لاختصاصها بمحل
ليس في الأولين ومع وصفكم إياها بالإلهية وصفتموها بالأنوثة فجعلتم
اللات من الله والعزى من العزيز والمناة من المنان ثم جعلتموها بنات
الله ألكم الذكر وله الأنثى فإن صح الولد تلك إذاً قسمة ضيزى عوجاء لا يرضاها
عاقل لنفسه فلا يوجد لها إلا في العاطلكم كآلهتها إن هي إلا أسماء خالية عن
المعاني التي وضعت لها وإنما وقعت إذ سميتموها أنتم وآباؤكم لكنه لا يصح
التجوز أو نقل ولا يصلح إطلاقها بالتجوز أو بالنقل من عندكم فلا بد من
نقل الشرع لكن ما أنزل الله بها من سلطان بل على خلافه لكن لا يتبعونه لأنهم
إن يتبعون إلا الظن مثل أن يسمعوا بأنهم منطق أنهم لا يعقلون إلا
عن دليل ولا يتبعون كل ظن بل ما تهوى الأنفس كتقليد الآباء ولقد جاءهم

على الادلة القطعية فانهم لقد جاءهم من ربهم الهدى الدلائل القطعية لكنهم
رجحوا عليها متابعة ابائهم عن هوى انفسهم ام للانسان ما ظنه وهواه ام
للانسان ما تمنى فان تمنوا من الاصنام قضاء حوائجهم الدنيوية او الاخروية
فهلا يتمنونه ممن يوقنون قدرته عليه وهو الله سبحانه فلله الاخرة والاولى
فان زعموا ان التمنى على الله تشفعها رد بانها ليست باقرب من الملئكة
السماوية مع انه وكم من ملك فى السموات لا تغنى لا تنفع شفاعتهم شيئا من النفع
الا من بعد ان ياذن الله له بالشفاعة ولا ياذن الا لمن يشاء ان
يفعل به الخير بواسطة وانما يفعل الخير بالواسطة لمن يرضى به من وجه لكنه
لقصوره يحتاج الى الواسطة وهولاء ليسوا مرضيين لله لعدم ايمانهم بدوام
ربوبية الله عليهم اذ لا يؤمنون بالاخرة ولا بالملئكة لانهم يجترءون عليهم بما
يهينهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة فلا يبالون بفساد العقائد والاقوال
فى الله والملئكة ليسمون الملئكة تسمية الانثى فانما قلنا باجترائهم لانهم
ما لهم به من علم دليل بل شبهة ان يتبعون الا الظن الحاصل من حسن
ظنهم بابائهم القائلين به وان الظن فى باب الاعتقادات لا يغنى من
طلب دليل الاعتقاد الحق شيئا من الاغناء لكنهم لا يطلبون الدليل بل
يعرضون عنه وان خوفوا بنا فاعرض عمن تولى اى اعرض عن ذكرنا بالعدم
ايمانه برجوعه الينا ولا يلتفت الى دلائله لانه لا يريده بل لم يرد الا الحيوة
الدنيا اى بل غاية سعادات النفس بلذاتها لاقتصار نظره على المحسوسات
ذلك مبلغهم من العلم لم يوصل الله فهم علما باللذات الحقيقية العقلية ولا الحسية
التى هناك وليس ذلك لبخل من الله بل لعدم استعداده له ان ربك هو اعلم
بمن ضل اى كان استعداده الضلال عن سبيله بعد مبالغته فى بيانه وهو
اعلم بمن اهتدى اى كان استعداده الهدى وان لم يبالغ له فى بيانه كعامة
المقلدين للعلماء وكيف لا يكون فعله بحسب الاستعدادات ولله وضع كل شئ

انما يتم صح

مع ان له ان يضعه فى غير موضعه اذ لله ما فى السموات وما فى الارض فهو انما وضع كل شئ فى موضعه صح

فى موضعه ليدل على الجزاء ليجزى الذين اساءوا بانتفاء الحكمة دون غايتها
بما عملوا فانها وان كانت مخلوقة لله تعالى لكنها لما كانت بحسب استعدادهم
واختيارهم وقتما تصفوا بها اتصافا يوجب لهم موضعا نازلا انزلهم
فيه ويجزى الذين احسنوا بابلاغ الحكمة غايتها بالحسنى بالمثوبة الحسنى
التى هى احسن من اعمالهم عشر مرات فصاعدا لا بحسب الاستعداد المحض
بل بفضل الله ولذلك اسقط عنهم الاستعداد الحاصل من اكتساب
الصغائر بلا اصرار عليها فهم الذين يجتنبون كبائر الاثم الموجبة للحد او
الموعود عليها بالشدة والفواحش التى يكون فسادها اكثر من فساد
الاول بل يجتنبون المعاصى كلها الا اللمم اى ما قل من الصغائر فانها
مغفورة لهم بمجرد اجتناب الكبائر والفواحش وان لم يكن معها
حسنات زائدة تفضلا من الله تعالى بستر استعدادها ولا يبعد
ذلك على الله ان ربك واسع المغفرة اى الستر لها كيف وقد ستر
على المحسنين استعدادهم من منشاءهم الارضى والدموى اذ هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض فلا تخلون عن استعداد جاذب
اليها واذ انتم اجنة تغتذون بدم الطمث اذ لا غذاء لكم سواه فى بطون
امهاتكم فلا تخلون عن استعداد الخبث فلا تزكوا انفسكم عن مبدا الاستعداد
اذا احسنتم واجتنبتم الكبائر لكنه مع استعداد التقوى منكم اذ هو
اعلم بمن اتقى مقتضى استعداد الخبث لكنه امر خفى لا يطلع عليه سوى علام
الغيوب وان بالغ فى تزكية النفس وتصفية القلب ارايت الاطلاع
على غيب الله لغير المتزكى مع عدم الاطلاع على غيب النفس للمتزكى
افرايت الذى تولى اعرض عن التزكية بل عن اصلها وهو الايمان بابعد من
الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مشرك تركت
الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله فقال ان اعطيتنى كذا

من المائي تحملت عنك واعطى قليلا في مقابلة العذاب الشديد الابدي
واكدى قطع العطاء الباقي أعنده علم الغيب بان الآخذ يحمل عنه
هذا العذاب واسقطه الله عنه لا بطريق الاستدلال من الشاهد
على الغائب للمخالفة ما نرى على من خرج على الملوك بهذا الطريق وكانه
يدعي الكشف على خلاف مقتضى العقل فهو يرى اكونه كشف بذلك على خلاف
كشف الانبياء ام لم ينبأ بما في صحف موسى صحف التورية الناطقة في
مواضع كثيرة على خلاف ذلك مع صحة كشفها عند من يعتد به من
العقلاء ولو زعم انه لا يعتد بكشفه وانما يعتد بكشف ابرهيم وانه متمسك
بدينه فكانه لم ينبأ بما في صحف ابرهيم الذي كذب عليه بانه متمسك بدينه
لانه مشرك وابرهيم هو الذي وفى التوحيد حقه اذ لم يستعن بجبريل وميكائيل
عليهما السلام على نار نمرود حين دعواه الى الاستعانة بهما وقد نص
في صحفهما الا تزر انه لا تحمل نفس وازرة حاملة ثقل معاصيها وزر
ثقل معاصي نفس اخرى وغاية المتحمل انه تحمل وزر كفره وفسوقه ووزر
اضلاله لا وزر كفر الغير وفسوقه لما في صحفهما من ان ليس للانسان الا
ما سعى والمتحمل ما سعى بكفر المتحمل عنه وفسوقه ولا نزل وزر الساعي بحاله
لما في صحفهما من ان سعيه سوف يرى اذ تظهر بالصورة القبيحة ويكون في
التعذيب ثم لا يقتصر عليه بل يجزيه اي ذلك السعي الجزاء الاوفى الكامل
بادخال النار كيف وان الى ربك الذي هو اعظم الاشياء الالهية
ومن شان الكامل المنتهى فيكمل الجزاء لا محالة ولا يبعد منه تكميل الجزاء
فانه تكميل الفرح والحزن وقد كملهما في كثير من الناس انه هو اضحك
بتكميل الفرح وابكى بتكميل الحزن ولا يبعد منه المبالغة فيهما انه هو امات
فالمبلغ في ابكاء اهله واحيى فالمبلغ في اضحاك اهله ولا يلزم انقلاب احدهما
بالآخر في الجزاء فان الله تعالى قد يخلق ما لا ينقلب انه خلق الزوجين

اللذين لا ينقلب احدهما بالآخر الذكر والانثى وان كانت مادتهما قابلة
للانقلاب لكونهما من نطفة من غير اعتبار ضميمة بل بمجرد الامناء اذا تمنى
واذا كان من شانه ان يخلق من المني الزوجين المختلفين لحكمة ابقاء النوع
علم انه لا يترك مقتضى الحكمة من الجزاء المرتب على النشاة الاخروية ان
عليه النشاة الاخرى باخراج الحي من الميت اخراج الانسان من النطفة
وكيف يترك النشاة الاخرى مع انه هو اغنى بعض الناس فلا بد من سؤاله
انه فعل بما اعطاه من ماله ولو لم يسال من اعطاه قدر كفايته فلا بد وان
يسال من اقنى اعطاه ما يدخره فلا بد وان يساله عما فعل بالمحتاجين كيف
وانما اغنى من اغنى واقنى من اقنى ليشكره وقد ابتلي بعضهم بالكفر فعبدوا
الشعرى مع انه هو رب الشعرى كوكب مضيء خلف الجوزاء ويسمى العبور
وكلب الجبار عبدها ابو كبشة لقطعها السماء طولا وسائر الكواكب تقطعها
عرضا وثمة شعرى اخرى يسمى الغميصاء لكنها اخفى منها وبينهما المجرة وعبادة
غير الله موجبة لعقابه الاخروي وقد دل عليه باهلاك قوم انه اهلك
عادا الاولى قوم هود لعبادتهم الاصنام والثانية عاد ارم واهلك
ثمود لعقرهم الناقة التي هي آيتهم فكيف لا يستحقه جاحد الآيات الكثيرة و
يدل على انه عقاب انه عم الكل فما ابقى احدا منهم وان كان العاقر
معدودين وليس مما يختص بالفريقين بدليل انه اهلك قوم نوح من
قبل لا بطريق الابتلاء لانه انما يتصور مع الصلاح ولم يكن لهم انهم كانوا
هم اظلم بايذاء نوح وضربه واطغى في صد الناس عنه فكانوا يتواصون
ان لا يسمعوا له واستمرت تلك النسبة بعد الفريقين ايضا اذ المؤتفكة
قرى قوم لوط اهوى اسقط بعد ما رفعها الى السماء بجعل عاليها سافلها
فغشاها البسها من العذاب ما غشى من الرمي بالحجارة واذا كان اهلاك
منعما بالاغناء والاقناء فهو سهل للرسل وقاهر للاعداء لنصرهم وقد جعله

سوط للاولياء يستغرقهم الى الجناب والقرب والكرامات فباى آلاء ربك
ايها الجاحد تتمارى تدفع بالجدل وقد نهيت عن الجدال فى آلاء الله على
الس النذر ولم يقتصر على من مضى منهم بل هذا اى محمد نذير ما قبل ما فيه
انه من النذر الاولى فيخاف على من جادله ان يصيبه مثل ما اصاب
مجادليهم فان لم يصبهم فى الدنيا فليقرب العذاب الاخروى فانه ازفت
الآزفة قرب القيمة الموصوفة بالقرب فى العقول لكن ليس لها من دون
بيان الله كاشفة تكشف عن تفاصيلها فبينها الله بهذا الكتاب المنزل أفتنكرون
هذا الحديث المبين لها تفاصيلها بل اذا سمعتم تفاصيلها فمن هذا الحديث
تعجبون و اذا رايتم مبالغة فى بيانها بالوجوه الكثيرة تضحكون و لا تبالون
بمخافة حتى لا تبكون وذلك لانه لا يؤثر فيكم اذ انتم سامدون متكبرون
وانما فى التذلل لله فهو علاجكم فاسجدوا لله كسرا لهذا التكبر المؤدى الى
شدايد القيمة واعبدوا بوجوه العبادة شكرا على ما انعم عليكم بما لا يحصى سيما
بهذا الحديث فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة القمر** سميت
لانه من ايات الله فى نفسه وانشقاقه من اعظم ايات نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم لها على من شق البحر والتصرف فى الريح وايات القيمة بخرب العالم
الدال على حدته وهى من اعظم مقاصد القران بسم الله
المتجلى بكمالاته فى الساعة الرحمن بتقدمها فى نظر العقل ليدعو الى اصلاح
الاعمال الرحيم باظهار اياته تدل عليها وعلى قربها وصدق من اخبر عنها
اقتربت الساعة دنت القيمة فى نظر العقل كانها بعد ساعة فساعة اذ الانسان
لم يعط العقل لمنعه مع اراحة البهائم عنه بل لينظر الى العواقب التى اجلها
خالص النعيم او العذاب وليس ما فى الدنيا فلا تكون بالناسخ الدنيوى وباسط
الى علاماتها التى شبه خواصها من انشقاق السماء اذ زال امتناعه حيث

انشق القمر فانه ثبت بالتواتر وتواتر من الاية الدالة عليه روى عن ابن
مسعود انه قال حتى رايت الحراء بين فرقتى القمر فقال كفار قريش سحركم
ابن ابى كبشة فقال بعضهم ان كان سحركم فلا يسحر الارض كلها فاسالوا
السفر فبعثوا الى الافاق فقالوا رأينا مثل ما رأيتم فقيل سحر مستمر ولا يضر
عدم تواتره بين جميع اهل الارض اذ ليس فى حد واحد لجميعهم وربما
يحول بينه وبين قوم سحاب او جبل ثم عادة الناس بالليل الهدو و
اغلاق الابواب فلا يكاد يعرف امور السماء الا من رصدها ولذلك
يخفى الخسوف على الاكثر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم لا يعلم بها الاكثر والدليل على خلاف الوجود غير مسموع
على ان شبههم اوهى من نسج العنكبوت وهى ان لها ميلا مستديرا والخرق
انما يكون بالمستقيم وهو يقتضى ثبوت مبدا وبين المبدائن تناف ورد بانه
لا يمنع اجتماع المبدائين وانما يمنع اجتماع الحركتين على انهما اجتمعتا فى دحرجة
الكرة ولا يمنع تعاقبهما وابعد منها الاستدلال بامتناع الحركة المستقيمة
على المحدد اذ لا يبقى محددا وسائر الافلاك على طبيعته هذا قياس بلا جامع
على انه لا يتم الا فى المحدد وليس انكارهم الساعة لعدم ما يدل عليها بل لانهم
اعتادوا انهم ان يروا اية تدل على وجود الله وتوحيده او النبوة او
القيمة يعرضوا عن دلالتها وان كانت بديهية ويتمسكوا فى انكارها بادنى
الشبه بان يقولوا سحر مع ظهور الفرق بين المعجزة والسحر فلو قيل كيف يسحر
الدنيا وكيف يبلغ سحره السماء يقولوا سحر مستمر يعم الارض والسماء والازمنة
والطلق ولو ذكر لهم معجزة قولية لا مجال للسحر فيها او دليل عقلى او نقلى من
كتب الاولين كذبوا ولم يكن تكذيبهم عن نظر بل عن تعطيله حيث اتبعوا اهواءهم
ولم يكن لهم شبهة قادحة فى دلالة المعجزة او الدليل العقلى والنقلى بل كل
امر مستقر بحيث لا يلتفت العقل منها الى شبهة ترد عليها لو اريدت فى مقابلته

البديهيات ولم يكن معلولة تلك الدلايل مما لا يبالي له اعني الساعة فانه
لقد جاءهم من الانباء الاخبار الصادقة في اهواله وشدايده ما فيه مزدجر
زجر كامل وهي لو لم يكن من الانبياء لوجب قبولها لانها حكمة بالغة علم محكم
بلغ غاية التحسن في نفسه فاذا لم تغن الحكمة بنفسها فما تغني النذر بها وان
اتى بها بالمعجزات الكثيرة واذا تولوا عنك وعن انبائك التي هي الحكمة
البالغة يوم لا تظهر لهم الحاجة الى تعرف ذلك للتوقي عن ضرر اهوال الساعة
فتول عنهم اعرض عن تعريفهم وشفاعتهم يوم يحتاجون الى ذلك كل الاحتياج
يوم يدع الداع اسرافيل الى شيء نكر لم يعرفوه لاعراضهم عن معرفته في الدنيا
ولا يمكنهم معرفته من حيث بالبصر لكونهم خشعا ذبلا ابصارهم بحيث لا يمكنهم
النظر اليه من فظاعته ولعدم معرفة النظر لم يمكنهم التامل فيه لو فرغوا حين يخرجون
من الاجداث القبور من غير ان يخبرهم انسا بتلك المواطن ولا اجتماع
يتعاونون فيه بعضهم ببعض في النظر والتامل لو فرغوا حال خروجهم كانهم جراد
منتشر ولا يكون لهم في الانتشار استراحة ساعة لكونهم مهطعين مسرعين
الى الداع من غير تلبث يستريحون فيه ومن ثمة يقول الكافرون هذا يوم عسر
لا استراحة فيه ساعة ولا انس لشدايده واهواله المنكرة اذ يعبرون من شديد
الى اشد ومن مشكل الى انكر وكما تولى عنهم هناك فكذا ههنا كشف الاصرار
على دعوتهم مع اباءهم يلجئ الى دعاء استيصالهم بحيث لا يبقى لهم نسل يرجى اسلامه
كما وقع مع قومه فانه كذبت قبلهم ليكونوا عبرة قومهم بالحكمة البالغة التي جاء بها
فايدها بمعجزاته فكذبوا عبدنا الذي علموا انتسابه الى عظمتنا بجمعيته و
قالوا لمن نظر في حكمته هو مجنون وكلامه جنونه وآذوه فوق ما يؤذي المجانين
حتى ازدجر عن التبليغ فدعا ربه الذي رباه بالحكمة التي يغلب بها الخصوم
اني مغلوب لعنادهم فانتصر لا غلبهم بالتهديد غلبة الحكمة ففتحنا ابواب
السماء التي هي محل لافاضة الحكمة التي بها حيوة الارواح والقلوب بماء منهمر

لنوح صح

نوح صح

نص

قدسه

منصب فوق الحاجة ليصير سبب الحيوة الظاهرة سبب الهلاك وفجرنا الارض
التي هي منبت الارزاق التي هي اسباب البقاء عيونا فالتقى الماء الارضي والسماوي
مجتمعا على امر قد قدر من اهلاكهم الكلي بعدما كانا سبب الحيوة والبقاء ولانهم
جعلوا الحكمة التي بها كمال الروح والقلب سبب بعضها وهو الجنون ولم نهلك
نوحا لانا حملناه على سفينة ذات الواح غلاظ لا تكسرها الامواج ودسر
مسامير كبار تمنعها من الغرق ولا تخاف عليها الغرق اذ كانت تجري باعيننا
بحفظنا وانما خصصناه بالنجاة ليكون جزاء لمن كان كفر اي لنوح الذي جاءهم
بحسن العلم وسفينة من الاعتقادات والاعمال والاخلاق فلما
ردوهما اغرقهم الله ونجاه والمؤمنين واما جزاء تحمل المشاق فباق ولكونه
جزاء يعتبر به اللاحقون لقد تركناها آية تذكرة لمن بعدهم ان الماء قد علا
الجبل حتى جرت عليه مثل هذه السفينة الكبيرة فهل من مدكر بوجه من
الوجوه يذكره فكيف كان عذابي بالاغراق ثم لم يكن فيها وكيف كان حال
نذر بالنجاة عنه بهذا لمن راى السفينة ومن لم يرها لقد يسرنا القرآن للذكر
بهذه السفينة وغيرها فهل من مدكر متعظ ثم اشار الى ان عدم التذكر
لا يمنع العذاب بل يوجب مزيد التشنيع فيه فان كذبت عاد هود اي حكمته
ولم يعتبروا بما مضى على قوم نوح فكيف كان عذابي عليهم اشد من عذاب
قوم نوح وكيف كان حال نذر في النجاة اعجب من حال نوح انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا شديدة الصوت لغلبة الامور القاسية عليهم المانع
من الاعتبار بما جرى على قوم نوح وهي وان كانت تنشر بين يدي الرحمة
لكنها في الايام السعدة وهذه كانت في يوم نحس مستمر لا ينقطع نحوسته
يحمي يوم سعد لانها اتت الى حيث تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم ولو في حفر
حفروها [illegible] رقابهم كانهم اعجاز نخل اصول نخل بلا فروع منقعر منقلع ولم
تضر هودا ولا المؤمنين فكيف كان عذابي مخصصا بالكافرين وكيف كان

حال نذر نجوا بلا واسطة سبب كسفينة نوح فالعبرة ههنا ازيد ولكنه لمن
شاهد ومن لم يشاهد لقد يسرنا القران للذكر لذكر مثله وما فوق عليه
فهل من مدكر شيء من ادكاره ولا يخص هذا بانكار الحكمة بل يعم انكار الرسل
حتى لا يقال الواجب على كل شخص متابعة عقله لا الرسل فانه كذبت ثمود بالنذر
دون حكمتهم فقالوا ابشرا منا لا من الملئكة المتصورين بصورة البشر
واحدا يخالف جماعة العقلاء نتبعه انا اذا المخالفة عقولنا وعقول جماعة
العقلاء لفي ضلال وهو موجب سعر لان الواجب متابعة عقله او عقل الجماعة
الكثيرة على ان امر الارسال مستبعد ءالقي من السماء الذكر الوحي عليه
من بيننا مع تفاوتنا في العقل فلا القاء بل هو اي مدعيه كذاب اشر اي متكبر
على قومه بهذه الدعوى قال تعالى هم وان علموا صدقه بالمعجزات لكنهم
في رد ما يشبه الضروريات سيعلمون غدا يوم استمرار العذاب عليهم
من الكذاب الاشر هل هو القائل باستحالة الالقاء والمتكبر على ايات الله اخبر
انا مرسلوا الناقة التي هي من اسباب هذا العلم قبل ذلك اليوم فتنة لهم اختبارا
فارتقبهم انتظرهم هل يرونها من اسباب هذا العلم ام يلبس عليهم باهلاكهم و
اهلاك مواشيهم واصطبر لهذه الرؤية اياما ونبئهم اعلمهم لهذا الاختبار ان
الماء قسمة بينهم بين انفسهم ومواشيهم وبين الناقة كل شرب محتضر اي كل يوم
في وقت الشرب يحضره صاحب النوبة دون غيره مبالغة في رعاية القسمة ثم لم
يكفهم ومواشيهم تلك القسمة فاضطروا الى قتلها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
ليصبحوا في شقاوته فتعاطى فتناول السيف وكان كافيا في المعصية ولكن لم يكتف
به فعقر اي قتل الناقة فكيف كان عذابي على عقر الناقة التي هي اية مفصلا
عنه على الكفر بصالح ونذر كيف كان حال نذر في النجاة عنه مع كونه فيهم انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة من جبريل بيانا بسبب ما حصل من الناقة حال تعنتهم بالعقر
فكانوا كهشيم المحتظر الحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة ما

لما شبه او كالشجر الذي يأخذ من يعمل الحظيرة فعنه عبرة لمن راى ومن لم ير
لقد يسرنا القران للذكر لذكر امثاله وما فوقه فهل من مدكر شيء من امثاله و
كيف يرخص للانسان ترك متابعة الانبياء اكتفاء بمتابعة العقل وكثير
منهم يجعلونه تابعا لهواهم كقوم لوط عقلوا قبح الفاحشة ولكن جعلوا عقلهم
تابعا لهواهم فكذبوا الرسل فانه كذبت قوم لوط بالنذر الذين انذروهم
العذاب عليها فاقتضى اقامة الحد الدنيوي عليهم انا ارسلنا عليهم حاصبا
اي من يرميهم بالحصباء الحجارة الصغار الا ال لوط بنته معه نجيناهم
بعدناهم عن مكانهم بسحر قبل مواخذتهم بالصبح نعمة من عندنا باعلامنا اياهم
لانهم شكروا نعمة الشهوة فلم يصرفوها الى غير طلب النسل الذي خلقت له كذلك
نجزي كل من شكر بالزيادة في تلك النعمة او غيرها ولم يسقط هذا الحد
عنهم العذاب الاخروي لكفرهم فانه لقد انذرهم بطشتنا فتماروا تنازعوا
بالنذر مكفرا فلم يكن مواخذتهم قبل ظهور المعجزة فانهم لقد راودوه عن
ضيفه ليفجروا بهم فطمسنا اعينهم ليكون معجزة مصدقة لانذاره فذوقوا
عذابي واثر ما قاله نذري وهو وان كان نوعا من العذاب لم يقتصر عليه بل لقد
صبحهم دخل وقت الصباح بكرة اول البكرة التي هي وقت نزول الرجم عذاب
مستقر دنيوي ثم برزخي ثم اخروي فذوقوا عذابي واثر ما قاله نذري ضما للعذاب
العقلي الى الحسي وهذا وان لم يكن محسوسا في الدنيا تذكره القران فانا لقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وكيف يوجب على الانسان متابعة عقله
وان لم يتبعه سواه فانه كثيرا ما يدعو الى التكبر كال فرعون فانه لقد جاء ال
فرعون النذر فدعاهم عقلهم من غير تهم الى التكبر على الله واياته حتى كذبوا
باياتنا كلها الدالة علينا وعلى صفاتنا وتوحيدنا وصحة ارسالنا فاخذناهم
اخذ عزيز غالب غير مغلوب مقتدر على كل ما اراد من السنة والاخذ
ولم يقل ههنا فكيف كان عذابي ونذر لفظاعة شانهم بحيث لا يحتاج الى

عليهم صح

مثل على ان الكتب السالفة مملوة به أ انتم عمون ان عزة وقدرة انما هي بالنسبة
اليهم لا الينا اكفاركم من عملكم خير من اي ليكم في العزة والقدرة ام يحومون
ان امر العزة والقدرة بالنسبة اليهم والينا بالسوية لكن لكم براءة من الله
في الزبر التي انزلها الله ثم سل براءة من القتال ام لا براءة منه لكن يقولون
نحن لا ناجمع جمع كثير منتصر لا بل سيهزم تكسر الجمع ولا يمكنهم الرجوع بعض
الى القتال بل يولون الدبر تولية مستمرة وسوءا ان اشبه مواخذة الاولين
فليس بموعدهم بل الساعة موعدهم والقتال وان كان داهية مرا عليهم
بافنائهم لكن الساعة ادهى وامر حتى يحلو الموت لهم كيف ولا يصلون
الى ما يشتاقون اليه من اللذات ويتالمون بانواع الالام ان المجرمين
في ضلال عن لذاتهم وسعر لانهم ضلوا عن الحق واغضبوه فتضم الى ذلك الكفر
الامانة الفعلية يوم يسحبون يجرون في النار على وجوههم تنكيسا
لهم على تكبرهم على الله واياته والامانة القولية اذ يقال لهم ذوقوا مس
سقر اي النار القالعة للجلد لما اذاقوا الانبياء عليهم السلام شدائدهم
فلا تغلوا ولا ظلم عليهم في ذلك وان كان الكفر والمعاصي من خلق الله
تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر رتب المسببات على اسبابها وهي اختيارهم
لها واستحقاقهم ابا سا وكانا تابعين لاستعدادهم وما امرنا الذي به الايجاد
الا كلمة واحدة لكون كل شيء بمقتضى استعداده فتقدمت في الحقائق كلمح
بالبصر في السرعة ولا يبعد على الله الاهلاك باسباب يخلقها فانا لقد
اهلكنا اشياعكم بامراض خلقناها فيهم فهل من مدكر بجعل الامور الغائبة
مقيسة على الحاضرة وكفى في التعذيب بهذه الامور اخراج الزبر
التي كتب فيها اعمالهم اذ كل شيء فعلوه في الزبر كيف وقد جمع فيها فضائحهم
اذ كل صغير وكبير مستطر ونبهم عذابا بفوت الدرجات والجنات
عليهم وحصولها لاعدائهم ان المتقين في جنات بدل كون المجرمين

في ضلال ونهر بدل كونهم في سعر في مقعد صدق بدل سحبهم على وجوههم
لانهم حصلوا العقائد الصادقة والاعمال الخالصة عند مليك مقتدر
القوي المتسلط بقوة سلطنتهم على اعدائهم مقتدر لاقتدارهم على انفسهم
عند تسلطها عليهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الرحمن

سميت به لانها مملوة بذكر الالاء الجليلة وهي راجعة الى هذا الاسم
بسم الله المتجلي بجمعيته في القران والانسان
الرحمن بتعليم القران وخلق الانسان الرحيم بافاضة ساير الالاء
الرحمن علم القران اي هذا الاسم الذي له عموم الرحمة مع جلالتها اخص
بتعليم القران ولاجل تلك الرحمة خلق الانسان ولاظهارها فيه علمه البيان
ولما كان متفاوتا تفاوت الشمس والقمر في اظهار المحسوسات كان له مراتب
منها ما القران على ان فهمه ايضا على مراتب لا يحصل مرة واحدة بل
بحساب معلوم كما انه في المحسوسات الشمس والقمر بحسبان بجريان
في البروج والمنازل بحساب معلوم ومراتب الكمال في ذلك بانقياد
القوة النباتية والحيوانية له والنباتية اقرب انقيادا والحيوانية تحتاج
الى قوة ولكنها تصير في الانقياد كالنجم فهما في الانقياد الباطن كما في
عالم الحس النجم ما لا ساق له من النبات والشجر ماله ساق يسجدان
ينقادان للانسان من غير اباء وحينئذ يرتفع امر العقل كما في عالم الحس
السماء رفعها لجريان الشمس والقمر ومع ذلك لا ينبغي ان يستقل بالعقل
بحيث لا يوزن بميزان الشرع فانه ميزان الحق كما انه في عالم الحس ووضع
الميزان فالعقل وان ظهر رجحانه على الشرع لا ينبغي ان يطغى هذا الميزان
كما انه اراد بوضع الميزان الا تطغوا في الميزان ولا يتركوا العقل بالكلية
في استعمال الشرايع بل اقيموا الوزن بالقسط الذي تقتضيه العقل ولكن

لا تبطلوا به شيئا من المنصوصات اذا لم تعقلوها كما اريد منكم ان لا تخسروا
الميزان وكيف ترك الشرع ولا تستقر امر العقول بدونه كما ان الارض
وضعها مستقرا للانام فهو اذا لم توهم فيه الدنو لكون مقدماته اوليه لكنها
منتجة لعلوم بينكم كما ان الارض فيها فاكهة وثمرات احوال ومقامات عالية
خفية كما ان الارض فيها النخل ذات الاكمام اوعية التمر ويحصل فيه الاطلاع
على الحقائق منصبرا اقوات الارواح والقلوب كما ان الارض فيها الحب
الذي فيه قوت الانسان ذو العصف الورق اليابس الذي هو قوت
الحيوان وفيه ما يشم منه روائح الذهب كما ان الارض فيها الريحان هذا
على الرفع واما على الجر فالمراد ان الحب مفيد للقوت وطيب الرائحة
فاذا كان في طعام القرآن من الفوائد فبأي آلاء ربكما ايها الجن والانس
اللذين ربكما تعليه تكذبان ولا بعد من الله ان نظهر فيما تقدم دونه من
الفوائد فانه خلق الانسان من صلصال طين يابس له صلصلة اي صوت
كالفخار الطين المطبوخ بالنار يجعل له هذا البيان وعلو الرتبة وفي عكسه
خلق الجان من مارج صاف من الدخان من نار للمارج على فوق النار
التي مركزها اعلى المراكز فهو اسفل سافلين لعدم انقياده للانسان
فبأي الاء ربكما تكذبان ولا بعد من الله تعالى ان يجعل طعام القرآن مشرقا
يطلع به على الامور الظاهرة والباطنة مشرقا يطلع به على الامور الخفية
ونحوها على الاكثر كما جعل في الانسان مشرق الحواس للمحسوسات و
مشرق العقل للمعقولات وجعل في العالم مشرق الشتاء ومشرق الصيف
فانه رب المشرقين ورب المغربين فاذا فعل ذلك في كتابه وعلم في
العالم الكبير فبأي الاء ربكما تكذبان ولا بعد منه جمع العلوم المختلفة في هذا
الكتاب بحيث لا يدفع بعضها بعضا مع غاية كثرتها بل يجعل بعضها مجاورا
بعضها ومعاونه فانه مرج ارسل البحرين العذب والمالح يلتقيان

تجاوزا ان منهما برزخ حاجز معنوي من اجله لا يبغيان لا يبغي شي منهما
على صاحبه وقد جعل في الانسان امورا محسوسة وامورا معقولة يخالط
بعضها بعضا بالمعاونة لا بالتضاد فبأي الاء ربكما تكذبان وكما لا يفرض احدهما
الاخر في الاجتماع لا يفرض في النتائج بل ينتج جواهر المسائل الكبار والصغار
كما انه يخرج منهما اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره واذا كان اختلاف
العلوم فيه من الفوائد فبأي الاء ربكما تكذبان ومن الفوائد لا يحصل الا
بالسفر الى الله تعالى على سفن الاعتقادات في الاخلاق والاعمال الفاضلة
الحاصلة عن الاجتهاد والتعمق كما ان له الجوار المنشآت السفن التي صنعها
العبد ليجريها في سفر البحر كالاعلام الجبال وكذلك تحصيل ما ذكر بالاجتهاد
ينتقل بها واذا كان به في القرآن من الارباح فبأي الاء ربكما تكذبان
ثم من التجارة هي التي ينتهي ربحها الى ابد الاباد لبقاء ما يطلب بها دون
ساير الارباح اذ كل من عليها اي تلك الجوار من التجار فان ويبقى وجه
ربك الذي يطلب بالسفر في اسرار القرآن اذ يظهر به انه ذو الجلال
والاكرام فيفضي الى البقاء فيه والبقاء به وهو غاية النعم فاذا حصلت لا
يبالي لما دونه فاذا كان في القرآن من النعم فبأي الاء ربكما تكذبان ومن
الفوائد التي تحصل بالسفر الى الله انما تحصل بعونه وعونه بسؤاله بل لا بد من
سؤاله في كل شيء فانه يسأله من في السموات والارض وفيضه وان كان
دائما فهو يختلف باختلاف الاحوال والازمان اذ هو كل يوم هو في شان
فهو يختلف باختلاف الاسولة لانها من جملة الاحوال ثم انه يفيض على اهل
القرآن كل يوم شانا من شؤونه فبأي الاء ربكما تكذبان فان زعمتم ان الفرغ
للاستنباط من الفوائد من القرآن ولا للاعمال التي ينكشف بها فقل لكم سنفرغ
لكم اي للمجازاة كل واحد منكم ايها الثقلان الانس والجن اللذان ثقل عليهما
الاستنباط والعمل مع ثقلهما الابدي وقد انعمنا عليكما بما لا يحصى من النعم

فلا بد من ان نسألكما عنها فاذا سألناكما فبأي آلاء ربكما تكذبان وكيف لا
لامر لا تخرجون عنه بحيلة من الحيل اذ نقال لكم يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا تخرجوا من اقطار جوانب السموات والارض بحيلة
من الحيل فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان حجة قوية لا شبهة واهية فاذا
جعلنا لكما الحجة في القرآن فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ذلك الامر من
انه يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس فلا تنتصران فلا تنفعانهما
الا تمسككما بالحجة فاذا علمناكما تلك الحجة في القرآن فبأي آلاء ربكما تكذبان فان
زعمتما ان هذا التنفذ انما تعذر قبل انشقاق السماء فاذا انشقت
السماء سهلت قيل اذا انشقت انشق معها الارض فتظهر جهنم فيصل حرها
الى السماء عن قرب فكانت وردة حمراء كالدهان الاديم الاحمر فالنفوذ
اعسر الا بهذه الحجة التي يتضمنها القرآن فبأي آلاء ربكما تكذبان فان زعموا
ان التكلم بالحجة في تلك الحالة اصعب فكيف يدفع بها تلك الصعوبة قيل لا يحتاج فيه
الى التلفظ بها فيومئذ لا يسأل سؤال الاستعلام عن ذنبه انس ولا
جان فكيف يسأل صاحب هذه الحجة فاذا كان في القرآن هذه الحجة
فبأي آلاء ربكما تكذبان وانما لا يحتاج فيه الى السؤال لظهور العلامات فانه
يعرف المجرمون بسيماهم سواد الوجوه وزرقة العيون فيؤخذ بالنواصي
والاقدام منهم بان تضم اقدامهم الى نواصيهم وراء الظهر او يجعل ايديهم
على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم فيلقون في النار فاذا اجعل في اصحاب
النار هذه العلامة فعدمها كاف فكيف لا يدفع عنها هذه الحجة القرآنية
فبأي آلاء ربكما تكذبان بل يقال لاهل هذه الحجة هذه جهنم انما نجوتم عنها
مع قربها بهذه الحجة والمجرمون انما دخلوها لتعطيلها فهي التي يكذب بها المجرمون
ولما لم يات لهم في التكذيب الجزم بل التردد فهم يطوفون بينها وبين حميم آن
ماء حار بلغ النهاية يصب عليهم او يسقون منه فاذا كان في هذه الحجة

ما يزيل ترددكم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه فبالغ في النظر في
حجة ليتخلص من هذا التردد جنتان روحانية وجسمانية لمعارفه ولاعماله
فاذا حصل لكم الخلاص من النار والجحيم والجنتان بهذه الحجة القرآنية
فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان اغصان كثيرة طويلة عريضة بحسب
تشعب معارفه واعماله نظلة وبهجة التجلي الجلالي عليه وانما يحصل ذلك من
من القرآن فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان من محض المعارف والاعمال
تجريان من غير انقطاع الى الابد من معارف القرآن واعماله فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان نوعان نوع يناسب المعارف
وآخر الاعمال بعد ان يكون لكل معرفة وعمل فاكهة وكلها في القرآن فبأي
آلاء ربكما تكذبان ثم انهم يأكلونها متكئين على فرش بطائنها من استبرق
ديباج غليظ لتصلب اعتقادهم وظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق
الناعم لسلس ظواهرهم للاعمال وانما تيسر لهم اكل الثمار عليها مع كونها على
اشجارها لان جنى ثمار الجنتين دان قريب يدنو الشجرة حتى تجتني ولي
الله قاعدا او قائما او نائما وذلك لترغيب القرآن اليها فبأي آلاء ربكما تكذبان
ليزداد تلذذهم باكلها مع محبوباتهم على الفرش ومن محبوبات لهم ايضا
اذ فيهن قاصرات الطرف على ازواجهن اذ لم يطمثهن لم يمسهن انس
قبلهم ولا جان وانما حصل لهم لقصرهم النظر في القرآن فبأي آلاء ربكما
تكذبان وكيف لا تتم الآلاء بهن والتلذذ ومن في الحسن كأنهن الياقوت
في الصفاء والمرجان في البياض فان صغار الدر اشد بياضا من كبارها
لسريان صفاء قلوبهم وبياض اعتقادهم اليهن وانما حصلا لهم من التمسك
بالقرآن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا يبعد ان يكون لكمل اهل القرآن هذا الجزاء
وهم محسنون لانهم ناظرون الى الله تعالى ومحسنون للاعتقادات والاعمال
وهل جزاء الاحسان احسان الاعتقاد والاعمال الا الاحسان احسان

والعمل

احسان الجزاء بتكميله فباى آلاء ربكما تكذبان وكيف لا يكون لهم ذلك مع
انه يكون لمن دونهم من عامة المؤمنين ومن دونهما جنتان على اعتقاداته
واعماله التى اخذها من التمسك بالقران مع تقصير فباى آلاء ربكما تكذبان
ومعاوان لم يكن لاشجارهما الافنان المذكورة فهما مدهامتان سوداوان
من شدة خضرتهما اذ التمسك بالقران وان قل يكثر منه الكثرة فباى آلاء
ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء فباى آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة وان لم يكن فيهما جميع انواعها ولا لكل نوع منها زوجان لنقص
معارفه واعماله ولكن فيهما من انواعها الشريفة نخل من علو الاعتقاد فى
الجملة ورمان من لطائف الاعمال فان قلت واذا كان للتمسك بالقران مع
قصور ذلك فباى آلاء ربكما تكذبان ومنه الفواكه وان لم يكن مثله فواكه
الاولين يكمل لهم بمشاركة مجموعاتهم اذ فيهن فى اكلهن يشاركهم نساء خيرات
اخلاقا حسان اعمالا ومنه الاخلاق والاعمال سرى اليهن من القران
فباى آلاء ربكما تكذبان ومن وان لم يكن كالياقوت والمرجان حور كبار
الاعين لكن لا ينظرن الى من سواهم لانهن مقصورات فى الخيام لا يخرجن
منها وحصل لهم ذلك من عدم خروجهم من القران بالكلية فباى آلاء ربكما
تكذبان ويكفى فى وصفهن انهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وذلك لانهم
لم يمسهم اعتقاد وعمل يخالف القران بالكلية فباى آلاء ربكما تكذبان و
نعيمهم تلذذ اتى من اكلهن كونهن متكئين على رفرف وسائد او ذيل
الخيمة خضر وعبقرى طنافس ثخان حسان وذلك لاتكائهم على القران
فباى آلاء ربكما تكذبان ولا يبعد ان يحصل من الله للادنى منه الكرامات
فانه تبارك تعاظم اسم ربك المتجلى على اهل النار والجنة من وصف
ذى الجلال والاكرام تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الواقعة

سميت بها لانها مملوة بوقائع يوم القيامة التى هى الواقعة العظمى لوقوعها
فى اشد الاحوال بسم الله المتجلى بكمالاته فى الواقعة
الرحمن باتباعها لاصلاح الاعمال الرحيم برفع اقوام وخفض اعدائهم
اذا وقعت الواقعة اى وقت وقوع الحادثة التى لا بد من وقوعها
بالدلائل القاطعة ليس لوقعتها لدفع وقوعها شبهة كاذبة خافضة
للدلائل الوقوع القاطعة رافعة لمقدماتها الوهمية بالحاقها بالاوليات اذ
فى افعال العباد ما يخفضهم او يرفعهم فلا بد لهم من حالة خافضة او رافعة
فلا شك فى وقوعها وغايته ما يمكن فى تعيينه انه اذا رجت الارض رجا
زلزلت زلزالا شديدا ومن تلك الزلزلة بست الجبال بسا فتتت تفتيتا
تاما فكانت هباء منبثا غبارا منتشرا فكيف ومن خواصها المعرفة لذلك كنتم
ازواجا اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اى فارباب اليمن
والسعادة ما اعظم يمنهم وسعادتهم واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة
اى واصحاب الشوم والشقاوة ما اعظم شومهم وشقاوتهم والسابقون الذين
سبقوا سعادة الاولين وشقاوة الاخرين اذ لم يبالوا بهما السابقون
الى الله تعالى فلا احد لعظمتهم يدرك حتى يتعجب منها اذ اولئك البعداء
عن درك المدركين هم المقربون من حضرة بحرفهما فيتحير منهم ولم يفتهم ما
للسعداء اذ هم فى جنات النعيم يتنعمون بلذاتها ايضا وليست لادنى
المقربين بل لاعلاهم الذين اتقوا الناس على غاية سبقهم وهم ثلة من الاولين
الانبياء وخواص اتباعهم ولعزته يكون فيه قليل من الاخرين ويمتازون
من سائر اهل الجنة لكونهم كالملوك على سرر موضونة منسوجة بالذهب
والجواهر وغيرهم ان كان لهم سرر لم تكن موضونة فان كانت فليس لهم
الاتكاء عليها ومولاء يكونون متكئين عليها متقابلين لا كالملوك الدنيا
متدابرين ولا كمعتزلى ملوكها ولكونهم كالملوك يطوف عليهم ولدان مخلدون

واغا الشك فى وقت
وقوعها صح

جماعة
صح

لا ينتقلون من حال الى حال آخذين بأكواب اقداح لا عرى لها ولا خرطوم
مملوة بمياه من انهار معارف لم يتمسك فيها بالدلايل العقلية والنقلية
بل بالكشف وأباريق لها خرطوم مملوة بمياه من انهار معارف تمسك فيها
بتلك الدلايل وكأس من معين خمر من انهار المحبة لا يصدعون عنها لا يحصل
لهم من شربها صداع لانه الم ولا ينزفون ولا يسكرون لانه حجاب فيتم
لهم ساير النعمات اذ يطوف عليهم بانواع فاكهة مما يتخيرون من انهار الاعمال
الظاهرة ولحم طير مما يشتهون من انهار المساعي الباطنة ويطوف عليهم حور
نساء بيض عين ضخام العيون من انهار اخلاق النفس كامثال اللؤلؤ
المكنون المخزون في الصدف لم يمسه الايدي ولم يقع عليه الشمس والهواء
وانما يكون لهم الجنات ونعيمها جزاء بما كانوا يعملون والقرب جزاء الاحوال
والمقامات ولا يضيع احدهما بالاخر ولكمال جزائهم لا يشوبهم الم حتى انهم
لا يسمعون فيها لغوا يولم العقل ولا تاثيما نسبة الى الاثم يولم الروح والقلب
الا قيلا من كل سلاما سلاما فهو عبارة نما يتصور فيها من اللغو واصحاب
اليمين الجانب القوي اخذوه بما تقدمت لهم من السعادة ما اصحاب
اليمين تعجب من اخذهم بالجانب القوي كما تعجب من سعادتهم في سدر مخضود
من مقطوع الشوك لقطعهم شوك الافراط والتفريط عن الشهوة وطلح
منضود من نضد حمله من اسفله الى اعلاه لاستعمالهم الملكة في جميع
الاعتقادات والاعمال وظل ممدود لا يتقلص بالشمس لتهذيب الغضبية
وماء مسكوب مصبوب سائل لاستعمالهم العلم الظاهر وقد ذكرنا المقربين
في الاكواب والاباريق لسترهم عليهم ولم يذكر لهؤلاء خمر العشق لحجبهم
اذ لم ينتهوا فيها الى حد السكر وفاكهة كثيرة من كثرة اعمالهم الظاهرة لا
مقطوعة بالزمن لمداومتهم على الاعمال ولا ممنوعة بالتمني لرفعهم العوايق العوارض
عنها ولم يذكر لهم فواكه مما يتخيرون ولا لحم طير مما يشتهون وفرش مرفوعة

جانب
ص

لشانهم على ظاهر الشرع الممهد ولم يصلوا الى اسرار لتصبروا على السرد الممحونة
وهي يدل على النسوان التزاما والظاهر انهن نساء الدنيا الحقن بالحور
انا انشاناهن انشاء غير الانشاء الاول ليلحقن بالحور فجعلناهن ابكارا
يجد الرجل امراته في كل مرة بكرا عربا متحببة الى ازواجهن لتحببهم الى الله
اترابا مستويات السن بنات ثلاث وثلثين كازواجهن رعاية
للتطابق الواجب في الحكمة لاصحاب اليمين الذين طبقوا اعتقاداتهم و
اعمالهم للشرع وهم اكثر من المقربين اذ هم ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين وهم قليل من الاخرين واصحاب الشمال الجانب الضعيف لضعف
عقلهم حيث انقادت للهوى والغضب انقياد السلطان للكلب لذلك
قال ما اصحاب الشمال في سموم حر النار بدل الاطعمة المسكنة حرارة
الجوع وزيد فيها باحاطة الظاهر والباطن وحميم ماء مغلى بدل المسكن
الجاري وظل من يحموم دخان اسود بدل الظل الممدود لا بارد ولا
كريم اي ليس فيه فايدة الظل من دفع الحر وحسن المنظر الذي يكرم
من يحبه انهم كانوا قبل ذلك مترفين متنعمين فوجب عليهم شكر المنعم
لكنهم لم يشكروا المنعم لانكارهم الجزاء وكانوا يصرون على الحنث العظيم
اليمين الفاجرة انهم لا يبعثون وكانوا يقولون ائذا متنا ولم نر ميتا
بعث وكنا ترابا وعظاما ولم نر حيوة للاجزاء المتفرقة ائنا لمبعوثون
نبعث او اباؤنا الاولون مع ان بعث من طالت مدة موته ابعد كيف
ولم يجر سنة الله ببعث احد فيما مضى قل انا لم يجر سنته فيما مضى لانه ينافي التكليف
اذ يصير امر الاخرة ضروريا فاخر بعث الكل الى ميقات واحد ان
الاولين والاخرين لمجموعون للجزاء الذي لا يبغي الحكمة وقد جرت سنته
بمراعاتها فهو مراعيها وان اخر الى ميقات يوم معلوم ثم ان الله انما خلق
العقل يحكم بالجزاء اذ لا يحتاج اليه في امور الدنيا كساير الحيوانات فمن

لم ينظر اليه فهو ضال انكم ايها الضالون المكذبون لما عرف صدقه بالظهور
فتاكد ضلالهم لآكلون بدل ما انعم عليكم من الطعام فلم تشكروه من
شجر نوع منه لم يعهدوه من زقوم تزيد في جوعكم فمالئون منها البطون
فشاربون عليه بدل ما انعم عليكم من الشراب من الحميم فتزيد في
عطشكم فشاربون شرب الهيم جمع اهيم ابل به داء الهيام داء يشبه
الاستسقاء هذا نزلهم ما يعد للنازل مكرمة فقد نهكم يوم الدين ثم اشار
الى مزيد ضلالهم بالكذب بقوله نحن خلقناكم اختصصنا بخلقكم فلولا
تصدقون قولنا بخلقكم مرة اخرى فان زعمتم انكم انما خلقتم من مني
تمنونه ويرتفع حيوة الاباء ولا حيوة لهم حين البعث يقال افرايتم اجرى
ما تمنون المني الذي تمنونه ءانتم تخلقونه منيا ام انسانا ام نحن الخالقون
فان كانت الحيوة من لوازم المني فمن اين يكون الموت نحن قدرنا
بينكم الموت اي نحن مخصصون بقدرة على اعمار مختلفة فاذا قدرنا
على الاماتة قدرنا على الاحياء اذ ما نحن بمسبوقين بعاجزين لان
القدرة على احد المتقابلين قدرة على الاخر نحن قادرون على ان نبدل
امواتكم فنجعلهم امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون في عالم لا يعلمونه وهو
الذي تغلب فيه الروحانية مع ظهور الجسمانية وكيف ينكرون النشاة
الاخروية من جماد لقد علمتم النشاة الاولى من جمادات تراب ثم
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم فلولا تذكرون فهلا تقيسون تلك
النشاة على هذه فان اصروا على انهم خلقوا من مني الانسان فقال ان
القاء المني حراثة وخلق الولد زراعة افرايتم ما تحرثون تبذرون من حبه
ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون ويدل عليه قدرتنا على جعله
حطاما حيث لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون فصرتم تتعجبون
ولو كان منكم لما تعجبتم وكيف يكون منكم وانتم لا تريدون ذلك اذ تقولون

انا لمغرمون غرمنا الحب بلا عوض بل نحن محرومون حرمنا الرزق فان
اصروا على انزال المني منهم قبل انزال المني منكم سبب الرحم كانزال الماء
بشربكم افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن السحاب
ام نحن المنزلون ويدل عليه جعلنا اياه عذبا مع كون المزن من بخار
البحر الملح فعذوبته من قدرتنا كما تقدر على ملوحته بحيث لو نشاء جعلناه
اجاجا محرقا للفم وكذا لو نشاء لجعلنا المني محرقا للرحم فلولا تشكرون نعمة
جعل الماءين سائغا للشرب مع نسبة خلقهما الينا فان زعموا ان هذا المني
لما حصل بحركتنا فاصله ايضا منا قيل هذه الحركة كايراء النار والاصل
كشجرتها افرايتم النار التي تورون تقدحون ءانتم انشاتم شجرتها التي فيها
النار ام نحن المنشئون فان زعموا ان هذا قياس لا يعتبر في باب الاعتقادات
قيل نحن جعلناها تذكرة لنار الاخرة نحن جعلناها مقيسا عليها الكلام
الاعتقادي من الامور الاخروية وقد جعلناها مقيسا عليها للامور
الدنيوية ايضا اذ جعلناها متاعا منفعة للمقوين الذين خلت بطونهم عن
الطعام وكذلك جعلنا النطفة متاعا للرحم الخالي عن الولد واذا علمت
ان خلق الكل منسوب الى الله تعالى كان معطيا للكمالات كلها فسبح باسم
ربك العظيم من ان يطرق حوله شيء من النقائص واذا كملت اسماؤه وكملت
صفاته بحيث لا يتجلى التجلي الشهودي الا على محل كامل يعظم القسم به واذا كان
كذلك فلا حاجة الى القسم لكني اقسم تاكيدا بلسان كريم القران بمواقع النجوم
بمواضع تقع فيها نجوم القران بالتجلي الشهودي من قلوب الكمل وارواحهم وانه
لقسم لو تعلمون ان التجلي الآلهي في التجلي الشهودي لا بد وان يناسب ما تجلى
فيه عظيم عظمة ما تجلى فيها من الصفة القديمة انه لقران كريم يعطي كل ناظر ما
يليق به لكن بعد المبالغة في الاجتهاد والتصفية والتزكية لانه في كتاب جامع
للعلوم مكنون مستور عن النظر العام بل لا يحصل بالاجتهاد ايضا وانما

يحصل بالتصفية اذ لا يمسه في الظاهر الا المطهرون عن الاحداث فكذا
لا يمس اسراره الا اهل التصفية وانما كان بهذا الكمال لانه تنزيل من رب
العالمين الذي رباهم بالكمالات ومنها علمهم فهو تنزيلها في تنزيل صفة
اولى بافاضتها أفلا تهتمون باستنباط اسرار هذا الحديث فبهذا الحديث
انتم مدهنون متساهلون وتجعلون رزقكم نصيبكم منه الذي هو القوت
الروحاني انكم تكذبون فان كان تساهلكم لعدم مبالاتكم بمنزلة فلولا فهلا
تقاومونه في نزع النفس اذا بلغت الحلقوم ولا يمنع من المقاومة احضار الفعل
اذ انتم حينئذ تنظرون ولكن انما تقاومه من كان اقرب منه لكن نحن
اقرب اليه منكم قرب الذات لا المكان والزمان والرتبة ولكن لا تبصرون
فتتوهمون مقاومته من زعمكم انكم تساوونه في القوة لكنكم لغاية قوته و
عجزكم معه متساوون له فلولا فهلا ان كنتم غير مدينين متقادين له ترجعونها
اى النفس الى مكانها ان كنتم صادقين في عدم مبالاتكم به فان لم يبالوا
بحال الجنون فلا بد من مبالاة لانه بعد الموت للتلذذ من قربه او للسلامة
او للتعب فاما ان كان من المقربين وهم السابقون فروح فله راحة التخلص
عن حجاب ما بينه وبين محبوبه وريحان يشمه من فواح محبوبه وجنة نعيم
ينعم فيها بانواع اللذائذ واما ان كان من اصحاب اليمين فهو من اهل
النجاة فسلام لهم من موجبات التعب باتباعك تقليدا فسلام لك من
اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين ولا سبب لتكذيبهم سوى اتباع
الهوى فكانوا هم الضالين بترجيحها على العقل والشرع فنزل من حميم من تعطشه
الى المحبوب الذي اخطأ طريقه وتصلية جحيم من ترجيح سواه على العقل
والشرع ان هذا المذكور في حق كل واحد لهو حق اليقين اى لهو حق لا محالة
الحق لاهل اليقين الحاصل لهم على كمال التصفية والتزكية بمداومة ذكر
الله تعالى فسبح باسم ربك العظيم ليتيسر لك تم والله الموفق والملهم والحمد لله

رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الحديد

سميت به لانه امر فيه بنصرة الله ورسوله في الجهاد
منزل منزلة الآيات الناصرة على انه سبب لاقامة العدل كالقرآن ايضا
انه جامع للمنافع ما شبهه ايضا فسميت سورة ذكر فيها ذلك
بسم الله المتجلي بكمالاته في السموات والارض حتى سبحته
الرحمن بخلق السموات والارض والاستواء على العرش الرحيم بتحصيل
الفصول المختلفة من ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل
سبح في الازل لله حقائق ما في السموات والارض عالمين من صفات
الحوادث ما ظهر فيها منه كيف وهو العزيز فلا يلحقه خسة الحوادث وانما
لحق ما ظهر فيه لانه الحكيم فكان ظهوره في كل حصة بحسبها ويلزم منه لحوق
الحوادث المناسبة لها ما ظهر منه فيها ومن لحوق تلك الحوادث دخلت في
ملكه حتى قيل له ملك السموات والارض كيف وقد صارت قابلة لتصرفه اذ
يحيي ويميت ما شاء فيها وبذلك ظهرت قدرته فيهما حتى قيل هو على كل شيء
قدير لكن هذه الحوادث لا تبطل اتحاده بها من وجه وهو اتحاد الظاهر
والمظهر اذ هو الاول الذي فاض منه وجود الكل فيضان نور الشمس
والآخر الذي يرجع اليه وجود الكل اذ لا وجود لها من ذواتها كيف وهو
الظاهر في حقائق الموجودات ولكنه لما اكتنف بالحوادث فهو اخفى وجود
الصرف فهو الباطن وكيف لا يكون للكل به اتحاد وهو بكل شيء عليم مع ان
علمه واحد ولا يعلم به الا معلوم واحد من وجه هو وجود الاشياء وان
كان متحدا به من وجه فهو حادث لدخوله تحت الزمان فصح ان يقال هو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم بالرجوع اليه لا يصير قديما اذ ذاك
من نقصه باعتبار انه استوى على العرش ولا يلزم من تحقق علمه جهله
بتفاصيل الجزئيات بل يعلم ما يلج في الارض من الفواسد وما يخرج منها من

الكواين وما ينزل من السماء من انار حركاتها وما يعرج فيها من كمالات اخراجها
بالقوة الى الفعل كيف هو علمه بذاته ايضا اذ هو معكم اينما كنتم من السماويات
والارضيات بالظاهر فعلمكم هو علمه بذاته من حيث معيتها لكم وهو من معيته
بصير اعمالكم حتى قيل فيه الله بما تعملون بصير وليست منه المعية موجبة لمساواتكم
له بل له ملك السموات والارض بل معية المملوك للمالك في رجوعه اليه وهو من
ههنا قيل الى الله ترجع الامور حتى ان الامور الراجعة الى السماويات
راجعة الى الله اذ هو يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل لتحصيل الفصول
المختلفة لتكون الكواين وافساد الفواسد وكما يرجع اليه الامور الظاهرة
يرجع اليه الامور الباطنة لذلك هو عليم بذات الصدور آمنوا بالله الذي
اليه مرجعكم وهو قادر على تكميلكم وتنزيهكم واثابتكم وتعذيبكم واذا
نورتكم تجلى عليكم التجلي الشهودي فيتنزهون بمقتضى الحكمة ويتصفون بصفات
العزة وتزين ظاهركم وباطنكم وكان معكم بانواع اللطف واولج ليل نفسكم
في نهار روحكم او قلبكم و رسوله الذي هو واسطة منح الكمالات وانفقوا
تاييدا لايمانكم بكونكم وما يملكونه ملكا لله فليس ملككم بالحقيقة بل هو مما جعلكم
مستخلفين فيه فانفقوا ماله في سبيله وكالة عنه لتوكد واجبه على حب المال
وتتوكلوا عليه لا على المال فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير اجر الايمان
واعتقاد انكم واموالكم ملك لله وانا رجحه والتوكل عليه وما لكم لا تؤمنون
بالله وقد ورد الشرع باحكامه اذ الرسول يدعوكم الى النظر في ربكم لتؤمنوا
~~بالله وقد ورد الشرع باحكامه اذ الرسول يدعوكم الى النظر في ربكم لتؤمنوا~~
بربكم الذي رباكم بنعمه وجب عليكم شكره لا بالعقل وحده بل به بعد ورود
الشرع ولم يستقل الشرع باحكامه بدون العقل بل قد اخذ ميثاقكم بالدلايل
العقلية ان كنتم مؤمنين مصدقين للعقل بعد ورود الشرع تصديق البصر
بعد طلوع الشمس وليس لكم ان تقولوا لا ننظر ما لم يجب علينا ولا يجب علينا ما لم

ننظر لان وجوب النظر بعد ورود الشرع يصير ضروريا اذ هو الذي ينزل
على عبده الكامل آيات بينات لا يتوقف الايجاب بها على نظر في
نفس الدليل ولا في رفع الشبه لان هذا التنزيل كاف ليخرجكم من الظلمات
ظلمات الجهل والشبه الى النور نور اليقين الذي هو العلم الضروري
وكيف لا تفعل ذلك وان الله بكم لرؤوف فلا يؤاخذكم قبل ورود الشرع
رحيم باقامة الدلايل ورفع الشبه و اذا آمنتم بالله وهو مقتضى التوكل
على الله واثباتا رجحه على كل ما سواه ما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله ليكون
لكم وسيلة الى و لله ميراث السموات والارض تزول عنه توهم ملك الغير
وتصير الى ملك الله تعالى من كل وجه كانه ورثه من ملكه الغير فالتوسل به
توسل بملك الله في المال بل في الحال لكنه انما يتم توسلا حال كمال
الحجاب لذلك لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الذي يشبه كشف
الحجاب وقاتل قبله فانفق روحه وهو انفق بعد الفتح وقاتل بعد بل
اولئك اعظم درجة لكمال علمهم حال كمال الحجاب من الذين انفقوا من
بعد وقاتلوا من بعد لنقص علمهم لنقص الحجاب و كلا وعد الله
المثوبة الحسنى لبقاء اصل الحجاب لكن انما تعظم درجة الاولين ويكون
للآخرين الحسنى اذا لم يضطروا الى ذلك من حياء الناس ولا للنفاق
والرياء بل لله وحده والله بما تعملون خبير هل علمتم له او للحياء او غير ذلك
ثم هذا الانفاق في سبيل الله ليس كذلك فانه اقراض من الله من ذا من
العقلاء السعداء الذي يقرض الله قرضا حسنا يخلص نيته ويتحرى له
احسن امواله ولا ياخذ الله لنفسه لغناه بل لعبده فيضاعفه له اي
فيعطيه في الدنيا اضعافه وله في الآخرة اجر كريم يلبس بكرمه تعالى الحلل
له ذلك الاجر على الصراط قبل دخول الجنة وهو ان يصير له نورا فوق انوار
المؤمنين يوم ترى المؤمنين والمؤمنات الكمل والناقصين يسعى

انما يكره لما فيه من اضاعة
ما ينفع في الشدائد
الانفاق
صح

نورهم على حسب سعيهم بين ايديهم لان عملهم كان لما بين ايديهم من الآخرة
وبايمانهم لان اعمالهم كانت بقوة ارواحهم وقلوبهم يقول لهم ذلك النور تسهيلا
لسيرهم على الصراط بشراكم اليوم الذي انتم فيه على الصراط جنات فيها انهار
اعمالكم وثمارها تجري من تحتها الانهار من منابع معارفكم واخلاقكم
لا بحسب مدتكم ومدة اعمالكم بل خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الذي
لا يبالي معه بمشقة السير على الصراط ويبقى لكم هذا النور يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا كاملهم وناقصهم اذ اطفئ نورهم الذي اعطوه
بقدر ما اظهروه من الاسلام ثم طفئ بموتهم انظرونا اي انتظرونا او اقبلوا علينا نقتبس
من نوركم قيل اي قالت الملائكة او المؤمنون ارجعوا وراءكم الى
الدنيا فالتمسوا ايمانا واعمالا تفيدكم نورا مستقرا فضرب بينهم اي المؤمنين
والمنافقين بسور بحائط يحجبهم عن انوار المؤمنين ليتم ظلمتهم له باب
يرى به المنافقون المؤمنين ليكلموهم باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة
من انوارهم وانوار الجنة وظاهره الذي يلي المنافقين من قبله من جهته
ما يستقبلونه العذاب من ظلمتهم وظلمة النار ودخانها ينادونهم قائلين
الم نكن معكم في الاسلام واعماله قالوا بلى في الظاهر ولكنكم في الباطن
فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم ظهور الكفر ليظهر ما في انفسكم وارتبتم
في قوله تعالى ليظهره على الدين كله ووعد نصر المؤمنين وغرتكم الاماني
اماني المغفرة وانه سيظهر دينكم وان لكم عند الله الحسنى فلم تزالوا على ذلك
حتى جاء امر الله بعذاب القبر وعذاب الآخرة وقد فعلتم جميع ذلك
لا لدليل بل لانه غركم بالله الشيطان الذي هو الغرور واذا فعلتم ذلك
تقيتم عند الله او افتديتم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية لو كانت لكم فضلا عن
التخليص بلا شيء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا لاستواء ظاهركم و
باطنكم اليوم مأواكم النار جميعا وان فارقتموهم في الدنيا بحقن دمائكم وانتم

وان سلمتم في الاسلام بنقض الجنة لكن النار هي مولاكم اي اولى بكم اذ
لم يبق لكم ذلك الاسلام وبئس المصير مصيركم اليها فوق مصير الكفار
ولما كان النفاق المفضي الى ما ذكر من قساوة القلوب والنفور عن خشوعها
لذكر الله والقرآن قال الم يأن الم يحن للذين آمنوا وقت ان تخشع ترق
القساوة والكتاب النور قلوبهم لذكر الله وسماع اوامره وما نزل من
الكتاب الحق المتضمن للصراط واطفاء نور المنافقين عليهم وضرب السور
بينهم وبين المؤمنين وانهم اولى بالنار ومصيرهم اليها اشد وانما كان
ترك الخشوع موجبا للقساوة عند طول مضي عهد النبوة لما يجب من اهل
الكتاب لا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد الزمان
فقست قلوبهم اذ لم يداوموا على الخشوع فافضى الى الفسق غالبا لكن
كثير منهم فاسقون وهو سبب الكفر وانما كان الخشوع مانعا من القساوة
لانه يسقي بماء الذكر والقراءة ارض القلوب القاسية التي افضت بها
القساوة الى الموت بالكفر اعلموا ان الله يحيي القلوب بذكره وكتابه
كما انه يحيي الارض بعد موتها الذي هو اشد من القساوة بالماء المحسوس
ولا باس بقياس امر القلوب على امر الارض فانا قد بينا لكم الآيات
في الآفاق لعلكم تعقلون تستعملون العقل في قياس المعقولات بالمحسوسات
وكيف لا يكون الخشوع محييا للقلوب شافيا لها مع ان الصدقة التي دونها
يؤثر بذلك ان المصدقين والمصدقات الكمل والقاصرين ولكن الخير
قصدهم اذ نووا بها انهم اقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم
فكان بمنزلة السقي المنبت لكل حبة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ولهم
اجر كريم فكان محييا لها معنى للنور المستمر على الصراط وكيف لا يكون
للصدقة ذلك مع انه لعامة المؤمنين اذ الذين آمنوا بالله ورسله اولئك
لتصديقهم بجميع اخبار الله واحكامه وشهادتهم بحقية جميع ذلك هم الصديقون

النور والبشرى ح

والشهداء عند ربهم لهم وان تفاوت صديقيهم وشهيدهم لهم اجرهم
ونورهم بحسب صديقيتهم وشهيديتهم واصل الصديقية اكدوا صديقيتهم وشهدوا
كفاية الله تعالى وانوار محبته لهم اولى بذلك وانما شعروا انهم سبقناهم
وكيف لا يكون لعامة المؤمنين ذلك الاجر والنور مع انهم مقابلوا الكفار
الذين لهم العقاب والظلمة اذ الذين كفروا وقابلوا صديقية المؤمنين
وشهيديتهم بان كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم المتضمن للعقاب
والظلمة فيكون لمن قابلهم الاجر والنور فان زعموا انكم اذا جعلتم
لنا قياس امر على آخر فقسنا امورنا في الآخرة على امورنا في الدنيا
قال اعلموا انما تأتي القياس حيث ناسب الاصل الفرع ولا شيء من امور
الدنيا تناسب شيئا من امور الآخرة اذ الحيوة الدنيا ما هي الا لعب سائر
باطل ولهو اشتغال بمستحيل او متعب وزينة بامور خسيسة كالاحجار
والحرير نسج الدود ودم المسك دم الغزال والزباد عرق الهرة وتفاخر
بينكم بالآباء الذين هم من نطفهم القذرة وبالصنائع التي يكتسب بها كسب
الاحرار وتكاثر في الاموال التي هي احجار او غيرها والاولاد من النطف
وهي مع خستها فانه اشدها لا محالها او لا ولا يعلمون انه باعتبار العرض
الالهي بها او هي كمثل نبات حصل من غيث اعجب الكفار الزراع نباته
ثم يقع عليها ما ينقصها كما ان النبات يهيج ييبس فتريه مصفرا بعد ما كان
مخضرا ثم يقع عليها ما يهلكها كما ان النبات تكون تصير حطاما مشيما
فلا تناسب بذاتها وبهائها شيئا من امور الآخرة اذ في الآخرة عذاب
شديد للبعض ومغفرة من الله للبعض ورضوان للبعض فلو فرضت
مناسبة امورهما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور باخذ صاحبها ملاعب
الدنيا بدل ملاعب الحور العين ولهوها بملاذ الجنة وزينتها بزينة الجنة
والتفاخر بدل التفاخر بجوار الله والقرب وتكاثرها بالاموال والاولاد

صيا

بدل نعم الله والولدان المخلدين في الجنة فان زعموا انا نسابق الى الدنيا
نسبقها فاذا جاءتنا الآخرة سابقنا اليها يقال لهم المسابقة الى الدنيا
مسابقة الى المعصية او الى امور خسيسة تحجب عن الامور الشريفة فاذا
جاءت الآخرة لا يمكنكم المسابقة اليها مع تلك المعاصي ولا مع تلك الحجب
سابقوا اسعوا سعي السابقين في الضمائر الى اسباب مغفرة وهي وان
لم يصلح للتأثير فيها فهي تحصل من ربكم بتربيتكم برفع حجب المعاصي وعن نيها
والى اعمال صالحة هي اسباب جنة بدل الدنيا وهي مع غاية شرفها يجب
تكون موضع سوط منها خيرا من الدنيا وما فيها اعظم مقدارا في الغاية اذ عرضها
كعرض السماء والارض وليست مما يوعد بخلقها في المستقبل بل هي مخلوقة
الآن لانها اعدت وليست المسابقة اليها بالاعمال الشاقة جدا لانها
جعلت للذين آمنوا بالله ورسله ولا يبعد اعداد مثلها لمن ليس له اعمال
شاقة اذ ذلك فضل الله ولا يخص بشرف الدنيا بل يؤتيه من يشاء و
ليس شرف الدنيا من الفضل المنسوب اليه اذ الله ذو الفضل العظيم
وانما يظهر عظمة فضله اذا اعطى مثلها لمن ليس له اعمال شاقة فان زعموا
ان من سابق الى المغفرة والجنة سابقته المصائب الى ماله ونفسه فالسبب
تلك المصائب بسبب المسابقة بل ما اصاب شيء من مصيبة في الارض التي لا
مسابقة لها ولا في انفسكم الا في كتاب لا يتغير بالمسابقة ولا بتركها
وقد كتبت فيه من قبل ان نبرأها اي نخلق المصيبة والارض والانفس
اي في الازل ولا يتغير ما فيه ان ذلك اي كتبها في كتاب مع لا نهايتها
على الله يسير وانما كتبناها من قبل ان نبرأها لكيلا تأسوا يلا تحزنوا على ما فاتكم
بانه للتقصير في التدبير للاشتغال باسباب المسابقة مثلا ولا تفرحوا بما آتاكم
انه بتدبيركم كيف وهذا الفرح على التدبير موجب للاختيال والتكبر المكروه بين
والله لا يحب كل مختال فخور كيف والفرح بالشيء يوجب الحزن على فواته

موجب البخل عليه ثم لا تزال سبح فيه حتى يراه صفة محمودة يامر بها من يحبه
ثم يعم الناس فهو لا الفرحين هم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ليعرضوا
عن امر الله بالانفاق ومن يتول عن الله لم يضر الله به ولو بالبخل فيما يامر
بالانفاق فيه فان الله هو الغني عن انفاقه الحميد الذي لا يلحقه الضرر الذي
به الذم وليس التهديد بانفاق من التدبير بل يتوقف بعض النقادير عليه
لذلك لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ليتدبر الناس في صدقهم وانزلنا
الى الناس معهم الكتاب والميزان العقلي ليتدبروا بهما في امور دينهم و
دنياهم ليقوم الناس بالقسط اي العدل عن ذلك التدبر وانزلنا ليدبروا
بنفع المعادن عنهم الحديد اذ فيه باس شديد وليس انزاله لمحض الشر اذ فيه
منافع كثيرة للناس كلهم يتوقف الصنائع عليه والباس ايضا ليس شرا على
الاطلاق اذ كثيرا ما يكون لنصر الله ورسوله فكان انزاله ليعلم الله ليظهر ما علم
انه من ينصره ورسله ومن وان كان ينصر لذاته ورسله بعد كشف الحجب البتة
لكن ربما لا ينصر بالغيب وليس ذلك لضعفه وذلته حتى ينتصر بل ان الله
قوي عزيز وارسال الرسل وان كان لافادة الهداية فانما يحصل لمن
قدرت له والا فلا وان كان من ذرية كبار الرسل فانه لقد ارسلنا
نوحا وابراهيم من كبار الرسل ولم ينقطع نبوتهما ورسالتهما اذ جعلنا في
ذريتهما النبوة والرسالة اذ جعلنا فيهم الكتاب لكن لم يعم الهداية جميع
ذريتهما فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم لم يزل الفسق فيهم وان قفينا على
آثارهم باكابر رسالتهم برسلنا المنتسبين الى مقام عظمتنا وقفينا سوى اكابر
الكبار زيادة في تاكيد بعيسى الملتبس بالآلة عند جماعة لذلك نعت بكونه
ابن مريم وآتيناه تكميلا لرسالة الانجيل الذي هو اشمل الكتب المتقدمة
على دقائق الحكمة ولذلك ظهرت له آثار رحمة اذ جعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة لاجلها لا يقتلون القاتل ولا يضربون الضارب والشاتم

ورحمة بحسين اخلاقهم ومساعيهم ورهبانية جعلناها في قلوبهم حتى
ابتدعوها قبل ان يرد فيه نص كتاب ثم ما كتبناها عليهم الا لاجل
ان فيها ابتغاء رضوان الله لانها مؤكدة للاعمال المشروعة الا انها لما
كانت حرجا عليهم عجزوا عنها فما رعوها حق رعايتها فمع هذا الناس ضل
من قدر عليه الضلال حتى كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فآتينا الذين آمنوا
بمحمد منهم من سواكار الرهبان اجرهم على دينهم ودين محمد صلى الله عليه
وسلم ورهبانيتهم وكثير منهم وان كان فيهم الرافة والرحمة والرهبانية
فاسقون بترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يوجرون على شيء منها
وانما كثر فسادهم لعدم تقويهم اعتمادا على رهبانيتهم يا ايها الذين آمنوا
مقتضى ايمانكم بالله اتقوا الله ولا تجترئوا على معاصيه اعتمادا على رهبانيتكم
وانما يتم التقوى بالايمان بجميع الرسل سيما المتاخر آمنوا برسوله المتاخر
فان الايمان به يتضمن الايمان بالكل يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته اي
ثوابه كفل على الايمان بالمتقدم وكفل على الايمان بالمتاخر كما يؤتى اهل
الكتاب ويجعل لكم بدل الرهبانية نورا يكشف عن الحقائق تمشون به
في منازل الشريعة والطريقة والحقيقة ويغفر لكم ما يصدر عنكم حال الغلبة
وهي وان كبرت على اكثر الخلائق لا تكبر على الله اذ الله غفور بل
يجعلها حسنات اذ هو رحيم وانما فعل ذلك بكم لئلا يعلم يعتقد اهل
الكتاب المخصوصين ولا بالكفلين ان اي انه لا يقدرون اي المؤمنون
من غيرهم على تحصيل شيء من فضل الله وليعتقدوا ان الفضل مخصص
بهم بل بيد الله وليس لهم منعه ان يؤتيه غيرهم بل يؤتيه من يشاء وانما
خص اهل الكتاب به اولا ترغيبا لهم في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
ثم عمم الكل وله ان يفضل عليهم المؤمنين اذ الله ذو الفضل العظيم قال
صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل

اتقوا الله صح

عملا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قال
من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب على قيراطين قيراطين الا وانتم الذين
يعملون من العصر الى المغرب الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى
وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا
لا قال فانه فضلي اعطيه من شئت تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة المجادلة

سميت بها لانها لما كانت لطلب الحق والصواب
اشبهت مجادلة الانبياء والقرآن ولذلك سمع الله لصاحبها
بسم الله المتجلي بكمالاته في المجادلة حتى رأى قطع الظهار
علقة النكاح خطاء الرحمن باظهار الصواب بعد طول مدة جنايته في
العموم الرحيم بوضع الكفارة لرفع التحريم العارض روى ان خولة بنت
ثعلبة قالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة
ذات مال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني
واياه فقال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت ما ذكر الطلاق وانه
ابو ولدي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة
حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا
وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك اللهم فانزل
على لسان نبيك فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك
اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اخذ مثل
السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه الآيات الاربع
قد سمع الله قول فقد اجاب الله دعاء التي دعت في ضمن شكايتها حين
تجادلك في قطع الظهار علقة النكاح من قبل زوجها انت علي كظهر

كظهر امي وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه تشتكي الى
الله عن كون هذا التحريم قاطعا علقة النكاح والله يسمع عن رضا تحاوركما
تراجعكما الكلام اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه مجازا او كناية
عن الطلاق وكانت تراه تحريما غير قاطع علقة النكاح ان الله سميع
بمجادلات اهل الحق عن رضا بصير بمقاصدهم فلا يعاقب المخطئ ولا
يمنعه بل يؤتيه اجر الاجتهاد الذين يظاهرون يقولون لنسوتهم انتن
علينا كظهور امهاتنا يعنون في حرمة الركوب مع كونهم من جماعة المسلمين
الناظرين الى الحقائق يخلصون بذلك من نسائهم بجعلهن امهاتهم
مع انهن ما هن امهاتهم بالحقيقة ولا في حكمهن بالمجاز اذ لا يقتضي المجاز
ان يكون في حكم الحقيقة الا تقلب الحقائق لكنها لا تنقلب ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم وتلحق الجدات والمرضعات للمشاركة في الاصالة
وافادة التنمية وليس ههنا من الملحقات شيء لذلك انهم ليقولون
في التحريم بلا معنى ملحق للفرع بالاصل منكرا وان كان من القول
المتعارف لهم وكيف المجاز لا يكون زورا لوجود العلاقة وهذا
كان زورا لعدم العلاقة وان الله لعفو غفور عن هذه المعصية
لو لم يعودوا فعفو بالكفارة لو عادوا والذين يظاهرون من نسائهم
قيد بذلك لان ظهار الاجنبية لا يوجب الكفارة لوجود الحرمة هناك
اولا فلا يكون القول منكرا وزورا محضا ثم يعودون بالتدارك
لما قالوا وهو امساك المظاهر عنها زمانا يمكنه مفارقتها فيه فتحري
ر بلا سبب الجماع منزلة وعند ابي حنيفة باسباب استمتاعها ولو
بالنظر بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع فتحرير رقبة فالواجب عليهم
اعتاق رقبة وقيدها الشافعي بالمؤمنة قياسا على كفارة القتل من
قبل ان يتماسا يجامعها اذ لا داعي الى ادائها بعد ذلكم توعظون

لاشعاره بان من الجنايه بجعل رقبه الجاني اسيره فيفكها باعتاق مثلها
والله بما تعملون من المماسة قبل الكفارة خبير فمن لم يجد رقبة فصيام شهرين
متتابعين لانه لكونه ضعف الواجب الاصلي في التجويع صار كالقتل
وتاكد بالتتابع والقتل فك من الاسر وهو ايضا من قبل ان يتماسا
لكن لو جامع مع الظهار ليلا لم ينقطع التتابع عند الشافعي وينقطع عند ابي
حنيفة ومالك فمن لم يستطع تتابع الصوم منع المنع لهرم او مرض او
شبق مفرط فاطعام ستين مسكينا تمليك ستين مسكينا ستين مدا من
رطل وثلث وعند ابي حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا
من غيره لان المعطى للغرام امسك عنه صاحبه فكانما صامه وهو ايضا
من قبل ان يتماسا لكنه لم يذكره اكتفاء بذكره في المبدل عنه واباح ابو حنيفة
ومالك التماس قبل الاطعام ذلكما الصوم والاطعام لما كانا بمنزلة قتل
النفس افاد تصفية القلب لتؤمنوا بالله ورسوله ومن لم يحصل له
التصفية يجب عليه لانه حد الله اذ تلك حدود الله التي يجب الايمان بها وان
لم يعمل وكذا العمل بها وللكافرين بحدوده لترجيحهم عقولهم عذاب اليم
على انكارها وترك العمل كيف يحادون الله ان الذين يحادون الله
يخالفون في حدوده معقولة او غيرها ورسوله الذي هو اصدق من
العقل كبتوا اخزوا عن حد الانسانية ولا بعد فانه كما كبت الذين من
قبلهم ممن اعتمدوا في مخالفة الرسول على عقولهم وكيف يرجعون الى
عقولهم) بعد ظهور صدق الرسل بالضرورة اذ قد انزلنا آيات
بينات بحيث لا تقبل معارضة عقل ولا غيره فاذا رجحوا عقولهم عليها كانوا
مستهينين بها وكفرانها بالرسل ولذلك يكون للكافرين عذاب مهين
يكون اهانتهم على رؤس الخلائق يوم يبعثهم الله جميعا مجتمعين فينبئهم
بما عملوا بمقتضى عقولهم وما خرقوا من حكم الله في حدوده من وجه اذ حاجوا

وعلى خلاف عقولهم اذ احصاه الله ما فوتوا من الحكم المعقولة لهم وغيرها
وان كان منها ما عقلوا فيها الحكم ولكن نسوه عند العمل بها او بعد ذلك
وكيف لا يحصيها الله والله على كل شيء شهيد فان انكروا شهوده لوجوه
الحكم وراء ما يدرك كونه بعقولهم قيل لهم الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض وانتم لا تعلمون اكثر ما فان زعموا انهم احاطوا بجميعها
قال لو كنتم محيطين بالكل لاحطتم بما يناجي به بعضكم بعضا مع ان الله تع
ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وان لزم من ذلك كونه شفعا
لعددهم مع انه واحد في ذاته من كل وجه وتر ولا يخص ذلك بالوتر
الاول بل ما يكون من نجوى خمسة الا هو سادسهم اذ وحدته وتر بينه
باعتبار ذاته وهنا باعتبار رتبته ولذلك لا يكون من نجوى ادنى من ذلك
ولا اكثر الا هو معهم ولا ينافي ذلك اختلاف امكنتهم بل اينما كانوا لان الا
الامكنة بالنسبة الى من تنزه عنها ولكن لم يطلعهم على ذلك الآن ابقاء
للتكليف ثم ينبئهم بما عملوا يوم ارتفاع التكليف يوم القيمة فان لم يتصوروا
معه الذات فليتصوروا معه العلم ان الله بكل شيء عليم والمعلوم
مع العالم نفسه فان انكروا اتيانهم القبايح فيما خالفوا امر الله تعالى
قال الم تر الى الذين نهوا عن النجوى حسنة او قبيحة ثم يعودون لما نهوا
عنه فيزعمون انهم انما اتوا بالنجوى الحسنة وهم يتناجون بكل قبيحة بالاثم
فيما بينهم وبين الله والعدوان فيما بينهم وبين الخلق ومعصيت الرسول
الجامع بين الحقين ولا يقتصرون في حقه على النجوى القبيحة بل ياتون
بالقبيح ظاهرا فان ارادوا اخفاءه وانهم اذا جاؤك مظهرين محبتك
حيوك بقولهم السام عليك الموت ولا يضرك لانهم حيوك بما لم يحيك به الله
الذي يبعث الحيوة والموت ويتوسلون بذلك الى تكذيب الرسول وانهم
اذ يقولون في انفسهم لو كان الرسول حقا عزيزا عند الله لولا يعذبنا

الله بما نقول فاجيبوا بانهم انما لا يعذبهم الله في الدنيا لانه لا يكفيهم ذلك
العذاب بل حسبهم جهنم الجامعة انواع العذاب بل يكفيهم نارها اذ
يصلونها فاذا كان معها غيرها فبئس المصير من كل وجه ثم رخص
للمؤمنين في نجوى الخير اذ لا يدعونها في مكان الشر لكن لما لم تنافه قال يا
ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم اجتناب الشر واجتناب الجرات اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بوجه من وجوه الشر بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
فانها وان لم تناف الايمان تنافي مقتضاه وتناجوا بما هو مقتضاه بالبر فعل
الخيرات والتقوى عن الشرور فلا تعتمدوا على عدم منافاة الايمان
بل اتقوا الله ان يسلب ايمانكم فان لم يسلب فاتقوه ان يعذبكم فان لم
يعذبكم فاتقوه ان يلقبوه عصاة اذ هو الذي اليه تحشرون وانما نهى
من نهى عن النجوى مطلقا لانه انما النجوى التي نقصد عنهم من الشيطان
وان كان فيها خير هم المؤمنون فيها الشر كانت من الشيطان ايضا ليحزن
الذين آمنوا ولا ينبغي ان يحزنوا اذ ليس بضارهم شيئا الا باذن الله
ولا ياذن به في حق المتوكل عليه وحق المؤمن التوكل عليه لذلك على الله
فليتوكل المؤمنون ولا خوف على المتوكل عليه لضمانه الكفاية عنه ولذلك كان
المتوكلون في سعة واسع الخلق لا يخرجون عن الضيق ولما امر المؤمنين
بمناجاة البر والتقوى تنافسوا في القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما في مناجاته من جميع وجوههما فاذا سبقوا الى مجلسه لم يفسحوا لمن اتى
بعدهم فانزل الله تعالى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا كما كان مقتضى ايمانكم
التوسع بمقتضاه التوسيع لاخوانكم سيما اذا امر به الرسول صلى الله عليه وسلم
اذا قيل لكم تفسحوا توسعوا في المجالس من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فافسحوا يفسح الله لكم في العلوم فانه اذا كثر العلماء استفاد بعضهم من بعض
ما لا يستفيد بنفسه ثم بالغ فقال واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة فانشزوا

ولا تتوهموا فيه اذ لا يرفع الله الذين آمنوا منكم بتركها عنهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واحسانهم الى اخوانهم بالتوسعة درجات والذين اوتوا
العلم بكثرة العلماء درجات في العلم لا تقدرون على تحصيلها لو اشتغلوا
بها وقد يرفع البعض في العلم بالعمل بما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يرفع به البعض الآخر لاخلاله به او بما يفضله وذلك بحسب خبرة المنفق
عز وجل اذ الله بما تعملون خبير يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم النقصة عن
المال سيما عند مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا ناجيتم الرسول لا
العلم النافع للدرجات فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير اذ اشتغالكم
بحفظ ما انفق فيه المال اكثر واطهر لقلوبكم فيكون تكراره محلوة لانطباع العلوم
فان لم تجدوا فلا تحرجوا عن تحصيل العلوم بفقدها فان الله غفور رحيم
ثم نسخ ذلك بآية متصلة فقال ءاشفقتم خفتم الفقر من ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات لكل نجوى صدقة فاذ لم تفعلوا مع كونه خيرا لكم واطهر ترجيحا
لجانب المال على جانب العلم وتاب الله عليكم بنسخ فاقيموا الصلاة الناهية
عن الفحشاء والمنكر لئلا يصير حجابا عن العلم الحقيقي وآتوا الزكاة المفيدة
نوع تزكية من الشح المطاع واطيعوا الله ورسوله ليفيض عليكم ممن يقربكم اليه
بواسطة رسوله والله خبير بما تعملون اي بواطن اعمالكم فاذا لم يفض عليكم فلتقصيركم
ثم اشار الى ما في موالاة اعدائه من الضرر وان قصد بها تحصيل العلم
النافع للدرجات فقال الم تر الى المنافقين الذين تولوا قوما من اليهود
على زعم تحصيل العلم مع انهم غضب الله عليهم فانى يكون عندهم العلم
النافع للدرجات بل انما يحصل منهم ما يفيد التردد لذلك ما هم منكم ولا منهم
ويحلفون لكم مصرين على الكذب بانهم منكم وانما يفيدون بالتعلم
منهم الاحتجاج او رفع الشبهات اعد الله لهم بموالاتهم واستفادة ما يجعلهم
في التردد عذابا شديدا اشد من عذابهم بسبب ما كانوا يعملون من موالاة

عليهم او دفع شبهاتهم
وهم يعلمون انه لا يتاتى
منهم الاحتجاج صح

اعداء الله وتحصيل علم يفيدهم التردد والحلف الكاذب وهو من سوء اعمالهم
انهم اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة عن ضررکم مع انکم انما تضرونهم بالجر الى سبيل
الله وهم يكرهون ذلك فصدوا منعوا انفسهم عن سبيل الله استهانة
بسبيله بجعل ضرر تركه اهون من ضرر ذلك العلم المفيد للتردد فلهم عذاب
مهين ولا يدفع تلك الاهانة اموالهم ولا اولادهم فانه فانه لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فان اغنيا في الدنيا لم يغنيا في الاخرة
اذ اولئك اصحاب النار ولا يخلصون عنها بجرمه مال ولا ولد بل هم فيها
خالدون وكيف لا يكون لهم الخلود في النار مع اصرارهم على الايمان
الكاذبة يوم القيمة فانهم يجترؤن على الله يوم يبعثهم الله جميعا فيسالهم عن
جناياتهم عليه وصدهم عن سبيله فيحلفون له كما يحلفون لكم فيجترؤن عليه اجتراءهم
عليكم مع اجترائهم عليه ههنا ايضا فلا يبالون لهذه الجراءة يوم القيمة بل
يحسبون انهم على شيء من حيل دفع العذاب مع انه سبب زيادة له اذ يظهر
به كذبهم في الدارين الا انهم هم الكاذبون المستمرون عليه الى ذلك الوقت
وانما يجترؤن على الايمان الكاذبة حينئذ لانهم استحوذ غلب عليهم الشيطان
فاوهمهم النجاة فيها فانساهم ذكر الله فضلا عن ذكر علمه المحيط وقدرته
الشاملة وحكمته البالغة فصاروا لا يبالون له كما لا يبالي له الشيطان اذ
اولئك حزب الشيطان في الدارين ولا يفيدهم شيئا في الدارين الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون فوائد الدارين بالجملة وان حصلوا
في الدنيا بعض الخوارق فضررها اعظم من نفعها فان زعموا انهم كيف
لا يرتفع درجاتهم اذا جمعوا بين علومهم وعلوم المسلمين تعالى ان هذا
الجمع ربما يدعو الى اتخاذ حدود غير حدود الله وهو يوجب الذلة ان
الذين يحادون الله ورسوله يتخذون حدودا غير حدوده ويكفي في ذلك
مخالفة رسول الزمان اولئك البعداء عن الامر الواجب مستغرقون في

مقام الاذلين وكيف يحصل لهم رفع الدرجات بهذا الجمع ولا يزالون
مغلوبين لانه كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولو لم يكتب لم يغلب ايضا
ان الله قوي كيف والمغلوبية ذلة وهو عزيز فان زعموا ان محادة
الله ورسوله انما يتصور بين الكفار ونحن مؤمنون تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله فان الايمان به يوجب محبته وهي توجب عداوة اعدائه
واليوم الاخر فان الايمان به يوجب الاحتراز عما يضره ومحبتهم ضارة
فيه لانها توجب المعية بهم يوادون من حاد الله ورسوله ليوضح المنافاة
بين الايمان بهما ومحبة اعدائهما وهذه المنافاة ذاتية بحيث لا يعارضها
المحبة التي هي كالذاتية لو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فكيف
يعارضها العارضية لطلب العلم وانما دفعت هذه المحبة بذلك مع انها
كالذاتية التي لا تزول تعززا اولئك الكمل الذين لا يبالون بما سوى الله كتب
في قلوبهم الايمان محوا لما ينافيه بتمامه وقد ايدهم بروح منه وكيف يحبون وقد
علموا اوجب قطع محبتهم لان الله تعالى يدخلهم النار والمؤمنون يدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار لاجرائهم انهار المعارف في قلوبهم من
ذوب ربهم فلا حاجة لهم الى الكسب من اعدائه سيما وقد كانت معارفهم تزداد
كل يوم لو خلدوا في الدنيا لذلك يكونون خالدين فيها وكيف لا يكون لهم
ذلك الفيض وقد رضي الله عنهم فرضاه عنهم يوجب توالي فيضه عليهم بحسب
رضوا عنه وكيف لا يفيض عليهم مع ان اولئك حزب الله وحزبه يستحق
ما لا يتناهى من الفيوض الا ان حزب الله هم المفلحون تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد واله اجمعين **سورة الحشر** سميت به لدلالة اخراج
اليهود عنده على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين وقهره وغضبه
على اعدائهم وهو من اعظم مقاصد القران بسم الله

المتجلي بالجلال والجمال فما في السموات والارض الرحمن باظهار عزته
وحكمته في ضمنها الرحيم باللطف على المؤمنين باخراج اعدائهم عن
جوارهم سبح نزهها مسبحا لله عن ان يكون في جلاله او جماله بعض
نظائرهما من جملة ما في السموات وما في الارض وهو العزيز بالجلال من حيث
هو العزيز والجمال من حيث هو الحكيم هو الذي باعتبار قهر عزته ولطف
حكمته اخرج الذين كفروا فاستحقوا القهر وان كانوا من اهل الكتاب من
ديارهم التي هي جوار بها المؤمنين لطفا بهم لاول الحشر اجلاء بني النضير
الى اذرعات واريحا من الشام وخيبر حين نكثوا عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا له ولا عليه يوم احد لهزيمة المسلمين
فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا فحالفوا قريشا عند الكعبة فامر
صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة وكان اخاه من الرضاعة فقتله غيلة
ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم فصالحوه على الجلاء ودل على الحشر الثاني
وهو اجلاء عمر اهل خيبر ودل الجموع على سنة الآتية في اذلالهم فتنوع مثله
اما شدته في النعمة واتى بصيغة الحصر ليدل على انه لا دخل لكم في اخراجهم
لانكم ما ظننتم فضلا عن الجزم ان يخرجوا باخراجكم فصار آية لكم وكذلك
لكم اذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله من باس الله فضلا عنكم فاتاهم
الله اي قهره من حيث لم يحتسبوا اي من الجانب الذي لا دخل للحصون
في تحصينهم بقتل رئيسهم وتمكين من قهره انه وقذف من غير قتال في قلوبهم
الرعب الخوف حتى ايسوا من الرجوع الى مكانهم باستعانة من غيرهم
فصاروا يخربون بيوتهم لئلا يسكنها المسلمون ويسعوا في التخريب
بينهم وبين اعدائهم يخربونها بايديهم وايدي المؤمنين كانهم جعلوا اعداءهم
وكلاء منهم حتى نسب تخريبهم اليهم فاعتبروا من حالهم في الدنيا حالهم في الآخرة
يا اولي الابصار الناظرين للامور الغيبية بالقياس فاعتبروها على

المحسوسات ولو فعل الجلاء اليس يعذب فكيف نقيس عليه عذاب الآخرة
قال لو سلم فنقيس على العذاب المقدر فانه لولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة فكانهم عذبوا في الدنيا ولهم بالقياس
على ذلك العذاب المقدر في الآخرة عذاب النار ذلك اي تقدير العذاب
عليهم ليس بمجرد القياس على بني قريظة بل بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق
الله عذبه لا محالة فان الله وان كان حليما فلا يحلم على من شاقه فان يحلم في
الدنيا فلا بد من تشديد عليهم في الآخرة اذ هو شديد العقاب وكما كان الجلاء
اذلالا للكفار واعزازا للمسلمين فكذا قطع بعض النخل وابقاء البعض فانه
صلى الله عليه وسلم امر بقطعها فقالوا يا محمد كنت تنهى عن الفساد في الارض
فما بال النخيل تقطع فاستمر على القطع بعضهم وترك البعض فانزل الله تعالى
ما قطعتم من لينة نخل او تركتموها لا بقصد الاحراق بل قائمة على اصولها
فباذن الله ليعز المؤمنين باذهاب غيظهم على الكفار فما قطع بحصول
الغنى لهم فيما ابقي وليخزي الفاسقين بجعل ما ابقي لاعدائهم وقطع رجائهم
عما قطع وانما كان ابقاء ما بقي اعزازا للمؤمنين واذلالا للكافرين لان ما
افاء الله على رسوله بعدما خلى له الكل ثم جعله لمن دونه فانتزع منهم فما اوجفتم
سرتم بسرعة قبل ان يصل الخبر اليهم عليه اي على تحصيله من خيل ولا ركاب
مركوب من ابل او حمار لا بحثه في السير الى ارض العدو ولئلا يسرع اليكم
الهزيمة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب في قلوبهم فهو يحرزه
مخصوصة بقدرة الله لاعزاز رسوله واذلال اعدائه ولا يمنع من اذلال
الكفار كثرة اسباب العزة عندهم ولا من اعزاز الرسول قلة اسبابها
عنده اذ الله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله فهو وان خلص لرسوله بالاصالة
لكن نقل عنه بعض الاشياء فصار لاهل القرى فاذا افاءه على رسوله فقد
نزعه من اهل القرى فصار للناس فيه سهم والمردود عليه سهم فلله الاخماس

ما دونه من صح

الاربعة وللرسول خمس الخمس ولذي القربى بني هاشم والمطلب لا بني عبد
شمس ونوفل لابطالهم قرابتهم بقطعهم المعاملة معه لان لهم دخلا في
سببية حصوله وقدمهم لان حاجتهم كحاجته صلى الله عليه وسلم واليتامى
والمساكين وابن السبيل لان لهم دخلا في النصر وقدم اليتامى لشدة
حاجتهم ولم يجعل لهم في الصدقة نصيبا ولا لذي القربى لانها من اوساخ
الناس فكره ان يكون نشاءهم عليها وانما قسم مال الفيء بهذه الاقسام كيلا
يكون دولة متداولا دائرا بين الاغنياء منكم اي اهل القتال الذين يصيرون
اغنياء فيتركون القتال حبا للحيوة وما آتاكم الرسول من الاخماس الاربعة
التي له من الله فخذوه من غير تقييد وما نهاكم عنه من اخذ الخمس الباقي
فانتهوا واتقوا الله ان تأخذوا ما جعل لغيركم ان الله شديد العقاب والسهام
الاربعة التي له ~~من الله فخذوه من غير تقييد له~~ فهي لرسوله في حيوته
يجعلها للفقراء لانهم احوج المهاجرين الى الله ورسوله فهم احق بالعطاء
سيما من حيث انهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فلا بد من تعويضهم
عنها وكيف لا يتفضل عليهم بها مع انهم انما هاجروا يبتغون فضلا من الله
ولا يصرفون الاموال في غير مصارفها لانهم يبتغون من الله رضوانا
كيف وهم اولى المستحقين من المرصدين للجهاد لانهم ينصرون الله
ورسوله وكيف لا يعطون سهام الله مع اولئك هم الصادقون
في محبته فعطاؤهم تنزل منزلة عطائه تعالى وكيف لا يخص هؤلاء بالعطاء
مع ما فيه من الترغيب في الهجرة والانصار بعض استحقاقهم لعدم تبجحهم
لانهم الذين تبوؤا الدار توطنوا دار الهجرة وتبوؤا الايمان فلا يخرجون
عنه لمنعهم العطاء ويخاف ذلك في منع المهاجرين العطاء وكيف يخاف
على ايمان الانصار مع انه كان من قبلهم ولا يكرهون عطاء المهاجرين
لانهم يحبون من هاجر اليهم وان ضاقت بهم معايشهم وعطاء المحجوب

واسم القوم

المنع

محجوب وبالجملة لا يكرهون العطاء لانهم لا يجدون في صدورهم حاجة
بريبة لا لاهلها شيئا مما اوتوا ولو وجدوا حاجة لقضوا حوائج المهاجرين
لانهم يؤثرون المهاجرين على انفسهم في اموالهم ومنازلهم ولو كان
بهم خصاصة شدة حاجة الى ما اثروا به فلو كان مال الفيء بايديهم ما شحوا به
عليهم وكفى بذلك فضيلة فان من يوق شح نفسه وان كانت من لوازمها
فاولئك هم المفلحون لمحبة الله تعالى ومقامات قربه وكما لا يكره عطائهم
الانصار لا يكرهه عامة المؤمنين اذ الذين جاؤا من بعدهم فانهم وان
تأخر ايمانهم فلم يستقر في قلوبهم استقراره في قلوب الانصار لا يريدون
الاموال بل الغفران اذ يقولون ربنا اغفر لنا ويلحقونها للمهاجرين و
الانصار اذ يقولون اغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان فاذا طلبوا
لهم ما هو اعظم عندهم لا يكرهون ان يعطوا ما هو ادنى ولو كرهوا عطائهم
لكان في قلوبهم غل عليهم لكنهم يقولون لا تجعل في قلوبنا غلا حقدا
للذين آمنوا على العموم فضلا عن المهاجرين والانصار ثم يتقولون
ربنا انك رؤف فائز بالمغفرة لنا ولمن سبقنا بالايمان رحيم فادفع
برحمتك عن قلوبنا الغل للمؤمنين وارحمنا رحمة تغنينا عن منع الاموال
فهذا شأن المؤمنين ان يفضلوا اخوانهم على انفسهم وان يحبوا لهم مثل ما يحبون
لانفسهم واما المنافقون فهم الذين يقدمون انفسهم وان وعدوا تقديم
اخوانهم الم تر الى الذين نافقوا عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون
لاخوانهم الذين كفروا ظاهرا وباطنا وان كانوا من اهل الكتاب بل هم
اولى باخوة المنافقين اذ يدعون الايمان بكل نبي نعته كدعوى المنافقين
لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا بقوله من دياركم لئن اخرجتم لنخرجن
معكم فنجتمع على قتالهم ونحن وان كان لنا اخوة من المؤمنين لا نطيع
فيكم اي في قتالكم وخذلانكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم بالقتال معكم

او يخذل المؤمنين فيظهرون تقدم اخوانهم على انفسهم في تحمل الخروج
والقتال والله يشهد انهم لكاذبون معهم كما انهم كاذبون معكم بل ينظرون
من له الغلبة في العاقبة ثم ليس كذبهم بكذب جزء من مجموع ما قالوا بل
بكذب كل جزء منه لئن اخرجوا لا يخرجون معهم مخافة ان يقتلوا في الطريق
او الغاية ولئن قوتلوا لا ينصرونهم بقتال ولا خذلان مخافة ان يقتلوا او
ينفيهما ولئن نصروهم على سبيل الفرض فقاتلوا معهم ليولن الادبار انهزاما
ثم ان لم يولوا الادبار لا ينصرون وكيف ينصرون مع غلبة خوفكم عليهم
لانتم اشد رهبة مخافة مستقرة في صدورهم بحيث لا ينفك عنها بحال من
الله اذ لا يخافونه في ترك الايمان باياته ورسله ويخافونكم في اظهار تركه
ذلك بانهم قوم لا يفقهون ماذا ينبغي ان يكون الخوف منه اشد ولشدة
رهبتهم منكم لا يقاتلونكم وان كانوا مع اليهود وغيرهم جميعا الا في قرى
محصنة محفوفة بالدروب والخنادق او من وراء جدر وليس ذلك
لجبنهم في انفسهم بل باسهم قتالهم اذا وقع بينهم شديد لكن اذا قاتلوكم جبنوا
لتفرقة قلوبهم وان اظهروا اجتماعها بحيث تحسبهم جميعا مجتمعي القلوب
و لكن قلوبهم شتى متفرقات لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك
الاجتماع في الظاهر مع افتراق البواطن بانهم قوم لا يعقلون بانه يوجب
تفرقهم جبنهم المفضي بهم الى الهلاك الكلي كمثل الذين من قبلهم من اهل بدر
لما جبنوا قريبا في زمن قريب ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم بالقتل والسبي
في الدنيا ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب اليم بوجب البراءة بعد الاغراء
على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فاني اعينك فيما يقع
عليك فلما كفر قال مخافة ان يشاركه في عذابه اني بريء منك فلا اعينك
اني اخاف الله ان اعينك على كفرك به مع كونه رب العالمين فلم ينفعه
البراءة كما لم ينفع الاول بعدم الاعانة فكان عاقبتهما انهما في النار ثم بعد الشيطان

محفوظ
خ

ببرائه التخريج عن النار لكنه لم يلزم ان يعينه في تحمل العذاب عنه ليخرج لكانا
خالدين فيها وكيف لا يخلدان فيها وذلك الخلود جزاء الظالمين في حق الله
بالكفر قيل المراد بالانسان ابو جهل قال له ابليس لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم الآية وقيل راهب اسمه برصيصا عبد الله سبعين سنة فجاء
الشيطان بزي الرهبان فقام عنده حولا لا يفطر في اربعين الا مرة فلما
حال الحول قال اني منطلق وعندي دعوات تشفي السقيم والمجنون فقال
اخاف ان تشغلني الناس عن عبادتي فلم يزل حتى علمه ثم تعرض لبنت
الملك فخنقها ثم جاءه بصورة متطبب ثم قال ان الذي عرض لها مارد
لا يطاق اذهبوا الى برصيصا الدعو يشفي فبفعلوا فلما اتصل برصيصا عن
صلاته وقع في قلبه جمالها فخنقها الشيطان وكشف عنها وقال له واقعها ثم
تب فلم يزل به حتى فعل وحملت فقال افتضحت فهل لك ان تقتلها وتقول ذهب
بها شيطانها فقتلها ثم دفنها الى جانب الجبل فاخذ الشيطان بطرف
ازارها فبقي خارجا فانطلق اليه فقالوا ما فعلت باختنا فقال ذهب بها
شيطانها فجاءهم الشيطان وقال انها مدفونة في موضع كذا وطرف ازارها خارج
فوجدوها كذلك فامر بصلبه فقال تطيعني في خصلة فاخذ باعينهم فاخرجك
من مكانك قال ما هي قال تسجد لي فسجد له فقال هذا الذي اردت منك اني
بريء منك يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تامنوا مكر الله اتقوا الله
ان يسلط عليكم الشيطان ليغريكم بالكفر ثم يتبرأ منكم واكثر ذلك من معاصيه
في ضمن طاعاته كالرياء والعجب لذلك لتنظر نفس اي ان لم ينظر الكل ما قدمت
لغد ما فيها من المعاصي لئلا يفضيه الى الكفر عن استحسان تلك الطاعات
واذا امعنتم النظر فلا تعتمدوا عليه بل اتقوا الله ان يكون في طاعاتكم معاص
خفية اطلع الله عليها ان الله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم واذا رأيتم
عجزكم عن الاحاطة بالبواطن لا تكونوا في ترك النظر فيها كالذين نسوا النظر

بالكلمة حتى نسوا الله فانساهم ما يستكملون به انفسهم فاتصفوا بالنقايص
حتى صح ان يقال فيهم اولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسق لا غيرهم
ولا ينبغى ان يلحظ حظ لان الله بعض العاملين وانجاه بعض الفاسقين
فانهما لا يستويان لو خذلا او نجيا كما لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة بل العاملون فائزون بالدرجات او تخفيف العذاب كما ابد
اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم والقرب لكنه يجب ان لا يزال الخوف
من قلوب العاملين وان ارتفعوا فيها ارتفاع الجبال سيما بعد سماع
مواعظ القرآن فانه لو انزلنا هذا القرآن الجامع للمواعظ الموجب للنظر
والتفكر بكل حال على جبل منفهم له وكلفه بما فيه بعد اعطاء التفكر والادراك
والمحبة لرايته خاشعا متذللا لعظمة الله متصدعا متشققا من خشية
الله مع عظم مقدار وغاية صلابته وتلك الامور وان كانت وهمية
مفروضة فلا بد من اعتبارها لانها الامثال نضربها للناس الذين نسوا
صغر مقدارهم فكبروها ولمنهم قست قلوبهم لعلهم يتفكرون ليعلموا انهم
اولى بذلك الخشوع والتصدع وكيف يترك الخشوع والتضرع لذات الله
واسمائه مع انه هو الله له سمة بعض آلهية يجب ان يخشع لها بيان
جهة توحيد لانه الذى لا اله الا هو ويتصدع من خشيتها لانه عالم الغيب
والشهادة والمطلع على الاسرار يجب ان يخشع له ويخشى ان يسلب نعمه
وكيف لا يخشع الهيه باعتبار الالهية والتوحيد مع اقتضائها الملكية
التى بها خشية النعمة وخشوعهم اذ هو الله الذى لا اله الا هو الملك مع انه
القدوس المنزه عن العلائق فلا يناسبه نفس لم تزك عنها فيخاف ابعاده
السلام عن النقايص فلا يناسبه المتصف بها على انه المؤمن المعطى الامان
من العلائق والنقايص لمن زكى نفسه فلا عذر لمن لم يترك عن العلائق
ولم يتصف بالكمالات مع انه المهيمن الرقيب الذى يظهر من يحل بيان من

منه ستمائة من حيث
هو الرحمن الرحيم
المنعم بالنعم العامة
او الخاصة وحق المنعم
ان يخشع له ويخشى

النقايص
العلائق والنقايص وهو لا يحل له وكيف يناسبه ذو العلائق و
مع انه العزيز وذو العلائق والنقايص ذليل والذلة وان كانت
ذاتية للعبد لكنه الجبار يجبر نقايص العبد بكمالاته واذا كمل فلا ينبغى
ان يدعى الكمال لنفسه لانه المتكبر فيخاف ان يغضب على من يدعيه لنفسه
لانها على الاطلاق دعوى الالهية سبحان الله عما يشركون ثم ان هو الله
يجب ان يخشع لها ويخشى من حيث هو الله الخالق والخلق تقدير الاشياء
بالمقادير المخصوصة فيخشى فيه بعض المقادير ومن حيث هو البارئ
الذى برأ خلقه عن التفاوت وانما هو من استعداد الخاشع اقبل
للكمالات ومن حيث هو المصور الموجد للصور اذ يخاف من مخالفته
تغير الصورة الى ادنى ومن موافقته الى اعلى اذ له الاسماء الحسنى
نظهرها فمن موافقته ويدل على ظهورها انه يسبح له ما فى السموات و
الارض ولكن يخفى جماله فى البعض من حيث هو العزيز لانه انما يظهر
فى الكل بحسب استعداده اذ هو الحكيم تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الممتحنة

سميت بها لدلالة آية الامتحان على
انه لا يكتفى فى باب الصحبة بظواهر الادلة كالهجرة بل لا بد من اختبار
البواطن بدلائل الاعتقادات اولى بذلك وهذا من اعظم مقاصد
القرآن بسم الله المتجلى بكمالاته فى المؤمنين حتى يحبوا محبه
ويعادوا بعداوته الرحمن بيان ضرر محبة اعدائه الرحيم بابقاء الايمان
مع المحبة المضرة لذلك خاطب من والى بعض اعدائه خطاب المؤمنين
وهو حاطب بن ابى بلتعة كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرئيل
عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا رضى الله

الخاشى
استعداد الخشوع

عنهما وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضي الله عنهم وقال انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى اهل مكة فخذوا منها وخلوها
فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت فسل علي عليه السلام السيف
فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال
ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك و
لكني كنت امرا ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ
عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فقال عمر رضي الله عنه دعني
يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم بالله
محبته واعتقاد انكم من جنوده ويجب على المحب اتخاذ عدو المحبوب عدوا
وعلى الجندي اتخاذ عدو الملك عدوا فمن اين لكم محبته لا تتخذوا عدوي
ولا سيما اذا كان عدوكم ايضا اولياء وقدم الاول لان الاولى تقدم جهة عداوة
المحبوب والملك فلو كان لكم اتخاذ واحد وليا فمن اين لكم اتخاذ جماعة
منهم اولياء وليس المنهي مجرد المحبة الباطنة بل الظاهرة ايضا وان تجردت
من القاء المودة وانتم تلقون اليهم الكتب بالمودة وكيف لا يقتضي الايمان
عداوتهم مع عداوتهم للايمان اذ قد كفروا لا بما ظهر بطلانه او احتمل بل
بما جاءكم من الحق لاجل محبته اليكم دونهم وعاداكم من اجله اذ يخرجون
الرسول واياكم من اجل ان تؤمنوا بالله الجامع للكمالات المقتضية
انقياد الناقص له سيما باعتبار اضافته بوصف ربكم الذي رباكم بالكمالات
فهي بالحقيقة عداوة مع الله فهل لكم القاء المودة اليهم ان كنتم خرجتم جهادا
اي لاجل جهادكم في سبيلي لاخراجهم من سلكه فتوصلون بالمكاتبة اخبارا
وهل لكم طلب رضاهم ان كنتم خرجتم ابتغاء مرضاتي وكانكم تسرون عني ان

ت

تلقوا اليهم بالمودة كانكم تسرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وانا اعلم بما اخفيتم من حفظ اهلكم وانا اولى به وما اعلنتم من المودة معهم
ومن يفعله اي ذلك المذكور من اتخاذ جماعة منهم اولياء واتصال
اخبار الجهاد اليهم وطلب رضاهم منكم فقد ضل بعد الفحص سواء السبيل
الذي سلكه بالايمان ثم ان القاء المودة اليهم مع ما فيها من محض الضلال
لا يفيدكم المقصود فانهم ان يثقفوكم اي يظفروا بكم لم يراعوا القاء المودة
بل يكونوا لكم اعداء ولم يقتصروا على عداوة الباطن بل يبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء القتل والشتم وان لم يصيروا لكم اعداء لن تنفعكم
ارحامكم اقاربكم ولا اولادكم اذا ما غضب الله على مودتهم بحمايته سلامة
يوم القيمة بل لا يحضرونكم اذ يفصل بينكم ولا تخفى على الله ايثاركم جانبهم على
جانب الله اذ الله بما تعملون بصير ولو حضروكم كانوا اشد ضررا لكم فان زعموا
ان هذا امر يقتضيه الرحم فهل هذا ليس بمنهي عنه بل مامور به قد كانت لكم في
قطعه اسوة حسنة استحسنها جميع الملل في ابراهيم والذين معه في رتبة الكمال
في جميع احوالهم اذ قالوا لقومهم انا براء منكم من ذواتكم فضلا عن ما فيكم ومما
تعبدون من دون الله وان كانت مظاهر فليست مظاهر الالهية بل
مظاهر آثار نوره وجوده ولا نبالي بانعامكم علينا اذ كفرنا بكم ولا نعدكم
اذ بدا ظهر بيننا وبينكم العداوة في الظاهر والبغضاء ابدا في الباطن فلا
تزالون حتى تؤمنوا بالله وحده فتخرجا عن عداوته وبغضائه الموجبة
لعداوتنا وبغضائنا الا قول ابراهيم لابيه رعاية لابوته فانه لا اسوة فيه
لاستغفرن لك لاطلبن المغفرة من الله لك وما املك لك من الله من
نفع الاستغفار من شيء ومع هذا الاستغفار فالبراءة والعداوة والبغضاء
مستمرة ولا نبالي بضررهم اذا توجهنا الى الله فعلنا ربنا عليك توكلنا في دفع
ضررهم وان يصل الينا ضررهم لمعاصينا اليك انبنا وان لم نستطع بذلك

ودوا لو تكفرون وهو
اشد من العداوة ولن
تنفعكم مودتهم بحماية
ارحامكم ولا اولادكم
صح

ضرنا انهم سبب كمالنا اذ اليك المصير ومع ذلك نقول اذا اشتد الفرح يجب
لمجنا الى الكفر ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا باضلالهم ايانا وان انعدنا
لهم في بعض الامور اغفر لنا ربنا لكن هنا اذا اعطيتهم الغلبة علينا والا
فلا يمكنهم ان يغلبونا اذ انك انت العزيز الغالب وانما نغلبهم اذا غلبتهم
بمقتضى الحكمة لانك انت الحكيم لكن المرجو من الحكيم تغليب من توكل عليه
واناب اليه وتقوية من كان من جنده وتضعيف اعدائه فان زعموا ان
منع الاسوة وان كانت متصلة بارحامهم ومن معه نهي قاطعة من الله
لان ذلك من لوازم قطع الرحم فان لم يقطع فلا اقل من قطع ثواب الاخرة
على صلة الرحم قال لو كان كما قلتم لكانت اسوة قبيحة لكن لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة فهي انما كانت اسوة لمن كان يرجو الله لمعاداة اعدائه
وان كانوا اقاربه واليوم الآخر بترجيح جانب الله على جانب اقاربه
ومن يتول اعداء الله فالله تعالى لم يامر بعداوتهم لاحتياجه اليها فان
الله هو الغني ولا للتشفي بالمعادي لهم لانه الحميد ذاته ثم ان كان العداوة
له موجبة ضرر فلا يدوم ذلك الضرر بل ربما لا يدوم تلك العداوة عسى
الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة بتوفيقهم للايمان
ولا بعد من الله توفيق اعدائه للايمان به اذ الله قدير على جعل اعدائه
اولياءه والله غفور لعداوتهم وكفرهم اذا آمنوا رحيم يجعل سيئاتهم حسنات
ولما نزلت لا تتخذوا ترك المومنون بالكل والاقساط اليهم لان ذلك
نوع موالاة فاشار تعالى الى ان النهي بقدر العداوة فقال لا ينهاكم
الله عن الذين لم يبالغوا في العداوة اذ لم يقاتلوكم مستمرين في عداوة
الذين لم يفعلوا ما يقاربه اذ لم يخرجوكم من دياركم عن ان تبروهم تحسنوا
اليهم وتقسطوا اليهم تقضوا اليهم بالعدل فهذا القدر من الموالاة غير منهي
عنه في حقهم بل مامور به ان الله يحب المقسطين وانما نهى عن موالاتهم العلية

ثم قال انما ينهاكم الله عن الموالاة من كل وجه في حق الذين بالغوا في عداوتكم
من اجل الدين اذ قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ان قدروا او اعانوهم
وظاهروا على اخراجكم ان لم يقدروا ان تولوهم ولو بالبر والاقساط اليهم
ومن يتولهم بوجه من الوجوه فاولئك وان كانوا بارين ممن اساء اليهم
مقسطين اليهم هم الظالمون بوضع الموالاة في موضع العداوة ثم اشار
الى ان تلك العداوة لا تنقطع الا بالهجرة ولا يصح الموالاة بعدها الا بعد
الامتحان فقال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تولوا احدا الا بالا
وان ساجرا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فدلت هجرتهن على ايمانهن
فلعل الدلالة ضعيفة لا تبيح موالاتهن فامتحنوهن هل هاجرن لله او لبغضنا
او لبغض على زوجها بجلتها او استطلاع قرابتها فانه وان لم يفد القطع باخلاصهن
لله اذ الله اعلم بايمانهن لكن يفيد ما يشبه العلم فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن لا تردوهن وان جرى الصلح برد من جاءنا منهم الى ازواجهن
الكفار لانه انقطع نكاحهن وما فيه شبهة من جانب لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن فلا وجه للرد ولكن لما جرى الصلح بالرد وامرنا بالاقساط الى اهله
آتوهم ما انفقوا اي ردوا المهور على الازواج فانه بمنزلة ردهن ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن لانقطاع نكاحهم فلا عدة اذ لا حرمة لمائهم اذا آتيتموهن
اجورهن مهورهن على الذمة فلا يمنع الجناح بالكلية وان صح النكاح وكما
بطل نكاح المومنة عن الكافر بطل نكاح الكافرة عن المسلم لا تمسكوا بعصم الكوافر
بعقودهن التي يتمسك بها في الاستحلال واسألوا الكفار ما انفقتم في مهورهن
وان جرى الصلح بان لا يردوا من جاءهم منا لانه لما بطل في عين المهاجرة
منهم بالعوض بطل في عين الذاهبة منا بالعوض رعاية للتسوية فيما بطل فيه
الصلح الاول من وجه وليسألوا المرأة المؤمنة اذا لم تهاجر ما انفقوا في
مهرها لبطلان النكاح من جهتها ذلكم حكم الله يحكم بينكم الآن ننبه بحكمه

متحان

ورد ما ساده على الازواج
ولا يبتغي مهورهن صح

الاول بالصلح وسيصير ايضا منسوخا وانما فعل في كل وقت بمقتضى مصالح
اذ الله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار وان ارتدت
منكم امراة فلحقت الكفار فلم ترد وامهرها فعاقبتم فغزوتموهم فوجدتم منهم غنيمة
فآتوا من الغنيمة مقدما على القسمة الذين ذهبت ازواجهم من المسلمين مثل
ما انفقوا في مهورهن واتقوا في منعه الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان
يوجب تقديم حقوق عباده على حقوق انفسكم ولما فرغ عن هجرة المكان
ذكر هجرة الافعال فقال يا ايها النبي الذي الاطلاع المبشر لضمان الثواب
والمغفرة اذا جاءك المؤمنات يبايعنك بضمان الثواب والمغفرة على
اعمال القلب ان لا يشركن بالله شيئا واعمال البدن لشهوة البطن لا يسرقن
ولشهوة الفرج الحاصلة من شهوة البطن لا يزنين وللغضبية المتعلقة بما حصل
من شهوة الفرج لا يقتلن اولادهن واعمال اللسان المتعلقة بالاولاد
لا ياتين ببهتان بكذب يبهت السامع يفترينه تختلقه في الولد بان تقول
لزوجها هذا ولدي منك ليسقطه عليهم من موافقتهم اياه من تحصيرهم بين ايديهن
وارجلهن ولا يعصينك في امرك اياهن بفرض معروف عرفن فرضيته
فبايعهن على ضمان الثواب والمغفرة على استغفارهن عن اضداد ما
ذكر واستغفر لهن الله فانه يحقق الضمان ان الله غفور لمن استغفرت
له رحيم بالثواب والمغفرة لمن ضمنت له يا ايها الذين امنوا مقتضى ايمانكم ان
لا تتولوا الا من اتصف بالصفات التي لاجلها بايعهم الرسول لا تتولوا قوما
اتصفوا باضداد تلك الصفات لانهم غضب الله عليهم وكيف لا يغضب
عليهم مع انهم انما اتصفوا بها حين قد يئسوا وهم احياء من الاخرة ان
ينالوا فيها اجرا كما يئس الكفار ان ينالوا فيها اجرا اذ كانوا من اصحاب
القبور تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين **سورة الصف** سبته

تسميه لما سوء كصفته بما سوء صفته من فعل ما يوجبه ليعلم ان منع الافعال
يوجب الاتصاف باوصافه عز وجل والتسبيح باسمائه قياسا على عكسه مهنا
وهو من اعظم مقاصد القرآن بسم الله المتجلي
باسمائه وصفاته فيما في سمواته وارضه حتى نزهته عن النقائص واعترفت
ان ما نقص منها انما نقص من استعداده الرحمن بالتعريف عن ذلك النقص
لتبدل بالكمال الرحيم بجذبه القتال مع اصحاب النقص لتنقلع سبح لله عن
ان يظلم احدا منها نابتا لله من ظهوره بكمالاته في كل شيء لم ينقص استعداد
ما في السموات والارض اذ لم يظلم شيئا منها بالنقص وانما ظلم الناقص نفسه بانقاص
استعداده فنزهه عنه كماله من حيث هو العزيز لا الاستعداد اذ لا علة له
وانما نزهه عنه دون ذلك كامل الاستعداد رعاية للحكمة من حيث هو
الحكيم يا ايها الذين امنوا فاستعدوا بالايمان للكمالات التي من جملتها
موافقة اقوالكم لافعالكم لم تقولون ما لا تفعلون بل كما يقتضي موافقة القول
للاعتقاد لئلا يغلب نفاقا كذلك يقتضي موافقته للعمل لئلا يصير شبهة فيه من جهة
ما يشبهه مقته كبر مقتا عند الله الذي يحقر دونه كل عظيم والمقت اشد
البغض ان تقولوا ما لا تفعلون وهذا المقت في ترك الجهاد بعد قبوله
قبولا اتم لانه ترك المحبوب بعد الالتزام ان الله يحب الذين يقاتلون لجمع
الناس في سلوك سبيله مصطفين له صفا يظهر اجتماعهم ليكون اخوف
للعدو سيما وقد اتصل بعضهم ببعض كانهم في عدم الفرجة بنيان مرصوص
مستحكم لا يمكن للعدو ان يداخلهم روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب
الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله تعالى ان الله
يحب الذين يقاتلون الاية فولوا يوم احد فنزلت يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون الاية كيف لا يوجب مخالفة القول مع الرسول للفعل
المقت وفيه ايذاء الرسول المستلزم للزيغ عنه الموجب للازاغة عن الله الموجب

اسبابه بالكلية صح

لمعنه اذ كرا اذ كانه يتضمن يكذبني كنسبته الا درة الى وقد تعلمون انى رسول الله
اليكم نحققكم ان تعطوني لا ان تؤذوني فلما زاغوا مالوا عن حق موسى ازاغ
الله قلوبهم عن حق الله كيف ولو لم يزغهم لدامهم ولكنهم خرجوا عن سبيله بايذاء
رسوله والله لا يهدي لسبيله القوم الفاسقين الخارجين عن سبيله وهذا
دليل معنه على ادنى وجوه اذى رسوله ومخالفة القول معه بقبول الجهاد مع
من يؤذيه اشد ايذاء اشد ايذاء له فيكون اشد للمقت ويدل على ازاغة الله
قلوبهم بكذبهم بعيسى اذ قال عيسى بن مريم كذبوه على زعم انه ولد الزنا لا ينتسب
الى الاب يا بني اسرائيل الذين كثر فيهم الخوارق ومن جملتها التولد بلا اب
انى رسول الله اليكم كموسى ولبس في معجزاتي ما يبطلها لكوني مصدقا لما
صدقته المعجزات بين يدي من التورية ولما يصدقه من بعدي لكوني مبشرا
برسول من بعدي اسمه احمد فطالبوه بالبينات فلما جاءهم بالبينات
التي هي اجل من بينات موسى قالوا هذا سحر مبين اذ لا يظهر المعجزات
على يدي ولد الزنا مع انه لم يحقق لهم كونه ولد الزنا بل ثبت بارهاصاتها النافية
ومعجزاتها اللاحقة ان تولده بغير اب من جملة الخوارق ولو كانت معجزاته
سحرا مع انها اجل من معجزات موسى لمعجزات موسى اولى بكونها سحرا لكنهم بعدوا عن
الايمان به من اجلها ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب فزعم انه يلتبس السحر
بالمعجزات ويظهرها على يدي المتنبي ليلبسه بالنبي ولا وجه للتلبيس في
الدعوة الى الخير المحض اذ هو يدعى الى الاسلام الذي هو محض الخير وهم ظالمون
في تسميته محض الشر والله لا يهدي الى الخير المحض القوم الظالمين وكيف
لا يكونون ظالمين مع انهم يريدون بهذه الاقوال ابطال ايات الله
ليطفئوا نور الله الذي هو الهداية الى الخير المحض بافواههم والله متم نوره باتمام
الحجج ودفع الشبه ولو كره ذلك اهل ساير الاديان فلا مبالاة لكراهتهم اذ
هم الكافرون بالله وما جاء من عنده وكيف لا يتم هذا النور مع انه هو الذي

اذ قال موسى لقومه
المؤمنين به يا قوم الذين
حقهم ان يعبدوني
كل راحة لم تؤذونني
ولو بما لا صح

ارسل رسوله بهذا النور اذ ارسله بالهدى القرآن او المعجزة ودين الحق
الملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون
بالله غيره اذ جعلوا الغير قادرا على اياته يا ايها الذين آمنوا فلم يشركوا
بالله احدا لقدره على مثل اياته هل ادلكم على ما يظهر به هذا الدين وهو انه
متضمن بجارة اخروية لا توجد في ساير الاديان اقلها انها تنجيكم من
عذاب اليم على الشرك الذي لا يخلو عنه شيء من تلك الاديان تؤمنون بالله
ولا يؤمن به اهل ساير الاديان اذ لا يخلون من تجويز بعض المعجزات
من غير الله او من الله على سبيل التلبيس للسحر بالمعجزات او للمتنبي بالنبي
ثم انكم تطلعون في هذا الدين على تفاصيل معرفة الله التي لا توجد كثير منها في
ساير الاديان وهذا الايمان بالله النجاة من العذاب الاليم ورسوله
ولا يخلو اهل ساير الاديان من انكار رسول وانكار واحد انكار للجميع
لانه اذا جاز التلبيس في معجزات الواحد فمعجزات الكل كذلك هذا في
الاعتقادات وفي باب الاعمال تجاهدون للاستقرار في سبيل الله باموالكم
بانفاقها في سبيل الخير وانفسكم بتحمل متاعب الاستدلال والاعمال عليها و
انما كان تجارة مع انه نقص للاموال والانفس اذ ذلكم خير لكم من تركها
بحالها ان كنتم تعلمون اى اهل علم بالحقايق لانها لو تركت فنيت لا محالة
بلا فايدة ان افنيت بالجهاد في سبيله افادت فوايد يغفر لكم ذنوبكم التي حصلت
من تصرفكم في اموالكم وانفسكم ويدخلكم على حسبكم في الاعمال والاستدلال
جنات تجري من تحتها الانهار ولاجل الاحوال والمقامات والاخلاق
يدخلكم مساكن طيبة عن تزكية النفس وتصفية القلب في جنات عدن اقامة
في منازل القرب ولا اعتبار بنقص الاموال والانفس وتحمل المتاعب
من اجلها اذ ذلك الفوز العظيم الذي لا نسبة للعوض فيه الى المعوض وهل
ادلكم على تجارة فيه اخرى تحبونها لكونها عاجلة لا تبالون فيها المثل من الاكل

نصرٌ من الله على الاعداء مع قوتهم وضعفكم بالقاء الرعب في قلوبهم و
فتح لممالك كثيرة للاعداء قريب مع انه في العادة لا يتوقع الا بعد مدة
مديدة وبشر المؤمنين بما يترتب على هذا النصر والفتح من الامور الدنيوية
التي يعينهم على دينهم فلا يبالي معها لنقص او تعب اصلا يا ايها الذين آمنوا
النصر والفتح والبشرى منوطة بنصركم لله على مقتضى ايمانكم كونوا انصار الله
عن قولهم بنسكم لتصير شانكم كما كان شان الحواريين اذ قال عيسى وهو وان
كان مستقلا بالانتصار من حيث اتصاله بالله فلم يخل عن عجز من حيث هو
ابن مريم للحواريين اصفياء اصحابه من انصاري لا بقوة نفسه بل متوجها
الى الله قال الحواريون نصرا لنصر الله نحن انصار الله به لا سيله على من
يقطع سبيله فلم ينالوا نصره من الله بالجهاد القولي والفعلي فامنت بسبب
جهادهم طائفة من بني اسرائيل لرجوعهم الى ما انصاف الاسرائيلي وكفرت
طائفة لانكار اسرائيل عنهم بلجاجهم وعنادهم فايدنا الذين آمنوا بنظرهم
السر الاسرائيلي فيهم فنصرناهم على عدوهم فاصبحوا ظاهرين غالبين عليهم في
كل حرب وقد وعدنا ظهوركم على اولئك الظاهرين ليكون امركم اعلى من
امرهم فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الجمعة

سميت بها لانها داعية الى اجتماع الناس الى ذكر الله والانقطاع عما سواه
وهذا من افعال القران بسم الله المتجلي بكمالاته
في سمواته وارضه حتى نزهته عن النقايص الذاتية والوصفية والفعلية
الرحمن بارسال الرسول في الاميين الرحيم بتلاوة اياته وتزكيته وتعليمه
الكتاب والحكمة يسبح ينزه عن النقايص الذاتية والوصفية والفعلية
تنزيها تاما لله من الازل الى الابد ما في السموات وما في الارض لانها الحدثها
منزه الملك القدوس في ذاته ولا يكون في وصفه حادث لاتصافه

وانما علمهما من كان
واجب الوجود فلابد
وان يتصف بوصف
صح

بوصف العزيز ومن عزته تنزه عن العبث والسفه فاتصف بوصف الحكيم في افعاله
هو الذي بعث باعتبار هذين الاسماء اذ الملك يبعث الى الرعايا والقدوس
لا يظلم بتعذيب الغافل عن التكليف ولا قبل التكليف ولا يصلح الافعال بدونهما
والعزيز يقتضي المعبودية والعبادة امتثال الامر فلا بد من ايصاله الى
والحكيم لا يعطل الجزاء الذي به صلاح المعاش والمعاد في الاميين الذين
هم احوج الى الرسول سيما وقد تغيرت الملل السابقة وانما بعث رسولا منهم
ليعلم ان ما ظهر على يديه من العلوم الشريفة انما هي من تعليم الحق كيف ولو كان
من تعليم الخلق لم يكن ايات لكنه يتلو عليهم اياته وليس من قبيل السحر اذ
لا يفيد التزكية لكنه يزكيهم على انه انما يتوهم في المعجزات الفعلية وهو يعلمهم
الكتاب وليس اعجازه لمزيد فصاحته بل لتضمنه الحكمة التي يعجز عنها الحكام
الماضون وكيف يكون سحرا وقد افاد الهداية في العموم وان اي وانهم
كانوا من قبل لفي ضلال مبين وانما عمت هدايته لانها لم تختص بالحاضرين
بل عمت آخرين منهم لما يلحقوا بهم الى الآن وليس فيه شيء من القاء الشيطان
اذ هو العزيز فلا يغلبه الشيطان وهو وان مكنه من الاغوار فلا تمكنه
في المعجزات لانه الحكيم فلا يمكنه من اغوار لا يمكن المكلف التخلص عنه وكيف
يكون اغوار مع ما فيه من الفضل بالهداية ولا ينتسب الى الشيطان بل
ذلك فضل الله وهو وان كان على غاية الجود فلا يجود بالارسال على الكل
بل يؤتيه من يشاء ولكنه يتفضل على الكل بالارسال اليهم اذ الله ذو الفضل
العظيم فلا بد له من عموم وخصوص فان زعموا انه لو كان فضلا لاخذ به اهل
التورية لكن اكثرهم على انكاره يقال انما ياخذ به من بقيت انسانيته لا من صار
الى الحمارية لكن مثل الذين حملوا التورية كلفوا ان يتصفوا بما فيها من الاخلاق
الجميلة والاعمال الصالحة بعد حمل الفاظها ثم لم يحملوها لم يتصفوا بما فيها كمثل
الحمار يحمل اسفارا منها يتعب بحملها ولا ينتفع بما فيها ولا يبعد نفاق هو

المامور
صح

سولا على ترك الفضل الالهي لميلهم الى الحمارية المرجحة للمال والجاه على
تحصيل فضل الله فانه بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله فلا يبعد
منهم الاتفاق على هذا القبيح ولا يبعد ان لا يهتدوا الى الفضل الالهي
بعد ما ظلموا بآيات التورية اذ الله لا يهدي القوم الظالمين للاعتراف بهذا
الفضل الالهي فان زعموا انهم لم ينتقلوا الى الحمارية بل صاروا الى اعلى
مراتب الانسانية وهي الولاية قل يا ايها الذين هادوا بمجرد اليهودية لا بمقتضى
الولاية فضلا عن حصرها ان زعمتم انكم بمجرد كونكم يهودا اولياء خاصة لله من
دون الناس اي مجاوزة تلك الولاية سائر الناس فتمنوا الموت فان
الولي لا بد وان يشتاق لقاء الله ويعلم انه لا يحصل الا بالموت فلا بد
وان يميل طبعه اليه وان كان مكروها شرعا فيحصل لكم الموت عقيبه بالدعوة
النبوية لكن لا اثر كون لذلك هذا التمني ان كنتم صادقين في هذا الدعوى
ولكنهم لا يتمنونه ابدا لا في وقت عملوا الدعوة النبوية ولا في عمرهم بما قدمت
ايديهم من الكفر والمعاصي المفضية الى الحجاب عن الله والعذاب وهم
وان انكروا ذلك لاخفائهم على الناس يعلمون انها لا تخفى على الله اذ
الله عليم بالظالمين بدعوى الولاية مع ما قدموا من الكفر والمعاصي فهم
اشد من عذاب اهل الكفر والمعاصي بدعواهم من الدعوى فان
زعموا ان ترك تمنيه مخلص من هذا العذاب قل ليس سببه التمني بل
الموت ان الموت الذي تفرون منه بترك التمني فانه وان تاخر عند عدم
تمنيكم ملاقيكم ثم لا تخلصون عن هذا العذاب اذ تردون الى عالم
الغيب والشهادة فيعلم ما اخفيتم وما اعلنتم مما قدمتم فينبئكم بما كنتم تعملون
ثم يعذبكم عليه ليتحسروا وهم يتحسرون لكمال الانباء على ما فرطتم يا ايها الذين آمنوا
بمقتضى ايمانكم الاجتماع على الخير سيما الشكر على الانسانية لئلا تسلب حمارية
او بهيمية في مقابلة اجتماع اهل الكتاب على الشر الذي جرهم الى الحمارية

والبهيمية اذا نودي اي اذن عند المنبر للصلوة التي هي اجمع العبادات
لذكر الله وانواع التذلل له من يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم وجمع فيه
الكمالات فاسعوا الى سماع ذكر الله في الخطبة والصلوة ليذكركم الله برحمته
فيكمل انسانيتكم وذروا البيع وسائر ما يفضي الى تقوية البهيمية لئلا يعارضها
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ان الانسانية خير من البهيمية ولكن لا تغلوا فيها
بالكلية فانها مركب سفركم فاذا قضيت الصلوة اديت بكمالها فانتشروا
لطلب ما تقوى البهيمية في اطراف الارض ومع ذلك ابتغوا من فضل
الله من تحصيل علم او عيادة مريض او زيارة اخ في الله لتعارض البهيمية
فلا تقوى في معارضة الانسانية واذكروا الله كثيرا ليمحو محبة البهيمية عن
بواطنكم لعلكم تفلحون ببقاء الانسانية مع حصول مقاصد البهيمية من
غير تضرر منها وكما ذهب انسانية اليهود يخاف ذهابها من المسلمين وقد
ظهر فيهم اماراته فانهم اذا راوا تجارة يحصل بها معيشة بهيمية او لهوا
يحصل منه لذة بهيمية من الاستراح بالباطل كضرب الطبل انفضوا
تحركوا اليها وتركوك قائما على المنبر تسمعهم من ذكر الله ما يبقي عليهم الانسانية
ويفيدهم الكمالات روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب للجمعة فمرت عير
تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت قل ما عند الله لمن آثر
ذكر الله من الكمالات الروحانية المبقية للانسانية خير من اللهو وهما مع
افيد من اللهو ومن التجارة ولا تفوتكم بالبقاء ساعة في ذكر الله ما يحصل
بالانتقاص بل لو تركتم التجارة بالكلية ربما عوضكم الله ما هو خير منها اذ
الله خير الرازقين تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة المنافقين

سميت به لانه ذكر فيها من كلماتهم ما جمعوا فيها بين الصدق والكذب
كما انهم جمعوا بين الايمان والكفر وهي كلماتهم الشنيعة ما لم تذكر في غيرها

بسم الله المتجلي بكمالاته في رسله حيث جعله مطلعا
على الظواهر والبواطن مراعيا لهما الرحمن باظهار نفاق المنافقين للمحذر
عن صحبتهم الرحيم بجعل شهاداتهم وايمانهم جنة لدمائهم اذا جاءك ايها
المطلع على البواطن المنافقون قالوا ليشغلوك عن بواطنهم بكلم يحتها
موكدة بوجوه وهي نشهد انك لرسول الله اكدوها بلفظ الشهادة لانها علم
عن شهود وبجعل الجملة الاسمية موكدة بان واللام ليقرر في ذهنك ان بواطنهم
على ذلك وتوسلا بما جمعوا بين الايمان والكفر في انفسهم جمعوا بين الصدق
والكذب في كلمتهم بان المشهود به صدق لمطابقته للواقع الذي هو علم الرسل
اذ الله يعلم انك لرسوله وجعلهم اياها شهادة موكدة يدل على انها
اعتقادهم كذب لمخالفته للواقع الذي هو اعتقادهم بشهادة الله اذ الله
يشهد ان المنافقين لكاذبون ولا يبعد منهم ان يتخذوا من الشهادة جنة
لدمائهم مع علمهم باطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيوب التي من جملتها
بواطنهم فانهم اتخذوا مع علمهم باطلاع الله ايمانهم جنة حين تغالب على الماء
بجاه اجير عمر وسنان حليف لعبد الله ابن ابي فلطم جعال من الفقراء المهاجرين
ابن سنانا فقال عبد الله والله ما صحبنا محمدا الا لنلطم اما والله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني نفسه ومحمدا اما والله لو امسكتم
عن جعال وذويه فضل الطعام لاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم
حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد الله والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك
وان زيدا لكاذب فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله صدقك
وكذب المنافقين في اليمين وان جازت لدفع الضرر فهم زادوا بها ضررا
اذ داموا على الكفر فصدوا اعرضوا عن سبيل الله الذي هو اخلاص
الايمان بالتوبة فالصد عن سبيل الله باليمين الفاجرة مع امكان الاخلاص

والتوبة من سوء الاعمال انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك اي اجراؤهم على اليمين
الكاذبة دفعا لضرر الاخلاص والتوبة والقتل بانهم آمنوا لرؤية المعجزات
ثم كفروا بما خالجهم من الشبهات فطبع على قلوبهم فلا يتحلل لهم الشبهات فهم لا
يفقهون ان تلك الشبهات لا يعارض دلالة المعجزات بل هي ظاهرة راجحة [illegible]
الاخلاص والتوبة كالقتل ضررا محضا وهذا الطبع يكاد يظهر ظلمة في وجوههم
لكن اذا رايتهم ربما لا يبلغ الظلمة لانه تعجبك اجسامهم لصباحتها وضخامتها و
عدم فهمهم يكاد يظهر في اقوالهم لكنهم ان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وحلاوة
كلامهم كانهم لا باطن لهم اصلا بل هم كالجمادات خشب مسندة منصوبة الى حائط
فان فرضتهم حيوانات فهم من الجبن يحسبون كل صيحة واقعة عليهم فان
فرضتهم شجعانا هم العدو فاحذرهم لكن لا يقدرون على اظهارها اذ قاتلهم
الله فضعفهم فمع تضعيف الله اياهم وتقويته رسوله انى يؤفكون يصرفون عن الله
الى الضعفاء وانما قوي فهم هذا الصارف لصرفهم عن انفسهم ما صرف هذا الصارف
فانهم اذا قيل لهم تعالوا الى ما يصرف عنكم هذه الشبهات الحاجبة عن الحق
يستغفر لكم رسول الله فيكشف لكم حجب المعاصي عن قلوبكم فيظهر لها بطلان
شبهاتكم لووا عطفوا رؤسهم اعراضا عن ان يكون في استغفاره ما يصرفهم
عن شبهاتهم ورايتهم يصدون يعرضون عن الصارف عن شبهاتهم لتوهم الحق
لهم وهم مستكبرون باعتقاد ان الصارف عن شبهاتهم هو الشبهة وشبهاتهم
هي الدلائل القاطعة فهؤلاء لرسوخهم في الكفر الى هذه الغاية سواء عليهم
استغفارك لهم وعدمه حتى تقال بعد استغفارك استغفرت لهم اي مع
المبالغة باشفيع الخلائق في اسوال العفو ام لم تستغفر لهم فانك وان بالغت في
الاستغفار لهم لن يغفر الله لهم لانه مشروط بالتوبة عن الكفر لكن لا يهديهم
الله اليها لخروجهم عن حظيرة الاصلاح لانهماكهم في النفاق ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين روي انه لما نزلت هذه السورة قيل لعبد الله بن ابي ما جاب

فقد لقيت منك اى شدايد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك
فلوى راسه وقال امرتمونى ان اومن بى فآمنت وان اعطى زكوة مالى فاعطيت
فما بقى الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغوا من غاية الفسق الى حيث
هم لا غيرهم الذين يقولون لاهل المدينة لا تنفقوا على من عند رسول الله
من فقراء المهاجرين حتى ينفضوا يتفرقوا فيضعف فلا يظهر بل ربما يترك
دعوى النبوة ولم يعلموا انهم انما ينفضون عنه لو منعوا الرزق من جميع الجهات
وهو انما يكون لو ملك اهل المدينة للكل لكن لله خزائن السموات والارض
فيمكنه تعالى احياهم بلا طعام ولكنه فتح الخزائن الارضية عليهم بتكثير خراجهم او
بتسخير ناس اخرين كما سخر اهل المدينة لهم وهذا ظاهر لمن فقه ولكن المنافقين
لا يفقهون وانما لم يفقهوا لاعتقادهم ان الله تعالى انما يعطى خزائنه اعزة
الناس وهم بدون العزة لانفسهم لغناهم والذلة لمحمد واصحابه لفقرهم لكن
يقولون لئن رجعنا الى المدينة من غزوة بنى المصطلق التى وقع فيه
تقابل المنكرين ليخرجن الاعز يعنى نفسه منها الاذل يعنى محمدا او غلطوا
اذ لا عبرة بالعزة المالية بالنظر الى سائر وجوهها بل لله العزة بذاته ولرسوله
برتبته العالية وللمؤمنين بقربهم من رب العالمين وقد راى المنافقون
الانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مع فقرهم وقد نافقوهم
خوفا من عزهم ولكن المنافقين لا يعلمون منع الوجوه من العز فحصروها
فى عزة الاموال يا ايها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بعزة المال
والولد مع عزة الله لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم وان كانا من
الكمالات الخارجية عن ذكر الله المفيد للكمالات الذاتية ومن يفعل
ذلك اى فوت الكمالات الذاتية للعارضية فاولئك هم الخاسرون لشرى
الكمالات الذاتية بالسوية مع العارضية بالزوال ولا نشترط التجرد الكلى
عن الاموال بل يكفى ما يطهره باظهارها الحقوق الواجبة انفقوا مما رزقناكم

ما خراج

لئلا يحبط اجرها بقلوبكم فلا يكون لحب الله مدخل فيها لكنه انما يعتبر من قبل
ان يأتى احدكم الموت اى مرضه فانه يضعف منع المحبة بحيث يتمنى ايثار
حب الله عليها فيقول رب اى يا من ربانى بهذه الاموال لولا اخرتنى
الى اجل زمن قريب قليل فاصدق اخرج حقوق مالى وايضا ان اخرتنى
اكن من الصالحين بالتجرد الكلى عن الاموال والاشغال ولكن لا يحصل هذا
التمنى لانه لن يؤخر الله نفسا قبضها اذا جاء اجلها وقت قبضها والله خبير بما
تعملون فى ذلك الاجل من غير اعلام بمقداره كما هو المعتاد ثم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
وآله اجمعين

## سورة التغابن

سميت به لدلالته على كمال المؤمنين
فى نظر العاقبة اذ غبنوا الكافرين باخذ اماكنهم من الجنة واعطائهم اماكنهم
من النار وكمال سفه الكافرين اذ غبنهم المؤمنون وهذا من اعظم مقاصد
القرآن بسم الله المتجلى بجلال ملكه وجمال حمده فيما فى سمواته
وارضه حتى نزهوه عن حلول الحوادث فيه الرحمن باظهار عموم قدرته
الرحيم بتجلى للانسان مظهرا كاملا لهما يسبح ينزهه قبل الحوادث وبعد سايرها
تنزيها لله ما فى السموات وما فى الارض عن ان يحدث فيه صفة منهما وان
توهم حدوث الملك والحمد من الحوادث فيه لكن له الملك وله الحمد
بكل حال كيف ومحتاجان الى عموم القدرة الازلية اذ هو على كل شىء
قدير وقد كانا له فى الباطن فاراد اظهارهما فلاظهارهما على الكمال هو
الذى خلقكم فمنكم كافر هو مظهر كمال الملك بالقهر ومنكم مؤمن هو مظهر كمال الحمد
باللطف وانما يظهر كمال القهر واللطف فى الجزاء بحسب العمل اذ الله بما
تعملون بصير وانما قلنا الانسان مظهر كامل للملك والحمد لانه خلق السموات
والارض بالحق مظاهر للملك والحمد على التفصيل وصوركم فاحسن صوركم
بجمع ما فى السموات والارض فكلهم مظاهر كاملة اجمل فيها ما فصل وليس

سن الكمال للسموات والارض والانسان من ذواتها بل لكمالاتها اذ
اليه المصير فلا آلهية لشيء منها وكيف يكون لما في السموات والارض آلهية
مع انها محاطة لعلم الله اذ يعلم ما في السموات والارض والمحاط لا يكون الها
وكيف يكون في الانسان آلهة مع ان الآلة لا يعلم منه الا ما يظهر والله تعالى
يعلم ما تسرون وما تعلنون وكيف لا يعلم اسرارهم واخفاء ما في الصدور
والله عليم بذات الصدور اذ هو الملقي فيها تلك الضمائر وان زعموا ان
الكفار ليسوا مظاهر ملكه بالقهر كيف وفيه اسلاك الملك على انه انما يتهم
الذميم ولا ذميم في خلقه لانه حميد تعالى هذا استدلال في مقابلة الحسي الم
يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل كانوا مظاهر هلكه بالقهر فذاقوا وبال امرهم
الذي هو الكفر بالقهر عليه وقد جعل دليلا على القهر الاخروي اذ لهم عذاب
اليم في الآخرة ذلك اي القول بكونه اثر الكفر لا بليته بل مستدل عليه بوقوعه
عقيب الكفر بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا في تكذيبهم أبشر
يهدوننا مع انه لا فضل للهادي على المهدي فلم يسمعوا البينات فضلا فكفروا
الهداية كفر فكفروا وتولوا عن دلالة البينات على كونه هداية وهو ايضا
كفر والملك انما لا يهلك ملكه عند احتياجه اليهم ولا حاجة لله عز وجل او عند
جريانه مجرى المحتاج اليهم لاطاعتهم لكن لما لم يطيعوا الله استغنى عنهم فاهلكهم
ولا يبعد منه الاستغناء اذ الله غني بالحقيقة لكنه يجري مع المطيعين
مجرى المحتاج اليهم لانه حميد لكن لا ينافي حمده اهلاكه من لا يطيعه لانه
محمود زعم الذين كفروا ان تقسيم الناس الى مؤمن وكافر انما يكون حقيقة
لو كان ثم بعث بجزاء والا فهو اعتباري محض لكن علم من سنته فيما مضى
ان اي انهم لن يبعثوا في المستقبل قل هذا كفر لنفيه دوام ربوبية الله
وحكمته وقدرته ولا دليل على نفي البعث مع انه ممكن اخبر عنه من صدقه
الله بالبراهين القاهرة معتصما لمن اعطاه اياه وربه بها مبينا للحكمة فيه

الله

المقرر من الوجوب رافعا عنه الموانع بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
لتنبئن بما عملتم ولا مانع من ذلك اذ ذلك البعث والانباء وان عسر
علي تنبهك على الله يسير ولا يضره عدم قيام الدليل العقلي الموجب له
قطعا اذ ليس من شأن الممكنات بل يكفي فيها ما لا يحيلها واذا ثبت البعث
بقول المصدق بالبراهين المؤيد بالدليل العقلي المحسن المقرب له من
الوجوب فآمنوا بالله المرجع اليه بعد البعث ورسوله المعرف للبعث
ولما يعمل له والنور الذي انزلنا دليلا على ذلك وكيف تركون الايمان بهذه
الامور بايراد الشبهات عليها والله بما تعملون في ايراد الشبهات خبير
فيسهل عليه دفعها بل يفضحكم بها يوم يجمعكم بل يجمع افعالكم على رؤوس
الخلائق المجتمعين ليوم الجمع واعظم ما يفتضح فيه بالتغابن لذلك قيل فيه
ذلك يوم التغابن وهو ان الكفار غبن عليهم باعطاء اماكنهم من الجنة
للمؤمنين واعطائهم اماكن المؤمنين من النار على الابد ولا تخلص عن
فضائح ذلك اليوم الا صالحوا المؤمنين لان من يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيئاته التي بها الفضيحة بل يزينه ويدخله جنات على ايمانه واعماله
تجري من تحتها الانهار على اجرائهم انهار المعارف والاحوال ويغبنون
بذلك الكفار اذ يأخذونها عنهم خالدين فيها ابدا وكيف لا يكون غبنا لهم
مع ان ذلك الفوز العظيم وانما يفتضح فيه الكفار بالغبن عليهم اذ الذين
كفروا وكان كفرهم عن عناد اذ كذبوا بآياتنا لا يبالي بغضبهم اذ اولئك
اصحاب النار يأخذونها من المؤمنين بعدما يعطونهم اماكنهم من الجنة
واي غبن اعظم عليهم من ذلك يفتضحون به مع كونهم خالدين فيها ويكفي في الغبن
عليهم مجرد مصيرهم اليها اذ بئس المصير فان زعموا ان مصائب الكفار لم تكن
لكفرهم بل كمصائب المسلمين تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بقضائه
وارادته فلا ضير حكم فان وقعت على كافر فلذنبه ولا فاتت له اذ لا يستعبد

ما تحتها

منها الا من يهتدي بها وان وقعت على مؤمن فلم يهتد بها لانه ومن يؤمن
بالله يهد قلبه عند المصائب لذكر الله والاسترجاع والصبر والتوكل فيصير له
كالدواء ويختارها الله له على النعم لما يعلم ان فيها طغيانه اذ الله بكل شيء
عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول وان اصابتكم في اطاعتهما مصائب
من عداوة الشيطان او من الابتلاء الالهي فلا تكونوا ممن يعبد الله
على حرف فان توليتم عن اطاعتهما عند المصائب ليدفعها الرسول فانما
على رسولنا البلاغ المبين انه يجب اطاعتهما في السراء والضراء وليس
اليه دفع المصائب لاختصاصه بالله والرسول وان تحقق باخلاقه
فليس باله اذ الله لا اله الا هو ولا يقع على المتوكل وان وقعت فلا يسم
عليه لذلك على الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين امنوا فاريدوا التوكل
على الله في المصائب ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يامركم بالتوكل
على غير الله ويمنعكم التوكل على الله بل يمنعكم لاشتغال بطاعته ويحملكم الى
الافعال المحرمة فاحذروهم وان كانوا محبيكم في الظاهر ولا تعاقبوهم عند
ذلك بل ان تعفوا عنهم بترك معاقبتهم وتصفحوا بالتعرض عن توبيخهم وتغفروا
تستروا قبيح افعالهم رجاء ان تغفر لكم توكلكم على غير الله والاشتغال بغيره
فان الله غفور رحيم لكن لا تتركوا الفرائض ولا تباشروا المحرمات لكثرة المصائب
في الاموال والاولاد انما اموالكم واولادكم فتنة يختبركم الله بها هل تؤثرون
على معاصيه ام لا سيما عند المصائب فيها فان تركتم معاصيه من اجلهما
وصبرتم على مصائبهما عظم الله اجركم والله عنده اجر عظيم يعطيه في الدارين
فان اضطررتم الى معاصيه من اجلهما فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا
مواعظ الله لتقووا حتى تتقوا واطيعوا امر الله لا امر الازواج والاولاد
وانفقوا من الاموال التي تبذلون في اتقائها تضييعا لانفسكم لكن خيرا لكم
لانفسكم في الدارين بالتعويض والا تلفها الله عليكم واقل فوائد الانفاق

ودفع آفة الشح فان من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وكيف تخافون
في انفاق المال ضياعها او ضياع انفسكم مع انه قرض لله ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم في رزق الدارين ويغفر لكم المعاصي
المضيقة للرزق وكيف لا يضاعف والله شكور يعطي المزيد للشاكر
وقد شكر تقوه بصرف نعمه الى ما خلقها من اجله حليم لا يعاجل بعقوبة
من عصاه فكيف يعاجل بتضييع نفس المنفق في سبيله وتضييع
اولاده فان رايتموه لا يعوض معطيا فلا طاعة على نيته انه لم يعطه
لله تعالى او انما اعطاه ليستوفي في الاخرة اذ هو عالم الغيب والشهادة
ولا يحمل على عجزه عن التعويض لانه العزيز ولا تتوهم عليه انه يامر بانفاق
يفضي الى التضييع لانه الحكيم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الطلاق

سميت به لبيانها كيفية الطلاق السني وما
يترتب على الطلاق من العدة والنفقة والسكنى بسم الله
المتجلي بجلاله في احكامه حتى جعل الطلاق سببا الرحمن بشرع الطلاق
عند عدم موافقة المراة الرحيم بشرع العدة حفظا للماء وبتيسير الامر
على الرجل والمراة لئلا تبين عنه المراة بمرة ولا يبغي رجعتها دائما يا ايها
النبي والمؤمنون حذفهم لقيام النبي مقام الجميع ثم جمع لئلا يتوهم
اختصاص هذا الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم واورد لفظ للاشعار
باطلاعه واطلاعه على معنى العدة مما ذكر اذا طلقتم النساء اردتم تطليقهن
فطلقوهن مراعين لعدتهن بايقاع الطلاق في طهر خلا عن الوطي
واحصوا العدة اجعلوها محيطة بالطلقات الثلاث بايقاع كل طلقة
في طهر واحفظوا ابتداءها واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليها بان
طلقها ثم راجعها قبل انقضاء العدة ثم يطلقها فراجعها قبل انقضائها

ثم يطلقها او في ايقاع الرجعة بعدها او دعوى عدم انقضائها عند حاجتها
بعده او دعويها الانقضاء قبل ان تنقضي لا تخرجوهن من بيوتهن ليتم
حفظ الماء واضاف البيوت اليهن لبيان اختصاصها بهن ولا يخرجن
بلا ضرورة لحريق او غرق او حاجة ليلا او نهارا الا ان يأتين بفاحشة
مبينة اي زنا عليه شهود فيخرج او يخرج لاقامة الحد وتلك الاحكام اي انواع
الطلاق للسنة واحصاء العدة ومنع الاخراج والخروج بدون الفاحشة
حدود الله اي الغايات التي نهى الله ان يتجاوز عنها ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب لا تدري نفسه لعل الله يحدث بعد ذلك
التعدي الذي ينقص به عن شرع الحكم امرا اشد منه فلو طول عليها العدة
ثم اراد تجديد النكاح تحليل بها طول المحلل في العدة ولعلم بحصص العدة
احتاط فيها بالانقي المراة في التجديد ولو اخرجها لما حدث على مائة طي
غيره وكذا لو خرجت فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن
بمعروف راجعوهن بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف
ايفاء الحقوق واتقاء الضرار واشهدوا على الرجعة والفرقة قطعا للتنازع ونفيا
للريبة رجلين ذوي عدل منكم من المسلمين واقيموا ايها الشهداء الشهادة
عند الحاكم لله لا للرشوة ولا للمشهود له ولا لكمي بها خوفا من المشهود عليه من
جهة محبته او قرابته او ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله فان الايمان
به يوجب ترجيح اوامره على كل شيء واليوم الآخر فان الايمان به يوجب ترجيح
ثوابه وخوف عقابه على كل ثواب وعقاب والفرار من الرشوة ورعاية
المشهود له او عليه ومن يتق الله من المطلق والشهود وغيرهما يجعل له مخرجا
من المضائق سيما اللازمة من التعدي ويرزقه مالا او امراة من حيث لا يحتسب
كيف والمتقي متوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه في المضائق والارزاق
وليست كفايته باعطاء الصبر فقط بل ان الله بالغ امره لكن لا يستعجل عليه

لانه قد جعل الله لكل شيء قدرا من الزمان وغيره لا يجاوزه اصلا ولما لم يكن
طلاق الآيسة والصغيرة والحامل سنة ولا بدعة لاستواء الايام في حقهن لم
يخاطب فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومن عدتهن فقال واللائي يئسن
بلغن سن يأس عشايرهن او بلدهن من المحيض الحيض الذي يجب ان
تحوض طرف الطهر به من نسائكم نساء المؤمنين مؤمنات او كتابيات
دون الكفرة فانه لو جرى نكاحهم في العدة وصحح بجريه على الصحة اذا اسلموا
ولم تنقض العدة الى الاسلام ان ارتبتم شككتم في تحيضهن لو منعتن النكاح
ونحوه فلا حاجة الى احصاء العدة فعدتهن ثلاثة اشهر اقامة لمدة الحيض
والطهر غالبا مقامهما فكانهن من ذوات الاقراء تقديرا واللائي لم يحضن
بعد لصغر او عارض آخر فهن كذلك وان لم يكن من ذوات الاقراء تحقيقا ولا
تقديرا عدتهن ايضا ثلاثة اشهر لانها صارت عدة من لا قرء لها منا في الطلاق
بعد الوطء وكذا الفراق في المجنون بعده وكذا في وطء الشبهة ومن في الوفاة ما
مر من اربعة اشهر وعشرا واولات الاحمال مطلقات او موطوآت بالشبهة
او متوفى عنهن ازواجهن اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن لان اعتبار
العدد في الاجل لتحقق براءة الرحم فاذا علم اشتغاله فلا بد من تحقق براءته
وقد طالت المدة التي اعتبرت لمصلحة الرجعة ومن يتق الله فلم ينكح في العدة
ولم يطلق للبدعة يجعل له من امره يسرا بان يحصل امراة احسن من المطلقة
او المعتدة ذلك المذكور في الآيسة والحامل وان لم يعقل معناه اذ لا ماء
في الاولى وماء الثاني لا ينقلب الولد اليه امر الله يجب قبوله عليكم اذ انزله اليكم
ويستطهر للمتقي لان من يتق الله يكفر عنه سيئاته بحسناته فيكشف حجابه
ويعظم له اجرا في استكشاف اسرار الاحكام وهو ان الآيسة انما تحقق فم رحمها
على الندور لعود الحيض ويمكن في حق الحامل انعقاد ولد آخر وتقوى الحق
الاول بالماء الثاني اسكنوهن وان كان الغالب ان لا ماء محفوظا لهن من

حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم لانه احفظ للماء من وجدكم ما تطيقونه
من ملك او اجارة او اعارة ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن
لتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن ليصل النفقة
الى اولادكم بواسطتهن حتى يضعن حملهن فاذا وضعن فان ارضعن
اولادكم لكم من غير وجوب عليهن لوجود مرضعة اخرى فآتوهن اجورهن
على الارضاع زادا ونقص واتمروا بينكم وليقبل بعضكم من بعض مرة
في الصبي اذا امر بمعروف وان تعاسرتم تضايقتم في الاجرة فلا وجوب عليها
فسترضع له اخرى غيرها لينفق على المعتدة الحامل والولد ذو سعة غني ما يليق
به من سعته كما في حال النكاح ومن قدر ضيق عليه رزقه فلينفق الفاضل عن
ضروريه مما آتاه الله وان لم يكن له معه لذيذ الطعام ولو لم يكن له فاضل على ضروريه
فلا شيء عليه اذ لا يكلف الله نفسا انفاق شيء الا انفاق ما آتاها زايدا على ضروريها
ونفقة لذيذ الطعام وان عسر اعليها فليس يعذر فانه سيجعل الله بعد عسر
في نفقة الطعام اللذيذ يسرا اذا اعتاد ذلك ويتيسر بهذا الاعتياد خوف
الله في مخالفة امر الانفاق لا لاجل لذيذ الطعام فانه كأين كثير من اهل قرية
عتت اعرضت عن امر ربها وامر رسله لشدة فيه فحاسبناها على اللذائذ
السابقة والمقارنة حسابا شديدا على كل صغيرة وكبيرة اقترفوا بها وعذبناها
على كل ما حاسبناها عذابا نكرا غير معهود بحيث لا نسبة لشدة الالم اليه فذاقت
بسبب مخالفة امر من اوامر الله ورسله وبال امرها سوء عاقبة تلك اللذائذ
كما تلذذت بها كيف وقد ادت بهم تلك المعاصي بمخالفة ذلك الامر الى الكفر
حتى كان عاقبة امرها خسرا خسران الاعمال الصالحة واللذات الباقية
وان يكون لهم اللذة مع انهم اعد الله لهم عذابا شديدا بحيث لا نسبة لشدة
العذاب النكر اليه قبل وصولهم الى الآخرة لئلا يتأخر عن وقت وصولهم
فاتقوا الله ان تخالفوا امرا من اوامره لشرة فيه وان خالفته طوائف العقول

يا اولي الالباب فلا تقولوا وصلنا الى لب كل شيء ولم نجد لهذا لبا اذ يكفيكم
الاطلاع على صدقه اذ انتم من الذين آمنوا بالنظر في الباب الادلة القاطعة
فاعتقدوا انه وان لم يكن معقولا فيه ما يحليكم الى نور القلب اذ قد انزل
الله اليكم ذكرا ما يذكركم الله فكانه جعل رسولا يدعو اليه ولا تلبيس في دعوته
لانه يتلو عليكم آيات الله المعجزات القولية مبينات للحجج دافعة للشبه
وان لم يخرج عقلاء العالم من ظلمات الاوهام والخيالات فهي ليخرج
اهل الانصاف اعتقادا وعملا وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات من
الظلمات الى النور اي من ظلمات ضلال الاوهام والخيالات الى نور
التحقيق والهداية وهذا وان اوجب الايمان والعمل بتلك الاوامر على تعب
من مخالفة العقل وضيق لكنه اذا انكشف السر وقع في لذة كاملة واتساع
عظيم فان من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات فلا بعد ان يدخله
في الدنيا في جنات لذات العبادات والاعتقادات والاتساع فيها
تجري من تحتها الانهار فلا بعد ان يجري لهؤلاء انهار المعارف
خالدين فيها ابدا فلا بعد ان يزداد معارف سولا ولا بعد ان يرزق
مثله الاطلاع على اسرار تجلى على كمل العالم لانه قد احسن الله له
رزقا في الاسرار ولم يحسن لسائر اولي الالباب ولا بعد ان يخلق
الله في الانسان اطوارا ويخلق لكل طور ادراكا كالقوى والنفس والعقل
والقلب والسر والروح والخفي اذ الله الذي خلق للمجردات سبع سموات
وللماديات من الارض العالم السفلي طبقات مثلهن طبقة النار الصرفة
وطبقة الاثير الممتزجة بالهواء تتولد فيها الشهب وذوات الاذناب وطبقة
الزمهرير وطبقة الهواء الصرف وطبقة الماء الصرف وطبقة الطين المركب من
الماء والتراب وطبقة التراب الصرف عند المركز ولا بعد ان تتنزل الامر الالهي
من هذه الاطوار الى الاعضاء الدماغ والكبد والعين والاذن والانف

واللسان والبشرة كما انه تنزل الامر الالهي بينهن بالتحريك في التكوين والا
وانما فعل ذلك لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لانه لما قدر على الاسباب
والمسببات دفعا للتسلسل الاسباب قدر على المسبب بدون الاسباب
ولكنه راعى الحكمة في ترتيب المسببات على الاسباب لتعلموا ان الله قد
احاط بكل شيء علما فقدر على ترك ما لا يدركه عقول اكثر اولي الالباب
وبعلم من الاسباب الموجبة للثواب والعقاب ما لا يدركه عقولهم ثم انه
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد واله اجمعين **سورة التحريم** سميت به لتنبيهها على
عجب تحريم النبي صلى الله عليه وسلم ما احل الله له لابتغاء رضى مخلوق ناقص
وعجب ما ترتب عليه من تحليله مرة اخرى بايسر شيء وهو الكفارة
بسم الله المتجلي بكمالاته في احكامه بحيث لو تغيرت رجعت الى
حالها بادنى شيء الرحمن برفع الحرج عنها بالكفارة الرحيم بالعفو عن المغير
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في حفصة فعلمت
بذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت مارية على نفسي وابشرك ان
ابا بكر وعمر يملكان امر امتي فاستكتميها فاخبرت بذلك عائشة رضي الله عنهما
وكانتا متصادقتين فغضب صلى الله عليه وسلم عليها وطلقها طلاقا رجعيا
وعزل نساءه تسعا وعشرين يوما فانزل الله تعالى يا ايها النبي ناداه ليقبل
اليه بالكلية ويعرض عن كل ما سواه من الازواج وغيرهن وعبر عنه بالمبهم اشعارا
بانه من غاية عظمته بحيث لا يعلم كنهه واتى بحرف التنبيه تنبيها على غفلته عن
مقداره واتى بلفظ النبي اشعارا بانه الذي نبي باسرار التحليل والتحريم الالهي
لم تحرم مع ان مقتضى نبوتك ان لا تغير شيئا من حكم الله تعالى بعارض
يمين او غيره ما احل الله باعتبار ذاته وجميع اسمائه لك باكمل الاخلاق
تبتغي بطلب تحريم ما فيه اكمل جهات الحل مرضات ازواجك مع انهن

دون الرجال الذين يجب عليهم طلب رضاك وحقك ان لا يلتفت لرضا
مخلوق على خلاف رضا الله والله غفور لذنب حالك وذنب ازواجك
اذ الجاتك الى تحريم ما احل الله لك رحيم بك وبهن اذ لم يؤاخذ بذنب
هذا التحريم الذي يشبه اعتقاد تحريم الحلال وهو كفر ومن رحمته انه قد
فرض قدر الله لكم كفارة لهذا التحريم تشبه كفارة اليمين تحلة عقد ايمانكم
التي عقدت بتحريم الحلال او غيره وتحريم المراة اذا لم ينو به طلاقا ولا ظهارا
ولا عتقا بل تحريم الذات يوجب كفارة يمين وكذا ان لم ينو على اصح قولي
الشافعي وان حرم طعاما فلا كفارة قيل اعتق صلى الله عليه وسلم رقبة
في تحريم مارية وقيل لم يكفر لانه كان مغفورا له وانما فرض ذلك ليتم كرمه
على انفسكم المبادرة الى تحريم الحلال اذ الله مولاكم وهو العليم بما يحل
اليمين الحكيم في الامر بحله حيث كان فعل ما حرم باليمين خيرا وان لم تعرف
قدر المغفرة والرحمة في حقك حين حرمت ما احل الله لك لرضا ازواجك
فاذكر غضبه لغضب النبي صلى الله عليه وسلم اذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا ما راته وخلافة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فافشت على بعض
ازواجه فلما نبات به بعض ازواجه واظهره الله عليه غضبا عليها
لفعلها عرف بعضه حديث مارية فلامها وطلقها وعزل نساءه واعرض
عن بعض حديث الخلافة مخافة انتشارها الموجب للتحاسد فلما نباها به
قالت لتردد ما انه من عائشة فتغضب عليها او من الله من انباك هذا
قال نباني العليم الخبير من غضبه لغضب نبيه صلى الله عليه وسلم وكما غضب
الله عليها غضب على من افشت اليها وهي عائشة رضي الله عنها لرضاها به فقال
لهما ان تتوبا الى الله يرضى عنكما فرضي رسوله فقد صغت قلوبكما عن الواجب
من موافقة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه قلوبكما وان تظاهرا عليه
تعاونا على مخالفته فان الله هو مولاه ناصره فلا تركه في غم مخالفتكما بل

حديث

بجبله مشغولا به وجبريل يشغله بالوحي وصالح المومنين يشغله بالا
منه والملئكة بعد ذلك النصر المذكور ظهير معين بافاضة الخيرات عليهم
ثم انما عطف كفاية هذا الغم لو تعين على نكاحه صلى الله عليه وسلم لانه لا يغتم
عليه لو طلقهن من فواتهن فانه عسى ربه الذي رباه بما لا ينافي الكمال
ان طلقكن فلم يترك خيرا فيكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن لكونهن
مسلمات منقادات للنبي صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
مومنات مصدقات له فيما يعد من الثواب على ذلك والوعيد من
العقاب على خلافه قانتات متذللات لا يتكبرن عليه في شيء سيما مع
كونهن بالنسبة الى الله تعالى تائبات عن الكفر والمعاصي عابدات
بالصلوة والزكوة والصيام سائحات في الحج وفي حب النبي صلى الله عليه
وسلم ثيبات وفي قطع النظر عن غيره ابكارا يا ايها الذين آمنوا كما يخاف
على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن في مخالفتهن بتبديل صفاتهن
الحميدة بالذميمة يخاف عليكم وعلى اهليكم في المخاصمة قوا احفظوا بمقتضى
ايمانكم انفسكم واهليكم نارا اعدت للكافرين اذ يستتبع كل بعض صاحبه
وشمه بل ذمه وقودها من شدتها ذكاؤها الاشياء الرطبة واليابسة المحضة
الناس والحجارة ولا يكفي بهذه الشدة بل عليها مع تلك الشدة ملئكة غلاظ
لا شفقة لهم شداد اقوياء يدفع احدهم بدفعة سبعين الفا في النار لا يعصون
الله ما امرهم فيما مضى من الشدة ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل من مزيدها
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم بان اعمالكم دون هذه الشدائد
التي تزاد كل يوم بل انما تجزون قدر ما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا مقتضى
ايمانكم التوقي من المعاصي التي يخاف جرها الى الكفر بالتوبة ليتخلصوا
من الشدائد المتزايدة على الابد توبوا ملتجئين الى الله توبة نصوحا
خالصة ليتخلصوا من المعاصي ظاهرا وباطنا وهي الندم عن الذنب الماضية

واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على اربابها ثم ورثتهم ثم
التصدق بها واستحلال الخصوم ان امكن ثم الاحسان اليهم والعزم على
ان لا يعود وتنبيه النفس في طاعة الله كما رباها في معصيته عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم الجارة الى الكفر الموجب للخزي ويدخلكم جنات بلا
عقاب وخزي بل مع مزيد لذة وجاه اذ تجري من تحتها الانهار ولا
يبعد عدم الخزي في اسوال النعم لكونه يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه من الكمل بل يتشرفون بالنور اذ نورهم يسعى على الصراط بين ايديهم
بمسارعتهم الى الخيرات وتقديمهم اياها وبايمانهم لترجيحهم جانب الحق
على اسوئهم يقولون اذا اطفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا
وان كان في اخلاصنا نقص واغفر لنا ما كان فينا من النفاق الخفي
انك على كل شيء من اطفاء النور واتمامه مع النفاق الخفي قدير ولما بين
للعوام التوبة النصوح مع روية الكفار على احسن الاحوال والمومنين
في الشدائد والاهوال قال يا ايها اذا ابنات الكفار والمنافقين علم
يتنبهوا بل عاندوا جاهد الكفار والمنافقين لتغير احوالهم واغلظ عليهم ليضعفوا
فلا يرغب في احوالهم المسلمون بل يتوبون عن مثل احوالهم سيما اذا تذكروا
ان منتهى احوالهم في الدنيا وحالهم في الاخرة ان ماويهم جهنم وبئس المصير
لاحوالهم فيتحقق لهم التوبة النصوح ثم اشار الى ان قرابة الكافرين للمومنين
لا ترغبهم في احوالهم حتى يتركوا توبتهم النصوح فقال ضرب الله مثلا للذين
كفروا في عدم تاثرهم من المومنين امراة نوح واعلة او واعلة وامراة
لوط واهلة او والهة لان الوصلة من اسباب التاثر والاولى وصلة المراة
بالزوج واولى بذلك نسوة الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانتا تحت
عبدين من كمل عبادنا صالحين مبالغين في الصلاح فلم تتاثرا بروية
صلاحهما فخانتاهما امراة نوح بقولها للناس انه مجنون وامراة لوط

باخبارها لقومها عن الضيف فلم يغنيا بحق الزواج الذى هو اجل من حق النسب
عنهما من الله شيئا من الاغناء ولكن قيل لهما يوم القيمة ادخلا النار مع
الداخلين الذين لا وصلة لهم مع اهل الصلاح وفيه تعريض بعائشة وحفصة
رضى الله عنهما على اغلظ وجه واشده ان لم تتوبا وانهما لا يتأثر الكفار من
المسلمين لما يرون عليهم من الشدة فانه ضرب الله مثلا للذين آمنوا فى تحمل
الشدائد امرأة فرعون آسية بنت مزاحم لما غلب موسى السحرة آمنت فاثر
منهم مع ما رأت من شدائد عليهم فلما تبين له ايمانها اوتد يديها ورجليها
باربعة اوتاد والقاها فى الشمس وامر بصخرة عظيمة تلقى عليها فاحتملت تلك
الشدائد اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فى اعلى درجات المقربين
وذكرت الجار قبل الدار ونجنى من ايلام فرعون ذاته وعمله الشرك
ونجنى من ايلام القوم الظالمين فنزع الله روحها قبل وصول الصخرة اليها
فلم تجد الما وفيه اشارة الى انه لا عذر لشخص اذا ابتلى بصحبة كافر وفيه تعريض
بعائشة وحفصة رضى الله عنهما فى احتمال الشدائد فى صحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولعالى هذا الحديث اشار الى ان تحمل المؤمن ادنى الشدائد
يفيد اعلى الدرجات فكيف تحمل اعلاها ولذلك ضرب الله مثلا للذين
آمنوا مريم ابنت عمران التى احتملت من الشدة انها احصنت فرجها فافتدنا
فابنة جليلة فنفخنا فيه من روحنا اى روح خلقناه بلا واسطة اب
وليس ذلك بمجرد احتمال تلك الشدائد بل لكونها مع ذلك صدقت
بكلمات ربها التى جاء بها الرسل وكتبه المنزلة عليهم علما وعملا فاثرت منها
وكانت مع ذلك مبالغة فى المحاسن بحيث عدت من كمل الرجال القانتين
فاثرت من المحاسن قال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد

على سائر الطعام وفيه تعريض بعائشة وحفصة رضى الله عنهما لو كانتا قانتين
تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الملك

سميت به
لاشتمالها على كثرة ما ينبغى ان يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم
القدرة والاحياء والامانة واختبار اعمال الناس والغلبة والغفران
ورفع الابنية لحفظ ما فيه وعدم التفاوت فى رعاياه وتزيين بلاده والقهر
على الاعداء والرحم على الاولياء والامن ودحض الاسعار وان لا يقدر
احد على نصر من عاداه ولا على رزق من منعه وتسمى الواقية والمنجية لانها
تقى وتنجى من عذاب القبر على ما فى الحديث بسم الله
المتجلى بكمالاته فى ملكه الرحمن بكثرة خيراته الرحيم بالغفران مع عزته ورفع
الابنية وابطال التفاوت والفطور وتزيين الملك وقهر الاعداء
تبارك كثر الخيرات التى لا تتم الا بارسال الرسل الذى بيده اى تحت
تصرفه الملك عالم الشهادة الذى كثرة الخيرات للارواح باكتسابها منه
كيف ولا مانع له من تكثيرها اذ هو على كل شىء قدير وهو يحب الخيرات فيكثر
احب ما تقدر عليه وطبعه تكثيرها بحبه من الانسان باختياره لذلك خلق
فيه ما يكون سببا لدواعيها هو الذى خلق الموت اولا والحيوة ثانيا الدالة
على ان بعد الموت حيوة يتمتع فيها باعمال الخيرات ويتضرر فيها باعمال الشرور
ليبلوكم ايكم احسن عملا فيثابه فى الاتيان بالخيرات فيفيض عليه الخير
الكثير فى الحيوة الثانية وان لم يحسن الاعمال افاض عليه الشدائد وهو
العزيز الغالب على من اساء بالانتقام منه لكنه الغفور لمن خالط الاحسان
مع الاساءة ثم حصل الجمال تكثر الخيرات وتكثر الخيرات مع رعاية عزته فى
رفع البناء وغفرانه فى ستر فعله هو الذى خلق سبع سموات ليفيض بواسطة
كل سماء فيضا خاصا ينسب اليه وتحجب به وجه المحاسن جعلها طباقا

يوافق بعضها بعضا بلا تضاد ليتم امر الحكمة في الكوائن والفواسد فيكون
داعيا الى اتمامها في الاعمال فيصير احسن ما ترى في خلق الرحمن اي عام
الرحمة في عالم الكون والفساد والعالم العلوي اولى بذلك من تفاوت
في رعاية الحكمة بل راعاها في كل كائن وفاسد فان تشككت في ذلك فارجع
البصر كرر نظر العقل هل ترى من فطور شقوق وخلل ثم ان خالج
في قلبك قصور النظر الاول ارجع البصر كرتين تكريرا بعد تكرير
ينقلب يرجع اليك البصر خاسئا مطرودا كأنه وهو حسير حال عن مطلوبه
الذي هو الخلل فهذا دليل على انه يجب اتمام الحكمة في كل شيء فيجب بها
في اعمالكم لتصير احسن في اتمام الحكمة في العالم العلوي ظاهر مع رعاية
المحاسن فانا لقد زينا السماء الدنيا اي القربى من العرش بمصابيح كواكب
مركوزة فيها او القربى من الارض بمصابيح مركوزة فيما فوقها لكن يتخيل اهل
الارض انها مركوزة فيها لتظهر محاسنها وذلك ليتزين الانسان بالكمالات
التي فوق رتبته في الحال ليخرج ما فيه من القوة الى الفعل في المآل ولكونها
اشارة العمل جعلناها رجوما للشياطين المستمعة الى اخبار مآل اغواء
اهل الارض وافساد اعمالهم وذلك بان تنثر الملائكة المتعلقة بها نارا
من غير اقتباس منها وهذا اولى مما قيل انها ادخنة محترقة اذ لو احترقت
لازدادت صعودا لكن كثيرا ما ترى هابطا نازلة او ذاهبة يمينا وشمالا واعتدنا
لهم وراء هذا الرجم على هذا الاستماع المقصود به الاغواء عذاب السعير
وان كانوا من النار فيسلط مادتهم على صورتهم للتعذيب وللذين كفروا
فعبدوا ما سواه المرجومين فاشركوهم بربهم الذي رباهم بافاضة انواع الخيرات
سيما ارسال الرسل عذاب جهنم من النار والزمهرير والحيات والعقارب
وغيرها وبئس المصير مصيرهم الى جهنم والى نارهم كاعداء الملك يحملون اليه
فيعمل فيهم بمقتضى غيظه واقل عذابهم الذي يعرف اشديته انهم اذا القوا

فيها فارادوا ان يطرحوا فيها ليبصروها وقودها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت
الحمار وهي تفور تغلي بهم غليانا اذ هي تفور تغلي كالمرجل او اشد تكاد
تميز تتفرق اجزاؤها الى السماء والارض من الغيظ على الذين اغضبوا الله
حين بعث اليهم الرسل لذلك كلما القي فيها فوج جماعة اتفقوا على معصية
او كانوا اهل بلد او زمان او امة نبي وذلك لاستحقاق البعض التقدم والسفل
والبعض العكس سألهم خزنتها ليزدادوا غيظا اذ لم يكن لهم عذر الم يأتكم
نذير اصلا والعقلاء اذا سمعوا من ادناهم تخويفا اجتهدوا في النجاة عنه
قالوا بلى قد جاءنا نذير فاكثر فكذبنا جميع النذر مع ان لكل واحد منهم معجزات
وحججا وقلنا ما نزل الله من الاوامر والنواهي والمعجزات من شيء ان انتم
الا في ضلال كبير فانكم عليه منع الامور وان عرفوا لانفسهم بالضلال
الكبير الذي نسبوه الى الرسل اذ قالوا لو كنا نسمع ما دلت المعجزات على صدقه
وان لم نعقله او نعقل بديهة او نظرا ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم
تكذيب الرسل والاعراض عما دلت المعجزات على صدقه وعن العقول حينئذ
لا ينفعهم فسحقا بعدا عن النجاة والالطاف الالهية لاصحاب السعير
بل هو سبب مزيد غيظ الله تعالى وغيظ الخزنة والنار والعياذ بالله
من ذلك وغاية ما استفادوا من عبادة الشيطان رقى او ادوية
ولا يفوت منه الفائدة من خشية الله ان الذين يخشون ربهم بالغيب
فتركوا ما ينسب الى الشياطين من الفوائد الظاهرة لهم مغفرة لذنوبهم
التي يبتلى من اجلها فيحتاج الى الرقى والادوية ولو ابتلوا لهم اجر
كبير على صبرهم على الابتلاء وتركهم الاسترقاء واسروا قولكم بان تقولوا اللهم
ادفع عنا هذا الشيطان بما تعلم او اجهروا به فهما سيان عند الله انه عليم
بذات الصدور بالخواطر المخصوصة بالقلوب التي ربما لا يشعر بها اربابها الا يعلم
ملك الخواطر من خلق الخواطر والقلوب ولو لم يكن خالقها لعلمها ايضا

اذ هو اللطيف اذ هو المجرد والمجرد يجب ان يعلم الكل لانه الحاضر بذاته في
كل من علم ذاته جاز ان يعلمه ذاته مع غيره وكل ما جاز في حق الله فهو
واجب اذ كماله بالفعل لا بالقوة ثم اشار الى انه لا ينبغي ان يترك الرزق
لخوف شيطان ولا يجعل له رزق اذ الله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
لا يصعب لشيطان فامشوا في مناكبها جوانبها او جبالها ولا تخافوا الغاء
شيطان فيها وكلوا من رزقه فلا تجعلوه لشيطان وان كان له انتهوا باذن
الله اذ اليه النشور المرجع فلا ياذن في حق من توكل عليه أأمنتم اذ احتجتم شيطانا
بعد التوكل عليه من اغنى منه لكون سلطانه في السماء ان يخسف بكم الارض
التي تركبون المشي في مناكبها لاجله فاذا هي تمور أم امنتم اذا استعنتم بالشيطان
في دفع مرض او مشقة من في السماء سلطانه ان يرسل عليكم حاصبا
حجارة فان تركتم في الدنيا فستعلمون في الاخرة كيف نذير اي ما انذرتكم به
من ارسال الحاصب وان صدقتموهم في اخبارهم السموية فهذا تكذيب
منكم للانبياء ولقد كذب الذين من قبلهم فانكرت عليهم بالاخذ الشديد
فكيف كان نكير أتزعمون انهم لو لم يصدقوا الشياطين في اخبارهم
لنزع عليهم الامر السماوي عن غفلة منهم ولم يروا الى الطير مع كونهم في
محل السقوط لكونهن فوقهم فان امسكهن كونهن صافات باسطات
اجنحتهن ويقبضن لكن لا يومن عليهن اذ يقبضن اجنحتها بحيث ما يمسكهن
الا الرحمن من رحمته بهن والتوكل اولى اذ اقصد الشيطان انه بكل
شيء بصير ام غاية الرقى والادوية انها جند لهم اعداء الامراض بل
تعتقدون اذ اجارتهم بجنودكم ان الله ينصركم أمن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن وقد تظهر لكم غلبة فيه كثيرة باذن الله
لكنكم من كفركم بالله تعتقدون بجنودكم ان الكافرون الا في غرور بالظاهر
من الحسية وان سلم ان الجند ناصركم فهم انما صاروا جندكم بما يعطيكم

الله اتعتقدون انكم ترزقونهم أمن هذا الذي يرزقكم من رزقهم فان كنتم
رازقيهم فهل يرزقونهم ان امسك رزقه عنهم فاذا لم ترزقوهم فكيف
يبقون ناصرين لكم انما ينصرونكم بما يعطيهم الله من الرزق وهم لا يبالون
بهذه المقدمات بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شرادا عن الحق
لتنفر طباعهم عنه أتعتقدون ان من نظر الى الاسباب السفلية اهدى
ممن نظر في مسبب الاسباب فمن فهل من يمشي مكبا على وجهه بالنظر في
الاسباب اهدى أمن يمشي سويا بالنظر الى المسبب مع كونه على صراط مستقيم
يجعل الاسباب مظاهر اسمائه المؤثرة والله تعالى يؤثر عندها لا بها لكنه
يراعي الحكمة في ترتيب الامور فان ادعوا استقلال الاسباب قل
لا شك ان جماع الوالدين سبب تكون الولد لكن نعلم بالضرورة انه لا اثر
له في انشائه ولا في اعطائه القوى ومحالها بل الله هو الذي انشأكم وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة فان نسبتموها الى الافلاك قليلا ما تشكرون
توفيه حقه في التوحيد والانفراد بالتاثير فان زعموا ان للاسباب معه
تاثيرا قل لو صح ما ذكرتم فلا عمالكم اثر في الجزاء اذ هو الذي ذرأكم بثكم
ليستعملكم في الارض اعمالا واليه تحشرون لجزائكم فالاعمال اسباب فلم
تعطلونها ويقولون انما نعطلها لانه لا تظهر اثارها في مدة معلومة متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما لا تظهرونه لئلا تظهر كذبكم اذا لم يقع الحشر
عنده قل انما لا تعينه لان الله ابهمه لانه ان قرب تعطلت امور الناس
من خوفه وان بعد لم يلتفت اليه فلذلك كان العلم عند الله لا عند غيره
ولا نما اكون كاذبا لو عجزت عن دلايل وقوعه لكن انما انا نذير مبين بالدلايل
القاطعة مع المعجزات المصدقة ولو عينت لكم وقته لانتظرتم قربه فلما رأوه
زلفة اي ذا قرب سيئت فتحت وجوه الذين كفروا بغيره تسوءها فزعة وقيل
اي قالت الزبانية هذا الذي كنتم تدعون انه لا يكون فان قالوا لحي وجودكم

لافترائكم على الله بالنبوة قل أرأيتم أخبروني عن ترددكم في أمري مع تعين
أمركم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا مع أن الله صدقنا بإظهار
المعجزات على أيدينا فمن يجير يمنع الكافرين به وبآياته من عذاب
أليم يخف لهم فإن زعموا أن التردد يعم أمرنا وأمركم قل لا وجه للتردد في
أمرنا إذ هو الرحمن الذي شأنه أن يرحم من لا يكفر به ولا يعصيه آمنا
به وعليه لا على الأسباب توكلنا فلم يعذبنا دونكم فإن شككتم بعد بينا
فلا يمكن تفهيمكم فستعلمون من هو في ضلال مبين هل هو المؤمن
المتوكل عليه أو غيره فإن زعموا أن القول بتعطيل الأسباب هو الضلال
قل أرأيتم أخبروني هل ترجعون إلى سبب سماوي أو أرضي إن أصبح
ماؤكم غورا فلا ناله آله فمن يأتيكم من الأسباب بماء معين سهل المأخذ
أم ترجعون في طلبه إلى الله تعالى وحده من غير سبب ثم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله أجمعين

## سورة ن

سميت بها لدلالتها على
مبدأ خلق محمد صلى الله عليه وسلم أو مبدأ نبوته بسم الله
المتجلي بكمالاته في محمد صلى الله عليه وسلم الرحمن بخلق القلم الأعلى وسائر
العقول العالية واللوح المحفوظ وسائر النفوس السماوية الرحيم بالإنعام
على محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والولاية والهداية العامة والأخلاق
الكريمة ن والقلم وما يسطرون أي أقسم بالنفس الكلية أي اللوح المحفوظ
مبدأ الوحي والقلم الأعلى أي العقل الأول من حيث هو مبدأ نوحه
في اللوح أو بالنفس الرحماني الذي هو مبدأ روحانيته صلى الله عليه
وسلم وبالقلم الأعلى الذي هو مبدأ وجوده فإن الروح أول ما وجد منها
أو نبوته وبالقلم الأعلى الذي هو مبدأ نبوته فإن النبوة كان لروحه أولا
وكلم آخرا وبما يسطره العقول من نقوش الكائنات على ألواح النفوس

السماوية ما أنت بنعمة ربك من النبوة والولاية وسائر المقامات العالية
والمنازل الرفيعة بمجنون وإن كان فيها ما يحير عقول الجمهور كيف وإن
لك لأجرا بهداية كلية توجب أجرا غير ممنون منقطع إلى يوم القيمة وكيف
لا يكون لك تلك الهداية وإنك لعلى خلق عظيم من أخلاق الله تجذب
بها الجمهور إلى الهداية فيكون لك أجرهم إلى يوم القيمة أو كيف يكون مجنونا
والمجنون إنما يكون على الأخلاق الردية وأنت على مكارمها وإذا كانت
لك الهداية العامة كنت نورا أبصره أنت ومن تبعك والشيطان سيظهر
لمن خالفك ظهورا عقليا فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أي بأي
الفريقين من المهتدين بك والمكذبين لك الشيطان الذي فتن عن
الحق أي صرف عنه فصرف الناس عن الهداية وبالغ في ذلك حتى جن من
حاربه ولا ظلم في صرفهم عن هذا النور بالإعماء عنه لأنه تابع للعلم الإلهي
التابع لاستعدادات الحقائق المعلومة له في الأزل إن ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإذا كان لك كمال العقل والهداية
فلا تطع المكذبين لهدايتك الضرورية المنزهة عن الجنون إذا دعوك
ترك التشديد عليهم والطعن في دينهم ولا نهم طمعا في رجوعهم إلى الهدا
لأنهم ليسوا بهذه المظنة إذ غايتهم أنهم ودوا لو يدهن أحبوا أن تلين
لهم فيدهنون بترك الطعن عليك لكنه قاطع للدعوة التي هي سبب هدايتك
العامة وإذا كانت لك الأخلاق الكريمة لا تطع ذا الأخلاق الذميمة
التي هي منشأ الأفعال القبيحة كل حلاف وهو الوليد بن المغيرة حلف لك
إنك إذا تركت التشديد عليه والطعن فيه تأمل في شأنك فيرجع إلى الحق
فلا تعتمد على حلفه لأنه كثير الحلف لاستهانته بالله من اتصافه بوصف مهين
إذ شأن العزيز رعايته عز كل عزيز والمهين لا يترك التشديد عليه والطعن
فيه فإنه كالعبد يرتدع بالعصا كيف وهو متصف بوصف هماز كثير الغيبة ويس

ذلك من شأن الاعزة وتخاف ان تعابك بالضعف على انه اتصف
بوصف مشاء بنميم كثير النقل للاحاديث على نهج السعاية فيهونون
وتخاف ان ينم ضعفك الى الناس ليسموا عليك ومع ذلك متصف بوصف
مناع للخير فكيف يرجى منه التأمل للرجوع الى الخير بل يزداد منعا للناس عنه
عند رؤية ضعفك ولا يقتصر على منع الخير بل يتصف بوصف معتد
مجاوز الحد في الظلم فتخاف ان يظلمك واصحابك عند رؤية ضعفك ولا
يبعد منه لاتصافه بوصف اثيم كثير الاثم لاتصافه بوصف عتل غليظ لا يلين
لوعظ الحق فلا يرجى منه التأمل للرجوع الى الحق وهو بعد ذلك المذكور
من مثالبه متصف بوصف زنيم دعي ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة وهو
منشأ جميع الاخلاق الذميمة ومن اعظم ما فيه الزنا ثم انه يكفر في موضع
الشكر وهو انه لاجل ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا المنسوبة
الى عظمتنا قال في دفعها انها اساطير الاولين اكاذيبهم التي يسطرونها
قال تعالى في تعجيل جزائه سنسمه على الخرطوم سنكويه على انفه فاصابه
جراحة يوم بدر فبقي اثره ومع ذلك لم يزل مستشار الاهل حتى قحطوا
انا بلوناهم بالقحط سبع سنين من ان يعم سائر البلاد ولتشاورهم منعا
الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله كما بلونا اصحاب الجنة المسماة ضر
وان كانت على الطريق بقرب صنعاء لصالح كان ينادي الفقراء وقت
الصرام فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فان
المال قليل والعيال كثير وكان مال ابينا كثيرا وعياله نفرا قليلا فاصابها
البلاء دون ما حولها اذ اقسموا منع حق المساكين بمشاورة مكذب مضاعف
الصدقة وارباب الشح المطاع ليصرمنها مصبحين ليقطعن ثمارها وقت
الصباح بحيث لا يعلم مسكين بذلك ولا يستثنون ولا يخرجون شيئا من
حق المساكين فطاف عليها احاط بها بلاء طائف وهي نار نزلت من السماء

غير صح



من امر ربك فاحرقها غضبا عليهم لحق المساكين فكيف لطفك وحي آياته
وهم نائمون غافلون غفلة اهل مكة عن سبب القحط فاصبحت فصارت
بالاحراق كالصريم كالليل الاسود او كالرماد فتنادوا مصبحين فنادى
بعضهم بعضا ان اغدوا اخرجوا غدوة على حرثكم ان كنتم صارمين
قاصدين قطع ثمارها وتقطعوها البلاء من اصلها فانطلقوا وهم يتخافتون
يتشاورون وهم يكتمون ذهابهم وهم جازمين ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ولم يمكنهم منع دخول البلاء الآتي كما جزم اهل مكة ان لا يدخل الاسلام
احد فتشاركوهم في رزقهم وغدوا على حرد سرعة قادرين على تحصيل
الغلة مسارعة اهل مكة الى منع ظهور النبوة فلما رأوها قالوا اول ما رأوها
ما هي لها انا لضالون طريقها ثم تأملوها فقالوا بل نحن محرومون كذلك اهل
مكة اذا رأوا القحط قالوا ليس بقحط حقيقي بل انقطاع المطر اياما قلائل
فلما استمر عليهم قالوا بل نحن محرومون عن الارزاق قال اوسطهم اعدلهم
رأيا الم اقل لكم لولا تسبحون هلا تنزهون الله عن ان يخلف وعد المضاعفة
في الصدقة كما تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تنزهون الله عن
ان تشاركه في اياته غيره فاذا تبين لهم الغلط اعترفوا بالظلم كما قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين وكان ظلمنا بمشاورة اهل السوء فاقبل بعضهم على
بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من اشار ومنهم من استصوب
كذلك اذا تحقق صدق الآيات يوم القيمة يلوم بعضهم بعضا قالوا اي الملومون
يا ويلنا انا كنا طاغين مجاوزين حدود الله بمنع حقوقه طغيان من لا ر
في حقوق الآيات عسى ربنا ان يبدلنا ببركة التوبة خيرا منها انا الى ربنا
راغبون طالبون الخير باظهار الرغبة فيه الى الله تعالى كذلك يرجى لهؤلاء
اذا تابوا ان يعطوا خيرا مما ضيع عليهم قال ابن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا
وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل

منها غنم وكذلك اى مثل ابتلاء اهل مكة واصحاب الجنة العذاب كل
عذاب دنيوى يرجى بعده الخير ولا يرجى ذلك فى عذاب الاخرة ولعذاب
الاخرة اكبر فالغضب فيه اشد ولا يعقبه خير يعلمون ذلك لو كانوا يعلمون
الحقائق ولا ينتقض بما يحصل لعصاة المؤمنين من الجنة بعد العذاب
لانه ليس بعذاب بالحقيقة بل تطهير لهم لتكميل نعيمهم فى الجنة ان للمتقين
الكفر عند ربهم الذى يربيهم بالعذاب لمزيد النعيم جنات النعيم بالحقيقة افنجعل
عذاب المسلمين حقيقيا كعذاب الكفار افنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم كيف تحكمون بعدم الفرق بينهما لتبطلوا فائدة الاسلام بل يقولون نحن
نؤتى افضل مما يؤتى المسلمون الكم دليل عقلى ام لكم كتاب سماوى فيه
تدرسون بالنص الجلى ان لكم فيه لما تخيرون تختارونه خيرا فان كان فهل
هو مجرد عن اليمين ام ايمان لكم اى ايمان تغلبون بها علينا لا الى مدة
منقطعة عن قريب بل بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون به علينا فان اعترفوا
انه لا دليل لهم عقلى ولا كتاب بل كلام ابائهم سلهم ايهم بذلك زعيم كفيل
فان ذكروه فهل هو عبد من عباد الله يحكم على الله ام من شركائهم اذ لهم
فى زعمهم شركاء فليأتوا بشركائهم لمناقضة الله ومغلبته ان كانوا صادقين
فان اتوا بهم اليوم فكيف يأتون بهم يوم يكشف عن ساق عن اصل الامر
وحقيقته وان زعموا انهم ليسوا فى معرض المناقضة والمغالبة لانهم مظاهر
حق كان سجودنا لهم سجودا لله ونظرنا اليهم نظرا الى الله وسلطانهم بعجزهم عن
سجود المنزه والنظر اليه فقال لهم يدعون الى السجود لله فلا يستطيعون اذ
يصير ظهورهم طبقا واحدا خاشعة ذليلة ابصارهم فلا يستطيعون النظر اليه
بل ترهقهم تغشاهم بكليتهم ذلة لانهم اذلوا الله اذ راوا ظهوره فى شركائهم كحالة
الحقيقى وهو نقص وقد كانوا فى دعوى عدم قدرتهم على سجود المنزه فانهم كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون سلامة المسلمين الذين سجدوا للمنزه فان

كذبوا بقصة الكشف عن الساق والدعوة الى السجود فذرنى خلنى ومن يكذب
بهذا الحديث فلا تعجل بدعاء المؤاخذة عليهم سنستدرجهم نجعلهم على درجات
المعاصى فنأخذهم من حيث من جهة لا يعلمون انها جهة الاخذ واملى امهل
لهم وان عظموا الجرائم مكرا بهم ان كيدى متين لا يمكنهم دفعه بكيدهم ام يجعلون
هذا كيدا منك لا لتحصيل شئ ام لتحصيله اذ تسألهم اجرا فهم من مغرم من تحمل
غرامة بلا عوض مثقلون فان كان لك كيد لا لتحصيل شئ فهل علموه بدليل ام
بالكشف اذ عندهم الغيب فان صح فهم يكتبون ما فيه ويسعون به عنك
واذا لم يؤمنوا لك بعد هذا فاصبر لحكم ربك بتأخير العذاب عنهم لعلهم
يتوبون او يزدادون اثما ولا تكن فى استعجال العذاب عليهم كصاحب
الحوت يونس بن متى عليه السلام استعجل العذاب على قومه فلم يجب فخرج
عنهم من غير اذن ربه فركب السفينة وسكنت الريح فزعم اهلها انه انما يكون
لعبد ابق فساهموا فخرج السهم باسم يونس عليه السلام فالقى نفسه فى البحر فالتقمه
الحوت فهو وان كان كاملا اذ نادى بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين وكيف لا يكون هذا التذلل من كماله مع صدوره منه اذ
هو مكظوم مملو غيظا والغائظ لا يتذلل لكن مع هذا لما ترتب على ترك
الاولى كادت تسقط عن كماله بحيث لولا ان تداركه نعمة من ربه هى عنايته
بابقاء كماله لنبذ بالعراء الارض الخالية عن الاشجار فلا يخلو عن ذله
وهو مذموم لا كرامة له لكن تداركته النعمة فاجتباه ربه للكرامات فجعله
من الصالحين اهل الكرامات ولا يبعد من الله اسقاط اهل الكمال الى
مهواة الذم كما لا يبعد من الكفار اسقاطك بعد علمهم بكمالك ان اى
انه يكاد الذين كفروا الذين كفروا ستروا كمالك ليزلقونك يرمونك ويزلون
قدمك بابصارهم مع علمهم بكمالك لما سمعوا الذكر الكلام المعجز ويقولون
لذلك انه ليس كلام الله بل كلام جنى انه لمجنون ولم يعلموا ان كلام المجنون

لا يكون له شرف فضلا عن الاعجاز وهذا الكلام ماس الا ذكر شرف
للعالمين الجن والانس والملئكة فان كل من تكلم به قبل انه تكلم بما يعجز عنه
الكل فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الحاقة

سميت بها
لدلالتها على مزيد تاكيد تحقق يوم القيمة لوقوع حواق الامور وظهور حقائق
الاشياء فيها وهذا من اعظم مقاصد القران بسم الله
المتجلي بكمالاته في الحاقة الرحمن بتعظيم شانها للاستعداد لها الرحيم ببيان
نظاير ما يقع فيها الحاقة اي الحادثة التي يحق وقوعها لوقوع حواق الامور
من الجزاء والحساب والميزان ومعرفة حقائق الاشياء مما يسهم عنها
تعظيما وتعجيبا فقال ما الحاقة ويجاب عنها بقصور علم اعلم الخلائق عن
كنهها فقال وما ادريك ما الحاقة نعم يمكن بيانها بنظاير ما يقع لها سابقة
من انواع العذاب المختلفة لاختلافها طولا وقصرا وشدة زايدة وغير
زايدة مع تخليص من خلص منها فتفصيل ذلك انه كذبت ثمود وعاد
بالقارعة الحادثة التي تقرع الاجسام بالانفطار اقيمت مقام الحاقة لبيان
مزيد شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة
في مقابلة صيحة الناقة عند الذبح لمجاوزتهم حد التكذيب لتحدي الاية بالكلية لكن
قصر زمانها واما عاد فاهلكوا بريح لغلبة الاشرة عليهم صرصر شديدة الصوت
عاتية شديدة الهبوب لا من الاتصالات الفلكية بل الله سخرها سلطها
بغضبه عليهم لا على هود والمؤمنين سبع ليال وثمانية ايام من صبح اربعاء
الى غروب اربعاء لانهم تحملوا لاشرتهم قحط سبع سنين فطالت عليهم
لكل سنة يوما وليلا مع زيادة يوم لانهم لم يقطعوا تحملهم بهذه المدة وان لم
يكن سبع سنين لانها كانت تحسمهم حسوما تقطع دابرهم قطعا كليا فترى القوم
فيها في تلك الايام والليالي صرعى موتى كانهم اعجاز اصول نخل خاوية

منا كله الاجواف لان الريح اخرجت احشاءهم فهل ترى لهم من باقية
نفس على جانبي الرقبتين شيء لكنها غير زايدة ثم اشار الى الزايدة
فقال وجاء فرعون ومن قبله اي من في جهته من جنوده والمؤتفكات
اهل قرى لوط بالخاطئة بالافعال ذوات الخطاء كاستعباد بني اسرائيل وذبح
اولادهم واللواط فارسل اليهم الرسول فعصوا رسول ربهم في كل ما جاء
به فاخذهم اخذة رابية زايدة على محض تكذيب الرسل بان اعطينا ملك
فرعون وقومه لاعداهم بعد اغراقهم وجعلنا المؤتفكات عاليها سافلها
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فلم يواخذوا بمجرد الخطايا ولم يختلف عذابهم
بمجرد تكذيب الرسل بل ضم في حقهم احدهما الى الاخر لزيادة الشدة ونوع هلاك
بل على كون ما مر هو اخذ انجاء نوح والمؤمنين مع عدم خروجهم عن الطوفان
الذي اخذ به قومه انا بعظيم قدرتنا لما طغى الماء جاوز مقدار طوفان نوح
حملناكم اي اباءكم لتخليصهم في السفينة الجارية في ذلك الطوفان جريانا يشبه
المشي على الصراط على متن جهنم لنجعلها لكم تذكرة تذكرون بها كيفية النجاة
عن اهوال يوم القيمة وهذا لمن رآها وتعيها تحفظ ما سمع منها لتوصلها الى
اخرين اذن واعية لمن لم يرها ولما فرغ عن ذكر النظائر السابقة اشار
الى ما يقع في القيمة من نظايرها فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة هي نظير صيحة
ثمود يحصل منها ريح بها حملت الارض والجبال ضربنا بعضها ببعض
فدكتا دكة واحدة صارتا بها هباء فالريح كريح عاد والحمل كحمل المؤتفكات
فيومئذ وقعت الواقعة على العالم بالافناء وتبعه العالم العلوي حيث
انشقت السماء لانها انما خلقت لتكوين الاشياء وافسادها في العالم
السفلي فاذا فني لم يبق لها فائدة ولم يمنع من انشقاقها قوتها الى انتهائها
على مر الدهور فهي يومئذ بتاثير النفخ فيها واهية ضعيفة وقد تاكد بالنفخة
الثانية والملك المحرك لها الحركة الدورية المانعة من الانشقاق موقوف

على الحركة المستقيمة قد صار على ارجائها فلم يبق له تحريك فما امكن تحريك النفخ
لها بالقسر على الاستقامة كيف وان النفخ كاد يلحق العرش فتقوى بزيادة اثر
من الجملة فيه اذ يحمل عرش ربك فوقهم فوق ملئكة السماء لعجزهم عن حمله يومئذ
ثمانية وكان قبله اربعة يومئذ لظهور العرش بزوال الحجب السماوية تعرضون
وظهور اللوح المحفوظ لذلك لا تخفى على احد منكم خافية
وعلم بظهوره باقي كتاب اعماله قبل ان يأخذه فاما من اوتي كتابه بيمينه
لقوته وغلبته على هواه فيقول للملئكة تبجحا هاؤم اقرءوا كتابيه اي اقرءوا
كتابيه فليس فيه ما يخزيني اني ظننت علمت ما في الدنيا علما لا يقدح فيه ما
لا يخلو عنه الانسان من خواطر اذ لم يستقر بقلبه اني ملاق حسابيه
محاسب بنفسي قبل ان احاسب فهو في حال قراءة الكتاب مع وفور السرور
في عيشة راضية اي ذات رضى كامل بسعته نوح فكأنهم قبل دخول الجنة
في جنة عالية لكونه في اعلى درجات القرب من ربه قطوفها ما يجتنى لهم
من ثمرات الجنة في المحشر دانية قريبة منهم يقال لهم دخولها كلوا واشربوا
من الجنة شيئا لا يؤذيه شيء من منح الشدايد هنيئا بما اسلفتم قدمتم من الصيام
وغيرها في الايام الخالية الماضية واما من اوتي كتابه بشماله لضعفه
من الاسوة فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه فلم افتضح بما فيه ى يا ليتني لم
ادر ما حسابيه فلم اعذب بتذكره عذابا عقليا مع الحسي يا ليتها اي ضيا
كانت القاضية الى العذاب من غير كتاب ولا حساب ومن غران اعرض
على الله تعالى اذ ليس كسائر الملوك ينفع عندهم المال لذلك ما اغنى
عني ماليه وانما ينفع عنده الحجة لكن هلك عني سلطانيه حجتي فيقول الله تعالى
لخزنة جهنم ضما للعذاب الحسي الى العقلي خذوه بالقهر والشدة فغلوه
ضموا يده الى عنقه اذ لم يشكر ما ملكته مما يده بل الى فيه ثم الجحيم صلوه لانه
لم يشكر شيئا من لذات النعم فاذيقوه شدائد النقم ثم في سلسلة حلقة منتظمة

قيل صح

الحي

باخرى وهي ثالثة وسلم جرا ذرعها مقدارها سبعون ذراعا بذراع الملك كل
ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد ما بين مكة والكوفة فاسلكوه فادخلوه
اي لفوه بها بحيث يكون فيما بين حلقها مرهقا لا يقدر على حركة انه كان قائلا
بتسلسل الحوادث لكونه لا يؤمن بالله العظيم فاستحق لعظيم العذاب كيف
وليس معه من المخففات شيء اذ لا ياتي له عبادة بدنية وانما يتصور له عبادة
مالية ولكن كان لا يحض على طعام المسكين لا يأمر اهله به واذا كان غضب الله
عليه الى هذا الحد فليس له اليوم الذي لا تملك نفس لنفس شيئا هيهنا اي
في المحشر الذي يفر فيه المرء من ابيه واخيه وبنيه حميم قريب ينفعه قرابته ولا طعام
لعدم شكره على طعامه وعدم حضه على طعام المسكين الا من غسلين غسالة
اهل النار وصديدهم وهو من غاية قبحه وخبثه لا يأكله الا الخاطئون في الاصول
والفروع جميعا واذا اظهرت لكم من التفاصيل مع منح اللطائف في هذا
الكلام المعجز مع الدلالة على كل مطلوب بقواطع الادلة فلا اقسم فلا احتاج
الى القسم بما تبصرون من غرائبه ولطائفه وما لا تبصرون منها انه لقول الله المنزل
على رسول كريم ليس من شأنه الافتراء على الله وما هو بقول شاعر اذ ليس
على اوزانهم ولا على طرقهم في التخييل الفاسد قليلا ما تؤمنون بما ظهر صدقه
بالضرورة ولا بقول كاهن فانه وان اشتبه به على الضعفاء لكن نزول بادي
منكم لكن قليلا ما تذكرون بل هو معجز مشتمل على ما لا يتناهى من العلوم والفوائد
فهو تنزيل من رب العالمين نزله لتربية الكل في الامور الدينية والدنيوية
ولو تقول افترى علينا شيئا فصاحته وبلاغته بعض الاقاويل مع ظهور انه
لا يتأتى الاعجاز للفصحاء والبلغاء في جميع اقاويلهم لاخذنا منه فوق الفصاحة
والبلاغة باليمين بقوتنا ثم لقطعنا منه الوتين نياط قلبه الذي به يحرك
لسانه فيجعل كلامه ضحكة للناظرين ومناواة للساخرين كترهات مسيلمة وابي
العلاء المعري وغيرهما فما منكم من احد عنه عن سلب بلاغته وفصاحته حاجزين

ما تعون فانكم وان اعتمتموه حسبتم لم بات منه كلام بلغ فضلا عن المعجز وذلك لانه
يفضي الى تلبيس لا يمكن رفعه وهو مناف للحكمة وكيف يكون افتراء وانه لتذكرة
للمتقين فانهم بتصفيتهم للبواطن يتذكرون بها علوما يفيدهم في الدارين من
غير انتهاء لها ولا شيء من المفترى كذلك وانا لنعلم ان منكم مكذبين للتصفية و
التذكر بها وانه اي تكذيب ذلك لحسرة على الكافرين وانه بتحسرهم وان انكروه
لحق اليقين تشاهد اهل الكشف بالتصفية الحاصلة بذكر الله فسبح باسم ربك
العظيم يكمل لك التصفية فيكمل بنفسك تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة المعارج

سميت بها لدلالتها على غاية رفع الله تعالى عبث
لا يتناهى درجات الصعود اليه وان صاعديها لا يقدرون على دفع ارادته
بسم الله المتجلي بكماله في معارجه فظهر لمن صعدها
واحتجب عمن لم يصعدها الرحمن باصعاد اوليائه وابعاد اعدائهم الرحيم
بامهالهم ليتوبوا فيصعدوا سأل سائل هو النضر بن الحارث ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية او ابو جهل فاسقط
علينا كسفا من السماء الآية اي دعا داع ذكره بطريق المطابقة بعد ما
فهم التزاما ففيه ايهام الجمع بين المتقابلين ثم ان فيه ابهاما من حيث هو
اسم جنس ونكرة ففيه ايهام الجمع بين المتماثلين ونكره لتفخيم امره في الكفر
والعناد والاستهزاء وتحقيره في العقل والبصيرة ففيه ايهام الجمع بين الضدين
ولم يذكر المسؤول لانه لما لم يحسنه اسقط من الاعتبار فاشير اليه باسقاطه
من اللفظ بعذاب اي المؤاخذ به ونكره للتعظيم مع الاستهزاء الموجب
للتحقير وهو طلب الحاصل لانه طلب واقع للكافرين والسائل كافر ولا
اللاوقوع فطلب التحريم به اذ ليس له دافع لصدوره من الله الذي لا دافع
لارادته لاتصافه بوصف ذي المعارج الدرجات الغير المتناهية وليس

للادنى دفع ارادة الاعلى بدرجات متناهية فكيف بغير المتناهية وانما كان
درجاته غير متناهية لانه تعرج الملئكة والروح جبرئيل او خلق اعظم من
الملئكة اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مع انهم ينزلون من
السماء الى الارض ويعرجون منها في لحظة واحدة فذلك من لا تناهي
الدرجات وانما جعله يوما لانهم عن فراط شوقهم يستقصرون مدة المدى مع
هذا الصعود وليس لهم شفاعة الكفار لعظم جرمهم فاصبر على استهزائهم صبرا
جميلا لا يشوبه استعجال ولا اضطراب قلب وانما امرناك بالصبر مع استعجالهم
لانه من استبعاد منهم انهم يرونه اي ذلك اليوم بعيدا عن الامكان وانما
امرناك بالصبر لانا نراه قريبا لانه يكون عند انقراض ايام الدنيا وهو وقت
فيكون يوم تكون السماء عن ارتفاع لهب النار كالمهل كالفضة الذائبة
وتكون الجبال من غلبة الريح المصعدة لها عن النفخ في الصور كالعهن
الصوف المصبوغ الوانا فيها حمراء وبيضاء وسوداء فاذا بست وطيرتها الريح
رئيت كذلك وبالجملة يكون شدة ذلك اليوم بحيث لا يسأل حميم قريب
حميما عن حاله مع انهم يبصرونهم احوالهم ليرقوا لهم ولكن لا يبالون لهم
بل يود المجرم يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه الذين هم
محل شفقته وصاحبته التي هي احب اليه واخيه الذي يستعين به في النوائب
وفصيلته اقاربه التي تؤويه عند الشدائد ومن في الارض من الثقلين
جميعا ثم ينجيه اي نفسه من عذابه كلا ردع عن ذلك التمني انها اي النار
التي جعلت السماء كالمهل لظى لهب خالص من غضب الله على اعدائه نزاعة
للشوى الاطراف او جلدة الرأس تدعو تجذب الى نفسها من ادبر عن
الايمان بالله وتولى عن طاعته وجمع المال ايثارا له على الله فاوعى جعله
في وعاء منعا لصرفه في حقوقه من قلة صبره وشدة حرصه ان الانسان
خلق هلوعا قليل الصبر شديد الحرص اذا مسه الشر الذي هو كاللازم للايمان

بالله وطاعته يكون جزوعا من قلة صبره فيذبل ويتولى واذا مسه الخير يكون
من شدة حرصه منوعا طرفه عنه فيجمع ويوعي الا المصلين الذين هم على
صلوتهم دائمون لا تشغلهم عنها جزع ولا منع بل يدفعهما والذين في اموالهم
حق معلوم من الزكوة والفطرة حاصل للسائل عند الناس والمحروم المتعفف
الذي يحرمونه فانهم ليسوا جازعين على خروج المال ولا مانعين للخير لكنهم دون
المصلين لانهما ربما تشغلانهم وان لم يؤثرا فيهم والذين يصدقون بيوم
الدين الجزاء فانهم لا يجزعون بالشر ولا يمنعون الخير لعلمهم بجزاء البليات
والصدقة لكنهم دون المصلين والمزكين لانهما كثيرا ما تشغلانهم لكن يرجحون
عليه بمقتضى علمهم بالجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
يخافون من عقاب الجزع ومنع الخير بل ان عذاب ربهم مع الصبر وايتاء
الخير ايضا غير مامون واخره عن التصديق بالجزاء لان داعية حب وداعية
خوف والعمل مع الحب اولى والذين هم لفروجهم حافظون فانهم صابرون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم بترك الصبر عليه غير ملومين حتى يعدوا
من اهل الجزع فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون المجاوزون
حد العفة فلا يكونون صابرين اذا اتوا ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ايضا بهذا
مشتغلين بعدم الجزع فقط والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فانهم ليسوا
مانعين للخير واخره عن الاول لان الصبر اشد ولذا قدم قوله واذا مسه
الشر جزوعا وعدم الجزع والمنع فيما ذكر محقق ثم اشار الى ما يتوهم فيه عدم الجزع
فقال والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون فانهم يغرضون على الصبر
لو اداء المشهود عليه وهذا كله فيما يقارن العمل ثم اشار الى ما يتاخر عنه
فقال والذين هم على صلوتهم بعد الفراغ منها يحافظون فيصبرون عن الرياء
والعجب اولئك المذكورون عن رذيلتي الجزع والبخل في جنات مكرمون
لاتصافهم بمكارم الاخلاق واذا فضل بالكمال قرين اولى الاخلاق الذميمة



والموصلين

اولى المكارم فما اي اي حالة حصلت للذين كفروا حال كونهم قبلك مهطعين
نحوك متطلعين تطلع المتامل مع كونهم عن اليمين وعن الشمال عزين
متفرقين تفرق المعرض كانهم يريدون التامل فيخافون لزومهم الحجة فيعرضون
ايطمع كل امرئ منهم ترك التامل لئلا يلزمه الحجة فيدخل النار ان يدخل
جنة النعيم كلا ردع عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون ليتاملوا
في مبدائهم ومنتهاهم فيعملوا بمقتضاه فيفوزوا والا خابوا وفيه حث
التامل اذ بعثت للامر به فاذا لم يتاملوا فلا اقسم اي فلا حاجة الى القسم
برب المشارق والمغارب المستبدل طلوع كوكب بغروب ما يقابله
وغروب كوكب بطلوع ما يقابله ومستبدل الظلمة بالنور والنور بالظلمة
انا لقادرون على ان نبدلك بصحبتك ليتاملوا بما امرناهم خيرا منهم كالانصار
ولا تعارض في قدرتنا اذ ما نحن بمسبوقين مغلوبين واذا وجب عليهم
التامل وهم يخوضون ويلعبون فذرهم يخوضوا في الباطل ويلعبوا بالايات
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون للجزاء يجيبون فيه داعي الله وان لم
يجيبوه اليوم فانهم يوم يخرجون من الاجداث القبور يسرعون الى الداعي
سراعا كانهم الى نصب صنم نصب للعبادة يوفضون يستبقون لا استيلاء
طمعا في ان يكون في حق السابق ارحم منه في حق غيره ولكنهم من غضب الله
عليهم لعدم اجابتهم داعيه في الدنيا يكونون خاشعة ذليلة ابصارهم بحيث
لا يمكنهم النظر اليه بل ترهقهم تغشى جميع اجزائهم ذلة لا ذلالهم داعيه في
الدنيا ذلك اليوم هو الذي كانوا يوعدون لا ذهابا فهم الذلة على اذلالهم داعي
الله فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة نوح عليه السلام

سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وادعيته بسم الله
المتجلي بكمالاته في نوح عليه السلام الرحمن بالانذار والامر بالعبادة والتقوى

واطاعة الرسول فی الاحکام الفرعیة الرحیم توعدا لمغفرة والناخیر لمن عبد الله
واتقاه واطاع رسوله انا باعتبار مقام جمعینا بین الجلال والجمال
للخروج من حجب الاول الی نور الثانی ارسلنا نوحا الجامع للمعارف
المطلع علی کیفیة الخروج من الحجب الی الانوار الی قومه الذین هم محل شفقته
لیخرجهم من حجب الجلال الی نور الجمال بالتخویف عن الاول ان انذر قومک
الذین عرفوا نضحک وصدقک عن الحجب الجلالیه من قبل ان یاتیهم عذاب
الیم لو لم یخرجوا عنها قال یا قوم الذین شانهم ان یخافوا ما اخاف منه ویقبلوا
نصیحتی لما عرفوا من صدقی انی لکم نذیر عن البقاء فی الحجاب مبین لما یترتب
علیه من العذاب ولا یصعب علیکم الخروج عنه فغایة ما علیکم فی ذلک ان
اعبدوا الله فان عبادتکم ایاه تخرجکم من حجب جلاله الی نور جماله واتقوه
ان تعبدوا غیره علی اعتقاد انه المظهر الکامل له فتعتقدوا النقص فی کماله
فیغضب علیکم فوق ما یغضب لو انتم بالمعاصی الفرعیة واطیعون فیما انا امرکم
به من الاحکام الفرعیة لتحرزوا عن المعاصی الفرعیة وانما کانت رافعة للحجب لانکم
ان فعلتم ما یغفر لکم طائفة من ذنوبکم التی هی اسباب البقاء فی الحجب وبرفعها
رفع الحجب التی ترکتم فیما مضی عبادة الله وتقواه ومخالفتکم احکامه لا ما
کسبتم بعد الاسلام ولا ما کان من حقوق الخلق وان لم یواخذکم بهذه ایضا
فی الدنیا بل یوخرکم الی اجل مسمی فی حق کل واحد لموته ولا تاخیر له لانه اجل
الله ان اجل الله بالموت فی حق کل واحد اذا جاء لا یوخر لو کنتم تعلمون
انه لا بد لکل واحد من الموت علی اجله لکنه قد یتقدم علیه اذا کان المسمی
معلقا بامر لم یتحقق علی تقدیر عدم تحققه فیصیر هو اجل الله الذی لا یوخر
وبالجملة فی حق کل واحد معین عند الله لو کان مجرما وکذا لو کان معلقا
للجرم بوقوع احد المعلقین فی علمه تعالی فلما عجز عن اخراجهم عن الحجاب قال
رب یا من ربانی بالاطلاع علی کیفیة الاخراج عن الحجاب الی الانوار انی



در نضحک

فیتحقق

اطلعت قومی علی ما اطلعتنی علی اکمل الوجوه لانی دعوت قومی لیلا بالادلة
الخطابیة ونهارا بالبراهین القاطعة علی ضرر الحجاب واستعقابه للعقاب
ونفع العبادة والتقوی واقامة الاحکام المفیدة انوار الجمال فلم یزدهم دعائی
الا فرارا من المدعو واسئ کلما دعوتهم لتغفر لهم معاصی تحجبهم فتدعوهم
الی الفرار جعلوا اصابعهم فی اذانهم لئلا تبلغهم الدعوة المانعة عن الفرار
واستغشوا ثیابهم لئلا یروا الداعی حال دعوته واصروا علی المعاصی الحاجبة
واستکبروا علی المعذب بها استکبارا ثم بعد هذا الاصرار والاستکبار
وجعل الاصابع فی الاذان واستغشاء الثیاب انی دعوتهم جهارا بطریق
المکاشفة الرافعة للاصرار والاستکبار ثم لما انکروا طریق المکاشفة انی جمعت
لهم بین الدلایل العقلیة والکشفیة اذا علنت لهم بالدلایل الکشفیة واسررت
لهم بالدلایل العقلیة اسرارا اذ ضمنها دلایل الکشف التی بها تتم الحجج ویندفع الشبه
فلما لم ینفعهم هذا کله ابتلوا بالقحط والعقم وذهاب البساتین والانهار فقلت
استغفروا ربکم من هذه المعاصی التی حجبتکم عن الفواید الدنیویة لعله یرفع عنکم
الحجب بالکلیة انه کان غفارا فان لم یرفعها بالکلیة رفعها عما استغفرتم لاجله
یرسل السماء السحاب علیکم مدرارا کثیرا الدر ویمددکم باموال بکثرة الزرع
وغیره وبنین بادرار الماء منکم ویجعل لکم جنات تنجر الثمار الارض ویجعل
لکم انهارا بکثرتها الارض بازدیاد ماء او مع ماء السماء فیخرجکم عن الحجب
الموجبة للقحط والعقم وذهاب البساتین والانهار فان احببتم البقاء
فی حجب الجلال فمقتضاه تعظیم الله فحینئذ ما لکم تنکرون علی الله اذ لا ترجون
لا یعتقدون اعتقادا راجحا کاعتقاد الراجی به وقارا عظمة وقد ظهرت
لکم بعض ظهورها فی خلق العالم اذ خلقکم اطوارا تارات عناصر ثم مرکبات
غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما فان انکرتم عظمته فی العالم
قیل لکم الم تروا کیف خلق الله سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض اظهار

الدرجات رفعة وجعل القمر فيهن نورًا ليكون دليلًا على تنوير العالم
بما تنوّر من نوره وجعل الشمس سراجًا أضاءت الكل ليدل على أنه
المنور للعالم والعالم متنور به أظهر بذلك عظم نوره فكيف يتكبرون
على الله مع أنه الذي رفعكم من مكان المهانة إذ الله أنبتكم من الأرض
التي هي أدون الأشياء نباتًا ليرفعكم ثم يعيدكم فيها ليعودوا ويخرجكم
للسؤال عن التكبر عليه وسائر معاصيه إخراجًا للجزاء فكيف يتكبرون لاختلاف
أحوال المحتجبين والمتنورين بالجمال ويكون الكل على بساط واحد من
إشراق نور الوجود وقد دل الله تعالى على اختلافها بعد الجمع إذ الله
جعل لكم الأرض بساطًا لتسلكوا منها سبلًا فجاجًا واسعة فكذا سبل
الجلال والجمال سبل واسعة إلى النار والجنة وإن جمع إشراق نور الوجود
الكل ببساطه قال نوح رب أي يا من رباني بكمال الدعوة إنهم بعد مني
المبالغة في الدعوة عصوني بالإصرار والاستكبار ولم يكن عصيانهم
لاتباعهم من هو خير مني بل اتبعوا من توهموا أخرويته بكثرة المال والأولاد
ولم يعلموا أن خيريتهما إذا اكتسب بهما الآخرة وصولا إنما اتبعوا من لم
يزده ماله وولده إلا خسارًا للأمور الأخروية ولم يكن اتباعهم
إياهم لنصحهم بل لمكرهم فإنهم مكروا مكرًا كبارًا ليشتبه الأمر عليهم غاية
التلبيس ومن جملته أنهم قالوا إن أردتم عبادة الله لا تذرن
عبادة مظاهره التي ظهر فيها بالإلهية فكانت آلهتكم والإلهية إنما
تكون بوجوب الوجود بالذات ولا تتصور في الحوادث وإنما تظهر
بالوجود وهو عام لا يوجب للبعض أن يكون معبودًا للبعض الآخر ولا
تذرن على الخصوص صور رجال صالحين تم لهم التجلي الإلهي وصورهم
في حكمهم فلا تذرن ودًّا فإنه مظهر محبته الذاتية التي هي مبدأ
ظهوره في العالم ولا سواعًا فإنه مظهر ثباته لأنه بمعنى السكون ولا

بالجلال صح

يغوث فإنه مظهر غوثه للمضطرين ويعوق فإنه مظهر منعه ونسرًا فإنه
مظهر قوته ولما تغايرت في المظهرية كانت في معنى الواحد فلم يكرر
لا تغايرها ولمزيد الاهتمام بالأول كرر لا تذرن فيه وقد يدل على
مكرهم في ذلك أن عبادتها لو كانت عبادة الله لكانت موصلة لهم إليه
مفيدة للهداية لكنهم قد أضلوا كثيرًا من العابدين عن الله إذ تشغلهم
بأنفسهم وإذا لم تقع عبادتها لله فهم ظالمون بوضع ما يختص بالله باعتبار
ذاته لمظاهره الجزئية ولا تزد الظالمين إلا ضلالًا إذ لو أفادت أصنامهم
هداية لكانت داعية للكل إلى عبادتها وترك عبادة الله باعتبار ذاته
ولما ذكر نوح عليه السلام عصيانهم بعد دعوته البليغة أشار إلى أن
عصيانهم كان مغفرتهم خطيئاتهم التي لا يبالون لها وهي مغرقة لهم في بحر
المخالفة أغرقوا في بحر الطوفان للمعاقبة الدنيوية فأدخلوا نارًا للمعاقبة
البرزخية فلم يجدوا لهم أي آلهتهم التي عبدوها من دون الله فلم تقع
عبادتهم لله أنصارًا ولو وقعت عبادتهم لله لكانوا أنصارهم بالشفاعة
عنده وكيف يكونون أنصاره وقد قال نوح الذي هو أكمل المظاهر
رب يا من رباني بكمال المظهرية ولم أصيرها آلهة فمن اتخذ من دوني
المظاهر آلهة فهو كافر بك وهو أعظم ظلمًا من نقل عبادتك إلى غيرك لا تذر
من الكافرين ديارًا يسكن دارًا وكيف تتركهم مع أنه مبطل لحكمة
إيجادك العالم إنك إن تذرهم يضلوا عبادك عن عبادتك بعبادة من
دونك ما يتبعوا ولا يلدوا إلا فاجرًا مظهرًا للباطل كفارًا ستارًا للحق
ولما دعا على الكفرة بالمؤاخذة الكلية على نفسه أن يؤاخذ بترك الأولى
وعلى المؤمنين أن يؤاخذوا بالمعاصي الفرعية فقال رب اغفر لي
ما يكون معاصي بالنسبة إلى ما هو ترك الأولى واغفر لوالدي معاصيهما
وهما لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين فدعا لهما بالتكميل

في بحر المخالفة لذلك بما صح

خاف صح

ره بهما ولمن دخل بيتي سفينتي مؤمنا لئلا يغرقها الله بمعصية احدهم
وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة لئلا يؤثر معاصيهم في المستقبل في
اغراقهم بآبائهم ولا تزد الظالمين بعد اغراقهم وادخالهم النار الا تبارا
هلاكا زيادة العذاب لانه لو لم تزد عليهم لاعتادوا بها بالغفلة فلا يجدونه
عذابا وكان ذلك في معنى المغفرة لهم فيشاركون المؤمنين في نوع من
المغفرة تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الجن

سميت به لاشتمالها
على تفاصيل احوالهم في تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون افعالهم
اشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم اياهم بسم الله
المتجلي بكمالاته في وجه الرحمن باسماعه الجن والانس الرحيم بالاطلاع من
اطلع منهم على محاسن الايمان وقبائح الكفر وعلى عجائب القرآن وانطاقهم
بذلك قل لمن يقول انما كان القرآن معجزا للبشر لكونه كلام الجن انهم اعترفوا
باعجاز القرآن لا بطريق الحزر منهم حتى يحتمل الصدق والكذب بل بطريق الوحي
الالهي فانه اوحي الي انهم اعترفوا باعجازه حين انه استمع نفر من الجن
فرجعوا الى اصحابهم فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا جامعا للحقائق الالهية
والكونية والاحكام والمواعظ وجميع ما يحتاج اليه من امر الدين عجبا
غريبا لا يناسب عبارات الخلق ولا يدخل تحت قدرتهم ومع ذلك
يهدي الى الرشد الذي هو اعلى مراتب الحسن فعلمنا انه لا يكون الا من
الله لتصديق رسوله فآمنا به اذ لو لم نؤمن به لزمنا الاشراك بالله في
انزال المعجز ولكن لن نشرك بربنا احدا وكيف نشرك به مع ان الاله
يجب ان يكون له اعلى مراتب العظمة على الاطلاق انه تعالى جد عظمة
ربنا ان يشارك فيها او يكون من يقاربه في العظمة لذلك ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا وانما كنا نقول بالصاحبة والولد والشريك اتباعا لابليس على

سفاهته انه كان يقول سفيهنا ابليس على الله شططا ما بعد عن شانه ولكن
ما عرفنا ذلك انا ظننا ان اي انه لن تقول الانس والجن مجترئين على الله كذبا
اذ لا يجترئ به على ذي جاه من الخلق فكيف على الله ولكنهم اجترؤا من الكبر
الحاصل لهم من قول الانس انه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن يقولون اذا امسوا بقفر اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء
قومه فزادوهم رهقا طغيانا على الله وانما اجترؤا لظنهم ان لا بعث انهم اي
الجن ظنوا كما ظننتم ايها الانس ان اي انه لن يبعث الله احدا وقالوا انما
استمعنا هذا القرآن حين منعنا من اخبار السماء انا لمسنا السماء قصدنا
الوصول اليها كما نريد لمسها فوجدناها ملئت لملكه تحرسنا من الوصول
حرسا شديدا فيها لا يمكننا معه ومنعها بما سهم لشهب يرموننا به وانما قصدنا الوصول
اليها لاستماع كلامهم انا كنا نقعد منها من السماء مقاعد كثيرة للسمع لنسمع
كلام الملئكة باخبار تحدث في الارض ليخبر بها الكهنة وكانت خالية عن
الحرس والشهب فمن يستمع الآن بعد نزول القرآن يجد له شهابا رصدا
مرصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بمنعهم اخبارها تحفظا لها
ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا فمنع الشياطين ان يخلطوا اكاذيبهم فالظاهر
ارادة الرشد انا منا الصالحون لا يضمون الى ما سمعوا شيئا من الاكاذيب
ومنا دون ذلك يضمون الى ما سمعوا اكاذيب فيخلطون الصدق والكذب
وهو خلط الصلاح بالفساد ولا يبقى اكاذيب واحد كاكاذيب الاخر فيلزم
الاختلاف اذ كنا طرائق قددا متفرقة فلا يبقى الا الاكاذيب ايضا فمنعت
جميع تلك الطرق الصدق المحض وهو الوحي وانا عند غلبة الظن ارادة
الرشد بمثل الارض ظننا انا لو بقينا على ما نحن عليه لا بعد ان يهلكنا و
ظننا ان اي انه لن نعجز الله مع انحصارنا في الارض ولن نعجزه اذ يربنا
من ظهرها الى بطنها هربا وانا ظننا انه انما يهلك من لا يؤمن بالهدى بعد

الاطريق صح

سماعه لذلك لما سمعنا الهدى آمنا به لنا من فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بخسا نقصا لطاعته ولا رهقا ذله فضلا عن الإهلاك وهو مع هذا لن نؤمن الكل
بل أنا منا المسلمون المنقادون للحق ومنا القاسطون الجائرون عنه
فمن أسلم فأولئك تحروا اجتهدوا اقصدوا رشدا فازوا بخير الدارين
وأما القاسطون فهم لو فازوا بخير الدنيا خسروا الآخرة فكانوا لجهنم حطبا
أي موقودا ولا يبعد تعذيبهم بالنار فإنه لا يتنعمهم بالماء ولا شك أن أي أنه
الشأن لو استقاموا على الطريقة المرضية لأسقيناهم تنعما لهم في الدارين
ماء غدقا كثيرا وإنما جعلنا ذلك تنعيمهم لنفتنهم لنختبرهم هل يشكرون فيه فيقيس
عليه التعذيب بالنار أم لا ولا شك أن من يعرض عن ذكر ربه يسلكه
يدخله عذابا يعلوه صعدا سواء كان بالنار أو بغيره ومن الإعراض
عنه دعوة غيره سيما في المساجد لما أوحي إلي أن المساجد لله أي مبنية
لعبادته فلا تدعوا فيها مع الله أحدا لئلا يجعلوها مشركة بعد ما بنيت مخصصة
وإنما أشركوا لتعجبهم من عبادة الله وحده حتى أوحي إلي أنه لما قام رسول
الله الذي هو عبد الله بحيث لا يشاركه غيره إذ بعثه داعيا إلى توحيده

لايتصور صح

يدعوه في المسجد الحرام الذي لم يبن إلا له كادوا أي المشركون
يكونون من تعجبهم عليه لبدا متراكمين كلبدة الأسد ولم يكن يشعر بهم
لاشتغاله بربه فلما أوحي إليه قل لا عجب في ذلك إنما أدعو ربي الذي
أرسلني داعيا إلى توحيده ولا أشرك به أحدا على خلاف ما أرسلت به
فإن قالوا سل ملك لنا بهذه الدعوة شيئا قل إني وإن بلغت من قربه بهذه الدعوة
ما بلغت لا أملك لكم ضرا بتعجيل العذاب ولا رشدا بدفعه فإن قالوا إنما
فاتت عبادتك له قل إني لو عبدت غيره لن يجيرني يمنعني من عذاب الله أحد
عبدته أو نفعته في عبادة الغير وكيف أعبد غيره وأنا منجذب إليه بحيث
لن أجد من دونه ملتحدا ملجأ إلا بلاغا تبليغا للفيض من الله ورسالاته فإني

أجد بهما ملجأ من دونه لكن نهما في حكمه وإذا كنت في حكمه حال الانجذاب إليه
وغيره كان عصياني كعصيانه ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وهم
وإن كثروا يكونون خالدين فيها أبدا لكن لا يبالون له اعتمادا على كثرتهم
وشفاعة أصنامهم فلا يزالون على ذلك حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون
من أضعف ناصرا الأصنام أو الرسل وأقل عددا الكفار أو المسلمين
فالمسلمون وإن قلوا فهم لكمال قوتهم أكثر عددا والكفار وإن كثروا فهم لغاية
ضعفهم أقل عددا فإن قالوا لو عرفت ذلك لعرفت وقته قل إن أدري
أقريب ما توعدون استعجالا للجزاء بعدا سحقا له أم بعيدا إذ يجعل له
ربي أمدا من يكثر له ولا سيما ولا بعد علي أن أجهل بعض الأشياء بما أعلمه
من وجه فلست علم الغيب بل الله على الخصوص عالم الغيب فلا يظهر لا
يطلع على شيء من غيبه أحدا برفع التلبيس عنه من كل وجه إلا خاصة من
ارتضى من رسول فإنه يطلعه على الغيب مأمونا عن التلبيسات إذ يسلك
في إيصال غيبه إليه ملك رصد ملكه من بين يديه ومن خلفه رصدا
يحرسه من تلبيسات الشيطان والولي إذا اطلع على الغيب فلا يأمن
من التلبيسات بهذا الطريق بل بعلامات أخر وكثيرا ما يحتاج إلى شواهد
الكتاب والسنة وإنما فعلنا باطلاعه ذلك ليعلم الرسول أن أي أن الشأن
قد أبلغوا أي الملك الحامل للغيب والمترصدون معه رسالات ربهم من
غير تغيير شيء منها من جهة الشيطان ولا نقص من جهتهم لأنه تعالى
أحاط بما لديهم من الطبائع والأخلاق كيف وقد أحصى كل شيء عددا
فيحيط بعدد طبايعهم وأخلاقهم ولكن الرسل لا يطلعون على جميع الغيوب
لنفي الاختصاص الإلهي بحاله فافهم والله الموفق والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

## سورة المزمل

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي لأن أقوى الخلائق كان يرتعد عند

فيتزيل لبسم الله المتجلي بكماله في المزمل صلى الله عليه
وسلم حتى ارتعد لها فزمل صلى الله عليه وسلم الرحمن بامره بقيام الليل
على احرا بحلية الرحيم بالامر بترتيل القرآن يا ايها المزمل خطبه اشارة
الى عظم ما حمل عليه وانه لا يحف الا بتقوية الحبيب الى الله وذلك بقيام
الليل قم الليل الا قليلا نصفه اي قم نصف الليل الا قليلا بتقربه الى الثلث
ذكر الليل اولا ليعلم ان الاصل قيام كله ثم لما استثنى توهم انه استثناء منه
فدل على انه لا يعتبر نقص القليل ثم لما ذكر النصف علم انه تقوم مقام الكل وان
نقص منه القليل ثم قال او انقص منه قليلا اي او انقص من القليل المستثنى
قليلا لتقارب النصف فانه اولى لقيامه مقام النصف القائم مقام الكل او زد
عليه اي على النصف بحيث تقارب الثلثين فهو وان نقص عن الكل في حكم الزائد
على الكل ثم امرها بنشطه فقال ورتل القرآن بين حروفه بحيث يمكن السامع
من عدها ترتيلا تمكن التامل فيها ليظهر لك عظمته التي لاجلها ثقل الاحاطة
بما فيه انا سنلقي عليك بالتامل في القرآن بعد الوحي قولا ثقيلا عظيما ثقيل
عليك الاحاطة بعجائبه وتخصيصه بالليل لشدة تاثير القراءة فيها ان ناشئة
الليل اي القراءة التي تنشا بالليل هي اشد وطأ تاثيرا في مواطأة القلب
اللسان واقوم قيلا اي اقوى الاقوال رسوخا في القلب ولا يتحقق ذلك بالنهار
لكثرة اشتغاله ان لك في النهار سبحا تقلبا طويلا في المهمات الشاغلة للقلب
فلا يتم فيه المواطاة والقوام والنهار وان كان فيه سبح طويل فلا ينبغي
ان يعطل بل اذكر اسم ربك ولا تشغلنك مهماتك عنه بل تبتل انقطع عنها
اليه واقطعها تبتيلا فان لم تنقطع عنها فانظر الى الله تعالى فيها فانه رب
المشرق والمغرب فله الظهور في الاشياء مع البطون عنها اذ لا وجود لها
بدون ذلك لانه لا اله الا هو فلو لم يظهر فيها اصلا لم توجد ولو ظهر بالكلية
لم توجد ايضا كما ان الظل بالشمس ولا ظل مع الشمس فلو لم يمكنك النظر اليه

في مهماتك فاتخذه وكيلا يحصلها لك فانه اقدر على تحصيلها واعلم بالمصالح
منك واذا انتبلت الى الله تعالى اصبر على ما يقولون من نسبتك الى الجنون
وان لم تخاف لك الصبر مع اختلاطهم اهجرهم جانبهم هجرا جميلا لا حزن معه
ولا غش ولا جزع وان كذبوك ففي كفاية الله تعالى من انقطع اليه او توكل
عليه ذرني والمكذبين لانكارهم نسبة النعم الى كونهم اولي النعمة لكن
ينسبونها الى اكسابهم ويكفرون بالمنعم الحقيقي ومع ذلك لا استعجل عليهم بل
مهلهم زمنا قليلا من اجلهم لازيدهم نعما فيزدادون كفرا فازيدهم عذابا ان
لدينا انواعا من العذاب انكالا قيودا اثقالا لتقيدهم بالعالم المحسوس
وجحيما نارا بحبسها مع ثقلها اذ حبستهم الشهوة والغضبية لاجل
المحسوسات وطعاما ذا غصة ينشب بالحلق لكفرهم بالاطعمة السائغة لهم
وعذابا اليما من ضرب الزبانية ولدغ الحيات والعقارب وغيرها بالاخلاق
الردية التي كانت لهم وهم وان لم يدركوها اليوم لا يستتر رجحهم بالارض
يدركونها يوم ترجف تضطرب بغلبة الريح الارض فتخرج جهنم من تحتها
ولا يمنع منها الجبال اذ ترجف الجبال ويعلوها فوق الريح حتى كانت
الجبال كثيبا مهيلا رملا سائلا ولا يبعد ان يأخذكم بالعذاب الاخروي
مع كونكم مثل فرعون انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم يلزمهم الحجة
الموجبة للمؤاخذة من عصيانكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول فصار شاهدا عليه فاخذناه في الدنيا اخذا وبيلا ثقيلا اذا
اسكناه واعطيناه ملكه اعداءه فان اتقيتم اليوم عن مثل عذابه بان لا تدخلوا
البحر كما دخله فكيف تتقون تتحفظون العذاب ان كفرتم يوما يجعل
الولدان شيبا من اهواله واصله ان الهم تضعف القوى وتسرع بالشيب
ويكفي من اهوال ذلك اليوم انه السماء منفطر به منشق في ذلك اليوم
وهذا وان كان في الاصل ممكنا صار بوعد الله واجبا اذ انه كان

الصموم

وعدا مفعولا وليست هذه الكلمات ترهات لا يعبأ بها بل ان هذه الكلمات
تذكرة من عظة تدعو للتقرب الى الله تعالى فمن شاء اتخذ الى القرب من
ربه سبيلا بالاتعاظ وان زعموا انه انما يكون سبيلا الى الله تعالى لو وافق
التورية والمخالف كفرعون يستحق المواخذة كمن كفرها او ترك العمل قبل النسخ ولما
من آمن وعمل قبل النسخ وترك بعده فلا كمن عمل بمنسوخ هذا الكتاب ثم
تركه بعد النسخ كالتهجد ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل تارة ومن
نصفه تارة ومن ثلثه تارة تختار الادنى بعد اختيار الاعلى للعجز عنه وتقوم
كذلك طائفة من الذين معك تخصيصا من الامر به قبل النسخ والله
تعالى نسخه بمقدار غير محدود اذ تقدير الليل والنهار مقادير مختلفة فلا
يبعد ان تقدر عبادته بمقدار آخر غير ما قدره اولا كيف وفيه المصلحة كمصالح
اختلاف مقاديرهما اذ علم ان لن تحصوه لن تحفظوا تلك المقادير المعينة
لصعوبتها فتاب عليكم بترك المقادير المعينة فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا
مقدار قراءته بيسر ثم نسخ غير المحدود ايضا بالصلوات الخمس بقوله علم ان
اى انه سيكون بهذا القيام ولو غير محدود منكم بعضكم مرضى وسيكون
بعض آخرون يضربون يسافرون في الارض يبتغون من فضل
الله للتجارة او لطلب العلم والقيام يعطل عليهم ذلك وسيكون آخرون
يقاتلون في سبيل الله والقيام يرهبون من العدو ووجه الترتيب ان الاول يتعلق
بالبدن والثاني بالبلد والثالث بالخارج فاقرؤا ما تيسر منه من القرآن واقيموا
بتلك القراءة الصلوة المفروضة من الخمس ولما لم يكن نصا في اجزاء اى قدر
من المتيسر لم يعارض قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب
وآتوا الزكوة قطعا لمحبة المال تكميلا لما فات من كمال الصلوة بترك قيام
الليل ولا تشترط في قطع هذه المحبة صرف الاموال الى الزكوة بل يكفي تكميل
اياه لمن استقرضه اقرضوا الله قرضا حسنا لا رياء فيه ولا عجب ولا منع منا

يقال انما يستحق المواخذة

كالتهجد رر

من الزيادة على قدر الواجب بل ما تقدموا لانفسكم من خير من الصلوات
النافلة والصدقات المتطوعة والقيام بالليل والصيام بالنهار تجدوه
عند الله هو خيرا لجازيكم بها في الدنيا علاوة القرب واعظم اجرا في الاخرة
وان بقى مع ذلك خوف ذنب استغفروا الله ان الله غفور رحيم تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله اجمعين

## سورة المدثر

سميت به لدلالته على عظم امر
الوحى بحيث كان يرعد مرة بعد اخرى بحيث يوجب التدثر في بعض
الاوقات بسم الله المتجلى بكمالاته في المدثر لانها
اوجب رعدة الداعي الى التدثر الرحمن بجعله مخوفا بعد كونه خائفا
الرحيم بامره بتكبير الرب والطهارة والصبر وغيرها عن جابر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فترة الوحى بينا انا امشى سمعت صوتا
من السماء فرفعت راسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى
بين السماء والارض فجثثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى
فانزل الله تعالى يا ايها المدثر اى المتغطى بثوبه خوفا من ملك الوحى حتى
ان لا تخافه بل تخوف به الناس قم قيام جد فانذر الناس عذاب ربك
وربك فكبر ليقع في قلوبهم عظمة عذابه لانها تقدر المعذب ولا بد من
من المبالغة في التخويف ليكون ادعى الى تطهير الظاهر والباطن ولما كان
نجاسة الظاهر من الامور الخارجية والباطن لا يطهر الا بعد طهارته
قدم طهارة الثياب فقال وثيابك فطهر لا يتلوث ظاهرك بنجاستها فيتلوث
في الباطن والرجز نجاسة الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الذميمة
والاقوال الكاذبة والافعال القبيحة وساير النجاسات المحسوسة فاهجر
فجانب لتناسب الرب المنزه فتستفيض منه وتفيض على الخلق ومن اعظم
ملوثات الباطن الطمع لذلك لا تمنن تستكثر لا تعط احدا شيئا تطلب

صلى الله عليه وسلم

عوضه اكثر فانه من الطمع الملوث للباطن و اذا غلبك طمع او ملوث اخر
لربك اى لطلب رضوانه وثوابه فاصبر فانه اجل عوض من المطموع
فيه وكيف لا يصبر عن الملوثات وهي موجبة للشدائد في اشد الايام
ولا يمكنه الصبر عنها اصلا فاذا نقر في الناقور الصور وقرن اخر
فذلك يومئذ يوم عسير اى فوقت ذلك النقر في جملة اوقات يوم القيمة
الذى هو اشد الايام وقت عسير لا نسبة لعسرها بما جرائه اليه لكن لا يكون
عسره في المؤمنين فضلا عن المقربين بل انما هو على الكافرين غير يسير واذا
علمت عسر هذا اليوم على الكافرين من قهرك عليهم فلا تستعجل عليهم قبل ذلك
اليوم بل ذرني ايها المامور بالصبر بعد الانذار بهجوم النقر ومن خلقت
فكان مخلفا قابلا للقهر وقد استوجبه اذ كفر بنعمتي بعدما خلقته وحيدا
ليس له مال ولا جاه ولا ولد والمراد الوليد بن المغيرة وجعلت بطريق الانعام
والتفضل له مالا ممدودا امتنوها بالنماء من زرع وضرع وتجارة و
بنين شهودا حضورا يتمتع بلقائهم لا يسافرون لطلب المعاش استغناء
بماله ولا يرسلهم الى مصالحه لكثرة خدمه وكان له عشرة اولاد اكثرهم رجال
اسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام واخرهم عن ذكر المال لانهم بدونه
ثقل ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب
ريحانة قريش واخر الجاه عن الاولاد لانهم من جملة اسبابه ثم يطمع عليه من
كفران النعم ان يطمع ان ازيد نعمه كلا زجر له عن هذا الطمع انه كان لاياتنا
عنيدا ومعاندة الايات معاندة منزلها وهي تقتضي ازالة النعم فاين الزيادة
قيل ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساكلفه
صعود جبل من نار اذا وضع الكافر يده او رجله ذابت فاذا رفع عاد
لانه سعى عن ايات الله بسلوك طريقة شاقة من العناد روى انه لما نزل
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام صلى الله عليه وسلم

في المسجد والوليد بن المغيرة يسمع قراءته فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد
انفا كلاما ليس من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم خرج
فقالوا صبا والله الوليد وليصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه
فجلس الى جنبه حزينا فقال ما لى اراك حزينا يا ابن اخى فقال هذه قريش يجمعون
لك نفقة يعينونك على كبر سنك يزعمون انك زينت كلام محمد لتنال من فضل
طعامه فغضب وقال الم يعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد
واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع ابى جهل حتى اتى قومه
فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يجن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون
انه كاهن فهل رايتموه يتكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل
رايتموه ينطق بالشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم
عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه
ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
وما الذى يقوله سحر يؤثر فقال تعالى انه فكر في القران وقدر نظر في مقدار
عظمته فقتل كيف قدر اى بلغ مبلغا استحق من حاسد ان يدعى عليه
ثم زاد في هذا المعنى فقيل كيف قدر ثم نظر في امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم
عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا وبسر اهتم اذ لم يدر ما يقول ثم
ادبر من النظر واستكبر على ما استعظمه من القران فقال ان هذا ما هذا
القران الا سحر غايته انه فعلى يؤثر يروى ويتعلم ان هذا كان سحرا او لا
الا قول البشر فهذا منه غاية العناد الموجب غاية الغضب من اجله
ساصليه سقر التي هي مظهر القهر الالهي وهي من كمال مظهريتها له ما ادريك
يا اعلم الخلائق ما سقر وغاية ما يمكن من تعريفها انها لا تبقى من الذى فيها
حيا ولا تذر ولا تتركه ميتا اى محترقا بل يجدد في كل مرة جلده وهذا كما لا ترك

المعاند الدليل بدله ولا يقدر على منعه وانما قلنا لا تذر لانها لواحة للبشر مسودة للجلد وذلك في معنى الموت وثمة موت آخر هو ضرب الزبانية اذ عليها تسعة عشر زبانية على عدد القوى الاثنى عشر الحيوانية الشهوة والغضب والحواس الخمس الظاهرة والباطنة والسبع الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة تضرب كل واحد منهم بمقتضى صرف تلك القوى عما خلقت من اجله ولما نزلت قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اخبر ابن ابي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان ايعجز كل عشرة ان يبطش بواحد منهم فقال ابو الاشد انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني اثنين فنزلت وما جعلنا اصحاب النار خزنتها المعذبين لاهلها الا ملائكة لا يمكن مقاومة احدهم لجميع البشر وما جعلنا عدتهم عددهم القليل الا فتنة اختبارا للذين كفروا انهم يستبعدون ويعاندون او يشكون او يجزمون ببطلانها عن الجهل المركب لكن لا وجه للشك والجزم بالبطلان لانها ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لموافقته في كتبهم ويزداد الذين آمنوا بتصديقهم ايمانا وليس استيقانهم بحث يبقى معه شبهة لا يوثر بل بحث يوجب ان لا يرتاب بوجه من الوجوه الذين اوتوا الكتاب وقصروا كما لا يرتاب المومنون ومع هذا يبقى الجهل المركب للمنافقين والكفار ليقول الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والكافرون ماذا اراد الله بهذا العدد المستغرب الواقع مثلا في الغرابة كذلك اي مثل هذا الضلال مع يقين اهل الكتاب والمومنين يضل الله بخلق الجهل المركب من يشاء ومثل منع الهداية عن الاطلاع على اسرار كتابه يهدي من يشاء ولا وجه لشكهم وانكارهم مع جهلهم بجنود الله اذ ما يعلم جنود ربك الا هو وكيف لا يكون في اليقين بهذه العدة هداية وما هي الا ذكرى للبشر انه يتسلط عليه عدد من الزبانية بعدد ما اختل من

قواه ومن ضل بهذه العدد تعالى له كلا اي ارتدع عن اعتقاد المهانة بهم والقمر الذي ينتظر غروبه للاغارة وهو مثال ذهاب الحجة الذنوبية التي تغار بعدها الزبانية السفلية والليل اذ ادبر فيدخل وقت الاغارة وهو مثال ذهاب حجب المحسوسات والصبح اذا اسفر فيدخل وقت الاغارة وهو مثال انكشاف عالم الغيب الذي ينكشف به مضار تلك اللذائذ هذه امور قليلة العدد مع ان كل واحد منها وقت الاغارة فيكبر امرها انها اي ان هذه العدة لاحدى الكبر اي الامور الكبار التي لا تكثر عددها بل يكون احدها نذيرا للبشر كلهم فيها هداية او ضلال لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر وكيف لا يكون احدى الكبر مع انه كل نفس بما كسبت من القوى رهينة محبوسة على ايدي هولاء الزبانية الا اصحاب اليمين فانهم بقوة روحانيتهم لما صرفوا اسمائهم الى الجهة العلوية صاروا في جنات يتساءلون عن ضعف المجرمين في مقاومة قوتهم الجاذبة الى العالم السفلي يقولون لهم ما سلككم مع كمال عقلكم الذي يمكنكم مقاومة القوى في جذبها الى العالم السفلي لتنجذب الى العالم العلوي في سقر قالوا لانا لم نصرف القوى المحركة الى الصلوة والزكوة الجاذبتين الى العالم العلوي اذ لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فلم نصرفها الى العبادة البدنية والمالية ولكن صرفناها في غير مصارفها اذ كنا نخوض نشرع في الباطل مع الخائضين متابعة لهم وجعلنا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل بحيث كنا نكذب بيوم الدين الذي خلق العقل من اجله ولم نزل على ذلك حتى اتانا اليقين الموت فاذ جعلوا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل متابعة الخائضين يكذبوا بيوم الدين فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو اجتمعوا عليها اذ لم يبق لعقولهم قابلية النور من نورهم واذا كانت هذه الكلمات لهذه الفوائد الجليلة المذكورة لما تم عليه فما لهم فاي مانع حصل لهم عن التذكرة بحيث صاروا عن التذكرة

معرضين كأنهم في الاعراض عن البلاد حمر وحش النفار عن استماعها
مستنفرة بنفرها راعيها مع انها نافرة بانفسها اذ فرت من قسورة اي
عن الاسد لانهم تخافون ان تناشدوا بهذه التذكرة فيدعوهم الى الايمان
بما انزل على الغير وهم لا يريدون الايمان بما انزل على الغير بل يريد كل
امرئ منهم ان يؤتى صحفا قراطيس منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة
كلا زجر عن ترك خوفها انه اي خوف الآخرة تذكرة بنفسها لو لم يخوف
منها فانها تتضمن التخويف بنفسها فمن شاء ذكره اي خوف الآخرة ولكنهم
لغلبة حب الدنيا عليهم ما يذكرون خوفها الا ان يشاء الله فانه يخافها
لانه يدل على الرجوع اليه وهو مخوف اذ هو اهل التقوى فلقوته مقتضى
للمغفرة اذ هو اهل المغفرة تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة القيامة

سميت بها لتضمنها غاية تعظيم ذلك
اليوم من لاتناهي ثوابه وعقابه بحيث يتحسر فيه كل نفس من تقصيرها
وان عملت ما عملت بسم الله المتجلي بكمالاته في القيمة اذ
ظهر فيه بما لا يتناهى من آثار جلاله وجماله الرحمن بجعل ثوابه وعقابه
غير متناهيين الرحيم باعلامه لتلافي التقصيرات لدفع ما لا يتناهى من
العقاب وجلب ما لا يتناهى من الثواب لا اقسم اي لا حاجة الى القسم
بيوم القيمة الذي يعم فيه التحسر على التقصيرات ولا اقسم بالنفس اللوامة
في الدنيا اربابها على تقصيراتهم اذ كل انسان لا يخلو عن تقصير في معرفة الله
وعبادته ومن اعظم تقصيراته انه لا ينظر في عواقبه ايحسب الانسان
ان لا عاقبة له اذ لا بعث لا لظنه انه مبني على اعادة المعدوم التي يتوهم
امتناعها عن شبهات واهية بل يحسب ان لا يكون بجمع الاجزاء المتفرقة
ايضا فيظن ان اي انه لن نجمع عظامه المتفرقة بلى نجمعها قادرين على

ما هو اعجب من الجمع وهو ان نسوي بنانه اي نهي سلاميه لاعمالها
لتنوع الحكمة على الهيئة التي صدرت الاعمال عليها ولا يحتاج في هذا
الى التعمق لكن الانسان لا يلتفت اليه لاجابة التوجه الى الله تعالى
والاعمال الصالحة له ولا يريد الانسان ذلك بل يريد الانسان قطع
النظر عنه ليفجر امامه اي في المستقبل كما فجر في الماضي فاذا امر بالنظر عنه
يسأل الآمر ايان متى يوم القيمة الذي تامرني بالنظر فيه فاني لا انظر
فيه ما لم اعلم وقته لكن النظر فيه لا يتوقف على معرفة وقته بل يكفي له العلم
بانه لا بد من لقاء الله تعالى ولقاؤه انما يكون يوم القيمة بظهور نوره
فيه وكانه يريد تأخير الايمان به الى وقته لكن موجب للحيرة الداعية الى
الفرار فاذا برق تحير لرؤيته البصر تحيرة لرؤية البرق وكيف لا وقد خسف
عند ظهوره القمر وان كان لا يخسف لرؤية الشمس بل جمع الشمس والقمر
في الانخساف لانمحاء نورهما عند ظهوره فاذا رأى الانسان هذا
النور المحير يقول الانسان يومئذ لعموم النور فيه الاماكن اين المفر
كلا زجر له عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ عن تحيره ولا عن سخطه بل الى
نور ربك في كل مكان يومئذ المستقر وبه يظهر ما يوجب سخطه اذ ينبؤ
الانسان يومئذ يوم ظهور نوره المظهر للاشياء بما قدم عمل واخر
فلم يعمل مع انه لا حاجة الى انبائه بذلك بل الانسان مطلع عليه بنفسه
لانه على نفسه بصيرة كاملة النظر بما فيها ولو القى معاذيره الكاذبة عند
الانباء وذلك الانباء من اطلاعهم على نور الحق مع تحيرهم اياهم كاطلاعك
على اسرار الوحي مع تحيرك عنه حتى قبل لك لا تحرك به مما تثبته
حال حركتك بالوحي لسانك لتعجل به بحفظ خواصه فوائده عن التحير
ان علينا جمعه في قلبك بمعانيه وقرآنه تصويره بصور الحروف فاذا
قرأناه بتصوير حروفه فاتبع قرآنه بالاستماع اليه ثم ان بقي فيه اشكال

ان علينا بيانه فان زعموا ان غاية ما يحصل لهم يومئذ الحيرة من نورها
الحق لحيرتك من رؤية جبريل ولا تفضي ذلك الى عذاب يوجب الفرار
بل هو ملك لذة عظيمة وهي اقصى اماني المغرمين اليه تعالى لهم كلا زجرا
عن تمني اللذة بل لا يحصل لهم رؤية اصلا لانهم يحبون العاجلة فيصير حجبها
حجابا لهم ويذرون الآخرة فلا يعملون لها عملا يفيدهم نورا يرون به نوره
تعالى ولا يحصل لاهل الكمال حيرة من رؤيته بل لهم وجوه يومئذ لظهور انوار
الاعتقادات والاعمال منه على تلك الوجوه ناضرة مشرقة فهي بقوة ذلك
النور الى نور ربها ناظرة عيانا بلا حجاب ولا حيرة وتاويل الآية بانتظار
الانعام مردود لان الانتظار لا يسند الى الوجه ولا يعدى بالى ووجوه
يومئذ تقع في الحيرة الموجبة للفرار لو حصل لها رؤية لانها باسرة شديدة
العبوس فلا يناسب ربها في النورية ولها حيرة من اعمالها الطالحة و
تقصيراتها عن الصالحة تظن تتوقع من اجل ذلك ان يفعل بها فاقرة
داهية تكسر الفقار فاني يكون لها لذة الرؤية لو رأت فان زعموا ان
هذه الامور من خصائص يوم القيمة لو وجد لكن لا وجود له ولا لكون
قبله تعالى لهم كلا بل يكون عند الموت ايضا فانه اذا بلغت النفس التراقي
عظام النفس وقيل اي قالت الملائكة من راق يرقى بروحه ملائكة
الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق فراق الدنيا والتفت الساق
بالساق الوقت الشدائد الدنيا بشدائد البرزخ كالتفاف الساق
بالساق الى ربك الموجب لهذا التحير من رحمته ومن سائر الشدائد
يومئذ قبل القيمة المساق سوق العبد الآبق ومن جهة سواله فاذا
سئل عن اعتقاداته واعماله فلا صدق بالله وآياته ورسله ولا صلى الصلوة
التي هي راس العبادات ولكن كذب بدل التصديق وتولى بدل
الصلوة التي بها كمال التوجه الى الله تعالى ثم مع سنخ التقصيرات

في جنب الله ذهب الى اهله يتمطى يتبختر فقال له اولى لك المعاقبة فاولى
الزيادة في البرزخ ثم في القيمة اولى لك فاولى له رؤية الله او السعي بها ايحسب
الانسان باعتقاد مشاركة الكل المؤمنين في السعي رؤية الله تعالى ان يترك
سدى مهملا لا يجازى على اعماله ولا يسال عن نعمه كانه لم ينعم عليه الم يك
نطفة ماء قليلا من مني يمنى تصب في الرحم ثم كان علقة فخلق اعضاءه منه
فسوى تلك الاعضاء لاعمالها فجعلها مختلفة بل وضع اصلها على الاختلاف
فجعل منه الزوجين ليدل اختلافهما على اختلاف الجزاء وذلك بحسب
كمال القوة النطفية والعلقة ونقصهما كما جعل منه الذكر والانثى ولا ينكر ذلك
الامر العاجز لكن أليس ذلك الذي قدر على احياء النطفة والعلقة
لعمارة الدنيا بقادر على ان يحيي الموتى لعمارة الآخرة على الابد ثم لله
المنعم والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الانسان

سميت به
لتضمنها ان الانسان ينقل من ادنى الاحوال الى اعلى الدرجات بلا
عمل ولا اعتقاد فكيف لا ينقل اليها بالاعمال الصالحة والاعتقادات
الصائبة ولو تركهما لنقل الى ادنى مما كان عليه بسم الله
المتجلي باشراق انوار ذاته وصفاته في الانسان الرحمن بهدايته السبل
الرحيم بترتيب الجزاء عليها هل اتى قد اتى على الانسان حين طائفة
محدودة من الزمان من الدهر الزمان الغير المحدود لم يكن فيه شيئا
ثابتا في الخارج بل مذكورا في الذهن فضلا عن اللفظ والخط ثم كان حين
وجوده متهورا الفقر منا انا خلقنا الانسان متهورا بالذلة في اصله
المادي اذ كان من نطفة وفي منشا مادته اذ كان من امشاج مختلط من
الرجل والمراة حاصل من جماعهما وفيه ذلة ثم حين فاضت عليه الصورة
الانسانية كان متهورا بالابتلاء اذ كنا نبتليه بل نصيرها بما فيه عابدا

دائم لا لجعلناه لتحصيل مقدمات المعرفة والعبادة سميعا بصيرا ل
يصرف سمعه وبصره الى استماع آيات الله والنظر فيها ثم انا ابتليناه بالدلائل
العقلية والنقلية اذ هديناه السبيل سبيل المعرفة والعبادة فجعلناه اما
شاكرا ليقبل نعمة الهداية واما كفورا يرد ما ثم اذا كفر يحق عليه انواع القهر
الالهي لا متاخرة الى الآخرة من كل وجه بل معجلة قبلها انا اعتدنا للكافرين
لانكارهم الصانع القديم الموجب لتسلسل الحوادث سلاسل لحبسهم
الا دله ان يمشي طرفها اغلالا لان لحرفهم وجوه دلالتها سعيرا وان الشاكرين اما من
الابرار او المقربين بالاعمال والاحوال ان الابرار يشربون من كاس
خمر بدل السعير كان مزاجها بدل حرارة السعير فيتنه كافورا اي طرا عين
الكافور ذي البرودة والرايحة الطيبة وكانت عين الكافور عينا مخصوصة
لمقربي الاعمال يشرب بها عباد الله المقربون لكونهم ارباب اليقين
البارد واهل الروايح الطيبة يفجرونها في الدنيا باعمالهم تفجيرا لانفسهم
ولمن دونهم وذلك انهم يوفون بالنذر بكل ما الزموا انفسهم من الوظايف
التي هي في الاصل نوافل وما يوفون بنوافل لم ينذروها لانهم يخافون
لو تكاسلوا ان يلحقهم ظلمات الطبع الداعية الى المعاصي التي تضرهم
يوما كان شره مستطيرا منتشرا اي قد بالغوا في قطع الشح المطاع من جملة
تلك الظلمات اذ يطعمون الطعام غالبين على حبه مسكينا عجز عن تحصيله
ويتيما عجز منه واسيرا اشد عجزا منهما وان صاروا في الاحتياج اليه
مثلهم عن ابن عباس ان الحسن والحسين عليهما السلام وعليهم الرضوان
مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن
لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة على نبينا وعليهما الصلوة والسلام
وفضة جارية لهما صوم ثلثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شي فاستقرض
علي عليه السلام من شمعون الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة

عليها السلام صاعا وخبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة
اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة فقال
هناك الله في اهل بيتك وقد صرحوا في ذلك بقطع ظلمات الطبع اذ قالوا
انما نطعمكم لوجه الله اذ لا نريد منكم جزاء عوضا محسوسا ولا شكورا ثناء
هو عوض معنوي اذ يعود معهما ظلمة الطبع فيعود خوف اليوم المذكور
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا شديد العبوس وانما وصف اليوم
فيهما بما ذكر لان الايثار لذلك ربا، وهو اشد من ترك الايثار من
اجل الشح لان الشح ليس بشرك والربا شرك فوقاهم الله الذي خافوا منه
ان يبتليهم بشر يوم القيمة شر ذلك اليوم مع كونه مستطيرا ولم يوصل اليهم
اثر كونه عبوسا قمطريرا بل لقاهم نضرة حسنا بدل العبوس القمطرير في
قلوبهم بدل الاحزان وجزاهم بما صبروا على وفاء ما التزموا وعن المعاصي
جنة بدل السعير وحريرا من ظاهر صفاتهم الناعمة من اعمالهم ولم يكن
لهم فيها تعب ودناءة تعب اهل البساتين لكونهم متكئين فيها على الارائك
ليكونوا كالملوك جزاء على ما عبدوا ربهم ولم يحتاجوا الى الظل والدثار
بالحيث دفعا للمشقة لانهم لا يرون فيها شمسا حرارتها ولا زمهريرا برودتها
جزاء على ما تحملوا من مشقة العبودية بل يصبرها اسم معتدل النعت لهم
الاخلاق والاعمال ولم يكن لهم تعب في تناول ثمارها اذ كانت ودانية
نسبه عليهم ظلالها ظلال اشجار الجنة التي هي جزاء اعمالهم التي تقربوا
بها الى الله تعالى ولو فرض ذلك لم يحتاجوا ايضا لان فيها اشجارا قد ذللت
لتذللهم لله تعالى وللمؤمنين قطوفها قطوف ثمارها تذليلا لاستصحابهم
اواني وكيزانا للوضوء ويطاف عليهم بآنية من فضة لافادة الوضوء بياض

وسرورا ص

اعضائهم واكواب كيزان كانت قواريرا في الصفاء لتصفية الوضوء القلوب
وكان في الباطن قواريرا من فضة قدروها تقديرا معتدلا لتعديلهم الوضوء
اذ لم يقصروا عن الاسباغ ولم يسرفوا في الصب تقدر ابتدر رعايتهم للاعتدال
ويسقون اي من آثار المقربين بالاعمال فيها في تلك الاواني التي اعطوها
على استصحاب اواني الوضوء المفيد للصفاء المقتضي نوع اشتياق كاسا
خمرا كان مزاجها زنجبيلا ماء عين زنجبيل وكانت عينا فيها في الجنة تسمى
سلسبيلا لتسمية اهلها بحال اصحابها مقربي الاحوال الغالب عليهم الشوق
المانع من الوقوف بحال ومقام مخصوصين بل لا يزالون طالبين
للترقي بقوة الشوق لا بانفسهم بل بربهم كان كل واحد يقول لنفسه دائما
سل سبيلا اليه فاصل العين لمقربي الاحوال ومزجها لمقربي الاعمال
ولما كان الغالب على مقربي الاحوال رؤية الحق بلا مظهر وعلى مقربي
الاعمال رؤيته بالمظاهر يطوف عليهم ولدان مخلدون مقرطون اذا
رايتهم حسبتهم من ظهور نور الجمال الالهي عليهم لؤلؤا منثورا ينعكس
شعاع بعضهم على بعض واذا رايت ثم اي في السلسبيل واهله ودرجاتهم
رايت نعيما فوق نعيم مقربي الاعمال وملكا كبيرا يتصرفون به في مقربي
الاعمال ومن دونهم لما غلب عليهم من التخلق باخلاق الله والتحقق بها
فصارت صفات ثم ظهرت بصورة اللباس عليهم لذلك عاليهم ثياب
سندس رقيق فيما لطف ظهوره خضر اذ افاده خضرة العيش واستبرق
غليظ حيث تم ظهوره وحلوا لصفاء صدورهم اساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا عن محبة غيره فيقال لهم ان هذا كان لكم جزاء على تحسينكم
لله وتخلقكم باسمائه وتحققكم بها وسيركم اليه بالاحوال والمقامات وكان
سعيكم اليه بالاحوال والمقامات من غير وقوف على احدها مشكورا
مقبولا مفيدا للمزيد ثم ان الله تعالى جمع كمالات الكل لنبينا صلى الله عليه وسلم

خ باسمائه

وجعل كتابه مشتملا على جميعها فقال انا نحن من مقام جمعيتنا نزلنا عليك
ايها المستعد للجمعية الكاملة القرآن الجامع تنزيلا متفرقا ليجمع بك الكمالات
المتضادة في الازمنة المختلفة واذا امرت بجمعها فصعب عليك فاصبر
لحكم ربك الذي رباك للكمالات ولا تبطل استعدادك لها بمصاحبة
عاص فانه يقطع الجمعية كاحباط الكافر فلا تطع منهم آثما او كفورا اي احدهما
وتيسر لك جمع الخيرات بالمداومة على ذكر الله اذكر اسم ربك بكرة واصيلا
وبقيام الليل بتطويل السجود والتسبيح له ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا
فنزول القرآن مع هذه الاعمال معينك في الجمعية اذا قطعت النظر عن اهل
المعصية ان هؤلاء اي اهل المعصية يحبون اللذات العاجلة فيثقل
عليهم تركها فيتم مع احتمال امر سهل من الاجتهاد بالمداومة على الذكر
والقيام ولكنهم يذرون كانهم يجعلون وراءهم يوما ثقيلا لاستبعادهم وجوده
ولا وجه له اذ نحن خلقناهم ولا يبقى ثقله وشددنا اذ شددنا اسرهم وان
فرض عدم ذلك اليوم فلا يأمن العاصي عذاب الله فانا اذا شئنا اهلكنا هم
ولو احتجنا الى امثالهم بدلنا امثالهم تبديلا احسنا بكون البدل خيرا من
المبدل منه ان هذه الايات تذكرة بذكر فوائد القرب من الله ومضار
البعد منه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ليصل الى تلك الفوائد ويهرب عن
تلك المضار ولكن ما تشاؤن سلوك سبيل الا وقت ان يشاء الله ان
يسلكهم سبيله قسرا لكن لا يشاء لعلمه باستعداد اعيانهم انها لا تستعد لسلوك
سبيله ان الله كان عليما وهو وان قدر على خلاف ذلك لا تخالفه لكونه
حكيما وهو خلاف الحكمة لكن ذلك لانا في مشيته واختياره لذلك يدخل
من يشاء في رحمته فيسلك بهم سبيله ويخرج عنه الظالمين لانه اعد
لهم عذابا اليما تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين سورة المرسلات

سميت بها لتضمنها الدليل على ان ما يتوهم من الافعال كونه خيرا او لا ينقلب
شرا اخرا بسم الله المتجلي بجلاله وجماله في الرياح الرحمن
بجعلها دليل انقلاب ما يتوهم خيرية شرا الرحيم بجعلها ملقية ذكر الله عذرا
او نذرا والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا اقسم الله سبحانه بالرياح التي
يرسلها احيانا في الظاهر على اهل السفن ينتفع بها المسافرون والحاضرون
فتعصف عليها فاهلكتها على توقع ما يعدون على الافعال التي يرى اربابها
دنيوية باهلاك اربابها اهلاك اهل السفن والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا واقسم بالرياح التي تنشر بها رحمة المطر فتفرق
السحب فتلقي مطرا مخصبا فيوجب ذكر الله شكرا ما حيا لاساءة اتباع الشهوات
فتصير عذرا او مطرا مهلكا فيوجب ذكر الله خوفا انما توعدون على الافعال
التي ترى منافع اخروية ولا تعلم ما تعارضها او يلحقها من اسباب الحزن والشر
لواقع ولا يغتر بحسن بعض الافعال في الحال فغايته انه كضوء النجوم فاذا
النجوم طمست فذهب ضوءها فذهب حسن تلك الافعال ولا تاني احكامها
في زعم فاعلها فانه يذهب اذا السماء فرجت صدعت ولا ثاني تثبتها في
زعم فاعلها بالادلة فانه ينسف ادلته اذا الجبال نسفت فنسف الجبال
لاجل الريح المغلبة للنار المصدعة للسماء المذهبة ضوء النجوم وبالجملة يقع اذا
الرسل اقتت عين وقت شهادتهم وقيل لاي يوم اجلت شهادتهم فيجاب
بانه ليوم الفصل وما ادريك ما يوم الفصل فانه لا يمكن بيانه الا بهذا
الحوادث التي يقع فيه من شدة غضب الله على المكذبين ويل للمكذبين
وكيف يكذب الويل الاخروي للمكذبين وقد يقع نظيره في الدنيا الم نهلك
المكذبين الاولين كقوم نوح وعاد وثمود ثم نتبعهم الاخرين كقوم لوط
وشعيب وموسى وغيرهم كذلك اي مثل ذلك الاهلاك الدنيوي نفعل
بالمجرمين فضلا عن المكذبين ويل يومئذ للمكذبين باهلاكنا الاولين والاخرين

مع انه اوضح من الشهب فان زعموا ان الامر الاخروي انما نقاس على الامر
الدنيوي بعد شهوته لكنه بعيد قال لهم لا وجه لاستبعاده فانه ايضا مثل
الخلق الدنيوي الم نخلقكم من ماء مهين كما انه لحوم الاموات وعظامهم
الرميمة ولا منع من احيائها طول مدة لبثها في الارض فانه كمدة لبث
النطفة في الرحم فانا اسرلنا الماء المهين فجعلناه في قرار مكين هو الرحم
الى قدر مقدار من مدة الحمل معلوم فقدرنا على احياء ذلك الماء المهين
بعد لبثه في الرحم هذه المدة المديدة فنعم القادرون على احياء اللحوم
والعظام بعد لبثها مدة مديدة في الارض ويل يومئذ للمكذبين بهذه
القدرة بعد ظهور نظيرها من الاولين والاخرين المهلكين في الدنيا وغيرهم
فان زعموا ان ذلك لخاصية الرحم والا فالنطفة لو جعلت في الارض
لم يتولد منها انسان قال الم نجعل الارض كفاتا كافتة ضامة احياء
كالحشرات وامواتا كالجمادات وان زعموا انه ليس في الارض لطافة
المني التي باعتبارها يتولد منه الانسان وانما يتولد منها سائر الحشرات
قال في الارض ما هو في غاية الغلظ يتولد منه ما هو في غاية اللطافة اذ
جعلنا فيها رواسي جبالا شامخات مرتفعة لصلابتها واخرجنا منها ما
هو في غاية اللطافة اذ اسقيناكم من تحتها ماء فراتا فلا يبعد ان يخلق
من الارض ما له لطافة المني فيخلق منه الانسان مرة اخرى ويل يومئذ
للمكذبين قدرته على خلق الانسان مرة اخرى بهذه الشبهات الواهية
بحيث يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من الجزاء انطلقوا الى ظل
دخان ذي ثلث شعب شعبة تقف فوق الكافر واخرى عن يمينه واخرى
عن شماله على عدد الشبهات المذكورة الم نهلك الاولين الم نخلقكم الم
نجعل الارض او على عدد القوى المؤدية الى هذا العذاب الوهمية التي
في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يسار القلب لا ظليل

يدفع الحر ولا يغني لا يدفع شيئا من اللهب فضلا عن الحر انها اي النار
التي لها هذا اللهب ترمي من فرط غضب الله عليهم بشرر ما تطاير من
النار كالقصر في عظم المقدار كانه في اللون والتتابع وسرعة الحركة جمالات
ابل صفر لما فيها من النارية ويل يومئذ للمكذبين بهذا الجزاء وكيف لا يكون
غضب الله عليهم الى هذا الحد بعد ما لزمهم الحجة المؤدية للذهاب الى هذا
الظل بحيث يقال هذا يوم لا ينطقون بدفع شيء مما لزمهم ولا يؤذن لهم
في الاعتذار بالاعذار الواهية فيعتذرون بل انما يؤذن بالاعذار القوية
وهم لا يجدونها لتكذيبهم في الدنيا بالحجج وتمسكهم بالشبه ويل يومئذ للمكذبين
بالحجج لاجل الشبه ثم يقال لهم هذا يوم الفصل بين الحجج والشبه جمعناكم
والاولين فيه للانصاف فان كان لكم كيد في تلبيس الحجج بالشبه والشبه
بالحجج فكيدون ان يأتي لكم مني كما يأتي مع ضعفاء الانس ويل يومئذ
للمكذبين بهذا الفصل اعتمادا على كيدهم فلم يهتموا بتمييز الحجج عن الشبه
وكذلك يقال لهم حين ما يصيرهم الى ذلك الظل ان المتقين اي الذين
خافوا ان يلبس عليهم الحجج بالشبه والشبه بالحجج في ظلال يدفع عنهم الحر اذ
كانوا مستظلين بالادلة المفيدة برد اليقين وعيون يدفع عنهم
العطش لما تفجر عن حججهم عيون المعارف اليقينية وفواكه مما يشتهون يدفع
عنهم حر الجوع لتشبعهم من التحقيق ويقال لهم ضما للثواب العقلي بعد
الاكرام الى الحسي كلوا واشربوا هنيئا لا يشوبه تنغيص كتنغيص الشبه
بما كنتم تعملون من تخليص الحجج عن تنغيص الشبه وانما يسر لكم ذلك لنظركم
الى الله انا كذلك نجزي المحسنين الناظرين الى الله في اعمالهم ويل يومئذ
للمكذبين بفائدة تمييز الحجج عن الشبه والشبه عن الحجج في الاخرة فان زعموا
ان هذا انما يقال لهم يوم القيمة في زعمكم وهم مجرمون الآن ونحن نطعمنا
الله ويسقينا الآن ولا يبعد بعدم لنا ذلك يقال لهم كلوا وتمتعوا بالمنافع

ان

الدنيوية زمنا قليلا ولا يدوم لكم ذلك لكفركم بالمنعم انكم مجرمون والمجرم يستحق
السياسة لا الانعام وليست عليكم في الدنيا بل في الاخرة ويل يومئذ
للمكذبين امر الاخرة لاجل الدنيا الفانية وكيف لا يكونون مجرمين مع انهم
اذا قيل لهم اركعوا صلوا شكرا لربكم على ما انعم عليكم وتذللا له لا يركعون
اذ لا يعترفون بنسبة النعم اليه ولا بوجوب الصلوة عليهم له ويل يومئذ
للمكذبين بنسبة النعم الى الله ووجوب الصلوة شكرا له عليها واذا لم يؤمنوا
بهذا الحديث العجيب المعجز المبين لكل ما يحتاج اليه فباي حديث بعده
يؤمنون تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيدنا محمد واله اجمعين

## سورة النبأ

سميت به
لعظمته في ذاته ووقوعه وبعقله بحيث لا تزال مختلفا فيه وان بولغ في بيانه
بسم الله المتجلي بكمالاته في نبأ العظيم حتى ظهر للبعض
بما فيه من الجمال وخفي عن البعض بما فيه من الجلال الرحمن بتعظيم شأنه
لاصلاح افعال عباده الرحيم بتاخيره باعتبار ذاته وبعقله عن العامة
لئلا يتعطل امورهم عم يتساءلون سال سبحانه وتعالى تعجبا وتبكيتا
عن سوال بعضهم بعضا عن حقايق الامور الاخروية البعيدة عن افهام
العامة المفضي الى انكارها والتشكك فيها مع ان الايمان بها لا يتوقف
على ذلك ولا بد منه لانهم يتساءلون عن النبأ العظيم في ذاته على السائلين
وقوعا وعقلا الذي هم وان بولغ في بيانه هم فيه مختلفون اختلافا لا ينقطع
اذ ينفيه بعضهم بالكلية ويجعله بعضهم عقليا وبعضهم خياليا وبعضهم حسيا
وبعضهم طورا وراء ذلك والحق انه جامع فربما يفضي الى الانكار او التشكك
كلا ردع لهم عن السوال بقصد افضائه الى الانكار او التشكك سيعلمون
في البرزخ بطريق التخيل ثم كلا ردع لهم عن ان يعتقدوا انه حقيقة
سيعلمون في القيمة ما هو حقيقة لتعلق الروح بالبدن مع علمه معنى التجرد

علیها فیطلعون علی حقیقته حینئذ لا یحتاج فی الایمان بها الی معرفة خفایاها
بل یکفیهم معرفة نظایرها الم نجعل الارض مهادا مستقرا مع تحرک الافلاک
التی تحتها فیها والجبال اوتادا اذ کانت باعتبار غرضه تقلها مانعة من تحرک
الارض بالریاح وهو نظر استقرار الجنة والنار باهلها وخلقناکم ازواجا
اصنافا وهو نظر اختلاف الجزاء وجعلنا نومکم سباتا قطعا عن الحس
والحرکة وهو نظر قطع الدنیا لذات الاعمال وآلامها التی تحصل فی الجزاء
وجعلنا اللیل لباسا سترا وهو نظیر ستر الدنیا ثمرات الاعمال وجعلنا
النهار معاشا وهو نظیر کون الاخرة معاش تحصیل تلک الثمرات وبنینا
فوقکم سبعا من السموات شدادا لا تبلی بمر الدهور لغایة غلظها وهو نظر
بقاء العالم الاخروی وجعلنا سراجا مضیئا وهاجا شدید الحرارة وهو
نظر التجلی الالهی یستنیر به البعض ویحترق به البعض الاخر وانزلنا من
المعصرات للسحب بالمطر ماء ثجاجا کثیر الانصباب وهو نظر اعصار
النبات سحب الاعمال والاعتقادات والاحوال والمقامات بامطار
الرحمة الابدیة لنخرج به حبا ونباتا به وهو نظر جزاء الاعمال ونباتا نسقیهم به
النعت وهو نظر جزاء الاعتقادات وجنات الفافا ملتفة بعضها
ببعض وهو نظر جزاء الاحوال والمقامات ویمکن ان یقال جعل الارض
مهادا نظیر استقرارها بهم مع ورود التغیرات علیها کالارض تبقی مستقرا
مع تغیرها علیها وجعل الجبال اوتادا نظیر جعل الاعمال اوتادا تحفظهم عن
الفناء حفظ الجبال عن تحرک الارض بالریاح وخلق الانسان ازواجا
نظیر اختلاف وتدبیر الاعمال لاهل الجنة والنار وجعل النوم سباتا
نظر قطع الدنیا وتدبیر الاعمال وجعل اللیل لباسا نظر حجب الدنیا لذات
الاعمال وآلامها وجعل النهار معاشا نظر ظهور لذاتها وآلامها وبناء
السبع الشداد فوقنا نظر بناء الجزاء العظیم المتقطع علی الاعمال والسراج

وهو نظیره کون الجنة والنار مهادا لاهلها مع تحرک الافلاک صح

الوهاج نظیر انوار الاعمال وشدایدها وانزال الماء الثجاج من المعصرات
نظیر نزول فوائد الاعمال عند صعودها الی الله واخراج الحب نظیر تحصیل ما
زرع فی الدنیا للاخرة واخراج النبات نظیر تصویر الاعمال والجنات
الالفاف نظیر کثرة نعم الاخرة من الحسیة والعقلیة والخیالیة ثم اشار الی ان
الاعمال وان کانت کالسحب الممطرة فلا تثبت الجزاء الذی هو کالحب والنبات
والجنات الالفاف فی کل وقت بل له وقت معین ان یوم الفصل الفارق
بین اعمال الخیر واعمال الشر کان میقاتا اذ لو کان قبله لم یبق للتکلیف وجه
فحصل له ذلک الیوم لکونه یوم ینفخ فی الصور فیحشر فیه الجمیع لکنه لا یوجب اجتماعهم
فی فوج لانه موضوع للفرق فتاتون افواجا لکل اهل ملة او عمل فوج خاص
وانما کان فارقا مع کونه جامعا لانه من نفخ الصور حصل غمام لاجله فتحت
السماء شقت فکانت من کثرة الشقوق ابوابا ظهر بها ما فی الوجه من انواع
الفرق وانما کان یوم الجزاء لانه یوم رفع الارض التی کانت علی وجه
جهنم لانه سیرت الجبال التی کانت اوتاد الارض فکانت سرابا یری علی
صورة الجبال ولیست علی حقیقتها لتنقلب احوالها ثم ان السماء وان
کانت ابوابا فلا یمکن الوصول الی الجنة فوقها الا بالخلاص عن ایدی المترصدین
ان جهنم کانت مرصادا علی ظهرها صراط علیه مترصدون یسألون عن الایمان
والاعمال فمن حبسوه لعمل عذبوه بقدره ثم تمکن تخلص الی الجنة ومن
حبسوه للایمان لم یترکوه فکانت للطاغین مآبا ولا یبقی فی حقهم طریق
لکنهم لابثین فیها احقابا جمع حقب ثمانون الف سنة اثنی عشر شهرا وکل
شهر ثلثون یوما وکل یوم خمسون الف سنة ولیست الاحقاب جمیع مدة لبثهم
بل هی مدة لا یذوقون فیها بردا ولا بعدها ینفعون الترهیب ولا شرابا یطفی
حرارة الباطن الا حمیما یزید فی حرارته ولیس لهم شراب اخر یسکنهم
من جهة اخری الا غساقا فاسد الصدید یحترق بها لکنها وفاقا فاموافقا

کل سنة صح

جزاء صح

لاعمالهم لانها اوجبت الغضب الحار وهو ناش من اعمالهم وقد كثرت لهم
تلك الاعمال انهم كانوا لا يرجون حسابا فينقطعون عن بعض الاعمال من
خوفه وقد اكد الغضب عليهم لانهم اغالوا برجاء الحساب لانهم كذبوا
بآياتنا الدالة على الحساب كذابا تكذيبا بليغا مانعا من احتمال صدقها
مع انها ظاهرة الصدق فحسبنا عليهم جميع تلك الاعمال وكل شيء من اعمالهم
احصيناه كتابا في كتاب الملئكة بخلاف من صدق بالآيات فانه
يكفر كثيرا من معاصيه فاعمالهم وان كانت كاعمال المؤمنين لا ينافي
العتاب عليها الصدور مما عن المبالغة في تكذيب الآيات الى غير النهاية
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا بعد انقطاع عذاب المؤمنين ومن زيادة
العذاب عليهم فوز اعدائهم ان للمتقين مفازا هو نجاتهم من المترصدين
بل من كل همّ لان لهم حدائق بساتين من مياه اعمالهم واعنابا ثمرات
تلك الاعمال وكواعب جمع كاعب جارية نهدت ثدياها ابكارا لم يخالطهن
حب الغير ليكمل لذة الثمار باكل الاحباب معهم وكاسا خمرا دهاقا
مملوة لتزيد الحب فتزيد اللذة ومع ذلك ما ينقص اللذة اذ لا يسمعون فيها لغوا
يسمع من اهل الخمر ولا كذابا يسمع من الندماء وانما حصل هذا الكمال
لكونه جزاء من ربك الكامل فيكون على حسب المجازي لا العمل فليس في
الحقيقة جزاء بل عطاء حسابا كافيا لا يتمنى معه شيء وكيف لا يكمل عطاء
من هو رب السموات والارض وما بينهما خلقها رحمة منه من غير سبق
وعد فهو الرحمن على الاطلاق فكيف لا يكمل رحمته على من وعدهم بكمالها
وهو وان قرب منهم بهذه الرحمة فعظمته باقية لذلك لا يملكون منه
خطابا فيبدوا اذ ظهر عظمته يوم يقوم الروح الذي يسميه الفلاسفة
بالعقل والملئكة الذين يسمون بعضهم بالنفوس السماوية صفا لا يتكلمون
وان كان يوم الشفاعة والشهادة الا من اذن له الرحمن برحمة اياه

اترابا

في حق من رحمة وقال في الشفاعة انه يستحق العفو صوابا لايمانه بخلاف الكافر
وكيف يتكلمون في ذلك اليوم بغير الصواب مع انه ذلك اليوم الحق فلا يتكلم
فيه بغير الصواب في غير الشفاعة ايضا واستحقاق هذه الشفاعة انما يكون
بالرجوع الى الحق بالايمان به فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان به والا اصابه
عذاب البعد ولا يبعد عنكم انا انذرناكم عذابا قريبا لكن فيه تصوير اعماله
لكونه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه مصورة بصور جميلة او قبيحة يلتذ بها او
يتألم ويقول الكافر عند رؤيته قبح صورته في الغاية يا ليتني كنت ترابا فاقتا على
صورتها فهي خير من هذه الصورة تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة النازعات

سميت بها ترغيبا في اكتساب هذه الصفة
التي يتوصل بها الى الكمالات المذكورة بعدها بسم الله
المتجلي بجلاله وجماله في اهل النازعات الرحمن باهل الناشطات الرحيم
باهل السابحات فما بعدها والنازعات غرقا اقسم الله سبحانه وتعالى
بالقلوب النازعة نفوسها الغرقى في الشهوات غرقا بليغا وبالقلوب
الناشطات في عبادته لارتفاع تعويق نفوسهم عنها نشطا كاملا لا يوجد
معه تعب وبالقلوب السابحات في بحار المعارف سبحا موصلا
لهم الى الاحوال والمقامات فالسابقات في مقامات القرب سبقا
كاملا فالمدبرات امر الخلق بالرجوع اليهم من الحق متصفة بما يناسب
صفاته يرجعن الى الله الذي يحصل له هذه القلوب فان كنتم بهذه الصفات
لم يضركم شيء من الشدائد والا ضركم يوم ترجف الراجفة تتحرك الاجسام
الساكنة حركة شديدة كالارض والجبال تتبعها الرادفة التابعة كالسماء
تنشق والكواكب تنتثر وهذه قلوب لاتصافها باضداد تلك الصفات
يومئذ واجفة شديدة الاضطراب ولا ينفع بالنظر الى الله تعالى اذ

ابصارها خاشعة ذليلة لانها لم تعرف بهذه الصفات العزيزة وكيف لا يوثر
فيهم الراجفة والرادفة بذلك وهم كالمنكرين للموت اذ يقولون أإنا
لمردودون في الحافرة القبر فان اقروا به انكروا البعث بعده اذ يقولون
أإذا كنا عظاما نخرة رميمة نبعث فان بين لهم بالدلايل الواضحة قالوا
ان صح ما قلتم تلك اذا كرة خاسرة منسوبة الى الخسران ولا وجه لاستبعاد
لانها مرتبة على نفخ الصور ولا بعد فيها فانما هي اي النفخة التي ترتب عليها
الراجفة والرادفة زجرة واحدة يرجع الارواح من الصور الى الابدان
فاذا هم ملبسون بالساهرة بالابدان المستيقظة فان زعموا انه لو كان للعلويات
السابقة تدبير الخلائق لم يبق في الارض فساد قال تعالى للسايل هل اتاك حديث
موسى من كبار السابقين اذ بلغ من مقام القرب الى حيث ناداه ربه
بالواد المقدس طوى اي الذي طوى فيه الالتفات الى الغير وقد بعثه الله
لاصلاح امر فرعون اذ قال له اذهب الى فرعون لتدبره بما يصلحه انه طغى
جاوز حده بدعوى الربوبية فقل له اولا هل لك رغبة الى ان تزكى عن الرذايل
التي هي منشاء الطغيان فيصل لك الى ان اهديك الى ربك الذي
رباك باعطاء الملك فاعرفك ذاته وصفاته وافعاله فتخشى ان يسلبك
الملك ويلبسك الباس مكان النعم فان خشيت اعطاك ملك الآخرة
الذي يعطيها المتقين فقال له فرعون لا بد لمعرفة كونك مزكيا هاديا من
آية فاراه الآية الكبرى التي لا يعرضها الشك فكذب بكونها آية وعصى
ترك الرغبة في التزكية والهداية وباختيار الطغيان ثم لما علم انه وقع
بقلوب الحاضرين صدقها ادبر التفت يسعى في ابطالها فحشر جميع السحرة
لمعارضتها والخلق لابصار تلك المعارضة فنادى قبلها تهوينا لامره
وتكذيبا له فقال انا ربكم الاعلى فلو كان للعالم رب فهو دوني فقدم على موسى
تدبيري فاخذه الله بذلك تعزيبه لو قبل تدبيره نكال الكلمة الآخرة انا ربكم





الاعلى والكلمة الاولى ما علمت لكم من اله غيري والدنيا وان لم تكن دار جزاء
فعله بل ليكون عبرة ان في ذلك لعبرة لمن يعتبر نافعة لمن يخشى الله فلا يعتمد
على ملكه وقدرته وهذه العبرة ان لم يطرد في الدنيا فلا بد من اطرادها
في الآخرة فان استبعدتم الآخرة قيل لكم أأنتم اشد خلقا اصعب ايجادا
ام السماء التي هي اعظم مقدارا واكبر تفصيلا مع ما فيها من فتور القوة
الجسمية اذ بناها بناء قويا لا يبلى بكثرة حركاتها مدة متطاولة وفتور القوة
الروحانية اذ رفع سمكها ارتفاعها من غير عمد ولا اعتماد على الجدران
وعلقها بالنجوم فسويها عدلها فعلق بها انفسا كاملة وجعلها متشوقة بالتبريد
والتسخين اذ اغطش اظلم ليلها فلم يجعل لها شعاعا مسخنا واخرج ضحيها
وجعل له شعاعا ولما كان لليلها ونهارها تبريد وتسخين وهي غير قابلة لهما
جعل قابلهما الارض ومن ثم الارض بعد ذلك دحيها بسطها ومن
اجتماع الحرارة والبرودة فيها اخرج منها ماءها ومن الماء والتراب مع
الحرارة اخرج مرعيها وحفظ المياه فيها الجبال ارسيها وانما فعل ذلك
متاعا لكم ولانعامكم فتخصص بهذه نعمها فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية
العظمى المغنية لما اتسقت السماء واندكت الارض وهذه الطامة عليها
لما كانت لاجل غضب الله على الانسان بسبب مساعيه كانت يوم يتذكر
الانسان ما سعى وكيف لا يتذكر وقد برزت الجحيم لمن يرى وهذا الغضب
وان بلغ ما بلغ لم يعم اثره جميع الاناس بل ينقسمون قسمين فاما من طغى بجاوزه
حدا من حدود الله واعظم اسباب الطغيان حب الدنيا حيث اثر الحيوة
الدنيا على الله وثوابه فان الجحيم هي المأوى لكونها مأوى البعداء عن الله
باثار الغير عليه واما من خاف مقام ربه فلم يطغ في حد من حدوده ولم
يوثر الحيوة الدنيا لانه نهى النفس عن الهوى التي لاجلها يوثر الحيوة
الدنيا فان الجنة هي المأوى واذا ذكرت كون الجحيم مأوى الطغاة المؤثرين

الجنة الدنيا وكون الجنة مأوى الخائفين الناهين النفس عن الهوى
وان ذلك يكون بعد الساعة يسألونك عن الساعة التي يكون ذلك
بعدها أيان مرساها أي في أي آن استقرارها المزيل للشك فيها ولا
يسألون بالتوبيخ في هذا السؤال لانه سؤال فيم أنت من ذكريها لكن
لو بين لهم وقتها لم يكونوا ليؤمنوا بها قبل مجيئها لكن ليس اليك الاتيان
بها ليؤمنوا بل الى ربك منتهاها ما لو امكنك لا تأتيهم بها لم يدرك يتصل
بل انما انت منذر من يخشاها والخاشون لا يسألون عن وقتها بها
لانه سؤال استبعاد وهم لا يستبعدونها كما لا يستبعد ما من راما حين
وجوده ما يحول فيها كأنهم يوم يرونها يعتقدون في قربها انهم لم يلبثوا
في الدنيا والبرزخ الا عشية او ضحاها ضحى يومها ثم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة عبس

سميت به لتصريحه عتابه تعالى على من
اعرض عن ادنى المسترشدين حالا لشغله عن احسنهم حالا من غيرهم علما
لسورة من كتابه دلالة على عظم عنايته بالمسترشدين بسم الله
المتجلي بكمالاته للمسترشدين الرحمن بعتابه على من اعرض عنهم ليصرفوا
عنان همتهم الى ارشادهم الرحيم بتقديم من كان ادنى حالا منهم على
من كان احسن حالا من غيرهم اتى ابن ام مكتوم رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو صناديد قريش الى الاسلام فقال يا رسول
الله اقرأني وعلمني مما علمك الله وكرر النداء فظهرت الكراهية في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقولون هؤلاء يزعمون ان اتباعه
العميان والعبيد والسفلة فاعرض عنه فانزل الله تعالى عبس كلح وقطب
وجهه ولم ينفر عليه بل تولى اعرض ايضا لا لاجل قصد اسلام الصناديد
واتباعهم اذ لا عبرة له مع عدم اسلامهم بل لاجل ان جاءه الاعمى مع انه

منهم

بعث رحمة للعالمين وهداية لهم واولى الناس بالرحمة الضعفاء سيما
العميان وبالهداية المسترشدون ولم يخاطبه اولا لغيبته عن امر الحق
وان كان في دعوة عباده اليه على انه لما غاب عن مطلب من اراد
الحضور مع الحق جعل في حكم الغائب عنه ثم خاطبه ثانيا لكن يشكو الى
الناس من جنى عليه حتى اذا احمى في الشكاية اقبل عليه خاطبه
وهذا لم يكن من يشكو عنده فشكاه عنده ثم بين الكراهة اولى ان يكون
في حق من عمى قلبه وما يدريك انه عمى قلبه فان كان في الحال لعله يزكى فيصير قلبه
مرآة تنتقش فيه الغائبات فيدرك ما لا يدركه بصراء العين الظاهرة او لا
يزكى فلعله يذكر الا شبهة وهم وخيال فتنفعه الذكرى بجلب المنافع و
دفع المضار الحقيقية خيرا مما يجره ويدفعه بصراء الظاهر وان رخص له
في الاعراض عنه فلاجل ارشاد مسترشد آخر اما من استغنى عن ارشادك
بل عن الله وثوابه فانت له تصدى تتعرض لارشاده معرضا عن المسترشد
وما عليك شئ من الباس في ان لا يزكى هو ولا اتباعه فان افادك
الحرص على ايمانهم فلا يكون مثل ما يفيدك ارشاد المسترشدين لكن كأنك
رأيت الفائدة الكلية في الحرص على ارشاد المستغني واما من جاءك يسعى
في طلب الارشاد وهو يخشى فواته فانت عنه تلهى تتشاغل كأنك لا تبالي
لفائت ارشاده كلا ارتدع بعد العتاب ان تعود الى مثله انها اي
دعوتك تذكرة لله واسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وجزائه اختيارا
لا تشوبه الجاء كما يشوبه الحاصل للمستغني فمن شاء ذكره اي الله ذكرا
ثبت في صحف للملائكة مكرمة تكون المذكور فيها اكرم من كرام قريش
استغنوا عنك وقد اتصف بوصف مرفوعة الى الله ولا سيما من جهة منافيها
له باعتبار اتصافها بوصف مطهرة ليس رياء ولا عجب ولا قادح آخر
لكونها مكرمة تكون بايدي سفرة رسل من الملائكة كرام اذ كونهم خصه بهم

فيها

يكونون من المخارج لا تتصافهم بوصف ... البررة فلا يكون الانسان ما اكفره كم

الكرامة لو ذكره وقد كرمه بعد ذمه اصله فلينظر انه من اى شىء من الاشياء
الذليلة خلقه ولما علم انه لا يجب جبارا قال من نطفة خلقه فاكرمه غاية الاكرام
فقدره اعطاه القدرة على الاشياء ثم اعطاه العلم الذى به السبيل
اليه والى ثوابه يسره ثم اماته ليصل الى ما عمل من اجله فى البرزخ فاقبره ثم
ليصل الى ماله فى الابد اذا شاء انشره اخرجه من القبر فانه لا يتخلف عن
مشيئته كما لم يتخلف عنها ما ذكر فان توهم من اكرامه بعد كفره بطغيه انه لو اعيد
انسانا اعيد اكرامه فقال له كلا ردعا له عن هذا التوهم لانه انما اكرم اولا
لانه لم يصدر عنه معصية واما الآن فقد عصى لانه لما يقض ما امره فلا يستحق
الاكرام بل الاذلال بعد الاكرام كالطعام فلينظر الانسان الى طعامه
كيف يصير رجيعا بعد ما اكرمه بغاية الحق به انا صببنا الماء من السماء
صبا عظيما لاكمال الانسان ثم شققنا الارض لا كشق الرحم بآلة الجماع
شقا لا يقدر عليه النبات الضعيف فانبتنا فيها حبا هو الاصل فى القوت
وعنبا فيه اقتيات وتفكه وقضبا نبات يقطع مرة بعد اخرى يحسن فى
اكل الدواب وزيتونا دهنه ادام ونخلا يقتات به الضعفاء ويتفكه به الاغنياء
وحدائق غلبا بساتين ملتفة تشتمل على فوائد كثيرة من الادوية وغيرها
وفاكهة خارجها يتلذذ به وابا ما تاكله الانعام احسن من ذلك متاعا لكم ولانعامكم
ليشكروه فان كفروه فاذا جاءت الصاخة صيحة القيمة عذبكم عذابا لا يخلصكم
عنه احد لانه يوم يفر المرء من اخيه الذى هو احب من اجانبه وامه
التى هى احب من الاخ وابيه الذى هو احب من الام وصاحبته التى هى
احب من الابوين وبنيه الذين هم احب منها اذ لا يقدر على الشفاعة
لهم ولا على اعطائهم شيئا من حسناته بل لا يمكنه الالتفات اليهم اذ
لكل امرئ منهم يومئذ لشدة اهواله شان يغنيه عن شؤن غيره بل اهل
الدرجات يفرقون عن اهل الدركات اذ وجوه يومئذ لظهور النعماء

الالهى فيه مسفرة مضيئة بقبول النور منه ضاحكة من الانعام عليهم والاكرام
لهم مستبشرة برقى درجاتهم كل يوم ونجاتهم عن اضدادها اذ وجوه
يومئذ من شدة اهواله عليها غبرة غبار من الذلة لاجل فجورهم ترهقها
تغشيها قترة سواد وهو وان كان محنة لكنه اثر الكفر يغلب على الغبار اذ ذلك
البعداء عن النور بالنور الالهى هم الكفرة الفجرة الذين حجبهم كفرهم وفجورهم
عن الاستنارة بنور ربهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة التكوير

سميت به لانه اعظم حوادث ذلك اليوم على المطلوب
بالذات بلا معارض بخلاف كشط السماء لانها مطلوبة لكواكبها وبخلاف
تسعر الجحيم لانه معارض بازلاف الجنة على ان التكوير اعظم اسباب
الانكشاف اذ كان نورها كالشعاع عن المحسوسات الحاجبة عن المعقولات
فانكشف باحتجابها بسم الله المتجلى بجلاله فى منع
الحوادث وبجماله فى الكشف عن الحقائق الرحمن باطلاع النفس فى
تلك الاهوال الرحيم باعلامها قبل وقوعها للاستعداد لها اذا الشمس
كورت لفت نورها فذهب انبساطه وكان يفرقها مقويا للحق حتى يجد المريض
خفة عند طلوعها فكورت ربما تضعف تعلق الناطقة بالبدن فيقرب تجردها الكا
فتكشف عن الذات والهيئات الغيبية واذا النجوم انكدرت فهى مقوية
للحواس الشاغلة بالمحسوسات فكان انكدارها كالشعاع عن المعقولات واذا
الجبال سيرت وكانت اوتاد الارض فتسييرها ابطل مهادتها وهو
مضعف للبدن مضعف لعلاقة الناطقة به فكشف لها واذا العشار
جمع عشراء ناقة اتى على حملها عشرة اشهر عطلت وتعطيل الاموال سيما احبها
مضعف للبدن لان قوته بالمال واذا الوحوش حشرت جمعت وجمع
غير المالوف مضعف للبدن واذا البحار سجرت احميت وهو منشأ الرياح

الحرارة المبطلة اعتدال البدن الذي به تعلق الناطقة فتضعف واذا النفوس
زوجت قرنت بالشياطين ومقارنة العدو مضعف على انه تذكير بما مكر من
السوء لتعذب عذابا عقليا فوق الحسي واذا الموؤدة البنات التي
دفنها الامهات حية سئلت باي ذنب قتلت وهو يظهر ما في قلوب الابوين
من كراهة خلق الله او قلة الثقة بضمانه واذا الصحف التي كتب فيها الاعمال
نشرت ليكشف عنها واذا السماء كشطت قلعت فنزل الملئكة الصاعدون بالصحف
وغيرهم واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وهو لكونه في حق كلهم عامل
بمقدار عمله يكشف عن الاعمال واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين وهو
ايضا كاشف عن مقادير الاعمال الخير لان ازلافها بقدرها علمت نفس
هي الناطقة ما احضرت من نياتها ومبانيها واذا ظهرت الاسباب فذلك
ضعف بعضها باجتماعها فلا حاجة الى القسم على المسبب فان احتجتم فلا
اقسم بالخنس بالكواكب الراجعة تارة الجوار السائرة على الاستقامة
اخرى الكنس المختفية تارة مجوزة للنبات والحيوانات الحاضرة للنفس الآن
ان يرجع فيزول عن الخاطر وان يجري على الاستقامة فيظهر لها اثره وان
يختفي فيضعف ذلك الاثر ويظهر ضده والليل اذا عسعس اظلم فيظهر الكواكب
ويخفى ما في الجو فيجوز للنبات والحيوانات ان تظهر ويخفى اثارها السابقة بظهور
اضدادها والصبح اذا تنفس اقبل فاستترت الكواكب فيظهر ما في الجو فيجوز
ان يظهر للنبات والحيوانات اثار كانت مستترة ويخفى ما كان ظاهرا من قبل
انه اي ان هذا القرآن المتضمن لهذا البيان لقول رسول وهو جبريل عليه
السلام حكاية عن قولي من غير تغير لاتصافه بوصف كريم ولا يتأتى منه التغير
ولعوارض فيها لما يعتريه ضعف لكنه متصف بوصف ذي قوة كيف وهو متصف
عند ذي العرش بوصف مكين وقد بلغ فيه الى حيث اتصف بوصف مطاع ثم
اي في الملئكة وفيه تم تعظيما وعلى الاول انما يمكن هذا التمكين لاتصافه

بوصف امين فلا ينقص منه التغير فيما ارسل به وما صاحبكم يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي عرفتم كمال عقله بطول صحبته بمجنون مخبل الخيال
حتى لا يعتبر رؤيته صور الملئكة بقوة الخيال لان من التمييز صحيح من الصحيح
فاسد من المجنون فساد سائر الحواس بالافات العارضة ولذلك يعتبر
صور الرؤيا الا من المختلين بعوارض تفسد القوة الخيالية ولم يعرفه
بهذه الصورة فقط بل لقد رآه بحقيقته عند اتصاله بالافق المبين للحقائق
فعرفه في كل صورة رآه من بعد وما ظهر من بعده منه الصورة لانه لا يمكن
اخذ الوحي من حقيقته ولا يدعى نوال الوحي لان الله تعالى ما هو على
اظهار الغيب بضنين بخيل ولا يمكن الا بارسال ملك على صورة بشر هذا
اذا قرئ بالضاد وان قرئ بالظاء فمعناه كيف يشك في رؤية رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع انه ما هو على اخباره عن الغيب بمتهم ولبست هذه
الصورة صورة الشيطان والا لكان القرآن قول الشيطان لكنه ما هو بقول
شيطان رجيم لانه لما رجم فليس له همة سوى اضلال من رجم لاجله والقرآن
ارشاد محض واذا ظهر انه قول الرسول الامين والرائي اعتمد على رؤية
حقيقته اولا والحق غير مختل والقرآن ليس بقول شيطان رجيم بل ارشاد
محض فاين تذهبون الى القول بانه مفترى وكيف نقص مع انه ان هو
ما هو الا ذكر شرف للعالمين وصل اليهم تعظيما لهم بما يوصلهم الى الكمالات
النظرية والعملية فان لم تعظم به الكل فهو تعظيم لمن شاء منكم ان يستقيم حتى
يكمل قوتاه النظرية والعملية ولكن ما تشاؤن الاستقامة الا ان يشاء الله
ان تقهرهم عليها لكن ينافي ذلك عموم ربوبيته للمستقيمين وغيرهم اذ هو رب
العالمين تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الانفطار

سميت به لانه اعظم اسباب تعلق العقول والنفوس السماوية بالنفس الانسانية

فتعلقنا بالعوس

حتى علمت ما قدمت و اخرت بسم الله المتجلي بجلاله
في السماء و الكواكب والبحار وبجماله في القبور الرحمن باطلاع النفوس على
ما قدمت واخرت الرحيم باعلامه قبل وقوعه للاستعداد له اذا السماء
انفطرت انشقت فبطل تعلق النفوس السماوية بها فبطل تعلق العقول
بتلك النفوس الانسانية لتظهر لها كليات معاني ما قدمت واخرت
وجزئياتها واذا الكواكب انتثرت والنفوس السماوية التي كانت متعلقة
بتلك الكواكب اولا انضمت الى النفوس الانسانية لمناسبتها له فصار
لها الاطلاع على المعاني الجزئية لما قدمت واخرت واذا البحار فجرت
فتح بعضها الى بعض فصار الكل واحدا فاختلطت المواد السماوية بالارضية
التي منها البدن فتعلق بها العقول والنفوس التي كانت متعلقة بالمادة
السماوية واذا القبور بعثرت قلب ترابها فلا يبعد ان تغلب المعاني
الخفية والجلية للاعمال فيصير الخفية جلية والجلية خفية علمت نفس المعاني
الكلية والجزئية لكل ما قدمت الى الله تعالى من خير او شر بفعله واخرت
منهما بتركه فاذا قدمت شرا واخرت خيرا فكوشف عن معانيهما الكلية
والجزئية قيل له يا ايها الانسان الذي جمع الانس بالجن والخيرات لكن
تانست بغير الله والشرور ما غرك من نفس وشيطان وخلق ودنيا
بربك الذي رباك باعتبار اتصافه بوصف الكريم لانه الذي بمقتضاه
خلقك قدر وجودك فسويك سوى مزاج بدنك بتسوية الطبايع من
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعدلك عدل اركان بدنك
بجعلها مستوية المقدار حفظا لتسوية المزاج لحفظ عليك لحفظ اولدم
ومناسبه ثم بمشيته المحضة في اي صورة ما من الصور الجميلة او القبيحة
شاء ركبك جعل تركيب اعضائك لمحاف مشبهة في تحسين صورتك في
النعم او تقبيحها فان زعمتم انكم تغترون بكرمه السابق قبل لكم كلا لا تغتروا

بكرمه لانه فرع الاقرار بالجزاء وانتم لا تقرون به بل تكذبون بالدين الجزاء
الذي وضعه من كرمه ليطيعوه فيصلح لكم امور الدارين ولا تعصوه
فتفسد عليكم امورهما وان عليكم من كرمه لحافظين من الملائكة كراما
بكم لكونهم كاتبين لاعمالكم الحسنات ليستهدوها اعتمادا على عدم ضياع
شيء منها والسيئات ليحترزوا عنها مخافة ان تحاسبوا على جميعها ولا
يفوتهم شيء من اعمالكم الظاهرة والباطنة لانهم يعلمون ما تفعلون في
الظاهر والباطن لكنهم انما يكونون كراما في حق الابرار ان الابرار من
احصائهم لحسناتهم كانهم الآن لفي نعيم ويكونون كاسين لا غير في حق
الفجار ان الفجار من احصائهم لسيئاتهم كانهم الآن لفي جحيم لكنهم لا يبالون
لذلك وانما يبالون له يوم الدين لانهم يصلونها يوم الدين وانما لا يبالون
له اليوم لغيبتهم عن الجحيم وما هم عنها يوم الدين بغائبين ولئن غابوا
عنها لكفتهم شدايد يوم الدين فانه ما ادريك ما يوم الدين في شدايد
فشدائده ليست دون شدايد الجحيم ثم ان جعلت شدايده كشدايد
الجحيم ما ادريك ما يوم الدين ويكفي من شدايده انه يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا من الشفاعة والنظر والامر في شفاعة من تنفعه الشفاعة لو وصل
لظهوره لغاية عظمته فيه لله لكن ارتضاه من وجه امر الشفعاء بشفاعة
والا فليس لهم شفاعة اصلا ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة المطففين

سميت به لدلالته على ان من اخل بادنى
حقوق الخلق استحق اعظم ويل من الحق فكيف من اخل باعظم حقوق
الحق من الايمان به وباياته وبرسله بسم الله المتجلي
بجلاله وجماله في المكاييل والموازين اذا كانت جائرة او عادلة الرحمن
بتعريف مقادير الاشياء بهما ليقيسوا مقادير الاعمال الرحيم بحفظ حقوق

الخلق بها ويل قبيح شنيع وبلاء عظيم لا يحتمل اذ لما على اعظم الامور لازم
للمطففين الآخذين طفيفا اي حقيرا من حقوق الخلق وهم الذين
اذا اكتالوا اخذوا الكيل مستقلين على الناس يستوفون يطلبون الزيادة
على ايهام ان بها تمام الكيل واذا فعلوا ذلك في الكيل الذي هو اجل
مقدارا من الوزن بطريق الاولى واذا كالوهم اعطوهم الكيل او وزنوهم
فانه وان قل مقداره فلا يتركونه بحاله بل يخسرون فيه ايضا باخراج شيء
بعد شيء وانما جمع بين الامرين لان من استوفى في الاخذ والعطاء
او نقص فيهما لم يكمل الويل عليه لان احدهما بالآخر الا يظن فضلا عن الاعتقاد
اولئك البعداء عن النظر فيما يقبح انهم مبعوثون لاقامة العدل
عليهم باسترداد حقوق الله وحقوق الخلق منهم ليوم عظيم يعظم فيه الشدة
على ما يستحق من القبائح مع مزيد الفضيحة لكونه يوم يقوم الناس لرب
العالمين الذي يقتضي عموم ربوبيته ايفاء الحقوق ثم قال كلا زجر عن هذا
التطفيف فانه وان كان اشاعة ذنوبا فهو عين الوقوع في مضيق الحرج
ان كتاب الفجار الذي كتب فيه اسماؤهم واعمالهم لفي سجين مبالغة في
السجن وهم في اشد تضييق منه وما ادراك ما سجين اي غاية تضييقه حتى
سرى تضييق منه الى الكتاب الذي فيه فهو كتاب مرقوم كتب فيه اسماء
الفجار واعمالهم ليقرأ على رؤس الخلائق فيفتضحوا وكفى به ضيقا مع انه
لا يقتصر عليه بل ويل يومئذ لكونه يوم الشدائد والاهوال للمكذبين بان
حقوق الخلق تسترد فهؤلاء هم الذين يكذبون بيوم الدين وهم يستحقون
اعظم انواع الويل لانه ما يكذب به الا كل معتد جاوز حد الاقتصاد
لانه يكذب لدوام ربوبية الله تعالى عليه وقدرته على البعث وعدله بان يسترد
الحقوق كيف والكاره يوجب الاجتراء على الآثام بحيث يتصف بوصف
اثيم وكفى في اعتدائه واجترائه على الآثام انه اذا تتلى عليه آياتنا المنسوبة

المنسوبة الى عظمتنا الدالة على دوام ربوبيتنا وقدرتنا على البعث و
واسترداد الحقوق قال من اعتدائه واجترائه اساطير الاولين اكاذيبهم
التي سطروها كلا زجر عن هذا القول اذ لم يصدر عن دليل او كشف بل
منع منهم النظر والكشف لانه ران غطى على قلوبهم صدأ ما كانوا يكسبون
كلا زجر لهم عن ترك التصفية عنها انهم لو تركوها عن ربهم يومئذ يوم ظهوره
بالتجلي الشهودي لمحجوبون بسببها فتفوتهم رؤيته التي هي اعظم اللذات ثم لا يقتصر
على فواتها بل انهم لصالوا الجحيم بل صلوها انما تمنع الرؤية بلا بعاض الامها
بلذة الرؤية ثم يقال ضما للعذاب العقلي الى الحسي هذا الذي كنتم به تكذبون
انه يتضمنه معاصيكم تضمن الحلاوات للسم في بعض الاطعمة يكذب بلطمه
الناظر الى حلاوته ثم يحدث السم كلا زجر عن ترك التصفية عن هذا الرين
كانه يقول ان لم تبالوا الضرر تركها فكيف لا تبالون لفوات فائدتها فاقل
فوائدها انها ان لم تلحقكم بالمقربين تجعلكم من الابرار ان كتاب الابرار
لفي عليين تبعيتهم وما ادراك ما عليون في الشاعة وكثرة فضائله فهو
كالمحيط بالنسبة الى المركز وقد حصل فضائله للكتاب فيه اذ هو كتاب مرقوم
يشهده المقربون من حملة العرش وكفى بشهودهم فضيلة له ولمن كتب
فيه اسماؤهم واعمالهم ومن فوائد شهودهم انهم يفيدونهم التنعم ان الابرار
كانهم الآن لفي نعيم يتلذذون باعمالهم وافعالهم ومعارفهم وكانهم في
تلك اللذة كالملوك على الارائك من النظر الصحيح ينظرون في اسرارهم
واعمالهم ليتلذذ بها بواطنهم ثم يسري الى ظواهرهم بحيث تعرف في وجوههم
نضرة بهجة النعيم الباطن وكيف لا وهم يسقون بهذا النظر من رحيق
من خمر الجنة مختوم على غيرهم ختامه بذلك النظر روائح القرب كانها مسك
وفي ذلك لا في التطفيف المفضي الى اللذات الحسية التي يشارك فيها
البهائم فليتنافس فليرغب المتنافسون الراغبون في الشيء النفيس

وكيف لا يتنافس فيه ومزاجه من تسنيم منهل عال كان عينا يشرب
بها صرف المقربون ومع عظم هذه اللذات بحيث لا نسبة للذات الحسية
اليها سكر بها المجرمون كل الانكار ان الذين اجرموا من المطففين
والمكذبين كانوا من الذين آمنوا فاتهم اللذات المحققة على الحسية
يضحكون لاعتقادهم انهم فوتوا كل شيء لما ليس بشيء سوى انه امر موهوم
متخيل ولا يقتصرون على الضحك بل اذا مروا بهم يتغامزون مبالغة
في السخرية ولاعتقادهم ان اللذات منحصرة في الحسية اذا انقلبوا الى
اهلهم فاجتمعت لهم تلك اللذات انقلبوا فاكهين معجبين بانهم لم
يفتهم شيء من الكمالات ويرون اعتقاد ما ليس عندهم من الكمالات
كمالا ضلالا لذلك اذا راوهم يؤثرون الكمالات المحققة على الحسية
قالوا ان هؤلاء الضالون وليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم ان ارسلوا
لحفظ الكمالات على انفسهم ما ارسلوا عليهم حافظين كمالاتهم بل
انما يحفظون كمالاتهم ما دامت الدنيا فاذا ارتفع انقلب الامر
فاليوم الذين آمنوا فاتهم الكمالات الحسية من الكفار المنكرين
لتلك الكمالات المرجحين عليها الكمالات الحسية الفانية يضحكون
لوجدانهم جميع كمالاتهم وانقطاع كمالات الكفار عنهم وكيف لا يكمل
كمالات المؤمنين مع انهم على الارائك ينظرون الى الله تعالى والى
انقطاع كمالات الكفار وفضائحهم فيقال لهم هل ثوب جوزي الكفار
ما كانوا يفعلون من الضحك والتغامز والتفكه والاضلال تم والله
الموفق والملهم فالحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الانشقاق

سميت لان انشقاقها عن امر الله تعالى مع كونه اشق الاوامر من غير عاقبة
ثواب او عقاب اعظم حجة على الانسان بسم الله

المتجلي بكمالاته على السماء والارض حتى راينا جماله في امتثال امره وجلاله
في مخالفته الرحمن على الانسان بجعل تكاليفه سببا للوصول الى ثوابه
او عقابه الرحيم باقامة الدلائل على ذلك اذا السماء التي هي منشأ الروح
الانسان انشقت ولم يكن انشقاقها لضعف منها بل لانها اذنت سمعت
امر ربها اذنت لربها ولم يكن ذلك لها حملا لا يليق بعظمتها بل حقت كانت حقيقة
بالتذلل له واذا الارض التي هي منشأ جسمية مدت انبسطت ليتسع
لقيام الناس عند بعثهم والقت ما فيها من اجزائهم ليحصل لهم القيام بجمع
اجزائهم وتخلت عما تعلق بها من آثارهم للمجازاة عليها ولم يكن لها في ذلك
غرض بل اذنت لربها وحقت لتمسك الحجة فيما امرت لو خالف فيقال لك
يا ايها الانسان لست باعظم من السماء والارض حتى تخالف امر ربك وليس
امرهما كامرك بلا غاية من الثواب والعقاب بل انك كادح ساع
للوصول الى ربك كدحا ليحصل ثوابه ورضوانه وليس بمجرد تخيل منك
بل هو محقق فملاقيه مع ملاقاة ما تجيء به عليك لو ضعفت مع نفسك وهواك
وما تجيء به لتقويت عليهما واول ما تظهر لك من تلك الحجة قوتك او ضعفك
في وصولها اليك فاما من اوتي كتابه بيمينه لكون قوتها غلبت على نفسه
وهواها فغلبت حسناته فسوف يحاسب بعد حساب حسناته الغالبة
حسابا يسيرا على سيئاته وهو ان يعرض عليه بعضها او يعفو فينقلب الى
اهله مسرورا لا يبالي بعتاب او عقاب سيق بعدها انضم سرور حسناته
الى سرور ملاقاة اهله ولم يذكر من اوتي كتابه بشماله لانه وان لم يكن حسابه
يسيرا فرجعه اليسير فكان في حكم الاول واما من اوتي كتابه وراء ظهره لكون
يمناه مغلولة الى عنقه لانقباضه عن الخير وكون يسراه مدخولة في بطنه مخرجة
من ظهره لدخول آثار النفس راسخة في بطنه مع ادبارها لامر الحق فسوف
يدعو بعد معاينة الشر على غل يمناه وجعل يسراه في بطنه واخراجها وراء

ظهره ثبورا او سو جميع المكاره على حسابه وجمع ذلك يصلى سعيرا من شدة
غضب الله عليه انه كان في اهله مسرورا بكفره ومعاصيه مع اجتماع
سرور الدنيا عليه عند كونه في اهله وما تم له هذا السرور من عدم مبالاته
بالله انه ظن ان لن يحور اي انه لا يرجع الى الله ولو رجع لا يجازي بلى
يرجع اليه ويجازي بظواهر ما عمل وبواطنه ان ربه كان به بكل ما في اعماله
بصيرا او لا يبعد ان تكون في المعاصي مراتب يوجب لها السرور واو
الحجب او قبايح اخر يضم الى قبحها الاول واخر ما يكشف عن قبايحها الموجبة للعقوبة
الشديدة وهذا واضح فلا حاجة الى القسم فان احوجتني اليه فلا اقسم
بالشفق وهو الحمرة او البياض من اثر الشمس الموجب للسرور والليل
الحاجب عن الاشياء وما وسق جمع من الكواكب جمع المعصية للقبايح
والقمر اذا اتسق اجتمع وتم هذا مكشف ما ستره الليل وهو مثال ما ينكشف
عن قبايح المعصية يومئذ لتركبن في امر المعصية طبقا مرتبة لها مجاوزة
عن طبق سابق هذا واضح للعقلاء فما لهم لا يؤمنون بعد بيان القران
له بغاية ما يمكن من الامثلة وعبارة القران معجزة فما لهم اذا قرئ عليهم القران
لا يسجدون تعظيما لمن اعجزهم بها بل الذين كفروا يكذبون بهذا البيان وباعجاز
القران مع غاية ظهورهما والله اعلم بما يوعون يجعلون في وعاء نفوسهم
من صنوف القبايح فبشرهم على كل قبيح منها بعذاب اليم بدل تلذذهم بمخالفة
امر الله وحكمته وفرحهم على ذلك وظنهم ان لا رجوع اليه الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فمحوا كفرهم ومعاصيهم فلا عذاب عليهم بل لهم اجر على الايمان
والاعمال الصالحة ومحو الكفر والمعاصي غير ممنون غير منقطع بالغفلة
عن الايمان والعجز عن الاعمال لمرض او موت ثم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
وآله اجمعين.

## سورة البروج

سميت بها لانها اشتهر اسباب

تعاقب الحر والبرد على لعن من اذى المؤمنين بعد تمكنهم منه
بسم الله المتجلي بكمالاته بالجمال في البروج السعدية
والجلال في النحسة الرحمن بخلق اليوم الموعود للجزاء المصلح امور الخلائق
الرحيم بخلق الشاهد والمشهود لاقامة العدل والسماء ذات البروج
الدايرة بتعاقب الحر والبرد بسعودها ونحوسها واليوم الموعود للجزاء
وشاهد على اعمال بني آدم من نفسه واجزائه والملئكة وغيرها ومشهود
من تلك الاعمال انه لعن من آذى المؤمنين لايمانهم عند مجيء دايرة نحوستهم
او في اليوم المشهود بعد اقامة الشهود عليهم واظهار المشهود به منهم ويدل
عليه فيما مضى انه قتل لعن اصحاب الاخدود الشق في الارض ليلقوا
المؤمنين في النار التي فيها ذات الوقود الحطب الكثير هولا لشانها
اهلكهم بارتفاعها اليهم اذ هم عليها على اطراف الاخدود قعود قبل
ان يقوموا وما اهلكهم الا بعد لزوم الحجة عليهم اذ هم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود على انفسهم لا سابق لهم انكاره اصلا روي انه كان لملك ساحر فكبر
فضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب يسمع منه فراى في طريقه ذات
يوم حية حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب
اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي المرضى فعمي جليس للملك فابراه فساله الملك من ابراك فقال
ربي فغضب الملك عليه وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب
فقده بالمنشار وذهب بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا الغلام وذهب به الى سفينة ليغرق فانكفأت بمن معه ونجا فقال
للملك لست تقتلني حتى تاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه وقال بسم الله رب الغلام واصاب صدغه فوضع يده
عليه ومات فآمن الناس برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما تحذر فامر

باخاديد في افواه الشكل واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرح فيها
حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وكيف لا ينقم الله منهم الا لعداوته ان يؤمنوا
بالله مع استحقاقه اياه باسمه العزيز الغالب على كل ما سواه مع كثرة انعامه
باسمه الحميد الموجب لشكره بالقلب واللسان والجوارح وكيف يرخص
في ترك الايمان به مع انه الذي له ملك السموات والارض كيف ويقتضي
عزته وحمده وملكه الانتقام من اعدائه سيما عند ايذاء اوليائه وقد شهد
عداوة الاعداء وولاية الاولياء وايذاء الاولين لهم لموالاتهم اذ الله على كل
شيء شهيد واذا تم الدليل في هذا الجزئي صح قياس الكلي عليه ان الذين
فتنوا المؤمنين اذوهم لايمانهم والمؤمنات وان كان في ايمان بعضهن ضعف
ثم لم يتوبوا فالتائب وان عذب لحق الخلق فليس له منع الشدة فلهم عذاب
جهنم بانواعه اشدها الغيرة ولهم مع الشدة على سائر الانواع عذاب الحريق
ان الذين آمنوا ثبتوا على الايمان مع ما فتنوا وعملوا الصالحات كالصبر والرضا
والرضا واثار رجحان الله على ما سواه لهم في مقابلة ما فتنوا جنات نالوها
عن قرب فعذابهم الدنوي كمن ضرب بحضرة محبوبه تجري من تحتها الانهار
في مقابلة اجارة دمائهم فلا يبالي بعذابهم في مقابلة ذلك اذ ذلك الفوز الكبير
وما يعظم به فوزهم شدة عذاب الله تعالى على من فتنهم ان بطش ربك
لشديد يحب لا نسبة لشدة فتنهم اليه انه هو يبدئ ويعيد كل شدة عليهم
ومع غاية شدته على اعدائهم هو الغفور لمعاصيهم وان عظمت لانه الودود
المحب لهم لايمانهم واعمالهم ومعاصي المحبوب مغفورة ولا يبعد منه شدة
البطش مع عظم اللطف بالغفران والود لانه ذو العرش المحيط بالاجسام
فلا يبعد منه الاحاطة بالافعال وقد اقتضاها اسمه المجيد وهو كما اقتضاها
اقتضى الارادة ايضا فهو فعال لما يريد ولا يبعد منه الجمع بين الانعام

وما نقموا منهم صح

سيما

مزيد صح



والانتقام في حق الواحد هل اتيك حديث الجنود الذين انعم عليهم ثم
انتقم منهم كقوم فرعون وثمود ولا يجمع بينهما يوم القيمة في حق الكفرة اذ لا يؤمنون
بيوم القيمة ولا بجمعيته بل الذين كفروا في تكذيب بجمعيته وليوم القيمة ولا يبطل
بذلك جمعيته اذ الله من ورائهم خلف حجابهم محيط ومن كفرهم باحاطته
كفرهم بالقران فانه لا ينحصر فيما يفهمونه بل هو قران مجيد وانما يظهر مجده بكماله
لمن نظر في لوح محفوظ فكل حرف من القران فيه اعظم من جبل قاف ثم
والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الطارق

تسميته به
لانه الحافظ للسماء عن تطرق الشياطين اليه حفظ القران والقوة النظرية
للانسان بسم الله المتجلي بكمالاته في السماء الرحمن
بخلق الطارق بحفظ تلك الكمالات عليها الرحيم بحفظ النفوس الانسانية
بالقران والقوة النظرية والسماء المحتاج مع عظمها الى ما يحفظها والطارق
الحافظ لها عن الشياطين بما اخذ عليهم الطريق وما ادريك ما الطارق
النجم الثاقب للشياطين اذا رمى بشهاب يثقب نارا من نوره ان ما كل نفس
لما الا عليها حافظ هو نظره في مبداه ومعاده بالقران والقوة النظرية فلينظر
الانسان ولا في مبداه مم خلق خلق من ماء دافق نزل دفعات نزوله
النازح العلمية الدافعة للوساوس يخرج نزله بعد نزوله من الراس بطريق
من بين الصلب عظام الظهر والترائب عظام الصدر بنزول النظر من المفكرة
في الراس الى القلب الذي منهما التحرز من الوهم والخيال والنظر لما كان من
المبادي الى المطالب وهو نظر هذا الماء فهو دليل البعث انه على رجعه
لقادر رجعه بما انزله من عجب العرش يخرج الحيوة المكونة في المني يوم تبلى
نظهر السرائر فيظهر من سر من عطل النظر في القران والقوة النظرية انه عطل
الحافظ فما له من قوة في نفسه يحفظ ولا ناصر من خارج والسماء ذات

ثم من المطالب الى المبادي صح

الرجع اى الذى يرجع فى حركتها الى الوضع المتروك والارض ذات
الصدع المشقق بالنبات انه اى القول برجع الانسان الى الحيوة
المتروكة ظاهرا وبصدع الارض عنه لقول فصل جزم لم يبق فيه شبهة
للمنكر وما هو بالهزل لصدوره من الحكيم انهم اى القائلين بانه ليس
بفصل بل هو هزل يكيدون يحتالون لدفعه كيدا من الشبهات
واكيد فى دفع اقوالهم وشبهاتهم كيدا اعظم من كيدهم فمهل الكافرين
بتوليهم حتى يظهر دينى امهلهم رويدا زمنا قليلا فانه عن قريب يظهر
دينى على الدين كله فابطل كيدهم بالكلية تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
وآله اجمعين

## سورة الاعلى

سميت به لانه مرجع البداية والنهاية كمالا ونقصا بسم الله
المتجلى بكمالاته فى اسمه الاعلى الرحمن على من سبحه الرحيم على من
اقراه القران مستقرا بقلبه سبح نزه عن مدارك العقول والاوهام
اسم ربك الاعلى الذى هو مرجع البداية حيث خلق كل شىء فسوى
مزاجه بحسبه والذى هو مرجع النهاية كمالا حيث قدر اعطى القدرة
على تحصيل الكمالات فهدى لها بالعلم والعمل والذى هو مرجع النهاية
نقصا حيث اخرج المرعى انبت ما يرعاه الحيوان رطبا اخضر او اصفر
واحمر او ابيض فجعله غثاء يابسا احوى اسود واذا استحضرت انه
فهو مرجع البداية بداية ونهاية كمال ونهاية نقص اما البداية فانا
سنقرئك بعد تصقيل قلبك بهذا التسبيح بحيث لا يقبل الرين
فلا تنسى الا ما شاء الله ان ينسخ فانه ربما ينسيك على وفق المصالح
انه يعلم الجهر من المصالح الظاهرة وما يخفى وهذا بمنزلة تسوية المزاج
الذى يتفاوت فيه بحسب المصالح واما نهاية الكمال فهو انا نيسرك



فذكر ان نفعت الذكرى صح

لليسرى الطريقة اليسرى فى اقامة الحجج ورفع الشبه واذا يسرناك الطريقة
اليسرى فلا حاجة الى المبالغة فى التذكير وهذه قد تعدى منك نهاية
كمال فانه سيذكر من يخشى فيصل الى نهاية كمال من السعادة الابدية ويتجنبها
نهاية نقص فى حق الاشقى فانه يتجنبها من لا يخشى وهو الاشقى الذى فى
نهاية النقص لانه اضل من الانعام حيث يصلى النار الكبرى فيصير
فحما اسود كالغثاء الاحوى ثم لا يموت فيها ليصير الى العدم الذى ليس فيه
نهاية كمال ولا نقص لانهما صفتان وجوديتان ولا يحيى فيكون له نهاية
كمال بعد هذا وان كان له نهاية كمال فليس بكمال مطلق وانما هو بالتزكية فانه
قد افلح نهاية الكمال المطلق من تزكى عن رذائل الاخلاق والاعمال
وذكر اسم ربه المنزل لقلبه فصلى شكرا بالجوارح وتقربا لنور القلب فله
غاية الكمال المطلق ولكن اهل الشقاوة لا يرونه كمالا بل يرون الكمال فى
اللذات المحسوسة او الجاه لذلك تؤثرون الحيوة الدنيا التى هى كالمرعى
الصائر غثاء احوى على الله وعلى الاخرة ولا ينبغى ان يؤثر على الاخرة
اذ الاخرة خير فكيف تؤثر على الله ولو كانت الدنيا خيرا من الاخرة ينبغى
ان لا تؤثر على الاخرة اذ هى ابقى والدنيا فانية فهم اهل نهاية النقص وان
كانوا يرونه كمالا وليس هذا مما يقبل النسخ ان هذا لفى الصحف الاولى
فلم ينسخ لم يغير صحف ابراهيم وموسى قبل التورية والانجيل فلا يختلف
بحسب الازمنة كمالا ونقصا تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الغاشية

سميت بها لما فيها من تاكيد الانذار
بتهويل عموم العقوبة وهو من اعظم مقاصد القران بسم الله
المتجلى بكمالاته فى الغاشية بجلاله فى الوجوه الخاشعة وجماله فى الوجوه
الناعمة الرحمن بالتخويف والتبشير الرحيم باقامة الادلة على ذلك

هل اتيك استفهام تعظيم وتعجب حديث الغاشية الداهية التي تغشى
بشدايدها وجوه كانت قبل ذلك اليوم متعززة مستريحة من الاعمال الشاقة
والمتاعب مشتغلة بالاطايب شاربة الذ المشارب اكلة اطيب المطاعم
المسمنة المشبعة يومئذ خاشعة متضرعة متذللة ولو كانت لهم الدنيا كانت
لهم اعظم ثواب سيما اذا كان في عمل من الاعمال الصالحة وهي هناك
عاملة يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وبمعالجة السلاسل والاغلال
وبالخوض في النار كالابل في الوحل لكنها ناصبة ناعمة تعبا لا يعقبه
ثواب بل ثوابها استغمامها اذ تصلى بدل استلذاذهم بالاطايب
نارا حامية شديد الحر كان غيرها من النيران لا حرارة لها ولا يعينهم
عليها ما بارد بل تسقى بدل شربهم الذ المشارب من عين آنية اشد
حرا من النار باضعاف ثم من اثر الحرارة تسلط عليهم الجوع بحيث يكون
عذابه اشد من عذاب النار لكن ليس لهم بدل المطاعم المسمنة المشبعة
طعام الا من ضريع شبرق يابس سمي به قابل تحاماه الابل فلا لذة فيه ومع
ذلك لا يسمن فيعطي قوة يسهل عليهم تحمل العذاب ولا يغني لا يفيد شيئا
من دفع جوع وفوايد الطعام منحصرة في اللذة والاسمان والاغناء
من الجوع ولا ينافي هذا قوله الا من غسلين وقوله طعاما ذا غصة وقوله
ان شجرة الزقوم لاختصاص كل واحد منهن بقوم ولا شيء من هذه
الشدايد لمن تحمل لها شدايد الدنيا اذ وجوه تحملت الشدايد في الدنيا
يومئذ ناعمة بنعم العز واللذايذ الحسية لسعيها عملها المتعب في الدنيا
راضية لانهم بسببه في جنة بجمع اللذات اتم ما في الدنيا عالية لا يصل
اليها اهوال يوم القيمة بل ليس فيها ادنى الموذيات حتى انه لا تسمع فيها
كلمة لاغية ذات لغو فضلا عن الشتم وهذا في مقابلة صليهم الآنية لهم
عين جارية ماءها ابرد واصفى فيها في مقابلة خشوعهم سرر مرفوعة طوال

النار فيها في مقابلة العين

قوايمها في مقابلة اعمالهم الناصبة وما كلهم الخبيثة اكواب جمع كوب
آنية لا عروة لها ولا خرطوم موضوعة فوق سررهم كلما ارادوا طعاما او
ماء وجدوه فيها بلا تعب في طلبها بالنزول عن سررهم ولا شغبوت فيها
حال الاتكاء اذ لهم فيها نمارق وسايد مصفوفة ضم بعضها الى بعض
صفا لا في حالة الجلوس والرقود اذ لهم فيها زرابي وهي البسط
العريضة مبثوثة متفرقة أ ينكرون خشوع وجوه وعملها ونصبها وصليها
وسقيها من العين الانية واكلها الضريع فلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت ذليلة مع عظم جرمها عاملة بلا فايدة لها وتصلي بحر الشمس
والعطش ويأكل الشوك مثل اليبس أو ينكرون علو الجنة فلا ينظرون
الى السماء كيف رفعت وينكرون السرر المرفوعة فلا ينظرون الى الجبال
كيف نصبت او ينكرون صف النمارق وبث الزرابي فلا ينظرون الى
الارض كيف سطحت بسطت واذا كانت هذه المذكورات امثلة
للامور الاخروية فذكر بها لكن انما انت مذكر لا مكره اذ لست عليهم
بمصيطر مسلط الا من تولى عن تذكيرك وكفر بالمذكور فانت مسلط
عليها في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالشهادة عليه فيعذبه الله العذاب
الاكبر ويسهل علينا تعذيبه ان الينا ايابهم ثم يسهل علينا لكثرة العذاب
عليهم ان علينا حسابهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الفجر

سميت به لانه ادل المذكورات على جمع
الناس في القيمة للجزاء بسم الله المتجلي بكماله في فجر
عرفة الرحمن بجمع الخلايق فيه يومئذ لاعظم اركان الحج الرحيم بجعله
دليل جمع القيمة والفجر فجر عرفة جامع الحجاج فيها لاعظم اركان الحج
وليال عشر من اول ذي الحجة جامعات الخلق بمواضع النسك الخ

مع تقدم اكثرهن لان فضلهن بتبعية ذلك الفجر ولما توهم من ذلك
نقصهن بتبعية ذلك الفجر جبر وبتكبيرهن للتعظيم والشفع ثانى ايام
التشريق جامع الناس للرمى بمنى والوتر ثالث ايامه الذى لا يخلو
عن جمع لادراكه الذى يكثر فيه الجمع والليل ليلة الرجوع الى مكة اذا
يسر الناس مجتمعين فى الطريق لقضية بقية المناسك او ليل الرجوع الى
المزدلفة لاخذ حصى الرمى وجواب القسم محذوف ليجمعن اخلافك فى
مواطن العظمة للجزاء جمعهم فى هذه المواطن للنسك هل فى ذلك رتبة نزلها
قسم لذى حجر عقل بل هو مصدق به بلا قسم لان الجزاء مستحسن عند
كل احد بوجه فان استبعدت مجازاة الجمع الكثير اولى القوة تعالى
لك الم تر الم تعلم بالتواتر النازل منزلة الابصار كيف فعل فى دار
الابتلاء مما يدل على فعله يوم الجزاء ربك الجامع ربوبيته الكل المقتضية
لاقامة العدل والانصاف فيهم بعاد عاد ارم اسم لبنائهم ذات العماد
الاساطين الكبار الرفيعة التى لم يخلق مثلها فى البلاد بلاد الدنيا
روى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا الدنيا وقهرا ثم مات شديد
فخلص الامر لشداد فسمع بذكر الجنة ووصفها فدعته نفسه الى بناء مثلها
عتوا على الله وتجبرا فبنى فى بعض صحارى عدن حصنا من ذهب وفضة
وبنى فيه الف قصر جدرانها واساسها من الجزع اليمانى واساطينها من الزبرجد
والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
فاهلكهم وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا صخر الجبال بوادى القرى ونحتوا الغا
وسبعمائة مدينة من الحجارة وفرعون ذى الاوتاد ذى العسكر الكثير الذين
لكل واحد منهم خيمة مضروبة بالاوتاد اهلكهم لا طمعا فى ملكهم بل لفعلهم الطغيا

لانهم الذين طغوا طغيانا منتشرا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد بافساد
عقايد العباد وقتلهم وسبيهم ونهب اموالهم فصب عليهم صب المطر الكثير
ربك الذى هو ربه من افسدوا عليهم سوط عذاب نوعا منه نزل منزلة
السوط من السيف والريح بالنسبة الى ما اعد لهم فى الاخرة ان ربك لبالمرصاد
بمثل الجالس على راس الطريق لينظر المارة فيه ممن اعطاه او منعه نعمته
كمن هو فيهما هل يشكر ويصبر ام يكفر ويجزع فكيف لا يرصد المفسدين ولا
يصب عليهم العذاب لكن لا ينظر فى ترصد الا هو واهله فاما الانسان
اذا ما ابتلاه بالمال ربه الذى هو بالمرصاد فاكرمه بالجاه المكتسب منه
ونعمه اعطاه النعم بسببه فيقول ربى اكرمن من غير ابتلاء فيا من
مكره ويظن انه لا يفعل به سوى ما يناسب اكرامه الاول واما اذا ما ابتلاه
بالفقر فقدر ضيق عليه رزقه فان اعطاه قدر حاجته فيقول ربى
اهانن من غير ابتلاء فيناس منه كلا ردع عن اعتقاد الاكرام فى الاعطاء
بل لطلب الشكر وهو صرف النعم الى ما خلقت له واعطاء المال لاكرام الناس
واحقهم الايتام وهم لا يفعلون بل لا تكرمون اليتيم واعطاء المال الزائد
لمواساة الضعفاء وهم لا تحاضون على طعام المسكين ولكن يهينون
اليتيم بما هو اسانه عندهم وهو الافقار اذ تاكلون التراث اذا كفلوهم
اكلا لما مختلطا بين ما يستحقونه بالكفالة والقدر الزائد عليه وايضا
اعطاء المال للتفرغ عن طلب الرزق والاشتغال بالعبادة وهم يحبون
المال حبا جما كثيرا بحيث يمنع عن عبادة الله وعن حقوق الضعفاء
كلا زجر عن الغفلة عن الحكمة الالهية فى اعطاء المال والجاه فان لم
يتفكروا الآن يتذكروا يوم القيمة اذا دكت الارض وقت وكسرت دكا
دكا مرة بعد اخرى بحيث لا يبقى ما عليها من جبل وبناء فهو من اسباب الخوف
الموجب للتذكر وجاء ربك اى عرشه والملك يقومون بين يديه صفا صفا

مخصوصين بالجن والانس وهو ايضا من اسباب الخوف المنكر وجيء يومئذ
مع هذه الاهوال المخوفة باعظم مخوف بجهنم لها تغيظ وزفير حتى تنصب
على يسار العرش يومئذ يتذكر الانسان ما ذكر وغيره وانى له الذكرى من
اين له فائدة التذكر سوى التحسر يقول يا ليتني قدمت المال او الاعمال الصالحة
ذخيرة لحيوتي الابدية لكن التحسر عذاب اشد من العذاب الجسماني فيومئذ
لا يعذب عذابه اى عذاب التحسر احد لا النار ولا الزبانية ولا الحيات
ولا العقارب لانه لا نسبة للعذاب الجسماني الى العقلي والعقل وان كان
شانه الالتفات الى امور كثيرة تكون بعضها حجابا عن بعض لا يوثق وثاقه
احد فانه يمنعه الالتفات الى ما فرطوا في جنب الله لكن هذا لمن كان ملتفتا
الى غير الله غير مطمئن بالله واما المطمئن بالله فلا يبالي لاندكاك الارض
ولا لرؤية الملئكة ولا لجهنم بل يقال له يا ايتها النفس المطمئنة المستقرة عند الله
لا تبالي لغيره ارجعي الى ربك راضية بتجليه الجمالي الشهودي لك مرضية
لما يرى فيك من نور جماله فادخلي في عبادي المقربين في مقام الرؤية
وهي السعادة العقلية وادخلي جنتي وهي السعادة الحسية اللهم
اجعلنا بمحض كرمك ولطفك منهم وان لم نعد شانا عنهم فانك
اكرم الاكرمين وارحم الراحمين تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة البلد

سميت به لانه دل على ان الانسان لا بد له
من تحمل الكبد في الدنيا والآخرة بسم الله
المتجلي في هذا البلد بالجلال من حيث هو محل الكبد في الدنيا والآخرة
وبالجمال من حيث هو منشأ الارض التي هي منشأ بدن الانسان الرحمن
بهدايته النجدين الرحيم بتوفيق اقتحام العقبة لا حاجة الى القسم على خلق
الانسان في كبد فان انكرتم فاني اقسم بهذا البلد الذي هو اصل الارض

التي هي اصل الانسان مع كونه واديا غير ذي زرع يقصد زائره كبدا
هنا في ذاته ومن الكبد العارض فيه ان حل مستحل القتل والايذاء
بهذا البلد ووالد هو آدم المخرج من الجنة وما ولد في دار المحنة لقد
خلقنا الانسان بمقتضى اصله الترابي والمائي في كبد مشقة تصيب الكبد
فلا بد ان يرجع الى الله في الدنيا باعمال التكاليف او في الآخرة باهمالها ايحسب
هذا المخلوق في كبد ان اى انه لن يقدر عليه على مكابدته في الآخرة احد
اعتمادا على عدته المكتسبة من انفاق المال اذ يقول اهلكت انفقت مالا
لبدا كثيرا على ان الانفاق انما يفيد الحظوة عند الله لو انفق في سبيله وهذا
انما انفقه رياء وافتخارا او عنادا لامر الله وسينكر ذلك عند رجوعه الى الله
ايحسب ان اى انه لم يره احد فيهم ولم انفق وكيف يعتقد عدم رؤيتنا
مع خلقنا العينين في الاشياء ليبصرها الم نجعل له عينين ومن خلق
في الغير ما يبصره كيف لا يبصر بنفسه وكيف لا يعلم ما في القلب من خلق لاظهار
ما فيه للغير لسانا وشفتين وكيف يسمع منه ان الانفاق كله في سبيل الله
مع انا هديناه النجدين طريقي الخير والشر ولو كان هذا منفقا في سبيل الخير
لاحتمل كبدا لكنه لم يحتمل فلا اقتحم فلم يدخل العقبة وهي الطريق في الجبل
والمراد العالي الشاق وذلك لصعوبة الانفاق فيه بخلاف الانفاق في
سبيل الافتخار والرياء وما ادريك ما العقبة سؤال تعظيم فك رقبة عن
رق او قتل او حبس او اطعام في يوم ذي مسغبة حاجة واولى المحتا
جين
الايتام سيما الاقارب وهذا لم يطعم يتيما ذا مقربة قرابة ليكون اطعامه
صدقة وصلة رحم او المساكين وهذا لم يطعم مسكينا ذا متربة اى لاصقا
بالتراب ثم اقتحام العقبة انما يفيد من كان من الذين آمنوا وهو
وان افادهم نجاة وثوابا فلا يفيد عظمه الا ان يكونوا من الذين تواصوا
بالصبر عن الحرام بعد ان يصبروا عنه في انفسهم وتواصوا بالمرحمة في الحلال

على الايتام والمساكين اولئك اصحاب الميمنة المعظمين عند الله
بالانفاق والذين كفروا بآياتنا فانهم وان لم يصرحوا بالكفر بما واطعموا
الايتام والمساكين وتواصوا بالصبر والمرحمة هم اصحاب المشأمة لهم
اهل المهانة وتحملهم كبد الدنيا لا ينفعهم فى الاخرة بل عليهم فى الاخرة
اشد مما تحملوه نار موصدة مطبقة لا يخرج شئ من حرها ولا يدخل نفس
بارد خارج فيها تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الشمس

سميت بها لانها مثال الذات الالهية بسم الله
المتجلى بكمالاته فى الشمس الرحمن باشراقه فى الآفاق الرحيم باشراقه فى
الروح الانسانى والشمس التى هى مثال الذات الالهية باشراقها
على الكل وضحيها الذى هو مثال اشراق نورها على الكل والقمر الذى هو مثال
الروح اذا تليها تبعها لا القلب المكدر والنفس الامارة والنهار الذى
هو مثال القلب الصافى اذا جليها اى الشمس بتجليه القلب الذات
الالهية والليل الذى هو مثال الرد الى عالم الشهادة اذا يغشيها
يسترها ستر القلب التجلى عند الرد لمصالح الخلق ودعوتهم الى الحق
والسماء التى هى مثال الشريعة العالية وما بناها محيطة بعالم العناصر
احاطة الشريعة بالاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال و
المقامات والارض التى هى مثال العقل من حيث انه مزرعة امور
الدارين وما طحيها بسطها بسط العقل لزرع الكل ونفس لما لم
يكن لها نظير معظم يقسم به اقسم بها وما سويها سوى مزاجها لتصير
قابلة للتعليم فالهمها فجورها بتغلب القوة الشهوية والغضبية على
النظرية وتقويها بتغليب النظرية عليهما قد افلح من زكيها بتعديل القوى
فانه تشرق عليها نور العقل والشرع والقلب الصافى والروح المستنيرة

من مه

بالتجلى الالهى فتصير اعلى من الملئكة وقد خاب هلك من دسيها
نقصها واخفاها فلم يشرق عليها شئ من ذلك فتصير انزل من الحيوانات
البهم لترجيح القوة الشهوية والغضبية على العقلية ولم يكن ذلك للحيوانات
البهم ويخاف من ذلك الافضاء الى التكذيب الموجب للهلاك الكلى
كهلاك ثمود فانه كذبت ثمود بطغويها التى هى جعلها القوة النظرية
تابعة للشهوية والغضبية اذ انبعث قام بنشاط لعقر الناقة على خلاف
مقتضى العقل والشرع اتباعا للشهوة فى حب انعامهم الهالكة بسببها
وللغضب عليها لكونها سبب هلاك انعامهم اشقيها الذى هلك بسببه الكل
وهو قدار بن سالف فقال لهم رسول الله صالح الذى انذارهم انذار
الله احذروا ناقة الله ان تعقروها ترجيحا للشهوية والغضبية على العقل
واحذروا سقيها ان تجعلوها لغيرها ترجيحا لهما على الشرع فغلبت
شهوتهم وغضبيتهم فكذبوه فى انذاره فعقروها فوقع المحذور وهو الهلاك
الكلى فدمدم اطبق العذاب عليهم ربهم الذى امرهم بالشرع والعقل
والشهوة والغضب ليستعملوا الاخرين تابعين للاولين بذنبهم
الذى ابطل حكمة ربه من جعل الاولين تابعين للاخرين فسويها
اى الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم لاستوائهم فى الرضا بفعلها فالراضى كالفاعل
ولا يخاف عقبيها اى الدمدمة من التحسر على اهلاك من رباهم
كما لم يخافوا عقبى السوء من جعل العقل والشرع تابعين لشهوتهم و
غضبيتهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الليل

سميت به لانه اجل اسباب تشتت الاعمال المقصود من هذه السورة
بسم الله المتجلى باسمائه المختلفة فى العاملين اختلافها
فى هذه الامور المقسم بها الرحمن بجعل هذا الاختلاف سبب اختلاف

الجزاء الرحيم بالتيسير لليسرى لمن جمع فيه الخيرات والليل الذي هو
مثال البشرية في الاعمال الظاهرة والباطنة اذا يغشى يستر نور الشمس سرا
البشرية نور الروح والقلب والنهار الذي هو مثال الخير فيها اذا تجلى
ظهر به الشمس ظهور نورهما بالخير وما خلق الذكر والانثى وهو مثال اجتماع
الخير والشر ان سعيكم لشتى متفرق الى خير محض وشر محض وخير وشر
مختلطين وهذا التفرق يوجب تفرق الطريق الموصل الى الجزاء فاما من
اجتمع فيه الخيرات الظاهرة والباطنة بان اعطى المال وهو عمل الظاهر
واتقى الرياء وهو عمل الباطن وصدق بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الاعتقاد
الصحيح فسنيسره لليسرى الطريقة اليسرى في جمع خيرات الدنيا وقربات
الاخرة واما من اجتمع فيه الشرور الظاهرة والباطنة بان بخل فلم يعط
واستغنى بالمال عن الله فلم يتق ولم يعامل معاملة التجارة في اخذ الاعلى
بالادنى لانه كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى في جمع شرور الدنيا و
اهوال الاخرة اذ الاول احاطته الانوار والثاني الظلمات و
الاستغناء بالمال انما يتم لو اغنى عنه في الشدائد كلها لكن ما يغني عنه ماله
في الشدائد اذا تردى سقط في تصرفه فصرفه في غير مصرفه مما يوجب عذابا
فلا بد في الاستغناء به من هداية لا يتم الا بنا ان علينا للهدى لمن
استهدى منا ونوكل علمنا ولا يغتر بالصرف لما هديناه في سبلنا اذ
نعوض في الدنيا والاخرة ان لنا للاخرة والاولى على ان فائدة المال
التلذذ بالشهوات ولا يتم لمن استغنى به عن الله فانه موجب لاشد الالام
فانذرتكم نارا تلظى تتغيظ على المستغني به عن الله لانه يفضي الى كذب
الله فيما وعد من الثواب لما تولى عنه اذا سلب عنه المال الذي هو محبوبه
فخاف عليه من نار لا يصليها الا الاشقى فلا يتوهم فيه بالمال سعادة
لانه الذي كذب وتولى وسيجنبها يبعد عن تلك النار الاتقى الذي يعطي

محبة المال وان اجتمع عنده فهو يؤتي ماله يتزكى يطلب تزكية النفس
عن رذائل الاخلاق التي من جملتها البخل ويدل عليه انه لا يعطيه
لمكافاة نعمة لانه ما لاحد عنده من نعمة تجزى باعطاء المال فهو لا يعطيه
الا ابتغاء طلب رؤية وجه ربه الاعلى فلذة رؤيته اعلى من جميع
اللذات فيدفع حجاب حب المال ولسوف يرضى برؤية وجهه بدلا على لذات
المال نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا عمن كان يؤذيه لاسلامه
فاعتقه ليعتقه الله عن الحجب المانعة من رؤيته ثم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد و اله
اجمعين

**سورة الضحى**

سميت به لانه دليل عود الوحي
مرة بعد اخرى وهو المقصود من السورة بسم الله
المتجلي باسمائه المختلفة في الضحى والليل ليدل على اختلاف اوقات
الانبياء بالوحي وعدمه الرحمن بعدم مواد عنهم وقلاهم عند غلبة
ظلمة البشرية عليهم الرحيم باعادة غلبة نوره الموجبة للوحي عليهم
والضحى وقت ارتفاع الشمس الذي هو مثال اشراق النور الالهي على
الروح المحمدي والليل الذي هو مثال بشريته اذا سجى غطى كل شيء
بظلامه ما ودعك ما فارقك مفارقة مودع بطول مدة غيبته ربك
الذي رباك بتجلية نوره بلا واسطة على روحك بل مفارقة الضحى للنهار اراد
النور له بعروض الليل نزول عن قرب فيعود النهار والضحى وما قلى وما
ابغضك لظهور بشريتك نزلت حين فتر الوحي فقال المشركون قد
ودعه ربه وقلاه وان حصل لظلام البشرية غلبة في بعض الاوقات فلغلبة
نور الحق في النهاية من ذلك وللاخرة خير لك من الاولى اذ لا يكون
لبشريتك هناك غلبة اصلا ولغلبة نور الحق عليك هناك دائما ولسوف
يعطيك ربك مقام الشفاعة التي تفيض منها النور على من آمن بك

واحاطت به ظلمات المعاصي فترضى بذهاب ظلمة البشرية عن اتباعك
فان شككت في خيرية انهاك فانظر في بداية امرك الم يجدك يتيما مهانا
بعض البشرية فآوى ضمك اليه لتبرك بعزة بمقتضى اشراق نوره عليك و
من دلايل غلبة النور الالهي عليك بعد غلبة ظلمة البشرية انه وجدك
ضالا لغلبة ظلمة البشرية فهدى لغلبة نوره وقد غلب خواص الالهية
عليك بعد غلبة خواص البشرية اذ وجدك عائلا فقيرا والفقر من خواص
الالهية وانما انعم عليك بهذه الاشياء لتنعم بها على خلقه فيكون دليلا على
شفاعتك لهم يوم القيمة فاما اليتيم فآوه لانه آواك لتؤوي الضعفاء
اليك واو لا مع اليتيم فان لم تؤوه فلا تقهر واما السائل فاغنه لانه
اغناك لتغني عباده واولا مع السائل فان لم تغنه فلا تنهر واما بنعمة
ربك وهي الهداية فانما هداك لتهدي عباده وهو بالتحديث فحدث
وقدم السائل ههنا لانه انسب لليتيم والهداية هناك اذ بها معرفة
التصرف في الاحوال تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الم نشرح

سميت به لدلالته بطريق التاكيد على منشاء
الكمال المحمدي صلى الله عليه وسلم وهو انشاع صدره بانواع التجليات
الالهية بسم الله المتجلي بانواره في الصدر المحمدي
حتى شرحه الرحمن بوضع وزره عنه الرحيم برفع ذكره الم نشرح
الم نوسع بانوار التجليات لك لتكميلك بالعلوم والشرايع صدرك
وهو وجه القلب الى النفس وهو اضيق مما الى الروح فاذا اتسع صار
ذلك اوسع ومن هذا التوسيع وضعنا ازلنا عنك وزرك ثقل اداء
الرسالة وكان ضيقا لانه الذي كان من ثقله عليك انقض كسر ظهرك و
كسر الظهر ضيق على النفس وبهذا الشرح والوضع رفعنا لك ذكرك بجعله

البشرية فاغنى والغني من خواص
صح

مقرونا بذكرنا في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب وبه تم الوضع
لانه حصل بذلك جاه سهل قبول قوله بعد الصعوبة وانما كان لك الشرح
والوضع لانك ابتليت بعسر اداء الرسالة والسنة الالهية في كل عسر
يسرين فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر اذا عيد معرفة يسرا اخر
اذ اعيد نكرة وانما ذكر مع ههنا مع تحقق تقدم وتاخر لقرب الزمان و
اذا كان مع العسر الواحد يسران وقد تعسر عليك اداء الرسالة يتيسر الشرح
والوضع فاذا فرغت من اداء الرسالة فانصب فاتعب للعبادة فان
مع تعبها يسر الثواب والقرب وان عسرت عليك مع ذلك الى ربك
فارغب فانها تزيل تعبها بالكلية تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة التين

سميت به لانه اجمع للفوايد جمع بدن الانسان اسرار
الاجسام الذي به استحق الروح الجامع للكمالات فاشبه الفاظ القرآن
المتضمنة للاسرار الجامعة بسم الله المتجلي بجمعيته في
بدن الانسان الرحمن بجعله في احسن تقويم من جمعه اسرار الحق والخلق
الرحيم باعلاء المؤمنين بعد ذلك اعلاء غير ممنون بجعل اجرهم غير
ممنون والتين الجامع للفوايد طعام اسرع هضما واكثر غذاء ودواء
كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح
سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير وينفع من النقرس
ولا يستغنى به احد والزيتون الجامع الفوايد فاكهة وادام ودواء
وله دهن لطيف كثير المنافع وطور سينين الجامع اسرار الوحي الموسوي
والطور اسم الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء بمعنى
الحسن وهذا البلد الامين الجامع اسرار الوحي المحمدي المامون فيه
عن تلبيس الشيطان فالاولان مثالا جمعية بدن الانسان اسرار الاجسام

والاخيران غشا الاجمعية روحه اسرار العالم الاعلى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم جامع لمقومات الاشياء روحا وجسما على احسن الوجوه
ثم رددناه جميع افراده من اعلى المراتب التي كانت له لو غلب عقله على
ساير قواه اسفل سافلين رتبة انزل من رتبة البهايم الا الذين امنوا
فغلبوا عقولهم على خيالاتهم واوهامهم وعملوا الصالحات فغلبوا
عقولهم على شهواتهم وغضبهم فجاهدوا بذلك ساير القوى فلهم اجر غير
ممنون غير مقطوع تقطع المجاهدة عندنا سقاه قواهم فلا يزالون يرتقون
اعلى مما كانوا في الرتبة العالية فعلم من هذا ان الدين انما هو تغلب العقل
على ساير القوى بعد استنارته بنور الشرع فهذه مقدمة قطعية في تصديق
الدين فما يكذبك بعد بعد هذه المقدمة بالدين فان ادعوا امكانا لم
يعتد به اذ لا يعتبره الله في مقابلة العقل المنور بنور الشرع وهو الحاكم
المطلق اليس الله باحكم الحاكمين ثم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله
اجمعين

## سورة العلق

سميت به لدلالته على ان الله تعالى
اعز الانسان بانزال القران عليه كما انه اعز العلق بانزال الروح الانسان
وصورته عليه بسم الله المتجلي بكمالاته في كلامه
الرحمن بخلق الخلق صور اسمايه الرحيم بخلق الانسان من علق
اقرا كلام ربك لا بنفسك بل باسم ربك وهو وان كان قديما يمكن جعله
مقروا بتصويره بصور الحروف كما انه الذي خلق الاشياء صور اسمايه
وهو وان كان عزيزا واحدا فلا يبعد ان يظهره في محل الذلة مع الكثرة
كما انه خلق الانسان عزيزا مستكثرا بالاعضاء من علق ماء مهين متحد
لا اختلاف فيه اقرا ولا تستبعد ان يوجد فيك ما نستصفه فانه لا
يبعد من كرمه اذ ربك الاكرم الذي علم خلقه من علمه بالقلم الاعلى الذي

فاي شي

هو العقل

هو العقل الاول فانه اشراقا يفيض العلم كالشمس يفيض نورا تظهر به
الاشياء ولا يختص ذلك بالسماويات بل علم الانسان ما لم يعلم وتعليم
القران من جنس تعليم العلم فلا يبعد من كرمه تعليمه ولو قيل لو كان اكرم
لم يترك احدا فقيرا يقال كلا زجرا عن اعتقاد كون الفقر عن عدم الكرم
بل من كرامته طغيان الانسان ان الانسان ليطغى على الله وعلى خلقه
من اجل ان راه استغنى وان لم يكن له عن الله غنى بحال بل ان الى ربك
الرجعى في جميع الاحوال فانه انما ينتفع بالغنى عن فوت الاكل والمضغ والهضم
والتغذيه والامساك والدفع على ان الطاغي يرجع اليه في الاخرة فيسال
عن طغيانه وينتصف منه فان انكروا كون الغنى سبب الطغيان يقال
ارايت اخبرني هل يكون طاغيا الغنى الذي ينهى وهو ابو جهل عبدا
وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذا صلى مع ان العبد حقه ان يعبد ربه
بقلبه ولسانه وجوارحه والصلوة جامعة وحق الله ان يكون معبودا
فهو طاغ على العبد بل على الله ارايت هل يكون طاغيا الذي ينهى
عبدا عما هو فيه من الهدى والامر بالتقوى ان كان على الهدى او
امر بالتقوى ارايت هل يكون طاغيا على الله ان كذب ما صدقه
الله بالمعجزات وتولى عن التفكر فيه هل هو هدى ام لا الم يعلم هذا
الطاغي على الله وعلى عباده بهذه الوجوه بان الله يرى وهو قادر
على جزائه حكيم كلا زجر له عن طغيانه لئن لم ينته بهذا الزجر لنسفعن
لنجذبن فلنقبضن بالناصية ناصية استحقت من اتصافها بوصف
كاذبة من سريان ظلمة كذب صاحبها وبوصف خاطئة لساير انواع
الخطايا من سريان خطايا صاحبها اليها فاذا جذبناه بها فليدع ناديه
اهل مجلسه ليخلصوه لكنه لا يمكنهم فانا سندع الملئكة الزبانية الذين
اي يدفعون الناس ليشدنهم الى النار كلا زجر لهم عن مواضعه فان

لم ينزجروا لا تطعه فيما نهاك عنه من الصلوة والهدى والامر بالتقوى و
اسجد رغما لانف كارهه فان اكره ما فى الصلوة الى هذا الطاغى السجود
واقترب الى الله بالسجود وبالصلوة وباداء الرسالة وبعدم اطاعته فانك
كلما ازددت منه قربا زادك حفظا ولاعدائك قهرا تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
واله اجمعين

## سورة القدر

سميت به لانه تظهر فى
ليلتها قدر كل شئ فاشبه القران بسم الله المتجلى بكمالاته
فى القران الرحمن بانزاله الرحيم بتخصيص انزاله بليلة القدر انا
انزلناه اى القران من غيب اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وحط درجته
بالانزال مجبور بنسبته الى نون العظمة مرتين وبكونه فى ليلة القدر اى
ليلة تظهر فيها مقدار كل شئ فى ذاته وصفته وخص الليلة لانها اشبه
بعالم الغيب وما ادريك مع جلالة قدر علمك ما ليلة القدر والذى
يمكن اظهاره من عظمته انه ليلة القدر خير من الف شهر يشتمل على ايام
وليال يتضمن تجليات غيبية وشهودية وتخصيص هذا العدد
للاشعار بالانتهاء الى عدد لا رسم لما فوقه على الخصوص والاكثر
انها فى رمضان وفى العشر الاخير منه سيما الافراد ارجى ومن عظمتها
انه تنزل الملائكة العرشية السماوية الى ملئكة الارض والروح العقل
على ارباب المكاشفات فيها باذن ربهم فى تكميل من دونهم ليكون
لهم رتبة التكميل بعد رتبة الكمال من كل امر مما يجرى على اهل الارض
او يكاشفه ارباب المكاشفة وربما يوحى هذا الكلام الى ان مع كل
امة ملكا وروحا وليس هذا النزول لنهى بنى ادم لانها سلام هى لا نزل فيها
اذى من اولها حتى مطلع الفجر تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة البينة

سميت بها لدلالتها على ان نبينا صلى الله
عليه وسلم بينة فى ذاته على نبوته بحيث لا يحتاج الى دليل اخر وهذا من
اعظم مقاصد القران بسم الله المتجلى بكمالاته فى نبيه
حتى جعله بينة الرحمن بجعله يتلو صحفا مطهرة الرحيم بتضمين صحفه
كتبا قيمة لم يكن الذين كفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
اليهود والنصارى والمشركين منفكين فى زمن من الازمنة الماضية
عن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اما اهل الكتاب فلرؤيتهم نعته
فى كتبهم واما المشركون فلسماعهم عن سلفهم عن ابرهيم عليه الصلوة والسلام
حتى تاتيهم البينة الحجة الواضحة على نبوته تحين شاهدوا ما امنوا بمجرده بل
كفروا به وليست هذه البينة خارجة عنه بل ذاته حجة على انه رسول من
الله لاستجماعه شرائط الرسالة من انتهائه فى الكمالات الانسية اقصى
النهايات من جملتها انه مع كونه اميا يتلو صحفا هى السور المتعددة من
القران المستقلة بالاعجاز لذلك كانت مطهرة عن ان يظهر عليها يد
كاذب كيف مع انه فيها كتب قيمة اى فيها معانى كتب مستقيمة عند اهل الملل
ولا يبعد مثل ذلك من اهل الكتاب فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بعد
ما فعلوه فى حق عيسى عليه السلام فانه ما تفرق الذين اوتوا الكتاب فى
حق عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءتهم البينة المعجزة الغامرة داله
على نبوته ولم يعارضها نسخه بعض الاحكام لانهم ما امروا فيما نسخ بشئ الا
ان يتوجهوا به ليعبدوا الله به فيصلوا اليه لكونهم فيه مخلصين له الدين
ولا يحجبهم عنه لكونهم حنفاء مايلين به عما سواه اليه كيف ولم يقع فيه
اختلاف فى الاعتقادات ولا فى اصول العبادات لانهم ما امروا
الا ان يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وان اختلف الكيفيات ولكن
لا يبطل بها الاستقامة بل ذلك دين الطائفة القيمة المستقيمة بل لا استقامة

لمن انكر النسخ لانه كفر ان الذين كفروا من اهل الكتاب بالنسخ والمنكرين
باصل النبوة مشاركون في حكم الاخرة في انهم في نار جهنم خالدين فيها ولا اعتبار
بايمان اهل الكتاب بكتابهم هنالك اذ اولئك بانكار النسخ او النبوة
هم شر البرية لانكارهم حكم الله تعالى في النسخ وبعثة الرسل فهم مرجحون
لا سفههم على حكم الله فهو شر من البهايم ان الذين آمنوا بالمنسوخ والناسخ
وعملوا الصالحات التي تصلح في كل زمان المنسوخ في زمنه والناسخ في زمنه
اولئك هم خير البرية لانهم المطلعون على حكمة الله في كل عصر المراعون لها
المرجحون لها على من سواهم فيترجحون بذلك على من ليس فيهم ما يضاد
العقل وهم الملائكة جزاؤهم عند ربهم الذي رباهم بالاطلاع على حكمته
ورعايتها جنات عدن لاقامتهم على امر الحق وحكمه تجري من تحتها
الانهار لاجرائهم انهار المعارف من الاستطلاع على انواع حكمته
ولعدم انتهاء انهار الحكمة لا تنتهي جزاؤهم فيكونون خالدين فيها ابدا
وكيف لا يكون لهم ذلك مع انهم رضي الله عنهم لاتمامهم حكمته في كل وقت و
يدل عليه انهم رضوا عنه وانما دل رضاهم عنه على رضاه عنهم لان ذلك
الرضى انما يحصل لمن خشي ربه ان يخل بشيء من حكمته فترك رعايتها
لذاته فاذا تمت حكمته فذلك دليل حصول رضاه عز وجل اللهم اجعلنا
منهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الزلزلة

بسم الله المتجلي بكمالاته للارض حتى تزلزلت الرحمن
بتنفس اعمال بني آدم عليها حتى اخرجت الرحيم بما اوحى اليها من
الاخبار باسباب تلك الاعمال اذا زلزلت الارض حركت تحريكا
شديدا عن اشراق نور الله عليها مع ريح النفخة الثانية ومع غضب الله
على اهل المعصية زلزالها الممكن لها واخرجت الارض اظهرت

سميت بها لدلالتها على عظم ما تجلى للارض من نور الحق المزلزل لها يوم القيمة صح

عن اشراق ذلك النور عليها مع رؤية غضب الله على اهل المعصية
اثقالها مقادير اعمال بني ادم عليها كانه ثقل عليها خيرها لكونه لله وشرها
لكونه معصية الله وقال الانسان ما لها حصل عليها ثقل ما عملت فيها من
غير ان يكون مكلفة بها يومئذ مع تلك الزلزلة تحدث اخبارها التي
فيها تلك الاعمال واسبابها لتكون شاهد على مقادير اثقالها ولا احتمال
للكذب في تلك الاخبار لان ذلك التحدث منها بان ربك اوحى امر لها
بتلك الاخبار ولا يقتصر على ايصال تلك الاخبار او الاعمال الى بني ادم
في مقام الحشر بل يومئذ يصدر الناس يخرجون من قبورهم الى اماكن
تلك الاعمال اشتاتا متفرقين لتفرق تلك الاماكن ويسمعوا اخبارها قبل
ان يروها في الصحف والموازين لئلا ينكروها مخرجا الى الصحف والموازين
لئلا ينكروها مخرجا الى الصحف والموازين فمن يعمل مثقال ذرة نملة صغيرة
او هباء وان توهم ان مثقالها لا ثقل على الارض اصلا خيرا يره وان كان
محبطا ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان كان معفوا عنه اذ لا يخلو عن اثر
في التخفيف ونقص الدرجة او رفعها بالندم عليها تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد
واله اجمعين

## سورة العاديات

سميت بها لدلالتها على سرعة
غضب الله على الانسان الكنود وهو من اعظم انذارات القران
بسم الله المتجلي بجماله في العاديات حتى اقسم بها وبجلاله
حتى جعلها قهرا اعدائه الرحمن بجعلها مثال سرعة غضبه ليحترز عنه الرحيم
بجعلها مقسما بها مبالغة في التخويف ليرحم الخائف بالرحمة الخاصة
والعاديات الخيول التي تسرع السير الى الاعداء ضبحا اي مصوتة بصوت
انفاسها او اجوافها ضبحا تشبه به الغاضب اذ تخرج صوت نفسه او جوفه
فالموريات قدحا اي التي تخرج النار صكة حوافرها الحجارة النار ايراء

العاديات النار من ضربه فالمغيرات صبحا اى التى غارت اصحابها اى غيرها العدو وقت الغفلة والفزع لابداله ترحا كما ان الغاضب يغير على راحة المغضوب عليه حال غفلته فاثرن به بسبب ذلك الوقت نقعا غبارا كما يثير الغاضب الغبار على عينى المغضوب عليه فوسطن به اى فى ذلك الوقت جمعا من الاعداء كما ان الغاضب يدخل الافة بجوف المغضوب عليه ان الانسان لربه لنعم ربه لكنود كفور يوجب قتاله بهذه الخيول وفهره بهذا الغضب مع صوت نفس او جوف من جهنم والزبانية ونار من جهنم ومن ضرب الزبانية ولسع الحيات والعقارب واغارة ما فيه واثارة غبار الحجاب على عينيه واطلاع نار الله على الافئدة وكيف لا يوجب كنوده ما ذكر وانه على ذلك لشهيد فهو متعمد فى عداوة ربه وكيف لا وانه لحب الخير المال لشديد لقوى وهو دليل استغنائه عن الله واى عداوة اتم منه افلا يعلم ان الكنودية والتشهد وشدة الحب امور خفية يمكن انكارها عند الله فلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور فقد اخرج ما فى الباطن الى الظاهر سيما وقد حصل ما فى الصدور تصويره بالصور الظاهرة بحيث يعلم به الخلائق ان ربهم الذى رباهم ببواطنهم وظواهرهم بهم ببواطنهم سيما لو تشدد يومئذ يظهر السرائر لخبير فلا مانع فى حقه من الغضب المنتج لما ذكر نعوذ بالله من ذلك ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة القارعة

سميت بها لدلالتها على اعظم انذارات القرآن بسم الله المتجلى بجماله فى القارعة بجلاله فى قهر الاجسام الثقلة والصلبة وجماله فى الاعمال الصالحة الرحمن بتثقيل موازين المؤمنين الرحيم بجعلهم فى عيشة راضية القارعة الداهية التى تضرب بشدائدها الاجسام الثقلة فتخفها والصلبة فتفرقها ما القارعة فى عظم تأثيرها وما ادريك وان بلغ علمك

بابلغ ما القارعة فى عظمها وغاية ما يمكن فى بيان عظمها انها يكون يوم يكون الناس من تاثيرها فى الاجسام الثقيلة بالتخفيف كالفراش الطير المتهافت فى النار المبثوث المتفرق فى طيرانها جهات شتى على غير نظام اى مثلها فى الذلة والضعف والتطاير الى كل جهة وتكون الجبال من تاثيرها فى الاجسام الصلبة بالتفريق كالعهن الصوف الملون بالالوان المختلفة المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فلا يبقى لها ثقل بحفظها فى اماكنها ولا اصلابة يحفظ اجتماع اجزائها ثم تظهر فيه ثقل الاعمال وخفتها الخفية ويكون اثرها فى حفظ اربابها وعدمه مع ان امر الثقل والخفة عليهم بالعكس فاما من ثقلت موازينه اعماله الموزونة لرجحانها عند الله فهو لحفظ عمله اياه وعدم ثقله عليه لاحتماله ثقله فى الدنيا فى عيشة راضية ذات رضى واما من خفت موازينه لانه لا مقدار لها عند الله فلا يحفظه عمله ويصير ثقلا عليه فامه مرجعه رجوع الصبى الى امه هاوية اسم الدرك الاسفل من النار وما ادريك ماهيه فى ثقلها عليهم وغاية ما يمكن فى بيانها انها نار حامية حارة فى الغاية بحيث لا عبرة لحرارة نار اخرى اليها ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة التكاثر

سميت به لكونه مما تندر عنه كالقارعة لانه حجاب بعينه بسم الله المتجلى بكماله فى علم اليقين وعينه الرحمن بافاضة علم اليقين وفوائده الرحيم بافاضة عين اليقين وفوائده الهيكم شغلكم عن الله وطاعته والنظر فى اسمائه وصفاته وافعاله وما يجب عليكم فى حقه وما يجب لانفسكم فى الاخرة وما يجب فى الاموال وسائر النعم من صرفها الى ما خلقت لاجله التكاثر بالاموال والاولاد والتفاخر بهما وبالآباء والاقارب حتى زرتم المقابر بهم على ذلك التشغل كلا انزجروا عن الاشتغال بذلك سوف تعلمون فى البرزخ ما فوتم به من النعيم الابدى والقرب من الحضرة الصمدى

ثم كلا اى ازجروا مرة بعد اخرى لانكم سوف تعلمون فى القيمة ما هو اجل من
ذلك كلا اى ازجروا عن اعتقاد انه انما يعلم فى البرزخ والقيمة بل لو تعلمون
الآن علم انتم عليه علم اليقين الكاشف بعض الحجب الظلمانية لترون الجحيم
ما انتم فيه قبل البرزخ والقيمة ثم ان زدتم تصفية وانكشف عنكم الحجب لترونها
اى الجحيم ما انتم عليه عين اليقين اى كرؤية البصر ثم اى بعد رؤية الجحيم
فى هذه المقامات لتسئلن يومئذ عن النعيم اى جميع ما انعم به عليكم
مما شغلكم من الصحة والفراغ والشباب والاموال والاطعمة والاشربة من
انعم بها ولم انعم بها وان صرفتم ضما للعذاب العقلى الى الحسى نعوذ بالله
من ذلك تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة العصر

سميت به لدلالة عمر العبد الذى هو راس ماله فيه فاشبه القران الذى هو راس مال اهل
العلم بسم الله المتجلى بجلاله فى الانسان اهل الخسر
وجماله فى اهل الايمان والاعمال الصالحة الرحمن بجعلهما اهل الربح الرحيم
بزيادة ربح المتواصين بالحق والصبر والعصر اى الزمن الذى منه عمر
الانسان الذى هو راس ماله فى تحصيل الاعتقادات والاخلاق و
الاعمال والاحوال ان الانسان جميع افراده لفى خسر نوع من نقص راس
المال كلى او جزئى وهو تضييعه العمر الذى يمكنه فيه تحصيل القرب من الله
ورضوانه وثوابه الابدى بالمعاصى والشهوات الفانية المستعقبة للبعد
من الله وغضبه وعقابه الا الذين آمنوا فانهم يربحون المعارف المفيدة
للسعادة الابدية والقرب من الله ومخالطة ملئكة وعملوا الصالحات
فانهم يربحون الاخلاق والاحوال فى الدنيا والفوز بالدرجات والنجاة
من الدركات فى الآخرة وتواصوا بالحق اى وصى بعضهم البعض بالاعتقادات
الصائبة والاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة وتواصوا بالصبر على الحزن

وعن الشهود فانه ربح بثواب الارشاد والتعليم وثواب من عمل بوصيتهم
فلا ينقطع ما دامت سلسلته باقية الى الابد تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الهمزة

سميت بها لدلالتها على ان من كسر اعراض احاد
الخلق استحق الويل فكيف من كسر حرمة الله ورسوله بالتكذيب
بسم الله المتجلى بكمالاته فى الانسان حتى استحق الويل
من راى النقص فيه الرحمن بحفظ الاعراض بايعاد الويل على هاتكها
الرحيم بمنع مباديه من التكبر على خلق الله بايعاد الحطمة عليه ويل قبح عظيم
وبلاء شديد لازم لكل فرد من افراد همزة يعتاد الهمز كسر اعراض الناس
لمزة يعتاد اللمز الطعن فى الانساب والافعال والاشكال فكما بالغ فى
تقبيح الناس وايلامهم يجازيه الله على سبيل اللزوم لانه حق الخلق واصله
طلب الافتخار عليهم ومنشاؤه فى الغالب المال فانه الذى جمع مالا وعدده
جعله معدا لدفع النوائب لا يرى فى ذاته نقصا ولا فى محاسنه ايحسب
ان ماله اخلده لانه لجمعه لا يموت جوعا ولاعداده للنوائب لا يصيبه
النوائب فهو يرى ذاته ومحاسنه محاطة بالكمالات ويرى النقص فى
الغير فيطعن ويلمز كلا زجر له عن اعتقاد كونه مبقيا لذاته ومحاسنه
بل هو سبب لهلكها بالكلية فانه لينبذن ليطرحن فى الحطمة النار
التى تكسر العظام وتغرق اللحم والدم وتشوه الصورة فلا يبقى لذاته
جمالها ولا شئ من محاسنه بل يصير اقبح مما طعن به وما ادريك وان
بلغ من كمال العلم ما بلغ ما الحطمة فى اهلاك من طرح فيها وتقبيحه وغاية
ما يمكن من بيانها انها نار الله ناره فهى الموقدة بوقود هو عظم من طرح فيها
ولحمه ودمه ولها قهر اشد من ذلك اذ هى التى تطلع على الافئدة
المتالمة بادنى هول يجازى بذلك على ايلامه افئدة المطعونين وهو

ذلك بالغ في ايلام ظاهرهم ايضا انها عليهم موصدة مطبقة لا يخرج منها
نفس حار عنهم ولا يصل اليهم نفس بارد من خارج ومع ذلك يكونون
موثقين في عمد خشب مثقوبة فيها ارجلهم ممددة مطولة لتفضحهم على
الناس في تقبيحهم وتطويلهم عليهم فيه فكانه المراد بالويل ثم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين

## سورة الفيل

سميت به لدلالته على ان ادنى اسباب
القهر من الله لا تقاومه اعظم الامور فكيف تقاوم ادناها اعلى اسباب
القهر وانه لما قصد لهتك حرمة بيته هذا القهر العظيم فكيف لا يقهر لهتك حرمته
وحرمة رسوله بسم الله المتجلي بكمالاته في البيت حتى جعله
قهرا للاعداء وامنا للاولياء الرحمن بجعل هذا القهر دليلا للقهر اعلاء
ليحترزوا عن عداوته الرحيم بجعل امنه دليلا على امن المتوجه اليه في
سبيل الله من الحجاب عنه الم تر الم تعلم بالتواتر النازل منزلة البصر
كيف فعل مما يحير العقول ربك الذي رباك ومن يتبعك باسرار بيته
باصحاب الفيل بالعسكر الذي لا يمكن قتاله وذلك ان ابرهة بن الصباح
الاشرم بنى بصنعاء كنيسة سماها القليس واراد صرف وجوه الحجاج اليها
فتغوط فيها بالليل رجل من كنانة فسمع ابرهة فحلف ليهدمن الكعبة وقيل
اجج رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف فخرج بجيشه وقدم
الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى جهة اخرى
هرول وكان هذا فيلا عظيما قويا وكان معه اثنا عشر او ثمانية آخر الم يجعل
كيدهم وهو بناء القليس بصرف وجوه الحجاج وحربهم لهدم الكعبة في تضليل
تضييع وكفى به دفعا لكن لم ينصرف بكلهم تنكيلا اذ ارسل عليهم وهم
يحاربون باقوى الحيوانات اضعفها طيرا اخرجت من شاطئ البحر كاليعاسيب
سودا او خضرا وصفرا في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران ابابيل جماعات

متفرقة في الطرق اذ هربوا متفرقين فجعل لها اضعف الاسلحة ترميهم بحجارة
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة من سجيل طين متحجر معرب سنگ
كل فجعل انهما اعظم من اثر اسلحة الحديد تقع على الرؤوس وتخرج من
الادبار فجعلهم كعصف ماكول كزرع وتبن اكلته الدواب فراثت و
يبس فتفرق اجزاؤه شبه بذلك تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم ثم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد واله اجمعين

## سورة قريش

سميت بها لاختصاصها بذكر
المنة عليهم وطلب العبادة منهم لان الناس لهم تبع فالمنة عليهم منة على
الكل وطلب العبادة منهم طلبها من الكل وهم في المتبوعية كالقران
للكتب بسم الله المتجلي بكمالاته في بيته الرحمن
بايلاف اهله الرحيم بطلب العبادة منهم ليشكروه ويزيدهم لايلاف
قريش تاليف قلوب اولاد النضر بن كنانة مع قلوب اهل
الدنيا لينتظم لهم امر الدارين على اكمل ما ينبغي سيما لاجل ايلافهم
مع اهل اليمن والشام رحلة الشتاء والصيف في رحلتي الشتاء
والصيف من قريش بكل ما يحصل في بلادهم من غير انقطاع و
انتظار مدة طويلة فليعبدوا شكرا لهذه النعمة التي في غاية الظهور
والعظمة ان لم يعبدوه لنعمة اخرى مما لا يحصى فان لم يعبدوه لذلك
لهم فليعبدوه لكونه رب هذا البيت المتفق على تعظيمه فربه اولى
بالتعظيم الذي هو غاية العبادة له سيما اذا انعم عليهم سيما بواسطة
بيتهم المعظم فهو الذي عظم اهله في قلوب اهل الدنيا حتى اطعمهم بايلافهم
من جوع لزمهم من سكونهم بواد غير ذي زرع وآمنهم من خوف
في بلدهم وطرقهم وما يحلون اليه من البلاد مع عموم الخوف لساير
البلاد والطرق فان لم يعبدوه فلا يبعد منه ان يميتهم بجوع ويهلكهم

اليهما ومنها الى
قريش صح

بخوف ويجعل لهم الى جهنم رحلتين رحلة فى الشهيد واخرى فى
الحرتم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الماعون

سميت به لان منعه يوجب حجابا يستعقب عذابا فهو
مما نشد عنه انذارا وهو من اعظم مقاصد القران بسم الله
المتجلى بكمالاته فى الدين الرحمن بعظيم حق اليتيم والمسكين الرحيم
بعظيم حق الصلوة والزكوة ارايت اخبرنى هل عرفت الذى يفعل
فعل من يكذب بالدين الجزاء بحيث يوجب ظن التكذيب بالحقيقى
ان لم يعرفه فذلك الذى يدع يدفع اليتيم الذى هو اضعف الضعفاء
عن حقه فان المومن بالجزاء يحسن بخاصة ماله الى الناس سيما الضعفاء
سيما الايتام فان لم يفعل فلا يدفع احدا عن حقه فان دفع فانما يدفع
من يعاند ولا يتصور من الضعفاء سيما الايتام فان لم يفعل فلا يدفع
احدا عن حقه فان دفع كيف ومنشاؤه ايثار المال بحيث ينتهى فى
البخل الى حيث لا يحض لا يحث احدا على طعام المسكين وان كان
دفعا لفرض الكفاية عنه بفعل الغير لعدم اكتراثه بالفرض فهو يفعل المكذب
واذا كان من يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فى حكم المكذب
مع انهما ليسا من الطبقة العليا فى الدين فكيف من يخل باعلى طبقاته كالصلوة
والزكوة فويل للمصلين للمكلفين بالصلوة التى هى الفارق بين الاسلام
والكفر الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون لا يصلونها بغيبة الناس
وانما يصلونها بحضورهم لانهم الذين هم يراؤن والرياء شعبة من الكفر
على انهم ان يروا الناس كانهم يعبدون الله المنفرد بالعظمة والعبادة
لاجل روية الناس فهو من اشد انواع الكفر ولو فعلوا الصلوة فهم
يمنعون الماعون الزكوة التى هى قرينة الصلوة فلا يفعلونها لله ولا

رياء ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الكوثر

سميت به
لدلالته على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساير الرسل عليهم
السلام بما اوتى يوم القيمة من الكوثر وهو من اعظم مقاصد القران
بسم الله المتجلى بكمالاته فى رسوله صلى الله عليه وسلم
الرحمن باعطائه الكوثر الرحيم بامره بالصلوة والنحر انا قدم المعطى لكون
النظر اليه اسبق وذكره فى اعطيناك لئلا يقف نظره على العطاء و
نسب العطاء الى مقام العظمة ثم عظمه بخطاب المعطى له اكمل العباد
وجعل المعطى الكوثر واصله المبالغة فى الكثرة والمراد الحوض لما روى
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير ماؤه احلى
من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه فصل شكرا
عليه فعبادة مباحات الرب فهما احلى من العسل ونور التذلل واللطف
فيها ابيض من اللبن والعين العايض فيها ابرد من الثلج و
النازل على صاحبها الين من الزبد والفرايض والسنن المحيطة بها
تقيد حضور العيش كالزبرجد واذكارها كاوانى الفضة تسقيه مياه
المحبة الالهية التى من شربها لا يظمأ الى شرب غيرها لربك الذى اكرمك
بهذه النعم فى الصلوة يربك نعم الحوض ولم نقل لنا ليشير الى انه لا يمكن
للبشر ان يأتى بشكر يناسب مقام عظمته تعالى ثم قال وانحر اذبح الاضحية
التى هى مطية الصراط للوصول اليه على انها تشبه الزكوة التى هى قرينة الصلوة
وكفى بهذا الحوض عاقبة حميدة لا ينقطع خيراتها عنك ولا عن اتباعك
وانما ينقطع عن اعدائك ان شانئك مبغضك الذى يمنع الشرب من
هذا الحوض هو الابتر المنقطع عن الله وعن السعادة الابدية وعن خيرات

الداري لاتذكر حيث ذكر الاصنام باللعنة ولاتذكر حيث تذكر الا
مقرونا بذكر الله تعالى والصلوة في المحافل والخطب تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله اجمعين **سورة الكافرين** سميت بهم لانها لكمال
التفرقة بينهم وبين المؤمنين في العبادة التي خلقوا لاجلها بسم الله
المتجلي بكمالاته في عابديه الرحمن بتوفيقهم للعبادة ليعم بهم الدارين
العابدين بالذات غيرهم بتبعيتهم ليتم بذلك امرهم الرحيم بتخصيصهم
بكمال غاياتها في الآخرة قل يامرنا هذا الخطاب الشنيع وان كان على خلاف
مقتضى اخلاقك تغليظا عليهم يا ايها الكافرون ناداهم طلبا لاقبالهم
حال ادبارهم بالكفر واتى باي للاشارة الى انا هم عليهم من امر الكفر
واتى بها التنبيه لتنبيه على انه يعرف بادنى تنبيه والمراد المستمرون على
الكفر من اول الولادة الى الموت والا فالمؤمن في وقت من الاوقات
تعبد الله فيه واشار الى ان كفرهم بعبادة من لا يستحقها فقال لا اعبد
من حجر او شجر او بهار او نار او كوكب او شيطان او ملك او صالح وغلب
غير العقلاء ليشير الى ان عبادة غير الله خارجة عن قضية العقل سيما
عبادة غير العاقل على ان من عبد الله باعتقاد التشبيه او الحلول
والاتحاد بالغير فقد عبد من ليس اله ولا انتم عابدون بعبادة المطلق
ما اعبد لانكم معتقدون فيها كمال ظهوره وهو اعتقاد نقص فيه ولا ابد
الآلهة الناقص ولا انا عابد لو عبدت الاسماء الالهية ما عبدتم
من صورها اذ عبادة الاعلى لا تستلزم عبادة الادنى ولا انتم
عابدون بعبادة صور الاسماء الالهية ما اعبد من الاسماء على التعدد
المذكور ولا من الذات لان الصور قاصرة على انها لو كانت كاملة لم تزل
منزلة اصولها لكم دينكم ولي دين لا يشتركان في الاصول والفروع بل

ما تعبدون صح

تختلفان بوجه من الوجوه والدين الاول على سبيل المجاز او المشاكلة والثاني
على سبيل الحقيقة ان الدين عند الله الاسلام واضافة الاول لتحقير المضاف
والثاني لتعظيمه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين **سورة النصر** سميت به لانه
ظهر به دين الاسلام على سائر الاديان وهو من اعظم مقاصد القرآن
وتسمى سورة التوديع لان الامر بالاستغفار يشعر بدنو الاجل
بسم الله المتجلي بكمالاته في نصره حتى جعله سبب ظهور
دينه الرحمن بفتحه بلاد الاسلام وعلومه الرحيم بادخال الناس افواجا
فيه اذا جاء نصر الله اورد الماضي دلالة على التحقق وقد تحقق فهو من اعلام
النبوة واذا للشرط المحقق ففيه ايهام الجمع بين المتنافيين واستعار المجيء
تخييلا بعدما استعار النصر للملك كناية فكانه الملك الواصل من الله
الى رسوله والاضافة للدلالة على اختصاصه بالله لا يتصور من غيره ولا يعقبه
هزيمة وانه ما ظهر به دينه على الدين كله ويدخل فيه النصر الظاهر على الكفار
بالسيف والحجج ودفع الشبه والباطن على الشيطان والنفس والفتح فتح
البلاد كمكة وسائر اماكن الكفر وفتح العلوم ولكونه فرع النصر لم يصرح
بنسبته الى الله ورأيت ما لم تره مدة طويلة ظهرت فيها معجزات كثيرة الناس
يدخلون في دين الله الذي ليس فيه شائبة شرك وغيره وان خلا في الاصل
فلا يخلو الآن لان انكار هذا الدين الثابت بالمعجزات يستلزم نسبتها
الى غير الله وهو شرك وهو فرع الفتح اذ علموا بذلك انه تيسر للمسلمين ما لم
يتيسر لاصحاب الفيل فلا بد لاحد يقاتلهم افواجا بعدما كانوا يدخلون
افرادا على فترة فسبح نزه ربك من ان تشاركه في كماله تنزيها مقرونا بحمد
ربك على ما اعطاك من الكمال ما توهم المشاركة معه واستغفره من توهم المشاركة
لئلا يسلبك ما اعطاكه فاذا استغفرته رجع عليك بالفيض انه كان توابا

رجاءً بالفيض لمن استغفر تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة تبت

سميت بها لدلالتها على تحقق الخسران الكلي المفضي الى الهلاك لاعظم
الاشقياء بانكار هذا الدين وهو من اعظم مقاصد القران
بسم الله المتجلي بكمالاته في هذا الدين بجماله في اهله وجلاله
في مخالفيه الرحمن بمن نجاه عن التباب الرحيم به باهلاك اعدائه عن
ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه
وسلم الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا
فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي
قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت تبت خسرت خسرانا يؤدي
الى الهلاك يدا ابي لهب اي اعماله الجارية الشر او الظاهرة والباطنة
او جانباه القوي والضعيف وابو لهب كنيته عبد العزى بن عبد المطلب
لاشراق وجهه والمناد فيها قصد التعظيم وقد جعل هنا كناية عن الجهنمي
وتب من سريان تباب الافعال اليه بالذات بحيث لا يصلح شيء لذلك
لم يدفع تبابه شيء من الاسباب فانه ما اغنى ما يدفع بالمنع عنه ماله وما كسب
من الجاه والاتباع والاولاد فلو اغنى عنه شيء منها في الدنيا لم يغن في الآخرة
بل سيصلى نارا تزيد على سائر النيران بكونها ذات لهب اشتعال عظيم
لزيادة كفره على كفر غيره وفرط عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم مع قرب
قرابته ويزداد عذابا باحراق جنسه في نظره اذ يصلى امراته ام جميل بنت
حرب بن امية وان صارت عدوا له ازداد بعداوتها عذابا ويزداد
في حرها انها هناك حمالة الحطب من الزقوم او الضريع لما كانت تحمل
من حزمة الشوك والسعدان والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول

حبل

الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تحمل الحديث وتلقي العداوة وتوقد
نارها بحطب تلك في الآخرة في جيدها عنقها الذي هو محل كل علق نفيس
من الجواهر حبل سلسلة من مسد مفتول الحديد كما انها في حمل الحطب
في الدنيا او تصيرها لحملها الاحاديث للنقل تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الاخلاص

سميت به لاخلاصها في تعريف الحق وبيان ذاته
وصفاته بسم الله المتجلي بكمالاته في صفاته الرحمن بتعريفه
بها الرحيم بالجمع بين الصفات المعرفة على احسن وجوه التنزيه قل يا اعلم
الناس به في تعريفه عن امره على وفق قواعد الميزان وصريح الكشف و
العيان انه يصدق عليه هو على الاطلاق لعدم توقف هويته على غيره
بخلاف الممكن فان وجوده لما كان من غيره كانت هويته وهي خصوصية
وجوده من غيره ثم غاية ما يمكن من تعريفه ذكر خاصته اللازمة القريبة
لانه لغاية بساطته لا يمكن تعريفه بالفصول والخواص اما وجودية او عدمية
او جامعة وهذه اكمل والطف قوله الله الدال على الذات والصفات
الوجودية الحيوة والعلم والارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والسلبية
كالتنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها واتحاده بها ولما لم يكن غيره كما
لم يكن عينه صدق عليه انه احد ولم يقل واحد لانه مقول بالتشكيك على
ما لا ينقسم اصلا وما ينقسم عقلا وما ينقسم حسا بالقوة وما ينقسم بالفعل
فكل سابق اولى من اللاحق والاحد مختص بالاول ويدل عليه انه لو انقسم
لاحتاج الى اجزائه فلم يكن هويته لذاته وانما اثبتنا له الصفات مع احديته
لصمديته اي احتياج الكل اليه مع استغنائه ولما لم يكن باعتبار هويته الى
بها احديته ربها على الالهية فقال الله الصمد ثم قال لم يلد لان الولد
يشارك الوالد في الماهية وهو ينافي الصمدية لان احد المشاركين يغني

عن الآخر ولصمديته المنافية للاحتياج والاستقلال بهويته باقتضاء وجوب
الوجود لامتناع المشاركة صح عليه انه لم يولد وكما لا يكون له مساو في الماهية
لا يكون له مساو في قوة الوجود التي هي الوجوب بالذات لذلك لم يكن له
كفوا احد تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الفلق

سميت به لان فلق ظلمة العدم بنور الوجود يشبه فلق ظلمة الجهل بنور العلم وهو من اعظم
مقاصد القرآن بسم الله المتجلي بكمالاته في النور الفائض
الرحمن باشاعة ذلك النور الرحيم باعاذة من عاذ به من الشرور
قل يا ايها الجامع بين الصفات الحقية والخلقية اعوذ برب الفلق
النجي من رزق الاشياء بفلق ظلمة عدمها بنور وجوده الذي هو خير محض
من شر ما خلق اي النقائص التي تقتضيها الحقائق الخلقية من آثار الظلمة
الاصلية لها سيما عالم الاجسام بموادها وصورها او اعراضها ومن شر
غاسق اذا وقب اي ظلام يعرض لها من خارج بالطبع كظلام القوى
الحيوانية اذا دخل النفوس الناطقة فيستر نورها وصفاءها ومن
شر النفاثات في العقد النفاخات فانه ظلام من آثار النفوس الخبيثة
ويقرب من ذلك آثار القوى كنفخ القوى النباتية في عقد الطبايع المختلفة
لتزايد في الجهات كلها ومن شر حاسد اذا حسد فقصد الرد الى ظلمة
النقص ويقرب منه قصد النفوس الخبيثة رد القلوب عن ذلك كظهور
الصفات الخبيثة للنفس والطبيعة تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

## سورة الناس

سميت به لانه ذكر فيها تعلقه بالحقائق الالهية
والكونية بسم الله المتجلي باسمائه وصفاته وافعاله في الناس
الرحمن بتكميلها بعد افاضة نور الوجود عليه الرحيم بحفظه من شر ما فيه
وشر ما خرج عنه قل يا من يرد عليه الوحي والالهام الذي يكاد يلتبس
بالوسواس على بعض الناس اعوذ برب الناس اي الذي ربي الناس
بتسوية المزاج وافاضة البدن والاعضاء ملك الناس بافاضة النفس
الناطقة المتصرفة بالقوى المدركة والمحركة اله الناس الذي شوق النفس
الى معرفته وعبادته والتنزه عنه من شر الوسواس الموسوس بما يفسد
المزاج او التدبير النفسي او المعرفة والعبادة واسباب التنزه الخناس اي
الذي يتأخر عن الخواطر الالهية والملكية مع انه الذي يوسوس يلقي الخواطر
الردية في صدور الناس التي فيها تعلق الناطقة بالجوانية وهذا الخناس اما من
الجنة وهي الاجسام النارية واما من المتجنية الناس تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين الذي هدانا للمعاني التي يعرف بالبديهة اعجاز ما اد
اديت بهذه العبارات من عظم وقوعها وعظم حلاوتها وعجيب ربطها وترتيبها
وتضمنها للعلوم التي لا تتناهى مع الاشارة الى دلايلها ورفع الشبه عنها في
الفاظ يسيرة عجيبة السبك كثيرة الفضايل من غير تغيير لظواهرها في الوصول
الى اسرارها مع رعاية فائدة كل حرف فانه لا ينقص خلافه بنوع تصرف فله
الحمد على كل حرف حمدا لا ينتهي اليه طرف والصلوة والسلام على خير خلقه
سيد انبيائه واصفيائه محمد وآله اجمعين ملاء السموات وملاء الارضين
وملاء ما شاء الله من شيء بعد وعلى كل نبي وصفي وعلى كل ملك كريم وعلى
كل ذي فضل عظيم الى يوم الدين بل الى ابد الابدين بفضلك ورحمتك

يا ارحم الراحمين

فاز باتمام كتابته والحمد لله على التوفيق له العبد المحتاج
الى غفرانه درويش محمد محمد شهريزي صبح الاربعاء
العاشر من شهر المبارك رمضان سنة اثنين
وتسعين وثمانمائة بلدة تبريز صينت في
ظل والها عن الحدثان بمنه وكرمه